219

1



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور الخافقين ببعثة النور المبين   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وجعلها شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين   فازال ظلمات الضلال المدلهمة
فاذا همت افواه الاباطيل باطفاء نور ابى الله الا ان يتم نوره   حين اشرق به مصباح الهداية وقد كاد
ان يهم بالانطفاء وانضح منهج الحق بعد ما اندرس رسمه وعفا برسالته التي شرح الله بها الصدور وشفا
وانما ربه كن الباطل بعد ما صار من الغواية على شفا فاكمل الله به المنة على البرية واحيى به موءودات المعارف
الالهية في فترة الجاهلية   فصلى الله وسلم عليه وزاده تمجيدا وتكريما   كما امر بذلك فقال صلوا عليه
وسلموا تسليما   وعلى عترته وصحبه الذين باعوا له ارواحهم بالجنة وسلموا ما تسليما   ما درسك
المداد على كافور الطروس فعطر اردان الاذهان والنفوس   هذا وان كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى
كتاب قدره جليل وهو على جلالة مصنفه ادل دليل فانه كما في مطمح الانفس جل عيان الاندلس جاء بها على قدر
وسبق لنيل المعاني وابتدر فاستيقظ لها والناس نيام   ورد ماءها وهم صيام   فتحلت به للعموم خرد
وتجلت له منها عرايس حور كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان   والحفته بالامتنان
ردائها   وسقته دررها واندائها   والقت اليه الرياسة مقاليدها وملكته طريفها وتليدها   وهو
على اختصاصه بهذه المرتبة الرفيعة واعتنائه باعلام معالم الشريعة   يعتنى باقامة اود الادب
وينسل اليه اربابه من كل حدب مع عفاف وصون   اعدم الفساد بعد الكون   وقد وفى ببيان بعض
ما يجب من ايانه   ونشر على كاهل الدهر الوية الثنا بين يدي صفاته مما يجوز له ان يكتب بالنور في صحايف وجنات
الحور   وينقش بقلم العقل معانيه ويخط على الواح الاذهان   لاطفال الارواح مبانيه صحفا نزعت
بشهد حلاق   كل ذوق ولذلك كان شفاء   ولعمري لقد نزل البديعة منزليه   وبلغ ماينه ما كانت
نتوبه من التنزيه   حديث لو ان الميت نودي باسمه لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر   وقد كنت قديما وحديثا
يحنني حادي الشوق نحوه حثيثا   وقد نبا الصبا غضة مورقة الافنان   ورياضه الزواهر محفوفة
بروح وريحان   لشغفى بصفاته وموصوفه وطربي بسماع تليده وطريفه تمثال الجميا شغفت عنها ظروف
حروفه لا زال افقو العين بالاثر منشدا   وقد ناب السمع عن البصر فانني ان ارى الديار بطرفي   فلعلي ارى
الديار بسمعي وكان يصدني عنه ما في الباع من التقصير وزمان لا يعرف فيه ورد من صدر ثم قلت الضيف الفكر
خير الطعام ما حضر وخير انواع الربيع ما ابكر فلما رايت له شروحا ربما تنشرح لها الصدور وان تخلل
قصورها المشيد من قصور وفي بعضها اغاليط   وتطويل ممل وتخليط   الا ان تقليد الناس لبقى
صريح ندائها والبحث قد انس على دعائها فلا لاما فيها من ملاعب الظنون   قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون   فسودت بعض الامالي رجالا ان يبيض بها صحف اعمالي فيسرها كاتب اليمين ويرفعها
ايدي الكرام الكاتبين فلما رآه بعض الاصحاب سالني ان ابرز مخباته من خلف الحجاب   ولح علي في ذلك

دفعة

2

دفعة بعد دفعة   وانا اقول له هذا ياسمين لا يساوي جمعه   وهو يمد يد امله لاقتطاف وردة لم لا يجتني
ويهم بذوق ثمرات الغضة الجنا   وقضبه بريح القبول ما تزنحت ووردته بنسيم السحر ما تفتحت كعذراء ابصرت
مبصر   فغطت بكمها رأسها ثم عرض لي بغتة ما عرض مما اخرج جوهر القوى من العرض فقصدت شفاء الروح
والبدن باسناد الجسم الضعيف لحديثه الصحيح الحسن رجاء للظفر بسعادة الدارين مافيه من عين
الفرح وقرة العين لتشتفي به امراض القلب اذا اتت الساعة فنلت منه بحمد الله ترياقا مجربا وبرء ساعة
ولما انجلى عن منصة التمام وفض منه مسك الختام سميته نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض
رجاء ان يهب عليه ريح القبول وان كانت نسمات الآمال عليله وتشمله نفحة من نفحات الرسول صلى الله
عليه وسلم   فتشفى من لظما غليله واعلم ان سندي في هذا الكتاب وغيره من كتب الحديث سلسلة
الذهب من طرق عالية اعلاها روايتي عن خاتمة المحدثين الشيخ ابراهيم العلقمي وهو عن اخيه الشمس
العلقمي شارح الجامع الصغير عن مؤلفه الجلال السيوطي بقراءتي عليه من اوله الى آخره بالجامع الازهر
وسند السيوطي رحمه الله اشهر من الشمس في رابعة النهار وعن شيخ الاسلام شافعي زمانه الشيخ العلامة
شمس الدين محمد الرملي عن والده الشيخ احمد بن الرملي عن شيخ الاسلام زكريا الانصاري وعن والدي قدس الله
روحه عن الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي وهكذا كابرا عن كابر الى المصنف رحمه الله وهو عياض بن
موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي الغرناطي المالكي قاضي سبتة بالمغرب صاحب
التصانيف الجليلة كشرح مسلم وغيره كالمشارق وله مدة طويلة ثم نقل الى غرناطة في سنة احدى وثلاثين
وخمسمائة ولم يطل امده بها ثم ولي قضاء سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة في شهر شعبان سنة ست وسبعين
واربعمائة فهو سبتي الدار والميلاد اندلسي الاصل فان اصوله نشاوا قديما بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة
فاس وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل بعضهم الى سبتة بعد سكنى فاس وله تبحر في العلوم النقلية والعقلية
واما ادبه وبلاغة شعره فحدث عن البحر ولا حرج وفاته يوم الجمعة بمراكش في جمادى الاخرة سنة اربع
واربعين وخمسمائة وما قيل من انه قتل لا اصل له وفيه يقول علي بن هارون ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم
والظلم بين العالمين قديم   جعلوا مكان الذاعينا في اسمه   كي يكتموه وشانه معلوم لولاه ما فاحت
اباطح سبتة   والروض حول فنائها معدوم   وفي طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية انه كان اماما
في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تآليفه نحو ثلاثين تأليفا جليله وانشد له
من شعره الله يعلم اني منذ لم اركم   كطائر خانه ريش الجناحين   ولو قدرت ركبت الريح نحوكم وان بكن
بعدكم عني جناحين   وقوله انظر الى الزرع وخاماته يحكي وقد ماست امام الرياح   انظر الى الزرع وخاماته
شقايق النعمان فيها جراح قال واليحصبي بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وتثليث الصاد المهملة نسبة
الى يحصب بن مالك ابو قبيلة باليمن والغرناطي نسبة الى غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة
ونون والف بورها طاء مهملة وهاء ويقال اغرناطة بالف قبل الغين ايضا انتهى وياتي لذلك مزيد بيان
وسبتة مدينة مشهورة وقرات في ديوان ابن المقري اليمني الشافعي رحمه الله ان كتاب الشفا مما شاهد وابرك
حتى لا يقع ضرر بمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها وانه اذا قراه مريض او قرئ عليه شفاه الله منه
وقال في ذلك ما بالكتاب هواي لكن الهوى   امسى عن مسمى به مكنوبا   كالدار يهدي العاشقون بذكرها

شغفا بها لسموها المحبوبا ارجو الشفا تفاؤلا باسم الشفا فعسى الشفا وادراك المطلوبا وبقدر حسن
الظن ينتفع الفتى لا سيما ظن نصيح نجيبا ويأتي لذلك مزيد بيان فانا ممن جرب بركته وشاهدها ولله الحمد
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا واعلم ان في الشفاء بعض احاديث ضعيفة وقيل انه موضوع تبع فيه ابن سبع
في شفائه وقد نبه على ذلك كله الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه اهل الصفا في تخريج احاديث الشفا
ولم ينصف الذهبي في قوله انه محشو بالاحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالة على قلة نقده
مما لا يحتاج قدر النبوة له ثم قال فليتك بدلا لائل النبوة للبيهقي رحمه الله فانه كله هدى ونور وقال الذهبي
ايضا انه فلديما ذكره ابن سبع وكفى المرء نبلا ان تعد معايبه وهو تحامل منه لا ينبغي وستري ان شاء الله
ما ذكره في محله فانا لم نترك شيئا يحتاج اليه قارئ هذا الكتاب ان شاء الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
ابتداء بالبسملة مردفة بالحمدلة عملا بالحديث المشهور وهو كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله
فهو اقطع وفي رواية ببسم الله الرحمن الرحيم وفي اخرى بذكر الله والاشكال في تعارض هذه الروايات
مشهور كذا التوفيق بينها بحمل الابتداء على العرفي الممتد ومجرد التقديم على المقصود وهما متقاربان وكذا
ما قيل من ان رواية البسملة يرد عليها الاذان والخطبة ونحوهما من بعض الامور المهمة مما لم يبدأ بها فيه
واجيب بان المراد في الروايات كلها الابتداء باحدهما او بما يقوم مقامه بدليل الاكتفاء تارة بالبسملة
وتارة بالحمدلة وتارة بغيرهما فاندفع الاشكال والاشكال لتدافع ايضا او يحمل المقيد على المطلق وهو
ذكر الله والكلام على هذا اشهر من قفا نبك فلا فائدة في الاعادة وههنا اشكال ابداه شيخ مشايخنا
السيد عيسى الصفوي رحمه الله وتلقاه من بعده بالقبول من عامة من رايناه وهو ان جملة البسملة
لا تخلو من ان تكون خبرية او انشائية ويتجه على الاول من شان الخبر الصادق ان يتحقق مدلوله بدونه
في نفس الامر ويكون الخبر حكاية عنه كما اتفقوا عليه وما نحن فيه ليس كذلك لان مصاحبة الاسم
والاستعانة به من تمثله وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ المخبر الا ان يجوز مثل ذلك في نحو قولك اتكلم
او اقوم متكلما مخبرا بتكلم حصل بهذا اللفظ وفيه توقف وعلى الثاني ان من شان الانشاء ان يتحقق
مدلوله به واصل جملة البسملة ليس كذلك غالبا اذ الاكل والسفر ونحوهما مما ليس بقول لا يحصل بالبسملة
فان كانت لانشاء المصاحبة او الاستعانة يلزم ان تكون الجملة لانشاء متعلقها والاصل اي ويكون الاصل
غير مقصود بوجه ولو قيل ان المعنى ابتدا وافتتح اي اجعله بداية الفعل والجملة لانشاء الجعل وانه بداية
كل شيء كما نقل عن الامام لا يلزم ما مر الا انه خلاف المشهور ولا يتم ايضا على تقدير الخبرية لان المصاحبة
والاستعانة من تمثله الخبر وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ وهو شان الانشاء على انه لا يجري حقيقة
الا في نحو التاليف مما يمكن ان يكون بداية له حقيقة واجراؤه فيما سواه يحتاج للمسامحة في جعله بداية له
اقول الظاهر ان هذه الجملة انشائية لانشاء التبرك الموقوف على التلفظ بالبسملة وما توهمه هذا
القائل على تقدير الانشائية من الخيالات الواهية والاوهام الفارغة وقوله انها حينئذ لانشاء المتعلق
ومثله في غاية الندور وعدم صحته في غاية الظهور الا ترى ان ادوات الاستفهام باسرها تدخل على الجمل
المحقق مضمونها خارجا فتصير بجملتها انشاء كما يقول من راى شخصا قائما لم يحط بتشخصه واحواله خبرا
من قام او على اي حال قام وهكذا مما لم يحط به نطاق الحصر ولم يحم حوله الندور ولا يقال انه مع تحقق

القيام في الخارج انه لانشاء المتعلق وكم من غلط وقع منك ورب صواب صدر من غيرك كما صرح به ح
الرضي واما كونه لانشاء الجعل فتعسف من غير داع لارتكاب مثله وانا اعجب من هذا الفاضل كيف نعم
وروده ما قال ومن ارتضاه بعده من فحول الرجال وعين الرضى عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط
تبدي المساويا وفي نسخ قال القاضي الفقيه الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بكسر العين
المهملة وفتح اليا المثناة وبعدها الف وضاد معجمة اليحصبي رضي الله عنه قال في القاموس يحصب مثلثة
الصاد حي والنسبة مثلثة ايضا لا بالفتح فقط كما زعم الجوهري وكيضرب قلعة بالاندلس انتهى وفي لب
الالباب لابن الاثير اليحصبي بفتح اليا وسكون الحا المهملة وكسر الصاد المهملة وقيل بضمها وكسر الباء
وهذه النسبة الى يحصب وهي قبيلة من حمير سميت باسم ابيها يحصب بن مالك قلت هكذا ضبطه
ابو سعيد بالصاد المكسورة والصحيح فتحها لان يحصب بالكسر فتفتح في النسب كنمري وتغلبي انتهى
قلت بهذا عرفنا ان رد صاحب القاموس على الجوهري مردود لا لانه قول بل لانه القياس المطرد في امثاله
وما خالفه شاذ لا يعول عليه وهذه الاوصاف ليست من كلام المصنف رحمه الله تعالى وانما كتبها من بعده
توقيرا له ولقب بابي الفضل كما قيل ابا الفضل من اجرى الى الفضل يافعا فصار به يدعى وصار به يكنى
الحمد لله الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقة او حكما على وجه التعظيم ظاهرا
او باطنا بان لا يصدر ما يخالفه ولا يلزم اعتقاد اتصاف المحمود بالجميل المذكور عند متأخري المحققين
وفي هذا المقام كلام طويل الذيل ليس هنا محله والله اسم للمعبود بحق المستوجب جميع المحامد وفي علميته
وفي اصله ما يغنيك عن ذكره شهرته والمراد من جنس الحمد او جميع افراده مختصة به تعالى فان قلنا الاختصاص
الذي يدل عليه اللام بمعنى الاختصار وضعا او بمعونة المقام يحمل الاختصاص الذي ذكر على الفرد الكامل
اما على المبالغة تنزيلا لغيره منزلة العدم او منزلة حمده تعالى لانه مبدء كل جميل وعلى الحقيقة
لان المحمود عليه بحسب صدوره بالاختيار بالذات ولا اختيار لغيره بالذات عند البعض وهذا بناء
على حمل الاختيار على الحقيقي الذاتي والاول بناء على حمله على العرفي الظاهري ولكل وجهة ولو اريد بالاختصاص
هنا العلاقة والمناسبة الكاملة فلا تكلف على ما فصله شراح المطول والعضد وفي شرح السيد ان جملة
الحمد لانشاء الحمد لانها من صيغ الحمد شرعا ولا دلالتها على الاتصاف بجميل ولو عرفا فيصدق تعريف الحمد عليها
وفيه نظر وههنا بحث ابداه ابن الهمام رحمه الله في شرح البديع فقال الجملة للحمد صيغة انشاء معنى كصيغ
العقود وبالغ بعضهم فانكار كونها انشاء لما يلزم عليه من انتفاء الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد ضرورة
لان الانشاء يقارن معناه لفظه في الوجود ويبطل من قطعيتين احداهما ان الحامد ثابت قطعا بل الحامدون
والاخرى انه لا يصاغ لغة للمخبر عن غيره من متعلق اخباره اسم قطعا فلا يقال للقائل زيد شبه له القيام
قائم فلو كان الحمد اخبارا محضا لم يقل للقائل الحمد لله حامد ولا ينفي الحامدون وهما باطلان فبطل ملزومهما
واللازم من المقارنة انتفاء وصف الواصف لمن لا الاتصاف وهذا لان الحمد اظهار صفات الكمال
الثابتة لا ثبوتها نعم نراي لزوم كون كل مخبر منشئا حيث كان واصفا للواقع ومظهرا له وهو توهم فان الحامد
مأخوذ فيه مع ذكر الواقع كونه على وجه ابتداء التعظيم وهو ليس جزء ماهية الخبر فاختلف الحقيقتان
وظهر ان الغفلة عن اعتبار هذا القيد جزء ماهية الحمد وهو منشأ الغلط وبالغفلة عنه ظن انه

اخبار لوجود خارج يطابقه وهو الاتصاف ولا خارج للانشا وانت تعلم ان هذا الخارج جزء المفهوم وهو
الوصف بالجميل وتمامه وهو المركب منه ومن كونه على وجه ابتدا التعظيم لا خارج له انتهى قوله
هذا اصنف مامر في البسملة وهو تعسف لا وجه له فان هذه الجملة يصح فيها الخبرية والانشائية
من غير ارتكاب لمثل هذه الاوهام فان انكار الانشا لانه يلزمه الاتصاف بالجميل وايجاد الانشا انما
انشا الوصف لا الاتصاف وشتان ما بينهما وقد كفانا بيانه مؤنته واما ابطاله الخبرية بقولهم
حامد وجماد فمغالطة عجيب لانه ليس نظير من قال زيد قائم بل نظير من قال زيد متكلم فانه مخبر ويصح
ان يوصف بانه متكلم ايضا لا اتصاف المخبر بما اخبر به عن غيره ومشاركته له في ذلك كما ان المخبر عن
الحمد والاتصاف بالجميل واستحقاقه للتعظيم مع اعتقاده لذلك ظاهر معظم فهو حامد وواصف له
وهو ظاهر لمن نور الله بصيرته وقوله ان الحامد الى اه ممنوع فانه انما يوجد فيه ذلك اذا لم يتمحض
للاخبار فحينئذ يكون التعظيم وابداؤه لازم له لا جزؤه وقد بسطنا هذا في العناية فحسبك من القلادة
ما احاط بالعنق المنفرد قال الراغب الفرد الذي لا يختلط بغيره وهو اعم من الوتر واخص من الواحد
وجمعه فرادى قال تعالى لا تذرني فردا اي وحيدا ويقال في الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشيا كلها في الازدواج
المنبه عليها بقوله تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين وقيل معناه المستغني عما عداه فهو كقوله تعالى ان الله
لغني عن العالمين فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب وازدواج تنبيها على
انه مخالف للموجودات كلها ومنفرد في كلام المصنف رحمه الله ضبط بالنون والتا الفوقية من باب
الانفعال والتفعل ومعناه ما مر وفسر ايضا بعدم مشاركة غيره له في ذاته وصفاته وكل ما يختص به
من نعوت جلاله والمراد هنا تفرد مخصوص بمتعلقه الاتي واطلاقه على الله تعالى ما بثوثه كما يشعر به
كلامهم ولا اكتفا بورود ما يشاركه في مادته ومعناه او بنا على جواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا
او على سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالي رحمه الله والانفعال المطاوعة والمراد انه
بدونه صنع فتفرده بذاته لذاته وكذا التفعل للصيرورة بدون صنع ايضا كتحجر الطين اي صار حجرا صلبا
من غير مدخل للغير كتكون وتولد وكذا توحد الا انه قيل فيه انه في الاصل للتكلف فاريد به غايته وهي الكمال
والمبالغة لان المتكلف يبالغ فيما تكلفه ويتانق فيه كما قيل في المتكبر باسمه الاسمي الباء صلة المنفرد
والاسم اما من السمة بمعنى العلامة او من السمو كالعلو لفظا ومعنى قيل وفي قوله الاسمى ايما الى الثاني
والبا اما للتعدية لانه يقال تفرد وانفرد بكذا اذا استقل به او للملابسة والارجح الاول ويرجح
الثاني بافادته التفرد المطلق وتضمنه الرد على من يقول بمشاركة ذاته لساير الذوات في الماهية
وتميزها بالصفات العلية والاسمى افعل تفضيل بمعنى الاعلى من السمو وهو العلو والاضافة تاتي
لما ياتي له اللام فان كانت للعهد بان يراد به لفظ الله لاشتهار انه اسم الذات وما سواه اسما صفات
فالمفضل عليه ما سواه من اسمائه الكريمة وفيه اشارة الى انه الاسم الاعظم كما ذهب اليه كثير
وفيه اقوال اخر مشهورة او للجنس فالمراد به اسماؤه المختصة به كالرحمن والرزاق او مطلق اسمائه
لاختصاصها به في الحقيقة وان اطلق بعضها على غيره كالملك فانه بمعنى اخر وفي البدايع لابن القيم
اسماؤه تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره كحي وسميع هل هي حقيقة فيه تعالى مجاز في غيره او مجاز

وفيه

فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما اقوال اظهرها الاخير فتدبر وعلى الثاني المراد ان كل اسم من اسمائه
اشرف مما سواه وشرف الاسم بشرف مسماه فان قلت قال ابو حنيفة رحمه الله في الفقه الاكبر اسما الله
تعالى وصفاته مستوية في الفضل لا تفاوت بينها وهو مناف لما ذكر قلت مراده روح الله روحه انها
من حيث اضافتها الى المسمى والموصوف لان مسمى جميع الاسماء والموصوف بجميع الصفات واحد وهو
الله تعالى وهذا لا ينافي التفاوت في حقايقها من حيث ان بعضها محيطة ببعض لتقدمه رتبة وجب
الظهور كالالوهية التي تشمل حيطتها اكثر الصفات والعلم وقد صرحوا ايضا بتفاوت الصفات
في نفس معانيها وحقايقها كالعلم بالنسبة للقدرة والقدرة بالنسبة للارادة فعدم التفاوت بين
الاسماء ليس الا لاستوائها بحسب الاضافة الى الذات كما فصله الشيخ بها الدين في شرح الفقه الاكبر
وفيه ايضا ان ايات القران متساوية في الفضل قال الشارح تساويها من جهة القرانية واضافتها
الى الله تعالى وان كان لبعضها فضيلة الذكر والمذكور كاية الكرسي وايات القصص وعليه يترتب
ما روي في فضائل السور المختص اختص يكون لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا فاختص فيجوز
في المختص ان يكون اسم فاعل ومفعول على التقديرين فيه قبل الادغام والاظهر انه اسم فاعل من اللازم بمعنى
منفرد ومستقل وفي الصحاح خصه بالشيء خصوصا وخصوصية والفتح افصح وخصيصى واختصه
بكذا خصه به وفي شرح السيد القياس ان تدخل البا التي هي صلة الاختصاص على ما لا يوجد الشيء في غيره
فتقول المختص به الملك كما يقال اختص السوار بزيد وكثيرا ما تدخل على ما لا يوجد في الغير كما فعله المصنف
رحمه الله وهو فصيح ايضا والمعنى على التقديرين واحد اي هذا الملك لا يكون لغيره والثاني كثر استعماله
والاختصاص حينئذ مجاز عن التمييز اي تميز عن غيره بالملك وهذا ملخص ما قاله القوم كما في شرح الكشاف
وحواشي المطول وهو مع اشتهاره وتلقيه بالقبول عند من يرى التقليد شريعة منسوخة غير مقبول وفي شرح
المفتاح للسعد ادخال البا في المقصور عليه هو الاستعمال العرفي العامي وادخالها في المقصور هو الاستعمال
الشايع العربي وقال قدس سره الاصل في لفظ التخصيص والاختصاص والخصوص ان يستعمل بادخال البا
في المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد اي صار مقصورا عليه الا ان الاكثر في الاستعمال ادخالها على المقصور
بناء على تضمين ذلك معنى التمييز والافراد وقيل انه مجاز صار بمنزلة الحقيقة لشيوعه هذا زبدة ما محضته
الافكار وانا اقول هذا كلام غير محرر لان الظاهر انه يستند حقيقة لكل منهما وقد يترجح احدهما بحسب المقام
فان الفاعل الحقيقي من قام به الفعل لا من اوجده كما حقق في الاصول فاذا استند الى احدهما حقيقة تعين
دخول البا على المقصور عليه وفي الثاني بالعكس فالظاهر ان كلا منهما فصيح صحيح لغة حقيقة فيهما وليس
المعنى فيهما واحدا كما تقرر وزعمه مع هذا انه مجاز خبط وفي كلام اللغويين ما يصرح بما قلناه ثم ان قوله تعالى
يختص برحمته من يشاء يختص فيه متعد واسناده الى الله وادخال البا على الرحمة اشارة الى انه بمحض كرمه
ولطفه ولو اسنده لمن او للرحمة اوهم خلافه فتامله فانه دقيق جدا بالملك الظاهر انه هنا بضم الميم
وان جوز فيه الكسر والفتح وهو ابعدها وهو الاختصاص بقدرة التصرف في الامور المملوكة بتنفيذ
الاوامر والنواهي وفسر بالاحتواء على الاشياء قادرا على الاستبداد بها وقد يراد به الاشياء المحتوى
عليها والعظمة والفرق بين المضموم والمكسور له تحقيق بديع في كشف الكشاف وبينهما عموم وخصوص

فان الاول السلطنة والثاني ملك الاعيان وقد يجتمعان ويأتي ان الملكوت فسر بالملك والسلطنة
وتاؤه للمبالغة كرحموت وجبروت وقد فرق بينهما بان الملك عالم الشهادة والاجسام والملكوت
عالم الغيب والارواح وهو فرق لغوي وقيل اصطلاحي لاهل الحكمة والتصوف والباء داخلة على المقصود
وقد سمعته انفا الاعز افعل تفضيل من العز والمنعة قال الراغب العز حالة مانعة للانسان عن ان يغلب
او يقهر ويغلب من قولهم ارض عزاز اي صلبة كانه في عزاز اي محل يصعب الوصول اليه كالجبل الشامخ
وهذا مما قاله اهل اللغة قاطبة ومن لم يقف عليه قال في شرحه معنى كونه اعز ان حوله عليه اغلب
من كل حول ولا ينبغي ان يفسر الاعز هنا بالاشد لانه لا معنى لوصف الملك بالشدة والصلابة الاحمى
افعل تفضيل من حميته حماية فهو محمي وحمي اذا صنته والمحمي مصون واصله ارض يمنع من قطع نباته
ورعيه وكانوا يفعلون في الجاهلية كما ريبون فلما جا الاسلام نهى عنه صلى الله عليه وسلم
فقال لا حمى الا لله ورسوله فلذا منع شرعا الا باذن الامام لمصلحة واحمى اسم تفضيل على خلاف
القياس ان كان بمعنى المفعول كاشغل من ذوات النحيين اي ذات زقي السمن وهي امراة من تيم الله بن
ثعلبة كانت تبيع السمن في الجاهلية فاتاها خوات بن جبير الانصاري قبل اسلامه فساومها فحلت له
نحيا مملوا فقال امسكيه حتى انظر الاخر فحل الاخر وقال امسكيه فلما شغلها بشغل يديها غشيها ولم تقدر
على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحها بضياع السمن فلما قام عنها قالت له لا هناك الله فهي في هذا
المثل مفعوله لانها شغلت النحيين او على القياس بمعنى الفاعل بجعله كانه يحمي نفسه لعظمته ان يصل اليه
احد فحمايته اعظم من حماية كل حام لملكه كجوهرة نفيسة وجدها فقير لا يسعه ان يدعي انها ملكه لعظمة
قدرها عنده كانها حمت نفسها عن تملك مثله لها كما قيل في مقدمة الكتاب اذا كانت من قدم المنعدي كانها
قدمت نفسها وهو المناسب لقوله الاعز فاسناده مجازي والمعنى على الاول ان ملك غيره اذا كان محميا فملكه
تعالى محمي بحماية اقوى من كل حماية لانه ملك لا يصير لغيره الا الى الله تصير الامور ولا حاجة لتجريده
عن معنى التفضيل على انه وما قبله بمعنى العزيز المحمي كقوله بيت دعايمه اعز واطول على راي وان قيل
بانه نفيس لان المسموع خلافه كقوله اكر واحمى للحقيقة منهم واضرب منا بالسيوف القوانسا
وما قيل من انه على القياس من غير حاجة لما مر لان ملك الله احتوائه على العوالم اكثر منعا لغيره من التوصل
اليه واشد منعا لغيره من التوصل اليه بما يضره فهو اشد منعا من ساير املاك المالكين لا يحصل له ولا وجه له
لانه ان اراد الادعا فهو بعينه ما قدمناه وتوهم انه غيره من قلة التدبر وان ادعى غير ذلك فلا معنى له
الذي صفة لله او للملك يعني مالك الملك لا شيء قبله ولا بعده ليس دونه دونها معان قال الصاغاني
يكون بمعنى عند ونقيض فوق وبمعنى امام وورا فهي من الاضداد وتكون بمعنى غير وبمعنى خسيس وشريف
والاول مشهود عليه قوله اذا ما علا المرء رام العلا ويقنع بالدون من كان دونا ولا فعل له وقيل يقاد
دان يدون دونا وهي هنا بمعنى فوق وامام ويجوز ان يكون بمعنى ورا او غير منتهى اسم مكان او مصدر ميمي
من انتهى اذا بلغ النهاية ويكون انتهى بمعنى انزجر وانكف كما في قوله لا تنتهي الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها
زاجر وكم من اسم مفعول مع لزومه ولا صلة معه كمكلف بخير داع ولا وراه ورا نقيض قدام ويكون بمعناه
ايضا فهو من الاضداد وهو ما وارى سواوارى عنك غيرك او واراك عن غيرك فهو مشترك بينهما

اشتراكا

5 اشتراكا معنويا وليس من الاضداد ويكون بمعنى بعد وبمعنى غير مرمى بميمين مفتوحتين بينهما راء مهملة
ساكنة وهو مقصور مفعل من الرمي وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه واطلاقه في حق الله تعالى في الحديث
فروى المصنف رحمه الله في مشارقه وابن الاثير في نهايته ليس وراء الله مرمى وتكلمت به العرب العرباء وبما هو
بمعناه قديما كقول النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب قال في النهاية اي
ليس بعد الله لطالب مطلب لان العقول وقفت ثمة فليس وراء الله ولا وراء معرفته والايمان به غاية
تقصد انتهى كما قيل على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منه نصيب ولا سهم وفي المشارق ليس
وراء الله مرمى اي مطلب لطالب والمرمى الغرض الذي يرمى اليه واليه ينتهي سهم الرامي وبه يحوز السبق كما
الى الله انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته ولا ايمان به ملتمس ولا غاية يرمى اليها انتهى فالذي
ان كان صفة للملك فالمراد انه ليس قبل ملكه شيء ينتهي اليه ويتصل اخره باوله وليس بعده شيء تتصوره العقول
وان كان صفة لله فالمراد انه الدايم الواجب الوجود وما عداه فهو حادث وجده وابدعه فهو بمعنى
الاول الاخر فينفصل بما بعده اتصالا ظاهرا وعلى الاول يكون كالاحتراس المتمم لما قبله لانه لما ذكر
اختصاصه بالملك الاعز قد يتوهم مشاركة غيره او اختصاصه بملك غيره اعز فقال ليس قبل ملكه
شيء ولا بعده شيء فهو مالك كل ملك وخالقه فلا يخرج شيء عن حوزة ملكه وعلى كل حال فالمرمى
محل الرمي والهدف اريد به الغرض الاقصى الذي ترمى له الامال وتتوجه نحوه وجوه التضرع والابتهال
فهو استعارة تمثيلية استعيرت من حال الرامي في توجهه لاصابة الرمي لحال العارف الذي معرفة الله
اقصى مطالبه ومطمح خواطره كما قيل يا مطلبا ليس لي في غيره ارب اليك انقضى وانتهى الطلب ولك
ان تقول ان كلام المصنف رحمه الله في فاتحة خطابه كقول رب العزة في فاتحة كتابه فان قوله الحمد لله
المختص الى اه اشارة الى المبداء الفياض وان الكل منه وله كالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
وقوله وليس دونه منتهى الى اخره اشارة الى المعاد كقوله مالك يوم الدين ولما كان ذكره بصفاته وانعامه
في الدارين المقتضي للتوجه اليه بكل وجه حتى يصير كالمشاهد المحسوس الذي يوجه اليه الخطاب
كقوله اياك نعبد الى اخره واتى هنا بما هو بمنزلته وهو قوله الظاهر هذا هو المناسب للمقام وبما ذكرناه
من انه على سبيل التمثيل لا يرد عليه ان وراء وراء ودون وما معه امور تقتضي التحيز والجهة ومثله
لا يجوز استعماله في حقه تعالى لان الاستعارة التمثيلية لا تجوز في شيء من مفرداتها واجزائها وما قيل
من ان معناه ليس تحته محل انتهاء ولا بعده ومرمى ومنتهى بمعنى مجاز مرسل كحرس لانه مقصد الرمي ايد به
مطلق القصد صحيح لكن ما ذكرناه انسب بالمقام واوفى باداء المرام وما قيل عليه من انه خطا لانه
لا بد فيه من كونه فردا من افراد المطلق والهدف قد لا يكون مقصودا مع ان ابن الاثير رحمه الله جعل
العلاقة فيه المشابهة كلام لا وجه له ولا طائل تحته لان الهدف دائما يقصد المرمى والقصد
بالفعل ليس بلازم وما قاله ابن الاثير رحمه الله مخالف للجمهور ولا يلزمنا اتباعه وقيل المعنى انه ليس
في جهة ولا حيز فنفي الشيء ينفي لازمه والظاهر من اسمائه تعالى وهو في الاصل اسم فاعل من ظهر اذا بدا ولم
يخف ويقابله الباطن ثم عم كل محقق معلوم بالبصر او البصيرة وهو المراد هنا لمقابلته بالباطن
ويصح ان يفسر بالغالب من ظهر عليه اذا غلبه وقد صح وسمع كما ورد انت الظاهر فليس فوقك شيء

عرضي

عرضي

عرضي

وفي شرح المواقف الظاهر المعلوم بالادلة القاطعة فهو صفة اضافية وقيل الغالب فهو صفة فعلية
من ظهر عليه اذا قهره والباطن المحتجب عن الحواس بحيث لايدرك اصلا فهو صفة سلبية وقيل العالم
بالخفيات انتهى وقال الراغب الظاهر الباطن من صفات الله ولايقال الا مزدوجا كالاول والاخر
فالظاهر قيل انه اشارة الى معرفته البديهية فان الفطرة تقتضي في كل نظرانه موجود ولذا قال بعض الحكما
طلب معرفته كطلب المرء في الافاق ماهو معه والباطن باعتبار معرفة حقيقته وذاته ولذا قال الصديق
غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل هو ظاهر بايانه باطن بذاته وقال المرتضى تجلى لعباده من غيران
رواه فاراهم نفسه من غيران يتجلى لهم انتهى اقول قد عرفت مما ذكرناه ان الظاهر اذا اطلق على الله معان
هو باعتبار بعضها مقابل الباطن ولا يستعمل حينئذ الا مزدوجا وباعتبار الاخر يطلق عليه مفردا كما
قاله الراغب رحمه الله ليس على اطلاقه وفيه كلام حققناه في شرح اسماء الله الحسنى لاتخيلا ولا وهما عيسى
يعني ان ظهوره تعالى متحقق مكشوف للعقول ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الادلة القاطعة
والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته لابحسب التخيل والوهم وقيل لابحسب الظن والسهو
وقيل لابحسب الطرف الراجح والمرجوح اولابحسب ادراك القوة المتخيلة او الواهمة فان من شانهما ادراك
ما لا تحقق له فغلب المتخيل والموهوم على كل ما لا تحقق له فنفى ان يكون ظهوره كذلك انتهى وهذا الاخير
هو الاصوب وذكر السهو لا وجه له وان وقع ذلك في كلام اهل اللغة لان الاستعمال على خلافه
وقال الراغب التخيل تصور خيال الشيء في النفس والتخيل تصوره وخلت بمعنى ظننت يقال باعتبار
تصور خيال الشيء المظنون في النفس وفي حواشي شرح المطالع الفكر حركة النفس في المعقولات والتخيل
حركتها في المحسوسات والوهم خطرات القلب ومرجوح طرفي التردد والغلط وفي المقتبس بسكون الها
وفي الصحاح وهمت في الحساب اوهم وهما بسكون الها اذا غلطت فيه وسهوت ووهمت في الشيء
بالفتح اهم وهما بسكون الها اذا ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره وقال ابن القطاع وهمت الى الشيء
ووهم واوهم بمعنى وبصنهما على الحال او التمييز او بنزع الخافض فالمعنى ما مر وقيل المراد ان معرفته
بحسب اليقين لا بادراك القوة المتخيلة او الواهمة التي تدرك ما لا تحقق له والفرق بينهما ان المتخيلة
هي القوة المتصرفة في الصور والمعاني بالتركيب والتفصيل كتصور شخص براسين واختراع ما لاحقيقة
له كالغول والواهمة القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات كادراك الشاة عداوة
الذيب ورد بان هذا مبني على فلسفة لايرتضيها اعلام اهل السنة الا ان يقال انه ابطال ونفي له ولا ضير
في مثله وليس في وصف الله بانه ظاهر ما يدل على ان ذات الله معلومة للبشر بالكنه وان اختلف في وقوع
ذلك وامكانه على ما فصل في الاصول فلا حاجة للتعرض له هنا على ان في قرانه بقوله الباطن ما يدل
على خلافه لانه بمعنى الذي لا يدرك بالابصار ادراك احاطة لقوله لا تدركه الابصار كما حقق
في محله وقد وقع في اكثر النسخ بدون العاطف كما ذكرناه وهو الصحيح رواية لان الصفات كلها وقعت
متصلة بدون عطف لما بين المتعدد من كمال الاتصال ولما بين الظاهر والباطن من التقابل فلو عطف
هنا توهم انهما لا يجتمعان كما في قوله عز وجل مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات
ثيبات وابكارا فان عطف الصفتين الاخيرتين فيه لعدم اجتماعهما وهنا ليس كذلك لان المراد

الله

انه في حالة واحدة ظاهر بكثرة الادلة وقوتها وبنعوت ذاته وافعاله التي لايخفى باطن خفي
6 عن ادراك كنه ذاته وحقيقة صفاته وحجب انوار اللاهوتية في عالم الغيب والشهادة عن شاهده وهذا مما
اهمله اهل المعاني في مباحث الفصل والوصل بل في كلام بعضهم ما يدل على خلافه وقد تعرض له بعض
المتاخرين واشار اليه العلامة الزمخشري في مواضع من كشافه كاول سورة غافر وقال السيد عيسى
الصفات الجارية على واحد قد تذكر بالعطف للمناسبة والتصريح بالاجتماع وقد يترك عطفها اشعارا
باستقلال كل منها وقد يذكر في موضع ويترك في بعض تفننا فانه يوجب توجه الذهن وزيادة مناسبة
سيد عيسى وفي رعاية الانسب ابلغ والابلغ انسب ولما كان الظهور والبطون متقابلين كان التصريح بالاجتماع انسب
انتهى وهذا بنا على ما في النسخة الاخرى من ذكر العاطف ولا يخفى ما في توجيهه من القصور لاحتماله
العطف لعدم الاجتماع كما مر في ثيبات وابكارا وكانه اغتر بما وقع لهم في قوله تعالى حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول والذي ذكره
الزمخشري في نزعة اعتزاليه كما بنه عليه شراحه وليس هذا محل تفصيله وقد علمت مما قلناه معنى
الظاهر والباطن وقال السهيلي معناه العالم بما ظهر وبما بطن تقدسا لا عدما اعرابه كاعراب ما قبله
والتقدس تفعل من القدس وهو الطهارة والتنزه اي ان بطونه وخفاه لتنزهه وعلوه من ان تحيط به
البصائر والابصار لا لكونه معدوما او غائبا ولا من جهة عدمه او عدم كماله بل لقصور غيره وتنزهه
عن يحيط بكنهه ان اريد بالباطن الخفي عن البصرة في الدنيا فالتقدس التنزه عن مشابهة الحوادث عن قبول
ابن الحنبلي الرؤية فيها والعدم بضم فسكون من عدمه اعدمه كعلمه اعلمه عدما وعدما بفتحتين بمعنى فقدته
والاختيار الاول هنا للسجع وما قيل من ان معنى العدم هنا الفقر كما في الصحاح اي ليس خفاؤه لافتقاره كما يخفي
بعض الفقراء المفقر فهذيان محض ولبعض الشراح هنا كلام لا معنى له تركناه لانه غني عن التفند والتزييف
وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً العلم مطلقا معلوم وفي صفات الله تحقيقه في الكلام والرحمة ميل الطبع
ورقته وهو مما لا يوصف الله تعالى به فيفسر باعتبار غايته ولازمه فيراد به الانعام او ارادته وذهب
الباقلاني الى انه تجوز به في معاملته معهم معاملة الراحم عن رحمه وذهب الاشعري الى انه يجوز به عن ارادة
ذلك فعلى راي القاضي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وعلى راي الشيخ لا يجوز وفي القران
مواضع تناسب كلا من الرايين فقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما يناسب بحسب الظاهر الارادة
لاقترانها بالعلم الذي هو صفة ذاتية وقوله هذا رحمة من ربي اشارة الى ان السد يناسبه الاحسان
كذا في شرح الاربعين الرازية للقرافي ولبسط الكلام فيه مقام اخر ياتي في اوائل الباب الاول ووجه
ارتباط هذا بما قبله انه لما كان مطمح نظره في هذا الكتاب بيان شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم
فله النعمة العظمى على جميع المخلوقات بدا بحمد الله تعالى ونعته بما يدل على عظمته في ذاته وان الملك له
لا تصرف فيه لاحد سواه ثم ثنى ببيان حال خلقه في ملكه وما يعاملهم به على وجه ينساق الى المراد فقال
وسع الخ ولو قال الذي وسع كان اولى والنعمة ضد الضيق استعيرت للشمول والشيء الموجود مطلقا
او اعم منه على الخلاف المشهور فيه وهو هنا ما سوى الله وان صح اطلاقه عليه كما في قوله تعالى قل اي شيء
اكبر شهادة قل الله لان شمول الرحمة للذات لا يصح وان شمله العلم وشموله لما سواه ظاهر لان كل شيء منعم

عليه حتى المغذب بترك الاشد والمعد وم ورحمة وعلما منصوبا على التميز والجملة مستأنفة وتعلق
العلم بكل شيء كليا وجزئيا مبرهن عليه في الاصول وفي شرح السيد هنا نقلا عن التفسير الكبير انا لا نعلم كنه
صفات الله كما لا نعلم كنه ذاته وانما المعلوم لنا انا لا نعلمها الا بلوازمها واثارها وذاته لم تتكمل بها لان
الذات كالمبدا لها فيلزم استكمال الذات بالممكن بالذات بل كمال الصفات يستلزم الصفات وفي
عوارف المعارف اجمع الصوفية على ان له تعالى صفات ثابتة لا بمعنى انه محتاج اليها ويفعل بها بل بمعنى
نفي الضد وثبوتها قائمة به وهذه مسئلة نفيسة سكت عنها الاصوليون وربما اوهم كلامهم خلافها
وتوضيحها انه لا احتياج له تعالى الى الصفة الموجودة في تحقق اثرها بل لو لم تكن موجودة كان الاثر حاصلا الا
ان وجودها اكمل لاقتضا كمال الذات لها ويدفع قول الحكيم الكمال بالذات اعلا من الكمال بما سواه لاستلزامه
الاستكمال وظهر ان مذهب اهل السنة اعلا عقلا ونقلا الا ان فيه ايهام تعطيل الصفة ويدفعه ان مجرد
وجودها فائدة وان سلم فليكن سببا عاديا للاثار كسائر الاسباب عند الاشعري رحمه الله فلا استكمال
ولا تعطيل فتدبر واحفظه فانه عزيز انتهى قول قوله لا استكمال الذات بالممكن بالذات اشارة الى ما قاله
في تعليقه له ان الخلق هو الايجاد بعد العدم مطلقا ولذا لا يقال لصفات الله تعالى مخلوقة لانها لم تسبق
بالعدم وان كان التحقيق انها ممكنة بالذات اي محتاجة الى الغير لان كل محتاج ممكن فليست واجبة
بالذات بذاتها والا لزم تعدد الواجب لذاته وذلك لا يجوز والصفات ليس شيء منها مسبوقا بالعدم
بل موجودة ازلا وابدا وان جاز ان يقال في سايرها انها مخلوقة وان الذات خلقتها واوجدتها ونحن لكن بمعنى
انها محتاجة الى الذات لا انها اوجدتها بعد العدم لكنهم يتحاشون عن استعماله وان كان صحيحا ويرون
الغوص في مثله سؤالا وجوابا بدعة لعدم وروده في الشرع فلا يحذون في ترك التعرض له الا اذا الحاله
الضرورة ولذا قال في التفسير الكبير الذات المقدسة كالمبدا للصفات وقد استشكل ظاهره لانها اذا لم
تكن مبداء لم تكن الصفات ممكنة بل واجبة فيلزم تعدد الواجب وهو لا يجوز واجيب بان المتبادر
من المبداء انه موجد بعد العدم والصفات غير مسبوقة بعدمها بل لم تزل موجودة الا ان الذات
تقتضيها وتحتاج اليها وتتوقف عليها فالذات بالنسبة اليها كالمبداء لا مبداء لما مر انتهى واعلم ان بعض
علماء المغاربة قال ان الفلاسفة اجمعت على نفي الصفات لشبهة تقرب مما قاله المعتزلة فقالوا لو
وجدت الصفات لزم افتقارها للذات لاستحالة قيامها بنفسها وبعضها شرط لبقاء بعض كالحياة للعلم
فيلزم الافتقار والتاخر وهو مناف للوجوب واجيب بمنع الملازمة فان الافتقار للغير ان كان
في افادته الوجود كان حادثا ونحن لا ندعي هنا بل نقول جميع صفاته واجبة الوجود غنية عن مقتضي
الوجود فان عنيتم بالافتقار عدم الانفكاك فهو لا ينافي الوجوب ولما اعتقد الامام رحمه الله
صحة قول الفلاسفة ان الافتقار مطلقا يوجب الامكان وان وجود الصفات تقتضي التركيب
والمركب مفتقر لجزئه فلا يكون الا ممكنا واستشعر التنقص بصفاته تعالى فقال لتحيره الله في القول
بامكانها لذاتها ثم جزم به وفاه بكلمة والعياذ بالله تعالى لم يسبق اليها فقال هي ممكنة باعتبار
ذاتها واجبة بوجوب ذات الله والذات قابلة لصفاتها وفاعلة لها وهي زلة شنيعة اقول هنا من نفاير تخطيه للامام
الذخاير المستودعة خزائن القلوب وقد تكلم فيها قدما الحكما والمتكلمين كما نقله الامام في المسائل

الاربعين عن الرئيس وجزم بان علة الامكان الافتقار ونازعه فيه العلامة القرافي في حواشيه على ابن سينا
المسائل فقال الصفات يجب قيامها بالموصوف ويستحيل عليها القيام بنفسها وان عنيتم بالافتقار
هذا القدر فمسلم لكن العبارة ردية ولا يلزم منه الامكان اذ الافتقار على هذا التقدير في القيام
لا في الوجود ولا يلزم من الافتقار في القيام الافتقار في الوجود فان العرض مفتقر للجوهر في قيامه ومستغن
عنه في وجوده فانه من الله فلا يلزم من مطلق الافتقار الامكان فبطل قوله كل مفتقر ممكن بل المفتقر
يكون افتقاره باعتبار تركيبه وباعتبار قيامه ومنه افتقار الصفة لموصوفها وباعتبار وجوده
كافتقار الاثر للمؤثر وهذا هو المقتضي للامكان فالافتقار اعم والامكان اخص والاستدلال بالاعم
على الاخص غير مستقيم انتهى اقول تحرير محل النزاع مع بيان الحق فيه ان مطلق الاحتياج للغير
مستلزم للامكان او الاحتياج في الوجود فقط فالرئيس ومن حذا حذوه جزموا بالاول والقرافي
ومن نحا نحوه كالسنوسي منعوه وقالوا بالثاني وشنعوا على من خالفهم ولا يتم لهم هذا بسلامة الامر
فان كل ما احتاج لسواه حاجة تامة بحيث لا يوجد بدونه سواء كان علة او شرطا لوجوده كالجوهر
للعرض مثلا لا يمكن وجوده بدونه فيلزم امكان عدمه بالذات وان لم يكن حادثا وهذا الامحذور
فيه في صفات الله القائمة به وان كان الادب ترك التصريح به كغيره وهذا من محذرات الامور
التي لا تندرج لغير محرم فنقول الذات المقدسة غير مفتقرة للصفات التي ليست عينها بل الصفة
مفتقرة للذات لاستنادها له وعدم صحة استغنائها عنه بديهة واذا كانت الذات غير محتاجة
للصفات ولا مستكملة بها لا يلزم تعطيلها ايضا لان وجودها فائدة لكونها صفات كمال فليست
مؤثرة بالذات ولا واجبة بالذات بل بالاسناد للذات التي هي كالمبدا لها لانها قديمة ليست منفكة
لكن وجوبها ليس لذاتها بل لغيرها وهذا لا ينافي الامكان ولا يقتضي الحدوث الزماني وبقولنا كالمبدا
ظهر ان قول المعترض انها مبدا وفاعل تقول عليه وقال الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي بعدما نقل
قول الامام في الاربعين ان صفات الله ممكنة لذاتها واجبة الوجود لوجوب الذات قد تلخص مما قاله قبالي زاده
الامام ان الصفات واجبة للذات لا بالذات اي واجبة لاجل الذات المقدس لا ان ذات الصفات
اقتضت وجود نفسها انتهى وقال بعض فضلاء العصر فتكون الصفات ممكنة في حد نفسها معللة
بالذات القديم لكن يجب ان يكون الذات موجبا بالنسبة اليها وان كان مختارا بالنسبة الى ما سواها
من مخلوقاته والا لزم حدوثها بناء على ما تقرر من ان الصادر عن المختار حادث البتة انتهى واسبغ
اي اتم واكمل وهو في الاصل صفة الدرع والثوب الطويل استعير من الطول والسعة لما ذكر ثم صار
حقيقة فيه لشيوعه على اوليائه جمع ولي فعيل بمعنى فاعل او مفعول اي موالي ومولى ويطلق على الله
وعلى غيره نحو الله ولي الذين امنوا الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهو من الموالاة وهي
الاتصال والقرب ويكون ذلك في النسب والدين والصداقة والنصرة وله معنى يعم كل مؤمن واخر
يختص بمن اخلص لله قولا وامرا واخص منه وهو من افاض الله عليه ما فضله به على غيره من اسرار
ومعارف الهية انار بها بصيرته حتى يشاهد صنعه وينكشف لنفسه القدسية خفايا الملكوت
وهي مرتبة جليلة ويأتي لذلك مزيد بيان وكل نبي ولي ولا عكس وقيل ولاية النبي افضل من نبوته كما ان نبوة

صلى الله عليه وسلم افضل من رسالته ولا يلزم منه تفضيل الولي على النبي كما توهم والمراد هنا الاول والثاني
ويحتمل ان يكون الاسباغ هنا على حقيقته بان يشبه النعم المسبغة بملبس يصونه على انه استعارة مكنية
وتخييلية كما في قوله اذا ما غزا دهري وخفت خطوبه على درع من نداه سوابغ نعما جمع نعمة وهي ما
انعم الله به واعطاه من فواضل احسانه ويكون بمعنى الانعام والاحسان والحمد على الانعام امكن من الحمد
على النعم كما فصل في محله عما هو بعين مهملة مضمومة وميم مفتوحة مشددة تليها الف اما ذاتية كالف
زيد في قولك رايت زيدا حالة الوقف فالفه زائدة او بدل من التنوين كما في سائر المنصوبات المنونة او هي
الف مقصورة كالف حبلى ومعناه عميمة اي عامة شاملة لكل شيء من الاجزاء والجزئيات قال ابن عصفور
في شرح شواهد الايضاح عند الكلام على قول الشعر طافت به الفرس حتى تبنا هضبها عم الحجز لقاحا
غير منتشر العم الطوال من النخل واحده عميمة عن ابي حاتم ويعقوب وكانه خفف من عمم ثم ادغم لاجتماع
المثلين وقال اللحياني نخيل عم اي طوال فعم على هذا مصدر وصف به الواحد وغيره ويبعد ان يكون من باب
ذلك لقلته وقال ابن دريد العم العظام واحدها عمي كحبلى وهذا اقيس لوجوه انتهى واقتصر في التسهيل
مطردا على انه فعل بضم فيكون جمع عميمة لان فعيلة تجمع على فعل قياسا وفي كتاب النبات للدينوري
في باب النخلة العمة النخلة التي يصعد اليها اذا جنيت وهي العميمة ايضا والنخل العم الذي استحكمت
وكملت وطالت وكذا في جميع النبات وفي العم يقول فعم كعمكم يافع وطفل لطفلكم يومل اي كبار بلغ
الانصاري نفعهم ككبارکم وصغارکم توصل لصغارکم فسمي صغارها اطفالا انتهى ومما قصصناه عليك علمت
ان قول المصنف رحمه الله عما اما منون او غير منون مقصور وانه يجوز فيه ان يكون جمعا ومفردا بمعنى
عظيمة او عميمة شاملة فافاد وصف نعم الله بالزيادة في الكم والكيف وللشراح رحمهم الله فيه كلام
غير واف بحق المقام ثم لما كانت بعثة الرسل اجل النعم واجلها بعثة خاتم الرسل عليه وعليهم افضل
الصلوة والسلام عطف على قوله اسبغ الى اخره قوله وبعث فيهم من عطف الخاص على العام لبراعة
الاستهلال وما قبله تمهيد له والبعث في الاصل الاثارة او الايقاظ من النوم وبمعنى الاحياء والنشر
من القبور وبمعنى ارسال الرسل وهو المراد هنا فاذا تعدى بفي فمعناه انه جعله بين اظهرهم واذا
تعدى بالى فمعناه انه مرسل لدعوتهم سوا كان فيهم ام لا وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر وضمير
فيهم للاوليا بمعنى المؤمنين من غير تكلف لانه ليس قبله ما يصلح للرجوع له غيره والمراد مطلق
المؤمنين وبعثة صلى الله عليه وسلم فيهم لا يقتضي تخصيص البعثة بهم فينبغي ان لا تجعل
في بمعنى الى حتى يرد عليه ان البعثة عامة للثقلين غير خاصة بهم وانه ينبو عنه قوله الاتي عربا وعجما
وقيل ان ضمير فيهم يفسره قوله عربا وعجما وليس راجعا لغيره وقيل انه راجع لكل موجود من الثقلين
المفهوم من قوله قبل كل شيء وقيل بعث بمعنى ارسل فيما بينهم بان اوحى اليه بتبليغ الشرايع والبعث
وان كان في الكفار فان كثيرا منهم قد علم منه انه يصير من اهل الولاية ومنهم من شرف عليها
وهو المراد بالاوليا وهذا ليس بيانا لاول البعثة ثم قال البعثة انما هي في العرب بل في اهل مكة
والمبعوث فيهم جماعة هو بين اظهرهم فضمير فيهم لاوليا العرب وضمير انفسهم الاتي للعرب
والعجم لقوله عربا وعجما فلا تكون الاوليا مرجعا لهما الا بتكلف بان يقال لكان فيهم العجم الاوجه
انه

8 انه استخدام او اريد بالبعثة فيهم وجودهم في زمنها ويكون مبعوثا في الكل او في بمعنى الى ويرد
مطلق الاوليا اعم من الكل والبعض والبعثة باعتبار ورود الانفسية باعتبار الجميع اقول هذا تعسف
نحن في غنية عنه فالحق انه لما ذكر عموم الرحمة اتبع ذلك ببيان ان رحمته الكاملة الشاملة مخصوصة
باوليائه وهم مطلق المؤمنين وان من اعظمها عليهم بعد الايمان بالله بعثة هذا الرسول صلى الله عليه
وسلم فيهم واتباعهم له ولا يلزم منه تخصيص الرسالة بهم كما في قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم كما ياتي وهو مبني على ان مطلق النعمة عامة للبر والفاجر والنعمة التامة
مخصوصة بالمؤمنين وليست العامة مخصوصة كما قيل لا نعمة لله على كافر وعموم رسالته صلى الله عليه
وسلم مشهور معلوم من غير هذا وقوله رسولا مفعول بعث ولم يذكر المرسل اليهم اشارة الى عموم رسالته
صلى الله عليه وسلم والرسول بمعنى المرسل وهو نبي اوحي اليه ما امر بتبليغه والنبي من اوحي اليه مطلقا
فبينهما عموم وخصوص مطلق وذهب صاحب القاموس رحمه الله الى انه وجهي وفيه نظر وسياتي تفضيله
عند كلام المصنف عليه في الباب الرابع من القسم الاول من انفسهم بضم الفا جمع نفس ولها معان
منها العين والذات الشاملة للروح والجسد ومنها الروح ومرجع الضمير كما سبق والمراد انه من جنس
البشر وانما امتاز عنهم بالرسالة والخصايص المودعة في ظاهر عنصره التي اهله الله تعالى بها لا يكون
اهلا لا مانة ولم يفسره كما فسر به قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
بانه من جنسهم عربي مثلهم لان المخاطب ثمه العرب امتنانا عليهم واقامة للحجة لديهم وان فرايضنا عاما
ولكل مقام مقال لا يناسب التعميم بعده وفيه تجنيس لما بعده وبعثه في الجنس يجعل ما للبعض
للكل كما يقول بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم فلا ينافي كون المبعوث فيهم طائفة مخصوصة
وبعضهم فتح هنا الفا قالوا وهو خطاء رواية ودراية انفسهم بفتح الهمزة والفا والنصب على
البدلية من قوله رسولا لجواز ابدال المعرفة من النكرة او بتقدير عامله ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا
موخر مقدر وجر على البدلية من انفسهم قبله ورجح بانه المروي والموافق لقراءة الاية وفيه اشارة
الى القراتين وهو افعل تفضيل من النفاسة من نفس بالضم صار مرغوبا فيه فهو نفيس عظيم في النفوس
تلمساني يحرص عليه وقيل الانفس الاعلى والاشرف ومنه الحديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الرقاب
افضل قال انفسها عند اهلها اي افضلها وفيه نظر وهو قريب مما قبله عربا وعجما بضم اولهما وسكون
ثانيهما هنا للفاصلة وفيه لغة اخرى بفتحهما والعرب الجيل المعروف والعجم من عداهم وهو المراد ثم
غلب على صنف من فارس والعرب اسم جنس جمعي واحده عربي وقيل لا واحد له وقد يخص بسكان القرى
والامصار منهم كما يخص الاعراب بسكان الاخبية والبوادي ولذا قيل انه لا واحد له لان العرب
مغاير لهم او اعم فلا يصح ان يكون مفردا له حتى غلط سيبويه رحمه الله في القول به وقال الراغب
في توجيهه الاعراب جمعه في الاصل ثم صار اسما لسكان البادية والغلبة بعد الجمعية كالانصار
ولذا نسب له بلفظه فلا يرد ما لو وسميت العرب بسكناهم في بلدة تسمى عربة كما قاله الازهري
وما قيل من ان اولهم اسمعيل صلى الله عليه وسلم وكلهم من نسله ليس بمقبول عندهم لانهم كانوا قبله
بنواحي اليمن وابوهم قحطان وامهم جرهم والعمالقة واسمعيل عليه الصلوة والسلام تزوج

منهم فتكلم بالعربية كما يأتي بيان ذلك كله والعرب قسمان عاربة ومستعربة فالعاربة بمعنى الخلص
وعرب عاربة كليل الليل والمستعربة ولد اسمعيل عليه الصلوة والسلام ومن بعده طرأت عليه
العربية وعليه حمل انه اول العرب اي المستعربة وقحطان بن شالخ بن سام بن نوح عليه الصلوة والسلام
وكونه من ولد اسمعيل عليه الصلوة والسلام غلط نشأ من اشتراك اسمى كما في الروض الانف وغيره
ونصبهما على التمييز او بنزع الخافض وازكاهم افعل تفضيل من الزكاة وهي الزيادة محسوسة كانت
او معنوية والطهارة الحسية والمعنوية ايضا اي هو صلى الله عليه وسلم اكثرهم عبادة وتقوى
ومعرفة بالله وشرفا واطهرهم وانزههم عن القبائح عنصرا وخلقا لعصمته صلى الله عليه وسلم
من دنس البشرية كما سيأتي محتدا بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر التاء الفوقية واخره دال
مهملة وهو والجرثومة والارومة والمنصب والعنصر والضئضئ بمعنى وهو اصل النسب كما في
فقه اللغة وفي الصحاح حتد بالمكان محتدا اقام وثبت والمحتد الاصل وفي القاموس من معانيه
الاصل والطبع فاصل معناه الاصل مطلقا وظاهر كلام الثعالبي تحقيقه اصل النسب
فكانه مشترك وعلى كل فما في شرح المواقف من انه مكانا قام به والعرب تقول لله بلد اطلعتك
يعنون به شرف النسب كقولهم لله درك لا يخلو مما فيه من القصور لمن تدبر والمراد انه صلى الله
عليه وسلم اشرف العرب والعجم واعظمهم نسبا فما قيل من انه لا يناسب عموم التفضيل ليس
بشيء يحتاج للرد ومنمى بميمين مفتوحتين بينهما نون ساكنة اسم زمانا ومكانا ومصدر ميمي نميته
اذا نسبته او من نمى المال اذا زاد اي نحسبه صلى الله عليه وسلم ونسبه الذي نمي اليه ازكى
من جميع الاحساب واشرف من سائر الانساب فلا وجه لما قيل ان المراد به انه ازكى من جميع
المؤمنين الذي بعث فيهم او ان محل نمائه اي مكة او المدينة ازكى مما عداه بازدياد الدين وظهوره بها
ويجوز ان يراد ان ذاته في نماء العمر والصبا اظهر على انه مجاز عقلي لما عرف منه صلى الله عليه وسلم
في طفوليته من نزع حظ الشيطان منه وشق صدره ودفع خفة الصبا عنه ولا يرد عليه ان
عيسى عليه الصلوة والسلام كان نبيا في الصغر كما قيل ونصبهما على التمييز ايضا وارجحهم
عقلا رجحان العقل زيادته ووصفه به مشهود في الكتب القديمة وسيأتي ويقابله الخفة
والنقص وهو في الاصل يستعمل في الموزون ثم صار حقيقة عرفية في مطلق الزيادة الممدوحة تمثيلا
او مجازا مرسلا او استعارة مكنية من رجحت كفة الميزان اذا زيد ما فيها فاريد به لازمه والاستعارة
فيه احسن كما قال الاخطل واذا وزنت حلومهن الى الصبا رجح الصبا بحلومهن فمالا وفيه
اشارة لما في الحديث كما يأتي من انه صلى الله عليه وسلم لما شق صدره قال احد الملكين للاخر زنه
بعشرة الى ان قال لو وزنته بجميع اهل الارض رجح والوزن فيه كما قالوه اعتباري والرجحان انما
هو في الفضل وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم وامته والعقل
يقال للقوة القابلة للعلم ولما يستفاد بواسطتها وقيل هو نور روحاني تدرك به النفس ومحله
القلب او الدماغ او هو مشترك بينهما فيه خلاف مشهور يقال العقل عقلان مستفاد
ومكتسب ومطبوع ومسموع وهو من عقل الدابة لمنعه الانسان عن القبائح كما قال الشاعر

في

9 في التلميح لاصله قد عقلنا والعقل اي وثاق وصبرنا والصبر مر المذاق وحلما هو قوة
توجب الصبر على الاذى وقال الراغب الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب وقيل الصبر على الاذى
وقيل الحليم من عفا بعدما ستر وقيل من لا يعجل بالانتقام واورد عليه الرازي ان من لا يعجل
بالانتقام ان عزم عليه فهو حقود وان عزم على عدمه فهو عفو غفور فاين الحلم ومعناه الا
ان يقال انه من يعزم على ان لا ينتقم البتة بشرط ان لا يظهر ذلك فان اظهره فهو عفو وبهذا يظهر
الفرق بين الحلم والعفو وقد فهم من كلام السلف ان الحلم صفة تعارض الانتقام وتمنعه ومنع
الانتقام وحده هو العفو وقد يمنع الحليم تعجيل العقوبة مع القدرة عليه ويؤخر لحكم خفية
ويفارقه بان صاحبه لا يقدر على الانتقام حالا مع انتظاره للفرصة ولا يخفى ما فيه وهو في صفات
البشر ان يملك نفسه فلا يغضب اذا اوذي ورأى ما يكره مع تمام الوقار فاذا وصف به الله اريد غايته
لا مناعه عليه فهو ترك الانتقام او تعجيله مع القدرة عليه ومغايرة الاول للحقد والعفو ظاهرة واما
الثاني فلا مناسبة بينه وبين الحقد فانه تعالى لا يوصف به وكذا مغايرته للعفو بحسب المفهوم وبحسب
الماصدق فانه قد يحلم ولا يغفر كما في حلمه على الكفرة في الدنيا وقد يقال غفر له ولا يقال حلم فتدبر
واوفرهم اي اكثرهم واتمهم من الوفرة وهي الكثرة والسعة علما وفهما العلم هو الادراك الجازم وحصول
صورة الشيء في العقل والصورة الحاصلة فيه او عنده مفردا كان او مركبا وقد يراد به المعلوم الحاصل
في الذهن والملكة والفهم واكثريته ظاهرة والفهم هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن قال تعالى ففهمناها
سليمان وقول الجوهري كغيره الفهم العلم على عادتهم في التسامح فليسا مترادفين حتى يكونا هنا كقوله
والفى قولها كذبا ومينا اذ العلم مطلق الادراك والفهم سرعة انتقال النفس من الامور الخارجية
لغيرها فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم اعلم الناس واحذقهم وفيه اشارة الى ان علمه صلى الله عليه
وسلم كعلم غيره من البشر ضروري وكسبي وقول بعض الصوفية ان العلم كلها بالنسبة اليه ضرورية
قدرده الشيخ زروق بانه ان حمل على ظاهره لزمه ان ينتفي عنه التكليف لان العلوم الضرورية لا تكلف
ولا يؤجر عليها وان اريد انه لشدة ذكاء نفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها فهو صحيح واقواهم
يقينا اليقين والايقان العلم بنفي الشبه عنه فلا يوصف به الضروري ويتفاوت قوة وضعفا
ولذا قال المصنف رحمه الله اقواهم ويشهد له الوجدان وقيل انه لا يتفاوت وانما التفاوت فيه
ولذا قيل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ونسب للحنفية وامام الحرمين فما يخيل انه اقوى انما هو لجلي
عند العقل وعزما العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء الامر يقال عزمت الامر وعليه وبه ومنه
واولو العزم من الرسل القوة باسم وامضائه عزمهم في تنفيذ اوامر الله وتبليغ شرايعه فمن توهمه معنى
اخر فقال ليس المراد بالعزم مطلق عقد القلب بل ما في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل
لم يصب وعزم الله ايجابه وفي التهذيب عزمة من عزمات الله اي حق من حقوقه وواجب مما اوجبه والعزم
الصبر وقول السيد عيسى قال المرزوقي الحزم توطين النفس وعقد القلب على ما قصد فعله ولا يجوز اطلاقه
على الله والعرب تمدح بقوته لدلالته على قوة الطبيعة وعدم التزلزل في الرأي والتدبير ولا لزم ما يظهر
اولوية غير ما عزم عليه فيتردد وقد علمت ما يخالفه من انه ورد اطلاقه على الله كما ورد في مسلم وصححه

سماحه الان يريد انه لا يطلق بالمعنى المذكور ولا يخفى بعده واشدهم رافة ورحما الرحم بضم الرا وسكون
الحا المهملتين يقال رحمة ورحما كقفل ورحمى كرجعى فهو هنا منصوب ومقصور والرحمة العطف والشفقة
والانعام والرافة بمعناه فذكره هنا للتاكيد او هو عطف تفسيري او الرافة اخص لانها اشد الرحمة كما
في الصحاح وغيره وعلى هذا قدم الاخص الاعلى في الاثبات على عكس المعروف في استعمال البلغا للفاصلة
كما قاله الشراح تبعا للقاضي في التفسير وغيره ولا وجه له كما بيناه في حواشيه لان الرافة حيث قارنت
الرحمة قدمت عليها ولو في غير فاصلة كقوله تعالى رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها حيث قدمت
في الحشو والذي غرهم كلام الجوهري وغيره والحق تغايرهما حيث اجتمعا فان معنى الرحمة الانعام او ارادته
والرافة التلطف والمعاملة برفق لانه يقابله العنف والتحير كما يعرفه من يفهم كلام العرب فلابد
من تقديمها على الرحمة كما قيل في المثل الايناس قبل الابساس وكما قال اضاحك ضيفي قبل انزال رحله
وقال الحسن الكرم التبرع بالمعروف قبل السؤال والرافة مع البذل ويوضحه قول الرقيات ملكه ملك
رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبريا ومن تتبع مواقعه وعرف مقابله جزم بما قلناه ويأتي لهذا
مزيد بيان ايضا في الباب الاول وقال اشدهنا تفننا وايهاما للمطابقة كقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء
بينهم زكاه روحا وجسما التزكية التطهير والتقديس والتنمية والزيادة اي خلقه زايدا على من سواه
منزها عن دنس البشرية وسخ العناصر والكلام على الروح وانه جوهر مجرد اساد في البدن سريان
ماء الورد في الورد او هو ما لا يدرك كنهه ولا ينبغي الخوض فيه مبسوط في تاليف مستقل به والنفس
تكون بمعنى الروح ايضا فتزكيته عليه الصلوة والسلام كونه في اكمل تقويم واحسن صورة متكملا بالقوى
الظاهرة والباطنة مطهرا من حظ الشيطان ودنس في نفسه وبدنه بشق قلبه وغسله كما سيأتي
وفصل هذه الجملة واتى بها فعلية لانها كالموكدة لما قبلها ولتلوين الخطاب وحاشاه فعل ماض يقال حاشاه
يحاشيه قال ولا احاش من الاقوام من احد وليس هنا ماخوذ من حاشى الاستثنائية فانها مشتركة بين
معان ثلاثة فتكون فعلا متصرفا بمعنى جنب وبا عدواداة تنزيه كما في قوله تعالى حاش لله وتكون
للاستثنا واحكامها مفصلة في بابها وليس هنا محله وهل هو بمعنى اخرج او بمعنى نزه فنصب ما بعده على
نزع الخافض اي من عيبا وبمعنى جنب فنصبه على انه مفعول به وهذا اقرب سواء ورد عن العرب ام
لا وهذا تجوزا وتضمين فمعناه منزه وعزله عن النوع الانساني الذي هو عيبة العيوب والضمير
راجع للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل نصب ما بعده على التمييز كما مثال الآن وفي حديث اسامة
احب الناس الي ما حاش فاطمة وليس هنا محل الكلام فيه فالمعنى جنبه عيبا ووصما اي كل عيب ووصم
لان النكرة في سياق النفي معنى للعموم مع ان النكرة قد تعم في الاثبات والوصم بفتح الواو وسكون الصاد
المهملة ان فسر بالعيب فهو من عطف احد المترادفين على الاخر اطنابا في مقام الخطابية تتميما للفاصلة
وان فسر بالعار كما في القاموس فهما متقاربان وان التوصيم في الجسد كالتكسر والفترة والكسل فعلى هذا
يفسر بالتواني وهو ابلغ والمعنى ان الله نزهه عن العيوب الحسية والمعنوية ووفقه للجد في موره
من غير توان التوفيقه للجد في موره واتاه بالمد بمعنى اعطاه ومعناه فيتعدى لمفعولين حكمة في القاموس
انها العدل والحكم والنبوة والعلم والقران والكلام الحق وهي من احكمه عن كذا اذا منعه لانها تمنع صاحبها

عن النقايص ومن حكمته الداية وقال البيضاوي هي في عرفهم استكمال النفس الانسانية باقتباس النظريات
وكسب الملكة التامة والمداومة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية قيل ولما لم يشمل
ما ذكره القاضي في تعريفه حكم الله قال بعض المحققين انها العلم بالاشيا كما هي والعمل به كما ينبغي وفيه
نظر وحكما اي قضا وفصلا للامور على الحق سوا كان الزاما للغير او لا ويجوز ان يراد به خطاب الله
المتعلق بافعال المكلفين والاول اظهر ولذا اقتصر عليه الشراح ويكون بمعنى الحكمة وليس مرادا
هنا وهي مساوية لها للاشتقاق لساتق وبينهما نوع من الاشتقاق فيجوز ان يكون من جناس التحريف
وما فيه من السؤال والجواب بعد امر النظر لها امر سهل لا ينبغي تكثير السوار بمثله وفتح به اي بسببه
او الباللالة اعينا جمع عين وفتح العين بمعنى فتح اجفانها وهو كناية او مجاز عن جعلها مبصرة بعد ان لم تكن
كذلك او هو عبارة عن كونه واسطة في نيل سعادة الدارين بسبب دعوته عليه الصلوة والسلام
وقيل انه سبب عادي لان الله تعالى جعل ارسال الرسل عليهم الصلوة والسلام امارة لخلق الهداية
فيمن ارسل اليهم كالشبع والري الاعين جمع قلة وكان مقتضى المقام جمع الكثرة لكنه اتبع اللفظ الوارد
فيه كما ستراه وجمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه او هو هنا لنكتة كعدة قليلا بالنسبة لقدرته تعالى
او لكونها كانت قليلة في الابتداء وسياتي تحقيقه وعميا جمع ويكون جمع اعمى وهو صفة من العمى وهو عدم
البصر كما هو من شانه فان لم يرد المعنى الاول فهو استعارة لا تمثيل وتشبيه جعلت الحواس التي لا ينتفع بها
كالمفقودة فمن توهم ان ذكر الاعين المشبهة مانع من الاستعارة لم يفتح عينه وليس هذا كقول المتنبي
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم لان معناه ان كلامه لبلاغته وحسنه
شاع وذاع وملا الاسماع حتى كان الاعمى يراه والاصم يسمعه وقلوبا غلفا جمع قلب وهو العضو المعروف
ويراد به العقل وقد فسر به هنا وهو الظاهر لقوله غلفا بضم الغين المعجمة وسكون اللام جمع اغلف بمعنى
ذي غلاف وغطا فهي مغطاة في اكنة ومنها غلام اغلف بمعنى اقلف من غلفت السيف ونحوه ويكون جمع
غلاف فاصله غلف بضم اللام فخفف وبه قرئ قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ويصح ارادته هنا على انه بدل
اشتمال فيكون المفتوح غلافه وغطاؤه وعلى الوجه الاول الاولى عطفه على الاعين المفتوحة تغليبا او بتقدير
وان الله عنا وقلوب غلف على نهج قوله متقلدا سيفا ورمحا وهذا مبني على ان القلب محل العلم والقوة المدركة
قائمة به لا بالدماغ وتغطيته المحل يلزمها تغطية ما فيه ومعناه ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية فازال
النبي صلى الله عليه وسلم حجابها وكشف غطاها حتى اهتدت ففيه استعارة تمثيلية وتخييلية ومكنية كما
حقق في الكشاف وشروحه وهو لا ينافي قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه فيمن طبع على قلبه
وهذا في غيره او المنفي الدلالة الموصلة والمثبت مطلق الدلالة والاول اولى واذانا صما اذان جمع اذن
بضمتين وتسكن تخفيفا وهي الجارحة المعروفة وصما بالضم ثم التشديد جمع اصم كعمي وعميا ويجوز فتح
صاده على انه مفرد مونث ممدود قصر للوقف وصف به الجمع كجبال راسية والصمم افة تمنع السمع
وفتحها التجاز مشهور ويقال في ضده انسدت استعير هنا لعدم الاذعان للحق والانتفاع به
لانها لم تسمع السمع المعتد به فنزل سمعها منزلة العدم فلما ارشدوا للحق وكشفت عنهم الحجب المظلمة
وانقادوا مذعنين كانوا كمن زال صممه فامن به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة الايمان جعل

سيد

ابن الحنبلي

عرضي

عرضي

الغير في امان فهو متعد بنفسه ثم ضمن معنى الاقرار والاعتراف فعدي بالباء كامن بالله بمعنى صدقه واعترفه
وقد تعدى باللام وهو في الشرع التصديق بما علم مجيء النبي عليه الصلوة والسلام به ضرورة تفصيلا
وبما لا فيما علم اجمالا والتلفظ القادر به شرط له فمن اخل به فهو كافر فهو كالعمل خارج عنه وذهب بعضهم
الى انه جزء منه داخل في حقيقته الا انه عند بعض المحققين جزء لا يلزم من عدمه عدمه كالشعر
والظفر من الانسان والاوراق والسعف من الشجر كما ذهب اليه بعض السلف وتفصيله في كتب الكلام
وعزروه ونصروه بعين مهملة وزاي معجمة ثم راء مهملة بمعنى وقروه وعظموه ويكون بمعنى اعانه على عدوه والاول
المراد فيه من التاسيس واصل العزر بفتح فسكون المنع فاستعمل فيما ذكر لما فيه من المنع عن الاهانة ونحوها
وكذلك التعزير المعروف اطلق عليه لمنعه من العود للجناية ولم يعدل عنه لايهامه المعنى الاخير لدفع ايهام الساق له
ويرجحه موافقته للقرآن في قوله تعالى وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه مع ما فيه من الاعتماد
على اقوى الدليلين وهو اللفظ والفعل ولا يلتفت لما قيل لولا القرآن لكان الاولى ان يقال عززوه بمعجمتين احترازا
عن المشترك بين الاهانة وضدها وسياتي انه قرئ بهما في اية الفتح والنصر الاعانة والدفع عنه ما يضره
ويقال نصرت السحابة اذا امطرت ونصره اذا اعطاه وقدم التوقير على النصر لموافقة الواقع ودفع
الاحتمال تنبيه في القاموس ان التعزير في اللغة من اسماء الاضداد لانه يطلق على التفخيم وعلى التاديب
وعلى اشد الضرب وعلى ضرب دون الحد قال الشيخ شيخنا ابن حجر الهيتمي والظاهر ان هذا الاخير غلط
لان هذا وضع شرعي لا لغوي لانه لم يعرف الا من جهة الشرع فكيف ينسب الى اهل اللغة الجاهلين
بذلك من اصله والذي في الصحاح بعد تفسيره بالضرب ومنه سمي ضرب ما دون الحد تعزيرا فاشار
الى ان هذه الحقيقة الشرعية منقولة عن الحقيقة اللغوية بزيادة قيد هو كون ذلك الضرب دون
الحد الشرعي فهو كلفظ الصلوة والزكوة ونحوهما المنقولة لوجود المعنى اللغوي فيهما بزيادة وهذه
دقيقة مهمة نظرها صاحب الصحاح وغفل عنها صاحب القاموس وقد وقع له نظير ذلك كثيرا
وكله غلط يتعين التفطن له انتهى وقوله فكيف ينسب الى اخره قال شيخنا ابن قاسم لا يقال هذا لا ياتي
على ان الواضع هو الله تعالى لانا نقول هو تعالى انما وضع اللغة باعتبار ما تعارفه الناس مع قطع النظر
عن الشرع وقوله من موصول لنا زعه الفعلان جعل الله له اي قضى وقدر كما علم بالنص كقوله اولئك هم
المفلحون وكل ميسر لما خلق له واذا يسر المسلم سعيدا لا ناس فانهم سعداء وليس في هذا الجا
ولا حين كما توهم في مغنم السعادة مغنم كمقعد بمعنى الغنم والغنيمة وهي الفوز بما يطلب من الشيء ونحوه
وتطلق على ما يغتنم من كل شيء والسعادة ضد الشقاوة وتختص بالفوز بالنعيم الاخروي واضافة
المغنم بالمعنى المصدري لامية وهي بيانية ان كان بمعنى ما يغتنم ويجوز ان يكون كلجين الماء كما قيل وهو حسن
لان المغنم والغنيمة ما اخذ من العدو قهرا فكان المؤمنين لما اذا اختصوا بالسعادة دون غيرهم كانهم
سلبوهم اياها والجامع بينهما ان كلا منهما له فائدة عظيمة لا تحصل الا بجد وجهد ولا وجه لما قيل
ان وجهه خفي واقوى في المشبه فانه ظاهر لمن له ادنى تامل قسما بكسر القاف بمعنى الحظ والنصيب ويجوز
فتحها قال في المصباح قسم من باب ضرب والقسم بالكسر اسم مصدر ثم اطلق على الحصة والنصيب
ومناسبته للمغنم ظاهرة وكذب به يقال كذب بكذا تكذيبا اذا انكره وجحده وكذبه اذا جعله كاذبا

ابن الحنبلي

عرضي

سيد

في كلامه

11 في كلامه هنا هو المعروف في الفرق بين المتعدي بنفسه وبالباء فالمراد انه انكر ذاته صلى الله عليه وسلم
من حيث النبوة والرسالة ولم يقل كذبه لانه بمعنى ما بعده فمن فسره بانه جعله كاذبا او انكره فقد
خالف الظاهر وقيل المراد ان هذا الوعيد والشقا الابدي ثابت لمن انكره كان وصفه بغير
صفته كاسود او غير قرشي فقد فسره بغير مراده وصدف بمهملتين وفا بمعنى اعرض عن اياته
جمع اية وهي العلامة والامارة واية القران الفاظ منه ذات مقطع ومبدا وتكون بمعنى المعجزة التي
هي علامة النبوة ويجوز ارادة كل من معانيه هنا ووزنها فعلة ساكنة او محركة او فاعلة ويأتي بيان ذلك
مع زيادة اي اعرض عن تدبر علامات نبوته صلى الله عليه وسلم مكابرة كما قال تعالى فمن اظلم ممن كذب
بايات الله وصدف عنها والايات تضاف الى الله والى الرسول صلى الله عليه وسلم كما هنا
لانه جاء بها وجرت على يديه تصديقا له صلى الله عليه وسلم من كتب عليه الشقا حتما كتب
بمعنى حكم وقدر في الازل واوجب او كتبه في اللوح المحفوظ وقيل انه تكتب السعادة والشقاوة
في بطن امه على جبينه او بين عينيه او في ورق لا يرى في عنقه كما ورد وهو اما تمثيل لسبق شقاوته وسعادته
او هو على حقيقته وظاهره وحتما بمعنى لازما وواجبا لا بد منه ولما كان الشقي لا يهتدي لمقاصده لعمى
بصيرته نبه على حاله مقتبسا من القران فقال لو من كان في هذه الدار الدنيا اعمى عن مشاهدة الايات
الظاهرة فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا اتى بالصيغة البديعة من الاكتفا للسجع وعماه لعدم رؤيته
طريق النجاة وهذه اشارة للدنيا اي من كان في الدنيا اعمى القلب والبصيرة لا يبصر رشده كان في الاخرة
اعمى عن طريق النجاة لا يراها واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد او لان الاهتدا بعد لا ينفعه
والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل اعمى الثاني افعل تفضيل كاجهل وابلد ولذا لم يمله ابو عمرو ويعقوب
فان افعل التفضيل تمامه بمن فالفه في حكم المتوسطة كاعمالكم بخلاف النعت فان الفه متطرفة لفظا
وحكما فكانت عرضة للامالة من حيث انها تصير يا في التثنية واما الهاحمزة والكساي وورش على اصله
بين بين فيهما واورد عليه انه ينتقض بمثل قوله الذي هو ادنى والكافرين الا ترى ان حمزة والكساي
وابا بكر اما لوهما في الموضعين مع قيام هذا الاحتمال في الثاني ويمكن ان يقال مراده ان الفه في حكم
المتوسطة والموضع الاليق للامالة اخر الكلمة حيث تصير ياء عند التثنية فنبه ابو عمرو ويعقوب
على الفرق بين الكلمتين بامالة الاول دون الثاني ويقال من امال الثاني راعى المشاكلة بينه وبين اصله
وهو المعنى الحقيقي وفي بعض الشروح قالوا لكونه اسم تفضيل امال ابو عمرو الاول دونه لان الفه
غير متطرفة لما مر كما قاله الفارسي والزمخشري وفيه انهم اما لوا ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن
فلو يميلوه اذا قدرت معه اولى واحرى اقول ذكروا للامالة اسبابا كمجاورة الكسرة او الياء ولا يشترط
فيه تطرف وكونها منقلبة عن ياء او تصير يا في التثنية ونحوها وهذا يشترط فيه ان يكون الفه
متطرفة كما في التسهيل ثم انهم قالوا اسباب الامالة مجوزة لا موجبة فاذا اتصل بها ما يجعلها في حكم
المتوسطة وقارنت ما هي متطرفة حقيقة فترك امالته اذا اميل الثاني للفرق بينهما ارجح من الامالة
فيه فسقط ما ذكر برمته لانهم لم يعنوا ان افعل التفضيل مع من ظاهرة او مقدرة فيه مانع من الامالة
بل مرجح لتركها لا سيما مع قصد الفرق بين افعل التفضيل وغيره وليس فيما ذكرنا اباه واما الكرين

عرضي

ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى
صلى الله مع عليه وسلم صلوة
تنمو وتنمي وعلى اله وسلم
تسليما

فلا يحتاج للعذر لما مر فان قلت شرط افعل التفضيل ان لا يصاغ وصفه على افعل فعلى كالعيوب
وما قابلها والالوان لان حق فعله ان يكون ثلاثيا وفعل هذا النوع افعل المشدد اللام ولذا فتحت عينه
اذا كان ثلاثيا كعور رعاية لاصله وقال ابن مالك رحمه الله الاقرب ان يقال لما كان بناء الوصف
من هذا النوع على افعل كاعور لم يبن منه اسم تفضيل لئلا يلتبس احدهما بالاخر قلت قد اجيب عنه
بانه في العيوب الظاهرة وهذا من العيوب الباطنة وهذا على التعليل الاول واما على الثاني
فغير تام الا ان يقال حق وصفه ان لا يكون على افعل فعلا ويشهد له قوله الجوهري عمي وما خالفه
محمول على غيره شذوذا فاذا اريد بالعمى عمى البصيرة فلا اشكال فيه فان اريد عمى البصر عقوبة لهم
فوجه التوفيق بينه وبين قوله فاذا هم قيام ينظرون ان في القيامة مواقف مختلفة باختلاف احوالهم
والاقتباس هنا مبين لما قبله ومثبت له وعطفه رعاية للنظم فانه لما ذكر ان من كذبه واعرض
عن اياته متحتم الشقاوة عقبه بما يدل عليه من كلام الله وفي الكشاف ان العمى حقيقة في البصر
والبصيرة والعمه مخصوص بالثاني فحينئذ يجوز بنا اسم التفضيل منه فكان حقيقة في البصر
فقط لم يتجه بناؤه كما في درة الحريري لان ما يمتنع في الحقيقة يمتنع في مجازها لانا اذا قلنا لا يجوز
بنا التعجب من الموت لا يصح ان يقال ما اموته فمن منع بنا التفضيل من الالوان والعيوب لا يجوز
بعد التجوز فيه واما القول بانه تمثيل فلا يجدي الا الفساد اذ لا تجوز في مفرداته فهو غفلة منه الله
وسياق الكلام على الاقتباس في اخر الخطبة ولما ذكر انه صلى الله عليه وسلم وصل الى علا مراتب
الكمال وان كمال غيره انما هو بهدايته والاقتباس من نور شريعته ناسب ان يعظمه ويدعو له اداء
لبعض حقه وتوسلا به الى الله في قبول حمده واتمام قصده فقال صلى الله عليه وسلم والصلوة
في العرف عبادة معروفة وفي اللغة الدعا وفي اشتقاقها كلام مفصل في محله سياتي بعض الكلام
عليه وما اشتهر من انها من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الادميين تضرع ودعا صح
عن السلف وبه تمسك الشافعي في الجمع بين المعنيين المشترك ورده صاحب التوضيح بما هو
مذكور في كتب الاصول ولما فيه من معنى التعطف عدي بعلى للمنفعة مع تعدي الدعا بها للمضرة
وعقب الحمد بالصلاة لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فان السلف فسروه بلا اذكر الا وتذكر
معي كما سياتي مع الكلام عليه ولذا ذهب كثير من الشافعية الى كراهة افراد الصلوة عن السلام
لفظا وكتابة او هو خلاف الاولى كما سياتي بيانه والسلام اسم مصدر بمعنى التسليم وخص الانبيا
عليهم الصلوة والسلام بالصلوة والسلام استقلالا كما خص الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم غالبا بالترضية وغيرهم بالترحم كما سياتي في محله والاصح انه لا يكره الدعا بالرحمة
للنبي صلى الله عليه وسلم كما لا يكره التسليم على الصحابة رضي الله عنهم وان كان من داب الشريعة
تركه زعما للشيعة في التسليم على ال البيت وعندي انه يكره الدعا بالرحمة للنبي عليه الصلوة
والسلام من العامة في موطن لم توقيفه لا سيما منفردا صلاة اسم مصدر منصوب على المفعولية
المطلقة لافادة تقوية عامله وتقرير معناه تنمو وتنمى كذا في غالب النسخ كما قاله التلمساني
وفي بعضها تنمي بفتح المثناه وكسر الميم وتنمى بضم المثناه الفوقية وفتح الميم وفي المغني ان الاول

اصح

12 اصح واوضح رواية ودراية وفي المصباح نمى الشيء ينمي من باب رمى نماء بالفتح والمد كثر وزاد وفي لغة
نما ينمو من باب قعد ونميته الى ابيه نسبته نميا وانتمى انتسب وضبط الثاني على الرواية الاولى
بفتح المثناه والميم مضارع نما ينمي كالتي تاتي وعلى ضمة تائه وفتح ميمه وهو مجهول من نما الحديث
ينميه اي دفعه وبلغه فالمراد بالاول انها تكثر وتضاعف الحسنات او هو دعا بتكثيرها الى غير
النهاية والثاني بمعنى يرفع الى الملاء الاعلى لقبولها اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه وقيل نمى الاول بصيغة الحروف اي تزيد وترتفع بنفسها كالشجرة وفي نسخة صحيحة تنمو
بالواو وضعف بان صاحب الصحاح ضعفه ورد حكايته في القاموس وغيره انتهى والظاهر ان تنمو
الاول بمعنى تزيد والثاني بمعنى تبلغ وترفع وتبلغه لما سياتي من ان لله ملائكة تبلغه صلى الله عليه
وسلم صلاة من صلى عليه فلا حاجة لما قيل من ان الثاني بصيغة المجهول اي يزاد عليها بانضمام مثلها
معها فاندفعت المناقشة بان كل رحمة تنمي فهي تنمى على انه يحتمل التاكيد انتهى فانه تعسف انت
في غنية عنه بما قدمناه وكذا ما قيل من ان المطلوب صلوة مستقرة مستمرة تنميها فتنمو وتزيدها
فتزيد وهذه الجملة للانشائية والخبرية كما نبهناك عليه وعلى اله عطف على قوله عليه وقيل على المجرور
باعادة الجار واصل معناه الاتباع ولذا ضم بهم فيما سياتي ولم يضف في الاكثر المطرد الا على العقلا
الاشراف وزيد قيد الذكور والكل اغلبي لقولهم ال الله وال البيت قال وانصر على ال الصليب وعابديه
اليوم آلك فهو اخص من الاهل ثم خص في العرف ببني هاشم وبني المطلب وقيل هم عترته واهل بيته
وقيل هم جميع امته كما سياتي في كلام المصنف مع الكلام عليه واختاره الامام مالك والنووي
والاصح جواز اضافته الى الضمير وان زعم المبرد انه من لحن العامة وانه اذا اضيف يقال اهله واصله
اول من ال يؤول الى كذا اذا رجع اليه بقرابته ونحوها لان الكثير يرجع اليه في المهمات وقيل اصله اهل
فقلبت الها همزة والهمزة الفا واستدل بتصغيره على اهيل ولا دليل فيه لانه قيل اهل واهيل واول واويل
قيل كان ينبغي ذكر الصحب مع الال لان الصلوة تستحب عليهم واجيب بان معناه هنا الامة او الاتقيا
منهم فيشملهم مع الاختصار وهو مذهب مالك والمصنف مالكي المذهب وقد تفرد ابن عبد السلام
بانه لا يستحب الصلوة الا على من ورد ذكره في الحديث من الال والازواج والذرية وهو غير مرضي
وسلم تسليما سلم بصيغة الماضي والامر وهذا موجود في اكثر النسخ وقد سقط من بعضها كما في الشرح
وهو يحتمل ان يكون تسليما على من ذكر قبله تاكيد اله بحسب المعنى لفعله ومصدره او تقوله وعلى اله
بعطفه على صلة الصلاة السابقة على السلام بعد تشريكه معهم في اصل الصلوة والتسليم
تمييزا لشرفه وعلو قدره ولما كان المستحب ان لا يفرد الال بالصلاة عن السلام اردفه به تتميما
للمقام كما ارتضاه الشارح الفاضل ويحتمل ان يفيد العطف التشريك في الصلاة والسلام اي
على النبي واله اذ لفظ سلم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليست من كلام المصنف وان
اقتضى كلام الشارح انه ثابت في كلامه ويكون ما ذكرناه تاكيدا له وهذا دعا المقصود به
تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومعناه السلام عليه او جعله سالما من النقايص والافات واما
تاكيد السلام بالمصدر دون الصلاة اقتداء بالنظم المجيد فلان الصلاة من الله والملائكة

سند عيسى

سند عيسى

ابن الحنبلي

رحمة وتعظيم واقعة منهم بلا تردد واما البشر فه صدر عن بعضهم كالكفرة ما صدر من اذيتهم وتنقيصهم
امروا مع الصلوة بالتسليم من النقايص والانقياد واكد لو وقع وهذا خفي على بعض الناس
وقال الفاكهاني الصلوة لما اكدت بالاعلام بان الله وملائكته يصلون عليه بشانها
ولا كذلك السلام فحسن تاكيده بالمصدر جبرا له وهو لا يجدي هنا كما توهم لانه اخبر ان الله
عليه بقوله صلى الله عليه وسلم فيكون قوله بعده وسلم بصيغة الامر اي سلم اي اوجه السلام عليه
فيطابق الاية لفظا ومعنى وهو تعسف غني عن الرد ثم ان المصنف رحمه الله اتى بسجع الخطبة على روي
واحد ولم يجعل كل فاصلتين على حدة وهو اسلوب من اساليب السجع ثم ذيله بما هو خارج عن السجع
ومثله كثير في الخطب فمن توهم انه منه واورد عليه انه يطول بعض فقره وهو معيب فقد وهم اذ لا يتوهم
ان تسليما كالقافية هنا الا بتكلف اما بعد اما حرف شرط لوقوع الفا بعدها لفظا او تقديرا وتوكيد لان
معناها مهما يكن من شيء فقد علم مشروطها على وقوع شيء ما في الكون مما لا يخلو عنه ضرورة فكانه قال
انه واقع على كل حال البتة وتفصيل غالبا او دائما بتقدير معادل فيما لم يذكر ويفصل بينها وبين الفا بامور
ذكرها النحاة منها الظرف كبعد هنا والعامل اما او فعل مقدر او ما في حيز الجواب وهو مبني على الضم
كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة واجاز هشام فتحه من غير تنوين وقال ابن النحاس انه غير معروف
وروي عن سيبويه رفعها ونصبها كما فصل في محله واما بعد قيل انها فصل الخطاب واختلفوا في اول
من تكلم بها على اقوال اشرق الله قلبي وقلبك اشرقت الشمس ونحوها بمعنى اضاءت وهو لازم كما قال
الله تعالى واشرقت الارض بنور ربها وقد استعمل متعديا في كلام المولدين كما هنا فيكون اما حملا له
على اضا لانه بمعناه والشيء يحمل على نظيره وضده واضا جا متعديا ولازما كما صرحوا به او هو
متضمن معناه او معنى التصيير اي صير الله قلوبنا مشرقة كما قيل به في قوله ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها
شمس الضحى وابو اسحق والقمر والخطاب هنا للسائل الاتي وهذه جملة دعائية معترضة بين عرضي
الشرط والجزاء لانه بعد ذكر الظرف لا يذكر فاصل اخر والقلب معروف ويطلق على العقل والروح
وما قيل انه لطيفة ربانية لها تعلق بالقلب الجسماني لا يوقف على حقيقتها تبع فيه بعض الصوفية
وكانه اراد الاخير ثم ان المصنف بدا بنفسه في الدعا كما ورد في القران رب اغفر لي ولوالدي
وفي حديث رواه الترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا ذكر احدا ودعا له بدا بنفسه وقد
وقع ما يخالفه كثيرا فقال الزركشي في حواشي ابن الصلاح بان ذلك اذا كان المدعو به واحدا
فان تغاير فهو مخير وقال النخعي رحمه الله كانوا يقولون اذا دعوت فابدا بنفسك فانك لا تدري
في اي دعائك يستجاب لك فبين العلة فيه وليس هذا مخصوصا بالحديث الاخر وهو كان صلى الله
عليه وسلم اذا ذكر احدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بدا بنفسه فقال رحمة الله
علينا وعلى اخي كذا فانه لم يذكر للتخصيص وفي شرح العقيدة البرهانية للتفزيني انه يقدم
الدعا للاخوان ايثارا لهم لما ورد في الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى لبيك
عبدي ولك ابدا فاي فضيلة تلتمس وراء هذه وهي كونه مناديا به في الاجابة فمقام الايثار مقام
عال شريف فان شا بدا بنفسه وان شا بدا بغيره انتهى فقد علم مما قالوه انه اذا دعا لنفسه وغيره

فالافضل

في الافضل من طرق اقوال قد يجمع بينها بانها بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى بانوار اليقين الانوار
جمع نور وهو كالضوء الا ان بينهما فرقا ولذا قال الله تعالى جعل الشمس ضيا والقمر نورا وفيه تفصيل
ذكرناه في حواشي البيضاوي وهل هو جرم ام لا فيه كلام في كتب الحكمة فقيل عرض يحصل في الاجرام
عند مقابلة النير بتوسط جرم شفاف كالهوا والما والمفيض له المبدا القياض المصور بالشروط
المعدات للافاضة فلولا قصور البشرية ما احتاجت للواسطة وقد قيل ان مشاهدة كل ما يرى بتوسط
نور النار بمثابة علم اليقين ومعاينة جرم النار المفيض للنور على ما يقبل الاضاءة بمثابة علم اليقين
ومعاينة جرم النار المفيض للنور على ما يقبل الاضاءة بمثابة علم اليقين والاتصال به عين اليقين ثم
ان النور لما كان ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره شاع اطلاقه على ما ضاهاه كالرسل والعلم والعقل فان
فهمت فنور على نور واليقين ايقان العلم بنفي الشك والشبه عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به
علم الله والمعنى الحضوري والضروري فنور اليقين اما من قبيل لجين الما اي اليقين الذي هو كالنور في
الظهور وقيل المراد الادلة المبنية له استعارة او العقل اي رزقنا الله عقلا سليما نهتدي به بنوره الى
سبيل الرشاد وشرح مشكاة صدورنا لنعلم علوما نافعة ساطعة البرهان ودعا بذلك لان ما سواه
يتوقف عليه وقيل المراد بنور اليقين العلم اللدني والصفات بمشاهدة كشفية لا بمجرد ادلة عقلية
ومنه علم الخضر وهذه مرتبة فوق مرتبة الايمان بالغيب ولا يخفى بعده ولطف ولك لطف كقعد من اللطف
وهو الرفق والرافة وهو من صفات الله وفيه تفاسير منها التوفيق والبر والاحسان او معاملة عباده
بذلك وبايصاله من حيث لا يشعرون ولذا يوصف بالخفا وجعل تذييلا لقوله تعالى لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن ثمه قيل انه من اللطافة المقابلة للكثافة وقيل انه العلم
بالدقايق التي لا يهتدى لها والمشهور تعديته بالبا كقوله الله لطيف بعباده وجاء تعديته باللام في
قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشا لما فيه من معنى التوفيق والتيسير وتضمين لهذا ولمعنى الايصال كما ذهب
اليه صاحب العمدة والراغب وذهب صاحب المجمل الى انه حقيقة وفي النهاية يقال لطف به وله اذا رفق
واليه اشار من قال هو اجتماع الرفق في الفعل والعلم بدقايق المصالح وايصالها لمن قدرت له ولذا جمع
المصر بين حرفي التعدية فقال بما لطف به لاوليائه المتقين وهو انما يتعدى باحدهما فاما ان يقدر لاحدهما عرضي
متعلقا او تجعل البا سببية لا معدية وفي نسخة بما لطف به لعباده بالبا فيهما وهو ايضا مما مر فلا
غبار على كلامه كما توهم والاوليا جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه موال الله او بمعنى مفعول لانه تعالى تولى
امره وله معنى عام وهو كل مسلم منقاد لله وخاص وهو العارف بالله وصفاته المواظب على طاعته
المجتنب للمعاصي المعرض عن اللذات والشهوات المستغرق في شهود الذات المتحلي بكل خلق محمود وله
مراتب الا انه لا يشترط فيه ان يكون له كرامة وقال الدواني هو المتقي العارف بالله وصفاته المتوجه
بكلية قلبه الى جناب قدسه قالوا والمراد بالمعرفة ما كان عن كشف صريح صحيح بعد التهذيب وملاحظة
ذاته وصفاته في كل افعاله وعند الصوفية هو الفاني في الله الباقي به والفنا الاستغراق في شهادته
القلبية حتى لا يشعر بغيره حتى بنفسه وعدم شعوره وهو انها السير اليه والبقا به لكونه مظهرا لا
فعال الله ومراداته من غير اختياره والمتقين صفة كاشفة او المراد بهما معنى خاص لان المتقي شم

فاعل من الوقاية وهي الصيانة وفي العرف من يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله مراتب اولها التوقي عن العذاب بالتبري عن الشرك وعليه قوله والزمهم كلمة التقوى وثانيها التجنب عما يؤثم فعلا وتركا حتى الصغاير عند قوم وعليه قوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا وثالثها ان يتنزه عما يشغله عن الحق فينقطع اليه بكليته وهو المراد بقوله اتقوا الله حق تقاته فهو دعا بان يوفقه لتيسير ما يسر الذين شرفهم الله عز وجل بنزل قدسه الشريف في الاصل المكان العالي نقل لعلو المرتبة والمنزل بضمتين ويخفف بتسكين ثانيه وهو الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وهو ايضا ما يهيا للضيف اذا نزل ثم قيل لمطلق الزاد والكرامة وهذا هو المراد هنا ويكون بمعنى المنزل والمسكن قال تعالى كانت لهم جنات الفردوس نزلا ويصح ارادته ايضا والقدس بضمتين ويخفف ثانية مصدر بمعنى الطهر واسم جبل المقدس لطهارته بالعبادة فيه والقدس من اسماء الله تعالى بمعنى المنزه عما لا يليق به والمبارك وقدس الله وحظيرة قدسه الجنة وهو المراد اي شرفهم باكرامه لهم في جنته اي باسكانه اياهم فيها او بكرامة تطهير اياهم او يجعل التطهير نزلا على الاضافة البيانية كما قيل والحاصل انه خصهم بتشريفه وعلومنا زلهم وتطهيره لهم عن النقايص ولتقدم التحلي على التخلي عقبه بقوله واوحشهم عن الخليقة بانسه في نسخة من بدل عن واوحش ماض بمعنى صيرهم في وحشة ونفرة عما لا يلايم ومنه الوحش والانس ضده وهو التقرب مع الانبساط لما يهوى ولذا قيل الانس الارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وقيل هو انبساط المحب الى المحبوب والوحش بالسكون والوحش بكسر الحاصفة منه بمعنى المتوحش وشاع في العرف بمعنى القبيح ولذا نظر في القائل ووحشة لم نزل تحركها يد النوى فهي دائما وحشة والخليقة بمعنى الخلق والناس ويكون بمعنى الخلق والطبيعة وبمعنى الجديرة يقال الطبيعة خليقة بكل مدح خليقة جديرة والباء بانسه سببية يعني ان انسهم بالله واستغراقهم في مشاهدته نفرهم عن من سواه والانس هنا روحاني كما قيل فالجسم مني للجليس موانس وحبيب قلبي في الفواد انيس وخصهم من معرفته من بيانية مبينة لما الاتية ان قلنا بجواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة والمانع يقول هو بيان لامر مقدر والاتي تفصيل لما ابهم واجمل في ذلك المقدر ومعرفة الله معرفة ذاته وصفاته بوجه ما ولها مراتب وهذا مما لا اختلاف فيه انما الخلاف في معرفة الذات بالكنه هل هي واقعة ام لا ممكنة ام لا كما فصل في الكلام ومعنى المعرفة معروف ومشاهدة عجايب ملكوته المشاهدة المعاينة من الشهود وهو الحضور والملكوت صيغة مبالغة من الملك كالرحموت من الرحمة وقد يخص بما يقابل عالم الشهادة ويسمى عالم الامر كما ان مقابله يسمى عالم الشهادة وعالم الملك قيل وهو المراد هنا فهو ما غاب عن الحس وقيل بل المراد هنا الملك المشاهد ومن في قوله من معرفته ابتدائية لا بيانية اي ان الله خص اولياءه بما سرهم وولههم لانهم لما عرفوه نظروا في عجايب مصنوعاته فنشا لهم ما يملاهم نضرة وسرورا ثم نزلت بهم حيرة بين الطمع في الوصول واليأس حيرة عمت فاني في دام عرفانا فلم يحر وتحتمل البيانية بناء على جواز تقديمها كما مر ففيه احتمالات لكل منها وجهة واثار قدرته اثار بالمد جمع اثر واثار القدرة المقدورات البادية في الوجود بعد تعلق القدرة بها من بين الممكنات وقد حمل هذا على عالم المشاهدة محسوسة وما قبله على عالم الغيب كما سمعته انفا وهو الاحسن من حمله على الثاني

بماملاء

14

بما ملأ قلوبهم حبرة بفتح الحا المهملة وسكون اليا الموحدة ويجوز فتحها كما قال التونسي ثم را مهملة تليها تا تانيث وملا مهموز ضد فرغ والحبرة السرور وهو منصوب على التمييز وما الموصولة عبارة عما انكشف لهم من المعارف الالهية من مطالعة من صحف الموجودات ولطايف المصنوعات والقلب معروف وتفسيره بلطيفة روحانية تكلف كما مر وولّه عقولهم في عظمته حيرة وله مشدد اللام تفعيل من الوله يقال وله وَلِهَ من باب تعب وفي لغة قليلة من باب وعد والذكر والانثى واله ويجوز في الانثى والهة كذا في المصباح والوله الحزن او ذهاب العقل الناشي منه وفي المصباح وله اذا ذهب عقله من باب فرح او حزن وقيل الوله لغة نفس الحيرة والعقل قوة للنفس بها ادراك الانسان وتمييزها عما سواه لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان والحيرة بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية والرا المهملة قال في المصباح حار في امره يحار حيرا من باب تعب وحيرة الامر لم يهتد وجه الصواب فيه فهو حيران وقال الازهري اصله ان ينظر الانسان الى شيء فيغشاه ضوؤه فيصرف بصره عنه وفي الصحاح الوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وهو في العرف كونه مبهوتا واقفا بين المعرفة والذهول فان اعتبر فيه العقل والحيرة فلا بد فيه من التجريد والافراد وهو منصوب على انه مفعول مطلق لوله او تمييز والمعنى انهم عجزوا عن ادراكها فلما ازدادت العظمة ازداد العقل تحيرا وشرورا فان العظمة جلال الله وكبريائه التي تقف العقول دونها وفي التفسير في حديث الكبريا ردائي والعظمة ازاري اشارة الى الفرق بينهما وهو ان الكبير من هو في ذاته كبير سواء استكبره غيره ام لا وسواء عرف هذه الصفة ام لا والعظمة عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره فالصفة الاولى ذاتية لا الثانية اعلى واشرف فلذا جعلها ازارا وتلك رداء وقيل له متكبر دون متعظم فتامله وفي العبارة تجنيس ولف ونشر ان قلنا الذي ملأ القلوب سرورا معرفته والذي حير العقول عجايب ملكوته واثار قدرته لان من عرفه ابتهج بعبوديته وترقب فيضه والعبد من هو على مقدار مولاه واثرت تلك المشاهدة الوله والحيرة لان عيون البصاير لا تطيق النظر لاشعة انوار القدس وجعلوا همهم به واحدا الفا تعقيبية او تفريعية والهم في الاصل مصدر بمعنى الحزن والعزيمة والارادة وكل مطلوب يهمك ويعنيك وكل من المعاني غير الاول جايز هنا اي لما شاهدوا باهر قدرته وتحيرت عقولهم في كبريا عظمته علموا انه اسوة كل شيء فوجهوا جميع وجوه الارادة والعزيمة اليه وجعلوا قبلتهم واحدة فلا مراد لهم سواه لاشتغالهم عما عداه تملك بعض جزئي كل قلبي فان ترد الزيادة هات قلبا وفي التفسير الكبير ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل همومه هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة فكان العبد يقول همومي في الدنيا والاخرة غير متناهية فلا يقدر عليها الا الموصوف بقدرة غير متناهية فانا لا اقدر على دفع حاجاتي ولا تحصيل مهماتي بل القادر عليها الله سبحانه فانا لذلك اجعل همي مشغولا بذكره ولساني واقفا على ذكره فاذا فعلت ذلك كفاني برحمته مهمات الدنيا والاخرة وقلت انا في معناه من صير همه جميعا هما يكتال به السرور كيلا جما والحر في تلك ختما هما من يستحي لا يخاف بجرّ اظما وباوه سببية لا صلة الهم اي جعلوا قصدهم ولغباهم

به تعالى حال كونه واحدا في القصدية فلا مقصد سواه او حال كون قصدهم واحدا والمال الواحد وقيل
المعنى انهم جعلوه واحدا فلم يريدوا منه الا اياه الا ان فيه قصورا فعرفوا انهم لم يبق لهم طلب وتطلب
فقصدوه لا لشيء وهذا معنى قولهم اخر ما يخرج من الصديقين حب الجاه فتجلى لهم جمال ذى الجلال
حتى نسوا انفسهم ونسيانهم وهو كلام نفيس لكنه لا يناسب كلام المص والجار مع المجرور
يجوز ان يكون مفعولا ثانيا لجعل و واحدا حالا من الضمير المجرور او من الضمير المستتر في الجار والمجرور
وهو الاولى ولم يروا حقيقة لا مجازا وقيل لا حقيقة ولا مجازا في الدارين الدنيا والاخرة واصل
معنى الدار معروف وقد شاع في لسان الشرع استعماله فيما ذكر حتى صار حقيقة فيهما فكانهما
لقلتهما عند الله بمنزلة دار انزل فيها بعض عبيده والغافل يظنه مجازا سكنها ونقد عمره كراها
غير مشاهد الضمير لله وجملة لم يروا معطوفة على جملة جعلوا لانهم اذا لم يهتموا بغيره ذهلوا
عما عداه ويحتمل عطفها على اول الجمل وهذا يحتمل المعنيين الاول ان يريد ان في الكون مشاهدات سوى
ولكن العارف المستغرق في مشاهدة جماله وجلاله لا يراها وهذه مشاهدة الصديقين وتسميها
الصوفيه الفنا في التوحيد والثاني ان يريد انه ليس في الوجود غيره لان كل شيء هالك الا وجهه
وكان الله ولا شيء معه وهو الان كما كان على ما قاله ارباب الشهود فالمراد انه لا مشاهد حتى يرى
على حد قوله لا ترى الضب بها ينجحر ورجح بعضهم الاول والمشاهد اسم مفعول بمعنى المدرك بحاسة
البصر من الشهود وهو المعاينة او الحضور وفي الشروح هنا كلام طويل ولا حاجة لنا به فهم يتنعمون
بجماله وجلاله يتنعمون الجمال الحسن الذاتي لا الصوري والمتبادر من الحسن الثاني ولذا لا يوصف به
الله بدون تقييد وورد وصف الله به في الحديث فقال ان الله جميل يحب الجمال وليس للمشاكلة
كما فصله شراحه والجلال العظمة يعني انهم يشاهدون جمال الله وانوار ذاته بعيون البصاير
والبصر في الاخرة يرونه دون احاطة كروية غيره ويومي اليه جعل المشاهد نفس الجمال والتنعم والتزه
والتلذذ فلا نعيم لهم بغير تلك المشاهدة كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر على ما بينه المفسرون
ولم يخلق الجن والانس الا للعبادة وبها تصفية الباطن وصقل الحواس حتى يعبد الله كانه يراه وقوله
بمشاهدة متعلق يتنعمون قدم عليه للحصر ولرعاية الفاصلة وفي نسخة كماله بدل جماله والتنعم
بالجمال والكمال ظاهر واما بالجلال فقيل انه يقتضي الادب والخوف فلا يناسب فيحتاج للتاويل
او للتغليب وليس كذلك فان القرب ممن عظم وجل من ان يقرب بخطاير قدسه اعظم وقعا من غيره
فان من تقرب من سلطان جليل يسر ويفتخر بقربه وفي حكم ابن عطا الله النعيم وان تنوعت مظاهره
انما هو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوع انما هو بوجود حجابه وبين اثار قدرته اي مقدوراته
وعجايب عظمته يترددون يعني انهم قايمون في مقام جايلة فيه افكارهم لا يفترون عن الجري
في ميادين الاعتبار فتذهب تارة الى بدايع المصنوعات المشاهدة في مراى اثار باهر قدرته وتارة
ترقى لسرادق عظمته فتظل اعناقهم خاضعة وعيون ابصارهم خاشعة والتردد المجيء والذهاب
فشبهت حركات الافهام المعنوية بحركات الاجسام الجسمية ومنه التردد بمعنى الشك قال
الشاعر لا تنكر عدم الزيارة يسدى   مجتبى طبع بغير تردد   والمراد انهم مواظبون على التفكر

سيد عيسى

في عظمة الله ففيه استعارة تمثيلية وبالانقطاع اليه الانقطاع مطاوع قطعه اذا فصله
فانقطع ثم شاع في التوجه لا لاخذ شيء لامر وترك غيره وهو المراد هنا ولذا عداه بالى ويتعدى باللام
ايضا يعني انهم لما توجهوا الى الله ظاهرا وباطنا وقطعوا علايق الخلايق لتوكلهم عليه ورضاهم
بما قضاه وقدره ويجعلهم امورهم مفوضة الى الله عزوا وتقربوا الان عبد الملك العظيم الملازم
لسدته قوي عزيز ولذا ورد في الحديث من خاف الله خاف منه كل شيء والتوكل عليه يتعززون والتعزز
تفعل من العز ضد الذل ويكون بمعنى القوة ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث وكلا المعنيين جائز هنا لهجين
جمع لهج بزنة حذر اي ملازمين مداومين لذكر الله وقولهم من اللهجة بفتح الهاء وسكونها وهي في اللغة اللسان
او طرفه ويطلق على الكلام يقال هو فصيح اللهجة ولهج بالشيء من باب تعب اولع به ولزمه كما في المصباح
بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يعني ان هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين
شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبته وردهم دايما ذكر الله والاعراض عما سواه ممتثلين لهذه الاية
يعنون انهم مراقبون لله معرضون عن غيره فلذا يامرون انفسهم او يامر بعضهم بعضا بما ذكروا
لصدق مطابقة الخبر للواقع مع الاعتقاد كما هو معروف وصفة هذه الجملة الانشائية به
نظرا لما تضمنته او لقول مقدر كربنا الله ونحوه او لان الامر للتاركه ماله نحن لا نعبد بكم وتصوّ
المصنف رحمه الله التمثل به كما تمثل به الشبلي رحمه الله ممن قال له اوصني فقال عليك بالله
ودع ما سواه وكن معه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وبهذا سقط ما اورده الشراح من انه كيف
وصف الانشا بالصدق وان الاية ليست مناسبة هنا فانها هكذا وما قدروا الله حق قدره
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الى اخره اي قل الله الذي انزل التوراة لو انزلها الله فامره الله بجواب
منكري الوحي لما لتعين الجواب او تنبيها على انه لا يمكن غيره او تنبيها على انهم مبهوتون لا يقدرون
على الجواب ثم قال له ذرهم في باطلهم فما عليك الا البلاغ وجملة يلعبون حالية فتمثل بها المصنف
رحمه الله لترك ما سوى الله والانقطاع له كما تمثل بها الشبلي وان كان سياقها في التلاوة لمعنى اخر
اذ يكفي لمثله المناسبة بوجه ما وقيل وصف هذا القول بانه صادق وصف له بصفة صاحبه مثل
كتاب صادق وقيل الصدق هنا هو الخلوص والثبات والكمال كصادق الحلاوة ومنه الصداقة
ولا حاجة اليه لما مر واضافة صادق لمجرد قطيفة واستعارة الخوض من المشي في الماء للاقتحام
في الباطن كما قرره المفسرون ونحوه استعارة الخايض وفي بعض النسخ بعده قوله تعالى وهي جملة معترضة
او حالية للتعظيم والتمييز والاشارة الى ان ضمير اليه لله فليس هذا اقتباسا كما توهم لان شرطه
ان لا يذكر انه من كلام الله ثم انه قيل ان معنى هذه الاية قل يا محمد جوابا لهم عن قولهم من انزل التوراة
الله انزلها ثم در الكفار في باطلهم وهو لا يناسب هذا المقام الا ان يقال ما له الامر بقول الحق
والاعراض عن الباطل قول ما ذكروه يتراءى في بادي النظر وليس بشيء لما مر وان سلمه الشراح
واجابوا بان المراد لهجين بمثل هذا اقتداء بقوله تعالى فدفع المنكرين المغرورين بالدنيا التي امرها
لهو ولعب باطل الا ما فيها من ذكر الله فيتم الاقتباس من نور التنزيل ويناسب المقام المصنف اجل

عرضه

سيد عيسى

من ان يخفى عليه مثله وهو على طرف التمام وها هنا بحث وهو انه قيل ان ذكر الله بتكرير الجلالة بدعة
لا ثواب فيها قال الحطاب في شرح مختصر الشيخ خليل سئل العز بن عبد السلام عمن يقول الله الله
مقتصرا على ذلك هل هو مثل سبحان الله والله اكبر ونحوه فاجاب بانه بدعة لم ينقل مثله عن احد
من السلف وانما يفعله الجهلة والذكر المشروع لا بد فيه كله من ان يكون جملة مفيدة والاتباع
خير من الابتداع ونحوه ما افتى به البلقيني رحمه الله في قوم لا يزالون يقولون محمد محمد كثيرا ثم يقولون
في اخره مكرم معظم فاجاب بانه ترك ادب وبدعة لم تنقل ولا يثاب عليها وكذا قولهم على محمد
وتابعه عليه كثيرا من العلما اقول ما ذكره في اسم النبي صلى الله عليه وسلم مكررا من كونه بدعة
ظاهر لانه مع كونه لم يتعبد بمثله داخل فيما نهي عنه لقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا
بعضكم بعضا كما سياتي بيانه ولم يرد تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم الا بالدعا له والصلاة
والسلام عليه فلو عظم بمثل ذلك كان مراغما للسنة ولو ذكر احد سلطانا باسمه زجروه واهانوه
فما بالك باشرف الخلق واعظمهم واما ذكر الله تعالى فقد ورد الامر به ووعد ذاكره بالثواب في ايات
واحاديث لا تحصى كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الحديث القدسي من شغله ذكري
عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين الى غير ذلك مما لا يحصى ولم يقيد بقيد على ان الذاكر
قصده التعظيم والتوحيد فهو اذا قال الله ملاحظا لمعناه فكانه قال معبودي واجب الوجود مستحق
لجميع المحامد ولم يزل اهل الله من العلما والصلحا يفعلونه من غير نكير وكان الاستاذ البكري رحمه الله
يفعله ويقول استغفر الله مما سوى الله وكل شي يقول الله وفي مجلسه اجلة العلما والمشايخ وهذا هو
الحق وقد صنف في رد مقاله ابن عبد السلام هذه عدة رسايل راينا ها وممن صنف فيها القطب القسطلاني
والعارف بالله المرصفي والشيخ عبد الكريم الخلوتي وبه افتى من عاصرناه اللهم احشرنا في جملة الذاكرين
ولا تجعلنا من الغافلين فانك جواب اما واكده لان المسئول عنه يحس تاكيده والخطاب لسائل معين
محقق سؤاله او لغير معين مفروض وما قيل من ان مقام المصلي على من ان يفرض سائلا يتجاه
كررت السؤال وما بعده ياباه ليس بشي لانه كثيرا ما يقع من المصنفين مثله وفرض الامور لنكت
واقع في القران والحديث كثيرا كقوله ولو ترى اذ المجرمون وغيره مما لا يحصى ويجوز ان يكون من باب
التجريد كقوله طحا بك قلب في الحسان طروب وما بين اما والجواب معترض كررت السؤال
التكرار اعادة ذكر الشي مرة فصاعدا ويطلق على الذكر الثاني والاول ومجموعهما على في مجموع الجار
متعلق بكررت لما فيه من معنى الالحاح والسؤال الطلب ويكون سؤال استفهام وسؤال استعطام
وهما معروفان والمجموع اسم مفعول من الجمع ضد التفريق وفي العرف كتاب يجمع من كلام الغير كما في قوله
مجموع له رونق لرونق الجمان في عقدها كادت بساطيع الورى عنده تموت الجلد في جلدها
في عبارته هضم لنفسه بانه ليس له فيه الا الجمع والمقدر في التاليف مجموع وتقدير في شان مجموع ركيك
وفي متعلقة بالسؤال لا بكررت لانه لا يتعدى بفي بخلاف السؤال فانه يتعدى بنفسه وبعن ومن وفي اذا
كان بمعنى الرجا والشفاعة دون الاستعطا فتقول سالنا الامير في كذا ويحتمل ان يكون للتعليل كما في خلت
امراة النار في هرة فيصح تعليقه بكررت ايضا يتضمن التضمين جعل الشي في ضمن الشي وداخله فالمتبيق

سيد عيسى وابن الحنبلي والعريضي

لانهم يجعلون اللفظ ظرفا للمعنى لانه المقصود منه او هو من ظرفية الكل في الجزء من زيادة شرح وبيان
وغير ذلك وقد يعكس كما فصل في شرح المفتاح فالمعنى انه يحتوي عليه وتفسير يتحصل منه ويبينه
فيه تسمح التعريف بقدر المصطفى للتعريف الا علام واصله جعل الغير عارفا والتعريف في الميزان معروف
ويجوز ارادته هنا على بعد فيه وقدر النبي مقداره غلب في رتبة شرفه واصله تقديرا لشي بوزن ونحوه
والمصطفى المختار المنتخب فتعال من الصفوة وهو صفة غلبت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم تبلغ
حد العلمية كالرحمن ولو كان علما بالغلبة لزم تعريفه باللام او الاضافة وليس كذلك وانما ذكر في الاسما
لانهم يخصونها بالاعلام كما سياتي فما قيل من انه لقب وضعي او بالغلبة واللام للمح الاصل ليس بشي
لانه لم يسمع في عهده واسماوه صلى الله عليه وسلم توقيفية على المشهور كما سياتي قيل ولو قال بعض
قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم كان احسن ولا يخفى انه لا يلزم من سؤاله وقوع مسئوله ولذا قال
فيما ياتي تحملتني امرا امرا على انه اذا اريد الاجمال سقط القيل والقال عليه الصلاة والسلام وفي نسخة
صلى الله عليه وسلم لانه لم يقصد السجع حتى يرد عليه ان الاوفق بالسجع الاولى وانه يلزم طول
الفقرة الاخيرة ويعتذر له بانه اشار لجوازه والامر فيه سهل واسناد الصلوة لله كما سياتي اكثر نظما
وما يجب له من توقير تعظيم واكرام افعال من كرم بمعنى نفس وعز اي عده موقرا معظما بمحبته وتعظيم اله
واصحابه وما حكم من لم يوف اي يتم ويكمل من وفاه حقه اذا اعطاه اياه وافيا تاما والحكم ما حكم به
العلما فيه او خطاب الله المتعلق به واجب عظيم ذلك القدر اي مقامه الشريف وهو من اضافة
الصفة لموصوفها اي القدر العظيم واضافة واجب لاميه واحد مفعولي يوف محذوف اي لم يوفه
او يوفي النبي صلى الله عليه وسلم او لم يوف واجب قدره حقه فالمحذوف الاول والثاني وهو بمعنى
يتم ويكمل فلا حذف لتعديه لواحد وما يجب في محل نصب معطوف على تعريف وكذا ما حكم وما اشتمل عليه
اي يتضمن جواب هذا السؤال وقيل موصولة والعايد مقدر وعلى الاول المضاف لقدر هو
المفعول وهو وان اكتسب الصدارة مما اضيف اليه لا يصح عمل ما قبله فيه الا انه قصد به لفظه
على طريق الحكاية اي جواب قولك ما حكم الخ فلا يلزمه عمل ما قبل الاستفهام فيه ولا تعليق العامل
عن المعطوف دون المعطوف عليه وتعليق يتضمن وليس من افعال القلوب فيجاب بانه ضمن معناه
وذلك من وضع الظاهر موضع المضمر ولا تعليق العامل بواسطة حرف حتى يجاب باثبات النحاة له
كما في شرح التسهيل ومنه تعليق فكر ونظر نحو فلينظر ايها ازكى طعاما لتعديها بفي والواجب ما يجب
اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم او قصر في حق منصبه الجليل التقصير والاقتصار ترك
ما لا بد منه وفي المحكم قيل قصر عنه اذا تركه وهو لا يقدر عليه واقصر اذا تركه وهو يقدر عليه وحقه
ما يستحقه مما لا بد منه والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد المهملة في كلام العرب بمعنى الحسب
والشرف كما ذكره اهل اللغة واستفاض في كلام الفصحا كما قال ابو تمام ومنصب عناه والدسماء
وفي المصباح يقال له منصب وزان مسجد اي علو ورفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت
والمحتد ولمن لم يقف على هذا قال انه لغة المرجع ويطلق على المرتبة وقيل القدر فكانه من نصب
اذا حد وارتفع واما المنصب بمعنى العمل فمولد لم يرد في كلامهم اصلا كقوله نصب المنصب وهي جلدي

سيدو من تبعه

سيد عيسى

وعناي من مدارة السفل فكانه لانه نصب فيه للنظر في الامور او هو من النصب والحيلة وكذلك اطلاقه
على ما يوضع عليه القدر كقول ابي تميم كم قلت لما فار غيظا وقد انزج عن منصبه المعجب لا تعجبوا
ان فار من غيظه فالقلب مطبوع على المنصب وفيه مع استعماله المولد تحريفا اخر قلامة ظفر
اي تحصيل قليل بمقدار قلامة ظفر فنصبه لاقامته مقام المصدر او بنزع الخافض بعد حذف المضاف
وقلامة فعالة من القلم وهو القطع من الاطراف سواء كانت من ظفر او غيره كالشجر ولذا سمي القلم به لقطعه
وهو قيل القطع يراع وقصبة كما ذكره اهل اللغة واضافته الى الظفر لامية كيد زيد فلا وجه
للقول بانه بتجريد وزنة فعالة يكون لما يلقى من الشيء كالقمامة والكناسة وشذ منه الخلاصة مع
ما فيه والظفر للانسان معروف وفيه لغات افصحها ظفر بضمتين وتسكن للتخفيف وجمعه اظفار
وبما جمع على اظفر ويقال اظفر بزنة اجمل واظفور كاسبوع وقول الجوهري انه جمع ظفر سهو امن طغيان
القلم اراد ان يقول اظفر فزاد الواو وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة كما قال ابو نواس ايها
المدعي سليمى سفاها ليست منها ولا قلامة ظفر ومقلامة الظفر يشبه الهلال وتظرف
فيه سعد الدين بن عربي حيث قال ناديت من اهواه وهو مقلم اظفاره يا نزهة المتامل بعدت
ظفرك وهو بعضك فالذي يهواك اجدر بالبعاد الاطول فاجابني تظنني قلمتها عن حاجة لكن
لمعنى عن لي لا ريك يا من بالهلال تقيسني ان الهلال قلامة من انملي يعني انه حقير مبتذل
عندي والمرام بعدم توفية حقه ترك ما حقه ان يذكر كله او بعضه والتقصير ترك ذكره على ما ينبغي
فهو مغاير لما قبله فلا يلزمه عطف الخاص على العام باو وقد اباه النحاة او يعتذر بان الاول
بمعنى كثيرا وهذا بمعنى قليلا ونحوه وان اجمع لك ما للاسلاف جمع سلف وسلف جمع سالف
وهو من مضى من اصولك واقربائك ثم تم لكل متقدم من الناس والمراد من تقدمه من العلماء وهو
المتبادر عند الاطلاق وهذا في محل جر معطوف على مجموع واعيننا اي ائمة الدين المقتدى بهم من اصحاب
الكتب والمذاهب جمع امام واصله ايمة بهمزتين فابدلت الثانية ياء قيل ويجوز ان يراد ايمة مذهب
المالكية من مقال بيان لما وابينه بتنزيل صور وامثال ابين بالنصب عطف على اجمع اي يوضح ما نقله
عن المتقدمين بذكر بعض افراده او صفاته او امثلته فاستعير التنزيل وهو الاهباط من علو
الى سفل لذكر الافراد الخارجية فان الكل لعدم تحققه في الخارج بعيد عن الافهام كالعالي والجزئي
محسوس فهو كالسافل والصور بزنة كبر بصاد مهملة جمع صورة وهي النوع او الصفة او الفرد
كما ذكره اهل اللغة ومنه قول العلماء صورة المسئلة كذا والامثال جمع مثال او مثل وفي بعض
النسخ سور بسين مهملة كما ذكره ابن سلار قال والمراد الايات من تسمية البعض باسم
الكل مجازا او التنزيل معروف والفرق بينه وبين الانزال مشهود على ما فيه وقيل انه هنا بمعنى
الترتيب كما ذكره وهذا كله تكلف فالحق انه بالصاد فان المراد توضيحه بتصويره بما يحاكيه في الخارج
وذكر نظايره فاعلم اي اذا لم ترجع عن الحاحك في الطلب فاعلم امر بالعلم لصعوبة ما طلبه
قبل الشروع فيه ليلقي فكره له وسعة اعتنائه وبجوابه وكثيرا ما ياتي به المصنفون لذلك
الكلام عليه وانه قد استعملته العرب كما في قوله فاعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف ياتي كلما

قدرا فلذا خصه بالدعاء له بالاكرام فقال اكرمك الله بعدما دعي لنفسه وله سابقا وهي جملة
معترضة دعائية اي جعلك الله تعالى معززا مكرما لحسن سؤالك وعظم ما سالت عنه وكونك
باعثا لي على تدوين مثله ويجوز ان يقال انه اكرمه بسواله له لاعتقاده انه اهل لما طلبه منه
مخصوص به في عصره فلذا جازاه بهذا الدعاء انك حملتني بالحاء المهملة اي كلفتني ما يشق تحمل
الاثقال فهو استعارة تمثيلية كما في قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها من ذلك الاشارة للمسئول عنه ومن بيانية على احد القولين فيجوز نفوذها على التمييز
كما مر او ابتدائية لان حمله لذلك ابتداء ما طلبه منه ثم انتهى الى الزيادة ويحتمل ان تكون تعليلية
امرا امرا امر الاول بفتح الهمزة واحد الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر الاول اولى والثاني بكسرها
وهو بمعنى عظيم او منكر او عجيب والكل محتمل هنا الا ان الاول اولى اي كلفتني امرا عظيما لا اصفه
او منكرا عندي او عجيبا طلبه مني لاني لست باهل له ففيه تواضع وهضم لنفسه وارهقتني تبا
الخطاب والارهاق والرهق تكليف ما لا يطاق واصل معنى رهقه غشيه وقد فسر قوله ولا ترهقني
من امري عسرا بلا تكلفني امرا صعبا لا اقدر عليه وهو المحفظ عن التقصير فيما ساله فيما ندبتني اي طلبته
مني ومنه المندوب عسرا بزنة فعل وهو الامر العسير وارقيتني من الرقي وهو الصعود للمكان العالي اي
لجاتني اليه بتكرير سؤالك والحاحك علي في طلب الحاجة بما كلفتني ما مصدرية اي بتكليفك ما سالته
وهو من الكلفة وهي المشقة والتكاليف المشاق وكلفته الامر حملته بمشقة ويتعدى لمفعول ثان
بالتضعيف والكلف تغير في الوجه كالبهق كما قلت في قصيدة للبدر قلت وقد حكى وجماله فضح التكلف
شيمة المتكلف مرتقى مصعدا او صعودا صعبا وعرا شاقا ملا قلبي رعبا وخوفا وفزعا وفيه استعارة مكنية
وتخييلية وفي جعله عاليا اشارة الى علو قدره وشرفه فان الكلام في ذلك المسئول وهو تعليل لما ذكر
من الصعوبة والمشقة يستدعي تقرير اصول اي يقتضي ما لا بد منه من التقرير وهو التحقيق والتثبيت
وفي النهاية التقرير ترديد الكلام على المخاطب حتى يفهمه ومنه تقرير الدرس للطلبة واصل معناه جعل
الشيء قارا في مكانه والمراد قراره في الذهن والخارج الاوصول جمع اصل وهو في اللغة الاساس وفي
الاصطلاح ما يتبنى عليه غيره والقاعدة الكلية والدليل ويصح ارادة كل منها هنا وتقديمه على ما بعده
ظاهر وتحرير فصول اي تهذيب امور مفصلة والفصول جمع فصل بمعنى فاصل او مفصول وتحرير الشيء تلمساني
تلخيصه واظهار زبدته واصل معناه جعل الشيء حرا اي خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه
وحر الطين ما لم يخالطه غيره والحر مقابل العبد واما التحرير بمعنى الكتابة فخاص اريد به عام واصله الكتابة
المخلصة او كتابة العتاقة والحرية كما في كشاف والكشف اي الاظهار والتبيين وهو منصوب معطوف على
مفعول يستدعي لا على الكلام كما توهم فانه تعسف لركاكة المعنى وان صح عن غوامض جمع غامض او غامضة سيد عيسى
وهو خلاف الواضح واصله المكان المنخفض من الارض فاريد به ما ذكر لخفائه وجعله غامضة لتناسب
الحقايق في التانيث امرتافه لا يلتفت لمثله لا لان فاعل الصفة لا يجمع على فواعل الا انه مخصوص بصفات
من يعقل بشروطه اما اسماء الاجناس وصفات ما لا يعقل فيجوز فيها فجعلها بمنزلة الاسماء غفلة ودقايق
من علم الحقايق جمع دقيقة فعيلة من الدقة وهي خلاف الغلظة او صغر الجرم فاستعير لما يصعب ادراكه لم سيد عيسى

شاع حتى صار حقيقة عرفية لان الدقيق كذلك والمراد به بعض احوالة التى لا تدركها العقول القاصرة مما
يدرك بالكشف ومشاهدة عين البصيرة الصافية فليست هى الغوامض السابقة لاسيما اذا فسرت
بامر قبل البعثة فليست بمعنى لان المقام يفتقر فيه التكرار وكيف يأتى هذا مع قوله من علم الحقايق وهى
جمع حقيقة وهى الذات والماهية المركبة من الذاتيات او العلوم المدركة بتصفية الباطنة كما اصطلح
عليه ارباب السلوك وهى غير منافية للمعنى الاول وهى فى كلام العرب الامور التى يحق حمايتها والانفة
من تركها عن الروسا وقال الخليل الحقيقة ما يصير اليه حق الامر ووجوبه كما قال لم ندر انى قد حميت حقيقتى
وباشرت حد الموت والموت دونها قاله المرزوقى بما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم بيان لما قبله وقيل انه
بيان للمكشف وما يجب له كالعصمة وعموم الرسالة وشرفه ذاتا وحسبا ونسبا ونحو ويضاف اليه
اى ينسب له ويوصف به وعطفه بالواو لانه غير مقابل لما قبله وهو كالقيد له وقيل المراد به
خصايصه صلى الله عليه وسلم ولا يرد عليه ما سيصرح به لما سيأتى او يمتنع عليه كالعيوب
والنقايص وما لا يليق بمقام الرسالة او يجوز عليه من امور البشر كالاسقام والاعراض التى لا تورث
نفرة ويضاف وما بعده معطوفة على الصلة لا صلة موصول محذوف كما جوزه الكوفيون فى نحو قوله
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء كما بين فى محله ومعرفة معنى النبى والرسول والرسالة
والنبوة والخلة والمحبة روى بالنصب عطفا على مفعول يستدعى وروى بالجر عطفا على ما يجب لا على
دقايق كما فى المقتفى وقيل على المضاف اليه تنزيه والمراد بالمعرفة هنا معناها المشهور لا التعريف وانجاز
وانما استدعى الحال معرفة هذه لابتناء كثير من صفاته صلى الله عليه وسلم عليها وخصايص هذه
الدرجة العلية مجرور معطوف على النبى والدرجة واحدة الدرج وهى المراقى والمراد بها هنا رتبة النبوة والرسالة
لنبينا صلى الله عليه وسلم وغيره ولذا لم يقل خصايصه وقيل الجامعة لهذه الصفات كلها والخصايص
ما يختص به ولا يتعداه لغيره جمع خاصة او خاصية على كلام فيه فى شرح المفتاح وها هنا مهامه
ها هنا اشارة الى المسلك الذى سلكه للوصول للمقصد والمهامه جمع مهمه كجعفر وهو البلد والمفازة
البعيدة قيل انها سميت بها لانها لكونها مخوفة يخفض فيها الاصوات فيقول كل لرفيقه مه مه كما سميت المفازة
اصمت فيح بفا مكسورة ويا ساكنة وحا مهملة جمع افيح او فيحا وهى الارض الواسعة والمهمه يذكر ويؤنث
كما قال ومهمه مغبرة ارجاؤه وفى هذا الانتها د نظر وهذه استعارة تمثيلية شبه بيان ما ذكر لصعوبته
بفلاة لاحتياجه لسعة الاطلاع وتوقفه على انظار دقيقة فى معرفة مقام النبوة فانه قد يقع فيها ما لا
يليق به صلى الله عليه وسلم او يصفه بما ليس فيه فيدخل فى زمرة من كذب عليه صلى الله عليه وسلم وهذا
من عطف القصة على القصة لبيان صعوبة ما كلفه السايل بطريق اخر حيث جعله اولا جبلا شامخا وعرا
صعوده لم يعد النزول منه بمفازة بعيدة كما قيل كيف الوصول الى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن
حتوف ومما يقضى منه العجب ما قيل انه جواب سؤال مقدر اى كيف زعمت انك كلفت امرا عظيما
صعبا وهذا امر لا صعوبة فيه فاجاب بانه كيف لا يصعب وسالكه محتاج لاقتحام مهامه فيح هذا
شانها وكيف يصح جعله جوابا للسؤال المقدر مع اقترانه بالواو مع انه لا وجه للسؤال ولا للجواب سوى
تسويد وجه الصحف يحار فيها القطا حار يحار كخاف يخاف اذا لم يهتد لقصده وضمير فيها للمهامه والقطا

طائر

18

طائر معروف واحدته قطاة وهى توصف بسرعة الطيران والاهتدا فى الظلمات والتبكير حتى يقال انها
ترد الماء من مسيرة عشرة ايام ثم تعود من ليلتها فلا تخطى صادرة ولا واردة ولذا ضرب بها المثل فقيل اهدى
من القطا كما قيل والناس اهدى فى القبيح من القطا واضل فى الحسنى من الغربان وهذا اما داخل
فى التمثيل او ترشيح له للمبالغة فى بعد هذا المقصد والمراد انه مما تضل ارباب الهداية وتتحير فيه
وقيل انه استعارة اخرى تصريحية وتقصر عنها الخطا وفى نسخة بها بدل عنها وتقصر بفتح التا
وسكون القاف وضم الصاد مضارع قصر بزنة كرم ضد طال والخطا بضم الخا جمع خطوة وهى
ما بين القدمين والمعنى ان هذه المهامه مع سعتها وكونها لا يعلمها سالكها وغيره او لكونها وعرة
ذات شوك وصخور تمنع الماشى فيها مزيد الخطا وبابها بمعنى فى وسببية وعلى النسخة الاخرى
قصرها عنها بمعنى العجز عنها لما مر او لطولها او هو على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر فالمراد انها
لا تسلك اصلا وهو من جملة الترشيح او التمثيل او هو تمثيلية اخرى وعلى كل حال فالمراد صعوبة
ما كلف به وان الافكار فيها بطية الحركات او عاجزة عنها رأسا وما بعده كالتجريد كما ستراه ومجاهل
مرفوع غير منون جمع مجهل وهو المفازة التى لا اعلام فيها كما فى المقتفى وهو المراد هنا وقيل المجهل
المفازة ايضا وفى القاموس المجهل ما يحملك على الجهل ومجهلة تجهيلا نسبه اليه وارض مجهل كمقعد
لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقال ابن سيدة فى قوله انا لنصفح عن مجاهل قومنا مجاهل فيه
ليس له واحد يكسر عليه الا قولهم جهل وفعل لا يجمع على مفاعل فهو من قبيل ملامح ومحاسن انتهى
وفيه نظر لا يخفى وعلى القول بان مجهل اسم الارض لا يثنى ولا يجمع فجمع المصنف رحمه الله له اما على
القياس لانه مفعل ومفعله يجمعان اطرادا على مفاعل او يكون ثبت ذلك عنه فان قلت ما معنى
قوله فى القاموس ما يحملك على الجهل قلت يريد ما ذكره اهل اللغة والعربية من ان صيغة مفعل
تكون للزمان وتكون فى كلام العرب لا يقتضى وقوع ما اشتق منه ويدعو اليه وان لم يقع بالفعل
كقولهم الولد مجبنة ومبخلة اى يجعل المرء جبانا لتخلفه بسببه عن الحرب لحرصه على بقائه ليربى ولده
وبخيلا ليبقى ماله لولده وهو من نوادر العربية فاعرفه تضل فيها الاحلام تضل بفتح الفوقية وكسر
الضاد المعجمة مضارع ضل اذا لم يهتد او بمعنى هلك والاحلام جمع حلم بكسر الحا وسكون اللام
بمعنى العقل اى العقول اى العقول غير مهتدية لمعرفتها على الاستعارة المكنية والتخييلية او هو اسناد
مجازى وهو احسن من تقدير ذوى الاحلام لانه يزيل بها رونق الكلام وجعل الاحلام مجازا عن اهلها
والمراد الصعوبة بعيدا ان لم تهتد بعلم علم يهتد مبنى للفاعل اى انه لم يحصل لها الهداية لتمسكها
بها وسلوكها بدليلها ويجوز بناؤه للمجهول وعلم بفتحتين العلامة المنصوبة فى الطريق لتعرف بها
ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى الجبل ايضا لانه يهتدى به كما قالت الخنسا وان صخرا لتأتم الهداة به
كانه علم فى راسه نار وفى قولها صخرا وهو اسم اخيها لطيفة اتفاقية لمناسبة الجبل وعلم ضد جهل
لا اضافة المشبه به للمشبه كقوله ذهب الاصيل على لجين الما وقد يضاف المشبه للمشبه به
كما تقول نهر شربت منه ماء الدر المذاب ولك ان تقول انه استعارة العلم بفتحتين للكبير من العلما
لاهتداء الناس بعلمه كما يقال لفلان جبل فى العلم او لعلو قدره واشتهاره كما ضرب به البيت وبين

بعلم وعلم تجنيس وقيل في عبارة المصنف ان علم الاول بكسر فسكون والثاني بفتحتين عكس المشهور
وهو وان لم يخل من وجه صحة خلاف الاولى ونظر سديد النظر بمعنى الابصار والفكر وهو ترتيب
امور معلومة للتادي الى مجهول وقيل ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول والملاحظة توجه النفس
نحو المعلوم الحاضر في ذهنه والسديد ما له سداد بفتح السين وهو الصواب من القول والعمل وانما
يحصل بالنظر ومداحض معطوف على ابهامه وهو جمع مكان الدحض بالدال وحا مهملتين وضاد معجمة
وهو الزلق وسقوط الماشي ونحو مما يزيل الاقدام عن محالها لوحل ونحوه وفيه استعارة تصريحية للوقوع
في الخطا لغموض الطالب ودقتها بزلة القدم في المزالق المودية للسقوط وقوله تزل بها الاقدام بفتح حرف
المضارعة وكسر الزاي المعجمة او فتحها من الذلل وهو الزلق في الطين ونحوه ويتجوز به عن الخطا فهو تاكيد
لمداحض وترشيح او تجريد نحوي والاقدام جمع قدم وهو معروف وهو استعارة تمثيلية لكثرة الخطا وتمامه قيل
من ان المراد بالاقدام المعقول في الاذهان المدركة بجامع الايصال الى المرام على انه استعارة تصريحية
غير سديد واستعارة الرجل للعقل لا تخفى ركاكتها على من له عقل ان لم تعتمد على توفيق وتاييد من الله عز
وجل الاعتماد افتعال من العمد وهو في الاصل ما يتكي عليه ويستند اليه ثم شاع في كل ما يعول عليه
وهو بمعناه الاصلي مناسب لمداحض والثاني مناسب للمقصود ففيه تورية والتوفيق خلق القدرة على الطاعة
وقيل خلق الطاعة وقيل تسهيل سبيل الخير واصله جعل الاسباب على وفق المسببات وهو تفعيل من الوفق
كما ان الاتفاق افتعال منه ثم خص بما ذكر وهو اوفق باصله من قول المعتزلة انه اظهار الايات الدالة
على وحدانيته وايداع ما يعرف به في الانسان كالعقل والسمع والبصر لطفا منه تعالى والتاييد
التقوية والاعانة من الايد وهو القوة والمعنى انه ان لم يعنه الله بتوفيقه وتاييده زل واخطا وما الحق
تذييل الحيرة والضلال بقوله ان لم يهتد الى اخره وتذييل الزلل والدحض بقوله ان لم يعتمد ولما كان ما ذكر
للسايل من صعوبة مطلوبة وتوقفه على امور خطيرة يشعر بعدم اجابته استدرك دفعه بقوله لكني لما
رجوته بكسر اللام الجارة وتخفيف ما الموصولة والعايد محذوف اي لما رجوته ويجوز ان تكون موصوفة وليس لما بفتح
اللام وتشديد الميم ولا ما المصدرية لاحتياجه للتكلف والجار والمجرور متعلق بمقدر مقدم
او موخر للحصر اي اجبتك لهذا دون غيره او دون غيرك والرجا بالمد ترقب ما يرجى حصوله
والفرق بينه وبين الطمع ان الراجي مومل لعدم الفوت بسبب رجا نه له وقد يستعمل كل منهما
بمعنى الاخر كقوله والذي اطمع ان يغفر لي ولك قدم نفسه لمطابقته للمقام ولان المرء يبدا
بنفسه في الخير وليس الايثار مطلوبا في كل محل ولذا استحب تقديم المرء نفسه في الدعا كامر ولما قيل
من ان النفس تراعي حالها اولا الا من شرفت نفسه فانه يوثر غيره من نوال وثواب في هذه السوال
والجواب فيه لف ونشر غير مرتب لان النوال والثواب ناظر لقوله لي والسوال والجواب لقوله
لك والنوال العطا كالنايل والمنال والنا ولفا عل منه والثواب من ثاب اذا رجع وهو الجزا
بخير او شر لكن العرف والشرع خصصه بالخير كما في النهاية وهو المراد هنا ومن بيانية مبينة لما
على الوجهين وقد يقال ليس فيه توزيع لتعلق كل منهما كما ذهب اليه بعض الشراح لان للمصنف
عطا من الله لما صنفه وله ثواب عليه وللسايل نوال وعطا لوصوله لمسوله وثواب لتسببه

عرضی

لايجاد

عرضه

لايجاد هذا الكتاب والدال على الخير كفاعله كما سياتي ووجه الاول ان النوال عطا دنيوي عاجل
للسايل بسواله والثواب اخروي للمصنف على اجابته لان المتبادر من النوال الدنيوي ومن الثواب
الاخروي فلا وجه لما قيل من انه لا دليل عليه وفي بعض النسخ ثواب النوال بالاضافة وهو موّيد
للثاني بتعريف قدر الجسيم التعريف للتبيين والبا سببية والقدر شرف الرتبة والجسيم العظيم
الجسم فاريد به مطلق العظيم على انه مجاز مرسل او استعارة تخييلية بتشبيه العظيم المعنوي
بالحسي والقدر الجسيم ان كان علو مرتبة عند الله والناس فهو مغاير لما بعده وعطفه عليه
ظاهر وان اريد اتصافه بكل صفة حميدة فهو من عطف الخاص على العام والى كل منهما ذهب
بعض الشراح وخلقه العظيم الخلق بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو الطبيعة والسجية
وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة
كل عارض غير قار من الاحوال وبصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها
من الصنايع وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوايب وكذا ما صدر بغير
بفكر فكله لا يسمى خلقا والخلق للنفس بمنزلة الخلق للبدن والخلق الحسن من اعظم المنن من الله
وفي الحديث اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وخلق النبي صلى الله عليه وسلم
اعظم الاخلاق قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وسياتي الكلام فيه وبيان خصايصه جمع
خصيصه وهي ما خصه الله تعالى به فانفرد به عن كل ما سواه او انفرد به عن غيره من الانبياء عليهم
الصلوة والسلام او عن امته والاولى خصايص مطلقة حقيقية وما عداها اضافية وليس
جمع خاصة لانها كالخاص خلاف العامة لا بمعنى ما انفرد به ولا الخاصة بمعنى الاثر الذي لا يظهر
سببه كجذب المغناطيس الحديد في مصطلح الاطبا وكخواص التراكيب عند اهل المعاني على ما فصل
في شروح المفتاح وما ذهب اليه بعض علما الشافعية من منع الكلام على الخصايص النبوية
او كراهته قيل انه متاول وقيل غير صحيح كما في الخصايص الكبرى وسياتي بيانه وقيل محل الخلاف في
بيان ما حرم عليه كنزع لامته وخاينة الاعين وفيه نظر والحق ان منها ما يلزم ذكره لئلا يقتدى
غيره او يدفع توهم ارتكابه لغير المشروع كزيادة زوجاته على اربع وما هو مستحب كغيرها ويدخل
فيها ما اختصت به امته عليه الصلوة والسلام واذا عرفت هذا فقوله التي لم تجتمع قبله
في مخلوقه بيان شامل لساير الاقسام لان المراد انه تفرد بمجموعها دون كل فرد منها فاعرفه وما يدين
الله تعالى به اي يعبد ويطاع لامره به من الدين المعروف وهو معطوف على خصايصه وقيل
على قدره من حقه بيان لما وقد ورد في الادعية الماثورة اسالك بحق محمد فقالوا المراد بحقه رتبته
ومنزلته او الحق الذي جعله الله له على امته تفضلا به عليه كما في الدر المنظم لابن حجر والمراد هنا
الثاني وهو ما يجب له صلى الله عليه وسلم على امته من حق بمعنى ثبت ويجوز ان يراد به ما يقابل
الباطل من اليقين الثابت حقيته بالدليل كما قيل وفيه تكلف كالقول بان من للتبعيض لان
اضافته للعموم فلو كانت بيانية لزم ادعا بيان جميع حقوقه او المراد جنس الحقوق فتامل الذي
ارفع الحقوق صفة مادحة والمراد انها ارفع من غيرها من حقوق البشر لا مما عداها حتى من حقوق الله

عرضی

وارفع من الرفعة وهي العلو والشرف فتعريف الحقوق للعهد او الاستغراق العرفي ويجوز ان يكون صفة مخصصة
للحق وتخصيص الارفع منها بالذكر اهتماما به والمراد بيانه على طريق الاجمال اذ التفصيل يضيق عنه
الحصر ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا الاستيقان استفعال من اليقين من يقن
كفرح واستيقن وتيقن وايقن بمعنى علم علما محققا لا شبهة فيه لانتفائه بالادلة النافية للشبه ولذا قيل
انه لا يوصف به علم الله ويقال ثلج اليقين دون العلم كما فصلناه في عناية القاضي البيضاوي وقوله ويزداد
افتعال من الزيادة وفيه دليل على ان الايمان يقبل الزيادة والنقص والكلام فيه مفصل في محله لا حاجة
لنا به هنا واقتبس المصنف رحمه الله الاية هنا تعليلا لتعريف قدره وخلقه وخصايصه الذي به
يتيقن ذلك او لكون نعمه بدت ببيان حقوقه فكانه قال بتعريف قضايله وخصايصه يتحقق تيقن اهل الكتاب
حقيقة رسالته لموافقته لنعته المذكورة في كتبهم ويزداد ايمان المؤمنين من امته بتحقق ما له صلى الله
عليه وسلم من المحامد فالمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل وغيرهما
من الكتب السماوية وتخصيص هولا بالذكر ليس للحصر لان المراد تعميمه وشموله لجميع اهل العلم ابن الحنبلي والعرضي
باحوال الانبيا عليهم الصلوة والسلام لا بمجرد اتباع معنى النظم القراني وان لم يطابق السياق
كما قيل وقد يقال المراد بالذين اوتوا الكتاب اهل العلم بالتفسير والحديث ومن بعدهم ما عداهم
من المؤمنين والمعنى ان هذا التعريف المتيقن ما تضمنه العلما ويزيد ايمان العوام ويجوز للمقتبس ان يقصد
غير المراد به على طريق التمثيل وان كانت هذه الاية وردت في عدد خزنة جهنم وكونهم تسعة عشر
فانه مما استيقنه اهل الكتاب لموافقته ما عندهم وازداد ايمان غيرهم لعلمهم بذلك وفي ذلك دليل
على ان الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان والكلام فيه مشهور فلا حاجة لذكره اذ لا يخفى عرضي
ان ايمان الانبيا والملايكة عليهم الصلوة والسلام ليس كايمان غيرهم فان قلنا بدخول الاعمال
فيه فهو ظاهر كما بين في الاصول ولما بكسر اللام وتخفيف الميم من ما الموصولة او الموصوفة وتقدير
العايد كما مر وهو علة ثانية للتعريف المستفاد من هذا الكتاب اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب
المراد بالذين اوتوا الكتاب هنا ايضا اهل العلم مطلقا او اهل الكتب المتقدمة في النزول واليهود
كما هو احد التفاسير في هذه الاية وقد استدل بها على وجوب نشر العلم والمراد بما العهد والميثاق
الذي اخذ الانبيا عليهم الصلوة والسلام على اممهم ان يبلغوا ما سمعوا كما قال نبينا صلى الله
عليه وسلم الا ليبلغ الشاهد منكم الغايب ونحوه وقيل المراد ما اخذ من العهد يوم الست بربكم
في عالم الذر ليبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ولم يتل
الاية بتمامها لعدم مناسبة باقيها لما اراده والضميران المنصوبان للنبي صلى الله عليه وسلم
لعلمه بما سبق في كلام المصنف وان كان في النظم بخلافه فلا حاجة الى القول هنا بانه علم من السياق
وان لم يجر له ذكر كما قيل وقيل هما للكتاب وهو عام للعلوم والعلما ويدخل فيه امر النبي صلى الله عليه
وسلم دخولا اوليا ولم يوكد يكتمونه كما اكد ليبيننه قبله اما لانه جملة جوابية ولا يكتمونه حالية
وليست كما قيل بتقدير مبتدا اي وهم لا يكتمونه لاجل الواو والحالية لان الحال المنفية يجوز فيها الوجهان
وليست كالمضارع المثبت كما صرح به النحاة او هو معطوفة على الجواب فهو جواب والجواب للنفي

لم يؤكد وقيل

20

يؤكد قيل وهو اصوب تنبيه قال الزركشي في قواعده تصنيف كتب العلم لمن منحه الله فهما واطلاعا
فرض كفاية ولن تزال هذه الامة مع قصر اعمارها في ازدياد وترق في المواهب والعلم فلا يحل كتمه فلو
ترك التصنيف لضيع العلم على الناس وقد قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الخ وفي التوراة
علم مجانا كما علمت مجانا انتهى فان قلت قوله ليبيننه هل هو جواب قسم معلوم من السياق او مقدر
قلت هذا محتمل الا ان ابن الاثير قال في كتاب البديع ان للعرب الفاظا تتلقاها تارة بما يتلقى به
القسم كقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس الاية وتارة لا تتلقا
هابه كقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة وتارة يكون الذي
بعدها يحتمل الامرين كقوله واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم وفي معنى هذه الاية قوله
ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله
ويلعنهم اللاعنون قال الشيخ والذي الشهاب بن حجر قال ابن عباس وجماعة انها نزلت في اليهود
والنصارى وقيل في اليهود لكتمهم صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة وقيل هي عامة وهو الصواب
لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم ذكر الاية التي ذكرها المصنف وقال انها نزلت
في اليهود وكتمهم صفته صلى الله عليه وسلم وغيرها والعبرة فيها ايضا بعموم اللفظ والبينات
ما نزل على الانبيا عليهم الصلوة والسلام من الكتب والوحي والهدى الادلة العقلية قال
وقوله في الاية الثانية من بعد ظرف لقوله يكتمون لا لانزلنا لفساد المعنى يعني ان البيان متاخر
عن الكتم لا عن الانزال لسبقه عليه وهو غير مسلم لجواز ان يراد بما انزل وبين ما انزل في التوراة
وبين لاسلاف بني اسرائيل المص رحمه الله وبالكتم اليهود الذين كانوا في زمن نبينا عليه الصلوة والسلام
وعلى هذا يجوز تعلقه بكل منهما ولما استدل على مدعاه بالنظم الكريم عقبه بالاستدلال بالحديث فقال
ولما بكسر اللام وتخفيف الميم ايضا حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله هو الامام
القرطبي الزاهد المحدث المعروف بابن العواد احد شيوخ المصنف وقد اجتمع للمصنف من الشيوخ
بين من سمع منه ومن اجازه مائة شيخ وهو ممن عرض عليه القضا فلم يقبله وتوفي بقرطبة سنة تسع
وخمسمائة ومولده سنة اثنين وخمسين واربعمائة بقراتي عليه قال المحدثون من سمع من لفظ شيخه
يقول حدثنا واخبرنا وانبانا قال العراقي وهو متجه ومن قرا عليه او سمع بقراءة غيره عليه فالاجود
ان يقول قرأت على فلان وقرئ عليه وانا اسمع وفي العرض يقول حدثنا فلان بقراتي عليه او قرئ
عليه وانا اسمع كما فصل في مصطلح الاثر ولذا قال المصنف رحمه الله بقراتي عليه قال حدثنا
الحسين بن محمد هو الحافظ ابو علي الغساني المشهور قال حدثنا ابو عمر قال الحسين حدثنا ابو عمر وهو
شيخ الاسلام حافظ المغرب ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي صاحب الاستيعاب وغيره
من الكتب الجليلة ولد في ربيع الاخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة بقرطبة وتوفي بشاطبة ليلة
الجمعة سلخ ربيع الاخر سنة ثلاث وستين واربعمائة وعمره خمس وتسعون سنة وقوله النمري بفتح
النون والميم نسبة الى النمر بفتح النون وكسر الميم اسم قبيلة وهو في الاصل اسم جدهم النمر بن قاسط
بن هنب وفتحت ميمه في النسبة تخفيفا لئلا تتوالى كسرتان وياء مشددة على القياس المطرد في كل

مكسور العين مضموم الفا او مكسورها او مفتوحها فان كان مكسورها كما بلى جاز فيه الفتح وابقا كسرها
كما ذكره النحاة قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن في المغني هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي
من قدماء شيوخ ابن عبد البر وفي الميزان انه كان تاجرا صدوقا لقي الكبار واخذ عنهم الا انه لم يكن
جيد الضبط فربما وقع له الخلل والمصنف نسبه لجده حدثنا ابو بكر محمد بن بكر المعروف بابن داسه من مشايخ
الحديث المشهورين وداسه بدال مهملة تليها الف ثم سين مهملة بعدها ها تانيث وهو احد رواة
سنن ابي داود قال حدثنا سليمن بن الاشعث هو الامام الحافظ ابو داود سليمان بن الاشعث
ابن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الازدي السجستاني صاحب السنن ولد سنة ستين ومائتين وسمع
بمصر والحجاز والعراق من خلق كثير وروى عنه ابن داسه وغيره وله ترجمة مفصلة في التواريخ ومات
في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة قال حدثنا موسى بن اسمعيل هو ابو سلمه
بن اسمعيل المنقري التبوذكي نسبة لتبوذك بمثناة فوقية مفتوحة فموحدة فواو مضمومة فذال
معجمة مفتوحة تليها كاف اسم موضع نزل قوم من اهله عند ابي سلمة هذا فقيل له تبوذكي او لانه
كان له دابة واصل معنى التبوذكي من يبيع ما في بطون الدجاج ككبدها ونحوه وقيل انه نسبته
ايضا لبيع التبوذك وهو السرجين وموسى هذا روى عنه اصحاب السنن ووثقوه وقيل انه
فيه لين توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين قال حدثنا حماد اطلقه والمراد به كما قاله ابرهيم الحلبي
حماد بن سلمة بن دينار احد الاعلام مولى قريش او تيم وهو ثقة لم يتهمه الا من رق دينه وقيل انه كان
من الابدال لانه تزوج كثيرا ولم يولد له وهو من عادتهم كسرعة الصلوة لطي الزمان لهم او لعين كما
ذكره السيوطي في ترجمة ابن الهمام رحمه الله وكان مجاب الدعوة ولم يرد حماد ابن زيد وان كان من الكبار
ايضا لان التبوذكي تفرد بالرواية عن حماد بن سلمة ولم يرو عن حماد بن زيد كما قاله ابن الجوزي في كتاب
الجمال في اسما الرجال فما في بعض الحواشي من انه حماد بن زيد وهم توفي سنة مائة وسبع وستين وله
ترجمة في الميزان قال حدثنا علي بن الحكم البناني البصري وقد روى عنه الحمادان وعداه من المحدثين
توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو ثقة وقيل فيه لين عن عطا هو اسم مشترك بين جماعة
منهم ابن ابي رباح ابو محمد المكي القرشي مولاهم احد الاعلام روى عن عايشة وجابر وابن عباس
وزيد بن ارقم رضي الله عنهم وروى عنه الاوزاعي وابو حنيفة وغيرهما وعاش ثمانين سنة وتوفي سنة
خمس او اربع عشرة ومائة وهو من كبار التابعين المتفق على توثيقه وجلالته وفي المغني انما ميزته
لاشتراك اسمه بين جماعة رووا عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذا هو المراد دون غيره وقال التلمساني
المراد به عطا بن يسار الهلالي مولى ميمونة ام المؤمنين رضي الله عنها ورجح الاول بان الذهبي
وابن الجوزي لم يذكرا لعطا بن يسار رواية له عن ابي هريرة رضي الله عنه ولا يخفى انه لا يلزم من عدم
ذكرهما ان لا يكون له رواية عنه في الواقع مع ان النووي وغيره قالوا له رواية عنه اقول
هذا كله خبط عشوا فان المصنف رحمه الله روى هذا عن ابن عبد البر وقد ذكره في كتاب العلم
وصرح بانه ابن ابي رباح كما رايته فيه وعبارته قال قرات على عبد الوارث بن سفيان ان قاسم بن
اصبغ حدثهم قال حدثنا بكر بن حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الوارث عن علي بن الحكم عن جل

عن عطا

عن عطا ابن ابي رباح عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم وساق الحديث والرجل الذي
رويته عن عطا يقولون انه الحجاج ابن ارطاة وليس عندي كذلك والحجاج بن ارطاة مشهور بالتدليس
ورواه حماد بن سلمه عن علي بن الحكم ولم يقل عن رجل وكذلك رواه عمارة الصيدلاني عن علي بن الحكم
عن ابي هريرة رضي الله عنه ثم ذكر له طرقا اخر وقال الحسن دخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نزدد الا غما اللهم
اليك نشكو هذا العشا الذي كنا نحدث ان اجبناهم لم يفقهوا وان مسكنا عنهم وكلنا هم الى غي شديد
لولا ما اخذ الله على العلما في علمهم ما انبا ناهم بشي ابدا وكان ابو هريرة رضي الله عنه يقول لولا آيتان
في كتاب الله ما حدثتكم شيئا ان الذين يكتمون ما انزلنا والتي تليها الحديث انتهى فاخذ المصنف رحمه الله
ما قاله ابن عبد البر وقدم فيه واخر وغير والمراد انه في اصله صرح بان عطا هو عطا بن ابي رباح فما في الحواشي
ناش من عدم الوقوف على نقول الائمة عن ابي هريرة الدوسي وهو ممن غلبت كنيته اسمه ولذلك اختلف
فيه وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كناه بها لما راه يحمل هرة في كمه وقيل المكني له غيره صلى الله عليه وسلم
وفي اسمه اقوال نحو الثلاثين اشهرها انه عبد الله او عبد الرحمن وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس واسلم
عام خيبر وشهدها ولازم مجلس النبي صلى الله عليه وسلم صابرا زاهدا ولذا عد من احفظ الصحابة
رضي الله عنهم وروى عنه ما لم يروه عنه غيره وفي البخاري عنه انه قال لم يحفظ احد اكثر مني الا عبد الله
بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب وانا لا اكتب وكان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له بالحفظ فلم ينس
شيئا سمعه بعد والحديث فيه معروف ومات بالمدينة وقيل بالعقيق وفي الشروح الحديثة نقلا
عن الحافظ ابن حجر ان هريرة مجرور بالكسرة لان المجموع علم منقول والمنقول يبقى عليه اصله قبل
النقل لان جزء العلم غير علم فلا يخرج عن تنكيره وصرفه ولو اعطى مثله حكم العلم لم تدخل اللام في مثل
شمس الدين فيجوز ابو الهريرة وابو هريرة بالتنوين وكونه غير منصرف للعلمية والتانيث لان المضاف
والمضاف اليه ككلمة واحدة ورد عليه انه يلزمه رعاية الاحوال في لفظه واحدة فيعرب اعراب
المضاف اليه نظرا لاصله ويمنع صرفه نظرا للحال الثاني قال ابن الهمام الحلبي قال هريرة لا ينصرف
لكثرة الاستعمال واطال فيه من غير طائل وانا اقول هذا كلام ناش من عدم التامل وهو مما يقضى
منه العجب فان السماع فيه منع الصرف وكتب العربية مشحونة بنقله عن علما العربية وهو مصرح
في ايضاح ابن الحاجب وفي كتب ابن مالك ونقله شراح التسهيل واتفق عليه شراح الكشاف فانهم
بقاطبتهم قالوا في شهر رمضان المركب الاضافي اذا جعل علما فجزوه الثاني هو المنظور اليه في احكام
العلمية ولزوم الاذا قارنت الوضع وامتناعها في غيرها كابن داية وصرح به سيبويه وابو علي
رحمهما الله وانما غرهم فيه كلام بعض المتاخرين من المغاربة نعم في بعض حواشي المفصل انه لا مانع
من لحاظ اصله الا انه يا باه السماع وقد اشبعنا الكلام عليه في السوانح فان اردت شفا الغليل
فانظره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار
قال السيوطي رحمه الله في تخريج احاديث هذا الكتاب هذا الحديث اسنده المصنف رحمه الله من طريق
ابي داود واخرجه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وابن ماجه بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين
انتهى واسنده ايضا ابن عبد البر من طرق كما مر وما نقل عن الامام احمد من انه لم يصح وعن غيره من انه

ضعيف لا يلتفت اليه وفي الفاظ طرقه اختلاف ففي بعضها كتم علما مما ينفع الله به الناس وفي بعضها ثم
كتمه يدل فكتمه والمراد كما قالوا بالعلم المتوعد على كتمه ما يلزم تعليما وتعيين كتعليم حديث عهد باسلام
ما يتعلق بالصلاة ومستفت في الحلال والحرام ولا حاجة لتقييده باهلية المسائل لحديث واضع
العلم عند غير اهله كمقلد الدرر قاب الخنازير لانه ليس على اطلاقه فان لا فما فرض كفاية فان تعين
كان فرض عين وقال الفقها ايدا الله الدين بقائهم يجب على الامام في كل مسافة قصر ان يضع فيها من يعلم
الناس امر دينهم ومن العلم ما هو فرض كفاية كالفقه وما هو فرض عين كمعرفة الله وما يجب له وما يستحيل
عليه ومباح كالعلوم التي ليست بدينيه وحرام كالسحر والشعبذة والكتم الاخفا والجام بزنة ركاب
ما يوضع في فم الدابة معروف وهو معرب لكام او لعام وقيل انه عربي لتصريفه كالجم ويلجم وهو في العرب
نادر ولجمه اذا وضعه في فمه والجمه العرق اذا وصل الماء لفمه ويقال الجم اذا اسكت قال ابو نواس مهت
بدا الصمت خير لك من داء الكلام ‌ ‌ انما السالم من الجم فاه بلجام ‌ ‌ والالجام في السكوت والفرق
مجاز شاع حتى صار بمنزلة الحقيقة والجمه العرق بمعنى اهلكه ابلغ من علا عليه الماء لما فيه من بيان
سبب هلاكه بمنع النفس والمقصود هنا انه يحرق جملته كما في الجمه الفرق وان اراد احراق لسانه
بدخول النار لفيه او يوضع حديد محماة فيه ويجعل ذلك علامة عليه لانه كالحيوانات البهم فجوزي
من جنس عمله لفظا ومعنى فهو مستعار لما يمنع الكلام كاللجام المانع من الجماح او هو مجاز مرسل والاستعارة
التخييلية غير مناسبة هنا والجام للالة او المصاحبة وقيل ان الله يخلق له صورة لجام من نار يمنع
في فيه وقيل انه تشبيه لما وصل لفيه من النار وخص اللجام لتشبيهه بداية منعت عما تريد وهو
تكلف وهذا لا ينافي قوله يوم تشهد عليهم السنتهم الاية لان في القيمة مواقف متعددة
لكل منها حال يخصه يوم القيمة سمي به اليوم الموعود لقيام الناس فيه من قبورهم او لوقوفهم فيه
كما يقال له الموقف وهو يوم الحشر والحساب وهو من قام بمعنى ظهر تتمة وفائدة مهمة قال النووي
في الاذكار ذكر الفقها والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث
الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا ‌ ‌ مطلب هل يجوز العمل بالحديث الضعيف
بالحديث الصحيح والحسن الا ان يكون في احتياط في شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة
بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب انتهى وخالف ابن العربي
المالكي في ذلك فقال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا وقال السخاوي في كتابه القول البديع
سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه
وهو ان يكون الضعيف غير شديد كحديث من انفرد من الكذابين والمتهمين من فحش غلطه والثاني
ان يكون مندرجا تحت اصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له اصل اصلا والثالث ان لا يعتقد
عند العمل ثبوته لئلا ينسب للنبي عليه الصلوة والسلام ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام
وابن دقيق العيد والاول نقل العلاي الاتفاق عليه وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي
رواية عنه ضعيف الحديث احب الينا من راي الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب ابي
حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من الراي والقياس اذا لم يجد في الباب غيره فتحصل ان في العمل

بالحديث

22 بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل به مطلقا يعمل به مطلقا يعمل به في الفضائل بشروطه وفيد
ابن الصلاح جواز رواية الضعيف باحتمال صدقه في الباطن وهل يشترط في الاحتمال ان يكون قويا
ام لا فيه خلاف وظاهر كلام مسلم انه اذا لم يكن قويا لا يعتد به انتهى وللعلامة الدواني في انموذجه
على هذه المسئلة اشكال اورده على القوم وحاول الجواب عنه بما زاده اشكالا وليس بشيء وهو انه
قال اتفقوا على انه لا يعمل بالحديث الضعيف ولا يثبت به الاحكام الشرعية ثم انهم ذكروا انه يجوز
بل يستحب العمل به في فضائل الاعمال كما في الاذكار وفيه اشكال لان جواز العمل واستحبابه من الاحكام
الخمسة الشرعية فاذا استحب العمل به كان ثبوت ذلك بالحديث الضعيف وهو ينافي ما تقدم ونبا
قضه وحاول بعضهم التفصي عنه بان المراد به يجوز روايته وهو لا يرتبط بما قالوه والذي يصلح
للتعويل عليه ان يقال اذا وجد حديث في فضيلة عمل من الاعمال لا يحتمل الحرمة والكراهة يجوز
العمل به ويستحب لانه مامون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط
العمل به رجاء للثواب فان دار بين الحرمة والاستحباب لا يعمل به وان دار بين الكراهة والاستحباب
فلينظر ايهما اقوى خطرا يرجع اليه وان دار بين الاباحة والاستحباب فهو اسهل لان المباح يصير
بالنية مستحبا فجواز العمل به واستحبابه مشروط بعدم احتمال الحرمة الا انه اذا لم يوجد الحرمة
فجواز العمل به ليس لاجل الحديث على ان الاباحة ايضا من الاحكام الخمسة فالحق ان الجواز معلوم
من خارج والاستحباب معلوم من القواعد الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط في الدين
فلم يثبت شيء من الاحكام بالحديث انتهى اقول اذا احطت خبرا بما قدمناه من كلام الحافظ
السخاوي عرفت ان ما قاله الجلال مخالف لكلامهم برمته وما نقله من الاتفاق غير صحيح مع
ما سمعته من الاقوال والاحتمالات التي ابداها لا تفيد سوى تسويد وجه القرطاس والذي اوقعه
في الحيرة توهمه ان عدم ثبوت الاحكام به متفق عليه وانه يلزم من العمل به في الفضائل والترغيب
انه يثبت به حكم من الاحكام وكلاهما غير صحيح اما الاول فلان من الائمة من جوز العمل به بشروطه
وقدمه على القياس واما الثاني فان ثبوت الفضائل والترغيب لا يلزمه الحكم الا ترى انه لو روى
حديث ضعيف في ثواب بعض الامور الثابت استحبابها والترغيب فيه او في فضائل بعض الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم او الاذكار المأثورة لم يلزم مما ذكر ثبوت حكم اصلا ولا حاجة لتخصيص
الاحكام والاعمال كما توهم للفرق الظاهر بين الاعمال وفضائل الاعمال واذا ظهر عندها الصواب
لان القوس في غير يد باريها ظهر انه لا اشكال ولا خلل ولا اختلال فبادرت بادر فاعل بمعنى فعل
والمبادرة العجلة الى فعل ما رغب فيه وهو يتعدى بنفسه وبالى يقال بادرته وبادرت اليه ولما
كانت الفا لا تدخل في خبر لكن لا سيما اذا كان ضميرا فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها قالوا انه معطوف
على مقدر هو الخبر المتعلق به قوله لما اي لكني اجيبك لما رجوته فبادرت اه الى نكت اي الجمع
نكتة وتاليفها ونكت جمع نكتة كنقط ونقطة ويجمع ايضا على نكات بالكسر كبقعة وبقاع وعليه
اقتصر في القاموس وسمع فيه ايضا نكات بالضم وقيل انه للاشباع والنكتة المعنى الدقيق
النادر والكلام القليل الحسن وهي في الاصل فعلة من النكت وهي النبش الخفيف في التراب

بعود ونحوه والانسان يفعله اذا تفكر في امر خفي فنقلت لما ذكر اما للتأثير في النفس او لانه يحتاج لفكر
وتأمل وهي منقوله من النكتة بمعنى نقطة من لون تخالف ما هي فيه اما لدقتها في النظر بالنسبة لما هي
فيه او لمخالفتها لغيرها من الكلام وما قيل من انها تطلق على قليل صدأ في وجه المرآة او السيف كالو
سخ كما ورد في الحديث الجمعة لا يناسب المقام مع انه مأخوذ مما مر مسفرة في نسخة سافرة بالجمع بينهما
من الاسفار وهو الكشف مطلقا وقوله في القاموس سفرت المرأة كشفت عن وجهها تمثيل لا تخصيص
حتى يكون تجريدا كما قيل لقوله تعالى والصبح اذا اسفر وفي المغني سفر بمعنى كشف قال سفرن بدورا وانتقبن
اهلة ومسن غصونا والتفتن جاذرا وعلى نسخة سافرة مسفرة ينبغي ان يغاير المسفرة بمعنى مشرقة
مضيئة وسافرة بمعنى كاشفة للغرض بحيث لا يحتاج لكتاب اخر قيل وفي وصف النكت بالاسفار لطافة
ونكتة اي لانها تكشف ما تحت التراب وهو امر سهل عن وجه الغرض الوجه بمعنى الجهة المقصودة والجهة
الذي به المواجهة ويستعار لخيار الشيء واوله ولرئيس القوم والغرض بغين وضاد معجمتين بينهما را
مهملة مفتوحة كاوله الهدف ويتجوز به عن الفائدة المقصودة من الشيء وهي حقيقة عرفية لكونه
مقصدا وهو قبل الشيوع استعارة او مجاز مرسل من استعمال المقيد في المطلق والشيء في لازمه
والنكت المسفرة العبارات الدالة على المراد والوجه ان كان بمعنى الجارحة ففي الغرض استعارة مكنية
ترشيحها سافرة او هو استعارة ايضا مؤديا من ذلك الحق المفترض مؤدي اسم فاعل من اداه تادية اذا اوصله
من الادا وهي حال من فاعل بادرت او من وجه الغرض والاشارة على الاول للغرض الذي هو تعريف حق
المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن الداخلة عليه بيانية بنا على جواز تقدمها على المبين وتبعيضية لان
حق المصطفى اكثر من ان يحيط به كتاب وهو الحق وعلى الثاني الاشارة للحق الذي هو نعت اسم الاشارة
وهو على الوجهين مفعوله لتعديه لمفعولين والثاني على الاول الحق والمفترض صفته وعلى الثاني
هو المفترض ويصح ان يفسر هنا بموصلا الى السائل مراده او قاضيا لحقه كانه ليقين اجابته عليه
دين في ذمته يلزمه اداؤه والافتراض افتعال من الفرض والمراد به اللازم وجعله فرضا مبالغة والكلام
في الفرض والواجب مشهور ولا فرق بينهما عند الشافعية وعندنا ما ثبت بنص قطعي فرض وغير واجب
وما ثبت بدليل ظني واجب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر واعتقاد ما في هذا الكتاب واجب جملته
لا بيانه كتابه وتاليفا ولذا قيل انه هنا فرض كفاية واعاد المصنف اللام الجارة في قوله لما اشارة الى
استقلال كل منهما بالعلية لاجابة سؤاله ولا شك في كفاية كل واحد منهما فان الاجر الجزيل والعطا
الجليل اذا ترتب على فعل يكفي فيه تقريبه وان لم يدون والقصد اذا كان له طريقان فالسالك مخير في سلوك
ايهما شا لا سيما وهذه الطريق اكثر ثوابا واحسن لعدم انقطاعها وفي الحديث اذا مات ابن ادم انقطع
عمله الا من ثلاث صدقة جارية او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به واما كراهة بعض السلف تدوين
الكتب فلا صحة له على اطلاقه فان السلف على خلافه وقد امر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وناهيك
الزهري بتدوين الحديث وكتابته كما في البخاري وكان ذلك اول ما صنف في الحديث لا اول ما كتب منه
فان من الصحابة رضي الله عنهم من كتبه كما مر ولذا حكى بعضهم الاجماع على جوازه وانما منع بعضهم منه
في العصر الاول خوفا لالتباسه بالقرآن اذ لم يكن حينئذ يدون غيره مع عدم الاحتياج له فسقط ما قيل

عرضه

سيد

سيد

سيد

من ان العلتين الاخيرتين لا يقتضيان المقصود هنا واقتضا اعادة العامل الاستقلال في غاية الظهور
فلا حاجة لاثباته كما قيل اختلستها الاختلاس الاخذ بسرعة خفية فقوله على استعمال تاكيدا وتجريد
فان فسر بالاخذ خفية او بالاستلاب كما في القاموس فهو تاسيس ومنهم من اخذ فيه قيد القهر
او المكابرة ففيه لطف لجعله كالمحارب للزمان لينال فرصة ينتهزها كما قيل انتهز الفرصة ان الفرصة
تعيد ان لم تنتهزها غصه وفي المغني اختلسوها بضمير الجمع وتكلفوا لتوجيهه بان المراد ان القوم
اختلسوها من يد العوائق وانا تلقيتها منهم ودونتها وصحح رواية هذه النسخة وقال السيد المشهور
خلافه وهو الوجه لا الصواب كما توهمه لما المرء بصدده المرء مثلث الميم الانسان وفسر بعض
اللغويين بالرجل والاول اظهر وليس هذا التفاتا ولا تفننا لان المراد التعميم ولذا لم يقل لما انا
والصدد بفتحتين ومهملات بمعنى المقابلة او القرب والثاني اقرب وهو تعليل للمبادرة والاستعجال
او للاختلاس يعني انه اسرع فيه لخوف ان تحول العوائق بينه وبين مراده من شغل البدن والبال الشغل
بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها وبالغين المعجمة المضمومة واسكانها يقال شغله اذا عاقه واشغله
بالهمزة لغة ردية وكتبه بعض عمال الصاحب له في رقعة فوقع عليها من يكتب اشغالي لا يصلح لاشغالي
ولا وجه لتزييد صاحب القاموس فيه والبدن معروف والبال له معان منها الفكر والحال والقلب
وهو اقرب هنا ولو فسر بالقلب صح اي الامراض والهموم عايقه عما يريد وقلما يخلو عاقل من مثله
فان الهموم بقدر الهمم بما طوقه ماض مجهول بضم الطا المهملة وكسر الواو المشددة ويتعدى لمفعولين
اولهما المستتر القائم مقام الفاعل والثاني ضمير الغائب وهو من الطوق بمعنى الطاقة والوسع فالمعنى
ما كلف وابتلي به او طوق العنق فهو استعارة لما لزم به ومنه طوقه الحمامة لبياض عنقها كما
قال المتنبي اقامت في الرقاب له اياد هي الاطواق والناس الحمام وهذا ورد في كلام العرب
لكل امر لازم محمودا كان او مذموما وقوله في كشف الكشاف انه لم يرد الا في الذم لا وجه له لانه
سال حاتما ابل له افناها القرى فقال له طوقتك بمجد الدهر طوق الحمام كما ذكره في مرآة
الزمان ويأتي له الفصل الثالث مزيد بيان وفي الشرح هنا كلام طويل بغير طائل من مقاليد المحنة
بيان لما والمقاليد اما جمع لا واحد له من لفظه او واحده مقليد او مقلاد او اقليد وهو معرب
كليد بمعنى القفل ومعناه بعد التعريب المفتاح او الخزانة والاول انسب باصله وورد بمعنى
الحبل المفتول ومنه ضاقت مقاليده اي اموره هذا محصل ما قالوه في معناه وحينئذ فالمراد به
ما كلفه ولزمه من الامور الشاغلة ومنه تقليد الاعمال السلطانية من الامور الدنيوية على انه
مأخوذ من المعنى الاول والثاني لانها كالمفتاح لغيرها او اسباب لغيرها او كالخزانة او كالحبل
المفتول في عنقه الذي ربطه على ما كلفه به ويعوقه عن السعي فيما يريده او هو كناية عن كل محنة
لان من اعطي مفتاح شيء فكانه مسلم له فالمعنى انه ابتلي بجميع المحن او بكثير منها فان منع طوقه بجعله
طوقا له او جعلت المقاليد بمعنى الحبال المفتولة وجعل كونها في خناقه بمنزلة العقود والاطواق
التي تحلى بها على انها استعارة تهكمية كما قاله السهيلي في قوله تعالى في جيدها حبل من مسد كان وجها
وجيها واما جعل المقاليد بمعنى القلائد لاقتضا التطويق له كما قيل فلو ساعده اللغة كان

عرضه

سيد عيسى

دولكشف

عرضه

سيد عيسى

حسنا والمحنة اسم للامتحان بمعنى الاختبار والتجربة ويكون بمعنى المصيبة اما لان المرء مختبر بها فيعرف
صبره وتجلده اولان الله يختبر بها عباده اى يعاملهم معاملة المختبر ليجزيهم الجزاء الاوفى ولان
المبتلى بها يختبر بها زمانه واصدقاءه واخوانه جزا الله المصايب كل خير عرفت بها عدوى
من صديقى وفى المغنى المراد بالمحنة هنا مباشرة القضا الذى ابتلى به المصنف رحمه الله وكانه
صح له بنقل عنه فانه ثقة والقضا اعظم مصيبة لكونه على خطر عظيم التى ابتلى بها صفة كاشفة
او مؤكدة ان فسرت المحنة بالبلية والابتلاء مختص بما يسوء الناس وان كان فى الاصل بمعنى الاختبار
والمرء قد يختبر بما يحب لينظر هل يشكر وبما يكره لينظر هل يصبر ام لا فالمبتلى يكون حسنا وسيا ولذا قيل
ابلى بلاء حسنا فالصفة حينئذ مخصصة منكادت تشغل عن كل فرض ونفل اى عوايق الدهر ومحنه قاربت
ان تعوقه عما هم من امور الدين ولم يقل شغلته لانه غير واقع والادعا ليس بمناسب للمقام وتشغل بفتح
المثناة الفوقية والغين المعجمة الحلقية بمعنى تعوق وضم التاء وكسر الغين لغة ردية وفى لكل فرض ليدخل
فيه المطلوب والفرض والواجب والمكتوب متقاربة المعانى وقد فرق بينهما كما مر بان الاول ما ثبت بدليل
قطعى وغيره بخلافه وقيل الفرض ما لا اختلاف فيه او ثبت بذلك والنفل والسنة والمستحب والمتطوع
ما لم يطلب طلبا جازما ومنهم من فرق بينهما كما فصل فى محله وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل اى
ترد فى تلك الشواغل والعوايق بعد حسن ونضارة روض شبابى واستقامة غصن قوامى لعكس ذلك من تعوج
قناتى ونضرما جاتى او تعدل بى عن الطريق المستقيم المستبين الى سفل سافلين وسجن سجين لشغلها
عن عبادة رب العالمين والمراد ترد نوع الانسان بعد ما كان فى احسن صورة مستجمعا لخواص
الكاينات لانه النسخة الكبرى قايما بوظايف عبودية الى ضد ذلك لان المراد بقوله المرء بصدد
ما استعد له كل احد بالطبع فى امور دينه ودنياه وذكر الامر العام المسلم يقتضى دخول المتكلم فيه
بطريق برهانى وهو ابلغ واسفل كاسفل سافلين وقد فسره المفسرون بالنار وارذل العمر والهرم بعد
الشباب والضعف بعد القوة والمراد هنا الاخير وفيه لف ونشر فقوله عاطوقه ناظر لشغل البالى
وترده الى اخره لشغل البدن فانه نهاية ضعفه وظهور عجزه فان فسر بالنار على ان شغل البدن داخل
فى المحنة والمشغول عن جميع الفرايض والنوافل من اهل الدرك الاسفل وليس هذا للمصنف ولا لانسان
معين بل للجنس كقوله ان الانسان لفى خسر ومع ذلك كاد فى الاثبات نفى فلا يرد عليه شىء مما يتوهم
وهو لم يذكر الاية حتى يرد عليه ما قيل المراد بالتقويم الاستقامة فى الدين واسفل سفل اتباع الهوى
وايثار الدنيا على مرضات ربه كاكثر من تولى القضا وهو المذكور فى قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض
واتبع هواه فهو الاسفل هنا لا المذكور فى سورة التين لانه غير ملايم هنا لاختصاصه بالكفرة
وقدمر لك ما يتضح به ما فى هذا الكلام من الخلل والسفل ضد العلو ويكون حسيا ومعنويا ثم شرع
فى التاسف على ما ابتلى به نوع الانسان وعلى ما ضاهاه مما ابتلى به هو فى نفسه فقال لو اراد الله
بالانسان خيرا اى لو اراد الله بجنس الانسان وجميع افراده خيرا حتى اكون مندرجا فيهم وخيرا بمعنى خير
محض بحيث لا يصدر عنه سواه كما قال تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين وهذا مراد من قال الخير الكامل
ومن ظن تغايرهما فقد وهم اذ الخير انما يكمل اذا لم يكن معه شر كما لا يخفى لجعل شغله فاعل جعل المستتر

الظاهر انه لله ويجوز ان يكون للانسان واما الضمير المضاف اليه فهو للانسان لا غير والمراد بشغله
ما يشتغل به بنفسه من افعاله واقواله لو قوعه فى مقابلة همه وقيل المراد به ما يشغل قلبه وقالبه من العبادة
فان منها قلبية كمعرفة الله وبدنية كالحج فلا وجه لتخصيصه وهمه اى ما يهتم به ويعتنى به او ما يعزم
عليه عزما مصمما من همت بالشىء اهم بالضم من باب قعد يقعد فعطفه على الاول من قبيل عطف المتغايرين
وعلى الثانى من عطف الخاص على العام ويجوز ان يراد به الحزن فهو من عطف المتغايرين والحزن وبينهما
فرق وقد يجيان بمعنى لكن الاول اقعد لان هنا الايلايم ما بعده لان الحزن لا يكون الا مستقبلا
ولذا احتاجوا لتاويل قوله انى ليحزننى ان تذهبوا به وايضا الحزن لا يكون فيما يحمد الا بتكلف اعتبار
فوائته فمن اقتصر عليه فقد قصر حيث قال الهم الحزن والمراد بالشغل الفعل الاختيارى والحزن انفعال
النفس لخوف ما سياتى وليس المراد به الارادة كما توهم من هم بكذا اذا اراده فان كلام المص رحمه الله
من الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من كانت
الدنيا اكبر همه افشى الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه ومن كانت الاخرة اكبر همه جعل الله غناه
فى قلبه وجمع شمله واتته الدنيا راغمة ولا يخفى ان ما فسر به الحزن غير مستقيم وان كلام المص
رحمه الله معنى اخر بدليل سياقه وسباقه مع ان الهم فى الحديث ايضا يجوز ان يكون بمعنى الارادة
ويعضده ما وقع فى بعض طرق الحديث ومن كانت الاخرة نيته فتدبر وقوله كله تاكيد للشغل
والهم معا او تاكيد للثانى وتاكيد الاول مقدر كما قيل ولم يتعرض صاحب المغنى فى انواع الحذف له
فان حذف التاكيد ينافى المقصود منه مع انه لا مانع منه ويجوز جعله تاكيد للثانى كما قيل لان الهم
اذا لم يكن فى شىء يدل على عدم الاستقلال به بفحوى الخطاب وجعل مبنى للفاعل وبناؤه للمجهول
خلاف الظاهر وان احتمل وقوله فيما متعلق بجعل او بالشغل والهم على التنازع فيقدر فى احدهما
يحمد غدا ويذم محله بفتح الحاء لا بكسرها فانه غير مناسب هنا وهو بمعنى المكان الذى يحل فيه
وسياتى المراد منه والحمد والذم ضدان معروفان والغد اليوم الذى بعد يومك ويكون بمعنى
المستقبل مطلقا وقد يراد به يوم القيمة وهو المراد هنا وفى المثل لكل يوم غد وما قوله وسوف
ترى يوما وليس له غد فهو كناية عن يوم الموت واصله غدو وربما جاء على الاصل فى ضرورة الشعر كقول
ذى الرمة وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع وفى الشروح يجوز
فى يحمد ويذم ان يبنيا للفاعل وينصب محل على التنازع ويجوز بناؤهما للمجهول والرفع وضمير
لله او للانسان ايضا والمحل مكان الاقامة وليس المحل بمعنى كالمقام فى قول الشماخ وماء قد
ردت نفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين وهذا هو الظاهر الا ان زيادة الاسما
ممنوعة ولذا قيل ان حمد المحل وذمه كناية عن حمده وذمه فى نفسه على ابلغ وجه او يجعل حمد
جزائه وذمه كحمده فيجوز فى نسبته وقيل المراد بمحله من صدر عنه وعبر به عن الفاعل بناء لما
عليه الاشعرى رحمه الله من ان الفاعل الحقيقى هو الله والعبد محل لكسبه ومباشرته لما
خلقه الله واوجده فان قلت كيف يكون شغل العبد الذى يريد الله به خيرا مما يذم وهو
الحرام وما يقرب منه قلت اجيب بان الشغل اعم من الشغل بالفعل وبالترك فيشغله فيما يحمد

بفعله وفيما يذم بتركه فيجعل شغله واهتمامه بفعل ما يحمد من الواجب والمندوب وترك ما يذم
من الحرام والمكروه وقيل انه تكلف والمراد بالشغل بما يذم اشتغال قلبه به ويؤيده عطف الهم عليه
فالاشتغال بالطاعة بفعلها وبالمعصية الحذر منها ولا يخفى انه لا فرق بينه وما قبله وقد يقال
الاشتغال فيما يحمد والهم بمعنى الحزن فيما يذم وهو حسن والتقدير في معرفة ما يحمد ويذم كما قيل عرفت
الشر لا للشر لكن لتوقيه   ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه   ولك ان تقول المراد بما يحمد ويذم
الامور المهمة التي من شانها ذلك يعني ان اشتغاله وهمه في معالي الامور دون سفسافها وغدا
قيد لهما كما هو معروف في القيد المتوسط وقد يفرع عنا بالمستقبل للانسان نجد مونه كما قيل وانما
المرء حديث بعده   فكن حديثا حسنا لمن وعى   او يقدر مثله في الثاني واذا شمل الشغل القلبي
فاولا ناباه ولا حاجة لجعلها بمعنى لو او وقيل المراد بما يحمد ويذم التجرد عن العلايق مما يحمد في القيمة
ويذم يوم لقفر صاحبه فغدا قيد للاول فقط او للتغاير محليهما وفا عليهما وفي بعض النسخ محله
مرفوع نايب من الفاعل وجعل مجهول وما بعده مرفوع ايضا رعاية للفاصلة وهو متجه ايضا
وفي بعض النسخ ولا يذم بزيادة لا فيه على ان ما يحمد الطاعات وما لا يذم المباحات اي شغله
وهمه المباحات او الطاعات فلا يلزم وقوع او بين المترادفين لبعده الا انه في المباحات
لا يناسب المقام فان نصب دعوى الاولى وبنى جعل للفاعل نصب محله على الظرفية اشارة
الى اعتبار الزمان والمكان في كليهما كما قيل في قوله تعالى لا املك لكم ضرا ولا رشدا المراد بالقابل
الضر بالنفع والرشد بالغي والاظهر ان يقال انه لما ذكر انه مطوق بالمحن الشاغله عن الخيرات
عقبه بان هذا يقتضي النظرة الاولى ومن اراد الله به خيرا صرفه عن الالتفات الى المصايب
وجعل شغله مقصورا على كسبه الخير وحزنه على ما فرط فيه من اشتغاله بما يذم فانه قل ما يخلو منه
احد ومن حاسب نفسه قطع العلايق ولم تعقه العوايق كما قيل   اراك تطلب دنيا ليس تدركها
فكيف تدرك اخرى لست تطلبها   فليس ثم بفتح المثلثة والميم المشددة وهو اسم اشارة
مبني على الفتح وترسم بها السكت لانها ملحقة في الوقف وقيل انها تا تانيث في لغة قليلة واختلف
فيه هل هو موضوع للبعيد او القريب وكل منهما صحيح هنا وفي شرح التسهيل كونها للقريب قريب وهي
من هو لهم ومن ثمه كان كنا اشارة لمعنى يكون منشا الحين ولذا فسروها عن اجل وهو استعارة بجعل
منشا الشيء كمكانه ويوخذ منه التعليل فان كانت من تعليلية فهو ظاهر وان كانت ابتدائية يفهم
من السياق كما افاده شيخنا رحمه الله في الايات البينات والفا فصيحة او تعليلية تفريعية
والاشارة للدار الاخرة ومكانا القيمة كما قيل لانها نصب عين المؤمن وهي تعلم من قوله غدا والاخر
انها اشارة الى الزمان الدال عليه فانها قد يشار بها اليه اي اذا انكشف الغطا في ذلك اليوم
عرفت انه ليس فيه غير ما ذكر سوى حضرة النعيم سوى بمعنى غير والحضرة مصدر حضر ضد غاب
كالحضور وفي النهاية حضرة الرجل قربه ويكون بمعنى المجلس والفنا والكتاب في الانشا يستعملونه
للتعظيم كالمقام العالي وحضرة الخليفة تادبا باضافة ما له لمحله فالمراد هنا تعظيم النعيم
او المراد به الجنة لمقابلته بالجحيم والنعيم المسرة والترفه في المعيشة وفي نسخة نضرة النعيم اي

بهجته

بهجته وحسن منظره او عذاب الجحيم العذاب العقاب الشديد والجحيم المكان الشديد الحر
والنار التاججه واسم لجهنم والاضافة لامية لا بمعنى في ولا لادنى ملابسة كما قيل لانه عدول
عن الظاهر لغير فائدة والحصر بالنسبة لما يجزى به المرء اي ليس في الاخرة الا احد هذين الامرين
وليس فيها تصرف لاحد فينبغي الاهتمام بامرها وبهذا ظهر المراد وانه ينبغي للعاقل ان لا يزال
مفكرا في الاخرة ومعرفة ما يذم ويودي للعذاب الاليم وما يحمد فيودي للنعيم المقيم فيبادر الطاعة
والعمل الصالح حتى تحمد عاقبته وعذاب بالجر عطف على حضرة او النعيم تهكما به والاول اولى وهذا
اما بنا على عدم الاعتناف وبادخالها في النعيم باعتبار المال للنعيم ويعد نعيما بالنسبة للجحيم
وكان عليه بخويصته وفي نسخة بخويصة نفسه وهو عطف على جواب لو فاعاد اللام فيه اشارة
الى انه جواب اخر مستقل وليس من تتمة ما قبله والضمير المستتر في كان للانسان وجعله لله
بتقدير لكان الله متصرفا في شانه ليلزم خويصته تعسف من غير داع وعليه متعلق بمقدر
وكذا بخويصته اي لكان الواجب عليه اهتمامه بنفسه لانه لما ذكر انه استعجل بما طلب من الخير
وخاف من محن الدهر الشاغلة عنه وعروض ما يضعف عزمه وبدنه العايق عنه وعن غيره من العبادة
كالقضا وامور الدنيا عقبه بان من يرد الله به خيرا وفقه لاشتغاله بما هو خير لان ماله الجزاء عمله
من خير وشر فينظر ما يقدمه عليه ويتقيد باصلاح نفسه بالعمل الصالح والعلم فيدع العوايق
من امور غيره وامور نفسه التي لا تهمه فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فعلى هذا عليه
ليس منقولا للامر وقيل انه اسم فعل للاغرا وهو الحث والطلب لانه يقال عليك وعلي وعليه
بمعنى لزم والاخير شاذ وعلى هذا يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالبا نحو عليك بذات الدين فيفسر بما
يناسبه وقال الرضي الباء زائدة وهي تزاد كثيرا بعد اسما الافعال لضعفها في العمل لانه فسر على تاويلين
وعليه بليلزم وقال ابن عصفور في حديث من لم يستطع فعليه بالصوم الصوم مبتدا خبره
عليه والباء زائدة واعترض بانه يقتضي ايجاب الصوم وزيادة الباء في مبتدا غير حسب وفيه
كلام طويل في كتب العربية فعليه متعلق بمقدر او اسم فعل وبخويصته متعلق بمقدر كما مر وبعليه
او هو المبتدا والباء زائدة وعليه خبر مقدم لتاكيد الحصر والجملة خبر كان كما بيناه وخويصة
بضم الخاء وفتح الواو وسكون اليا الاولى يا التصغير لا تحرك وصاد مهملة تصغير خاصة وهي المختص
وحيث وقع خويصة مع النفس اريد به النفس ولم يرد الا مصغرا والتصغير للتقليل والتحقير
وقد يرد لغيره والاول هو الاصل ففيه اشارة الى ان من تقيد بنفسه قلت اموره وخفت احواله
فلم يصرف زمانه الا في المهمات وفي الحديث عليك بخويصة نفسك فالمراد بالخويصة النفس
واضافتها لتغاير اللفظ والمفهوم كحرق النسا وهو من اضافة العام للخاص كمدينة بغداد
او المراد عوارضها الذاتية المختصة بها وينفعه دون الناس وما لا يفيد وقيل هو الموت وتهيئة
اسبابه ولا يخفى بعده واستنقاذ مهجته المهجة لها معان منها الروح وهو المراد والاستنقاذ
والانقاذ التخليص اي عليه تخليص روحه من العذاب باصلاحها وصونها عن القبايح وعمل صالح
يستزيده الاستزادة طلب الزيادة وليس الطلب مرادا بل المراد المبالغة في زيادته ويجوز

ابقاؤه على اصله ووصفه بالزيادة اشارة انه ليس بغرض والصالح المحمود شرعا وقدمه على العلم
لانه المقصود اولا للترقي وعلم نافع يفيده او يستفيده من العلوم الشرعية وما لا بد منه كالعقايد
الحقة وقدم الافادة وان كانت مؤخرة عن الاستفادة لانها انسب بالمقام واشرف جبر الله صدع
قلوبنا الجبر اصلاح ما انكسر ومنه الجبيرة والصدع الشق وهو الكسر الذي لم يبن في الاجرام الصلبة
كالزجاج والعظم وفيه اشارة الى ان هذه القلوب كالحجارة قسوة ففيه استعارة في الجبر وتجوز
بالاطلاق في المقيد اي ازال الله ما في قلوبنا من النقايص واصلح ما فيها من العيوب والاحزان تيما
دعا بان يزيل الله ما في قلبه من الغفلة والقسوة المانعة عن قبول ما ينفعه فشبه القلوب القاسية
بالناصلب مكسور لا يقر فيه شيء ففيه استعارة مكنية في قلوبنا وتخييلية في صدع والجبر
ترشيح وهذا اولى مما في الشروح وغفر عظيم ذنوبنا من اضافة الصفة للموصوف بحسب الاصل وخص
العظيم اما لان الصغاير من الله بغفرها بالمكفرات المشهورة كالصلوات الخمس ونحوها اولان
من يغفر الذنب العظيم يغفر غيره بالطريق الاولى ولان كل ذنب عظيم نظرا للعظيم من عصى كما قيل
ان الذنوب كلها كباير فان قلت ما الفرق بين الغفرة قلت بين مفهوميهما بحسب الوضع عموم
وخصوص فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو وعكسه كان
يحاسبه بذنب على روس الاشهاد ثم يعفو عنه او يستره ويجازيه عليه اما بالنظر لكرم الله فهو
اذا ستر عفى فبينهما عموم وخصوص مطلق ولذا يقال في مقام الملاطفة في الاكثر عفا الله عنه
كما سياتي في تفسير قوله تعالى عفا الله عنك وجعل جميع استعدادنا معنى الاستعداد طلب
العدة بالضم وهي ما لا بد منه لوجود الشيء ثم شاع في لازمه وهو التهيؤ والمراد هنا ويكون بمعنى
الاستحقاق كما في المحاكمات وهما متقاربان لمعادنا اي جعل اشتغالنا بما فيه عون لنا على النجاة
والفوز بالسعادة في الاخرة والمعاد محل العود فخص بالحشر لعود الارواح لابدانها فيه او تعود
للقاء الله ليجزيهم باعمالهم كقوله تعالى اليه مرجعكم وللمفسرين في قوله ان الذي فرض عليك القران
لرادك الى معاد اقوال منها ما ذكر ومنها انه الجنة لانهم كانوا فيها في عالم الذر او لانها لكونها معدة
لهم كانهم كانوا فيها فان العرب تجري ما هو بالقوة الممكنة مجرى ما بالفعل فيقولون جفنة يقعد فيها
ملائمة رجال اي واسعة وعليه قول ابن القيم فحي على جنات عدن فانها منازلك الاولى وفيها
المخيم وتوفر دواعينا معطوف على جميع او استعداد والتوفر الكثرة والقوة والدواعي جمع
داع او داعية وهي ما يحمل على فعل الشيء قال الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي اذا علم الا
نسان او ظن او اعتقد ان له في الفعل او الترك مصلحة راجحة حصل في قلبه اليه ميل جازم فهذا
العلم ونحوه هو المسمى بالداعية مجازا من دعاه لكنا اذا طلبه فكان علمه بالمصلحة طلب منه
الفعل وقد يسمى الداعي غرضا وهذا هو المراد لانه المعروف في كلامهم وقيل المراد دعوتنا
وطلبنا ودواعي الدهر ما يستدعيه من الحوادث والمراد اعم لنا وما نطلبه انتهى فالمقصود
الدعا بان يجعل الله ميله مصروفا لما ذكر وهذا كالبيان لما قدمه فيما ينجينا هو افعال وتفعيل
من النجاة وهي الخلاص مما يخشى كعذاب الله وما يبعد عنه وكان الظاهر ان يقول لما ينجينا لانه

على المعنى الاول يتعدى باللام لكنه جعل شدة ميله له كانها ممكنة فيه فالظرفية مجازية
كقوله لاصلبنكم في جذوع النخل وقيل الدواعي تضاف لما يترتب عليه كدواعي الوطي وليس بلازم
كقولهم دواعي الدهر وكما في عبارة المص ويقربنا اليه زلفى زلفى فعلى من ازلف بمعنى ادنى وقرب قال الله
وازلفت الجنة للمتقين فالمراد قربا وتقريب كامل فهو مفعول مطلق منصوب بالفعل المذكور
من معناه كجلس قعودا او بمقدر من لفظه ففيه ايجاز بليغ كما في تبيان الطيبي لان معنى انبته نباتا
انبته فنبت نباتا والمراد قرب المنزلة والرتبة المعنوية باكرام الله تعالى الذي هو اقرب من حبل الوريد
ويحظينا بضم المثناة التحتية من الحظوة بضم الحا وكسرها وهي القبول وعلو المرتبة عند من يحب وهو
قريب معنى مما قبله لان القرب المكاني ينزه عنه الباري وما ورد في حقه في القران والحديث المراد به قرب
معنوي باعتبار علمه به او كرامته لديه وهذا هو المراد هنا ولذا فسر بعضهم الحظوة بالتفضيل ابن الحنبلي
على الغير فالمعنى انه طلب من الله ان يكرمه ويفضله على غيره لتغاير الجملتان بحسب الظاهر
وان تقاربا معنى وما اورد عليه من انه لا يفيد ما ذكرها هنا لانه انما يفيده اذا يعدى بعلى كما
قاله الجوهري رحمه الله ولا صلة له هنا لا وجه له لانه غير مسلم مع ان باب التقدير واسع عرضي
بمنه متعلق بما قبله وهو جبر وقيل تنازع فيه هو وما بعده على القول بتوسط المتنازع فيه
ولا حاجة الى جعله متعلقا بمصادر تلك الافعال لانه تقدير لا داعي ليه والمنة تكون بمعنى
تعداد الجميل وهي تحسن من الله ومن اسمائه المنان وتقبح من غيره ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة
والظاهر انها مكروهة لغيره من كفر النعمة وجحدها وقيل انها حرام من كل احد وقيل حرمتها مخصوصة
بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله ولا تمنن تستكثر فان كان من عدم الاطلاع وتكون نفس الانعام عرضي
ورحمته بالجر معطوف على منه وهي في الاصل رقة القلب ولامتناع ذلك في حقه تعالى اريد بها
غايتها وهي اللطف والاحسان فهي من صفات الافعال او ارادته فهي صفة ذاتية والباء في قوله
بمنه سببية وقيل انها بالاستشفاع واورد عليه انه معنى غريب لم يقله احد من النحاة ورد بان مراده
انها للتعدية ولكن اريد التشفع بمدخولها كما يقال في با البسملة انها للتبرك فالمراد انه توسل سيد
الى الله به كما ورد اعوذ بك منك ولك ان تقول انها للقسم الاستعطافي وماله الاستشفاع
وتمثيله له بقوله بحياتك صريح فيما قلناه فلا غرابة ولا استغراب الا من عدم التدبر نعم يبقى الكلام
في ان القسم الاستعطافي الواقع في السؤال هل يختص بالباء او لو قوع بعد الامر لا ظاهر كلامهم
انه لم يسمع الا كذلك وفي الكشف في اول سورة النسا انه غير لازم ولما ظرف لما بالفتح والتشديد
ظرف زمان عامله جوابه والنية القصد وفي العرف القصد المقارن للفعل وغير المقارن عزم
تقريبه اي جعله تقريبا الى الافهام والى الحصول بالتدريج الاتي ونحوه والتقريب عند اهل المعقول
سوق الدليل على وجه يقتضي المطلوب ودرجت تبويبه اصل التدريج جعل درجة بعد درجة
وفي الصحاح درجه اليه ادناه على التدريج وتبويبه مصدر مبني للمفعول اي جعله ذا ابواب
والمراد انه رتبه بابا بابا وقد يراد بالتدريج الثاني والتمهل كما قيل درج الايام تندرج وبيوت اهلهم
لا تدرج يعني انه سهله ورتبه ترتيبا حسنا متناسبا ومهدت تاصيله اصل التمهيد بسط المهاد

وهو الفراس والتاصيل ذكر القواعد والاصول يعني انه ذكر فيه قواعد وادلة تنبني عليها مسائل ابوابه
فليست مجرد دعوى خالية عن الادلة والنقول الصحيحة وليس المراد انه سهله واوضحه كما لايخفى
وخلصت تفصيله اى ميزت فصوله او فروع قواعده وتفاصيلها عن الاجمال والادلة واصل
التخليص الاخراج والابعاد من الخلاص قيل ويحتمل ان يراد بالتاصيل الاجمال وعبر به رعاية
للفاصلة ولو قيل انه على هذا من الاصول والقواعد كان اظهر وانتحيت حصره بالحا المهملة اى
قصدت من نحا نحوه اذا قصده واصله انحوت وفى نسخة انتخبت بالخا المعجمة والموحدة والحصر
اصل معناه الحبس والمراد به حصر الكل والكلى فى اجزائه وجزيئاته اى قصدت واختصرت حصر
انواعه فى هذه الابواب والابواب المعينة فلا وجه لتفسيره بالاختصار على النسخة المشهورة
وحصر الكل فى اجزائه ظاهر وقوله فى عروس الافراح انه لايمكن لان الحصر جعل الشئ فى محل
محيط به فالمحيط حاصر والمحاط محصور مظروف وشان الكل مع اجزائه على العكس لان الكل
محيط بالاجزاء منحصرة فى الكل فكيف يجعل الكل منحصرا فيما ليس شئ لانه اصطلاح لامشاحة
فيه والمراد ان الاجزا المنفصلة لايخرج عنها الكل كما لايخرج المظروف عن ظرفه وهو ادرسه
وتحصيله اى جعله حاصلا فيه بعد جمعه من الكتب المعتبرة وقيل المراد ان الناس يحصلونه
لاختصاره وضبطه فان ماكل من طلب العلم حصله ولاكل من حصله اصله ولاكل من اصله فصله
ولاكل من اصله وصله وترجمته جواب لما والمراد تسميته واصل معنى الترجمة التعبير عن لغة باخرى
ويكون بمعنى التبليغ لما خفى من الكلام بعد قايله او الحايل بينه وبين سامعه او لقصور فهمه
كما فى شروح البخارى ومنه قوله ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعى الى ترجمان واطلاق الترجمة
على التسمية على طريق التشبيه لجعل معرفة المسمى باسمه كمعرفة المعنى بالتعبير عنه بلغة اخرى
وهو مجاز متعارف والقول بانه التسمية قبل الخروج من الذهن الى الخارج لانه لما كان غير معلوم
عبر عنه بالترجمة لجامع بينهما تكلف لاحاجة اليه لما عرفته والترجمان هو المبلغ عربى وقيل
انه معرب درغمان تصرفوا فيه وفيه لغات فى كتب اللغة بالشفا متعلق بترجمته بمعنى سميته
بتعريف حقوق المصطفى الباء سببية متعلقة بالشفا او بمعنى فى قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى
فى كتاب نزهة العيون الشفا ملايم للنفس يزيل عنها الاذى ويستعمل فى القران على ثلاثة اوجه
الفرج كقوله ويشف صدور قوم مؤمنين اى يسرهم والعافية كقوله واذا مرضت فهو يشفين
والبيان كقوله شفاء لما فى الصدور وهو مع ما بعده هنا علم منقول والكلام فى اسما الكتب
هل هى اسما جنس او اعلام جنسية او شخصية ومسماها المعانى والالفاظ والنقوش
او مجموعها احتمالات ليس هنا محل تفصيلها والشفا ممدود قصر هنا للوقف على فواصل السجع
كالقوافى والممدود يجوز ان يقصر اذا وقف عليه حقيقة او تقديرا او هو لمشاكلة مصطفى
وهى مجوزة محسنة فلا غبار عليه وما قيل من انه قصر لانه قصر عن بيان هذه الحقوق لطيفة
لا تصلح للتوجيه وقيل انه ضرورة والضرورة كما تجرى فى الشعر تجرى فى السجع كما فى شروح
التسهيل وهو غريب من قائله واغرب منه تجويز مدا المصطفى وغيره مما لاطائل تحته واسمه موافق

سيند

سيند

لمسماه

27

لمسماه فان السلف الصالحين قالوا انه جرب لشفا الامراض وفك عقد الشدايد وفيه امان
من الغرق والحرق والطاعون ببركة صلى الله عليه وسلم واذا صح الاعتقاد حصل المراد وقد
كنت حال كتابة هذا المحل فى ضيق صدر وحرج وانا الان منتظر لكل خير وفرج كما قلت يارب ظهرى
مثقل بالعنا وما اقاسى من شدايد الجفا والمتن قد كل وصدرى به ضيق فوسعه بشرح
الشفا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد النبى الامى الطاهر الزكى صلاة تحل بها العقد وتفرج بها
الكرب وحصرت الكلام فيه فى اقسام اربعة ضمير فيه للكتاب ولتعريف حقوق المصطفى والجار
والمجرور متعلق بالكلام او حال منه والحصر والقصر بمعنى الحبس لغة واصطلاحا تخصيص شئ بشئ
بحيث لايتجاوزه ووجه الحصر فى مثله استقراء وجعل عقليا بالعناية تكلف وضمير فيه ان كان
للكتاب كما هو المتبادر فهو من حصر الكل فى اجزائه وتسميته الجزء قسما باعتبار معناه لغة والفرق
بين الجزء والجزئى ان الاول لايطلق القسم عليه اذ كل واحد منها لايسمى كلا باحقيقة وفى الاصطلاح
القسم الجزئى لا الجزء فان اطلق عليه فهو مجاز لمشابهته له كما يقال تقسيم الكل الى اجزائه وادعى
بعضهم انه حقيقى ايضا ولامانع منه وان لم يرتضه بعضهم فان عاد الضمير للتعريف فهو
من تقسيم الكلى لجزئياته والاقسام على ظاهرها القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى لهذا النبى الكريم
صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا التعظيم والتبجيل والتفخيم بمعنى وهو توقيره وتكريمه بما يرفع
قدره او يظهر رفعته والعلى من اسمائه تعالى من العلو اذ هو جل شانه هو العلى حقيقة علوا منزها
عن الجهة والحلول ويوصف بالاعلا ايضا وان كان لاعلو لغيره بالنسبة اليه واعلى المقادير
بعد قدر الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم ولايخفى موقع العلى الاعلا هنا فان التعظيم انما يعتد به
من العظيم وعلو رتبة النبى صلى الله عليه وسلم وان ناسب ان يشار اليه بما يدل على البعد الا ان
المصنف اثر اشارة القريب اشارة الى ان تعظيم الله له قربه منه وادنى منزلته وانه ينبغى لمن يحبه
ان يكون نصب عينه كان حاضرا عنده ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم دون الرسول لان النبوة
اتصال صرف بالله والرسالة وساطة بينه وبين الخلق وبهذا الاعتبار كانت افضل كما فى قواعد
القرافى وسياتى الكلام مفصلا فيه والاشارة تاتى للتعظيم كما بينه اهل المعانى وتوجه الكلام
فيه توجه بصيغة الماضى اى تم وكمل من قولهم توجه اذا صار ذا جاه وليس المراد كما فى بعض الشروح
انه حصل وجه الكلام فيه والوجه السبيل والجهة المقصودة بالتوجه لما فيه من التكلف
وقوله فى اربعة ابواب من حصر الكل فى اجزائه لا الكلى فى جزئياته كما توهم الباب الاول فى ثنائه عليه
واظهار عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب يطلق على الفرجة التى يدخل منها للدار وعلى مايسد به
ويغلق من خشب ونحوه ويطلق فى عرف المصنفين على مسائل من الكتاب متناسبة افردت بترجمة
لان مافيها من المسايل والقواعد يتوصل به لمعرفة جزئياته او لانه يصونها ويحفظها وقيل انه
بمعنى البابة وهى النوع وهو بعيد بابه وهو قد يشتمل على الفصول جمع فصل وهو نوع من المسائل
مفصول عن غيره او ترجمته فاصلة بينه وبينه فهو مصدر بمعنى فاعل ومفعول كما يشمل الكتاب
على الابواب غالبا والثنا الوصف بالجميل ولايختص باللسان فى المشهور لقوله انت كما اثنيت على

تقدم هنا النبى سح

القسم الاول
فى تعظيم العلى الا

عصام

نفسك على مافيه وقدر الشي مقداره وشرفه رتبته ويكون بمعنى التعظيم كما في قوله وما قدروا الله حق قدره
اي ما عظموه حق تعظيمه في احد الوجوه فيه فيجوز تفسيره هنا بكل منها ولديه بمعنى عنده وبينهما فرق
مشهور واذا قيل عند الله فله معان لاستحالة حقيقة عليه تعالى فيكون بمعنى علم الله او حكمه
كما في قوله فاولئك عند الله هم الكاذبون وبينهما فرق دقيق بيناه في حواشي القاضي في سورة النور
ويكون بمعنى فضل الله كما في قوله قالت هو من عند الله الباب الثاني في تكميل الله له المحاسن خلقا
وخلقا المحاسن جمع حسن على خلاف القياس او هو جمع لواحد مقدر كمحسن بزنة مقعد ولا واحد له وهي
الامر الحسن مطلقا او الحسن الخفي وخلقا وخلقا بفتح فسكون وضم وسكون منصوبان على التمييز
والخلق الايجاد والخلق السجية والطبيعة وهي ملكة راسخة في النفس لا تقبل الزوال بسهولة على
الاصح وهي للنفس كالخلق للجسم لان احدهما صورته الباطنة والاخر صورته الظاهرة وبحسن
الاخلاق وقبحها يكون الحمد والذم وما يترتب عليه وحسن الصورة يدل على حسن السيرة ولذا يمدح
كمل الرجال ولذا خطا الامدي رحمه الله من اعترض على ابي تمام في وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق
بالغزل لما ذكرنا وقرانه بجميع الفضائل القران بوزن العيال مصدر بمعنى الجمع وجميع مفعوله وفضائل
جميع فضيلة وهي الصفة الحميدة مطلقا سواء كانت اثر متعد ام لا وقد يختص بالثاني الفضائل
وبالاول الفواضل وكان شيخنا الزيادي رحمه الله يقول في مثله اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا
كالفقير والمسكين وهو كلام حسن الدينية والدنيوية الدينية منسوبة للدين وهو وضع الهي
سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات في العقبى فيختص بالدين الحق الذي جاءت به
الرسل عليهم الصلاة والسلام ويستعمل فيما يشمل الباطل كما في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين ان لم
نقل انه لتشاكل وبحسب اعتقادهم والمراد الاول هنا وللدين معان اخر كالجزاء والطاعة والدنيوية
منسوبة للدنيا وهي الارض وما عليها من المخلوقات واحوالها ويطلق على المال وما يملك وفي النهاية
انه اسم لهذه الحياة والمراد بالاول العبادة ونحوها وبالثاني نحو حسن خلقه صلى الله عليه وسلم
وصحة بدنه وغير ذلك وهي فعلى مؤنث ادنى افعل تفضيل لكنها جرت مجرى الاسماء وجردت من معنى
التفضيل ولوازمه ولذا ورد تنوينها شذوذا وفي النسبة اليها ثلاث لغات حذف الفه فيقال
دني وقلبها واوا فيقال دنيوي وزيادة الف فيقال دنياوي كما بين في علم التصريف ودالها مضمومة
وقد تكسر من الدنو بمعنى القرب وقيل من الدناءة كما قال الشاعر اعاف دنيا تسمى من دناءتها دنيا والاهن
مكروهها الداني ووجه التسمية ظاهر والدنيا قد يقابل بالدين لما ورد في الحديث وغيره وقد يقابل
بالاخرة ايضا وكل منهما صحيح فصيح فلا وجه لما قيل من ان الدنيا بمعانيها لا تقابل بالدين لكن ساغ
مقابلتها له وهو المراد بقرينة المقابلة او المراد ما نسب الى الدنيا فقط فان المنسوب الى الاخرة
ايضا ولا يخفى ما فيه من الخلل فتدبر فيه نسقا ضمير فيه للنبي عليه الصلاة والسلام وهو متعلق
بقرانه او بقوله نسقا بنا على جوازه ونسقا حال من جميع فان كان مصدرا فهو مأول بصفة والا فهو
على ظاهره ويقال در نسق وكلام نسق على نظام واحد فالمراد انه جمعها على وجه متناسب ياخذ
بعضه بحجز بعض وفسرها التلمساني تبعا ولا وجه له وفيه سبعة وعشرون فصلا قال السيد

ابن سنا الملك

ليس في الكتاب الا ستة وعشرون فالظاهر انه عد ما بين ترجمة الباب الى الفصل فصلا وان لم يسمه
وكذا الحال في جميع ما عد من الفصول الا في موضعين يقل الكلام فيهما بين الترجمة والفصل فلا تغفل
لكنه لم يعد ما بين القسم الى الباب بابا لان العادة تسمية المسائل الجمة بالباب ولم يدخل في باب
لتعلقه بالابواب كلها وقد سبقه اليه التلمساني وزاد عليه انه لم يذكر اوصاف الفصول بالعدد
بحيث يقول الاول والثاني الى اخره الا في الباب الاول فيعلم منه ان الصدر عنده من جملة الفصول
وبذلك يستقيم الامر ويتم العدد الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها الخبر في العرف
واللغة ما ينقل عن الغير وزاد فيه اهل العربية واحتمل الصدق والكذب في حد ذاته والمحدثون
يستعملونه بمعنى الحديث وقد يفرقون بينهما فيقولون الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم
والخبر ما جاء عن غيره ولذا قيل لصاحب التاريخ اخباري بصيغة الجمع وقيل بينهما عموم وخصوص
فكل حديث خبر ولا عكس وعبر به المصنف رحمه الله هنا لانه اشمل واذا كانا بمعنى فالمراد به
ما اضيف اليه صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا او تقريرا او نحوه ويدخل فيه ما هم به قلبه اذا علم بوجه
من الوجوه وكذا ما يتعلق بحليته الشريفة وفي هذا المقام تفصيل مذكور في مصطلح الحديث والصحيح
والحسن كل منهما اما لذاته او لغيره لانه اذا رواه عدل تام الضبط واتصل سنده ولم يكن معللا ولا
شاذا فهو الصحيح لذاته فان لم يسلم مما يضعفه وانجبر بتعدد الطرق ونحوه فهو الصحيح لغيره وما لم
يشتمل على اعلى صفات القبول فهو حسن والمشهور ما تعددت رواته ولم يصل الى حد التواتر ويطلق
على ما شاع مطلقا وان لم تتعدد طرقه سواء كانت شهرته بين المحدثين ام لا وهو الذي عند المصنف
رحمه الله هنا ولذا عطفه على الصحيح واهل الحديث يستعملونه بهذا المعنى ايضا كما ذكره ابن حجر رحمه الله
ويدل على انه قول المصنف في اول هذا الباب اعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا
على صحيحها ومشهورها انتهى وقيل المراد ما اشتهر بين المحدثين على انه من عطف الخاص على العام
بتعظيم قدره متعلق بورد عند ربه متعلق بقدره لانه مصدر بمعنى رفعته او منزلته وقيل انه حال
من قدره وجاء من المضاف صفة له فكانه هو المعمول لان تقديره قدره العظيم حال كونه كائنا عند
ربه فقدره ومنزلته اي رتبته الرفيعة عنده ايضا والعرب تقول له المنزل في الحسي والمنزلة في المعنوي
كالمكان والمكانة فكان التاء للنقل وما خصه به في الدارين الدنيا والاخرة وتسميتها بهذا شائعة
كما مر لانها مسكن ابن ادم فاما ان تكون الدار حقيقتها هذا ثم خصصت بما يحيط به بنا ونحوه او تكون مجازا
صار حقيقة عرفية وخواص النبي صلى الله عليه وسلم منها ما خص به عن سائر الخلق حتى الرسل ومنها
ما هو بالنسبة للرسل عليهم الصلاة والسلام ومنها ما هو بالنسبة لامته كما مر وسياتي من كرامته
اي مما فيه تكريم وتبجيل له صلى الله عليه وسلم فمن بيانية او تعليلية كقوله مما خطاياهم اغرقوا
وهو بيان لان المذكور هنا بعض الخصايص التي خص بها تعظيما له صلى الله عليه وسلم دون
ما خص به صلى الله عليه وسلم من بعض الاحكام الجزئية المخصوصة بالتحليل والتحريم مما لا يظهر
فيه التكريم وان تضمنه في الجملة ولم يذكر لذلك وهو غير مناسب لغرض التاليف وفيه اثنى عشر
فصلا هكذا هو في النسخ كلها وهو المروي عنه مع ان الفصول خمسة عشر وقد سلك الشراح

فى الجواب عنه مسالك منها ما قال التلمسانى رحمه الله ان الثلاثة الزائدة بعد ما اكمل العدد اجنبية
من هنا الباب مناسبة للباب الاول لانه ذكر جملة فى اسمائه صلى الله عليه وسلم فى اثنائه كقوله
روف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ذى قوة عند ذى العرش مكين الله نور السموات
والارض الخ ما ذكره فى حقه صلى الله عليه وسلم ففهم منه ان الفصول الثلاثة انما وضعها بعد
ان تم مراده ولاح فى خاطره امر يعذر تركه اوجب ذكرها وجعلها ذيلا لهذا الباب وذكر من كلامه
ما يدل عليه ومنها انه كان عازما على جعلها اثنى عشر فلما وصل الى الباب الثالث اقتضى الحال زيادتها
وهذا بنا على ان الخطبة مقدمة على التاليف والقول بان قوله السابق بوبت ودرجت ابوابه غير مسلم
وهنا كما انه جعل القسم الرابع بابين مع انه زاد عليه ثالثا ومنها ان مفهوم العدد غير معتبر وهذا
اضعفها لان كلامهم فى الاستدلال به فى النصوص واما فى المخاطبات فلا فالحاصل انها ذيل للاثنى
عشر المقصودة او امر زاده على ما كان فى تصوره وذهنه الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه
من الايات والمعجزات الايات جمع اية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته صلى الله عليه
وسلم فى اصلها اربعة اقوال لاهل العربية احدها الخليل رحمه الله وهو ان اصلها اييه بفتحتين
بزنة فعلة فقلبت اليا الاولى الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها على خلاف القياس اذ هو يقتضى قلب
الثانية او الادغام لتقدمه على الاعلال الثانى للكسائى رحمه الله ان اصلها ايية على وزن فاعلة
فحذفت عين الكلمة والقياس الادغام كدابة الثالث للفراء رحمه الله اصلها ايه بسكون اليا
الاولى فقلبت الفا على خلاف القياس الرابع لبعضهم اصلها اييه بكسر اليا الاولى فقلبت الفا لثقل
التضعيف والمعجزة امر خارق للعادة معجز للبشر اظهره الله على يديه صلى الله عليه وسلم واسناده
الى الله تعالى لانها من افعاله كما قاله ابن الهمام رحمه الله واما كونها قد تكون من قبيل الترك كان يقول نبى
ايته صدقى ان اضع يدى على راسى ولا يقدر احد على ذلك فلندوره لا يعتد به اولانه باعتبار انه كف
كالفعل الوجودى وكذا اخباره عن الغيب وانما اسند الى النبى صلى الله عليه وسلم باعتبار صدوره
عنه وان كان بايجاد الله وخلقه على ما عليه اهل السنة والاية والمعجزة يشتركان فى الدلالة
على صدقه لكن الاية اعم لانها لا يشترط فيها مقارنة النبوة والتحدى فكل معجزة اية ولا عكس
فشق صدره صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل البعثة ونحوه اية وليس بمعجزة واما قول
السهيلى رحمه الله فى بعض الخوارق انها علامة للنبوة لا معجزة بنا على عدم اقترانها بالتحدى المشروط
عنده فرده ابن الهمام رحمه الله عليه بان امره مبنى على دعوى النبوة فى كل زمان وهو غير وارد عليه
وسيأتى للمصنف رحمه الله كلام فى هذا وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلاثون
فصلا المذكور فى الكتاب تسعة وعشرون لكنه عد صدر الباب فصلا كما نبه عليه التلمسانى
والخصايص جمع خصيصة وهى الصفة الخاصة به سواء كانت فى ذاته او صفاته او فيما يصدر
عنه صلى الله عليه وسلم من معجزاته وكراماته فهى تشتمل على امور كثيرة ذكر منها فى الباب الثالث
تفضيله فى ذاته وسيادته صلى الله عليه وسلم لبنى ادم فى الدارين وقربه من ربه بالاسرا والمحبة
والخلة وذكر هنا ما جرى على يديه من المعجزات وما ضاهاها من الكرامات فمقصد البابين وما ذكر

مختلف

مختلف معنى وان تشابه العنوان كما يعرف بالنظر فى الكتاب فلا يرد عليه ان ما ذكر هنا هو بعينه
فى الثالث من قوله وما خصه وهو قبيح وغاية ما يقال فى توجيهه انه اراد فى كل موضع بيان سابقه
اى اشتراك البابين فالمراد فى الثالث الكرامات التى لم يقصد بها اثبات النبوة وكونها علامة
كالاسرا والامور الاخروية وفى الثانى ما يقصد به ذلك وفيه ما فيه انتهى وقد عرفت سقوطه
وانما اوقعه فيه اتحاد العنوان ظاهرا وهو على طرف الثمام على انا نقول انهما متغايران معنى كما
يعرف بالتأمل الصادق وقيل ان الخصايص والمعجزات ايات كلها كما سيأتى فى بابه والكرامة
لغوية لا اصطلاحية فلا تنافى المعجزة واما الكرامة التى خص بها النبى صلى الله عليه وسلم
فى الدارين المذكورة قبله فقد قيل انها مما لم يقصد به اثبات النبوة ولا كونها علامة عليها كالامر
ولا طائل تحته وقيل الكرامات هنا الخوارق التى قبل دعوى الرسالة وفى شرح المواقف انها
تسمى كرامة وارهاصا وهو التأسيس ولسبقها على اظهار الرسالة كانت كالتأسيس لها فان قلت
اخباره عن المغيبات كيف يعد معجزة قلت هو على قسمين ما وقع حياته صلى الله عليه وسلم ككيد
قريش ونحوه ولا شبهة فى كونه معجزة وما وقع بعده كاخباره صلى الله عليه وسلم بالخوارج وذى
الثدية كرامة اقرب لعدم مقارنته للتحدى والقول بانه معجزة لعجزهم عنه سواء كان
العجز عن محال لا لا يجرى القسم الثانى فيما يجب على الانام اى يلزمهم حتى باغوا بتركه والانام
الخلق او الانس والجن او كل ما على وجه الارض والمناسب هنا الثانى وقيل انه ما يعتريه النوم
من حقوقه صلى الله عليه وسلم جمع حق وهو الامر الثابت له وقدم نفيه ويترتب القول فيه
فى اربعة ابواب يترتب اى يتمكن او يذكر مرتبا من الترتيب وهو جعل كل شىء فى مرتبته اللايقة به
وكونه من تقسيم الكل او الكلى تقدم مع ما فيه الباب الاول فى فرض الايمان به اى كون التصديق
برسالته صلى الله عليه وسلم فرضا فالاضافة للمفعول وهى لامية او بيانية فيجب الايمان به
صلى الله عليه وسلم وبشريعته وانها ناسخة لغيرها ووجوب ذلك على كل من بلغته الدعوة
ووجوب طاعته اى اطاعته صلى الله عليه وسلم والانقياد له ووجوب اتباع سنته اى
طريقته صلى الله عليه وسلم التى امرنا باتباعها امر ايجاب وفيه خمسة فصول وقد اجاد فى تفننه
فعبر بالفرض تارة وبالوجوب اخرى كما قال فى القسم الاول وتوجه الكلام فيه وفى الثانى
ويترتب القول فيه وفى الثالث ويحرر القول فيه وفى الرابع وينقسم الكلام فيه الباب الثانى
فى لزوم محبته ومناصحته صلى الله عليه وسلم وفيه ستة فصول النصح والنصيحة والمناصحة
ارادة الخير للغير وارشاده له وهى كلمة جامعة كما سيأتى والمفاعلة على حقيقتها لانها ان تفعل
ويقول لصاحبه ما يفعله الاخر به وان لم يحتمل فنصيحته الامة ايمانهم بما جاء به صلى الله عليه
وسلم وانقيادهم لاوامره ونواهيه ونصيحة النبى صلى الله عليه وسلم لهم تبليغهم ما امر
بتبليغه وارشادهم للخير وقيل انه بمعنى النصح كالمخادعة فى قوله يخادعون الله وما ذكر
فى الكتاب من ثواب محبته ونحوه استطرادى وله تحقيق فى شروح الكشاف الباب الثالث
فى تعظيم امره اى شانه وحاله كتعظيم حديثه واله صلى الله عليه وسلم قيل اللايق هنا تقديم

لكن يرد انه
مهموز لا معتل العين

اللزوم الاتى لا توسيطه فيقول لزوم تعظيم امره وتوقيره فكانه اشار الى تقديمه تقديرا لان من لازم
تعظيم امره وتوقيره فهو من عطف العام على الخاص وليس الامر بمعنى الطلب هنا وفى ذكره ايما الى
ان توقيره اشد لزوما من توقيرا من مع ما فى تركه اولا من المبادرة الى ذكر تعظيمه لشدة الاعتنا
بنفس التعظيم ففى كلامه ترقى من الادنى الى الاعلى ولزوم توقيره وبره توقيره تعظيم ذاته واحواله
ومن ينسب اليه وامته ومعاصره واثاره بحيث لا يدانيه احد فيه فدل صراحة على لزوم تعظيمه
صلى الله عليه وسلم فلا وجه لما مر وبره بكسر البا واصل معنى البر السعة ومنه البر بالفتح مقابل
البحر ثم شاع فى الشفقة والاحسان والصلة وهو المراد هنا وصلته صلى الله عليه وسلم بصلة
اتباعه من اهله وغيرهم ممن ذكره الباب الرابع فى حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم
من الفرضية والاستحباب على كيفية مخصوصة فقوله وفرض ذلك اى فرضية او الفروض منه
من عطف الخاص على العام وفضيلته اى فضيلة المذكور من الصلاة والسلام ولتاويله
بما ذكر افرد الضمير ويكثر مثله فى اسم الاشارة كقوله عوان بين ذلك وفيه عشرة فصول مع ذكر
معه استطرادا كفضيلة المدينة وسكناها ومسجدها وفضل الصلاة فيه وفى مسجد مكة
وزيارته صلى الله عليه وسلم القسم الثالث فيما يستحيل فى حقه صلى الله عليه وسلم اى
يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا كالكذب ونحوه واصل معنى الاستحالة التغير من حال
الى حال ومنه استحال الخمر خلا ويقال استحال اذا صار اعوج وقد ورد فى كلام العرب واستعماله
فى كلامهم كثير كما وقع فى عبارة الكتاب ومن لم يقف عليه اعترض على قول المتنبى كانك مستقيم
فى محال وما يجوز عليه اى يصح ان ينسب اليه سواء كان واجبا او جايزا والمراد ما يصح اتصافه
به صلى الله عليه وسلم كالعوارض لا تشين من شبه العلية من الامور المتعلقة بالدين وغيرها
لان الجواز بمعنى الاباحة من الاحكام الشرعية فقوله وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف
اليه المراد به الامور المتعلقة بالدنيا دون الدين فيصح التقابل لان معناه ما يعرض لنوع الانسان
فى بدنه ويجوز ان يريد به ما يستحيل ويجوز على انه عطف تفسيرى فلا يرد عليه ما قيل انه لم يذكر
ما يجب والذى ذكره اولا انه اذا بين ما يستحيل فقد بين ما يجب لان استحالة الشيء تستلزم وجوب
نقيضه فلذا اجمل واختصر والمراد باضافته ان يقول انه متصف به واما انه من ذكر ما يجب وقد تعرض
له فيما ياتى فيا باه جعله ثمره ولبابا لانه من اعظم الثمرات كما لا يخفى وهذا القسم اكرمك الله جملة دعائية
والمعنى جعلك الله مكرما مبجلا هو سر الكتاب اى خلاصته او افضله او الخفى منه والمراد انه
المقصود بالذات منه ولما كان ما تضمنه من بيان ما تصح اضافته اليه وما لا تصح مما تمس الحاجة
اليه فى تعريف عظيم مقامه وجليل مقداره هو المقصود من التاليف لئلا يقع احد فيما لا يليق
بمقامه او يترك ما لا بد منه كان ما ذكر هنا زبدة الكتاب ولبه وقيل السر بمعنى الاصل كان ما سبقه
مبنى على العصمة من الرذايل ولا تساعده اللغة ولباب ثمرة هذه الابواب لباب كل شيء خالصه كما قاله
الزبيدى ومنه اللب للعقل ولبيك اى اجابة مع اخلاص والثمرة بمعناها الاصلى ويكون بمعنى الفائدة
والنتيجة والغاية وهو مجاز مشهور والابواب المشار اليها جملة ابواب الكتاب والبعض السابق

سيد

حنبلي

30

من الابواب بنا على انه كالقواعد لما بعده وما بعده كالامور المبنية عليه فهو كالثمرة له فاضافة اللباب
بيانية كما قيل وهذه استعارة مصرحة بتشبيه مقصوده بثمرة ذات لب وقيل انها سكنية وتخييلية
يجعل الكتاب بمنزلة شجرة مثمرة تشبيها مضمرا فى النفس واثبات الثمرة تخييل واضافته كذهب الاصيل
ورد بان القواعد تاباه اذ لا ذكر للكتاب فى هذه الفقرة ولا يخفى ان مراده بالكتاب هذه الابواب
لان الكتاب عبارة عنها وقيل المراد بالثمرة ما يستفاد من غيره او المقصود ولما كان غيره كالدليل
عليه كان كالدليل والمراد ان ثمرته اى تعلمه والانتفاع به لباب الثمرات وما قبله اى ما ذكر قبل هذا
القسم من الابواب والاقسام ما هو كالقواعد القواعد فى الاصل الاساس وخشبات تركب الهودج
فيها والعمد واتى بالكاف لانها ليست قواعد كلية بل شخصية ان موضوعها ذات النبى صلى الله
عليه وسلم كما قيل والاظهر تشبيههما بالقواعد الحقيقية والتمهيدات جمع تمهيد اى امر تمهد وهو فى
الاصل مصدر بمعنى اتخاذ المهاد وا لفراش كما مر والمراد انها مقدمة وتوطية له والدلايل على ما نورد
فيه ضمير فيه للقسم ونورده بمعنى نذكره من ورد الما وهو الذهاب للشرب ويقابله الصدر ثم
تجوز به عن الاتيان بشيء ما والدلايل جمع دليل على خلاف القياس وفى الايات البينات انه جمع
دلالة فان فعالة يجمع على فعايل قياسا وذكر امام الحرمين انها تكون بمعنى الدليل والظاهر انه مجاز
وياتى ايضاح ذلك مبسوطا عند قوله فصل ومن دلايل نبوته وعلامات رسالته من النكت البينات
قدم ان النكت الامور الدقيقة الغامضة فجعلها بينات جمع بنية بمعنى واضحة بالنسبة للاذكيا
ولما كان ما قبله من استحقاق التوقير والجلالة وثبوت النبوة والرسالة كالدليل على ما يجب له صلى الله
عليه وسلم ويمتنع عليه لانه اذا قيل يستحيل عليه النقايص لعلو قدره وظهور شرفه صح جعله
دليلا الا انه لم يكن مستلزما له استلزاما عقليا جعل كالدليل والاستدلال عليه يعلم من علم الكلام
وما فى غيره اقناعى وان كان لا شبهة فيه لمن جلا الايمان مرآت ذهنه ويحتمل البينة هنا ان يكون
بمعنى بنية المدعى او هو ايهام او تورية لقوله بعده وهو الحاكم على ما بعده تشبيه بليغ اى كالحاكم على
القسم الرابع من جزا سانه ومنقصه صلى الله عليه وسلم والحكم خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين
والجواهر وابرازه ايضا ولا يخفى موقعه هنا والحاكم فى الحقيقة هو القاضى ونحوه لا هذا القسم
ونحوه فان مسايله ومن يعلمها اذ لحقق ما يجب له ويجوز تبين له ذلك فجعل تبين ذلك كالحكم فى شانه
صلى الله عليه وسلم وشانه منقصه والمنجز من غرض هذا التاليف وعده الوعد معروف وانجازه ايقاع
ما وعد به واعطاؤه واصل معناه الاتمام والاحضار من نجز الامر والغرض هو المقصود من الشيء
ومن ابتدائية او بيانية والمراد بالغرض هنا تعريف حقوق المصطفى وضمير وعده يرجع لما رجع له قوله
هو او للحاكم لا للغرض والمنجز بصيغة الافعال والتفعيل وفاعل ما رجع اليه الضمير ايضا والفاعل
الحقيقى هو المصنف رحمه الله فالنسبة مجازية او هو استعارة مكنية مخيلة مرشحة بجعل هذا
القسم لتتميمه غرض التاليف كانه كريم وعد التفضل بمقصوده واجابة السايل لما سال منه من تاليف
جملة الكتاب فكانه بهذا منجز للوفا بالكل وهو من قبيل الحج عرفة والسايل وان لم يسال ما فى هذا
القسم صريحا الا انه لما استدعى ذلك كان كانه مقصود له بالذات فلذا اعتنى به المصنف

رحمه الله تعالى وعند التقصي هو تفعل من الاستقصا بالقاف والصاد المهملة وهو بلوغ اقصى
الشي وغايته او طلبه كما في قوله يا مطلبا ليس لي في غيره ارب اليك آل التقصي وانتهى الطلب
وفي بعض النسخ التقضي بالضاد المعجمة من تقضى الامر اذا تم ومضى او بمعنى التقاضي والالحاح ويحتمل
على الوجهين ان يكون اصله تقضض فابدل احدى المثلين ياء للتخفيف كما قيل في تظننت تظنيت واللام
في قوله لموعدته بمعنى وعده او موعوده صلة له او تعليلية وانجاز الموعد مقابل اخلافه قال تعالى
ان الله لا يخلف الميعاد والوعد يكون في الخير والثواب والوعيد في ضده ويجوز الخلف فيه ولو
من الله تعالى وقد يكون الكلام الواحد وعدا ووعيدا باعتبارين كقوله تعالى لاهلكن من عادى رسلي
فانه نصرة لهم وههنا اشكال مشهور وهو ان تخلف الوعيد كذب غير جائز على الله تعالى وعن انس
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده
على عمل عقابا فهو بالخيار وسئل ابو عمرو بن العلاء رحمه الله ايجوز ان يعد الله على عمل ثوابا ثم لا ينجزه قال
لا قال فاذا اوعد عقابا افلا يجوز ان لا ينجزه فقال له من قبل العجمة اتيت ان العرب كانت شرفها ان تفي
بالوعد وان لا تفي بالوعيد قال واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
قالوا ولا يلزمه الكذب لا لان الكذب يكون في الماضي والخلف في المستقبل لان فساده ظاهر لانه
عدم المطابقة مطلقا بالاتفاق بل لان الوعيد مشروط مقدرة مسلمة بشروط معلومة
من شي اخر كعدم الاصرار او عدم التوبة او عدم العفو فيكون في قوة الشرطية فلا يلزم الكذب
اصلا وقيل ان الوعد والوعيد انشا لا يتصف به كما ذكره علما الرسوم في مثل قولهم الصبي تقاوم
الاسد انه لانشاء التعجب وفي قوله رب اني وضعتها انثى لانشا التحزن وقال بعض المشايخ الوعد
حق العبد والوعيد حق الله والكريم قد يترك حقه ولا يشاح فيه وفي قواعد القرافي الخلف في
لزوم الوفا به الفقها فقال لها لك لا يلزم وبه قضى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقال سحنون
يلزم اذا دخل في امر كقوله لا تخرج دارك وانا اقرضك دراهم تشتري بها دارا تسكنها هذا
ما قالوه ومتهم في هذه ولها تتمة لعل الدهر يجز ميعادها والتقصي عن عهدته هو تفعل بالقاف
والصاد المهملة منقوص بمعنى الخروج والخلاص وبينه وبين ما قبله تجنيس والعهدة بضم
العين المهملة وها ساكنة يليها دال مهملة ضمان ما يتعهده العاقل في ذمته فيلزمه واصل
معناه الوثيقة فجعل المصنف رحمه الله اجابة سايله كالتزمه في ذمته يلزمه اداؤه
ففيه استعارة تصريحية وعند متعلق بما بعده من قوله يشرق به صدر العدو واللعين يشرق
من شرق كفرح يفرح من الشرق وهو وقوف الشراب ونحوه في الحلق والغصة مثله لكن استعمالها
في غير المايعات اكثر والمعروف اسناده للحلق الذي هو مجراه كقوله لو بغير الما حلقي شرق
كنت كالغصان بالما اعتصاري ويسند للانسان نفسه واما اسناده للصدر كما في عبارة
المص فغير معروف فكانه قصد به المبالغة في كثرته وعدم الخلاص منه لان الغصة تكون
سايغة لسعته فاذا كان الصدر نفسه شرقا لا يدفع وشرق هنا بمعنى تالم واغتاظ كما في قول
الاعشى وتشرق بالقول الذي قد اذعته كما شرقت صدر القناة من الدم وليس في قوله صدر

القناة شاهد للمص رحمه الله وتعريف العدو جنسي او استغراقي وهم اعداء الرسول صلى الله
عليه وسلم ووصفه باللعين للذم لا للتقييد اذ كل عدو له صلى الله عليه وسلم كافر مستحق
للعنة واصله المطرود مطلقا كما في قول الشماخ ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام
الذئب كالرجل اللعين ثم خص بالمطرود عن رحمة الله او للعهد والمراد به ابليس بقرينة
اللعين لانه مطوق باللعنة ليوم الدين وقيل يشرق بمعنى يضيق كضيق صدر من شرق بريقه
عند موته وفي المثل يضيق صدره حسدا ويشرق قلب المومن باليقين مضارع اشرق يشرق
اذا اضاء وهو لازم وجوز بعضهم تعديه كما في قوله ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى
وابو اسحق والقمر والبا الية او سببية كما في قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها والقلب
مشبه بما يقبل الاضاءة او بمشكاة واليقين مشبه بالنور كما يشبه به مطلق العلم ويشبه
الجهل بالظلمة ويجوز فتح يا يشرق لانه يقال شرقت الشمس واشرقت بمعنى والمعروف المزيد
وان اثبت اهل اللغة ثلاثية ايضا والاشراق صفة الكوكب ونحوها وما يقع عليه الضوء
عن الاجرام وتملوء انواره الضمير المضاف اليه لليقين والاضافة له مع انه جعل قبله النور
عين اليقين اما لانه من قبيل لجين الما اشارة الى ان الاضافة لا تخص القلب بل تفيض على ما حوله
فتملوه او المراد بالانوار انوار اخر حاصلة من ذلك النور ايضا كالهداية الى الحق ودفع الشبه ونحوه
كما ان نور الشمس الذاتي يحصل منه انوار اخر تملو الكون والمراد بكونها مالية له انها عامة شاملة
له وهو استعارة مكنية مخيلة حيث شبهت الانوار بالمياه الفايضة من البحار واثبت لها الملي
ويجوز عود الضمير للقلب جوانح صدره جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترايب
كالضلوع مما يلي الظهر ولذا اضيفت للصدر واضافة الصدر لضمير القلب لما بينهما
من الملابسة التامة والقلب معروف وتفسيره بلطيفة مدركة مرتبطة بهيكل الانسان
وقع لبعض الصوفية وهو مخالف للغة ومراد المصنف رحمه الله فلا وجه له كما مر ويقدر
العاقل للنبي حق قدره يقدر بنونه ينصر يعرف مقداره ويتصور عظيم مقامه صلى الله عليه وسلم
كما هو وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره بما عرفوه حق معرفته والعاقل
بعين مهملة وقاف وفي حواشي التلمساني انه بغين معجمة وفا قال والمراد انه يكون سببا لتنبه
الغافل وقدرته ولو لم يقل انه رواية قلنا انه تحريف من الناسخ ونزله لب اذ انتبه لما قاله
المص رضي الله عنه واحاط به خبرا عرف اجمالا جلالة شانه صلى الله عليه وسلم ولمعت من افق
اليقين له بوارق برهانه وان لم يحط بجملته فانه لا تسعه العقول ولا يحيط به نطاق البيان
كما قال انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء ويقدر معطوف على يشرق ويتحرر
الكلام منه اي يتم ويجيء محررا مهذبا في هذا القسم وفيه متعلق بالكلام لانه مصدر او اسم
مصدر يعمل عمل فعله او حال منه وقوله في بابين متعلق بيتحرر الباب الاول يختص بالامور الدينية
اي الامور المتعلقة بما يجب ويجوز ويمتنع عليه بحسب الشرع والدين ويتشبث به القول في العصمة
بمثناة فوقية وشين معجمة وبا موحدة مشددة ومثلثه التعلق والتمسك بما فيه ضعف كقولهم

الفرنوي يتشبث بالحشيش اي النبات وضمير به لما فهم مما قبله اي بما ذكر او بما يختص الخ وجعله
لكونه مرتبطا به كانه متمسك به وفي التعبير به مع العصمة لطف لانها في الاصل بمعنى الربط ثم
صارت بمعنى المنع وخصت عرفا بمنع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله
له او بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه عن ارتكابها وتكونها بخلق الله لمن يختار تفضلا منه لا يتوهم
انه مبني على القول بالايجاب وان النبوة كسبية وهو ليس مذهب اهل السنة وتكون ايضا بمعنى صونه
عن اذية اعدائه بحيث لا يقدرون عليها كما في قوله والله يعصمك من الناس كما سياتي واذا وقع لبعض
الاولياء تسمى حفظا لا عصمة فلا يقال لغير الانبياء عليهم الصلوة والسلام انه معصوم ولذا
اختلف في الدعاء بالعصمة لغيرهم هل يجوز ام لا والصحيح كما قاله ابن حجر في الزواجر انه يجوز لانه ورد
في الادعية الماثورة اللهم اعصمنا في الحركات والسكنات لكنه بمعنى مطلق الحفظ وسياتي تحقيقه
وتعلق العصمة بما ذكر لانها مبدوة ومنشاوه وفيه اي في هذا الباب ستة عشر فصلا ياتي بيانها
الباب الثاني في احوال الدنيوية اي الطارية عليه صلى الله عليه وسلم في الدنيا من جهة الاشباح
لا من جهة الارواح ولذا قال وما يجوز طروه عليه اي عروضه وحدوثه يقال طرا مهموز بزنة قعد
طروا كقعود وتبدل همزته واوا فتدغم في مثلها فيقال طرو كعلو وقد سمع ذلك كما في كتب اللغة
القاموس وغيره ولا فرق بينهما وان كان في كلام ابن القطاع ما يقتضيه وفي المغني انه ضبط هنا
بتشديد الواو واذا اسند الى الناس كان بمعنى التقدم ويقال طرا علينا فلان فلذا قال من الا
عراض البشرية جمع عرض بفتحتين وهو ما يعرض له من جهة ظاهرة سواء كان عرضا قارا ام لا والاطبا
يخصونه بغير القار فيقولون عرض ومرض ووصف الاعراض بالطرو والحدوث حقيقة ولو فسر
بالقدوم كان مجازا لكنه لا داعي له لما مر والبشرية المنسوبة للبشر ففيها اشارة الى انها غير مختصة
وما يجوز احتراز عن الاعراض المنقصة التي لا تجوز عليه فلا اطناب فيه كما توهم القسم الرابع
في تصرف وجوه الاحكام مر معنى الحكم والوجوه جمع وجه له معان مجازية منها النوع والقسم
يقال الكلام على اربعة اوجه وتصرفها تحولها وتبدلها كتصريف الرياح وقيل تبيينها وكونه بمعنى
تنويعها وذكر الوجوه تجريد عدول عن الجادة بلا فائدة والمراد بيان انواع الاحكام المتعلقة بها
وما يلزم من قالها على من تنقصه متعلق بتصرف اي نسبة ما فيه نقص لجنابه صلى الله عليه وسلم
المبرا عن النقايص او سبه السب الشتم اي بيان حكم من سبه صلى الله عليه وسلم والفرق بينه وبين
ما قبله ان السب المجاهرة بالصفات الذميمة والتنقيص اعم منه فان من قال له يا محمد فقد نقصه
شيد
وليس يشتم له وينبغي ان يخص بغير الشتم فليسا متساويين ولا بينهما عموم وخصوص حتى يرد
عليه انه لا يصح العطف باو هنا او يتكلف فيقال لحكم العام غير حكم الخاص او يقال السب بمعنى
التعزير على متعلقه بتصرف او بالحكم وكونها بمعنى الى اي تحول وجه الاحكام اليه على انه استعارة
تعسف من غير داع ويجوز كون الجار والمجرور حالا وينقسم الكلام فيه في بابين ضمن ينقسم معنى
شيد
يتحدد ويتم كما عبر به قبيله فعزل لمعناه الى بابين وحالكونه فيهما اي الى امور فقد تكلف الباب
الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص النقص هنا اعم من السب او بمعناه كما مر فلذا عطفه بالواو
ابن الحنبلي

وليسا

وليسا بمعنى كما قيل وقيل الواو بمعنى او كما يفهم من كلامه الاتي من تعريض ونص المراد بالنص هنا
الصريح وله معان اخر كلفظ القران ولفظ الحديث والدلالة على ما لا يحتمل اللفظ غيره والتعريض
ما يفسد معنى يلوح له الكلام ويومي اليه كانه يوخذ من عرضه اي جانبه يقال نظر اليه بعرض
وجهه وهو قسم من اقسام الكناية والمراد به هنا ما يقابل النص لوقوعه عديلا له وفيه كلام
طويل في كتب المعاني والتفسير بيناه في حواشي البيضاوي الباب الثاني في حكم شانيه هو اسم فاعل
مهموز الاخر من شنان وهو البغض والعداوة ويجوز ابدال همزته ياء وفتح نونه وتسكينها ومؤذيه
هو الاتي بما فيه اذية له قولا وفعلا يقال اذاه يوذيه ايذا واذا ولا عبرة بما في القاموس من انكاره الايذاء
كما بيناه في كتابنا شفاء الغليل ومنتقصه وفي نسخة صحيحة منتقصه بتقديم النون على المثناة الفوقية
يقال انتقصه ونقصه وتنقصه اذا اتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول وفعل او ترك يقتضي
ذلك وعقوبته بالجر عطف على حكم او على شانيه والضمير عايد على كل واحد من الثلاثة وبالمذكور او
على احدهما لانه عين الاخر والعقوبة هو العفو ما يقع في مقابلة ذنب واما قوله تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فهو مشاكلة او بمعناه اللغوي وذكر استتابته معطوف على حكم والمراد به
ما يتعلق بتوبته من القبول وعدمه اثباتا ونفيا واصل معناه طلب التوبة وقيل الاستفعال
للتحويل عن اصله الى غيره كقوله ان البغاة بارضنا يستنسر اي يتحول من البغاثة الى النسرية فالمراد
التحول الى التوبة بعد الكفر فتدبر والصلاة عليه اي الصلاة على جنازة من ذكر بعد موته ووراثته
اي حكم وراثته ايضا نفيا واثباتا كما في ميراث المرتد وهل يرث هو من غيره او لا وتاخير الصلاة
سيد
والوراثة عن الاستتابة في غاية الاستحكام لما يصادفه محزه وفيه عشرة فصول كذا في كثير من النسخ
وهو سهو من قلم الناسخ والصواب كما في بعض النسخ خمسة فصول وهو الذي صححه مغلطاي والشمني
في حواشيه وهو الظاهر ولا ينافي فيه ما مر في الزيادة كما قيل اذ لو كان زيادة لم يضر ضرر النقص فكان
عرضي
المصنف رحمه الله بيضه ولم يلحقه بعد اقول هذا ما قالوه برمتهم وسياتي قريبا ما يرشدك الى
الصواب فيه وختمناه اي جعلنا ختام هذا القسم لا الباب الثاني كما قيل والضمير للكتاب
بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله اي لما ناسب هذا القسم
جعله مكملا لما قبله من المسايل ومتصلا به بان عده بابا ثالثا من هذا القسم وان لم يكن منه والوصلة
بضم الواو الاتصال وهو اسم مصدر بمعنى اسم الفاعل ولولا ما قصده كان هنا خاتمة الكتاب او قسما
خامسا في حكم من سب الله ورسله عليهم الصلوة والسلام مطلقا وغير نبينا صلى الله عليه وسلم
وملائكته وكتبه وال النبي عليهم الصلاة والسلام وصحبه رضي الله عنهم اي في حكم من صدر منه
سب لواحد من هولاء او للجميع او لفريقين منهما مجتمعا ومنفردا ولا ينافيه كون من الموصولة تفيد العموم
حتى يتوهم انه يبقى حكم من سب فردا من هولاء غير مذكور والعطف بالواو لا يقتضي انه في حكم من سب
هولاء على سبيل الاجتماع مع ان المراد الاعم من ذلك كما لا يخفى ولا حاجة الى ان يقال الواو
بمعنى او فان العموم يكفي لصحته امكان شموله سواء كان ذلك في الواقع او لا مع ان مثله انما يدقق
عرضي وابن الحنبلي
فيه اذا كان في كلام يستدل بلفظه كالقران والحديث اما في كلام المصنفين فلا مع ان تعريف

الموصول كاللام فيجري فيه اقسامها فسقط ما في بعض الشروح هنا من التعسف ولخصها الكلام
فيه بالماضي المجهول وفي بعض النسخ يختصر بالمضارع والاختصار تقليل اللفظ مع تكثير المعنى
اي جعل الكلام متصفا بالاختصار فيما ذكر في خمسة فصول قيل الصواب في عشرة كما في بعض النسخ
وهو المطابق للواقع واما كون الزيادة بدت له بعد بناء على تقديم الخطبة على التاليف والعدد
لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة فقدم ما فيه وذلك ان نقول ان ضميرفيه ليس للباب الثالث حتى يرد
عليه ما ذكر بل لما تقدم اجمالا والمعنى انه كان همه ان يجعل الباب الثاني عشر فصول فاختصر
في خمسة وافرد للخمسة الباقية بابا ثالثا فصارت فصوله خمسة وهذا وان كان في غاية الخفا
احسن من حمله على الخطا وهذا ما وعدناك به فان صادف محز القبول والا فاطرحه في زوايا
الفصول ويكون هذا معنى قوله وتمامها اي بتمام هذه الفصول المكملة لما قبلها ينجز الكتاب
تفعل من نجز بجيم وزاي معجمة اي تم وانقضى فهو مطاوع نجز قال ابن القطاع نجزت الحاجة وانجزتها
فتنجزت قضيتها وقالوا انجزنا بالفتح والكسر اشهر وفي عين انه بمعنى يحضر او تم او ينقطع وفي المغني
انجزت حاجتك قضيتها والكتات حاجة للسايل موعود بها وهو مختلف في النسخ ففي بعضها
من الانفعال وفي بعضها من التفعل والكل بمعنى واختار المزيد لانه ابلغ وقيل لبعيد انه يفعله فيه
في الملائكة اقوال لاهل اللغة فقيل جمع ملك بزنة فعل شذوذا وقيل مفرده ملاك كشمال
حذفت همزته بعد القا حركتها على ما قبلها ثم ردت للجمع فوزنه فعايله وهمزته زائدة وقيل ملاك
على وزن مفعل فميمه زائدة ووزن جمعه مفاعلة وقيل مفرده مالك فقلب فوزن جمعه مفاعلة
وقيل مفرده ملاكة كفعالة من لاكه يلوكه فحذفت عينه تخفيفا ووزنه مفل وملائكة وزنه
مفاعلة ويقال فيه ملايك ايضا وتم الاقسام المذكورة والابواب ويلوح في غرة الايمان
لمعة منيرة يلوح بالحا المهملة بمعنى يبدو ويظهر والغرة في الاصل بياض في جبهة الفرس ويطلق
على كل شيء واوله واللمعة بضم اللام من لمع الشيء يلمع لمعانا اذا اضا وجمعه لمع ولماع كبرمة
وبرام واللمعة ايضا البقعة فيها كلا والقطعة من النبت اذا يبست فابيضت وموضع لا يصيبه
ماء الغسل ذكره الصغاني وعليه استعمال الفقها واما اللمعة بالفتح فمصدر لمع والرواية
هنا على الضم ومنيرة من انار ويكون لازما ومتعديا اي ذات نور ويكون بمعنى بين واضح ومبين
ومظهر والمراد انه اذا تم ما في كتابه وانتقش في صحايف الاذهان ازداد نور الايمان لا يمان بالله
ورسله عليهم الصلوة والسلام اذا قرن بتعظيم هذا النبي الكريم ومحبته والعلم بما يؤدي اليه
مخالفته من النكال ووصل صاحبه لا على عليين اذا عرفت هذا فيلوح ان قرئ بالمثناة الفوقية
ففاعله لمعة وان كانت بالتحتية ففاعله ضمير ما ذكر ولمعة الموصوف تمييزا وحالا وغرة الايمان
اشرفه واظهره فاضافته حقيقة او هو كلجين الماء لانه به يتم صاحبه وتظهر سعادته في الدارين
او يظهر انه جواد سابق في حلبة السابقين الاولين ففيه استعارة مكنية وتخييلية وعلى الرفع
فيه تجريد كقوله وفي الرحمن للضعفا كاف والمعة هي الغرة او غرة الايمان بمعنى ظاهره
واعلاه على انه استعارة مصرحة وجعل ما ذكر فيه لمعة فيه اي نورا لا يخفا عليه لانه زيادة

في ايمانه

33

في ايمانه واشار بانه لمعة الى انه من جنسه لا يكاد يتميز عنه وان كان البياض يقبل الزيادة حتى يتميز
بعضه عن بعض بشدة بياضه ولذا وصفه بالاشارة فان فهمت فنور على نور وفي بعض الشروح انه شبه
الايمان بفرس ينجي صاحبه من المهالك والاغر محمود في جنسه ففيه استعارة مكنية واثبات الغرة
تخييل وشبه كتابه هذا بلمعة منيرة في غرة فرس على نهج الاستعارة المصرحة وكنى بغرة الايمان
عن الكتب المؤلفة في شانه صلى الله عليه وسلم وكنى باللمعة عن كتابه وان له من بينهما شانا لجمعه ما تفرق
فيها وقال على تلوح لمعة لا ضمير الكتاب كما توهم او الغرة مطلق البياض والايمان التصديق بما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم واضافته من اضافة الصفة لموصوفها اي في الدين النقي يلوح لمعة منيرة واللمعة
كتابه فكانه زاد بياض الدين ونوره وتنكير لمعة للتعظيم او للتقليل بالنسبة لشرف مقامه والاول
اولى ولا يلزم من كون كتابه منيرا سلب النور عن غيره من الكتب حتى يكون ذما له غايته ان له زيادة عليها
واعترض على المص رحمه الله بجعل اللمعة في الغرة بانها لا تظهر فيها فكان عليه ان يقول يلوح في جبهة
الايمان غرة وبما قررناه علم ان هذا بمراحل عن المراد وانه غني عن الرد وذلك ان نقول اللمعة هنا جزء
من الغرة لا امر زائد عليها والمعنى ان الايمان كالغرة المميزة لصاحبها لان هذه الامة غر محجلون يعني ان هذا
الكتاب شعبة من شعبه وهذا احسن واوضح مما قالوه وقوله وفي تاج التراجم درة خطيرة اي عبارته
الدالة عليه لاستلزامها لاظهار الايمان والاقرار به بمنزلة تاج على راس عظيم لدلالتها على رفعة
قدره وما يدل منها على هذه المعاني كدرة مكللة بهذا التاج ومناسبة الغرة للتاج والدرة ظاهرة
فهو على هذا خبر مبتدا مقدر عبارته او هي درة على الاستخدام لان ما تقدم معان وهذه الفاظ
وكونها زينة ظاهر وفيه استعارة مكنية لتشبيه العارف بها بذي سلطان واثبت له ما هو
من لوازمه والتراجم جمع ترجمة بمعنى العبارة في كلامهم كثيرا كقوله في ادب الكاتب ترجمة تروق
بلا معنى وقدم انه معرب وفي شرح ادب الكاتب انه عربي وهي تفعلة من الرجم يقال رجمت اذا ظننت
قال تعالى رجما بالغيب قال ما كان من غيب ورجم ظنون فكان الترجمان الذي يصيب بظنه معنى
كلام المتكلم بلسانين ويقال ترجمان وترجمان وفي النهاية تراجم جمع ترجمان بفتح التا وضمها
وهو المترجم وفيه نظر وخطيرة بخا معجمة وطا ورا مهملتين بمعنى ذات قدر عظيم وقيل التراجم
ما الف في معناه كدلائل النبوة لترجمتها عن نعوت النبوة وجوز بعضهم ان يراد بالتراجم العلما
بنا على انه جمع ترجمان وهو بعيد جدا ولما ذكر ان كتابه من الانوار الربانية اردفه بجعله من بين
نظايره كدرة باعها اما على انه شبه التراجم اي الكتب بالملوك للانقياد لها والعمل بما يقتضيه
وشبه كتب السير بتاجها الذي به مجدها وكتابه بدرة نفيسة فيه تشبيها بليغا استعارة
تمثيلية او مكنية مخيلة مرشحة او تاج التراجم كلجين الماء وفيه اشارة الى ان كتب المتقدمين في غنى
عنه وفي تاج معطوف على قوله في غرة فهو متعلق بتلوح ترج كل لبس تزيح كدر يل وزنا ومعنى والضمير
المستتر فيه راجع لما يرجع له ضمير يلوح وهو جملة الاقسام والابواب ويجوز رجوعه للمعة
وهو اولى من رجوعه لدرة لان النها بضيابها ظلمة اللبس وان رجح لقربه وعدم العاطف ومثل هذا
الجمل بعد النكرات المتبادر انها صفات وان جاز ان تكون استينافية واما كونها حالا فبعيد للبس

سيد

ابن الحنبلي

فى الاصل الخلط او الاختلاط قال الله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل فالمراد الاشتباه او الشبهة
يعنى ان كتابه يزيل الاشتباه فى احواله صلى الله عليه وسلم او فى الدين فى الجملة وقيل اللبس هنا بضم
اللام الشبهة ويوضح كل تخمين وحدس لفظ حدس سقط من بعض النسخ ووقع فى بعضها على انه
قافية فهو فقرة مستقلة وفى المقتفى انه سقط من نسخة المصنف فتخمين قافية مع ما بعدها
على غط واحد وله وجه والتخمين والحدس متقاربان وهما الاعتقاد بمجرد الظن والتوهم وعند
اهل الميزان الحدسيات امور يحكم فيها العقل بما يلوح للنفس من الامارات الدالة عليه كالحكم
بان القمر يستفيد الضوء من الشمس بواسطة تشكلات نوره بحسب قربه وبعده منها فالمراد هنا
ان كتابه هذا يوضح الامور المتوهمة بحيث يشرق عليها انوار اليقين فيضمحل التخمين ويطلق الحدس
ايضا على سرعة الانتقال من المبادى للمطالب والمراد الاول لانه حقيقة لغة ويشف صدور قوم
مؤمنين مناسبته هذا الكتاب وللمعنى المقصود فى الاية ظاهر لان المراد انه يشفيهم من مرض
الجهل والشبه والغيظ حيث حكم بقتل العدو كما حكم هنا بقتل الساب الا انه وقع هنا فى نسخة
يشف بدون ياء فى اخره لا مجزوم فى النظم الكريم وفى نسخة بياء فى اخره لانه مستانف ووقع فى كلام
المصنف رحمه الله اذ لم يتقدمه ما يقتضى الجزم قالوا وهو مصحح هكذا فى نسخ المشايخ كمغلطاى
والنسخة الاولى لا وجه لها هنا الا قصد حكاية لفظ التلاوة والاقتباس واورد عليه انه جعله
فى كلامه ولا موجب للحذف فيه وكيف تقصد التلاوة والضمير فى الاية لله لا للدرة واللمعة حتى
يرد عليه انه ينبغى ان يكون العبارة تشفى بالتاء الفوقية لان فاعله ضمير المؤنث ويعتذر عنه بانه عايد
عليها باعتبار كونها كناية عن الكتاب كما قيل فانه تكلفات فى غنى عنه بما سمعته انفا والاية قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وهو مجزوم فيها فى جواب
امر غير مذكور ولا مقدر فى كلام المصنف رحمه الله ولا يخفى ان الحكاية مسوغة لما ذكر والمقتبس
قد يبقى بلفظه وقد يتغير كما فى قول ابن الرومى فقد انزلت حاجاتى بواد غير ذى زرع فان المراد به
فى القران واد لا نبات فيه وفى الشعر رجل لا خير فيه كما ان المراد فى النظم بالقوم بنو خزاعة وهنا مطلق
المؤمنين والمراد انه يشفى صدورهم بما يقفون عليه من صفاته صلى الله عليه وسلم لا ايمان حتى يقال
ان المؤمنين قلوبهم مشفية ويجاب بان يقبل الزيادة وزيادة الشفا شفا فانه كلام ناش
من سوء الفهم وقد اختلفوا فى جواز الاقتباس فاجازه بعضهم مطلقا ومنعه اخرون مطلقا وفصل
بعضهم فقال الحق جوازه ولو مع تغيير لفظه اذا لم يقصد التلاوة ولم ينقل لمعنى سخيف من هزل
ونحوه فان فيه تلاعبا بالقران لا يجوز ولذا نقل عن الامام مالك رحمه الله انه لا يجوز التفاؤل من المصحف
وما وقع فى فتاوى الصوفية من ان عليا كرم الله وجهه فعله لا اصل له وفى كتب فقه الشافعية
جواز ذلك من الكراهة ويصدع بالحق اى يجهر بما يدل على الحق وهو الامر الثابت فى حقه صلى الله
عليه وسلم وقال ابن عرفة رحمه الله فى قوله فاصدع بما تؤمر اى فرق بين الحق والباطل يقال تصدع
القوم اذا تفرقوا اى يظهر به او يحكم او يفصل وياتى الكلام على هذه الاية عند ذكر المصنف لها وما
قيل انه يحتمل يتشف بالحق اى يظهره من خلال تراكيبه تعسف لا داعى له وقيل المراد بالحق هنا القران لما

سيتد

عرضه

ابن الحنبلي

فيه

فيه من كتبه ايانه وقد جاء الحق مرادا به القران فى الايات وهو تكلف ايضا وهو فى الاصل استعارة
من صدع الاناء اذا شقه وقيل المراد يشف القلوب بما فيه من الادلة القاطعة والبراهين الساطعة
ويعرض عن الجاهلين بحقوق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والغافلين عن علو قدره واعراض الكتاب
عنهم استعارة لعدم التفاته لا توالهم ذكرا ورد اكتكرار الحشو ونحوه فلا يعبؤ بهم فانه انما صنف كتابه
للمؤمنين او المراد عدم انتفاعهم به فانهم كتبت عليهم الشقاوة والسامع للحق اما مؤمن يستشفى به
صدره ويزداد ايقانا او كافر له عقل سليم يرتجى قبوله للحق او ذو غباوة مفرطة او معاند فاشار الى الاول
بقوله يشفى والى الثانى بقوله يصدع والى غيره بقوله يعرض الى اخره وهذا لا يلاحظه المصنف رحمه الله
فى كلامه لان كتابه انما صنفه للمؤمنين كما صرح به وقد يراد فى بعض الاقسام من يضاهيهم فى بعض
الصفات وبالله سبحانه لا اله سواه استعين فى النسخ هنا اختلاف ففى بعضها بدل سبحانه وتعالى
وفى بعضها اسقاطهما وفى بعضها لا اله الا الله الحق المبين وليس فيه اختلاف معنى والتسبيح
التنزيه عما لا يليق وسبحانه مصدر سبح والكلام عليه ليس هذا محله طلب المعونة من الله على
ما قصده من التاليف والانتفاع به وسبحه لان السائل ينبغى ان يقدم الحمد والتعظيم قبل الطلب
كما وقع فى الفاتحة فنزهه عن ان يخيب قاصده ولذا قال لا اله سواه اى لا معبود ولا مقصود
فى المهمات سواه والجملتان معترضتان بين استعين ومعموله المقدم للاهتمام وافادة الحصر
لان الاستعانة الحقيقية لا تكون الا من الله وغيره وسايط ولذا استشكل حصر الاستعانة
فى اياك نستعين مع الاستعانة باسمه فى باسم الله على احد الوجوه واجيب بان طلب المعونة
لا يكون الا من الله واما معونة الشفاعة والتوسل فيكون من غيره كانبيائه ورسله كما ذكره
شراح الكشاف والمعونة اما ضرورية يتوقف عليها الفعل كالالة او مسهلة كالراحلة للقادر
على المشى كما فصله القاضى فى تفسير واياك نستعين قيل وعلى نسخة بالله لا سواه اشكال لان
التقديم يفيد الحصر والعطف بلا يفيده ايضا ولذا منع اهل المعانى العطف به بعد الحصر كما
فى عبارة المصنف وقالوا انه غير صحيح عندهم ثم اجاب بان الذى منعوه بعد ما والا نحو
ما قام الا زيد لا عمرو واما بعد حصر التقديم ونحوه فلم يقف عليه فيجوز ان يفرق بينهما مع افادة الحصر
وقصره غير متعين الى اخر ما قرره فلا طائل فيه اقول هذا عجيب منه فان هذه المسئلة ذكرها
عبد القاهر والسكاكى ووقع فى كلام الزمخشرى فى مواضع ما يخالفه كقوله فى سورة ال عمران
ما هى الا شهوات لا غير وذكر شراحه كلهم ان هذا لم يتم عليه دليل عند العلامة والخلاف
انما هو بعد ما والا والنفى الصريح لا فى غيره فالسؤال والجواب ساقط وقد تكلمنا عليه فى السوانح
ثم انه شرع فى المقصود فقال القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى اسماء الكتب والفاظ التراجم
فيها احتمالات مشهورة اقربها ان المراد بها الالفاظ والمعروف انها ظروف وقوالب للمعانى فاذا
عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف اى فى بيان تعظيم الى اخره والبيان يكون بهذا اللفظ وغيره فهو
من ظرفية الخاص فى العام لدخوله فيه وشموله له فشبه احد الشمولين بالاخر وعلى المشهور
المعنى لما يخيل ولا واتى له بلفظ تقديره كان كالمظروف المقصود الذى يوتى له سطر فى مناسب

عرضه

اوهو كالباس كما فضلوه وقيل في بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا ينافي ذكر
غيره بطريق التبعية والعلي هو العالي شانه في نفسه والاعلى عما عداه فالاول بالنظر الى ذاته
فلذا قدم والثاني بالنظر لغيره وليس للتفضيل على معنى فانه لا يشاركه ولا يدانيه شيء ولنا
عدي بعن فقال تعالى عما يقول الظالمون لبعده عن مخلوقاته ولذا قال سبح اسم ربك الاعلى
فان قلت لما نزلت هذه الاية قال اجعلوها في سجودكم ولما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال اجعلوها في ركوعكم فما وجهه قلت هو الهام والهام الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وحي وقد فهمه من الموحى به لان تنزيه الخالق المنعم عن مشاركة مخلوقاته في علوه وتعظيمه يكون
قولا واعتقادا وفعلا ومشاركة القول للاعتقاد والفعل بالتلبس بما يدل عليه واظهره
وضع اشرف اعضائه في تراب الذل الذي ينبت العز وكل مكان ينبت العز طيب فلذا كان العبد اقرب
ما يكون من ربه وهو ساجد وكان دعاؤه مستجابا ولما كثر تعظيم العظماء بالانحناء قائما امر بان
يقول سبحان ربي العظيم في الركوع ومن هنا يفهم وجه ذكر الاسم والرب وفي تعبير المصنف رحمه
الله من البلاغة ما عرفته فان تعظيم العظيم اعظم والعلو في المكان فعله علا يعلو كدعا
يدعو وفي الرتبة علي يعلى كرضي يرضى لقدر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وتقديم معناه قولا
وفعلا وفي نسخة لقدر المصطفى وهو متعلق معنى بتعظيم واللام للتقوية وفي تعظيم قدره اي رتبته
تعظيم ابلغ من تعظيم ذاته والمراد بالقول ما ورد في القرآن والكتب السماوية والاحاديث
القدسية وبالفعل ما خصه به من التاييد ورفع ذكره ودينه ونسخ شريعته لما عداها واكرمه
صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وغيرها ولا وجه لتخصيص الاول بالقرآن والثاني بالمعجزات
الا ان يكون قد اقتصر على اعظم ما عظم به فليس بسهو كما قيل قال القاضي الامام ابو الفضل
هو عياض بن موسى السبتي بفتح السين نسبة لسبتة بلدة بالمغرب لانه بها قاضيا كامل ولذا
اشتهر بالقاضي اليحصبي بالحركات الثلاث في الصاد كما مر وهي قبيلة من العرب وقد قدمنا
ترجمته وقد افردها بعض اهل العصر بجزء سماه زهر الرياض في محاسن عياض وما وقع في النسخ
من قوله الامام من تلامذة النساخ لانه لا يمدح نفسه كما تقدم لا خفاء على من مارس شيئا
من العلم اي ليس شيء من الخفا والاستتار عند من له علم ومارس بمعنى عالج ولازم من الممارسة
وهي وضع الحبل في البكرة للسقي ويقال مرس الشيء اذا عركه كما في افعال ابن القوطية ثم شاع في كل
ملابسة مع المزاولة والملازمة وشيئا المراد به شيء قليل او شيء يعتد به والاول ابلغ والثاني
انسب بالممارسة ونفس الامر والمراد بالعلم المعلومات والاصول والقواعد مطلقا او الشرعي
منها وليس المراد به الملكة ولا الصورة الذهنية والشيء كما يصح ان يعلم ويخبر عنه والموجود
في الخارج ويصح ابقاؤه على عمومه كما يقال فلان ليس بشيء اي ليس مما يصدق عليه لفظ شيء
ولا مانع منه كما قيل وخص بالدني نسخة خص بضم الخاء على صيغة المجهول الماضي بمعناه الاصلي
من التخصيص وقيل انه بمعنى فضل اي صار ذا فضل ان لم يكن التخصيص اضافيا والمقام يأباه
لان المراد ان الله خصه بشيء قليل من الفهم دون ان يعطيه شدة فهم وذكاء فان ما ذكر اذا لم

عرضي

سيد

يخف

35

يخف على احد غيره واو على اصلها لاحد الشيئين ولا يخفى على مثل هذين ولا حاجة الى جعلها بمعنى الواو
والفهم تصور المعنى من اللفظ او سرعة الانتقال ويجوز ان يكون او بمعنى بل كما في قول جرير كانوا ثمانين
او زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت اولادي فهي للترقي ممن عنده علم الى من له ادنى فهم وادنى
يكون بمعنى اصغر مقابل الاكبر وبمعنى اقل مقابل الاكثر وبمعنى اخس واذل مقابل اشرف كما في قوله تعالى
اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير والكل من مادة دنو وقيل الاخير مقلوب ادون من الدون
وهو الردي اي اردا ولمحة بفتح اللام من اللمح وهو كما في القاموس اختلاس النظر وسرعته فهو كناية
عن القلة كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر وقال التلمساني اللمحة بالضم قليل النظر
وبالفتح المسرة وقيل فان صح الضم هنا فالمراد بالادنى الاقل وبالفهم قليله وهذا بطريق
الكمية والاول بطريق الكيفية ومن في قوله من فهم ان كانت بيانية فهو استعارة بجعل ما للبصر
للبصيرة ويؤيده انه وقع في نسخة بادنى لحظة واللحظ النظر بمؤخر العين وان كانت ابتدائية اي
لمحة ناشئة من فهم فهو يجوز فيه ان يكون باقيا على حقيقته وفي نسخة من الفهم معرفا بتعظيم الله
قدر نبينا اي مرتبته وشرفه صلى الله عليه وسلم والباء قيل انها للملابسة وقيل بمعنى في وقيل بمعنى
من اي من جهته وقيل انها سببية وهل هو مستقر ولغو في متعلقه احتمالات وجوه اشار
اليها الشراح وعلى كل حال لم نر ثابتا بما يثلج الصدر والظاهر ان مراد المصنف رحمه الله انه
لا خفاء في تعظيمه صلى الله عليه وسلم عند من له ادنى بصيرة وحينئذ خفاء اسم لا وقوله على الخ
متعلق به لانه يتعدى بعلى يقال خفي عليه كذا فهو حينئذ منون لشبهه بالمضاف بتعلق الجار
ويجوز بناؤه على الفتح على لغة حكاها نحاة بغداد وقد روي قوله صلى الله عليه وسلم لا مانع لما
اعطيت بلا تنوين فقال المحقق الحفيد رحمه الله جمهور النحاة على وجوب التنوين في مثله لجعل الظرف
معمولا له فيكون شبيها بالمضاف واما جعله معمولا لمقدر على انه خبر لا فلا يناسب المعنى اذ المقصود
كونه للاسم لا للخبر كما لا يخفى لكن بعض النحاة جوز ترك التنوين وكذا جوز الزمخشري وتبعه القاضي
في قوله لا تثريب عليكم اليوم الا انه منعه في قوله لا غالب لكم اليوم فكانه مال الى المذهبين في الموضعين
انتهى فان قلنا على متعلقة بخفا على الوجهين فقوله بتعظيم الخ خبر لا والباء بمعنى في او للملابسة او بمعنى
من والظرف مستقر فان قلنا انه لغو فالباء متعلقة بعلم او بفهم لان العلم قد يتعدى بالباء وقدر بالنصب
متعلق بتعظيم وخصوصه اياه اي تخصيصه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم من بين ساير الناس
فالخصوص بمعنى التخصيص لا بمعنى التفضيل كما توهم فانه عدول عن الظاهر بغير داع وهو مصدر
مضاف للفاعل وهو ضمير الله والضمير المنفصل للنبي صلى الله عليه وسلم وهو مفعوله بفضايل
ومحاسن ومناقب كلها مجرورة بالفتح لمنع الصرف والجار والمجرور متعلق بخصوص والمراد ما اعطاه الله
له من الكمال النفسي والبدني خلقا وخلقا وصورة وسيرة من الامور الدينية والدنيوية التي لا يدانيه
فيه احد وهذه عبارات متعاربة معنى متغايرة مفهوما وقد تفسر بمعان متغايرة متباينة فيقال
المراد بالفضائل ما انفرد به من العلم والعمل وبالمحاسن ما يتعلق بذاته الكريمة وبالمناقب ما يفتخر به
من عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وسيادته وشفاعته في المحشر كما هو مقتضى العطف واصل

الفضايل جمع فضيلة وقد يخص بما لا يتوقف تحققه على تعدى اثره ويقابله الفواضل كما مر والمحاسن الحسن
في الصورة جمع حسن على خلاف القياس او جمع محسن وهو الموضع الحسن من البدن كما في القاموس والمناقب
ما يفتخر به كما مر وضده المثالب وحاول بعضهم اثبات تغايرها بما لا تساعد اللغة عليه ويأتي في الحديث
انا سيد ولد ادم ولا فخر اي انا لا افتخر به كعادة الناس وان كان لا فخر اعظم من فخره وقوله ولا فخر
احتراس وتكميل وهو يكون في الاول والاخر والوسط خلافا لمن خصه بالاخيرين فالاول كقوله الا
يا اسلمي يا دار مي على البلا   ولا زال منهلا بجرعايك القطر   والاخر كالحديث والوسط كقوله
فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الحيا وديمة تهمي   فان الدعا بالسلامة او الاحتراس ولا ثنا
فيه قوله لا زال كما صرح به بعض الادبا وان غفل عنه من فضل بيت طرفة عليه لا تنضبط بزمام
فتنضبط بالتاء الفوقية ويجوز بالتحتية على ان الضمير للفضايل وما معها او للمذكور واصل الضبط
الحفظ بالامساك بيد ونحوها واما كونه بمعنى الاحصا والحصر ومنه الضابط للقضية الكلية
وقيل بينهما فرق عرفي فلم يرد في اللغة وانما استعمله المصنفون والمولدون كان الكلي لجميع افراده
حافظ لها وممسك ولبعض وجه اي ما ذكر لا يمكن احصاؤه وتفصيله وبزمام روي بالبا واللام
كما قاله التلمساني والاول اظهر والثاني اشهر فان بالسببية ولام التعليل متقاربان معنى والزمام
بكسر الزاي المعجمة ما يزم به اي يشد النعل والناقة ولا يختص بالثاني كما في القاموس وفي كلامه هنا
استعارة تصريحية او تمثيلية فالقول بانه لا استعارة فيه وان فسر بمطلق الشد لا وجه له واغا هو سيند
كما قيل في المثل كثرة الشد توخي فانهم واما جعله استعارة مكنية بتشبيه الفضايل بناقة قوية تغلب
صاحبها فركيك جدا ونوليه من عظيم قدره يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واشعت تعظيمه قال
تعالى ورفعنا لك ذكرك وفي حديث عمر رضي الله عنه انا اول من نوه بالعرب اي رفع ذكرهم بالديوان
والاعطا وهو مجرور بالعطف على التعظيم او الخصوص وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم وفي نسخة
لعظيم قدره باللام والمشهور عن المبنية لمقدر يفسره قوله بما تكل عنه الالسنة والاقلام اوله بنا على
جواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة فلا وجه لرده بمنع تقديم ما في حيز الصلة
عليها لانه على هذا متعلق بمقدر او حال من الموصول وقيل من بمعنى اللام او زائدة وبما متعلق بتنويه
وما عبارة عن امور او وجوه وتكل بمعنى تعيى وتعجز الالسنة والاقلام عن احصايها او على تشبيه
الالسنة والاقلام بالناس وهو من كلال السكين بمعنى عدم قطعها فهو ايضا استعارة مصرحة
او مكنية وبين الالسنة والاقلام مناسبة تامة فانهم قالوا القلم احد اللسانين فيشبه احدهما بالاخر
وينسب له كما قيل والسنة الاقلام تشكر دايما صنيع الذي اوليت في اليد والفم عنها اي عما عبر عنه
بما من الفضايل ما صرح به في كتابه الضمار الله اي نص عليه واظهره وقال المرزوقي رحمه الله في قوله
فلما صرح الشر امسى وهو عريان يقال صرح الشر بالنصب اذا اظهره وصرح هو اذا انكشف ومثله
بين الشر وبين هو فيكون لازما متعديا بالبا ومتعديا بنفسه ونبه به اي بما ذكر في كتابه واصله معنى
ايقاظ النايم وتذكر الغافل ويراد به مطلق الذكر كما هنا والمصنفون يخصونه بذكر امر تبيين او سبق ذكره
ومنه تنبيه في التراجم وقال التلمساني اصل التنبيه ان يكون في شي وقعت فيه الغفلة عنه من قوله

او فعل فلا اشكال ولا التباس على جليل نصابه في المصباح كغيره من كتب اللغة النصاب والمنصب
تمهيدا لعلو والرفعة وله منصب صدق اي منبت محتد وامراة ذات منصب اي حسب وجمال لانه
رفعة لها انتهى فاصل معنى النصاب والمنصب العلو والشرف حسبا ونسبا من الانتصاب وهو القيام
اي ان الله جل وعلا بذكره صلى الله عليه وسلم في كتابه المنزل نبه على جليل رفعته وشرفه وهذا هو اصل
معناه في استعمال العرب فما قيل انه لم يظهر له معنى هنا الا ان يكون ماخوذا من نصاب الزكاة مجازا عن
مقامه الذي حاز فيه الخلق كلهم كلام ناش من عدم فهم كلام العرب وعدم معرفة اللغة وقد سبق
الكلام فيه فتذكره ويأتي ايضا الكلام عليه واثنا عليه من اخلاقه واداته بيان لما اي ما مدحه الله
به مما ذكر والثنا ممدود بتقديم المثلثة قال الجواليقي تكرير الحمد ولا يكون في الذم وهو فعال من ثنيت
واثنيت عليه ثنا حسنا والثنا الاسم وربما استعمل في الشر قال زهير   سيات الحسن حيث
كانوا من الكلمات ما فيه ثنا   ولقائل ان يقول انما سمي الذم ثنا على سبيل التهكم والثنا
بتقديم النون والقصر في الخير والشر والفعل منه ثنا ينثو ويأتي في صفة مجلس النبي صلى الله
عليه وسلم لا تنثى فلتاته فلا يلتفت الى من قال انه لا يبنى منه فعل وقال بعض اهل اللغة الثنا
يكون في الخير والشر والثنا لا يكون الا في الذكر الجميل والقول الحق هو الاول انتهى فالصحيح
ان الثنا مخصوص بالمدح والثنا عام فيه وفي مقابله وليس مخصوصا باللسان كما مر فثنا الله
حقيقي ولا دخل للاصطلاح فيه كما توهم فهو اظهار الصفات الكمالية مطلقا والله تعالى لما
مهد بساط الوجود ومد مايده الوجود في ساحة الامكان كشف كمال صفاته واظهر نعم
مبدعاته والاخلاق جمع خلق بضمتين وبضم فسكون الطبع والسجية التي فطره الله عليها
والاداب بالمد جمع ادب والادب في اللغة كما قاله البطليوسي ادبان ادب نفس وادب درس
ويقال ادب بخبرة وادب عشرة كما قيل يا سايلي عن ادب الخبرة   احسن منه ادب
العشرة   وقال الجواليقي في شرح ادب الكاتب الادب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسن
من الاخلاق وفعل المكارم كترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقا قال المغنوي لم يمنع الناس
مني ما اردت ولا اعطيهم ما ارادوا حسن ذا ادبا كانه ينكر على نفسه او يعطيه الناس ولا يعطيهم
واصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على ان يسموا العالم بالنحو والشعر اديبا ويسموا هذه
العلوم ادبا وهو من كلام المولدين واشتقاقه من الادب وهو العجب او من الادب مصدر
ادب القوم اذا دعاهم قال طرفة نحن في المشتاة ندعو الجفلى   لا ترى الادب فينا ينتقر
فكانه تعجب منه لحسنه او من صاحبه لفضله اذ يدعو الناس الى المحامد والفضل وينهاهم
سيند عن القبايح والجهل والفعل منه ادبت فانا اديب انتهى فالادب هنا بمعناه اللغوي وهو اجتماع
خصال الخير والفقها يطلقونه على ما يقرب من السنن في العبادة وفي بعض الشروح الادب
حسن التناول والاخذ وحض العباد على التزامه الحض بحا مهملة وضاد معجمة والحث
بمثلثة الطلب الشديد السريع والالتزام افتعال من اللزوم فهو بمعنى الالزام البليغ ويكون
بمعنى المعانقة وهو مجاز عن اللزوم ايضا او كناية متفرعة على المجاز وعلى كل حال فالمراد به

عدم المفارقة لما كان عليه من الاخلاق والاداب كما قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة فانه صلى الله عليه وسلم كانت له طاعات ومحاسن فامر الناس باتباعه فيها
وامرهم الله ايضا بذلك بقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وفيه اشارة الى انها على قسمين قسم امر
باتباعه وقسم لم يؤمر به كالامور الجبلية والخصايص النبوية ولذا وصف الاسوة بحسنة وان
كان كل ما هو عليه حسن قيل والمراد به ما كان فرضا ونفلا فان التزم فنحن نلتزم فعله وفرضيته
وان التزمه نفلا فنحن نلتزمه ونلتزم كونه نفلا والحاصل انا نلتزم ما التزمه على الوجه الذي التزمه
اذا لم يختص به كما يعلم من مقابله وهذا كلام حسن الا انه ينبو عنه قوله وتقليد ايجابه لمنافاة
الايجاب للنفلية ولك ان تقول ثم اعني المصنف رحمه الله ان ما امرنا باتباعه فيه عليه قسمين مستحب
اشار اليه بقوله خص العبادة على التزامه فان الطلب يكون ايجابيا وغير ايجابي كما بين في الاصول
وواجب اشار اليه بقوله تقليد ايجابه فليس هذا تاكيدا لما قبله كما قيل وحمل الفقرتين على الايجاب
يخل بالاداب والتقليد وضع القلادة في الجيد استعير للالتزام استعارة تصريحية اصلية
لا تبعية ويجوز جعلها مجازا مرسلا والتقليد والايجاب مصدران مضافان للمفعول ويجوز
في الثاني ان يكون مضافا للفاعل وما قيل من ان الثاني اخص من الاول والايجاب ليس بمعناه الحقيقي
بل هو مبالغة في الاحتراز عن تركه او مجاز عن الاتيان من وجب اذا اتى بالوجبة والضمير ان لما صح
او للنبي صلى الله عليه وسلم اي ما خص به على التزام امر تعسف لا ينبغي ان يصدر عن مثله فكان
جل جلاله الجلال العظمة وفي جعل الجلال له جليلا مبالغة في تعظيمه كما حققه الامام المرزوقي
في حججه وقال الاصمعي الجلال لا يوصف به غير الله لغة وقيل انه قد يوصف به غيره كقوله
الحماسي الم على ارض نقادم عهدها بالجزع واستلب الزمان جلالها ويجوز ان يكون المعنى
جلت عظمته عن ان يساويها عظمة غيره مما يسمى عظمة عند الناس فالاسناد حقيقي فان
اريد جلت ذاته من جهة كبريائها فالاسناد مجازي كجد جده والتفريع على ما قبله على ما اعطاه
الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه واعلاء مقامه فان يدل على انه هو الذي
تفضل واولى اي انعم واعطى افضل رسله عطايا جزيلة جليلة بان خلقه اعظم الناس حسبا
ونسبا وجعله اشرف الرسل واكثرهم امة وهذا ناظر لقوله تعظيم قدره واولى بمعنى وفي النهاية
انه العطا من غير مكافاة فعلى الاول هو عطف تفسيري وعلى الثاني من عطف الخاص على العام
ثم طهر وزكى الطهارة الحسية معلومة والمعنوية نظافة الظاهر والباطن من الاوصاف الذميمة
والاخلاق الرديئة وزكى يكون بمعنى طهر وبمعنى نمى ويجوز ارادة كل منهما فالمعنى انه طهره وزاد
طهارته وهذا ناظر لاخلاقه وادابه صلى الله عليه وسلم والعطف للتراخي الزماني او الرتبي
لما بين التخلية والتحلية من البعد وليست هذه التحلية مؤخرة على ما فسرناه ثم مدح واثنى
على رسوله صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة من القران كقوله وانك لعلى خلق عظيم ونحوه
مما ياتي وهذا ناظر لقوله واثنى الخ والمدح الثنا بكل جميل اختياريا كان اولا ولذا اختاره واما
كونه للاشعار باختصاص الحمد بالله فبعيد جدا والكلام على الثنا قد مر وقيل المراد بالتفضل

هنا التفضل علينا بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الذي هو نعمة ورحمة والتطهير تطهيرنا
من الشرك والاثام والثنا علينا بكنتم خير امة وغيره وهو لا يناسب السياق والسباق ثم اثاب
عليه الجزاء الاوفى اثاب بمعنى اعطا الثواب وهو الجزاء فاما انه تجريد واثاب بمعنى اعطا والجزاء
مفعول مطلق من غير لفظه كجلست قعودا فلا حاجة اليه مع الاوفى وهو يتعدى لمفعولين فالاول
مقدر اي اثابه وعليه ضمير راجع لما تفضل عليه والوافي بمعنى التام والاوفى افعل تفضيل منه
فله الفضل عودا وبدءا اي اولا واخرا والبدو الابتدا والعود الرجوع والابتدا يقابل بالانتها
ويقابل بالعود ايضا ومنه المبدي المعيد والفضل الانعام والاحسان مطلقا ومن غير مقابل
وهما منصوبان على الظرفية وقيل على نزع الخافض اي انه تعالى ابتدا بانعامه على نبيه صلى الله عليه
وسلم بان خلقه على اتم خلقه واكملها ثم زكاه وطهره ظاهرا وباطنا ثم عاد على احسانه فيمه وزاده
الثنا الجميل والثواب الجزيل ولو لم يثبه لانه اوجده واقدره تفضلا منه كان ذلك له وقيل
المراد بالبدء الخلق والايجاد وبالعود الجزا والمعاد كقوله انه هو يبدئ ويعيد والسياق
يا باه لتفرعه على ما قبله بالفا الواقعة احسن موقع فالمراد انه تفضل عليه بما اولاه من الكمال
والمناقب ولسبب ما فعله تكرما له ثم مدحه به واثابه عليه ثم ثواب فكان بذلك متفضلا
في البدء والعود والحمد اولى واخرى اي هو المستحق للحمد في اول الامر واخره او في الدنيا والاخرة
لانه المتفضل دائما في الدارين وقيل تقديره اولى الحمد واخره لانه صيغة تفضيل وقد حقق
اهل اللغة ان يكون اسما للتفضيل وظرفا بمعنى قبل فيجري عليه احكامه ووزنه على الاول افعل
وعلى الثاني فوعل وهذا ينون فيقال اولا واذا كان اسم تفضيل يجري عليه احكامه ومونثه
اولى ومونث الاول اولة وقد ثبت ذلك عن العرب كما ذكره المرزوقي في شرح الفصيح ومقابلها
اخرى واخرة وقد تغلب عليهما الاسمية للدارين فيصيران بمنزلة اسمين جامدين يستعملان
استعمالهما لان اسم التفضيل يلزم التذكير والافراد ان لم يضف ويقترن بالالف واللام
خطى ولذا ابو نواس في قوله كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب وان
اجابوا عنه كما فصلناه في شرح الدرة واما كونه وصفا مجردا عن التفضيل ومثله يجوز فيه المطابقة
وعدمها فرد بانه سماعي كما في التسهيل وغيره وبان معنى التفضيل مراد منه بلا شبهة لان الدنيا
متقدمة والاخرى متاخرة فلا يصح ان يقال انهما تجردا عنه ولا يخفى ما فيه فانه سمع في
القران والكلام ومثله كاف في ثبوته مع انه يرد على مدعاه بالنقض لانه اذا كان التفضيل
مرادا منه كيف يقال انه غلبت عليه الاسمية فهل هذا الا جمع بين الحادي والملاح واعلم
ان ما ذكره المصنف معنى بليغ فانه ذكر انه تعالى ينعم بانواع النعم ثم يمدح عبده ويثني عليه
بقوله لنعمائه ويجزيه على ذلك اتم جزائه وهو احسن من قول ابن طباطبا يمدوحه لا تنكرن
اهداءنا لك منطقا منك استفدنا حسنه ونظامه فالله عز وجل يشكر فعل من يتلو
عليه وحيه وكلامه وله نظاير في معناه في كتب الادب وفي ليام الخلق عكسه فانهم
من ذا راى من انعم عليه متهم قد يحسده ويوذيه وهو احد الوجوه في قول المتنبي واظلم

سيد

دلجي

اهل الارض من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب ومنها ما ابرزه اي اظهره ظهورا تاما الان
اصله جعله على براز بالفتح اي مكان مرتفع العيان ما يشاهد بفتح العين ولا تفتح فيه العين لانه
مصدر عاينه معاينة وعيانا كقتال وفي المثل ليس الخبر كالعيان بل ورد في الحديث وروى
كثيرون منهم احمد وابن حيان رحم الله اخي موسى ليس المعاين كالمخبر اخبره تبارك وتعالى ان قومه
فتنوا به فلم يلق الالواح فلما راهم وعاينهم القى الالواح فكسر منها ما انكسر وروى للعيان اي ما ابرزه
الله للعيان فاللام للتعدية او للتعليل قيل والمراد به ما علم يقينا سواء كان مشاهدا او منقولا
يتيقن ويصير كالمشاهد لانه عد منها تاييده بالمعجزات وليست كلها مشاهدة مع انه بالنسبة لمن بعد
عصره غير مشاهد الا انه بمنزلته لصحته لا لتواتره لان ادعاه في جميعها التواتر غير مسلم ولك ان تقول
انه تغليب لقوة المشاهد ولكثرته من خلقه بفتح الخا وسكون اللام كما قيده الشمني وفي المقتفى انه بضمها
وهو بارز للعيان بالمعنى السابق والمعطوف هو التخصيص به فلا تكرار فما قيل انه غير سديد لانه
ما ابرزه للعيان ولانه سيذكره غير سديد قيل والمناسب لقوله وتخصيصه وتاييده ان يكون الخلق
بمعنى التخليق والايجاد وهو تاويل من غير حاجة وضمير خلقه الله او للنبي صلى الله عليه وسلم واعلم
ان هذا كله انما يحتاج اليه اذا جعل قوله وتخصيصه الاتي مجرورا معطوفا على خلقه اما لو رفع وعطف
على ما ابرزه لم يحتج الى تكلفه على الاول كيف يعترض على من جعل الخلق بضم الخاء فتدبر على اتم وجوه
الكمال والجلال الجار متعلق بخلقه سواء كان بمعنى تخليقه ام لا او صفة مصدر مقدر اي خلقا
كاينا على الخ او حال من المضاف قيل والتقدير اذا قرئ بالضم المطبوع على اتم الوجوه او هو متعلق
بمضاف مقدر اي ابراز خلقه او هو حال والوجوه الانواع والمراد اتم الوجوه المحققة في زمن او الجهة
الممكنة وهو احسن اذ لم يوجد مخلوق يدانيه صلى الله عليه وسلم فضلا عن ان يساويه ولا داعي
لهذه التكاليف فانه غني عن التاويل والمراد بالجلال مهابته في عين رائيه وتخصيصه بالمحاسن
الجميلة مر بيان المحاسن والجميلة من الجمال وهو الاتصاف بالصفات الحميدة ولذا ورد اطلاقه
على الله كما مر في حديث ان الله جميل يحب الجمال وفي عرف اللغة حسن الصورة المشاهد وهو بهذا
المعنى لا يطلق على الله وهو مراد المصنف وفي الحواشي التلمسانية الجميلة والحميدة كلاهما نعت فالاول
بمعنى فاعل لان الفعل منه جمل بضم الميم اي لازم والثاني بمعنى مفعول ولا بد من لحوق التا في اخر كل
واحد منهما لانه صفة للجمع ولا يجوز ان يوصف الجمع بمفرد بخلاف ما اذا كان للواحد فانه لا يخلو اما
ان يكون بمعنى فاعل كعليم او بمعنى مفعول كجريح وفي المحصول للفخر التا في فعيلة للنقل من الوصفية
الى الاسمية الصرفة فلا يقال شاة اكيلة ونطيحة يعني لغلبة الاسمية وتقريره ان هذه التا من فعيل
بمعنى مفعول اذا كان تابعا للموصوف لم يلفظ بالتا وقد تثبت كخصلة حميدة وصفة حميدة فاذا حذف
موصوفه جرى مجرى الاسما فتثبت فيه التا كهذه جريحة واما اذا كان فعيل بمعنى فاعل فانه بالتا
فتحققه فانه مفيد اقول فهم من كلامه ان الموصوف اذا كان جمعا تثبت تاؤه على كل حال ولم ار من ذكره
غيره وبقية كلامه ظاهر والاخلاق الحميدة اي المحمودة وهي الصفات المعنوية التي هي للباطن كالصورة
للظاهر وعليها مدار كمال البشرية والثواب والعقاب قيل وهو مبالغة او مجاز والتخصيص في الجملة

لانه

عرضي

سيد

جلبي

لانه لم يرد عد الخصايص هنا فسقط ولذا فسر التلمساني التخصيص بالتعيين ولا مانع من حمله
على ظاهره نظرا الكمال لها او مجموعها والمذاهب الكريمة المذاهب جمع مذهب وهو الطريق ويطلق
على ما اختير من الافعال وغيرها كما يقال مذهب الفقها والمراد مسالكه صلى الله عليه وسلم
في احواله مع امته او في نفسه وللناس فيما يعشقون مذاهب وهو ماخوذ من الذهاب
وهو الخروج الى المقاصد سواء اوصل اليها ام لا ولذا اختلف فقها والمنافيه فقيل لا يشترط
الوصول وقال نصير يشترط لقوله تعالى اذهبا الى فرعون فانه بمعنى ايتياه والكريمة
بمعنى الحسنة النفيسة المطلوبة لاهل الكمال وقيل هي بمعنى العزيزة المنزهة عن النقايص
والفضايل العديدة اي المعدودة من المفاخر من قولهم فلان عديد بني فلان اذا كان يعد فيهم
ويعتد به او المراد الكثيرة قال صاحب المحكم في قوله تعالى سنين عددا جعله الزجاج مصدرا
وقال المعنى تعد عددا ويجوز ان يكون نعتا للسنين والمعنى ذوات عدد والفايدة في قوله عددا
في الاشياء المعدودة انك تريد توكيد كثرة الشيء لانه اذا قل فهم مقداره وعدده فلم يحتج
الى ان يعد واذا اكثر احتاج الى العد فالعدد في قولك اقمنا ايا ما عدة اريد به الكثرة انتهى
فقول بعض الشراح هنا نقلا عن التلمساني انه من العد بالكسر للماء الكثير تكلف نشا من ان ذكر
العديد يدل على القلة كما ذكر ابن هشام عن ابن عبد السلام في هذه الاية من ان عددا بمعنى
معدودة ذكر ليدل على القلة لان ما كثر في الغالب لا يمكن عده ولا يمكن هذا هنا لانها ذكرت
لتعظيم القصة فلعل ذكرها لمناسبة رؤس الاي انتهى وتاييده بالمعجزات الباهرة التاييد
النصر والتقوية من الايد وهي القوة والمعجزات جمع معجزة اسم فاعل من الاعجاز افعال من العجز
ضد القدرة والمراد اثبات العجز واظهاره ممن شانه التحدي وقيل العجز مجاز عن عدم القدرة
كالجهل لعدم العلم وهما في الاصل امر وجودي او متعلق به فيمن شانه القدرة فلا يقال العجز للحجر
عن الحركة وهو امر خارق للعادة مقرون بالتحدي او بزمانه على وجه يدل على صدق مدعي النبوة
الذي من شانه التحدي فلا يشترط فيه التحدي بالفعل والباهرة بمعنى العجيبة او الظاهرة ظهورا
لا يكن سترة ومنه قمر باهر اي تام الاضاءة او الغالبة لمن يهم بمعارضتها وبه فسر قوله ثم
قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصا والتراب والبراهين الواضحة جمع برهان وهو
الدليل القوي الذي يحصل به اليقين وليس المراد به البرهان المنطقي لميا وانيا وان شمله والواضحة
بمعنى الظاهرة والكرامات البينة جمع كرامة وهي امر اكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين
بدون تحد ودعوى نبوة فيكون للنبي والولي واعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدي
بالقوة او بالفعل وبقولنا اكرم الخ خرج السحر وما يصدر من الكهنة والشياطين وجعل
الوصف بها شاملا لما قبلها حتى البراهين تعسف ركيك التي شاهدها من عاصره اي كان
في عصره ومدة حياته والمشاهدة الروية بالعين من الشهود وهو الحضور وعنده او المراد
علمها علما متيقنا فيدخل فيه نحو ابن ام مكتوم رضي الله عنه ويشمل ما سبق مما لا يدرك بالبصر
وراها من ادركه اصل معنى الادراك اللحوق يقال ادركته اذا لحقه ومنه ادرك الطعام

والثمراي الحال النضج وادراك الغلام بلوغ حال الرجولية فادراك البصر للشي لحوقه له برؤيته
ثم شاع في معنى العلم مطلقا وهذه الجملة مفسرة لما قبلها فليست حشوا اذا كما توهم ويمكن الفرق
بينهما بان يراد بالاولى من طالت صحبته صلى الله عليه وسلم وشاهد حاله كله من الاولين
والسابقين وبهذه من بعدهم على ان الاطناب في مقام الخطابة مستحسن وفي نسخة عاصرها
وادركها والاولى اولى وعلمها علم يقين من جا بعده من التابعين فمن بعدهم لتواتر بعضها واشتهار
بعض اخر منها ونحو ذلك مما ينفي الشبه وعلم اليقين كشجر الاراك فاضافته لامية او بيانية
على راي ويلحق به ما كان بطريق الكشف حتى انتهى علم ذلك الينا اصل معنى انتهى بلغ النهاية ولنا
يكون كما في قوله وكل شي بلغ الحد انتهى والمراد انه بلغنا ووصل الينا الان من انتهى اليه شي
وصله وضمير الينا للمتاخرين ومن بعدهم الى الحشر وهذا يناسب ما مر من تفسير من ادركه بما اخرج
الصحابة ممن ولد بعد الهجرة لان لفظ الادراك يشير اليه اشارة ما فتكون عبارته شاملة
لجميع الامة تفصيلا والا فهذا داخل فيما قبله لانهم ممن جا بعده وفاضت انواره علينا اصل معنى
الفيض في الما ونحوه من المايعات يقال فاض السيل اذا كثر وسال وافاض بالالف لغة وفاض
الانا فيضا امتلا وافاضه حاجه ملاه وفاض الخير كثر واستفاض الحديث انتشر واشتهر
فهو مستفيض ولا يقال مستفاض وهو لحن عند الاصمعي واثبته بعضهم فشبه الانوار وانتشارها
بما سايل مندفق والمراد بانواره ما ظهر من بركته صلى الله عليه وسلم والضمير للنبي صلى الله عليه
وسلم او للعلم لانه ورد اطلاق النور على كل منهما او اراد بالنور الايمان وما يترتب عليه من العلوم
الشرعية الموصلة لسعادة الدارين المنقذة من ظلمة الضلال وفي نسخة وفاضت حقيقته
وانوارها اي الحقيقة المحمدية وما لها من الكمال في نفس الامر وضمير انوارها للحقيقة او للكرامة
صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اي دائما عقب ما ذكر مما وصل من خبره
بالدعاله صلى الله عليه وسلم ولاله الذين هم واسطة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم
فيما وصل الينا ففيه شبه لف ونشر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين محمد بن الحافظ قراة
مني عليه قراة منصوب بنزع الخافض اي بقراءة مني عليه او مفعول مطلق اي وانا اقرا قراة
وقراءة ومني عليه صفتان له وهذا الحديث اسنده المص رحمه الله من طريق الترمذي وهو
حديث حسن اخرجه احمد والبيهقي في سننه والقاضي المذكور شيخ المص قراء عليه بالاندلس
وهو ابن فيرة بن حيون المصدفي السرقسطي الاندلسي المعروف بابن سكرة وهو من المشهورين بعلم
الحديث وترجمته مفصلة في اسما الرجال وقال الشهيد لانه استشهد ببعض ثغور الاندلس
في وقعة وقعت في سادس ربيع الاول سنة اربع عشرة وخمسمائة وله من العمر نحو من ستين
سنة والحافظ وصف لكل من اكثر رواية الحديث واتقنها وقد انقطع هذا في عصرنا وكان اخر
الحفاظ السيوطي والسخاوي وبين بقوله قراءة الخ وجه الاخذ عنه فانه كما تقدم يكون
بقراءة الشيخ وقراءة التلميذ عليه وقراءة غيره وهو يسمع والغالب الاول فاذا كان غيره
احتاج للبيان حتى منع ابن الصلاح رحمه الله تعالى ان يقول من قراء على الشيخ حدثنا مطلقا

وان اجان

وان اجان غيره كما فصلوه حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن احمد المعروف بالحمامي 39
بفتح الحا المهملة وتخفيف الميمين سمع من ابن شاذان وخلق كثير بعده وكان من اهل الخير والصلاح
وابو الفضل احمد بن خيرون في المقتفي هو الحافظ الناقد ابو الفضل احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون
البغدادي الباقلاني سمع من ابن علي بن شاذان وابي بكر البرقاني وروى عنه خلق كثير وروى عنه
شيخه الخطيب ابو بكر وابو علي بن سكرة وابو عامر العبدي وترجمته مشهورة وهو عدل متقن
توفي في رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة وله من العمر اربع وثمانون سنة وقد ذكره في الميزان
وصحح عليه وخيرون بفتح الخا المعجمة تليها مثناة تحتية ساكنة وعن المزي ان الاصل في خيرون
الصرف الا ان المحدثين لا يصرفونه لشبهه بجمع المذكر السالم انتهى يعني ان هذه الصيغة لما
تعهد في الاعلام المفردة اشبه من الاسم الاعجمي وهو احد الوجوه في امثاله من الاعلام التي
على هذه الزنة كزيدون وعبدون كما في شرح التسهيل فان فيه لغات فيعرب بالحروف اعراب
الجمع حكاية لاصله ويعرب بالحركات مع لزوم الياء كغسلين والواو كهارون ويمتنع حينئذ
من الصرف كما ذكرناه والاظهر انه على اعتبار المزيد يكون مطلقا عند بعضهم على القادي وقال
ابو العلا المعري في كتاب عبد الوليد ان بعض العرب يجعل الف نحو الصلاة واوا فهذا منه
ولذا منع صرفه وهو غريب جدا فقول بعضهم كانه اراد بمنع الصرف مجرد منع الكسر والتنوين
والا فشرط صيغة منتهى الجموع وتبعه الشارح خبط ناش من عدم الوقوف على كلام النحاة
في امثاله قال حدثنا ابو يعلى البغدادي احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ويعرف بابن زوج الحرة
كما ذكره ابن ماكولا رحمه الله وقال انه سمع علي بن علي السنجي جامع الترمذي ببغداد ويعلى بفتح
المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام المفتوحة مقصورة قال حدثنا ابو علي السنجي
بكسر السين المهملة ثم نون ساكنة ثم جيم ثم ياء نسبة لسنج وهو كما قال ابن ماكولا ابو علي الحسين بن
محمد بن احمد بن شعبة المروزي السنجي ورد بغداد وحدث عن الترمذي بجامعه عن ابي العباس
محمد بن احمد بن محبوب عن الترمذي وسمع منه وروى عنه زوج الحرة وغيره حدثنا محمد بن
احمد بن محبوب هو ابو العباس المحبوبي المروزي راوي جامع الترمذي حدثنا ابو عيسى ابن سورة
الحافظ سورة بفتح السين المهملة تليها واو ساكنة ثم را مهملة وها والد ابي عيسى الترمذي
الضرير المحدث المشهور هو وتصانيفه كالجامع والسنن قيل انه ولد اكمه وسمع ابن قتيبة
وغيره مات بترمذ في رجب سنة مائتين وتسعة وسبعين وقال الذهبي في الميزان انه ثقة مجمع عليه
ولا عبرة بطعن ابن حزم فيه لانه لم يعرف احواله وترمذ بفتح المثناة الفوقية وكسر الميم وكسرهما
وهو المشهور وبضمهما كما قاله السمعاني حدثنا اسحق بن منصور الكوسج الحافظ المشهور توفي
سنة احدى وخمسين ومائتين وهو ثقة في الرواية حدثنا عبد الرزاق بن همام بن نافع ابو بكر
الصنعاني احد الاعلام الثقات الذين روى عنهم اصحاب الكتب الستة وهذا حديث حسن
سند في الترمذي وغيره ولم يروه الا عن عبد الرزاق فهو غريب كما قال صاحب المقتفي والسيوطي
في تخريج احاديث هذا الكتاب اخبرنا معمر هو بفتح الميمين بينهما عين ساكنة مهملة وبالرا معجم

بن راشد بن عروة البصري عالم اليمن ثقة له اوهام معروفة احتملت له في سعة ما اتقن وله ترجمة
في الميزان توفي في رمضان سنة ثلاث او اربع وخمسين ومائة باليمن اخرج له الجماعة قال معمر
طلبت العلم سنة مات الحسن وفي اربع عشرة عن قتادة هو ابن دعامة ابو الخطاب السدوسي
الاعجمي الحافظ المفسر روى عن عبد الله بن سرجس وانس وخلق كثير وعن ايوب وشعبة وخلق
توفي سنة سبعة عشر بعد المائة وقيل غير ذلك وله ترجمة في الميزان عن انس بن مالك
الصحابي المشهور رضي الله عنه وستاتي ترجمته في الباب الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بالبراق بصيغة المجهول اي اتاه جبريل عليه الصلوة والسلام به فحذف فاعله لشهرته
كما صرح به في غير هذه الرواية ولانه يعلم من اخر الحديث وبراق كغراب دابة فوق الحمار دون البغل
سمي به لشدة سرعته كما يقال لحركاته برق خاطفا ولشدة تلألؤه وبريقه او بياضه وقال

مطلب اهون البراق ذاتا وصفة

المصنف رحمه الله انه سمي به لانه ذو لونين كما يقال شاة برقا اذا كان خلال بياض
صوفها طاقات سود واورد عليه انه مخالف لما صرح به في بعض طرق هذا الحديث
من انه ابيض الا ان يقال انه باعتبار الاغلب فيه وفي كتاب خيل النبي صلى الله عليه وسلم
ان وجهه كوجه الانسان وذنبه كذنب الغزال وقوايمه كقوايم الثور وجسده كالفرس
وقال الثعلبي جسده كالانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه بعين مضمومة وراء مهملتين
وفا كعرف الفرس وقوايمه كالابل واظلافه كالبقر لانها ياقوت وظهره كدرة بيضا وله
جناحان في فخذيه يضع حافره عند منتهى طرفه كما ورد في الصحيح وهو مذكر وسمع تانيثه
باعتبار الدابة وقيل تذكيره لتذكير الملك وتذكير وصفه فان مبنى التذكير على عدم التانيث
لانه الاصل لفظا ومعنى وقال ابن الملقن انه ليس مذكرا ولا انثى وقول جبريل في رواية تأتي
يا براق لا تنفري لا ينافيه لانه نظر الظاهر حاله واحتمال التاويل او نظر المحقق تا الوحدة
اذ لم يقم دليل على احد الشقين وقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين اغلبي ومخصوص
بدواب الارض وصيغة المذكر لا تخص بما له مؤنث لانها الاصل فلا جمع بين مغيسين متنافيين
في قايم وقايمة كما توهمه الكندي وهو ملك خلق على هذه الصورة لحمل الانبياء عليهم الصلوة
والسلام ولا مانع منه كديك العرش او هو دابة مخلوقة في الجنة وقد قالوا انها تدخلها
بعض دواب الارض ايضا وبلغوها نحو عشرة ونظموها في شعر مشهور شعر براق شفيع الخلق

ناقة صالح   وعجل الابراهيم كبش لنجله
وهدهد بلقيس ونملة بعلها   حمار عزير كلب كهف لشمله
وحوت ابن متى ثم باقورة لمن   يبر بام في رخاء ومحله
فهذه عشر في الجنان وغيرها   يكون ترابا يوم حشر لكله

ليلة اسري به بصيغة المجهول والجار والمجرور قايم
مقام فاعله وليلة منصوب على الظرفية باتي والاسرا كان ليلا في سبع وعشرين ربيع
الاول وقيل السبعة عشر خلت من رمضان وقيل سبع وعشرين من ربيع الاخر وقيل
من رجب وقيل انه كان في شوال وكان ليلا لانه ادل على القرب وسنه صلى الله عليه وسلم
خمسون سنة وتسعة اشهر واسرى وسرى بمعنى وهما سير الليل وقيل اسرى لاوله وسرى

لاخره

لاخره واختار السهيلي ان سرى لازم واسرى متعد ترك مفعوله والاسراء والمعراج كانا في ليلة
واحدة يقظته بجسده على الاصح وبينهما فرق سياتي لان ماذكرهنا استطرادي ملجما مسرجا
مخففان بزنة مصحف اي مهيا للركوب سرجه ولجامه حالان من البراق وهل هو علم او اسم
جنس منحصر في فرد كالشمس الظاهر الثاني لوروده معرفا ومنكرا او القول بتعدده والاستدلال
عليه بقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين مما لا ينبغي الاشتغال به لكن الامام السهيلي رحمه الله
افاد انه كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم تركبه الانبيا عليهم السلام ذكره في شرح السيرة
وتسمعه عن قريب فاستصعب عليه ضمير استصعب للبراق او المركوب المعلوم من السياق
وضمير عليه للنبي صلى الله عليه وسلم اي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد ركوبه لم يقر حتى يركبه
ويجوز عود ضمير عليه للبراق ايضا اي صار الركوب صعبا على البراق كما قيل وهو تكلف والفعل
مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول لانه سمع من العرب لازما ومتعديا يقال استصعب الامر
علينا بمعنى صعب واستصعب الامر اي وجدته صعبا يعني انه امتنع وابى ان يركب بسهولة
ولذا فسر بنفر اي شمس كما ورد في بعض الروايات ويقال دابة شموس وشموص بمعنى حرون وروى
ان جبريل عليه الصلوة والسلام مسك ركابه وميكائيل عليه الصلوة والسلام زمامه
ومن هنا علم ان قول بعض الشعراء في مدحه صلى الله عليه وسلم   جبريل خادمه وميكائيل
ليس بمنكر لما فيه من ترك الادب كما توهم وسبب استصعابه فيه وجوه منها انه لم يركبه احد
قبله قال السهيلي رحمه الله وهو مبني على ان الانبيا عليهم الصلوة والسلام لم تركبه او هو لبعد
عهده بالركوب لطول زمن الفترة وما قيل من الخلاف فيه الظاهر انه في ركوب هذا النوع لجواز
تعدد شخصه وهذا الشخص لم يركبه احد منهم وان ركبوا غيره او لما في جبلة الفرس الاصيل
من عدم التذلل كلام واه رواية ودراية وقيل انه كان نشاطا وفرحا بركوبه صلى الله عليه وسلم
وياباه ما روى من انها نفرت ونفشت عرقها وقيل كان نخوفا من تقصير في حقه صلى الله عليه
وسلم وقيل انما توقف حتى ياخذ عليه العهد ان يركبه في الجنة كما في قصة الجذع وحنينه ومن العجيب
ما في تذكرة القرطبي في تفسير قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت في صورة كبش والحياة
في صورة فرس انثى بلقا وقد كان الانبيا عليهم الصلوة والسلام يركبونها وحكاه ابن عباس
رضي الله عنه وطعن الحلبي في صحته عنه وقال السهيلي في الروض الانف بعد ما نقل الخلاف
في ان البراق هل كانت تركبه الانبيا عليهم الصلوة والسلام قبل النبي صلى الله عليه وسلم
اولا وما ورد فيه ان سبب نفاره ما ورد في كتاب البعث ان جبريل عليه الصلوة والسلام
قال له يا محمد هل مسست الصفر اليوم فقال ما مسستها ولكن مررت بها فقال تبا لمن يعبد
من دون الله وقد اختلفوا في المراد بالصفر فيه فقيل الذهب وعبادتها جمعها كما يقال عبد
الدرهم والدينار وقيل لكل شيء مغناطيس ومغناطيس الانسان الذهب وقيل هو صنم مذهب
كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وسبه له اما لاهانته او لارادة كسره او غير ذلك قال ابن
حجر رحمه الله هذا واه جدا اقول في الخصايص الكبرى ان ابا يعلى وابن عدي والبيهقي وابن عساكر

سيد

اخرجوا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم شهد مع المشركين بعض
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قريب فلم يعد بعد
ذلك لمشاهدهم قال الطبري والبيهقي معنى قوله انما عهده الخ انه شهد من استلم الاصنام لا انه
صلى الله استلمها او المشاهد مشاهد الحلف ونحوه لا مشاهد الاصنام وقال ابن حجر هذا
الحديث انكروه وانما المنكر منه قوله انما عهده الخ فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس
بمراد انما المراد انه شهد استلام المشركين لها وروي ايضا ان بوانة صنم كانت لقريش
تشهده يوما في السنة وابو طالب معهم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يحضره فابى
فغضب هو وعماته وقالوا له يا محمد ما تريد ان تحضر لقومك عيدا او تكثر لهم جماعة فلم يزالوا
حتى ذهب وغاب فعاد مرعوبا فزعا فقالت له عماته ما دهاك قال اني اخشى ان يكون بي لمم
فقلن له ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما رايته قال اني كلما
دنوت من صنم منها تمثل لي رجل ابيض يصيح وراك يا محمد لا تمسه فما عاد صلى الله عليه وسلم
الى عيد لهم حتى نبئ وانما فصلنا هنا لان الامام السهيلي تردد فيه في الروض بقي هنا انه هل
اردف النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ام لا فذكر البرهان انه اردفه خلفه وفي رواية انه
ركب قدامه والذي ظهر لي انه انما استصعب لما لم يعرف النبي صلى الله عليه وسلم وظن انه غير
نبي فلما عرق خجلا لما اعلمه جبريل عليهما الصلوة والسلام بانه نبي الله فقال له جبريل عليه
الصلوة والسلام للبراق لما فعل هذا وجبريل علم للملك المشهور وفيه لغات وصلت اربعة
عشر لغة جبريل وجبرين وغيرهما مما ياتي في اثناء الباب الثاني وبعضها قرئ وهو عبراني او سرياني
ومعناه عبد الله على الاصح وايل اسم الله في لغتهم وليس بمعنى عبد وما قيل من ان ايل لا يعرف
من اسماء الله ليس بشيء ابمحمد تفعل هذا في نسخة زيادة يا براق وفي رواية ابن حبان ما حملك على
عرض
هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه وروى البيهقي يا براق والله ما ركبك مثله وروى
البزار يا براق لا تنفري من محمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل افضل من محمد ولا اكرم
على الله منه قال لقد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة واني احب ان اكون في شفاعته
فقال انت في شفاعتي ان شاء الله قيل ففي رواية المص رحمه الله اختصار فان قيل يبعد
سيد
الاسرا فالامر سهل وليس كما قال فانه اختلاف رواية لا اختصار والاستفهام انكاري وتقدم
الظرف لتخصيص الانكار او زيادته به لانه صلى الله عليه وسلم اجل من علاه فلا يليق النفار
منه والاشارة راجعة لمصدر استصعب او لما فهم كما اشار اليه بقوله فما ركبك احد اكرم
على الله منه الفا للسببية واكرم افعل تفضيل من الكرم وهو وصف جامع لكل خير وشرف
وضده اللوم والكرم في العرف بمعنى الجود فيقابله البخل والمراد هنا الاول فان قلت المراد
انه ليس احد عند الله اكرم منه ولا افضل ولا مثله ولا يدانيه والعبارة قاصرة قلت قال
في شرح المقاصد استدلوا على تفضيل الصديق بحديث ما طلعت شمس ولا غربت بعد

النبيين والمرسلين على افضل من ابي بكر رضي الله عنه ومثله وان كان ظاهره نفي افضلية الغير لكن
انما يساق لاثبات افضلية المذكور ولهذا افاد افضلية ابي بكر رضي الله عنه والسر فيه ان الغالب
في حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوي فاذا نفي افضلية احدهما ثبت افضلية الاخر انتهى
حيد
وقيل اذا قيل ليس في البلد افضل منه فالمراد ليس فيها من يساويه ويدانيه فضلا عمن يزيد عليه
وهو معروف في استعمال البلغا وروى هنا ما ركبك مثله وهو يؤيده فهو كناية اذ الافضل
لا بد له من مساواة المفضول في بعض الوجوه وان زاد في بعض اخر فقصد بنفيه نفي لازمه وهو
سيد
المساواة وفيه بحث وظاهر الحديث ان البراق ركبه غير نبينا صلى الله عليه وسلم وقد مر انه ثابت
وقال النووي انه لم يصح وقال ابن حجر رواياته كلها واهية ولذا قيل هنا ان المعنى هنا انه لم يركبك
احد فكيف ركبك اكرم منه على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقيل الذي رواه النسائي
والسهيلي وابن هشام والقرطبي انه ركبه غيره من الانبيا عليه عليهم الصلوة والسلام حتى قيل
ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يحج عليه في كل سنة حتى قيل له براق ابراهيم وقول النووي
اشتراك جميع الانبيا عليهم الصلوة والسلام فيه يحتاج لنقل صحيح يحتمل انه انكار لمجموع المذكور
ثم ان ركوبه صلى الله عليه وسلم له انما هو لبيت المقدس ثم ربطه في الصخرة ولم يصعد عليه بل
على رفرف اي معراج من نور وقال الشيخ عز الدين بن غانم المقدسي في كتاب شجرة الايمان ان مركبه صلى الله
عليه وسلم الى بيت المقدس والاول البراق ثم مركبه الثاني الى سماء الدنيا المعراج ثم مركبه الثالث
من سماء الدنيا الى السماء السابعة اجنحة الملائكة ثم مركبه الرابع الى سدرة المنتهى جناح جبريل ثم
مركبه الخامس الرفرف الاخضر من النور سد ما بين الخافقين قال هو من كلام الراوي عن انس رضي الله
عنه فارفض عرقا ارفض بهمزة وراء ساكنة مهملة وفاء وضاد معجمة مشددة بزنة احمر بمعنى سال وصبب
وعرقا تمييز محول عن الفاعل وعرقه لخجله او مهابته من استصعابه وثبوت الخجل للحيوان غير مستبعد
وقيل ارفض بمعنى ترشش عرقه وقال ابن رسلان عن المص رحمه الله ان ارفض بمعنى خر على الارض
وبرك كما روي انتفض ايضا والمعروف في كتب اللغة الاول وفي بعض الروايات ارفض عرقا وقر وفي اليه
ثم قر وفسر بانه جرى عرقه ثم سكن وانقاد وترك النفار وقلت في معناه بديهة شعر عرق البراق وقد
اراد محمد يعلو عليه لاجل حل مصالحه فكانه لنفاره متخجلا متاسف يبكي بكل جوارحه
واعلم ان المص لما ذكر هذا الحديث مسندا على خلاف رواية في هذا الكتاب وغير اسلوبه في غيره
من الاقسام والابواب لانه لما كان هذا اول الاقسام وتاج التراجم والمرام وتقديمه له للاهتمام
صدره بحديث ثابت فيه من الدلالة على ما اراد بيانه من التعظيم قولا وفعلا ما لم يتيسر لغيره
من الانبيا عليهم الصلوة والسلام مما تقصر عنه الافهام وتتحير فيه العقول والاوهام وهو
دعوة الملك الجليل له ليلا لحظاير قدسه كما يدعى المقرب المطلع على الاسرار وارسل لدعوته
عظام ملائكته ببراق مسرج ملجم على عادة الملوك اذا عظموا من دعوه ارسلوا له بعض
المقربين بمركوب كانوا يسمونه فرس النوبة فاوصله الى حرم عزته لمكان لا يصل اليه
سواه وكلمه بغير واسطة وتجلى له بلا حجاب ولذا قال جبريل عليه الصلوة والسلام

انه اكرم خلقه عليه وسياتى تفصيله فى بابه ان شا الله تعالى   الباب الاول فى ثنا الله تعالى عليه
الثنا المدح كما تقدم تقريره واظهار عظيم قدره لديه بقول غير ثنا ظاهر كالقسم به والامر باتباعه
فهما متغايران اذ الاصل فى العطف التغاير واراد بالفعل القول الصريح فى ثنا وغيره والمراد عظيم
قدره صلى الله عليه وسلم بالنسبة لغيره من الانبيا عليهم الصلوة والسلام او مطلقا فبينهما
عموم وخصوص وجهى وهو متباين جزئى فالثنا من غير تفصيل ينفرد به الاول وينفرد الثانى بالاسرا ونحوه
ومادة الاجتماع تفضيل بالقول على غيره فان اريد بالثنا ما يدل على الكمال مطلقا بطريق المجاز
فالعطف للتفسير والا فصحيح اعلم ان فى كتاب الله العزيز بالجر صفة الله او للكتاب لان العزيز بمعنا
القوى الغالب ويقال عزه اذا غلبه وفى المثل من عز بز وهو من اسمائه تعالى ويوصف القران به
والمراد بالكتاب لانه بمعانيه واعجازه فاق كل كتاب وغلبه واعلم امر من العلم يصدر به ما يعتنى به
من الكلام تقوية وتاكيدا وحثا على القا البال لما بعده تنبيها على انه مما ينبغى ان يعلم ولا يترك وقد
ورد كذلك فى القران وكلام العرب كقوله فاعلم انه لا اله الا الله ولذا التزم بعضهم الابتدا ان المؤكدة
كقوله   فاعلم فعلم المرء ينفعه   ان سوف ياتى كل ما قدرا   ايات كثيرة اسم ان وكثيرة صفته
جمع اية واصل معناها العلامة والجماعة ثم خصت بمقدار من القران وجمع من الحروف له مبدا
ومنقطع مندرجة فى سورة فى الاكثر وفى اشتقاقها وتصريفها ما مر شىء منه مفصحة بجميل ذكر
المصطفى صلى الله عليه وسلم اى مبينة له والافصاح لغة الكشف ويقال افصح اذا اتى بكلام فصيح
وهو يتعدى بعن والمص رحمه الله عداه بالبا ولم يسمع فهى بمعنى عن فانها تاتى بمعناها ولا يختص هنا
بمادة السوال كما فى قوله عز وجل فاسال به خبيرا او هو مضمن معنى ناطقة اى دالة او محمول على ما هو
بمعناه كاتى او المراد انها مبينة فى حد ذاتها والبا للملابسة من افصح اللبن اذا ذهبت رغوته وجميل
ذكره بمعنى ذكره الجميل وتفسيره بان الذكر الجميل يظهر بها لا يخفى ما فيه والجميل المحمود من الصفات
وخصه بعضهم بالاختيارى ولنا فيه كلام فى حواشى التهذيب وعد محاسنه اى تفصيلها لما
بينهما من الملازمة فى الجملة وفيه ايما الى ان تفصيلها لا يحيط به نطاق البيان وتعظيم امره اى شانه
وماله فى نفسه او هو مقابل النهى والمراد ايجاب اتباعه فترك النهى اكتفا لان الامر بالشئ نهى
عن ضده او المراد مطلق الطلب مجاز وتنويه قدره اى رفعه باشاعته على وجه التعظيم والتكرير
يقال نوه باسمه تنويها اذا رفعه كما قال تعالى ورفعنا لك ذكرك قيل هو تصريح باللازم وتعميم
بعد التخصيص اعتمدنا منها اى من الايات والمراد باعتماده على بعضها اقتصاره عليه
او جعله عمدة مقصودا بالذات وغيره بالتبع ويقال اعتمد على كذا اذا اتكا عليه وليس مرادا هنا
وجملة اعتمدنا صفة ايات وجمعنا الاتى بعده معطوف عليه وقيل انها حال من المجرور بعدها
على راى من جوز تقديم الحال على صاحبها المجرور وفيه نظر على ما ظهر معناه وبان فحواه ظهر وبان
بمعنى اى اتضح وانكشف والمعنى ما يفهم من اللفظ ويراد به ما يقابل الذات والمراد الاول
والظهور ضد الخفا لا ما اصطلح عليه الاصوليون والفحوى لغة كالمعنى والفحوى عند الاصوليين
بمعنى مفهوم الموافقة ويمد ويقصر والاشهر فيها القصر كما قال ابو على فى المقصور والممدود

ماخوذ

ماخوذ من الفحا وهى التوابل والابزار قيل وينبغى ان يراد به هنا مطلق المفهوم وهو معتبر بلا خلاف
ولذا اعتبره فقهاونا فى ظاهر الرواية وانما الخلاف فى صحة الاستدلال به من النصوص فلا وجه
لما قيل المصنف رحمه الله مالكى المذهب ومالك رضى الله عنه لا يقول بالمفهوم حتى يجاب
بان صاحب الملخص نقل عنه انه قايل به لخروجه عن سنن السداد وقيل بمعناه اللغوى فهو
من عطف احد المترادفين على الاخر وقد تخص النحوى بما يفهم قطعا او من خلال التراكيب وان لم
يكن بالمطابقة وجمعنا ذلك المعتمد عليه فى عشرة فصول الفصل الاول فيما جا من ذلك مجى المدح
والثنا وليس من قبيل الفصول المذكورة والمدح والثنا متقاربان وليس من عطف الخاص على العام
كما قيل وتعداد المحاسن بالجر عطف على المدح وذكر الحلبى انه صح نصبه ووجه بان اصله ومجى تعداد
على انه مفعول مطلق معطوف على مثله بعد حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكونه
منصوب على الحالية سهو وتعداد بفتح التا مصدر بمعنى التعديد كقوله تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم الاية بالنصب بتقدير اعنى
او اذكر او اقرا اشارة لبقية الاية اختصارا قال بعض المفسرين هذه الاية اخر اية نزلت وقد
قيل يستفتونك فى اخر النسا واخر سورة براة وقيل اية الربا واراد بعضهم التوفيق فلم يساعده
التوفيق ووقع فى حديث جمع القران ان هذه الاية لم توجد الا مع خزيمة الانصارى رضى الله عنه
ووقع فى البخارى مثله فى قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الخ واستشكل ذلك
بانه ينافى اتفاقهم على تواتر القران واجيب بان المراد التثبت فى تلقيها ممن تلقاها عن النبى صلى الله
عليه وسلم بغير واسطة والمبالغة فى استظهار ما كتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم
او انه وجد من شاركه فى حفظها فتواترت وقيل المنفى وجودها مكتوبة لا محفوظة فتدبر
وقال ابو الليث السمرقندى رحمه الله نسبة لسمرقند مدينة معروفة بفارس قال التلمسانى المصحح
فى النسخ بفتح السين والراء وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الرا وتبع فيه صاحب القاموس
اذ قال اسكان الميم وفتح الرا اللحن وفيه نظر وهى معرب شمركند وسمر اسم رجل وكند بمعنى قرية والسمرقندى
هذا هو الامام الجليل المعروف بامام الهدى وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه الحنفى المشهور
صاحب التصانيف الجليلة كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه الغافلين والبستان
توفى ليلة الثلاثا لاحدى عشرة خلت من جمادى الاخيرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ومن ائمة
الحنفية ايضا اخر يدعى بابى الليث السمرقندى متقدم على هذا كما قاله السمعانى وهذا يعرف بالحافظ
وبهذا اللقب يفرق بينهما وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفا وقراة الجمهور بالضم اى بفتح الفا
والضم والواو فى قوله وقرا من المحكى فهو معطوف على مذكور فى اهله وفى عبارة المصنف على مقدر
وفى المحتسب لابن جنى انها قراءة عبد الله بن قسط المكى ومعناها على الفتح من خياركم واشرفكم
ومنه قولهم هو من انفس المتاع اى اجوده وخياره ومنه المنافسة وهى اشتداد الرغبات فاصل
يقتضى التحاسد والغبطة وهى كما فى شرح ادب الكاتب ماخوذة من النفس كان المنافس فيه لرغبته
وحرصه عليه مثل نفسه عنده وهذه القراة شاذة كما يعلم من نسبة الضم للجمهور وعزاها

بعضهم لابن محيصن ورويتها فاطمة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم وانفس على الفتح افعل
تفضيل وجوز التلمساني فيه ان يكون اسم فاعل وهو بعيد وعلى الضم جمع نفس لانه ما من قبيلة الا وقد
ولدته صلى الله عليه وسلم كما ياتي الا بني تغلب لتمسكهم بالنصرانية والجمهور بالضم كثير من الخلق
جمعه جماهير وحكى التلمساني فتح جيمه وهو غريب قال القاضي الامام ابو الفضل عياض
وهو روايته بالمعنى لانه لا يمدح نفسه وعبارة المص رحمه الله كما في بعض النسخ قال ابو الفضل
وفقه الله تعالى وقد سقط كله من بعض النسخ المتداولة اعلم ماض من الاعلام الله تعالى المؤمنين
جعل المخاطب هنا المؤمنين لقوله تعالى في سورة آل عمران لقد من الله على المؤمنين اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم والقران يفسر بعضه بعضا وهذا الخطاب هو المسمى في الاصول
بخطاب المشافهة وهل هو مخصوص بالموجودين منهم في زمان النزول والنازلين في مهبط
الوحي وهم الموجودون منهم وغيرهم عن سيوجد من هذه الامة اقوال اختلفوا فيها بعد الاتفاق
على دخولهم في حكمه وانما الخلاف في كونه يدل عليهم وضعا اولا فالدلالة هل هي قياس او اجماع
او دليل اخر وليس هنا محل تفصيله وهو شبيه بالخلاف المذكور في المنطق بين الفارابي وابن سينا
على في عنوان موضوع القضية وان لم يتنبهوا له ووجه التخصيص بالمؤمنين انهم المنتفعون
ببعثته صلى الله عليه وسلم في الدارين وان كان رحمة لجميع العالمين والمقصود بهذا الخطاب
الامتنان عليهم او اعلامهم بمضمونه وان كان منهم من يعلمه تغليبا اهتماما بارشادهم ولذا
اكده بالقسم او هو للاشارة الى ان نطاق علمهم لا يحيط بعظيم قدره وقيل انه لتنزيل رب العالمين
منهم منزلة غيرهم لغفلتهم عن عظيم هذه النعم والتقصير عن شكرها وقيل هو لقصد اعلام
الجاهل واظهار المنة على العالم واستبعد وقيل ان قوله بالمؤمنين التفات مراعى فيه نكات
او هو من وضع الظاهر موضع المضمر تشريفا لهم واهانة لمن عداهم وفي الالتفات بعد هنا
ورد بان المؤمنين لا سيما الصحابة رضي الله تعالى عنهم عالمون بمدلول هذا الخبر فلا
اعلام لهم بحسب الحقيقة الا ان ينزلوا منزلة غيرهم لغفلتهم عن هذه النعمة وشكرها والعمل
بمقتضاها او اراد مجرد توجيه الكلام نحوهم والاظهر ان المقصود هنا اظهار المنة وتنبيه
من غفل عن هذه الصفات وفوائدها كما مر اقول هذا زبدة القيل والقال هنا وتحت الرغوة
اللبن الفصيح فان هذا مع ما فيه من التكرار والتقصير محتاج للتنقيح والتفقير فان وضع
الظاهر موضع المضمر لا يخرجه عن الالتفات وان جاز ان يقال انه تجريد بناء على عدم المغايرة
بينهما ولما كان الكلام هنا ليس محل التاكيد لعدم جهل المؤمنين وترددهم في مضمونه
احتاج للتوجيه فتدبر او العرب على ان المراد بانفسهم جنسهم وانه صلى الله عليه وسلم
عربي مثلهم وقد رجح هذا اكثر المفسرين لتبادره ولان قوله بعده فان تولوا فقل حسبي الله
يدل على عموم اختصاصه بالمؤمنين وقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم قد فسر بما ذكر لان ضمير منهم عائد على الامة المسلمة السابقة في قوله ومن ذريتنا
اي ابراهيم واسمعيل اذ لا امة من ذريتهما الا العرب كما قيل واحتمال اختصاص بعثته صلى الله

وسلم

مطلب خطاب المشافهة مخصوص بالموجودين

مطلب اول من نطق بالعربية

وسلم بهم مدفوع بالقران والادلة القاطعة وهذا لان العرب كلهم من ذرية اسمعيل عليه
الصلوة والسلام والصحيح عند اهل التاريخ خلافه قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب
اسمعيل ليس اول من نطق بالعربية لان العرب من ولد قحطان وهو اول من تكلم بالعربية حين
تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل باليمن هو واولاده ثم نطق بعده ثمود بلسانه وتخصص حتى نزل
بالحجر فكان منهم شحة قبايل قديمة فنفت السنتهم بالعربية وبعث فيهم هود وصالح وشعيب
عليهم الصلوة والسلام ولما بوا الله اسمعيل الحرم وهو صغير وانبط له زمزم مرت به رفقة من جرهم
فراوا ما لم يكونوا راوه فاخبرتهم امه بنسبه وحاله فتبركوا به وبمكانه ونزلوا معه فنشا اسمعيل
عليه الصلوة والسلام معهم بين ولدانهم وتكلم بلسانهم فانكح منهم وقالوا نطق بالعربية
غيره فقالوا بالعربية لسان لحمي ويقال لهم العرب العاربة ولغيرهم المتعربة والمستعربة
الداخلة في العرب كنبز ولعيس اشمي والذي قاله الازهري كما مر انهم نزلوا بقعة او سكنوا بلدة
يقال لهم عربة ضموا بها عربا او اهل مكة لانهم اقرب نسبا اليه صلى الله عليه وسلم او لانهم
اول من جا اليه او لانهم اشرف العرب وهو اشرفهم فهو خيار من خيار وهذا لا يقتضي تخصيص
بعثته صلى الله عليه وسلم كما صرحت به النصوص واتفقوا عليه ولا يرد عليه ان نوحا عليه
الصلوة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض كافة بعد الطوفان لانه لم يبق على الارض الا من كان
معه فعموم رسالته صلى الله عليه وسلم لعدم وجود غيرهم كادم صلى الله عليه وسلم واما
نبينا عليه الصلوة والسلام فعموم رسالته من اصل بعثته على ان دعوة نوح عليه الصلوة والسلام
لم تعم من بعده وكون نوح عليه الصلوة والسلام اول الرسل كما ورد في الحديث الصحيح فقد بينه
شراح البخاري بما لا مزيد عليه واستدل لعموم رسالته نوح عليه الصلوة والسلام بدعائه
على جميع اهل الارض حتى هلكوا غير اهل السفينة واجيب بجواز بعثة غيره في زمانه وعلمه بانهم
لا يؤمنون به فدعا على من لم يؤمن من قومه وغيرهم الا انه لم ينقل لنا وايضا شريعة نوح عليه الصلوة
والسلام لم تبق الى القيمة لنسخها وقال ابن عطية انه دعا قومه للتوحيد وبلغهم فاشركوا فدعا
عليهم لانه عليه الصلوة والسلام لطول مدته اشتهر امره في جميع الارض وقال ابن دقيق العيد
رحمه الله الدعوة يجوز ان تكون عامة في بعض الانبيا عليهم الصلوة والسلام وان لم تعم فروع شريعته
لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك وهو كلام حسن وجميع الناس من بني ادم الموجودين في عصره
ومن بعدهم الى يوم القيمة لا من تقدمه لان المذكور هنا ليس البعثة وحدها بل بعثته لمن صعب
عليه عنته وحرص على هدايته لشفقته التامة عليهم وقد رجح بعضهم هذا التفسير على غيره
لما في الثلاثة الاول من ايهام الاختصاص واندفع بان الادلة قد قامت على خلافه وقد مر ان في الاول
وضع الظاهر موضع المضمر لتشريفهم والاشارة الى منشئ ما ذكر ولذا رجحه بعضهم وقد مر الكلام في
ترجيح بعض هذه الوجوه والمنة عليهم بكونه من جنسهم لمشاهدة معجزاته التي تدعوهم للسعادة
مع ما فيه من الرفق بهم لان الجنس لجنسه اميل وانسب ولذا قيل لو كان ملكا بهيئته الاصلية
لم يتيسر لهم التلقي عنه والا التبس عليهم فان قلت ما وجه قول بعض الشراح المراد بالناس

مطلب الدعوة يجوز ان تكون عامة في غير نبينا

عرضه

جميع المكلفين فيشمل الجن وقد صرح به في القاموس باطلاقه عليهم قلت قد صرح به جماعة
من اهل اللغة والتفسير وصرح به ابن خالويه رحمه الله والعرب تقول ناس من الجن
وفي الحديث جا قوم فوقفوا فقيل لهم من انتم فقالوا ناس من الجن ولذا جوز بعضهم في قوله
تعالى من الجنة والناس ان يكون بيانا للناس ومن الغريب قول السبكي انه مشترك بينهما فتارة
يكون بمعنى الانسان واصله اناس وتارة يكون شاملا لهما واصله على هذا نوس بمعنى تحرك
وقيل الناس هنا شامل لمن تقدم عهدا لرسالة بنظر دقيق والظاهر على الثلاثة الاخيرة
انه نزل الكل منزلة الجاهل فاعلمهم او العالم فقصد اظهار المنة او غلب وقيل اعلام الجاهل
واظهار المنة للعالم وفي صحته نظر اقول وجه جعل المجي شاملا لمن تقدم انه اخذ عليهم
الميثاق على ان يومنوا به ويخبروا اممهم بانه سبقت فلما جاهم خبره جعل كانه جاهم حقيقه
اولانه سيشفع لهم في المحشر فكان مجيئه لهم كمجيئهم ولا يخفى بعده وان صح لم ان اعلام الله بغايتي
الحبرا ولازمها اذا كانا كثيرين لا مانع من قصد اعلام بعض والامتنان على بعض كما انه
لا مانع من قصدهما معا للجميع بان يعلمهم بما فيه نفع عظيم ويمتن به فالتردد في صحته لا وجه له
على اختلاف المفسرين اي علامنا مبينا على اختلافهم في اختيار بعض لبعض هذه الوجوه واخلافهم
كما بدا لهم من وجوه الترجيح كما اشرنا اليه من المواجه لهذا الخطاب من بفتح الميم اسم استفهام
نونه مكسورة لالتقا الساكنين وكونه بكسر الميم حرف جر بيان للمومنين اي من الذين وجه
اليهم الخطاب بعيد غير لائق والمواجه بفتح الميم اسم مفعول مرفوع خبرا او مبتدا على القولين
والمواجه المخاطب لمقابلة وجهه لوجهك والخطاب مصدر خاطبته اذا شافهه بالكلام
ويطلق على توجيه الكلام للغير وعلى الكلام الموجه وعلى ما يدل عليه كالكاف ويصح ارادة
كل منهما هنا وعلى ما مر متعلق بمقدر صفة او خبر مبتدا مقدر اي هذا وما ذكر مبني الخ واصله
في جواب القايل من المواجه الخ والاختلاف مصدر متعد بالحرف يقال اختلف في كذا والاختلاف
ما مر من التخصيص والتعميم فالمطلوب تعيين احد الوجوه للسائل وهو كما قيل معلق عنه عامله
وان تعدى بالحرف بتعليق افعال القلوب لما تضمنه معنى العلم كما قالوه في قوله تعالى ليبلوكم
ايكم احسن عملا او على قول يونس بجريه في جميع الافعال والجملة الاستفهامية مستانفة
كما في قوله تعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون في قراة من فتح الميم فمتعلق
الاختلاف متروك او مقدر كانه كما ذكر الاية قيل فيما اختلفوا فقيل في جواب القايل كما قدره
وقد قيل عليه انه مع سماجته فيه ان هذا السؤال المقدر لا يتولد من ذكر الاختلاف وايضا
المصنف رحمه الله لم يقصده وليس مراده في هذه الاية الى اخر ما طوله بغير طايل مع ذكره امورا
مفصلة من العربية ليس هنا محلها والخلاف والاختلاف متقاربان الا ان علما الحنفية فرقوا
بينهما كما ذكر الخصاف في ادب القضا فقال الخلاف ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد
وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة والاجماع والاختلاف بخلافه بان يكون في محل يجوز
فيه الاجتهاد فالاول لو حكم به قاض ورفع لغيره يجوز له فسخه بخلاف الثاني وهذا معنى

قولهم

سيد

حنبلي

44

قولهم خلاف ولا اختلاف انه بعث فيهم رسولا من انفسهم ان بالفتح وهو مع ما بعده ساد مسد مفعولي
اعلم وان كان مصدرا مفردا بحسب التأويل الا انه لاشتماله على النسبة في حكم الجملة فليس كالمصدر
الصريح من جميع الوجوه كما بينه النحاة كما ذكروه وقد افردناه بالتاليف في الرسائل ولذا قال المحققون
انه لا يحتاج لتقدير مضاف اذا وقع خبرا كما توهموه وانفسهم هنا بضم الفا جمع نفس والضمير
في بعث راجع لله وكون انه بعث الخ بدلا من قوله بهذا الخطاب بدل الكل واشتمال تكلف غير محتاج
اليه وهذا جار على الوجوه كلها فان الخطاب للمومنين فالمراد بكونه من انفسهم انه على طريقتهم ومعتقدهم
وان كان للعرب فالمراد انه من صميمهم وفروعهم وان كان لاهل مكة فالمراد انه نشا من تربيتهم وبين
اظهرهم وان كان للناس فالمراد انه من جنسهم وليس هذا على بعض الوجوه كما توهم وفيه اشارة الى
شرف من بعث منهم ومن هنا تعلم ان شموله للجن غير مناسب للمقام يعرفونه بيان لفائدة كونه منهم
وهي معرفتهم لذاته وصفاته واحواله وذكره في الكتب القديمة تواتر اخباره واضاة انواره وهذا جار
على الوجوه كلها ايضا والمراد بالمعرفة المعرفة بالفعل او بالقوة لان عندهم ما لا يخفى من ذلك وبالفعل
على التغليب ولم يرد معرفة نبوته حتى يكون كفرهم عنادا كما قيل وان صح بالتاويل السابق ويتحققون
مكانه اي قدره ورتبته ويحتمل ان يراد محله الحقيقي خصوصا اذا كان الخطاب لاهل مكة وهذا
ليس تحته كبير فائدة الا ان يكنى به عن معنى بعيد مثل انهم يهابونه ولا يقدرون على اذيته او انهم يعلمون
انه صلى الله عليه وسلم لم ياخذ ما جا به عن احد وفي نسخة مكانته بالتا وهي اولى لان المكان يستعمل
في المكان الحقيقي والمجازي بخلاف المكانة فانها تختص بالثاني كما صرح به اهل اللغة فكان التافيه
للنقل وهذه النسخة انسب بالمقام وبقوله يتحققون فتدبر ويعلمون صدقه وامانته انه صلى الله
عليه وسلم كان معروفا بذلك حتى كان يدعى قبل البعثة بالامين وتوضع عنده الودايع والامانات
وهذا على اطلاقه من غير نظر لدعوى النبوة ولما قبلها فلا حاجة الى ان يقال المراد ما عداها ويويده
حديث هرقل مع ابي سفيان رضي الله عنه المذكور في الصحيحين ولا يتهمونه بيان بالكذب اي لا يصفونه
ولو افترا وتهمة لانه نشا بين اظهرهم وجربوه فلم يسمع من احد ما يتهمه به ولذا قال هرقل في حديث البخاري
ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وهم يتهم بمعنى غلط او ظن واتهمه ادخل التهمة عليه
او نسبها له وفي القاموس تهمه كمنع ما يا تهم به وفي معنى التهذيب ان هاقد تشكن وفي النهاية اتهمته
ظننت فيه ما نسب اليه وبا بالكذب للسببية او للملابسة اي لا ينسبون اليه ولا يظنون ملابسته
بالكذب ولا يتهمونه بسبب الكذب وقيل انها للتعدية وترك النصيحة لهم ترك بالجر معطوف على الكذب
اي لم يتهمه احد بترك النصيحة حتى كانوا يرجعون اليه في مشكلهم ومشاورتهم قبل الدعوة للنبوة
والنصيحة ضد الغش وفي معناها لغة اختلاف فقيل وهو الاشهر معناها الخلوص يقال نصحه اذا
اراد له الخير واظهره وغشه في ضده ومنه التوبة النصوح وهي الخالصة ظاهرا وباطنا الذي لا يرجع
صاحبها عنها اصلا ورايت في فتاوى ابن تيميه ان من الناس من قال ان نصوحا اسم رجل كان في زمن عيسى
عليه الصلوة والسلام تاب توبة مشهورة فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوب الناس توبة كتوبته
قال وهو كذب من قائله اذ لم يسمع باحد سمي نصوحا في العصر المتقدمة ولم ينقل هذا احد من المسلمين

كان

عرضه

دبلجي

فضلا عن العلما وانما ذكرت هذا لانى سمعت بعض جهلة الوعاظ الروم يذكرونه فى مجالسهم
فاياك ان تغتر بمثله لكونه منهم متعلق بيعرفون او به او بما بعده وعلى التنازع لانه تعليل
لمجموع الكلام او هو خبر مبتدا اى وهذا لكونه الخ وهو جار على الوجوه كلها وقيل انه متعلق
بيعلمون فان القريب يعرف حال القريب وملا يتهمون فيكونه دليلا له وقد مرانا لكلام يحتمل ان سيد
المراد انهم يعلمون نبوته صلى الله عليه وسلم بالقوة او بالفعل وقد تقدم ما فيه فتذكره وانه
لم يكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة انه بالفتح وهو
وما بعده فى محل جر عطف على كونه وهو عطف مغاير او تفسيرى تفصيلى وهذا اولى من عطفه
على انه الاول لبعده ولانه لم يعلم به الا بتكلف بان ينزل وقوعه منزلة الاعلام وقبيلة بفتح
القاف بزواب واحد وجمعه قبيل وهما بمعنى وهو الجماعة وقيل بينهما فرق والاول بزواب واحد
والثانى من ابا مختلفة او هو اعم وطبقات انساب العرب ستة وهى الشعب بالفتح وهو اكبرها
ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهى العشيرة وقد نظمها الناد فى قوله شعر شعب بفتح
الشين والقبيلة من بعدها عمارة فصيلة وهى بكسر العين توى ثم قل بطن وفخذ بعدها
ولا تخل وسادس فصيلة توزبه وهى العشيرة التى تليه والشعوب بضم العين جمع
شعب بفتحها فى العجم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبايل فى العرب ولذا قيل فيمن يفضل العجم على العرب
شعوبيه وتشبيله وهو جمع لانه كانصارى وقوله الا ولها الخ يعنى به ان فى كل قبيلة من العرب له
صلى الله عليه وسلم ابا وجدا وام ولو جده بدون واسطة وفى هذه الجملة الواقعة بعد الا مع
الواو قولان فذهب الزمخشرى الى انها صفة والواو لالصاقها بالموصوف تشبيها لها بالحال
والجمهور على انها حالية والمعنى لم تكن قبيلة على حال من الاحوال الا على هذه الحال من اتصال النسب
لامتناع الواو والتفريع فى الصفات كما فصل فى محله والمراد بالقرابة القرب من عمود النسب
الفرعى والاصلى مطلقا الا انها فى العرف اذا اطلقت خصت بالفرعى ولذا لو اوصى او وقف على اقاربه
لم تدخل فروعه واصوله والفرق ظاهر بينه وبين اقرب اقاربه والقرابة بالفتح تكون مصدرا بمعنى
القرب يقال هو ذو قرابة ولا يقال من قرابته الا تجوزا او يكون اسم جمع بمعنى الاقارب وانكار
الحريرى له فى الدرة بينا رده فى شرحها والمراد فى عبارة المصنف رحمه الله بالقرابة المعنى العرفى
لانه لو كان بمعناه الحقيقى لغة لزم عطف العام على الخاص باو وهو انما يكون بالواو وكعكسه
وفى شرح السيد انه يكون باو نادرا والاول هو المعروف عند النحاة كما فى المغنى وغيره وقوله لم ابن رسلان
يكن فى العرب الخ ورد فى الاثر كما اخرجه ابو نعيم فى الدلايل من طريق الكلبى عن ابن عباس رضى الله
عنهما فى تفسير هذه الاية قيل ومثله لا يكون من قبل الراى فهو فى حكم الحديث المرفوع وفيه بحث
الا انه سياتى رفعه ايضا واخرج البخارى رح عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن بطن من قريش
الا وله صلى الله عليه وسلم به قرابة كما قال حسان رضى الله عنه وسطت نسبتى الذوايب منهم
كل دار فيها اب لى عظيم ووقع فى بعض نسخ الشفا عند بعض الشراح هنا زيادة وهى قوله وهو
عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى قال السيوطى

رحمه الله

45

رحمه الله تعالى فى تخريج احاديث هذا الكتاب ان هذا له طرق كثيرة استوفيناها فى الدر المنثور منها
ما اخرجه البخارى من طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يكن
بطن من قريش الا كان لى فيهم قرابة الا ان تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة واخرج الطبرانى نحوه من طريق
سعيد بن جبير عنه فالقربى على هذا قرابة اهل مكة خاصته وعلى ما رواه ابو نعيم فى الدلائل كما مر قرابة
جميع العرب لاتصال نسبه صلى الله عليه وسلم بهم كما مر فمعنى الاية عند ابن عباس رضى الله عنهما الا
تودونى لاجل القرابة بينى وبينكم والخطاب لقريش خاصة لما رواه الضحاك من ان المشركين كانوا يؤذونه
فنزلت وما روى من انها نزلت فى ال البيت خاصة فقال ابن حجر انه موضوع وما روى من انها نزلت
فى الانصار لانه لما قدم المدينة قالوا له يا رسول الله انك تنوبك نوائب وقد جمعنا لك مالا
تستعين به عليها فنزلت قال ابن حجر انه ضعيف ويبطله ان الاية مكية واقوى ما ورد فى سبب
نزولها ما اخرجه قتادة من ان المشركين قالوا لعل محمدا يطلب اجرا على ما يتعاطاه فنزلت وهذا
محصل ما قالوه فى سبب نزولها وقيل الاية مدنية والذى صححه ابن حجر يخالفه وفى قوله فى القربى
تعليلية كما فى ان امراة دخلت النار فى هرة الحديث او هى للظرفية المجازية وهو حال او صفة
ان جوزنا تقدير المتعلق معرفة فكان القربى ظرفا للمودة واعلم انهم اختلفوا فى هذا الاستثنا هل
هو متصل او منقطع فقيل انه متصل والاية منسوخة بقوله قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وقيل
هو منقطع لان الانبيا عليهم الصلوة والسلام لا يبغون على تبليغهم اجرا فالمعنى انكم اذكركم
المودة فى القربى وفى زاد المسير انه اختيار المحققين فلا يشوبه نسخ وفى شرح البخارى ان الاية
نزلت لاستكشاف شر الكفار فهى منسوخة باية القتال وهو لا يتم على كونها مدنية ويعضد الا
نقطاع ما فى الكشاف من ان المودة ليست اجرا حقيقة لان قرابته قرابتهم وصلته لازمة لهم
مروة وهو مقتضى السياق فما فى بعض الشروح من ان الصحيح الذى يرتبط به كلامه ما اخرجه
البخارى من انه لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة لا ما ذكره المصنف
كما اخرجه ابو نعيم ليس بصحيح وفيما ذكره الزمخشرى نظر اذ لزوم ايصال شئ لاحد لا ينافى كونه اجرا
مطلوبا بعمل نعم المتبادر من الاجر انه ما لا يستحق الا بالعمل وما لزم بدونه لا يسمى اجرا والثواب
لازم للعمل فيه وذهب بعضهم الى جواز الوجهين فان نظر الى الظاهر وان المراد بالاجر مطلق
ما يترتب على شئ او بالمودة لوازمها يكون متصلا وهو المراد فى هذه الاية وان اريد حقيقته
فهو منقطع وهو المنفى فى الاية الاخرى فلا منافاة ولا نسخ وهو كلام حسن قول هذا زبدة ما محصه
المتتبع وقد ظهر لك منه جواز الوجهين وان المودة اما مودة اقاربه له او مودة بعضهم لبعض
وما طلب اجره تبليغ الرسالة واداء الامانة وهو صلى الله عليه وسلم لحرصه على هدايتهم
وشفقته عليهم عد طاعتهم نفعا له لما فيها من كثرة اتباعه وقوة شوكته والقربى ذوى القرابة
القريبة او البعيدة كما قيل اذا كان اصلى من تراب فكلها بلادى وكل العالمين اقاربى فكلام
المص رحمه الله منزل على الاقوال كلها والضمير فى قوله وهو عند الخ لجميع ما ذكر قبله او للاخير
فلا غبار عليه ثم شرع فى توجيه القراءة بالفتح الشاذة فقال وكونه ولم يعطف باو لتخيفوة

المعنيين والقرآنين كما قيل وقد جوزوا فيه ان يكون عطفا على مدخول اللام في قوله لكونه والنصب
لعطفه على مفعول علم او تعلمون والرفع على انه مبتدا خبره قوله نهاية الخ واقتصر عليه في المغني

سيد

واستبعده بعضهم ولا وجه له فان الدراية والرواية تؤيده لانه ابتداء كلام لبيان القراءة الشاذة

سيد

ولذا اخره من انفسهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح اي بناء على قراءة الفتح للفا وهن المتعاطفات
متقاربة ولك ان تفسرها بما يجعلها متقابلة والامر فيه سهل وافادة النظم لزيادة شرفه

سيد

وفضله لانه اخبار من الله تعالى الذي لا يتوهم عاقل خلافه فلا يرد عليه ما قيل من ان المبني على
القراءة كونه معلما به ومرادا من فحوى النظم لا اصله ولا ما توهم من ان الامر كذلك قطعا فلا ينبني
على القراءة الشاذة نعم يرد على دفع كونه ويدفع بالتأويل وكذا ما قيل من انه مبني على القراءة المتواترة
ايضا فلذا قدمها وهو ظاهر السقوط بغير دفع وهذه اي المنفية والصفة الجميلة التي تضمنتها الاية
على هذه القراءة او على القراءتين وهذه الاية باعتبار ما تضمنته وكون الاشارة للوصف بالانفسية
والتانيث لرعاية الخبر ارتكاب لما يحتاج للتأويل من غير داع له نهاية المدح في بابه ونهجه المقصود
منه وهذا يمكن عوده الى القراءتين وان كان الظاهر الثاني فقط فعلى القراءة الاولى نهاية المدح بعلو
الحسب والنسب لان العرب اشرف الناس وقد حازت كل قبيلة نوعا من ذلك فمن اتصل بجميعهم
حاز جميع محاسنهم وحلاوة السنتهم فكان صلى الله عليه وسلم اجل منهم كلهم وهذا هو المقصود
بكونه منهم وكذا اذا قلنا المراد جميع الناس وان توهم خلافه في قولك هو واحد من الناس او من بني
فلان ونحوه وعلى الثاني هو نهاية النهاية لانهم انفس الناس وهو اجلهم وافادته لهذا من بديع الكناية
على غط قوله عز وجل وكانت من القانتين وقوله فلان من العلماء فانه ابلغ من كانت قانتة وفلان
عالم ولذا عدل عنه مع انه اوجز لافادته انه مع اتصافه به له قدم راسخ فيه لا دخيل كقولك
مثلك لا يبخل كما في شرح المفتاح وهو ماخوذ من كلام ابن جني في المحتسب وعبارته العرب تفخم
لفظ مثل توكيدا وسببه انهم يريدون نجعله من جماعة هذه اوصافهم تبينا للامر وتوكيدا له ولو كان
فيه وحده لعلق منه موضعه ولم ترسخ فيه قدمه ولم يؤمن عليه انتقاله الى الضد ومثله قولهم
في مدح الانسان انت من القوم الكرام اي لك في الفضل سابقة واول وانت مقيم عليه مخفوف به
لست دخيلا فيه من غير اول ولا اصل فتخشى نبوك عنه ولما اريد مثل هذا في الثناء على الله ولم يجز
ان يكون تابعا فيه لسلفه ولا موجودا فيه نظر عدلوا به الى وجه ثالث وهو ان يجعل قديما وراسخا
عليه فكان اثبت له وذلك نحو وكان الله سميعا بصيرا انتهى اذا عرفت هذا فقول بعض الشراح هنا
يفهم من هذا الاعلام امران كونه من اشرفهم لان من كان وهو رسول الله فهو اشرف من الاشرف وهو

ابن الحنبلي والعرضي

نهاية المدح بالنسبة لغيره فلا يرد عليه ان كونه من جملة اشرفهم ليس نهاية المدح انتهى ليس
بشيء فانظر الى هذا مع سماجته وافلاسه من افادته وانظر بعين الانصاف لا بعين الرضا فيما
قلناه واعلم ان دخول من على افعل التفضيل كما في عروس الافراح على وجهين الاول ان يكون جماعة فاضلة
مستوية في الرتبة في زيادتها على غيرها فتقول في كل منها هو من الافضل ولا يقال ذلك عند تفاوتها
الثاني ان يكون نوع افضل الانواع فيقال في كل فرد منه انه من الافضل كما في قوله من انفسكم على قراءة

الفتح

الفتح فتنبه لهذه الدقيقة انتهى اقول هنا على ما قاله انما يفيد مدح قوم النبي صلى الله عليه وسلم اولا
ولا يلزم من شرفهم شرف جميع افراده كما لا يخفى فالحق ما قدمناه فانه انفس واعجب من هذا ما قيل
ان في كلام المصنف رحمه الله بحثا ظاهرا لان ما في الاية على هذه القراءة ليس نهاية المدح لان قولك
هو انفس الخلق وافضلهم ابلغ منه مع ان الخطاب لم يشمل الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وانما يتم اذا كانت من بيانية لا ابتدائية او تبعيضية كما هو المتبادر فكونها نهاية مدح في القرآن
فيه خفا فالاظهر انه مبالغة اريد بها الكمال انتهى فانظره فانه مع عدم وقوفه على مراد المص
رحمه الله لا محصل له وتقتضي ان الاية فيها عدول عن الابلغ وهذا مما يقضى منه العجب تنبيه
قال بعض الفضلاء هنا في حديث انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش اي من نطق بالضاد العربية
وبيد بمعنى من اجل ولا يلزم من كونه من قريش الذين هم افصح العرب ان يكون افصحهم وممدوحا بالفصاحة
وقد ترددت فيه زمانا حتى رايت الفاضل الكوراني في شرح جمع الجوامع قال بعد ما ذكر الحديث
وان بيد بمعنى من اجل وفيه نظر قوي وهو ان كونه من قريش لا يقتضي كونه افصح من قريش فالحق انها
بمعنى غير من المدح الذي يشبه الذم اقول هذه غفلة على غفلة لانه ترك اخر الحديث وهو وتربيت
في بني سعد والذي صححه ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي انا سيد ولد ادم بيد اني من قريش ونشأت
في بني سعد واما انا افصح من نطق بالضاد فلم يصح يعني انه انفتق لسانه في قبيلتين هما افصح العرب
واملحهم فحاز لب اللسانين المليحين وكل احد انما يفوق في لسانه قومه فقط فلزم منه ان يكون

الشهاب ابن قاسم

افصح من جميع العرب ثم ان ما ظنه مجالا مجال فيه فانه لا يفيدا ولا كونه افصح من سائر قريش فقد
وقع فيما فر منه ثم ان شيخنا رحمه الله في الايات البينات ذكر كلام الكوراني ورده على عادته في التعصب
عليه انتصارا للجلال بما حاصله ان فيه جملة مقدرة ومثله كثير تقديرها وانا افصح منهم فزاد
في الطنبور نغمة لا تطرب ولا تضحك ثم وصفه بعد اي بعد الاعلام المذكور باوصاف جميلة اي
محمودة او حامدة على التجوز في النسبة واثنى عليه بمحامد كثيرة قيل ثم هنا بمعنى الفا كما في قوله جرى
في الانابيب ثم اضطرب لعدم الفاصلة بين الاعلام والوصف فالترتيب في الاخبار دون الحكم
كما قاله النحاة ورده ابن عبد السلام في كتاب المجاز بان في صحته نظرا لان الترتيب فيه ان تم
لا يتم التراخي الا بتعسف يرجع لغيره من الوجوه فالاحسن ان يقال انها للتفاوت الرتبي لان
بعثة الرسل عليهم الصلوة والسلام واشرفهم نعمة عظيمة لكافة الخلق وحرصه على
هدايتهم وشفقته دونها بمراتب ولك ان تقول وجه ما قاله النحاة ان الترتيب المذكور لما كان
على ما تقتضي من الالفاظ يعطى حكم البعد كما قرره الزمخشري في الاشارة اليه بذلك في قوله
ذلك الكتاب لا ريب فيه على ان ما ذكر كل منهما امر ممتد يجوز عطفه باعتبار اخره بالفا او باعتبار

رد على ابن عبد السلام

غيره بثم كما قالوه في قول السكاكي فاضحى لم يقل فهو تاسيس لا تاكيد والاوصاف جمع وصف بمعنى
الموصوف به لا المصدر وجميلة بمعنى محمودة عند الله والناس والمحامد جمع محمدة وهي المحمود به
ايضا والثنا بالمحامد لا يغاير الوصف بالصفات الجميلة ولا يعاب مثله في مقام الخطابة
مع انه لما كانت الاوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الاية

والثاني لما تضمنه لما لا يحصى من حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
من بيانية بنية لما قبلها من الاوصاف وما بعده والحرص فرط الشره وقيل هو الشح على الشيء ان يضيع
وفيه نظر والمراد هنا شدة الطلب لما يريده ويحبه والهداية الدلالة مطلقا او الموصلة وقيل
المراد بها هنا الاهتدا لعطفها الرشد عليها وقيل المراد ما قاله الاشاعرة من انها خلق الاهتدا
الى الايمان لا الدعوة اليه والطاعة كما ذهب اليه المعتزلة لان حرصه صلى الله عليه وسلم
ليس على الدعوة التي على عادته ولا يخفى ما فيه وحرصه عليه الصلوة والسلام على الدعوة
المراد طلب تاثيرها لا مجردها والرشد وان كان ضد الغي فهو الهداية فينبغي تفسيره بالصلاح
ظاهرا وباطنا لتغايرهما كما يقتضيه ظاهر العطف وها هنا بحث وهو ان عبد السلام
رحمه الله قال في القواعد في قوله تعالى فان انستم رشدا الظهر الاحكام تبنى على ظاهر
الامر حتى يظهر خلافه وما يبطله لانه لو شدد بطلت التجارات والمعاملات وهذا يشكل
على اشتراط الشافعية في الرشد حسن التصرف في المال والصلاح في الدين بحيث لا يلم
بكبيرة ولا يصر على صغيرة فان اجماع المسلمين على معاملة المجهولين والحكم لهم وعليهم
وقبول اعتاقهم وهداياتهم مما يا باه والاية لا تدل على ما ذكروه والعجب من الامام فانه
قال في النهاية اذا بلغ الصبي ولم يوجد منه ما يخالفه الرشد انفك الحجر عنه اقول قد رد
كلام الفقها بوجوه ثلاثة مخالفة الاجماع ونص القران ومناقضة كلام النهاية له مع
انه تبعهم فيه فكلامهم فاسد والله يعلم المفسد من المصلح فان الذين قالوا معنى الرشد
وحقيقته وهو صلاح الدين والدنيا بلا شبهة والمشروط في الاية استيناس الرشد وهو
كما قاله المفسرون احساسه وابصاره وذلك بظهور امارته كما له النظر لظاهر الحال وهو
الذي عول عليه الفقها واشار اليه في النهاية فلا مخالفة بين ما قالوه والاسلام معروف
وهو مغاير لما قبله ولذا عطف بالواو ثم انه قيل ان المصنف قدر هذه الصفة مع تاخيرها
في الاية لان المقام مدح وهو في الحرص اتم واكمل وسياق الاية للامتنان وهو كونه يعز عليه
حالهم فاشار الى تفاوت المقامين فان قيل المنة في الحرص اتم قلنا مسلك الاية على الترقي
وما هنا بخلافه للتفنن فتدبر تذر مقاصد المصنف رحمه الله ولطف نظره او يقال لما كانت
العزة منشا لحرصه عليه الصلوة والسلام قدمت في الاية على وفق الواقع لبيانه حاله
في ابتدا امره فلما حكاه المصنف رحمه الله بيانا لمحامده قدم المقصود بالذات الذي به الحمد
ثم انه جعل متعلق الحرص في كلامه هدايتهم للايمان وصلاح شانهم كما ذهب اليه المفسرون
لدلالة السياق عليه ولقوله في غير هذه الاية ان تحرص على هداهم فان القران يفسر بعضه
بعضا والحرص لا يتعلق بالذوات وشدة ما يعنتهم من الاعنات قال الله تعالى ولو شاء الله
لاعنتكم او من العنت وكل منهما روي كلام المصنف واثبتهما اهل اللغة فقالوا يقال عنته واعنته
والعنت المشقة او الوقوع فيها ويجي بمعنى الاثم والفساد والهلاك وقد اعترض صاحب
المواهب رحمه الله على عبارة المصنف رحمه الله هذه بان ظاهرها ان قوله شدة معطوف

على

على مجرور على التي تعلقت بالحرص ولا يستقيم عليه المعنى ولذا قيل انه بتقدير مضاف مجرور
معطوف على الحرص المجرور بمن اي وكراهة شدة الخ اقول هو كما قال معطوف على حرصه ولكن لا حاجة
فيه الى تقدير لان معنى شدقه عليه انه صعب شاق عليه فيراد به انه مكروه تاباه نفسه فالمعنى
من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لما يضرهم وصاحب المواهب لم يخف عليه العطف ولكن اوقعه
التقدير فيما وقع فيه وعزته معطوف عليه وقد تنازع الشدة والعزة قوله عليه وما موصولة
او مصدرية في قول المصنف المذكور اشارة الى جواز الموصولية فالتقدير ما عنتموه لا ما عنتم به
لان حذف العائد المجرور ضعيف فما قيل من ان المصنف رحمه الله اشار الى ان المراد في الاية ما عنتم
وقد جعلت ما مصدرية اي عنتكم فيتفاوت المعنيان وان تلازما لا وجه له قال في المصباح
عنته ادخل عليه الاذى واعنته اوقعه في العنت وفيما يشق عليه تحمله انتهى ويضرهم في دنياهم
واخراهم يضر بفتح اليا وضم الضاد المعجمة مضارع ضر ورمى بضم اليا وكسر الضاد مضارع اضر
لانه يقال اضره واضر به فلا يلتفت لمن انكره لظنه ان همزته انما تكون للتعدية ومعنى اضره
واضر به اوقعه في الضرر في الدنيا ويقال في مقابلة اخرة واخرى كما في عبارة المصنف وعزته عليه
عطف تفسير كقوله تعالى انما اشكو بثي وحزني ففيه اشارة الى تفسير عزيز في الاية وانه من عز
عليه كذا اذا صعب وشق كما قال يعز علينا ان نفارق من نهوى وله معان اخر مفصلة في كتب اللغة
تركناها لعدم مناسبتها هنا قيل كان المناسب للتفسير وعطفه ان يوخر لاشهر الاظهر فيقول
عزته وشدته لكنه عكس للمبادرة لما يعتمد المراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولا حاجة
لجعل الشدة غير العزة للتنازع فيه عليه فان التفسير لا ينافي التنازع ورافته صلى الله عليه وسلم
ورحمته بمؤمنيهم معطوف على حرصه وقوله بمؤمنيهم متعلق بما قبله على التنازع ولا تنازع في الاية
الا على راي من يجوز التنازع في المتقدم والرافة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لا للفاصلة كما قاله
القاضي ومن تبعه لوقوعه كذلك في الحشو كقوله رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها قيل لان
اصل معنى الرافة التلطف والشفقة ويقابلها العنف والجبروت كما يشهد له كلام فصحا
العرب كقوله قيس الرقيات ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت لهم ولا كبرياء فلذا قدمت
على الرحمة بمعنى الانعام كما في المثل الايناس قبل الابساس والذي غرهم قولهم في كتب اللغة الرافة
اشد الرحمة كما في الصحاح وغيره والرحمة في كلامهم بمعنى رقة القلب في حق البشر وهي في حقه
تعالى بمعنى الانعام او ارادته نظرا لغايتها وقد قلت هذا بطريق البحث ثم رايت الامام
القرطبي قال في شرح الاسماء الحسنى ما نصه قال الله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة
ورحمة الاية وحيط ذكرهما ان الوصفان قدم الروف على الرحيم في الذكر وسببه ان الرحمة
في المشاهد انما تحصل بمعنى في المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرافة تطلق عندنا على
ما يحصل الرحمة من شفقته على المرحوم وقال المشايخ الروف المتعطف والذي جاد بلطفه
ومن بعطفه انتهى بحمد الله تعالى على موافقة الصواب ثم ان اضافة مؤمنيهم للضمير

سيد

عرض

در على البيضاوى

ابن الحنبلي

عرضي

ظاهر فان الضمير ليس للمؤمنين فقط ودخوله تحت قوله السابق علم الله الخ يشعر انه داخل وعنه
صلى الله عليه وسلم بمؤمنى المخاطبين على الاقوال كلها حتى على القول بان المخاطبين المؤمنين
وبينهما تدافع كما قيل ودفع التدافع لان الاضافة بيانية لي بالمؤمنين الذين هم المخاطبين
واتى بالظاهر ليبين علة الرافة والرحمة ولو قال بهم لفات هذا او قصد عود الضمير على من ذكر
غير المؤمنين في الوجه الاول ولا يخفى بعده وركاكته والاولى ان يقال الضمير عايد على شئ
مفهوم من الكلام كالمخاطبين اى من ذكر او الامة وقال بعضهم القائل هو الحسين بن الفضل
اعطاه اى اعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية تشريفا له صلى الله عليه وسلم
اسمين من اسمائه رؤف رحيم الظاهر رفعه موافقة للنظم على انه خبر مبتداء مقدر اى هما
رؤف رحيم ويجوز نصبه بمقدر وهو اعني ونحوه او على انه بدل من اسمين وجر على انه بدل من اسمائه
والاسم يكون بمعنى العلم ومايقابل الفعل والحرف ومايقابل الصفة المشتقة والمراد هنا
مايطلق على ذات ومسمى صفة كان ام لا وفي بدايع ابن القيم الاسماء التى على الله على غيره كحى
عليم هل هي حقيقة في الله مجاز في غيره او على العكس او حقيقة فيهما اقوال ثلاثة اظهرها
الاخير انتهى وقول المص رحمه الله اعطاه الخ فيه ميل الى القول الاول فان قلت كيف يصح
مانقله عقلا ونقلا وبعض الاسما مجاز فيهما كالنور وبعضها مجاز في الله حقيقة في غيره
كالرحيم لان الرحمة رقة القلب وبالعكس كالملك المالك وقاضى القضاة قلت لم يعن بالحقيقة
الوضعية اللغوية ولو اراد ذلك لم يصح بل العقلية او العرفية الشرعية وقيل انها مشترك
اشتراكا لفظيا لعدم تشاركهما في معنى ونقل عن الغزالى رحمه الله فان قلت كثير من اسماء الله
تعالى مطلق على غيره كحى وكريم وسميع وغيرهما فكيف يكون هذا من خصايصه صلى الله عليه
وسلم قلت قال الغزالى المراد انه تعالى اعطاهما له بمعنى من المعانى التى اطلق بها على الله فجعله
صلى الله عليه وسلم متحليا ببعض صفاته كما جعله متخلقا باخلاقه بوجه ما وان لم يكن على الوجه
الاكمل الاليق بجناب العزة كما قيل كما يصلح للمولى على العبد حرام والمقصود انه لما ذكره
صلى الله عليه وسلم في القران وصفه بصفتين خلع عليه منهما خلع اكرام دال على تميزه
عما عداه وفي تفسير ابن المنير المسمى بالبحر الكبير فان قلت ماوجه اختصاصه صلى الله عليه
وسلم بتسميته باسمين من اسمائه تعالى وقد سمى موسى عليه الصلوة والسلام كريما فقال
تعالى وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال لا تخف انك انت الاعلى وسمى ابراهيم عليه الصلوة
والسلام حليما واسماعيل عليه الصلوة والسلام حليما عليما فقال في اية وبشرناه بغلام عليم
وفي اخرى حليما قلت وجه الخصوصية ايرادهما معا في مثال واحد ونسق متصل في القراءة
ولا يكاد يوجد هذا الا في وصف الله تعالى لنفسه فهى كرامة اكرمه الله تعالى بها ليدل على مكانه
صلى الله عليه وسلم وارتفاعه فوق سائر الرتب تتمه اعلم ان الايات القرانية حيث ختمت
باسمائه تعالى وقعت مكررة وما كررا ما في معنى ماقبله عفور رحيم فيفيد مبالغة في تلك الصفة
على وجه يليق بالربوبية او مغاير له كعزيز حكيم لافادة احتراس وتكميل لان العزيز قد يفعل بعزته

مالا

48 مالا تقتضيه الحكمة فلما اجرى ماهو من خصايصه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان من الاخفاء
مالا يخفى فتدبر ومثله في الاية الاخرى قوله سقط من بعض النسخ ووقع بدون واو لقد من الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية بالنصب كما مر اى اقرا الاية او اذكرها فانها مماثلة
لتلك في الدلالة على انه مبعوث في قوم وهو من جنسهم سواء ضمت الفاء او فتحت لانه اذا كان صلى الله
عليه وسلم من اشرفهم كان منهم ضرورة وفي تفسير ابن المنير من انفسهم من جنسهم يعرفون حاله وانه
ماقرا ولا درس وقد جاءه العلم دفعة فقص سير الاولين والاخرين على ماهي عليه حرفا بحرف فيعلم
العاقل انه امر خارق من عند الخالق كل ذلك ابلاغ في ظهور حجته ووضوح معجزته فكيف يليق
ان يجعل المقتضى مانعا فاتهم يلحدون ويجحدون انتهى وقوله في الاية الاخرى صفة مثله لانه
نكرة متوغل في الابهام لا يتعرف بالاضافة وليس بحال لانها لا تجئ من المبتداء على الاصح لا
لانه مثله لا يكون ذا حال كما توهم لان الاضافة ولو للنكرة مسوغة له بلا خلاف ويجوز ان يكون
مثله مبتداء خبره في الاية ومابعده بدل منها والمن الانعام مطلقا او على من لا يطلب ويكون
بمعنى تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله تعالى لانه بمنه يذكر العبد فيبعثه
على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم حرمة المن وهو مكروه من غيره
ولذا قيل انه حرام ايضا فان كان لغرض صحيح جاز ولذا قيل المنية تهدم الصنيعة كما قال تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وكما قال الشاعر وان امرا اهدى الى صنيعة وذكرنيها انه لبخيل
وقال اخر اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا من المكارم حتى يثمر الشجر ولا تشنه بمن منك
تتبعه فشيمة المن ان يودى به الثمر والمنعم المالك الحقيقى وعطاؤه عن عطا غيره ذل
لا تخزيه سفلى وفي الاية الاخرى هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم الاية امتنان وثناء
عظيم كما تقدم والامى هو الذى لا يكتب ولا يقراء الخط وان قرا ماحفظه بالسماع من غيره
وانما سمى اميا نسبة الى الام كانه كيوم ولدته امه فانه يكون على جبلته من غير ان يحسن
كتابة ونحوها او نحوها او للامة العرب لانهم كانوا اميين الكتابة معدومة فيهم الا نادر
الاحكم له كما ورد في الحديث بعثت الى امة امية ثم اطلق الاميون على من كتب منهم ومن لم يكتب
كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما تغليبا وقيل الامى الذى لا يقرا ولا يكتب والمراد بكونه منهم انه
صلى الله عليه وسلم امى مثلهم قال الله تعالى وماكنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون ففيه اشارة الى حكمته وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم لكونه
مع ذلك اظهر علم الاولين والاخرين وقص سيرهم واخبارهم وفيه ايضا موافقة ماتقدم
من بشارة الانبيا عليهم الصلوة والسلام به ونعته في كتبهم بانه امى واليه بشارة الابى
صيرى رحمه الله بقوله كفاك بالعلم في الامى معجزة في الجاهلية والتاديب في اليتم
وبالاشارة الى الوجه الاول نظر القائل من اعجب الاشيا اتى امره عمى خالى وابى امى
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتاب تخريج احاديث الرافعى عرفتها الشافعية رحمه الله
ان مما حرم الله عليه صلى الله عليه وسلم الخط والشعر وانما يتجه التحريم ان قلنا انه صلى الله

مطلب كتابة النبي صلى الله
عليه وسلم وشعره

عليه وسلم كان يحسنهما واستدل بالاية المذكورة وبحديث انا امة امية لانكتب ولانحسب
والاصح انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديه وادعى بعضهم
انه صلى الله عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله من قبله في الاية فان عدم
معرفته صلى الله عليه وسلم سبب الاعجاز فلما نزل القران واشتهر الاسلام وكثر المسلمون
وظهرت المعجزة وامن الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرا قال مجاهد ذكرت هذا للسدي فقال سمعت
اقواما يذكرون ذلك وليس في الاية ما ينافيه وروى ابن ماجه عن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة
بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر والقدرة على قراءة المكتوب فرع معرفة الكتابة واجيب
باحتمال اقدار الله تعالى له على ذلك من غير تقدم معرفة الكتابة وهو ابلغ في المعجزة وفيه
تقدير اي سالت عن المكتوب فقيل لي هو كذا وفي حديث سهل بن حنظلة انه صلى الله عليه
وسلم لما امر معاوية رضي الله عنه ان يكتب للاقرع بن حابس وعيينة بن حصن قال عيينة
اتراني اذهب الى قومي بصحيفة كصحيفة المتلمس فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصحيفة فنظر فيها فقال كتب لك بما امر قال يونس بن ميسرة راويه فنرى انه صلى الله عليه
وسلم كتب بعد ما انزل عليه ومن الحجة عليه ما اخرجه البخاري في صلح الحديبية انه صلى الله
عليه وسلم اخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث
قال ابن دحية واليه ذهب ابو ذر وابو الفتح النيسابوري وابو الوليد الباجي وصنف فيه
كتابا وسبقه اليه ابن شبة وقال انه صلى الله عليه وسلم كتب بيده في الحديبية وقال
ابو بكر بن عربي لما قال الباجي هذا طعنوا عليه ورموه بالزندقة وكان الامر عندهم متثبتا
فعقد مجلسا للمناظرة فاقام الباجي الحجة ونسبهم الى عدم المعرفة فكتب بذلك اعلام
الافاق افريقية وصقلية وغيرهما فجاءت اجوبتهم بموافقته وان معرفة الكتابة بعد معرفة
اميته صلى الله عليه وسلم لا ينافي المعجزة بل هي معجزة اخرى بعد معرفة اميته وتحقق معجزته
وعليه تنزل الاية السابقة والحديث فان معرفته صلى الله عليه وسلم من غير تقدم
تعليم معجزة وصنف ابو محمد بن مفوز كتابا رد فيه على الباجي وبين خطاه وحكى ان ابا محمد
الهواري كان يرى راي الباجي فراى في النوم ان قبر النبي صلى الله عليه وسلم انشق وماج
فلم يستقر فاندهش لذلك وقال لعله لاعتقادي هذه المقالة ثم عقدت التوبة مع نفسي
فسكن واستقر ثم قص الرؤيا على ابن مفوز فعبرها بذلك واستظهر بقوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا الاية ومحصل ما اجاب به ابن مفوز عن
ظاهر الحديث البراء ان القصة واحدة والكاتب فيها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وقد
وقع في رواية البخاري من حديث البراء ايضا لما صالح النبي صلى الله عليه وسلم اهل
الحديبية كتب علي رضي الله عنه بينهم كتابا فكتب فيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل الروا

الاولى

الاولى على ان معنى كتب امر الكاتب ويدل عليه رواية الشهور في هذه القصة ايضا والله
الى رسول الله وان كنتم بنوني كتب محمد بن عبد الله وقد ورد كثيرا في الاحاديث كتب بمعنى امر
كحديث انه صلى الله عليه وسلم كتب الى قيصر وكتب الى النجاشي وكتب الى كسرى ونحو وكلها
محمولة على انه امر بالكتابة ويشهد له قوله في بعض طرق هذا الحديث لما امتنع الكاتب ان يمحو محمد
رسول الله قال له صلى الله عليه وسلم ارني فاراه موضعه فمحاه ثم ناوله لعلي رضي الله عنه
فكتب بامره ابن عبد الله بدله واجاب بعضهم بانه على تقدير حمله على ظاهره يحتمل ان يراد
انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتميز الحروف كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم اميون
والى هذا ذهب القاضي ابو جعفر السناني انتهى ولا يخفى بعد هذا الجواب وان شاهدنا مثله
نادرا وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم في هذه الاية غاية المدح كالتي قبلها لما فيها من انه
يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولذا صرح بالمنة فيها كما بين في التفسير فلا حاجة الى اعادته
كما في الشرح الجديد وفي هذه ايذان بانه تعالى اتم النعمة بارساله صلى الله عليه وسلم كما اكمل دينه
وفي الكاف وجهان احدهما ما ذهب اليه ابن جرير من انها متصلة بما قبلها من دعوة ابراهيم عليه
الصلوة والسلام وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
ووعده بان يجعل من ذريته امة مسلمة فمعنى الاية لاتم نعمتي عليكم بالشريعة الحنفية واهديكم
لدين ابراهيم عليه الصلوة والسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته فهو متصل
بما قبله كما ذهب اليه الفرا وهي متعلقة بما بعدها وهو فاذكروني اذكركم والخطاب جار
على الوجوه السابقة فبعثه بانه كما قاله ابراهيم تاليا لكلام ربه مزكيا لامته معلما الحكمة
وقدم يزكيهم هنا واخر في دعوة ابراهيم عليه الصلوة والسلام نظرا للقصد والفعل فيهما
كما قاله القاضي احمد رحمه الله يعني ان التزكية هي المقصودة بالذات من تعليم الكتاب والحكمة
فلذا قدمت في الاية الاتية لانها اهم وبالفعل لا توجد الا بعده فلذا اخرت فرقا بين المقامين

عرض

قيل لو استشهد المص رحمه الله باية دعوة ابراهيم لكان احسن واوفى بالمقصود لما اشتملت
عليه من المدايح مع افادة ذكره على السنة الانبيا السابقين عليه وعليهم الصلوة والسلام
وليس كما قال لان ما هنا اخبار من الله تعالى عما ذكر فيفيد وقوعه والدعا لا يفيد والباب مقصود
لثناء الله عليه الصلوة والسلام لا لثنا الانبيا عليهم الصلوة والسلام وان حكاه الله
تعالى فهذا ناش من عدم معرفة مقاصد الكتاب وروى عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى

ابن الحنبلي

من انفسكم قال الفاضل الحلبي يعني في قراءة من فتح الفا كما قاله ابن رسلان وبعضهم ما في المواهب
اللدنية عن ابن مردويه انه صلى الله عليه وسلم قرا من انفسكم بالفتح وقال انا انفسكم نسبا
الى اخر ما ذكره المصنف رحمه الله من الحديث المرفوع وهذا مما اهمله المخرجون لاحاديث هذا
الكتاب فلذا قال وقال نسبا وصهرا وحسبا تمييز لاسم التفضيل لابهام الفضل به الذي يفسر
بتمييزه وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم به كما عرفته والنسب القرابة مطلقا
الايا وفي النهاية النسب الولادة القريبة وهو صلى الله عليه وسلم اشرف الخلق نسبا وكذلك

سایر الانبیا علیهم الصلوة والسلام کما ورد فی الحدیث لا یبعث نبی الا وهو ذو نسب فی قومه وفی
المصباح النسب مصدر مطلق الوصلة بالقرابة یقال بینهما نسب ای قرابة سوآءً بینهما التناکح
او لا وجمعه انساب ومنه استعلوت النسبة فی المقادیر والصهر واحد الاصهار وقال الخلیل
اهل البیت المراءة وقال الازهری رحمه الله تعالی الصهر یشمل علی قرابات النسا من ذوی المحارم
وذوی المحارم وذوات المحارم کالابوین والاخوة واولادهم والاعمام والاخوال والخالات
فهؤلاء اصهار زوج المراءة ومن کان من قبل الزوج من ذوی قرابته فهم اصهار المراءة ایضا
وقال ابن السکیت کل من کان من قبل الزوج من ابیه او اخیه او عمه فهم الاحما ومن کان من قبل
المراءة فهم الاختان ویجمع الصنفین الاصهار وصاهرت الیهم اذا تزوجت منهم والحسب
بفتحتین ما یعد من الماثر وهو مصدر حسب بالضم وقال ابن السکیت الحسب والکرم یکون
فی الانسان وان لم یکن لابائه ورجل حسیب کریم بنفسه واما المجد والشرف فلا یوصف بهما
الشخص الا اذا کان ذلک فیه وفی ابائه وقال الازهری رحمه الله الحسب الشرف الثابت له
ولابائه وقوله صلی الله علیه وسلم تنکح المراءة لحسبها لانه مما یعتبر فی مهر المثل فالحسب
الفعال الحمیدة له ولابائه ماخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم کانوا اذا تفاخروا عدوها
لیس فی ابای من لدن ادم علیه الصلوة والسلام سفاح کلنا نکاح وفی نسخة کلها نکاح بالهاء بدل
النون ولذا وقع فی سنن الترمذی مرویا بالوجهین لحا لیس فی اباتی من حیث ابوتهم فیلزم ان لا یکون
فی امهاته صلی الله علیه وسلم ایضا ذلک کما یدل علیه السیاق ولدن ولدا ظرف مکان بمعنی عند
الا انهما لا یستعملان الا فی الحاضر یقال لدنه ولدیه مال اذا کان حاضرا وجا من لدنا رسول الله
صلی الله علیه وسلم ای من عندنا وقد یستعمل لدی فی الزمان واذا اضیف لمضمر قلبت الفها یاء
الا فی لغة بنی الحارث وما قیل من ان لدن بمعنی عند الا انها لا تصح الا فی ابتدا الغایة کما فی عبارة
المصنف رحمه الله الحصر فیه لا وجه له فانه اغلبی والسفاح الزنا والفجور من سفحت الما عرضه
اذا صببته فکانه اراق ماءه واضاعه وعلی روایة کلها الضمیر المؤنث للوطیات واسناد
النکاح لها حقیقة ان کان بمعنی الجماع ومجاز ان کان بمعنی العقد فلا وجه للاطلاق فی محل
التقیید وعلی الاخری وهی اصح الضمیر للنبی صلی الله علیه وسلم ولابائه واسناد النکاح لهم
بتاویل ذوی نکاح ونحوه او علی التجوز فی الاسناد کانهم تجسموا من النکاح کقوله فانما هی اقبال
وادبار والنکاح یطلق علی الوطی والعقد بلا خلاف فانما الخلاف فی انه حقیقة فیهما او فی
احدهما علی اقوال مفصلة فی الفروع والاصول قیل ولم یرد فی القران الا بمعنی العقد لانه فی الوطی
صریح فی الجماع وفی العقد کنایة عنه وهی اوفق بالبلاغة والادب کما ذکره الزمخشری والراغب
واذا کان بمعنی العقد هنا فالمراد به عقد صحیح موافق لدین الاسلام او لغیره من الادیان السالفة
وحیث اخبر عنه صلی الله علیه وسلم فهو بوحی من الله انباه الله به انه صانه واسلافه عما
یشین وطهر ارحامهم عن دنس السفاح فلم یزل کما قال ابن الجوزی رحمه الله فی الوفا ینقل من الاصلاب
الطاهرة الی الارحام الطیبة مصفی مهذبا لم یتشعب شعبتان الا کان فی خیرهما وقال السید

ان الموذخین اتفقوا علی ان هاجر ام اسمعیل علیه الصلوة والسلام کانت ملکا لابراهیم
علیه الصلوة والسلام فان لم یکن هناک عتق وزواج تعین ان یکون المراد فی الحدیث
النکاح بعموم المجاز عقد صحیح مبیح الوطی ان المقصود نفی الفجور فیشمل الزواج وغیره
من غیر محذور کما حققوه هنا وظاهر الحدیث انه لا فجور الا فی الابا مطلقا لکن الاظهر بشهادة
ما سبق وما یاتی وما فی المواهب مرفوعا من انه لم یلتق ابوای علی السفاح ان المراد طهارة النسل
کما اشرنا الیه تلمیذ ابن الحنبلی اقول ویمکن ان معنی لم یلتق ابوای لم یلتق نسب ابوای بقرینة
الروایات الاخر جمعا بینهما وقال ابن الکلبی هو محمد بن السایب الکلبی ابو نصر المفسر النسابة
المحدث خرج له الترمذی وستاتی ترجمته مفصلة ونسبته الی کلب وهی قبیلة معروفة
وتوفی فی السنة التی مات فیها الشافعی وهی سنة اربع وثمانین ومائة قال الحلبی وصاحب
المغنی هذا والمشهور ان الشافعی توفی شهیدا فی یوم الجمعة سلخ رجب سنة اربعة ومائتین
وقال التلمسانی وصاحب المواهب انه هشام بن محمد بن السایب هو الوالد فلعله نسب
الکتابة الاتیة تارة الی نفسه حقیقة او تجوزا فرواه المصنف رحمه الله کذا قال السید
کتبت للنبی صلی الله علیه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فیهن سفاحا ای وطیا بطریق الزنا
قیل اراد بالام ما یشمل الجدات ومن فی حکمهن کام العم والعمة وام عم الاب ونحوه فان الجدات
الحقیقیة لا تقارب ذلک وقد عدوا الی ادم علیه الصلوة والسلام سبعة واربعین
ابا ویعلم من هذا النقل ان السفاح لم یقع فی الاقارب فما فی الشرح من ان ذلک النقل لحوط
رتبة لا طائل تحته اقول هنا اشارة الی السوال المشهور علی ما قال ابن الکلبی رحمه الله
من ان امهاته صلی الله علیه وسلم وجدانه لا تبلغ هذا العدد فکیف ما قاله وانت اذا
تأملت قول المصنف السابق لم یکن قبیلة من العرب الا ولها علی رسول الله صلی الله علیه وسلم
قرابة او ولادة عرفت انهم لم یقفوا علی المراد فانهم جعلوا النسب شجرة لها ساق وعمود وشعب
واغصان متفرقة متفرعة فان نظرنا الی عمود النسب وما علیه وما یحاذیه لم یبلغ عدد الامهات
ما یدانیه فضلا عن ان یساویه وان نظرنا الی الفروع والشعب وسایر قبایل العرب لجمیعهم
لهم به صلی الله علیه وسلم اتصال نسبی ونساؤهم امهات له واحاطة ابن الکلبی واضرابه
بمثل ذلک غیر مستبعدة فانهم لهم اعتنا بالانساب یعدونها من اعظم علومهم وتوضیحه
انک اذا نظرت لقبیلة وجدتها من نسل رجل واحد فجمیع ذکورهم اما له صلی الله علیه
وسلم او اعمام او اخوال وجمیع نسائهم جدات وعمات او خالات لعده قرابتهم وولادة له
والمراد نسبه صلی الله علیه وسلم بحواشیه واطرافه جمیل لم یمسسه دنس عارفا ذا فحصت
عین البصیرة لم تجد غبارا فاعرفه وانما اطنبت الکلام لانی رایتهم استشکلوه ولم یات
احد فیه بما یشفی الغلیل ولا سیما مما کانت علیه الجاهلیة وفی نسخة مما کان وفی نسخة
اهل الجاهلیة وعلی النسخة الاخری اهل مقدرا والمراد الامة او المراد بالجاهلیة اهلها
کما یطلق المجلس والمقام علی اهله والجاهلیة زمان کثرت فیه الجهالة او ناس کذلک وهی

ماقبل الاسلام او ايام الفترة وقد تطلق على زمن الكفر مطلقا وعلى ما قبل الفتح والمراد انه ليس
في نسبه صلى الله عليه وسلم زنا ونحوه مما يعاب وعطف قوله ولا شيا الخ من عطف العام
على الخاص لا من عطف الخاص على العام كما قيل فانهم كانت له انكحة لا يعدونها سفاحا في
الشرع كنكاح الصافحة وعد منها في بعض الشروح امورا اكثرها زنا واطال فيها من غير
طايل ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة الاب واورد عليه الزبير بن بكار ما ذكره
المورخون ان كنانة خلف على برة بنت اد زوجة ابيه خزيمة على ما كانت الجاهلية تفعله اذا
مات الرجل خلف على زوجته بعده اكبر بنيه من غيرها وربما روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام وبما ذكره
المصنف رحمه الله عن الكلبي وقد اجيب عنه باجوبة منها انه لم يكن سفاحا محرما قال
السهيلي رحمه الله ويدل عليه قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف فان
الاستثنا يدل على تحليله وانه ليس في نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعاب وانه
لم يكن في نكاح اجداده صلى الله عليه وسلم سفاح الا ترى انه لم يقل في شيء نهى عنه في
القران الا ما قد سلف نحو لا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولا يستثنى
من المعاصي التي نهى عنها الا في هذه وفي هذه وفي الجمع بين الاختين لانه كان مباحا في شرع
من قبلنا كما جمع يعقوب بين راحيل واختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا
المعنى وتنبيه على هذا المعزى ونقل هذه النكتة عن ابن العربي وهذا بنا على ان نكاح زوجة
الاب كان جايزا قبل الاسلام وكانوا اذا مات احدهم ورث اولياؤه نكاح زوجته
ولو كرها قال الله تعالى لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها وظاهر كلام بعض المفسرين
ان نكاح زوجة الاب كان جايزا في اول الاسلام وبآباه قوله انه كان فاحشة ومقتا
وساء سبيلا فان كان هنا بمعنى لم يزل وهو اخذ معانيها لا زايدة فانها لا تزاد اذا عملت
وذهب بعض المفسرين الى انه لم يكن حلالا ابدا وقوله الا ما قد سلف لا يدل عليه ولنا
اعترض من استدل به ودفع ما مر بما نقله الجاحظ من ان كنانة بن خزيمة وان خلف على زوجة
ابيه بعده وهي برة بنت اد بن طابخة وهي امراة اسد فهي لم تلد منه ذكرا ولا انثى حتى تكون جدة
للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن كانت بنت اختها وهي برة بنت مر بن اد بن طابخة اخت تميم بن
مر عند كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة
خلف على برة لاتحاد اسمهما وتقارب نسبهما قال وهو الذي عليه اهل العلم بالنسب ومعاذ الله
ان يكون اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال ما زلت من نكاح
كنكاح الاسلام ومن اعتقد غيره وشك في هذا الخبر فقد اسا واخطأ وكذا ما قيل
من ان هاشما خلف على واقدة زوجة ابيه فانه رد بانها ليست جدة للنبي صلى الله عليه
وسلم فان ام عبد المطلب انصارية ولذا كانت الانصار اخوا له صلى الله عليه وسلم
كما فصل في السير واعلم ان المص رحمه الله تعالى لما ذكر ايات قرانية فيها الثنا على رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم سردها في ترتيب انيق لم يسبقه عليه احد ممن تكلم عليه فانه بدا بقوله
لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية الدالة على ان الرسول الذي جاهم ازال عنهم العنت والمشقة
وهداهم للنور المبين وهو منهم معروف فيما بينهم ثم عقبه ما ذكر من التخلية من قوله لقد من الله
الخ فدل على انه منه ونعمة عظيمة وارشاده للعلوم والحكم والاتيان بكتاب لم يشرف بما بدا
منه احد من الامم ثم يختمه بما يوكد هذه المنة من انهم اميون لا قدرة لهم على القراءة والكتابة
مع ان الكتب السالفة ليست بلسانهم فلو لم يبعث منهم هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم
لم ينقذوا من الضلالة ويهتدوا للسعادة فاعرفه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وروي اخرجك قال السيوطي هذا الحديث
اخرجه ابن سعد والبزار وابو نعيم في الدلايل بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو عبد الله
بن عباس عبد المطلب الصحابي المشهور حبر هذه الامة وترجمان القران الفايق في العلم واكبر واحد
العبادلة توفي سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير وقد كف بصره كما سياتي والتقلب تفعل من القلب
وهو التحول من جهة الى اخرى وجعل على الشيء اسفله وهو بالمعنى الاول في الاية وفيها وجهان
اخران غير ما ذكره ابن عباس احدهما ان المراد تردده في تصفح احوال الصحابة في تهجدهم بعدما نسخ
فرضية قيام الليل وان بيوتهم مملوة بالذكر والصلاة ولهم دوي كدوي النحل وتصرفك بين المصلين
قياما وركوعا وسجودا ولذا قيل ان لم يذكر صلاة الجماعة الا في هذه الاية وعلى هذا اقتصر اكثر المفسرين
وعلى الاول اقتصر الرازي في اسرار التنزيل واستدل بها على اسلام ابا النبي صلى الله عليه وسلم واجداده
فقال انه كان ينتقل روحه من ساجد فيدل على ان اباه صلى الله عليه وسلم لم يكونوا مشركين ويدل عليه
ايضا ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم لم يزل ينقل من اصلاب وارحام طاهرة وقد قال
تعالى انما المشركون نجس وسياتي تفصيله في حال الابوين ولا دلالة فيما ذكر لان المراد بتقلبه انتقاله
من صلب نبي الى نبي ولو مع الوسايط والمراد بالحديث انه ليس في اصوله سفاح كما مر وفي الحديث تصريح
بان هذا هو المراد فالمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم والثنا عليه بعد ما مدحه بان الله طهر اصوله
كما طهر فروعه وملايمة هذا لما قبله وهو فتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك
الخ ظاهرة لان المعنى فوض امورك كلها في جميع احوالك الى من يراك لذا تقوم للصلوة او للصلوة
الليل ويراك في اخفى من هذا اذا كنت ذرة في اصلاب المصلين وعبر عن الصلوة بالسجود لانه اعظم
واقرب الى الله فان العبد اقرب ما يكون من ربه وهو ساجد فالمراد انه يراك في ظهورك وبطونك
لاستواء الظاهر والخفي في علمه خلافا لمن توهم انه لا ملايمة بينهما وبهذا ظهر ايضا مناسبة هذه
الاية لما قبلها في كلام المص ووجه تاخيرها والمراد بالرؤية ظاهرها او الحفظ والكلاءة والرعاية
كما يقال نظر الله اليك اي حفظك في جميع حالاتك من حين كنت نطفة فكيف لا يحفظك من اعدائك
وينصرك عليهم وسقط ايضا ما توهم على هذا التفسير انه ان اريد ان جميع الاصلاب التي حوته
كذلك فالواقع خلافه والا فلا فرق بينه وبين غيره من بني اسمعيل عليه الصلوة والسلام وقد روي
عن ابن عباس ايضا ما ذكره غيره من المفسرين ففيه روايتان وقال جعفر هو جعفر الصادق

ابوعبدالله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه روى الحديث عن ابيه وعن نافع وعطا والزهري وغيرهم وروى عنه كثير
كمالك والسفيانين وابن جريج وابن اسحاق واتفقوا على امامته وجلالته وسيادته وولد سنة ثمانين
وتوفي سنة ثمان واربعين ومائة قيل مسموما ودفن بالبقيع مع ابيه وجده وعمه في قبر واحد ويقال
انه ولده الصديق مرتين لان امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن الصديق وامها اسما بنت عبد الرحمن
بن الصديق وكذا يقال ولده مرتين لمن انتسب من جهتين ووثقه في روايته الشافعي وابن معين وابو حاتم
والذهبي وهو من فضلاء اهل البيت وعلمائهم والاحاديث المروية عنه مقبولة الا رواية اولاده
اذا لم ترد من طريق اخر فانهم رووا عنه مناكير كثيرة حتى ذهب بعض الناس الى تمريضه ولا ترز وازرة
وزر اخرى وكانه لذلك لقب بالصادق علم الله تعالى وتقدس عجز خلقه عن طاعته في نسخة ضعف
خلقه والطاعة اسم مصدر هو الاطاعة من اطاع اذا انقاد واتبع الامر فلم يخالفه قال ابن فارس
اذا مضى لامره فقد اطاعه اطاعة واذا وافقه فقد طاوعه والاستطاعة الطاعة والقدرة اي
انه عز وجل علم عجز القوى البشرية عن طاعته كما ينبغي من غير ان يكون بينهم وبينه واسطة من جنسهم
لها تجرد باعتباره وتعلق بمقتضى لفطرة به يفيض على من هو دونه ولذا كانت الرسالة سفارة
بين الله وبين العقلاء يزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والاخرة ولا حاجة
هنا كما قيل الى تفصيل معنى النبوة والرسالة فعرفهم ذلك العجز وانهم لو لم يكونوا عاجزين لم يقم بينه
وبينهم رسولا موصوفا بما سياتي ولذا اقام الله عذر من لم ياته رسوله فقال وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا لكي يعلموا انهم لاينالون الصفو من خدمته ينالون بمعنى يصلون ويأخذون
والصفو بمعنى الصافي الخالص بفتح الصاد المهملة والصفوة مثله وخدمته بمعنى عبادته
وطاعته وصفوتها خلوصها من الحظوظ النفسية فلا يشوبها ما يكدرها من التقصيرات فاقام
بينهم وبينه وفي نسخة بينه وبينهم بتقديم المفيض على المستفيض لتقدمه ذاتا ورتبته وفي الاولى
قدمهم لانهم المحتاجون للوسايط فقدم مراعاته للمقام واقامه بينهم جعله قائما موجودا بينهم
او اقامه خليفة له مخلوقا من جنسهم وسقط رسولا من بعض النسخ اي بشرا منهم فليس الجنس
منطقيا بل لغوي وهو اعم من المصطلح لشموله النوع وغيره وما قيل من ان المراد من جنسهم اشرفهم اذ اصل
الكلام بالنظر الى الانسان الاشرف والمراد من العناصر ونحوها مما يعم الثقلين ولذا عدل
للجنس كلام لايناسب المقام وفيه تعقيد من غير حلاوة فتركه خير وفي الاخير يكون الظرف لغوا
والقصد بهذا زيادة الايتلاف وسهولة الاتباع وقوله في الصورة اي جنسيته صلى الله عليه
وسلم انما هو بحسب الصورة الظاهرة لا المعنى الباطني لما سياتي في القسم الثالث لتكون له
المناسبة بين الجانبين فيتاهل للوساطة بين الله وعباده والبسه اي كساه الله حلالا من نعته
الرافة والرحمة ففيه استعارة مكنية والنعت والصفة بمعنى ورايت في بعض الكتب العربية
ان بعض النحويين فرق بينهما فقال النعت لايقال الا في غير الله لقولك نعت الثوب ونعت الفرس
ولا يقال نعت الله بخلاف الوصف والصفة والمشهور هو الاول وعليه كلام المص رحمه الله

عرضي

سيد

والضمير

52

والضمير المضاف اليه نعته لله والرافة مفعول البس الثاني وقد قدمنا لك الفرق بين الرافة والرحمة
ووجه تقديمها وما وقع لهم من الغلط فيه فليكن على ذكر منك فان بعض الشراح اطال فيه هنا بغير
طائل تنبيه قال القرافي في التنقيد شرح مسائل الاربعين الرحمة اصلها ميل الطبع ورقته وهو محال
على الله تعالى فيصرف للمجاز وهذه الرقة لها لوازم لان من رق طبعه اراد الاحسان واحسن فكما
يصح التجوز به وذهب الباقلاني الى ان التجوز عن الفعل فقال رحمته معاملته الراحم المرحوم وذهب
الاشعري الى انها ارادته فعلى راي القاضي الرحمة محدثة وعلى راي الشيخ قديمة وعلى راي القاضي يجوز
ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وهو عنده الجنة وعلى راي الشيخ يحرم ذلك لان مستقرها الذات
وفي القران مواضع لا تستقيم الا على احد الرايين فقوله ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما يتعين
فيه الارادة لاقترانها بالعلم وهو صفة ذاتية والوسع وقوله هذا رحمة من ربي الاشارة
الى السد وهو من باب الاحسان انتهى وهل هي مجاز مرسل او استعارة تبعية او تمثيلية
احتمالات بيناها في حواشي القاضي واعلم ان المص رحمه الله لما ذكر في هذا المحل ايات
دالة على نهاية الثنا على نبيه صلى الله عليه وسلم وكان معناها كلها ان الله بعث في هذه
الامة الامية رسولا هو اعظم مخلوقاته حسبا ونسبا اودعه الاصلاب الطيبة
والارحام الطاهرة وجعل واسطته انبيا ورسلا واوحى اليه بكتاب هو اعظم الكتب
السماوية وجعله مشتملا على علوم الاولين والاخرين فاقام به الملة السمحة واتم به دينه
ونصرهم على اعدائهم وملكهم الدنيا ولطف بهم اذ جعله بشرا مثلهم يخاطبهم بلسانهم
وفي ذلك رافة بهم واتم نعمه عليهم وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اذ راف بهم وانعم
عليهم بنعم الدنيا والاخرة ولذا وصفه بوصفين متجاورين في قوله بالمومنين رؤف رحيم
وهذا مما خص الله به نفسه فلما جعل خليفة الله خلع عليه خلعة تمييزا له وتكريما كما يفعله
الملوك فقوله البسه من نعته الرافة والرحمة يعني به المذكور في الاية السابق ذكرها ولم
يجمع له غيرهما فان قلت كيف هذا وقد وصفه بصفات غيرهما وجمع له بين صفتين ايضا في قوله
في اية الاسراء لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير بنا على ان الضمير لعبده قلت هذا ما ذهب
اكثر المفسرين الى خلافه وان هذا الضمير لله تعالى ولو قلنا انه له فهاتان الصفات لم يجرلهما
ذكر هنا ولا مناسبة لهما بهذا المقام فلذا خصهما المص رحمه الله بالذكر فما قيل معنى البسه
الرافة والرحمة انه وصفها بهما بما شاركه في اصل المعنى وان تغايرا في الحقيقة وانما بينهما
مشاركة لفظية ومناسبة ما وانما خصهما من بين الصفات لكمال مناسبتهما لبعثته
للثقلين ووساطته بينهما مع شدة الاحتياج لذلك كما قال صاحب معاد المريدين في قوله
تخلقوا باخلاق الله معناه اتصفوا بالصفات المحمودة وتنزهوا عن الصفات المذمومة
وليس معناه ان ياخذ من صفات القديم شيئا ومثله من يوقد سراجا من سراج او ياخذ علما
من عالم فانه لا ياخذ عين سراجه ولا عين علمه بل يحصل له من اشراق سراج ومن اضافة علمه
علم اخر هو من كلام من لم يصل الى العنقود مع انه لا محل له وليس تحته كبير فائدة واخرجه

ابن الحنبلي

مطلب
بيان معنى تخلقوا باخلاق الله

الى الخلق سفيرا صادقا المراد انه اخرجه من العدم والتقدير الى الوجود الخارجي العيني
او من الاصلاب والارحام والسفير الرسول والمصلح بين القوم والمراد الاول اى رسولا من الله
لهم وهو ماخوذ من سفرت الشيء سفرا اذا كشفته واوضحته لانه يوضح ما امر به ويظهره
واسفار الصبح والمراد بالخلق جنسهم او جميعهم لعموم رسالته صلى الله عليه وسلم كما سيأتي
وصدقه صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى عصمه من الكذب ولم تؤثر عليه تهمته به فضلا
عن وقوعه كما مر في حديث هرقل وجعل طاعته وموافقته موافقته طاع واطاع بمعنى انقاد
واذعن وقيل طاع بمعنى اتبع الامر ولم يخالفه وليس بينهما بعد بحسب المآل والموافقة ضد
المخالفة ومعناها الاتفاق والتظاهر اى من اتفق معه على ما كان عليه في دينه وقبول ما جاء به
فقد وافق الله والضمير الاول للرسول صلى الله عليه وسلم والثاني لله ويجوز العكس لانه
لا طاعة لله الا بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا طاعة للرسول الا بطاعة الله سيد
والمراد الاتحاد الحقيقي لا ينطق عن الهوى فهو مبلغ والامر هو الله اولانه لا يأمر الا بما فيه
طاعة الله وعبادته فطاعته عبادة وقيل المراد ان طاعته مثل طاعته في الوجوب لان الله
امرنا بطاعته قيل وهو قصور الموافقة بعد الطاعة وهي بمعنى الاطاعة للتاكيد قيل دلچى
وتوضيح الاتحاد الحقيقي ان من اطاع الرسول عليه الصلوة والسلام ليس له اطاعة لا يكون
مطاعها الحق وهنا كما قيل ان وجود العرض في نفسه هو وجوده في الموضوع فليس للسواد وجود سيد
وجود لا يكون تابعا للموضوع ولذا منع انتقاله عنه بخلاف وجود الجسم في الحيز فلذا انتقل
عنه كما قال التفتازاني ورد بانه لا يستقيم هذا لان الاتحاد الحقيقي هو ان يصير شيئا بعينه دلچى
شيئا اخر من غير ان يزول عنه شيء او ينضم اليه شيء وهنا قد انضم الى اوامره ونواهيه كونها
وحيا من الله تعالى ليست كاوامره ونواهيه بامور طبيعية قبل النبوة وهذا كقول السلطان
لوزيره مر الناس عني بكذا فانه صادر من الوزير صورة ويعد امر الوزير وهو في الحقيقة امر
السلطان فان الاتحاد مجازي بطريق الانتقال والتغير كما يقال صار الماء هواء اى زالت عنه هيولى
صورة خلفتها اخرى او هو من قبيل صار الابيض اسود وانضم اليه شيء اخر كصار التراب طينا
وما قيل في توضيحه ايضا غير صحيح لان الاتحاد الحقيقي عدم المغايرة والعرض له حقيقة مغايرة
لحقيقة موضوعه فلا يقال ان حقيقة السواد هي حقيقة الجسم وهذا القائل جعل حقيقة
طاعة النبي صلى الله عليه وسلم هي طاعة الله واين الوجود من الحقيقة وقد تقرر ان وجود العرض
والجوهر زايد على ماهيتهما ولهذا لم يصدق تعريف الجوهر بانه ماهية اذا وجدت في الخارج لم
تكن في موضوع على ذات الباري لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض هو وجوده
في موضعه انهما لا يتمايزان في الاشارة الحسية وقد توهم من هذه العبارة ان وجود السواد مثلا
في نفسه هو وجوده في الجسم وليس بشيء اذ يصح ان يقال وجد في نفسه فقام بالجسم وهذا يقتضي
المغايرة اقول انما نقلت هذا مع طوله لئلا يظن ان في التسويد ما رجا لا وتحقيقه ان المدلولين
اذا تغايرا بحسب المفهوم واتحدا في الخارج بحسب الماصدق كالحيوان والمتحرك بالارادة يكون

الاتحاد حقيقيا بحسب الخارج واطاعة الله واطاعته كذلك من غير شبهة فان الله اذا اوجب
الصلوة وامر بها فامر الرسول عليه الصلوة والسلام بها الخلق فامتثلوا فاطاعة الله
واطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم اقامة الصلوة وهي امر واحد في الخارج وان تغاير
مفهوماهما فانه امر اضافي يختلف باختلاف المضاف اليه وكذا وجود العرض في نفسه
ووجوده في موضعه لعدم التمايز والانتقال بخلاف وجود الجسم وما انضم اليه شيء
اخر كالخشب والسرير والماء المنقلب هواء ليس من هذا القبيل لتغايرهما في الخارج فهذا
القائل خبط خبط عشواء واطال من غير طائل فان قلت كيف يتم هذا ان قلنا باجتهاده
صلى الله عليه وسلم فاذا امرهم باجتهاده هل يقال اطاعته امر اطاعة لله مع احتمال
امره بخلافه كما في قصة الاسراء قلت نعم هو اطاعة لله لقوله واطيعوا الرسول من غير
قيد ولذا عقبه المص رحمه الله بقوله فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله تقدم
ان ضميري طاعته طاعته فيهما وجهان وقد قيل هنا ان جعل الضمير الاول لله يفيد ان طاعة الله
منحصرة في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لتعريف الطرفين لان المعتبر منها ما وافق
الشرع والشرع من الرسول صلى الله عليه وسلم فهو ابلغ الا ان دلالة هذه الاية عليه
ليست بظاهرة وتوضيحه كما قيل ان معناها ليست له صلى الله عليه وسلم اطاعة الا وهي
لله تبنزيل الموجود منزلة المعدوم كما في قوله وما رميت اذ رميت ويحتمل ان يكون معناها
من يطع الرسول عليه الصلوة والسلام في تفاصيل ما جاء به فقد اطاع الله في قوله قل اطيعوا الله
واطيعوا الرسول الا ان هذه الاية هي الدالة على انه جعل طاعته كطاعته في اصل الوجوب
لا في ذاته ووصفه لا الاية التي تلاها المصنف رحمه الله فلا يصح ان يقال معنى جعل طاعته
طاعته انه جعلها مثلها في الوجوب لان قوله فقال الى اخره يأباه لتفسيره او تعريفه
عليه ما يخالفه كما سيأتي ورد بانه لا ينبغي قصر الدلالة على وجوب طاعته في الاية الثانية
ان الاية التي تلاها المصنف دالة على ذلك ايضا فان مضمونها انه جعل طاعته صلى الله
عليه وسلم طاعة الله واجبة شرعا ففعلا فطاعته صلى الله عليه وسلم كذلك وان لم
يكن مثلها من كل الوجوه فدل ذلك على انه يجوز ان يكون مراد جعفر الصادق بقوله انه جعل
طاعته في الوجوب وهو كلام حسن والذي جنح اليه القائل ان القاضي وغيره قال في تفسير
قوله من يطع الرسول الاية ان الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ والامر هو الله وهذا الحصر
يقتضي انه لا امر ولا ناهي سواه وانه لا طاعة لغيره الا بحسب الظاهر وانا اقول هنا كله
من ضيق العطن فان كون الامر كله لله ليس فيه اشتباه وما على الرسول الا البلاغ لكن لما كان
العباد لا تطلع على ذلك الا بامر الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت طاعته وتصديقه
واجبا علينا جعل امرا ونهيا ومثله يعد حقيقة بحسب اللغة كما قال في البردة نبينا الآمر
الناهي فلا احد ابر في قوله لا منه ولا نعم وفي هذا التفريع خفاء ليس هنا محل بيانه فاى
ماس في النظر لهذين الامرين وقوله طاعته تشبيه بليغ كقولك ابو يوسف ابو حنيفة ويجوز

عكسه وجعله عينه ادعا فلا ينافى الاية لان الشرط والجزا متغايران نظر الما فى نفس المقام
ولكل مقام مقال وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين هذا اما ابتداء كلام
فى ذكر ما جا فى الثنا من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم او من تتمة كلام جعفر رضى الله عنه
وبه جزم فى الشرح الجديد وهو حينئذ متصل بالكلام ما اى لما علم عجزهم عن نيل صفو خدمته
اقام بينه وبينهم سفيرا من جنسهم رحمة لهم فابعث رحمة للعالمين او بقوله البسه من نعته
الرافة والرحمة وهو اقرب والعالمين عام شامل للمتقين والعصاة والكافرين كما سياتى من انه
صلى الله عليه وسلم رحمة للكافرين بتاخير العذاب ومنع الاستيصال لمن خالفه فعذابه
من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل اخرون فهى رحمة لهما وما قيل ان المفسرين لم يتعرضوا
البيان نفى الغضب مع وقوعه منه صلى الله عليه وسلم كثيرا وقد قصد الله ان يبعثه
ان لا يومن به قوم فيعذبهم وليس الحصر هنا نظر العموم العالمين لانه لو اريد به هذا قيل
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او يقال القصد بالذات الرحمة والغضب بالتبعية وهو
فى جنب الرحمة كالعدم او المعنى لاجل الرحمة على الكل لا الغضب على الكل اه ما قاله واطاله
فيه من غير طايل ولعمرى ان ما ظنه مشكلا فى غاية الظهور فانه صلى الله عليه وسلم رحمة
عامة شاملة كما ورد انما انا رحمة مهداة فانه لم يرد لاحد ضررا وقد اجتهد فى نفع كل احد
ولكن من يضلل الله فما له من هاد وكان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه وانما يغضب
لانتهاك حرمة الله كما سياتى بيانه ولعمرى ان صاحب الكشاف اجمل واجل فلا حاجة للاطالة
هنا ورحمة مفعول له وللعالمين متعلق به اى ما ارسلناك الا لترحم بك العالمين بهدايتك
اياهم لسعادة الدارين وفى مسلم قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين فقال انى لم ابعث لعانا
انما بعثت رحمة ويجوز ان يكون حالا من الكاف اى الا ذا رحمة او هو عين الرحمة وليس للعالمين
متعلق بارسلنا لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا فى الاستثناء المفرغ نحو ما مررت الا بزيد
والمعنى الا لارحم بالبنا للفاعل لا للمفعول كما قيل قال ابو بكر بن طاهر قال الشمنى والبرهان الحلبى
هو ابو بكر بن طاهر بن مغوز بن احمد بن مغوز المغافرى الشاطبى وقال التلمسانى هو عبد الله بن
طاهر الابهرى وهو من اقران الشبلى ومن مشايخ الجباب عالم ورع مات قرب الثلاثين وثلاثمائة
وهناك ابو بكر بن طاهر واسمه محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلى يروى عن ابى على الغسانى وروى
عنه السهيلى والاول اقدم من الثانى وهو المراد والله اعلم والذى عند سيدى ابو الحسن ابو بكر بن
طاهر بن مغوز بن احمد بن مغوز المغافرى الشاطبى والله اعلم ابهم هو انتهى زين الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بزينة الرحمة يعلم من هذه العبارة ان قوله السابق البسه الرافة والرحمة استعارة
مكنية بجعل كل منهما كالحلة والخلعة البهية فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة
على الخلق الفا هنا للتفسير والتفصيل وكونه مرفوع اسم كان وهو مصدر كان التامة اى وجوده
ورحمة منصوب خبرها وكونه لا خبر له وتقديره وقوله من ربنا قبيح وما بعده معطوف عليه
والزينة ما يتزين به لباسا او غيره واضافته للرحمة كلجين الما او بيانية وقيل الزينة هنا اللبا

اى البسه الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى انها منة من الله بها عليه غير الجبلة
البشرية والشمايل جمع شمال بالكسر مثال شمال خلاف اليمين قال الازهرى الشمال الخلقة والجبل
اى خلقه وجمعه شمايل ورجل كريم الشمايل اى فى اخلاقه ومخالطته انتهى وبه سمى كتاب الشمايل
وما الطف قول ابن الوردى فيه مضمنا يا الطف مرسل كريم ما الطف هذه الشمايل
من يسمع لفظها تراه كالغصن مع النسيم مايل فعطف صفاته من عطف العام على الخاص
ان لم يخصص بالصفات الظاهرة والشمايل بخلافها وقال الشراح صفاته صلى الله عليه
وسلم تشمل غضبه وظاهره لانه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح
وهو رحمة فى ذاته وامارة الحسن فانه لمحبته والتصديق به الا ترى ان عبد الله بن سلام رضى الله
عنه لما راه صلى الله عليه وسلم امن به وقال لما رايت وجهه الشريف تبينت انه ليس بوجه سيد
كذاب فان اريد بالخلق جميعهم كما مر فقوله فمن اصابه شئ من رحمته هو الناجى فى الدارين اى الدنيا
والاخرة والناجى بمعنى السالم من اصابة ما يكرهه ويضره قيل المراد به من انتفع انتفاعا معتدا به
بان يكون مصدقا به او انتفع بشئ معتد به او ان وجوده صلى الله عليه وسلم وصفاته هدايته ابن الحنبلى
فمن اهتدى بشئ منهما نجا وقيل المراد بشئ من رحمته انه اهتدى بهدايته لان من لم يهتد كانه لم
تصبه الرحمة كما ان من شرب الما لم يروكانه لم يشرب وهذا هو التفسير الصحيح وما قبله تكلف
فالمعنى ان من هداه الله للايمان به صلى الله عليه وسلم نجا من كل مكروه ونال من كل مرغوب واسقام
الدنيا والامها لا تعد مكروها بعد العلم بما فيها من تكفير السيات وتسهيل الحسنات من كل مكروه
يلحق من لم يهتد فلم يومن به فى الدنيا كالقتل والسبى واخذ الجزية وفى الاخرة العذاب المخلد
والواصل فيهما الى كل محبوب اما فى الدنيا فان كان ذا غنى ونعمة فظاهر والا فالمؤمن العاقل اذا
صبر وقام بوظايف العبودية فى دينا سريعة الزوال كان ما اصابه من المكروه لايصاله للنعم
الاخروية محبوبا عنده واما حاله فى الاخرة فغنى عن البيان فما قيل انه يشكل عمومه بالمؤمن
العاصى المعذب وبان مصايب المؤمنين فى الدنيا كثيرة الا ان يقال فى الدارين متعلق بالمكروه
والمحبوب والمراد انه سبب فى الجملة او الكل بمعنى الجل لا وجه له فانه من قسم الوسواس الا ترى ان الله
يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفى نسخة اسقاط ان اى لم تعلم ان الله اقتصر بعثته
على الرحمة علم انه من اصابته هذه الرحمة لم ينل مكروها اذ نيله ينافى الحصر وهذا ترغيب كما فى
حديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة فلا مسامحة فى المدعى حتى يحتاج للتاويل وهذه العبارة
تسميها العلما تنويرا لانها تشير الى ما بعدها موضحة لما قبلها ولذا عبر بالرؤية لجعله كالمحسوس
وهذا من كلام ابن طاهر فلا تكرار فيه والكلام على الاية مبسوط فى التفاسير وشهرته تغنى عن ذكره
فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم وموتى خير لكم هذا
الحديث رواه ابن مسعود رضى الله عنه بسند صحيح ورواه الحارث بن اسامة فى مسنده بسند
صحيح ايضا والحديث الذى بعده فى صحيح مسلم وفى رواية موته بدل مماته اى كل منهما نافع لامته
صلى الله عليه وسلم فلا يتوهم انقطاع نفعه صلى الله عليه وسلم عنا الان كثيرا منا اذا مات

انقطع عمله عنه وعن غيره الاما استثني والخير النفع الذي يرغب فيه وهو يكون صفة مشبهة
وافعل تفضيل مخفف من اخير كثير من اشر ولا ينطق باصله الا نادرا كقوله صلى الله عليه وسلم بالاخير
الناس وان الاخير وقرئ في الشواذ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ويكون صفة كالخير بالتشديد
ويجوز كل منهما هنا اي كل من حياته صلى الله عليه وسلم وموته نفع لمن دخل تحت الخطاب وان حياته
انفع من موته في وقتها وموته انفع في وقته من وجه لنفعه صلى الله عليه وسلم لهم بنحو شفاعته عند
عرض اعمالهم عليه يوم الاثنين وفتح باب الاجتهاد وترك الاتكال والمشي على الاحتياط وكالاثابة
بالحزن لموته وتسهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار به والرحمة الناشية من اختلاف امته
وارتفاع التشديد بتوقيره وفي الحديث زيادة في بعض التعاليق وهي اما حياتي فابين لكم السنن واشرع لكم
الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله وما رايت منها سيئا استغفرت
وايضا فان الملائكة عليهم الصلوة والسلام تعرض عليه صلى الله عليه وسلم صلوة من صلى عليه
ويبلغها في وقت واحد وان لم يحص عددها كما سياتي كالشمس في كبد السما وضوءها يغشي البلاد
مشارقا ومغاربا كما في بعض الشروح ونقل في بعضها ما لا مساس له بالمقام وفيه نقلا
عن ابن عربي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا مت لا ازال انادي في قبري امتي امتي حتى ينفخ في
الصور فطنين الاذان كما تدركه الروح المتمكنة في قلبه وراسه من ذلك النداء فلذا استحبت
الصلوة عليه اذا طنت الاذان داء لشيئ من حقه كما في العطاس كما قاله الترمذي رحمه الله
ولعظم الاجر على مصيبته صلى الله عليه وسلم ولذا سادت فاطمة امها خديجة رضي الله عنهما
وجميع اخواتها ممن مات في حياته صلى الله عليه وسلم لما في صحيحها من مصيبتها به صلى الله عليه
وسلم وقد قيل عليه انه لا شبهة في ثوابها بهذا الرزء العظيم ولكنها لم تفضل امها بذلك بل
يكونها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا قال في سنن ابي داود لا اعدل منه بضعة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا واما تفضيلها على اخواتها فالحديث فاطمة افضل نسا
العالمين الا مريم ابنة عمران ونحوه ولو كان تفضيلها بهذه المصيبة فضلت عائشة رضي الله عنها
خديجة رضي الله عنها والاكثر على خلافه ثم ورد على حصر الاجتهاد من الخير الذي حصل بموته صلى الله
عليه وسلم ان الاجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم كان في زمنه ايضا كما بين في كتب الاصول ولك
ان تقول المراد كثرة ما يتفرع عليه من المذاهب والتاليف قيل وعرض الملائكة عليهم الصلوة والسلام
الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم ممن لا يحصى في وقت واحد لم يثبت وهو مردود بانه ورد من طرق
صحيحة كما سياتي مفصلا فلا وجه لانكاره والاحسن ان رحمته لهم في حياته لانه هداهم لسبل الخير
وما دام صلى الله عليه وسلم بين ظهرهم فهم امنون من عذاب الاستيصال والمسخ والخسف ونحوه
كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ورحمته لهم في مماته لتقدمه صلى الله عليه وسلم
فرطا لهم كما سياتي وبه فسر قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم ان تفضيل
فاطمة وعايشة رضي الله عنهما بما مر لا ينافي كون خديجة رضي الله عنها افضل لانه قد يكون في المفضول
ما ليس في الفاضل كما لا يخفى واعلم انه حكى عن الاشعري والقشيري واصحابه انهم قالوا ان النبي صلى الله

عليه

ابن الحنبلي

البضعة بالفتح ان يارس
قطعة من اللحم بالكسر اخرى

سيد

ولما دفن صلى الله عليه وسلم جاءت
فاطمة رضي الله عنها فقالت كيف
طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم التراب واخذت
من تراب القبر الشريف فوضعته على
عينها وانشات تقول ماذا
على من شم تربة احمد ان لا يشم
مدى الزمان غواليا صبت
على مصائب لو انها صبت
على الايام صرن لياليا
او عدن لياليا
مراسيل الذرية

عليه وسلم ليس بنبي في قبره وان رسالته صلى الله عليه وسلم انقطعت بموته وقد شنع عليهم
بذلك جماعة وقالوا بتكفيرهم وقال السبكي انه افتراء عليهم وقد كتب بذلك الى الافاق وكيف
يقال مثله مع ما صح في الحديث من ان الانبيا عليهم الصلوة والسلام احيا في قبورهم يصلون وانما
فهم هذا عنهم الكرامة وادعوا انه لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب فانه صلى الله
عليه وسلم حتى في قبره باق على ما كان عليه حتى سئل النووي رحمه الله عمن راه صلى الله عليه
وسلم في منامه يامره بامر هل يجب عليه ام لا فاجاب بانه ان لم يخالف الشرع وكان له في خاصة
نفسه ينبغي العمل به وانما لم يجب لان النائم لا يضبط ما قيل له وربما لم يفهم او يكون اشارة لما
يحتاج للتاويل وهو كلام حسن فلا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم من راني فقد راني حقا الحديث
وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
هذا الحديث صحيح متنا وسندا رواه مسلم عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه فقال اذا اراد الله
رحمة امة من عباده قبض نبيها فجعله فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها نبيها فاهلكها
وهو ينظر فاقر عينه بهلكها حين كذبوه وعصوا امره وهكذا في النسخ بتقديم الفرط ووقع في بعضها
موخرا وكانه من الناسخ والذي في مسلم باضافة رحمة لامة مخالف لما في الشفا فقول المخرجين
انه حديث مسلم لا يخفى ما فيه فلعله رواه من طريق اخر الا ان يقال انه رواه بالمعنى واقتصر
على بعضه والامة الجماعة ثم شاع فيمن بعث اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ووجب عليهم
اتباعه فان اتبعوه فهم امة الاجابة وهم وغيرهم امة الدعوة والمراد الاول والقبض في الاصل
اخذ الشيئ واستيفاؤه يقال قبض المال والمتاع ويقال قبض الله والملك زيدا وروحه والمشهور
في الاستعمال الاول وكان العدول عنه هنا اشارة الى ان الانبيا عليهم الصلوة والسلام احيا في
قبورهم ولا تاكل الارض ابدانهم فموتهم ليس كموت غيرهم فمن كمن ارسله الملك لامر قايمة وعاد اليه
والفرط بفتحتين اصله من يرسله الناس قدامهم لمنزل رحلتهم ليتهيئ لهم لوازمها ولينظر ما به
من ماء وعشب وانه هل يحسن نزول السفر به ام لا او ليزيل ما يخافه وينظر هل به عدو ام لا من
فرط بمعنى تقدم فهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع لا جمع له كخدم وخادم لاطلاقه على الواحد وغيره
ويطلق على الطفل الذي يموت قبل ابويه او احدهما كما ورد في دعا الجنازة وهو من هذا القبيل لا معنى
اخر فهو اما لانه يحصل بسببه اجر كمنافع المنازل ولما ورد من انه يقف على الحوض ليسقي ابويه وفيه
استعارة بديعة لجعله القبر منزلا لكل احد سايرا اليه موردا وكل وارد عليه ولذا يقال حياض
الدنيا وموردها من صيرته الحياة في طرفا الموت ورد الابدان يرده وان الناس مسافرون ليست
الدنيا دار اقامة لهم وانا لفي الدنيا كركب سفينة نظن وقوفا والزمان بنا يسري ويقال افرط فلان
ابنه اذا مات قبله والسلف بوزنه معناه ما تقدم اعطاؤه في المال كالسلم ورد بمعنى القرض
وسلف المرء من مضى من ابائه واقربائه لتقدم موته ولذا سمي المصدر الاول السلف الصالح
مكان ما اصاب الامة بفقد نبيها صلى الله عليه وسلم جعل سلما او قرضا للاخر الذي يجازوا به
على الصبر والصبر يحمد في المواطن كلها الا عليه فانه مذموم ولذا قيل لما قدم من الحمل

اعتراض على السيوطي
وقفلو بعا

الصالح فرطنا والنبي صلى الله عليه وسلم اب لامته لانه سبب لحياتهم الابدية كالاب
الذي هو مبدا الحيوة ولذا كانت زوجاته صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين ففي حياته
صلى الله عليه وسلم من الرحمة ما لا يخفى كما ورفاذا ارتحل ومات انتقل لجوار ربه مع الرفيق
الاعلى وهو راض عنهم لقبول ما بلغهم ونصرتهم ومحبتهم له وشادتهم على ابلاغه ولولا
ذلك لاهلكوا فكانت رحلته صلى الله عليه وسلم رحمة لهم مع ما اصابهم من الاجر بمصيبته
وحمده واستغفاره لهم اذا عرضت عليه اعمالهم فجزاه الله قربا حيا وميتا خير الجزاء قال الشمنى
الامام الحنفي وقد تقدمت ترجمته رحمة للعالمين يعني الجن والانس هذا تفسير الاية
المذكورة بان المراد به جنس العقلاء من الثقلين بقرينة صيغة الجمع المذكر السالم وان كان
جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلاء وغيرهم فالمفرد اعم من جمعه فخص ثم الجمع بجعله
صفة او ملحقا بها لان فاعل بالفتح اسم آلة كالخاتم والقالب وقيل غلب العقلاء او جعل
اسما لذوي العالم من الثقلين والملك او الانس وقال الشريف الجرجاني يطلق على كل جنس سيد
وعلى مجموع واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس كالاقاويل فمن فسره بجميع الخلق
فعلى الاصل ومن فسره بالجن والانس فعلى بعض الوجوه او وجهه لانه صلى الله عليه وسلم
مبعوث اليهما ومن فسره بالمؤمن والكافر اراد انه يشملهما لان معناه ذلك وهذا يقتضي
ان هذا غير مخالف لقوله وقيل لجميع الخلق وسياقه مع تمريضه ياباه فالحق كما في بعض الشرح ابن الحنبلي
انه لما اختار تفسير العالمين بالثقلين ذكر تفسيرا لم يرضه ثم اخذ في بيان ما به تكون
الرحمة على ما اختاره فقال للمؤمن رحمته بالهداية اي ارساله صلى الله عليه وسلم لمن اهتدى انه
تزيد على هدايته الايمان ولمن قدر ايمانه قيل وعلى الثاني عام متناول للملائكة والجمادات قلنا
انه صلى الله عليه وسلم مرسل اليهم على احد القولين فيه وسياتي تحقيقه وان عمته رحمته ايضا
وقوله للمؤمن الخ بدل من قوله للعالمين او متعلق بمقدر وعلى الاول هو بيان لمختاره وهو الظاهر
وعلى الثاني يصلح لهما ورحمة للمنافق بالامان من القتل مطلقا بخلاف الكافر فانه لا يامن الا بالامان
او اداء الجزية والنفاق اسم اسلامي معناه اخفا الكفر واظهار الاسلام ماخوذ من نافقا اليربوع
او من النفق بمعنى السرب ورحمة للكافر بتاخير العذاب وفي نسخة المؤمنين والمنافقين والكافرين
بالجمع والمراد تاخيره لما بعد الموت واما عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلا يختص بطائفة وقيل
المراد نفي الاستئصال والمسخ والخسف واورد عليه ايضا ان الزنديق سوا ادخل فيه او في الكافر
عذابه مؤخر ايضا فالظاهر اشتراكهما فيه وتمييز المنافق باجراء احكام الاسلام عليه
ظاهرا او يقال انه اراد في كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص والاما انسب
بالمقام للعموم ثم ذكر ان من رحمة الكافر ايضا الشفاعة له من هول الموقف ورحمته
صلى الله عليه وسلم لساير المخلوقات فايضة اذ لولاه ما خلقت فتامله وقال ابن عباس
رضي الله عنهما في تفسير هذه الاية بيان من شمله العالمين هو رحمة للمؤمنين والكافرين
اذ عوفوا اي عافاهم الله تعالى بالعفو عنهم عاجلا مما اصاب غيرهم من الامم الكاذبة اي

المكذبة

المكذبة للانبياء السالفة فان الله عاقب من كفر منهم بالاستيصال والخسف والمسخ
وما نزل عليهم من السما فلا يرد من قتل في غزوات نبينا صلى الله عليه وسلم واما النفاق
فلم يشتهر في الامم السالفة حتى يعلم حكمه وقول ابن عباس رضي الله عنهما هذا مسند لنبيه
في الطبراني ودلايل البيهقي وفي تفسير ابن جرير وابن ابي حاتم وحكى انه صلى الله عليه وسلم قال ابن الحنبلي
لجبريل عليه الصلوة والسلام حكى بالبنا للمجهول كما صححه البرهان في المقتفى فهو مقطوع عن كلام
ابن عباس وما قيل من ان كونه مقطوعا غير مقطوع به بعيد ويجوز بناؤه للفاعل وهذا لم يوجد
في شيء من كتب الحديث نقله كما في تخريج السيوطي وغيره هل اصابك من هذه الرحمة شيء فيه
اشارة الى انه مرحوم مقرب وانما السوال عن رحمة زائدة لعله ناشئة من رحمة النبي صلى الله
عليه وسلم وهذا ان كان من كلام ابن عباس رضي الله عنهما ناظر لما في الاية على مختاره الاول
فكانه قال له هل دخلت في العالمين فكانه قيل هل دخل في الخلق فاصابه شيء من هذه الرحمة
وقيل لا شبهة في انه صلى الله عليه وسلم واسطة كل رحمة وخير وان رحمته اصابت جبريل
وسواله اما ليعترف ويتحدث بالنعمة او للتلذذ او من باب طرح المسالة والاختيار وهذه
كلها امور واهية وجبريل عليه الصلوة والسلام غير محتاج للاعتراف وكثرة اجتماعه به
صلى الله عليه وسلم تغني عن التلذذ وطرح المسالة ليس بشيء قال جبريل عليه الصلوة والسلام
كنت اخشى العاقبة بتقدير مضاف اي سوء العاقبة او المراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف
للعهد بقرينة الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون في المكروه والعاقبة ما يعقب الشيء ويحصل
منه خيرا كان او شرا فامنت بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبني للفاعل من الامن ضد
الخوف وسياتي فيه ضبط غير مقبول لثناء الله علي بقوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين عند الله في علمه او في حكمه وقضائه اذ ثناء العظيم يقتضي رضاه
وقبوله وهو لا يرضى ولا يقبل الا من كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك من القران الذي رحمته نازلة
بجبريل عليه الصلوة والسلام اطمان خاطره وامن سوء الخاتمة واما ما ورد من انه قال لجفت
عيني منذ خلقت النار مخافة ان اعصي فيقذفني فيها وان الله تعالى قال له لم تبكي وقد امنتك فقال
من يامن مكرك كما في الاحيا فهو لا ينافي ما ذكر لان المقرب لا يزال خايفا ممن يهابه فانه لا يامن مكر الله
الا القوم الكافرون او لانه من عظمة الله قد يذهل عن الامان وقد مدح في الاية بامور منها
القوة وهي معلومة من الاحاديث الواردة في قلع المداين والجبال واهلاك صيحة كل من سمعها
وهبوطه الارض وصعوده في طرفة عين الى غير ذلك ومكانته منزلته عند الله جلت عظمته
وشانه ولذا قال عند ذي العرش ولم يقل الله ونحوه وقربه من سرادقات عزه الى ما لم يصل اليه
غيره من المقربين وهو مطاع في السماء والارض امين على سر الغيب والوحي وموازين القيامة لكن
سياتي انهم اختلفوا في رسول كريم وان الاصح انه جبريل عليه الصلوة والسلام لقوله ولقد
راه بالافق المبين فان الرائي هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعبر عنه بصاحبكم والمرئي جبريل
في صورته الاصلية واكثر المفسرين ان المطاع الامين سيد العالمين وقد مر ان امنت بزنة علمت

بنى للفاعل وقال التلمسانى انه مبنى للمفعول بضم الهمزة ولم يزد على ذلك ولم يسنده لرواية والمشهور
خلافه وعليه فان كان بتشديد الميم فهو ظاهر وان كان بتخفيفها فهو ركيك جدا لانه ان كان من
الامانة ضد الخيانة فهو غير مناسب للمقام وان كان من الامن فكذلك لا لان أمن لازم فانه
متعد الا ترى قوله لا يامن مكر الله بل لان مفعوله الثانى يكون من المعانى دون الذوات فيحتاج
لتقدير وحذف على ان اصله امن سوء وعاقبتى ومثله لا داعى له وكريم بمعنى جامع لانواع الخير
ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم مرسله كما قيل به فى القى الى كتاب كريم وان جاز
وفسره المص فيما سياتى فى الكلام على هذه الاية فى الفصل الخامس من هذا الباب وروى عن
جعفر بن محمد الصادق تقدمت ترجمته قريبا فى قوله تعالى فى سورة الواقعة فاما ان كان
من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب
اليمين فى هذه الاية وجوه ذكر منها هنا ما روى عن جعفر الصادق لمناسبته لكونه عليه
الصلوة والسلام رحمة ونعمة تامة ولما عقد له الفصل من ثناء الله عليه وهو قوله فسلام
لك اى سلامة لك يا محمد من اصحاب اليمين اى بك فسر به بنا على ان اللام تعليلية والعلة والسبب
متقاربان وان فرق بينهما اى لاجلك ولاجل كرامتك ومعناه انه انما وقعت سلامتهم من اجل
كرامة محمد صلى الله عليه وسلم قد جعل الله فى هذه الاية من حضره الموت ثلاثة اقسام مقربين
واصحاب اليمين ومكذبين ضالين فالمقربون فسرهم ابن عطية بوجهين الاول الاصناف الاربعة
المنعم عليهم فى قوله تعالى اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين والثانى من لا حساب عليهم من المؤمنين وقد فسر به السابق ايضا فى قوله ومنهم
سابق بالخيرات واصحاب اليمين من غلبت حسناته سياته او عفى عنه ولو بعد حين والمكذبون
الضالون الكفرة والمنافقون وله تفصيل فى التفسير لا ينبغى تكثير السواد به هنا وفسر مكى
قوله فسلام لك من اصحاب اليمين بان الله سلمه من عذابه قيل وعليه المخاطب بقوله لك
المحتضر المذكور اولا واصله فسلم ايها المحتضر سلاما حاصلا لك فحذف الفعل ورفع سلام
بعد نصبه مفعولا مطلقا ليدل على الدوام والاستمرار وقوله لك صفة سلام ومن تعليلية
اى من اجل انك من اصحاب اليمين وقيل المخاطب بقوله لك النبى صلى الله عليه وسلم وسلام
مبتدا ولك خبره ومن اصحاب اليمين حال من الضمير المستكن فى الخبر اى فلك يا محمد سلامة
من جهة اصحاب اليمين ومن اصحاب اليمين خبره ولك حال واللام تعليلية اى سلامة وامن
من عذاب الله من جهة اصحاب اليمين حاكون ذلك لاجلك لشفاعتك فيهم وهذا مراد
جعفر وقدم الجار والمجرور الذى هو حال على عامله وهو متعلق من اصحاب اليمين لافادة
الحصر اى انما سلم اصحاب اليمين لاجلك ومن للابتداء اى سلامته ظهرت منهم انما هى لاجلك
فليست انما لمجرد المبالغة لان اصحاب اليمين لم يكونوا مقربين ففيهم مما يقتضى عدم السلامة
فكانه قيل انما سلموا لاجلك ولكرامتك على الله ولا قلب فى الاية وقال قتادة المعنى سلموا من عذاب
الله وسلمت عليهم الملائكة او المعنى لك يا محمد منهم سلام تحية اذ يزورونك فى الجنة وقيل

المعنى

المعنى يدعون لك بان يصلى الله ويسلم عليك او هو تحية اصحاب اليمين ففى السلامة هنا اقوال
هذا محصل ما فى بعض الشروح على طول فيه وهو رد لما فى شرح الحنبلى من انه على قوله جعفر
الصادق فى الاية قلب والمعنى فسلام منك حاصل بالمعنى المذكور لهم ففسر لك بقوله لك
لانه واقع موقع منك اى من اجلك وفى القلب تنبيه على شرف اصحاب اليمين كما فى عكس التشبيه
فى نحو قوله وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح فان افادة الاية ان ليست
سلامتهم الا من اجل كرامتك بمعونة المقام فانما للمبالغة مع الحصر والا فلمجرد المبالغة
فى المعنى لدانى عن ابن عطية ان انما لا تفارقها المبالغة فان ساعد المعنى على الحصر صح
والا بقيت للمبالغة وقيل المعنى فسلام لك منهم لانهم معك فى الجنة واللام بمعنى على وقيل
معناه يقول الملائكة لمن مات من اصحاب اليمين مبشرين له ببشارتين سلام لك انك من اصحاب
اليمين انتهى اقول الظاهر ان مراده ان السلام بمعنى السلامة من العذاب واللام تعليلية بمعنى
بمعنى الباكما مر وقوله انما الخ بيان لحاصل المعنى المراد واصحاب اليمين بمعنى الفائزين لان اليمين
يتبرك بها كما يتشام بالشمال ولك متعلق بمقدر وهو كاين ومن متعلق بمعدود اى سلامة
المعد ومن اصحاب اليمين لاجلك او لك متعلق به مقدم من تاخير لافادة الحصر اى لم يجعلهم الله
تعالى من اصحاب اليمين الا بسببان اى لاتباعهم او لشفاعتك لهم وفيه اقامة الظاهر مقام
الضمير وتوضيحه ان فى الاية معان كما مر اختار منها المص ما ذكر لافادته ما ذكر من ثناء الله
على نبيه صلى الله عليه وسلم فان ما يفصل بينها وبين جوابها بشىء من اجزاء الجواب مفردا وفى
حكمه بجملة الشرط فما بعد الفاء جملة هى جواب الشرط وسلام مبتدا لان اصله سلامتهم من
ولك خبره ومن اصحاب الخ حال من المضاف المقدر او من الضمير المستتر فى الخبر والمعنى ان كان
من اصحاب اليمين فسلامتهم لاجلك وان كانوا من اصحاب اليمين والحصر من سياق التقسيم
او من التعليل ولا قلب كما توهم فتدبر وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض الاية
اى اقرا الاية او اذكرها وهى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الخ
وفى هذه الاية اسرار ولطايف افردها بالتاليف الامام الغزالى فى كتاب سماه مشكاة
الانوار وفيه فوايد جمة وكذا الامام السهيلى قال كعب هو كعب الاحبار بن ماتع بالمثناة الفوقية
بن هينوع ويقال عمرو بن قيس بن معن بن جسم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف
بن زهير بن ايمن بن حمير بن سبا الحميرى التابعى ادرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره
واسلم فى خلافة ابى بكر وقيل فى خلافة عمر وصحبه واكثر الرواية عنه وعن غيره من الصحابة
وروى الصحابة عنه ايضا وكان ادرك الجاهلية على اليهودية وسكن اليمن ثم سكن حمص بعد
اسلامه وبها توفى فى خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين ويقال له كعب الحبر بفتح الحاء
وكسرها لكثرة علمه وياتى فيه كلام متعلق به واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وابن جبير
هو سعيد بن جبير الوالبى مولاهم ابو عبد الله او ابو محمد التابعى العابد الزاهد الثقة احد الاعلام
رواة الحديث روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه من لا يحصر وخرج له اصحاب السنن

المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها
كوكب درى يوقد من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد
زيتها يضىء ولو لم تمسسه
نار نور على نور يهدى الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الامثال
للناس والله بكل شىء
عليم

وغيرهم وقتله الحجاج ظلما في سنة خمس وتسعين ولم يسلط على احد بعده بدعوته رضي الله
عنه عليه بذلك وقصته معه مشهورة المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم النور
من نار ينور اذا نفر ومنه نوار للظبية وبه سميت المراة فوضع له لانتشاره او لان الله
الظلام فكان ينفر منه ثم اطلق على الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى القرآن كما في هذه
الاية وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم لك الحمد نور السموات والارض
ومن فيهن والنور كما بينه في عنايته القاضي عند الحكما كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
سائر المبصرات كما يفيض من النيرات على الاجرام الكثيفة وزعم بعضهم انه اجرام صغار
تنفصل من المضيء وتتصل بالمستضيء كما فصلوه في كتبهم ويقرب منه الضوء الا ان الزمخشري
قال الاضاءة فرط الاشارة فقيل انه جعل الضوء ابلغ من النور لقوله تعالى جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وانكره في الفلك الدائر وقال ليس له في اللغة شاهد ولا في الاستعمال مساعد
وقد سوى بينهما ابن السكيت ولا دليل في الاية واجيب بان كلام ابن السكيت بحسب اصل
الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في الاساس والتحقيق ما في الكشف من ان الضوء فرع
النور وهو الشعاع المنتشر ولذا اطلق النور على الذات دون الضوء ولكون الابصار تمد
حلته الضوء كان فيه مبالغة من جهة اخرى وتنويره ما حققه في الروض الانف في قوله ورقة
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية ان عوجا بان في البيت ما يوضح الفرق بينهما وان الضيا
الشعاع المنتشر عن النور فالنور اصله ومبدؤه وكما قال تعالى فلما اضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم وجعل الشمس ضياء لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر عنها لا سيما في طرفي الشهر ولذا سمى الله
القمر نورا دون ضياء فعلم ان بينهما فرقا لغة واستعمالا وان في كل منهما ابلغية من جهة وان اطلاق
النور على الله وجهه ظاهر فسقط ما قيل ينبغي ان يكون النور على الاطلاق اقوى لقوله الله نور
السموات والارض لكنه انما يتجه اذا لم يكن بمعنى النور والظاهر ان اطلاق النور على الله مجازا
بمعنى المنور او استعارة الا ان الغزالي رحمه الله قال في المشكاة انه حقيقة لان النور
معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور ميل لما قال الاشراقيون قال
العلامة في شرح حكمة الاشراق الله نور السموات والارض لا بمعنى منورهما على ما يقوله
بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم النور عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وان سائر الانوار
شرر من نوره انتهى وقد عرفت ان النبي صلى الله عليه وسلم سمي نورا ايضا فتفسير النور
الثاني به كما قالوه ظاهر الا ان قوله يأتي ما فيه وقوله تعالى مثل نوره اي مثل نور محمد صلى الله
عليه وسلم والممثل المماثل والمشابه والصفة العجيبة وللامام الغزالي كلام لطيفة
في النور نورده وان طال لان كلام الحبيب لا يمل وهو النور يشير الى الظهور وهو امر اضافي فقد
يظهر الشيء لانسان ويبطن عن غيره واضافة الظهور الى الحواس المدارك اقوى واجلاها
حاسة البصر والاشيا بالنسبة اليها ثلاثة اقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة
ومنها ما يبصر ولا يبصر به غيره كالشمس والسراج والنور اسم لهذا القسم الثالث وهو عبارة

عما يبصر

58

عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وقد يطلق على ما يفيض منه على خواطر الاجسام الكثيفة
فيقال وقع نور الشمس على الارض ولما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك كان الادراك
موقوفا على وجود النور فهو الظاهر المظهر واسم النور بالنور الباصر احق منه بالنور فلذا
اطلقوا على نور العين المبصرة وقالوا للاعمى فقد نور البصر فسموا الروح الباصرة نورا الا
انه موسوم بانواع النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا ما بعد ولا ما هو وراء
حجاب ويبصر الظاهر دون الباطن ولا يبصر ما لا يتناهى ويغلط كثيرا فيرى الكبير
صغيرا وعكسه والبعيد قريبا وعكسه والساكن متحركا ساكنا ثم ان قلنا ان في قلب الانسان
روحا ونفسا انسانية وعقلا وهي اولى باسم النور لسلامتها من تلك النقايص الا ان المبصرات
ليست عندها متساوية لتفاوتها بالبداهة ونحوها وعند اشراق انوار الحكمة يصير العقل
مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة واعظم الحكمة كلام الله فمنزلة ايات القرآن عند عين
العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار فلذا سمي القرآن نورا فقال والنور
الذي انزلنا فالعين عينان عين ظاهرة هي من عالم الشهادة وباطنة من عالم الغيب دقيقة اذا
كان ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور من الذي يؤثر في غيره اصلا بل بالحري وان يسمى سراجا
منيرا لفيضان انواره الى غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسي النبوي اذ يفيض بواسطة
انوار المعارف على الخلائق وبهذا ظهر معنى تسمية محمد صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا وكذا
الانبياء والعلماء وان تفاوتوا والذي يقتبس منه السراج جديرا بان يكنى عنه بالنار وهي التي
تونس من جانب الطور وهذه السرج الارضية انما تقتبس من انوار علوية والروح القدسي النبوي
يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار ويقابل النور
الظلمة ولا ظلمة اشد من كتم العلم انتهى وقد اعترض على عبارة المص رحمه الله بانها غير محررة
واخرها مناف لاولها لان اولها يقتضي ان النور اطلق على النبي صلى الله عليه وسلم هنا فانه
يطلق عليه كما مر فاذا كان المراد بالنور في قوله مثل نوره محمد صلى الله عليه وسلم وفاللائق
التفريع وان يكون الضمير راجعا لله سبحانه والمعنى مثل نبيه فقوله مثل نوره اي نور محمد
صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه والمنافي ان يقول نور الله اي محمد واجيب بانه غير وارد لانه
ليس كلاما واحدا صادرا من كعب وابن جبير بل كلامان اولهما لابن جبير وثانيهما لكعب على اللف
والنشر المشوش وذلك مغن عما قيل من ان اضافة النور لمحمد صلى الله عليه وسلم بيانية فالنور
منحصر في ذاته وعلى غيره الاضافة للتشريف والتعظيم ورد بانه ليس في كلامه قرينة تدل
على ما قاله ولم يقله غيره والمنقول عن كعب وابن جبير ان الضمير المجرور لمحمد صلى الله عليه وسلم
كما نقله المص عنهما وهو المنقول في تفسير القرطبي والوقف الحسن على الله نور السموات والارض
فقول المص رحمه الله المراد بالنور الثاني محمد يعني به ان المقصود من النور الثاني محمد فليس
محمولا عليه حمل هو هو غايته انه تجوز في العبارة وهذا اقرب واسلم من التكلف الا انه
لا ينبغي منع كون الاضافة بيانية ايضا اقول هذا محصل ما قالوه من الاعتراض والجواب وانت

ابن الحنبلي

اذا تاملته رايته متعسفا ومثله لا يخفى على هولاء والذى ظهر لى ان المراد ان النور الثانى محمد صلى الله
عليه وسلم بطريق المجاز والاول هو الله اضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثانى مضاف لله للتشريف
والتعظيم والثالث اضافته كلجين الما التى به بيانا للتشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة فالمعنى
الله نور عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلى الله عليه وسلم با وفر اسم منه فسماه باسمه والبسه
حلته ثم البسه الرافة والرحمة ثم فسره بنور محمد اى هو محمد النور المبين وبهذا ترتبط الايات
بما قبلها ويأخذ كلام المص بعضه بحجز بعض وينشط من الاشكال كما ينشط المحل من العقال
وفى نسخة محو باسقاط مثل ولا غبار عليها وقال سهل بن عبد الله ابن يونس بن عيسى بن عبد الله
بن رفيع التسترى كما ياتى الصالح المشهور الذى لم يسمح الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات
مشهورة صحب ذا النون المصرى بمكة وتوفى سنة ثلاث وثمانين فى المحرم وقيل سنة ثلاث
وسبعين ومائتين بالبصرة ومولده سنة مائتين وقيل احدى ومائتين بتستر وهى بلدة من كور الا
هواز ويقال ششتر بمعجمتين وبها قبر البراء بن مالك وقال النووى رحمه الله هى بتائين من فوق
الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة ساكنة مدينة بخوزستان المعنى ان الله
هادى اهل السموات والارض هذا التفسير هو الماثور عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال الامام
الرازى فى شرح الاسماء الحسنى هذا احسن الا ان تفسيره بما ذكر فى الاسما الحسنى التسعين
لا يجوز لانه يصير تكرارا محضا واجيب بانه يجوز ان يكون الهادى اعم كما قالوا فى الرؤف الرحيم
او يعتبر فيه هدايته بالعمد الى حد لا يتناهى فيحصل به المغايرة فى الجملة كالرحمن الرحيم وقوله
لا يجوز لا وجه له فان له نظاير فى هذه الاسما وفى شروح الكشاف معنى نور السموات والارض
هادى العالمين بين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحى منزل ونبى مرسل
والتاويل الذى عليه التعويل ما يساعده النظم سياقا وسباقا وما قبله من قوله سورة انزلنا
ها الى هنا اشارة فى ضمن ما بين من الاحكام الى نزاهة ام المؤمنين وطهارة ساحة افضل
المرسلين هذا نابها الى معالم الحكم فذكر بعدها انه الهادى ثم قال يهدى الله لنوره من يشا ابن الحنبلى
فاخذ الكلام بعضه بحجز بعض فما قيل من ان تشبيهه بالنور فى الهداية وبنا كلام ابن عباس
رضى الله عنهما عليه مستبشع عندى كلام لا وجه له فاى استبشاع فى مثله وفى ذكر اهل
اشارة الى ان الاضافة فى الاية للسموات والارض مجازية تجوز فى نسبتها الاضافية كما فى قوله
تعالى مالك يوم الدين او هو بتقدير مضاف والاول اولى وفى بعض الشروح الرواية عن المص
قراة عليه نصبا اهل والمعروف الكسر ثم قال اى سهل رضى الله عنه مثل نور محمد صلى الله عليه
وسلم اذ كان مستودعا فى الاصلاب وفى نسخة فى اصلاب بابائه وهذا من تتمة تفسيره المذكور
اى حين
وقيل انه على تفسير اخر منقول عن سهل ايضا كما نقله عنه البغوى فى تفسيره والظاهر الاول
لان قوله ثم الخ نص فيه والضمير المستتر فى كان راجع لنور محمد او لمحمد صلى الله عليه وسلم
نفسه ورجحه بعضهم بان محمدا صلى الله عليه وسلم كان فى صلب ابائه لا نوره وفيه
نظر اى مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم وصفته العجيبة وقت كونه فى الخ والاصلاب جمع
صلب

صلب بضم فسكون وقد تضم اللام اتباعا وفيه لغات تقدمت واصل معناه الشديد ومنه
الظهر وعظم فيه ممتد ما بين الكاهلين الى عجب الذنب وهى فقار الظهر الممتدة فيه كالسلسلة
قيل كان نوره صلى الله عليه وسلم فى جبهة ابائه من ادم الى ابيه عبد الله وهو نور حسى
كالقمر فى الليلة الظلما والمستودع فى الاصلاب مادة جسمه اللطيفة والنور تابع لتلك
المادة وكان يظهر فى امهاته ايضا كما ورد فى صحيح الاخبار واستيداعه فى الاصلاب وجو
فيها كما قيل كانت بجبهة ادم لا تخفى عمن له يمنان وبصلب ادم كان وقت هبوطه
وبصلب نوح وهو فى الطوفان قلت انكر اولا ان يكون النور فى الاصلاب ثم اعترف به
وكونه تابعا للمادة يقتضيه اقتضا ظاهرا والمستودع بالفتح سياتى بيانه كمشكاة صفتها
كنا فى نسخة وصفها كذا وكذا حكاية عن قوله فيها مصباح الخ فانها استعملت كذلك اى
صفة نور محمد صلى الله عليه وسلم كصفة نور مشكاة والمشكاة كوة غير نافذة والكوة
بفتح الكاف وضمها اسم ما لا ينفذ ولا يخرج وقيل انها معربة من الحبشية وقيل هى القنديل وقيل
هى موضع الفتيلة منه وقيل معلاقة والمصباح القنديل وقيل الفتيلة ماخوذ من المصباح
او المصباحة والسراج الفتيلة الموقودة والناس تطلقه على محلها وهو مجاز مشهور هذا معناه
لغة واما المراد هنا فاشار اليه المص رحمه الله واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره
الزجاجة بالضم وهى مثلثة لكن هنا اعرفها وافصحها وعلى ما ذكره المصنف رحمه الله
تكون المشكاة جسده الشريف وكون القلب فى الصدر اى فى جانبه الايسر مما لا شبهة
فيه وهذا من تتمة كلام سهل وقيل انه ليس منه وللسلف تفاسير اخر هنا منها ان المشكاة
ابدان ابائه والزجاجة اصلابهم والمصباح نوره صلى الله عليه وسلم المستودع فيهم
كما سياتى فى شعر العباس رضى الله عنه وانما جعل المصباح فى المشكاة لانه يكون فيها اقوى
ضوا وقيل المشكاة ابراهيم عليه الصلوة والسلام والزجاجة اسماعيل عليه الصلوة
والسلام والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم اى كانه اى صدره الشريف كوكب درى
الزاهر لابن الانبارى الدرى الكوكب المضى وفيه خمس لغات ضم الدال وكسرها وفتحها مع
الهمز وبدونها مشددا ليا قيل انه منسوب الى الدر لحسنه وصفائه فوزنه فعلى وهو بالضم
والهمز فعيل من درا الكوكب جرى او دفع او طلع بغتة وهو شاذ لان فعيل من ابنية العرب ومريق
اسم العصفر اعجمى وعد سيبويه رحمه الله من ابنيتهم وقال ابو عبيدة اصله دروء كسبوح فجعلت
الضمة كسرة والواو يا كما قالوا فى عتو عتى ومن قال درى بكسر الدال كسره من اجل اليا التى عبرضي
بعد الراء لمجانسته لها ومن قال انه منسوب للدر بناه على عدم فعيل فالهمز من تغييرات النسب
وعلى الكسر هو فعيل كسريب وسكيت صفة مشبهة وهو افصحها والضم نادر والقول بانه لحن
غير صحيح بعد وروده فى القران واما درى بفتح الدال والهمز فشاذ لا نظير له الا سكينة
بفتح السين فى لغية حكاها ابو زيد فدرى بمعنى متلالى مشرق غاية الاشراق ولم يجعلوا
الضمير للقلب لاستتاره قيل ولم يشبهه بالشمس والقمر لما يعرض لهما من الخسوف والكسوف

ورد بان المصباح يعرض له الانطفا بالكلية وهو قابل له في كل اوقاته فالصواب ان يقال ان هنا اوفق بالتشبيه باعتبار ان المتبرين لا يجيهما مكان ضيق يشرانفيه وايضا اشرا قهما عام للبر والفاجر بخلاف المصباح ولو تركوا هذا كله لكان احسن وقوله لما فيه من الايمان والحكمة ضمير فيه للصدر وجعل ذلك فيه بواسطة القلب ولو ارجع للقلب لم يبعد والحكمة العلم النافع ولا وجه لتخصيصها بعلوم القران وقيل المراد بها هنا النبوة كما في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة توقد من شجرة مباركة في توقد قرات بالفوقية والتحتية والضم والفتح على الماضوية والمضارعية ولا تعين لشيء منها هنا وذهب بعضهم الى انه بالفوقية المفتوحة ماض لتكسر وايثاره على قراءة توقد بضم المثناة الفوقية وفتح القاف المخففة لان الضمير فيها اما للمشكاة او للزجاجة والضمير في الاول انما هو للمصباح مرادا به القنديل الذي في الزجاجة ونسبته التوقد اليه اولى من نسبته الايقاد اليهما وان قيل اوقدت مع ما في التوقد من النسبة المكملة للاصل المشبه به السارية الى فرعه ومن للابتداء اي ذلك المصباح يوقد من زيت هذه الشجرة ومباركة بمعنى متيمن بها لكثرة منافعها وثباتها وللزيتون بركة عظيمة مشاهدة حتى ذكر في كتاب الفلاحة ان الحكما يصنعون يشامن اغصانها في بيوتهم في راس كل سنة تبركا بها اي من نور ابراهيم اي المراد بتوقد المصباح من هذه الشجرة وصول نور النبوة من ابيه ابراهيم اليه عليهما الصلاة والسلام لان النسب يشبه بالشجرة وابراهيم عليه الصلوة والسلام ابو الانبيا وجد نبينا صلى الله عليه وسلم ودعوته وضرب المثل بالشجرة المباركة المثل كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذلك من ضرب اللبن والخاتم اذا صنعه على قالب مخصوص فضربه بمعنى بيانه ويكون المثل تشبيها واستعارة تمثيلية في الاكثر والمراد هنا الثاني لانه شبه ظهور نبوة محمد عليه الصلوة والسلام المتصلة بابيه ابراهيم عليه الصلوة والسلام وتشبيه المتصل به بمصباح اضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على بعض اجزاء التمثيل لظهور ما فيه وفائدة التمثيل كما في الكشاف ابراز المعقول في هيئة المحسوس لتتضح وترسخ في الاذهان ولذا اكثر في الاحاديث والكتب الالهية وفي بعض الشروح كما ضرب صدر محمد عليه الصلوة والسلام بالزجاجة وقلبه بالمصباح وما فيه من الايمان والعلم والحكمة بالنور وضوء المصباح الذي تحقق توقده من نادر زيت هذه الشجرة ووصفها بلا شرقية ولا غربية اشارة الى ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بتاويل حنيفا مسلما كما فسره به ابن عمر رضي الله عنهما لان النصارى تصلي للمشرق واليهود للمغرب وعلى ما اختاره المصنف بعد قول سهل لابد من اعتبار ان التقدير في الاية كمثل نور مشكاة كما قدرنا على قول سهل فسقط ما قيل من ان التقدير كمصباح في مشكاة اي كمثل ضوء في مشكاة بنا على ان في جانب المشبه قلبا كقوله وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع وفي شرح البخاري ان هذا الذي حكاه المصنف من ان المصباح كناية عن قلب محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة عن صدره والشجرة عن ابراهيم عليه الصلوة والسلام تاويل بعيد

ابن الحنبلي

عن ظاهر

عن ظاهر القران والصحيح ما عليه جمهور المفسرين من انه تعالى ضرب هذا مثلا لنوره وتمثالا لقصور افهام الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما اشبه هذا التاويل بتاويل المفضل قول الفرزدق اخذنا باطراف السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع لما ساله الرشيد عنه فقال اراد بالقمرين ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم والنجوم الطوالع انت واباوك فقال له احسنت انتهى وفيه نظر وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي يكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه اي تكلمه ودعواه النبوة وتحديه كهذا الزيت تبين مضارع بان بمعنى اتضح والكلام يكون مصدرا بمعنى التكليم كقوله فان كلامها شفا لما بيا او المراد به ما يتكلم به فيقدر مضاف اي قبل ايراد كلامه الذي يتكلم به وقيل ان يوحى اليه فعلى هذا شبه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بزيت اخذ من شجرة للاضاءة فان النور المحمدي الماخوذ من النور الخليلي سبب لاضاءة سراج قلبه الذي اضاء به الكون وشبه الكلام بالنار لاظهاره النبوة والدين واورد عليه ان نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في الاصلاب قبل خلق جسمه الشريف وما فيه من قلب وصدر فكيف يصح تشبيه القلب والصدر بما مر الا ان يقال اصل المادة موجود مع كل واحد من اجزائها الاصول موجودة في الاصلاب كما سياتي من تعلق الروح به فيتم التشبيه والاوجه ما روي عن كعب من انه مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال المشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح نبوته توقد من شجرتها ومحاسنه تظهر قبل الكلام وان يوحى اليه واذا فسر النور بمحمد صلى الله عليه وسلم والمشكاة بالصدر فالمراد كمثل ذي مشكاة او ان التشبيه باعتبار الاجزاء فلا تقدير انتهى وقيل اضاءة الزيت قبل ان تمسه النار اشارة الى ان نبوة ابراهيم التي هي بمنزلة زيت تلك الشجرة وهكذا اعانه يكاد يبين للناس قبل كلامه ولما كان قلب محمد عليه الصلوة والسلام بمثابة المصباح الذي يوقد ما فيه من زيت تلك الشجرة التي تكاد تضيء ولو لم تمسسه نار وكان ما فيه من نور الايمان والنبوة بمثابة نور ذلك الزيت كانا بحيث يبينان للناس قبل كلامه فاشار الى ذلك مكتفيا بذكر احدهما احالة للاخر على المقايسة بقوله لهذا الزيت والاشارة للذي في الاية الموصوف بالاضاءة قبل اقتباس النار فالايضاح كالاضاءة كما ان الحفاظ كالاظلام والتكلم كامساس النار في ترتب ظهور شيء ما عليه وقد قيل في الاية غير هذا من الوجوه المنقولة في التفاسير واقتصر المصنف رحمه الله على ما ذكر لما فيه من الثنا على النبي صلى الله عليه وسلم وقد سماه الله نورا وسراجا منيرا لما ذكر ان بعضهم فسر النور في مثل نوره بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو مما استبعده كثير من العلما اردفه بما يغني عنه او يدفع الاستبعاد عنه فقال ان الله اطلق عليه النور في غير هذه الاية حيث سماه نورا على ما تقدم في كلام الغزالي وغيره من انه المرشد الهادي للناس بما يفيض عليه من الانوار القدسية والمنير الزايد النور والمظهر لغيره ما خفي عليه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين الخطاب لاهل مكة في قوله يا اهل الكتاب قد جاءكم

سيد

ابن الحنبلي

الخ وقد فسر النور بالاسلام والكتاب شامل للتورية والانجيل وكانوا يخفون ما فيهما
من صفات النبي صلى الله عليه وسلم وغيره فلذا فسر النور به وبالقران هنا سماه نورا
لكشفه ظلمات الجهل والضلال ولذا وحد الضمير لاتحاد الطريق في هدايتهما فان خلقه
صلى الله عليه وسلم القران كما سيجيء وقال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه الاذن على ظاهره لان امره اذن له او المراد به الارادة فانه كثيرا
ما يتجوز به عنها وعن الامر كما في مجاز القران لابن عبد السلام رحمه الله وفسر بتوفيقه ايضا
وتيسيره وسراجا منيرا واطلاق النور مر بيانه واطلاقه على النبي صلى الله عليه وسلم
والاسلام والقران فان كلا منها يتقوى البصيرة على ادراك المعقولات كما يتقوى النور على
ادراك المحسوسات وسماه شاهدا لانه صلى الله عليه وسلم يشهد على امته بالقبول
والانكار وعلى الرسل بالتبليغ وعلى اممهم وهو المبشر لهم بالجنة ونعيمها والنذير بضده لمن
كفر وهو الداعي الى توحيد الله وطاعته وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالسراج في غاية
الوضوح والبلاغة لانه يستضئ من الوحي ويضئ للناس بما اتاهم به ففيه من البلاغة
ما ليس في قول شمسا وقمرا ووصف السراج بانه منير للتوكيد وقيل لان من السراج ما لا يضئ
اذا رق فتيله وقل زيته وقد قيل ثلاثة تضني بطئ وسراج لا يضئ ومائدة ينتظر اليها من يجئ
ومن هذا القبيل الذي عقد هذا الفصل لذكره من ثنا الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة الهمزة لانكار النفي ونفي النفي اثبات فناسب عطف المثبت
عليه وقوله الخ الى اخر السورة يقتضي انها كلها ثنا من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فان الكلام
فيه والثنا بحسب الظاهر انما هو في اوايلها الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت هنا بحسب بادي
النظر كما قيل وعند التحقيق هي كذلك باسرها فانها تدل على نعم انعم الله بها على رسوله صلى الله
عليه وسلم وهي متضمنة للثنا عليه بما اعطاه الله تعالى من الكمال الذي لم ينله سواه ولا يدانيه
فيه احد وهو من ابلغ الثنا ففي قوله ان مع العسر يسرا اشارة الى انه ثبت جاشه لما اقتحمه
من الشدايد كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر في مكابدة قومه وايذائهم له وهو مداوم
على الدعوة والتبليغ ثم انه بشره بانه كرر يسره وزاده على عسره فانه لا يغلب عسر يسرين
على قاعدة اعادة النكرة والمعرفة المشهورة وفي قوله فاذا فرغت فانصب اي اذا فرغت
من التبليغ فاتعب في العبادة اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم ادى الامانة ونصح الامة
وتمت له النعمة المستحقة لابلغ الشكر وهو العبادة فالسورة كلها متضمنة لتعديد النعم
عليه صلى الله عليه وسلم مع مدحه والثنا عليه وامره بالشكر عليها اولاه والابتهال
اليه لا الى غيره في كل ما ينوبه وبهذا تبين ان السورة كلها من هذا القبيل شرح اي وسع سيد
الشرح قال الراغب اصل معناه بسط اللحم ونحوه ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور
الهي وقال غيره التوسعة مطلقا فلا تختص بالظرف كما قيل انه من صفات الظروف باعتبار
مكان ظرفها للامور فوصف القلب به باعتبار اتصافه بامور فان قيل شرح به اوله فهو متضمنة

واذا

61

واذا اطلق كما في الاية فالمراد تخليته لليقين وتحمل المشاق من غير قلق ونحوه من الكمال ويراد به الفرح
وعدم الانقباض ومنه شرحت الحديث اذا بينته وفسرته وشرحت اللحم قطعته طولا وقد فسر
ما هنا بالاخير بناء على انه بيان لشق قلبه في صباه كما ذكره القاضي ومما يدل على ان اصل معناه
الاتساع المقابل للضيق قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد
ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وتفسير المصنف له بالماضي المثبت لان الاستفهام الانكاري
نفي معنى ونفي النفي اثبات كما مر ولم يقلب المضارع ماضيا والمختار في النظم على شرح وهو اوضح
واوجز لانه ابلغ لانه ذكر الشيء بلازمه وهو اثبات بينته لانه كناية عن الاثبات اللازم له
اي ان الله وسع قلبه صلى الله عليه وسلم لمناجاة الحق ودعوة الخلق او بما اودع فيه من العلم
والحكمة او بما يسره من تلقي الوحي بعد ما شق عليه كما ذكره المفسرون والمراد بالصدر هنا القلب
فهو تسمية الحال باسم المحل والظرف باسم المظروف والقلب معروف وتفسره بلطيفة يمتاز
بها الانسان عن عداه ليس بشيء كما مر وقال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه بالاسلام وروي
بالايمان اي التصديق الكامل المقرون بالعمل والكلام عليه وعلى الاسلام ليس هذا محله
اي بحلول فيه وقبول واذعان لحقيقته واتباع مقتضاه وهذا اخرجه عن ابن عباس رضي الله
عنهما ابن مردويه وابن المنذر من طريق عطا وابن ابي حاتم عن عكرمة وقال سهل قد تقدمت ترجمته
وقوله بنور الرسالة رواه الطيبي والرسالة هي ارسال الله اياه للتبليغ وحيه والمعنى انه
شرحه برسالة شبيهة بالنور لاظهارها للشريعة وساير العلوم فهو كلجين الما والمراد اثارها
المضاهية له فجعله معدنا للحقايق والبا للتعدية او للسببية وقال الحسن هو الحسن بن ابي
الحسن البصري التابعي واسمه يسار بالتحتية والمهملة وهو من اهل التابعين وهو في الزهد
والعلم واظهار الحق بمرتبة عالية غنية عن البيان مكث ثلاثين سنة لم يضحك ولم يخرج
من محل الطاعة ولقي كثيرا من الصحابة وروى عنه احاديث كثيرة وحيث اطلق المحدثون الحسن
فهو المراد وجلالته لم يختلف فيها ولم يخرج وانما اختلفوا في كونه لقي عليا رضي الله عنه وروى
عنه فذهب كثير منهم الى انه لم يثبت رؤيته له ولا انه البسه خرقة المشايخ الصوفية
قدس الله ارواحهم ونفعنا بسرهم على الطريقة المعروفة بينهم وذهب كثير من المحدثين
الى انها بدعة لم تصح ولكن الجلال السيوطي رحمه الله صنف فيها جزءا لطيفا وقال انها ثابتة
واثبت ايضا ان الحسن رحمه الله اجتمع بعلي كرم الله وجهه وكذا ذكره الحافظ ابن حجر فلا عبرة
بانكار مثله وسن الحسن متحمل له والمثبت مقدم على النافي فانه مولى للانصار وولد لسنتين
سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت امه تخدم ام سلمة زوجة النبي صلى الله
عليه وسلم ورضي عنها فكان اذا بكى عندها في صغره وضعت ثديها في فمه فاصابه بركتها
حتى صار يضرب به الامثال في العلم والزهد والفصاحة وله قصة مع الحجاج مشهورة
ملاه حكمة وعلما وروي كما في بعض النسخ حكما بضم الحا المهملة وسكون الكاف وبكسرها سيد
وفتح الكاف جمع حكمة وهي العلم بالحقايق النافعة والشرعية والحكم بالضم ايضا يكون

بمعناها كما ورد في الحديث ان من الشعر لحكما وحكمة وقيل انه يويد رواية الحكمة هنا ما
في حديث الشق الصدر من انه حشي ايمانا وحكمة والحكمة بالضم الفقه او لقصنا بالعدل
او لتصديق او الكمال والعطف للتاكيد والتتميم وملوء مجاز عن عدم سعة شيء غيره او عن
كثرته وقيل انه جعل صورة جسم ثم ملى به فهو حقيقة وبعض اهل البصيرة يرى الايمان
والعلم مجسما سمعا ومصباحا ومشعلا وانا ارى ذلك من تمثيلها كما سيجيء انتهى وقيل
معناه الم نطهر قلبك اي ننظفه من حظ الشيطان ودنس الاوهام وهو اشارة الى ورد
في شق صدره الشريف واخراج علقه سودا منه وقوله هذا حظ الشيطان منك وبيانه في
مفصلا مشروحا وفي بعض لنسخ لك قلبك كما في الاية وزيادة لك مع عدم الحاجة لها
قيل للاشارة الى ان الله غني عن العالمين فلام للتعليل اي فعلك ذلك لاجلك لا لاجلنا
لعدم احتياجنا لشيء من المخلوقات وفي تفسير القاضي انه للابهام قبل الايضاح
فيفيد مبالغة وهذه النكتة جارية في الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك يعني انه لما ذكر الفعل علم ان ثمة مشروح ومرفوع
ولما قيل لك اشد ابهامه وتوهم انه اعرض عن ذكره فلما ذكر بعده صار اوقع في النفس واكد
لانه في قوة ذكره مرتين مجملا ومعينا لان لك بمعنى يشالك ثم لما قال صدرك عينه قيل
والفصل للتقدم حتى لا يوذيك الوسواس قال ابن مالك فعلل اخر بالصحيح كدحرج وثنائي
مكرر نحو كبكب وهما مصدران مطردان فعللت وفعلال بالكسر كزلزال وهو اقيس فيه
وانما الفتح فورد فيه شاذ الكنه كثير في المكرر كتمتام وفافا وهو للمبالغة كفعال في الثاني
والحق انه صفة وجعله مصدرا اريد به المفاعل او تبقدير رد وما لا داعي له كما جنح اليه
الزمخشري ومن تبعه انيق فعلما اختاره هو الوسواس بالفتح بمعنى الموسوس صفة حقيقة
من غير تاويله فهو بمعنى الشيطان وعلى ما اختاره الزمخشري يفسر بالوسوسة لانه مصدر
عنده ويجوز تفسيره بالشيطان على انه مجاز وتطهير قلبه مما ذكر من حظ الشيطان
والوسوسة اما بان خلقه سالم الصدر او هو اشارة الى ما ورد في الحديث الصحيح من شق
صدره وقلبه واخراج علقه سودا منه وقول الملك هذا حظ الشيطان منك وغسله
لما اراد الله تقديسه وتنويره بنوره منه حال طفوليته ليستعد لقبول الوحي ومشاهدة
الملكوت ونحوه مما لا تطيقه القوى البشرية وهذا مما يوذن بانه على حقيقته وظاهره ولا يحتاج
لتاويله وقد فسر شرح الصدر بهذا وقيل بقوة المجاهدة وقيل بعدم التوجه لغير الله وقال
بعض الشراح الاولى شرح الشرح بجمع الكمالات القلبية الشاملة لجميع ما ذكر جمعا
بين الاقوال فان التخصيص بلا مخصص غير متجه وبهذا يندفع الاشكال في هذه التفاسير
وامثالها من انه ان ثبت كل منها بنقل فما وجه الجمع بين النقول والا فما وجه العدول عن التعميم
مع ظهوره فنقول مقصود السلف ان ما ذكر مراد من غير حصر والوسوسة حديث النفس
والهواجس والخواطر القلبية واصل معناها الهمس والاصوات الخفية ولذا قيل لصوت

الحلي

سيد

الحلي وسواس وقد اشتهر ذلك في كلام العرب وما احسن قول علي الباخرزي في المعنى وخريدة
تكسو الجمال لباسا قاسي الفواد لجنها ما قاسى جنت خلاخلها بنغمة ساقها ولذاك سمي
حرسها وسواسا وما احسن قول ابي الفتح الطيبي يقال لشعرك وسواس هديت به
وقد يقال لصوت الحلي وسواس وفي الحديث ان الله يقال زعن امتي ما وسوست به
صدورها ما لم تعمل به او تتكلم والكلام في انه جميعه معفو عنه وفي تفصيل كما بين في محله
لا حاجة للتطويل به هنا كما في بعض الشروح واما شق الصدر وما فيه فسياتي فلا حاجة
لتلقي الركبان به ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك الوزر الحمل الثقيل ووضعه
ازالته عنه لانه اذا تعدى بعلى كان بمعنى التحميل واذا تعدى بعن كان بمعنى الازالة وقال
ابن عبد السلام في مجاز القران شبه اسقاط ومولخذته بما سبق النبوة باسقاط مشاق
الاحمال الثقيلة والوزر يكون بمعنى الذنب ايضا والانقاض حصول النقيض وهو صوت
فقرات الظهر وقيل صوت الحمل او الرجل والمركوب اذا ثقل ما عليه ولا يدل هنا على عظم
وزره بل المراد استعظامه له لشدة خوفه واجلاله لله انتهى فالانقاض لثقيل في الحمل
حتى يسمع له نقيض اي صوت كما قاله الازهري وقال ابن عرفة هو اثقال يجعل ما حمل عليه
نقضا اي مهزولا ضعيفا قيل وهذا تمثيل فان الظهر اذا ثقل حمله فله نقيض والفعل بالمعنى
المجازي على ظاهره او على ارادة القرب اي كاد ينقض او على التشبيه البليغ او على تقدير لو كان
وفيه بعد ولا يخفى ما فيه من التكلف فاختر لنفسك ما يحلو وسياتي للمص كلام في هذه
الاية قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة ورضه لما سياتي من عصمته صلى الله عليه
وسلم من الصغاير والكباير قبلها وبعدها وهذا بناء على جواز صدور تقصيرات تعرف
عقلا او شرع سابق انه خلاف الاليق ومن امور حرمت عليه في دينه فعدها اوزارا وان لم
تكن كذلك فاندفع ما قيل من انه غير مناسب لكلامه الاتي فتدبر وقيل اراد ثقل هو ضد
الخفيفة بكسر المثلثة وفتح القاف ويجوز تسكينها تخفيفا ولا يقال معان اخر مذكورة في كتب
اللغة اي اراد بالوزر ايام الجاهلية هي زمن الفترة بعد عيسى صلى الله عليه وسلم الى
بعثته صلى الله عليه وسلم وتقلها عدم رضاه بما هم عليه منها من الشرك وعبادة
الاوصنام والحروب والمقاتلة للحظوظ النفسانية وغير ذلك مما استقبحه صلى الله عليه
وسلم لسلامة فطرته وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
اي الوزر مستعار من الحمل الثقيل لما قاساه من المشقة في ابتداء تلقيه الوحي من هيبة الملك
وحفظ ما يلقى اليه وتكذيب قومه وغيرهم لما عرض نفسه على القبايل وشدة اذيتهم له صلى الله
عليه وسلم ولاصحابه رضي الله عنهم ووضع ذلك عنه بما منه من قوة الصبر وتسهيل الله
ذلك عليه بعد ما كان يخاف ان لا يبلغ الامانة ولا يقوى على مقاومتهم وهو بين اظهرهم لان
هذه السورة مكية ووضع الوزر في القولين السابقين مجاز عن عدم خلق الذنب او خلق القدرة
عليه كالحذف المستعمل عند المصنفين في عدم الاتيان بالمحذوف حقيقة عرفية وحقيقته

اللغوية اسقاطه بعد ذكره وقيل المراد بالوزر ثقل ذنوب امة الاجابة الموضوعة عنهم بالشفاعة
والماوردى هو على بن حبيب القاضى ابو الحسن الماوردى نسبة الى عمله او بيعه والقياس
الوردى وهو صاحب التصانيف الجليلة فى التفسير وفقه الشافعية والاصول والحديث كالحاوى
والاحكام السلطانية وهو كتاب جليل لم يصنف فى بابه مثله ولم يصنفه امام الحرمين حيث
قال فى تصنيفه المسمى بالغياثى انه قال فى الاحكام يجوز ان يكون الذمى وزيرا ومن هنا مبلغ علمه
ومنتهى فهمه كيف يتصدى للتصنيف والفتوى قال ابن الملقن فى طبقاته والذى جوزه اى الماوردى
انما هو وزارة التنفيذ لا التفويض فنبه له قلت قد نبهنا لذلك فاذا جواب غير صحيح
وله رحلة لابى حامد ودرس بالبصرة بعد ادوا تهم بالاعتزال مع انه خالفهم فى بعض اقوالهم
مات رحمه الله سنة خمسين واربعمائة وقد بلغ ستا وثمانين سنة والسلمى بضم السين
المهملة وفتح اللام منسوب لسليم بالتصغير وهو ابو عبد الرحمن السلمى صاحب الحقايق
واسمه محمد بن الحسين بن موسى النيسابورى شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم
وتفسيرهم ولد سنة ثلثين وثلاثمائة وتوفى فى شعبان سنة اثنى عشرة واربعمائة ونقل
الذهبى عن يوسف القطان انه قال كان يضع الاحاديث للصوفية وقد خالفه فيه الخطيب
وقال انه ثقة صاحب علم وحال كما نقله السبكى فى طبقاته واطال فى ترجمته بما لا يناسب
الكتاب وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى قيل انه يعنى
ان الوضع مجاز عن ان لا يخليه يتحمل الذنوب وهذا القول بعيد والتعليل بان العصمة
ثابتة له صلى الله عليه وسلم فاسد اذا المقصود اذكار النعمة والثناء عليه وسيأتى
الكلام على هذا فى القسم الثالث اقول لا بعد فيه فانه تقدم ان وضعه بمعنى رفعه وازالته
فاذا اريد منعناك منها لعدم خلق الذنب ودواعيه فيك او لعدم اقدارك عليه لم يبعد
لما فى كل منهما من عدم تلبسه بالوزر واى بعد فى هذا وقد ورد مثله كثيرا فى التنزيل ما بالقوة
منزلة ما بالفعل الا ترى الى قوله فى الحديث رفع القلم عن ثلاث ولم يوضع عليهم قلم حتى
يرفع والقول بان احدا من اهل اللغة لم يفسر وضع بمعنى عصم عجيب من قايله ومثله غنى
عن الرد وقد نقل القرطبى فى تفسيره والسمرقندى تقدم الكلام عليه ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن آدم بالنبوة يحيى بن آدم بن سليمن الاموى مولاهم الكوفى ابو زكريا احد الاعلام
الذين خرج لهم اصحاب الكتب الستة وقد وثقه ابن معين وغيره وتوفى سنة ثلاث بعد المائتين
وروى عنه احمد بن حنبل وغيره ومن فسر الذكر بالنبوة فسر الصدر عنده اما مفسر بالرسالة
او المراد قبولها او يفسره بغير ذلك ولنا فيه كلام سنبينه ولا يلزم من رفعه صلى الله عليه
وسلم بالنبوة تفرده بها عن غيره من الانبيا عليهم الصلوة والسلام اذ يكفى رفعه على
من فى عصره وقيل المراد بالنبوة ما سبق بها ساير الانبيا عليهم الصلوة والسلام فى الازل
وادم عليه الصلوة والسلام بين الماء والطين حيث اخذ الميثاق على من ادركه صلى الله
عليه وسلم منهم اتبعه ولا دليل عليه فى كلام المص اقول هنا كلام شراح هذا الكتاب

وانما

وانما يحتاج اليه اذا لم نقل المراد سواء تعلقت الباء برفع او بذكر انه شرف ذكره صلى الله عليه
وسلم حيث خاطبه يا ايها النبى ويا ايها الرسول فعظمه وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا وهو المذكور فى شروح الكشاف ولكن هنا غير ما ذكره المصنف عندهم
ولا وجه له وقيل اذا ذكرت بضم التاء والضمير لله ذكرت معى بفتحها والخطاب للنبى عليه
الصلوة والسلام والفعل مجهول فيهما قول لا اله الا الله محمد رسول الله قول بالرفع
بدل من الجملة قبله او خبر مبتدا مقدر بهو ويجوز نصبه بتقدير اعنى وما يضاهيه
اى اعنى بذكرك معى ذكر لا اله الخ وفى بعض النسخ روى قول الخ قيل وهذا بناء على العادة
او على الافضل المامور به وهذا جواب عن سؤال انه قد يقول المؤمن لا اله الا الله مقتصرا
عليها وايضا كثيرا ما يذكر الله وحده نحو سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد كما ورد فى كثير
من مواطن العبادة واجيب بان اداة الشرطية لا عموم لها ولذا قال المنطقيون ان قضيتها
جزئية وليس قول لا اله الا الله من جملة كلام من حصر ورفعنا الخ بقوله اذا ذكرت ذلك
معى لما سيذكره المص عن الخدرى وكما هو فى ذاد المسير وفيه عقبه قال قتادة فليس خطيب
ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
الاتى فى كلام المصنف وهذا تفسير ما ثور عليه الجمهور والحصر فيه مشكل بما مر والظاهر
ان يحمل ذكره تعالى على افضل الذكر وهو لا اله الا الله الخ حتى ورد انه يقوم مقام كل الا
ذكار وكل الصيد فى جوف الفراء والقرينة على هذا ان المقام امتنان وتذكير بالنعم
ولونه مذكورا منه اذا ذكر افضل الذكر اليق بمقامهما وتوسط المص هنا قيل وهى
صيغة تمريض والقول للجمهور لا يخفى ما فيه انتهى ولم يرض هذا الشارح الجديد فقال
المراد ذكر المؤمن وهو لا يذكر الله الا ويذكر معه رسوله صلى الله عليه وسلم فالمصلى
اذا قال سمع الله لمن حمده هل يقولها الا وفى ذهنه النبى صلى الله عليه وسلم لانه
الذى امره بها فليس المراد بالذكر الذكر القولى فقط بل الاذكار الفعلية والتركية
والقلبية والقايل فهم ان المراد بالذكر اللفظى وهذا فهم من لم يتبع مقاصد الشريعة
ثم اطال فى هذا بما محصله ما ذكر ولم يات بشئ غير ان زاد فى الشطرنج بغلة وفى الطنبور
نغمة اقول هذا جملة ما قالوه فى هذا التفسير المأثور ولم يأتوا بما تقر به عين التقرير
فان قوله اذا ذكرت ذكرت معى ان اخذ كلية خالف الواقع فانه كم ذكر الله وحده وكم
ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وحده وان عين موضعا فهو ترجيح بلا مرجح وان جعلت
القضية مهملة فلا يخفى ما فى الاهمال من الركاكة وقد امعنت فيه النظر فلم ار ما يثلج الصدر
ويرد يد السايل غير صفر حتى لاح لى ان الجواب الحق ان يقال الذكر محمول على الذكر فى مجامع
العبادة ومشاهدها فان ذكره صلى الله عليه وسلم مقرون بذكره فيها فى الواقع فى
الصلوات والخطب فلا ترى مشهدا من مشاهد الاسلام الا وهو كذلك فلا ينفك
ذكره صلى الله عليه وسلم عن ذكره تعالى فى يوم من الايام ولا ليلة من الليالى بل ولا

وقت من الاوقات المعتد بها فنتيجه الكلية فان قلت من اين لك هذا التقييد فهو هو الا
ترجيح من غير مرجح قلت المقام ناطق بهذا القيد فان المراد التنويه بذكره صلى الله عليه
وسلم واشاعته على قدره الدال على قربه صلى الله عليه وسلم من ربه كقرب اسمه وانما يكون
هذا بذكره في المحافل والمشاهد والجوامع والمساجد واى اشاعة اقوى من الاذان الا
في الاسواق والطرق التى يطرح فيها كل ذكر ثم انهم اعترضوا على المصنف رحمه الله
باتيانه بقيل في تفسير الجمهور المأثور وليس بمناسب وهذا ايضا من قلة التيقظ فانه
بالنظر الى تمامه وقول لا اله الا الله وهو كذلك وقوله وقيل في الاذان دال عليه
فسقط ما قيل المتوجه التقديم بدون التمريض ثم الترديد في البيان وفي الاذان ظرف
لذكرت او رفعنا قيل وهو الاظهر على ما نقله في المعالم عن مجاهد وروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما في الاذان والاقامة والخطب والتشهد ولعل ذكر مجاهد الاذان ليس
للتخصيص ولتخصيصه برفع الصوت على المبالغة وقيل في الاخرة وقيل باخذ الميثاق
على الانبيا عليهم الصلوة والسلام بالمتابعة قيل وهذا مبنى على الغالب ايضا والافقد
يقتصر في الخطبة على ذكر الله تعالى وهو جائز عند ابى حنيفة ومثله نادر في حكم العدم
وفي بعض النسخ في الاذان والاقامة والنسخة الاولى اشهر ولما كانت الاقامة كالاذان
وصفا وحكما ادخلت فيه بطريق التغليب وقد ورد اطلاق الاذان على الاقامة ايضا
والشيء بالشيء يذكر واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قاله الامام الشافعي في اول رسالته
الجديدة وبينه السبكي في تعليقه على الرسالة فقال رحمه الله قال الامام رضى الله عنه
عن مجاهد في تفسير الاية لا اذكر الا ذكرت معى اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا
رسول الله قال الشافعي يعنى ذكره عند الايمان بالله والاذان ويحتمل ذكره عند تلاوة
القران وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية قال السبكي هذا الاحتمال من الشافعي
جيد جدا وهو مبنى على ان المراد بالذكر الذكر بالقلب وهو صحيح فعلى هذا يعم لان الفاعل
للطاعة او الكاف عن المعصية امتثالا لامر الله تعالى به ذاكر للنبى صلى الله عليه وسلم
بقلبه لانه المبلغ لها عن الله وهذا اعم من الذكر باللسان فانه قاصر على الاسلام والاذان
والتشهد والخطبة ونحوها قال الشافعي فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت قلنا بها حظا في دين
او دفع عنا لها مكروه فيهما او في واحد منهما الا ومحمد صلى الله عليه وسلم سببها انتهى قول
علم من هذا انه ان ابقى العموم والحصر على ظاهره حمل الذكر على الذكر القلبى فيشمل كل موطن
من مواطن العبادة والطاعة فان العاقل المؤمن اذا ذكر الله تذكر من دل على معرفته وهداه
الى طاعته وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل كانت باب الله اى امرء اتاه من غيره
لا يدخل ومن كلام البنوة الاولى من اراد الوصول الى الله تعالى من غير باب النبوة قطعه الله تعالى
عنه ولك ان تقول المراد برفع ذكره تشريفه صلى الله عليه وسلم بمقارنته لذكره في شعاير الدين
الظاهرة واولها كلمتا الشهادة وهما اساس الدين ثم الاذان والصلوة والخطب فالحصر اضافي في

السبكي
المتأخر
سيد
ابن الحنبلي

قال القاضي ابو الفضل عياض وقد مر ان هذا من تصرف النساخ والا فهو يقول يقول الفقير ونحو
هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم الاشارة لما وقع في سورة الم نشرح
وهو بيان لحاصلها قال في المغني التقرير حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر عنده
ويجب ان يليها الشيء الذي يقرره به وحمل الزمخشري قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير
على التقرير مراده به التقرير بما بعده النفي لا بالنفي وغيره يجعله انكارا ابطاليا فيكون اثباتا
للمنفي والمصنف رحمه الله تبع فيما ذكره الزمخشري ولكل وجهة هو موليها فعلى هذا التقرير
تفعيل من الاقرار وقد يكون من قر قرارا فيكون بمعنى تثبيت الحكم قيل وفي حمل ما هنا عليه تكلف
لانه لا بد فيه من ايلاء المقرر اداة الاستفهام نحو ازيدا ضربت في تقرير المفعول وهنا وليها
المنفي ولم يقصد تقريره فينبغي ان يحمل على الاول ويؤيده ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه
وسلم قال سالت ربى عز وجل فقلت يا رب انه قد كان انبياء قبلي منهم من سخرت له الريح الى
اخر فقال يا محمد الم نشرح لك صدرك اقول يجوز ان يراد بتثبيت ما بعد النفي كما اريد في الاول
الاقرار بما بعده فان كلا منهما تاويل على خلاف الظاهر كما صرح به ابن هشام وادعاء الظهور
في احدهما دون الاخر تحكم وقد فسر التلمساني التقرير هنا بالتمهيد على عظيم نعمه لديه وشرف
منزلته عنده وكرامته عليه على متعلقه بالتقرير سواء كان من الاقرار او بمعنى التثبت
اما الاول فلتاويله بحمله على الاقرار وحمل يتعدى بعلى فلما كان ما اوّل به عدى تعديته واما
على الثاني فظاهر وقيل ان على بمعنى الباء لان الاقرار يتعدى بها فنقول اقر بكذا وهو كقوله
تعالى حقيق على ان لا اقول وهذا منه وليس بمعنى التثبيت والا لقال المص تقرير من الله
جل اسمه لعظيم نعمه وقيل عليه انه من التثبيت اى تثبيت من الله عز وجل لنبيه على ما انعم
عليه من عظيم نعمه وذلك لان هذه النعم عليها وحشي لعدم شكره ان لا يكون منعما فثبت
فواده على شهود انها نعم جسيمة ولا يخفى ما فيه والباقي بان شرح الاتي للسببية او هي متعلقة
بالتقرير على انه من الاقرار وعلى متعلقة بمقدر اى بينها على عظيم الى اخره فلا حاجة الى ما قيل
ان على بمعنى الباء والمنزلة تقدم انها المرتبة العلية علوا معنويا وكرامته عليه بمعنى كونه
مكرما معززا عنده موقرا بان شرح قلبه للايمان والهداية تقدم معنى الشرح وان شرح
بمعنى وسع وفسح فهو لسعته يقبل ما يدخله من ايمانه وتصديقه بالله في اول امره وزيادة
مراتب ايمانه والهداية بمعنى الاهتداء والمراد قبول الهداية او هدايته الناس كما قال تعالى
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة معطوف على
شرح عطف تفسير والوعي الحفظ والحكمة فسرت بالنبوة وبالفقه في الدين وفهم القران
والاتباع له وقيل الورع وحملها العلم بها والعمل مع الاتقان وهذا ناظر لتفاسير الاية
السابقة وترك بعضها اكتفا بحكمه فتذكره ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه اى ازالها
وثقل زنة عنب ويجوز تسكينه وعليه متعلقة به وهذا ناظر لقوله ووضعنا عنك
وزرك وتفسيره بمعنى عام شامل لما مر والجاهلية ما كانت العرب عليه قبل الاسلام

64
ابن الحنبلي
عرضي

من الجهل بالله والشرايع وارتكاب امور رفعها الله لما جا الحق وزهق الباطل كما مر وبغضه
ليسرها وما كانت عليه السيرة فعله من سار يسير ويكون لازما ومتعديا ويقال منه سار
واسار وسير والسيرة جمعها سير كسدرة وسدر وهي الهيئة والحالة وشاعت في الطريقة
يقال سار سيرة حسنة او قبيحة كما قال واول راض سيرة من يسيرها وغلبت السير والسيرة
في السنة اهل الشرع على المغازي كما في المصباح والضمير المضاف اليه للجاهلية وقال التلمساني
سيرها عوايدها وبغضه في النسخ فعل ماض مشدد مبني للفاعل وفي الطرة بغضه مصدر
اي بضم الموحدة وسكون المعجمة وعليه فتح والصواب ان يقال بغض لسيرها بالتضعيف والفاعل
هو الله قال الشارح ولكن لم يوجد في نسختي سوى ما ذكرته اولا انتهى وفي بعض الشروح الذي
في النسخ المقروة على ابي ذر المحدث احد البرهان الحلبي بغضه بصيغة الفعل المشدد المعطوف ابن الحنبلي
على رفع عنه وليس بالاسم المجرور بالعطف على امور الجاهلية لانه لم يرفع عنه نفس بغضه لسيرها
لبقائه وبقا لوازمه واما عطفه على وعي ففاسد مع ما فيه من ذكر معنى الوضع اذ معناه الرفع
والحط الان ثقل البغض اذا قارن العجز عن ازالته زاد وهذا كما قيل مع تكلفه غير مناسب
لمعنى الاية او هو اشارة الى انه عبارة عن العصمة عن حيته اقول ما في الحواشي التلمسانية من تصحيح سيد
بغضه بصيغة المصدر المجرور هو الصحيح وهو معطوف على العلم المضاف اليه وعي بمعنى
فهم وضمير بغضه المضاف اليه راجع لله اي وسع الله قلبه لفهم العلوم والحكم وفهم
بغض الله لما هم عليه حتى كان لا يخالطهم في اعيادهم ومجامعهم قبل البعثة كما قال الله تعالى
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وهنا
كله ناظر لشرح صدره للاسلام ولا ادخال فيه لتفسير في تفسيرها كما توهم وعلى قرائته بالفعل
يكون في كلامه قلب من غير نكتة وحق العبارة بغضه لسيرها بظهور دينه على الدين كله متعلق
بشرح وقيل برفع وقيل البا للمصاحبة بمعنى مع والظهور بمعنى الغلبة على حيث قهر اهله وابطل
حكمه ولذا تعدى بعلى واصله ضد الخفا والدين للجنس الشامل للاديان ولذا اكده بكل وحط عنه
عهدة اعبا الرسالة والنبوة معنى الحط التنزيل وهو قريب من الوضع فهذا اشارة لتفسير قوله و
وضعنا عنك وزرك والرسالة والنبوة غير محتاجة للبيان لاسيما هنا والاعبا بالمد كالاحمال
والاثقال وزنا ومعنى جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة والعهدة بضم فسكون
بفعلة من العهد وله معان منها الامان والوثوق والذمة ويقال تعهدته وتعاهدته اذا ترددت
اليه واصلحته وحفظته وسمي وثيقة البيع عهدة لانه يرجع اليها عند الاحتياج ويقال
عهدة هذا عليك اي تبعته وما تلزم منه والمعنى هنا ان الله حمله احمال الرسالة والزمه باجرا
احكامها وتبليغها فكان نخاول الامر في حرج ومشقة من خوف التقصير فلما يسر الله له ذلك انشرح
صدره واستراح من ثقلها وبريت ذمته عهدتها لما بلغ الامة وادى الرسالة فامتن الله عليه سيد
بما يتضمن الثنا العظيم من انه اقدره على التحمل والمصير ولذا قيل ان حط العهدة مجاز عن توفيقه
لمعالجة تلك الاثقال وتحملها على الوجه اللايق وهو كلام حسن لتبليغه للناس ما نزل اليهم وروى سيد

بتليغه

تبليغه بالبا بدل اللام وهما متقاربان اي حط عنه تلك الاحمال واراحه من الاثقال لاجل
انه بلغ ما امر به وما على الرسول الا البلاغ وقيل معناه فعل ذلك لاجل ان يبلغ فالسببية 65
غائية او ارادة بيان الحط بان وفقه على التبليغ على الكمال ولا يخفى انه غير مناسب للمقام
مع ما فيه من التعقيد بلا فائدة وانما خص الناس وهو مبعوث للثقلين بالاتفاق وللملائكة
ايضا كما سياتي بيانه لان حط الانبيا انما هو تبليغ الناس وتسخيرهم وكسر شوكتهم فانهم
الذين عادوه وحاربوه وكذبوه واما الجن فبمجرد سماع القران اطاعوه ولم يقع منهم ما يتبعهم
وان كان منهم من لم يؤمن وليس الكلام في بيان رسالته وعمومها حتى يعترض بتركهم عليه
وقيل انه اكتفا كقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل المراد بالناس ما يشمل الجن فانه ورد اطلاقه
عليهم وفي الحديث ناس من الجن وبه فسر قوله تعالى قل اعوذ برب الناس وجعل قوله من الجنة
والناس بيانا له وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقال البكري
انه لفظ مشترك بحسب الظاهر وهما معنيان متقاربان ولفظان متغايران فالناس بمعنى بني
ادم اصله اناس ومادته انس من الانس ضد الوحشة وبالمعنى العام للثقلين اصله سيد
نوس بمعنى تحرك وقيل انه اقتصر على الاشرف المقصود بالذات واتى في غنى عنه كله بما مس
وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه اسمه قدمه انه تعالى نوه بالشي نوها
ونوه به تنويها اذا رفع ذكره وعظمه ومر في حديث عمر انا اول من نوه بالعرب اي رفع ذكرهم
بالديوان والاعطا كما في المصباح وهذا اشارة لمعنى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وتنويهه
بالجر معطوف على قوله لتبليغه لان تعظيم الله له ورفع ذكره له يروح قلبه ويسره لانه يدل
على قبول رب العزة لما فعله من ادائه ما في عهدته وبذل جسمه وروحه في تتميم خدمته وهذا
في غاية الظهور وقيل معطوف على ان شرح وقيل على تقرير فهو مرفوع والداعي لارتكابه مع بعده ابن الحنبلي
انه كان الظاهر ان يقول نوه تفسيرا لرفعنا على سننه السابق وانما عدل عن المعبر بالفعل
الى عطف المصدر الصريح على المأول لئلا يتوهم انه كلام مستانف والباقي قوله تعظيم متعلقة
بنوه وليست زائدة فانه قيل نوهه ونوه به كما قيل الا ان الاشهر هو التعدية بالبا كما مر في كلام سيد
سيدنا عمر رضي الله عنه وقوله رفعة ذكره بكسر الرا واخره قاتانيث مضاف لذكره وروي
بفتحها واضافته للضمير ونصب ذكره وروي رفع عطف على جليل ورفعة ذكره اما بهذا
الرفع او برفع زايد عليه واسمه الثاني منصوب مفعول قران بكسر القاف مصدر بمعنى الضم
والجمع ومنه قران التمر واقران غلط فيه وقيل رواية وفي نسخة وقرانه اسمه مع اسمه قال
قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قدمت ترجمة قتادة رحمه الله ويأتي ايضا ومر هنا
تحقيق هذا الكلام الا انه بقيت امور ينبغي التنبيه لها وهي ان بعضهم قال هنا ان ما ذكره هو
الاكمل الجاري في العرف والعادة بعد البعثة اذ الشهادة ليست شرطا في اصل الخطبة وهذا
في الدنيا ويعلم امر الاخرة بالمقاسية عليها وفي الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة فهي كاليد

الجذما والمراد بالصلاة الفرد الكامل المتبادر فلا ترد صلوة الجنازة والتشهد من تشهد
بالوحدانية سواء كان بهذا اللفظ كمن يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
المروى عن ابن مسعود رضى الله عنهما وعليه ابوحنيفة فلا يرد انه قد يقتصر فى خطبة الجمعة
والعيدين وغيرهما على ذكر الله بالتسبيح ونحوه قيل وهذا انما يرد لو كان قتادة رحمه الله قائله
فى عصره وهذا ليس بشىء يتصدى لجوابه وقيل ان مراد قتادة بيان رفعة ذكره فى الدنيا التى هى
عنوان رفعة الاخرة وقوله فليس خطيب الخ يريد ان الخطبا قبله كانوا يعدون ماثرهم ومفاخرهم
فلما جاء الاسلام صارت الخطبة اسما للمشروعة باى مذهب كان واى خطبة كانت كما فى الحج
والخسوف والعيد والجمعة وغيرها وفاعل ذلك كله يعتقد وحدانية الله شاهدا بان محمدا رسول الله
ممتثلا لامره مقتديا بهديه والمصلى لا يعتد بصلوته حتى يعتقد ذلك وانت ترى فى هذا الكلام
الذى لا يحصل له ولا يجدى شيا فالقول ما قالت حذام والثمرة تدل على الشجرة وقوله الا يقول مستثنى
من اعم الاحوال اى ليس فى حال من الاحوال الا قايلا وما قال قتادة رواه عنه البيهقى وابن ابى حاتم
فان قلت ما وجه التفريع فى قوله فليس الخ وامر الاخرة لا يعلم بالمقايسة والمتشهد اعم من الخطيب
والمصلى فكان ينبغى تقديمه او تاخيره قلت اخذ من اطلاق الاية والحديث والتفريع وجهه ان
من رفع الله ذكره فى الدارين حقيق بان يشهد له بذلك والمتشهد المراد منه الاتى بكلمة الشهادة
فى غير الخطبة والصلوة لان غيره يقال له خطيب ومصل فقد روى ابو سعيد الخدرى رضى الله
عنه وهو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد ابن الابجر وهو خدرة المنسوب اليه
على الاصح وسياتى الصحابى الانصارى ونسبة الخدرى بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة
يليها راء مهملة وها وهو حى من الانصار سمى باسم جدهم ونسبا اليه لتميم فلا منافاة بينهما
وقيل خدرة امه وهذا الحديث كما قاله السيوطى والشيخ قاسم فى تخريج احاديث هذا الكتاب اخرجه
ابو يعلى فى مسنده وابن حبان فى صحيحه والطبرى فى تفسيره واسناده حسن فلا وجه لما قيل من
ان فى زاد المسير ما يخالفه فان ذلك مزوار وهذا من واد ولا لما قيل ان فى المعالم انه صلى الله عليه
وسلم سال جبريل عن هذه الاية فقال قال الله الى اخره فلعله بعد السوال جاء وقال ان ربى الى اخره
وقوله قال الله نقل بالمعنى لان الرواية المشتهرة ما فى كلام المصنف وقاله ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال اتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك تقديره اتدرى فحذف
منه حرف الاستفهام وهو جائز مع القرينة فى النظم والنثر كما فى المغنى وغيره وقول التجانى
انه قليل مخصوص بالشعر مخالف للرواية والدراية وقد روى هذا الحديث ايضا اتدرى
بثبوت الهمزة على اصلها سواء كان الاستفهام حقيقيا كقوله وان زنا وان سرقا وغير حقيقى
كقوله تعالى سواء عليهم اانذرتهم على قراءة والاستشهاد بهذه الاية للحقيقى سهو فالاستفهام
هنا غير حقيقى لاستحالته على علام الغيوب والسرائر بل هو تقريرى ليقر بعدم علمه فيعلمه من لدنه
والمشهور فى مثله ان معناه اتدرى جواب هذا السوال وليست كيف فيه خارجة عن معنى الاستفهام
على ان المعنى كيفية رفع ذكرك وان كانوا يقولونه فى بيان حاصل المعنى فما قيل من انه خرج عن معنى

ابن الجنبلي

عرض

ابن الجنبلي
سيد

عرض
سيد

لا

الاستفهام اى اتدرى كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب لاجل زيادة التوجه 66
والانتظار لكنه اعجمية مع ان لفظ الكيفية لم يسمع من العرب كما صرح به اهل اللغة وتدرى
تعلق عن الجملة التى بعده كما فى قول زهير   وما ادرى وسوف اخال ادرى   اقوم ال حصن
ام نسا   وكيف فى محل نصب على الحال من المفعول على القاعدة المشهورة فى اعرابها من انها
وقعت قبل كلام تام فهى حال والا فهى خبر الا ان هذه القاعدة غير مسلمة كما فى المغنى وفى شروح
الكشاف وهى سوال عن الحال والصفة اى على حال او معنى رفعت لك ذكرك وليست منصوبة
بتدرى لان لها الصدر ووقع فى بعض النسخ فقلت الله ورسوله المراد به هنا جبريل عليه
الصلوة والسلام لانه من رسل الملائكة الذين يرسلون بالوحى لانبيائه ورسله عليهم الصلوة
والسلام اعلم كذا عندى فى نسخة مصححة مقروة على المشايخ وفى نسخة شرح عليها الشارح
الجديد اسقاطها وقال لم اجدها فى نسخة من الشفا واللائق عدم ذكرها وليس كما قال والتفضيل
اما فى الزيادة فى مطلق العلم فلا يلزم ثبوت اصل العلم له فى هذه المسالة او المراد اعلم فيها نظرا الى
ان حصول بعض الوجوه له تجويزا وظنا فالترجيح فى الكيفية والمطلوب حصول اليقين او وجه
اخر واعلمية جبريل عليه الصلوة والسلام منه صلى الله عليه وسلم مع انه علم علم الاولين
والاخرين كما ثبت فى الصحيح او بالنظر الى علم الله فعلمهما اتم من علمه وان كان علمه اتم من علم احد
او بالنظر الى ان تلك الحالة لم تكن دائمة له صلى الله عليه وسلم كذا قاله الشارح المدقق اقول
الظاهر انه اراد تفضيلهما عليه صلى الله عليه وسلم فى خصوص هذا العلم او على الاطلاق
اما على الله فظاهر واما جبريل فعلمه ببعض الامور التى لم يعلمها النبى صلى الله عليه وسلم لاعلام الله
له بها او لكونها فى الملاء الاعلى ولا يلزم من هذا شك ونقص لمقام النبوة حتى يلزم تكلف ما ادعاه
واما ما ورد فى الحديث من انه صلى الله عليه وسلم علم علم الاولين والاخرين فليس المراد به ما فهمه
لانه لو كان كذلك علم المغيبات كلها وقد امره الله بان يقول لا اعلم الغيب ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وقال لا ادرى ما يفعل بى ولا بكم وهذا مما لا يشك فيه وانما المراد انه علمه
كل علم عند الاولين والاخرين متعلق بمعرفة الله واحوال الامم السالفة والاتية اجمالا من خير
وشر واوحى اليه ببعض المغيبات ايضا واخبر بها بعض اصحابه كما فى حديث حذيفة فمتعلق افعل
نحو من كل احد غيرهما او لا متعلق له كما فى قوله الله اكبر فى احد الوجوه وقيل المراد اعلم من كل عالم
نحو الله اكبر او اعلم منى بناء على انه علم رفع ذكره وهذا مما لا ريب فيه او فهم من جبريل انه عالم
بكيفية الرفع دونه وانه جاء مخبرا بها له ولو كانت مما استاثر الله به قال لجبريل ما المسئول
عنها باعلم من السائل كما فى حديث اخر او المراد انهما سيان فى عدم العلم لان قولك ما زيد باعلم
من عمرو المراد به نفى المساواة كما مر هو احد احتمالات فى مثله واما ما ورد من علم النبى صلى الله
عليه وسلم علم الاولين والاخرين فلعله كان اخر احواله بعد انقطاع ايحاء جبريل له وقيل المراد
ان الله اعلم من علم عالم ومنه يستمد العلم اى لا اعلم الا ما علمنى ربى واما كونه علم علم الاولين
والاخرين فهو نعمة من الله خصه بها ولم يرد انها انقطعت عنه والكريم لا يقطع عوايده كما انعم الله

ابن الجنبلي

عرض

فيما مضى كذلك ينعم فيما بقى واحتياجه صلى الله عليه وسلم الى الوحى مقتضى مقام العبودية
واظهار الافتقار من لوازمها وكون هذه اخراحواله غير سديد لان هذه القصة وقعت ليلة
الاسرا وهى من اول احواله وجبريل عليه الصلوة والسلام لم ينقطع عنه حتى فارق الدنيا
وهذا مع ابتنائه على ما عنده من الطراز الاول وكذا ما قبله ولولا الخوف ان يظن انا بالسويد
ارجا لا تركته راسا قال اذا ذكرت ذكرت معى قدم شرحه قال ابن عطا جعلت تمام الايمان
بذكرى معك لم يسم المصنف رحمه الله ابن عطا فلم يدر ما مراده به لان المشهور به اثنان
فلذا قال التلمسانى هو ابو عبد الله محمد بن عطا شيخ وقته وهو مات كما قاله القشيرى سنة
تسع وستين وثلثمائة وقال الشمنى انه ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطا الزاهد
البغدادى الادمى وجزم بان المراد هذا الشارح الجديد لان المشايخ قالوا ان له لسانا
فى فهم القران يختص به وكان صحب الجنيد وسئل رضى الله عنه عن الوجد والسماع فقال
هو صحيح فقيل له انه لم يبلغنا عن احد من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين انه تواجد
فقال اما الصحابة فكوشفوا بالشريعة فى سرهم فكانوا لا يغلبون عن تحمل الاحوال بخلاف
من بعدهم فانه لم ينل هذه الرتبة وقوله بذكرى معك روى بذكرك معى وهذه النسخة اصحة
والاولى مشهورة مخالفة للظاهر لان مع تدخل على المتبوع وقد تجئ لمطلق المصاحبة وقد
تقدم انه باعتبار الاكثر المعتاد فى مواطن واقوال مخصوصة كقول المتشهد اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وقد قيل ان فى كلام المصنف رحمه الله تكرارا وانتشارا والذى
بالمصنف ذكر الاقوال ثم حاصل معنى الايات وفى بعض العبارة قلب ايماء الى شرفه صلى الله
عليه وسلم كقوله لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية فان الظاهر عكسه كما قيل
وانا اقول هذا من عدم الوقوف على مراده لانه لما ذكر السورة لما فيها من الثنا عليه صلى الله عليه
وسلم الذى هو بصدده عقبها بذكر اقوال المفسرين فيها ثم لخصه ووضحه بعبارة فصيحة ثم ذكر
الدليل على ما قالوه رواية مسندة ثم ختمه بكلام ارباب الطريقة من مشايخ الصوفية فانه
مسك الختام ونقل لهم عبارات ثلاثة فقال ذكرك معى وذكرى معك وذكرك عين ذكرى
وهذا بحسب المقامات كقولهم ما رايت شيا الا رايت الله قبله او معه او بعده اما الاول
فظاهر لانه صلى الله عليه وسلم رسوله وخليفته وهذا بحسب الحقيقة فى نفس الامر واما
الثانى فلانهما انما عرفوا الله منه وبعد معرفته كما قيل وتقدم فانت باب الله اى امرئ اتاه
من غيرك لا يدخل واما الثالث فلان من ذكره من حيث كونه رسولا مبلغا عن الله فقد ذكر الله
ومن هنا قيل من رانى فقد راى الحق فلا تكرار ولا قلب الخلى ليس له قلب ينظر بعينه للحق وجعل ذكره
تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق بالجنان وتصديق باللسان كما هو قول لاهل السنة
واما من يقول بانه مجرد التصديق فجعله تمامه باعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه
الاحكام ما لم يات به لسانا لان الامر مبنى على الظاهر والله اعلم بالسرائر قيل وهذا قول غير قادح
لانه لم يعتبر كونه من تتمة الايمان فى فهم المعنية فاسد وفيه نظر فتدبر وقال ايضا اى قال ابن

سيد

ابن الحنبلي

عطا

67

عطا المصرى قولا كالذى قبله وايضا مفعول مطلق لفعل مقدر من آض اذا عاد ورجع قيل
واستعير هنا لمجرد الانضمام ولذا ان تبقيه على معناه الحقيقى لانه عاد لكلام ابن عطاء
رحمه الله جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى ذكرا مفعول ثان لجعل والظرف بعده صفة
او تمييز محول عن المفعول والجار والمجرور هو الثانى والمعنى واحد اى كان ذكرك عين ذكرى لعدم
انفكاكه عنه غالبا او هو مثله فى التقرب به والاجر او هو معدود من افراده لما ورد ان كل
مطيع لله ذاكره والاسناد مجازى والفا تفسيرية او تفريعية وقال جعفر ابن محمد الصادق
تقدم بيانه قريبا لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية الاستثنا من اعم الاحوال
والجملة التى بعدالا حالية ولا حاجة لتقدير قد معها كما ذكره النحاة والربوبية صفة مصدر
من الرب وهذه اليا تسمى اليا المصدرية ولا يد معها من تا التانيث وفى هذه التابحث ذكرناه
فى رسالة المصدر والمسوغ ومعنى كلام جعفر رضى الله عنه انه لا يعترف احد برسالتك
الا بعد ان يعترف بوحدانية الله وربيته لانه يجب معرفته تعالى عقلا قبل ذلك لئلا يلزم
الدور كما ذهب اليه الماتريدية او سمعا كما ذهب اليه غيرهم كما تقرر فى الاصول وقيل المراد
الا وقد اراد ذلك او عبر بالماضى عن المضارع مبالغة فى تحقيق وقوعه وفى الاول اشكال
لعدم مقارنة الحال العامل وذلك لان المراد بالرسالة انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
والعادة ان يقال رسول الله ورسول رب العالمين ونحوه او لان معنى الرسالة شرعا انه انسان
بعثه الله لتبليغ احكامه والالوهية جامعة للربوبية وخصت الربوبية هنا لمناسبتها
للرسالة لربوبيته الرسول للمرسل اليه وقيل المراد ان من آمن بك آمن بى وفيه تكلف ظاهر لان
ما قاله الصادق وغيره يشترك فيه الانبياء عليهم الصلوة والسلام بحسب الظاهر
فالانسب حمله على ما يظهر فيه الاختصاص والتميز انتهى وقد عرفت معناه وانه محمول على الايمان
بالله ورسوله والاعتراف بذلك المقتضى لمقارنة اسمه مع التعبد باظهاره والندا به على رؤس
الاشهاد كما يفصح عنه التعبير بالرفع الذى بينه وبين الوضع صنعة المطابق واما عدم مقارنة
الحال فظاهر السقوط لتقدم الايمان بالله واراد ته على الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم
واما التلفظ بما يدل على ذلك فلذكره عقبه من غير فاصل بعد مقارنا عرفا ومثله يكفى عند
النحاة فلا حاجة الى جعل الحال مقدرة واما ما ادعاه من عدم الاختصاص بمحمد صلى الله عليه
وسلم فقد علم مما مر ان هذه المقارنة فى نداء الاذان والاقامة والخطب والصلوة والاتيان
بكلمة الشهادة المعتبر فى الاعتداد بالايمان وهذا كله مختص بهذه الامة فيختص القرآن
الواقع فيه بهذه الكيفية بسيدها ونبيها عليه افضل الصلوة والسلام لاختصاصها
حقيقيا بالنسبة لكل من عداه من الرسل والامم وهذا فى غاية الظهور واشار بعضهم فى ذلك
الى الشفاعة المراد بالبعض من فسر قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك المشار اليه بقوله فى ذلك
جعلنا ذكرك مرفوعا فى الدنيا والاخرة بالشفاعة وهو احد اقوال خمسة فيه وقيل هو الماوردى
وقال البرهان لا اعرفه تتمة لطيفة لما ذكر الله عز وجل فى اخر السورة التى قبل هذه ولسوف

سيد

ابن الحنبلي

يعطيك ربك فترضى الى قوله واما بنعمة ربك فحدث ثم اتى بعدها بقوله الم نشرح لك قال بعض
المشايخ اشارة الى ان شكر النعمة والاعتراف والرضا بها مما ينشا منه انشراح الصدر ورفعة
الذكر ثم وسط بينهما اعباء الرسالة التي تقتضي الظهور فذلك عسر بين يسرين فلذا قال
فان مع العسر الخ ثم اشار الى ان مقصوده من الدنيا انما هو اداء خدمة الامانة وانه لا راحة
للمؤمن دون لقاء ربه الذي هو مطلبه لا ما سواه فلذا قال فاذا فرغت فانصب ولم يقل له استرح
بل اجتهد فيما يقربك الى الله تعالى فارغب كما قال اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فتنبه لاسرار
التنزيل ومن ذكره معه ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال اطيعوا الله والرسول
وامنوا بالله ورسوله لما قرن الثناء من الله برفعة ذكره وذكره فانه اذا ذكر ذكر معه كما مر وذكر
القران في كلام الناس وما يحكى عنهم اتبعه بما هو من قبيله وهو ذكر الله جل وعلا لنفسه وذكر
الرسول معه معطوفا عليه من غير فاصل كالايتين المذكورتين وفيهما زيادة على ما ذكر لعطا
قران طاعته وطاعته لان احدهما لا ينفك عن الاخر كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله
والمقارنة المصاحبة كما قال عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
ومصاحبة الاسمين ظاهرة فيما ذكروا اما مصاحبة الطاعة للطاعة فهي معنوية لا لفظية
هنا بمعنى انها لا تنفك عنها بل هي عينها كما مر وجعل هذين من قبيل الذكر المقارن لذكره امر حقيقي
لا من قبيل عموم المجاز ولا من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز كما قيل فان في الايتين كذلك لاقتران
ان الطاعة لله بطاعته في قوله اطيعوا الله والرسول لانه بمعنى واطيعوا الرسول واما قوله
امنوا بالله ورسوله فمثال لمقارنة الاسم على اللف والنشر المرتب وبعضهم جعل كل اية مثالا
لهما فاحتاج الى التكليف فقال معنى الطاعة الانقياد وقد يكون بحسب الظاهر كالاسلام
الذي هو الانقياد والاستسلام وقد يكون بحسب الظاهر والباطن كما قدمنا في الايمان ومنهم
من قال الذكر هنا عدم الغفلة ومطيع الله ذاكر له كمطيع الرسول صلى الله عليه وسلم
فكل من قرن طاعته بطاعته وقرن اسمه باسمه ذاكر الله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه
وسلم معه حقيقة وليس هنا ذكر مجازي فمن زعم ان الذكر الاول مجاز والثاني حقيقة وان الاية
من باب عموم المجاز اذ المراد بالذكر هنا معنى يعمهما فرارا من الجمع بين الحقيقة والمجاز فقد ارتكب
شططا انتهى والحاصل ان المص رحمه الله ان قصد اقتران الاسمين وزاد الطاعة لوقوعها
في الاية والحديث فالامر في الحقيقة ظاهر من غير ارتكاب شيء مما قالوه وان اراد بيان كل منهما
على اللف والنشر لان في كليهما اقتران الاسمين فظاهر ايضا وان اراد قران الطاعتين والاسمين
في كل منهما فهو الذي يحتاج للتكليف ومن ذكره خبر مقدم وان قرن مبتدا مؤخر واما كون من ابتداء
لانهما بمعنى بعض كما قيل في قوله ومن الناس من يقول امنا في البقرة فلا وجه له فجمع بينهما بواو
العطف المشرك بكسر الراء المشددة وضمير بينهما للاسمين وقيل والطاعتين في كل منهما
وجعلها مشتركة لافادتها لمشاركة المتعاطفين في الحكم من غير ترتيب والجمع فيه دال على
التعظيم والمناسبة بخلاف ثم لدلالتها على تفاوت الرتبة لا التسوية وكذا الفا والواو محتملة

السيد وابن الحنبلي

دلجى

سيد

للامور

سيد

68

هو الجياني

للامور الثلاثة التقدم والتاخر والمعية على الصحيح ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه
عليه الصلوة والسلام قيل اي جاز اذا من غير نهي فلا يباح واعلم ان الجواز يطلق في لسان
حملة الشرع على امور كرفع الحرج اعم من ان يكون واجبا او مندوبا او مكروها وعلى مستوى
طرفي الفعل والترك وعلى ما ليس بلازم وهو اصطلاح الفقها في العقود وهذا كله ظاهر
والغريب ما في قواعد الزركشي ان جاز كثيرا استعملوه في الوجوب قال وهو ظاهر فيما اذا كان
الفعل دايرا بين الحرمة والوجوب فيستفاد من قولهم يجوز رفع الحرمة اي تشريك الله وغيره
بالعطف بالواو في حكم من الاحكام لا يجوز الا في حق النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يشرف
رسوله صلى الله عليه وسلم كما مر في تفسير ورفعنا لك ذكرك وقد اعترض بعض الشراح على هذا
وقال ان القاضي وهم فيه فان الذي لا يجوز لغير النبي صلى الله عليه وسلم جمع اسم الله
واسمه مع اسمه غير النبي في ضمير يعود على الله وعلى صاحب الاسم فلا يجوز لنا ان نستعمله الا
ان يرد عن الله كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي واما عطف اسم ظاهر بالواو على اسم الله
فما اظن ان احدا يمنعه وكيف يختص هذا بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وقوله كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وفي الحديث القدسي قسمت
الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقيل ايضا ان اراد ان مثله لم يرد في القران وغيره فليس كذلك
وان اراد انه لا يجوز لنا فاي مانع من ان يقال اطع الله واطع القاضي او الامير لقوله اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واجاب بعضهم بان مراده انه منهي عنه تنزيها وادبا لورود
الحديث بما يدل على رعاية الادب في اللفظ وترك ما يوهم خلافه بالاتفاق واطلق نفي الجواز
اعتمادا على تصريح الخطابي وغيره ولا دليل في الاية لما سيجيء ولاحتمال الجواز بالتبعية ثم
يشكل هذا بقوله تعالى كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومن كان عدوا لله وملائكته
وان اشكر لي ولوالديك ومثله في الحديث الا ان يقال انه لبيان الجواز وهو من الشارع بالفعل اولى
واقوى وان يخص النهي بالامة والله يفعل ما يريد كما ذكره القرطبي في معنى الجمع بالضمير وان يكون
المواضع الواردة مخصصة او الممنوع جمع الامة معه فلا يرد الاوليان فتامل وقال تلميذ ابن
الحنبلي قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فيه التشريك بين الطاعتين
طاعة الله وطاعة غيره بالواو وفي حق غير الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه بالتبعية ولذا لم
يكرر اطيعوا مرة اخرى كما لم يكرر اللام في حديث الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين
وعامتهم في العامة فاندفع ما مر وقيل كلام الغزالي في الاحيا يدل على انه حرام كما ذكره في باب
افات اللسان الا ان الله تعالى يعفو عن العوام مثله ونقل كلامه واطال بما هذا محصله وسياتي
تحقيق هذا المقام في شرح الحديث الاتي بما يثلج به الصدر ان شا الله تعالى حدثنا الشيخ ابو علي الحسين
بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه الشيخ من طعن في السن ثم شاع في كل من تصدى
لافادة العلوم وابو علي الحسين بن احمد الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد اليا التحتية والف ونون
تليها ياء النسبة الى جيان وهي بلده بالاندلس ولد في المحرم سنة سبع وعشرين واربعمائة

دلجى

عرضي

وحمل عن ابن عبد البر وغيره من الائمة وروى عن ابن الحكم وابن سكرة وزهير وخلق توفي في ليلة الجمعة لاثنتي عشر خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين واربعمائة ولم يخرج من الاندلس وقوله وقرائه على الثقة عنه الثقة كعدة مصدر وثق به ومنه اذا ايتمنه واستوثق احكم ثم يتجوز بالمصدر عن الموثق على الحديث وغيره وشاع حتى صار حقيقة ولم يعين المصنف رحمه الله من اراد قال البرهان لا اعرفه وكانه ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته وقوله اجازنيه يعني انه روى عنه بالاجازة وكان يمكنه السماع منه فذكر ان روايته عنه بواسطة قال السيد رحمه الله وتوثيق مثل المص رحمه الله لشخص يخرجه عن حكم المجهول وابهام التعديل وفيه خلاف في كتب المصطلح فمنهم من قبله بنا على الاحتجاج بالمرسل ومنهم من قال لا يكتفى به ومنهم من فرق بين تعديل العالم وغيره كقول مالك اخبرني الثقة وكذا يقوله الشافعي رحمه الله وقيل يقبل ممن عرف انه اذا اطلق يعني به معينا وقال ابو حاتم الرازي اذا قال الشافعي حدثني الثقة عن ابن جريج فهو مسلم بن خالد الزنجي واذا قال اخبرني الثقة عن ابن ابي ذويب فهو ابن ابي فديك واذا قال اخبرني الثقة عن الليث بن سعد فهو يحيى بن حسان واذا قال اخبرنا الثقة عن الوليد بن كثير فهو عمرو بن ابي سلمة واذا قال اخبرني الثقة عن صالح مولى التوءمة فهو ابراهيم بن ابي يحيى والاجازة ياتي الكلام عليها وهي ان يقول له اجزتك ان تروي عني كذا او جميع مروياتي وفي تصحيح لفظها كلام في ابن الصلاح فيه كلام كتبناه في حواشيه ليس هذا محله وهي مقبولة ولا عبرة بقول ابي طاهر الدباس انها لا تقبل نعم هي انزل من غيرها وانما قدمها المص رحمه الله لعلو سنده فيها على السماع الذي بعدها وان كان بينهما فرق حدثنا ابو عمر النمري هو العلامة الحافظ ابن عبد البر وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن احد شيوخ ابن عبد البر تقدم ذكره ايضا وكذا ابو بكر بن داسة تقدم ايضا ايضا الذي ذكره بقوله قال انبا ابو بكر بن داسة قال حدثنا ابو داود السجزي وهو سليمن بن الاشعث صاحب السنن وسيد الحافظ كما تقدم والسجزي بكسر السين المهملة تليها جيم ساكنة وزاي معجمة منسوب الى سجستان على خلاف القياس وقيل انه منسوب الى سجز وهو اسم سجزستان او بلدة منها قال في جامع الاصول وهو الاشبه وهو اقليم بقرب خراسان قال حدثنا ابو داود الطيالسي قال حدثنا شعبة عن منصور بن عبد الله بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الطيالسي هو هشام بن عبد الملك الحافظ الامام المتقن الثبت ومن طرف اخباره انه روى عن سبعين امراة وهذا في غاية الغرابة روى عنه احمد وابو داود وقال احمد انه كان في عصره شيخ الاسلام واخرج له اصحاب الكتب الستة توفي سنة سبع وعشرين ومائتين وله من العمر اربعة وتسعون كما في الميزان واما عبد الله بن يسار فبمثناة تحتية ثم سين مهملة الجهني الكوفي اخرج له ابو داود والنسائي توفي عام احدى وثلاثين ومائة وهم عبد الله بن يسار كنية ابو همام لكن قال الحافظ البرهان انه لم ير لواحد منهما رواية عن حذيفة في الكتب الستة واما خارجها فلا ادري وليس في الكتب الستة احد يقال له عبد الله بن بشار بالموحدة والشين المعجمة انتهى وهذا الحديث روي من طرق كثيرة واما حذيفة فترجمته مسطورة مشهورة فلا حاجة لذكرها

وشعبة

وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد الحافظ امير المؤمنين في الحديث كما قال له ابن الجوزي وممن يقال له هذا اللقب ايضا سفيان الثوري قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال التلمساني وقع في نسخة بعد ثم اي ثم ما شا وعليه صح العرفي وفي الطرة ثم شاء ما وهو كذا بخط القاضي وهذا هو الاشهر وهو المروي في شرح مسلم للنووي وهذا النهي تنزيهي لرعاية الادب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوي كما سياتي بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا وفي شرح التجاني انما جا النهي عن التشريك في المشية بين الله وغيره لايهامه ان مشيته الله تعالى موقوفة على مشية غيره تعالى عن ذلك فاذا لو خلصت المشية لله جاز ان يعلق الفعل على مشية غيره مجازا بثم التي للتراخي وعطف مشية العبد على مشية الله على ان يكون ما موصولة او على ان يكون مصدرية وعلى الوجهين الخبر محذوف اي كاين او كاينة انتهى ثم انه قيل ان هذا وان لم يكن فيه عطف غير اسم الله على اسمه فيه التنفير عما يوهم سوء الادب لفظا واستنباطه مما ذكر على ان قوله ما شا الله الخ في قوله ما شا الله وفلان هو شامل لما شا الله ومحمد ويعضده ما ورد في الحديث عن الطفيل انه راى ناسا من اليهود والنصارى فقال لو انه نعم القوم انتم لولا قولكم ما شا الله وشا محمد وفي رواية انهم قالوا له انكم تشركون ولا تدرون فاخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقام خطيبا ونهى عن ذلك وسوغ ان يقال ما شا الله وحده ثم محمد وقول المصنف رحمه الله السابق لا يجوز هذا الجمع في غير حقه لا يوجب جوازه في حقه في الاماكن كلها وانما يدل على جواز الجمع بين الاسمين والطاعتين وقد صرح بعضهم بكراهة اعوذ بالله وبك ولولا الله وفلان نعم ثم ان هذا الحديث روي بلفظ اخر وهو لا يقولوا ما شا الله وما شا محمد بل قولوا ما شا الله ثم شيت قال العلامة الطوفي في كتاب اللائي هذا تنبيه على تراخي رتبة المخلوق عن الخالق والواو تفيد الجمع والتشريك بلا ترتيب فان قيل قد اقرهم صلى الله عليه وسلم على قولهم الله ورسوله اعلم ولم يامرهم ان يقولوا ثم رسوله اجيب بان في ما شا الله وشئت تسوية بينهما في اصل المشية وقوتها لفظا ولا كذلك الله ورسوله اعلم فان اعلميته بالنسبة اليهم حق وبين الله ورسوله اشتراك في اصل الاعلمية لان الله اعلم من الرسول وكل احد والرسول اعلم من غيره من الصحابة وغيرهم ولانه تعالى صرح بتبعية الخلق له في المشية بقوله وما تشاؤن الا ان يشا الله وفيه نظر لان علم الخلق متاخر عن علمه تعالى ايضا وبقي في هذا المقام كلام سنذكره بعد شرح الحديث الاتي قال الخطابي بالمعجمة والتشديد والموحدة وهو ابو سليمان حمد بفتح الحا المهملة وسكون الميم وقيل اسمه احمد بن محمد بن ابراهيم البستي المعروف بالخطابي وجا عنه انه قال ان اسمي الذي سميت به حمد لكن الناس كتبوا احمد فتركته قيل انه نسبته الى زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي اخي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الذهبي لم يثبت هذا وكان راسا في سائر العلوم لا سيما الحديث والفقه والادب شافعي المذهب اخذ العلوم عن كثيرين فالفقه عن القفال واللغة عن ابي عمرو الزاهد وصنف التصانيف الجليلة المشهورة منها معالم السنن وغريب الحديث وشرح اسما الله الحسنى وغير ذلك

ابن الحنبلي

مطلب الادب رياضة النفس

وله شعر حسن توفي ببست سنة ثمان وثلاثمائة رحمه الله ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى
الادب في تقديم مشية الله على مشيته من سواه ارشده دله وهداه لما فيه الرشاد والصلاح
وفي المصباح عن ابي زيد يقال ارشد اليه وله وعليه والادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق
وفعله ادبته وادبته ومنه ادبه تاديبا اذا عاقبه على اساءته لانه يدعوه الى حقيقة الادب
اي دلهم على رعاية الادب في كلامهم هنا واما الادب المعروف بين الناس ومنه العلوم الادبية
فاصطلاح لم يرد في كلام العرب العرباء والمشية الارادة وفرق الحنفية بينهما كما فصلوه في
الاصول والفروع لكنهما متقاربان معنى وليس هذا محل تحقيقه وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف
مع المستحسنات واختارها بثم التي للنسق للتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ضمير
اخيارها لمطلق المشية او لمشية الله او لمشية من سواه اي اختار المشية متلبسة بثم على المشية
بالواو وليس هنا من باب الحذف والايصال واصله اختار لها كقوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين
رجلا لميقاتنا فانه لا داعي له هنا اي ارشدهم الى ان يراعوا الادب في هذا بتقديم مشية الله
وتأخير مشية غيره معطوفة بثم والنسق العطف باحد الحروف المشهورة من نسقه اذا ضمه والتراخي
تفاعل من الرخا واصل معناه الاتساع ومنه تراخى الامر تراخيا امتد زمانه وفي الامر تراخ اي
فسحة كما في المصباح والواو لمطلق الجمع والاشتراك في الحكم ونحوه من غير دلالة على ترتيب
ولا تنافيه في الواقع ايضا فليس في ذكرها رعاية الادب والدلالة على عدم المساواة بل ربما توهم
خلافه لاسيما اذا لوحظ العدول عن ثم اليها فاندفع ما قيل من ان الواو لمطلق الجمع لا للمساواة
الدالة على ترك الادب وما ذكره المص رحمه الله هو الصحيح عند النحاة وقد انكر الفراء دلالة ثم
على التراخي وقال بعضهم ان الواو تفيد الترتيب والترتيب يكون حقيقيا ورتبيا وذكريا ولابن عبد
السلام كلام فيه في كتاب المجاز كفانا ترك المص له مؤنة ذكره وهذا الحديث اخرجه ابو داود
والنسائي وغيرهما وهو حديث صحيح ثم انه قيل هنا ان المنع في الحديث ان كان لاجل الجمع بين الله
وغيره في حكم الاتيان بالواو فالاستشهاد به ظاهر وان كان الامر في المثنيين فهو يدل على النهي
عما يوهم خلاف الحق وترك الادب فيفيد مدعى المص استنباطا فلا يرد عليه ان المنع في الحديث
انما هو لاجل ان مشية العبد متاخرة عن مشية الله تعالى لا للعطف والجمع ايضا في الكلام ايهام
توقف مشية الله على مشية العبد فمنع لهذا لانه على التقديرين يفيد مدعاه ايضا كما مر ثم ان ظاهر
كلام المص يقتضي انه لا يمنع الجمع بين مشية الله ورسوله بالواو وينافيه ما رواه البيهقي رحمه الله
في حديث طويل لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد فان صح خص بما ذكره المص من الطاعة والايمان ونحوه
مما لم يرد فيه نهي فاشتن في بعض الشروح ان قوله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله كان وما لم يشا
لم يكن ناظر لقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله انتج ان ما يشاؤن كائن لا محالة وهو خلف لتخلف
كثير من مشيتهم واجيب بان المعنى ما تشاؤن شيئا كائنا الا ما شاء الله كينونته ومثله الحديث
الاخر اي فهو مثله في التنزيه عما يوهم من العبارة وهو حديث صحيح في صحيح مسلم وسنن ابي داود ومسند
ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخطيب هو عدي بن ابي حاتم كما قاله الطوقي وقال

70 البرهان الحلبي لا اعرف اسمه وقال بعض الحفاظ انه ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الانصار
الصحابي الانصاري الذي يشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وان في عبارة المص مفتوحة
ويجوز كسرها على الحكاية والخطبة مصدر خطب ويطلق على الكلام نفسه وهي معروفة وهذا
الخطيب كان قد خطب قومه عند النبي صلى الله عليه وسلم كما علمت على عادة العرب في الخطب
للامور المهمة وللنكاح قاعدا او قايما وكذا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب للامور ثم حدث
المنبر بعد الهجرة فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد قال في المصباح الرشد الصلاح وهو
خلاف الغي والضلال ورشد رشدا من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل فهو راشد والاسم
الرشاد ويتعدى بالهمزة انتهى وقد قال مثله غيره من اهل اللغة فشين رشد في الحديث مفتوحة
وهو المشهور رواية ويجوز كسرها وروي من باب علم ايضا وهو من الغريب ما حكاه السبكي
في طبقاته ان شهاب الدين بن المرحل قرا على الحافظ المزي رشد بكسر الشين فرد عليه وقال رشد بالفتح
وقال له قال الله لعلهم يرشدون فقال ابن المرحل وكذلك قال فاولئك تحروا رشدا فسكت يعني الحافظ
ان يفعل المضموم مضارع فعل مفتوحا او مضموما والثاني غير محقق فتعين الاول فاجابه بان مصدره
ورد على فعل بالتحريك وهو مصدر فعل المكسور قال ابن هشام والذي في كتاب سيبويه رشد
يرشد كسخط يسخط فجاء السماع على وفق سماع ابن المرحل فلله دره قال السبكي ولا وجه للقياس مع الرواية
فان المروي في الحديث هو المشهور في اللغة انتهى وكذا نقله السيوطي في شرح سنن ابي داود
واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ومن يعصهما قيل اثر المص رواية الوقف على يعصهما ليظهر
منها العقول بان المنع للوقوف وان لم يرض به كما ستراه وقد خفي هنا على المعلقين انتهى قلت
كيف يخفى وقد ذكره الدلجي فلا ينبغي مثله من مثله فقد غوى في النهاية غوى يغوي من باب
ضرب والغي والغواية الضلال والانهماك في الباطل وفي شرح سنن ابي داود وغوى روي
بفتح الواو وكسرها قال عياض والصواب الفتح انتهى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت هو او قال اذهب وفي سنن ابي داود قم اذهب بئس خطيب القوم
انت فان لم يتعدد القصة فبعضها رواية بالمعنى الا ان قوله او قال يقتضي شك الراوي
ويحتمل انه اختلاف في الرواية ان كان القائل غير الراوي الاول وهو معطوف على مقدر
مثله او هو معطوف على الاول فتدبر ولم يكتف بقوله بئس الى اخره حتى زاد طرده للزجر
تنبيها على ان من لا ادب له لا يصلح لصحبته والتكلم بحضرته والمراد بقم ايضا اذهب من مجلسي
كما قال كاس اذا ابصرته في القوم محتشما في الحال قالت له قم غير مطرود واما على الرواية
الاخرى فاذهب بدل من قم مفسر له او باسقاط العاطف اي قم فاذهب وبئس متوف
لجميع الذم كما ستيفا نعم لجميع المدح وقم لما كان المراد به الطرد كما عرفته لم يقتض كونه
قاعدا وهذه الخطبة يخطبها القاعد والقايم كخطبة النكاح ثم قال لعله كان يخطب قاعدا
ولعلها لم تكن خطبة مشروعة كالجمعة فانما يجب فيها القيام لغير عاجز بل خطبة نصيحة
او مفاخرة على عادتهم فقد اخطا في فهم المراد وكيف يتوهم ان يخطب للجمعة غيره بحضرته

صلى الله عليه وسلم قال ابو سليمان الخطابي كره اي النبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية اي كره ان يعبر عنهما بضمير واحد ففيه مضاف مقدر اي تسمي الاسمين بكلمة واحدة
وهي ضمير التثنية في قوله يعصهما والحرف له معان منها الوجه والكلمة المخصوصة ضد الكلمة
ومطلق الكلمة والطريقة قال الازهري في التهذيب كل كلمة تقرا على وجوه من القران تسمى حرفا فيقال
هذا حرف ابن مسعود رضي الله عنهما اي الكلمة التي قراءها او قرائته ومنه الحديث انزل القران
على سبعة احرف في احد الاقوال وللناس فيه كلام كثير حتى افرد بالتاليف واما مجيء الكناية
بمعنى الضمير فاصطلاح كما في الكشاف في اول سورة البقرة وقال الرضي الكناية في اللغة
والاصطلاح ان يعبر عن معنى لفظا كان او معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه اما للابهام
على السامع كجاني فلان او للاختصار كالضماير الراجعة الى متقدم انتهى فحرف الكناية بمعنى
وجه الكناية او طريقة الكناية او كلمتها وهي الضمير وهنا مما لا شبهة فيه وان نوقش
في الاختصار بان بعض الضماير اطول من بعض الظاهر كزيد واياه فقيل بانه اغلبي وعدك
عنه الشريف في شرح الكشاف وعلل بدفع التكرار والامر فيه سهل ثم قال هنا حرف الكناية
الته وهي ضمير الغايب بان اراد معناهما من ضمير واحد والحرف لغوي افرد لارادة الجنس
او لشدة الايصال او لانه الاصل لها وقال الرضي الكناية غير الصريح لدلالته على المعنى بواسطة
المرجع ولا يخفى ان انا وانت فيهما صريح بالمراد وقال التلمساني الضمير مطلقا يسمى كناية من الكن
وهو الستر انتهى فقد نفخ في غير ضرم فانه كيف يعد صريحا وهو صادق على كل متكلم ومخاطب
وانما يدرك صريحا بواسطة خصوص معناه والعجب ممن نقل اطلاق الحرف على الكلمة عن حواشي
الشمسية للعماد ومن تبعه وقال انه اصطلاح منطقي وفي الشرح الجديد ان الكراهة هنا تنزيهية
وكلام الاحيا تقتضي انها تحريمية وفيه ان ثابتا كان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم كما كان
حسان رضي الله عنه شاعره ولما قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وقام خطيبهم
فخطب وافتخر قام ثابت رضي الله عنه فخطب بكلام جزل وهو من كبار الصحابة الانصار شهد
المشاهد وبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة كما ورد في الحديث فكيف يقال له بئس
خطيب القوم انت واجاب عنه بانه لا ينافي ذلك زجر لخطابه بمخالفة الادب لا سيما وقد
ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال شارطت ربي فقال اللهم انما انا بشر فاي
المسلمين لعنته او سببته او اذيته وشتمته فاجعله له زكاة واجرا او رحمة وفي رواية ابي داود
في السنن بدل قوله فقد غوى فانه لا يضر الا نفسه لما فيه اي الجمع من التسوية اللاتي بيان
المراد بها وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث
انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقال النووي الصواب ان سبب النهي
ان الخطبة شانها الايضاح واحتنا بالرمز ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة
اعادها ثلاثا لتفهم لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد في مواضع منها قوله صلى الله
عليه وسلم ان يكون الله ورسوله احب اليه لا سواهما وقال العلائي في كتاب الفصول المفيدة قيل

سيد وعيسى

الحنبلي وابن العربي

في الجمع

٧١

في الجمع بين هذه الاحاديث وجوه منها ان هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه يعطي مقام
الربوبية حقه ولا يتوهم فيه تسويته له بما عداه اصلا بخلاف غيره من الامة فانه مظنة التسوية
عند الاطلاق والجمع في الضماير بين الله وغيره فلذا جاز الجمع بينهما في كلام النبي صلى الله عليه
وسلم الخطيب بافراد لئلا يوهم كلامه التسوية والمخاطب الوفد الذين قرب عهدهم بالاسلام
ومثله قوله لا تقولوا ما شاء الله وشئت الخ ويعلم منه ما في كلام الله بالطريق الاولى ويرد
عليه حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي علم فيه الامة ما يقولونه عند الحاجة فان فيه
من يعصهما فيدل على عدم الخصوصية الا ان يقال يؤخذ من مجموع الحديثين انهم يقولون في خطبة
الحاجة ومن يعص الله ورسوله ولا يجمع بينهما وفيه نظر ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين
انكر على ذلك الخطيب كان هنالك من يتوهم منه التسوية بين المقامين عند الجمع في الضمير ولعل
هذا اقرب مما قبله ومنها ان ذلك الجمع لم يكن على وجه التحتم بل على وجه الندم والارشاد الى الاولى
لما في افراد اسم الله عز وجل من التعظيم له بدليل انه ورد خلافه في الاحاديث وهو قريب مما قاله
الاصوليون من ان الواو لا تفيد الترتيب ومنها ان ذلك الانكار كان مخصا بذلك الخطيب لانه
فهم منه التسوية فيختص عن كان له كذلك ولعل هذا الجواب هو الاقوى لانها واقعة حال وذلك احتمال
الا انه اذا انضم اليه حديث ابي داود الذي علم فيه النبي صلى الله عليه وسلم امته كيفية خطبة
الحاجة قوي الاحتمال ومثله قيل في حديث لا تفضلوني على موسى عليه الصلوة والسلام انتهى اقول
فهذا المقام اضطراب واشكال لان مقصود المص رحمه الله عليه ذكرنا الله على رسوله صلى الله
عليه وسلم وما يدل على رفعة قدره فلما انتهى الى انه رفع ذكره حيث قرنه بذكره وادرج فيه انه
قرن طاعته بطاعته بالواو والشركة عقبه بحديث النهي عن قوله ما شاء الله وشاء فلان وهو يدل
انه لا يجوز العطف بالواو في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم بنا على هذه الرواية والنهي عن عطف
مشيته بالواو دون ثم ثم ترقى الى النهي عن جمع اسم الله وغيره في كلام واحد وهو كلام متجاذب
الاطراف بحسب الظاهر سوا قلنا النهي تنزيهي على الصحيح او تحريمي لكن اذا تاملت كلامه وجدته
مخالفا لما في نفس الامر فان العطف بالواو على اسم الله لا يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم لوروده
على حق غيره صلى الله عليه وسلم كثيرا في القران والحديث ولا مانع منه عقلا وشرعا والحديث
الاول فيه رواية اخرى صحيحة كما مر ما شا الله وشا محمد فلا يكون مؤيدا له بل مخالفا وجمع الضمير
ورد في القران والاحاديث كقوله ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ولما راى الناس هذا
مخالفا له ذهب بعضهم الى التوفيق وبعضهم الى التلفيق فقال بعضهم انه كان في ابتدا الهجرة
ثم نسخ وقيل الخطبة شانها الافصاح وان كلام الرسول جملة واحدة ايقاع الظاهر فيها قليل لغة
بخلاف كلام الخطيب وان النبي صلى الله عليه وسلم لو افرد كان معظما وهو اعظم الناس تواضعا
وقيل انه ادب شرعي مخصوص بغير كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا يرد ما في القران
والحديث وقيل فعله النبي صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز واما الحديث الاول فذهب بعض
المحققين الى انه مخصوص بالمشيته لقوله ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وقوله وما تشاؤن

الا ان يشا الله فانه ندب لتعليق الامور بمشية الله وحده فلا يجوز تشريك غيره مشية الله سوا
في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وغيره الابثم الدالة على التراخي فان نفس مشية العبد بمشية الله
ايضا لانه الذي خلق فيه الدواعي وغاية ما يوجه به كلام المصنف رحمه الله انه مكروه عنده في حق
غير النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان في كلام غير الله وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم من الابهام
وانه لما ذكره في العطف اتى بالمشية وما بعده استطرادا اذا عرفت هذا فقوله لما فيه من التسوية
اي في تثنية الضمير وجمعه تسوية بينهما لانه لفظ واحد متصل لا سيما اذا لوحظ العدول عن العطف
الدال على التفاوت بالتقديم والتبعية ولذا قال ليقل من يعص الله ورسوله وليس في الواو تسوية
عند المصنف رحمه الله كما قيل بل تشريك انا الواو تقتضي التغاير والاستقلال القيامها مقام تكرار
العامل وتقديره معها وقول النحاة العطف بالواو بمعنى الضمير لم يريدوا من جميع الوجوه وقوله ذهب
غيره اي غير الخطابي الى انه كره من الخطيب وقوفه على يعصهما بنا على انه فعل ذلك لغوا وسعال ونحو
فيوهم عطفه على الفاعل فيكون العاصي راشدا وهو فاسد قيل المراد بالوقوف سكتة خفيفة
تقطع النفس لا قطع الكلام مرة واحدة كما مر وانما سكت اشارة لمحل الذم واكتفا بالمقصود
وتنبيها على جواز الحذف او ذهولا ونسيانا ولا حاجة لما تكلف وصرفه عن ظاهره وقوله وقول
ابي سليمان اصح من القول بان الانكار عليه لوقفه لا للجمع في الضمير لان قوله له قل ومن يعص الله
ورسوله صريح فيه واما القول بان الجمع وارد ايضا الى اخره فقد عرفته وما فيه فلا حاجة للتطويل
واما قوله اصح دون هو الصحيح فلان عدم ذكره الوقوف والرد عليه بما مر والرد عليه بما ذكر لا يعينه
لا سيما مع احتمال تعدد القضية وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني قال بعض الشراح لم يرد
بعلم المعاني هنا علم البلاغة المشهور بل اراد من لهم زيادة اختصاص بالبحث عن معاني الكتاب
والسنة غير المفسرين بقرينة المقابلة وجواز ان يراد المعنى المعروف لما فيه من المجاز الذي هو
من مباحثه كما سياتي في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي صلوا ويصلون راجعة
وعايدة على الله تعالى والملائكة املا وفي نسخة وعلى ملائكته ورجع يتعدى بعلى والى والمراد بالرجوع
والعود ارادتهما منه بقرينة ما قبله وهو معروف عند الشراح وهل هنا بمعنى الهمزة فلذا عادلتها ام
كما ورد في الحديث هل تزوجت بكرا ام ثيبا والكلام عليه مبسوط في محله وقوله متعلق باختلف
والتقدير المشهور في امثاله اختلفوا في جواب هل الى اخره اذ لا اختلاف في الاستفهام وانما الخلاف
في الرجوع وعدمه فهل الضمير عايد على الله تعالى والملائكة ام على الملائكة فقط وخبر الجلالة
محذوفا اي ان الله يصلي وملائكته يصلون فاجازه اي الرجوع اليهما بعضهم ومنعه اخرون
لعلة التشريك اي لزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما في عبارة واحدة هو ضمير
الواو وان كان معنى الصلاة في حقهما واحدا كما مر من انه ممنوع لما فيه من عدم رعاية التعظيم الدال
على التفرقة بالتفرقة او بنفسه على ما فيه فان كان هذا التعليل نقل مذهبنا لبعض من منع فذاك كلام
فيه والمص رحمه الله ثقة واجل من ان يكون لم يفهم مرادهم فسقط ما في بعض الشروح من انه
لم يقله احد سواه والمنع له علة اخرى مذكورة في كتب اصول الفقه وهي لزوم استعمال اللفظ

سيد

سيد

المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز فانهم قالوا الصلوة من الله رحمة ومن الملائكة
استغفار ومن الادميين تضرع ودعا فان كانت هذه معان حقيقية لزم الاول والا بان يكون
في واحد منها حقيقة وفي غيره مجاز لزم الثاني واجيب بانه على تسليم صحة النقل من عموم المجاز وهو
استعماله في معنى عام مجازي شامل لهما على الاحتمالين او من عموم المشترك فلا يلزم ما ادعاه
المجوزون الذين استدلوا بهذه الاية وبان المنع على ما ادعاه المص انما هو في غير الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم في مقام يوهم تسوية الله بغيره لانه حق لهما يفعل الله فيه ما يشا ويجعله على من يشاء
وهو لا يسال عما يفعل كما مر تحقيقه وقد صرح به القرطبي في تفسيره هنا وفي تفسير القاضي لقوله تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملائكته يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم
والمراد بالصلوة المعنى المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعاد من الصلوة
بمعنى الدعا وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري
وفي دقايق المنهاج للنووي ان التفسير المذكور للصلاة شرعي وكلام شيخ الاسلام زكريا يقتضي
انه لغوي واعلم ان في تفسير الصلوة السابق كلاما لنا فيه رسالة مستقلة وليس هنا محلها
فحسبك من القلادة ما احاط بالجيد وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي
وملائكته يصلون اي من ذهب الى ان لعلة التشريك ولم يجوزه مطلقا خص الضمير بالملائكة
وقدر في الاول خبرا فالتقدير عنده ان الله يصلي وملائكته يصلون فحذف من الاول ما يدل
على الثاني على عكس المشهور في الحذف والتقدير ولكن مثله جايز ان قرئ بنصب ملائكته عطفا
على اسم ان فان رفع تعين كونه كذلك وعلته عند المص رحمه الله الهروب من التشريك
وعند غيره ما مر وكون الحذف من الاول لدلالة الثاني عليه ضعيف غير مسلم مع انه
قيل عليه ايضا انه على هذا التقدير وان اندفع التشريك لم يندفع ايهامه بحسب الظاهر
من اللفظ وقد روى عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله من فضيلتك خبر مقدم وعند متعلق به
وان جعل مبتدا مؤخر والعكس بجعل من التبعيضية لكونها بمعنى بعض مبتدا خرق
للسياج من غير احتياج وان ذكره بعضهم في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا كما مر وهذا
الحديث قال المخرجون انهم لم يجدوه في شيء من كتب الحديث وان ورد ما هو بمعناه في صحيح
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني وقال تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين هذا يحتمل ان يكون استينافا من المصنف رحمه الله
ويحتمل ان يكون من كلام عمر رضي الله عنه ايضا وهو المقصود بالذكر هنا وانما نقل اول
كلامه ليكون مذكورا بتمامه فلا يرد عليه ما قيل من انه قد سبق بلفظه فلا فائدة فيه
غير الاطالة وقيل انه لا تكرار فيه على كلا التقديرين لاختلاف المقامين فانه اولا ذكر
اقتران اسمه باسمه وطاعته بطاعته لرفع ذكره واعلا قدره وذكره هنا لان الله عظمه

ومن تولى فما ارسلناك عليهم [illegible]

لانه مبلغ والله هو الامر فكانت طاعته في اوامره
ونواهيه طاعة الله روي انه صلى الله عليه وسلم
قال من احبني فقد احب الله ومن عصاني فقد عصى الله
فقال المنافقون لقد قارنا الشرك وهو ينهى
عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت

نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه بغوى

دلجي

عرضي

مع تأدبه مع ربه بجعل طاعته نفس طاعته ولا يخفى انه لا يحصل له نعم لك ان تقول
ان ما نحن فيه ابلغ مما مر فيكون ترقى فى مدحه لا قتران شئ بشئ دون كونه عينه بحيث
لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر وان من عصى النبى صلى الله عليه وسلم عصى الله فان كان
هذا مراده فرحبا بالوفاق وعلى كل حال فليس فى ذكرهنا مع ما مر كبير فائدة فلو اقتصر على ما
حصل المراد وقال القاضى فى تفسيره المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه بحيث
يحملها على ما يقربه اليه والكمال الحقيقى ليس الا لله عز وجل وان ما يراه العبد كمالا من نفسه
او من غيره فهو من الله وبالله والى الله فلا ينبغى المحبة الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة
طاعته والرغبة فيما يقربه له فلذا فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته ونهنا علمت وجه الملازمة فى الشرطية وقال الامام
اتفق المتكلمون على ان المحبة نوع من انواع الارادة وان الارادة لا تعلق لها الا بالحوادث
والمنافع فيستحيل تعلقها بذاته وصفاته فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وثوابه
ونحوه واما محبة الله له فهى عبارة عن ارادة الخير له فى الدارين ونقل الشارح الفاضل ان العارفين
قالوا بان العبد يحب الله لذاته واما حبه لشئ اخر فدرجة نازلة والقول الاول ضعيف
لانه لا يمكن ان يقال ان كل شئ انما كان محبوبا لمعنى اخر اذ لا بد من الانتهاء الى شئ يكون محبوبا
لذاته فكما نعلم ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك نعلم ان الكمال محبوب لذاته فمن سمع اخبار رستم
فى شجاعته مال قلبه اليه مع القطع بان محبته معصية فعلمنا ان الكمال محبوب لذاته وكل
الكمال لله فيقتضى انه محبوب لذاته من ذاته وقيل المراد هنا ان صدقتم فى دعوى المحبة
فاتبعونى فان اتباعى علامة ذلك فاذا اتبعتمونى يزيدكم الله فضله فيحبكم فنعم الملازمة
او هو امر اعتبارى اى انما تعتبر محبتكم باتباعى او هى قضية اتفاقية او بواسطة قضية
ضرورية عرفية اقول هذا محصل ما قالوه وفى الشرح الجديد هنا كلام طويل من غير طائل
والحق الحقيق بالقبول ان المصنف رحمه الله تعالى قصد مما ذكر ان الله رفع ذكره وطاعته
فى نفخ كره وطاعته ان يبين ان طاعته تقتضى محبة الله تعالى ورضوانه الذى هو اكبر من جميع
ما مر لان محبته الله واجبة اذ بها يكمل الايمان فانه لا يؤمن احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه
ومحبته لا يكون الا بطاعته ان المحب لمن يحب مطيع وطاعته انما تكون بطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم اعظم ما مور به لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومتابعة الرسول
صلى الله عليه وسلم اتباعه فى اوامره ونواهيه فاذا كان هذا تحقق محبة الله ومن احبه الله
احبه لا وحق الخضوع عند التلاقى ما جزا من يحب الا يحب وبهذا علمت ان ذكر اية
الطاعة امر لازم هنا ليتم الدليل على انه صلى الله عليه وسلم احب الخلق الى الله تعالى لانه
يحب من اتبعه فادعا التكرار من قصور الانظار وما بعده من فنون الديباج وترقيعه بالحشيش
وبهذا عرفت محبته معنى محبة الله لعبده ومحبة عبده له وروى كما رواه ابن الجوزى عن ابن
عباس رضى الله عنهما وابن المنذر عن مجاهد وقتادة انه لما نزلت هذه الاية قالوا اى الحا

قوله من الله اى حدوثه وبالله اى تعلق به والى الله اى ماله ومرجعه اليه ولله اى لاجله او المختص به وفى الله اى جهاته وهما متقاربان شهاب

ابن الحنبلي

سيد

ومحبة العبد الله تعالى حالة يجدها عبد فى قلبه تلطف عن العبادة وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له وايثار رضاه وقلة الصبر عنه والاحتياج اليه وعدم القرار من دونه ووجود الاستيناس بدوام ذكره له بقلب ارشاد المريدين للسهروردي

ط

تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا العمرى فى الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب

٢ ع

كما قيل

والمنافقون

والمنافقون والقائل منهم عبد الله بن ابى بن سلول لعنه الله نزل قوله منزلة قولهم كلهم لعظمته
عندهم ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى صلى الله وسلم فانزل الله تعالى
قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم الحنان بفتح الحا المهملة بعدها نون
مخففة يليها الف ونون ومعناه الرحمة والعطف ومنه قوله وحنانا من لدنا وقال ابن عباس
رضى الله عنهما ما ادرى ما الحنان وفى النهاية ان ورقة مر ببلال رضى الله عنه وهو يعذب فى الله
فقال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا والحنان الرحمة والعطف والرزق والبركة اى لاجعلن
قبره موضع حنان اى مظنة رحمة وبركة فاتمسح به كما يتمسح بقبول الصالحين الذين قتلوا
فى سبيل الله من الامم الماضية والمعنى على هذا هنا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يجعلنا
ممن نتبرك به ونخضع له خضوعا يودى لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلوة
والسلام لان محبته الله بالاطاعة والخضوع له بالعبادة وقد جعل اتباعه يتوقف عليه محبة الله
قيل وفيما ذكره صاحب النهاية نظر لان بلالا رضى الله عنه انما عذب بعد ما اسلم وورقة مات قبل
البعثة وفيه تامل فانه قيل ان القائل ذلك زيد بن عمرو بن نفيل واما قول المعترض ان ورقة اسلم
قبل البعثة فليس بصحيح لما فى البخارى مما يخالفه صريحا وانما الذى لم يدرك البعثة زيد المذكور
والنصارى مفردة عند سيبويه نصران ومؤنثه نصرانة ولم يستعمل بيا النسبة وقال الخليل
واحده نصرى كمهرى ومهارى وقيل هو منسوب الى نصرة وهى قرية نزلها عيسى عليه الصلوة
والسلام وقال قتادة هى ناصرة ولكنه غير فى النسب ونصارى ممنوع من الصرف للالف وهم
قوم عيسى عليه الصلوة والسلام وقد افترقوا فرقا بسبب بولس المفصلة فى التواريخ وذكرها
هنا التلمسانى ايضا وعيسى بن مريم ابنة عمران بن ماثان قال التلمسانى لم يذكر الله امرأة فى القران
باسمها الا مريم ذكرها فى نحو ثلاثين موضعا والحكمة فيه ان الملوك والاشراف لا يذكرون حرائر
زوجاتهم باسمائهن بل يكنون عنهن بالاهل والعيال ونحوه فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا ولم يحتشموا
عن التصريح فلذا صرح باسمها اشارة الى انها امة من اماء الله وابنها عبد من عبيد الله ردا على اليهود
الذين قالوا فى عيسى عليه الصلوة والسلام ومريم ما قالوه وهو كلام حسن جدا وعيسى ليس مشتق
من العيس بمعنى البياض لانه اسم اعجمى معرب والاشتقاق مختص بكلام العرب وان كانوا اذا عربوه
الحقوه بكلامهم وتصرفوا فيه فقد يفرضون اشتقاقه لبيان وزنه وحكمه وعيسى عليه الصلوة والسلام
رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة سنه او اربع وهو الاشهر عند المفسرين والمحدثين وقيل ثمانون
سنة وقيل مائة وعشرين سنة كما نقله ابن حجر فى الاصابة واختلف ايضا فى مكثه فى الدنيا بعد
نزوله من السما فقيل سبع سنين وقيل اربعين سنة وقيل غير ذلك ونزول الاية ردا لما قالوه لان
بطاعته وتوقيره بما يليق به فيه تكذيب لهم وتسفيه ورغما بالراء المهملة والغين المعجمة والميم مثلثة
الراء الذليل وقهر واكراه واصله من الرغام وهو التراب لان المهان يسحب فى الارض على التراب ثم عم
فقيل ارغم الله انفه ورغما عليه اى قهرا وذلا وغيظا وهو منصوب مفعولا له اى ارادة ذلك بهم
وتحصيله وفيما ذكر من تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتذليل اعدائه اتم مناسبة بفرض المصنف

٧٣

ابن الحنبلي

ابن الحنبلي

لقوله عليه الصلوة والسلام هى شفاء لكل داء

رحمه الله تعالى هنا وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في سورة ام الكتاب وهي سورة الفاتحة ولها
اسما كثيرة مذكورة مبينة في محلها لا حاجة لنا بذكرها هنا ووجه هذه التسمية فيه وجوه اشهرها انما سميت
لانها مبدوه ومفتتحة فكانها امه او لاشتمالها على مقاصده اجمالا ووجه التسمية لا يلزم اطراده مع ما فيها
من المبحثات وفيه تحقيقات تكفلت بها شروح الكشاف فعليك بها ان اردتها اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري تقدمت ترجمته واما ابو العالية فهو اسم مشترك
والذي رجحه الشراح انه رفيع بن مهران التابعي الذي اسلم في خلافة الصديق رضي الله عنه فانه خرج له
الشيخان وله تفسير مات في سنة تسعين على الصحيح وقيل هو زياد بن فيروز البرا بتشديد الرا المهملة
لانه كان يبري النبل وهو ايضا ممن خرج له الشيخان ومات في سنة تسعين ايضا وتردد بعضهم
في المراد به هنا ورفيع بالتصغير كما قاله النووي في تهذيبه الرياحي نسبة لامراة من بني رياح اعتقته
سايبة فهو مولاها اسلم بعد عامين من موت النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه اصحاب الكتب
الستة ومعنى السايبة ان يعتق ويترك ولاؤه وميراثه طلبا للاجر وهذا مما كان في الجاهلية ونهي
عنه في الاسلام وهذا مما اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما وصحح
ورواه الحسن البصري كما ذكره المصنف رحمه الله وتسميتها ام الكتاب وام القران على طريق الاستعارة
ماثور مشهور وان اطلق الاول على غيره كاللوح المحفوظ والقول بان هذه التسمية مكروه مما لا يلتفت
اليه وان ذكره بعضهم تكثيرا للسواد قيل وانما صرح المصنف رحمه الله باسم السورة مع ظهوره وكونه
على خلاف عادته فيما نذكره من الايات لما فيه من تعظيم الله له واعتنائه بشانه حيث ذكره في اول
كتابه ومبدا خطابه الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه
جملة اهدنا الدعائية بيان للمعونة المطلوبة والكلام على الهداية وتعديتها ومراتبها مفصلة بحواشينا
في تفسير القاضي والصراط جادة الطريق من السرط وهو الابتلاع ومثله تسميته لقما وقرئ بالصاد
وبالسين وباشمامها زايا خالصة في رواية ضعيفة وهو يذكر ويؤنث والمراد به هنا طريق الحق وهو
ملة الاسلام او القران او الايمان وتوابعه او الاسلام وشرايعه او السبيل المعتدل وطريق النبي صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما او النبيين عليهم الصلوة والسلام او طريق الجنة او طريق السنة
والجماعة او طريق الخوف والرجا او جسر جهنم وهذا ما عليه اكثر المفسرين وقال الامام السهيلي ويرد على
بعضها ان المراد بهذا ما بعده من قوله صراط الذين الخ قلت ليس متفق عليه نعم يرد على ما ذكره المصنف انه
اذا فسر بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يصير المعنى اهدنا النبي وصحبه ولا معنى له الا بتقدير
طريق النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وفيه ركاكة لا تخفى ولذا قيل الظاهر على هذا انه شبههم بالطريق
الحق في ايضاله للمطلوب اي اهدنا اياهم لنومن بهم ونتبعهم وقيل سمي المرشد للطريق طريقا تسمية
للدال باسم المدلول اي المسبب فهو مجاز مرسل كما قيل وفي المعالم حكاية هذا القول بلفظ طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو اما رواية او اشارة الى حذف مضاف فيه كما ذكر والمستقيم المستوي من غير
اعوجاج والاستقامة تكون حسية ومعنوية وقوله اصحابه يجوز فيه الرفع عطفا على رسول الله
اوخيار ورجح هنا لما سياتي والجر عطفا على اهل بيته وبه جزم في المغني فالمعنى خيار اصحابه والاضافة

وسورة الكنز والوافية والكافية وسورة الحمد والشكر والدعا وتعليم المسئلة والصلوة والشافية والشفاء والسبع المثاني لانها سبع ايات وتثنى في الصلوة او الانزال قاسمي

عرضي

سيد

عرضي

بيانية هنا وهنالك انجميع اهل بيته واصحابه خيار عدول حتى من لابس الفتن منهم لاجتهادهم
وعلى عدالتهم مشى ابن الهمام في تحريره وجزم به العراقي وابن عبد البر وعليه الاكثر وحكى اجماع
اهل السنة والجماعة عليه ويجوز ان تكون الاضافة لامية سواء جعلت الخيرية بمعنى العدالة
ام لا لتفاوت مراتبهم فيها والنعمة لين العيش وخفضه واصلها من النعومة وهمزة انعم للتصيير
وهو احد معاني صيغة افعل وهي نحو اربعة وعشرين معنى حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وقد
تقدمت ترجمته وهذا الاثر رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه
وحكى مكي نحوه عنهما وهو ابو محمد بن ابي طالب شيخ الصوفية واهل السنة المتبحر في التفسير
وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت كتاب جليل توفي بقرطبة سنة سبع وثلاثين
واربعمائة واصله من القيروان ولد بها ثم انتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وبها توفي ودفن وقال
مكي هو اي الصراط المستقيم في الفاتحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه العطف
اما تفسيري فالجملة مبينة للمحكي او هو قول اخر فمكي فيه قولان وليست الجملة مستانفة الا ان يراد
انها معطوفة على جملة مستانفة وقوله ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بدل من صاحبيه او عطف
بيان وابو بكر رضي الله عنه افضل الصحابة واسبقهم في الصحبة وهو افضل من طلعت عليه
الشمس بعد النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق اهل السنة ولا عبرة بخلاف الشيعة فيه اسلم
هو وابواه وابنه وحفدته وهو الصاحب في الغار وفي السفر والجهاد ولم يزل ملحوظا بعين الرضى
موحدا لم يسجد لصنم قط وقال ابو الحسن الاشعري لم يزل بعين الرضا منه وقد اختلف في مراده
فقيل لم يزل مومنا قبل البعثة وبعدها وقيل لم يزل بحالة غير مغضوب عليه فيها لعلم الله بانه
سيؤمن ويصير من خلص الابرار وقال السبكي لو كان كذلك ساواه كثير من الصحابة رضي الله
تعالى عنهم في ذلك وهذه العبارة لم تثبت عنه والصواب ان يقال لم يثبت عنه كفر بالله قلت
هذا هو المعنى الاول بعينه والذي اراه انه خير منه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد انه لم يفارقه
طرفة عين ولم يخالفه ببنت شفة ولهذا استحق التقدم على غيره وتوفي سنة اربع عشرة وله اربع
وستون سنة وعمر هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن
عدي بن كعب بن لوي بن غالب القرشي العدوي ابو حفص امير المومنين روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم احاديث كثيرة وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين وقد صنف ابن كثير كتابا مستقلا
في ترجمته وسيرته وما روي عنه مات رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين وعمره ثلاث وستون
على المشهور وفضايله غنية عن البيان وحكى ابو الليث السمرقندي تقدمت ترجمته مثله عن ابي
العالية السابق ذكره والمراد بالمماثلة مشاركته في تفسير الصراط بالنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الله عنهم وان اختلف في تخصيص الاصحاب وعدمه في قوله صراط الذين انعمت عليهم
هو بدل مما قبله او عطف بيان وعين الاول وقال السبكي رحمه الله من الغريب ما قيل انه غير الاول
مكانه على راي من يجوز حذف حرف العطف واختلف هل لله على كافر نعمة فاثبتها المعتزلة ونفاها
غيرهم وتاء انعمت للفاعل استعطاف لقبول الدعا بالهداية وغير وصف عند سيبويه وبدل

من الذين عند ابي علي ومن الضمير عند غيره على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة والايمان والسلامة من غضب الله انتهى فالمراد عند هذا القائل بالذين انعمت عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته وصحبه فهو بدل وهذا التفسير مع ما سبق على الاحتمال والبدل فلا حاجة الى القول بان ابا العالية هنا غير القائل بان الصراط النبي صلى الله عليه وسلم فيما سبق لتنافيهما ولا يخفى ان قوله مثله يا باه قال اي ابو الليث فبلغ ذلك اي سمع هذا التفسير الحسن السابق ذكره فقال صدق والله ونصح اي صدق ابو العالية فيما قاله وانه تفسير للاية والقسم لتاكيد صدقه وجزمه بما قاله او غلبة ظنه وقال بعض الشراح اكثر المفسرين على ان المنعم عليهم في هذه الاية هم المذكورون في قوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقول ابن عباس رضي الله عنهما واذا نظرت الى قوله وحسن اولئك رفيقا وجمعت بينه وبين قوله صراط الذين انعمت عليهم تجده شرحا له لان الصراط الطريق وهو يحتاج للرفيق وفي الحديث خير الرفقاء اربعة يعني قوله من النبيين والصديقين الى اخره فانهم اربعة وهذا مما نبه عليه الامام السهيلي

اقول ونحوه من اللطايف ما قاله الخوي تلميذ الفخر الرازي في كتاب له سماه اقاليم التعاليم ان بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى حقيقته الكاملة التي لا يحيط بها ادراك مدرك وهو الله في الازل خلق برحمته ولهذا لا يقال رحمن لغيره ثم بعد الخلق ابقى المخلوق بالرزق ورزقه بالرحمة فهو رحيم اي له رحمة بها يرزق ولذا قيل لغيره رحيم لانه قد يجري الرزق على يد غيره فهو اذا رحمن رحيم خلق ورزق فتمت نعمته فوجب شكره فلذا قال الحمد لله رب العالمين ثم انه تعالى فطرة اخرى بعد الموت والفوت بخلق المكلفين كما كانوا ويرزقهم في الدار الاخرة فهو رحمن رحيم كما كان فلذا قال مالك يوم الدين فاذا تبين انه الخالق الرازق اولا واخرا فلا عبادة الا له فقال اياك نعبد ولما كانت النعمة لا تغني ولا يفي بها الشكر من عبادة الضعفاء قال اياك نستعين لتكون العبادة كما يرضى لعبادة ويليق بجلاله فاذا عبدناه واعاننا ينبغي الوصول اليه ليحصل الشرف الاقصى بالمثول بين يديه وذلك بسلوك طريق يوصل اليه فقال اهدنا الصراط المستقيم ومن اراد سلوك طريق بعيد لا بد له من رفيق فقال صراط الذين الى اخره اي النبيين والصديقين فهم احسن الرفقاء ثم اذا وجد الطريق يخيف قطاع الطريق فقال غير الى اخره واذا امن منهم خيف الضلال في الطريق لاشتباه معالمه فقال ولا الضالين انتهى وحكى الماوردي السابق ذكره ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المدني وهو روى عن ابيه وابن المنكدر وروى عنه اصبغ وقتيبة وهشام وضعفوه وله تفسير وترجمة في الميزان واخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وثمانين بعد المائة وفي تفسير الصراط بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعه من الثنا والتعظيم ما لا يخفى لا سيما ذكره في ام الكتاب ومبدئه الواجبة قراءته في كل صلوة وهو ستر ذكر اسم السوء على خلاف عادته كما مر وحكى ابو عبد الرحمن السلمي مر ذكره وترجمته عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم اول الاية فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد الخ والطاغوت ما يعبد من دون الله وقيل الشيطان وفي وزنه

التلمساني وابن الحنبلي

واشتقاقه

15

واشتقاقه كلام في التفسير واستمسك مبالغة في التمسك وامسك وتمسك واستمسك بمعنى والعروة في الاصل النبات في الارض ويقال لما تعقد في الحبل ليدخل فيه اليد للتمسك ومنه عروة القميص والكوز ثم استعيرت لكل ما يعتصم به ويلجا اليه ووثقى فعلى من الوثاقة وهي الاحكام والشد الوثيق الربط المحكم الذي لا انفصام له اي لا انقطاع والانفصال فاذا اريد بها النبي صلى الله عليه وسلم فهو استعارة ومجاز على المجاز لشهرة الاول وللسخافة بالحقيقة والمراد من صدق وامن به سلم من كل سوء في الدنيا والاخرة فهو استعارة تصريحية والاستمساك ترشيح او استعارة تبعية فان فسرت بالتوحيد والاسلام كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري فالمراد ان نفعه والسلامة بسببه محكمة متصلة في الدارين وصاحبه امن من السقوط والانقطاع وقوله عن بعضهم قال بعض الشراح لم يسم ولم ار وجها لاستبعاد ما ذكر مع صحته وظهور وجه التجوز فيه وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد اي قال بعضهم هذا معنى العروة الوثقى وهو ظاهر مما مر وشهادة التوحيد قول اشهد ان لا اله الا الله وقريب منه تفسيره بلا اله الا الله وهي كلمة التوحيد اي الايمان بوحدانية الله تعالى قيل واول هذين القولين الصق بقوله فمن يكفر بالطاغوت الخ وعليهما ففيه ثنا على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويلزمه الثنا عليه نفسه والظاهر عند المجاز غيره وان الاية استعارة لعقده لنفسه عقدا وثيقا لا نزاع معه قدمه ومن شان العرب تشبيه المعاني بالذوات المرئية فيشبه في الاية التمسك بالدين بالتمسك بعروة وثيقة لا تنقطع ونحوه قول السعد في شرح الكشاف شبه التدين بالدين الحق والثبات على الهدى والايمان بالعروة الوثقى في الحبل المحكم المامون من انقطاعه فذكر المشبه به واريد المشبه ولا يمتنع كون العروة استعارة للعهد او الكتاب كما في قوله واعتصموا بحبل الله انتهى وعد هذا اقرب من استعارته لذات النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد عليه شيء مما مر قال سهل هو سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم ففي هذه الاية بلاغة عظيمة حيث قال نعمة الله ولم يقل نعم الله والنا للوحدة بحسب الاصل والعد يقتضي الكثرة ولذا قال الحساب الواحد ليس بعدد الا انه قديم ويستغرق نوعيته او جنسيته فذلك ان تقول فيه ايما الى ان النعمة الواحدة ولو كانت الوحدة حقيقية تشتمل على نعم لا تحصى فالصحة نعمة واحدة مثلا وهي تشتمل على صحة كل جزء جزء في كل حين ظاهرا وباطنا فلو اراد احد تفصيلها عجز وفي حواشي المطول للسيد اي المعنى ان تتزعوا في عدا فراد نعمة من نعمة الله لا تطيقون عدها وانما اتى بان وعدم العد مقطوع به نظرا الى توهم ان يطاق انتهى واصل معنى الاحصا العد بالحصا وكانت العرب تفعله كما قال الاعشى ولست بالاكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر ثم صار حقيقة في العد مطلقا والمراد هنا الحصر والاستقصاء لان ما ليس كذلك لا يعد والا لكان المعنى ان تعدوا نعم الله لا تعدوها والمراد ان تريدوا عدها وقوله قال الاعادة تاكيد اللاول وللفصل بين كلام الله وتفسير والقائل هو سهل والنعمة تكون بمعنى الانعام والمنعم به فان اريد الاول فالبا للتعدية

دلجي

ابن الحنبلي

تقول انعم عليه بكذا ومحمد صلى الله عليه وسلم هو المنعم به لانه النعمة العظمى لكونه رحمة
لسائر الخلق لما وقع فى نسخة مروية عن المص بنعمة محمد من غير با وان اريد الثانى فالبا سببية
فالمعنى نعمته كاينة بسببه او انعامه فيه فوايد ومنافع لا تحصى فلا منافاة بين عدم الاحصا
وكون المنعم به محمدا صلى الله عليه وسلم فلا وجه لما قيل من انه من اعظم النعم والمراد بالمعنى
الاعم المتناول لها بقوله لا تحصوها والا فالنعمة به من اعرف المعارف المعلومة والاحصار
انما يكون فى المعدود لقوله واحصى كل شئ عددا انتهى واضافة نعمة يجوز ان تكون للعهد
والاستغراق لان الاضافة تاتى لما تاتى له اللام كما تقرر فى الاصول فعدم الاحصا لها او
لما يترتب عليها وقال تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن
عند ربهم ذلك جزاء المحسنين الايتين اكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق وهو محمد
صلى الله عليه وسلم وفى المراد بالذى هنا تفاسير منها انه محمد صلى الله عليه وسلم وعليه
اكثر المفسرين وهو فى غاية الوضوح واقتصر عليه المص رحمه الله لمناسبته لما عقد له الفصل
من المدح والثنا عليه بانه صادق مصدق وقيل هو جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل
انه مفرد لفظا جمع معنى لان تقديره الفريق والجنس الذى بعضه جا بالصدق وهو النبى صلى الله
عليه وسلم وبعضه صدق به وهم المؤمنون وقيل معنى جا بالصدق امن بالصدق الذى
هو لا اله الا الله او القران فاولئك هم المتقون مبنى على ان المراد هو ومن تبعه كما فى قوله
تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وتنزيل الواحد منزلة الجماعة تعظيما له
وقال التفتازانى الاوجه ان يراد بالثانى النبى صلى الله عليه وسلم والامة فاولئك على
ظاهره وفيه نظر واختلف فى تفسير الذى صدق به كما اشار اليه المص رحمه الله بقوله
وقال بعضهم وهو اى محمد صلى الله عليه وسلم الذى صدق به المراد بالبعض ابن عباس رضى الله
عنهما لانهم نقلوا هذا التفسير عنه ومعنى صدق به امن به كما فى الكشاف وفى المعالم معناه
صدق الرسول به اى بلغه الى الخلق وقال البيضاوى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل
او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه انتهى وقيل فى هذا خفا الا ان يقال معناه
جعل الخلق مصدقا به وهو بالتبليغ فليتامل وقيل ضمير به للصدق فيتناول الرسول
والمؤمنون والذى مبتدا خبره اولئك وهذه الايات قد دلت على انه صلى الله عليه وسلم
جا من عند ربه بصدق قد دلت معجزاته على صدقه قطعا وان صدق جبريل عليه الصلوة والسلام
فيما اتاه به ووصفه بانه متق وحصر التقوى فيه لان المراد به تقوى كاملة لا تنبغى لغيره والحصر
من تعريف الطرفين وفيه مدح عظيم له واعلم ان الذى قد ياتى بمعنى الذين ويغنى عنه فى غير تخصيص
كثيرا اذا اريد به الجنس لا افرادا منه مخصوصة فلفظه مفرد ومعناه جمع لتقدير موصوف له
مفرد اللفظ مجموع كالفريق ونحوه كما مر فى شرح التسهيل التقدير فى هذه الاية الجمع او الفريق الذى
جا الى اخره فله جهتان بحسب اللفظ والمعنى روعى اللفظ فوصف بالمفرد وروعى المعنى فعاد عليه
ضمير الجماعة كقوله كمثل الذى استوقد نارا وليس الذى اصله الذين فخفف بحذف النون كما جوزه

بعض

دلبی

سيد
عرضي

76

بعض النحاة لانه لو كان كذلك لم يجز افراد عايده فان اريد بالموصول جماعة معينة لم يجز افراده
الا نادرا كقوله وان الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد قاله ابن مالك
فى شرح التسهيل وقرى فى الشواذ والقارى هو عكرمة ابو صالح وصدق على التخفيف قال فى المصباح
صدق خلاف كذب وصدقته يتعدى ولا يتعدى وصدقته بالتثقيل نسبته الى الصدق وقلت له
صدقت انتهى والصدق يكون فى الافعال ايضا فيقال لحملة حملة صادقة كما قاله الراغب اى اخبر
عن الله بما هو صحيح نسبته الى الله مطابق لما فى الواقع وهو معتقد ايضا ومصدق به فانه قد
يقول انسان امرا واقعا لا يعتقده كقوله الدهرى العالم حادث اوجد الله او المراد انه صدق
فى تبليغه الوحى كما انزل اليه وقيل المعنى انه صادق بسببه لكونه معجزة له فسقط ما قيل من انه
مكرر مع قوله الذى جا بالصدق والتاسيس اولى من التاكيد مع ما فيه من الخطا وترك الادب
لان القراة لا يعترض عليها ولو كانت شاذة وقال غيره وفى نسخة قال غيرهم الافراد نظرا الافراد
لفظا البعض والجمع نظرا الى المعنى لانهم جماعة والقايل قتادة ومقاتل الذى صدق به المؤمنون
يعنى على القراتين وتفسيرا الذى جا بالصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم فاخبار باولئك
الى اخره على ظاهره لكنه كما قيل يلزم فى تقدير موصولا اى والذى صدقوا به وهو ممنوع عند
بعض النحاة وجوزه اخرون وقال انه الحق رواية ودراية اذا دل عليه دليل ومن قوله تعالى
وقولوا امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم اى وما انزل اليكم وقول حسان رضى الله عنه فمن يهجو
رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم ويمدحه وينصره سواء وارتضاه ابن مالك والمانعون
يمنعون تخريج الاية عليه ويقولون هى حالية بتقدير قد ويقولون الذى بمعنى الجنس الذى الخ
من غير حاجة الى التقدير وقيل ابو بكر رضى الله عنه وقيل على كرم الله وجهه وقيل غير هذا
من الاقوال كتفسيره بجبريل وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جا بالصدق وصدق به
المؤمنون الذين يجيئون فى القيمة بالقران يقولون هذا هو الذى جا بالصدق وقد اتبعناه
واما تخصيص ابى بكر رضى الله عنه فلانه الصديق الاكبر الذى سبق الناس كلهم لتصديقه
عليه الصلوة والسلام ولم يصدر عنه غيره قط وكذا على كرم الله وجهه فانه يسمى الصديق
الاصغر الذى لم يتلبس بكفر قط ولم يسجد لغير الله مع صغره وكون ابيه على غير الملة ولذا خص
بقول على كرم الله وجهه وقيل تخصيصها للاولية فى التصديق والتصديق فى ولاء اللقا وهذا
منقول عن مجاهد ولا يرد على هذا ولا على ما قبله انه يلزمه حذف الموصول بدون الصلة
او ان يراد بموصول مع صلة شئ ومنه مع صلة اخرى لان الموصول هنا واحد لفظا جمع معنى
بتقدير موصوف كذلك كفريق ونحوه والصلة له على التوزيع اى جمع بعضه جا به وبعضهم
صدقه فلا محذوف فيه كما ذكره الطيبى وهذا جار فى الوجه الاخير اذ لا مانع منه فلا وجه لقول
القاضى ومن تبعه انه اذا كان الجائى النبى صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر ونحوه يلزم
اضمار الذى وهو غير جائز مع انه ذكر هذا فى الوجه السابق وليس بينهما فارق والفرق بانهما
فردان متشخصان هنا لا يجرى نفعا لما مر ولا حاجة الى ان الذى اصله الذين فخفف بحذف النون

عرضي

لطوله بالصلة اقول الذي عزهولاان الذي لايراد به متعدد الا اذا كان غير مخصص بمعنى قال
في التسهيل يعني عن الذين الذي في غير تخصيص كثيرا وفيه للضرورة قليلا انتهى وعن مجاهد قال
السيوطي رواه عنه ابن جرير وابن ابي حاتم ومجاهد من كبار التابعين وهو ابو محمد بن جبر بفتح
الجيم وسكون الموحدة والرا المهملة المقرى المفسر الزاهد العابد روى عنه اصحاب السنن
وغيرهم ووثقه المحدثون كما ذكره الذهبي في ترجمته ومولده في خلافة عمر رضي الله عنه سنة
احدى وعشرين وتوفي بمكة سنة اثنتين وثلاث ومائة وهو ساجد وقيل كنيته ابو الحجاج
وان اسم ابيه جبير بالتصغير وقيل انه راى هاروت وماروت فكاد يتلف في قوله تعالى
الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم
قيل انه مبالغة لكونه سببا للذكر امر به جعل عين الذكر كرجل عدل او على تقدير مضاف اي
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله ذكر رحمة ربك ولا وجه لما قيل من انه بعيد خارج
عن النص وافراده على المعنى الاول نظرا الاصله فانه يستوي فيه الواحد المذكر وغيره والاطمينان
القلب سكونه وعدم اضطرابه يقال اطمأن بالموضع اذا اقام به واتخذه وطنا وموضع مطمئن
منخفض واختلف اهل اللغة فيه فقيل ان اطمان كاحمار ثم همز وقيل كانت الهمزة مقدمة على الميم
فقلبت والمشهور ان الذكر على ظاهره واطمينان القلب به لاستيناسه به والتعبير بالمضارع
للاستمرار التجددي لدوام ذكره وروى عن مجاهد ايضا ان المراد بذكر الله هنا القران وفي الحديث
القدسي اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بذكري جعلت همه ولذته في ذكري اللهم اجعلنا
ممن يطمئن قلبه بذكرك ويكون همته مصروفة بحمدك ولشكرك الفصل الثاني في وصفه تعالى
له بالشهادة اي بانه صلى الله عليه وسلم شاهدا على امته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم
بتبليغ انبيائهم لهم وفي بعض النسخ الصحيحة في وصفه له تعالى بتقديم له والمعنى ظاهر وليست
احدى النسختين جديرة بالحك والحكم بالسقم كما قيل لظهور المعنى وان ضمير وصفه والمستتر
في قوله تعالى لله وضمير له للرسول وتوهم خلافه بعيد كما في قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا فانه لا يتوهم عود ضمير يسبحوه لرسوله والقول
بعوده له على ان المعنى يسبحوا معه مستبعد جدا والشهادة مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة
والمراد بها الخبر القاطع تقول شهد على كذا ويكون شهد بمعنى حضر وما يتعلق بها من الثنا والكرامة
اي الاكرام له ويكون اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الاكرام يعني ان المقصود
في الفصل الاول ثنا الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه انفس الناس ذاتا وحسبا
ونسبا وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته وكونه نورا محضا منورا للعالم وكونه
ذا صدر واسع منشرح ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وانه الصراط المستقيم
والمقصود هنا ان الله جعله شاهدا على امته وسائر الامم وانبيائهم وما ذكر فيه من الثنا
والاكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا لمناسبته له وبهذا استبين مغايرة ما عقد له
الفصلان فلا تكرار ولا عموم ولا خصوص بقرينة المقابلة كما قيل وستقف عليه قريبا سيد

قال الله

قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية اي وداعيا الى الله سيد
باذنه وسراجا منيرا كامر وشاهدا وما عطف عليه حال مقدرة ومن عادة المصنف
ان يذكر الاية في محل لغرض ثم يسوقها في محل لغرض ثم يسوقها في محل اخر لغيره فذكر هذه الاية
اولا لتاييد كونه نورا ثم ذكرها هنا لكونه شاهدا على التبليغ فلذلك قال جمع الله تعالى له
صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ضروبا اي انواعا جمع ضرب اي صنف او هو جمع ضرب
وضرب بالفتح والكسر وهو النظير اي امورا متناسبة متماثلة من رتب الاثرة وجملة
اوصاف من المدحة رتب بضم ففتح جمع رتبة وهي كالمرتبة والمنزلة المقام المعنوي والاثرة
كما في المقتضى بضم الهمزة وسكون المثلثة ثم را مهملة يليها تا تانيث كذا ضبط هنا والاثرة
بالفتح في الهمزة والثا وبضم الهمزة وكسرها مع اسكان الثا الاستبداد بالشيء والانفراد
والمدحة بكسر الميم الثنا والذكر الحسن فاذا فتحت الميم قلت المدح انتهى وقيل الاثرة بضم
الاول وكسره وسكون المثلثة وبفتحها وهو الافصح كما ذكره النووي الانفراد بالشيء ويكون
اسما لما به الانفراد كذا قرره ومقتضاه ان في الاية امورا مخصوصة انفرد بها صلى الله سيد
عليه وسلم وليس كذلك فالوجه انها بالضم المكرمة كما في القاموس والمراد الانفراد
بالذكر او في الجملة او يحمل الاوصاف على معنى يختص به يعني انها اذا فسرت بالمكرمة بصيه
والفضيلة فلا اشكال في كلام المصنف وان فسرت بالانفراد اقتضى ان ما ذكر هنا من خصا
صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فيحتاج للتاويل بما قاله وقد تبعوا فيه بعض الشراح
في اعتراضه بقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا لان دلجي
قوله هولا للمبعوث اليهم الان تحتمل الاشارة الى جميع اهل المحشر ولا دليل فيه انتهى ولا يخفى
ان ما ذكر من الجواب والسؤال لا وجه له اما الاول فلان قوله الاتي وهي من خصايصه
ياباه واما الثاني فلانه بعد تفسيرا لشهادة بانها شهادة على الامة بابلاغهم ما ارسله
الله به والبشارة لمن طاعه في ذلك والنذارة لمن عصاه كيف يتوهم مشاركة غيره له في ذلك
وهذا ما يقضى منه العجب عندي وهذا حديثا جماليا فلذلك فصله وقال فجعله شاهدا
على امته لنفسه بابلاغهم مصدر مضاف الى مفعوله الاول اي بسبب ابلاغه اياهم الرسالة
مفعوله الثاني واعجب منه انه فسره بقوله اي مقبولا قوله عند الله من غير طلب بينة كما هو شان
الشاهد العدل صرح به الزمخشري فالشهادة مجاز انتهى وهي اي شهادته عليهم لنفسه
من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقال الفاضل ابن الحنبلي انما كانت الشهادة المذكورة
من خصايصه عليه الصلوة والسلام لان غيره من الانبيا عليهم الصلوة والسلام
وان كان ذا شهادة بمقتضى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا الا انه مطالب بالبينة وشهادته لا تقبل الا بشهادة محمد صلى الله عليه وسلم
وامته له بالتبليغ لاممهم فنحن نشهد بذلك وقد بين الله تعالى هذا بقوله لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فقد ولانا الله ببركته الشهادة على جميع الخليقة

وجعلنا اولا لامكان وان كنا اخرازمانا فلله الحمد على ذلك وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم
قال يدعى بنوح عليه الصلوة والسلام يوم القيمة فيقول لبيك رب فيقول هل بلغت
فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول له من يشهد لك فيقول
محمد صلى الله عليه وسلم وامته فيشهدون الحديث وقيل الشهادة في هذه الاية شهادة
للانبيا عليهم الصلوة والسلام لشهادة محمد صلى الله عليه وسلم بذلك وقدم في الفصل
الاول عن اللباب ما فيه تعميما لشهادات متعددة وهو الوجه حيث لا مخصص انتهى وفي
شرحه هنا خبط وخلط لا حاجة لنا به ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته
فيه كلام سياتي في الفصل التاسع والانذار والتخويف والاعلام بما يحذر منه والتبشير
الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولذا قالوا لو قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه
فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره فلو قال اخبرني عتقوا جميعا ومنه البشرة وتباشير
الصبح واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم كقوله تحية بينهم ضرب وجيع فهو
مجاز من استعمال اللفظ في ضد معناه كذا في الشرح الجديد وفيه خطا فاحش تبع فيه غيره
فان اردت تحقيقه فانظره في حواشينا على البيضاوي فانك لا تجده في غيرها وداعيا الى الله
باذنه توحيده وعبادته داعي اسم فاعل من الدعوة وهي طلب الاقبال اي انه صلى الله عليه
وسلم دعا الناس الى اعتقاد وحدانية الله تعالى ابتهلت اليه بالسؤال ودعوت زيدا ناديته
وطلبت اقباله ثم قال ان اصل الدعوة للطعام لم يصب والعبادة خدمة الله والخضوع له
ولا يتم الا بالاخلاص فلذا قال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتفسير التوحيد هنا
بالدين عدول عن الظاهر بلا سبب وقيل ان المص رحمه الله عليه اشار الى ان الدعا الى الله دلجى
يراد به الدعا الى الاقرار بوجوده وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته وما يجب تنزيهه
عنه وقيده بقوله باذنه اي بتيسيره اشارة الى انه امر صعب لا ياتي الا بمعونته ويجيء بمعنى سيد
العلم كقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
اي بعلمه وتوفيقه انتهى اقول هذا كلام غير منقح والتحقيق فيه ما قاله العز بن عبد السلام
في كتاب مجاز القران ان اذن الله مشيته وارادته لان الغالب في الاذن ان لا يقع الا بمشية عرضيه
واختيار والملازمة الغالبة تصحح المجاز او بامر التكوين فان الامر يلازمه مشيته الامر غالبا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فهزموهم باذن الله بامر الله وقوله كن وهو من مجاز
التمثيل شبه سهولة الاشيا في قدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها تفهيما لسرعة نفوذ
مشيته وقدرته فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل كما في قوله تعالى والله يدعوا
الى الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن ان يقال دعوته باذني ولا قمت
وقعدت باذني ولذا قال الزمخشري يجوز ان يراد بالاذن هنا الامر اي يدعوكم الى المغفرة بامره
اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة انتهى وسراجا منيرا يهتدى به الى الحق وروي يهتدى به
وهو اشارة الى وجه التشبيه وتنويرا له وكلاهما مجهول مضموم اليا مروي عن المصنف رحمة الله

عليه

عليه وقدم تفسيره وانه صلى الله عليه وسلم يهتدى به في ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره
78
وقد وصفه الله تعالى في هذه الاية بخمس صفات قابل كلا منها بما يناسبها غير صفة الشهادة
اذ لم يقل له راقبني لان الامر بالمراقبة يناسب المشاهدة فما بعده كالتفصيل له فقابل البشارة
ببشارة المؤمنين بالفضل الكبير وقابل الانذار بالنهي عن متابعة الكفار والمبالاة باذاهم
وقابل الدعوة بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفا بربه لان من اتاه الله
برهانا حقيقا بان يكتفى به عمن سواه وقال ابن عطية رحمة الله عليه هذه الاية ارجى اية في القران
لانه امره بتبشير المؤمنين بالفضل الكبير وقد فسر هذا الفضل بقوله في اية اخرى والذين
امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير
حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وباء موحدة
علم منقول من صفة بمعنى كثير العتب والشيخ فوق الكهل وهو في العرف اسم لكل من تصدى لافادة
العلم كما مر وهو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المص رحمه الله سمع منه في رحلته للاندلس وهو
من علما الحديث توفي في جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة قال حدثنا ابو القاسم حاتم
ابن محمد وهو ابو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي المعروف بابن الاطرابلسي تلميذ
ابي علي الغساني قرا عليه البخاري مرات وروى عنه وعن القابسي وغيره قال حدثنا ابو الحسن
القابسي وغيره قال حدثنا ابو الحسن القابسي وهو الحافظ الفقيه العلامة ابو الحسن علي بن محمد
بن خلف المغافري اخذ الفقه عن ابن مسرور بن الدباغ ودراس بن اسمعيل وبمصر عن حمزة بن محمد
الحافظ ولد سنة اربع وعشرين وثلاثمائة وتوفي في ربيع الاخر سنة ثلاث واربعمائة بمدينة
القيروان وكان ضريرا وكتبه في نهاية الصحة ضبطها له ثقات اصحابه والقابسي بقاف والف
وباء موحدة وسين مهملة ويا النسبة نسبة لقابس وهي بلدة بالمغرب بين سفاقس وطرابلس
ولم يكن منها ولكنه عرف به وعمه كان يشد عمامته شد اهل قابس قال حدثنا ابو زيد المروزي
وهو محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الامام النحرير الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته
جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخاري عن الفربري وهي اجل الرواية عنه لجلالة ابي
زيد وتوفي بمرو يوم الخميس ثلث عشر رجب سنة احدى وسبعين وثلاثمائة وترجمته
مشهورة ونسبته لمرو البلدة المعروفة واذا نسب اليها الناس زيدت الزاي على خلاف القياس
وفي الثياب وغيرها يقال مروي فرقا بينهما ومن اللطائف قولي في هذا في احجية ومروزي جا
في الاناسي والثوب مروي على القياس قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف هو الفربري
المشهور سمع البخاري من مصنفه مرتين مرة بفربر ومرة ببخارى ورواه وفربر بكسر الفا وفتحها
وفتح الراء المهملة وسكون البا الموحدة تليها راء مهملة قرية من قرى بخارى وهو ثقة ورع
زاهد حافظ ترجمته مشهورة ولد سنة احدى وثلاثين ومائتين وتوفي سنة عشرين وثلاثمائة
لعشر بقين من شوال ويوسف اسم اعجمي مثلث السين وليس مشتقا من الاسف وان وافق ذلك
لفظه في قول الله يا اسفا على يوسف قال حدثنا البخاري وهو الامام الحافظ محمد بن اسمعيل ابن

ابراهيم الجعفي البخاري الامام الورع الزاهد المتفق على جلالته وتاليفه اصح الكتب بعد كتاب الله تعالى وترجمته مشهورة ولد سنة اربع وتسعين ومائة وتوفي بقرية خرتنك من اعمال بخارى سنة ست وخمسين ومايتين قال حدثنا محمد بن سنان هو محمد بن سنان العوفي الامام ابو بكر يروى عن همام وجرير بن صارم وفليح وروى عنه اصحاب السنن قال حدثنا فليح بفا ولام وحا مهملة وهو لقب له تصغير فلح صفة مشبهة من الفلاح ويحتمل ان يكون تصغير معلح او افلح تصغير ترخيم وهو فليح بن سليمان بن ابي المغيرة بن حنين واسمه عبد الملك توفي سنة ثمان وستين ومائة وهو عدوي مدني عن سعيد بن الحارث وضمرة بن سعيد ونافع وغيرهم وروى عنه ابنه واصحاب الكتب الستة وقال ابن معين وابو حاتم والنسائي انه ليس بالقوي وقال الحافظ ابن حجر صدوق لكنه كثير الخطا ولكن الشيخان اعتمداه قال حدثنا هلال بن علي وهو هلال بن ابي ميمون يروى عن انس وعطا بن يسار وابي سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما واخرج له اصحاب الكتب الستة وقال النسائي ليس به باس قال الواقدي مات في اخر خلافة هشام بن عبد الملك عن عطا بن يسار بفتح اليا التحتية والسين المخففة المهملة ابو محمد المدني من كبار التابعين توفي سنة اربع وتسعين وثلاث ومائة وهذا الحديث تفرد به البخاري واخرجه في التفسير بغير هذا السند ايضا قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو مشهورة قال ابن التلمساني جوز بعضهم تركها وعبد الله هذا هو ابو محمد ويقال ابو عبد الرحمن القرشي السهمي الزاهد العابد الصحابي كان بينه وبين ابيه في السن اثنا عشر سنة وامه ريطة بنت منبه وكان صلى الله عليه وسلم يقول نعم اهل البيت عبد الله وابو عبد الله وام عبد الله اسلم عبد الله قبل ابيه وكان كثير العبادة والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى قيل انه كثر رواية من ابي هريرة رضي الله عنه لانه كان يكتب وابو هريرة لا يكتب كما رواه وانما لم تشتهر روايته كابي هريرة لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وابو هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها من كل وجهة وتفصيل ترجمته مشهورة توفي بفلسطين وعمره ثلاث وسبعون سنة وعمرو ابوه اشهر من ان يذكر والعاصي يرسم باليا وبدونها واثباتها اولى وقال ابن الصلاح كتبه كثير في حالة الوصل باليا وفي حالة الوقف بحذفها ولا وجه لمن انكر فانه لغة لبعض العرب شبهوا ما فيه الالف واللام بالمنون لتعاقب اللام والتنوين وبهما قرى في السبعة الكبير المتعال ونحوه والذي عن المنكر ان النحاة خصوه بالمنكر كما ذكروه في باب الوسم فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صفته المذكورة في التوراة بدليل قوله في الجواب انه الموصوف في التوراة فان السؤال يعاد في الجواب صريحا او ضمنا وهو من القواعد الاصولية كما وقع مصرحا به في روايات الصحيح واخبر يتعدى للامر المسؤل عنه وللمنقول عنه الخبر ايضا كالخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان المشهور في الاول تعديته بالبا وهذا مما لا شبهة فيه عندي فلا حاجة لما قيل من انه انما تعدى بها هنا وهو يجبر لا عنه لتضمنه معنى الكشف اي اخبرني كاشفا عنها وموضحا لها وقوله انه يجوز ان يريد

عرضي

سيد

جعل

جعل صفة النبي عليه الصلوة والسلام موضوعا يحمل عليه ما ذكر في التوراة وانه لا يصح تضمينه معنى السؤال تعسف خارج عن جادة الصواب وكذا ما قيل انه نظر للفظ مذبر قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران اي قال عبد الله رضي الله عنه لمن قال له اخبرني عن صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة اجل اي نعم هي مذكورة فيها لان كلامه يقتضي ان صفته صلى الله عليه وسلم مذكورة فيها واجل كما في المغني لتصديق المخبر واعلام المستفهم ووعد الطالب وصرح في القاموس بانها تجي بعد الاستفهام وغيره فقال اجل كنعم الا انه احسن منه في التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام وقال الرضي هي لتصديق المخبر ولا تجي بعد ما فيه معنى الطلب وهو المنقول عن الزمخشري وجماعة فالوجه على هذا كما قيل انه بعد خبر ضمني وهو انه موصوف في التوراة واما تقدير الاستفهام او جعله لتصديق خبر عن نفسه فليس بشي انتهى وهو رد على بعض الشراح حيث قال اجل بمعنى نعم حرف ايجاب وهو ماول عند من شرط فيه تصديق المخبر اوهو تصديق المخبر او هو تصديق الخبر نفسه ولذا اردفه بقوله والله والتاكيد لا القسم للاعتنا به لان السايل غير منكر او لتنزيله منزلته لغفلته عنه او لما شاع من انكار اليهود وتحريفهم وفي شرح التسهيل اجل لتصديق الخبر ماضيا او غيره مثبتا ومنفيا ولا تجي بعد الاستفهام وعن الاخفش انه يجي بعده الا انه في الخبر احسن من نعم ونعم احسن في الاستفهام منها ولم يذكر مجيها بعد الطلب كما هنا في الحديث الا انه يقطع النزاع كما قيل صحح نحوك بالحديث ولا تصحح الحديث بنحوك وهذا بنا على جواز اثبات الاحكام النحوية وفيه تفصيل في شرح المغني وفي قوله والله دليل على جواز الحلف من غير تحليف بلا كراهة وقد ورد كثيرا في الاحاديث والتوراة اسم لكتاب الله المنزل على موسى عليه الصلوة والسلام وهي كلمة غير عربية بل معربة وفي وزنها واصل معناها كلام طويل ليس هذا محله فان قلت عبد الله رضي الله عنه قريشي عربي فلا يناسب سؤاله عما في التوراة والتوراة وغيره من الكتب القديمة قال لا تجوز قراته فما وجه هذا قلنا ان عبد الله كان يقرا ويكتب كما مر وقال البرهان الحلبي في المقتفى انه رضي الله عنه كان يحفظ التوراة وقد روى ابن الد من حديث ابن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما راى في المنام في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما اصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له تقرا الكتابين التوراة والقران فكان يقراهما ذكر هذا الحديث بعض شيوخي انتهى واما النهي عن قراتها وان صرح به الفقها فليس على اطلاقه لوقوعه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لكثير من الصحابة رضي الله عنهم من غير انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها ويضيع وقته في الاشتغال بها واما غيره فلا يمنع منه بل قد يطلب لالزامهم فيما انكروه منها كما في قصة الرجم وياتي لذلك مزيد بسط عن هذا وقوله ببعض صفته في القران في بعض النسخ ببعض ما في القران وفيه دلالة على ان وصفه صلى الله عليه وسلم في القران اكثر مما في التوراة لتفصيله وان تفرق في ايات وسور متعددة وهذا مما لا شبهة فيه فما قيل من نفيه كلفة تامة الا ان يقال المراد توافق

رد لابن الحنبل

سيد

ابن الحنبلي

قال الفقها لا يصح الوقف على كتابة التورية والانجيل ولا الوصية بها لانها معصية ادد سر

مطلب حكم قراءة التوراة

سيد

الكتابين على بعضها وان زاد كل منهما على الاخر لا وجه له عند من له ادنى بصيرة وقوله في التوراة كما
سياتي اهب لك كل خلق كريم ولو سلم انه اشمل من قوله وانك لعلى خلق عظيم مخصوص بمدح خلقه
صلى الله عليه وسلم والصفات اعم منه فلا حاجة الى تكلف الجواب بانه وعد يحتمل عدم التنجيز
او التعليق والتخصيص وقد وقع في الشروح هنا كلام طويل بلا طائل وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا بدل من بعض او بيان له وقد تقدم تفسيره ولفظ النبي صادف محزه مع قوله
ارسلناك وخطاب نبينا عليه الصلوة والسلام بما في التوراة خطاب للحاضر في العلم بما جعل
كالماضي لتحققه او حكاية لما يقال في المستقبل وجعله على نهج استحضار الصورة الاتية والتعبير
بما يعبر به في ذلك الزمان على قياس حكاية الحال الماضي او نادى الكليم ثم خاطب الحبيب التفاتا
قبل كونه بتقدير سيقول له في المستقبل كما قيل في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس اذ تقديره يقال لهم
في القيمة كنتم في الدنيا يا باه اما سيقال في المستقبل ليس فيه حرز للاميين والذي فيه داعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا وما ذكره من الالتفات انما يتمشى على راي السكاكي كذا قيل وفي الشرح الجديد
هذا نوع من الالتفات كما في الضماير كان يذكر ضميرين لمخاطبين احدهما للواحد والاخر لغيره او ضميرين
لغايبين كذلك وهنا ضمير في اصل النداء اي دعوتك ايها النبي وهو للكليم صلى الله عليه وسلم
والاخر في قوله ارسلناك لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بالالتفات المذكور لا ما ذهب
اليه الجمهور ولا السكاكي انتهى اقول الغرابة منه فان ما ظنه غريبا ذكره جميع اهل المعاني وهو
عندهم يسمى الافتنان وتلوين الخطاب والادباء يسمونه التفاتا والاعتراض انما ياتي اذا وقف على اول
عبارة التورية فان كان قبله خطاب لموسى عليه الصلوة والسلام فاعتراضه وارد والا فلا
وحرزا للاميين الحرز بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين ثم زاي معجمة هو في الاصل مصدر بمعنى الحفظ
ثم شاع وصار حقيقة في المكان الذي يحفظ فيه فيقال حرز كحصن حصين ومنه احترز عن كذا
اي تحفظ منه واحرز قصب السبق اي حازه فجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه اموالهم وانفسهم
في الدارين والمراد بالاميين العرب لغلبة الامية فيهم وقيل لانهم لا كتاب لهم وخصهم مع عموم
دعوته صلى الله عليه وسلم لشرفهم ولانه صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولان الحفظ
من العجم لخصوصهم وقيل المراد حفظ لهم من افات النفوس وغوايل الدهر او من افات العجم وتغلبهم
او من مطلق العذاب مادام صلى الله عليه وسلم فيهم لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم او من عذاب الاستيصال لحديث سالت ربي عز وجل ثلاث خصال فاعطاني اثنتين ومنعني
الثالثة والاثنان هلاك السنة والغرق والثالثة كون باسهم بينهم انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل قدم العبودية لشرفها كما قال لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي ولذا خص وصفها
بالذكر في الاسراء وليست بالمعنى العام الذي يتصف به كل مخلوق بل بالمعنى الخاص الذي رضيه الله
لعبده حتى اطلعه على حظاير قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه وكفاه جميع مؤناته فقال اليس الله
بكاف عبده فان الملك لا يرضى بوقوف عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانة احد له فانه هو الذي
يؤذى به فلذا قال سميتك المتوكل وقدم العبودية هنا شرفا وتعظيما اذ المراد الكامل في العبودية

ابن الجنبلي

سيد

وانظر قوله سميتك دون جعلتك او وصفتك المنادى لشدة توكله الذي صيره علما له ولذا قيل
ان فيه اشعارا بشدة توكله صلى الله تعالى عليه وسلم السادي في امته ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق فيه التفات من الخطاب اذ مقتضى الظاهر ان يقول لست ان لم يكن هذا
كلاما اخر من التورية ضمه عبد الله رضي الله عنه الى الاول وفي الالتفات هذا بعد النظرية هنا
حسن الاقتباس اذ لم يواجهه بمثله وان كان منفيا والفظ كما في المصباح الرجل الشديد الغليظ
القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه وغلظ
خلاف دق غلظة بالكسر وحكى في البارع التثليث وعذاب غليظ شديد الالم وغلظ الرجل
اشتد واغلظ له في القول عنفه وغلظ بالتخفيف اكرهها انتهى فمعنى ليس بفظ انه ليس له قسوة
قلب ولا تشديد على الناس لان ملته سمحا وليس بغليظ اما تاكيد له او بمعنى انه لا يعنف الناس
والمراد انه ليس بسيء الخلق قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
ولذا قيل المعنى ليس بسيء الخلق ولا غليظ القلب ليوافق الاية وقيل ليس شديد القول فلا تكرار
فيه ولا ينافيه وقوع الغلظة والشدة اللايقة او الواجبة احيانا لانها لا تنافي حسن الخلق
والمراد نفيهما بحسب الطبيعة والخلقة او في غير محلهما واما ما وقع في الصحيح في حق عمر رضي الله
عنه انت افظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد فيقل قايله التفضيل بل هو لاصل
الفعل قيل ولفظ من يا باه وقيل انه من قبيل الخل احلى من العسل واختار الدماميني في حواشي البخاري
اي غلظتك يا عمر اشد من رقته صلى الله عليه وسلم والوجه انه بالنظر الى الفظاظة اللايقة
في محلها مما وقع من امير المومنين رضي الله عنه ازيد مما وقع منه صلى الله عليه وسلم لانه
رحمة للعالمين وشفيع للمذنبين فهو يختار الايسر الاحسن فيما هو محله والفاروق رضي الله
عنه اختار الفظاظة اللايقة فاختار كل منهما الاحسن له وغايته ان الفاروق ترك في بعض
الاوقات الاولى لاحتياجه لما لم يحتج له صلى الله عليه وسلم ولا محذور في مثله والسخاب
والصخاب صفة مبالغة من الصخب وهو ارتفاع الصوت وشدته ولهما لغتان في كل صاد
لاصقت حرف الخلق وهو من غير داع امر مذموم جدا والصاد افصح والسين لغة ربيعة وقد
روي بالوجهين هنا وقوله في الاسواق جمع سوق وهو موضع يجتمع فيه الناس للبيع والشراء
ونحوه وهو يذكر ويؤنث والسوق خلاف الملك ولما كان في الغالب محلا لارتفاع الاصوات
والصياح لا سيما من الدلالين قيد به والمراد نفيه عنه صلى الله عليه وسلم مطلقا لانه
اذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره بالطريق الاولى وهو ابلغ من الاطلاق وافصح لانه نفي
بدليل على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وللعرب في مثله ثلاث مقاصد نفيهما او نفي القيد ونفي
المقيد وهذا هو الارجح هنا لان فيه اثبات دخوله صلى الله عليه وسلم للاسواق تواضعا
وتركا لعادة الجبابرة من الملوك وردا لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
لانهم قالوا لما اظهر صلى الله عليه وسلم الدعوة انه ينبغي ان لا ياكل ولا يشرب ويكون ملكا
او لا يدخل السوق ليكون ملكا وفي الشرح الجديد المراد له ليس بصخاب في موضع من المواضع فالنفي

ابن الجنبلي

للمقيد لا نفيا المطلق وانما نفى المقيد ابتداء للتصريح بنفي ما هم عليه من القبيح وللمبالغة في نفي المطلق بجعله دليلا لكونه مقررا معروفا وقال الطيبي رحمه الله المراد نفي الصخابية وكونه في الاسواق وهو عجيب لان نفي الصخابية فيها لا ينافي كونه فيها بلا صخابية ولا الصخابية من غير كونه فيها بشهادة الذوق وقال شيخنا الاقرب الى الفهم انه نفي المقيد لنشا عنه مع انه مظنة وموضع اعتياد الناس ليفيد انه لا يفعله في غيره بالاولى ولا يرد ان صخابا صيغة مبالغة فيتقيد بتوجه النفي الى قيد وهو في الاسواق تثبت له الصخابة لانا نمنعه بان الصيغة هنا للنسبة كخياط ومنه وما ربك بظلام في احد الوجوه ولا ضير اذا كان المراد نفي الصخابة المقيدة لا نفيها مطلقة لان نفي مطلقها لا ينافي ثبوت اصل الصخب له وهو قد ثبت في محله كالخطبة والتلبية ونحوهما انتهى اقول فيه نظر من وجهين الاول ان رده على الطيبي وتعجبه ليس في محله لما عرفت من انه احد الاحتمالات في امثاله وما ذكره امدح لانه نفي عنه صلى الله عليه وسلم اعتياد الصخب واعتياد دخول الاسواق كارباب الدنيا الثاني انه ادعى ان المبالغة لا تناسب هنا والتجا الى جعل الصيغة للنسب وليس بلازم لجواز كون المبالغة في النفي لا في المنفي كما ذهب اليه خاتمة المفسرين في الاية الا ان فيه نظرا لان صرف المبالغة للقيد الذي في الصيغة ليس بالسهل مع امكان التفصي عنه بوجه وفي هذا المقام مباحث اخر مذكورة في هذا المحل وقد افردناها في رسالة مستقلة ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر لان خلقه صلى الله عليه وسلم القران وقد قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله فلذا قال ولكن يعفو ويغفر فلا يسيء لمن اساء اليه ويدفع بالتي هي احسن وفي الاية مشاكلة وكذا في كلام المصنف وان كان نفيا فتدبر وفي ذكر المغفرة بعد العفو تاكيد ان كانا بمعنى ويعفو تارة ويستر اخرى فلا يفضح فيقول في خطبه ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا قيل وفي كلام التفتازاني ميل للاول وقيل بين العفو والمغفرة في حق غير الله فرق فان العفو لغة بمعنى المحو فهو ازالة السيئة من ظاهره وخاطره والمغفرة مشتقة من الغفر وهو الستر ولا يلزم من سترها ازالتها وقوله ولكن الخ استدرك بانه لا يلزم من عدم جزائها بمثلها العفو لجواز ان يكله الى الله تعالى ويؤخر للاخرة انتهى اقول قد ورد العفو الغفور في اسماء الله تعالى وتغاير مفهوميهما واشتقاقهما مما لا شبهة فيه ثم بعد ذلك قيل انهما متساويان وهو المشهور والتحقيق ان بينهما فرقا من وجوه منها ما نقله الامام القرطبي في شرح الاسماء الحسنى عن بعض العلماء ان الغفران ستر لا يقع معه عقاب وعتاب والعفو انما يكون بعد عقاب وعتاب فان استعمل في غيره فهو بطريق التجاوز وما في الخطبة الكلام فيه ايضا فتذكر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا الملة الدين وبينهما فرق والعوجا مونث اعوج وهو ضد المستقيم وكثر اطلاق الملة على الكفر فسماها بعضهم هنا به وقال الشارح المحقق العوج ضد الاستقامة وهو كما في النهاية بفتح العين في المرئي وبالكسر في غيره وكلام القاموس يدل على التعميم واقامة المعوج جعله مستقيما والمراد بالملة هنا ملة ابراهيم عليه الصلوة والسلام التي عوجتها العرب بتغييرها كما قال

ابو السعود

سيد

عرضه

تعالى

81

تعالى واتبع ملة ابراهيم لا ملة الكفر كما توهم فانه ادا لها انتهى وفي النهاية الملة العوجا ملة ابراهيم عليه الصلوة والسلام التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلوة والسلام وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنفية والحنيف من يوحد الله ويعبده لان الحنيف في اللغة الاستقامة وانما قيل للمايل الرجل احنف تمليحا او تفاؤلا وكان ابراهيم عليه الصلوة والسلام حنيفا اي مستقيما وبهذا تعين المراد بالملة ويقبضه الله اي توفاه وقبض روحه واصل القبض اخذ المال واستيفاؤه فاطلاقه على هذا تشبيه الحياة والروح بالمال كما قال عمارة اذا كان راس المال عمرك فاحترس عليه من الانفاق في غير واجب او هو من باب استعمال المقيد في المطلق ثم شاع فصار حقيقة عرفية بان يقولوا لا اله الا الله اقتصر على هذا وجعله عبارة من الدين القيم لان المعوج الواقع عمود الشرك وعبادة الاصنام وبهذا يستقيم وقيل المعنى انهم ياتون بكلمة التوحيد وذلك كما قيل عصمة دمائهم واموالهم غير ان المنجي هو التصديق بها عن صميم القلب وانما لم يقل محمد رسول الله وهي قرينة كلمة التوحيد التي لا تكاد تنفك عنها اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر والقول بانها زيادة على الملة الابراهيمية فلذا لم يذكرها فيه انه يجب على امة الخليل قبل وجود محمد صلى الله عليه وسلم ان تصدق بان محمدا رسول الله كما صدقه ابراهيم نفسه وقيل المراد بالرجوع الى التوحيد ولا ينافيه زيادة الايمان بشيء اخر ففيه اشارة الى ان الاعوجاج من جهة الشرك هذا محصل ما في الشرح وفيه بحث لانا لا نسلم انه بعينه داخل في الايمان التفصيلي للامم السابقة ومثله لا يقال بالراي وما ذكر لا يناسب ما نحن فيه ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا قدم هذا في الخطبة وهذا الحديث مروي في البخاري بتانيث ضميرها على انه راجع لكلمة التوحيد والمصنف ذكره فجعله عايدا عليها باعتبار اللفظ او للنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن كعب ليبصر الله به اعينا عورا ويقيم به السنة معوجة حتى تشهد الا هو هنا بنصب اعينا وما عطف عليه ويفتح بالتحتية وعلى رواية البخاري بالفوقية المضمومة ورفع الاعين وما بعده ووقع في رواية اعين عمي بالاضافة وكذا الكلام في الاذان والقلوب وعلى هذا فالعمي جمع اعمى وكذا الصم جمع اصم وعلى الاول جمع عمياء وصماء قيل والظاهر ثبوتها في التورية فلا اشكال اقول لا يخفى ان التورية عبرانية وهذه ترجمة وان اختلف لفظها معناها واحد فلا اشكال فيها لعدم تغايرها الا في العمي والعور والذي في القران صم بكم عمي وكان النكتة فيه ان التوحيد اثبات الله ونفي ما سواه فهم لما اشركوا الله والشريك كانوا كمن قد احدى عينيه او العور عبارة عن ذهاب العين مطلقا ثم ان العمي يوصف به العين وصاحبها حقيقة فقصره على الثاني تقصير وفتح العين عبارة عن الابصار اما لما فيه من فتح الاجفان او لتشبيه الابصار بفتح الباب وقد شاع هذا حتى صار حقيقة وعكس حتى شبهت الابواب المغلقة بالاعين العمي كما قيل فقد اغلقت ابوابه داغا كانها اجفان عميان وقال واقسم لو جاد الخيال بزورة لصادف باب الجفن بفتح مقفلا وفيه معنى دقيق ليس هنا محله وازالة الاحساس في الحواس المذكورة

بافات تصيبها فشبهت لعدم نفعها بالموت الا انه لا يقال فتح اذنه وقلبه فهو على حد قولهم متقلدا
سيفا ورمحا والغلف جمع اغلف وهو الذي عليه غلاف اي غشا وغطا كقوله تعالى وقالوا
قلوبنا في اكنة وقالوا قلوبنا غلف بضم فسكون وقرئ بضمتين على انه جمع غلاف كحمار وحمر اي
هي اوعية للعلم وليس هنا عنا سب هنا فهو بالسكون لا غير اذ المعنى لا ينظر ولا يسمع ولا يعي
ما جيت به وذكر مثله ذكر بصيغة المجهول والذي في البخاري ذكره في صحيحه تعليقا عن عبد الله بن
سلام وكعب الاحبار عن عبد الله بن سلام بفتح السين المهملة ولام مخففة لا غير ونقل
التلمساني انه يخفف ويشدد وكذا سلام بن الحقيق ومحمد بن سلام شيخ البخاري وسلام بن مشكم
بتثليث الميم وفتح الكاف وما عداه بالتشديد وقال العراقي في الفية نحو سلام كلمة فثقل سلمه لا ابن
سلام الحبر والمعتزلي وابن سلام هذا اسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
وكان حبرا عالما بالتورية والقران وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وتوفي سنة ثلاث
واربعين وهو اسرائيلي من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم عليهم الصلوة والسلام وكان
اسمه في الجاهلية حصينا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ونزل في فضله قوله تعالى وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وحضر
مع عمر رضي الله عنه فتح القدس والجابية وهو انصاري خزرجي بالولا وكان من كبار الصحابة روى له
اصحاب الكتب الستة وغيرهم وقدم ان كعب الاحبار هو كعب بن ماتع بالمثناة من فوق ابن هينوع
يكنى بابي اسحاق الحميري التابعي المشهور ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم في خلافة ابي
بكر رضي الله عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه وكان على اليهودية وصحب عمر رضي الله عنه كثيرا
وعن غيره كصهيب وابن المسيب وسكن حمص بعد ما كان باليمن واتفقوا على سعة علمه وشدة دينه
وتوثيقه وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين متوجها الى العراق وقيل توفي بحمص كامر وكان
يقال له كعب الاحبار ويقال كعب الحبر بكسر الحا وفتحها كامر باضافة الاسم للقب ولقب به لكثرة
علمه او لكثرة كتابته فالحبر بمعنى المداد الذي يكتب به والحبر ايضا بمعنى العالم كذا في المصباح وتهذيب
الاسما للنووي وفي مثلثات ابن السيد فقوله في القاموس كعب الحبر ويكسر ولا تقل الاحبار غير صحيح
وهذا الحديث اخرجه البيهقي في السنن الكبرى ودلائل النبوة وذكره ابن ظفر في كتابه خير البشر الذي
افرده لما في الكتب السالفة من التبشير بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو كتاب بديع في معناه
رايناه ورويناه ومر ان هذا الحديث رواه البخاري مسندا عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما ذكره
المص رحمه الله ورواه عن ابن سلام تعليقا على عادته في تعليق ما كان في بعض رجاله على غير شرطه
كما بينه شراحه وفيما ذكره مخالفة لما في فتوح الشام للواقدي وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق الطرق
جمع طريق وهي معروفة وتطلق على الروايات والاسانيد لاتصالها بالحديث وتلك الفائل له
حديث في الجود مشتهر تروية عنه الركبان من طرق وفي المقتفي للبرهان كان هنا في الاصل عن ابي
اسحاق فضرب عليه وكتب في الهامش ابن اسحاق وهو الامام محمد بن اسحاق بن ابي بكر ويقال له ابي
عبد الله المطلبي مولاهم المدني صاحب المغازي راى انسا رضي الله عنه وروى عن عطا والزهري

سورة احقاف

سورة الرعد

وطبقته

وطبقته وعنه شعبة والحماد ان وخلق كثير وكان من بحور العلم صدوقا وله غرايب ربما
تستنكر لسعة حفظه ولذا اختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وفوق الحسن صححه
جماعة واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وخمسين ومائة وقيل
اثنين وقيل سنة خمسين وهو من سبي العراق وهو اول سبي دخل المدينة منها وقد طعن
فيه هشام لروايته عن فاطمة بنت المنذر وقال كيف يراها وليس بشي لجواز ان يسمع منها
وهي خلف الحجاب كما روى الناس عن عايشة رضي الله عنها وغيرها وكذلك طعن فيه الامام
مالك وقال انه دجال من الدجاجلة الا انه روي عنه انه رجع عن ذلك والقادح فيه غير
منصف لانه كان اعلم الناس بالانساب وانما انكر عليه ما كان ياخذه عن اولاد اليهود الذين
اسلموا ببعض ما ذكر في المغزوات من عورات المسلمين واشعار الهجا فيهم لحرصه على الرواية مع
ان عليه المعول في المغازي وكان شعبة وسفيان يوثقانه ويقولان انه امير المومنين في الحديث قال السيوطي
هذه الطريق اخرجها ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه في تفسير سورة الفتح ووقع في حواشي التلمساني هنا
زيادة وعبد الرحمن بن زيد وقال هو عمرو بن عبد الله بن علي السبيعي راى عليا واسامة بن زيد والمغيرة بن
شعبة رضي الله عنهم ولم ار هذه في النسخ ولا صخب في الاسواق بكسر الخاء صفة مشبهة تفيد المبالغة
باعتبار افادة الثبوت وقدم بيانه ولا متزين بالفحش فحش كفتح وزنا ومعنى من كل شي جاوز الحد فهو فاحش
والفحش القول السي ويطلق على الزنا وقيل في تفسير قوله ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين بفاحشة
والحاصل انه كل قبيح قولا كان او فعلا ومتزين روي بزاي معجمة ومثناة تحتية ونون وروي بدال مهملة
من الدين وروي منقوصا متزي بيا بدل النون من الزي وهو اللباس والهيئة اي لا تلبس بامر قبيح او يتجمل به
ويباهي به ولا يرد على ظاهره انه يوهم انه قد ياتي به غير متجاوز او غير متزين به لانه لا مفهوم له لجريه
على عادة ارباب الفحش في المباهات بها او قيل انه استعارة تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد
او المراد انه لا يرى الفحش في المباهات بها فهي مكنية وهذا علامة من علامات انه صلى الله عليه وسلم
لانه نشا بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فاتى بما يخالف عادتهم ولا قوال الخنا
قوال فعال صيغة مبالغة اي كثير القول والخنا بخاء معجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا ما قبله يفيد
انه لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم شي منه قليلا او كثيرا لان الفحش بمعناه وقيل فعال هنا للنسبة
اي ليس بذي قولا للخنا كتمار ولبان وليس المراد انه اشارة الى انه ربما يقوله الموجب لان ما كان
لموجب ليس بفاحش وقيل المراد نفي المبالغة ولم يبين اصل قوله للصيانة عن توهم الكذب
في كلامه لو صدر عنه ما يوهم فحشا ما وعن الهلاك الذي يترتب على ذلك التوهم فوق الهلاك
الذي يترتب على توهم انه ربما يقول الخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الى اخره اخذ في
صفات التحلية بطريق التوفيق لو عدم ان لا يخلف وعده فقال اسدده بكل جميل مستانفا لمقصد
اعلى مما قبله ولذا لم يعطف وقيل انه جواب سؤال تقديره فما تفعل به بعد ان صنته عن النقايص
فقال اسدده الخ والجميل الحسن صورة او معنى ومر في الحديث ان الله جميل يحب الجمال والتسديد
التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل وتيسير يشمل تيسير جميعه

ابن الحنبلي

وبعضه فقوله بكل جميل يليق به واهب له كل خلق كريم اهب بفتحتين مضارع وهب بمعنى اعطى
والخلق بضمتين وسكون اللام السجية والطبيعة التى فطره الله عليها وهو يوصف بالكرم بمعنى
الخير والكمال يقال كرم كرما اذا نفس وعز ويكون بمعنى العطا الكثير وليس مرادا هنا وان اوهمه
قوله اهب ففيه تورية وقيل هو من قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام ويقال لكل صفة
خلق ولذا يجمع على اخلاق فلا حاجة الى تقدير كل فرد خلق كما توهم وهو وعد منه تعالى وهو لا يخلف
الميعاد وفيه نظر وكونه جامعا لمكارم الاخلاق غير محتاج للبيان وسياتى بيد منه واجعل
السكينة لباسه مع البر شعاره اى اجعل مضارع المتكلم وهو الله والسكينة بفتح السين وكسر الكاف
المخففة ثم يا ونون وها وفيها لغة بكسر السين والتشديد للكاف نقلها المصنف رحمه الله فى مشارقه
وبها قرى فى الشواذ وهى فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمانينة ووردت فى القرآن
فى قوله عز وجل هو الذى انزل السكينة فى قلوب المومنين ووردت فى الاحاديث الصحيحة بمعان اخر
قيل انها مشتركة فيها وللمفسرين فيها اقوال فعن على رضى الله عنه انها ريح هفافة وقيل انها ملك له وجه
انسان وله راسان وعيون ذات اشعة وطست من ذهب يغسل فيه قلوب الانبيا عليهم الصلوة
والسلام وقيل انها شى كان يلقى فيه موسى عليه الصلوة والسلام الالواح والعصى وقيل هى رحمة
وقال السيوطى رحمه الله انها اسم ملك مخصوص وفى حديث الوحى غشيته صلى الله عليه وسلم
السكينة وهى ما كان يلحقه عند نزوله وقيل انها صوت هى مع بنى اسرائيل اذا ظهرت انهزمت
اعداوهم وفى حديث بنا الكعبة فارسل الله السكينة وهى ريح سريعة المرور والمراد هنا
الاول واما هذه المعانى فيحمل عليها ما ورد فى الاحاديث ولا حاجة لذكرها هنا ولما كان
السكون والوقار مبدوه ما يلوح لقلبه فى مراقبته جعله فى الاية فى القلب ويلزمه ما يظهر
عليه من الخشوع والتثبت وباعتباره جعله لباسا له من باب تشبيه المعقول بالمحسوس
فلكل منهما وجه وجيه بليغ فلا حاجة الى التوفيق بينهما بان ما فى الاية بمعنى ملك يسكن قلب
المؤمن ويؤمنه او العقل كما قيل والبر الطاعة والاحسان او زيادته والخير والرحمة
والشعار بمعنى اللباس الذى يلى الجسد سمى به لانه يلبس شعره وبدنه ويكون بمعنى العلامة
ايضا والمناسب هنا الاول لذكره مع اللباس ويقابل الشعار بهذا المعنى الدثار وهو ما يغطى
الانسان وفى الحديث الانصار شعار والناس دثار اى هم خاصته له صلى الله عليه وسلم
والناس عامة او هم اقرب اليه من غيرهم وهو بمنزلة الناس ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلى الله
عليه وسلم فى سائر احواله ويراها كل احد براوفاجر جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وان
لازمه ايضا وعم احواله انما يقف عليه المؤمنون ببصايرهم جعله شعارا [illegible]
مع ما قبله وما بعده والتقوى ضميره لان الضمير ما يضمر فى القلب والضمير [illegible] المفعول
قال ستبقى لها فى مضمر القلب والحشا   سريرة ود يوم تبلى السرائر   ويسمى القلب ضميرا
لخفائه او لانه محله فانظر كيف انتقل من الظاهر للخفى ثم الاخفى مع ما فيه من شبه اللف والنشر
والتقوى مع الامور السلبية والتقوى عبارة عما يقى العذاب فى الاخرة ولها مراتب اولها التبرى

عن الشرك

عن الشرك والثانى التنزه عن كل ما يوثم والثالث ان يتنزه عما يشغل سره عن الله وبهذا علمت
التيامها مع الضمير والحكمة معقوله الحكمة كالحكم كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل
المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها ويطلق على العلوم الشرعية وتطلق على القضا بالعدل
وبه فسر قوله تعالى ادع الى سبيل اى الاسلام ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والقرآن
وتفسيرها هنا بالعلم باحوال الموجودات على ما هى عليه بقدر الطاقة او مطلق العلومات
كما قيل غير مناسب اذ كل ما يعقله وان صح والمعقول يكون مصدرا واسم مفعول فالمراد انها
تعقله وادراكه او ما يعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعه لانه لا ينطق عن الهوى واجعل
الصدق والوفا طبيعته اى لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد احدا او وعد لا يخلفه
وهذا امر طبيعى له جعله الله فيه والمعروف خلقه المعروف والعرف قال فى المصباح هو الخير والرفق
والاحسان ومنه قولهم من كان آمرا بالمعروف فليامر بالمعروف اى من امر بخير فليامر برفق انتهى
ويقابله المنكر والمعروف ما تعرفه وتالفه العقلا ولذا قيل المعروف كاسمه معروف والعدل سيرته
العدل القصد فى الامور وهو ضد الجور والسيرة فعلة فهى فى الاصل الهيئة فى السير ثم صارت
اسما للطريقة يقال سار سيرة حسنة اى طريقه وحالها العدل وعدم الخروج عن الحق قال
الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقيل فى تفسيره العدل الفرايض والاحسان النافلة
وقيل العدل استوا السريرة والعلانية والاحسان ان تفضل السريرة العلانية وقيل العدل
الانصاف والاحسان التفضل وقال ابن عطية العدل فعل كل مفروض من العقايد والعبادة
واداء الامانات والانصاف والاحسان فعل المندوب وقال البغوى العدل بين العبد وربه
ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها
والصبر وبينه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم من نفسه والصبر على اذاهم وقيل
جعل العدل سيرته صلى الله عليه وسلم لا ينافى ان يكون الاحسان سيرته فى محل يليق به ولا
ان يكون العفو طبيعة له صلى الله عليه وسلم لمصلحة تليق بالمقام وقيل عليه ان الاحسان اخص
من العدل فان تمثيل المشركين بحمزة رضى الله تعالى عنه فى احد وعدم تمثيل النبى صلى الله عليه وسلم
بقتلاهم احسان ولو فعله كان عدلا ومقتضى هذا ان الاحسان ينفرد عن العدل وليس كذلك
واما العفو فان كان باذن الشرع كعفوه صلى الله عليه وسلم عن الذى اخترط سيفه ليقتله
فهو عفو وعدل وعفو عما لم يؤذن فيه كالحدود لم يقع منه لعصمته صلى الله عليه وسلم عن مثله
اقول هذا القائل فسر العدل بالمساواة فى المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان يقابل
[illegible] بزيادة والشر باقل منه ومقتضاه تغايرهما ومراده المقابلة فيما لا بد من مقابلته وترك
العفو [illegible] اذن له فى العفو او التقليل وفعل ذلك لم يكن عدلا ولا جورا بل مرتبة زائدة على العدل
والمعترض ظن ان كل ما ليس بعدل جور وليس كذلك والحق شريعته اى ديانته فى النسخ المفرقة
بنصبهما عطف على مفعول اجل وحينئذ لا يرد عليه شى كما اورد على الرفع فان تعريف طرفى المسند
والمسند اليه يقتضى الحصر فيقتضى بمفهومه ان ما عداه من الشرايع باطل وليس كذلك ولذا قال

وجادلهم وجادل معانديهم بالتى هى احسن بالطريق
التى هى احسن طرق المجادلة من الرفق واللين
وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى
اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم
وتليين شغبهم   قاضى

سيد

الخطابات المقنعة والعبر النافعة
فالاولى لدعوة خواص الامة
الطالبين للحقايق والثانية
لدعوة عوامهم   قاضى

ابن الحنبلى

عرضه

ابن الحنبلى

بعضهم المراد الحق الكامل الذى لا ينسخ وقيل الحصر على ظاهره ولا يحتاج فى تصحيحه الى تقدير ذلك
الوصف وجعل التعريف عهديا عبارة عنه لان شريعته فى زمن موسى عليه الصلوة والسلام
وعيسى عليه الصلوة والسلام لم يكن فى الشرايع حق غيرها وما سواها باطل كذا فى النسخة التى
عندى ولا محصل لها ولا يندفع السؤال بما قاله ولك ان تقول ان شريعته فى زمانه هى الحق لا غيرها
لانتساخ الشرايع بها والكلام يفيد هذا بدون تقدير والحق الثابت وخلاف الباطل وما يستحقه
الانسان على غيره والشريعة دينه صلى الله عليه والسلام الذى شرعه لامته وهى قانون الهى وضعه الله
على لسان رسله عليهم الصلوة والسلام يسوقهم الى خير الدارين والشريعة قيل انها فى الاصل
الطريقة الواقع المستقيم كالشرعة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ويكون بمعنى المشرعة
والموردة الى المحل الذى يشرب منه من حافة نهر ونحوه ثم نقلت للدين اما لانه طريق الخير والسعادة
او لتضمنها ما هو سبب للحياة الباقية كالموردة المتضمنة لسبب الحياة الفانية ورد بان معناها
انما هو الطريق والموردة انما سميت بها لانها موصلة للماء وفيه نظر لا يخفى والهدى امامه والهدى
الدلالة بلطف ولذا اختصت بالخير ولها انواع اولها خلق القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة التى
يتمكن بها من الاهتداء لمصالحه والثانى نصب الدلائل الحقة والثالث ارسال الرسل عليهم الصلوة
والسلام وانزال الكتب والرابع ان يكشف عن قلوبهم حتى يشاهدوا الاشيا فان قلت كيف تشمل هذه
الانواع والاول لم يذكره الله عليه قلت هذا من سوء الفهم فان المراد ان خلقها بمنزلة الدلالة فيها وقوله
امامه بكسر الهمزة بضبط البرهان الحلبى وهو الظاهر وضبطه بعضهم بفتحها وهو بمعنى قدام احدى
الجهات الست ومعناه على الاول مقتداه ومتبعه وبه سمى به الامام للاقتداء به وقال تعالى لابراهيم
عليه الصلوة والسلام انى جاعلك للناس اماما اى انه متبع للهدى وهو كناية عن ملازمته له وعدم
انفكاكه عنه وقيل انه تعريفه للعهد اى هدى الانبيا عليهم الصلوة والسلام لقوله تعالى اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده والمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع ويجوز
ان يراد بالامام الطريق كما قيل فى قوله وانهما لبامام مبين وعلى الفتح فالمراد بطريق الكناية اى انه
ملاحظ له كما يقال فى ضده انه ظهرى وخلف ظهرى والاسلام ملته بنصبهما ورفعهما كما هو المصحح
فى النسخ التى عندنا وهو الاحسن قيل المراد ان الاسلام اسم لهذه الملة فالمعنى انه جعلها خير الملل
وسماها بهذا الاسم وهو عام والمراد الكامل منه وهذه التسمية فى التورية صريحا او ضمنا لقوله هو
سماكم المسلمين من قبل نزول القران سماهم بها فى الكتب الالهية والظاهر ان هذه الصفات السلبية
والايجابية ذكرت فى التوراة والانجيل تعريفا له صلى الله عليه وسلم فينبغى حملها على الكامل
منها ليكون من خصايصه عليه الصلوة والسلام التى تميز بها عن غيرها والملة كالدين والشريعة
تطلق على الاسلام وغيره وهى متغايرة بحسب المفهوم متحدة بحسب الخارج والاستسلام اصل
معناه اللغوى الاستسلام والانقياد ثم خص لسان الشرع بالانقياد لما جاءت به الرسل
والانبيا عليهم الصلوة والسلام بلا خلاف انما الخلاف فى اختصاص الاسلام بامته
صلى الله عليه وسلم والمشهور انه لا يختص بهم فيقال لكل امة اسلام ولاهلها مسلمون

عرض

ابن الحنبلى

لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل على انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة قاضى مختصرا

سيد

ابن الحنبلى

عرض

ولكل

عرضى

ولكل نبى انه مسلم لقوله تعالى فى حق لوط عليه الصلوة والسلام فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين وقيل انه توصف به هذه الامة و يوصف به غيرهم من الانبيا عليهم الصلوة
والسلام دون اممهم وارتضى هذا السيوطى وصنف فيه رسالة مستقلة واطال فيها
وتبعه بعض الشراح هنا ثم قال ان الاسلام بالمعنى الشرعى المتضمن للشهادتين وساير الا
حكام المفروضة على هذه الامة تختص بهذه الامة دون جميع من عداهم من الامم والانبيا
عليهم الصلوة والسلام وهو اسم منقول كالصلوة واما بالمعنى اللغوى وهو الانقياد
فهو عام لكل منقاد لشريعته من الشرايع ويؤيده قوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل اقول
فيما قاله السيوطى نظر لا يخفى ثم ان معنى الاسلام والفرق بينه وبين الايمان مفصل فى كتب الاصول
فلا حاجة لذكره هنا واحمد اسمه اى جعل اسمه احمد وسماه به فى الكتب القديمة قبل وجوده
وهو علم منقول من اسم التفضيل اى هو اكثر حمدا لله من ساير الانبيا عليهم الصلوة والسلام
وجميع الخلق وهو صاحب لواء الحمد يوم القيمة كما سياتى وقال السخاوى فى سفر السعادة انه
صفة كاحمر وابيض نقلت لهذه وسياتى الكلام عليه فى اسمائه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر
صفاته الموصوف بها فى نفسه شرع فى صفاته التى لوحظ فيها غيره وهو جواب لسوال مقدر
تقديره هل ينفع بهذا الظاهر المظهر الكامل فى نفسه غيره اهدى به بعد الضلالة كما قيل وقيل
انما فضله لعلو مرتبة الهداية سواء كانت الايصال او الدلالة الموصلة واهدى بفتح الهمزة مضارع
هدى وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الى ما به النجاة والى ما به تكميل الناجى فلذا قال
واعلم به بعد الجهالة والضلالة بمعنى الضلال وهو سلوك غير الطريق الموصلة ويقال اضل الشئ
اذا اضيعه وهى تكون عن قصد وعمد وبغير قصد كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى المخطيين
وبين الهداية والضلالة صنعة الطباق البديعية والبا للسببية او للتعدية واعلم مضارع
بضم الهمزة وتشديد اللام كما فى المغنى والجهالة بفتح الجيم مصدر كالضلالة بمعنى الجهل والجهالة
ضد العلم وهو الاعتقاد الذى لا يطابق الواقع وفى المصباح جهلت الشئ جهلا وجهالة خلاف
علمته وفى المثل كفى بالشك جهلا وانتهى وارفع به بعد الخمالة ضبطه ابن رسلان بفتح الخا المعجمة والميم
ونقل عنه بعض النحاة انه لا يقال خمالة وانما هو خمولة وفى الصحاح الخامل الساقط الذى
لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا واخملته انا وفى الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد
النبيه والنباهة اقول هذه الحديث صحيح وثبوت هذه اللفظة فيه يكفى دليلا لصحتها او هو للمشاكلة
الضلالة وللازدواج معها ولو قلنا انه غير قياسى والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد بعد ما نزل
فى الفترة لغلبة الجهل مشهورا شايعا فهو مجاز كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك اى الرفع وبين
الجهالة والخمالة طباق او شبهه واسمى به بعد النكرة يقال اسميته كاكرمته وسميته بالتشديد
ويتعدى بنفسه وبالبا كسميته زيدا وبزيد اذا جعلته اسما له وعلما وبالتشديد ضبطه البرهان
فى المغنى وروى بضم الهمزة وسكون السين المهملة والنكرة بضم النون وسكون الكاف وفتح
النون وكسر الكاف خلاف المعرفة ويطلق بمعنى المجهول كقول الشاعر فى مجهول النسب

وامه معرفة لكن ابو نكرة   والبا للسببية اى عرف الناس بسببه او بما اوحبه اليه الناس
المجهولين او عرفهم ما جهلوه من التوحيد او عرف الناس ما لم يعرفوه من الانبيا وقصصهم وقيل
الاولى التعميم وقيل المراد اعرفيه من هو فى حكم النكرة غير معروف ولا بشهرة موصوف وهو تكلف
وبين التعريف والتنكير شبه الطباق ومعنى هذا وما قبله انه ارسله فى زمان جهالة وضلالة
وفترة فيومن به اول مساكين الناس وضعفاؤهم عادة الرسل عليهم الصلوة والسلام فيصيرون
بعد خمولهم وكونهم مجهولين اعز الناس واكرمهم فان من الصحابة رضى الله عنهم من كان بدويا واعرابيا
بعد اشراق نور النبوة عليه صار صدرا تقبل الجبابرة يديه ورجليه وقد كان الدين والعلم
قبل بعثته عليه الصلوة والسلام نكرة لا تقبل التعريف فافاض الله منه على امته ما لم
تسمع به الامم حتى ابدعوا علوما وتواليف تحار فيها الافكار فجزاه الله خير الجزاء وهذا من خصايصه
صلى الله عليه وسلم   واكثر به بعد القلة اكثر بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة وتخفيفها
او بفتح الكاف وتشديد المثلثة المكسورة لانه يتعدى بالهمزة والتضعيف قال تعالى قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا وقولهم اكثر من الاكل يحتمل زيادة من وحذف المفعول اى اكثر الفعل من الاكل كما
فى المصباح والمراد انه يكثر به الارزاق مطلقا او على من اتبعه او اكثر امته بعد قلتها فى ابتداء
امره او بعد عدمها لان القلة ترد فى كلام العرب بمعنى العدم ايضا وهو بعيد وقيل المراد كثر به
قواعد الملة بعد القلة لانهم كانوا ابلة عوجا فاقامها واعادمنها ما نقص بكلمة التوحيد وهو
تكلف فاغنى به بعد العيلة اغنى مضارع من الاغنا وهو اعطا الغنى والعيلة بفتح المهملة وسكون
التحتية الفقر قال الله تعالى ووجدك عائلا فاغنى من عاله اذا قام بامره وكفله والعامة تقول
عليه بمعنى عيال الجمع عيل كجياد وجيد ولو استعمله بليغ كان له وجه من المجاز والصحيح ورود
العيلة بمعنى عيال كما فصله البيهقى فى كتاب الانتصار للشافعى والمراد ما كان هو وامته عليه
فى ابتدا امره ثم صار بعد ذلك لهم من النعم والسعة بما احل لهم من الغنايم وفتح من الممالك
ما هو غنى عن الشرح والبيان واجمع به بعد الفرقة اى جمع به بين الناس بعد افتراقهم
وتنافر قلوبهم لما بينهم من العداوة الموديه للحروب وترك الديار كما كان بين العرب والعجم
وبين قبايل العرب وبين القبيلة الواحدة الا ترى ما كان بين المسلمين والمشركين مما ادى الى الهجرة
وترك الاوطان وبين الاوس والخزرج من الحروب والمهاجاة بل بين الاب والابن والاخ واخيه
كما قال ابو فراس وقبلى كان الغدر فى الناس شيمة   وذم زمان واستلام خليل   وفارق عمرو بن
الزبير شقيقه   وخلى امير المومنين عقيل   فلما جا الاسلام الف الله بين قلوبهم وسل احقادهم
وضغاينهم حتى صار الواحد منهم ينزل عن احدى زوجتيه للاخر ويقطع برده نصفين والمراد
انه جمع العقايد والملل على التوحيد وملة الدين والمراد الاعم منها فقوله والف بين قلوب مختلفة
واهواء متشتتة وامم متفرقة عطف تفسير لما قبله ومتفرقة كما قال التلمسانى بتقديم التا
على الفا من التفرقة بتقديم الفا على التا من الافتراق فى نسخة الغرفى والتاليف جعل الاشياء
موتلفه مجتمعة اى جمع بينهم على مودة وايتلاف بعد الافتراق والعداوة كما قال تعالى واذكروا

سيد
وبجلى

نعمة الله

نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا واسناد التاليف الى الله
فى الاية لا ينافى كون التاليف بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه السبب الظاهرى والفاعل
الحقيقى هو الله والتاليف بين القلوب يستلزم التاليف بين الذوات فلا منافاة بينهما كما توهم
او المراد التاليف بين عقايدهم بحيث تكون عقيدتهم واحدة متفقة على الحق والتوحيد والا
هوا جمع هوى وهو ميل النفس لما تشتهيه وتحبه والمشتتة المتفرقة اى جعل هويهم واحدا
متفقا محمودا والهوى غلب اطلاقه على المذموم كما قال الله تعالى ولئن اتبعت اهواهم بعد ما جاءك
من العلم والامم جمع امة وهى الفرقة من الناس وغيرهم يعنى ان كل امة كانت على دين واعتقاد
وعلى طريقة منهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من هو على دين موسى
عليه الصلوة والسلام ومنهم من هو على دين عيسى عليه الصلوة والسلام فنسخ الله
بشريعته عليه الصلوة والسلام جميع الشرايع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه
هلك وشقى فى الدارين واجعل امته خير امة اخرجت للناس كما قال تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس اى انه تعالى قضى بذلك وقدره فى الازل وعالم الذر واخرجت بمعنى اوجدت وخلقت
او اخرجت من العدم والمراد امة الاجابة وهم من امن به عليه الصلوة والسلام ويطلق
على امة الدعوة وهم جميع الناس الموجودين بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
كنتم مذكورين فى الامم الذين قبلكم موصوفين بانكم خير الخلق بنبيكم ودينكم او بما بينه من قوله
بعده تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله وفى هذه الاية دليل على ان اجماعهم
حجة وفى حديث اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته فى التورية رواه الطبرانى
وابو نعيم فى الدلائل عن ابن مسعود رضى الله عنهما والدارمى عن كعب موقوفا ورواه باسناد
ضعيف عبدى احمد المختار اضافه اليه تشريفا له واحمد عطف بيان او بدل والمختار الذى
اختاره من جميع خلقه وهو بمعنى المصطفى صلى الله عليه وسلم مولده بمكة اى موضع ولادته
عليه الصلوة والسلام فى هذه البقعة الشريفة ومهاجره اى محل هجرته الذى هاجر اليه
صلى الله عليه وسلم   بالمدينة او قال طيبة والمدينة المصر الجامع ووزنها فعيلة لانها
من مدن وقيل مفعلة بفتح الميم من دان غلبت على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والجمع
مداين بالهمز على القول باصالة الميم ووزنها فعايل وبغير همز على القول بزيادتها ووزنها مفاعل
لان للياء اصلا فى الحركة فترد اليه كما قيل فى معايش والهجرة فى اللغة الترك ثم خصت بترك مكان
لاخر وكانت واجبة قبل فتح مكة وللمسلمين هجرتان للحبشة وللمدينة وغالب الانبيا عليهم
الصلوة والسلام وقع لهم الهجرة لعداوة الناس لهم وكان اسم المدينة يثرب فغيره النبى صلى الله
عليه وسلم ذلك لما فيه من ايهام معنى التثريب ولها اسما وتنها ما ذكره وهو طيبة بفتح الطا
وتخفيف اليا الساكنة مونث طيب بالفتح لغة فى الطيب بمعنى الرايحة الطيبة او هى مخففة
من طيبة بالتشديد ويقال طابة ايضا والمراد انها مطهرة من الشرك والخبائث وقوله او قال
شك من الراوى فيما قاله النبى صلى الله عليه وسلم   وطيبة مجرور بالفتح لمنعه من الصرف

تقديره او قال بطيبة لا مرفوع تقديره مهاجره طيبة وان جاز على بعد فيه قيل وطرفية طيبة لمهاجره
بضم الميم وفتح الجيم من ظرفية الكلي للجزئي كما يقال الانسان في زيد وكنا مولده بمكة ولو قيل
انه مصدر ميمي لم يبعد فتدبر امته الحمادون لله على كل حال الحمادون الكثيرون الحمد وتعريف الطرفين
يفيد الحصر فكثرة الحمد مخصصة بهذه الامة على كل حال من قيام وقعود واضطجاع وسفر وحضر
في السراء والضراء لان الله مستحق الحمد استحقاقا ذاتيا فلا يختص بحال دون حال وهو بالنظر للمجموع
او الغالب او المتعينين منهم او هذا من شانهم وحمله على الكل تكلف كما قيل والحمد لا يلزم ان يكون
في مقابلة النعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد في الضراء للتوجيه وان كان العبد منعما عليه
في كل حال بنعمة الايجاد والجوارح والحواس والضراء منفعة بالثواب عليها وحفظه عن
الاعظم ولك ان تقول كثرة الحمد في هذه الامة لما في اوقات الصلوات من قراءة الحمد والثنا
على الله فيها على ابلغ وجه لم يقع لغيرهم من الامم واعلم ان في بعض الشروح الاعتراض
على المصنف وغيره ممن اكثر النقل من التورية وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرم الفقها
قراتها والنظر فيها فانها محرفة مبدلة وبالغ بعض الفقها فقال لا يجوز الاستنجا باوراقها وهذا
مما لا ينبغي التلفظ به ثم انهم اختلفوا بعد ذلك في تحريفها وتبديلها هل هو بتغييرها بالزيادة
والنقصان او بتاويلها وتفسيرها بغير المراد منها وقالوا الاشتغال بها ينافي الغرض من نسخها
فلا يجوز وذهب بعضهم الى ان التحريف في التاويل لا غير لاستحالته بعد انتشارها وكثرة
نسخها ولا مانع من قراتها لمعرفة صفة النبي عليه الصلوة والسلام فيها ولالزامهم بما انكروه
وكيف يحرم هذا وقد قال الله تعالى قل فاتوا بالتورية فاتلوها ووقع في الاحاديث النقل
عنها ولو حرموها لحرفوا اية الرجم التي الزمهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه بها وقد ارتضى
هذا ابن تيمية وفي شرح التجاني اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وافاد النظر فيه
مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به وهو كلام حسن وقال تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين اي اقرا واذكر هاتين الايتين بتمامهما اعني الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو
يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وانما اقتصر المص على بعضهما للاختصار ونحن ذكرناهما ايضاحا لمن لم يحفظ
وادخارا للثواب للتلاوة وانما ذكر المصنف هاتين الايتين لان الفصل مقصود للشهادة
اي لكونه عليه الصلوة والسلام شاهدا على امته وغيرهم ولما يتعلق بها فذكر اولا
ما يدل على مقصوده من القران العظيم ثم بنى بانه موصوف بذلك في الكتب الالهية
كالتورية والانجيل ثم ذكر هذه الايات لتعلقها بما ذكر لانها تدل على صحة ما نقل من التورية

المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها اي اثبتها في الاخرة او فاكتبها كتبة خاصة مسلم ما خاص اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانها اشرفها اذا كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين يتبعون بدل البعض او الكل والمراد من اوتي منهم نبينا عليه الصلوة والسلام سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره ولانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور الذي انزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى عليه السلام قاضي

86

في ذكره فيها وقد قال في الترجمة ذكر الشهادة وما يتعلق بها وقد قيل انه ذكر استطرادا لما في الاية الاولى
من التنبيه على ان وصفه واسمه مذكور في التورية كما نقله وفي الثانية ذكر كونه رسولا ونبيا واميا كما في التورية
وقيل ذكرت لما فرض من الثنا او المدح له صلى الله عليه وسلم ولما نزل قوله رحمتي وسعت كل شيء قال ابليس
لعنه الله تعالى انا شيء فطمع في الرحمة فلما سمع قوله تعالى فساكتبها للذين يتقون ايس من ارساله الرحمة وقالت
اليهود والنصارى نحن متقون داخلون في هذه الرحمة فلما سمعوا قوله الذين يتبعون الرسول الى اخره خرجوا
من العموم وهذا كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كتبها الله لهذه الامة وهو
كما قيل مبني على ان الذين خبر مبتدا تقديره هم الذين اه او بدل بعض ان كان تعريف الموصول هنا للاستغراق
فان كان للعهد فهو بدل كل من كل فان جعل الذين مبتدا وقوله يامرهم الى اخره خبره فلا تخصيص الا انه
يخالف التفسير الماثور عن ابن عباس رضي الله عنه والقول بان البدل مخصص ذهب اليه كثير
من الاصوليين كابن الحاجب وغيره وانكره الهندي لان المبدل منه في نية الطرح ولا حجة له فيه
وان لم يكن مطروحا من كل الوجوه فطرحه يدل على خلاف مدعاه ونقل عن الشافعي رحمه الله انه كان
يقول بدل البعض والاشتمال من المخصصات وهو الحق والامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب وهو
صفة مادحة للنبي صلى الله عليه وسلم وقدم تقريره والقول بانه صلى الله عليه وسلم كتب بيده
بعد ذلك تقدم ما فيه وانه نسبة لام القرى او لامه التي ولدته وفي شرح التجاني انه قرئ في الشواذ
الامي بفتح الهمزة منسوبا الى الام بمعنى القصد لانه مقصود لكل احد باتباعه واتباع شريعته وفي تقديم
الرسول على النبي مع انه اخص منه مخالفة للظاهر فقيل لانه ارسل فانبا عن الله بمعنى انه بمعناه اللغوي
وهو النبي لا بمعنى من اوحي اليه بشرع سواء امر بتبليغه ام لا وقيل قدم الرسول للاهتمام به ولذا رد
النبي صلى الله عليه وسلم على البراء بن عازب رضي الله عنه لما قال امنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك
الذي ارسلت وقال له قل ونبيك الذي ارسلت ليكون الكلام جاريا على الترتيب اللائق به وليسلم
من التكرار وقيل انما اخر النبي لدفع احتمال ان يراد بالرسول معناه اللغوي واحتمال ان يراد بالنبي
معناه وحقيقته اللغوية ايضا اجيب عنه بانه يحصل من الاجتماع معنى ليس في الانفراد وقيل
ليس الصفة مجرد النبي بل النبي الامي لاشتهاره بذلك في الكتب السالفة فالمقصود الاخبار بمجموعهما
كالرمان حلو حامض فهو اخص من الرسول او ذكر النبي للتتميم فذكر اولا الاعلى ثم الادنى ليستوعب
جميع صفاته لا للترقي ومعنى وجدانه في التورية والانجيل انهم يجدونه فيهما اسما وصفة والمعروف
ضد المنكر وهو ما عرف انه طاعة الله من ترك الاوزار ومن الايتان بمكارم الاخلاق كصلة الرحم
والطيبات كل حسن حلال والخبائث ما كان محرما كالخنزير وكل مستقذر ويدخل فيه الربا
والسحت بمعنى الرشوة التي تسحت البركة ووضع الاصر بمعنى الثقل والعهد لان بني اسرائيل اخذ
عليهم العهد بالتزام امور شاقة كقرض موضع النجاسة وتحريم الغنايم فخفف الله عن هذه الامة
بعدم التكليف بها وعزروه بمعنى وقروه وعظموه ونصروه بدفع اعدائه عنه والمراد بالنور الذي
انزل معه القران اي اتبعوا القران مع اتباعه اشارة الكتاب والسنة والمفلحون الفائزون
بكل خير وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية ذكر هذه الاية لتعلقها بما تقدم في التورية

من قوله ليس بفظ ولا غليظ اى فبرحمة من الله وما مزيدة لتاكيد الكلام وتزيينه وزعم ابن كيسان
ان ما نكرة تامة في محل جر ورحمة بدل او الاول هو الوجه اى برحمة الله لك وتوفيقه ولطفه بك
ان خلقك لينا مهذب الاخلاق حمولا صبورا لاذى الناس عما فرط منهم حتى جبلت القلوب
على محبتك ولو لم يكن كذلك كنت فظا اى شديدا غليظ القلب متجاوزا الحد لا يالفونك
دلي
فيتفرقون عنك يقال فضضت الشئ فضا فانفض اذا فرقته قيل فامتناع التفرق عنه لامتناع
كونه فظا غليظا كما هو شان لو فالشرطية ينتج فيها استثناء نقيض التالي لزوم نقيض مقدمه
اى لم ينفضوا من حولك فلم يكن فظا غليظا فانتفاء كونه فظا غليظا اللازم لانتفاء الانفضاض
سيد
ثابت بابطال الانفضاض المرتب على كونه فظا غليظا بطريق قياس الخلف لانه اثبات مقصود
بابطال نقيضه وقيل الاولى ان يقال المعنى لكن لم تكن فظا فلذلك لم ينفضوا والمقصود اظهار
المنة وان عدم الانفضاض من اللين الذى هو من رحمة الله ففيها ترهيب وترغيب ولكل وجهة
وقيل ليس المراد الاستدلال بانتفاء الانفضاض على لينه وانتفاء كونه غليظ القلب كما في قوله
ابن الحنبلي
لو كان فيهما الهة الا الله الى اخره حيث استدل بانتفاء الفساد على انتفاء تعدد الالهة لان
التحقيق ان لو لا تفيد امتناع الشرط لامتناع الجزاء وانما تقتضي انتفاء ما يليها واستلزامه
لتاليه كما قرروه على انه صلى الله عليه وسلم عالم بحاله وانه ذو لين وقوله فبما رحمة اه ليس
لافادة انه ذو لين وانما هو لافادة ان لينه ليس الا برحمة منه تعالى وما ذكر انما يكون استدلالا
لو لم يكن عالما بحاله الا ان يقال المقصود بالاستدلال غيره تعريضا ولو قيل لان بالغيبة لم يكن
تعريضا اصلا فتدبر وقال في الكشاف ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه صلى الله عليه
وسلم لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم وقال المحقق التفتازاني في شرحه
قطب
الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة ما انما تفيد تاكيد ذلك فلذا قيل ان في كلامه
حذفا اى ما مزيدة والظرف مقدم للتاكيد والدلالة اه انتهى فهو من باب اللف التقديري وتبعهم
بعض الشراح هنا اقول ما ارتكبوه من التكلف من عدم الوقوف على مذهب الزمخشري في هذه المسئلة
فانه ذهب الى ان زيادة حرف في التركيب يفيد الحصر والذوق السليم شاهد له فان تقوية الحكم قد
يقتضي الحكم ان لا يشاركه غيره فيه قال ابن هشام في رسالته المشهورة في اعراب لا اله الا الله
ذهب الزمخشري الى ان الله مبتدا واله خبر وقال في اثناء تقريره ان نحو ما جاءني رجل يفيد نفي واحد غير
معين فيجوز السامع مجئ اثنين فاذا قيل ما جاءني من رجل علم انه لم يجئه احد من جنس الرجال ومن ثمة
صح ان يقال ما جاءني رجل بل رجال لانه لم يصح ما جاءني من رجل بل رجلان وكذا فبما رحمة من الله لنت لهم
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم لو لم تؤت بما جوزنا ان اللين واللعن كانا للشيئين المذكورين ولغيرهما
وحيث دخلت ما قطعنا بان اللين لم يكن الا للرحمة وان اللعن لم يكن الا لنقض الميثاق انتهى ونبه
قول الفقهاء ان السبب الموهوم لا يعتبر الا في مقابلة السبب الظاهر كما اذا رأينا قتيلا في محلة
اعدائه لا يقال ان غيرهم قتله وحمله الى محلتهم كما في شرح الهداية ثم قال فاذا كنت مجبولا على اللطف
واللين فاعف عنهم ما صدر منهم في حقك واستغفر لهم الله واطلب منه المغفرة لهم وطيب

قلوبهم

87

قلوبهم بمشاورتهم فيما تريد فاذا اتفقتا المشورى على امر عزمت وتوكل فانك منظور بعين الرضى
والمحبة قال السمرقندى رحمه الله تعالى تقدم بيانه وترجمته ذكرهما اى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وفي نسخة ذكره وذكرهم مشددة فيهما وقيل انه مخفف منته اى انعامه او امتنانه عليهم
سيد
انه جعله رسولا رحيما رؤفا لين الجانب بفتح الهمزة بدلا من منته او تقدير بانه والضمير لله او للنبي
وخص المؤمنين بالذكر مع عموم رحمته لان الاية في حقهم والضمير راجع اليهم وقد تقدم الفرق
بين الرافة والرحمة في موضعين وقوله لين الجانب يصح ان يكون تفسيرا لرؤف والجانب اى الذى
يليهم منه وهو كناية عن معاملته لهم ومواجهته لهم ولين بتشديد الياء وروى بتخفيفها من اللين بكسر
اللام ضد الخشونة ولو كان فظا خشنا في القول لانفضوا من حوله المعروف ان الخشونة ضد النعومة
والملاسة الا ان الجوهري جعلها ضد اللين وهو الواقع في كلام العرب كقول الحماسي اذا القوم
بنصرى معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا لان اللين في الغالب من الرقة والملاسة
فهي عبارة عن الشدة في القول والفعل وقد يمدح بها اذا كانت على من يستحقها كما في البيت
وقوله اشداء على الكفار رحماء بينهم وكونها طبعا وسجية مطردة غير ممدوح وقد
قيل ان ظاهر قول المص رحمه الله هنا ان خشونة القول صفة مبينة للفظاظة فيكون
التفرق مرتبا على مجرد الخشونة وعلى امر واحد وهو في الاية مرتب على امرين الفظاظة وغلظة
القلب فما فسر به الاية غير موافق لها فيحتاج هنا للتصحيح والتوفيق فاما ان يقال انه
اشارة الى ان التفرق مرتب على الاول وحينئذ يلزمه ترتبه على ما تركب منه مع غيره من جنسه
وفيه ان لزوم ترتبه على خشونة القول والفعل غير مسلم ويجوز ان يكون فظا في كلامه
بمعنى غليظ القلب وخشنا بمعنى فظا ولما كان منشأ الخشونة هذه الغلظة قدمها في الاية
واقتصر عليها المص رحمه الله تعالى فان الامر القلبي انما يتم بعد قول وفعل فتامل اقول لك ان تقول
ترتب التفرق في الاية على امرين الذى سلمه المعترض غير مسلم لان الجوهري قال الفظ الغليظ وقال
في المصباح رجل فظ شديد غليظ القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ
حتى يهاب في غير موضعه انتهى فتكون الصفة الثانية في الاية مبينة للاولى كقوله تعالى
خلق الانسان هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ففظا في التفسير بمعنى
غليظ القلب وقوله خشنا في القول بيان لما به تظهر الفظاظة ففي الاية صفة واحدة في التفسير
اثنان عكس ما توهمه المعترض ومن دابه ان يستسمن الورم على ان ما بنى عليه كلامه من كون
خشنا صفة اساس في الهواء وما بناه عليه كبنيان القصور على الثلوج لكن جعله سمحا
سهلا طلقا لطيفا سمح بوزن ضرب مصدر كالسماحة بمعنى سهلا ومنه الحديث اتيتكم
بالملة الحنيفية السهلة وفسر بعضهم بجواد كريم والسهل بزينة وكذا كل ما يعده الذى
لا صعوبة فيه او لا فظاظة ولا غلظة والطلق بالفتح هنا ويجوز تثليثه صفة مشبهة وهو
في الاصل يوصف به فيقال طلق الوجه اى غير عبوس فيه بشاشة وسرور ويوصف به
صاحبه ايضا كما هنا ويكون بمعنى الجواد وليس بمناسب للمقام كما قيل وفيه لغات نظمها ابن

مالك رحمه الله تعالى في قوله من دابة الافصاح حتى ينطق طلق طليق طلق وطلق والبار
من فيه خير وشفقة ودفق واحسان ورحمة واللطيف الشفيق لانه صلى الله عليه وسلم
اشفق الناس على امته وهو من اسمائه تعالى الله لطيف بعباده وفسر بالخبير العالم بخفيات
الامور وهذه الصفات تفهم من اللين ونفي غلظة القلب فان البخل في محل الانفاق من عدم
الشفقة وطلاقة الوجه من عدم الفظاظة لانها تلزمه غالبا والباقي ظاهر هكذا قاله
الضحاك قال البرهان الحلبي هو ابن مزاحم الهلالي الخراساني التابعي روى عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنهما وغيرهما من الصحابة ضعفه بعضهم لكن احمد وابن معين وثقاه وروى عنه اصحاب
السنن وغيرهم وله ترجمة في الميزان وتوفي سنة خمس ومائة وقيل غير ذلك ومن اجل التابعين
ايضا الضحاك بن قيس المعروف بالاحنف ولشهرته بالاحنف لم يجوز احد من ارباب الحواشي
ان يكون المراد به هذا ومن حسن الاتفاق موافقة معنى اسم الراوي للمروي وهكذا بمعنى مثل
هذا وها للتنبية والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة والمماثلة والمغايرة باعتبار ان اللفظ
القايم بمتكلم غير القايم باخر وان اتحد نوعهما او حرف التشبيه مقحم غير مقصود اي هذا وسترى
تحقيقه قريبا وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا سيأتي تفسير هذه الاية وفسر بعض الشراح قوله كذلك فقال اسم الاشارة
المجرور بالكاف التي للتشبيه واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا وهو
ما فهم من الاية قبلها اي وكما جعلناكم مهتدين الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل
القبل اقول هذا خلاف ما ارتضاه المحققون من شراح الكشاف فيه وفي امثاله قال
العلامة التفتازاني رحمه الله تعالى في قول الكشاف اي مثل ذلك الجعل يريد ان ذلك
اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر تقصد تشبيه هذا الجعل العجيب به
على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم امة وسطا واذا تحققت هنا
فالكاف مقحمة اقحاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم هكذا ينبغي ان يفهم
هذا المقام انتهى اقول هكذا قاله الطيبي وغيره ولم ازل ابحث عن هذا كل من تامنه من الفضلا
فلم اظفر بما يثلج الصدر فتصفحت الدفاتر وراجعت خزائن الصفا وفرايت في شرح القصايد
المطوال في شرح قول زهير كذلك خيمهم ولكل قوم اذا مستهم الضراء خيم نقلا
عن الجرجاني انه قال لفظ كذلك يكون تثبيتا الخبر متقدما او متاخرا فهي نقيض كلا لانها تنفي
ذلك فمعنى البيتان هرما واباه بنت لهم حسن في دفع الملمات اذا نزلت بقومهم وان كانت
الاخلاق تتغير عند نزول الشدايد وحلول العظايم ومثله قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب
المجرمين انتهى فقد علمت من هذا ما ذهب اليه اهل المعاني من ان كذلك يكون في كلام العرب
لتثبيت ما بعدها وتقريره من غير نظر للتشبيه وانه طريق مسلوك لبلغاء العرب وتوضيحه ان
وجه المشبه يكون كثيرا في النوعية والجنسية كقوله هذا الثوب كهذا الثوب في كونه خزا
او بزا التشبيه يستلزم وجود امثاله وثبوته في ضمن النوع فاريد به على طريق الكناية مجرد

رد على البيضاوي

الثبوت

الثبوت لما بعده ولما كانت الجملة تدل على الثبوت كان معناها موجودا بدونها وهي مؤكدة له
فكانت كالكلمة الزائدة وهذا معنى قولهم انها مقحمة وافادة لانها على كون ما بعدها عجيبا
غريبا فدون ما ليس كذلك لا يحتاج لبيان فلما اهتم باثباته في الكلام البليغ علم انه امر
غريب وبهذا تبين لك معنى قوله ومثل هذا الجعل العجيب فان قلت ما مناسبة كونهم
امة وسطا شهداء على الناس لما سبق له النظم من تحويل القبلة قلت وجهه ان اهل الكتاب
انما انكروا تحولهم عن قبلة من قبلهم رد عليهم انكارهم بان هذه الامة واهل هذه الملة شهداء
عليكم يوم الجزا وشهادتهم مقبولة عند الله فانهم احق باتباعهم والاقتداء باهل
قبلتهم ولا وجه لانكارهم عليهم لان قولهم وفعلهم مقبول دونكم وهذا تحقيق لم اسبق
اليه فعليك بادخاره في حقاق الاذهان فلعلك لا تراه في غير هذا المكان قال ابو
الحسن القابسي تقدم الكلام في ترجمته ونسبته ابان الله تعالى اي بين واظهر فضل نبينا صلى الله
عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية البا للتعدية او السببية واختار بعضهم كونها ظرفية
بمعنى في القوله وفي قوله في الاية الاخرى وهي قوله هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ضمير هو الله اي الله عز وجل سماكم المسلمين فيما
اوحاه لرسله عليهم الصلوة والسلام في الكتب المقدمة ثم سماكم به في هذا القران كما تقدم
وقيل المعنى ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام سماكم المسلمين قبل هذا الوقت في قوله واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك او ابراهيم عليه الصلوة والسلام سماكم مسلمين
كما نقل عنه في هذا القران وقوله ليكون متعلق بسماكم وفسرت شهادته بتزكية شهادة المخاطبين
وتصديقها على ان الاولى بمعنى اللام وشهادتهم للانبيا عليهم الصلوة والسلام على اممهم
وعلى الثانية على اصلها ان كان المراد بالناس اممهم او بمعنى اللام ان كان المراد اياهم فتطابق
بهذه الاية وما قبلها كما سياتي في كلام المصنف وتعاكسهما لفظا لان التزكية مؤخرة زمانا
عن الشهادة في الاولى والمزكي مؤخر رتبة عن المزكى في الثانية وترقى في مدح المخاطبين
في الثانية ببيان انهم سيشهدون ويزكيهم من لا ينطق عن الهوى ولاهتمام به قدم ذكره في
الثانية وان مثله سيزكيهم ومنهم من فسر شهادتهم بما مر وشهادته على المخاطبين بالتبليغ
فيتطابق الاتيان على هذا والظاهر ان شهادتهم هذه قبل شهادتهم تلك فلذا قدمت في احديهما
واخرت في اخرى لان السياق لهم بدلالة صدرها وان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيها وشهادته
بالتبليغ وهم غير منكرين لانهم لم يفصحوا بما افترض عليهم فنزلوا منزلة من لم يبلغه لعدم
الجري على موجبها فهي كالشهادة عليهم واستشكلوا كون لام ليكون للتعليل اذا اريد شهادة
الرسول عليه الصلوة والسلام بالتبليغ على المخاطبين لانها لا تتوقف على تسميتهم مسلمين
بدليل ان من الرسل عليهم الصلوة والسلام من يشهد على اممهم بالتبليغ ولا اسلام لهم فلذا
فسرت بالشهادة بالتبليغ مع الاطاعة وقيل مناط العلية الشهادة الثانية وفيه ما لا يخفى
ومنهم من جعلها لام العاقبة وكذلك اي كما ابانت الاولى فضلهم بان قوله تعالى فكيف

اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية المراد بالامة جماعة فيها نبيها والشهيد هو النبي صلى الله
عليه وسلم الذي يشهد على ما عملوا اي كيف يكون حالهم اذا شهد بصلاحهم وفسادهم
او بالاخير فقط او على التبليغ ويجوز التعميم واقتصر اكثرهم على الاول لانه انسب
بالتوبيخ والاية بالنصب اي اذكرها او بقيتها وهو قوله وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا اي جئنا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء شهيدا على صدقهم او على الامم او على
التبليغ او على امتك بالتزكية ولا منافاة بين كون النبي صلى الله عليه وسلم شاهد
للانبياء عليهم الصلوة والسلام وعلى الامم وبينها سيأتي من ان امته صلى الله
عليه وسلم يشهدون وهو يزكيهم اما لانه صلى الله عليه وسلم يشهد معهم ثم يزكيهم
او انه جعل التزكية شهادة لانها في حكمها وقوله تعالى وسطا اي عدلا خيارا الوسط
بفتح السين ما وقع بين الطرفين بحيث تكون نسبته اليهما متساوية وقد يراد به
ما يكتنف من جوانبه ولو من غير تساو كما في المصباح وبسكونها بمعنى بين وفي الفرق بينهما
كلام لاهل اللغة بيناه في شرح الدرة ثم استعير لاحسن الشيء وخياره ولذا قيل خير
الامور اوسطها وقال الشاعر يا ليتنا هي غلط خير الامور الوسط ورد هذا الامام
السهيلي في الروض الانف وقال الوسط يكون مدحا وذما كقولهم اثقل من مغن وسط
قالوا الوسط اخو الدون وانما يمدح به في مقامين احدهما الشهادة لتوسط الشاهد
في الحق وعدم ميله الى احد الجانبين والثاني النسب كما قيل في وصف ام المؤمنين خديجة
رضي الله عنها انها كانت وسيطة من قومها لان وسط القبيلة اعرقها وصميمها لاحاطة
الاباء والامهات به من كل جانب فلذا كان مدحا والاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط
محمية عنه والى هذا المعنى اشار الطائي بقوله في وصف قلعة كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت
بها الحوادث حتى اصبحت طرفا صفة مدح ومنه الوسطى وليس واردا عليه فان استعمال
الوسط فيما ذكر مجاز فلا يلزم اطراده والسهيلي رحمه الله تعالى لا ينكر كونه بمعنى الخيار وانما
ينكر لزوم ذلك له كما قاله بعضهم ومن هنا عرفت انه يرد بمعنى العدل وبمعنى الخيار وبهما
فسرت الاية والعدل معناه ظاهر والخيار يكون اسما مفردا بمعنى المختار والاختيار ويكون
جمع الخير كسهم وسهام كما صرح به في المصباح والعدل في الاصل مصدر فلذا اطلق على الواحد
والجماعة وقد يجمع فيقال عدول ولذا افرده المصنف رحمه الله تعالى هنا وجمعه فيما سياتي
فلا منافاة بينهما وقيل على المصنف ان النبي عليه الصلوة والسلام فسر الوسط في هذه الاية
بالعدل في حديث رواه الترمذي وصححه وثبت تفسيره به وفي صحيح البخاري والعدل والخيار
معنيان يران وقد رجح الاول بتقديمه لشمول الثاني للمجاز ولذا اخره وعطفه الزمخشري باو فجمع
المصنف بينهما ان اراد انهما مرادان معا في الاية كما لا يكثر على منع وان اراد احدهما فلا ينبغي
العدول عما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر انه بين مراد الله حتما لا احتمال
والمص على شاننا من ان لا يعرف مثله الا ان يقال انه ذكر الثاني بالتبعية للاول للزومه له انتهى

سيد

اقول

89

اقول قد ظهر لك مما قدمناه ان الخيار بمعنى الخير والمختار وكل عدل فهو خير مختار فذكر المص
بعد العدل دون عطفه بالواو وجعله صفة مادحة للعدل لان العدل من هذه
الامة لا بد ان يكون خيرا فلا منافاة بين ما ذكره وبين الحديث وليس مثله مما يستشكل
ويستصعب وفيه اشارة الى ان التفسيرين مالهما واحد وعطفا الزمخشري له باو
للتخيير بين التفسيرين الذين ذكرهما السلف فان مالهما واحد فان اختيارهم للشهادة
يدل على انهم عدول فلا ينافي التفسير الماثور بل يناسبه مناسبة تامة فلا وجه لما
قيل هنا من ان كلام المص رحمه الله تعالى محل تامل حيث افرد عدلا هنا ووصفه
بخيار وهو جمع خير مع جمعه في قوله عدولا ولا اخيار لما عرفته والعدل يطلق
على الواحد وغيره كما في الصحاح يقال قوم عدل عدول فما ذكره كله من ضيق العطن
وقلة الفطن وفي تركيبه هنا حزازة لانه يحتاج الى تقدير اي قوله وسطا اي عدلا
خيارا فيه تفصيل لهم ومدح وقوله ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم
بان جعلناكم امة وسطا خيارا عدولا لتشهد والانبياء عليهم الصلوة والسلام
على اممهم ويشهد لكم الرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدق اشارة الى ان
المشبه به في هذه الاية وهي قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الخ الهداية
المذكورة قبله في قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقيل المعنى كما اصطفينا ابراهيم
عليه الصلوة والسلام او كما فضلناكم بهذه القبلة وقد بينا لك ان المحققين من شراح
الكشاف على ان المشار اليه ما بعده ولم يقصد التشبيه بما قبله وقد مر تفصيله وهو على
هذا صفة مصدر مقدر للفعل المذكور بعده والجار والمجرور في محل نصب اي جعلناكم جعلا
وهذا مع ظهوره غفل عنه من قال اسم الاشارة هنا على هذا في محل رفع على الابتداء على ان جعلناكم
بتاويل جعلنا اياكم منكون كالضمير الذي يفسره خبره نحو ان هي الا حياتنا الدنيا وهذا تعسف
لا معنى له وقوله ان الخ تنازعه الفعلان ويشهد بالنصب والتخصيص بهذه الامة من فحوى
الخطاب لانهم اذا كانوا شهداء على جميع الامم السالفة وانبيائهم والرسول شاهد لهم
لم يبق احد من بني ادم غيرهم يشهد هذه الشهادة فانحصرت اونقول المص رحمه الله مالكي
المذهب ومذهب مالك رحمه الله افادة لام التعليل الحصر كما نقله الخطابي في شرح الاثار
عنه في الاستدلال بقوله والحمير لتركبوها على حرمة اكلها فان اردت تفصيله فانظره فما قيل
من ان التخصيص من السياق ونظرا للواقع الى اخر ما ذكره واطال فيه من غير طائل بل بعد
ما استشكله غير ظاهر وفي قوله يشهد والى اخره اشارة الى ان على بمعنى اللام لا للمضرة لانها
اذا دخلت على المشهود به لا تكون للمضرة وقيل ضمن الشهيد معنى الرقيب وقدم للتخصيص
متعلقه وعليه فالناس في الاية بمعنى الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولا باس به وقيل
ان الله جل جلاله هذا ابلغ من قوله جل وعلا فانه على نهج جده اذا سال الانبياء عليهم
الصلوة والسلام هل بلغتم ليظهر حال الامم وفضل هذه الامة فانه يعلم السر واخفى فيقولون

ابن الحنبلي

سيد

نعم فنقول امهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد واله محمد صلى الله عليه وسلم للانبيا عليهم
الصلوة والسلام وتزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي في تخريجه هذا حديث
مرفوع اخرجه البخاري من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه وقيل عليه ان البغوي
روى ان الله يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول للكفار الم ياتكم نذير فينكرون
ويسال الانبيا عليهم الصلوة والسلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة
واقامة الحجة فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون انهم قد بلغوا فتقول الامم
من اين علموا هذا وهم اتوا بعدنا فيقولون يا ربنا ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا اخبرتنا
فيه بتبليغ الرسل ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم
وما ذكره المخرج فيه نظر واضح انما اخرجه البخاري انما هو في نوح عليه الصلوة والسلام وامته
لا ما ذكره المصنف رحمه الله ولذا قيل والحكمة في هذا اظهار فضل نبينا صلى الله عليه وسلم
على سائر الانبيا عليهم الصلوة والسلام وفضل امته على سائر الامم بقبول شهادتهم
وتزكيته افضل الخلق لهم والله تعالى عالم غني عن السوال وفيه معنى حسن لكونهم وسطا لتوسطهم
بين الامم والنبي صلى الله عليه وسلم ولظهور علمهم وعدالتهم واقامة الحجة على غيرهم وقيل
معنى الاية انكم حجة على من خالفكم قال في المغني انكم بفتح الهمزة وفي النسخة التي ذكرت بفتحها وكسرها
بالقلم اي اجماعهم حجة وشهادتهم مقبولة معتبرة والنبي صلى الله عليه وسلم حجة على الجميع
كما قال السمرقندي ايضا وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اي لهم تقدم
ورتبة رفيعة عند الله عبر عنها بالقدم لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لان بها العطا واضافه
الى الصدق لبيان فضله ومزيته قال ابو عبيد كل سابق في خير قدم وفيه اشارة الى ان الصدق هنا
بمعنى الخير مجازا قيل كان حقه ان يذكر هنا في فضل الشفاعة واجيب عنه بان هذا الفصل
لما كان مقصودا لوصف الله له بالشهادة وما يتعلق بها كالتبشير بما يدل على فضله وفضلهم
عند الله استطراد التبشير بالشفاعة مع احتمال ان يراد بقدم الصدق تزكيته المقرونة بتصديقه
ففيه مناسبة تامة لما نحن فيه قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قتادة هو ابو الخطاب بن دعامة
السدوسي الحافظ المفسر روى عنه خلق كثير وهو ثقة ثبت الا انه قيل فيه انه مدلس توفي
بواسط سنة سبعة عشر او ثمان عشرة بعد المائة وترجمته مفصلة في الميزان والحسن البصري
تقدمت ترجمته وزيد بن اسلم هو الفقيه مولى عمر رضي الله عنه وهو ثقة حديثه صحيح توفي
سنة ست وثلاثين بعد المائة وله ترجمة في الكامل والميزان قدم صدق مبتدا خبره المفسر له
قوله هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع في نسخة لهم وروى تشفع وشفيع فالقدم على هذا
الشفيع سمي قدما لتقدمه وسياتي قريبا تفسيره بالشفاعة عن ابي سعيد الخدري بتقدير
قدم انسان صدق اي صادق كرجل عدل والشفاعة طلب نفع للغير ومثله لا يوصف بالصدق
والكذب فاما ان يتجوز بالصدق عن القبول لمشابهته لتحقق ما شفع فيه فيصير كالخبر المطابق
للواقع او يقال المراد شفاعة يقدم صاحبها على رجائها كما في قولهم حملة صادقة وقيل المراد

ابن اقبرس

ابن الجبلي

البصري ابو الخطاب الاكمه وسدوس بفتح السين المهملة احد اجداده وقال الزمخشري في الكشاف ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه اي ممسوح العين غير قتادة السدوسي من قتادة والجمع على علمه وحفظه واتقانه توفي بواسط شرح البخاري

ان

ان الشفيع صادق في خبره ومن يكون كذلك تقبل شفاعته وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم اي
وفاته صلى الله عليه وسلم قبلهم كما تقدم انه فرط لهم وسابقة ينفعهم حياته ومماته كالغيث
ان جنته وقال ديقه وان تاخرت عنهم في الطلب وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه
تقدم ان اسمه سعد بن مالك ابن سنان بن عبيد ابن الابجر وهو خدرة وجيم وهو ابن خدرة
بضم الخاء المعجمة واسكان الدال المهملة الذي ينسب اليه على الاصح وقيل خدرة ام الابجر
الصحابي الرفيع القدر المشهور من اصحاب الشجرة توفي بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اربع
وسبعين وروى عنه احاديث كثيرة هي شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو شفيع
صدق عند ربهم جعلت الشفاعة سابقة لتقدمها او تقدم صاحبها وقوله وهو شفيع
الخ اشارة الى ان الصدق صفة مضاف مقدر والصدق بمعنى الصادق او بمعناه المصدق
وقيل انه اشارة الى جواز تفسير القدم به صلى الله عليه وسلم باعتبار الشفاعة ايضا
كما مر او الى المسامحة في تفسيره بالشفاعة فتنوا في الاقوال وقال سهل تقدم الكلام عليه
هي سابقة رحمة اودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم قال التلمساني اودعها بفتح الهمزة
والدال والعين وفي نسخة العزفي بضم الهمزة وكسر الدال وضم عين المضارع وفتحه اذا سقطت
في ورفع محمد على انه نائب عن الفاعل وهو الله وليس ما قاله بشي لانه ودع يتعدى بنفسه
لمفعولين على كل حال فتضمن على كل حال فتضمن معنى الحفظ ونحوه هنا ولا باس به ومعناه جعله
متصفا بها ليشفع الناس بها عند الحاجة والسبق لما مر او في الاول وسابقة رحمة بمعنى
رحمة سابقة او الاضافة بيانية وقيل هي رحمة قدمها بوفاته لما في الحديث اذا اراد الله
بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطا لها وسلفا وتقدم تفصيله ومثل القدم هنا
ما ورد في الحديث في صفة النار يضع الجبار فيها قدمه اي من تقدم في علم الله خلقه لها
والجبار اسم الله وقيل الجبار بمعنى الجبارين والقدم على ظاهره وليس هذا محل تفصيله وقال
محمد بن علي الترمذي الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن
الحكيم وليس هو صاحب السنن وهذا روى عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما وروى
عنه خلق كثير لما قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحو من ثمانين سنة وقد
طعن الناس في اعتقاده لكلام صدر عنه في بعض تصانيفه والله اعلم
بالسرائر وتزيد فيها لغات تقدمت هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع
والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي بضم السين وفتح اللام ابو عبد
الرحمن شيخ الصوفية وقد تقدم الكلام عليه وهو ضمير عائد على قدم صدق وتذكيره
رعاية لمعنى العضو ونحوه والصادق معناه ظاهر وقال الفاضل الزمخشري الصديق فعيل
من الصدق واصله في القول والخبر واختلفوا في تفسيره وورد في الشرع لمعان يجمعها كلها
المبالغة في الصدق وتكثيره فاما اقوال العلما فيه فقيل الصديق من كثر منه الصدق
وقيل من لم يكذب قط وقيل من لم يات منه الكذب لتعوده الصدق وقيل من صدق بقوله

ابن الجبلي

واعتقاده وحقق بصدقه فعله واشتهر حتى بلغ درجة تلي درجة الانبيا عليهم الصلوة والسلام
وورد في القران العظيم في مواضع كقوله تعالى اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم
لهم اجرهم ونورهم واولئك اشارة لمن اتصف بالصفات السابقة لمن اتصف بها هو الصديق
والشهيد ويعني بالشهداء الانبيا عليهم الصلوة والسلام الذين هم شهدا على الناس
يوم القيمة فلهم اجر ونور لا عين رات ولا اذن به سمعت الى اخر ما فصله ونقل فيه كلام
ارباب الكشف والصديقية مرتبة قبل النبوة ليس فوقها درجة الا النبوة فهو الولاية
وتنضم للنبوة ايضا كولاية النبي ولذا قال الله تعالى في حق ابراهيم عليه الصلوة والسلام
انه كان صديقا نبيا ووصف به النبي هنا ومناسبة هذه الاية وتفسيرها لما عقد له
الفصل ظاهره لان العدل في الشهادة المقبول قوله لا يكون الا صادقا صديقا وقد قرنت
الشهادة بالصديقية في القران على القول المرضي فما قيل من ان هذه الاية ليس فيها الوصف
بالشهادة وما يتبعها وانها ليست من الفصل وتخصيصها بالاستطراد غير واضح لا وجه له
لا سيما وكونه صلى الله عليه وسلم اما ما مطاعا مجابا بالماسال يدل على قبول كلامه وعدم
رد شهادته الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه اي خطاب الله لنبيه الكريم صلى الله
عليه وسلم والخطاب مصدر في الاصل بمعنى المخاطبة وهي توجيه الكلام لغيره
ويطلق على الكلام المخاطب به وعلى الاول هي نسبة بين المخاطبين وهي بالنسبة الى الكلام
الازلي القايم بالنفس محال ولذا اختلف في صدق الخطاب على الكلام النفسي كما حكاه
ابن الحاجب ويصح ارادة المعنيين هنا فالظرفية مجازية من ظرفية الخاص في العام
وقيل انه بتقدير بين والورود بمعنى المجي والوقوع مجاز مشهور او حقيقة عرفية
وقيل انه تجوز في اسناد الورود الى ما خوطب به مجازا عقليا بتشبيه المبرة والملاطفة
بشريعة الماء بجامع الانتفاع ففيه استعارة مكنية وتخييلية ولا يخفى ما فيه فتدبر
تدو كونه في بمعنى من تاويل من غير داع مورد الملاطفة والمبرة مورد اسم مكان
او مصدر ميمي بمعنى الورود والملاطفة المعاملة بلطف وشفقة والمفاعلة مجازية
لتنزيل استحقاقه له بمنزلة فعله او هي لاصل الفعل من غير مشاركة ولذا عطف عليه
المبرة بمعنى البر وهو الاحسان والحنو ولا يخفى ان الفصول معقودة لمعاني متغايرة
وتغايرها ظاهر فلا حاجة لما قيل ان المراد هنا لطف ومبرة لم يكن بما سبق من المدح
والشفقة او القسم نحو ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم في نسخة بدل قوله
تعالى عز وجل وضمير لهم للمنافقين المتخلفين في غزوة تبوك وذلك اشارة لما ورد على الوجه
المذكور قال في الكشاف وتبعه البيضاوي ان هذا كناية عن الجناية لان العفو رادف لها
ومعناه اخطات وبيس ما فعلت وقد شنع الناس عليه في هذا حتى كان سببا لمنع الناس
من قراءة كتابه كما حكى الامام السبكي لما فيه من ترك الادب وقال ابن المنير في تفسيره
المسمى بالبحر عفا الله عنك دعامة في الكلام يقصد المتكلم بها ملاطفة المخاطب وعادة

العرب

سيد

سيد

ابراقيرس

العرب في التلطف بتقديم الدعا للاستدعا الاصغا او خبر معناه لا عهدة عليك لانه
91 تعالى غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهو تخصيص وتمييز لا ان الاذن ذنب متعلق به العفو
لانه تحمله ومسامحته لهم مع اذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا للحظوظ فهو عتب عليه
بلطف لا ملامة اي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية ولذا قيل ما اجفى بك في محبة الله
وطاعته والرفق بالبر والفاجر وابن هنا من التخطية والزمخشري نزع به هنا عرق العجمة لاساءة
الادب على النبي صلى الله عليه وسلم واراد بعضهم ان يصلح ذلك فافسد فقال بداه بالعفو
قبل الذنب ولو عكس انقطع مناط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب في حيفه على نفسه
وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح وهذا كما قيل له اذ جهد وجد في العبادة
ما انزلنا عليك القران لتشقى ولعلك باخع نفسك والعفو ان كان بعد ذنب كما
يدل عليه رضي الله عنك لغضب سابق فهو هنا تنبيه على انه امر ان يرفق بنفسه فكانه قيل له
ان ابيت الا الحكم والاحتمال فانت غير ملوم بل مثاب كمن يرخص له في لذة وراحة فيعمل
بالعزيمة فيقال له ما كان هذا بلازم لك فاذا احتملته فلا عهدة عليك ايجابا لحقه
ورفعا لقدره لا لالزامه ما لا يلزمه وذلك انهم ادعوا الطاعة وزاحموا المطيعين
في رتبتهم فاستاذنوا ليكون قعودهم باذن لا ثنيا في دعواهم ولو لم يؤذن لهم هتكوا حجاب
الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة وقامت الحجة عليهم فانهم ليسوا في ورده ولا صدره
فلما اذن لهم تمت مكيدتهم واليه الاشارة بقوله حتى يتبين لك الخ وليس في هذا مخالفة
مصلحة مرضية فان الله بين انه باذنه لهم طبق مجرا الكراهة فانه لا مصلحة في خروجهم
بل فيهم مفسدة شموها وعاقبة شنعا لانهم لو خرجوا كانوا مخذلين باعثين الفتنة يمشون
بالنمايم ويثيرون غبارا لضغاين مشتتين للشمل كالظربان فانهم ذباب يقعون
على الدبر والقذر فكانت المصلحة العظمى في قعودهم وان كان فيه ستر امرهم والحماية
لمكرهم وغاية العايلة الباس امرهم وقيام حجتهم وهو قد عرفهم وانكشف له عوارهم
ولكن لم يفضحهم حلما وكرما واتساع صدورهم ضاق نطاق عمر رضي الله تعالى عنه عن ذلك
واشار بضرب اعناقهم فقال له صلى الله عليه وسلم لا يا عمر لا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه فانه قد يخدش الصدور السليمة ويوقع في حصايد الالسنة فاشفق على العدو
فاستبقاه وعلى الولي ان تزحزحه الشبه عن رتبة نقاه وحمل عبء ذلك نفسه في ذات الله
انتهى قول جزاه الله خيرا عما اهداه للعقول السليمة من نفس التحف ودافع به عن حرم
النبوة العالي الرتبة لمن عرف وانت اذا تاملت ما بعده من النظم تراه مصرحا بما ابهما
افاده الم تسمع قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم
الفتنة وفيكم سماعون لهم فاي باس اشد من الاذن في تخلفهم واي حلم اعظم من الستر
عليهم فكيف يكون في اول الكلام عتاب واخره بيان لان ما وقع عين الصواب ولو كان
هنا في رسالة كاتب جرى بها سلطانه فما ظنك بمالك الملك تعالى شانه قال ابو محمد المكي

قيل هذا افتتاح كلام اى هذا جار على نهج البلغا وارباب والترسل والانشا فى ابتدا كلامهم
بالدعا توقيرا وتعظيما وفيه اشارة الى ان هذه الجملة انشائية دعائية على ارجح الاحتمالين
فيها كما سمعته انفا بنحو اصلحك الله واعزك الله اى هو مثله فى انه دعا للتعظيم لم يلتفت
اليه لما يوهمه الدعا بالصلاح من الفساد ولغيره من الذل كما ورد فى الحديث لقد عجبت من يوسف
عليه الصلوة والسلام وكرمه وصبره والله يغفر له وقدم هذا المصل لانه المخفف المرضى
عنه لما ستعرفه فى قوله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب وعون هذا هو
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه اخو عبيد الله الراوى عن ابى هريرة
وابن عباس وجمع وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وليس تابعى لكن له حديث عن ابن عمر رضى الله
عنهما فى مسلم وروى عنه الزهرى وابو حنيفة وابو العميس واخرج له احاديث كثيرة وهو ثقة
توفى فى حدود السنين بعد المائة وفى نسخة خبره بدل اخبره والمعنى واحد وكذا يخبره لكن فى المقتفى
ان يخبره فى النسخة المصححة بالتشديد وهو الصحيح وهو مع اخبره من تنويع الكلام لان اخبره
وخبره بمعنى واحد والتنويع ان يكون فى الكلمة لغتان فيجمع بينهما كقول بشار اذا انكرتنى بلدة
او نكرتها خرجت مع البازى على سواد ففى العبارة ثلاثة اوجه قيل المراد بالذنب هنا خلاف
الاولى والاليق لان حسنات الابرار سيات المقربين والوجه هو الاول وبعض الشراح ارجع هذا
لما قبله ورد بان بينهما فرقا ظاهرا لانه على الاول لا ذنب اصلا والجملة انشائية دعائية وعلى
هذا هى خبرية فان اراد ان المال واحد صح ما قال ثم ان هذا كيف يعد ذنبا وان لم نقل الجهاد
فرض كفاية فتخلف بعضهم بالاذن لا باس فيه لا سيما اذا كان فى ذلك مصلحة ونفع وقال نفطويه
اللاتى ذكره اذا امر الملك احدا على جيش كان ذلك تخييرا له فيما يامرهم وينهاهم فيمتنع العتب
عليه فيما فعله لمصلحة لا سيما اذا كان مقامه فى غاية الجلالة عنده وحكى السمرقندى عن بعضهم
ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم فيه ايهام لان عفا من المعافاة لاشتراكهما
فى اصل المادة وليس بمراد بل قصد التجنيس للفرق بينهما ولذا ورد الجمع بينهما فى الحديث نسالك
العفو والعافية والمعافاة الدائمة وفيه اشارة الى ان الذنب كالمرض والعفو عنه بمنزلة
الطب الشافى له الا انه قيل عليه انه سليم القلب ليس بمناسب هنا لانه وان كان مدحا
فى نحو قوله الا من اتى الله بقلب سليم لان معناه خلوصه من الغل والغش لانه صار فى الاستعمال
عبارة عن الغفلة وضعف الراى وقلة الحزم والعزم كما فى لباب التفاسير واجيب عنه بان
ما ورد مدحا فى القران يجوز التعبير به فى مقام المدح وان اوهم خلافه لم يلتفت اليه وفيه
نظر وقد تقدم الكلام على السمرقندى وترجمته قال ولو بدا النبى صلى الله عليه وسلم بقوله
لم اذنت بدا مبنى للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله ومنصوب مفعول وبدا مهموز بمعنى ابتدا
لا معتل بمعنى ظهر لخيف عليه اى لخاف عليه من يحبه لا الله ان ينشق النبى قلبه من هيبته هذا
الكلام لتاثيره فى قلبه وجلالة قايله ومهابته خصوصا ممن هو اخوف الناس منه لعلمه بما لم
يعلمه غيره وسياتى الكلام عليه وفيه مبالغة والرد كما قيل انه كان ان يخاف عليه او يخاف عليه

تمامه
حين سئل عن البقرات العجاف
والسمان ولو كنت مكانه
ما اخبرتهم حتى اشترطت
ان يخرجونى
على القارى

من لا يعرف

من لا يعرف انه امن مغفور له او خيف عليه بحسب الظاهر ان يكون شانه ذلك فى ذاته ومثله
لا يوجب خللا فى المقصود كما توهم وهذا مبنى على ان خوف النبى صلى الله عليه وسلم من العقاب
بعد تامين الله له غير جائز وسياتى تفصيله وانفطار القلب وانشقاقه عبارة عن الخوف
المهلك كما تنشق الاجسام من خشية الله كما قال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله لكن الله اخبره بالعفو حتى يسكن قلبه سكن ماض بالتشديد
والتخفيف وفى نسخة سكن وقلبه مرفوع او منصوب وروى يسكن مضارع مضموم الاول
مشدد وقلبه منصوب مفعول ويجوز تخفيفه ورفع قلبه بمعنى انه تعالى لرافته به صلى الله
عليه وسلم ورحمته قدم العفو او لا ليسكن قلبه اى يطمئن وبان قيل المراد بدوم له السكون
وعدم الاضطراب لامنه او هو من قبيل سبحان من صغر البعوض واعترض عليه بعض الشراح
بانه لا طائل تحت هذا الكلام لانه خوطب باشد منه نحو فلا تكونن من الجاهلين ولم يضطرب
لتامين الله له بقوله ليغفر لك الله ونحوه ورد بانا لا نسلم انه اشد منه او مثله فانه نهى
عن الوقوع فيه من غير عتب وتخويف كما يسبح ولو سلم فهذا اعتراض اشد تخويفا من النهى مع
انه لا يلزم من عدم الرعاية فى مقام عدمها فى مقام اخر ولا من الرعاية واللازم الامن
من النار ونحوها على ان الوعد لا يمنع الدهشة والخوف من الصدمة كما سيقع للانبيا
عليهم الصلوة والسلام فى يوم القيمة والعشرة المبشرة بالجنة يخافون من سوء العاقبة
لاحتمالات وسياتى تحقيق هذا ان شا الله تعالى فى محله ثم قال له لم اذنت بالتخلف حتى
يتبين لك الصادق فى عذره من الكاذب ثم هنا لمجرد الترتيب الذكرى بغير مهلة او بمهلة
لتنزيل ما تقتضى وانعدم بمنزلة البعيد كما حقق فى قوله ذلك الكتاب فى احد الوجوه ويتبين
بمعنى تتضح ويظهر ويتميز هنا من هذا وينفصل فيتعلق من به باعتبار ما تضمنه من الانفصال
وحتى متعلق بمقدر لا باذنت لفساد المعنى اى حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
اى لم اذنت للمنافقين بالتخلف عن تبوك كان عليك ان لا تاذن لهم حتى يتبين الخ كما فى لباب
التفاسير وغيره والاستفهام فيه اشعار ربما قدروه وفى هذه المذكور من تقديم العفو وتاخير
السوال من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذى لب المنزلة المرتبة المعنوية وعند ظرف
مكان اذا اضيف الى المنزه عن المكان فهى بمعنى فى علم الله او فى حكمه كما فى قوله تعالى كان
عند الله عظيما وبينهما فرق دقيق ويكون للقرب المعنوى كما فى قوله ابن لى عندك بيتا فى الجنة
وبمعنى احسانه وانعامه كما فى قوله قالت هو من عند الله كما مر فاختر لنفسك ما يحلو واللب
العقل والمراد الكامل او هو على ظاهره مبالغة ومن بيان مقدم على المبين عند من اجاز تقديمه
او هو بيان للمقدر المبهم وما بعده بيان او صفة اخرى للمبهم ومن كرامه تعالى اياه صلى الله عليه
وسلم وبره به لرعاية خاطره والتسلية له وتقديم الدعاء والعفو فى اول خطابه كما مر فتذكر
ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب نياط فعال من المنوط وهو التعليق ومنه
المناط فقلبت واوه ياء لانكسار ما قبلها وهو عرق غليظ تعلق به القلب من الوتين

وقيل هو الوتين بنفسه فاذا انقطع مات صاحبه فلذا كني به عن الموت قال ابن خالويه في كتابه ليس في اسماء المنية قال الله عز وجل الا ان تقطع قلوبهم معناه الا ان يموتوا يقال قطع قلبه ورمى بنيطه ورماه الله بذنبه وطالبه بحقه اذا مات انتهى وللنياط معان اخر كالعرق المستوطن الصلب والمراد ان له صلى الله عليه وسلم منزلة عند الله ورتبة اكرمه بها وانعم عليه بما لا تطيق العقول معرفة كنهه وغايته ولا تفي الاعمار بتحصيله وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيها لم يوصف فانقطع النياط كناية عن تعذره وصعوبة مسلكه او عبارة وصعوبة مسلكه او عبارة عن عدمه وقال الاعمار بيه وحيلولة الموت دونه وما قيل من انه يجوز ان يكون اشارة الى ان من عرف كما د اكرام الله ورعايته له عرفانه في غاية التقصير فيخاف خوفا يتم الهلاك تعسف وارتكاب لما يأباه فحوى الكلام والغاية هنا النهاية وتفسيرها بالفائدة غير مناسب ومنهم من فسرها بجملة الشيء وجعله استعارة وهو بعيد ودون بمعنى قبل كقولك دون الدار منازل قال نفطويه هو لقب لابي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة الازدي النحوي الواسطي صاحب التصانيف الجليلة توفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وقيل سنة اربع ببغداد وقيل بواسط وولد سنة اربع واربعين ومائتين وقيل خمسين ولقب به لدمامة منظره واكنفظ معروف معرب وفي هذا وامثاله كسيبويه الاصل الصحيح فيه فتح الواو وسكون اليا وقيل انه من تغيير المحدثين تجنبا من لفظ ويه ولذا قيل في هجائه احرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي صياحا عليه وقال المعري ان هذا مما احدثه المولدون وويه بلغة اهل البصرة اداة تصغير ويجوز فيه كسر النون وفتحها ويجوز في مثله الاعراب والبنا على كسر اولها لتركيبه تركيب مزج وهو الاقيس ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك اي والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ان يفعل ما يستحق العقاب عليه وقد تقدم الكلام على حاشا مفصلا وانه لا عتاب في هذه الاية بل فيها اعزاز له واكرام بالدعا له وتصويب لفعله والتعبير بالعتاب فيه اشارة الى ان ما فعله خلاف الاولى عند صاحب القيل بل كان مخيرا بين الاذن وعدمه اذا لم يتقدم نهي كما قيل وفيه نظر والاولى ان يقول لنزول وحي عليه الصلوة والسلام في ذلك لقوله فأذن لمن شئت منهم كما سيأتي في اول القسم الثالث الا ان ابن الجوزي قال ان هذه الاية منسوخة بقوله فاذن لمن شئت الخ ولفظ مخيرا هنا قد علمت انه بالمثناة التحتية وقال البرهان الحلبي انه في بعض النسخ مجبرا بموحدة مخففة وهما نسختان مصححتان عنده والاولى اولى والمعنى على هذه انه صلى الله عليه وسلم ماذون له بوحي غير متلو لم يخبرهم به تحريضا لهم على الجهاد فلما اذن لهم اعلمهم الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وهم يدعون بطلب الاذن انه لو لم ياذن لهم ما تخلفوا فاذا اظهر كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصا وما يترتب عليه

سيد

ابن الحنبلي

مكان

فكما فعله اولى واصوب وانه لا حرج عليه في الاذن لهم اي ليس فيما فعله ضيق واثم لكن لو صبر تبين امرهم وفيه اشارة الى كمال الرفق به صلى الله عليه وسلم والرعاية له وانه لم يقع منه تقصير يقتضي العتاب ولا خطا في الاجتهاد ولا ارتكاب لخلاف الاولى كما توهم قال القاضي ابو الفضل هو المصنف عياض كما مر يجب على المسلم المجاهد نفسه بتهذيب الاخلاق والصبر وبكسر شهوتها كما يدل عليه ما بعده فانه الجهاد الاكبر وقيل الوجوب هنا اعم من الشرعي بل ما يليق تركه وهو شايع بهذا المعنى كما صرح به في شرح المواقف وغيره فيشمل المسنون والمندوب وفي تعبيره بالمسلم المجاهد لفظ لم ينبهوا عليه لتعريضه بانهم منافقون تاركون الجهاد الرايض بزمام الشريعة خلقه هو من رضت الدابة اروضها اذا ذللتها لتنقاد لما تريد وتلين بتسكينها والزمام ما يقود ها كاللجام ففيه استعارة مكنية وتخييلية والزمام بمعناه الحقيقي او عبارة عن الاحكام الشرعية على حد ينقضون عهد الله وفسر التلمساني الرياضة بالتعظيم والزمام بالسبب والطريقة وفي كلامه تسامح ولا يستغرب مثله ان يتادب فاعل يجب باداب القران وفي نسخة باداب القرآن بصيغة الجمع والادب كما قاله الازهري وغيره يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضايل ومنه ادبه اذا عاقبه على اساءته لانه داع لحقيقة الادب وادبت ادبا من باب ضرب صنع صنيعا كالطعام ودعى الناس اليه فهو ادب بوزنه فاعل قال نحن في المشتات ندعو الجفلا لا ترى الادب فينا ينتقر ومنه المادبة للمائدة والقرآن مأدبة الله وهو الداعي اليها وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى الحط على مثل الزمخشري مما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم واسا الادب في مقامه الشريف بما لم يقله له رب العزة اذ قال له عفا الله عنك ودعا له وقال هنا اخطات وبئسما فعلت وقد تقدم بما فيه في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته الجار والمجرور متعلق بتادب ومعاطاته من العطا والعطية وهي ما يعطيه قال في المصباح ومنه المعاطاة لانها مناولة لكن استعملها الفقها في مناولة خاصة ومنه فلان يتعاطى كذا اذا اقدم عليه انتهى فالمعاطاة هنا مصدر المراد به الافعال الواقعة معه فهي اخص من الفعل كما ان من المحاورة مخاطبته ومصاحبته فهي اخص من القول فما قيل من ان المعاطاة الفعلية جمع معاطاة كمعادة ومعادات في قوله موكل بمعادات المعادات على ما فيه احتمال افرادهما وربط ومحاوراته القولية جمع محاورة بالحا المهملة وهي المجاورة ومعاطاته وان احتملت الافراد الا ان محاوراته جمع قطعا فناسب ان يكون مقابله جمعا انتهى لا وجه له كما مر فهو صلى الله عليه وسلم عنصر المعارف الحقيقية ورو ضة الاداب الدينية والدنيوية ضمير هو للنبي صلى الله عليه وسلم كما علم او للقرآن وهنا ارجح وعليه الشراح والعنصر بضم الصاد المهملة ويجوز فتحها بمعنى الاصل وفسره التلمساني بالمنبع ولا وجه له والمعارف العلوم او المعلومات والحقيقية المتحققة في نفس الامر والروضة ارض ذات مياه واشجار وانهار طيبة متنزهة والمراد بالدينية

ابن الحنبلي

هو ما يتعلق بالعبادة والتوحيد ونحو من الامور الشرعية والدينوية ما يوخذ من الشرعية
متعلقا بالدنيا فهي دينية ايضا ككرم الاخلاق وحسن العشرة وتدبير المعيشة شبهه بالرياض
لما فيه مما يدفع الكدورات البشرية ويسر الارواح الزكية او شبه الاداب بالمياه
والازهار فهو تشبيه لذكر الطرفين فيه لا لا ن وصفه بالدينية والدنيوية يا باه
كما قيل ولا يصح كونه استعارة كما قيل الا على قول او تاويل بعيد فتدبر ولنتامل
تفعل من الامل وهو رجا ما يبعد حصوله من الخير نقل لمعنى اخر وهو كما في المصباح التدبر
واعادة النظر في الشيء مرة بعد اخرى حتى تعرفه والمتصوفون يستعملونه فيما فيه رقة
او شبهة واللام لام الغايب وفاعله ضمير راجع للمسلم وفي العبارة حزازة ولو اسقط
اللام وعطفه على يتادب كان اولى وعلى هذه النسخة قال بعض الشراح انه امر معطوف
على يجب ان يتادب ميلا مع المعنى لانه في معنى ليتادب فهو كما قيل في قوله تعالى ومن اياته
ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم اي ليبشركم وليذيقكم وان كان الاولى انه بتقدير
وارسلها ليذيقكم كما في المغني ومن العجب ما قيل انه امر معطوف على يتادب ولو قيل انه من عطف
القصة على القصة كان اسهل هذه الملاطفة العجيبة كما قدمه حيث قدم الدعا
والتبشير على ما يوهم الاعتراض والعتاب مراعاة لخاطره صلى الله عليه وسلم
وتطييب لقلبه وهو العلي الغني عن عباده الفعال لما يريد فكيف بالامة الذي
يجب عليهم التادب معه في السوال من رب الارباب متعلق بملاطفة او صفة لها
بتقدير المكانية والرب الموجد المربي والسيد المالك مصدر وصف به مبالغة
او صفة مشبهة وفي اختصاصه به تعالى اقوال فقيل يختص به اذا اطلق من غير اضافة
وكان مفردا فاذا جمع كما في عبارة المصنف جاز لعدم الايهام بالواحد الاحد كقوله
ارباب متفرقون واما قوله وهو الرب والشهيد على يوم الحوارين والبلاء سبلا
قوله ارب يبول الثعلبان براسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب فنادر جدا هل
لا يعتد به وليس الكلام في صحته بحسب اللغة بل الشرع هل هو حرام او مكروه وقيل
انما نهي عن كثرة استعماله واضافته للعقلاء بخلاف رب العرش والدار والاصح انما نهي
عنه اذا اوهم معنى المعبود فمحل التعجب كون السوال من رب العالم الغني عن خلقه كما
اشار اليه بقوله المنعم على الكل المستغني عن الجميع لم يبين ما انعم به واستغنى فيه ليفيد
العموم وكذا كل اطلاق لم تقم قرينة على تقييده والسين هنا ليست للطلب بل للتاكيد
للغنا وعرف الكل بالالف واللام كقولهم بدل الكل والبعض وهما لم يسمعا معرفان بها
في كلام العرب كما ذكره الجوهري وغيره من ايمة اللغة وقد جوز الجوهري فقال الكل والبعض
معرفتان ولم يجئ عن العرب بالالف وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة اضفته او لم
تضف انتهى يعني انه يلزم الاضافة لفظا او تقديرا الا ان الالف واللام قد تقوم
مقام الاضافة وتسد مسدها كما صرح به النحاة والقياس يقتضي صحة دخولها عليهما

ابن اقبرس

دلجي

سيد

ابن اقبرس

الاية

الاية لتسمح في قوله معرفتان ويجوز به عن مضافين لانهما يضافان للنكرة كثيرا مطردا
نحو كل رجل يقول كذا مع ان فيما قالوه نظرا لان كل ما لم يسمع بعينه يمتنع وقد ذكر ابن خالويه
في كتاب ليس انه سمع نادرا فالحق ما قاله الجوهري ولا اعتراض عليه واردف المصنف المنعم
بالمستغني اشارة الى انه لم يرد بانعامه فائدة ولا حاجة له به علم بما قرر انه وامر بالتامل
حثا على رعاية الادب في حقه تعالى ويستثمر ما فيهما اي بين الملاطفة والاداب القرانية
من الفوائد ويستثير بالمثناة الفوقية والمثلثة بعد سين الطلب من اثار الارض كما قال
تعالى اثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها اي بحركه ويبرزه كما يثار الصيد من مكمنه والذهب
من مقره ومنه اثارة الفتنة والشر والمعنى يظهره لنفسه وغيره وفي نسخة لابن رسلان يستبين بالنون
بدون الزاي وفي نسخة بعض الشراح يتبين ويستنير وهو كالعطف التفسيري قال وهو
مجزوم معطوف على يتامل اي يتعرف ويتفحص ويجوز رفعه وقد وقع في نسخة هو ويستنير
بمعنى يبحث ويستخرج مرفوعان انتهى فيجوز جزمهما عطفا على يتامل ونصبهما عطفا على يتادب
او في جواب الامر بتقدير ان بعد الواو ليكن منه الامر ان التامل والاستثارة وتعيين هذا كما
في بعض الشروح لا داعي له والفوائد جمع فائدة وهي ما يتنبه له الذكي من ملاطفة الله له وحسن
خطابه ولينه والسوال عما هو اعلم المشير الى انه خبير بما صدر منه واقف على ما حققوه من مكايدهم
حارس لصياب حقدهم من نافقيها وتعظيمه ورونق خطابه في المبداء والختام المقتضي للزوم
الادب معه وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب كيف
اسم استفهام يسال به عن الكيفية والحالة وقد يخرج عن الاستفهام والصدارة كما فصله
شراح البخاري في باب كيف كان بدء الوحي ولا حاجة لنا به هنا وابتدا بفتح التا والهمزة وثمة
تقدم الكلام عليها وانها اسم اشارة بمعنى هناك والها المرسومة للسكت والوقف وفيه
لغة ايضا بتاء التانيث وهي احتمال هنا وفي قوله ان كان ذنب اشارة الى انه لا ذنب له صلى الله
عليه وسلم بل هو من محاسنه كما قال البحتري اذا محاسني اللاتي ادل بها كانت ذنوبي فقل لي
كيف اعتذر واذا لم يكن ذنب ولا ارتكاب لخلاف الاولى لم يكن عليه ملامة وعتب فهذا
يدل على ان قوله قبل العتب المراد منه ان كان هناك عتب ولظهوره استغنى المص عن ذكره
فهذا من بدايع الاكتفا وقد حام حول هذا من قال لم يقل المص رحمه الله ان كان عتب كما قال
ان كان ذنب اكتفا بالثاني عن الاول لانهما متلازمان وشيخنا حمل العتب على ما هو صورته
لتلاوينا في ما سيذكره من انه لا عتب عليه اصلا وغلطوا من ذهب اليه والمراد بالذنب
خلاف الاولى وهذا كله من ضيق العطن فتدبر وكذا من الزوايد جعله كيف مقحمة وانس بمد
الهمزة بزنة قاتل وروي بالقصر وتشديد النون وقوله كيف قيل انه معطوف على ما فيهما والظاهر
انه معطوف على هذه الملاطفة اي ليتامل كيف الخ فتنبه له وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا اي لولا ان ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل الى
مرادهم ميلا ما قليلا ففي الاية تصريح بان الله عصمه عليه الصلوة والسلام عن الميل الى

في اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون

ابن اقبرس

ابن الحنبلي

سيد

خلاف الصواب فضلا عن الوقوع فيه وفيه دليل ظاهر على ما قدمه من انه لا ذنب له راساً
وفيما صنعوه به اشارة الى ان العفو ليس عن ذنب وتقصير قال بعض المتكلمين اي المفسرين
الذين تكلموا على هذه الاية وكثيرا ما يستعمله المص وغيره بهذا المعنى اللغوي ويجوز ان يراد
المعنى المصطلح اي اهل علم الكلام واصول الدين لتعلق هذا بعصمة الانبيا عليهم الصلوة
والسلام وهي من مباحثه فلا وجه لما قيل ان المنقول عنهم من غير ذلك العلم عاتب الله
الانبيا عليهم الصلوة والسلام بعد الزلات وعاتب نبينا محمد عليه الصلوة والسلام ابن الحنبلي
قبل وقوعه العتب والعتاب مخاطبة من توبخ بما صدر منه مما لا ينا سب لتزيله او يترك
العود له وهو يكون ناشيا عن المحبة والادلال والزلات جمع زلة بالفتح من الزلل
واصله دحوض القدم ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد ولذا فسر بالخطاء
وفي التعبير بالوقوع بمعنى الصدور في الواقع مع الزلل لطف لانه من زل يقع وضمير
وقوعه للذنب ويجوز عوده لنبينا صلى الله عليه وسلم بتقدير قبل وقوله في الذنب
وذلك ان تقدمه قبل احتمال وقوعه كما يدل عليه تعبيره في الاية بقوله كدت تركن اي ابن اقبرس
تميل لان القرب من الميل للذنب يقتضي عدم وقوعه والمراد بزلات الانبياء عليهم
الصلوة والسلام خلاف الاولى الذي هو بالنسبة لعلو مقامهم كالزلة من غيرهم
وحفاته فتركان اللاين الوقوع بحسب الظاهر وان صرحوا بانه غير لازم بدليل قوله
تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وفي الشروح معترضا على ما نقله المص رحمه الله
تعالى بانه لا عتب فيما ذكروا بما هو تذكير بنعمة العصمة له صلى الله عليه وسلم وهو مناف
لما سياتي من عصمة الانبيا عليهم الصلوة والسلام عن الكباير والصغاير ومقامهم
منزه عن الزلات وان صدر عنهم ما هو بصورتها فهو لحكمة لبيان الجواز والتشريع
للامم وقال الصفوي العتاب قبل وقوع الذنب يستلزم امرين احدهما وقوع العتاب
في زمن لم يقع فيه الذنب والاخر وقوع الذنب بعده فاستعمله في لازمه الاول فقط
مجازا فان قلت العتاب في مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة يقال عاتبه وعتب عليه
قال اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب قلت جزم محققو المفسرين
بانه صلى الله عليه وسلم لم يهم بالركون اليهم والعتاب عتابان عتاب منجز كما قال
لقد كدت تركن اليهم وهذا انما يكون مع كيدودة الركون وعتاب معلق كما في قوله
ولولا ان ثبتناك الى اخره وهذا انما يكون مع عدمه اي لو لم نثبتك وقع منك
ذنب القرب من الركون لكنا ثبتناك فلم يقع والمنقول عن بعض المتكلمين وان قدره ابن الحنبلي
المصنف لا ينافي ما جرى به من انه صلى الله عليه وسلم لم يعاتب اصلا لان المنفي المنجز
المستلزم للوقوع والمثبت خلافه كذا قيل ولا يخفى ما فيه فتطلر ليكون بذلك المذكور
والعتب على ما ادعاه اشد انتهاء اي اقوى في تركه لما ذكر مما لا يليق به والانتهاء افتعال
من النهي يقال انتهاء فانتهى لا من النهاية ومحافظة لشرايط المحبة اي مداومة لما تقتضيه

المحبة

المحبة من قصر الهمة على ما يرتضيه المحبوب وهذه غاية العناية من الله صلى الله عليه وسلم
وهذه اشارة الى المعاتبة قبل الوقوع لما ذكره من الفوايد ولذا انث او هو لرعاية الخبر
والعناية قصد المساعدة والاعتنا بحفظه وامره يقال عنيت بامر فلان بالبنا للمفعول
عناية وعنيا شغلت به وهذه اقوى من عناية الله بغيره من الانبيا فلذا جعلها عناية سيد
وقيل انما جعلها غاية مبالغة ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه
عليه وخيف ان يركن اليه اتى بثم لبعد مرتبته هذا مما قبله لان في المعطوف عليه
احتمال الصدور الزلة وفي هذا اكرامه وتامينه من صدورها منه وهو اما من كلام المص
رحمه الله او من تتمة كلام ذلك البعض ملتفتا من الغيبة الى الخطاب يفاءلا للمامور
وحثا له على التامل وهو من عطف القصة على القصة او على مقدر اي تامل ما ذكر ثم سيد
انظر والنظر بمعنى التفكر والتدبر مستعار من نظر وقيل ثم مجردة من المهملة او لان الفراغ
من ذلك التامل انما يكون بعد مهملة وبدا ببنائه اي لم يقل لقد كدت تركن لولا ان ثبتناك
وقال ثبناته ولم يقل تثبيته كما في الاية لان قوله كدت يدل عليه وهو محل المدح او لان
تثبيت الله يلزمه الثبات والسلامة عما خيف عليه والمعاتب عليه الركون وخيف ابن الحنبلي
مبني للمجهول اي وقع الخوف ممن هو شانه وقيل فاعله المقدر هو الله وان كانت حقيقة
الخوف مستحيلة عليه لان المراد معاملته معاملة من يخاف عليه ما ذكر كما قال في قوله
عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم معاملة المحبة ولا الاختبار ولا الابتلا اي خاف
عليه القرب من الركون وفيه مبالغة لانه اذا خاف عليه القرب من شي خاف عليه
ذلك الشي بالطريق الاولى وهنا لا محذور فيه حتى يقال المراد بالركون في عبارة المصنف
الوقوع لانه هو المخوف فهو غير الركون المذكور في الاية وقيل ان كدت من افعال المقاربة
وقد اخبر به موكدا بقوله لقد ومثله مما يعتب عليه الا ان قوله شيا قليلا يدل على انه
مما لا يضر لقلته وهو عناية به صلى الله عليه وسلم ونعمة عظمى لانه تعالى صفاه سيد
من شوايب الخطرات القبيلة التي لا ثبات لها وانما يواخذ بما وقع عن عزم وتصميم كما قالوا
في تفسير قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وله تفصيل ليس هنا
محله ففي اثنا عتبه براته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته اثنا الشي بالمد خلاله وتضاعيفه
يقال جا في اثناء الناس اي بينهم جمع ثني بكسر فسكون وياء تحتية اي ثني بالقصر والمراد بكون
البراة في اثنا العتيب انهما معه في كلام واحد بلا فاصل فلا يعترض عليه بانه مقدم هنا
كما قيل لان الدال على البراة قوله لقد ثبتناك وفي طيه اي داخله او في ضمنه او في تخويفه
للطي فيما ذكراه لم يفهم منه صريحا قيل وفيه بعد وتامينه وكرامته بتثبيت الله له وتنزيهه
عن القرب الى الميل يعني انه عتبه بالركون للاعدا وتخويف بقوله اذا لاذقناك العذاب
معلق بما هو صريح في عصمة الله له صلى الله عليه وسلم عن القرب فضلا عن الوقوع فيه
تعريضا بالمنافقين واسماعا لهم على حد قوله اياك اعني فاسمعي يا جاره وقد تقدم انه لا عتب

ولا ذنب وانما هو تكريم فلذا قيل انه كان ينبغي للمص رحمه الله تركه وكلامه في غاية الظهور
فلا حاجة لان يقدر فيه اتباع وقد تقدم فيه انما الكلام الدال على العتب والتخويف
فانه لا داعي له ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
الاية اي مثل ما تقدم في اللطف به او مثل لولا ان ثبتناك في الشفقة والتسلية
وهو اقرب او مثل عفا الله عنك في الملاطفة والتهوين وضمير انه للشان وقد للتحقيق
والمضارع بمعنى الماضي او بمعنى بما بالنسبة لسائر معلوماته والذي يقولونه انه
ساحر او مجنون او شاعر او كذاب ونحوه مما لا يضرب اي لا تحزن لنفسك كما في الكشاف
ويدل على ما بعده ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وهو خبر اريد به لازم الفائدة
كقوله اني وضعتها انثى اذ المقصود تطييب قلبه صلى الله عليه وسلم قال علي رضي الله
تعالى عنه وكرم وجهه وهذا رواه الترمذي وصححه الحاكم قال ابو جهل هذه كنيته كناه
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يكنى ابا الحكم فالله كناه ابا جهل والناس كنوه ابا
الحكم والجهل وان كان ضد العلم فالمعروف في كلام العرب انه ضد الحلم كما قال الا لا
يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وهو عمرو بن هشام فرعون هذه الامة وقد قيل
انه مع جهله وكفره كان يحيي العصا ولذا قيل له مصفر استه وكان صلى الله عليه وسلم
في اول الاسلام يرجو اسلامه ويقول اللهم اعز الاسلام باحد الرجلين ابو جهل وعمر بن
الخطاب فلما اسلم عمر رضي الله عنه علم انه هو الذي اجيبت فيه دعوته صلى الله عليه
وسلم وان ابا جهل اشقاه الله تعالى فقتل ببدر واختلف في قاتله كما فصل في السير واسلم ابنه
عكرمة وحسن اسلامه ونصر الله به الدين تحقيقا لرجا النبي صلى الله عليه وسلم للنبي
صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به وفي نسخة مصححة من الشفا
ما جئت به بدون بالجحد لايات الله عنادا وبغيا اي تكبرا ونجعله كاذبا مع انك
صادق عندنا وفي لباب التفاسير قال ابو ميسرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل
واصحابه فقال والله يا محمد انا ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به
فنزلت هذه الاية فهذه هو سبب نزولها كما قال المص فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية
وعزاه ابن الجوزي الى ناجية ابن كعب من المفسرين وقد فسره به على قراءة يكذبونه بالتشديد
وما في الكشاف من قوله وانك عندنا لصادق فمروي في الحديث قال السيد عيسى وهذا بظاهره
فاسد لان كذب القول يستلزم كذب قائله الا ان يكون ناقلا غير مستلزم للصحة والنبي صلى الله
عليه وسلم انما ذكره على انه حق من عند الله وقال الطيبي لا نعتقدك كاذبا وانما ننسب الكذب
لما جئت به عنادا وحسدا فقوله لكن نكذب ما جئت به في موضع نحسدك اقامة للسبب
مقام المسبب وفيه بعد وقيل المعنى لا نقصد نسبتك للكذب وتعييرك به لانا جربناك
فوجدناك على خلافه وانما غرضنا ابطال الكلام ولا نقول انك من عادتك الكذب لكنا
ننكر النبوة فلا يلزم ان يكون كذابا او انك غير مفتعل متعمد للكذب بل تخيلت امرا باطلا

فالتكذيب بالنسبة لا فيما له فما كذبناك ليكون عيبا وهذا احسن التاويلات وقيل انت
ناقل ونحن نكذب المنقول لا الناقل وفيه ما مر انتهى وفي اللباب المعنى لا نخصك بالتكذيب
ونقل ابن الجوزي عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتا وعنادا ولا يكذبونك اعتقادا بل قولا
وهذا ما ارتضاه الطيبي هذا زبدة كلامهم وسياتي في كلام المص رحمه الله تعالى ما يوافقه
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه الصلوة والسلام
قال السيوطي في تخريجه هنا لم اجده وكذا قاله غيره قيل وهذا من قصوره ولم يزد على هذا
وهو غريب منه فقال ما يحزنك قال كذبني قومي لما حرف وجود لوجود او وجوب لوجوب كما
فصله النحاة والاكثر الافصح في جوابه عدم اقترانه بالفاء وورد اقترانه بها ومن اباه
مقدر لها جوابا محذوفا وقوله حزن هو الجواب وحزن واحزن لغتان سابقتان فصيحتان
بهما جاء التنزيل فقوله يحزنك يجوز فيه فتح الباء وضمها وقوله كذبني بالتشديد وروي
اكذبني وهي لغة ايضا واراد تكذيبهم حيث قالوا ان ما جاء به كاذب ان يقولوا انه كاذب
او حيث قالوا انه كاذب واليه اشار المص رحمه الله تعالى بما سياتي من انهم معترفون بصدقه
صلى الله عليه وسلم قولا واعتقادا او روي واعتقادا اشارة الى القولين السالفين كما مر فقال
انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الاية فهو سبب لنزولها على احد القولين وفيه دليل
على المنفي في الاية العلم ففي هذه الاية منزع لطيفة الماخذ منزع بفتح الميم والزاي المعجمة
وبالعين المهملة محل النزع مصدر ميمي بمعنى المفعول فسره التلمساني بالماخوذ وبان
ما بعده يا باه فالمراد به شيء يرجع اليه قال في القاموس المنزعة ما يرجع اليه الرجل
من امره ورايه واقتصر عليه صاحب المقتفي والمنزع بكسر الميم السهم يقال نزعت في القوس
نزعا وانزع بمنزع اي سهم وفي المثل عاد السهم الى النزعة اي رجع الحق الى اهله قاله الامام
المرزوقي ولطيف الماخذ اي حسن دقيق اخذه واستنباطه منها من تسليته تعالى له عليه
الصلوة والسلام والطافه في القول قال البرهان الطافه بكسر الهمزة في النسخ التي وقفت
عليها مصدر من لطف به كذا اذا بره به كما في الصحاح والتسلية تطييب القلب بما يذهب
حزنه ويفرج كربه ومن البيان النزع بتقرير انه صادق عندهم قولا واعتقادا كما اشار اليه
بقوله بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا
وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين لما سبقه او النية وقرر بمعنى بين وحقق هذا بحيث قرر وثبت
في نفسه لما في الاية من بيان ذلك موكدا بان وجعلهم ظالمين جاحدين لما قالوه وكونهم
غير مكذبين له لم تحقيقه وسمعه قريبا ومر انه دعوا واعتقادا اشارة الى القولين في الاية
وروي ان الاخنس قال لابي جهل لعنه الله يوم بدر ليس هنا غيري وغيرك اخبرني عن محمد اصادق
هو ام كاذب فقال انه والله لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ثم انه قيل هنا ان عدم الكذب يستلزم الصدق
عند الجمهور فالاعتراض باحدهما كانه اعتراف بالاخر فلا يرد ان عدم الكذب اعم وان ورد

سيد

ان عدم نسبته الكذب اليه لا تستلزم نسبته الصدق لجواز ان لا يعترفوا باحدهما
ولو سلم فالاية فسرت بالنفي اعتقادا او قولا فمن اين تقييد الامرين الا ان يقال ان المراد بعدم
التكذيب الحكم بعدم الكذب لانهم لم يسكتوا في حقه وهو بمنزلة الحكم بالصدق
فالمصحح بين التفسيرين وهو عادته والاوجه ان عدم التكذيب وان لم يستلزمه
لكنه قد يكون كذلك فحمل عليه بقرينة ما عرف منهم لا بطريق اللزوم وهم وان كذبوه
لكن منهم من لم يكذب في بعض الاحيان كما مر والاظهر ان المراد نفي التكذيب باحد الوجوه
والثلاثة ويلات السابقة فلا دينا في التكذيب ظاهرا كما اشار اليه البيضاوي وهذا
وهذا غاية ما يمكن هنا انتهى ملخصا وقوله واعتقادا على نهج قوله وزججن الحواجب
والعيونا وكلام النحاة فيه مشهور وتسميته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة
بالامين مشهور في كتب الحديث وسمى تعدى بنفسه وبالبا فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه
بسمة الكذب الدفع بالدال المهملة منع الشيء قبل وصوله وبعد الوصول يكون دفعا
ولذا قالوا الدفع اسهل من الرفع وفي التعبير به اشارة الى عدم تلبسه صلى الله عليه
وسلم بما قرفوه والتقرير بالراء بين مهملتين هو ما تضمنه قوله بان قرره الخ وفي بعض النسخ
التقدير بدال بدل الراء كما ذكره التلمساني وقال ان الذي في اصل القاضي بالراء ومعناه
على تلك النسخة فرض الشيء وتصويره وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل واحد منهما
قريب من الاخر والارتماض براء مهملة ساكنة واخره ضاد معجمة افتعال من الرمضا وهي
شدة الحرارة شبه بها ما اشتد عليه واقلقه من الم قلبه والسمة العلامة واصلها
وسمة فحذفت فاؤه كعدة والمراد وصفهم له والاضافة لامية او بيانية اي سمة هي
الكذب في قولهم انه كاذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون الخ عطف على قوله وثم للتراخي الرتبي والاشارة الى بعد الذم عنه او هي
للترتيب الذكري ولا حاجة لتجريدها العطف كما قيل والمراد بتسميتهم وصفهم بما ذكر
بما ذكر وعبر به اشارة الى ان ذلك صار كالعلم لهم وبين التسمية والسمة تجنيس وتسميتهم
جاحدين لانه لما اخبر عنهم بانهم يجحدون فكانه قال جاحدين وقدم الجحد مع تاخره
في الاية لانه المقصود بالذكر ولان ظلمهم هنا بجحدهم ولذا وضع الظاهر موضع المضمر
ولم يقل ولكنهم تنبيها على ان جحدهم نشأ من ظلمهم الثابت فيهم لان ترتب الحكم على وصف
يشعر بعليته ولذا عدل عن جاحدين الى يجحدون وجحدهم بايات الله اما انكارهم حقيقتها
او انكار كونها من الله والبا قيل انها لتضمين الجحد معنى التكذيب الا انه قال في القاموس
جحده حقه وجحد بحقه اذا انكره وهو يقتضي خلافه فحاشاه من ان وصم حاشا فعل ماض اي
نزه الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم وبراه من الوصم بالصاد المهملة في اللغة مطلق
النقص والعيب والمراد به الكذب المذكور في الاية وطوقهم بالمعاندة طوق فعل ماض
من الطوق وهو ما احاط بالعنق ثم صار مثلا للزوم وقال في كشف الكشاف في شرح

قوله

قوله طوقهم بها طوق الحمامة انه لا يقال الا للامر المذموم الذي لا يفارق من اتصف به فخصه
بالذم كقول حسان رضي الله عنه لولا سوابقك طوقتك بها طوق الحمامة اي هجوتك اقول
في اختصاصه بالذم نظر لما نقل في قراة الزمان عن حاتم الطائي انه قال لابنه لما سأله
عن ابله التي نحرها للقرى وقال له ما فعلت الابل فقال طوقتك مجدا لدهر طوق الحمامة
وعليه قول المتنبي اقامت في الرقاب له اياد هي الاطواق والناس الحمام والبا للتعدية
وقيل انها للسببية بتكذيب الايات حقيقة الظلم هذه البا متعلقة بالمعاندة
وحقيقة منصوب مضاف للظلم مفعول ثان لطوق بمعنى جعلهم كالطوق في
اعناقهم للزومها لهم ففيه استعارة مكنية وجعله حقيقة الظلم الذي هو وضع الشيء
في غير موضعه لانهم وصفوه صلى الله عليه وسلم بالكذب وهم كاذبون وغيره عنه
بالاسم الدال على الثبوت وكون اسم الفاعل للحدوث كما ذكره النحاة غير مسلم
عند اهل المعاني كما قيل اقول ما ذكره غير واضح لان اسم الفاعل انما يدل على الثبوت اذا الحق
بالاسما كالمومن والكافر ولا خلاف فيه هنا بين النحاة واهل المعاني كما مر اذ الجحد انما يكون
ممن علم الشيء ثم انكره ثم للتفاوت الرتبي او الحقيقي كما مر وهنا مما صرح به اهل اللغة ففي
القاموس والصحاح وغيرهما جحدا اي انكر مع العلم فما قيل انه بعيد ووجه استبعاده
انه يكون ممن جهل كما قاله ولذا ذكره ائمتنا الحنفية في الاصول انه لو قال للخصم امقرانت ام جاحد
فان قال مقر او جاحد فقد اقر وينبغي ان يقيد هذا بمن كان من اهل اللسان كقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اتى بهذه الاية استدلالا على ما ادعاه وقيل
عليه انا لا نسلم دلالتها على مدعاه فانه لو قيل انكروها واستيقنتها انفسهم كان
صحيحا فيكفي لمدعاه النقل من ائمة اللغة كما مر ولذا ذهب بعض الشراح الى انه تمثيل لا
استدلال وفيه نظر واستيقن وتيقن بمعنى وقال الزمخشري الاستيقان ابلغ من الايقان
ولم يقل استيقنوها مع انه ابين لبيان انهم احقوا علمهم واسروه لان فائدة ذكر الانفس
انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والعلو هنا بمعنى التكبر
عن الانقياد او في شرح الصفوي اقول اليقين في اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم
المطابق للواقع والعلم اعم فلو اريد بالجحود الانكار مع العلم كما ذكره المص افاد قوله
واستيقنتها معنى جديدا على هذا الاصطلاح فلا بعد فيما ذكره لكن اللغويون واهل العربية
فسروا اليقين بالعلم والاظهر حينئذ ان يكون المراد في الاية مجرد الانكار ليكون قوله
واستيقنتها تاسيسا لا تاكيدا لما فهم ضمنا ولذا فسر كثير من المفسرين الجحود بالانكار
واليقين بالعلم ويمكن ان يكون مراد المص رحمه الله تعالى ان الجحود يطلق على الانكار
بشرط ان يكون مع العلم وهو خارج عن مفهومه شرط لصحة اطلاقه وهو في الاية
كذلك قطعا لقوله واستيقنتها فيتم الاستشهاد بالاية بلا نزاع واستيقنتها تصريح بما يكون
ان يفهم منه فتامله فانه دقيق انتهى قيل وهو مبني على ان الشاهد والمثال بيان في جواز

وقوعهما بعد الكاف وبعضهم يجيء الكاف للتعليل كقوله واشكروه كما هداكم وعلى ان اليقين بمعنى العلم شرط خارج عن مفهوم الجحود وانه انما يتم الاستشهاد على التقدير الاول لا الثاني مع انه لا يتم الاستشهاد عليهما جميعا والحق انه تمثيل اقول اذا علمت ان حقيقة الجحد انكار عن علم فادعا انه شرط خارج تعسف وجرئة والاية الثانية انما جا بها المص رحمه الله تعالى للاستشهاد المعنوي وبيانه انه تعالى قال في الاية الاولى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون والدليل النقلي والعقلي دال على ان المراد انكار عن علم والا لم يكونوا ظالمين بجحدهم لان الجهل قد يعذر صاحبه لكن لما كان فيها خفا اتى بالاية الثانية لما فيها من التصريح بانهم كانوا عالمين والاستدلال بمعناها لا بلفظ الجحد فيها كما توهموه فوقفوا فيما وقفوا فيه نعم في ذكر اليقين تاكيد ان لم يكن اخص من العلم وهذا ظاهر فانظر كيف خفي على من يدعي انه بيضة البلد ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعد النصر بقوله ولقد كذبت رسل الاية التعزية من العزا وهو الصبر ومعناها تسلية المصائب بما يخفف حزنه قال هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفواد عزاء جميلا وتخصص في العرف بما يقع عند الموت كقول ابن فراس كن العزى لا المعزى به ان كان لا بد من الواحد وقوله وانسه بفتح الهمزة من غير مد وتشديد النون او بالمد وتخفيفها اي اذهب وحشة وقلقه مما لقيه منهم ورجح الاول لمشاكلته لعزاه وقوله ووعد النصرة في الاية لقوله فيها ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله اي مواعيده بنصر انبيائه واوليائه بقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقوله فيها انا لننصر رسلنا والوعد فيها له ولهم ظاهر ولا حاجة لما قيل ان في هذه الاية دليلا على تحقق مقام النبوة فانه غني عن البيان وقوله بما ذكره عمن قبله روي عمن كان قبله اي فهون عليك واصبر حتى يأتيك النصر فقد كذب اخوانك وصبروا حتى نصروا وهذه الاية تدل على ان نفي التكذيب في الاية السابقة ليس على اطلاقه فما ذكره البيضاوي ويحتمل ان يكون المعنى هون عليك جحودهم لايات الله وما جئت به واصبر فان اخوانك قد كذبوا واوذوا حتى نصروا فلا تدل الاية على ما ذكر وقد قيل في معنى الاية انها كقول السيد لعبده ما اهانوك بل اهانوني قاصدا تعظيم الامر وتقريره انا هانتك اهانتي لا لنفي الاهانة وهو كلام حسن جدا فمن قرا لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا هي قراءة نافع والكسائي من اكذبه كابخله اذا وجده كاذبا وبخيلا وهذا احد معنى صيغة الافعال كما ذكره النحاة في ابنية الفعل ومعناه ان صيغة الثلاثي موضوعة لاتصاف الفاعل بالحدث فاذا دخلت عليه الهمزة كان المعنى الاخر منها وجدان الفاعل للمفعول متصفا بالحدث الذي دل عليه الثلاثي وهو معنى حقيقي وضعت له هذه الصيغة ويلزم من كونهم لا يجدونه متصفا به انهم لا يعتقدون كذبه سواء قالوا انه كاذب ام لا ففيه تسلية له عليه الصلوة والسلام ايضا وقال الفرا والكسائي لا يقولون انك كاذب الفرا هو الامام ابو زكريا يحيى بن زياد بن

عبد الله

عبد الله بن منظور الاسلمي الديلمي الكوفي النحوي اللغوي المفسر كان ابرع الكوفيين واعلمهم بفنون الادب وتفسيره من اجل التفاسير وعليه اعتماد الزمخشري توفي في سنة سبع ومائتين بطريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة وانما لقب بالفرا لانه كان فصيحا يفري الكلام ويفصله فليس نسبته للفري لعملها او بيعها والكسائي هو ابو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الاسدي احد القرا السبعة امام النحو واللغة والقراات عاش سبعين سنة ومات في سنة ثلاث وثمانين ومائة بزنبويه قرية من قرى الري وقيل بطوس والذي لقبه بالكسائي حمزة شيخه لانه كان يجيئه ملتفا بكسا وقيل لانه احرم في كسا ولما لم يجد هذا المعنى السابق في كتب النحو المشهورة السيد الصفوي قال هنا انه هنا بناء على ان الكذب كالكذب للنسبة كما صرح به الامام والقاضي وان معنا بين كذبه كما في القاموس ويؤيده ما نقله الواحدي عن الفراء معناه لا يجعلونك كذابا بل يقولون ان ما جئت به باطل وفي الصحاح نقلا عن الكسائي اكذبته بمعنى اخبرته انه جا بالكذب وهو لا يوافق المنقول وبالجملة ان في هذه النقول اضطرابا وتبعه ابن الحنبلي في شرحه وهو كله من قصر الباع وقلة الاطلاع فان هذا المعنى صرح به ائمة العربية قال ابن عصفور في كتاب الممتع من معاني افعل التسمية كقولهم اكفرته واخطاته اي سميته كافرا او مخطئا اسمي وهو معنى النسبة في العرف لانهم يقولون نسبه للزنا اذا قال انه زان فالاضطراب انما هو من عدم الوقوف على الصواب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه لان معنى يحتجون يقيمون حجة مثبتة لما ادعوه وفي بعض النسخ لا يجتمعون قيل كانه تفسير باللازم فان من معانيه لا يجعلونك كاذبا والجعل انما يكون اذا اثبتوا كذبه فيلزم من نفي الجعل نفي الاحتجاج ومعناه على النسخة الاخرى ان منهم من يعرف بطلان قوله فلا اعتداد به الا انه لا يناسب قوله ولا يثبتونه اقول الصحيح الاول وتوجيهه ان افعل يكون للدلالة على الشيء والايصال اليه وهو انما يكون بالبيان والحجة لا بما ذكره قال في الممتع تقول بصرته اي دللته على وجود المبصر واغفلته اي وصلت غفلته اليه واما على النسخة الاخرى فالمعنى ظاهر وبما قررناه علمت سقوط ما قيل من ان هذا التفسير لا يناسب المقام ولا يلائم الجحد ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب كقولهم فسقته اذا نسبته الى الفسق وتممته اذا نسبته لبني تميم وهذه النسبة اعم من النسبة المصطلح عليها وهنا على الوجه السابقة وقيل لا يعتقدون كذبك وهذا توفيق بينهما وورد فيه التصريح بتكذيبهم له صلى الله عليه وسلم وما في هذه الاية من قوله لا يكذبونك باثبات قولهم والنفي اعتقادهم لمعنى ما قالوه واورد عليه ان الاعتقاد المنفي لا يخلو من ان يكون جازما فيكون عين التفسير الاول وحكايته تقتضي انه غيره او غير جازم بان يظنوا صدقه ويتوهموا كذبه وهذا مما يشق عليه فليس فيه تطمين له كما في الاول ورد بان المراد الاول بلا شبهة واحتمال للثاني وبعيد وقصد المص بعد ما قرره نقل اقوال المفسرين في القراتين

ليترك ما قاله عليه بدليل تفريعه عليه بالفا في قوله فمن قراه الخ والمعترض توهم ان ما هنا
مخالف ومغاير لما قبله فقال ما قال والظاهر انه لا اختصاص لهذين القولين بقراءة دون قراءة
ولو قيل بالاختصاص لم يكن فيه باس فان منهم من جعل القراتين بمعنى كما قالوا قللت واقللت
وكثرت ولك ان تقول المعنى على هذا ان نفي تكذيبهم مطلقا لجعل ما قالوه بمنزلة العدم
لعلمهم بخلافه كما قيل في قوله لا ريب فيه مع كثرة المرتابين فيه وهذا يدل على انهم معترفون
بصدقه حقيقة قولا واعتقادا فلا عبارة عليه ومما ذكر من خصايصه صلى الله عليه
وبر الله به الخصايص جمع خصيصة وهي ما خص به دون غيره تمييزا له صلى الله عليه
وسلم وتفضيلا له على غيره كما مر واتى بمن اشارة الى كثرتها حتى افردت بالتصنيف وبر الله
احسانه ولطفه كما مر ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا عليهم الصلوة والسلام باسمائهم
فقال يا ادم بدا به لانه ابو البشر صلى الله عليه وسلم المقدم عليهم وهو علم ممنوع من الصرف
بالاتفاق للعلمية والعجمة ووزنه فاعل كآدر وعازر وعادر وجمعه اوادم واوادمون وقيل
انه عربي مشتق من اديم الارض او من الادمة لون بين السواد والحمرة واصله على هذا ادم
بالهمزة فابدلت الثانية الفا ووزنه افعل ومنعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل ومن الغريب
ما قيل انه منقول من فعل رباعي كما حكي عن الطبري وفيه نظر يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى
يا زكريا يا يحيى وروي تقديم يا عيسى على ما قبله وهذه الاعلام وقوع الخطاب بها في القران
كقوله يا ادم انبئهم باسمائهم غني عن البيان ولم يخاطب هو بصيغة المجهول وضميره هو
للنبي عليه الصلوة والسلام اي لم يخاطب الله في القران باسمه وفي نسخة لم يخاطبه
بالبنا للفاعل والضمير وقيل هي الاولى ولا وجه له الا ابهامه في ندائه دالة على تعظيمه وملاطفته
لمنزلته عند ربه كقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر معنى النبي
والرسول معلوم وقدم النبي لانه اعم كقوله تعالى يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا
يا ايها المدثر قم فانذر وقيل الخاصة انما هي عدم الخطاب بالاسم وجعله خاصة بحسب
الظاهر المشهور لئلا يشكل بما سيجيء من ان يس بمعنى يا محمد ونحوه ما قيل في طه ايضا
فيعتذر عنه بانه بناء على عدم ثبوت هذا وفي العدل عن الاسم الى الصفات الحسنة
تعظيم في العرف يعرف كل احد وفي شرح التجاني انه عليه الصلوة والسلام لم يذكر باسمه
في الندا وذكر في الخبر كقوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول لانه ورد مورد التعيين والتعليم
لان صاحب هذا الاسم هو الرسول ونحو قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لما لم
يرد هذا المورد لم يذكر اسمه والمزمل اصله المتزمل اي الملتف بثوب ونحوه وفيه تفاسير
اخر والمدثر اصله المتدثر اي لابس الدثار وهو البرد الذي فوق الثياب وفيهما تمليح الى قوله
لخديجة رضي الله عنها حين رجع من حرا زملوني زملوني وفي رواية دثروني والقصة مشهورة
في كتب الحديث اي غطوني وذكر المدثر والمزمل للملاطفة والتانيس على عادة العرب بخطابهم

سيد

سيد

بما يدل

99

بما يدل على حاله حين الخطاب كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا ابا تراب فلو ناداه
سبحانه باسمه ويا ايها محمد لعاد عن مثل هذه الملاطفة وفؤاده يرجف شق عليه فاذا بداه بما يونسه
وفيه نكتة ذكرها الامام السهيلي وذلك لانه صلى الله عليه وسلم انا النذير
العريان وهو مثل للعرب تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول من بالغ في
الانذار يقرب للعدو ولان المستغيث كان يتعرى ويرمي ثوبه ليرى من بعيد لئلا
يسبق العدو وصوته وقيل اصله ان رجلا سلبه العدو فجا قومه منذرا على تلك
الحال بقوله يا ايها المدثر قم فانذر وقوله انا النذير العريان اي مثلي مثله فيه اشارة
الى ان المتدثر يضاد النذير ففيه تمليح وتظرف للملاطفة كما في الاستعارة التمليحية التي
ذكرها اهل المعاني وان لم يكن منها وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى في خطاب الله له
باسمه في القران فلا يرد عليه كما توهم خطاب الله له بقوله انك لا تهدي من احببت وقوله
له في المحشر ارفع راسك وقيل تسمع يا محمد ولم يقل يا ايها النبي ويا ايها الرسول وان قيل
الحكمة فيه انه اخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام غير مناسب في مقام الاذن
بل الشفاعة وقال السيوطي ان الله شرف امته عليه الصلوة والسلام بخطابهم في القران
بقوله يا ايها الذين امنوا وخاطب الامم السالفة بيا ايها المساكين واعلم انه قال في الامتاع
ان من خصايصه عليه الصلوة والسلام انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا احمد
يا محمد بل يقول يا نبي الله يا رسول الله لقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم
بعضا وقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وبهذا فسرهما مجاهد والضحاك
ومقاتل وسعيد بن جبير واجيب عن قول الاعرابي يا محمد انا انا رسولك الحديث بانه
قبل النهي او هو صدر منه قبل اسلامه وهل مثله الكنية نحو يا ابا القاسم فيه نظر انتهى ويأتي
الكلام على ذلك والظاهر ان ذلك مخصوص بخطاب المشافهة في حضوره وحال حياته
الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره وفي نسخة عز وجل صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
تسليما والقسم يكون بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم وهو المراد ويكون بمعنى المقسم به
وقال النحاة انه مصدر ليس بجار على فعله وقياسه الاقسام وهو في عرفهم جملة انشائية
يؤكد بها جملة اخرى لا على جهة التبعية قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون المقصود
من هذا الفصل بيان القسم نفسه لا المقسم عليه كما في الفصل الذي بعده فيغايرهما والفرق
بينهما ظاهر فما لنا في تعظيم قدره بالقسم لا سببيته حتى يتداخل المقصدان فيحتاج لارتكاب
تكلفات في الفرق بينهما وعظم قدره اما بمعنى قدره العظيم والاضافة بيانية والمقسم به
حياته وذاته ونحوهما والمقصود من المقسم به تعظيمه وتقدير المقسم عليه في الذهن وتمكينه
اذ العرب من عادتها ان تقسم بالشيء اذا ارادت تعظيمه حتى تجعل الجمل قسما من غير حرف
القسم وهذا هو القسم الذي عد من انواع البديع كقوله بقيت وفري وانحرفت عن العلا
ولقيت اضيافي بوجه عبوس ان لم اشن على ابن حرب غارة لم تخل يوما من نهاب نفوس

ابن الحنبلي

لعله متعلق بالقسم والاضافة لادنى الملابسة فيه

قال المنذري هذا من الايمان الشريفة ولفظه لفظ الخبر وظاهره الدعا ومحصوله القسم
وكرر هذا في مواضع من شرح الحماسة واشار اليه الزمخشري وقل من تنبه له وهذه الاية قصة
لوط عليه الصلوة والسلام وما ذكره المص رحمه الله تعالى مبني على ان هذا الخطاب لنبينا
عليه الصلوة والسلام على احد الوجهين فيها وفي الكشاف انه على ارادة القول اي قالت
الملائكة للوط عليه الصلوة والسلام لعمرك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فرجح الاول لانه المناسب للسياق ورجح المص رحمه الله تعالى الثاني
لانه تعالى لما قص عليه قصته بما مها الى قوله هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين خاطبه
ببيان ما هم عليه من الضلالة مقسما بحياته واختاره لموافقته لمقتضى الحال
وضمير انهم لقوم لوط وسكرتهم غفلتهم وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا سكارى
لا يميزون الخطأ من الصواب ويعمهون يتحيرون لعمى بصايرهم والعمى في البصر والعمه
في البصيرة وفيه استعارة تحقيقية مرشحة بالعمه وشبه تمكنهم في الغفلة المحيطة
بهم بتمكن المظروف في الظرف لانهم لم يفدهم النصح للامة طبايعهم وخسته انفسهم
وفيه استعارة اخرى تبعية حرفية وقيل ان ضمير انهم لقريش وقال التحاني انه بعيد
لانقطاع الاية عما بعدها وما قبلها ولذا قيل ان الجملة على هذا معترضة وعبر
بالمضارع حكاية للحال الماضية او لتشبيه الماضي بالحال فتدبر ان فقوا اهل التفسير
في هذا الكلام او اللفظ الذي هو لعمرك انه قسم من الله جل جلاله هو اسناد مجازي
كجد جده وسعد سعده كما مر تحقيقه في كتب المعاني بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم
المدة بالضم مقدار من الزمان قليلا كان او كثيرا من مده اذا بسطه وفي بعض الشروح
القسم للتعظيم اذ لم يقسم بحياة احد غيره والكلام مسوق للاخبار بقبايح قوم لوط
عليه الصلوة والسلام واهلكهم تنبيها على من كان هذا دابه لم ينفع نصحه وتنفيرا
عن ارتكاب مثله من المفاسد ودعوى المص الاتفاق دعوى تبنيها غير مقبولة لقول
جماعة من المفسرين انه قسم بمدة حياة لوط عليه الصلوة والسلام وانه ما قالت له
الملائكة ذلك بشهادة السياق انتهى وكذا القول بانه تعالى لم يقسم بمدة حياة
احد غير محمد صلى الله عليه وسلم على ما ياتي وقيل ايضا العمر مطلق الحياة اي سواء
كانت المدة بتمامها او بعضها وقيل المراد البقا فلا اتفاق ايضا على احدهما الا
ان يريد بمدة الحياة معنى يشملهما وفيه نظر والجواب بان المراد اتفاق من عليه
المدار ولو عند المص لا تجدي نفعا كالقول بان الاتفاق انما هو على القسمية ولو قيل
المراد باهل التفسير مفسروا السلف الذين اقتصروا على التفاسير المأثورة كابن عباس
رضي الله عنهما لكان وجيها وعلى هذا فما غيره وحكايته بقيل غير مناسب وعلى كل حال
فالكلام لم يخل من الكدر واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال
قال ابن مالك رحمه الله تعالى في باب المبتداء والخبر يحذف الخبر وجوبا اذا كان

الائمة بالفتح الحلقوم وكسر ثلث اخ

المبتدا صريحا في القسم ومثلوا له بقولهم لعمرك لافعلن كذا اي لعمرك قسمي وما اقسم به قال
الدماميني في شرح التسهيل جواب القسم ساد مسد الخبر والعمر والعمر بمعنى ولا يستعمل
مع اللام الا المفتوح لان القسم موضع التخفيف لكثرة استعماله واحترز بالتصريح عن
نحو عهد الله فيجوز حذف خبره واثباته لانه غير صريح في القسم واستشكله شيخنا ابن قاسم
بان الفقها صرحوا بان كلا منهما كناية لا تنعقد به اليمين الا بالنية وقالوا المراد بالعمر البقا
والحياة واجاب بان المراد بصراحته الاول اشعاره بالحلف مطلقا في استعمالهم واراد
وانتفى كونه يمينا انه لا ينعقد به شرعا وقالوا في باب القسم يقال عمرك الله بنصب عمر
ويجوز في الله النصب والرفع وعمر مصدر محذوف الزوايد لان فعله عمر بالتشديد
ويقال عمرتك في القسم ايضا ومعناه ذكرتك بالله او عمرت قلبك بذكره قال الشاعر
ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان وفيه كلام في شروح الكشاف
لا يسعه هذا المقام وقال السيوطي في مختصر نهاية ابن الاثير المسمى بالدر النثير في الحديث
خرجوا عمارا اي معتمرين جمع عامر من عمر بمعنى اعتمر وان لم يسمع فلعل غيرنا سمعه قاله الزمخشري
وعمرك الله اي اساله ان يطيل عمرك والعمر بالفتح العمر ولا يقال في القسم الا بالفتح ولعمر المهلك
قسم ببقاء الله ودوامه انتهى وفي شرح الصفوي قال في المواهب انه قسم عند الحنفية
والمالكية وكناية عند الشافعية واللام لتاكيد القسم وانهم جوابه ووقع في بعض النسخ
بفتح العين وجعل الضم اصلا لم يذكره اهل اللغة لكن في تفسير القاضي ان الفتح لغة في الضم
وهو يشعر بما ذكره المصنف انتهى ملخصا ومثله في شرح التحاني وقال ان المص رحمه الله لم
يحقق هنا الموضع وفي التقريب في شرح الغريب العمر بضم وبضمتين الحياة وهو يشعر بعكسه
اقول هذا ما قاله الشراح برمته وهو لم ينصف من الكدر وتحقيق هذا المقام على وجه
ينفض عنه غبار الاوهام ان العمر بالفتح مصدر عمر المشدد واصله التعمير فحذفت
زوايده وله معنيان تعمير الله اياك او قلبك وهو على هذا صفة من صفات الله فيصح
القسم به حقيقة وهذا ما جنح له سادتنا الحنفية والنحاة والعمر بضم العين
مخصوص بالانسان وهو مدة وجوده في الدنيا فلا يصح القسم به شرعا لكن الله له
ان يقسم بما شاء كقوله والضحى والليل اذا يغشى فالضم اصل في هذا المعنى لاختصاصه به
في غير القسم فاذا اريد بالمفتوح هنا لا باس بان يقال انه من قبيل معناه او معدول به
عنه ويؤيده ما في شرح ادب الكاتب للاقليلي انه سمع نادرا لعمرك بضم العين واذا
لم يرد هذا المعنى في قسم الناس صح ان يقال انه كناية لتوقفه بين ما ذكره النحاة وما ذكره
الفقها ولا حاجة لما قاله شيخنا مع ما في قوله لا يعقد به شرعا من الوهم وبهذا اتضح ما قاله
القاضي ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك القاجملة حياته في الدنيا
وتمام عمره والحياة اعم منه لصدقها على البعض والكل فالمغايرة بينهما ظاهرة والعيش له
معان في اللغة منها الحياة فان صرح به هنا كانت المغايرة بينه وبينهما بعد لفظية

ابن الحنبلي

ولذا فسره التلمساني به هنا لئلا يتكرر مع ما بعده وقيل انه بعيد ولو فسر بالمعيشة في دنياه وجعل عبارة عن الزهد والتعسف لم يبعد وقيل المراد معيشته الواسعة الفايضة على غيره فهو عبارة عن سخائه وجوده وهذه التفاسير كلها ماثورة عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق مختلفة ونقل الاخفش معنى اخر وهو وحقك على امتك قيل وعرض لوط عليه الصلوة والسلام ببناته انما هو اشارة الى نساء امته لانه كالاب لهم اي ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فعليكم بالحلال ولو حمل على ظاهره من تزويج بناته لا مانع منه وقيل المراد دوام ابد الابد ومعه كما قيل وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى وهو بعيد ومن الغريب ما نقل عن مجاهد ان المعنى لعمرك من قولهم لعمر الله اي بعبده والمعاني التي ذكرها حقيقة لتصريح اهل اللغة بها فلا وجه لدعوى التجوز فيها وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف تانيث الاشارة لانها للكلمة المقسم بها او باعتبار الخبر وانما كان كذلك لان العظيم اذا قال لاحد عبيده وحياتك كان ملاطفة وتكريما وكيف برب الارباب في مثل هذا الكتاب وقيل وجه كونه نهاية التعظيم كون ربه اقسم به وقيل انه في خصوص القسم بالحياة لانه في العرف يدل على كمال الالفة والمحبة كما يشهد به الذوق والطبع السليم فتامله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الايجاد وذرا وبرا بالهمزة فيهما وان كان بمعناه فيكون ذكرهما للتوكيد وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرا من الذرية وبرا بمعنى صور اي لم يوجد احد اشرف منه ذاتا ونسبا وصورة اكرم من محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفت فيما سبق ان مثل هذه العبارة يفيد انه ليس احد افضل منه ولا مساويا له وقد حققناه قبل هذا ودخل فيه الملائكة عليهم الصلوة والسلام مطلقا حتى خواصهم كجبريل عليه الصلوة والسلام بناء على المذهب الحق انه عليه الصلوة والسلام افضل منهم ولا عبرة بمن اختار خلافه كالزمخشري وغيره من المعتزلة وقد سئل بعض العصريين عمن يقول بتفضيل الملائكة على البشر على الاطلاق وهل يفسق بذلك فاجاب ان عنى هذا القائل بالاطلاق دخول المصطفى صلى الله عليه وسلم في ذلك فهذا امر يوقف الفسق لمخالفته للاجماع وان عنى من عداه صلى الله عليه وسلم فالخلاف فيه مشهور والامساك اسلم كما قال الشافعي رحمه الله تعالى لما سئل عن مثل ذلك كما تكلم في فضول الاصول فضرنا نتكلم في اصول الفصول فقيل له اجزم بالصواب من الجواب فقال هذا عار عظيم المصارع يخشى على قادعه من القارع والمسئلة طويلة الذيل وما وقع من صاحب الكشاف في سورة التكوير من تفضيل جبريل على محمد عليهما الصلوة والسلام فهو خرق لاجماع من يعتد باجماعه وقد تصدى لطرده عليه ابن خليل السكوني وغير واحد فليحذر كلام مداعي الكشاف كم له من امثال هذا بما يخالف السنن القويم انتهى وسيجيء تحقيقه الا ان بعض الشراح تعقبه المصنف بانه لما وقال روحا اي ذا روح كان اصرح في تفضيله على الملائكة عليهم

الصلوة والسلام اي لان النفس ربما يقال انها لا تطلق عليهم لتفسير بعض اهل اللغة لها بالجسد وان جاز تفسيرها بالروح فانه احد معانيها وعلى هذا يتجوز او يقدر في قوله من محمد من نفس محمد كما قيل وما سمعت الله قيل المراد ما علمت من اطلاق السبب على المسبب وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة على المبتداء والخبر على ان المفعول الاول مصدر الخبر المضاف الى المبتداء واليه ذهب الرضي وغيره في فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر مما يسمع والتقدير ما سمعت اقسام الله لا من نبي ولا من كتاب يتلى وقصره على الثاني قصور والجملة مثليته للقدر وفيه انهم شرطوا فيه ان يكون السماع بغير واسطة كما صرح به في حواشي المطول وفيه كلام فصلناه في طراز المجالس اقسم بحياة احد غيره محمد صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ غيره وبعدما ذكر هنا ابن عباس رضي الله عنهما تلى الاية لعمرك الخ وكلمة غيره صفة احدا وبدل منه الا انه على هذا كما قيل لا يفيد انه اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما يفيد انه لم يقسم بغيره ولذا تلا الاية ليستفاد منها المعنيان معا بخلاف ما لو نصب على الاستثناء فانه يفيدهما صراحة ولا وجه له فانه يفيدهما على الوجهين بقرينة السياق كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله انه يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وهي في حيز النفي يعم القليل والكثير مجتمعا ومنفردا بخلاف الواحد فانه يقال في الدار واحد بل اثنان ولا يقال مثله في احد وذكر التفتازاني وقال معناه ما ذكره اهل اللغة من ان احدا اسم لمن يصلح ان يخاطب فيستوي فيه الواحد المذكر وغيره فان اضيف اليه بين او اعيد اليه ضمير جمع ونحوه فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين احد لا نفرق بين جمع الرسل والمعنى فما منكم من احد ما منكم من جماعة وكثير من الناس يسهو فيزعم ان معنى ذلك انه نكرة وقعت في سياق النفي فعمت فكانت بهذا الاعتبار في معنى الجمع كسائر النكرات وفي التلويح نقلا عن النحاة انك اذا قلت خذا حد هذين فالفه منقلبة عن واو ويستعمل في الاثبات واذا قلت ما جاني احد فالفه ليست منقلبة عن واو ولا يجوز استعماله في الاثبات وهذا مشكل لان اللفظين صورتها واحدة ومعنى الوحدة موجود فيهما والواو فيهما اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها فيهما وان يكونا مشتقين من الوحدة واما جعل احدهما مشتقا منها دون الاخر فتحكم من غير مرجح ولم ار من تعرض لهذا الحق رايت العلامة القرافي في كتابه العقد المنظوم في الفاظ العموم اجاب عنه بان احدا الذي لا يستعمل الا في النفي معناه انسان باجماع اهل اللغة واحدا الذي يستعمل في الاثبات معناه الفرد من العدد واذا كان مسمى احد اللفظين غير مسمى الاخر غايرة في الاشتقاق فانه مناسبة بين اللفظين الا اخر في الحروف والمعنى ولا يكفي في احدهما فعلم من هنا ان احدا الذي لا يستعمل الا في النفي ما هو واحد المستعمل في النفي والاثبات فان وجدت المقصود منه الانسان فهو الاول والفه ليست منقلبة عن واو وان كان المقصود منه نصف الاثنين فهو الصالح للنفي والاثبات والفه اصلية انتهى وفيه بحث وقد اشار الى هذا هنا بعض

دلجي وابن الحنبلي
ابن الحنبلي
سيد وابن الحنبلي
سيد
والدلجي

الشراح ولم يهدنيه وقال ابو الجوزا بفتح الجيم وواو ساكنة وزاء معجمة يليها المد وهم ابو الجوز
ايضا غير هنا وابو الحورا بمهملتين راوى الفتوحات وهذا اسمه اوس بن عبد الله بن الربعى
البصرى يروى عن عايشة رضى الله عنها وصفوان بن عسال رضى الله عنه وغيرهما وهو ثقة
كما قاله الحاكم واخرج له السنة وتوفى سنة ثلاث وثمانين مقتولا فى الجماجم ما اقسم الله
بحياة احد غير محمد عليه الصلوة والسلام لانه اكرم البرية عنده صلى الله عليه وسلم
قيل غير هنا منصوب على الاستثنا وقد سمعته انفا مع ماله وعليه وقد مر ايضا ان عند ظرف
مكان فلا يضاف اليه تعالى حقيقة وورد فى القران لمعان منها الحكم والعلم كما فى اية الافك
فى قوله كان عند الله عظيما وقد يراد بها القرب ورفعة المرتبة وهو يكون بالثواب على انواعه
ويصح ارادة كل منها هنا والبرية الخليقة من برا النسمة فيجوز همزه وتخفيفه والثانى افصح واكثر
وهو يدل على انه غير معتل من البرى بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض اهل اللغة ثم انه قيل
ان الاكرمية لا تقتضى حصر القسم فيه دون غيره ولا قصرها على حياته دون ذاته فالتعليل
غير تام الا ان يقال عادة العرب لمن احبوه وعظموه ان يقسموا بحياته دون ذاته فان القسم
بالذات انما يقتضى العظمة والشرف ولا يلزم من التعظيم القسم ولا التخصيص به فان
القسم مطلقا قد يتعدد القسم به وقد يقسم بفاضل وجود الافضل وكون الاكرمية تقتضى
التخصيص ببعض الامور فلذا اخص بما ذكر لانها تقتضى هنا بخصوصه لا يخفى ما فيه اولا
هذا كله من التعسفات التى لا حاجة اليها فان فيما ذكر تكريما وتعظيما خصه الله به على
ما اختاره المص رحمه الله تعالى فلا يحتاج الى اقامة برهان منطقى عليه وكله من ضيق
العطن وانما تعرضنا له لئلا يظن ان السويد رجال واكرم من الكرم وهو صفة جامعة
لكل خير ويقال هنا اكرم على اى هو عزيز عظيم فى قلبى ونظرى وهو فى العرف يختص بالجود
وليس عراد هنا لا بمعنى انه اكثر جامعية لكل خير عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم
الايات لم يصرح ببقية الايات لانها ليست مما نحن فيه بل باعتبار المقسم عليه من
الفصل التالى ولم يذكرها هناك اكتفاء بما ذكره هنا وتفننا فى التصريح ببعض المقاصد
والتلويح لبعضها والتفنن فى الطريق من فنون البلاغة وسيأتى فى اسمائه عليه
الصلوة والسلام ما يتعلق بيس اختلف المفسرون فى معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد
مكى رحمه الله تعالى تقدم الكلام فى ترجمته والاقوال فيه كثير حكى منها بعض الشراح
ستة وهى ان معناه يا سيد او يا انسان فى لغة طى كما يأتى او هو اسم من اسماء الله
تعالى لانه السيد الحقيقى او يا محمد او يا رجل او هو اسم من اسماء القران كله او سورة
منه وما عدا الاخير فى كلام المصنف وفيه قراات فتح اليا وكسر النون وفتحها
وكسر الياء واظهار النون وهل هو معرب او مبنى وجهان ايضا ومعنى الحكمة والحكيم
صاحبه او المحكم انه روى بصيغة المجهول وفى تخريج الشيخ قاسم انه اخرجه ابن
عدى فى الكامل من حديث على وجابر واسامة بن زيد وابن عباس وعايشة رضى الله

ولى

تعالى

102

تعالى عنهم وفى سنده مقال وقال السيوطى انه رواه ابو نعيم وابن مردويه باسناد فيه
ابو يحيى الوضاع وسيف بن وهب وهو ضعيف ولكن سيأتى عن قتادة مرفوعا وتعدد
طرقه قد يجبر ضعفه وليس مما يتعلق بالاحكام عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لى عند
ربى عشرة اسماء تقدم ان عند الله بمعنى فى علمه فالمعنى انه هو الذى سماه به لاعتنائه به
وتكريمه ولذا قال ربى دون الله والعدد لا مفهوم له فلا ينافى الزيادة واليه اشار بقوله
ذكر منها طه ويس وورد تسميته بهما فى لسان العرب كقول الحميرى يا نفس لا تمحضى
بالنصح جاهدة على المودة الا آل ياسينا وزاد قوله ذكر ما لان فى الحديث زيادة على ما ذكر
ولانه لم يحفظ لفظه بعينه وطه قيل معناه يا رجل وقيل اصله طاها اى الارض وسيأتى
الكلام عليه اسمان له اى هما اسمان له صلى الله عليه وسلم بحذف حرف الندا او القسم ويجوز
على بعد ان يكون خبر انه وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد فيه
اطلاق السيد على غير الله وقد قيل بامتناعه لحديث رواه البيهقى مسندا فى كتاب الصفات
عن مطرف قال انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انت
سيدنا فقال السيد الله الى اخره وتحقيقه ان فيه للسلف اربعة اقوال الاول وهو الصحيح
انه يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا فاذا اطلق على الله فمعناه العظيم المحتاج اليه
وفى غيره بمعنى الرئيس المتبع وله شواهد من الكتاب والسنة وكلام العرب الثانى وهو منقول
رحمه الله انه لا يطلق الا على غير الله اذ لم يثبت اطلاقه عليه فى الاحاديث المشهورة
ولانه من السودد وهو الرياسة على قومه ونحوه ولذا لما اطلق على الله فسروه بغير هذا كما
مر الثالث انه مختص بالله لان معناه المحتاج اليه المتصرف على الاطلاق وهذا لا يليق بغيره
تعالى والرابع التفصيل فى المعرف بال فيختص بالله وبغيره يجوز اطلاقه عليه وعلى غيره فان
قلت ما يصنع بالحديث المفيد للحصر بتعريف الطرفين قلت اذا ثبت وصفه لشئ واريد سلبه
عن غيره حقيقة او ادعا فلهم فيه طرق الاول التصريح باداة الحصر كقولك لا معبود الا
الله الثانى ان يعرف الطرفان وهو فى معنى ما قبله الا ان فيه ايماء الى ذكاء المخاطب لاستغنائه
عن التصريح فقد يكون ابلغ من الاول الثالث وهى ادق طرقه ان يجعل من اثبته الزاعم له
الصفة على من هى له حقيقة فيقال الدهر الذى يضيف الامور للدهر الدهر هو الله اى لا يقرون
لغير الله فى جميع الامور سوى الدهر وما سواه فاثبت التصرف كله لله ونفاه بطريق برهانى
عما سواه على حد قوله ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وهو نوع من اخراج الكلام على
خلاف مقتضى الظاهر يسمى التلوين فصله عبد القاهر فى دلائل الاعجاز وهو مذكور
فى الكتاب اى كتاب سيبويه رحمه الله تعالى كقولهم عتابه السيف وتحية بينهم ضرب وجيع
وما نحن فيه ان جرى على ظاهره فهو من هذا القبيل فلا دليل فيه وقد مر بيانه ايضا مخاطبة
لنبيه عليه الصلوة والسلام بفتح الطا منصوب بدل مما قبله او مصدر لفعل مقدر اى
خاطبه به مخاطبة مخصوصة به وعن ابن عباس رضى الله عنهما يس يا انسان اراد محمدا عليه

الصلوة والسلام رواه ابن ابي حاتم وعن مقاتل انها لغة حبشية يسمون الانسان ايس وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انها لغة طي فقيل ان اصله يا انيسين مصغرا فاقتصر على بعضه لكثرة
النداء به كما قال الامام تبعا للزمخشري وتعقبه ابو حيان بان المنقول عن العرب في تصغير
انسان انيسيان بيا قبل الالف واستدل به على ان اصل انسان انسيان لان التصغير
يرد الاشيا الى اصولها ولم يسمع في تصغيره انيسين ولو سلم تصغيره كذلك فلا بد
من بنائه على الضم مع ان التصغير اصله التحقير فيمتنع في حق الانبيا عليهم الصلوة والسلام
ولذا قال ابن قتيبة في المهيمن انه تصغير مؤمن واصله مؤيمن ابدلت همزته ياء قيل انه
قريب من الكفر فليتق الله قايله وايضا الحذف من اول المنادى غير معروف وسياتي الكلام
عليه في فصل اسمائه صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المنوال ما تقدم من ان اصله يا سيد فانه
قيل انه اكتفا ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب مسموع في كلامهم حكاه سيبويه
وغيره فيقولون الا تا بمعنى الا تفعل فيقول بلى فا اى فعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها
وورد في الحديث كفى بالسيف شا اى شاهدا وقال النجاني في التحقيق انهم يكتفون ببعض حروف
الكلمة معبرين باسمه ببعض حروفها كقولهم قلت لها قفي فقالت قاف اى وقفت فيحتمل ياسين
ان يكون عبر عنه باسمين من اسما حروفه لا بمسماه كما قاله الرازي وان كانت العرب
قد تكتفي ببعض الكلمة كقوله كانت مناها بارض لا تبلغها لصاحب الهم الا الناقة الاحدا
اى منايا ها وقوله درس المنا بمتالع فابان اى المنازل وله نظاير كثيرة اقول هذا محصل
ما قالوه هنا وقال الادبا كما نقله النولجي في كتاب الشفا في بديع الاكتفا ان الاكتفا كما قال
علما البديع ان يدل موجود الكلام على محذوفه وهذا الحد صادق على نحو واسال القرية
على احد القولين فيه ثم قسمه الى الاكتفا بجملة كقوله سرابيل تقيكم الحر اى والبرد والى الاكتفا
ببعض الكلمة قال وهذا النوع مما اخترعه المتاخرون من اصحاب البديع واكثر منه الشعرا
المتاخرون والتزموا فيه التورية كقول الدماميني رحمه الله تعالى يقول مصاحبي والروض
زاه وقد بسط الربيع بساط زهر تعالى نبتكر الروض الغدى وقم نسعى الى ورد ونسرين
وقول ابن حجر رحمه الله تعالى دع يا عذولي رقى الملام فمذ سرى عن الحبيب فنبت دام له
البقا والظرف مذ فقد الرقاد بكى بما يحكي الغمام فليس سهدي بالرقاد وامثاله مما لا يحصى
وفيه اشكال لان النحاة اتفقوا على انه لا يجوز الترخيم في غير المنادى بشروطه المذكورة
في بابه فيكون هذا وامثاله مخلا بالفصاحة لمخالفته القياس فكيف يعد هذا من المحسنات
البديعة التي مما تستحسن بعد الفصاحة وكيف يجوز ان يخرج على مثله القران الكريم
وان كان فيه تورية لانها لا يجوز مثله اللهم الا ان يقولوا انه مقيس مغتفر في الشعر وما
وقع في القران ليس منه بل هو من ذكر اسم حرف من كلمة ايما يعنيها وليس من قبيل الترخيم
وهو الذي اشار اليه المفسرون فانظره فانه مما حال في صدري ولم ار من تعرض له وفي
كلام النجاني الذي مر انفا اشارة ما اليه وان لم يفصح به وقيل هو قسم وهو من اسماء الله

تعالى قال السيوطي رحمه الله اخرجه ابن جرير وحرف القسم مقدر معه والقسم بمعنى
المقسم به وقال الزجاج ابو اسحاق ابراهيم بن محمد شيخ العربية الامام في الادب صاحب
التصانيف الجليلة وتفسيره مشهور وكان متينا في الدين توفي ببغداد سنة ست
او احدى عشرة وثلاثمائة وقد بلغ سنه الثمانين واليه ينسب الزجاجي صاحب
سيد الجمل قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان فسين وليس علم له او المراد بالمحمد
والانسان محمد ايضا صلى الله عليه وسلم واما ارادة النوع وانه التفات كما قيل
فبعيد لا ينبغي حمل التنزيل على مثله وتقديريا وجعل العلم مجموع يس لاشتهار علميته
لا يرد عليه انه شاذ كقوله اصبح ليل كما قيل لانا نحمل جعله بمعنى انسان ورجل في اصل
ابن الحنبلي وضعه ثم نقل وجعل علما او نقول هو بالغلبة التقديرية فلا يحتاج الى ان يقال ان بعض
هذه المعاني تقدم وانما اعيدها هنا تتميما لكلام الزجاج وقال ابن الحنفية رواه
البيهقي في دلائل النبوة وابن الحنفية هو ابو عبد الله محمد بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه والحنفية امه واشتهر بنسبته اليها تمييزا عن السبطين رضي الله
عنه وهو امام عظيم اخرج له الشيخان وغيرهما ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر
رضي الله تعالى عنه وتوفي بالمدينة في سنة ثمانين على الاشهر وفيه اقوال اخر فصلها
البرهان في المقتفي وترجمته مفصلة في التواريخ وهو من كبار التابعين رضي الله تعالى عنهم
يس يا محمد اى معناه هنا لانه وضع له ابتدا او بواسطة كما مر وانما ذكره وان تقدم لبيان
قائله وبعدد طرقه وعن كعب الاحبار كما تقدم الكلام عليه يس قسم اى مقسم به اوجعله
قسما لتضمنه له او مبالغة اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام لم يبين
المقسم به ففيه لحتما لات السالفة وفي المواهب في نقل كلام ابن الحنفية اقسم الله
باسمه وكتابه وفيه فائدة سنتاها والعام والسنة متقاربان معنى وللسهيلي رحمه الله
ابن الحنبلي كلام في الفرق بينهما والمراد بعقدار الفي عام والا فقبلهما لا تتحقق السنين والاعوام لان
الزمان مقدار حركة الفلك او المراد مجرد الكثرة او عدم النهاية مجازا فلا يقتضي الحصر
وبنا في الزيادة قيل ولو سلم ان الزمان مقدار حركة الفلك لا يرد هنا لان الفلك الاعظم
العرش وهو مخلوق قبل السماء والارض لقوله تعالى وكان عرشه على الما كما قاله زين العرب
دلجي في قوله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلايق كلها قبل ان يخلق السماء والارض
بخمسين الف سنة وفيه نظر لما انه قيل انه مشكل ايضا لان كلام الله قديم فلا قبلية فيه
ابن الحنبلي ولا بعدية وحلقتها محدث واجيب بان المراد ابرزه في ام الكتاب او اللوح المحفوظ
المكتوب فيه جميع الكاينات ولم يرتضه النجاني فقال الاولى ان يضعف مثل هذه الروايات
ما امكن فان صحت نزله علمها الى الله او مثله لا يقال بالراي ولا يدرك بالاجتهاد وقيل
القبلية المذكورة متعلقة بالاقسام وليس المراد معناه النفسي القديم بل احداث
ما يدل عليه عند الاشعرية وتعلقه باسماعه وعروض اضافة مخصوصة بلا واسطة

معتادة وهنا التعلق حادث قبل خلقهما ولا محذور فيه غير كون الزمان موجودا قبل خلقهما
وقد عرفت اندفاعه وكون التعلق حادث ارتضاه بعض ائمتنا كالنفسي ومن لم يقل به
يدخل من باب التاويل وهو واسع مع ان منهم من جوز تعلق الكلام الازلي بالمعدوم
الذي سيوجد فلا ينافي الاقسام به ازليته الا ترى الى قولك الزمان الماضي قبل المستقبل
حيث يقصد مجرد بيان تقدمه ولا يخطر ببالك ان للزمان زمانا او ظرفه لنفسه او قد
مثل هذا ورد في الحديث وهو كثير والطعن فيه لا يليق ولا بد من تاويله وهو ظاهر لان
المراد انه اطلع عليه ملائكته عليهم الصلوة والسلام قبلهما بهذا المقدار او قديما
وهو المناسب هنا لافادته اظهار عظيم قدره في الملاء الاعلى ومجرد تقدم العرش
لا يقتضي الزمان بالمعنى المتعارف فتدبر يا محمد انك لمن المرسلين ليس قوله يا محمد
تفسيرا ليس لانه غير مناسب لما سيق له الكلام من ان الله اقسم ولذا ذكر انك
لمن المرسلين الذي هو جواب القسم توضيحا المراده بل هو بيان للمخاطب وليس مراده
انه جواب وهو مما اباه النحاة كما صرح به في الكشاف وقال لان العرب تكرهه وبنيته الذوق
لا تسمع الا مع شاهد فالقسم واحد والواو عاطفة لا قسمية وقد خطر لي توجيهه
بان القسم جملة فاذا تعدد كان بين الجملتين مناسبة تامة لان كلا منهما قسم يقسم
على شيء واحد فيقتضي العطف واجتماع واوين وهو ثقيل وحذف احدهما وفيه لبس
وترك المص بقية التفاسير لكونه اسم السور لانه ليس مما هو فيه وجوز بعضهم
ان يكون اشارة الى جواز تعدد القسم لزيادة التعظيم والتاكيد وهو مخالف لما قالوا
ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين هذا من كلام المص رحمه الله اي قال يس والقران
الخ وما قيل من انه تنبيه على ان هذا قسم مستقل والمذكور جوابه وجواب الاول مقدر
وهو مراد كعب ايضا وان خالف كلام النحاة لا وجه له فان تقدر بكسر الدال المهملة
المشددة اي ان قيل بهذا او غيره لان فيه وجوها احدها ان الضمير ليسين والفا فصيحة
اي اذا عرفت ما مر فان قدر الخ انه من اسمائه عليه الصلوة والسلام وصح انه قسم كما
سمعت عن كعب ومكي وصح بمعنى ثبت او لديه به ذلك في نفس الامر لاحتماله عقلا
وان في قوله فان قدر ليست للشك بل هي شرطية وجوابها قوله كان فيه اي في القسم وقيل
في يس وقيل في التخصيص ورد بانه لا تخصيص فيه الا ان يريد التخصيص بالذكر من التعظيم
ما تقدم من القسم بقوله لعمرك واورد عليه ان القسم بالحياة فيه من التعظيم ما م
ولذا اقسم الله بذات غيره ولم يقسم بحياته فالمراد بما تقدم من التعظيم العظيم وكانه نسي
قوله قبل هذا باسطر ان كل احد يحلف بالعظيم عنده وعلى هذا فهو منصوب بنزع الخافض
لا انه في محل جر لانه لم يرد في غير لفظه الله الا شذوذا ويؤكد فيه القسم عطفا القسم الاخر
عليه عطف مرفوع فاعل يؤكد والقسم منصوب على انه مفعول مقدم والقسم بمعنى
الاقسام والضمير فيه ليسين او للنظم فالمعنى مظروف في اللفظ والاخر بالمد وفتح الخا

سيد

وكسرها

وكسرها كما قاله البرهان الحلبي وفي شرح الصفوي المغني انه ذكر بعض مقسما به بالواو
والمتبادر منه العطف ويسين اذا كان مقسما به فهو معطوف على مثله والا لم تكن
الواو عاطفة ولا القسم تلو مثله او كان القسم به عطفا على غيره والاول احسن وانسب
وفي العبارة مؤاخذات لان عطف قسم ثان على اول مثله مبني على ان يسين قسم فكيف
يؤيده مع انه مقسم به لا قسم فالوجه ان يقول يؤكد ذكر المقسم به الاخر وعطف عليه
ولو كان قسما وذلك العطف اولى فكذا تسميته اقول هذا مما لا ينبغي ان يصدر من مثله
لان كون القسم بمعنى المقسم به ظاهر فاعتراضه ساقط وعطف القسم على المنادى
الذي زعم انه حسن باطل وتعين تسمية الثاني لجره فان كانت الواو عاطفة وقد فرض
قسميته الاول ايضا كان مؤكدا له فلا معنى لما اعترض به وتوضيحه ان المصنف رحمه الله
لما فسر ان يس بمعنى محمد اتبعه ببيانه على وجه اختيار العطف لمزيته فقدمه والمعترض
توهم ان قوله ويؤكد الخ استدلال على القسمية بالعطف والتاكيد وهما انما يتحققان
اذا كان قسما والاستدلال على الشيء بما يتوقف وجوده عليه فاسد فقال ما قال وكم
له مثل هذه مما فرعت له العصا وفيه ومما يدل على ما قلته قوله وان كان بمعنى المنادى فقد
جاء قسم اخر بعده لتحقق رسالته والشهادة بهدايته اي ان كان يس متلبسا بمعنى المنادى وهو
منادى بتقدير يا او بدون تقدير كما مر ففيه اي في الكلام قسم اخر بالقران المنزل عليه فلا
يكون مما نحن فيه بل مما يتعلق بالفصل الخامس لكنه مناسب لما هنا لما اشتمل عليه
من تعظيمه وتحقيق ذلك بقوله انك لمن المرسلين والشهادة بهدايته في نفسه وغيره
بقوله على صراط مستقيم فالمقسم عليه رسالته وتحقيقها الدال عليه ان واللام
والجملة الاسمية لانه بمعنى رسالته المحققة والقسم المؤكد لها ثم استانف لتوضيح معنى
الرسالة والطريق المستقيم فقال مبينا له على هذا الوجه وهو كون يس قسما اقسم الله
تعالى باسمه اي اقسم الله قسما متلبسا باسمه وهو يس العلم الدال على ذاته ولا بعد فيه
كما قيل لان الظاهر ان يقول اقسم به او بذاته كما يقال والله والجزم بالقسم باسمه انما يتمشى اذا
كان لفظ الاسم مقحما او المراد بايراد اسمه وهو بعيد انتهى وقوله وبكتابه بالجر عطف
على اسمه لا على الضمير المجرور من غير اعادة الجار لما فيه من مخالفة الافصح والاحتياج
الى التاويل والقسم بكتابه متعين واما بذاته فعلى الارجح عنده كما سمعته انفا والضمير
ان للنبي عليه الصلوة والسلام لا لله لما فيه من مخالفة الظاهر وانتشار الضماير وعلى
النداء لا ينافي ما مر من انه لم يناده باسمه كما مر فتذكره انك لمن المرسلين بوحيه الى عباده
بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى اي قائلا انه الخ ولذا لم يقل انك والارسال
بمعناه اللغوي ولذا ذكر الوحي بعد لتخصيصه او بمعناه الشرعي على التجريد ومجرد ملاحظة
الثاني لا يكفي كما قيل وعلى طريق مستقيم من تمامه بيان للطريق وان المراد بها التوحيد
او هي تعليلية وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق بالمرسلين

سيد

اى ممن ارسل على هذه الطريقة فالقسم على امرين كما كان قبله ان الارسال على امرين رسالته
والشهادة بهداية لا امر واحد هو انه صلى الله عليه وسلم رسول مهدى على طريقة
مستقيمة ولا حال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله قيدا لاينافى القصد لان هذا
اوضح واتم فى المدح اى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق اى بفتح الهمزة وسكون اليا
المخففة مفسرة للطريق المستقيم وهو اعم من الايمان فهو تفسير ثان على الاول وتشديد
اليا على ان المعنى طريق واى طريق لانه لا اعوجاج فيه ولا عدول الخ تفسير لعدم الاعوجاج
مخالف للرواية وللظاهر وان جاز وقد تذكرت هنا قولى من احسن لعثرة فليلتزم سماحة
النفس وترك اللجاج ويستر المعوج من خلقهم اى طريق ليس فيه اعوجاج قال النقاش
هو ابو بكر محمد بن الحسن بن احمد الموصلى البغدادى المقرى المفسر روى عن ابى مسلم الكجى
وطبقته وقرا بالروايات حتى صار شيخ القراء فى عصره على ضعف فيه وقيل انه كان يكذب
فى الحديث فلذا قالوا ان روايته منكرة وتفسيره ليس فيه شفاء للصدور والغالب عليه
القصص الا انا ان ابا عمرو والدانى اثنى عليه وروى عنه حكاية تقتضى رده وفى حاشية
التلمسانى انه مغربى توفى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة فى الميزان وطبقات
القراء وقال ابو شامة فى شرح الشاطبية انه ضعيف عند اهل النقل وقال الجعبرى
رحمه الله المضعف له غالط لم يقسم الله لاحد من انبيائه عليهم الصلوة والسلام بالرسالة
فى كتابه الا له الا بسبب الرسالة اولم يقسم على رسالة احد غيره كما فى هذه الاية وهذا
وان دل على ان غيره مرسل ايضا الا ان المقسم عليه بالقصد الثانى رسالته عليه الصلوة
والسلام وعدل الى قوله بانك لمن المرسلين عن قول رسول الله او مرسل وهو احصر لتثبيت
رسالته وانه عريق فيها على نهج قوله كانت من القانتين لان فلانا من العلماء ابلغ من عالم كما
قرر علماء البيان وفصلناه فى غير هذا المحل اى لم يذكر هذا القسم فى القرآن لغيره تشريفا له
صلى الله عليه وسلم وتعظيما له ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا جاء مؤكدا بتاكيدات
وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه التمجيد تفعيل من المجد وهو العز
والشرف والتاويل حقيقته فى اللغة معرفة مآل الشئ وما يرجع اليه من آل ثم شاع فى معنى
التفسير مطلقا وقد يخص التفسير بما كان منقولا عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة
رضى الله عنهم والتاويل بغيره وقد يخص بحمل الكلام على المعنى الخفى دون الظاهر وقال
القرافى رحمه الله تعالى المأول هو الكلام الذى فيه الاحتمال الخفى مع الظاهر كالحقيقة
والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد وضمير فيه الاول ليسين وقوله ما فيه
فيه ايجاز ومبالغة اى فيه امر عظيم لا يمكن الوقوف عليه كقوله الحاقة ما الحاقة لوصفه
بالسيادة المطلقة المفيدة للعموم فى المقام الخطابى فيفيد تفوقه على من سواه لانه عليه
الصلوة والسلام واسطة كل خير وقد تقدم الكلام فى اطلاق السيد على الله ومعناه
ووزنه فيعل بكسر العين فيه على ما مر وحملهم على هذا انهم لم يجدوا فى الصحيح فيعل بالكسر

بل

105

بل بالفتح كصيقل وضيغم ولذا ذهب بعضهم الى ان اصله فيعل ورد بانه لا مانع من اختصاص
المعتل بوزن يخصه ثم عقب هنا بحديث يناسب السيادة ويدل على عمومها فى حقه
صلى الله عليه وسلم فقال وقال عليه الصلوة والسلام انا سيد ولد آدم اى جميع
اولاد آدم وكل البشر لان الولد يكون واحدا وجماعة كما قاله التلمسانى وفى نسخة ولا فخر
الفخر ادعاء العظمة والشرف والاعلاء بذكره اى لا اقوله تبجحا ولا افتخارا بل تحدثا بنعم الله
وشكرا لله كما قاله ابن الاثير وقال ابن قرقول اى لا فخر فى الدنيا عندى اى لا انعظم ولا اتكبر
بذلك فيها وان كان له الفخر الاكبر فى الدنيا والاخرة وفى هذا الحديث روايات منها انا سيد
ولد آدم يوم القيمة كما رواه مسلم والترمذى قال التجانى فيه اشارة الى التجاء جميع الخلائق
له صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم من غير منازع كما فى الدنيا وهو كما قال الله تعالى
لمن الملك اليوم وفيه دلالة على جواز مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعم الله تعالى
وقد قيل انه واجب عليه صلى الله عليه وسلم لتبليغ امته ما يجب فى حقه ولذا قال
تعالى واما بنعمة ربك فحدث وهذا لا ينافى سيادته صلى الله عليه وسلم على الملائكة
وما سوى الله تعالى وقوله ولا فخر احتراس عما يتوهم من الكبر على حد قوله فسقى ديارك
غير مفسدها صوب الحيا وديمة تهمى وهذا مذكور على طريق الاستطراد والتتميم
ومر فى الخطبة الكلام فيه وان الاحتراس على ثلاثة اقسام وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد
وانت حل بهذا البلد يعنى لا نافية للقسم واقامة الظاهر مقام المضمر ولم يقل وانت حل به
استعظاما لحلوله فيه والبلد مكة حرسها الله تعالى كما اشار الى توضيحه بقوله قيل
لا اقسم به اذا لم تكن فيه وروى اذ لم يكن وهما بمعنى هنا اى بعد خروجك منه حكاه مكى
رحمه الله تقدمت ترجمته اشارة الى ان عدم القسم به لخروجه منه ولو قال اذ خرج
كان اوضح واخصر وفيه ايماء الى ان القسم فى سورة التين بقوله وهذا البلد الامين
لكونه فيه فلا تنافى بين الايتين اذ انت البلد فيهما بمعنى فاذا كان صلى الله عليه وسلم
فيها فهى حقيقة بالاقسام بها لان شرف المكان باهله كما قيل وما حب الديار شغفن قلبى ولكن
حب من سكن الديارا وهو منتظم مع ما بعده من قوله ووالد الخ اى لا اقسم بالبلد واقسم
بغيره او قوله بغير قسم بناء على انسحاب النفى عليه او لا اقسم بهذا الجلالة المقسم والمقسم
عليه وان كان ما يذكر مما يقسم به لعظمته ففيه تعظيم لما نفى القسم عنه فلا وجه لتوهم
عدم الانتظام وقدم هذا الوجه لرجحانه عنده كما ذهب اليه الامام رحمه الله
وقيل لا زائدة اى اقسم به زادتها نظرا للمعنى المقصود وليست لغوا لافادتها تاكيد الكلام
وتقويته وتحسينه وان كان حذفها لا يغير اصل المعنى فاندفع قول الامام انه مانع من نظام الكلام
وموهم لجعل الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القرآن مع ان لا تاتى زائدة مع القسم
كثيرا وقد تزاد فى غيره ايضا وذهب بعض النحاة والمفسرين الى انه لا يطلق على مثله انه
زائد بل يقال انها صلة وهو كلام حسن وقيل لا نفى لقدم الناس واستعدا للسلام ويوبخ

ورواه احمد والترمذى
وابن ماجه عن ابى سعيد
ولفظه انا سيد ولد آدم
يوم القيمة ولا فخر وبيدى
لواء الحمد ولا فخر وما من نبى
يومئذ آدم ومن سواه
الا تحت لوائى وانا اول
من تنشق عنه الارض ولا فخر
وانا اول شافع واول
مشفع ولا فخر
انتهى على القارى

انه رسم في الامام بالالف وانه قرئ شاذا لاقسم بلام الابتدا وانت به يا محمد حلال او حال
ما فعلت فيه جملة حالية وهذا مبني على التفسيرين في هذه الاية بالاثبات والنفي او في
معنى الحل او على كليهما ليكون الكلام مفيدا وحل له معان فيكون ضد الحرمة وبمعنى الاقامة
بالمكان والاسم منهما حل بالكسر وحلال بمعنى جائز ومقيم وفعل يكون اسما كجدع وصفة
كنقض ومصدرا كحل والى كل من المعنيين هنا ذهب بعض المفسرين فالمعنى اقسم بهذه البلدة
وانت مقيم بها بشرفك وعظمتك عندي واني احللت لك ما لم احل لغيرك في هذه البلدة
من القتل وغيره وهذا اما نسخ حرمتها او هو خصوصية له صلى الله عليه وسلم لقول الله
عز وجل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام سواء حمل على ظاهره او فسر بالحرم وهذه
الاية محكمة عند ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد لما رواه الشيخان من قوله صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد
قبلي ولا بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة وقتاله
صلى الله عليه وسلم وامره بقتل من لجا الى الحرم كابن خطل من خصائصه صلى الله عليه
وسلم كما روي عن السلف واورد عليه الجعبري في كتاب النسخ بان قوله احلت
يدلت على الحرمة فيكون نسخا ولو كان الاستمرار فيكون رخصة لانها استباحة مع
المانع وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك هي منسوخة بقوله
تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبايات اخر في معناها وتمسكا بفعله صلى الله
عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي انتهى وفي الاية تسلية
عليه الصلوة والسلام اي ان اخرجوك منها فستعود لها وتفعل فيها ما تريد وتثبيت
ووعد بالنصر والاول على تقدير ثبوت القسم والثاني على انتفائه وكل منهما جار على
التفسيرين وفيه تفاسير اخر فقيل المعنى وانت حلال اي غير محرم مقيم بها او المعنى يستحلون
ايذائك واخراجك منها وهو تثبيت له وتعجيب مما جرى عليه او اشارة الى علته عدم
القسم فاندفع الاعتراض بان الحال يقتضي عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان ويجوز
اجراؤه على الوجهين وقيل المعنى لا اقسم وانت مستحل او انت حال فانه حينئذ ينبغي القسم بك
الا انه لا يناسب كلام المص وهو امر سهل وقال القسطلاني فان قلت هذه السورة مكية
اي على ما ياتي وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال الواقعة التي ذكرت في اخر هجرة المدينة
فكيف الجمع بين الامرين واجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله انك
ميت وانهم ميتون واستشكل هنا بانه يلزمه اختلاف زمني الحال وعاملها الا ان يقال
الجملة معترضة لا حالية لا الماضي كما يدل عليه قوله او حللت ما فعلته فيه قيل
وفيه اشارة الى عظم شانه صلى الله عليه وسلم بعد التنبيه على عظم مكانه دفعا لما
يتوهم من ان المكان اشرف وان شرفه مكتسب منه والمراد بالبلد عند هؤلاء المفسرين
مكة وقيل غيرها كما سياتي وقال الواسطي نسبة لواسط مدينة مشهورة وهو الامام

لقد
بمعنى الحلال

العارف

العارف بالله تعالى ابو بكر بن موسى وهو ممن صحب الجنيد وتوفي بعد الثلاثمائة وعشرين
وهو من اجلة العلماء والصوفية اي يحلف بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا
وببركتك ميتا يحلف بنون مفتوحة وحاء مهملة تليها لام مكسورة وفاكذا ضبطه
في المقتفي ولو قرئ بالياء التحتية صح ايضا وفاعل الحلف على كل حال هو الله تعالى وتسمى
هذه النون نون العظمة لان اصلها للمتكلم مع الغير لكن الا ان العظيم يتكلم بها ويطلقها
عليه غيره تعظيما لعده بمنزلة جماعات كثيرة او لان له اتباعا في خدمته اذا اراد فيحكي
عنه وعنهم ولذا قال الراغب في مفرداته ان الله تعالى بما يوردها في كلامه فيما يفعله
بواسطة ملائكته عليهم الصلوة والسلام كقوله انا نحن نزلنا الذكر وفي شرح
التسهيل انه مقصور على السماع لايهامه التعدد فلا يجوز استعمالنا له وبه افتى
علماء الحنفية فالاولى حينئذ الغيبة هنا وعلى نون العظمة تذكرت ما نظرف به ابن نباتة
المصري في قوله اعمى بناظره لم افه بكلمة يحتجبني بحاجب لكن بنون العظمة وقوله
الذي شرفته بمكانك اي حصل له ذلك لاجلك ولاجل تعظيمك فبتشريفه لا بتحلله
فيها صارت حرما ومهبطا للوحي ومنبعا للدين وقد قالوا ان هذا القسم داخل في تعظيمه
صلى الله عليه وسلم من القسم بذاته وبحياته كما اشار اليه عمر رضي الله عنه بقوله بابي
انت وامي يا رسول الله قد بلغت من الفضيلة اذا قسم بتراب قدميك فقال لا اقسم
بهذا البلد ومكانك بمعنى كونك وحلولك فيه مصدر ميمي ولذا اعمله كقوله اظلوم
ان مصابكم جلها اهدى السلام تحية ظلم ولو كان اسم مكان لم يعمل كما صرح به ولو قال
المص رحمه الله تعالى بمكانك وبركتك حيا وميتا كان اولى لان الانبياء عليهم
الصلوة والسلام احياء في قبورهم حياة حقيقية وان قيل انه تفنن لان بركته صلى الله
عليه وسلم في حياته كما دل على علم يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية يعني ان هذا
القايل اراد بالبلد المدينة لانها مكانه صلى الله عليه وسلم في حياته ومماته وهي على القول
الاصح عند المفسرين مكية لان هذه السورة نزلت بمكة فالاشارة في حال النزول تعين
انها مكية لان هذا يشار به للقريب الحاضر وقت الخطاب والمدينة على هذا ليست كذلك
ولذا قيل انه مجمع عليه وتنزيلها منزلة الحاضر القريب مخالف للظاهر رواية واشارة
ما الاصح الى قول ضعيف نقله ابن عطية ان السورة مدنية فلا وجه للاعتراض به على المص
كما في شرح البخاري ولشدة ضعفه وضعف ما بني عليه لم يعتد به مدعي الاجماع وما بعده يصحح
مبتدا وخبر اي ما بعد القسم وهو قوله وانت حل بهذا البلد يدل على صحة ان المراد مكة
وفساد قول الواسطي فقوله قوله تعالى حل بهذا البلد خبر مبتدا مقدر مع الاقتصاد على
مناط الدليل واصله وهو قوله وانت حل بهذا البلد ويجوز ان يكون بدلا مما قبله بلا
تقدير وفيه بحث كما اشار اليه بعض الشراح لان القائل لا يسلم ان السورة مكية
فالبلد في الموضعين عنده المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنى حال مقيم فكيف يقام

ابن الحنبلي

الدليل عليه بما لا يسلمه فالاولى الاقتصار على روايته خلافه لصحتها واشتهارها وقيل ان قوله لان السورة الخ مجموعة علة للاصحية وهو قوله وانت الخ وكونها مكية الا انه انما يتم على تفسير حل بما لا يتصور في حق المدينة كالحلال غير المحرم ومن الجائز ان يفسر الواسطي بالحال النازل ويقول البلد فيهما المدينة والسورة مدنية فلا يلزمه شيء مما مر ولا يخالفه قاعدتها اعادة المعرفة معرفة كما اذا اريد بالاول المدينة وبالثاني مكة على انه وعده صلى الله عليه وسلم بانه سيكون بها لا غير محرم على ما فيه من الاشارة في كلام واحد لغايب وحاضر تنزيل الغايب منزلة الحاضرة لنكتة والمراد بالاول القول بانها مكية كما بيناه وقيل يجوز ان يريد به القول الحاكم بان لا نافية للقسم وما بعده القول الحاكم بانها زائدة ويصححه قوله وانت حل بهذا البلد ان في كونه حالا به اشعار بثبوته مع كونها زائدة انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلف ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو لانه يقصد نهج كلام العرب افرادا وتركيبا ثم استعمل للناس بمعنى مثل وشبه وشاع حتى صار حقيقة فيه اى مثل ما تقدم من القسم بمكة لتعظيمه صلى الله عليه وسلم او نحو قول الواسطي في ان محله صفة مدح بواسطته قول ابن عطا وان كان قول الواسطي في حق المدينة وقول ابن عطا في مكة وذاك بسببه وهذا التشريفة بما فيه من الايتان بدعوة الخليل وتعليق الاقسام على صفة الامان تفيد عليته له والامين فعيل بمعنى فاعل فهو امن لقوله ومن دخله كان امنا وقيل بمعنى المامون على ما اودعه من البركات ولانه مامون عن الغايلة وتحقيقه في الكشاف وشروحه قال منها الله لمقامه فيها وكونه بها في المقتفى منها بقصر الهمزة وتشديد الميم كما في النسخ ولا اعرف فيه مد الهمزة وفتح الميم يعني ان المعروف في اللغة مجيئه ثلاثيا ومن باب التفعيل واما الافعال فمن الايمان وقوله لمقامه بضم الميم بمعنى اقامته ويجوز فتحها بتكلف والوجه الاول وعطف كونه بها على ما قبله مرادف بمعنى وجوده فيها وفي نسخة بمقامه بالباء السببية فالامان بسببه وقد فهم من الاية ان الاقسام لاشعار الترتب بالعلية فيكون الاقسام بسببه ايضا فان كونه اى وجوده امان اى موجب للامان حيث كان اى حيث وجد بذاته الشريفة والحيثية قدره للتعميم اى في اى مكان كان لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهذا الامان بعد وجوده وقربا من وجوده كامنه به من الفيل واصحابه لان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الاول من عام الفيل وقصة الفيل في المحرم وقال بعض الشراح الاظهر ان هذا الامان كان بدعوة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقوله اجعل هذا البلد امنا ومن دخله كان امنا واجاب الله دعاه فقال واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ويجيب عنه بانه لا يبعد ان يكون كل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم وبمن وجوده فيه فلما علم الله انه سيصير مقام حبيبه عليه الصلوة والسلام عظمه وقبل دعاء خليله

اوتكون

107 اوتكون استدامته ذلك واستمراره بسببه ولا يبعد ان يقال ان المص اشار الى هذا بقوله ثم قال ووالد وما ولد عطف على هذا البلد والمفسرون اختلفوا في تفسير الوالد فمنهم من قال اراد ادم عليه الصلوة والسلام فهو عام اى ما ولد على هذا التفسير عام شامل لجميع اولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان لانه اشرف مخلوقاته ونسخة توحيده في ذاته وصفاته وعلى هذا الجمهور متبادره الى الاذهان من غير داع للعدول عنه وقيل المراد على هذا الصالحون منهم قيل ولا يبعد ان يراد الفرد الكامل منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فيكون القسم بالاول والاخر ولا ادرى ما وجه تركه وعدم تعرض احد من المفسرين له وكانه لعدم دليل عليه فتدبر ومن قال هو ابراهيم عليه الصلوة والسلام وما ولد ضمير هو للوالد او لمجموع الوالد والولد والثاني اولى وقيل الاولى ان يقول على منوال ما سبق ومن قال اراد ابراهيم والضمير في قوله فهي ان شاء الله تعالى للقصة وانت باعتبار الخبر وهو قوله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني هو المراد من قوله وما ولد عند هذا القائل وهو ابو عمران الجوني كما نقله في زاد المسير وقيل هم العرب وقيل هم اولاد ابراهيم عليه الصلوة والسلام او الصالحون منهم وكونه غير متعين من النظم طلق عليه الاشارة لخفائه والمشهور اطلاق الاشارة على ما يدل عليه اللفظ دلالة التزامية كاشارة النص وقوله ان شاء الله قيل انه للتبرك والاهتمام بما بعده او هو تادب منه في الحكم بانه مراد الله او اشارة الى ان فيه احتمالا اخر ويجوز بعضهم ان يكون تعليقا على ظاهره وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين لانه لما حمل الوالد على كمل افراده ناسب حمل ما بعده على مثله وقيل المراد بالوالد محمد صلى الله عليه وسلم لحديث انما انا لكم بمنزلة الوالد والولد امته او ذريته صلى الله عليه وسلم وقال فيه ما دون من وما في الاصل لما لم يعقل لان كثيرا من النحاة جوزوه او لتاويله بالمبهم اى الولد الكامل الذى لا يدرك كنه ذاته لتناهيه في الكمال وقوله المختار عند صاحب الكشاف وغيره من المحققين انه مطرد فيما قصد به المعنى الوضعي كالمولود هنا نظرا للصفة فانها ليست من جنس العقلاء كما فصل في حواشي الكشاف قال الزمخشري في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء التفرقة بين من وما انما هو اذا اريد الذات واما اذا اريد الوصف فيجوز ذهابا الى الوصف وقد خفي هذا على بعض الافاضل وظاهر كلامهم انه معنى حقيقي فان قيل بانه يجوز ان يكون فيه تغليب قيل هو دقيق لم ينبهوا عليه وهو تغليب احد جزئي المدلول وانما ذكروه في الجزئيات والتنكير فيه للابهام المستقل بالمدح والتعجب كما قيل فتضمن السورة القسم به في موضعين اشار بالفاء الى نشاته مما قبله اى اذا كان كذلك ففي ضمن هذه قسم بمحمد صلى الله عليه وسلم مرتين احداهما في البلد التي هي محله فان القسم بمكانه قسم به صلى الله عليه وسلم بلغ من القسم بذاته وحياته كما مر تحقيقه والثاني في قوله ومولود على هذا التفسير والقول بانه لما اقسم بوالده وهو في صلبه فكانه

سيد

سيد

اقسم به بعيد غاية البعد واما القول بانه لتفسير الوالد بمحمد صلى الله عليه وسلم كما في الكشاف
فغير صحيح لانه ليس في كلام المصنف ذكره بوجه من الوجوه وهو عجيب من قائله اللهم الا
ان يقال من اقسم باحد ممن مضى من ابائه قاصدا تعظيمه فكانه قسم به اي بصفة
من صفاته وهي شرف حسبه فتامل وقال تعالى الم ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم على انه
طائفة من الحروف واسم السورة او القران تنزيله له منزلة المحسوس المشاهد البعيد
لرفعة قدره او لتعظيمه كما فصله المفسرون قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف
اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيما غير ذلك الا اقسام جمع قسم بمعنى المقسم به لقوله
بها وقد روي عن ابن عباس وغيره من مفسري السلف في هذه وفيما ضاهاها اقوال غير ما ذكر
قال الشريف كما روي عن الخلفاء الاربعة انها مما استاثر الله به قال البيضاوي ولعلهم
ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ
يبعد الخطاب بما لا يفيد وفيه انهم صرحوا بانه مما لا يعلمه الا الله فانه اخفا الحكمة فلم
يتحاشوا عما فهمته اقول فيه انهم قالوا ان التعقيد المعنوي يخل بالفصاحة فكيف بما لا يمكن
علمه وما ذكره لا يدفع ما قاله فالحق في جوابه ما قاله الفاضل الليثي بان هذا انما يشترط
فيما قصد به تفهيم المخاطب كما فصله في حواشي المطول وهذه الحروف اشارة لما ذكروا الى جميع
حروف المعجم كما يقولون تعلمت ا ب اي جميع الحروف المقطعة كما قاله ابن قتيبة فهي اقسام متعددة
جوابها مقداري لقد بينت لكم السبل واوضحت لكم الدلالة بهذا الكتاب المنزل بقرينة قوله
ذلك الكتاب وفيها اقوال كثيرة تكلفت بها التفاسير فلا حاجة لذكرها هنا والى هذا
اشار بقوله وقال سهل بن عبد الله التستري تقدم ما فيه قال السيوطي رحمه الله تعالى
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم
قيل ان هذا غير واضح المعنى ولا بد له من ماخذ في تفسيره الا صبهاني نحو عشرين قولا لم ار فيها
هذا الا انه حكي عن الضحاك ان اللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم والالف
من الله وهي اقسام اقسم الله تعالى بها وهو في غاية اللطف والدقة فان كان المراد هذا
فهو واضح لانه اذا اقسم بحرف من اسم دل على شرفه وفي هذا تقديم جبريل عليه الصلوة
والسلام عليه صلى الله عليه وسلم فربما تعلق به مدعي التفضيل وان لم يلزمه مطلق
التفضيل يعني انه لم يقل انها حروف من اسمائهم بل جعلها دالة عليهم ووجهه في غاية الخفا بان
نزل على ما ذكره الضحاك اتضح لكن العبارة غير ظاهرة فيه فرده بانه لا طايل تحته دعوى
بلا دليل وان كان فيه قسم بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو مناسب لما هو بصدده واما تقديم
جبريل عليه الصلوة والسلام هنا فلانه واسطة بين الله ورسوله فالاعتراض به
في غاية السقوط كما اشار اليه بقوله وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل
وجعل معناه الله انزل جبريل عليه الصلوة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا
القول وفي نسخة بهذا القران لا ريب فيه كما حكاه القاضي بمعناه عن ابن عباس رضي الله

ط اي التقضي ذكرا لم والمتقضي كالمتباعد والاشارة اليه بما يشار اليه الى البعيد مشهور جار في كل كلام ولذا قيل ما ابعد فهو كمكونه متقضيا معدا للعدم في حكم البعيد لا بعيد عن الوجود كذا قاله الشارح في حاشيته على البيضاوي في هذا المحل لناى

ابن قتيبة

عنهما

108

عنهما يعني انه لوضوح شانه واعجازه لا يرتاب عاقل فيه بعد النظر وان كثر المرتابون كما قال
وان كنتم في ريب الخ وعلى الوجه الاول الذي رواه عن ابن عباس وهو القسم بالحروف يحتمل
القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ان بالفتح اي على انه قسم في قول سهل وعلى هذا الجواب
القسم لا ريب فيه وقيل الجواب مقدر يدل عليه قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه لا جواب
بتقدير اللام لانه لا يسوغ حذفها الا اذا استطال القسم كما في المغني وحذف الجواب
ورد في القران في قوله ص والقران ذي الذكر بانه لمعجز وانك لمن المرسلين فاتى بدل ذلك
فاتى بدل ذلك بهنا لان التعظيم يكون باشارة القريب والبعيد كما تقرر في المعاني والنكات
لا تتزاحم والتردد في انهما على حد سواء ام لا كما قيل لا طايل تحته وفي شرح السيد التحرير انه
اشار بهذا الى ان الظاهر الاشارة بالقريب الحاضر في الذهن وانما عبر بذلك لتنزيله
منزلة البعيد للتعظيم ولم يرد تقدير حق بل بيان ان لا ريب خبر بمعنى حق ثم فيه من فضيلة
قران اسمه باسمه نحو ما تقدم في الم او في هذا القول او القسم او الكتاب على قول سهل مطلقا
او على ما ذكره السمرقندي لدلالة الحروف المتقطعة من الاسماء او لدلالتها عليهما كانها اسماء
واشار بقوله نحو ما تقدم الى ما مر في قوله ورفعنا لك ذكرك ولا يخدش القران توسط
اللام المفسرة بجبريل لما في وقوعها في ذكر واحد من القران لا سيما وجبريل عليه الصلوة
والسلام سفير محض بينهما لا يعد فاصلا وقيل وكون الالف من اول اسم الله والميم
من وسط اسم محمد صلى الله عليه وسلم واللام من اخر اسم جبريل مناسب لما ذكر وقال
ابن عطا في قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه
وسلم فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفا كما في قوله قلت لها قفي قالت قاف والظاهر ان
مثله لا يقال بالراي فلا وجه للاعتراض بانه لم لا يجوز ان يكون من قدرة الله تعالى ونحوه
وقد تقدمت ترجمة ابن عطا رحمه الله تعالى وقوله حيث حمل الخطاب والمشاهدة اي
حيث تحمل واطاب الله له ورؤيته ليلة الاسرا او مشاهدة الملكوت ومهابته مما تهد له
الجبال ولا تطيقه الملائكة على احد تفسيري قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم او مشاهدة
التجليات القلبية ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله اي لم يصعب ويشق عليه حتى يمنعه
من تحمل مثله وقوله لعلو حاله تعليل اي انه صلى الله عليه وسلم حالا في ثبات جنانه
ورفعة شانه لما اودع في قلبه من اليقين وقيل هو اسم للقران ضمير هو لقاف وهذا القول
تفسير ماثور عن قتادة فما قيل من انه في غاية الركاكة لانه يصير المعنى القران والقران
المجيد تبجح لا يليق بالادب والعجب منه حيث رواه بعد ذلك لانه على هذا يجوز ان يذكر
تفسيرا لخفاء ما قبله ولذا قيل انه في غاية الوجاهة من حيث المعنى اذ حاصله ان هذا
القران اقسم به واظهر في مقام الاخبار ليمكن وصفه ودخول حروف القسم عليه
ومن حيث اللفظ لان الركالة انما هي لو صرح باسم القران الا اذا عبر عنه بغيره وهنا هو
السر في العدول فتفطن وتادب على انه يحتمل ان يراد بالقران هذه السورة وقيل هو اسم الله

ابن الحنبلي

ابن فرس

تعالى على نهج ما مر من اطلاق حرف من الاسم على مسماه فهو على هذا بمعنى قيوم او قدير ونحو
او هو مما لم يطلع على معناه ويؤيد الاول ما حكاه القرطبي رحمه الله من انه افتتاح اسمه
القدير القاهر القريب وقيل جبل محيط بالارض ينبع منه جميع المياه وهذا رواه ابن
الجوزي عن مجاهد وقيل انه من زمردة خضراء وخضرة البحر من انعكاس شعاعه وقيل غير
هذا في اقوال تزيد على عشرة منها انه اسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر الوراق معناه
قف عند امرنا ونهينا ولا تتعداهما والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقال جعفر بن محمد
الصادق تقدمت ترجمته رضي الله عنه في تفسيره وفي نسخة في تفسير بدون ضمير قيل
ان جعفر تفسير لم يشتهر والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وهو بمعنى نزل وصعد
الى السماء في المعراج من الهوى بتشديد الياء مع فتح الهاء وهو الذهاب في انحدار او مع ضمها
وهو الذهاب في ارتفاع وهذا التفسير نقله البغوي رحمه الله فلا غرابة فيه رواية ودراية
لان وجه الشبه ظاهر وقال ابو جعفر فله فيه تفسيران وعنه فيه روايتان على البدل
او الاجتماع ان جود النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار الربانية
المنزلة على قلبه في مشاهداته من العلوم والحكم وانواع الكمال وتشبيه قلبه صلى الله عليه
وسلم بالنجم لا يخفى ظهوره لاشراقه بنور ربه وهداه ومثله مشهور واما تفسير هوى بانشرح
فلانه يقال هوى اذا فتح فما او مديدا ولا يضرنا عدم اشتهاره لمعرفة العرب اهل اللغة
وقال جعفر الصادق في رواية اخرى عنه في تفسير هوى انقطع عن غير الله وهذا
اظهر مما قبله لانه من هوى النجم اذا سقط من بين نوعه من النجوم وهذا اذا انقطع الى ربه
فارق الناس وقال الامام المرزوقي في شرح اشعار هذيل قال الاصمعي يقال هوى يهوي
هويا بالفتح الهاء من علو الى سفل وهويا بضمها بعكسه انتهى فقول بعض الشراح انا لم نر
هذا المعنى في مشاهير كتب الله ساقط والمثبت مقدم على النافي وقوله الا ان يقال
انه من هوى الجو اذا خلا كما في التقريب فيكون هذا الخلو عن غير الله ومن هوى ذهب
في جهة العلو لارتفاعه الى الله تعسف غير محتاج اليه وتوقفه في هذا دون ما قبله
غريب من مثله وقد سبقه بعضهم لهذا وفي النجم هنا تفاسير اخر فقيل هو الثريا وقيل الزهرة
وقيل الرجوم وقيل مطلق النجوم وقيل ما نزل من القران منجما وقيل الهوى نزوله من المعراج
وسيأتي الكلام فيه وقال ابن عطا تقدم الكلام عليه في قوله والنجم وليال عشر النجم
محمد صلى الله عليه وسلم لانه منه تنجر الايمان تنجر بفتح التاء وتشديد الجيم المضمومة
على انه مصدر مضاف للايمان او بفتح الجيم المشددة على انه ماض فاعله الايمان من تنجر
الصبح طلع كما قال ابن رسلان وهذا ما على تشبيه الايمان بالنور المشرق من افق الوحي
الماحي لظلمة الكفر او هو استعارة للتشبيه بالماء على نهج المكنية واثبات التنجر له على طريق
التخييل كما قيل والاحسن عندي انه يشبه الصبح وانواره بماء تنجر ثم يستعار بذلك لشهرته
بما ظهر منه صلى الله عليه وسلم من الدين والتوحيد كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى انظر الى

ابن الحنبلي

اقبس

والتجاني

الصبح

109

الصبح المنير وقد بدا يغشى الظلام بمائه المندفق غرقت به زهر النجوم وانما سلم الهلال
لانه كالمرزوق وفيه تفاسير اخر تركها المص رحمه الله لشهرتها واقتصر منها على ما يناسب
غرضه الا ان الشراح قالوا ان هذا مع غرابته بعيد غير مقبول لانه مخل بالانتظام الادب
والبادنجان محدثه ومثله مخل بالبلاغة اقول نقل الشراح هنا كانه وارد غير مندفع
وليس كذلك وفيه سوء ادب وتهجم على كتاب الله عز وجل وهذا منقول عن السلف مأثور
وهم اهل اللسان ومن فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم يفسر الليالي العشر بعشر رمضان
وقد كان النبي عليه وسلم يجتهد في العبادة والخيرات فيه ويرى ليلة القدر فيصير
المعنى على هذا اقسم بمحمد صلى الله عليه وسلم في حالته التي جد في عبادته والتقرب التي
فيها واي مناسبة اتم من هذه كما لو قلت وحبيب هو المنى وليال كان فيها وصاله ووصاله
ورضاه وزمانا بالانس كان ربيعا لا اطيعن عاذلا في هواه اترى هذا كالبادنجان
وبزوع الهذيان او كوجه الحبيب وغيبة الرقيب والذي عليه المحققون من المفسرين
انه على حقيقته او هو بتقدير مضاف اي صلاة الفجر والليالي العشر عشر ذي الحجة او الفجر
فجر عرفة او النحر والعشر اول محرم او اخر رمضان ومما يضاهي قول المص رحمه الله تعالى
قول الرازي ان الضحى وجه محمد صلى الله عليه وسلم والليل اذا سجى شعره الفصل الخامس
في قسمه تعالى لجده بفتح وتشديد الدال ويكون بمعنى الحظ والغنى ومنه ولا ينفع ذا الجد منك
الجد يقال جد بمعنى عظم واسناد التعالي له للمبالغة كما يقال جد جده فهو اسناد مجازي
او استعارة مكنية وفي بعض النسخ له وهو متعلق بالقسم والضمير للنبي صلى الله عليه
وسلم لتحقق كانه عنده اللام للتعليل والاولى صلة فلا يلزم تعدي عامل بحرفين متحدي
اللفظ والمعنى وقوله صلى الله عليه وسلم متعلق بحسب المعنى بضمير عنده ولتحقق بمعنى
لتبين حقيقته عنده والمكان معروف فاذا زيدت فيه الهاء اريد به المرتبة المعنوية كالمنزلة
وفي بعض النسخ لتحقق وفي بعضها لتحقيق وفي بعضها لتحقيق بصيغة المصدر والكل بمعنى
واللام قيل انها مثلها في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بمنزلة الغرض لا غرضا
لان افعاله تعالى لا تعلل بالاعراض وهذا وان اشتهر فالذي ارتضاه النسفي خلافه
وان ذهب السيد الشريف لخلافه والتحقيق ان الخلاف لفظي وعنده مثلث العين
والكسر افصح وبداء الفصل بسورة الضحى لمناسبتها لخاتمة الفصل الذي قبله وتقدمها
لكريم خطابه وعميم نعمه عليه تشريفا له فقال قال جل اسمه كما جل وعلا في نفسه وفيه
تادب وتاشر والضحى والليل السورة بالنصب ان لم يوقف عليها بتقدير اذكر او اقرأ
السورة الى اخرها والسورة طائفة من القران مترجمة اقلها ثلاث ايات فان كانت
كانت معتلة فهي منقولة من سور المدينة لاحاطتها بما فيها من مدارن العلم ومنازله وان
كانت مهموزة فهي من السور وهو البقية كما بين في محله اختلف في سبب نزول هذه
السورة سبب النزول امر حادث في زمن النبوة ينزل القران في حقه ويجوز تعدده

وكما ان للقران اسباب كذلك الحديث وقد صنعوا في كل منهما تصانيف جليلة وان كان
المشهور هو الاول فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت
امراة في ذلك بكلام روي ان هذه المراة هي ام جميل بنت حرب واسمها العوراء امراة ابي
لهب وكان ابو بكر ابن العربي رحمه الله يسميها ام قبيح وهذا ما رواه الحاكم في مستدركه وقال
اسناده صحيح الا اني وجدت فيه علة وهذه المراة كان بعضهم لكراهتها لا يحب ان يسميها
ولذا قال المص رحمه الله امراة اولما فيها من الخلاف وهذه السورة مكية اتفاقا وزعم
عبد الله ابن المسكن انها احدى عمات النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير انها امراة من اهله
او من قومه ونقل عن امراة اخرى هو غير صحيح وفي شرح البخاري كلام طويل هنا وقال المصنف
بكلام ولم يصوح به لفناحته لانه روي ان ام قبيح قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد
ان شيطانك تركك لما رايت من عدم قيامك او لم اره قربك مند لثلثين وثلاث كما ذكر
البخاري قيل وهو اصح ما قيل فيه وعذره الذي نزل به ما روي ان حجرا اصاب اصبعه صلى الله
عليه وسلم فدميت فقال صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت وقيل انما قالت ام قبيح فلان لابطا الوحي عنه وروى ابو داود باسناد صحيح ان
ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها قالت له ان ربك وفي رواية ان صاحبك قد قلاك
فنزلت وانما قالته رضي الله عنها على سبيل الاستكشاف والشفقة او هو بتقدير الاستفهام
وجمع بينهما بسبب تعدد النزول وفيه اطلاق الصاحب على الله وقد ورد في حديث اللهم
انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل ولم يقل صاحبي وصاحبك او ربي وربك كما هو
مقتضى الظاهر لنكتة وهي الاشارة الى شدة مراقبته لله وقربه قربا لا ينبغي لسواه وقيل
بل تكلمت به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة اي تكلموا بكلام من نوع الكلام المذكور
في سبب النزول الاول لا بشخصه وعينه والفترة قليله بين شيئين والسكون والمراد
انقطاعه عنه ومنه قوله تعالى على فترة من الرسل وكان الوحي تاخر عنه صلى الله عليه
وسلم بضعة عشر يوما وقيل سنتين ونصف والاول اصح فقالت قريش ان محمدا ودعه
ربه وقلاه وقيل ان اليهود سالوه صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين فوعدهم بالجواب ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحي وقيل بل كان في بيته
جرو كلب قيل ولا مانع من تعدد السبب كما مر وقول المص رحمه الله بل الخ كانه اشار
الى ان القائل الثاني ادعى رد القول الاول وجزم بخلافه فالاضراب لذلك وقيل بل
لافادة انهم تكلموا به فهو انتقال للترقي فهو بعيد ومرضه لان الاول اصح قال القاضي
ابو الفضل تضمنت هذه السورة اي شملت سورة الضحى من كرامة الله تعالى له وتنويهه
كرامة الله اكرامه اي توقيره واللطف به وتنويهه به رفعه قدره وجعله مشهورا بذلك
واشاعة فضله وتعظيمه اياه جعله عظيما مهابا في عيون الناس وقلوبهم فهو مغايرا
ما قبله ومن بيانيه ان قلنا يجوز تقدم البيان على المبين كما ارتضاه بعضهم والا فهو

ابن اقبرس

بيان

بيان لمقدر يفسره ما بعده وليست زائدة للتعظيم كما قيل مفعول تضمنت ستة وجوه
وجوه جمع وهو مستقبل كل شيء وما يواجهك منه ويطلق على الحال فيقال فلان حسن
الوجه وجيها اي حالا وقول الفقهاء الوجه كذا اي القوي ولهذا وجه اي ماخذ والمراد
الاول وهو جمع كثرة استعمله المص رحمه الله في القلة لان كلا منهما يقوم مقام
الاخر وقد يقال انه اشارة الى انها اكثر من ذلك كما قيل الاول القسم له عما اخبر به
من حاله بيانه لما والمراد حاله التي له في الدنيا والاخرة فقال والضحى والليل اذا سجى
والضحى جمع ضحوة كقرية وقرى وهي اول النهار وسجى اي دخل واظلم واصله من التسجية وهي
التغطية لستره بظلمته ولذا قال تعالى واجعلنا الليل لباسا وقلت للانس لما اختلينا
وغاب داعي المهموى في حلة الدياجي مزرودة بالنجوم ومنهم من فسره باقبل
اوذهب وقيل معناه سكن والمراد سكون الاصوات واصحابه ولكل وجهة اي ورت
الضحى هذا بناء على الظاهر الذي ذهب اليه الفقهاء من ان القسم لا يجوز بغير الله وصفاته
من المخلوقات فيقدر فيما ورد مثاله رب ونحوه والظاهر ان هذا مخصوص باليمين
التي تنعقد ويكون لها كفارة واما ما يذكر للاستعطاف والملاطفة ونحوه من التعظيم
فلا يختص بما ذكر كما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم بابي وامي وامثاله مما لا يحصى
ولم ينكره السلف وقيل النهي مخصوص بالناس تعظيما لله واما الله عز وجل فله ان يقسم
بما اراد ونحوه الصلوة فانها لا تجوز لغير النبي صلى الله عليه وسلم استقلالا لا على
ما فيه واما هو فله ان يصلي على من اراد كقوله اللهم صل على ابي اوفى والضحى صدر
النهار وكامه وقيل هو هنا النهار كله واما الليل فعلى ظاهره وما نقل عن ابن عباس رضي الله
عنهما من انهما وقت الخلوة مع المحبوب اي وحق قربك منا وانه وجه وجيه في تعظيمه
صلى الله عليه وسلم كما نقله الطيبي رحمه الله غير ظاهر بالنسبة والضحى فتامل وهذه
من اعظم درجات المبرة اي القسم المذكور والمبرة مصدر ميمي بمعنى البر وهو الاحسان
وفعل الخير وكل امر مرضي وفيه كما قيل استعارة مكنية لجعله المبرة منزلا عاليا له
درجات توصل اليه ويجوز ان يكون استعارة تصريحية في الدرجات للمراتب وفي كلام
المص رحمه الله نظر لم ينبهوا عليه لانه على تقدير رب يكون التعظيم الذي يفيده القسم لله
فكيف يدل على ما قاله بعض الشراح من انه صلى الله عليه وسلم اوتي ما لم يوت احد
من الرتب العالية والدعوة العامة والمعجزات الباهرات ونحوه مما لا يحصى الثاني
بيان مكانته عنده وخطوته لديه مراده ان المكانة المرتبة المعنوية والحظوة بحاء مهملة
مثلثة وكذا كل فعله لانها واوي كما قيل وفيه نظر وبعده ظاء معجمة مثالثة ويقال فيه خطية
بالكسر والياء ايضا من خطي عنده اذا كان له عنده فضل يقربه وتحببه اليه وذكر الشمني
وبعض الشراح معترضا على المص رحمه الله ان الوجه الاول انما يكون تعظيما اذا انضم
للمقسم عليه المذكور في هذا الوجه فجعله وجها مستقلا فيه نظر وهو مثل ما قلناه

اولا واجيب عنه بان المراد ان في هذا القسم والمقسم عليه تعظيمين متغايرين احدهما بيان
المكانة والاخر القسم عليها وان توقف احدهما على الاخر وهذه جزية لا محصل لها بقوله
ما ودعك ربك وما قلى الوداع له معنيان في اللغة الترك وتشييع المسافر فان فسر بالثاني
هنا على طريق الاستعارة يكون فيه ايما الى ان الله لم يتركه اصلا فانه معه ايضا كان
واما الترك لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالة لانه بهذا المعنى على الرجوع والتوديع
انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه اشار الجرجاني بقوله اذا رايت الوداع فاصبر
ولا يهمنك البعاد وانتظر العود عن قريب فان قلب الوداع عاد فقوله وما قلى
موكد له وهنا لم ار من ذكره مع غاية لطفه وكلهم مشوه بالمعنى الاول ولما راوا صيغة
التفعيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه فيقتضي الانقطاع التام قالوا ان المبالغة
في النفي فتركه تحكم عليه لا لضرورة بهجره او لنفي القيد والمقيد وقرا عروة بن هاشم
ما ودعك بالتخفيف وورد في الحديث شر الناس من ودعه الناس لاتقاء شره وورد
في الشعر كقوله فكان ما قدموا لانفسهم اعظم نفعا من الذي ودعوا ولهذا قال
في المصباح بهذا علم ان قولهم في علم التصريف اماتوا ماضي يدع ويذر خطا
وجعله استعارة من الوديعة تعسف وقوله اي ما تركك وما ابغضك وقيل
ما اهملك بعد ان اصطفاك تفسير للقلى واختار الاول للمناسبة لما قبله وان كان
المشهور الثاني والاهمال عدم التصدي مع الترك فهو ترك مخصوص وقوله بعد
ان اصطفاك اي اختارك وقربك بيان للواقع ويحتمل ان يكون من معناه الوصفي كالهجران
فانه انما يكون بعد المودة وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وحذف مفعول قلى
اختصارا للعلم به وليجري على نهج الفواصل التي بعده ولئلا يخاطبه بما يدل على البغض
وقيل الاحسن انه حذف ليعم نفسه واصحابه وامته فكانه قال له صلى الله عليه وسلم
ما هجرتك لبعض وسترى منزلتك الثالث قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى
قال ابن اسحاق صاحب المغازي وقد تقدمت ترجمته اي ما لك في مرجعك ما موصولة
وروي ما لك بعد الهمزة اي ما يؤول حالك ومرجعك اسم زمان او مصدر في تقدير وقت
رجوعك من الدنيا الى الله في الاخرة عند الله اي فيدا كرامته وجنته وهو متعلق
بما لك او باعظم ولام للاخرة لابتداء مدكد او جواب قسم ففيه تعظيم اخر اي كما
اعطاك في الدنيا يعطيك في الاخرة ما هو اعلى واكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه
تسلية بعد ما نفي عنه ما يكره فهو تحلية بعد تخلية اعظم مما اعطاك الله
من كرامته الدنيا من تقريبك واعزازك ونصرك وقرة عينك بما تريد وقال سهل التستري
السابق ترجمته في تفسيره اي ما ذخرت لك بالذال والخا المعجمتين اي ما اعددته لك
من الذخيرة وهو ما يخفى من النفايس ومن الغريب ما قيل هنا ان الذخرة بالمعجمة ما يكون
في الاخرة وبالمهملة ما يكون في الدنيا قال التلمساني وهذا غلط او قوعه فيه قوله تعالى

وما تدخرون

وما تدخرون من الشفاعة بل الشفاعات التي ستاتي والمقام المحمود هو مقام الشفاعة
العظمى الذي يحمده فيه الاولون والاخرون او كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون
بمعنى ما قبله وقيل المراد انه احوالك الاتية خير من السابقة في الدار الاخرة خير في المحبة
والوصلة الرابع قوله اي ما يقول مما يتضمن ذكره او هو بالمعنى المصدري ولسوف يعطيك
ربك فترضى وقرا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ولسيعطيك واللام للتاكيد وقال الزمخشري
انها لام الابتداء وهي لا تدخل الا على المبتدا بتقديرها ولانت ورده ابن الحاجب بانه تكلف لما
فيه من الحذف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلان حال واستقبال وليست
اللام للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا موكدا بالنون وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة
وانواع السعادة حيث اجمله ووكله الى رضاه وهذا غاية الاحسان فاذا قلت كلما
ترضاه وتريده فقد عممت عموما بليغا ووجوه بمعنى ضروب او استعارة من الوجه
المعروف وهذه فقرة مع قوله وشتات الانعام في الدارين والزيادة والشتات
مصدر بمعنى المتفرق اريد به متفرقاته ويعني به انه تجمع فيك كل نوع من انواع النعم التي تفرقت
على غيرك ممن اختاره واصطفاه والزيادة على ذلك بما خصه به او الزيادة على النعم
المعروفة بلقائه ورضوانه كما قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة او الاول ما في مقابلة
عمله وهذا غيره او الاول ما وعده واعطاه وهذا ما لم يخطر بباله مما سيعطيه وما
قيل من انه عطف تفسير للانعام لا وجه له قال ابن اسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا
الفلج بفتح الفا واللام وبالجيم وبضمها وسكون اللام الفوز والظفر بالاعداء ويكون بمعنى
مطلق الفوز وبفتح الفا وسكون اللام ايضا فالمراد انه يفوز في الدنيا وينصره الله ويحميه
والثواب في الاخرة الثواب الجزاء بالخير على فعل الخير في الاخرة هنا هو المراد وان كان
حقيقته الاصلية مطلق الجزاء خيرا او شرا دنيا واخرة وهذا كالوجه السابق على بعض
الاحتمالات السالفة فان جعلت الاية شاملة لكل ما اعطاه الله من كمال النفس وظهور
الامر وما ادخره مما لا يعرف كنهه سواء كان ايضا قريبا مما قبله وقيل انه اشارة الى فتح
مكة في الدنيا وقيل يعطيه الحوض والشفاعة الحوض ما يحفر مع بناء او بدونه ليجعل فيه
الما للحاجة ووقع ذكر هذا الحوض في حديث مسلم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسجد اغفى اغفاءة ثم رفع راسه وقال نزلت على انفا سورة وتلى سورة الكوثر ثم قال
اتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترده امتي يوم القيمة انيته
عدد نجوم السماء الى اخره وقوله هو حوض ان كان الضمير للنهر فالحوض هو الكوثر وان كان
للخير الكثير فهو غيره كما ورد في حديث اخر الكوثر نهر في الجنة عليه حوض عيده وهذا التفسير
روي عن علي وابن عباس والحسن رضي الله عنهم وقيل ان اريد انهما مرادان ولو مع الغير فلا كلام
وان اريد التخصيص فلا بد من القرينة وفي مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال امتي وبكى فقال الله
لجبريل قل له سنرضيك في امتك ولا نسوءك فتشفع حتى يقول رب رضيت اقول ازداد

وفي رواية مسلم ماؤه اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل
يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة
احدهما من ذهب والاخر
من ورق على القادي

الاعتراض فلا وجه له لان اللفظ متحمل له والنقل ساعده فالمانع من حمله عليه وروى عن بعض
آل النبي صلى الله عليه وسلم هو علي رضي الله عنه قال السيوطي اخرجه ابو نعيم في الدلائل
موقوفا واخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديثه مرفوعا وقال البرهان الحلبي يروى
انه الحسن بن محمد بن الحنفية وهو اول المرجئة وقال الذهبي انه اول من تكلم في الارجاء رىن
عبد الله بن زيادة الهمداني ورواه الثعلبي مسندا وصاحب المعالم عن محمد بن علي ورواه
الهمداني ورواه الثعلبي مسندا وصاحب المعالم عن محمد بن علي ورواه ابن ابي حاتم وابن جرير
عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذه طرق تعضده انه قال ليس اية في القران ارجى منها اي من قوله
ولسوف يعطيك الخ وارجى افعل تفضيل من الرجا معناه اكثر رجا والمعنى ان هذه الاية
اكثر رجا من سائر ايات الوعد وهو مجاز اصله ليس سامع للقران وايات الوعد ارجى
من سامع هذه الاية فجعل الاية نفسها ترجو مبالغة وهو من بليغ الكلام تنبيه اختلف على
في ارجى اية في القران فقيل هذه وقيل وهل نجازي الا الكفور وقيل انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى وقيل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقيل قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم الخ وقيل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين لانه احتاط لدنيا
فكيف لا يحتاط لاخرتنا وقيل ولا ياتل اولوا الفضل الخ وقيل ولكن ليطمئن قلبي ولخوف
اية ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايها الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل غير ذلك
ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار وقد استشكل
هذا الحديث بان دخول بعض العصاة النار امر مقرر فلو لم يكن من رضاه لزم الخلف
في الوعد ولذا قال القرافي رحمه الله لا يجوز الدعا بالمغفرة لجميع المؤمنين وان رد بانه
ورد في الاثار وفي قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وبان عدم
الخلود مغفرة ايضا واعلم انه اورد هنا ان مقام الرضا بما يريده الله والتسليم مقام
للسالكين فكيف لا يكون سيد المرسلين ولذا قال صاحب المواهب ما يغتر به بعض
الجهال من انه صلى الله عليه وسلم لا يرضى احد من امته في النار او ان يدخلها احد
من امته من غرور الشيطان فانه صلى الله عليه وسلم يرضى بما رضي به وهو اعرف بحجة
من ان يقول لا ارضى الخ ورد ايضا بان نجزاه وسوء ادب الوجه توجيه الحديث لثبوت
رواياته وان ضعفت ولا يبعد ان يكون عذاب العصاة لعصيانهم غير مرضي لله تعالى
فلا يرضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا لان رضاه على وفق رضى ربه والرضى
بالقضا قد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضى ربه يدخلهم الله
الجنة ولو بالاخرة للوعد به والرضى بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل المولى الكريم الحكيم
لا من حيث هو في ذاته وهو المنفي في الحديث الثاني فهو صلى الله عليه وسلم لا يرضى بدخول
احد من امته النار من حيث هو في ذاته لا من حيث انه مراد الله فلا اشكال او الرضا مجاز
عن ترك الطلب اي لا اترك طلب العفو واحد من امتي في النار ولا يلزم منه عدم الرضى

حقيقة وكم طلب صلى الله تعالى عليه وسلم لامته امورا وهو في مقام الرضى دائما
واذا وعد بالارضا فلا بد من ادخالهم الجنة لا ترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا
ينبغي ان يجترئ احد على ابطال الروايات باوهام الشبهات وهذا محصل ما في شرح
المواقف من ان للكفر نسبته الى الله باعتبار فاعليته له وايجاده ونسبته الى العبد
باعتبار محليته واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية والرضى باعتبار
النسبة الاولى وفي بعض الشروح يجوز ان يكون المراد نفي الرضى بالخلود على نهج
المبالغة والاستدلال ويجوز ان يكون المراد ولا يرضى ان يعصي الله احد من امته
فعبر بالمسبب عن السبب الا ان سياق الكلام يا باه وقيل مقام الرضا انما هو
في حق نفسه وهو بعيد الخامس ما عده الله عليه من نعمه وفرق من الاء النعم والالاء
بمعنى وعبر في النعم بالعد وفي الالاء بالنشر اي التحقيق موافقة لقوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله وفي قوله فباي الاء ربكما تكذبان فانظر حسن مقاصده وفي واحد الالاء لغات
منها الى بفتح الهمزة والكسر مع القصر والى والى بسكون اللام مع فتح الهمزة وكسرها والواو
فيها ان عد ما عده قبله بكسر القاف وفتح البا الموحدة بزنة غلبا اي عنده وفي جهته
ويقال ليس لي بكنا قبل اي طاقة وقوله في بقية السورة متعلق بعد وهو من قوله الم
يجدك يتيما الى قوله فاما اليتيم الخ تنبيها على انه كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي ثم
اشار اليه بقوله من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
بيان لما وما هداه له عام شامل للقولين في تفسير قوله تعالى فهدى اي فهداك او هدى
الناس بك فهدايته مصدر مضاف للفاعل او للمفعول اي هداك للشريعة ومعالم
النبوة والقران وتعليم ما لم تعلم او الطريق التي ضل فيها في طريق الشام او في شعاب
مكة في صغره صلى الله عليه وسلم وكلها اقوال مذكورة في كتب التفسير ولا مال له
فاغناه بما اتاه قيل انه معطوف على مجرور من تقديره انه لا مال الخ ولو جعلت
حالا جاز ووجد في الاية بمعنى علم واتاه بالمد يعني اعطاه ولو قصرت على معنى اتاه
من عند الله مما اغناه الله به كمال خديجة وابي بكر رضي الله عنهما ومال الغنايم
بل بما في خزائن الغيب الذي لو طلب ظهوره مال الارض لجاز وقيل عيا له في الاية الذين
استجوه من امته اذا اغناهم الله به صلى الله عليه وسلم وبما جعله في قلبه من القناعة
والغنا القناعة في اللغة الرضى بما قسم الله او الاكتفا بقدر الضرورة والرضى
كما قيل ما كل ما فوق البسطة كافيا واذا قنعت فكل شيء كاف والقناعة كنز
لا يفنى والغنى غنى النفس كما ورد في الحديث وقد دفع الله قدره صلى الله عليه وسلم
عن الاحتياج لخلقه وقد خيره بين ان يكون نبيا ملكا ونبيا عبدا فاختار العبودية
وقيل المراد غنى الظاهر والباطن وهو تكلف لا حاجة اليه ويتيما فجدت عليه عمه
واواه اليه اي وجده صلى الله عليه وسلم يتيما لموت ابيه قبل ولادته او بعدها

كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله ليس الغنا عن كثرة العرض انما الغنا غنا النفس
على القاري

العبد حر ان قنع والحر عبد ان طمع
فاقنع ولا تطمع فما شيء اضر من الطمع

ابن الحنبلي

بمته بسيته واليتيم الصغير الذى لا اب له ولا يتم بعد البلوغ قيل واليتيم فى غير الانسان
من الام وفى الطير منهما وحدب بفتح الحا المهملة ودال مهملة مكسورة يليها موحدة
واشتهر بفتح الدال وكذا وقع فى بعض النسخ الا انهم قالوا انه غلط وهو من حدبة
الظهر والمراد به العطف والشفقة وعمه فاعله وجوز بعضهم بضمه اى عطف الله
عليه عمه وليس بغلط كما قيل والمراد به ابو طالب واسمه عبد مناف وحنوه على النبى
صلى الله عليه وسلم ومحبته له امر مشهور فى السير وكان يعظمه ويعرف نبوته ولكن
لم يوفقه الله للاسلام وفى الامتناع ان فيه حكمة خفية من الله لانه عظيم قريش
لا يمكن احد منهم ان يتعدى على ما فى جواره فكان النبى صلى الله عليه وسلم فى بذارة
فى كنف حمايته يذبهم عنه كما قال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب
دفينا فلو اسلم لم يكن له ذمة عندهم ولذا لم يكن له صلى الله عليه وسلم بعد موته
بد من الهجرة ومن الغريب ما نقله بعضهم من ان الله احياه له صلى الله عليه وسلم
فامن به كابويه واظنه من افتراء الشيعة وقوله واواه بالمد متعدا اى ضمه اليه
لتربيته وحمايته واوى بالقصر بمعنى ترك غير صحيح هنا والضمير للعم واما جده عبد
المطلب فمات فى صغره وعدم احتياجه قبل البعثة لمن يحميه فما قيل من انه انما لم
يتعرض لعطف جده عليه اولا لانه كالاب فكانه لا يتم معه اولان عطفه امر عادى
لم ينفعه حين ظهور الاعداء ونحوه والاوجه التعميم خطا منه وقيل اوى الله اى
قيل فى تفسير هذه الاية ان معناها اواه الله اى ضمه الى نفسه ولم يحوجه لحماية
احد وابوانه وهذا فى معنى ما حكى عن جعفر الصادق انه سئل لم كان النبى صلى الله عليه
وسلم يتيما فى صغره فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وقد روى هذا عن الحسن
ايضا وقيل فيه ان عليه فى صغره حق لغيرهما قطعا كابى طالب وحق ابويه اولى
واسهل من حق غيرهما فالوجه ان يقال فى حكمته ان فيه تسليته ليتامى امته
وان فيه مع ابويه توطئة لشكر نعمائه من شطفهم عليه ولا وجود لابويه ولا يخفى
ان حق الابوين عظيم وتربيتهما وشفقتهما ليست كغيرهما فلو كانا حين معه لكان
ينسب اليهما ابواه صلى الله عليه وسلم فلما فقدا علم عناية الله به واواه
روى بالمد والقصر ومعناه بالمد ضمه اليه كما مر وهو اولى
واظهر وبالقصر من اوى الى منزله ياوى من باب ضرب اويا اقام قال فى المصباح
وربما عدى بنفسه فقيل اوى منزله وانكر بعضهم تعديته وقال الازهرى انه لغة
فصيحة وقرى بها فى الشواذ وهو غير ظاهر هنا ولذا قيل انه بمعنى رحمه ورباه او جعل له
ماوى عنده وفاعل اى ضمير مستتر يعود الى الله كضمير اليه وفى نسخة وقيل اواه الله
وروى اوى الى الله اى لجا اليه وكان الظاهر ان يقول اواه الله اليه قيل وانما عدل
عنه لما ذكر ولم يقل واواه اليه لئلا يتوهم عود الضمير لعمه فيكون بمعنى ما قبله وهاهنا

امر ان الاول

113 امر ان الاول ان المصنف رحمه الله غير ترتيب النص فذكر الهداية ثم الاغنا ثم
الايوا وابقى الاولين على ترتيبهما فيه وتقدم الثالث على اخويه وقد اعترض
عليه بعض الشراح ووجه ما فى النظم انه قدم عدم تركه وقلاه اهتماما
بالرد لما قالوه فى سبب النزول لانه جواب لهم ثم اردفه بانه فى الاخرة
ايضا غير متروك ولا مقلى وفيه ارغام لانوفهم وجوابه اقوى من الاول ثم
قال انه سيعطيه فيما ياتى كلما يحبه ويرضى فى الدنيا والاخرة ثم كر على ذلك
التفصيل حاله المؤيدة لجوابه فقال انه اواه فى صغره ويتمه وعدم المعين له
فكيف يتركه بعد كبره وقدرته فقال لم يجدك يتيما فاوى فهذا ناظر لقوله
ما ودعك ربك وما قلى وعقب بانه ابعده من الضلال وهداه وهدى به لسبيل
الرشاد فمن كان هذه حال دنياه فحال اخرته كذلك وهذا ناظر لقوله وللاخرة
خير الخ وثلث بانه اغناه عمن سواه مع فاقته وعيلته فهو ناظر لقوله ولسوف
الخ ففيه شبه اللف والنشر على اتم نظام وكذا ما بعده كما سياتى وهذا هو
مقتضى المقام حال النزول والمص لما ذكر نعم الله عليه وعدها قدم اعظمها وهو
الهداية التى فيها سعادة الدارين ثم الغنى فى اليد والقلب الذى هو اعظم النعم
الدنيوية بعد الهداية لسبيل الرشاد وهو لا يكون الا بهدايته ثم الايواء الذى
هو بمعناه الظاهر ودون هذين فعينا الترتيب واتى بترتيب منسق اقرب الى العقول
الا ان اشارة الى ان النكات لا تتزاحم وان الحسن يحسن فى كل ناس وقيل انه قدم
الثالث على اخويه لتقدمه بنفسه الاول فى الواقع وتاخر فى كلام المص لتاخر
عنها فى النظم تاخر ثانيهما عن ولهما فيه مع ان المقام بيان عظم شانه فالاوفق
تقديم الاعظم فالاعظم وقيل الاظهر ان الاية وردت فى مقام الاستدلال
كما ذكروه فقدم الاظهر فان اليتم والضم معلومان بالمشاهدة وقد اختار
صلى الله عليه وسلم الفقر والقناعة وفى غناه خفا بالنسبة لتعليم الشرايع والمص
قدم الاشد تعظيما واثر هذا الاسلوب اشارة لا تزفيه والى ان الانسب فى مقام التعظيم
تقديم الاعلى كما فى البسملة وهذه امور متكلفة لا تترك ساحة المتنزل فالوجه ما قدمناه الثانى فى
قوله اواه الله على احدى النسخ نكتة وهو انه لو قال اواه اليه لزم تعدى الفعل بالواسطة الى ضميره
هو عين ضمير الفاعل وهو ممنوع عند النحاة فى غير افعال القلوب وعدم وفقد كما ذكروه فى نحو قوله هز
اليك فيحتاج لتقدير مضاف ظاهر فلذا عدل المص عنه ولنا فيه كلام فصلناه فى كتاب السوانح وقيل يتيما
لا مثل لك فاواك اليه اى قيل فى معنى يتيما انه لا نظير له من قولهم درة يتيمة اى لا نظير لها وتسمى فريدة
ايضا لانفرادها عن نظايرها اى عندك عديم النظير لانه كان واحدا فى قريش بل فى جميع الخلق
قال البجانى وهو قول ضعيف حكاه صاحب الشرع الروى وجعله فى الكشاف من بدع التفاسير
وفيه ما تقدم من تعديه لضمير الفاعل ومعنى اواك اليه كما مر اصطفاك او ضمك الى عمك ونحو

فنى مرجع ضميراليه وجهان وفى نسخة لامال لك قيل ويؤيده ما فى المعالم من تفسيره بالم يجدك يتيما
فقيرا حين مات ابواك وترك وآورد عليه انه سيصرح به فلا حاجة لذكره مع ان اليتيم لا يدل على الفقر
واجيب بانه اعتبر الفقر فيه بدلالة الواقع وتنكير يتيما لان غنى اليتيم مرغب فى رعايته وكفالته
فالمنة فى ضم اليتم بدون المرغبات اتم والنعمة اعظم واعاد ذكره ليمن عليه بازالته فذكر الاول بالنعمة
والثانى لذاته وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما حكاه بقيل اشارة الى
ضعفه والحامل عليه ان وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالضلال بحسب معناه المشهور غير ظاهر فلذا
صرفه عن ظاهره ولذا حمله بعضهم على فقده فى صغره اوخطوه فى الطريق فى سفره كما مر وقال النجاتى هذا القول
لا يساعده اعراب ولا يصحبه صواب فالاولى تركه لما فيه من تقديم المنصوب على عامله والفا العاطفة
لا الزائدة كما فى قوله وربك فكبر مع وجود عامل تقدم ملاصق وهو مما لا تجوزه النحاة ولو جعل وجد متعديا
لاثنين حذف احدهما اى وجدك رحيما فاوى بك يتيما ومهديا فهدى بك ضالا لكان اقرب واكثر النحاة ابوا ايضا
وقيل فى توجيهه ان قائله ذهب لما قاله السدى انه من قبيل خطاب السيد بما لعبيده اى وجد قومك ضالين
فهداهم وقس عليه اخويه والمص رحمه الله نقله بالمعنى والقايل فسره بما يؤول اليه ثم ان قوله الم يجدك
يتيما هنا تفسير لوجدك بما ال معناه لتقاربهما وفى النظم غاير بينهما تفننا ووجدك بتقدير اما المساوقة لالم
معنى فكان الثلاثة داخلة تحت قوله الم يجدك فلذا ادخلها تحته ولا يخفى ما فيه من التكلف ولذا قال بعض
الشراح انه صرف للايات عن ظاهرها بلا دليل من غير مقتض ذكره بهذه المنن ذكر بتشديد الكاف تفعيل
من الذكرى جعله منكرا والمنن جمع منة وهى الاحسان وقيل ذكره بمعنى وعظه لان التذكير ورد بهذا المعنى
كما فى قوله فذكر بالقران من يخاف وعيد اى عظ به والذكر على الاول خلاف النسيان والمراد ذكره بتفصيلها
اوتفصيلها وان كان ذاكرا لها وكيف ينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال افلا اكون عبدا شكورا
وما قيل انه لعدم شعوره بكونها مفصلة على ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال
سالت ربى مسئلة وودت انى لم اكن سالتها قلت اى ربى قد كان انبيا قبلى منهم من سخرت له الريح وذكر سليمان
عليه الصلوة والسلام ومنهم من كان يحيى الموتى وذكر عيسى عليه الصلوة والسلام فقال الله الم يجدك يتيما
فاويتك قلت بلى قال الم يجدك ضالا فهديتك قلت بلى قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى الحديث مما
لا ينبغى ولا دلالة فى الحديث لما ادعاه وما احسن قول بعض الشراح المراد اعلامه بما انعم به عليه وقيل انه لا يتغافل
بتذكر النعم العظيمة المتجددة اوالنعم كلها على الاجمال ليغفل عن تفصيلها وشكرها كذلك لو انه جعل بمنزلة الغافل
وعامله معاملته لنكتة وان سلم ان هذا غير مناسب فالتذكير بمعنى الوعظ لئلا يغفل فلا تغفل وابا زائدة ثم
اخذ فى تقرير دليل هذه السورة على انه ما قلاه بعد ما اصطفاه فقال وانه على المعلوم من التفسير وروى على المجهول
فاللام فى المعلوم للعهد والمراد به جعل اليتيم واخويه من احواله لا من احوال غيره وعلى متعلقه بما بعده وقيل بالتذكير
والارادة المفهوم من الكلام لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقيل معرفته الضماير الظاهرة كلها له صلى الله
عليه وسلم غير ضمير انه فانه لله او للشان ولم يهمله بمعنى يتركه ويخلى بينه وبين نفسه والعيلة مصدر عال
يعيل فهو عائل والجمع عالة كما فى المصباح بمعنى الاحتياج والفقر يقال عال اذا افتقر واعال اذا كثر عياله وليست
العيلة بمعنى العيال كما يقول الناس حتى يقال الاولى ان لا يوسطها بين الصغر واليتم والصغر بوزن عنب معروف

مفهوم

مفهوم من اليتيم وقيل معرفته الضمير لقوله ضالا ولم يصرح به تادبا وان وقع فى الاية موقعا حسنا والضلال
قد يراد به ما وجد من غير قصد ماخوذ من الضلال عن الطريق ولذا نسب للانبيا وغيرهم مع ما بينهما من البون البعيد
فى هذه الاية ونظايرها كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين ولله ان يقول فى حق عباده ما شا وليس لنا ان نقول مثله
الا على سبيل الحكاية الا ترى ان السلطان يدعو كبير خواصه باسمه ويسمه بوسمه فيعد تعظيما وملاطفة
ولو خاطبه به غيره كان ترك ادب يغضب به كذا فى عمدة الحفاظ وهو كلام حسن وقال الهروى المراد قبل
ان يعرف الشرايع والاحكام كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وليس فى على استعارة لتشبيه المعلوم بمكان
عال لم يقع كما قيل ولا ودعه ولا قلاه اى ما تركه ولا ابغضه فى هذه الحالة وهذا مفهوم مما فى ضمنه
اذ لو كان ههنا لما هداه الى ما هداه واذا كان ههنا حاله قبل البعثة واتمام النعمة ومعرفته بربه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه كيف للاستفهام الانكارى على من قال انه ودعه كقوله انه
ودعه لقوله كيف تكفرون بالله اى فى اى حال يكون هنا بعد اختصاصه بمعنى زيادة قربه او جعله
مخصوصا بفضائله الجليلة واصطفائه اى اختياره من بين خلقه قيل والمراد اظهار ذلك فى عالم
وتقرير الدليل على ما قاله الامام ان كمالك وعبادتك بعد هذه الامور حيث رقيناك قبل ذلك
الكمال الى درجة العلى فبالاولى ان لا نتركك ولا نبغضك بعد الكمال والعبادة وقيل عليه انه
لا يناسب تفسير الغنى بالغنايم ونحوها مما لم يتحقق بعد النزول فان جعلت بمنزلة المحقق فانه لا بد من تحقق امر
قبل الكمال ليعلم ثبوت مثله بعده بالاولى والاثبات والمجاز المذكور لا يفيده فالاظهر فى الاستدلال
بالمعنى حينئذ ان يقال ستحصل بالطاف جليلة اوانا قدر ذلك فلا نتركك ولا نبغضك لانه مناف له
فدبر اقول الثابت فى كتب التاريخ ان التفسير الكبير وصل الى سورة الانبيا وكمله تلميذه الخوى فنسبه
ما ذكر للامام لا ينبغى وما اورده عليه غير وارد لانه ليس فى تفسير المذكور تعرض للغنى فكيف يلزمه
بما لم يقله ومن نظر تفسيره عرف ما قلناه السادس امره امره بصيغة المصدر المضاف لفاعله كما
ضبطه به بعض الشراح اوالفعل الماضى كما فى المقتفى والاول اظهر ولا حاجة لتقدير ان المصدرية
قبله كما فى قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق كما قيل لانه هنا لا قرينة تدل عليه باظهار نعمته عليه هو
عام شامل لجميع ما انعم به عليه وقيل المراد بالنعمة هنا النبوة او القران والاظهر الاول وهو الاولى
والخطاب والامر وان كان خاصا به صلى الله عليه وسلم فهو عام لامته تعظيما لهم والتحدث بالنعمة
شكرها وقد قالوا انه يحسن من الانسان الثنا على نفسه وذكر محاسنه وفضائله الا فى مواضع
يستثنوها من الاصل الغالب على الكاملين من هضم انفسهم وروى عن على كرم الله وجهه انه قال اذا
اصبت خيرا فحدث به اخوانك ومن مواطن التحدث بالنعم ما اذا جهل قدره وتوزع فى امره وللسيوطى رحمه الله
تعالى تاليف فى هذا سماه نزول الرحمة فى التحدث بالنعمة وقد روى مثل عن كثير من الصحابة ولو تعالى
صلى الله عليه وسلم بالتحدث بها اولا لانه تقتضى تعظيمه لان من امر غيره بشكر نعمة من نعمه انما يامره فى العادة
بما عظم عنده لاستهجان طلب الشكر على امر حقير وهذا يقتضى عظم الامور ايضا وقال بنعمة ربك فحدث دون
بنعمتى اشارة الى انه رباه وفيه ايضا اشارة الى عظم قدره عنده وعنايته به ففى هذا تعظيم ليس فى الامرين
الاخيرين ولذا لم يذكرهما المص رحمه الله فاندفع ما قيل من انه بقى هنا شى لم يذكره وهو ارشاده

السادس

لمكارم الاخلاق بقوله فاما اليتيم فلا تقهر الخ وخص اليتيم لانه لا ناصر له الا الله والسوال الخ وكسر وهما منصوبان بالفعل بعد هما بتقدير مهما يكن من شيء فاما الخ فلا حاجة لما تكلف في الجواب عنه وذكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث مجرور معطوف على اظهار وليس عطف تفسير كما قيل بل بيان لان اظهار النعم اذا لم يكن رياء ولا لغرض اخر يكون شكرا للمنعم ونشره اذاعته واظهاره للناس والاشاعة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة هو رفع الصوت به وهو كناية عن اعلام الثقلين وقوله بقوله تنازعه امره وما بعده فان من شكر النعمة التحدث بها الى من التبعيضية اشارة الى ان للشكر طرق اخر هنا كاظهار الملابس والمطاعم والمركب وفي الحديث التحدث بالنعمة شكر وفيه اذا انعم الله على عبد بنعمة احب ان يرى اثرها عليه وما ذكره المص هنا منقول عن مقاتل وليس فيه تخصيص نعمة كما توهم وهذا خاص له صلى الله عليه وسلم عام لامته الاشارة الى الامر المذكور اي بحسب الظاهر والمورد خاص به صلى الله عليه وسلم لانه المامور بحسب الظاهر وهو عام شامل لجميع الامة لان امره امر لهم ما لم تقم قرينة على انه من خصايصه صلى الله عليه وسلم فهم مامورون بهذا الامر او بامر اخر والقول بان المراد انهم مامورون بالشكر لانه واجب عليهم تكلف وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله من ايات ربه الكبرى فقوله تعالى جملة معترضة وقيل انها حال لازمة من فاعل قال او متعاليا عما لا يليق جنابه ذكر هذه الاية لتضمنها القسم لاجله صلى الله عليه وسلم ثم استطرد فذكرها معها من الايات استقصاء لما فيه تعظيمه اختلف المفسرون في قوله تعالى والنجم اذا هوى الى قوله من ايات ربه الكبرى باقاويل معروفة اقاويل جمع اقوال جمع قول فهو جمع جمع عبر به للدلالة على كثرتها والباء متعلقة بالمفسرين او بمقدر منه لانه تعالى منزه بكنا فيتعدى بالباء وهو وان كان بعيدا اظهر مما قيل ان تقديره اختلافا مصحوبا باقاويل او مفصحا عن اقاويل واذا في هنا يحتمل قيل انها للحال ظرف للقسم او كائنا المقدر وليست للاستقبال لان اقسام الله قديم وقد قال ابن هشام لا يصح تعلقه باقسم لانشائي لان القديم لا زمان له لتقدمه على الزمان فهو متعلق بكائنا باق على استقباله بدليل صحة مجيء الحال المقدرة واجاز بعضهم ان يكون متعلقا بالعظمة المفهومة من القسم فالمعنى العظيم اذا هوى فاذا اريد النجم الجنس وهويه غروبه فعظمته دلالته على صورته الدال على وجود الصانع وان اريد القران المنجم نزوله فعظمته بدلالته على الاحكام وان اريد به النبي صلى الله عليه وسلم ونزوله بعد المعراج فعظمته بدلالته تبكرمه من هو اعظم من كل عظيم كما قيل وفسر الهوي بالطلوع ايضا اقول هذا كلام غير مهذب فان كلام الله قديم لفظه او معناه النفسي وكل ما فيه مما يدل على الزمان كالظروف والافعال ليس مجاز بل حقيقة باعتبار متعلقه وظهوره لان علم شيء في زمان لا يقتضي ان يكون ذلك العلم في ذلك الزمان كما حققه علماء الكلام وهذا المقام لا يسع تفصيله وتحقيقه مع انه لشهرته غني عن البيان منها النجم محمول على ظاهره ويراد به الخنس او الثريا او الزهرة لان من المشركين من كان يعبدها والثريا ليست نجما واحدا بل عدة نجوم واختلف في عددها على اقوال قيل ستة وقيل سبعة واحدى عشر نجما وقيل اثنى عشر والنجم علما بها بالغلبة وفي الحديث ما طلع نجم قط وفي الارض من العاهة شيء والهوي الغروب والطلوع كما مر ولا حاجة الى جعل الثاني مفهوما من النجم لانه يقال نجم قرن الشاة اذا طلع والقسم به لانه مخلوق بديع دل على صانعه وقدرته وكذا في الهوي بعينيه ومنها القران لانه نزل نجوما متفرقة بحسب المصالح وقال بعض المفسرين انه بنجوم القران من قولهم نجم الدين اذا جعله حصصا ومن الوهب ما قيل انه

الصحابة

الصحابة رضي الله عنهم لقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم وحكاية الخفاجي هنا وهو يهم متوهم على هذا وهو بعيد وعن جعفر بن محمد الامام الصادق تقدمت ترجمته انه محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقل ومنها لاتباع ما قبله كوجه واحد لشدة مناسبته له وهذا وان سبق لا يعد تكرارا لاختلاف الغرض فيها والقول بانه ليس منها لا وجه له فالمقسم به وله واحد وهو امر مستحسن عند البلغاء كما ذكره الزمخشري لقول البحتري وثنايا ك انها اغريض فانظره في شروح الكشاف ولنا فيه كلام في السوانح وقد تقدم تفسيرهوى على هذا وقال ابو جعفر مرة اخرى وفي نسخة وقال سهل وتقدمت ترجمتهما هو قلب محمد عليه الصلوة والسلام اطلاق النجم عليه صلى الله عليه وسلم ظاهر كما اطلقه الشارح واما اطلاقه على قلبه فلاشراقه بالانوار الالهيه وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفاء وقيل انه النبات الساقط على الارض والنجم ما لا ساق له وما له ساق شجر وقيل تقديره ورب كلام وذكر المص رحمه الله تعالى التسليم دون الصلوة وقد قيل كراهته مكروه كعكسه مع ان الذي في النسخ الصحيحة صلى الله عليه وسلم مع انه يحتمل انه تلفظ به ولم يكتبه او مذهب المص رحمه الله تعالى عدم كراهته وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بشدة ضيائه والطارق اصل معناه من ياتي ليلا لانه يطرق الباب المغلق ليلا او الارض برجله ثم غلب على النجم لظهوره ليلا وهو الطريق لانها مطروقة بالارجل وقيل الطارق زحل وكل ما يرى ويظهر ليلا يسمى طارقا قال الزمخشري اراد الله ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما فيه من عظم قدرته ولطيف صنعه فابهمه ثم فسره ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم وذكره لان الله اقسم به على حفظ كل نفس فكيف بمن هو نفس الانفس فهو اشارة الى عصمته صلى الله عليه وسلم وبهذا الاعتبار يكون ما نحن فيه فان لم يلاحظ هذا يكون تاييدا لقوله جعفر فلا وجه لما قيل من ان الاحسن ذكره في فصل القسم به السابق ولا للقول بانه اشارة الى عدم الاستيفاء وانه غفل عن ذكره هنا فتذكر وذكر وعلى هذا فالطارق اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم اتى وقد دجى الكفر واظلم او لان معناه سالك الطريق كما قال الراغب حكاه السلمي بضم السين وفتح اللام وتقدمت ترجمته تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه العد التضمن الاشتمال وجعله في ضمنه واوفيت بما كان في الفناء من بما ضمنه قال المؤلف والعد بكسر العين وتشديد الدال المهملتين الماء الدايم الجريان الذي لا انقطاع مادته والقديم والكثير ويصح ارادة كل منها وعلى الاول فيه تشبيه له لكثرة الانتفاع به مع انه لا ينقطع عنه مدد الفياض وفيه تجنيس ما يقف دونه العد بالفتح والتشديد شبه العد والاحصاء برجل يجري ليصل الى الاحاطة بمنتهاه فبعد عنه حتى اعيى وانقطع دون مرامه ففيه استعارة تمثيلية وتقديره صاحب العد يذهب بروقة الكلام ومائه ودون هنا بمعنى قبل كما في قول ابن دريد ان امرء القيس جرى الى مدى فاعتاقه حمامه دون المدى وقد تقدم الكلام عليها في الخطبة واقسم جل جلاله هو جبرئيل كما مر وفي نسخة جل اسمه على هداية المصطفى صلى الله عليه وسلم وتنزيهه على الهوى هذا ما دل عليه قوله ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اشارة الى نفي الضلال والغواية كناية عن الهداية وان توهم في بادي النظر ان بينهما واسطة فان الصغير ونحوه ليس بضال ولا مهدي لكنه لما اكد بنفي الغواية دل على ان المراد اثبات الهداية على وجه بليغ وكذا نفي النطق بالهوى ولا نطق به على منوال قوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولذا ذهب المفسرون لما ذكروا الهوى ميل القلب الخارج عن الصواب وحب الشهوات وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى فيما تلاه متعلق بصدقه وتنازع فيه هو وما قبله والذي

سيد

تلاه هو القران والتلاوة في عرف اللغة والشرع تختص به وان كانت قد تطلق على مطلق التكلم لانه من تلاه
يتلوه اذا تبعه وهو وحي متبع وضميرانه راجع لما وهو القران والوحي يطلق على معان كالكتابة والاشارة
والرسالة والالهام ونحوه بما فيه خفا واتى بيوحى بعد الوحي للتاكيد ودفع المجاز وافادة انه يتجدد شيا فشيا
كما يشير اليه الحزم والاول بالمعنى اللغوي فهو تاسيس وقيل الوحي كل ما ينطق به وانه يجوز في قوله ان هو الخ
ان يكون استينافا غير مقسم عليه وفي ضمير ينطق ان يكون للقران ويمكن تطبيق كلام المص عليه ولم يذكر
الحصر المذكور في النظم اشارة الى فحوى الكلام يفيده لان المقصود نفي وجوه البطلان واذا بين انه وحي
اكد على وجه دل على هذا كما لا يخفى فلا يرد عليه ما قيل انه اخل بالحصر والقسم به على الاثبات والنفي
الذي افاده قوله ان هو الا وحي يوحى وهو انسب بتعظيم القران الذي جا به النظم المقتضي للتعظيم
من جا به وتمجيده وهو المناسب لما قصده المصنف رحمه الله تعالى لم اتى بكلام اوهم انه
ابو عذرته ماله ما ذكرناه وهو مسبوق به ثم قال كيف يتوجه القسم الى قوله ان هو الخ مع انه
لم يدخل به القسم ولم يعطف على مدخوله وجوابه والجواب انه بيان لقوله وما ينطق عن الهوى
سواء كان المراد انه ينطق بوحي متلو هو القران وان كل ما ينطق به مما يتعلق بالدين وحي
من عند الله تعالى ولذا رجح القسطلاني عود ضمير هو الى النطق المفهوم من ينطق وليس عايدا
للقران فان نطقه بالقران والسنة وكل منهما وحي من عند الله ولذا فسر قوله وانزل الله عليك
الكتاب والحكمة بالقران والسنة لانهما كانت تنزل عليه صلى الله عليه وسلم كما ينزل القران
اوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه الصلوة والسلام وهو الشديد القوى اي وصل الوحي
بمعنييه كما بيناه فلا وجه لما قيل ان كان المراد القران فلا خلاف فيه وان كان كل ما ينطق به فهو
على التغليب او المراد انه اوصله بواسطة غيره او بلا واسطة والشديد القوى من اضافة الصفة
المشبهة لفاعلها اي قواه شديدة والقوى جمع قوة واصل معناه طاقة الحبل المفتول وجبريل
عليه الصلوة والسلام موصوف من بين الملائكة بالقوة العلمية لتلقيه عن الله ما لا يقدر
غيره على تلقيه والقوة الحسية لقلعه قرى قوم لوط عليه الصلوة والسلام واهلاكهم بعض
القوم بصيحة منه ونزول من فوق السموات الى الارض في اقل من طرفة عين وقيل الشديد القوى
هو الله العظيم القدرة ثم اخبر عن فضيلته بقصة الاسراء الباء للالصاق متعلقة باخبر او
للتشبيه بقصته وثم للاشارة الى بعد هذه القصة عما قبلها كزيادة شرفها والاسراء سراه
من مكة للبيت المقدس والمعراج عروجه منه الى الملاء الاعلى فلا يناسب تفسير الاول بالثاني
وان كان كل منهما يطلق على الاخر والفضيلة ما اكرمه الله به من تقريبه وتشريفه بما لا يعلمه
غيره وابتداء القصة من قوله فاستوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الخ فانها في المعراج في قول
طائفة قيل والاصح ان قوله ولقد راه نزلة اخرى المراد به رؤية جبريل عليه الصلوة والسلام
على صورته الاصلية ويؤيده ان ما قبله ليس حكاية عما في المعراج على راي الاكثرين ولم يتعرض
المص رحمه الله لتفصيله بل اتى بثم معقبا بقوله وانتهائه الى سدرة المنتهى السدرة واحدة
السدر وهي شجرة النبق وهذه من جنسها ولذا وردفيها ان نبقها كقلال هجر وهي عن يمين العرش

وورودانها في السما السادسة والسابعة ووفق بينهما بان اصلها في السادسة وفروعها تنتهي
للسابعة واضيفت للمنتهى بمعنى الانتها او محله لانها ينتهي اليها علم المقادير او الارواح او الملائكة
وسياتي تفصيل حالها في مبحث الاسراء وفي الرواية في قوله ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
وفي المرئي ايضا هل هو الله تعالى او جبريل عليه الصلوة والسلام على صورته الاصلية والمعراج هل
كان الى السماء او الجنة او لما فوقها وما ذكره المص من انتهائه اليها لا ينافي انه لما فوقها وتصديق
بصره فيما راى تصديق الله له في رؤيته لقوله ما زاغ البصر الخ كما سياتي اي ما راه واعتقده بسبب
رؤيته حق مطابق للواقع والرؤية وان كانت فعلا الا انه تعالى لما صدقت فعله اذا اثبته اثباتا متيقنا
لانه لم يجاوز بصره ما راه ولم يمل عنه ولم يعدل عما امر برؤيته ومدح الله له دليل على عدم حطائه تركه
الالتفات تادبا فلا وجه لما قيل ان ذلك لا يدل على تصديقه وهذا معنى قوله ما كذب الفواد ما راى
ببصره مما راى ما كذب بصره فيما حكاه له فان الامور القدسية تدرك بالقلب ثم بالبصر وما قال
فواده لما راه لا اعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفواده كما راه ببصره تيقنا لا تخيلا كما قاله بعض
الشراح وقوله وانه راى من ايات ربه الكبرى اشارة الى قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى
ومن بيانية مبينة لمقدر او تبعيضية او زائدة اي راى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى به من ايات
ربه وعجايبه ملكوته وقال البيضاوي اي والله لقد راى الكبرى من ايات ربه وعجايبه الملكية
والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعنية بما راى والكبرى صفة الايات والمفعول محذوف
او مفعول ومن ايات حال مقدمة وعلى البيان فهو راى جميع الايات وعلى التبعيض المرئي بعضها
وزيادة من في الاثبات مرجوحة عند النحاة فالمعنى انه راى مما لا يمكن وصفه قيل والاضافة
الى الرب تدل على انها غيره ولو راه لكان الظاهر ذكره دون اياته قاله صاحب الكشاف وفيه كما
قيل انه نزعة اعتزالية وفيه نظر وقد نبه على مثل هنا في اول سورة الاسرى ضمير انه لله والتنبيه
يكون بمعنى ايقاظ النائم وارشاد الغافل ومطلق البيان وهو المراد لكنه اشارة الى كونه بالليل
يشير الى قوله في اول سورة الاسراء لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير وجعله مثله لان في
سورة النجم ذكر تحقق رؤيته بخلافه هنا مع شموله لما قبل العروج وبعده لقول المفسرين ان المعنى
لنريه من اياتنا برؤية السموات وما فيها من العجايب ومشاهدته البيت المقدس ومقامات الانبيا
عليهم الصلوة والسلام ومواطن عباداتهم وتمثلهم له وبينهما مناسبة بدلالتهما على رؤية
الايات الكبرى الا ان فيها اشارة باضافة الاراءة له بضمير العظمة وجعل نفسه هو السميع
وهو البصير الى زيادة قربه وعظمته كما لا يخفى على من له ذوق وافتتحها بسبحان الدالة على التنزيه
نفيا للجهة المتوهمة واشارة لبراءة ساحته عن استبعاد ما استبعده حتى قالوا ما قالوه ولما
كان ما كاشفه عليه الصلوة والسلام من ذلك الجبروت لما بالتشديد وفتح اللام وما موصولة
وكاشف فاعل من الكشف وهو رفع الغطا والكشف عن الشيء يقتضي معاينته ومشاهدته
ولذا وقع هنا عبارة عن المعاينة ولذا علق به قوله من الجبروت وعطف عليه قوله وشاهده
من عجايب الملكوت عطف تفسير فلا وجه لما قيل المناسب ان يقول فشاهده لان المشاهدة

اثر الكشف لصحته قولك كشف فشاهد لكنه راعى الجمع اذ لا يصح ان يقال رفع غطا ما هنالك
من الجبروت لان المراد انه عاين الجبروت واطلع عليه لا رفع غطاه والجبروت فعلوت بفتح
الفا والعين ولام مضمومة يليها واو ساكنة وتا طويلة وتسكين البا والهمزة غلط كما قاله ابن
مكي في تثقيف اللسان وهو بمعنى العظمة والجلالة من الجبر وهو القهر من تجبر بمعنى تعظم كما في القاموس
وله معنى اخر غير مناسب هنا وقيل المراد بالمكاشفة الدلالة لانه معنى من المعاني لا يشاهد
ولو ابقى على ظاهره جاز وقيل المكاشفة غير المشاهدة فالفعلان ليسا صلة لموصول واحد
بل المراد الجنس الذى كاشف بعضه وشاهد بعضه او انه يقدر موصول بناء على تجويز حذفه مع
صلته وهو تكلف لا حاجة اليه ومراد الملكوت عالم الغيب والملك عالم الشهادة قال تعالى
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وهو مصدر ملك مع المبالغة وهو مختص بالله قيل
وكان الاظهر ان يقول وعجايب الملك والملكوت وفيه نظر لا تحيط به العبارات والعبارة
اللفظ المعبر به عن المعنى من العبور وهو المرور قال تعالى الا عابرى سبيل اطلق عليه لتوهم
ان الفهم يعبر به وفي المصباح العبارة البيان بكسر العين وحكى في المحكم فتحها ايضا انتهى وتقصر
العبارة عن اداية لكثرته بحيث لا تفي العبارة بتفصيله او هو على اطلاقه مبالغة قيل وهو
ناظر الى ما شاهده وقوله ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول ناظر الى ما كاشفه على اللف
والنشر المشوش وهو مبنى على تغايرهما كما مر وتستقل اقله عن الارض اذا رفعه ثم صار بمعنى
حمله ومنه القلة ويكون استفعال من القلة اى عدك الشئ قليلا واستقل بالامر استبد
وانفرد كما قيل بما قصر الصدر تولى المقل عن حقوق بمن لا يستقل وهذا هو المراد اى لا يقدر على
حمله الا بقوة قدسية وسماعة ربانية وقيل المراد الاول اى لا تطيق العقول غير عقل
النبى صلى الله عليه وسلم حمله وادنى افعل تفضيل بمعنى اقل اى لا يقدر على اقله فضلا عن كله
واكثره وفى كلامه مبالغة واغراق حيث اضاف الحمل للسماع وهو كالنخل النقل الحديث يعنى
ان التعبير عنه غير ممكن ولو امكن لا يحمله ويعيه سامعه ومن عنه تعالى وجل بالايما
والكناية الدالة على التعظيم جواب لما وفاعله ضمير مستتر لله عز وجل والرمز في الاصل الاشارة
الخفية بالعين والحاجب ونحوه والايماء الاشارة بالراس تتعدى بالى قال الشاعر رمزت الى
مخافة من بعلها والمصنف عداه بعن لتضمينه معنى التعبير والكناية في عرف اهل المعاني ما اريد
لازم معناه الحقيقي مع جواز ارادته وعند اهل الاصول ما يقابل الصريح وهو المراد هنا
يعنى انه اتى بالموصول الاسمى المبهم ومثله يستعمل للتعظيم لما فيه من الاشارة الى انه لا يدرك
كنهه كقوله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم وقوله وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا
ولا تسال عن الخبر مع ترك المفعول ايضا وهذا مما اتفق عليه النحاة واهل المعاني الا ان فيه
اشكالا لانهم اشترطوا في الصلة ان تكون معروفة معهودة حتى يتعرف بها الموصول فاذا كانت
مبهمة لم يعرف معناها حتى يعرف غيرها بها وقول ناظر الجيش ان هذا فيما اذا لم يقصد ابهامه لايجدى
نفعا وان تبعه من بعده كالدماميني فالتحقيق ان يقال لا اتيان بها مبهمة من اعلى طبقات البلاغة

سيد

ابن الحنبلي

لان

لان الذهن يذهب كل مذهب فيقع في النفس موقعا عظيما فيتصوره السامع بهذه الطريقة
ويرتسم في ذهنه اشد ارتسام وليس المراد بالعهد الا هذا فاعرفه فقال تعالى فاوحى الى عبده
ما اوحى هذا وما سياتى تفسير وتفصيل للرمز عما كشفه وشاهده مع الاشعار بما في الابهام من
التعظيم وقيل ان هذا مبنى على ان الكبرى صفة الايات ومن تبعيضية وفاعل اوحى الاول
والثانى رب العزة اى اوحى الله ما اوحاه الى نبيه عليه الصلوة والسلام او هما ضمير جبريل
عليه الصلوة والسلام لان الاول لله والثانى لجبريل او العكس وان كانت ما فيهما مبهمة فظاهر
او كلام المص في الباب الثالث يقتضى اختلاف الضمير فيهما اقول يعنى انه على بعض الوجوه لا يكون
من قبيل النوع المذكور عند اهل البلاغة الاتى ذكره كما صرح به القايل والصور على هذا اثنى
عشر وجها تجرى في هذه العبارة من ضرب وجوه من الثلاثة في اربعة جاءت من اتحاد الضميرين
واختلافهما فان ضربناها في وجهى الكبرى كانت اربعة وعشرين ولكن ما قاله لا وجه له فان البلاغة
والمبالغة انما جاءت من الابهام وهو موجود في سائر الوجوه لدلالتها على انما اوحى اليه لا
يحيط به نطاق العبارة ولا تسعه الاسماع والاذهان البشرية ولا تطلع على شرفاته الانفس
القدسية وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم
ابلغ ابواب الايجاز الايماء والاشارة والوحى كلها بمعنى واحد هنا وهذا نوع من محاسن الكلام
البليغ صرح به المبرد في كامله وسماه الايماء وصرح به التبريزى في شرح ديوان ابى تمام وفي الكشاف
اشارة اليه وقد وقعت هذه التسمية في كلام العرب ايضا كقوله يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحى الملاحظ خيفة الرقباء وهو ان يقصد بالكلام معنى غير ما وضع له وغير لوازمه المعروفة
فيؤخذ منه معنى لطيف يفهمه اهل اللسان الاذكيا ولدقته سموه بهذا الاسم ومثلوا له بقوله جاؤا
بمذق هل رايت الذيب قط فانه اراد انه مزج بماء كثير حتى مال لونه للزرقة ثم كنى به عن لومهم وبخلهم
ومنه قول المنازى في صفة واد تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم وقد صرح به
اهل المعانى قال ابو هلال في كتاب الصناعتين في فصل عقده لهذا الاشارة ان يكون اللفظ القليل
مشارا به الى معان كثيرة بايماء اليها ولمحة تدل عليها وذلك كقول الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى
وقول الناس لو رايت عليا بين الصفين انتهى ثم اورد له امثلة وشواهد كقوله اتعيرنى وانا انا
وقوله هنا رجاتى وهذى مصر معرضة وانت انت وقد ناديت من انت كما فصلناه في طراز المجالس وهذا
ليس له عبارة مخصوصة كالموصول وما نحن فيه فان الايجاز من لوازمه وهنا لما قال فاوحى الى
عبده ما اوحى قصد انه اوحى اليه باسرار عجيبة بواسطة عين البشر وبغير واسطة لا يمكن تفصيلها
ولا يقدر العقول على ادراك حقايقها واراد بهذا ان له مرتبة عظيمة عند الله وله من الزلفى والقرب
منزلة لم يصل اليها سواه ولذا عبر بالعبد اشارة الى انه ليس باجنبى في مقامه الى غير ذلك من المعانى
التى لو فصلنا ما ضاق عنها نطاق البيان وبعض الشراح لما لم يقف على مراده قال تسميته بالاشارة
واضح لكن الذى عليه اهل البلاغة انه تفخيم نحو فغشيهم من اليم ما غشيهم واما تسميته وحيا
فلعله اصطلاح قديم وهو نكتة لايراد المبتدا موصولا والا بلغية فيه بالايجاز وفيه انه ليس

ابن الحنبلي

بلازم هنا كما اذا قلت في شيء واحد علمت ما هو كراهة ان يطلع عليه غيرك فما ذكره ممنوع وتعقبه
اي المصنف من قال انه اتم انواع الايجاز لاداء المراد بلفظ اقل من المتعارف فيه وقد ترك تفصيله
لعظمته فمنع منعه وزعم دفعه بما لا محصل له ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له اضربنا عنه
لعدم فائدته والعجب من عدم اطلاع هولاء وخبطهم خبط عشواء والنقد تمييز الجيد من الردي بنظر
سديد ففيه استعارة لتشبيه الكلام بالذهب ونحوه والعارف به يسمى بالصيرفي وقوله وهذا
النوع اشارة الى هذا الكلام وامثاله او الى النوع الذي في ضمن جزئي من جزئياته فلا يرد عليه ان ما ذكر
ليس بنوع بل كلام شخص والمراد باهل البلاغة البلغاء والعلماء بعلم البلاغة والبلاغة عندهم
معروفة وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام
عن تعيين تلك الايات الكبرى انحسر بمعنى عجز وكل وتاه من التيه وهو الضلال في الطريق والتحير والافهام
جمع فهم وهو الادراك والاحلام جمع حلم بزنة قفل وهو العقل ويكون بمعنى ما يراه النائم وليس مرادا هنا
خلافا لما توهمه وشبه الطالب للوقوف على المعنى بسالك في الطريق الطويلة التي يتعب المسافر فيها وقد
يخفى عليه فيضل فيها فبين قوله تاه والحسر مناسبة تامة والتفصيل التمييز ومنه الاجمال والتعيين
تحقيق عين الشيء وفي ذكر التفصيل مع الانحسار والتعيين مع التيه لطف تام والاشارة بتلك
الايات لجميع ما راى وقيل للمرئي منها وهو ايات كبرى لا الى جميعها لما مر من احتمال رؤية البعض
هو الراجح فيليق حمل كلام المص عليه وان كان خلاف الظاهر مع ان التعظيم انما يستفاد من حذف
المفعول به الذي هو بعضها واعتبار ان التقدير لقد راى من ايات ربه الكبرى ما راى فيه نظر قال
القاضي ابو الفضل وهو المص عياض رحمه الله تعالى اشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية
جملته صلى الله عليه وسلم اي مجموعها من قوله والنجم الى قوله الكبرى وان لم تكن كل واحدة منها مستقلة
عليه والتزكية تطهيره عن النقايص البشرية وجملة ذاته وصفاته الظاهرة والباطنة ونفسه
القدسية واذا اخبر الله بذلك فقد جعله زكيا وعصمها من الافات في هذا المسرى العصمة
من عصمه يعصمه من باب ضرب اذا حفظه وصانه واعتصمت بالله امتنعت به والاسم العصمة
والمسرى مكان السرى او نفس السرى على انه مصدر ميمي والافات جمع افة وهي ما يعرض من المفاسد
ولما اخبر الله في هذه الايات بما حصلت به التزكية كان كانه اعلم بها نفسه ولذا فسره المصنف
رحمه الله تعالى عليه بقوله فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قال السيوطي رحمه الله تعالى وقع
في نسخة وزكى بالواو والصحيح انه بالفاء التفسيرية المفسرة لقوله اشتملت والواو مخلة بالمعنى
ولا وجه لما قاله فان العطف التفسيري كما يكون بالفاء يكون بالواو وكما في قوله انما اشكو بثي وحزني
وقد يكون ابلغ اذا قصد انه لمغايرته بالتفصيل والاجمال كانه غيره والفؤاد القلب عبر به اولا
لموافقة الاية وعبر عنه بالقلب فرارا من صورة التكرار وقيل الفؤاد وعاء القلب فذكر المحل
واراد الحال وقيل هو داخله ويكون بمعنى العقل ويجوز ارادته هنا والاول اصح واوضح واللسان
معروف والجوارح جمع جارحة وهي العضو الذي يكتسب به كما في الصحاح ويعلم ما جرحتم اي كسبتم
والظاهر اختصاصها بالاعضاء الظاهرة كاليدين وجعلها شاملة للقلب لاكتسابه بعض الامور

او على التغليب فهو تعميم بعد تخصيص تكلف ولم يذكر هنا الا اللسان والبصر ولذا قيل المراد ببعض
جوارحه او هو بناء على ان اقل الجمع اثنان وهو بالنظر لكل من المعنيين ولجعل هذين العضوين بمنزلة الجميع او عبر
عنهما لان المرء باصغريه قلبه ولسانه وهما كالسلطان والوزير وما عداهما تبع لهما والذي في نسخ الشرح هنا
قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى بدون اثبات الواو وهو الظاهر لانه بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل وقد يجوز فيه مثله
ان يكون بدل كل وبعض بتقدير ضمير او بدونه وفيه كلام فصلناه في غير هذا الكتاب وفي بعض النسخ وقلبه بالواو
على نهج ما مر في العطف التفسيري وروى فزكى قلبه بالفاء التفصيلية التفسيرية على اللف والنشر وهو استئناف
جواب سؤال مقدر تقديره كيف زكاه فقال قلبه الخ والمقام مقام بسط وتطويل وهي مقبول من مثله فاعترض
بان فيه طولا ولو قال فزكى قلبه بقوله الخ مع نصب القلب وما بعده كان اولى واخصر غير متجه والكذب معروف
يوصف به الكلام والمتكلم وقيل المعنى ما كذب الفؤاد ما راه اي اعتقده وهو غير مقبول عند المص لانه ياباه
ما زاغ البصر وما طغى وقال المفسرون ان القلب لم يوهم العين ولم ينكر ما راته ويلزم من تزكيته فلا يقال
ان التزكية حينئذ للعين لا للقلب لان قوله لم يوهم تزكية له وهذا مراد من قال فؤاده الذي راه ببصره او عرفه كما له
القاضي ولو قال لذلك كان كاذبا لانه عرفه وهل المرئي الرب او غيره سياتي تفصيله والمراد نفي الخطا عن اعتقاده
ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وهذا وان لم يكن مخصوصا فيكفي شموله له اذا اختص بالقران كما ذهب اليه الاكثر
الان منه كلامه على بعض الاقوال وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصره صلى الله عليه وسلم يمينا
ولا شمالا ولا تجاوز حده في نظره لما هو امامه ففيه تزكية لبصره وهو تزكية له وبيان لثبات جنانه او كمال ادبه وهو
في رؤية ربه جل وعلا في معراجه كما سياتي وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان
رجيم هي النجوم فالخنس الكواكب الرواجع وهي ما عدا النيرين من السيارات ولذا وصفها بالجوار لسيرها
والكنس التي تغيب في مغاربها من كنس اذا دخل كناسه والكناس بيت الظبي كالغيل للاسد والوكر للطير والجحر للحشرات
والبيت للانسان فهو على التشبيه والخنس تفسر الانف واللفظ توصف به والشيطان من الجن وقد يخص بالشرير
من شاط اذا احترق ومن شطن اذا بعد وهو انسب بالرجيم لانه المرجوم بالشهب اي اقسم انه لقول رسول
كريم اي كريم عند مرسله وهو الله عز وجل وعلى عدم الزيادة انه واضح غير محتاج للتاكيد بقسم وغيره وهو قول
لاكثر المفسرين لانه الاصل وعلى الزيادة لمناسبته المقام ولقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم ولثبوت الزيادة في قوله
فلا اقسم بمواقع النجوم مع اشتراك المقامين في بيان شان القرآن واختاره المصنف لمناسبته لما عقد له الفصل واشار
لعدم القسم فيما سبق لما فيه من التعظيم واشارة لجواز الامرين والفرق بين الموضعين مع ان في الاية ما يناسب النفي
وايهام عدم جواز غيره لا يعتد به وضميرانه للقران او لما اخبر عنه من المغيبات والقول بمعنى القول والرسول
المرسل ولم يغير لفظ القران كما هو دابه وقيل التقدير لقول مرسل رسول والكريم بمعنى العظيم او الجواد لسعادة الدارين
قيل فاعل اقسم جبريل واضاف القسم له لالقائه له صلى الله عليه وسلم كلاما مؤلفا ثم صرفه عنه بقوله تنزيل
من رب العالمين وكريم ومكين صفة جبريل عليه الصلاة والسلام على الاصح وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم
وتفسير المص بكريم عند مرسله لا حاجة اليه مع قوله عند ذي العرش مكين والغرض انه عنده غير الاصح ولذا نقله
عن الرماني فيما ياتي اول بحوز جعل ضمير اقسم لله عز وجل واعتراضه على المصنف لا وجه له سواء اراد ان المكانة عند الله
تستلزم كرمه عنده او ان العندية من قوله ذي العرش لانه مقام مدح فيقتضي التصريح بما يدل عليه مع انه ما ذكره غيره

اقرب‌س

مسلم والعندية عندية تشريف وتعظيم فتامل ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي حمله بالتشديد مع البنا للفاعل
حمله الله او للمفعول والتحميل في الرسالة لثقلها مشهور وهو في الاصل استعارة لثقل الامانة وعند ظرف لمكين والقوة
معروفة وقد تفسر بالمنزلة كما يقال فلان قوي عند السلطان فيتنازع هو ومكين الظرف والظرف صفة اخرى والقوة صفة
جبريل عليه الصلوة والسلام لما حمله الى النبي صلى الله عليه وسلم او هو النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه لامته والمراد
بالوحي القران لقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا مكين اي متمكن المنزلة عنده به رفيع المحل عنده يعني ان مكين بمعنى
متمكن المنزلة اي معظم مبجل رفيع المقدار عنده ومعنى العندية معلوم مما مر في اعرابها وتفسيره بالتمكن لا يخالف ما تقدم من ان المكا
المنزلة عند الملك كما قيل مطاع ثم اي في السماء ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم مبني على الفتح اسم اشارة الى المكان بمعنى هناك وثم
بابها للوقف عليه ونقل انه لغة فيه ايضا كما مر ودل عليه قوله في السما قوله عند ذي العرش واشارة البعيد والقيام وهو
قريب من قوله في الكشاف مطاع عند ذي العرش في ملائكته ويجوز تعلقه بالامانة وبهما امين على الوحي وخصه بذلك لان
المقام يقتضيه وهو موتمن عليه وعلى غيره ولذا فسر بقبول القول فصدق فيما يقول ويخبره فيما ذكر ان يراد بجبريل والنبي صلى الله
عليه وسلم لاطلاق الامين على كل منهما وكون جبريل عليه الصلوة والسلام بمطاع في السما اظهر وان قيل النبي صلى الله عليه وسلم
مطاع فيهما ايضا لامامته بالانبيا عليهم الصلوة والسلام فيهما وماجرى بينه وبين ملك الجبال وعين الامانة خلاف الظاهر ويجوز
ان يكون اشارة للظرف السابق اي مطاع عند ذي العرش مقبول الشفاعة وهو بعيد قال علي بن عيسى رحمه الله تعالى الفقيه الظاهرية
ابو الحسين علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرباني الامام في النحو واللغة والتفسير والكلام في تفسير عظيم لم نقف عليه وهو تلميذ ابن
دريد يروي عنه جماعة توفي ليلة الاحد حادي عشر جمادى الاولى سنة اربع وثمانين وثلاثماية وقيل سنة اثنين وثمانين
ومولده ببغداد سنة ست وتسعين ومايتين واصله من سرمرا والرماني نسبة الى بيع الرمان والى قصر الرمان وهو قصر بواسط
كما قال ابن خلكان وله ترجمة في الميزان الرسول الكريم هنا محمد عليه الصلوة والسلام وجميع الاوصاف بعد هذا له صلى الله عليه
وسلم هذا قول الجمهور وبعد هنا منهم من قال انه بالموحدة بلفظ بعد ضد قبل او بعد ذكره على هذا القول والتفسير ومنهم من قاله
بالمثناة الفوقية فعل مجهول من العدد والجملة خبر وعلى الاول الظرف متعلق بمقدر وله خبر وعلى متعلق بما تعلق به او بالمثنى المقدر
وضمير له عليهما للنبي صلى الله عليه وسلم اي على هذا القول الاوصاف المذكورة بعد او المعدودة للنبي صلى الله عليه وسلم حتى
مطاع عنه في السما كما مر وقيل ان ما نفي الصفات المذكورة ما يعين انه جبريل عليه الصلوة والسلام مبني على الظاهر المشاهد
بان ملك الجبال قال ان الله امرني ان اطيعك ولا تخلف ملك عن امره بل الشجر والدواب كذلك لا يخفى ما فيه وقال غيره هو جبريل عليه
الصلوة والسلام فترجع الاوصاف اليه ضمير هنا راجع لعلي بن عيسى ولم يلتفت لغير ما المذكور لعدم تعينه ولا تابع له وهو راجح
بتاويله بغير من ذكر ومثله كثير فالغير هنا غير الغير الذي وافقه على القول المذكور واما كونه هو علي ان عنه روايتين في التفسير فتعسف
لا وجه له وان جوزه بعضهم وكون المراد بالرسول الكريم جبريل عليه الصلوة والسلام هو قول جمهور المفسرين ويؤيده ما رواه الواحدي
من النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما احسن ما اثنى عليك ربك بقوله ذي قوة الخ وما مر من قوله صلى الله عليه وسلم له هل اصابك
من هذه الرحمة شيء فقال كنت اخشى العاقبة حتى نزلت هاتين الايتين وعلى القول الاول يحمل ما وقع في خطبة المقامات الحريري
فلا وجه لتشنيع ابن الخشاب عليه ولا لقول الشريشي انه عثرة وضعف القول الاول السهيلي بان الاية وردت لتكذيب الكفار ان محمدا
صلى الله عليه وسلم تقول القرآن فاضافه الله لجبريل عليه الصلوة والسلام وان كان في الحقيقة قوله تعالى لان جبريل هو الذي جا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فصار كانه قوله فلا يسوغ على هذا ان يكون الرسول الكريم محمدا وان كان رسولا كريما قيل ما ذكره انما هو ان
وردت لهذا الغرض ورد بان لا ارادة النبي صلى الله عليه وسلم مساغا ولو سلم ما قاله لان مدعي الكفار انه مقال محمد من تلقا نفسه

ابن الحنبلي

وقوله انه لقول رسول كريم ناطق بانه قول من ارسله كما مر فينبغي كونه من تلقا نفسه فتدبر ولقد راه يعني محمدا تمثيل للراي به وقيل راي
جبريل بصورته يعني الرائي محمد صلى الله عليه وسلم على التفسيرين واختلف في المرئي فالجمهور على انه جبريل على صورته الاصلية بستماية
جناح ومنه يعلم نكتة تخصيصه بالافق المبين ولم يره غير مرة بهذه الصورة وقيل رب العزة قال بعض الشراح هو قول ابن مسعود
رضي الله عنه وقدمه المص رحمه الله لموافقته لغرضه وهو قول غريب قيل انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد عليه ويأباه كون الافق المبين بالافق
بالافق المبين سواء كان نواحي السما او حيث تطلع الشمس اذ لم ينقل احد انه راي ربه بالافق واجيب بانه اذا جاز عود ضمير رآه لرب
فرؤيته بالافق كاستوى على العرش والمراد بالافق الذي فوق السماء السابعة وحينئذ فقوله دنا فتدلى من قبيل دنو المكانة
لا المكان او المراد به المنزلة العالية كما اشار اليه الامام وقولهم لم ينقل به احد يرده انه روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم المغيب الغائب عن الحس الذي اخبر به او ما هو وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام على الجنة
الغيب فيشمل الذات والصفات والقران فيستدل به على غيره او المراد ما غاب عن علمكم فيشمل الجنان عن المشاهد والنار
والظنين بالظا المشالة ما ينسب الى التهمة للوهم والغلط او المراد ليس مظنونا به ما نسب اليه مما اتهم به الكفرة
فالنفي فيه كالنفي في قوله لا ريب فيه وقرئ في السبعة بالضاد المعجمة كما اشار اليه بقوله ومن قراءها اي الاية او الكلمة
وروي قراءة اي هذا اللفظ بالضاد وهو نافع وعاصم وحمزة وابن عامر من الضن والضنة وهي البخل فمعناه ما هو بخيل
بالدعاء والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق القرائتين ومن الموصول المتضمن معنى الشرط وتمييز معناه
للفظا او القول المذكور وقوله بالدعاء به الدعاء بالمد بمعنى الدعوة او المدعو اليه والباقي به على هذه الرواية اشارة الى ان على بمعنى
بمعنى الباء او هي بمعنى الى والسببية والمدعو اليه احكام الشريعة كلها وروي الدعاء له او الدعابة بكسر الدال وفتحها تحية بعد الالف
والتذكير التنبيه او الوعظ وحكمه بضم الحاء وسكون الكاف وبكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهو الكلام النافع والعلم ما علم منه
من كل امر فيه علم وحكمة اي ما هو ببخيل على الناس في تبليغ ما اوحي اليه وقدام بتبليغه وهذه اشارة للانبيا والمصنفة على هذه القراءة
والاتفاق على هذه بضاد وقراءة الظا لان هذه العلوم والحكم امر نفيس فيه سعادة الدارين فمثله مما يضن به البشر فنزهه عن مثله
لكرم جبلته وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون الايات اي اقرأ الايات الى اخرها او اذكر او اعني اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم صفته ما بهم المعو
ذلك اشارة الى عظمته كما مر والى عظمته ما فيه بناء على ان يكون قسم هنا وهي الحرف او الدواة او اسم للسورة فاقسم بالقران وما كتب في القلم
معروفا وقلم اللوح وقيل نون الحوت الذي عليه الارض والقسم على ظاهره او بمعنى المقسم على تنزيهه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصه
وفي نسخة غمصته الكفرة به وتكذيبهم له غمصه بفتح الغين المعجمة والصاد المهملة بمعنى عابه وحقره قال ابن القطاع غمص الناس
غمصا احتقرهم وعابهم والشيء كذلك وغمص النعم واغمصها كفرها وقال التلمساني الغمص بالصاد المهملة العيب وفي السفيض واكثر ما يكون
في الدين وقال ابن جبير في غريب الموطا الغمض بضاد معجمة اخت الصاد تصغير النعمة وتحقيرها وبالصاد المهملة اصغر الناس وازدرى لهم
واستحسن هذا الفرق بعد ان قال انهما سواء انتهى فيجوز في كلام المص رحمه الله الاهمال والاعجام الا ان الاول ارجح وعليه اقتصر الشراح وقوله
وتكذيبهم بالجر عطف على ما والمراد بالتكذيب الواقع في كلام المصنف كما في بعض الشروح هو قولهم هذا ساحر كذاب واجمل بعضهم فقال المراد
التنزيه عن الكذب بالحصر القادح او ما كذب القول لا يخفى ان المص رحمه الله لم يذكر من الايات ما يدل على التكذيب نفيا واثباتا وقيل فكر
غيرها انت بنعمة ربك بمجنون مما قيل ولا لا مساس له بكلامه ونظر المص رحمه الله في مقاصده دقيق لمن عرف مغزاه فالمراد انه تعالى انعم
عليه بما علمه واعطاه من نعم الدارين واغناه عما سواه ونصره على اعدائه ومن اوتي مثل هذا لا يكذب فان فعل او تكلم بما لا يليق فهو
مجنون ولذا قال الفاضل الحلبي انه تعالى نزهه عن تكذيبهم وهو واقع لان معنى الاية ما انت بمجنون بسبب انه تعالى انعم عليك بكمال العقل والمعرفة
فافادت تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم كان تكذيب لعدم الاعتداد وقيام الدليل على خلافه وانسه وبسط امله انس فعل ماض معطوف

دبجي وغيره

سيد

الحكم الكلام المنافع

دبجي سيد

على قسم بفصل الهمزة وتشديد النون من التأنيس وبالمد والتخفيف من الايناس يقال انسته وآنسته اذا اذهبت وحشته وسكنتها ومن
والرجا وبسط توسيعه وتكثيره او من الانبساط وهو المسرة كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة يبسطني ما يبسطها اى
يسرها ما يسرني فهو استعارة تدل على انه عامله صلى الله عليه وسلم بالطافه حتى كثر رجاه اوسره بقوله محسنا خطابه ما انت
بنعمة ربك بمجنون محسنا حال من الضمير وروى مخففا ومشددا من الاحسان والتحسين والثاني احسن عنده من لذه وقوله لذا
اقتصر عليه البرهان رحمه الله وخطابه مفعول بقوله وما انت الخ مقول القول وهو جواب القسم في النظم وتوسيع الامل الجمله ابن الحنبلي
ملتبسا بنعم الكريم الذي رباه وقوله وان لك لاجرا الى اخره اما لدوامها وازديادها وقيل خطابه المقرون بتحليته وتحليه
وسع امله لان من اثنى على احد وسع امله وهو تكلف استغنى عنه بما عرفته والبا للسببية او الملابسة والمصاحبة وقال
الشريف المعنى انعدم الجنون لانعام الله عليه ولطفه او حال كونه ملتبسا بنعمة العقل والنبوة والاخلاق الحليمة ما يدل
قطعا على كذبهم وهو حال من معمول معنى النفي اى انتفى عنك او من فاعل بمجنون كما ذهب اليه الزمخشري والبا زائدة ليصح العمل وضعف
بانه يلزم نفي الجنون المقيد لا مطلقا واجيب بان المقيد داعى فيصح المعنى ولعل غرضه انه مقام رد المعاند يقتضي ما لا يوهم ولو ببادى
الراى والتقييد موهم وفيه ان تقييد النفي موهم ايضا لكن ايهامه اقل والقيد للاجار ومثله كثير كما ذكره ابن الحاجب فالحكم
بعدم الجنون ناشئ من تلبسه بالنعمة وعدم الجنون مطلق وقيل البا للقسم وبه جزم في لباب التفاسير وضعف بان القسم لا يدخل على
القسم اقول هذا ليس بشيء لانه وقع مثله في الكتاب العزيز ولم يلتفت فيه لمثل هذا الايهام لان السياق ومقام المدح شاهد
صدق لا يحتاجان لنكتة الا ترى ان ابا البقا رحمه الله تعالى اعرب قوله تعالى وما هم بمؤمنين يخادعون الله حالا والعامل اسم الفاعل
وهو وذو الحال الضمير المستتر فيه ولما خطاه ابو حيان رحمه الله بمثل ما قاله المعترض رده المحققون بما قلناه فالاعتراض
على الزمخشري غير مسموع اصلا ولا حاجة الى ما اجابوا به فانه كله من ضيق العطن ولولا خوف الملل لاطلناه ولكن التحى ندل على
المتحرز بنيه خطر ببالي هنا نكتة وهي ان الله تعالى اقسم بالقلم وما خط به لمناسبة المقسم عليه لان المجنون مرفوع عنه القلم
فاتيانه به يدل على تكذيبهم فيما قالوه فلله من موقع هنا ليس لغيره وهذا نهاية المبتغى في المخاطبة واعلى درجات الادب في المحاورة
الاشارة للامور المذكورة من المنزلة عما قالوه في حقه تعالى بقوله ما انت الخ والتكذيب الذي دل عليه والتانيس بتقديم الدليل
بقوله بنعمة ربك قطعا لعرق الشبهة من اول الامر وبيان تحقيق ما له بقوله وان لك لاجرا غير ممنون به عليك او غير مقطوع
وهذا غاية البر والاحسان في خطابه له صلى الله عليه وسلم واقصى مراتب الادب اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم تعليما
لعباده والمحاورة بالحاء والرا المهملتين كالمراجعة والمجاوبة وزنا ومعنى ففيه وجوه اكثر من خمسة فلم يكتف بمجرد الرد عليهم لكن
راى من عجيبه في هجوم اعدائه بمقالهم تكذيبهم وبين وجه كذبهم ثم ذكر ما يطرح وحشته ثم وعده بما هو اعظم مما ذكره ثم
اعلمه سبحانه وتعالى بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع اى بعد ان براه ونزهه اعلمه بما اعد له بعد من الثواب
على ما قاساه وعطفه بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين من تعقبه السريع الانقطاع ونعيمه الدائم الواقع في مقابلة
تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم له بما لا يليق ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم
كانه قال له لا تحزن فقد تبين كذبهم بداهة فلا نقص يعود عليك مما قالوه فلك نعيم مؤبد في مقابلته والصبر
على الشدايد والمقاساة في التبليغ ففيه تثبيت وتخصيص في الثواب هو الاجر وغير منقطع تفسير لقوله غير ممنون
لا ياخذه العد اى لا يحصى ولا يعد ففيه استعارة كانه اذا عد اخذه او لا يغلبه العد ويحيط به كما قيل في قوله تعالى
لا تاخذه سنة ولا نوم ومنه يعلم وجه تقديم السنة والمراد المبالغة في كثرته ولا يمن به عليه يمن بصيغة المبني
للمجهول من المن وهو تعداد المنعم نعمه وضيعة والتعديد لا يمن احد من الخلق بها عليه لانها من الكريم الوهاب ولا يمن

الخالق

الخالق ويؤيده انه روى يمن بصيغة المبني للفاعل وقول الطيبي رحمه الله ان من شان الكرام ان لا يمنوا ولذا قيل
ان ذكر الاجر يفيد انه لا منة والثواب لا ينقص بالمنة ففيها تاكيد للاجر وقيل عليه انه تكلف مردود فانه سيد
تعالى من على عباده كما صرح به في مواضع عديدة والاجر محض تفضل منه تعالى اذ العمل لا يفي بشكره ونيل المراتب
العلية فضل اخر واعطا ما لا يجب عليه فضل ثالث فجرى مجرى المنة وهي تشريف منه والتحقيق انها انما قبحت من غيره تعالى
ولعادت النفوس النفرة منها لا يفعلها الله لايهامه ما لا يليق به وان حسنت منه ففيه تاسيس لتعظيم تشنيعا
منه لتنفيق النظر اقول ما ذكره من التحقيق ليس بشيء فان المنة فعلا وقولا مستحسنة منه تعالى وقد ورد التصريح بها في نحو قوله
تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان بل قد يستحسن من غيره ايضا ولذا قيل انه هنا شبيه
بقول المعتزلة فافهم وفي كلام المصنف اشارة الى تفسير اخر في قوله غير ممنون فقال وان لك لاجرا غير ممنون اتى
بالفا لانه متفرع على ما قبله من الاعلام او تفصيل له في الجملة اى لك على ما احتملته من اذاهم ثواب غير منقطع او غير
ممنوع عليك من غيره لانه موهبة الاهية واتى بتاكيدات اربع للاهتمام والتقرير والانكار وزيادته فاكد المجموع
او هي مونثة على ما ذكروا ان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم منكرا فانه قد يراعي حال السامع كما في التعريض وقد علمت ان المنزله
معاني القطع والنقص وتعديد النعم واشار المص الى ذلك كل بقوله غير منقطع وقوله لا ياخذه العد الخ الا انه قيل عليه
انه لا يتم ما ذكره من الاعلام بالكل الا على القول بجواز استعمال المشترك في معانيه او جوازه في النفي وارادته على البدل
فقول المص الثامن ثم اعلمه الخ وعطفه بالواو وغير حسن الا ان يكون بمعنى او وكل قسم على تفسير وفي تحرير ابن الهمام المشترك يعم
في النفي وهو المختار والقول بانه اعلمه بما له عنده والبيان من المص لثبوت التفاسير تكلف وتحميل للعبارة ما لا تطيقه
والظاهر انه بيان للوجوه المذكورة في الاية على وجه يفيد ثبوتها كلها لاستلزام بعدم العد لعدم الانقطاع والنقص بحسب عرف
التخاطب ثم اثنى عليه بما منحه من جبلته عطف بثم لما رأى مدحه بما وهبه واعطاه من مواهبه السنية وهداه
اليه من معرفته وتوحيده او من القران وادابه ودلالته له دلالة موصلة فان افعال العبد وصفاته بايجاد الله
فيه كما هو مذهب اهل الحق واكد ذلك تتميما للتمجيد اى التعظيم من المجد وهو الكرم اى تتميما لنسبته اليه بحرف التاكيد
زيادة لتعظيمه واهتماما به ففيه تعظيم على تعظيم وهما اللام وان مع القسم واسمية الجملة ولذا قيل الاولى
ان يقول بوجوه التاكيد الا انه اقتصر على الصريح منه فان الاسمية قد لا يقصد بها التاكيد ولذا قال وان نحو زيد
قائم يلقى خاليا الذهن لكنه غير تام بالنسبة للقسم فقال وانك لعلى خلق عظيم اتى بعلى اشارة لاستعلائه عليه
لكونه مجبولا عليه بغير تكلف قيل القران نهنا مروى عن عايشة والحسن رضي الله عنهما وغيرهما كما سياتي والمراد انه
اتصف بكل صفة جميلة تعلم منه ومنع عن كل ما لا ينبغي مما نهي عنه فليس هنا تفسيرا اخر كما قيل وقيل الاسلام
ولذا قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره على دين عظيم والخلق يجي بمعنى العادة والطريقة وقيل
الطبع الكريم اصل معنى الطبع الختم وطبع السيف ونحوه عمله ثم صار بمعنى الجبلة التي خلق الانسان
عليها ومثله الخلق والخلاق وهو ملكة نفسية لا تقبل التغير بسهولة وقال ابن الجوزي حقيقته ما ياخذ
الانسان به نفسه من الاداب واما ما طبع فيسمى خيما وقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من المكارم ما لم
يجتمع في غيره وقال الامام المراد التخلق بمجموع اخلاق الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهو مرتبة
عظيمة فانه صلى الله عليه وسلم امر بالاقتدا بهداهم ولم يرد اصول الشرايع لعدم مناسبته التقليد فيها سيد
فالمراد ما مر قيل في ليله نظر لجواز ان يراد الاقتداء في تحصيل اليقين بالاصول والعمل بمقتضاها فلا يلزم التقليد

اقول لا يخفى ان تقليد النبي صلى الله عليه وسلم لمن قبله من الانبيا في الاصول الدينية غير صحيح وهو الذي اراده
الامام رحمه الله فان اراد بجرد سلوك طريقهم الموصلة لها لا لانفسها فلا خلاف بينهما فتدبر وقيل ليس
للك همة الا الله جل جلاله الهمة كما في المصباح اول العزم من هم بالشيء ويكون بمعنى العزم يقال له همة عالية
والمراد هنا الثاني وهذا يحكى عن الجنيد رحمه الله قال انما سمى الله خلقه عظيما لانه لم يكن له همة في غير الله سبحانه
فكانه صلى الله عليه وسلم معاشرا للخلق بجسمه ومزايلا لهم فظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق يعني ان عزمه
صلى الله عليه وسلم في اعلا كلمة الله وتبليغ ما وصل اليه وفكره في ذاته وجنده فقول بعضهم انه بعيد
جدا لا وجه له قال الواسطي في الاول وتقدمت ترجمته اثنى الله عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه
السدى بمعنى اعطى واوصل وهما متقاربان ومن بيان لما الموصولة والباء صلة اثنى او سببية والنعم منها
الفاضل الشريف بالاخلاق العظيمة التي اتصف بها الخلق في الاية وتبعه تلميذه ابن الحنبلي وفضله بذلك كاف
بما اسداه او بحسن قبوله على غيره من جميع المخلوقات الانبيا عليهم الصلوة والسلام وغيرهم وقوله لانه
جبله على ذلك الخلق اي خلقه مطبوعا على خلقه العظيم الكامل الذي لا ينفك عنه وتتميم قوله السابق الذي
صلى الله عليه وسلم وجوز فيه ان يكون لله اي قبول الله لاخلاقه او انه جعل حسن قبوله مثنيا عليه والاول
اولى ولذا اقتصر عليه اكثر الشراح وقيل ان في كلامه مناقشة لان المجبول على الشيء الذي طبع عليه بمعنى انه
خلق كذلك لا يقال فيه انه قابل لذلك الذي جبل عليه لانما بالقبول لا يكون حينئذ امكان الاحسن ان يقول
اثنى عليه بحسن ما جبله عليه ولله المنة المطلقة فان المعنى الشيء والثني عليه وتتمة كلام السيوطي يشير
لذلك ورده السيد بانه مقرر في العلوم العقلية ان ما اتصف به الشيء اما على الفاعلية او القابلية والمراد
بالقبول التاثر وتحققه فيه فصح بانه قابل لا فاعل رد المطبعين بل حسن قبوله ايضا من الله فهو قابل له
ايضا فاثنى عليه لا لفعله اياه بل لقبوله وقبوله ايضا ليس منه فظهر ان الاعتراض غير قابل للقبول بل للرد
اقول هنا الكلام تكلف مبني على غير اساس وتقديره ان مراد الواسطي بيان تحصل معنى الايات كلها
فالنعم في كلامه ليس بمعنى الاخلاق بل كل ما انعم الله به عليه لعموم الموصول وحسن القبول مأخوذ من اشارة
النص بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون اي لست ممن تستخفه النعم والبصر المعرفته بالله ومقدار نعمه
وتفضيله على غيره من كونه له اجر لا يحصى وقوله لانه الخ تعليل لمجموع ما قبله يعني انه صلى الله عليه وسلم لسلامة
طبعه وكمال اخلاقه حسن قبوله للنعم واستحق الثنا ولهذا التقرير سقط الاعتراض لان الاخلاق وان كانت
بخلق الله فيما جعله قابلا لكنه غير مراد هنا فما ذكره المجيب صحيح من غير تراض فتدبر فسبحان اللطيف
الكريم المحسن الجواد الحميد الكلام على سبحان مفصل في محله وهو منصوب على المصدرية ومعناه
تنزيه الله عما لا يليق بجلال ذاته ويكون كثيرا للتعجب فيقال عند رؤية كل امر عجيب تنزيها عن ان يوجد
شيئا من غير حكمة وان خفيت علينا فالمراد هنا التعجب من كرم الله واسدائه النعم الجليلة ثم الثنا عليه
من قبلها وجزاه بالاجر وليس للعبد في ذلك تاثير وقدم ذكر المص رحمه الله مثله في اخر الخطبة وفيما ذكره
من الاسماء اشارة لهذا فاللطيف المتلطف بعباده اذ وفقهم لحسن القبول والكريم بما اسداه وانعم به والمحسن
بالثنا عليهم والجواد بما اعطاهم من الثواب والاجر والحميد المحمود في كل افعاله المذكورة او الحامد
لهم او لنفسه فالجواد بتخفيف الواو كثير الجود والتشديد غير مسموع فيه وقال في عدة الحفاظ لا مانع

منه

منه ان قصدت المبالغة وفيه نظر وقيل السخي بناء على جواز وصفه بالسخا كما بيناه في شرح
اسماء الله الحسنى وقال ابن عصفور في الممتع امتنعوا من وصف الله تعالى بسخي لان اصله من الارض
السخاوية وهي الرخوة بل وصفوه بجواد لانه اوسع في معنى العطا وادخل في صفة العلا انتهى وقد ورد
اطلاق الجواد عليه تعالى في حديث قدسي رواه الترمذي والبيهقي ان جواد ماجد ووقع في بعض النسخ
هنا بدل الحميد المجيد اي ذو المجد والكرم وهو انسب هنا الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله
يشير الى قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتيسير تسهيله بتهيئة اسبابه ثم خلقه فيه وهداه
لمنافعه حتى سعى في كسبه وفاعله المباشر له فان الفعل ينسب له وان كان الفاعل حقيقة هو الله
والثنا كما يكون على الفعل يكون على الفاعل كما قال انت كما اثنيت على نفسك وقوله فانت كما تثني وفوق الذي
تثني فالاعتراض ساقط وجازاه عليه هو ناظر للاجر ثم كرر التعجب لتكرر الاحسان فقال سبحانه
ما اغمر نواله اغمر فعل تعجب بالغين المعجمة من الغمر وهو الما الكثير استعير لمطلق الكثرة والنوال
العطا واوسع افضاله السعة معروفة شاعت في الشمول والعموم والافضال الانعام قال
في المصباح تفضل عليه وافضل افضالا بمعنى وفضلته على غيره صيرته افضل منه انتهى فما قيل
الافضال مصدر افضله جعله فاضلا وافضله غريب خبط لا وجه له ثم سلاه بتشديد اللام من التسلية
وهي ازالة الغم عن قولهم بعد هذا اي عما قالوا في حقه صلى الله عليه وسلم وبعد متعلقة بسلاه وهنا
اشارة لكل ما ذكر من الرد والثنا والظرف مؤكد لما تدل عليه ثم وكونه للاشعار بانه لم يكتف بالتسلية غير
ظاهر بما وعده له من عقابهم اي تعذيبهم بما صدر منهم وفي نسخة بالباء الجارة وفي نسخة عقوباتهم
بصيغة الجمع لتعدد العاقب وانواع العقاب وروي عقباهم اي عاقبة سوء حالهم وما يؤل اليه
وفي نسخة عقباه اي عقبى النبي عليه الصلوة والسلام في نصره عليهم والانتقام منهم ولما كان
عذابهم واهلاكهم فيه مسرة وشفاء لصدور المؤمنين كما قيل مصايب قوم عند قوم فوائد كان
وعدا له فلا وجه لما قيل انه استعمل الوعد في الشر مجازا ولانه في اصل وضعه عام وجعل الموعود هو النبي
عليه الصلوة والسلام في قوله وعده متعين والقول بانه عدى بقوله له باعتبار انه ذكر له تعبير
في وجوه الحسان قيل ما ذكره دليل على عدم رجاء اسلامهم اذ لو كان ذلك موجودا لوعد به لانه احب
اليه والاحسن ان يقول على عقاب طائفة منهم ولذا قيل ان الوعيد تعريض بابي جهل والوليد واضرابهما ورد بان
المص رحمه الله لم يقصد العموم ولو سلم فما ذكره ممنوع لانه يقال للكل كافر ان لم تنته فستبصر ومقابلة
الوعيد بقوله وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث ايات بالى ما ذكره كله اي ذكر وعيدهم
وتهديدهم والجار متعلق بتوعدا وبه وبما قبله على التنازع والثلاث منصوب بمقدر تكامر والايات بدل
منه منصوب بالكسرة لا مجرور بالاضافة لضعف نحو الثلاث الاثواب والمقدر بمعنى اقرا ونحوه ولا فرق
بينهما كما تقدم وقوله بايكم المفتون اي ايكم الذي افتتن بالجنون اسم مفعول والباء زائدة او مصدر لانه
يجيء على زنة مفعول قليلا اي بايكم الفتنة والباء بمعناها او بمعنى في ويجوز هذا اذا كان اسم مفعول ايضا
اي المفتون في اي الفريقين فريق المؤمنين ام فريق الكافرين ومن يستحق هذا الاسم والابصار بمعنى
العلم ما بعده معمولا ومستانف في اتيهما والعقاب المتقدم مفهوم من مساق التهديد وبقية الايات

ظاهران ربك هو اعلم بمن ضل اى بالجائرين على الحقيقة وهم من ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فيجازيهم
كمال العقل ثم بعد ان مدحه وسلاه توعدا اياهم عطف بعد مدحه صلى الله عليه وسلم على ذم عدوه وذكر
سوء خلقه وعد معايبه بعد منصوب على الظرفية مضاف لمدحه او مقطوع عن الاضافة مبنى على الضم
فمدحه منصوب على المفعولية لعطف وهو الثابت رواية عن المزنى قيل وفيه نظر لانه يقتضى تقدم الذم
على المدح وليس كذلك فى النظم فالاحسن ان يقرا بالاضافة وقوله عطف اى التفت او مال اليه وعلى
رواية المزنى المعنى انه ثنى مدحه فلا يقتضى تقدم الذم الا ان تعديته بعلى وجعل الذم مما ثنى به المدح تكلف
فالوجه الاول لكون المراد بالمدح قوله فلا تطع على ان المعنى انه ذم على ترك اطاعتهم وهو مدح له
صلى الله عليه وسلم وان تضمن ذمهم فالمراد عطف مدحه مع ذمهم بعيد جدا وذكر وعد مصدر
مضاف او ماض معطوف على قوله عطف وعدوه كل من عاداه لا معين كا مر والعد ويطلق على الواحد
وغيره والمعايب جمع معيبة بمعنى العيب واعلم ان العطف يتعدى بعلى بمعنى الشفقة والحنو وبعن للصرف
والصد ويقال عطفه اذا ثنيته وامله والعطف النحوى يتعدى بعلى ايضا وما فى عبارة المص عطف
لغوى لا نحوى وتجويز هنا لكونه بالفا غير صحيح لانها ليست عاطفة فارتكابه والتمحل له تعسف وسوء
خلقه مقابل لعظم خلقه متواليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم احوال من ضمير
عطف اى لم يكل ذلك لاحد ولم يجعل بينه واسطة بل فعله بنفسه اهتماما بتعظيمه ونصرته كما ذكر بكلا
النفى او اللفظى فى قوله سنسمه الخ فذكر بضع عشرة وروى بضعة عشر وفى المصباح بالكسر
فى العدد وبعض العرب تفتحه واستعماله من الثلاثة الى تسعة يستوى فيه المذكر والمونث ويستعمل ايضا
من ثلاثة عشر الى تسعة عشر لكن تثبت الها فى بضع مع المذكر وتحذف مع المونث كالنيف ولا يستعمل
فيما زاد على العشرين واجازه بعضهم فتقول بضعة عشرون رجلا وبضع عشرون امراة وكذا قال
ابو زيد وعلى هذا المعنى البضع والبضعة فى العدد قطعة مبهمة غير محدودة انتهى وفيه اختلاف
لاهل اللغة وكلام المصنف رحمه الله تعالى ليس مخالفا لما قالوه كما توهم وما هنا ثلاث عشر او اثنى
عشر او احدى عشر بنا على عد المداهنة والاستظهار بالمال والبنين منها خصلة من خصال الذم
فيه اى فى عدوه والخصلة بفتح الخا المعجمة الصفة مطلقا وغلبت فى صفات المدح اذا اطلقت
بقوله فلا تطع المكذبين فيما دعوك له من تعظيم الهتهم ونحوه وهو تهييج له صلى الله عليه وسلم
على تصميمه فى مخالفتهم الى قوله اساطير الاولين اى اباطيلهم المنقولة عنهم وهو جمع اسطار جمع
سطر وما وقع منه فى القران منقول عن النضر بن كلدة لانه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم وغيره
فكان يقول انا احدثكم باحسن مما يحدث به صلى الله عليه وسلم فنزل ومن قال سانزل مثل ما انزل الله
ثم ختم ذلك اى ما عد من المعايب اورده عقبه كالخاتمة له بالوعد الصادق لنبيه صلى الله عليه
وسلم كما روى فى نسخة بالوعيد وروى ايضا الوعيد بالنصب صفة ذلك وصدقه لعدم تخلفه
وان كان الوعيد يجوز تخلفه لكن لكونه وعدا لا يخلفه من لا يخلف الميعاد والصادق هنا بمعنى
الخالص الذى لا يشوبه غيره كما يقال صادق الحلاوة بتمام شقائه وخاتمة بوارهم متعلق بختم بشقائه
التام والبوار الهلاك وغيره فى نسخة الذى هو خاتمة امرهم اخراحواله او حاله تجرالية فسمى بقوله

ابن الحنبلي

سنمه

122

سنسمه على الخرطوم الوسم العلامة والكى والخرطوم وخراطيم كعصفور وعصافير الانف هنا
واصله يختص بالحيوان كالفيل ونحوه فاستعير للانسان لايذانه باستخفافه والتهكم به وهو
هنا كناية عن تشهيره بالقبائح فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما وقيل وسمه لتسويد وجهه يوم تبيض
الوجوه وخص الانف لانه اظهر الاعضا تذليلا للمتكبرين عن الحق الذى عنده وسم فى انفه
فعوقب بضده فكانت نصرة الله له صلى الله عليه وسلم اتم من نصرته لنفسه اى نصرته التى تولاها
بنفسه فى قوله سنسمه الخ ونصرة نفسه على اعدائه هى لله ايضا لانه صلى الله عليه وسلم كان لا ينتقم
لحق نفسه الصرف وما فعله العظيم عظيم ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده لنفسه رده بتكذيبهم
بنفسه ابلغ من رد النبى صلى الله عليه وسلم واقامة الحجة وان كان هذا ايضا ليس من تلقا نفسه
وقيل المراد لو كان له رد ونصره وهو عليه الصلوة والسلام فعل ما فعل الله ومن كان لله كان الله له
واثبت فى ديوان مجده اى اعظم واقوى ثباتا وانمى فى صحف الدهر من ان يثبته هو بنفسه فان ما امضا
الله لا نقض له والديوان بكسر الدال المهملة وقد تفتح منهم من قال انه فارسى معرب واصله دوان
جمع ديو وهو العفريت شبه به اهله وقيل انه عربى من التدوين وهو الكتابة وهو واوى خفف
بقلب احدى واويه ياء ويجمع على دواين ودياوين وهو مجتمع الصحف والكتاب للسلاطين
واول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله عنه ويطلق على نفس الدفتر والكتاب وعبارة المص
رحمه الله تعالى تحتملها وهو استعارة فاستعار للمجد اى عظمته ديوانا يثبت فيه فاذا اثبته
الله كان اتم واكثر ثباتا وهكذا هو باق الى يوم القيمة الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى فى جهته
عليه الصلوة والسلام مورد الشفقة والاكرام يعنى ما جا فى القران من الايات الدالة على اكرام
الله له والشفقة به والشفقة اسم مصدر من شفق بغيره من عطف وحنى فهو شفيق وهذا ونحوه
مما لا يوصف به الله فيجوز به عن التلطف بمن يحبه والجهة معناها الجانب والمراد بها هنا شانه
وحقه والمورد مصدر ميمى منصوب على المصدر او اسم مكان منصوب على الظرفية واصله
المحل الذى يؤخذ منه الماء فاستعير له لعموم نفعه وقيل الشفقة حرص الناصح على حال المنصوح
وقد يطلق على ما فيه دفع المضرة ونحوه والمراد بالاكرام مخصوص ولو عمم شمل ما فيه غيره من المقصود
قال تبارك وتعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمائه اى من اسماء النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وقدم للاهتمام به لمناسبته للمقام والبلغا يقدمون مثله لان البلاغة
يعتبر فيها رعاية مقتضى المقام فما يقتضيه عندهم اهم مما قاله تقدم ذاتى كما قرروه فى تقديم
الامر بالقراءة فى قوله اقرا باسم ربك فتذكره وقيل هو اسم الله تعالى هذا منقول عن ابن عباس رضى الله
عنه واستدل لما قبله بحديث لى عند ربى عشرة اسماء طه ويس الحديث كما ذكره البيهقى وقيل معناه يا رجل
وحرف النداء مقدر معه وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا وقال عكرمة انه لغة فى عكل
وعك وقيل انها لغة حبشية او عبرانية او سريانية او نبطية ومعناه يا حبيبى وقيل لعل اصله على القلب
والاختصار قلبوا ياطا واقتصروا على ها يا هذا وهو بعيد جدا وقيل يا انسان رواه البغوى عن الكلبى
وقال انه لغة عك فان صحت الروايات فهو مشترك وقيل هى حروف مقطعة لمعان الجمع لما فوق

الطول الفضل قاضي

الواحد لقوله قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي فالطا من طاهر والها من الهادي وقيل الطا طول
الغزاة والها هيئتهم وقيل طوبى والهاوية وقيل انه قسم بطوله صلى الله عليه وسلم وهدايته وقيل
معناه ايتها البدر لان الطا والها في الجمل اربعة عشر وقيل هو امر من الوطي بالقدم فابدلت الهمزة الفا
والها كناية عن الارض اي الضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة كما
ذكره اهل العربية وهذا قول ذكره القرطبي والبيضاوي وقيل انها اسم لحرف ماخوذ منها اسم الضمير
فهي كناية اصطلاحية عنه لا انه ضمير كما قيل في طا ورد البيضاوي هذا القول بانه يا باه كتابتها بصورة
الحروف رد بانه رسم المصحف غير قياسي فيه كما رسم اية المؤمنون بلا الف في الامام وقرئ طه بسكون
الها واصله فابدلت الهمزة كاياك وهياك اوهو امر والها للسكت والمفعول محذوف اي طا الارض ويحتمل
انه اراد ان الها منها وحدها ضمير كما قال له بعض النحاة اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة الاعتماد الاتكا والاستناد على الارض بقدمه او بقدميه ويقال اعتمد على
القدم وعلى الارض وظاهر هذا وما سياتي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قدم واحدة اتعابا للنفس
ليزيد اجره في عبادته فان الاجر على قدر المشقة وان لم يثبت في الشرع ان القيام على رجل واحدة من التطوعات
حتى يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما روى ابن عباس وابن مردويه عن علي رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فنزل جبريل عليه الصلاة
والسلام وقال له طا الارض بقدميك وظاهره ان وضع احدى قدميه كان راحة له صلى الله عليه وسلم
لا تعبا وصرح به البغوي ونقله عن الكلبي فالوجه ان المعنى لا تتعب حتى تحتاج الى الاستراحة برفع قدم دون
الاخرى لا ما ذكره المصنف والجمع بينهما انه لما تورمت قدماه وتروح برفع واحدة وقع في مشقة القيام
برجل واحدة لثقل الاعتماد عليها فامره بالاستراحة وترك التعب وما يوجبه كما خفف عنه قيام الليل
اقول هذا مما لا طائل تحته فانه لا شبهة في ان القيام على رجل واحدة اشق من القيام على الرجلين كما قيل اذا الحمل
الثقيل توزعته اكف القوم هان على الرقاب وان كان في القيام على واحدة راحة للمرفوعة فيصح نسبة الراحة
لكل من الامرين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى متعين من السياق على هذا التفسير فانه اذا قال له ضع قدميك
فانا لا نزيد تعبك دل على الراحة ولا منافاة بينه وبين ما رواه والتوفيق الذي ذكره تكلف فتدبر تنبيه
كون الاجر على قدر المشقة كما ورد في حديث عايشة رضي الله عنها اجرك على قدر نصبك كما في مسلم قال ابن
عبد السلام في قواعده ليس هذا على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرايط والسنن وكان
احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة كالغسل في الصيف والشتا اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل
من الاعمال مع خفته ثم اختار ان افضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشية عنها فتصدق البخيل افضل
من قيامه وانقاذ الحاكم مظلوما افضل من قيامه الليل وصيامه النافلة ونقله الزركشي في قواعده
وارتضاه ولنا عودة الى ذلك وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت فيما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يفعله من السهر والتعب وقيام الليل الضمير راجع للنهي عن اتعاب نفسه
المستفاد من النهي في الاية اي هو المراد من الاية والشقا اصل معناه التعب وقيل انه عبر ليدل على
سعادته والنفي على هذا التعب مخصوص كما يقتضيه سبب النزول وان كان العبرة بعموم اللفظ

لايخصوص

لا بخصوص السبب والمورد فلا يختص بما ذكر ولان تعبه بتاسفه على كفرهم اخبرنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد اي رواه المصنف عنه وعن كثير من العلماء غيره وهو بن عبد الرحمن بن علي بن شبر
بشين معجمة مكسورة ويا موحدة ساكنة وبعدها را مثناة من اسفل من اصحاب الباجي ثقة حافظ توفي
يوم الخميس رابع رجب سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية عن القاضي ابي الوليد الباجي بالموحدة
نسبة لباجة من بلاد العرب وباجة بموحدة وجيم بلدة بقرب اشبيلية وقيل هي باجة القيروان
ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي اصله من مدينة
بطليوس وانتقل جده لباجة التي نسب اليها هو والحافظ ابو محمد الباجي والحميدي وغيرهم ورحل
للحج وجاور بالحرم ثلاثة اعوام ولازم ابا ذر الهروي وخدمه ثم رحل لبغداد ودمشق واخذ
عن العلماء وتفقه على ابي الطيب الطبري واخذ علم الكلام عن ابي جعفر السمناني واقام بالموصل
ثم رجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وقصته في كتابة النبي صلى الله عليه وسلم بيده مشهورة
تقدمت الاشارة اليها وقال ابن سكرة انه مات بالمرية في تاسع عشر رجب سنة اربع وسبعين
واربعمائة اجازة ومن اصله نقلت الاجازة في كلام العرب قديما كما نقله اهل اللغة الاذن في الانفراد
من جاز المكان اذا تجاوزه ومن ثم تعدى بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه من باب كسى
ومعنى اجازه اذن له في الجواز ثم استعمل المطلق الاذن وخصه المحدثون بالاذن في نقل الحديث فصار
حقيقة عرفية وهذه لفظة عربية قديمة فالجائزة بمعنى العطية وقد وقع هنا فيها كلام لابن الصلاح
لا نافيه كلام بيناه في حواشيه والمراد باصله كتابه الذي ضبط فيه وجعله ملكا له لا السماع وقوله
نقلت الخ هو من كلام ابي عبد الله يعني انه لم يسمعه منه وانما نقله من كتابه الذي اجازه به وقال ابن
الحنبلي انه من كلام المصنف لا من كلام شيخه كما قيل فان نقل عن باخبرنا ياباه ولو كان قيل بدلا عن
قال لم يكن من كلام المص والاصل اصل شيخ شيخه لعود الضمير على الاقرب وانما قيد به لان
العنعنة تتبادر منها السماع وعليه المحدثون فلو لم يقيدا وهم خلاف المراد وقد يقولون اخبرنا
وحدثنا في الرواية بالاجازة والمختار خلافه الا ان يصرح بالاجازة ورواية السماع اقوى من الاجازة
وسوى بينهما الطوفي في قواعده والخلاف في ذلك في الكتب المدونة قال حدثنا ابو ذر الحافظ الهروي
العلامة عبد بدون اضافة بن احمد بن محمد بن عبد الله الانصاري المالكي بن السماك سمع
بهراة وغيرها كثيرا من المشايخ وصنف التصانيف الجليلة وروى عنه الكبار وترجمته مشهورة
توفي في شوال سنة اربع واربعمائة قال حدثنا ابو محمد الحموي هو ابو عبد الله بن احمد بن حمويه السر
خسي بفتح الحا المهملة وضم الميم المشددة ثم واو مكسورة ثم يا مشددة للنسبة الى جده حمويه
قال البرهان ورايت في بعض النسخ التي وقفت عليها من الشفا بعد الواو همزة مكسورة وفيها
نظر والذي في حواشي بن رسلان والشهني الاول لا غير وقيل اسم جده بفتح الميم المخففة فالنسبة
على هذا بالفتح والتخفيف وكسر الواو وفي ضبط النسخ اختلاف لهذا قلت لعل الهمزة المخففة
رسمت اشارة الى ابدال الواو المضموم ما قبلها همزة فانه لغة وهو نزيل هراة وتوشيح ووصل
لما ورا النهر وهو اصولي محدث ثقة توفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة في ذي الحجة ومولده

سنة ثلاث وتسعين ومائتين حدثنا ابرهيم بن خريم بخا معجمة مفتوحة مصغر وهو شاشي ترجمته
مشهورة وهو ابو اسحاق بن عثمان ومن قراه براء مهملة خطا وشاش بمعجمتين بلدة بما وراء النهر حدثنا
عبد بلا اضافة ابن حميد بحاء مهملة مصغر والذي جزم به ابن حبان فالبخاري ان اسمه عبد
الحميد الكشي بالاعجام والاهمال وهو ثقة حافظ مات سنة تسع واربعين ومائتين قال حدثنا
هاشم بن القاسم ابو النضر المعروف بقيصر مات سنة عشرة ومائة عن ابي جعفر قال التلمساني
هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو والد جعفر بن محمد الصادق ويقال له الباقر سمي
باقرا لتبحره في العلم من البقر وهو الشق والوسعة تابعي عدل ثقة وامام مشهور توفي سنة اربع
عشرة ومائة على الاصح ودفن مع ابيه وعمه بالبقيع وهو من تلاميذ الربيع ومشايخ هاشم
وفي المغني انه اختلف في اسمه فقيل عيسى بن ابي عيسى بن ماهان وقيل عيسى بن عبد الله بن ماهان
مولى بني تيم مروزي روى له الاربعة وترجمته مشهورة عن الربيع بن انس ابو حاتم البكري البصري التابعي
صدوق لكن له اوهام كما قاله ابن حجر وما في حواشي التلمساني من انه انس بن مالك رضي الله عنه
سهو وحديثه هذا مرسل لانه لم يذكر صحابيه توفي سنة مائة وتسع وثلاثين قيل والحديث المنفذ
اولى سندا ومعنى ويمكن التوفيق بينهما بحمل الصلوة فيه على صلوة الليل والقيام على رجل ورفع الاخرى
على ما كان يفعله بسبب تورم قدميه فان ثبت انه كان يفعله اختيارا منه تطوعا كما مر فلعله
نسخ لان الفقهاء لم يبيحوه بغير ضرورة وفيه نظر قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل
ورفع الاخرى فانزل الله تعالى يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى الى اخره هذا كما مر من غير
فرق فما مر لا وجه له وهذا كان قبل النهي فحكم الفقها بالكراهة كان بعد النهي فلا اشكال فيه تنبيه لم
نزل نتوقف في كيفية صلوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا حتى راينا ما نقله السيوطي في
الخصايص الكبرى انها لا ركوع فيها وان المفسرين قالوا في قوله واركعوا مع الراكعين ان مشروعية
الركوع في الصلوة خاص بهذه الامة وصلوة بني اسرائيل لا ركوع فيها فلهذا امرهم الله بالركوع
مع الراكعين في هذه الاية ويدل عليه ما اخرجه البزار والطبراني في الاوسط عن علي كرم الله وجهه
انه قال اول صلوة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا امرنا ووجه الاستدلال انه
صلى الله عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل ونحوه فتكون
الصلوات السابقة بلا ركوع قرينة الخلو وصلوة الامم السالفة عنه وكذلك الجماعة كما في شرح
المجمع انتهى اقول هذا امر مقرر الا انه لخفائه لم يعرفه كثير من الصحابة المتاخر اسلامهم لان الساجد
لا بد له من الركوع في هويه لكنه ان لم يفصله عنه بانتصاب لم يكن ركنا مستقلا وعبادة ولا خفاء
في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة البالغ في المذكورها في الاية وما يتعلق بها واكرامه صلى الله
عليه وسلم بانزال القران عليه وشفقته عليه بنهيه عما يتعبه من عبادته فما بالك بغيرها من امور
انزاه يرضى له تعبا فيها فمعاملة الله له وخطابه بهذا فيه من اللطف ما يدركه من له ذوق سليم وان جعلنا
طه من اسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل وجعلت قسما لحق الفصل بما قبله اي ان جعل لفظ طه علما
للنبي صلى الله عليه وسلم مقسما به او جعل ايضا التحقت هذه الاية المذكورة في هذا الفصل بالفصل

الذي

124

الذي قبله لاتيانه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته عنده وبما افاده من نهاية المبرة في خطابته
واعلى درجات الادب في محاورته وقد قيل عليه ان لحوقه بالفصل الذي قبله على القسمية واضح
واما اذا كان من اسمائه فلا فان تكلف وقيل انه متضمن للقسم يا باه جعله قسيما لعطفه باو انتهى
وقد علمت سقوطه مما بيناه وان كان في عبارته مسامحة والقسم له لا ينافي كونه به ايضا وما قيل
من ان فيه مسامحة تامة بالحذف والمجاز والاستخدام وان كان قسما باسمه فهو من الرابع بل الخامس
ايضا وان كان قسما بغيره فهو من الخامس لانه قسم لتحقق المكانة لكن لو كان اسما غير قسم لم يلحق
باحدهما فلا يناسب قوله او جعلت ولم يرد الالحاق بالثالث لانه لا ينبني على احد الامرين فلعل
او بمعنى الواو بل انتهى فيه ما لا يخفى ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة في المصباح النمط بفتحتين
ثوب من صوف ذو لون من الالوان ولا يكاد يقال للابيض نمط والنمط ايضا الطريق والجماعة
من الناس ثم اطلق النمط اصطلاحا على المصنف والنوع فقيل هذا من نمط هذا اي من نوعه
انتهى فالمعنى انه نوع من الاحسان واللطف ومن جملتها فكانه من جماعتها وهذا مسموع فلا يتوهم
انه استعمال غير مسموع وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط قوله تعالى فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا
لعل كما تكون لرجا المحبوب تكون للاشفاق من المكروه والمراد هنا الثاني على لسان العباد او بارادة
لازمه لاستحالته عليه تعالى وباخع من بخع نفسه من باب نفع قتلها من وجد او غيظ وبخع لي بالحق
بخوعا انقاد وبذله كما في المصباح قال البيضاوي شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم عن الايمان
بمن فارق احبته فهو متحسر على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم واذا ما توا على الكفر تقول العرب بكى
على اثر فلان اذا بكى على فراقه وهذا كما تقول لمن اهمه ما بجزئه من غير اطرح ما انت فيه وكل امرك الله
ولا تهلك والمراد بالحديث القران وهو يطلق عليه قال تعالى ومن اصدق من الله حديثا واما
اختصاصه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف الطارئ وقوله فلعلك اي لاجل عدم
ايمانهم بهذا الحديث لان الشرط قد يفيد العلية نحو ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود
ويؤيده قراءة ان لم يؤمنوا بفتح الهمزة قال القاضي وقرئ بالفتح على تقدير لانه فلا يجوز استعمال باخع
الا اذا جعل حكاية الحال ماضية يعني على هذه القراءة لان عدم الايمان على القراءة الاولى مستقبل لانه
في جزاء الشرط فباخع مستقبل عامل وعلى الثانية ماض فلذا جعل حكاية وقوله غضبا الخ فللاسف
معان ثلاثة ما نورة ثابتة في اللغة وقيل حزنا او ندما والغضب ضد الرضا والغيظ اشده او سورة
او ما اضمر في النفس وفيه كلام وفسر بالغضب ايضا وليس بمراد لئلا يتكرر ولا يصح التفسير
لعطفه باو والجزع ضد الصبر وفي عمدة الحفاظ الاسف الغضب والحزن معا ويطلق على كل
منهما بانفراده وحقيقته ثوران دم القلب لارادة الانتقام فمتى كان على من تحته انتشر
فصار غضبا او على من فوقه انقبض فصار حزنا وهي منصوبة مفعول له او حال ومثله قوله
ايضا مصدر ناض ينيض اذا رجع ومعناه عود الماء قبله لمشاركته له في معناه فلذا فسرت
بالتشبيه اي بما ورد مورد الشفقة والاكرام له مهادة لعل اذ هي للاشفاق وهو مفعول مطلق

ابن فرس

اوحال ومثله نظر للمعناه وايضا نظر للفظه فلا تكرار ولو حذف كان اولى لعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مؤمنين تقتسين يعلم مما مر والمقصود منهما منع الغم شفقة عليه قيل وانما ذكر هذه
الاية لما فيها من توقع انقيادهم ووقوع امنية صلى الله عليه وسلم فان كانت لازالته ففيها غاية
الاشفاق عليه ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين المراد بالاية
هنا اية مخصوصة وهي الملجئة هنا الى الايمان او ما فيه عذاب وعقاب والاقكم من اية نزلت
وما انقادوا لها والخضوع التذلل والانقياد وقوله فظلت معطوف على الجواب لصحة وقوع الماضي
موقعه وعبر بالماضي لتحققه بعد نزول هذه الاية والاعناق الاعضا المعروفة يعبر بها عن الروسا
كما يعبر بالراس وعلى هذا الخاضعين بجمع العقلا ظاهر وعلى الاول فلما نسب لهم ما ينسب للعقلا
من الخضوع عبر بعبارتهم كما في قوله رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
او في الاعناق مقدرا والمضاف اكتسب صفة العقلا من المضاف اليه كما يكتسب منه التذكير
والتانيث وفي الاية تسلية له صلى الله عليه وسلم تزيل غمه وهو شفقة عظيمة ففيه مناسبة
لما المصنف بصدده ومن هذا الباب الباب معروف ويطلق على القبيل والنوع اطلاقا شايعا
فيقال هذا من باب كذا اي من جنسه ونوعه وهو المراد اي من قبيل ما نحن فيه من شفقته تعالى
على رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يتوهم ان الظاهر ان يقول من هذا الفصل قوله تعالى فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة واصل
معنى الصدع صدم الاناء ونحوه فينشق فاستعير للامر المؤثر تاثيرا ظاهرا وللكلام المؤثر في النفس
وقيل الصدع الفرق بين الشيئين فكانه قيل له افرق بين الحق والباطل وكان صدع على جهة البيان
والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل ولنور القران بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا كما قال
ترى السرحان مفترشا يديه كان بياض غرته صديع وما مصدرية او موصولة والعايد محذوف
واصله بما تؤمره على حد امرتك الخير ولا يخفى ان هنا على الحذف والايصال فالظاهر ان يقدر بما يؤمر به
ولا يشكل بان شرط حذف عايد الموصول المجرور ان يجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو
ويشرب مما تشربون اي منه لان الصدع بمعنى الامر ولا يشترط المماثلة اللفظية ولا يخفى مناسبة
الاية للفصل اذ المراد لا تحزن لمخالفتك فانها حكمة سترى عاقبتها لك وعلى اعدائك واي شفقة
وتكريم احسن من هذا ولم يقل في الاية التي قبلها الى اخر السورة تصريحا بما فيه زيادة لا دلالة على التسلي
والشفقة به وما يقولونه هو الشرك والاستهزاء والمطعن في القران وهي منسوخة باية القتال
قيل كان ينبغي ان يذكر قوله انا كفيناك المستهزئين قلت ذكرها ضمنا الى قوله وايضا استغنى
عنها بالاية التي عقب هذا وهي في قوله وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية اي فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن والمستهزؤن خمسة من اشراف قريش كانوا يبالغون في ايذائه
صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله كما فصله المفسرون وهي واردة على نهج الشفقة والتسلية
والوعد بانه سيكفيكهم باهلاكهم وورد بصيغة الماضي تحقيقا له ولهذا عقبه بقوله الذين يجعلون
مع الله الها آخر فسوف يعلمون اي عاقبته في الدارين كما ذكره القاضي واقتصر في اللباب على ان عاقبة

انا كفيناك المستهزئين اي دفعنا
عنك شرهم بقمعهم واهلاكهم
الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف
يعلمون اي عاقبة امرهم ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين
اي المصلين وكان صلى الله
عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى
الصلوة واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين اي
الموت باتفاق المفسرين
ملخص على القاري
٣٢

امرهم

امرهم يوم القيمة وقوله فحاق اي احاط بهم حيث اهلكوا لا طلب الاستهزاء باطلاق السبب
على المسبب لان المحيط العذاب لا المستهزاء به او نزل بهم وبال وضع موضعه وهذه الاية في الاغا
والانبياء ويحتمل انها اية الرعد وتمامها فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي املهتهم
برهة من الزمان نخدعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقابي اياهم قال مكي تقدمت ترجمته رحمه الله
تعالى سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين من استهزائهم وعنادهم وانما تسلى
من تحبه وتشفق عليه والتسلية بان اخوانه من اولي العزم ابتلوا بمثله فصبروا وكانت النصرة
والعاقبة لهم عليهم الصلوة والسلام في الدارين والتاسي مما يثلج الصدر كما قيل ولولا كثرة
الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي وفي التاخير حكم كثيرة وان كان تعجيل الانتقام ممن ذي المسيئين
لانهم لا يتقون عاقبة امرهم فلذا قال واعلم ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله اعلم فعل
ماض فاعله ضمير الله ومفعوله ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم وتمادى اي تاخر وتطاول تفاعل
من المدى وهو الغاية ومنه مدى البصر وفي المصباح تمادى في غيه اذا لج ودام على فعله من امداه
او من ماديته اذا امهلته وقوله على ذلك حال اي كائنا ومستمرا على استهزائه قيل فيه قرينة على ارادة اية
الرعد ويحل به اي ينزل به العذاب الذي نزل بامثالهم فهو بضم الحاء وكسرها من الحلول بمعنى النزول
لانه الذي يتعدى بالباء لا من حل بمعنى وجب لانه يتعدى بعلى قال في المصباح حل العذاب يحل ويحل حلولا
هذه وحدها بالضم والكسر والثاني بالكسر فقط انتهى وفي القاموس حل المكان وبه يحل ويحل نزل
وفي الصحاح بالكسر وجب وبالضم نزل وتبعه بعض الشراح وفيه نظر يعني انها عادة الله في مثله
ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي مثل التسلية السابقة
ما في هذه الاية من تهوين ما لقيه بانه له فيه اسوة بمن تقدم من الرسل وانه سيكون له صلى الله عليه
وسلم مثل ما كان لهم من نصره وعلو قدره والانتقام من اعدائه والتسلية لئلا يحزن ويشق عليه
ويحزنه ذلك وهو غاية الشفقة به والتعبير بالاية الواقع في بعض النسخ واطلق فيه الاية واراد
جميعها الى قوله ترجع الامور فهو من اطلاق الجزء على الكل كما تقول قرات بانت سعاد اي القصيدة
كلها فالمناسبة للفصل والمماثلة في غاية الظهور ومن هذا القبيل في التسلية والشفقة الدال
على علو منزلته عند الله قوله كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون المشار
اليه بقوله كذلك الامر الذي وقع له صلى الله عليه وسلم من تكذيبه وقوله انه ساحر او مجنون
كقولهم افترى على الله كذبا ام به جنة وتمام هذه الاية اتواصوا به بل هم قوم طاغون والاستفهام
تعجبي تعجب من توارد اقوالهم وارائهم على تكذيب الرسل عليهم الصلوة والسلام مع تباين ازمانهم
والاضراب عن تواصيهم بما ذكر الى تجاوز حدهم في العناد الجامع لهم فيما ذكر وقوله ما اتى الخ كالتفسير
لما قبله كما قاله البيضاوي وقيل الوجه ان يكون الامر عبارة عما جعله المشار اليه وان يكون المشار
اليه تكذيب الذين من قبلهم رسلهم وتسميتهم كل رسول اتاهم او جاءهم وبعث اليهم كذابا او شاعرا
او مجنونا لان المقصود تشبيه فعل هؤلاء المتاخرين مع رسلهم بفعل اولئك المتقدمين مع رسلهم
واسنادهم لهم ما هم منزهون عنه لعصمة الله لهم فالمناسبة امامة عزاه الله اي حمله على الصبر كما صبر

والانه تفعيل من العزا وهو التصبر بما اخبره به عن الامم السالفة البا للتعدية اوسببية
والسالفة بمعنى المتقدمة والوصف بالمفرد المؤنث لتأويله بالجماعة وهو مقيس مطرد ومقالها بالجر
معطوف على الامم ويجوز عطفه على مجرور البا كما فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام
فى قراءة الجراى وبمقالها والاول اقرب ولا تكلف فيه كما قيل وفى نسخة مقالتها لانبيائهم قبله سيد
والقبلية تصريح بلازم ما فى الاية لان كون انبيا اولئك قبل هولاء يستلزم كونهم قبله صلى الله
عليه وسلم ومحنتهم بهم وفى نسخة محنة النبى صلى الله عليه وسلم بهولاء المكذبين له
وعلى الاولى محنة الانبياء باممهم والمحنة الابتلا والاختبار وهذه النسخة اولى وانسب بقوله
وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقى من ذلك فذلك اشارة الى ما وقع
للانبياء عليهم الصلوة والسلام مع اممهم مما يضاهى ما وقع له صلى الله عليه وسلم وبمثله
الضمير فيه راجع للمشار اليه وافرده لتأويله بما ذكر وروى بمثلهم وهو تسلية بالتاسى كما مر ومن كفار
مكة متعلق بالمحنة وضميرانه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو معطوف على ذلك وبين وجه التسلية
بقوله ليس الخ ثم طيب نفسه وابان عذره ثم للبعد اللفظى والرتبى ونحوه كما مر وابان عذره عطف على طيب
نفسه عطف تفسير لان حزنه صلى الله عليه وسلم لعدم اطاعة كفار مكة له خوفا من تقصيره
فى رتبة الرسالة والتبليغ فاظهر الله له انه معذور فى اعراضهم وعدم انقيادهم فطابت
نفسه صلى الله عليه وسلم من نسبته شئ من التقصير اليه فلا لوم ولا عتب عليه فى مثله
وفيه غاية الشفقة واللطف به صلى الله عليه وسلم وتفريج كربه وهمه بقوله تعالى فتول
عنهم ومن الاية منسوخة باية السيف وقيل بقوله وذكر اى اعرض المجادلة وما يتعبك اى اعرض عنهم
اوعن الهم والحزن المكدر لقلبك المضيق لصدرك اواعرض تارة وذكر اخرى فلا نسخ ما ذكر من ان
والنسخ بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هو ما قاله ابن الجوزى رحمه الله تعالى قيل وهو
غريب لعطف الناسخ على المنسوخ بالواو والمشركة الا ان تكون الواو للاستفتاح كما ذكره بعضهم
وعلى تفسير المص معنى ذكر دم على التذكير والموعظة فتدبر قوله فما انت بملوم اصله ملووم
فنقلت الضمة وحذفت الواو والمنع لوم مخصوص من جهة مخصوصة كما اشار اليه بقوله اى
فى اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت مبنى للمجهول مشدد الميم وما حمله امانة الرسالة وقد
اداها صلى الله عليه وسلم وبذل الجهد فلا يتوجه اليه لوم وفيه من المدح والاشفاق ما لا
ما لا يخفى اى انت لا تلام من جهة الاداء على التقصير فانك لم تقصر وانما انت مذكر ما عليك
الا البلاغ وقد فعلت وبذلت مقدورك قيل والاولى ما قال البيضاوى عن ان المراد نفى سيد
اللوم على بذل جهده فى البلاغ اذ المقصود نفى اللوم مطلقا وكلام المص موهم لنفيه مقيدا
وقيل اللوم على عدم ايمانهم فقيل له لا تهتم بهم ولا تحزن ولا يبعد ان يراد لا تلتفت لقولهم لك
لم تركت ملة الاباء لما امرنا به ونحو ذلك فانك لست بملوم عندنا وفى نفس الامر بل فى اعتقادهم
ايضا فلا تعتبر ما قالوه وذكروه وعلى هذا فلا نسخ كما مر قلت التقييد لا ضرر فيه هنا وابهام لست
ملوما فى هذا انه يلام فى غيره لا يلتفت اليه لانه على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر فيفيد عدم

اللوم

اللوم على غيره بالطريق الاولى وليس فى قوله ابلاغ ما حملت تكرار مع ما قبله لان الثانى فيه
كناية عن الاول كما توهم لان المعنى انك بلغتنا الكل واديته كما ينبغى فالاولى لحسن الادا والثانية
للشمول والتعميم او الثانية تعميم بعد تخصيص ففيه اطناب حسن كما قيل بل لان الاولى تفيد انه
ابلغ ووفى حق ما بلغه والثانية تفيد انه مامور بالتبليغ كمن ارسل برسالة وامانة فاوصلها
ومثله فى التسلية الدالة على الشفقة والمحبة قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اى دم
على الصبر فى تنفيذ ما حكم الله به ولا تحزن ولا تخف من الاعدا فانك محفوظ محروس لا يصلون
اليك ولا يدب بساحتك عقارب كيدهم او اصبر لاجل حكم الله اى لتبليغ احكامه وفى المعالم
اصبر الى ان يقع ما حكمنا به اوالى ان نحكم او ننزل حكما وفيه الايما الى قتالهم واللام بمعنى على او للتعليل
او بمعنى الى والحكم ما حكم الله به وقدر فى الازل اى لا تنزعج بالتعب فى سبيلنا ودم على الجد فانك
محفوظ معصوم من الناس والاعين جمع قلة للعين والضمير المضاف اليه لله بصيغة التعظيم
ولايهامه التعدد لا يجوز اطلاقه منا عليه بل نقتصر فيه على ما قال الله فى حقه نفسه كما نقله الدمامينى
فى شرح التسهيل والمراد بالعين الحفظ والحراسة على الاستعارة او المجاز المرسل كما يقال هو بعينى
او على عينى وبمراى ومسمع منى وجمع قيل لمناسبة المضاف اليه او لكثرة اسباب الحفظ فان رؤيته
تعالى تتعلق بكل شئ وليست مخصوصة بالنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان جمع القلة مستعمل هنا
للكثرة ولك ان تقول ان تحفظ جميع مخلوقاته قليل بالنسبة لجلاله وعظمة ذاته والى هذا اشار سيد
بقوله اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك بيان للمراد من هذه الاية وارادة الحفظ
والمجازاة بعيد ولا تلتفت لما قيل انه غير بعيد فانه مكابرة وفى الشرح الجديد دلالة ما ذكر على
الحفظ لانك اذا قلت فلان بعينى استحال حقيقة الظرفية على انه داخل العين فتعين ارادة
لازمه وهو فى حفظك بغير طريق الرؤية لانه ما استقر فى عينك كان محفوظا فوق الرؤية اذ من شرط
الروية عدم مماسة العين للمرئى فان اريد معناه الحقيقى على البا للظرفيه المجازية فالحفظ مراد
بطريق الكناية لصحة الجمع بين المعنيين فيها دون المجاز فالمراد مجرد الرؤية بغير جارحة لاستحالتها فى حقه
تعالى وذهب البيضاوى فى قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الى ان البا للملابسة والتعبير
بكثرة آلة الحس الذى به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة والحفظ والرعاية على
طريق التمثيل فلا كناية فيه اصلا على هذا ومنه يفهم وجه الجمع كما مر سلاه الله بهذا اى بمثل هذا
الكلام وما فى معناه بذكره فى اى بعد الهمزة وتخفيف اليا جمع اية او اسم جنس جمعى لها ولا حاجة لجعل
فى بمعنى مع كما قيل وان صح هنا كثيرة كقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا من هذا المعنى من بيانية والتقدير كائنة من مثل ما يدل على هذا المعنى وهو الحفظ
والوعد والتاييد والامر بالصبر للتسلية والشفقة والمعنى مفعل من عناه بمعنى قصد قال
فى المصباح تقول العامة لاى معنى فعلت والعرب لا تعرف المعنى ولا تكاد تتكلم به نعم قال
بعض العرب ما معنى هذا بكسر النون وتشديد اليا وقال ابو زيد هذا فى معناه سواء اى فى مماثلته
ومشابهته دلالة ومضمونا ومفهوما وقال الفارابى معنى الشئ ومعناته واحد ومعناه وفحواه

ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه اللفظ وفي التهذيب عن ثعلب المعنى والتفسير والتاويل
واحد وقد استعمل الناس قولهم هذا في معنى كلامه وشبهه يريدون هذا مضمونه ودلالته وهو
وهو مطابق لقول ابي زيد والفارابي واجمع النحاة واهل اللغة على عبارة تداولوها وهي قولهم هذا
وهذا في المعنى واحد سواء اي مماثلة ومشابهة انتهى ولنا فيه كلام في حواشي الرضي الفصل السابع
فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز اي العظيم الشريف او القوي ادلته ومعانيه او الذي لا نظير له
في الكتب من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحظوة رتبته
وفي بعض النسخ عليهم اي على جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام والمراد تفضيل نبينا صلى الله
عليه وسلم على جميع الانبيا كما سترى تفصيله والمنزلة والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر
والحظوة بضم الحا المهملة وكسرها وسكون الظا المشالة اي اختصاص رتبته صلى الله عليه
وسلم بالحظ الاوفر من حظي عند غيره يحظى من باب تعب حظة كعدة اذا احبوه ورفعوا منزلته
فهو حظي على فعيل وقوله على الانبيا متعلق بما قبله لتضمينه معنى العلو قوله تعالى وفي بعض النسخ
قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين يعني قوله
ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا
قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وفي بعض النسخ تلاوتها بتمامها قال ابن المنير وفي تفسير
البحر الكبير يحتمل ان يراد اخذ الله الميثاق على النبيين او على الامم المشيا الذي شرع النبيون تعظيمه
فاضيف اليهم او هو بتقدير مضاف اي ميثاق امم النبيين ويحتمل ان يراد بالنبيين مدعوا
النبوة تهكما بهم وقد كان اليهود يقولون نحن احق بالنبوة من العرب وعدلوا عن الاول مع ظهوره
لانهم لم يدركوه فهو على الفرض والتقدير وهو تكلف ولما اتيتكم يحتمل الشرطية والموصولية
واللام موطية للقسم لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وعلى الشرطية جواب القسم ساد
مسد الامرين وهو قوله لتومنن به وقرا حمزة لما بالكسر اي لاجل ايتاني اياكم بعض الكتاب والحكم
ثم لمجيء رسول موافق لكم مصدق لما معكم فكل من هذين الامرين جدير بان يكون علة وسببا في نصركم
اياه لانكم اوتيتم الحكمة ومقتضاها نصرة الحق كاينا من كان ولانه جا بما هو مظاهر لكم مصدق
لما معكم فاذا كانت ما شرطية وموصولة فمن بيانية وان كانت مصدرية فتبعيضية لانه ليس
هناك ما يبين وانما امتن عليهم ببعض الكتب لانه كان في الجملة ويجوز على قراءة الكسر والتعليل
ان تكون ما موصولة اي اوجبت على الانبيا عليهم الصلوة والسلام نصرة النبي الموعود به في
المستقبل لاجل الكتاب الذي اتيته كل احد منهم وجملة جاكم معطوفة على الصلة اقيم فيها الظاهر
مقام المضمر والتقدير لما اتيتكموه من الكتاب ثم جاكم رسول مصدق له وقرا ابن جبير لما بالتشديد
وهو يقوي المصدرية وقيل اصل لما لمن ما ادغمت النون فاجتمع ثلاث ميمات فحذف احداها
والمعنى لمن اجل ما اتيتكم من كتاب وهو قريب من قراءة حمزة بالكسر انتهى واعلم ان هذه الاية اجل
اية في حقه صلى الله عليه وسلم وقد افردها التقي السبكي برسالة سماها التعظيم والمنة في معنى
قوله لتومنن به ولتنصرنه قال فيها في هذه الاية من التنويه به صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره

العلي ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه صلى الله عليه وسلم في زمانهم يكون مرسلا اليهم
فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من ادم عليه الصلوة والسلام الى يوم القيمة وتكون
الانبيا واممهم كلهم من امته صلى الله عليه وسلم ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص
بالناس من زمانه الى يوم القيمة بل تتناول من قبلهم ايضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه
وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد وان من فسر بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى
لان علم الله تعالى محيط بجميع الاشيا ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت
ولهذا راى ادم عليه الصلوة والسلام مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا بد ان يكون ذلك معنى ثابتا في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل
لم يكن له صلى الله عليه وسلم خصوصية بانه نبي وادم بين الروح والجسد لان جميع الانبيا عليهم
الصلوة والسلام يعلم الله نبوتهم في ذلك وقبله فلا بد من خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم
لاجلها اخبر هذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك فان قلت
اريد ان افهم ذلك القدر الزايد فان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف به موجودا وانما
يكون بعد بلوغ سنه اربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل ارساله وان صح ذلك فغيره
كذلك قلت قد جا ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بقوله كنت نبيا الخ الى
روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم او الى حقيقته والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما
يعرفها خالقها ومن امده بنور الهي ثم ان تلك الحقايق يوتي الله كل حقيقة منها ما يشا في الوقت الذي
يشا فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق ادم عليه وسلم اتاها ذلك الوصف
بان يخلقها متهيئة لذلك وافاض عليها من ذلك فصار صلى الله عليه وسلم نبيا وكتب اسمه على العرش
واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملايكته عليهم الصلوة والسلام وغيرهم كرامته صلى الله عليه وسلم
عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تاخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته
بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما تاخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله
ومن جهته تاهل ذاته الشريفة بمحل لا تاخر فيه وكذلك استنباوه وايتاوه الكتاب والحكم والنبوة
وانما المتاخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وغيره صلى الله عليه وسلم من اهل الكرامة
وقد يكون اضافة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشا سبحانه وتعالى ولا شك ان كلا
يقع فالله تعالى عالم به من الازل ونحن نعلم علمه بذلك بالادلة العقلية له والشرعية ويعلم الناس
منها ما يصل اليهم عند ظهوره لعلمهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه القران في اول
ما جاه جبريل عليه الصلوة والسلام وهو فعل من افعاله سبحانه من جملة معلوماته من اثار قدرته
وارادته واختياره في محل خاص يتصف بها فيها تان مرتبتان الاولى معلومة بالبرهان والثانية
ظاهرة للعيان وبين المرتبتين وسايط من افعاله سبحانه وتعالى يحدث على حسب اختياره سبحانه
وتعالى منها ما يظهر لهم بعد ذلك ومنها يحصل لهم كمال لذلك المحل وان لم يظهر لاحد من المخلوقين
وذلك ينقسم الى كمال يقارن ذلك المحل من حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا يصل علم ذلك

الينا الا بالخبر الصادق والنبى صلى الله عليه وسلم خير الخلق فلا كمال المخلوق اعظم من كماله ولا محل
اشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق ادم لنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم من ربه سبحانه وتعالى وانه اعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم اخذ له المواثيق على الا
نبيا عليهم الصلوة والسلام ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم واخذ المواثيق
فى معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم فى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفه
هنا كان البيعة التى تؤخذ للخلفا وكانها اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم للنبى صلى الله
عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى فاذا عرفت ذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم هو نبى الانبيا
ولقد ظهر ذلك فى الاخرة يكون جميع الانبيا عليهم الصلوة والسلام تحت لوائه وفى الدنيا
كذلك ليلة الاسراء اذا صلى بهم ولو اتفق مجيئه صلى الله عليه وسلم فى زمن ادم وغيره وجب
عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته صلى الله عليه
عليه وسلم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره متوقف على اجتماعه معهم فتاخر ذلك
لامر يرجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل
وتوقفه على اهلية الفاعل فهذا لا يتوقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبى صلى الله
عليه وسلم وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد فى عصرهم لزمهم اتباعه
بلا شك ولهذا ياتى عيسى عليه الصلوة والسلام فى اخر الزمان على شريعته صلى الله عليه
وسلم وهو نبى كريم على حاله لا كما يظنه بعضهم من انه ياتى واحدا من هذه الامة نعم هو واحد
منها لما قلنا من اتباعه للنبى صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم
بالقران والسنة وكل ما فيها من امر او نهى فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبى على حاله صلى الله
عليه وسلم لم ينقص منه شئ وكذا لو بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى زمنه او زمن موسى وغيره
كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبى صلى الله عليه وسلم نبى عليهم ورسول الى
جميعهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته اعم واشمل واعظم ومتفق على شرايعهم فى الاصول
لانها لا تختلف وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص
واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل يكون شريعة النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك
الاوقات بالنسبة الى هذه الشريعة والاحكام مختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا
بان لنا معنى حديثين خفيا علينا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن
انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انهم جميع الناس اولهم واخرهم والثانى قوله صلى الله عليه
وسلم كنت نبيا الخ كنا نظن انه بالعلم فبان انه زايد على ذلك ما شرحناه وانما يفترق الحال بين ما بعد
وجوده صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم
وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط
قد يكون بحسب الفاعل المتصرف فبان ان التعلق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث
اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا

فى زويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهلا للوكالة ووكالته ثابتة وقد
يحصل توقف التصرف على وجود كفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح فى صحة الوكالة
واهلية الوكيل انتهى اقول بعد ما اقدم لك حديثا رواه ابو نعيم فى الحلية عن انس انه صلى الله
عليه وسلم قال اوحى الله الى موسى عليه الصلوة والسلام انه من لقينى وهو جاحد باحمد ادخلته
النار قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل ان اخلق
السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وامته قال الحمادون يحمدون صعودا
وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم اسود بالنهار رهبان بالليل
اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها
منها قال اجعلنى من امته ذلك النبى قال استقدمت واستاخرت ولكن ساجمع بينك وبينه
فى دار الجلال انتهى وورد بمعناه من طرق كثيرة كما فى الخصايص الكبرى واعلم ان معنى كون احد
من امة نبى من الانبيا انه مكلف باتباعه واتباع شريعته علما وعملا وهى امة دعوة وامة اجابة
ويلزم من اجابة من امة تعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه فى كل ما جاء به واعزازه ومحبته ولا يلزم
من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفا باتباع شريعته والتعبد بها الا ترى الله
اعزه وعظمه واحبه ولا يتصور فيه ذلك وكذلك الرسل والانبيا عليهم الصلوة والسلام
جميعهم معظمون له ومحبون لانهم اعرف به من غيرهم مع انهم غير مكلفين باحكام شرعه والا لم يكونوا
اصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه الا ترى الى قوله تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين بعده وما فى معناها من الايات اذا عرفت هذا فاعلم
ان ما قاله السبكى رضى الله عنه وتبجح به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه له بصيرة
نقادة واياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضى ان من تقدمه من الانبيا عليهم الصلوة والسلام
وعلما الملك السالفة غير مبالغين فى تعظيمه وتصديقه ومحبته فان هذا معنى والتعبد بشرعه
معنى اخر ومن ظنهما امرا واحدا لا يعتد به وقوله لتؤمنن به دون شرعه منادى عليه وكيف ياتى ما قاله
مع قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى صلى الله عليه وسلم ان يكون من امته
عليه الصلوة والسلام فاجابه الله بما سمعته انفا فى الحديث الصحيح فقوله انه على تقدير مجيئه
فى زمانهم يكون مرسلا اليهم الى اخره لا معنى له وقوله فى حديث كنت نبيا الخ انه فى عالم الارواح معنى
صحيح ومن فسره بالعلم فقد يقال مراده علم اظهره الله لغيره من الملائكة والارواح تشريفا له
صلى الله عليه وسلم وتعظيما وكونه اشارة الى حقيقته ان اراد به روحه رجع لما قبله وان اراد
غيره فامر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيد اعناقه وقوله فى حق عيسى عليه الصلوة والسلام
انه ياتى فى اخر الزمان على شريعته وهو نبى كريم جمع بين الضب والنون وهاهنا بحث وهو ان بين ظرف
مكان معناه مكان توسط بين شيئين اضيف لهما وقد يكون للزمان وهو فى الاصل مصدر بمعنى
الافتراق ويتجوز به عن معان اخر كما يقال بين الخوف والرجاء اى متردد بينهما يكون تارة خايفا وتارة
راجيا وبين الحلو والحامض اى مر والكلمة بين اسم وفعل وحرف اى منقسمة لها وقوله فى الحديث بين

الروح والجسد ليس بمعناه الحقيقي لاقتضائه وجود روح ادم عليه الصلوة والسلام وجسده
حتى بعث نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يصح هذا ولا شيء من المعاني السابقة فالظاهر انه
ظرف زمان اي في زمان كان بين خلق روحه وجسده فيفيد ظهور نبوته بعد خلق روحه وقبل
خلق جسده على انه نبا ه في عالم الارواح واطلع الارواح على ذلك وامرها بمعرفة نبوته صلى الله
عليه وسلم والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين اي بعد خلق عناصره غير مركبة
ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذي صحح فيكون رواية بالمعنى ان لم يثبت بهذا اللفظ
وهذا مما لم يحم احد حول حماه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واذ
متعلقة باذكروا مقدرا وحده او اذكروا يا اهل الكتاب ان اريد به جميعهم فظاهر وان اريد به
الموحدين في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم فلتنزيل ما جا اباهم بمنزلة ما جاهم او يقدر اذ جاء اباكم
والميثاق العهد واليمين وقيل انه متعلق باقررتم وان اخر والمراد بكتاب الجنس والحكم الشريعة
والاعتقادات الخفية والمراد بالنبيين مطلقهم او مع اممهم او انبيا بني اسرائيل ومن تبعيضية
او بيانية واللام موطئة او ابتدائية ثم جاءكم رسول التنوين والابهام للتعظيم لان المراد به محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل انه عام وان العهد اخذ على سائر الانبيا عليهم الصلوة والسلام ان يصدق
بعضهم بعضا ويامر باتباعه والايمان به وهو مروي عن ابن جبير كما مر مصدق لما معكم من وضع
الظاهر موضع المضمر وقيل تقديره جاكم به فالعايد محذوف وهو تكلف لتؤمنن به اي برسالته
تقدم انه جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ان كانت ما شرطية او جوابها محذوف وعلى كل
حال سواء كانت شرطية او موصولة مبتدا لا بد في الجواب والخبر من التقدير وفيه تكلف وقال
التجاني قد يستغني بعود الضمير الى ما في اثنا الجملة عن العود الى المبتداء او الشرط لارتباط بعض
الكلام ببعض قيل هو غريب جدا ولما كان المراد الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فلا بد
من التقدير اي ان ضمير به لما بتقدير المصدقة اي رسالته مصدقة اقول ما عده غريبا اشهر
من قفا نبك وهو مذكور في متن التسهيل وقال في شرحه انه مذهب الاخفش والكساي وصرح
السيد في شرح الكشاف في قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن وفي الارض
الانف ان ما في هذه الاية مبتداء بمعنى الذي والخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضمير ان عايدين
على رسول ولكن لما قال رسول مصدق لما معكم الكلام بعضه ببعض واستغني بالضمير العايد
على الرسول عن ضمير يعود على المبتداء وله نظاير في التنزيل انتهى ولتنصرنه على عدوه قال الله
لهم اقررتم للاستثبات واخذتم على ذلكم اي قبلتم على ذلك المذكور اصري عهدي وميثاقي قالوا
اقررنا قال فاشهدوا اي الملايكة على اقرارهم او بعضكم على بعض وانا معكم من الشاهدين
على ما سبق قال ابو الحسن القابسي تقدمت ترجمته في اول الفصل الثاني من هذا الباب وفي انساب
السمعاني قابس بلدة بالمغرب استخص الله تعالى استخص وخص واختص بمعنى فالسين للتاكيد
لا للطلب وقيل المعنى طلب تخصيصه وهو مجاز عن لازمه وهو الارادة وارادة الله تعالى
لا تتخلف فمعنى اراد كذا فعله وهو تكلف لا حاجة اليه بقوله اي بسبب قوله في الاية للانبيا

سيد وابن الحنبلي

عليهم

عليهم الصلوة والسلام وقد سقط هنا من بعض النسخ محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يوته
غيره موكدا للتخصيص دفعا لتوهم المجاز وارادة التخصيص الذكري اي اظهر ذلك الفضل له
او فضله ومنزه به عن غيره وهو موكد لما قبله ايضا سواء كان مستانفا ام لا والباء
للتعدية او سببية وهو اي الفصل المختص به قيل ان هذا على بعض التفاسير لما مر ان بعض المفسرين
قال انها عامة وان كل نبي اخذ عليه العهد بان يصدق من بعده وان يؤمن بعضهم ببعض وقال البغوي
والثعلبي انه عليه ككثير من المفسرين ولذا استشكل بعضهم اختصاص هذا بنبينا صلى الله عليه وسلم
ولو فسر الرسول هنا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه امر ثابت بغير هذه الاية مقرر عندهم ولجيب بان العهد
الماخوذ على الانبيا عليهم الصلوة والصلوة والسلام اجمالي من غير تعيين وهذا معين باسمه
وصفته او ان الفضل المخصوص به صلى الله عليه وسلم اخذ العهد بان يؤمنوا به ويتبعوه ان ادركوه حتى
يؤمنوا من امته والاية محمولة على هذا كما مر عن السبكي فلا اشكال قال المفسرون اي بعضهم وكون التعريف
للعهد لا قرينة عليه اخذ الله الميثاق بالوحي الى الانبيا عليهم الصلوة والسلام وحمل هذا على ما وقع في
عالم الذر خبر اخرجهم من صلب ادم عليه الصلوة والسلام واخذ العهد عليهم بالايمان به صلى الله
عليه وسلم فيكون اخذ عليهم عهدا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ايضا فالوحي مجاز عن مطلق
الاعلام او هو اعلام نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك اذا اوحاه اليه بعيد جدا والحق ان هذا
امر اخر في هذه النشاة كما يدل عليه قوله فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته
بصيغة المصدر المنصوب والماضي اي ذكر له صفته اي لم يبعثه في حال من الاحوال الا حال ذكره له
والبعث زمانه ممتد فالذكر الواقع في اوله او بعده مقارن له فالحال في زمن العامل واخذ عليه
ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به ضمير به للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لم يبعث نبيا اي ميثاق ذلك
النبي الماخوذ عليه او لله تعالى والاول اوفق باضافة الميثاق للنبيين في الاية او لمحمد اي الميثاق
الماخوذ لاجل محمد فالاضافة لادنى ملابسته وهذا الميثاق اشارة الى ان شريعته صلى الله عليه
وسلم ناسخة لجميع الشرايع فيجب على كل من ادركه اتباعه فيعلم الرسل به اممهم ويامرونهم بتبليغه
لمن بعدهم وفي الحديث لو كان موسى عليه الصلوة والسلام حيا ما وسعه الا اتباعه وسياتي
في التورية والانجيل وغيرهما من التصريح بهذا ومعنى ادركه انه عاش حتى يجي زمنه فيلقاه في الدنيا
قال الشريف هنا ما نقل عن السبكي رحمه الله من ان الانبيا عليهم الصلوة والسلام كانوا من امته
وعلى دينه في زمنهم والاختلاف بحسب الزمان والعباد مما لا دليل عليه ولا قايل به والاحتمال
المخالف للظواهر لا اعتداد به انتهى وما نقله عن السبكي غير صحيح وان كان كلامه مردودا من كل وجه
اخر كما بيناه في صدر هذا الفصل وقيل معنى هذه الاية ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه
لمن بعدهم اي اخذ الله العهد على كل شيء ان يؤمن به صلى الله عليه وسلم وينصره اذا ادرك زمنه
وفي هذا من تشريفه واعلا قدره ما لا يخفى والايمان لا بد فيه من مطابقة القول للاعتقاد فاذا تلفظ به
علانية فقد بينه فما قيل من ان حمل الايمان على مجرد البيان بعيد جدا ولعل المراد ما في بعض التفاسير
انه يصفه ويقول من ادركه منكم فليؤمن به غني عن الرد وقال التجاني ان المصنف رضي الله عنه نقض

حيلتين

والیه اشار الیه صلى الله علیه وسلم بقوله
حین رأى عمر رضي الله عنه انه نظر في صحیفه
من التوریة لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي على القاري

رد على السيد

سيد

ماقدمه عن المفسرين من اخذ الميثاق على الانبيا عليهم الصلوة والسلام بقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل
الكتاب المعاصرين لهم عليه الصلوة والسلام وتبعه بعض الشراح فقال هذا لا يصح على القول بانه
تعالى اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لا يجعل خطاب جاءكم الا لهم وانما يصح عند من قال اخذ ميثاق
معاصريه واضيف للنبيين نظرا الى انهم هم الاخذون على اممهم وانهم ياخذونه على من بعدهم الى
ان يبعث او سموا نبيين تهكما كما مر ورد بانه من تتمة القول الثاني لا الاول لتصريحهم بخلافه ومنافاته
له والمراد ان الخطاب في جاءكم واتيتكم فالمعنى انه اخذ الميثاق على الانبيا عليهم الصلوة والسلام
ان يبينوا لكم ايها المعاصرون بواسطة اصحابهم وجوب الايمان ونصره وليس المراد الخطاب في جاءكم
فقط لانه يفيد جدا ولا حاجة لتكلف ان يقال ان المعنى انه قيل للانبيا اذا جاء بعضنا بعدكم رسولا
ولما كان ذلك البعض هم المعاصرون ذكر عند حكاية القصة لهم ثم جاءكم ولم يتامل هنا من قال
من يقول ان الميثاق ماخوذ على الانبيا عليهم الصلوة والسلام لا يجعل الخطاب في قوله ثم جاءكم
الا لهم ومن يقول انه لاهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ويتناول اضافته للنبيين
بانهم الذين اخذوه عن الله فالاضافة الى الاخذ الفاعل لا الى الماخوذ عليهم وكونه في تتمة الثاني ممنوع
لان محصله انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي ان يبين محمدا صلى الله عليه وسلم لقومه ليؤمنوا به
وينصروه ويبلغوا ذلك لمن بعدهم ليكونوا كذلك فكيف يكون الخطاب للمعاصرين او لاهل الكتاب
مطلقا كما نقل عن الربيع واستدل بقراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ثم ان الطيبي رحمه الله تعالى نقل عن بعضهم الوقف على النبيين وان الله تعالى امرهم بعد ذلك
فقال قولوا للامة عني مهما اتيتكم من كتاب وحكمة ورسول لتؤمنن به فيبطل حينئذ القول بان من يقول
الميثاق ماخوذ على الانبيا عليهم الصلوة والسلام لا يجعل الخطاب الا لهم لان منهم من جعله للامم
لا لهم فيحتمل ان المص رحمه الله تعالى ماشي على هذا فالخطاب للمعاصرين واخذ الميثاق على الانبياء
عليهم الصلوة والسلام وما نقله عن المفسرين تفسير لقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقط
لجواز الوقف عليه فتامل وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وهذا رواه ابن جرير وابن
كثير باسناد صحيح والبغوي بعبارات محتملة للنقل بالمعنى وتعدد القول المروي عن علي لم يبعث الله
نبيا من ادم فمن بعده في حال من الاحوال الا في حال ان اخذ الميثاق عليه وفي لفظ العهد عليه في حق
محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث محمد وهو اي ذلك النبي حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره باخذ العهد
على قومه ليؤمنن به ولينصرنه من ادركه منهم كما قاله البغوي واشار اليه المص رحمه الله بقوله
ويأخذ العهد على قومه بذلك اي بالايمان به ونصرته وعدي اخذ بعلى والمعروف تعديته بمن في قوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اشعارا بمضرته لهم اذ فرطوا فيه او نقضوه كما ان فيه منفعتهم
اذا حفظوه والعهد الوصية والتقدم في الشيء واليمين وكل منها محتمل هنا كما قاله التلمساني ومن في
قوله من ادم لابتداء الغاية وقوله فمن بعده اي واحد بعد واحد ويأخذ قال الشمني بالنصب رواية
عن المص رحمه الله وهو كذلك في النسخ الصحيحة المصححة وجزم بانه معطوف على تؤمنن به بتقدير
نون التوكيد الخفيفة ورده السيد عيسى بانه يكون حينئذ من جزاء الشرط فيلزم كون الاخذ

سيد

من الامة

من الامة بعد بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وليس المراد الان ياخذ الانبيا في زمنهم من اممهم
انه اذا بعث وهم احيا ليؤمنن به ويؤيده ما في اللباب وتفسير البغوي عن علي رضي الله عنه
ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم وامره باخذ العهد على قومه
بان يؤمنوا به وينصروه اذا ادركوا زمانه وحينئذ فالعطف على جملة لئن بعث الخ على انها في موضع
مفرد من باب زدني فاكرمك اي لا اخذ العهد عليه في محمد صلى الله عليه وسلم بالايمان به والنصرة
بعث وهو حي وبان ياخذ فالوجه ان التقدير وامر ان ياخذ كقوله افغير الله تأمروني اعبد فيمن
نصبا اي بان اعبد على نهج علفتها تبنا وماء ويعضده ما مر من التفسير اقول ماذكره الشمني
ذكره ايضا القسطلاني في حاشيته وكذلك كونه موكدا بالنون الخفيفة على نهج قوله لا تهين
الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه وعلى هذا ففي الكلام مقدر اي وباخذ العهد على قومه
ان لم يبعث وهو حي وهذا التقدير لا بد منه على كل حال فاعرفه ونحوه عن السدي وقتادة اي
مثل ما ذكر عن علي مروي عن السدي وعن قتاده والسدي بضم السين وتشديد الدال المهملتين
هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة المحدث المشهور واختلف فيه فقيل ثقة وقيل كذاب لا يحتج
وقال الشمني انه كوفي تابعي مفسر صدوق الا انه متهم بالتشيع ووثقه ابن حبان وضعفه ابو حاتم
مات سنة سبع وعشرين ومائة نسبته الى السد موضع بالمدينة والمشهور انه منسوب
الى سده مسجد الكوفة وهي ما بقي من الطاق المسدود لبيعه المقانع فيه كما في القاموس وفي
المصباح السدة الباب وينسب اليها على لفظها فيقال سدي جماعة ومنهم الامام المشهور
اسمعيل السدي لانه كان يبيع المقانع ونحوها في سدة مسجد الكوفة وقتاده تقدمت ترجمته
وهذه الرواية عنهما اثبتها ابن جرير فاي اي هذا المذكور مروي في جملة اي جمع اية كايات تضمنت
فضله صلى الله عليه وسلم من غير وجه واحد وهذه الجملة صفة اي واي بالمد وتخفيف اليا كما قال
التلمساني هذا متصل بقوله في اول الفصل ما اخبر الله به في كتابه العزيز في الاية المذكورة مع
ايات دلت على فضله من وجوه كثيرة وقيل المعنى قال الله تعالى واذ اخذ في جملة ايات وعن السدي
فيها وفي اي اخر ولو تعلقت باول الفصل وجب تقديمه على الاية لانه من جملة الترجمة وليس ما قاله
متعينا كما ظنه قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الاية
قيل اخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل بان يعلنوا بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم بانه لا نبي بعده ففيها تفضيل له صلى الله عليه وسلم من وجوه كما سياتي
وقال التجاني ذكر الله في هذه الاية النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضا منهم تشريفا لهم وقدمه
صلى الله عليه وسلم عليهم تشريفا على تشريف والتقديم لشرف ذاتي كقوله من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين والتقدم نوح على ابراهيم عليهما الصلوة والسلام
ويجوز ان يكون تقديم نبينا صلى الله عليه وسلم للامرين لحديث كنت اول النبيين في الخلق
واخرهم في البعث وان لم تكن الواو للترتيب ولذا ورد في الحديث ابدءوا بما بدأ الله به وقد راعى هذا
الفقها في الوصايا كما فصله بعض الشراح هنا وان لم يكن محله وتمام الاية وموسى وعيسى

بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما شان او موكدا باليمين ولو كرر ليبان وصفه تعظيما
وقدم نوح فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لاقتضا المقام له لان السياق لوصف دين
الاسلام بالامالة فى الاستقامة فتدبر وقال عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
الى قوله وكيلا كذا فى النسخ وفى بعضها الى قوله شهيد يعنى قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك (فى اواخر سورة النساء)
انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وليست الاولى بخطا كما توهم لان بعد
شهيدا ايات اربع اخرها وكيلا تشتمل على ذم الكفرة ووعيدهم ونعته صلى الله عليه وسلم
بالرسالة ومجيئه من الله بالحق والامر بالايمان برسله الذين هو منهم وهو مما يدل على
فضله صلى الله عليه وسلم فيناسب ذكره هنا فالقول بانه وهم ينبغى اصلاحه او انه
قراءة شاذة او قراءة بالمعنى وهم وارتكاب امور لا تليق واعترض على المص بان هذه
الاية غير تامة الغرض فيما عقد له الفصل من تفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره الا ان
يقال قوله لكن الله يشهد بما الخ يدل على الغرض اذ لم يذكر مثل ذلك فى حق غيره صلى الله
عليه وسلم وقيل التشبيه لوحيه بالوحى الى الكل يدل فى الجملة على التفضيل على كل واحد
والجواب الاول ضعفه ظاهر وان كان الفضل فى بيان المنزلة مطلقا وما ذكر استطرادى فلا
اشكال يعنى ما وقع فى نسخ الترجمة من خطوة رتبته مطلقا من غير قوله عليهم والجواب الذى
استضعفه هو الحق لان الاستدراك بلكن يقتضى اختصاصه بشهادة الله لما اوحاه له
وانه انزله بعلمه مع ان كل ما نزل بعلمه ففيه اشارة الى ان له شانا عظيما لا يعلمه الا الله
وفى هذا من التفضيل والتشريف له صلى الله عليه وسلم على غيره ما لا يخفى وسياتى جواب
هو الحق عندى وذكر نوح دون ادم عليهما الصلوة والسلام لانه اول مشرع عند بعضهم
او لانه اول نبى عوقب قومه او اول الرسل او لعموم دعوته وعلى الثانى فيه تهديد للمشركين
وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال السيوطى فى تخريجه لم اجده فى شىء من كتب الاثر لكن
صاحب اقتباس الانوار وابن الحاج فى مدخله ذكراه فى ضمن حديث طويل وكفى بذلك سندا لمثله
فانه ليس مما يتعلق بالاحكام انه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم اولهذا الكلام
بابى انت وامى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب عنده فلما كثر الناس اتخذت لك منبرا لتسمعهم
فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابى
انت وامى لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعته طاعتك فقال تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبيا
وذكرك فى اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابى انت وامى
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها
يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان موسى
عليه الصلوة والسلام اعطاه الله حجرا تنفجر منه الانهار فما ذاك باعجب من اصابعك حين
نبع الما منها صلى الله عليه وسلم عليك بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود عليهما

من يطع الله
من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه فى الحقيقه مبلغ والامر هو الله تعالى روى انه عليه الصلوة والسلام قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم فتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف قاضى

الصلوة

131 الصلوة والسلام اعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فما ذا باعجب من البراق حين سرت عليه
الى السما السابعة ثم صليت الصبح فى ليلتك بالابطح صلى الله عليه وسلم عليك بابى انت وامى
يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام اعطاه الله احيا الموتى فما ذاك باعجب
من الشاة حين كلمتك وهى مسمومة فقالت لا تاكلنى فانى مسمومة بابى انت وامى يا رسول الله لقد
دعا نوح عليه الصلوة والسلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت
مثلها علينا لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول
الا خيرا اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بابى انت وامى يا رسول الله لقد اتبعك فى قلة سنيك وقصر
عمرك ما لم يتبع نوحا عليه الصلوة والسلام فى كثرة سنيه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن
معه الا قليل بابى انت وامى يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك لما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك لما نكحت
الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك لما واكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض
ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليه وسلم انتهى وياتى فى شرح بعض تلك الالفاظ عنه
ذكر المص له وبكى فى كلام المص مخففة ولا يجوز تشديدها كما فى المواهب اللدنية لانه يقال بكاه
وبكى عليه اذا بكى لميت ونحوه فى غيبته وابكاه وبكاه اذا حمل غيره على ان يكون بوجه ما ولو كان
هنا مشددا كان المعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم بكى وليس هنا مرادا قطعا هنا وان سلم
وروده بمعنى المخفف لقول الجوهرى بكيت الشىء مخففا ومشددا اى بكيت عليه لانه لا احتمال
على خلافه الا ترى قوله ولا يغرركم منى ابتسام ففعلى مضحك والقول منكى فلا وجه لما قيل
المراد انه بكى على النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام وذكره بعد وفاته كما نقله الرساطى
او المعنى انه بكى غيره عليه به ويحتمل انه بكى النبى صلى الله عليه وسلم فما فى المواهب خطا على خطا
انتهى فقال اى عمر رضى الله عنه والفا عاطفة لمفصل على مجمل كقوله ونادى نوح ربه فقال
رب ولا تقدير ولا تاكيد كما توهم بابى انت وامى يا رسول الله هذا ما تقوله العرب لمن تريد تكريمه
واظهار محبته اى لو ترك بك امر يقبل الفدا باحد من البشر بذلت فى فداءك ابوى فضلا عن المال
وغيره وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقولها لمن يتلطف به من اصحابه رضى الله عنهم
وهذا الكلام مما قيل بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فخطابه بانت لتنزيله منزلة
الحاضر لكونه نصب عينه متنقشا حاله فى صحيفة ذهنه وخطاب الاموات بمثله كثير غنى
عن شاهد وانت مبتداء والجار والمجرور خبر مقدم اى انت مفدى بابى وامى او اصله افديك
بابى وامى فلما حذف الفعل انفصل الضمير بصيغة المرفوع وتاخر والبا للمقابلة الدال عليها
الفدا ومنع الثانى لا وجه له لقد بلغ من فضيلتك عند الله اى فى علمه وحكمه وتقريبك منه
ومن فى من فضيلتك جوز فيها ان تكون زائدة فى الاثبات على راى فضيلتك فاعل او المعنى بعض
فضيلتك على ان من التبعيضية فاعل ميلا مع المعنى كما جوز التفتازانى ان يكون مبتداء فى قوله
ومن الناس من يقول الاية اى بلغ بعض فضيلتك هذه المراتب الحسنة فما بالك بكلها وان
بعثك الاتى مفعول على الوجهين لا فاعل ويجوز كونها بيانية مقدمة على راى من جوزه كما تقدم

سيد

سيد

ان يبعثك اخر الانبيا اى جعل بعثتك الظاهرة فى اخرهم بحسب الزمان ليختم بك النبوة وينسخ
بشريعتك سائر الشرايع ويبقى دينك الى يوم القيمة وذكرك فى اولهم بصيغة الماضى اى قدم ذكرك
على ذكرهم فى التفضيل فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الاية
على انك عنده اعظم من سائر الرسل واشرف وهذا الذى قال رضى الله عنه علم ان هذه الاية
دالة على ما عقد المصنف له الفصل وعلم مراده من ايرادها فالاشكال السابق ناش من عدم الوقوف
على ما اراده وما مر من الاجوبة بمعزل عما قصده وهذا ما وعدناك به والاولية التقدم فى الشرف
والرتبة اى ان من خص بالذكر فى الاية من اولى العزم مقدم الرتبة على غيره فهذا ولانت منهم اولهم
فلذا قال فى اولهم ولم يقل اولهم كما قال اخر الانبيا لانه لا خاتم للرسالة غيره مع التفنن البديع بابى
انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده فيما تقدم فهو بيان لهذا ان اهل النار من امة الدعوة
كلهم او بعضهم كما سيأتى يودون ان يكونوا اطاعوك وروى لو انهم يكونون اطاعوك والود فى الاصل
المودة وهو دوام المحبة ثم صارت بمعنى اليمين والذى تمنوه طاعته صلى الله عليه وسلم واتباعه
وهم بين اطباقها يعذبون جملة حالية والطباق جمع طبق وهى المنزلة والمرتبة واحدا بعد واحدا
وما تراكب بعضه على بعض ويعذبون زبانيا نما اورثهم دخولها وذكره لكشف حالهم ولو حذف تم
المعنى بدونه يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول يا للتنبيه او للندا والمنادى نفسهم كقوله
وهل تطيق وداعا ايها الرجل ولبعض المعذبين وللزبانية وهو تجريد على الاول وضمير ليتنا للقايلين
والقول لهم المنادون وحذف المنادى مبادرة للتمنى ما فات اظهارا للتحسر وانهم لشدة العذاب عاجزون
عن النطق كما قيل فى قراءة يا مال ليقض علينا ربك بالترخيم واليه اشار العلاء الموصلى رحمه الله تعالى
بقوله ما كان اغنى اهل نار جهنم اذ رخموا يا مال وسط جحيم عجزوا عن استكمال كلمة مالك فلاجل ذا نادوه
بالترخيم ثم انه قيل المراد باهل النار بعض امته صلى الله عليه وسلم او اهلها عامة على انهم تمنوا ان يكونوا
من مطيعى الله لرؤيتهم حسن حالهم فتمنوا انهم ادركوا زمانه صلى الله عليه وسلم واطاعوه وحينئذ يستفاد
فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا ويناسب الفصل ويعلم وجه ذكر المصنف رحمه الله له
والاكمل طائفة جهنمية من امة رسول تود لو كانت اطاعت رسولها فلا يكون له صلى الله عليه وسلم
حينئذ فضل على سائرهم من هذه الجهة وقال التجانى كلام عمر رضى الله تعالى عنه قاله بعد تحقيقه من ابى
بكر رضى الله عنه موت النبى صلى الله عليه وسلم ورجوعه فى ذلك الى قوله لما توفى وارتفع البكا عليه ودهش
الناس كما روى عن غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم انهم طاشت عقولهم ومنهم من خبل ومنهم من خرس
ومنهم من اقعد فكان ممن خبل عمر رضى الله عنه جعل يقول ان رجالا من المنافقين زعموا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد توفى وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه عز وجل كما ذهب موسى عليه الصلوة والسلام
وغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما رجع موسى عليه الصلوة والسلام فليقطعن ايدى رجال زعموا انه مات وان عثمان رضى الله عنه
فاخرس حتى جعل يذهب به ويجاء ولا يتكلم وقعد على كرم الله وجهه وبلغ الخبر ابى بكر رضى الله عنه وهو
بالسنح فجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد فى صدره وهو مع ذلك جلد العقل والمقال حتى دخل على رسول الله

صلى الله

ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم
واخذنا منهم ميثاقا
غليظا ليسئل
الصادقين عن
صدقهم واعد
للكافرين عذابا
اليما

واولو العزم اصحاب الشرايع اجتهدوا
فى تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها
ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم
نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل
الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح صبر
على اذاء قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه
وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح
على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر
ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر
وموسى قال له قومه انا لمدركون قال
كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على
خطيئته اربعين سنة وعيسى
لم يضع لبنة على لبنة
صلوات الله وسلامه
على نبينا وعليهم
اجمعين قاضى
فى اخر سورة
الاحقاف

صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكى ثم خرج الى الناس
وهم فى عظيم غمراتهم وشديد سكراتهم فقام فيهم بخطبته المشهورة فلما فرغ منها التفت الى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فقال يا عمر انت الذى بلغنى عنك انك تقول على باب النبى صلى الله عليه
وسلم كذا وكذا والذى نفس عمر بيده مات نبى الله اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يوم كذا وكذا قال الله تعالى فى كتابه انك ميت وانهم ميتون قال عمر فكانى والله لم اسمع
بها فى كتاب الله قبل ذلك لما نزل بنا قال اشهد ان الكتاب كما انزل وان الحديث كما حدث
وان الله تعالى حى لا يموت وعنده يحتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسقط رضى الله
عنه الى الارض وجعل يبكى ويقول فى بكائه بابى وامى الخ ما ذكره المصنف وبما ذكرناه لك علم
مناسبة ما ذكر من حال من اهل النار لهذا الفصل فسقط ما يتوهم من انه حينئذ غير مناسب
فاعرفه وقال قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبيا فى الخلق واخرهم فى البعث
هذا رواه البغوى والثعلبى مسندا عن قتادة عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم بلفظ كنت اول النبيين ورواه ابو نعيم وابن ابى حاتم بسند فيه راو سمه مجهول وقال
للغزالى اى كنت بحسب التقدير ولم يرد العلم الازلى فانه لا ترتيب فيه بل علم الكل دفعة واغا اراد
تقدير ما كان وما يكون فى اللوح المحفوظ او فى علم ملك لما فى صحيح مسلم مرفوعا ان الله عز وجل
كتب مقادير الخلق قبل السموات والارض بخمسين الفا سنة الحديث فقدم هنا المقصود بالذات
ويؤيده ما روى فى بعض الطرق كتبت بالتاء الفوقية والباء الموحدة الساكنة من الكتابة فالمعنى
كنت اول الانبيا فى تقدير الخلق واخرهم فى البعث لانه تعالى كتب مقادير الخلق كلها كما مر وقيل
ولا يجدى فى حل الاشكال على الحديث الذى ذكره المصنف ما قيل من انه تعالى لما صور طينة آدم عم
اخرج منها ذرية نبينا عم ونباءها واخذ الميثاق عليها ثم اعادها لظهره هنا فى معنى حديث كنت نبيا
وادم بين الماء والطين اى خفى قبل نفخ الروح فيه كانه خفى بين الماء والتراب الذى كانت منه طينته
ونظيره ما رواه ابو هريرة رض وادم بين الروح والجسد اى ثبتت لى النبوة وادم صورة بلا روح
كما فى شرح المصابيح وحاصل معنى الحديث الاول انه عم كان نبيا وادم عم تراب بلا ماء يعجن به
ليصير بعد ذلك طينا على مجاز الاول فان قلت ان اريد بالحديثين تعلق علمه تعالى فما فائدة ذكر الماء
والطين والروح والجسد اجيب بانه عم كلمهم على قدر عقولهم واراد ثبوتها عند الله زمانا طويلا
وجواب ثان عن الحديث الثانى وهو انه اراد انه تعالى لما خلق آدم وحكم بانه سيكون من صلبه نبى آخر
الزمان وجبت لى النبوة من ذلك الزمان لان ما حكم به علمه كائن لا محالة وهذا لا ينطبق على اشكال
الحديث الاول فالوجه ان يقال المراد بالحديثين انه تعالى لما حكم بانه سيكون نبى ليمى آدم من الماء والتراب
ومن صلبه نبى يسمى محمدا فى اخر الزمان وجبت لى النبوة وجوبا مستمرا قبل نفخ روح آدم فظهر بهذا معنى
قوله انى لخاتم النبيين وادم منجدل فى طينته الى اخر ما فصله اقول مجرد تقدمه فى الكتابة حين التقدير ام ظاهر
ليس فيه تقدم وجودى فلا يناسب ما قيل ان الله خلق روحه قبل خلق الارواح ونباءها واخذ عليها
الميثاق واعلم بذلك اهل الملاء الاعلى وذلك فى عالم الذر وهو المراد بالاحاديث السابقة وعن كعب

الاحبار ان جبريل ع م قبض من موضع قبره طينة منيرة عجنت بماء الجنة فصارت ذرة ذات شعاع فطاف
الملائكة بها حول العرش وفي السموات والارض فعرفه الخلق وفضله ونبوته قبل معرفة ادم وفي العوارف
ان ذرة المصطفى ع م هي التي اجابت لما قال لنا ائتيا طائعين ومنها دحيت الارض فهي الاصل والمراد ان نوره
ع م اول مخلوق كما ورد في الاحاديث وهذا امر اخر غير الروح وهو المنتقل في الاصلاب وقوله ولذلك
وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره من كلام قتادة تعليلا لكونه اول في الخلق وهذا اشارة للاية
وقيل بدل من مقدم او وصف مبين لكيفية التقدم وفي نسخة على نوح وقد رواه القرطبي ايضا قال السمر
قندي في هذا تفضيل نبينا ع م لتخصيصه بالذكر قبلهم هذا اشارة الى الكلام المذكور قبله اي فيه
ما يدل على تفضيله ويظهره او فيه ما يشاء من تفضيله لكل من ذكر لتخصيصه بالذكر بعد التعميم والثاني
لا يختص به تفضيل له من وجهين واما تقديم نوح على ابراهيم وان كان المشهور ان ابراهيم افضل
بعد نبينا ع م فلتقدمه بالزمان او لانه اول رسول مشرع او لما وقع له مما قاساه وصبر عليه
وهو اخرهم زمانا وبعثا وخلقا فلا يرد عيسى ع م اي قدمه والحال انه اخرهم والتقدم في الذكر
في الكلام المعجز لا بد له من نكتة وهي اما التقدم زمانه او لتقدم ذاته بحسب الشرف وقد انعدم
الاول فتعين الثاني اذ لا وجه له غيرهما لا مناسبة له بما نحن فيه وقد مر ان التقدم يجوز ان يكون
بحسب الوجود ايضا نظرا لروحه وحقيقته والحاصل انه للفضل الا ان الجهات مختلفة كذا في الشروح
الا ان قوله المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم ع م كالذر سواء كان من كلام السمرقندي
او من كلام المص يأتي ما قالوه لان المراد ان تقدمه في الذكر لتقدمه في اخذ الميثاق في عالم الذر
كما نطق به السياق والا لم يكن لذكره هنا التئام مع ما قبله والذر واحده ذرة وهي كما قاله التلمساني
النملة الصغيرة البيضاء او الحمراء او جزء من مائة واربعة وعشرين جزءا من شعيرة وقيل جزء من الف
وسبعة وعشرين جزءا منها وقيل اصغر شيء لا يعلمه الا الله وعدي اخذ بعلى لتضمنه معنى التقدير
لا التكليف كما قيل لانه لا يتعدى بعلى وقوله اذ اخرجهم اي وقت اخراجهم كلهم على هيئة ذرات
واعترض عليه بعض الشراح بان هذا الميثاق ان كان ما في قوله الست بربكم الخ فهو شامل للنبي ع م
من غير بيان لتقدمه وكذا ان كان الميثاق المأخوذ في التبليغ والايمان بالرسل السابق وقد رد بان
البغوي رح نقل تقدمه في ذلك ومثله لا يقال من قبل الرأي لنقله عن الله وقد تقدم ان الاخذ على نبينا
ع م كان قبل ذلك فلعل ذلك كان في مرة اخرى والسمرقندي لم يرد ان تقديمه الاخذ وهو كلام لا محصل له
واخذ هذه الذرات كلها سواء كان من ظهر ادم ع م بغير واسطة او بواسطة اصولهم واباءهم وتركيب
العقل والادراك فيهم ليأخذ العهد والميثاق عليهم بالايمان به وليشهد على ذلك امر نؤمن به
ونصدقه وان كنا لا نقف على حقيقته كما هي فالبحث عنه كما في الشروح لا نتيجة له فينبغي الكف عنه
كما ذهب اليه السلف وهو ثابت في القران والاحاديث الصحيحة وقوله كالذر اشارة الى الذرية
فعلية من الذر وذالها مثلثة ويكون واحدا وجمعا وقيل انها من ذرأ الله الخلق فتركت همزته للتخفيف
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية الاشارة الى جماعة سبقوا في الذكر اي معلومين
للمخاطب او لجميع الرسل ع م وما ورد من عدم الفرق والتفضيل بالنسبة لاهل النبوة او ماول

كما

133 كما سيأتي وقال التفتازاني رح اجمع المسلمون على ان افضل الرسل محمد ع م قيل ثم ادم وقيل نوح وقيل
ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ع م انتهى والراجح عندهم انه ابراهيم ع م لما ورد في الحديث انه خير البرية
وقال السيوطي اتفق اهل العلم ان الافضل بعد نبينا ابراهيم ثم موسى وعيسى ونوح ولم يذكروا مراتب
بقيتهم انتهى وفيه نظر واعلم ان القاضي بدر الدين المالكي صاحبنا قال في كتاب الابتهاج وقع للطوفي
في تفسيره المسمى بالاشارات الالهية في قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انه احتج
بهذه الاية على ان نبينا ع م افضل من جميع الانبياء ع م لانه امر بالاقتداء بجميعهم والاقتداء
بفعلهم الاتيان بمثل ما فعلوه ولا بد انه امتثل هذا الامر وحينئذ قد فعل مثل فعل جماعة كان افضل
منهم ويحكى ان هذه المسئلة في زمن المعز بن عبد السلام رح فافتى فيها بانه كان افضل من كل واحد
منهم لانه افضل من جميعهم فثار لاء جماعة من علماء عصره على تكفيره فعصمه الله تعالى منهم انتهى اقول
نحن لا نشك انه ع م افضل من كل واحد منهم ومن الجميع ايضا وما ذكره الطوفي رح ماخوذ من التفسير
الكبير الا ان في الدليل بحثا لانه لا يلزم من اتيانه بكل ما اتى به واحد منهم الا مساواته للمجموع لا
افضليته عليهم وكانه الداعي للعز بما قال بل قد يتوقف في المساواة ايضا فانك لو انعمت على اربعة
فاعطيت واحدا دينارا واخر دينارين واخر اربعة كان لصاحب الاربعة زيادة على كل واحد دون
جميع ما لغيره ولو اعطيته ستة كان مساويا لهم ولو اعطيته عشرة زاد عليهم فينبغي ان يقال انه
ع م قد ساواهم في العمل وزاد عليهم بانه اعلم منهم بالله واكثر من جميعهم خصائص ومعجزات وهذا
التفضيل في القرب وعلو المنزلة وهو اكثرهم ثوابا وامته اكثر من جميع الامم واجرهم له الى يوم القيمة
ولو كانت للناس مساكن بعضها فوق بعض كان الذي فوق الاخيرا على من الجميع وفي الاية الاتية
ايماء لهذا حيث ابهم وعبر برفع الدرجات دون ان يسميه ويقول انه اعظم او افضل فاعرفه ثم
اعلم ان قوله في تتمة الاية منهم من كلم الله فيه وجهان احدهما انه النبي ع م ليلة المعراج ومنهم من قال
ان المراد موسى ع م والمناسب هنا الاول وان كان الاشهر الثاني قال اهل التفسير اراد بقوله
ورفع بعضهم درجات محمدا ع م اي على سائر الانبياء ع م فالمراد بالبعض محمد ع م فابهمه
للتعظيم ولانه لا يلتبس كما قيل واقول بعض الناس عنك كناية خوف الوشاة وانت كل الناس
وقيل المراد بالبعض اولي العزم وقيل غير ذلك ولما ابهم اولا في التفضيل فقال منهم من كلم الله
ومنهم من رفعه درجات ومنهم من اتاه المعجزات غير الاسلوب في القسم الثاني بذكر بعضهم دون
منهم وذكر رفيع الدرجات الكثيرة كما يفيده التنكير اشارة الى مباينة هذا القسم لغيره ونظيره
قول الحماسي ومن الرجال اسنة مذروبة ومن يدون شهودهم كالغائب منهم ليوث ما ترام وبعضهم
مما قمشت وضم حبل الحاطب لانه صلى الله عليه وسلم بعث الى الاحمر والاسود اي جميع
الناس العرب والعجم او العرب وغيرهم او الانس والجن واشهد الاقوال الثاني والمراد بالاحمر
الابيض مطلقا فان العرب تقول في المرأة الحمراء بمعنى بيضاء والبياض عندهم في صفة الناس
النقاء من العيوب فاذا ارادوا اللون قالوا احمر وهذا قول ثعلب من ائمة اللغة ورده في النهاية
باستعمال الابيض في صفات الناس كثيرا كقول امرئ القيس   مهفهفة بيضاء غير مفاضة

وجاء في الحلية الشريفة كما سيأتي ابيض اللون مشربا بالحمرة وعن انس رض ابيض كانما صيغ
من فضة ولا منافاة بينهما لان الاول في بنت وجهه ع م وقول انس في وصف جسده الشريف
وعن البكري مثل ما قال العلب وعن جرير الاخطل اوصفنا للحزو الحمراو اي النساء الحسنات
ولا منافاة بين القولين ايضا لان العرب اذا مدحت الناس بالبياض مطلقا تعني بياضها
مشربا بالحمرة لان البياض الخالص كبياض الحبر غير ممدوح في الناس لقربه من البرص والممدوح
منه ما خالطه حمرة من الدم او صفرة خفيفة واليه الاشارة بقوله تعالى كانهن بيض مكنون
ولذا شبه بالدر وهذا كله باعتبار الاغلب وما ورد في المثل الحسن احمر محمول على هذا
او على انه يرتكب له المشاق والشدائد التي تحمل على اراقة الدم هذا هو التحقيق والعرب
تقلب على الوانهم السمرة والادمة فلهذا عبر عنهم بالاسود واحلت له الغنائم جمع
غنيمة من الغنم وهو الكسب والربح ويقابله الغرم وهي ما يؤخذ من مال الكفار قهرا ولم تكن الغنيمة تحل
للامم السالفة كما لهذه الامة لان منهم من لم يؤمن بالجهاد ومنهم من امر به ووضع الغنائم فنزل
النار من السماء فتحرق ما يقبل وكانت الامم لا تنصرف في مال الغنائم مما لم تاكله لانفسها وهذا
هو الذي عد من خصائص نبينا ع م رامتا وبهذا يجاب عما ورد في بعض الاحاديث الدال على انه كانت
لهم غنائم وظهرت على يديه المعجزات اي اظهر الله له ع م معجزات لم يكن لغيره من الانبياء ع م فما
من معجزة لنبي الا وله ع م مثلها واعظم مع زيادة معجزات باهرة لا يقاربها شيء من المعجزات كانشقاق
القمر ولو لم يكن الا القرآن الذي لا يشبهه معجزة اذ فيه ما لا يحصى لكفاه فمبلغ العلم فيه انه لبشر وانه
خير خلق الله كلهم ولم يقل ظهر له المعجزات واتى بالبدين اشارة لعظمها وكثرتها لانه كان يظهرها
فتكلتا يديه ظهورا محسوسا مشاهدا مكشوفا لا اخفاء فيه حتى نطق بها الحيوانات العجم والجمادات
وبهذا ظهر نظمها في سلك الخواص وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة قيل المراد بالفضيلة
ما في ذاته العلية والكرامة ما اكرمه الله بها مما يشمل المعجزات وغيرها او الاول ما فضل به على غيره
والثاني اعم وهما وان اتحد معنى متغايران مفهوما او الاول ما اقترن بدعوى الرسالة ما لم يقترن
بها والظاهر من العطف بأو ان يفسر بما يقتضي تغايرهما كما لا يخفى الا وقد اعطي محمد ع م مثلها اي ما هو
من جنسها ونوعها ومما هو مشابه لها بحسب الظاهر وان كان اعظم منها في الحقيقة كانشقاق القمر له
المقابل لانقلاب البحر لموسى ع م كما قلت شهد البدر انه زاد حنا عن جميع البدو وان تم خلقا لم اراى
الشهادة ترضيا ان تتثبت فشق في الحال شقا وفي مثل هذه الجملة التي بعد الا خلاف فذهب الزمخشري
الى انها صفة والواو زائدة للالصاق اي لا فضيلة ذات من الصفات الا هذه الصفة وغيره الى انها
حال اي ليس لها حال من الاحوال الا هذه الحال والتقدير سديدا اعطاؤه مثلها او مقدرا ليقارن
الحال صاحبها وفيه ان المراد اعطاء المثل لا تقديره وارادته مع انه لا يتاتى في نحو لا يرى رؤيا الا جاءت
مثل فلق الصبح وقيل يجوز الاكتفاء بالمقارنة الادعائية بجعل ما لم يتحقق كالمحقق والمعنى ان الله اعطاه
ذلك في زمن اعطاء الانبياء وقد ذهب المفسرون في قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
ان تتبعها حال وبين النفختين اربعون سنة لاعتبار مدة الخراب الى آخر الزمان زمنا واحدا ممتدا ويكون

اعتباره

اعتباره هنا بلا تكلف وقول الرضي المقارنة في الحال اغلبية كما في خرج الامير صائدا بجعل المعزوم
عليه كالواقع يأباه قول النحاة ان الحال هيئة للمعمول حين تعلق العامل به بلا استثناء يقتضي
ان المقارنة لازمة الا انها قد يترك ظاهرها فيجب التأويل ولا يخفى ما فيه من الاضطراب وقوله
مثلها يفيد تفضيله ع م بمثل انشقاق القمر وغيره او جعل كراماتا امته له ع م وقال بعضهم تقدم
الكلام عليه واعاده هنا اشارة الى انه من الفضلين باعتبارين ومن فضله ع م معطوف على مقدر
كالعطف التلقيني اي من فضله ما ذكروا ان الله خاطب الانبياء ع م باسمائهم وخاطبه بالنبوة
والرسالة في كتابه اي القرآن الكريم فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وقدمه باعتبار الاغلب
تعليما للامة ولذا نهاهم ان ينادوه ع م باسمه فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا وهذا مخصوص بحياته ع م كما تقدم وحكى السمرقندي تقدم الكلام عليه
عن الكلبي محمد المفسر او هشام ابنه وقد تقدم ايضا في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم
ان الهاء عائدة على محمد ع م وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه فكانه مذكور
كما في قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس المر والشيعة الاتباع والمعروف
في كلام العرب اطلاقه على المتأخر زمانا وقد يطلق على المتقدم كما في قول الكميت وما لي
الا آل احمد شيعة وما لي الا مشعب الحق مشعب لان من كنت على منهاجه ودينه فهو على منهاجك
ودينك ايضا واذا اضيفت الشيعة للمتقدم اقتضت تفضيله لان المتبوع بحسب
الظاهر المتبادر افضل من التابع فاذا اضيفت للمتأخر اقتضت تفضيله بالطريق الاولى
لان العدول عن المعروف لا بد له وليست الا التفضيل الا ترى ان ابا نواس لما قال من كنته
كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره ستعوا عليه كما سياتي لا فهمانه تفضيل ممدوحه
ولا فرق بين من نفره ومن شيعته فان قلت هذا يقتضي تفضيل نوح على ابراهيم ع م على القول
بان الضمير راجع اليه مع ان ابراهيم افضل منه كما تقدم قلت قد عرفت انه انما يفيد التفضيل اذا
اضيف للمتأخر ونوح ع م متقدم وهو ادم الثاني واول الرسل والشرائع متفقة في الاصول
فجعل من كان على نهجه من ذريته شيعة له لا يدل على ما ذكر مع ان المفضول قد يفضل من جهة
على الافضل ويحتمل ان ابراهيم ع م جعل من شيعة له لا يدل على ما ذكر مع ان المفضول قد يفضل
من جهة على الافضل ويحتمل ان ابراهيم ع م جعل من شيعة نبينا ع م لما امر من تقدم خلقه ونبوته
عليهم وعلى كل حال فالاية دالة على تفضيل بالتفضيل على الافضل على الجميع وهو المقصود فلذا
قدم هذا القول اي على دينه ومنهاجه اي طريقه الواضح من نهج الامر اذا وضح والمشايعة المتابعة
والموافقة فالمراد الموافقة فيما ذكر واختاره الفراء وحكاه عنه مكي رح وقد تقدم الكلام عليهما
وترجمتهما واشار بهذا الى انه قول صحيح منقول عن المفسرين لان منهم من ضعفه وادعى انه بعيد
وان ما اخره ومرضه بقوله وقيل المراد نوح ع م هو القوي الصحيح وفي نسخة مكان اختاره اجازه
بالجيم والزاي المعجمة على انه مجرد احتمال لما بين نبينا والخليل ع م كما سمعته انفا والمراد بكونه
من شيعته انه من نسله وعلى منهاجه في الدين والتوحيد ومشابهته له لان نوحا ع م ابو الناس

وابراهيم عم ابوا الانبياء ءم والعرب والى هذا ذهب اكثر المفسرين لظهوره لتقدم ذكر نوح ءم
ولذا قيل اذ قيل هنا اريد بها مجرد النقل لا التمريض وانه عادته في هذا الكتاب الفصل الثامن في اعلام الله
عز وجل خلقه بصلاته عليه وولايته له اى بنصره وتاييده لا بمعنى توليته والواو يجوز فيها الفتح والكسر
فمن اقتصر على الثانى فقد قصر قال في المصباح وليت الامر اليه بكسرتين والاية بالكسر تولية والولاية
بالكسر والفتح النصرة انتهى ورفعه العذاب بسببه ءم روى دفعه بالرفعة بالواو والدال والنقد
الفرق بينهما ان الرفع للنزول والدفع قبله ولذا قالوا الدفع اسهل من الرفع قيل وهنا هو المناسب
لقوله ودريئة العذاب كما سيأتى والرفع يجئ بمعنى الدفع كما في رفع القلم عن الصبى وكذا الدفع
يجئ بمعنى والاول هو الاصل المتبادر ثم ان المصنف رح اختار اللف على عكس النشر لانه الاكثر
الكثير في كلامهم كما صرح به النحاة وان جعل اهل المعانى كلا منهما من فنون البلاغة وتسميته
هنا مشوشا يقتضى مرجوحيته عندهم قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قيل هذا
يدل على عدم التعذيب وقوله وما لهم الا يعذبهم الله على التعذيب فقيل الثانية ناسخة بناء
على جواز نسخ الخبر وخلف الوعد او كل منهما مقيد بوقت واليه اشار بقوله اى ما كنت بمكة اى نفى
تعذيبهم مدة كونك مقيما بمكة معهم او المثبت مطلق التعذيب والمنفى عذاب الاستيصال كما قاله
الزمخشرى فلما خرج النبى ءم من مكة وبقى فيها من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
هذا التاويل منقول عن ابن عباس رض وغيره من السلف كما في تفسير ابن الجوزى قالوا كان ءم بمكة
فانزل الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فلما خرج للمدينة وبقى المستضعفون من المسلمين بمكة
يستغفرون انزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فلما اخرجوا انزل الله وما لهم الا يعذبهم الله
الى اخره فاندفع التدافع بين الاية الاولى والثانية على قول من جعل مفادها انتفاء التعذيب لوجود
الاستغفار وبين الثالثة اذ المراد انهم يعذبون بعد خروج النبى ءم ومن بقى من المسلمين بعد ان كانوا
لا يعذبون وهو فيهم او هم يستغفرون ومنهم من قال بنسخها للاولى وفيه ما تقدم ومقتضاه
عود الضمير معذبهم للكفار مكة وعود ضمير هم للنبى ءم لفهمهم من السياق وان لم يتقدم لهم
ذكر او عود كلاهما الى الفريقين على انهم وصفوا بصفة بعضهم كبنى فلان قتلوا قتيلا والقاتل
واحد منهم واما عود كلاهما الى المؤمنين فقال الخواسند المص رح صيانة الحديث الايق
وان قال النحاس انه غريب لانه يدور سنده على اسماعيل بن مهاجر وهو ضعيف عند المحدثين
وقول التلمسانى انه ابو البشر الاسدى قيل انه وهم وقيل نفاد الاية الثانية نفى الاستغفار
عن كفار مكة وانها ليست كالاولى في انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار كانتفائه بوجود
النبى ءم فيهم لان استحقاق العذاب يدل على عدمه اذا لو استغفروا وما استحقوه وفى حواشى
الفاضل اليمنى انه نوع من الكناية نظير وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
فان الاهلاك دليل على افسادهم اذ لو اصلحوا ما اهلكهم انتهى وفى تفسير ابن الجوزى معنى
الاية على قول لو استغفروا لما عذبهم ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب كما تقول
لا اهينك وانت تكرمنى اى ما كنت لاهينك لو اكرمتنى فاما اذ لست تكرمنى فانت مستحق لاهانتى

وهو

135

وهو مختار اهل اللغة وتغير الاسلوب تفننا للاشعار بان عدم عذاب المستغفر امر مستمر وقيل
معذبهم وارد على الاصل وعبر بالفعل اولا لشبها دخول اللام على خبر كان لتاكيد النفى وافادة
المبالغة في نفى التعذيب بسببه وبالاستغفار فظهر الفرق بين مقامه ومقامهم حين
لو قيل معذبهم فيهما لم يظهر وهذا رأى الكوفيين من ان اللام في مثله زائدة لتاكيد النفى وعند
البصريين انها جارة متعلقة بخبر كان المقدر وما كان زيد ليفعل اى قاصدا لان يفعل وعلى
هذا يفيد المبالغة ايضا لان نفى القصد ابلغ من نفى الفعل ولذا قالوا في قوله يا عاذلى لا
لا تدرن ملامتى انه ابلغ من لا تلمنى فان قلت ان كان المراد المنفى فقد انتفى ببعثته ءم فلا وجه
لتقييده وان كانت المثبت غير فلا حاجة لتقييده بالخروج قلت اجيب بان المنفى استيصال
كل كافر والمقيد من هو فيهم او منفى مطلقا ومقيدا والتقييد في المثبت لبيان الواقع ونزول
الاية فيه وخصوص لورود لا ينافى عموم الحكم وهذه اجوبة متكلفة باردة والحق عندى انه
لا منافاة بين الايتين لان قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله معناه اى شئ لهم استحقوا به عدم
العذاب في انفسهم فان حل بهم فباستحقاقهم والا فبحكمة منه وليس فيه انه نزل بهم عذاب
حين يتكلف لدفعه فان قلنا المنفى الاستيصال فالغيه مبين لسببه وهو وجوده ءم بين
ظهرهم واستغفار مؤمنى امته وهذا امر غير منقطع ان ليس المراد استغفار المستضعفين
فقط والمثبت غير الاستيصال وله انواع كثيرة كالقحط والقتل والاسر الواقع بعد خروجه
ءم نوع غير ما كان قبله والتقييد في محله كما لا يخفى ومعنى قوله وهم يستغفرون اى وفيه مؤمن
اى وفى اصلابهم من يؤمن ويستغفر وهذا كله بسبب النبى ءم نفيه من مدحه والتنويه بشان
الاستغفار ما لا يخفى وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية هذا اشارة الى ما ذكر من رفع العذاب
عن اهل مكة بسببه ءم ولسبب اصحابه وما الاصحاب انما هو ببركته ايضا ولاجل عين الف عين
تكرم واما لهم ما ذكر في هذه الاية ايضا وهو قوله في سورة الفتح لولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لم تعلموهم ان تطاؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ومعنى تزيلوا تميزوا وتفرقوا اى تميز المؤمنون من الكفار وخرجوا
من بينهم وروى المقراطى عن النبى ءم ان معناه لو تزيل المؤمنون عن اصلاب الكفار واستشكل
بان الوصف بالوطئ والمعرة لا يصح في الذين في الاصلاب واجيب بان يجعل مرجع الضمير الموجود
على الاستخدام اى لولا انتفى الامر ان عذبوا اى لولا كراهة ان توقفوا رجال ونساء معلومين القتل
ووطئ الخيل فتلحقكم معرة اى عيب وغرامة بحيث تهم او من المشركين بقولهم انكم قتلتم اهل دينكم لعذب
اهل مكة عذابا اليما بالقتل وان تطئوهم بدل من المرفوع بتقدير كراهة ان وغلب الرجال على النساء
في الصبر وجواب لولا محذوف لدلالة جواب لو عليه ومسده مسده لاتحاد معناهما والاوبعية
الكلام على الاية مفصل في كتب التفسير وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
الاية هذا مع ما قبله كلام واحد وهذا مقدم في التلاوة وانما اخره المص رح وافرد ما تقدم
عنه مع انه من تتمة التنبيه على الاستشهاد لما قاله بموضعين من هذه الاية وان قوله تعالى

لو تزيلوا ليس تأكيدا لما قبله ولعذبنا جواب الاول كما جوزه بعضهم فلا استشهاد فيه اشار لعكس
الترتيب الى رده بابلغ وجه والحاصل ان المعنى ان بين الكفار جماعة مسلمين لم يعرفوهم لولا كراهة ان توقعوا
بهم من علم فيصيبكم ما تكرهون من الغرم والدية لعذبنا الذين كفروا بتسليطكم عليهم وعن الضحاك لولا
جماعة في الاصلاب والارحام يكره ان تطؤا اباهم وامها تهم فتلحقكم المعرة بانهم لو لم يقتلوا جاءت
امة مسلمة منهم كما مر ولولا من علم الله انه سيؤمن منهم وبالجملة فالمراد ان وجود المؤمنين مانع
وان اختلفت جهة المنع فلما هاجر المؤمنون من مكة ولم يبق احد منهم مختلطا بالكفار نزلت اية وما لهم
ان لا يعذبهم الله الاية هو مع ما قبله كلام واحد وهذا مقدم في التلاوة وانما اخره المصرح واورد
مما تقدم عنه مع انه من تتمة التنبيه فيوقع بهم القهر والقتل وهو اعتذار عن الرجوع من الحديبية
وهذا من ابين اى من اظهر شئ في رفعة قدره عم عند ربه كما اشار اليه ما يظهر مكانته عم وقوله
ودرئه العذاب بدال مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة تليها همزة مقصورة وضميره للنبي عم
كما في اكثر النسخ المصححة وفي بعضها دراته بتاء مصدر بزنة الضربة وهي بمعنى ما قبلها ايضا وفي
بعضها درابه فعل ماض بعده جار ومجرور متعلق به وفي شرح الشريفة انه في غالب النسخ معطوف
ومعناه يظهر بتكلف وحال وفي بعض النسخ بالعذاب وهو من غلط الكتاب لغدا بلا باء وفي حواشي
التلمساني دراية وقال وهكذا في نسخة الشارح اسم بكسر الدال المهملة وسكون الراء وتاء اى دفعه
ومنه قوله تعالى ويدرؤا عنها العذاب اى يدفع قال ودراته معطوف على قوله من ابين ما ظهر مكانته
ووقع لخط العزفي وهو الذي عند ابن سيدي الحسن ودراته فعل ماض انتهى وعلى الاول
وهي الاصح هو منصوب على مكانته عن اهل مكة لسبب كونه اى وجوده عم فيها ثم كون اصحابه
بعده بين اظهرهم ثم اشارة الى مكثهم مدة متطاولة باعتبار اخر المدة او هي للتراخي الرتبي
واما جعلها للتعقيب بلا مهلة فغير ظاهر وهي اظهرهم بمعنى الاقامة معهم يقال هو نازل
بين ظهرانيهم بفتح النون قال ابن فارس ولا تكسر وقال جماعة الالف والنون زائدتان
للتاكيد وبين ظهرهم واظهرهم كلها بمعنى بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد اليهم وكان
المعنى ان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فكانه مكنوف من جانبيه هذا اصله ثم كثر حتى استعمل
في مطلق الاقامة هذا ما عليه اهل اللغة كما في المصباح والنهاية فتفسيره بالعزة او بعدم الغيبة
والظهور لان الظهر من البطن غير مناسب للغة وحال المستضعفين فلما خلت مكة منهم
اى من الصحابة رضي الله عنهم عذبهم الله اى كفار مكة بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وليس فيه
تفكيك الضمائر لظهور المعنى وليس الظاهر ان يقول بغلبتهم بدل غلبتهم كما توهم ومثله مما لا
يلتفت اليه وحكم فيهم سيوفهم حكم بتشديد الكاف اى جعله حاكمة على رقابهم وهي استعارة
لطيفة اى جعلهم في قهرهم متمكنين من قتلهم والتصرف فيهم ولذا كان الانسب التعبير بالغلبة
قبله واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم ان فسرت الارض بما لا بناء فيه مما يعد للزراعة ونحوها
والديار بالمساكن المبنية والاموال بما عدا ذلك من المتاع والانعام والنقود وسائر المنقولات
فهن متغايرة والعطف ظاهر وليس فيها عطف عام على خاص كما قيل بان يحمل الاموال على مطلق

ما علك والتعبير عن الحيازة والتملك مجاز مشهور صار حقيقة فيما ذكر والتعبير به هنا فيه لطف
لما بينهم من القرابة في كلامه ما يرشد الى ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه ابو حنيفة رح والجمهور
كما جزم به البرهان الحلبي وتبعه بعض الشراح وما قيل من انه لا ينافي كونها فتحت صلحا كما توهم لا وجه
له وفيها قول ثالث ان بعضها فتح صلحا وبعضها عنوة ثم ان البرهان رح استطرد هنا ذكر خبر مكة
عنوة عند امامنا الاعظم كما مر وفي الاية تأويل اخر تعريفا لاية للعهد والمراد بها وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون والتاويل السابق محصله ان الله لا يعذب
الكفار وانت فيهم ولا يعذبهم ايضا وبقية الصحابة رض فيهم يستغفرون الله فضمائر الغيبة
للكفار ولا ضميرهم وضمير يستغفرون ولذا ذهب بعض الشراح الى ان المراد بالتاويل الاخر جعل
الضميرين الاخيرين للكفار والجملة حالية اى ما كان الله معذب الكفار لو تابوا واستغفروا من كفرهم
واختاره الطبري وهو اشارة الى ما سبق في علم الله من ان منهم ومن ذريتهم من يسلم اى ما كان الله
معذبهم ومنهم من يستخرج فيؤمن ويستغفر واختاره الزجاج او هو اشارة الى قولهم في دعائهم
غفرانك اللهم فجعله ايمانا لهم واختاره ابن عطية وقوله ايضا اشارة الى التاويل السابق
او الى غيرها من الايات المأولة ولا مسامحة فيه كما قيل ومنها تأويلات كما مر من ان المنفي الاستيصال
في الدنيا والمثبت عذاب الاخرة او الاوليان من مقالة الكفرة والثالثة رد لها وقيل ان المصنف
اشار الى ما يفهم من الحديث من ان حياته عم واستغفار المؤمنين مطلقا رافع للعذاب والمؤمن
لا يعذب ما دام مستغفرا فضمير الغائبين للمؤمنين اى ما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب
من عذاب من قبلهم وانت حي وهم يستغفرون او الاية على تاويلها الاول ولكن اذا لم
يعذب الكفار بهذين السببين فالمؤمنون بطريق الاولى ففيها امان للفريقين والامة في الحديث
الاتي المراد بها امة الدعوة وان كان في بعض التاويلات امة الاجابة حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي بن سكرة الحافظ وقد تقدمت ترجمته بقراءتي عليه اى لا بالسماع وغيره من وجوه
الرواية قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم الكلام عليه ايضا وابو الحسين الصيرفي
قال البرهان كان في الاصل ابو الحسن فصحح في الطرة الحسين بالتصغير وهو الصواب وهو
المبارك ابن عبد الجبار كما تقدم وقد وقع له ذكر ايضا في اول فصل تفضيله عم في القيامة
وكتبه ابو الحسن ايضا ولم ينبه عليه احد فكتب تجاهه مامر قالا حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة
هو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر وقد تقدم الكلام عليه وان الحرة بضم الحاء المهملة
وتشديد الراء والهاء قال حدثنا ابو علي السنجي الحسن بن محمد وقد تقدم الكلام عليه وضبط
السنجي بكسر السين المهملة والنون الساكنة والجيم وياء النسبة قال حدثنا ابن محبوب المروزي
تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه راوي جامع الترمذي عنه قال حدثنا ابو عيسى الحافظ
هو الامام الترمذي صاحب السنن وقد تقدم الكلام عليه قال حدثنا سفيان بن وكيع ابو محمد بن
الجراح الكوفي وله ترجمة في الميزان وهو ممن ضعفه الذهبي توفي سنة اربع واربعين ومائتين وروى
عنه في السنن قال حدثنا ابن نمير بالنون والميم واخره راء مهملة بصيغة التصغير وهو محمد

ابو عبد الرحمن بن عبد الله ابن غير المحدث الهمداني الكوفي توفي سنه اربع وتسعين ومائة وقيل
سنه اربع وثلثين ومائتين وهو الاصح عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر وابن مهاجر سقط من بعض
النسخ وعلى من اتبع التابعين وقال التلمساني انه ابو بشر الاسدي قيل انه وهم وفي التقريب
انه ابن ابراهيم بن مقيم وهو ثقة وابن مهاجر ضعيف عن عباد بن يوسف بفتح العين المهملة
وتشديد الموحدة وهو كندي حمصي وقيل اسمه عباده والذي صححه المزي وابن حجر الاول وهو
ثقة مقبول الرواية عن ابي برده عامر بن عبد الله وبرده بضم الموحدة وهو ثقة توفي سنة اربع
ومائة على قوله عن ابيه ابي موسى الاشعري الصحابي المشهور واسمه عامر بن عبد الله بن قيس
وقيل الحارث احد الحكمين توفي بمكة او الكوفة سنة اربع واربعين او اثنين وخمسين ومائة
ونسبته الى اشعر لقبا لابي القبيلة المعروفة باليمن لقب به لانه ولد وعليه شعر وهذا الحديث
اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة رض موقوفا بمعناه وهو حديث غريب ضعيف
وفيه نظر قال رسول الله ءم انزل الله تعالى علي اي اوحى الي بقران يدل على امانين لامتي اي
بشيئين فيهما ما يدل على ان الله امن امتي من العذاب بهما وهما قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قد تقدم ان الايتين في المؤمنين او الكفار وفيهما
وكذا هذا الحديث يحتمل لذلك لان المراد امة الدعوة والاجابة على ما مر فما قيل ان مقتضى الحديث
شموله الاية للمؤمنين وظاهر النص وكلام المفسرين ان الايتين في الكفار الا ان يجمع بينهما بان
حال المؤمنين يعلم بدلالة النص والطريق الاولى وانه ءم علم منهما عموم الحكم وقيل الحديث
على الكفرة بعيد جدا وعلى ظاهر الحديث يجوز عود الضمير في الاية على الامة لكونه فيهم
مدة حياته ءم سواء كانوا مؤمنين او كافرين فيعم الحكم بنوع تكلف كلام مضطرب متكلف
فاذا مضيت اي ارتحلت للاخرة تركت فيكم وفي رواية منهم اي خلفت بعدي بضم تاء المتكلم
الاستغفار اي اذا مت بقي فيكم الامان الاخر فاذا تركتموه حل بكم العذاب جزما او احتمالا
والاستغفار هو الدعاء بالمغفرة المعروف وقيل المراد به الصلاة وقيل الاسلام وعلى روايه
فيكم فيه التفات من الغيبة للخطاب اشارة الى ان انتفاء التعذيب عنهم بالاستغفار دون
انتفائه اشارة الى ان انتفاء التعذيب عنهم بكونهم فيهم وبه يعلم وجه قوله ليعذبهم
اولا دون معذبهم وهو مناسب لنزول صدر الاية بمكة وعجزها بعد خروجه ءم وترك بقية
المؤمنين بها كما قيل وفيه نظر ونحو منه منه متعلق لتضمنه معنى قريبا اي فيه نوع مماثلة بحسب
المعنى لما مر من رحمة الكفار بتأخير العذاب قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اي لجميع
الخلق حتى الكفار والجماد والحيوان لاصلاحهم واسعافهم في امور معاشهم ومعادهم وامانهم
من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال وغير ذلك مما نزل بالامم السالفة وكل ذلك ببركته
ءم وقال رسول الله ءم انا امان لاصحابي كونه ءم امانا لاصحابه من كل ما يخافون امر قطعي وهو
اعم مما حكاه المصنف رح بقبيل الاتي وينبغي ان يكون هذا مندرجا تحت قوله وولايته له كما قيل
وهذا الحديث رواه مسلم عن ابي موسى رض قال صلينا المغرب مع رسول الله ءم ثم قلنا لو جلسنا

حتى نصلي العشاء فخرج علينا فقال ما زلتم ههنا قلنا يا رسول الله صلينا المغرب معك قلنا نجلس
حتى نصلي معك العشاء فقال احسنتم ورفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفعها فقال النجوم
امنة للسماء فاذا ذهبت اتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى امتي ما يوعدون فما ذكره
المصنف رح رواية موافقة لرواية مسلم او هي رواية مسلم بالمعنى لان امنة بفتحات مصدر
بمعنى الامان وان ورد جمعا لامين بمعنى الحافظ كخدمة كما في النهاية والمراد الاول لقول ابن
مسعود رض كان رسول الله ءم امانا لهم والاستغفار فهاجر وبقي الاستغفار كما رواه في الليا
ومن هنا علم انه يجوز ان يكون بمعنى مضيت السابق هاجرت فلا التفات وان احتمل ايضا والمراد
بذهاب النجوم انتشارها بشهادة اذا الكواكب انتثرت وما توعده السماء انفطارها وتبديلها
المذكور في قوله اذا السماء انفطرت ويوم تبدل الارض وهو تمثيل وايماء الى ان اصحابه ءم كالنجوم
في الامة وما اوعد به اصحابه رض الفتن والردة بعده والموعود به الامة ما انذرهم من البدع
والاختلاف والهرج وغلبة الروم وتخريب مكة والمدينة وغير ذلك مما كان اكثره وبقي ما لا
شك في كونه وفيه دلالة على ظهور الشر بعد ذهاب اهل الخير فانه ءم ما دام حيا لم يقع شيء
من ذلك لاختلاف بعده ووقوع الاختلاف ثم لما انقرض عصر الصحابة رض قرب الظلم لذهاب
الانوار كالسماء عند ذهاب النجوم قيل الامان المذكور ما كان في حياته ءم وموته كما توهم كالا
يخفى فمن حمله عليه فقد اخطأ وفيه نظر قيل من البدع جمع بدعة وهي ما لم يعلم من الشرع لا صريحا
ولا استنباطا وليست كلها مردودة كما يوهمه قوله ءم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار
فان الفقهاء قالوا تجري فيها الاحكام كلها فمنها ما هو حرام كانواع السياسة التي لم تكن في العصر
الاول ومنها ما هو مكروه كتكبير العمامة وتوسع اللباس وتطويله ومنها ما هو مباح كاحداث
بعض الاطعمة ومنها ما هو واجب كدقائق علم الكلام التي تلزم بها الكفرة واهل الاهواء
وما هو مستحب كاحداث المدارس والرباطات وقد استوفى اقسامها ابن الحاج في المدخل وهو
كتاب لم يصنف في بابه مثله وان كان فيه امور غير مسلمة وقيل من الاختلاف والفتن المراد بالاختلاف
ما يشمل الخلاف وهو مخالفة العلماء والفقهاء والحكم من غير دليل معمول به وان كان ذلك مطلقا
لم يقع في حياته ءم لمعرفة حقيقة كل امر بالوحي واما الاختلاف الذي وقع عنده ءم كما ورد في الا
حاديث الصحيحة من ان النبي ءم قال في مرضه ائتوني بدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون به من بعدي
فقال عمر رض ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله فلغط الناس فقال اخرجوا عني لا ينبغي التنازع لدي
فقال ابن عباس رض الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ءم مما شنع به الرافضة
على عمر رض وسيأتي بيان ذلك اخر الكتاب وقال صاحب الملل والنحل هو اول اختلاف وقع
في الاسلام وقال ابن تيمية في كتاب الرد على الرافضة ان عمر رض ثبت من فضله وعلمه ما لم
يثبت لغيره وقد قال ءم ان لم يكن في امتي محدث فعمر وقصة هذا الكتاب قد جاءت
مفصلة في الصحيحين عن عائشة رض انه ءم قال لها في مرضه ادعي لي اباك واخاك حتى اكتب
كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا اولى اي بالخلافة ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر

وقد اشتبه على عمر رض قوله هذا هل كان من شدة المرض ولا والانبياء عم غير معصومين
عن اعراض المرض ولذا عبر بالرجل وقال اهجر ولم يجزم بانه هجر وعلم ان الكتاب به لا يرفع الشك واما
قوله ابن عباس رض الرزية الى اخره فلان الحائل عنه رزية في حق من شك ومن توهم خلافة على رض
فهو ضال والحاضرون جماعة يجيء منهم حجره ولو كتب فلذا تركه لتحقق ما فيه عنده انتهى وحديث
اختلاف امتي رحمة لم يثبت وهو مأول ايضا والصحابة رض عند الاختلاف مجتهدون في ادراك
الوقايع لا الاتفاق اولى على كل حال وقد يؤدي الخلاف الى ما لا ينبغي قيل والحق ان المجتهد اذا عقل
واخطاء فله اجر كما انه اذا اصابه فله اجران ولا يضره خطاؤه بل ينفعه اقول هذا وان اشتهر
فقد قال ابن عبد السلام الحق خلافه والحديث الذي رواه عمرو بن العاص رض انه سمع
رسول الله عم يقول اذا حكم الحاكم واجتهد واصاب فله اجران وان حكم واجتهد ثم اخطاء
فله اجر قال ابن عبد البر في كتاب العلم اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فقال قوم لا يوجر
من اخطاء لان الخطاء لا يوجر عليه احد عليه وجه ان يرفع عنه الاثم وردوا هذا الحديث
بحديث بريدة رض القضاة ثلثة وبقوله عم تجاوز الله لامتي عن خطائها ونسيانها وقوله تعالى
ليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ونحوه وقال الاخرون يوجر اجرا واحدا الظاهر الحديث وقال
الشافعي يوجر لا على الخطاء لان الخطاء في الدين لم يؤمر به احد وانما يوجر لارادته الحق الذي
اخطاءه وسعيه فيه انتهى وهو معنى لطيف جمع به بين القولين والفتن جمع فتنة واصل معناها
الاختبار فاطلقت على المصائب وما يختبر به والمراد بها الحروب والارتداد وكل ما جرى بعده
عم بين الصحابة فهو عام ومناسبة للترجمة ودخوله في ولايته له ظاهر قال بعضهم الرسول عم
هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنة باقية فذاته الشريفة نفس الامان او وجوده عم
امان من كل مكروه بالدفع والرفع فهو الامان لا غيره لتعريف الطرفين كما يشير اليه قوله تعالى وانت
فيهم وسنة طريقته التي شرعها ومنها الاستغفار ولذا فسرها مرويا ذهابه بقاء نوعها والعمل
بمثلها فهو باق الضمير للامان او للرسول عم لان بقاء شرعه كبقائه فيكون الامان الاعظم كالنبي
لتنزيل بقاء سنته منزلة بقائه كما يشير اليه قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا
مبني على انه عم امان للمؤمنين والكافرين كما مر ولذا كان اعظم وما في الجملتين ظرفية مصدرية
والثانية معطوفة على الاولى وقيل هو ركيك كانه جعل الثانية شرطية وجملة الشرط معطوفة
على ما قبلها اي ان دامت السنة فالرسول وامانه باق كما بينه بقوله فاذا اميتت سنة فانتظروا البلاء
والفتن وفي بعض النسخ فانتظر مفردا باعتبار المخاطب وان كان الحكم عاما ومعنى اميتت بصيغة
المجهول تركت على الاستعارة اي لم يعمل بها ولم يحرض الناس على تعلمها بان غلب فيهم ذلك لا الترك
بالكلية فانه من اشراط الساعة والبلاء بفتح الباء الموحدة المصائب كالطاعون والظلم
والفتن محاربة الناس بعضهم بعضا كما مر نسأل الله تعالى العفو والعافية وليسا مترادفين كما قال
التلمساني وفي كون الاستغفار قائما مقام الامان الاعظم دون غيره سر لم ينبهوا عليه فتنبه
وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية انما ذكر هنا الدلالة على عظم شانه وتولي الله

اموره وسياتي الكلام مفصلا في الصلاة في الباب المعقود لها ابان الله تعالى اظهر فضله هنا عن
غيره فضل نبيه عم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته ثم للتراخي الرتبي او الذكري بجعل بعضه
بعده كما فصل في قوله ذلك الكتاب قيل وفيه اشارة الى اختيار احد القولين في الضمير في قوله
يصلون انه لله والملائكة كما تقدم وامر عباده امر مصدر مجرور معطوف على صلاته او فعل
معطوف على ابان كما صححه البرهان لا على فضل بتقدير ان المصدرية لانه تكلف من غير داع والمراد
بعباده المؤمنون المكلفون او الاعم بناء على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وكون الامر للوجوب
او الندب سياتي وعباد جمع عبد وله جموع كثيرة تزيد على عشرين جمع ابن مالك رح غالبها في شعره
المشهور وزاد عليه بعض اصحابنا وفقا الجموع عبد عبود اعبد عبد اعابد عبدون عبدان عبد
عبدى ومعبودا ومدهما عبده عبد اعباد عبدان عبيد اعبدة عابد معبدة معابد وعبيدون
العبدان بالصلاة والسلام عليه عم وسياتي تفصيله معنا فله عم بذلك الفضل على غيره وقد
قيل عليه ان المؤمنين شاركوه في مجرد صلاة الله وملائكته لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
وفي الحديث مثله كثير كحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وقد ذكر ان الاية
الاولى لما نزلت قال ابو بكر يا رسول الله ما اعطاك الله من خير الا شركنا فيه فما لك لم تشركنا في هذا
الخير فنزلت هذه الاية فاذا كان نزول هذه بعد الاولى فظهر فضله عم على غيره بها حيث نزلت له
من غير مزاحم فيها مع التاكيد بان والاسمية وفي تميزه بمجموع ما ذكر وايضا المضارع يدل على الاستمرار
والتجدد في حقه دونهم فيظهر الاختصاص وعن الامام الرازي ان صلاة الملائكة على المؤمنين
بطريق التبعية لصلاته تعالى عليهم لتاخرها وصلاتهم عليه بطريق الاصالة في الاية الاولى
تفضيل له على غيره كما اذا قيل يدخل فلان وفلان فانه يدل على تقديم الاول بخلاف فلان وفلان يدخلان
واورد عليه ان الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب في اي التركيبين كانت واما قول ابي حنيفة رح من قال لغير
مدخول بها ان دخلت الدار فانت طالق واحدة وواحدة تقع واحدة بخلاف فانت طالق واحدة وواحدة
ان دخلت الدار حيث يقع ثنتان فليس مبنيا على ان الواو للترتيب بل لان المعلق بالشرط كالمنجز عند
وقوعه وهو لو نجز الاول حقيقة لم يقع الثاني فكذا اذا صار كالمنجز حكما بخلاف ما اذا اخر الشرط
لان صدر الكلام توقف على اخره لوجود المغير في اخره فكان في حكم البيان كما بين في محله وليس النبي
عم داخلا تحت المخاطبين بالاية الثانية ليقال انه لما ميز بالصلاة عليه من مجموعهم دل ذلك
التميز دلالة واضحة على ترجيحه بها كما حب القوم واجب زيدا بتقديم الاول وتاخيره لان المخاطبين
المؤمنون خاصة بقرينة السياق انتهى اقول لا اقول ما قالت خدام فان النبي عم مخصوص بالصلاة
عليه استقلالا لا منا كما صرح به الفقهاء باسرهم اما من الله ورسوله فيجوز استقلالا وتبعا لانه
تعالى لا يسئل عما يفعل والصلاة حق النبي عم فله ان يعطيه من شاء مع ان الصلاة عليه رحمة
وتعظيم مخصوص به والصلاة على غيره مطلق الرحمة والمثال الذي ذكره الامام قاله لما قال
ابو حنيفة بعينه وليس هذا من الواو بما هو نظيره في قصة الخطيب ففعله تعالى وامره لنا امر مخصوص به
فلا حاجة لما ذكر من الخرزة لمن في بصيرته نور رحمه الله رخص المؤمنين بالتسليم المؤكد لبيان لزوم

رعاية التعظيم من الامة في حقه لانه عم المنقذ لهم من الضلال وافتقارهم له ولانعامه اكثر من غيرهم والمراد التسليم من النقايص التي عصمه الله منها ولم يفسدها له غير البشر الذين من نوعهم وخصه بالتاكيد وتنوين التعظيم اي تسليما عظيما تعريضا بمن لم يسلم وقيل لان المراد تسليما لا كتسليم غيره من الامة والصلاة ليست مما يشاركه فيه الامة فيفهم منها التعظيم في نفسها من غير تاكيد او لان التسليم لم يثبت لله والملائكة فهو في معرض المساهلة في الجملة وهو كلام حسن وقد حكى ابو بكر بن فورك بفاء مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة وكاف عربية وهو لفظ اختلف فيه فقيل انه عربي وفور بمعنى فار فالكاف اما زائدة فيه كما قالوا في هندي هندكي او للتصغير فان العرب اذا صغروا الحقوا اخر الاسم كافا اورد بان فور بمعنى فار لم يسمع من العرب والثابت في اللغة فور جمع فائر بمعنى الظبي والذي في اللغة الفارسية انه بمعنى لون التراب فورا حال ربك وفي شرح النخبة انه ممنوع من الصرف لان الكاف اداة تصغير في الفارسية قيل وليس هنا علة تمنع الصرف لان شرط العجمة كونه علما في العجمية قبل استعماله وليس كذلك انما الشرط ان لا يستعمله العرب الا علما كقالون على ما فيه وقيل فور عربي فلا ينقلب بلحوق الكاف اعجميا اقول اللفظ العربي اذا غيروه وعجموه بالحاق اداة من ادواتهم ولم يستعمل الا علما فالظاهر انه يصير اعجميا ممنوعا من الصرف كبابك فانه في الاصل بابا بمعنى اب فصغر بالمذكورة على قاعدتهم وقد استعمل في شعر ابي تمام ولا عبرة بالتردد فيه ولا جعله كاحك كما في بعض حواشي المطول وفي حواشي الفاضل الحفيد على المطول بابك والد عبد الصمد الشاعر المشهور ممنوع من الصرف وقيل بعين عن السكون انتهى والتاويل لا يعتد به وفي حواشي البرهان الحلبي هو مصروف بضبط القلم في النسخ المصححة والظاهر انه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وهو محمد بن الحسن الاصبهاني الامام الجليل والبحر الذي لا يجاري فقها ونحوا واصولا وكلاما مع جلالة وورع زائد وقد امتحن في الدين وجرت له مناظرات ادى الى عزله ومات مسموما شهيدا في الطريق لما عاد من غزواته سنة ست واربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها وقبره بها رويستجاب عنده الدعاء وهو شافعي المذهب قال التلمساني انتهى الى ان تكلمه الملك في اليقظة وقوله وقد حكى الى قوله الاتي الى يوم القيمة لم يثبت في الاصل الذي عليه خط المصنف وثبت في الاصل المروي عن ابي العباس العزفي انتهى وفي حواشي الكمال ابن ابي شريف على النخبة انه فارسي مصغر منصرف ومعناه فور تصغير فار لان الكاف عندهم للتصغير وجعل في المجم علما لكن في القاموس ان اللفظ فورك علم وله يعني من العجمي كما هو عادته قيل وهو يدل على ان التفخيم بادخال الكاف بعد العلمية ولذا قيل انه تفخيم غير معتبر وفيه نظر ان بعض العلماء تاول قوله عم وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا والحديث احب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وفي اثبات لفظ ثلاث ومعنى الحديث كلام سيجئ والمقصود هنا بالدعاء والمعروف انه الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود لما فيها من المناجاة والمعارف وكشف الاسرار اي في صلاة الله عم على النبي عم وامر الامة بذلك الى يوم القيمة ذلك اشارة الى الصلاة المذكورة في الاية وذكره لتاويله بالمذكور او الدعاء ودوامه الى يوم القيمة بدوام امته ولعدم نسخه والى متعلقه بالامر ويجوز تعلقه به وبما قبله على

الشارع وانما عبا به بما ذكر لعدم التكليف في الاخرة والمراد بالقيمة معناها المعروف او خراب الدنيا وكونا الى بمعنى مع تكلف وخص ذلك قبل الاندراج كل فضيلة فيه والاية تدل على تجدد الرحمة وكثرتها على ما يليق بمقامه عم والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء وفي نسخة من الملائكة استغفار ومنا دعاء وهو الذي اشتهر عن ابن عباس رض وما في هذه النسخة سياتي وهما مشتركان في انهما دعاء ومعنى الاستغفار وتخصيصه بالملائكة سياتي تحقيقه والمراد من قوله منا بني ادم الا المكلفون كما قيل ومن الله رحمة انعام ولطف وثناء وتعظيم وقيل معنى يصلون يباركون اي يعطيه الله البركة والملائكة يطلبونها له والبركة النمو والخير الكثير او الدائم من برك البعير او من بركة الماء كما حقق في الكشف واشار بقوله وقد قرئ بتخفيف الراء ويجوز تشديدها ان لم نقل ان المخفف يختص بالمعاني والمشدد بالاجسام كما قاله القوافي ميزوفضل النبي عم حين علم بتشديد اللام اصحابه رض بين لفظ الصلاة والبركة في حديث قدامنا ان نصلي عليك فكيف نصلي فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد او حيث عطف احدهما على الاخر في حديث اخر فقال صليت وباركت والظاهر ان مراده الاول اشارة الى اعتراض على هذا القول ولا يخفى ان المغايرة بينهما بحسب المفهوم لا تنافي تفسيره به وعطفه عليه وان كان الاصل ذلك وسياتي تتمة هذا وسنذكر حكم الصلاة عليه من الوجوب والكيفية وغير ذلك وفي نسخة صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والمراد التابيد اي الى يوم القيامة لظهور امر الدين فيه او الجزاء عليه او خضوع كل احد له فالغاية غير مرادة وقيل هي للكثرة كقوله ملاء السموات والارض وذكر بعض المتكلمين اي المفسرين بدليل قوله في تفسير حروف كهيعص والجار والمجرور متعلق بذكر او بالمتكلمين وليس المراد به المسمى بعلم الكلام كما قيل لعدم مناسبته هنا ان الكاف من كاف اي احرف من اسمه تعالى الكافي ولم يقل من الكفاية كما قال فيما بعده مع انه المناسب لتفسيره بقوله اي كفاية الله لنبيه عم وعبارته لا تخلو من اضطراب فانه اكتفاء بحرف من الكلمة على طريق الرمز والاشارة اليها واما من كاف الذي هو اسم له او من الكفاية التي هي صفة وما قيل انه الى انه اشارة الى اسم الله باعتبار الصفة ولم يقل الهاء من الهادي ونحوه وهو المراد بالاكتفاء الاول وانه اذا الاشارة الى ما وقع في القران والذي فيه فالاول وفي الثاني نسبة الصفة الى الله تعالى فذكر على نهج ما ورد اقول هذا كلام من فر من المطر فوقف تحت الميزاب اما الاول فلان الاشارة الى الاسم باعتبار الصفة تكلف لا داعي له وهو غير صحيح في الصاد التي هي الاشارة الى الصاد من مصلي وصلاته عليه الاتي اذ ليس من اسمائه المصلي واما الثاني فغفلة عن قوله فسيكفيكهم الله ونحوه والذي يظهر انه اراد ان كل حرف منقطع صفة من صفاته الافعال وانها باعتبار تعلقها به لا مطلقا وانه لما ذكر او بالاسم من اسمائه الحسنى تبركا به وبيانا لوجه تقديمه لانه اهمها واعمها فسره بما ذكرناه لئلا يتوهم جريانه فيما بعده فانه المنقول فيما سياتي وان المراد اثبات معناه للنبي عم لا انه منادى ولانه مقتضى

ما عقد له الفصل منذ بر فالكاف من كاف المعنى انه كاف عما سواه كقوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله
واليه اشار بقوله له اى كفاية الله كائنة منه لنبيه ءم وسكت عن الباقى لظهوره فالحروف منتزعة
من صفات مشتقة لا من منادى اسميا كما توهم لا يشترط فى الحرف ان يكون من اول الاسم وهذا
مروى فى بعض التفاسير عن ابن عباس رض ومثله لا يقال بالرأى فقول بعض الشراح ان هذا لا ينبغى
فان الحروف لا تدل على غير مسماها ولو لم يكن الكاف من كريم او كبير وهذا فى بدع التفليس التفاسير
كما فى الكشاف وفى هذه الحروف اقوال اخراحرها انه من المتشابه الذى لا يعلمه الا الله وقيل انها
اسما للسور او القرآن فيه نظر والعجب انه بعد ما ذكر ماهنا نقل قولا بانها اسماء الله وقيل انها بيان
لمدة هذه الامة او بعضها وقد نقل على الحروف لها خواص كما فى حيوة الحيوان ان من خاف سلطانا
ظالما عقد اصابع يده اليمنى بكهيعص يبدو بابهامها واليسرى بحمعسق يبدو بخنصرها ثم يقرأ فى نفسه
سورة الفيل ويكرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة اصبعا من اصابعه المعقودة يأمن شره
وهو عجيب مجرب انتهى قال الله فى كتابه الكريم اليس الله بكاف عبده فسر عبده بمحمد ءم ويحتمل العموم
بدليل انه قرئ عباده فيدخل النبى بالطريق الاولى والاستفهام انكارى للمبالغة فى اثبات الكفاية
ويحتمل ان يراد غيره والمعنى انه اذا كفى غيره من العباد كيف لا يكفيه ءم والهاء هدايته له لم يقل
من هدايته لانه يعنى ان الهاء من هاد الاثبات هدايته له وما قيل انه لم يقل من هدايته تفننا ولئلا يتغير
الاكتفاء ببعض الكلمة لا وجه له وكذا ما قيل انه بتقدير مبتداء او مضاف اى الكاف والهاء رمز كفاية
رمز الكاف كانت رمز الكفاية فى ضمنه ويهدى صراطا مستقيما من الدين الاكمل والصلاح اويسك على
ذلك وقيل يهدى بك والياء تأييده له قال تعالى وايدك بنصره التلاوة ليس فيها واو والضمير
فى تأييده لله وفى له للرسول ءم وفى نسخة تأييد بدون له والضمير يحتمل عوده لله وللرسول
ءم والتأييد التقوية والاعانة على اعدائه وبالادلة والمعجزات والملائكة ونصره على
اعدائه وفى اللباب لم يرو عن ابن عباس رض فى الثانى ووجه بانه لم تأت فى اسماء الله ما اوله
يا وقد علمت ان حرف الرمز لا يلزم ان يكون اولا وقد نقل هو ان الياء من حكيم والقول بانها من
يمين وهم لانه ليس اسماء الله واما قوله والسموات مطويات بيمينه فلا شاهد فيه والاضافة
تأباه وعندى ان هذا مما لا ينبغى ذكره والعين عصمة له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس
اى يحفظك ويمنعك من اذاهم هو وعد ممن لا يخلف الميعاد وقد كان له ءم حرس فلما نزلت قال
لهم انصرفوا فان الله يحرسنى والقول بان معنى الاية ان يحفظه عن الذنوب من بين سائر الناس تكلف
وان كان صلى الله عليه وسلم مصونا عنها كما سيأتى وفى زاد المعيد فان قلت كيف ضمان العصمة له
ءم وقد شج جبينه وكسرت رباعيته وبولغ فى اذاه قلت انما عصمه الله عن القتل والاسر لا عن
عوارض الاذى وهذه الاية نزلت بعد ما جرى لان المائدة من اخر ما نزل كما فى الشرح الجديد ويأتى له
مزيد بيان اقول هذا بناء على ان هذه الاية مدنية والعصمة بعد الهجرة وهو المشهور وذكر خاتمة
المحققين الامام الحضرمى فى خصائصه وهو كتاب لم يصنف مثله ما حاصله ان وجوب الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر واجب عليه بان الله وعده بالعصمة فكيف يكون هذا بالمدينة وكون

الاية

الاية مدنية فيه بحث لانه وان اشتهر يرده ما رواه ابن ابى حاتم فى تفسيره عن جابر رض انه ءم كان
اذا خرج بعث معه ابو طالب من يكلؤه حتى نزل والله يعصمك من الناس فذهب ليبعثه معه
فقال ءم يا عم ان الله قد عصمنى لا حاجة الى من تبعث وروى مثله الطبرانى عن ابن عباس رض وفيه
انه قال لابى طالب ان الله قد عصمنى من الجن والانس وهذان الحديثان يدلان على ان الاية
نزلت بمكة فى اول الامر وفى الصحيحين عن عائشة رض انها قالت قال رسول الله ءم ذات ليلة
فقال ليت رجلا صالحا من اصحابى يحرسنى الليلة اذ سمعنا صوت السلاح فقال ءم من هذا قال
انا سعد بن ابى وقاص جئت لاحرسك فنام ءم حين سمع غطيطه وروى الترمذى عن عائشة
رض انه ءم كان يحرس حتى نزلت هذه الاية فاخرج من القبة رأسه فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا
عنى فقد عصمنى الله قال الترمذى وهو حديث غريب ورواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد
ولم يخرجاه فى سنده من ضعيف الا ان له متابعات ولذا احتج به مسلم رح وهذا يدل على ان ذلك
كان بالمدينة لان عائشة رض اخبرت عن مشاهدة وهى لم يكن معه ءم بمكة فيحتاج الى الجمع بين
الروايات وما فى الصحيح اولى لكنا نلتزم تأخير نزول الاية بالمدينة ويدعى ان وجوب الانكار عليه
كان داخلا فى عموم التشريع ثم انهم لم يبينوا ما المراد بالخوف هل هو من القتل واذاهم فظاهر كلامهم
انه الاول فكان يحرسه اصحابه فى النزع والخوف حتى هاجر الى المدينة وامر بالقتال فانزل الله اية
العصمة مع انه ندعى انه كان يعلم ذلك من غير هذه الاية وانما نزلت تطييبا لخاطره فان قلت
اذا كان ءم يعلم ان الله عصمه من اعدائه وامنه من كيدهم وشرهم فما باله اختفى بالغار اذ خرج من مكة
وما باله كان يحرس ويلبس الدروع وما باله كسرت رباعيته وشج وجهه ونحوه بعد نزول الاية
قلت كان ذلك تشريفا للامة ليقتدوا به ءم فيما ليس من خصائصه مع ان فى ذلك حكما لطيفة
فاختفاؤه فى الغار خوفا على الصديق رض لا على نفسه كما يدل عليه قوله تعالى اذ يقول لصاحبه
لا تحزن فاعلم ابا بكر به تطييبا لخاطره وليظهر له من المعجزات ما يعلم به غيره وانه هو لا يحتاج
لزيادة علم بخروجه والكفار يرصدونه ونثر التراب عليهم ولو خرج ظاهرا لظن انه لحماية
بعض قومه فاريد به اذ لا يكون لاحد عليه منة واحتراسه للخوف على من عنده من اهله
واظهارا عتماده على اصحاب وامانتهم وليس لامة ليرهب له الاعداء ويظهر ان عنده عدة
وسلاحا لظن بعض الكفار انهم فقراء تحدثا بنعمة الله واما كسر رباعيته ءم وشجه جبنا نالما
فطره الله عليه من العدل فعلم الله انه يصاب المؤمنين باحد مصاب عظيم فجعل النبى ءم مثالا
لهم فى ذلك ليحصل اجره له ولتسليتهم بمصيبته وعصمة الانبياء لها معنيان احدهما
حفظه من الناس بما ذكروا الثانى صونه عن ارتكاب الذنوب كما سيأتى فان قلت هل يجوز طلب
الثانية لاحد غير النبى ءم قلت قال شيخ والدى ابن حجر الهيتمى فى شرح العباب اختلف الفقهاء
فيها فقيل يجوز لقول مالك والشافعى نسأل الله العصمة وقال الشاذلى فى حزب البحر نسألك
العصمة فى الحركات والسكنات وفى حديث اخرجه النسائى ليقل من المسجد اللهم اعصمنى
من الشيطان وقيل يمنع لاستحالة والحق ما قاله بعض المتأخرين انه اذ قصد النوع عن جميع المعاصى

والزايل في جميع الاحوال امتنع لانه سنوال مقام النبوة وان قصد التحفظ من الشيطان والتحفظ
من افعال السوء فهذا لا باس به انتهى وفيه نظر وفي كلام مشايخ الصوفية كما مر ان يقال في النبي
مقصور وفي غيره محفوظ وكانه تادب منهم والصاد صلاته عليه قال تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبي قيل المراد الاخبار عن هذه الامور والقسم بهذه الصفات
وهذا التفسير وامثاله ليس على الحتم ولا احتمال محض فما قيل من انه غير واجب التسليم
لا طائل تحته فتامل وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه اي وليه تظاهرا عليه
بالتشديد والتخفيف بمعنى تعاونا وتناصرا والخطاب لعايشة وحفصة ام المؤمنين
رض على الاصح او عايشة وسودة ام المؤمنين رض اي تتفقا في امر يسير من افشاء السر
او شدة غيرة النساء او امر النفقة فلن يعدم من يعينه والله يعينه الاية اي قرأها تتم
بقوله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير والولي المعين والناصر وتعريف
الطرفين والضمير يفيد الحصر اي لا مولى له حقيقة سواه وما ذكر بعده وان كان لا يعتمد
على غير الله بناء على الظاهر تطييبا لخاطره وتطمينا لقلبه واظهارا للفضل والتشريف
وجبريل مبتداء وظهير خبر عنه وما بينهما عطفا وهو وصالح عطف على الله والملائكة
مبتداء خبره ظهير وافرده بجعل المذكر لاتفاقهم على ذلك كالواحد ولانه اسم جمع
كطفلا في قوله يخرجكم طفلا ولان فعلا قد يقع على الواحد وغيره كما في قوله ان العواذل ليس
بامير ويترتب على ذلك الوقف على مولاه او المؤمنين او ظهير وقد اختار كل واحد منهما جماعة
من القراء والوجه الاول وذلك اشارة للنصر والظاهر الله وسبب نزول هذه الاية
انه عم دخل على حفصة رض عنها في نوبتها فخرجت لحاجة لها فارسل عم لمارية جارية فانه
يواقعها فلما رجعت حفصة رض علمت بذلك فغضبت وبكت وقالت ما لي حرمة عندك فقال
عم ليرضيها انها حرام على بعد اليوم وحلف ان لا يقربها واخبرها ان الخليفة بعده ابوها وابو
عايشة وقال لها لا تخبري احدا بهذه القصة وقالت اراحنا الله من مارية وكان بينهما مصارفة
وتظاهر فانزل الله هذه الاية اي ان تتوبا الى الله من ابدائه وجب ما يكره تحقق بذلك ميل قلوبكما
عن الحق على حد قوله ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل في جنس التاويل دون شخصه لان مضمون الشرط
فيه محقق بمضمون الجزاء وفيما نحن فيه محقق له صورة ان التوبة عن الذنب محققة فان كان الميل
الى الحق لم يحتج الى هذا التاويل وصالح المؤمنين قيل الانبياء عم هذا مروي عن قتادة فان قلت
الصلاح انما يوصف به احاد الامة دون الانبياء عم قلت لما فطن له بعض المفسرين قال
الصفة قد تذكر لمدح الموصوف وقد يقصد به مدح الصفة نفسها بمدح العظماء بها كما هنا
فكانه قيل الصلاح صفة عظيمة في نفسها لانها مما يوصف بها الانبياء عم وهذا كما قال حسان
رض ما ان مدحت محمدا بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد وخالفهم السبكي رح في فتاويه
فقال الصلاح من ابلغ الصفات فاذا اردت معرفة ذلك فانظر الحديث في مدح القلب بانه
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الى اخره فصلاح القلب بالايمان والعرفان والاحوال وصلاح الجسد

بالطاعة

بالطاعة والخلق تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا فصلاح العبد بصلاح قلبه وبدنه على قدر
مقامه وهي صفة ذاتية تفضل الله بها وما سواها من النبوة والرسالة وغيرهما ناشئ عنها فلذا
كانت اعظم الصفات وقوله من قال الصالح فانه من قام بحق الله وحق العباد كلام اجمالي
لا زم له وانما السر في المعنى الذي ينبني عليه ذلك وهي صفة حقيقية اودعها الله في العبد
تنال سعادة الدارين وصلاح محمد عم انتهى وقيل الملائكة قال السيد عيسى رح هنا بعيد
والعطف للتفسير او للتغاير بالمفهوم خلاف الظاهر ولك ان تقول المراد خواص الملائكة
كاسرافيل وحملة العرش والمراد بالملائكة بعده بقيتهم وجميعهم وذكر للتعميم بعد التخصيص
وتفسيره عنهم بصالح المؤمنين قد نبه على ذلك ظاهره وكان الحامل له على ذلك توسطه بين
جبريل والملائكة فانه خفي بما استبعده اذ مقتضى الظاهر ان يقول جبريل والملائكة وصالح
المؤمنين وقيل ابو بكر وعمر رواه القرطبي والثعلبي عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبي عم وزاد
بعضهم عثمان رض ووجه التخصيص على الاول انهما ابوان وجيته الملتين سر لهما ما مر فيهما قال
انه دعوى بلا بينة لم يصب يعني انهما وان تظاهرا فابوهما واشفق الناس عليهما لا معهما وهذا
كما علمت تفسير منقول عن النبي عم كما رواه من ذلك ابن مسعود رض وقيل هم الصحابة وقيل
الخلفاء وصالح المؤمنين يحتمل ان يكون مفردا في معنى الجمع لعموم الاضافة او اسم جمع كحاضر وسامر
او جمع مذكر سالم تقديره صالحو المؤمنين حذفت واوه لالتقاء الساكنين وكون حذفها للدلالة
على سرعة النصرة لما في الواو من المد والبعد بعيد جدا والمراد صالح الذين تولاهم الله واعانهم فتولوا
رسول الله عم ونصروه وقيل علي كرم الله وجهه وفي نسخة رضي الله عنهم اجمعين وهذا التفسير
رواه ايضا القرطبي والثعلبي عنه عم قيل ولا منافاة بين الاحاديث لانه لم يرد الحصر وان كان بعيدا
وقيل المؤمنون كلهم بناء على ظاهره المتبادر من لفظه من غير مانع واختاره الامام الجوزي رح والاية
دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له الذي هو من مقاصد هذا الفصل الفصل التاسع
فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم تقدم الكلام في تطبيق التراجم والكرامة
ما اكرمه الله به من اعزازه وتعظيمه وقد يخص بما يكون خارقا للعادة والفرق بينها وبين المعجزة كما
سياتي والفتح اصله ازالة المغلق في المحسوسات ثم استعير لتيسير الامور معنوية كانت وحسية
كفتح الله بالمال وفتح البلاد ومكة وشاع حتى يكون حقيقة عرفية فيه والسورة مدنية بالاتفاق
وهذا لا ينافي كونها نزلت بالحديبية لان المراد بالمدني ما نزل بعد الهجرة على احد الاقوال وقيل
لا خلاف بين تفاسير الفتح فمن فسره بفتح مكة اقتصر على المقصود والمراد فتح مكة وما كان
وسيلة له كقصة الحديبية ومن فسره بالحديث بالحديبية سماه فتحا لانه وسيلة لما بعده
من الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الاشارة وفي سبب نزولها قولان احدهما انه عم لما كان
بالحديبية حيل بينه وبين دخول مكة وعسر ذلك على الصحابة رض نزلت وعدا له
بفتحها ودخولها وعبر عنه بالماضي على عادة الله عز وجل اخباره بفتحها وفيه من الفخامة
والدلالة على شان علمه ما لا يخفى وهذا هو المشهور والثاني كما رواه عطا عن ابن

عباس رض لما نزلت عليه ءم وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم قالت اليهود كيف نتبع ما يفعل الله به
فاشتد ذلك عليه ءم فنزلت بيانا لما يؤول الله امره فى الدنيا والاخرة قال الله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تقدم ان الفتح ازالة الغلق والاشكال حسيا كان او معنويا
والمراد من الفلق النصر على العدو وقيل المراد ما فتحه الله عليه من العلوم الالهية والهداية الدينية
التى هى سبب لنيل اعلا المقامات المحمودة والثواب الجزيل ولذا عقبه بقوله ليغفر الى اخره ولا يخفى
انه يخالف السبب للنزول المشهور وما عليه الاكثر من انه صلح الحديبية وما تضمنه من احاطة
المشركين بهم وسماعهم لوهم الصلح والامان وروى احمد باسناد قوى ان عمر رض قال او فتح
هذا يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده انه لفتح وروى بل هو اعظم الفتوح وقال اكثر الفتح قد يكون
صلحا وقد كان الصلح مع المشركين متعذرا ففتحه الله وعن انس رض انه فتح مكة وقيل خيبر وليت
شعرى لم اقدمه القاضى قلت قدمه لانه المعنى الحقيقى للفتح ما فيه من البلاغة والنكامة التى
اشار اليها وان حمل الفتح على المقدر او معنى تأمل للماضى والمستقبل بعموم المجاز شمل كل فتح وحصل
التوفيق بين الاحاديث ان لم يقصد الحصر تضمنته هذه الايات اى وقع فى ضمنها او دلت من فضله
اى فضل الله وانعامه او فضيلة الرسول ءم والثناء عليه وكرم منزلته عند الله ونعمته لديه اى
نعمة الله لدى رسوله ءم ما يقصر الوصف بضم الصاد المهملة والتخفيف عن انتهاء اليه وفيه
استعارة تمثيلية شبه الوصف بجمل مد ونحوه لتوصل به اليه فلم يف به لكثرته او بعده فلذا قال
عن الانتهاء اليه اى بلوغه او الوصول لنهايته لتعذر تفصيله وقصور الاجمال عن اداء حقه
فابتداء جل جلاله السورة باعلامه بما قضاه له اعلام مصدر مضاف لفاعله اى الله
او مفعوله والنبى ءم اشارة الى ان الفتح السابق من الفتاحة بالضم وهى القضاء كما فى قوله
تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اى احكم ومنه الفتاح للقاضى والقضاء الحكم الازلى او الكتابة
فى اللوح او القدر والاظهار للعيان من القضاء المبين اى القضاء الظاهر الذى لا يلتبس بظهوره
وغلبته على عدوه الظاهر بقلعه بالبين وغلبته معطوف عليه ولا حاجة لجعله عطف تفسير
ولا لجعل بظهوره بدل من بما قضاه اى علمه بظهوره كل الظهور وبينه اكمل تبيين وعلى عدوه
تنازع فيه الظهور والغلبة والعدو جميع الكفار ومشركوا مكة وعلو كلمته المراد بكلمة كلمة
التوحيد والنبوة التى جاء ءم وامر بقبولها والانقياد لما يتعلق بها من التكاليف لنفاذها وعلوها
بما اسقط ما عداها من درجة الاعتبار والمراد كل ما اتى به من امر ونهى وغيره وعلى الاول
اضافها له لانه الذى اصدرها وشهرها وان كانت كلمة الله فى الحقيقة واثار الكلمة على الكلام
لعلم غيرها بالطريق الاولى وشريعته علوها بالانقياد لها واجراء احكامها وتذليل من انكرها
بالجزية وغيرها ونسخ ما عداها من الشرايع وليس فى كلام المصنف ما يقتضى كون المراد بالفتح فتح
مكة كما قيل وان كان من فسره بالقضاء حمله على ذلك فلزمه مخالفة الحديث وكانه مال الى التعميم
الشامل لما وقع وما يقع وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون اى اعلامه ءم بانه مغفور
له الى اخره بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والمغفرة وهو الستر وهو العفو

منقار

منقار بان كان مر والمؤاخذة من الاخذ قال فى المصباح اخذه بذنبه عاقبه عليه واخذه بالمد مؤاخذة
كذلك وقرى به فى السبعة والامر منه واخذ انتهى فعبارة المصنف رح بالواو والهمزة وليس المراد
بمؤاخذته معاقبته لانه لم يصدر عنه ءم ما يقتضيها لانه معصوم بل عتابه على بعض ما صدر منه
مما هو بالنسبة لعلى مقامه وما تأخر بعدها من الصغاير فهو مبنى على تجويزها على الانبياء ءم ومن لم
يجوزها قال انه للمبالغة كما يقال اعطى من يراه ومن لم يره وهو الذى نذين الله به ونعتقده قال بعضهم
اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى ما يصح ان يعاقب عليه كما فى لعلك باخع نفسك وعبس وتولى ان جاءه
الاعمى وانه لو وقع منك ذنب اى ذنب كان غفر وهذه مرتبة عظيمة جدا وقال السيد سنح لى معنى بديع
وهو ان العبد لا يأتى بما يليق بجلال كبريائه وبه ولذا قيل سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا
قصور بالنسبة لكمال القرب ذنب مجازى مبالغة فى التخويف لم شرفه بما لم يحم حول الكفر وهو شر ذلك
القصور بعد عباداته عبادة لايقة بجلاله واى مرتبة فوق هذه المرتبة ولا يبعد عد مثله قصور
تشريف فانه تعالى لكمال حكمته جعل اعمالا خلقها بقدرته ذنوبا ممن هو مضطر فى صورة مختار وله
ان يعاقب عليها وان لم يفعل ونحوه قال التحتانى الظاهر ان هذه وردت مورد التشريف
له ءم بهذا الحكم كما يقال لمن يراد اظهار رحمته ولو كان ذنب قديم او حديث غفرناه ولم يرد اثبات
ذنبه ولا مغفرة اقول قد سنح لى ما هو احسن من هذا وهو ان المغفرة ان كان معناها الستر المقتضى
لعدم الرؤية اريد من لازمه وهو انه لا ذنب لك يرى اى لا ذنب لك اصلا اذ لو كان يرى على
نهج قوله   ولا ترى الضب بها ينجحر ويؤيده ان المتأخر لا وجود له وقد سوى بين المتقدم والمتأخر
ففيه اشارة الى انتفائهما كما فى قوله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولما كان
التقدم يوهم التحقق قدم الذنب وقربه به مبادرة لنفيه بمغفرته والمراد بالمتقدم والمتأخر قيل
النبوة وما بعدها او ما قبل الفتح وبعده او قيل نزول الاية اى انك مغفور لك لانه اراد تفسيره
هنا ان المتقدم والمتأخر عبارة عن عموم المغفرة ودوامها وقال المكى رح تقدمت ترجمة
جعل الله المنة سببا للمغفرة اختلف اهل المعقول والمنقول فى الفرق بين السبب والعلة فقيل
انهما سواء وقيل بينهما فرق عند النحاة واللغويين ولذا قال ابن مالك الباء للسببية والتعليل
وعليه اكثر عباراتهم فالسبب ما يتوصل به والعلة ما يدور على التأثير فامر اخر ومثلوا للسببية
بقوله تعالى فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وللعلة بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا وفرقوا
بينهما وبين الاستعانة واما اهل الشرع فعندهم السبب ما والعلة يشتركان فى ترتب الامر
عليها ويفترقان بان السبب ما يحصل الشئ عنده لا به والعلة ما يحصل به فلذا قال الشافعى
المراد ان الشئ للشئ علة يكون به كالنار يتقدم للزند واختار السمعانى ان السبب الموصل
للشئ مع جواز المفارقة بينهما ولا اثر له فيه ولا فى تحصيله كالحبل للماء والعلة ما يأثر الشئ
عنه بغير واسطة ويعبر عنها بالباعث وقد تحل اللام محلها كما فى القواعد للسبكى ووقع
الخلاف فى افعاله تعالى هل تعلل بالاغراض حقيقة او لا فالمشهور انها لا تعلل وانما لها ثمرات
وحكم يجعل عللا كما اختاره الجرجانى ولم يذكروا ذلك فى السببية فقول المصنف رح عن

التعبير بالعلة المذكورة في التفاسير هنا كانه بناء على الفرق بينهما فما وقع في الشروح هنا من نفي
بالتعليل غير مناسب والمراد بالمنة الامتنان او النعمة التي هي الفتح او فضاؤه ولما كان الفتح
ناشيا من جهده وسعيه مع ما يترتب عليه من الامور العظيمة صارت سببا للمغفرة قيل ولا تكلف
فيه لانه ما ترتب عليه المغفرة وقيل عليه لا نسلم انه عد فعلا له وابرزه في صورة يستفاد منها
انه فعله تعالى كما هو في نفس الامر ومنهم من قال التقدير فاستغفر ليغفر الى اخره كما في قوله تعالى
اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره والاسهل ان اللام للعاقبة ويحمل كلام
مكي على السبب والعلة المجازية لانهما مقارنة لما اليشبه التعليل كما صرح به الزمخشري وصاحب المغني
فيقال لما كانت المغفرة نتيجة فتحه تعالى له الفتح المبين وثمرته شبهت بالداعي بناء على ان افعاله
لا تعلل بالاغراض وان اريد بالفتح القضاء فباعتبار ان المقتضي فعله لانه قال قضيتنا مرتبة على فعلك
ليثاب وقيل المعين لتجتمع هذه الامور لك واجتماعها فرع تحقق الفتح فصح التعليل وهذا ما اختاره
في الكشاف وفي شروحه هنا كلام طويل الذيل بيناه في حواشي البيضاوي اقول ما اورده ظاهر
الدفع ولا حاجة لما تكلف فانه ناش من عدم الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل الحقيقي فان الاول
ينسب حقيقة لمن قام به او باشره لا الى الله وان كان هو الفاعل في نفس الامر كما حققه الابهري
في حواشي العضد وسيأتي الكلام عليه في الاية الآتية فاسناد الفتح بمعناه المتبادر
والحقيقة ظاهرة وهو الذي بني عليه القائل كلامه واليه اشار بقوله وكل منهما اي من المنة
والمغفرة حاصل من عنده لا اله غيره فهو الذي سبب السبب وهداه له واقدره عليه وفي
نسخة لا اله الا هو وجعل الخلق والتأثير من خواص الالوهية المستلزمة له فنفي الملزوم ينتفي
لانتفاء المساوي فهو من خالق غير الله ولذا جعل احد الفعلين سببا للاخر لترتبه من غير تأثير للغير
فلا مدخل لتعليل الافعال فيه منه بالمغفرة او بالفتح بعد منة بخلق السبب فيه وتيسيره
عليه وفضلا بعد فضل اي تفضلا وانعاما بعد تفضل وانعام وان كانت المنة بمعنى الامتنان
من بمعنى امتن كما قاله الجوهري ثم قال ويتم نعمته عليك عطف على قوله قال ولا ولا حاجة
لتغييره باقول ثم اقول وعطفه بثم باعتبار اخر ما ذكر اي ذكر هذه الايات الى قوله عزيزا حكيما
فعبر بالجزء عن الكل كقولك قرأت قل هو احد ويراد السورة بتمامها كما قيل بقرينة قوله الاتي فاعله
الى اخره المعطوف على قول عطف مفصل على مجمل ولولا هذا المزيف ما ذكر بما فسره واقتصر على ما ذكر
لما اعترض بما يتضمن الخلاف في معناه الذي اشار اليه بقوله قيل في تفسيره بخضوع من تكبر عليك
لك والجار الاول متعلق بتكبر والثاني بخضوع وسقط عليك من بعض النسخ والخضوع التذلل
والانقياد ضد التكبر والتعظيم وقيل بفتح مكة والطائف واد بقرب مكة كثير الفواكه والمياه كان
بلاد شقيف سمي به لانها طافت على الماضي الطوفان اولان جبريل عم طاف بها البيت ونقلت
من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عم او لغير ذلك مما في القاموس وغيره وزاد بعضهم خيبر وقال
الكرماني باعلاء دينك وقهر اعدائك وفتح البلاد على يديك وغير ذلك والتعميم انسب بتتميم النعمة
والمقام الا ان يقال التخصيص اقتصار على الاهم وتفسير فتح مكة بالحديبية لما وقع فيها مما كان سببا

لفتحها

143

لفتحها خلاف الظاهر وقيل ايضا بالنبوة واعلاء دينه على سائر الاديان وقيل برفع ذكرك في الدنيا
وينصرك ويغفر لك الثلاثة بصيغة المضارع المرفوع مصحح في النسخ المقروة على ولد المصنف رح
وما في المغني من ان يرفع بالباء الجارة للصدر المضاف لذكر فيه ركاكة ويخالفه للرواية
وخص الدنيا لان المذكور في الاية في احوالها وان كان ذكره مرفوع اي مشهور في الدنيا والاخرة
فلا حاجة لتقدير كما قيل وقيل بانضمام الملك الى النبوة ولا حاجة لهذا التخصيص
كما لا ان يكون صدر من مشكاة النبوة مع ان ذكر الملك مناف لما ورد في الحديث من ان الله
خيره بين ان يكون عبدا نبيا او ملكا نبيا فاختار الاول ولنا فيه كلام سيأتي وما قيل من
ان النصر وما بعده رويا مصدرين مجرورين يخالف للرواية والدراية كما مر مع تحريف يغفر لك
بغفرك والغفر بمعنى المغفرة غير مستعمل كثير فان قلت هذا لا يناسب تفسير الاتمام لانهما
مذكوران معه والغفران مقدم على الكل فلم قدم النصر عليه ورفع الذكر ليس له ذكر في النظم والافعال
على المختار هنا مرفوعة وفي الاية منصوبة فما وجه العدول قلت هذا تفسير لما تضمنه النظم
من اوله الى قوله حكيما كما مر وليس المراد حكاية ما في القران حتى يلزمه نصبه ورفع الذكر والنصر معنى
الفتح المبين لان الفتح العظيم فيه اشارة ذكره والنداء وغاية النصرة له على اعدائه واقربهم اليه
وفيه من السعي ما يقتضي المغفرة ومن هنا علم وجه اخر في كلامه وهو ان يكون ما ذكره اولا توطئة
لتفسير متم وما بعده مفرع عليه لا تفسير له فما قيل في الجواب عما ذكر ان في الاية تعميما وتخصيصا
والمراد بالاتمام جميع النعم ففسر فيه ما ذكر واستبعاده بانه يقتضي اعادته في قوله الاتي
فاعله ثم قال المراد بالغفران ثوابه في الاخرة كما في المعالم وهو تفسير لقوله يهديك ولذا قدم
النصر لتقدم وجوده تعسف بغير فائدة وكذا ما قيل من انه رفع المنصوب لانه ليس مضمونه بل
مأخوذ منه وانه من باب تسمع بالمعيدي واصله بان يرفع الى اخره فحذف الباء واتمام النعمة
بالاخيرين ورفع الذكر ولو كان عين مضمونه كان تعميما بعد التخصيص ومثله كثير في الكلام البليغ
وهذا مع تناقضه تكلف بما لا حاجة اليه ولولا ظن الغفلة طويناه وقلنا تسمع بالمعيدي خير
من ان تراه فاعله في الفاء وجهان سمعتهما انفا بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له
مر ان الخضوع التذلل والانقياد ومتكبرين جمع حذف نونه للاضافة ومر ان العدو يكون بمعنى
المفرد والجمع كما في قوله تعالى فان كان من قوم عدو لكم فالمعنى المتكبرين من اعداء الله او اعدائه المتكبرون
وهما صناديد قريش كابي سفيان والمغيرة وفتح اهم البلاد عليه واحبها له يعني مكة واهم افضل
تفضيل من الهم بمعنى العزيمة او الحزن ويقال منها هم واهم والمهم ما يلزمك الاعتناء به
وتقديمه على غيره قال فقلت له لها بتك تعمل تمها ولا تبتني ان المهم المقدم فالمعنى
ان فتحها مطلوبه له عم مقدم على جميع المفتوح عنده لانها كانت مأوى المشركين وسادة
العرب وجميع العرب ينتظرون اسلامهم وفتحها فاذا تم ذلك اسلموا فلذا دخلوا بعدها افواجا
افواجا في الاسلام ولانهم اخرجوه عم والمسلمين منها فكان عودهم لها اقوى في اظهار شوكة
الاسلام لدخولهم لها رغما على انفهم وايضا هي القبلة ومعبد الانبياء فتطهيرها من الشرك

والاصنام من اعظم المهمات ووقع ملحقا في بعض النسخ اسين بسين مهملة ونون مقصورا
اما من السناء بمعنى الرفعة والشرف او من السناء بمعنى الضوء والمراد اظهر وعلى هذا فهي بدل اهم
ويحتمل على بعد ان يجمع معنيا اي اسين اهم البلاد نحو زيدا على علم العلماء وعداه بعلى لما فيه من الصعوبة
او الوجوب وهي احب البلاد اليه عم كما ورد في الحديث انك لاحب ارض الله الي لان الطباع
السليمة مجبولة على حب الوطن فلا يلزم من هذا تفضيلها على المدينة حتى يرد على المص انه مخالف
لمذهب كما سيأتي كما في بعض الشروح لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل وفي بعض
النسخ اليه مكانه وظاهر كلام الشراح كلهم ان النسختين بمعنى وهو مخالف لما قال النحاة ان فعل
التعجب وافعل التفضيل اذا اخذ مما يفهم حبا او بغضا يتعديان الى الفاعل بالى والى المفعول باللام
فتقول ما احبني اليه اذا كان هو المحب بكسر الحاء وما احبني له اذا كنت تحبه وهذه المسالة من مسائل
الكتاب وقد فصلناها في السوانح فالظاهر هنا الى لان اللام محتاجة للتجوز بجعلها بمعنى له
وهو خلاف الظاهر وما قيل من ان قوله فاعلم الى اخره من قبيل الحل للبديعين تكلف ورفع ذكره
بالجر اي وبرفع ذكره السابق واعترض عليه بانه لا قائل بارادة هذا المجموع من اتمام النعمة
فلا اعلام بهذا المجموع عند احد وان سلم صحته فلا يصح تعريفه على الخلاف الا ان يكون الواو
بمعنى او ويراد اعلام كل واحد على قول والاوجه انه اشارة الى جواز ارادة المجموع لشمول الجميع
وعموم اللفظ ووجه التفريع انه لما صح الحمل على ما فهم من الاول ولا تخصص فالاولى الحمل على
جميعها انتهى وهو كلام حسن جدا وهدايته بالجر معطوف على التمام او الخضوع اشارة الى ان
ما ذكر من التمام الصراط المستقيم وفي نسخة الى الصراط لانه يتعدى بنفسه وباللام والى المبلغ
بتشديد اللام المكسورة الى الجنة والسعادة في الدارين والسعادة الكاملة في الاخرة اي علمه
بهدايته اياه لدين الاسلام المبلغ للجنة بتبليغ الطريق المستقيم المسلوك الى المطلوب او تبليغ
الصراط المعهود وقال البيضاوي صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة
ولا وجه للتخصيص بهما لا بحال المخاطب والمقام قرينة تليه لان التعميم افيد وابلغ وما ذكر
يندرج تحت العموم اندراجا اوليا فالاولى ما في المدارك من قوله تثبتك على الدين المرضي فاندراجه
فيه مع امور اخر من وظائف العبودية والمعارف الالهية وانما فسر بالتثبيت لانه المترتب على
الفتح دون اصل الهداية فانها حاصلة له قبله ونصره النصر العزيز بالجر مصدر والنصر مفعول
مطلق له او بدل منه والعزيز المفرد صاحبه او جعله عزيزا في نفسه لوصفه بوصف صاحبه والمراد
انه نفيس قليل النظير لا ان بعده او الغالب من قولهم في المثل من عز بز قيل ليس قوله وهدايته
وقوله ونصره عطف على ما به تمام النعمة لان من جعل النصر منه جعل المغفرة منه ايضا
فلو وافقه المصنف لذكرها مع النصر ولو مع زيادة ذكر الهداية اذ لا وجه لتبديلها بها كما
لا وجه لكون عطفا على ما به وقع اعلامه وكون ونصره عطفا على ما به تمام النعمة لفساد نظم
العبارة عند العارف باساليبها ومنته اي علمه على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة
عطف تفسيري لان السكينة لها معان منها الطمانينة والطمانينة مصدر او اسم مصدر من اطمان

اذا سكن قلبه بما يتوجه ويزيل رعبه التي حطها في قلوبهم يشير بذلك لقوله تعالى هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين يعني ما كان في صلح الحديبية من الامن بعد الخوف وعدم القتال
فلم يتزعزع قلوبهم بعد ما كادت تزيغ لما صدهم المشركون عن البيت حتى قال عمر رض علام نعطي
الدنية في ديننا فقال له رسول الله صلعم انا عبد الله ورسوله لن اخالف امره ولن يضيعني فاوقع
الله عز وجل الرضا في قلوب المؤمنين فسلموا واطاعوا وهذه نعمة اخرى مختصة بالمؤمنين بعد
ذكر النعم المتعلقة به عم زادتهم ايمانا بحقية ذلك وان المصلحة فيه وهذه الزيادة في اليقين
من نور اودعه الله في قلوبهم به يعرف الصواب وسيأتي تفصيله في الباب الثاني وبشارتهم بما لهم
بعد ظرف مبني على الضم اي بتبشير المؤمنين بما لهم بعد ذلك او بعد الحياة الدنيا من النعيم المخلد
في الجنة بقوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الى اخره وفي نسخة عند ربهم واللام في قوله ليدخل
علة لما يستنبط من السياق من اول السورة الى هنا واليه اشار في الكشاف بقوله وانما قضى
بذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين بما غاظهم
وخالفه البيضاوي في التعلق دون العلية فقال علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات
والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيشكروها فيدخلوا
الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك واختياره لقربه ما يستنبط منه وعدم
ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة فيه او هو علة لا قول وانما قالوا ما قالوا لئلا يتعلق حرفان
بمعنى بمتعلق واحد فالظاهر ان القاضي انما عدل عنه لابهامه ما فر منه كما وقع فيه قال انه متعلق
بفتحنا الا ان يقال انه بدل من العلة الاولى وقيل لم يعطف لانه مستانف لانه نزل جوابا لقولهم
هنالك فما لنا فانزل الله ذلك وللاشعار باستقلاله وفيه نظر وللمفسرين هنا كلام لا يسعه
هذا المقام وفوزهم العظيم الفوز النجاة والظفر بالخير يعني بذلك قوله تعالى وكان ذلك عند الله
فوزا عظيما وذلك اشارة لدخول الجنة وتكفير السيات المذكورين قبله لانهما منتهى الطلب وقدم
الفوز بدخول الجنة على التكفير فقال والعفو عنهم والستر لذنوبهم في قوله ويكفر عنهم سيئاتهم
مع انه العدل العفو لانه المقصود بالذات مع موافقة النظم واشار بالستر الى معنى التكفير
لانه حقيقة لغة ومنه الكفر لستره الايمان والحق ولذا سمي الليل كافرا والستر ظلمة وما احسن
قول ابن العارض رح في طول ليل الهجر   لي فيك اجر مجاهد   ان صح ان الليل
كافر   وقيل تقديمه الفوز بنعيم الجنة لان الستر الكامل تكميل الدرجات من غير نقص
وهو لا يظهر الا في الجنة فظهور التكفير بعد الدخول قيل ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى
ثاني الامرين وان قرب لفظا البعده درجة بالنسبة لعدمه اولهما بتاويل ما ذكر ويؤيد
الاول تفسير الفوز بالنجاة والتفصي من الشي والثاني تفسيره بالظفر بالخير من طول السلامة
وهو الملايم لقوله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز فوزا وفيه نظر وقدم
المصنف الفوز مع تاخره في النص والواقع لان المراد ما حصل من الامرين وقيل ذلك اشارة
بالبعد لبعد رتبته لان الدخول اذا كان وحده فوزا فكيف مع العفو وهو معنى انيق لم يذكروه

قلت لم يذكروه لما فيه من الدخول بغير عفو لا يصح وهلاك عدوه اى علمه الله تعالى بهلاك
اعدائه بقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم
دائرة السوء يعذب اهل النفاق والشرك كما يعذب المؤمنين لظنهم بالله ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا والمراد بالعذاب المذكور العذاب فى الدنيا بالقتل والجزية ونحوه
والاخرة بجهنم والاول يعلم بالواقع وقوله عليهم دائرة السوء اى يحيط بهم ما ظنوه بالمؤمنين
ولعنهم اصل معنى اللعن الطرد والبعد ثم خص كما اشار اليه بقوله وبعدهم من رحمته اى علمهم
بلعنهم وبعدهم بقوله وغضب الله عليهم ولعنهم واعد له جهنم وساءت مصيرا اى انتقم الله
منهم بابعادهم من رحمته وهيئة جهنم التى هى اسوء مقرهم وسوء تقلبهم بفتح اللام اسم مكان
وقال الحلبى مصدر بمعنى الانقلاب والاول اولى لقوله وساءت مصيرا ولم يتعرض المصرح
لذكر غضبه المذكور ذكره لان الاطناب فى الابعاد ابلغ مع ما فيه من الاشارة الى ان عذابهم
ليس لتطهيرهم وانما هو ناش من الغضب عليهم بما قال متعلق باعلمه وفى نسخة ثم قال تبارك وتعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية احوال مقدرة للاعلام ببعض ما اوتيه عم
ببعض ما اوتيه عم والاية بالنصب اى اقرء الاية متمما لها بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا وهذا مبنى على النهاية لا اثنان لانه ربط لتؤمنوا
بانا ارسلناك بجنده فان كان من ذهب الى غيره بقوله انه لا ينافيه الا ترى ان قوله تعالى وانكم
لتمرون عليهم مصبحين اية تامة مع ربطا قوله وبالليل به فقد د محاسنه الفاء للتفصيل والمجلز
تقدمت فعطف فيه المفصل على المجمل وخصائصه فضائله التى اختص بها اختصاصا حقيقيا
او نسبيا من شهادته على امته لنفسه شهادة مقبولة لدعواه ومن بيانية وقيل ابتدائية لاستحالة
كون ما بعدها مبنيا لمحاسنه وخصائصه مع كثرتها وجعل قوله ومبشرا ونذير بتقدير وكونه
مبشرا وكونه منذرا على العطف على شهادته تكليف قذر بتبليغ الرسالة لهم لا حاجة لتأويله
باليهم لتعديه باللام وقيل شاهد لهم بالتوحيد فالمراد بالامة المؤمنون وفيه كلام تقدم
وفى بعض التفاسير شاهد للامة بالقبول وعليهم بالانكار وللرسل عليهم الصلوة والسلام
بالتبليغ وعلى اممهم بالجحد فهم وهو افيد ومبشر الامته بالثواب قيل انه معطوف على شهادته
بتأويل كونه شاهدا ومبشرا والثواب قطعا على العمل الصالح ولو بعد دخول النار وقيل بالمغفرة
والنجاة من النار او العفو فى الجملة فيشمل الكل ومنذرا عدوه بالعذاب اى منذرا اعدائه
الكفار والانذار معناه التخويف والتبشير بحسب الظاهر لامة المسلمين والانذار للكافرين
وقد يعم كل منهما فيكون الانذار لكل من عصى وخالف الامر مؤمنا كان او كافرا والتبشير
لكل من اطاع مؤمنا وكافرا فانه للكافر تبشيرا معلقا كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وهنا يختلف باختلاف المقامات ولذا قيل فى قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا انه على ظاهره من غير توزيع وان احتمله وقيل فى تفسير قوله محذرا من الضلال
قيل انه شامل للمؤمن والكافر لكن قوله ليؤمنوا بالله ثم به عم من سبقت له من الله الحسنى

يأباه الا ان يفسر بيثبت ويدوم او يزداد ويرقى ايمانه ولا حاجة اليه والتراخى زمانا
ويجوز ان يكون رتبيا او اعم منهما والحسنى لصفة الحسنى قيل المراد بها السعادة فى الدارين
وقد فسرت بالجنة وبالبشارة بها وهذا انسب بما هو بصدده من تفسير مبشرا ونذيرا
والمراد بسبقها كونها مقدره فى علمه الازلى ومن عبارة عن القوم روعى لفظه فافرد ضميره ومعناه
فقال لتؤمنوا بالله ورسوله اى برسالته وبما جاء به وقرئ بالخطاب والغيبة فيه وفيما بعده من قوله
ويعزروه الى اخره والخطاب له عم وللامة لانه كما يجب على الامة الايمان بالله وبه عم يجب
على ذلك اولهم ففيه التفات او ينزل خطابه عم منزلة خطابهم ويعزروه براء مهملة بعد المعجمة
وهو بصيغة الخطاب والغيبة فى القراءة اى تجلونه كذا فى النسخ بالنون مع المفسر لا نون فيه
وينبغى حذفها ان قلنا الجملة المفسرة تابعة لما فسرت به وفيه بحث والاجلال التعظيم وكذا التوقير
فعلى هذا يكون تأكيدا وقد فسر التعزير فى اللغة بالنصر والتقوية فالاولى التفسيرية ليكون تاسيا
فقوله وقيل ينصرونه ينبغى تقديمه وتأخيره وتمريضه لا سيما وقد ذكر الثعلبى فى تفسيره ان هذا
التفسير روى عن النبى عم وروى تجلوه وتنصروه بلا نون وقيل تبالغون فى تعظيمه وجه
تمريضه انه كان ينبغى تأخيره توقيره على هذا وما قيل من ان الامر بالتعظيم بعد الامر للمبالغة اشعارا
بان الاصل مما يجب ان يعتنى به كل الاعتنا واما المبالغة فقد تسامح فيها ويحتمل ان هذا القائل حمل
التوقير على معنى غير التعظيم ضمير توقروه لله بمعنى قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون عظمته
بعيدة وتوقروه اى تعظموه روى بنون وبغير نون وقراءة بعضهم هو الجحدرى تعززوه بزائين
من العز من العز خبر قراءة وقوله بزائين بهمزة او ياء بعد الالف كما قال التلمسانى لان فى اسم المعجمة
ثلث لغات زاى بالمد والهمز وزاى بالياء وزى بزنة كى وهو بمعنى التعزير وقال من العز وهو القوة
والغلبة والرفعة والشدة لان مصدر المزيد من مصدر المجرد عند بعضهم او هو تسمح منه
والاكثر والاظهر ان هذا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم يعنى انهم اختلفوا فى هذه الضمائر هل كلها لله
او للرسول عم فلا يلزم تفكيك الضمائر او بعضها لله وبعضها للرسول عم لسبق ذكرهما فاختار الز
مخشرى وتبعه القاضى الاول لتعينه فى ليجيء وتشتيت الضمائر وتفكيكها غير متجه لما فيه من الركاكة
ومخالفة الظاهر واختار المصنف عود ضمير يعزروه ويوقروه فقط للرسول عم للقرينة المعنوية
التى تدفع هجنة التفكيك لان التعزير والتوقير لا يستعملان فى حقه تعالى ففيه بعد لا يناسب
بلاغة القرآن وقد رجعت هذه الضمائر له فى اية الاعراف فالذين امنوا به وعزروه ونصروه
ولهذا وقف كثير من القراء على قوله توقروه للفصل بين ضمير الرسول عم وضمير الله وما قيل من ان
التعزير بمعنى التعظيم يطلق على الله بمعنى النصر والاعانة بمعنى نصر دينه ورسوله وهو نصرة له
واما التوقير فلا اشكال فيه كقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا انما الاشكال فى التعزير لانه
من الاضداد ويستعمل فيما لا يليق كالتاديب لا يدفع الاظهرية الموافقة لما دل عليه الاداء والتفكيك
مع ظهور القرائن كثير فى كلامهم والاكثر مبتداء والاظهر معطوف عليه وان هذا الى اخره
خبرهما اما بتقدير على بقطع النظر عن التابع وتغليب المتبوع مع موافقته بحسب الظاهر وقيل

الاظهر مبتداء ما بعده فتبعوه ويقدر مثله لقول الاكبر وكن على تقدير على نحو قول ابن الحاجب
وما وقع ظرفا فالاكثر انه مقدر بجملة ثم قال وليسبحوه فهذا راجع الى الله تبارك وتعالى اشار بثم الدالة
على التراخي الى ما عليه اهل الاداء من الوقوف على توقروه ردا على من خالف فعين رجوع الضمير كما في
نظيره السابق لله قال الزمخشري ليسبحوه من التسبيح او من السبحة وهي الصلاة وفيه على الحذف والايصال
كما اشار اليه القاضي رح بقوله في تفسيره تنزهوه او تصلوا له قال ابن عطا الذي تقدمت ترجمته
جمع للنبي في هذه السورة نعم مختلفة اي متعددة كثيرة متغايرة لفظا ومعنى ولذا عقد لها المص
رح فصلا مخصوصا من الفتح المبين الظاهر في نفسه المظهر لدينه ورسوله ع م وهو من اعلام
بفتح الهمزة جمع علم بمعنى امارة ودليل الاجابة اي اجابة وتحزله كل ما يرجوه منه فان فتح مكة اعظم
مطالبة واجل نعمة ولذا يقول المسلمين اعز عبده وانجز وعده والمغفرة وهي من اعلام المحبة فيه
اشارة الى ان المغفرة المراد بها اظهار شدة محبة الله له كما يقول لمن يحبه كل ما يصدر منك مغفور لدى
وكل ما يفعله المحبوب محبوب وتمام النعمة وهو من اعلام الاختصاص اي هو دليل على انه تعالى جعله
من خواص انبيائه ع م لانعامه عليه مما لم ينله غيره كما قال تعالى والله يختص برحمته من يشاء
والهداية وهي من اعلام الولاية اي ان الله تعالى امور اذ هداه الى الطريق الموصل الى قربه والولاية
بكسر الواو وفتحها كالمرو النصر والتأييد فهدايته اما اليه وهي علامة لتوليه اموره من التبليغ
وغيره وتشبيه اي تربية عليه المؤدي لنصرته كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا ثم فرع عليه قوله فالمغفرة بقرينة من العيوب اي هي كناية عن شدة محبة له وهو
لا يحب الا من كان كامل الخلق والخلق مبرا مما لا يحبه وفيه اشارة لما سلف وبعرية بزنة مكرمة
مصدر مهموز من البراءة او بضم التاء وفتح الموحدة وكسر الراء المشددة وهمزة مضمومة
مضارع من النزاهة بمعنى انه تعالى ولاه الفتح المبين لتنزهه عما لا يليق بمنصبه تعالى فيل
فيكون في مقام التجلي ويبلغه بتمام النعمة عليه درجة كاملة كما ذكره المص يترتب عليه التجلي بالمشا
هدات القلبية الناشئة عن التجليات ابلاغ الدرجة الكاملة عن مشاهدة فانه مطلوبه
ونزهه عن كل عيب وحلاه بكمالات مهيبة لمشاهدته وتدعوه لها كما اشار اليه بقوله والهداية
وهي الدعوة الى المشاهدة لما مر من ان المشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات الجلية لا ما وقع
له ليلة المعراج لتقدمها على فتح مكة وصلح الحديبية وكون المراد بالفتح القضاء المتقدم ترجمته
في تفسير هذه الاية من تمام نعمته عليه اي من اتمام نعمة التي انعم بها عليه ان جعله حبيبه اي
اصطفاه وحضه واكرمه اكرام حبيبه ولا فخر واقسم بحياته في قوله لعمرك احد الاقوال المتقدمة
ونسخ به اي بشرعه شرايع غيره جميعها او مجموعها فلم تبق شريعة احد بكمالها وان بقي بعض منها
ولا بأس بابقائه على ظاهره فانه لا يجوز العمل بشيء من شرع غيره الا من حيث انه صار شرعا له
ع م بتقريره وعوج به بالبناء للمجهول والتخفيف اي اعوجه ورفعه بناء على انه لا يلزم مضاجعة
الفاعل ان لم يكن التقدير عوج جبريل ع م وقيل عوج به بمعنى صعد به لا اصعده وفي الصحيح
عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى فان صح وروده بمعنى اصعده كذهب الله بنورهم اي اذهبه

فلا كلام

فلا كلام فيه والا فهو كبين الامير المدينة اي امر جبريل بالعروج به ع م الى المحل الاعلى الجنة 146
او العرش او ما فوقه او ما فوق العالم كما حكاه التفتازاني وحفظه في المعراج اي في ليلة المعراج
او في عروجه لو في مصعده كما سيأتي حتى ما زاغ البصر وما طغى تقدم تفسيره وبعثه ارسله
رسول الله ع م الى الاحمر والاسود جميع الخلق كما تقدم وسيأتي تفضيله واحل له ع م ولامته
الغنائم التصرف فيها كما تقدم وجعله شفيعا اي اذن له ع م في الشفاعة وخصه ولعبة
مشفعا مقبول الشفاعة وسيد ولد ادم بل سيد الاولين والاخرين وجميع العالمين كما ورد
في الاحاديث الصحيحة وقرن ذكره بذكره في التشهد والاذان ومواضع تزيد على عشرين في القران
وهو معين ورفعنا لك ذكرك كما مر ورضاه برضاه مصدرات مقصورات اي جعل رضا الله
برضى رسوله ع م او رضاء الرسول ع م برضاء الله يعني طاعته طاعته للزوم الرضا للطاعة
لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والاظهر انه اشارة الى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وجعله احد ركني التوحيد اصل معنى التوحيد في عرف الشرع اعتقاد توحيد الله تعالى وانفراده
في ذاته وصفاته والوهيته وانه لا معبود سواه ويطلق ويراد به ما يجب الايمان به واصل معنى
الركن الجانب واركان الشيء اجزاؤه الخارجية او اجزاء ماهية الداخلة فيها بخلاف الشرط فانه
الخارج الذي يتوقف عليه صحته ولما كان الايمان الكامل انما يتحقق بالتصديق والاقرار بنبوته ع م
ورسالته جعل ركنا من التوحيد لا يتم ولا يقبل بدونه سواء كان بالمعنى الاول او بالمعنى الثاني حقيقة
والظاهر تفسير الاتمام بما كان قبله لانه اراد بالفتح القضاء او جعل العلة اجتماع ما ذكر او اراد
بيان نعم يحصل باجتماعها التمام لا بيان الاتمام نفسه ثم قال تعالى ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله يعني بيعة الرضوان هنا كالدليل على ما قبله وعطفه بثم نظر الاول لما قبل للتراخيه
عنه فلا حاجة للتراخي الرتبي والمبايعة اخذ العهد والميثاق على امر وكان من عادتهم وضع اليد
على اليد اشارة الى التعاضد والتمسك فلذا قال يد الله فوق ايديهم وبيعة الرضوان كانت بالحديبية
وسميت بها لقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهي شجرة سمرة وعضا
وقعت تحتها البيعة وبقيت الى زمن عمر رض وكانوا الفا واربعمائة او خمسمائة والمبايعة كانت
على ان لا يفروا على الموت ولا تخالف بينهما وقيل كانت على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة
في العسر واليسر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى ان يقول في الله لا تأخذنا لومة لائم وعلى ان ينصره
اذا قدم علينا يثرب مما تمنع منه انفسنا وازواجنا وابنائنا ولنا الجنة فمن نكث فانما ينكث على نفسه
وهذا وهم من ناقله فان هذا انما قيل في بيعة العقبة ولم يتخلف احد منهم عن البيعة غير الجد بن قيس
وعثمان رض لان النبي ع م كان بعثه الى قريش ليخبرهم انهم لم يتقدموا الحرب وانما جاوزوا للبيت
فبايع النبي ع م عنه وقال هذه يد عثمان او كان وقع الارجاف بقتله اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك
والمبايعة مفاعلة من البيع لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
فان الله تعالى باع منهم الجنة بانفسهم واموالهم لهم وهم باعوا انفسهم واموالهم بها فالبيع والشراء
مقابضة والتسليم في المعركة كما اشار اليه بقوله يقاتلون الى اخره لا اسلم كما في بعض شروح قيل

ولذاقال بان لهم الجنة دون بالجنة وفيه نظر والمراد المعاهدة والمعاقدة كما يرشد اليه قوله ومن اوفى بعهده من الله ولما ورد انه كيف اثبت مبايعة الرسول عم بقوله ونفاها فى ضمن الحصر اجيب عنه باجوبة منها ان المثبت مجب الصورة والمنفى مجب الحقيقة وليس المراد نفى الحقيقة من حيث هى بلا تأويل بل يجعلها كانها معدومة ادعاء من المؤمنين الواصلين لمقام الاحسان بطى الوسائط لغلبة الشهود والقصر ادعايى وقيل انه حقيقى على التشبيه فكانه بلا واسطة وفيه تعظيم وقيل النفى غير مراد والحصر مجاز عن تأكيد الحكم لا اضافى ردا على زعم انه مع الجن واولى الوجوه الاول ولما جعل المبايعة مع الله حقيقة أكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم على سبيل التخييل كما ستراه فلذا قال يريد عند البيعة اى المبايعة على عادتهم فى وضع اليد فوق اليد وهذا من المتشابه وجمهور السلف فيه على تفويض علمه الى الله وتنزيهه مما لا يليق به وذهب بعضهم الى تأويله بما يليق به بشرط موافقته لكلام العرب وذهب ابن الهمام رح الى انه ان ادعت اليه حاجة جاز والا فلا وفى ابن دقيق العيد رح الى انه كان التاويل قريبا جاز والا فلا واليه اشار المصنف بما ذكره هنا قال الاشعرى رح اليد ورد باطلاقها عليه تعالى الشرع والمراد بها صفة قريبة من القدرة الا انها احض كالارادة والمحبة فانه فى اليد تشريفا لازما وفى الكشاف لما قال انما يبايعون الله اكده على طريق التخييل فقال يد الله الى اخره يريد يد رسول الله عم التى فوق يد المبايعين وهو منزه عن الجوارح فالمراد تقدير ان عهد الميثاق مع الرسول الله عم كعهده مع الله من غير تفاوت وتبعه البيضاوى حيث قال الجملة حال او استيناف موكد على سبيل التخييل وبانه كما قيل انه لما شبه مبايعة الرسول عم بمبايعة الله تشبيها بليغا ومن ضرورة ذلك شبه الذات المقدس بالمبايع تشبيها مضمرا فى النفس تحققت هناك استعارة مكنية وهى التشبيه المضمر عند صاحب التلخيص وعند السكاكى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه ادعاء اى عند غيرهما عبارة عن اسم المشبه به المتروك والمرموز اليه بذكر لازمه ولا يصح هنا ما قال السكاكى لمزوم استعمال الجلالة فى ذاته تعالى وهو لا يجوز اجماعا فالتخييل الذى قالوه هنا عبارة عن اثبات اليد التى هى من لوازم المشبه به وهو المبايع وهى قرينة الكناية على راى القدوبين وعلى راى غيره عبارة عن لفظ اليد المثبت والفرق بين مذهبا السكاكى ومذهب الجمهور ان المخلية لا يتحقق لمعناها حسا ولا عقلا بل هى صورة وهمية لا يشوبها شىء من التحقيق كاظفار المنية فانه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال صورها الوهم بصورته واخترع بها صورة اظفار واطلق عليها لفظ الاظفار ولا يمكن هنا اعتبار مذهبه بان يخترع الله صورة وهمية مرادة من لفظ اليد وقد صرح الزمخشرى بان المراد يد رسول الله عم التى يعلوا يد المبايعين واضيف لله لنكتة ذكرها وكلامه يدل على بطلان لانه يدل على تحقق التخييل فى مادة لا يتصور فيها اعتبار الصورة الوهمية الا ان يقال انه لم يعترف بوجود التخييل هنا وقوله كنا تاكيد على طريق التخييل معناه ان التشبيه بليغ فى انما يبايعون الله فاراد عقد الميثاق مع الله والرسول عم سواء بلا تفاوت والمكنية المقرونة تفيد هنا فالجملة المشتملة على الاستعارة تاكيد بجملة التشبيه البليغ على راى اهل المعانى دون النحاة ولذا لم يعطف وانما ذكر التخييل دون الكناية لاستلزامه لها وذكره

صريحا فاكتفى باحد المتلازمين عن الاخر فان قلت المشبه به فى التشبيه المضمر المقرون بالتخييل اما المبايع المطلق او الخاص وهو الرسول عم وعلى الاول لا يصح جعل يد الرسول عم وعلى الثانى من لوازم المشبه لعموم المشبه به وخصوص يد الرسول عم وعلى الثانى يرد عليه ان يد الله لعمومها لا يختص بيد الرسول عم لان العام لا دلالة له على الخاص فكيف يصح قوله يريد يد الرسول عم قلت يختار الاول ويجعل التخييل عبارة عن اثبات اليد مطلقا وخصوص اضافتها من المقام او الثانى واليد وان عمت الايادى كلها مقرونة بما يخصها وهو قوله فوق ايديهم لان اليد فوق ايديهم انما هى يد النبى عم فالتخييل اثبات يد الرسول لله وهذا كله بناء على حمل كلامه على اصطلاح اهل المعانى وهو الظاهر وان حمل التخييل على اللغوى فان اضافة اليد للمنزه على الجارحة بمجرد تخييل وتصوير لقصد المبالغة والتاكيد لم يحتج الى الاعتبارات المذكورة الا انه مع بعده مخالف لعادته فى الجرى على المصطلح وروى انما يبايعون الله لوجه الله وقال التلمسانى الصواب ان يقول معناه عند البيعة والافارادة والعناية انما هى فى كلام المخلوقين ولا ينبغى ان يقول المفسر لا يريد بل يقول من معناه او يجوز ويحتمل ونحوه وهذا مما لا وجه له قيل فى تفسير اليد قوة الله هذا على مذهب الخلف الذاهبين الى تاويل المتشابه اى المراد باليد هنا القوة فانه تعالى يوصف بها ومن اسمائه القوى اى قوة الله وقدرته فى نصر رسول الله عم فوق قواهم فهو مجاز مرسل لان اثارها تظهر باليد قيل فعلى هذا يكون نعمة مستقبلة وعد الله بها رسول الله عم ولا مانع من اعتباره فى الحال وقيل ثوابه اى المراد باليد ثواب الله لرسوله عم فوق ثوابهم فى مبايعتهم والوفا بعهدهم وهو قريب من قوله وقيل منته اى نعمته عليهم ببعثه مما نحوه من الهداية والثواب فى الاخرة فوق منهم عليه بمبايعتهم وبذل انفسهم واموالهم واطلاق اليد على النعمة لكونها بمنزلة العلة الفاعلية لها شايع فى كلام العرب ووردت بهذا المعنى مفردة ومجموعة على ايد وايادى وهو جمع الجمع وبعض اهل اللغة قال اليد بمعنى الجارحة تجمع على ايدى وبمعنى النعمة على ايادى والصحيح الاول والدليل عليه قوله لجودك فى قربى يد يعدونها وايدى لنداك فى الصالحين قروض وقوله ساشكر عمرا ان تراخت منيتى ايادى لم تمنن وان هى جلت قيل والى هذا المعنى يرجع ما قبله وما قيل من انها من الله الثواب ومن المبايعين الطاعة غير ظاهر وقيل اليد هنا معناها عقدة قيل معنى العقد ربط الحبل ونحوه ثم استعير لمعان منها العهد والميثاق ويقال عاقدته على كذا وعقدته بمعنى عاهدته كما فى المصباح وهو المراد هنا اى اليد عبارة عن عقد العهد وهى المبايعة المذكورة فان كان بمعناه المصدرى فهو ايجاده عهد البيعة واتمامه بمعنى ان الله اوجد هذه البيعة وتمها فاستعار لايجاده عقدها اسم اليد لان الناس يفعلونها فهى من اطلاق المسبب على السبب وفوق ايديهم ترشيح للاستعارة اللغوية فان لها ترشيحا كما صرحوا به وايديهم على حقيقته كما فى شرح البخارى واعترض عليه بان اول كلامه ظاهر فى ان اليد عبارة عن العقد وقوله استعارة لايجاده عقدها يقتضى استعارتها للايجاد وعليها النحو فى الفهد وهو اليد فالمعنى ان عقد الله او ايجاده فوق ايديهم وهو مخالف لتفسيره بان الله تعالى اوجد هذه البيعة وتمم عقدها وهذا المعنى انما يستفاد من مجموع يد الله فوق ايديهم فانه لازم

معناه التركيبي وانه لو كان له يد فوق ايديهم فانه لازم معناه وجارحة جوارحهم لكان هو الذي اوجد
هذه البيعة والتحقيق انه مجازي مركب كتقدم رجلا وتوخر اخرى وبهذا يظهر مناسبته لما قبله اول
ان العقد مصدر فيطلق على المعنى المصدري وعلى الحاصل به وعلى هذا فلا تنافي قول كلامه ولمخره
الا ان تكون اليد الثانية بمعناها الحقيقي غير متجه نعم ما ادعاه من انه مجاز مركب له وجه سواء
كان استعارة او مجازا مرسلا واما قول الرازي يد الله فوق ايديهم اي حفظه فوق جارحتهم
بحفظهم على البيعة كما انه قد توضع اليد على يد المتبايعين ليتم عقدهم فقد قيل انه ناظر الى الا
الاستعارة التمثيلية الا انه لا يقتضي اذ المتبايعين للرسول عم الا والله حافظ لا مبايع ومنهم
من ذهب الى ان في يد الله مكنية وتخييلية بان شبه الله برسوله ثم ذكر المشبه مثبتا له يدا على
التخييل كما نقله بعض الشراح وهو مما لا ينبغي نقله لشناعته ان سلمت صحته كما قيل وهذه استعا
وتجنيس اي استعارا والتقدير ذات استعارة وقد عرفت مما مر انه تجوز في الاستعارة ان يكون
مكنية وتخييلية او تصريحية او استعارة لغوية وهي المجاز المرسل او اعم منه ومن المصطلحة
وحدها الرماني بانها تعليق العبارة على غيرها وضعت له في اصل اللغة على سبيل النقل اوهي
تمثيلية كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم فانها تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم
الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيل الله وقوله استعارة راجع لما قبله او للوجه الاخير فهو
مقبول القول وكلام مستانف من كلام المص متعلق بالاخير وجزم به بعض الشراح قال لانه
فيما قبله ليس استعارة بل مجاز مرسل وحقيقة وفيه ما لا يخفى والتجنيس في بعض النسخ مكانه تحنيس
بحاء وسين مهملتين والمشهور هو الاول وهذا التجنيس جار على احد الوجوه وهو ان ايديهم مستعمل
في معناه الحقيقي ولا شك ان يد الله ليست بهذا المعنى فيتم الجناس من غير شبهة لانه توافق الكلمتين
لفظا سواء كان المعنيان حقيقتان او مجازيان او احدهما حقيقة والاخر مجازا كما نحن فيه وهو تام
ان قلنا التخالف بالافراد والجمع لا ينافيه والا فهذا نوع لم يتعرض له ارباب البديع وعلى هذا
يزاد على ما في الاتقان من انه لم يقع الجناس التام في القرآن الا في موضعين ولم يذكر هذا فيه على انا
لو قلنا انهما بمعنى مجازي ففيه تجنيس بناء على ان الصفات المشتركة بين الله وعباده كالمنعم هل هي
بمعنى او بينهما تخالف بحسب الحقيقة احتمالات كما فصله ابن القيم في كتاب الفوائد والعجب من الشراح
حيث اعترضوا على المصنف رح حتى قال بعضهم انه لم يرد التجنيس البديعي بل اللغوي وهو مطلق
المناسب لان العقد اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد الجارحة فبينهما وبينه الايدي مناسبة
وهذا مع فساده لا وجه له ثم ذكر بعضهم كلاما فيه خبط وخلط ثم قال ما زعمه ابن دريد من ان
الاصمعي كان يدفع قول العامة هذا يجانس لهذا ويقول انه مولد فغير قادح في صحة ان يقال ان هذا
تجنيسا بين هذا وهذا الاختلاف الصورة وان تجردت المادة بناء على انهما من الجنس الذي هو الضرب
الذي هو اعم من النوع كما نبه عليه الجوهري وهذا لم يفهم كلام الاصمعي فان مراده ان الجنس جامد ليس
اشتقاق صفة منه كالتحجر واما استعماله المصرح له فانه خطاء مشهور وهو خير من ان الصواب
المهجور فان المصنفين لا يبالون بمثله كما في كشف الكشاف ولفظ الجناس ايضا مولد واختلف فيه

هل هو

هل هو بكسر الجيم او فتحها ولم يذكره اهل اللغة وتاكيد لعقد بيعتهم اياه اي الرسول عم من حيث جعل
بيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التي يقبلوا ايديهم هي يد الله على ما مر وعظم شان المبايع عم
عظم زنة عنب مصدر بمعنى العظمة مجرور معطوف على عقد والمبايع اسم فاعل او مفعول
والاول انسب بالمقام ولذا اقتصر عليه التلمساني رح والمراد به النبي عم ودلالته على
تعظيمه بجعل يده يد الله وطاعته طاعته وفيه تعظيم لمن تابعه ايضا وهو تعظيم له داخل
فيما ذكره المص وقول بعضهم ان فيه تشبيه ذات النبي عم بذات الله يلزمه اطلاق الجلالة
على غير الله وهو لا يجوز الا ان يقال ان مثله يجوز في الاستعارة المكنية على بعض الاقوال
كما مر وفيه تاكيد لما قبله من جعل بيعته بيعته وقد يكون من هذا القبيل الذي جعل فيه فعل العبد
عين فعل الله كما في هذه الاية ان الذين يبايعونك انما الى اخره وقد للتحقيق وهي مجاز عن كونه
محتملا وفيه بعد قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اي
لم تقتلوا قريشا اذ اسلطكم الله عليهم ونصركم ولكن الله قتلهم اذ هو الخالق لهذا الفعل فيكم وان كنتم
مباشرين له وهذه الاية نزلت في غزوة بدر او حنين كالتي بعدها وقوله وما رميت الى اخره اشارة
ما وقع عنه اذ رمى النبي عم المشركين بكف من حصاة وتراب كما يعلم مما ياتي وقال شاهت الوجوه فلم
يبق الا ملئت عينيه منه فاشتغلوا وانهزم فشد عليهم المسلمون حتى قتلوهم ونزلت الاية والمتابعة
بين الايات انه اثبت لنفسه فعلا كان لغيره بحسب الظاهر وجعل الثلثة منحصرة فيه وليس فيه وفيما
بعده اتباعا للمعتزلة في خلق الافعال كما توهم وكلا الايتين من قبيل انما يبايعون الله لما فيهما من النفي
والاثبات كما يفيده قوله يبايعونك انما يبايعون الله فمن قال ليس فيهما نفي واثبات لا صريحا ولا دلالة
لم يصب وان كان الاول من باب المجاز اي وان كان المذكور اولا من قوله يد الله من نوع المجاز وهذا
القتل والرمي المسند الى الله من باب الحقيقة وليس هذا اشارة الى القتل فقط وروى في باب الحقيقة
اي داخل فيه والمجاز بانواعه والحقيقة امر مشهور لا حاجة لبيانه هنا كما في بعض الشروح والمراد
بالمجاز المجاز اللغوي لا العقلي الواقع في النسب وصرف بعضهم المجاز الى المبايعة واليد والفوقية
نورد عليه انه يجوز ان يكون تشبيها بليغا فاحتاج الى الجواب بانه على راي من يقول انه مجاز وليس فيه
اداة مقدرة او انه راجع الى اليد على بعض الوجوه وقال بعضهم ان المصنف رح لم يرد المبايعة
في الاية على اطلاقها اذ قيدها باليد المستحيلة في حق الله تعالى في قوله يد الله الى اخره والمعنى
ان الذين يبايعون الله تلك المبايعة فتعين ان قوله انما يبايعون الله مجاز لغوي مركب اي لا يكون ايجاد
مبايعتهم منك بل من الله وفيه بحث يعلم مما قدمناه لان القاتل والرامي في الحقيقة وفي اكثر النسخ
الحقيقة ومعناهما واحد والمراد بالحقيقة نفس الامر والواقع ويلزمه ان يكون حقيقة اصطلاحية
هو الله لا النبي عم ولا المخاطبون ثم ذكر علة كون الرامي حقيقة الله لا غيره لانه المتعلق بالنبي
عم وادرج فيه القتل فقال وهو خالق فعله اي الله خالق فعل النبي عم كسائر العباد ويحتمل عود
الضمير الى العبد لفهمه من السياق وفيه تخصيص بعد التعميم او تفسير وقدرته عليه ومشيته
المشية بمعنى الارادة وبينهما فرق مفصل في كتب الكلام وضمير عليه للعقل وفي نسخة مصححة

مسببه بالسين المهملة وتشديد الموحدة المكسورة اسم فاعل من فرع معطوف على خالق ويجوز جره
عطفا على فعله فيكون بمعنى السبب ثم اشار الى تعليل اشان ودليل على كون الفعل في الايتين
حقيقة واعاد اللام اشارة الى استقلال ومغايرته لما قبله فقال ولانه ليس في قدرة
البشر فهذا لفظ مشترك يقال على الانسان ويستوى فيه الواحد وغيره فلا يجمع ويقال
بشر والبشار جمع بشرة وهى على الجلد توصيل تلك لرميه حيث وصلت اى مكان وصولها
من وجوههم لانه عم قال لعلى رض بيد رنا وليركفا من الحصا فناوله فرمى به وجوه القوم فابقى الا من
وقع في عينيه منها وقيل اخذ قبضة من تراب رمى بها وقال شاهت الوجوه فما بقى من مشرك الا شغل
بعينه يعالج التراب الذى فيهما فنزل وما رميت ذكره ابن الجوزى رح وذكر ان سبب نزول هذه الاية
فلم تقتلوهم الى اخره ان الصحابة رض لما رجعوا من بدر وهو لا ينافى ما ذكره المصرح من ان الملائكة
عم قاتلوا الا انى لان ما قالوه بناء على ما رواه بحسب الظاهر والى ما ذكرنا شار بقوله حتى لم يبق
منهم من لم تملأ عينه اى لم يبق من المشركين احد لم تملأ رميته عم عينيه من التراب ودقيق خصائصه
حقيقة او نظرا الاكثر ولذا قيل عرفانه روى هنا وهنا فعل الله لا فعله عم والفرق بين التعليلين
ان الاول بناء على ان الله تعالى خالق لفعل العبد ولقدرته عليه وموجد لسببه وهو غير مختص بالمخ
فيه ولذا قدمه والثانى مبنى على ان هذا الفعل ليس مقدورا للبشر فعلى الاول هو حقيقة باعتبار
الواقع دون عرف اللغة وعلى الثانى حقيقة لغوية وعرفية والمذاهب في الافعال ثلثة ان العبد
موجد لفعله بكسبه والله خالق لقدرته وتمكينه منه وقيل الفاعل هو الله لا غير وقيل ان الله والعبد
موجدان للفعل ولا مانع من اجتماع مؤثرين على اثر واحد وللجلال بحث مستقل في هذه الرسالة وعلى
كل حال فالعبد مباشر فيصح النفى عنه والاثبات له والله اذ الفعل ينسب الى الموجد والمباشر
كليهما على الحقيقة اللغوية واعترض بانه لو صح هذا صح ما صليت والله على وكذا في المعاصى واجيب
بانه ان اراد صحة نسبة جميع الافعال الى الله فهو ممنوع اذ قد يمنع عنها مانع مع صحة المعنى كابهام
او شناعة كما قيل في المغارف وخالق الخنازير واطلاق الشارع لا يقاس عليه وان اراد صحة النفى
عن عبد واثباته حقيقة الله فبطلانه مسلم وخص هذا المقام بذكره لانه مظنة الخيلاء ان قالوا
قتلنا واسرنا فنزلت تعليما وتاديبا فلا يدوا ذلك الا من الله وقد صرح المحقق في شرح المقا
بان الفعل لا يسند حقيقة الا لمن قام به لا لمن اوجده وشنع على من قال بخلافه وبه صرح شراح
الكشاف في قوله شققنا الارض شقا فاسناد القتل والرمى الى الله مجاز على ما فيه او اراد ان القتل
والرمى ثابتان له خلقا دون المباشرة معه واليد فليست بالمعنى المصطلح ثم كونه تعالى خالق القدرة
والمعنى لا دخل له في المدعى وانما ذكر للمناسبة انتهى ملخصا اقول الفرق بين الفاعل اللغوى والفاعل
الحقيقى الذى وعدناك به امر مبهم ولم يحققه احد كالابهرى في شرح العضد حيث قال الفاعل يجب
ان يكون سببا قابلا لفعله يصح الاسناد اليه لغة فاذا خلق الله شيئا في محل يقوم به يسند ذلك
الشىء الى محله وان لم يكن له مدخل في التاثير الا اليه تعالى وكذا نحو الطاعة والمعصية والعيب
مما يقوم بالعبد يسند اليه دون الله وان كان اوجده ولذا شدد النكير عن المعتزلة في اسناد الكلام

الى الله

الى الله لكونه اوجده ولم يقم به لعدم صحته لغة بالاستمرار ولذا اسند الفعل لغير السبب القابلى لم
يجعل مجازا عن فعل اخر مناسب له ويكفى في هذا ان يعد سببا قابليا في عرف العرب ولا يجب ان يكون
محلا له في الحقيقة كما في شرح تحدوتيك فلا تجد احدا من العرب يخطر بباله عند اسناد الضرب لعمرو
والمرة الى الرؤية ان فاعلهما غير المذكور هكذا المقام لتندفع به الاوهام الى اخر ما حققه
بما لا مزيد عليه ولم يذكر فيه اختلافا مع طول باعه وسعة اطلاعه واذا عرفت هذا ففيما ذكره
هذا القائل امور منها ان قوله ان الفعل ينسب للموجد والمباشر حقيقة لغوية غير صحيح لانه
لا ينسب الا لمن قام به وعد مجازا له عند اهل اللسان مع ان اول كلامه غير مستلاخره ومنها
ان الحقيقة تطلق على ما يقابل المجاز الاصطلاحى وعلى الواقع ونفس الامر والمصنفون اذا ارادوا
الاول قالوا هذا مراد به كذا لا حقيقة واذا ارادوا الثانى قالوا هو في الحقيقة بمعنى فترددده في كلام
المصنف لا وجه له ومنها ان قوله ان العارف لا يطلق على الله لايهامه بعينا نه يختص بالجزئيات او بما
لسبقه جهل والاول يوهم اختصاص علمه تعالى والثانى يوهم ما لا يليق به جل وعلا تبع فيه غيره وقد رد
الحافظ العراقى رح في نكته على المنهاج بان امام الحرمين رح فسر العلم بالمعرفة وتبعه البيضاوى
في تفسير قوله تعالى واخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم فقال اى الله يعرفهم ان كان العلم بمعنى
المعرفة متعديا بالواحد واعترض عليه الفاضل المحشى وقال الجوهرى علمته الشىء عرفته وقد وقع
اطلاق المعرفة على الله في كلام النبى عم واقوال الصحابة واهل اللغة فلا حاجة للالجاء للمشاكلة ونحوها
والعجب من صاحب المواقف حيث قال علم الله لا يسمى معرفة اجماعا لا اصطلاحا ولا لغة ولنا عوده
الى بيان ذلك ومنها ان قوله ان كون الله خالقا للقدرة الى اخره لا دخل له في مدعاه عجيب منه فانه اذا
خلق فعل العبد وقدرته عليه وسببه كان ذلك ابلغ في نسبته له على اتم الوجوه فاى مدخلية اعظم
من هذه وكذلك قيل الملائكة لهم حقيقة منهم لمباشرتهم له وحقيقة يجوز رفعه خبر القتل ونصبه على
الحالية وكذلك خبر مقدم وهذا مبنى على ان الملائكة عم قاتلوا في بدر وان قوله ولكن الله قتلهم
بنفيد ولكن الملائكة الله قتلوهم ومنهم من منع قتالهم معهم كما ذكره المفسرون وقال بعض الشراح
ما احق هذا بالتعجب لان القائل حقيقة بالنسبة اليهم هو الله الخالق لافعالهم وقدرهم وهم المباشرون
فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة لم يسند الله وايضا لا يظهر كون لم يقتلوهم مثل ان الذين يبايعونك
الا ان يقال ان اللفظ يطلق على معناه وعلى كمال المقصود منه فاطلق اولا على ما وضع له من نفى القتل
والرمى مع صدوره صورة في قوله فلم تقتلوهم وما رميت ثم ثانيا على المقصود من قذف الرعب في قلوبهم
ومنفعة الرمى وتاثيره ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من اطلاق السبب على المسبب ورد بان الملائكة
عم باشروا القتال واسناده حقيقة اليهم لا الى الصحابة رض فيصح النفى عنهم فما ذكر من قصور الفهم
ثم قال ان هذا الدليل انما يدل على ان النفى عن العبد حقيقة لا الاسناد الى الله اذ لا يلزم من كون الايصال
من الله والنقل من الملائكة عم ان يكون النقل والرمى من الله فلعله باق الدليل الاول لحقيقة الاسناد الى الله
تعالى والثانى لحقيقة النفى فالمجموع دليل على الاثبات والنفى والثانى دليل لبعض المدعى ومثله شايع وهذا
ليس بشىء لمن ورد الاعتراضه وقصور فهم من رده واما الثانى فغير وارد وقد علم جوابه مما قررنا اولا

وقد قيل في هذه الاية الاخرى وهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم انهما على المجاز العربي وفي نسخة العرفي بالفاء
ولما كان الفاعل الحقيقي هو الله تعالى كما مر تحقيقه كان اطلاق الفعل على غيره فعله واسناده لغيره ليس
حقيقيا فيكون مجازا بالنسبة الى الحقيقة الا ان عادة العرب ولغتهم وعرف تخاطبهم على عد غيره فاعلا
حقيقة والقران ورد بلسانهم وجرى على نهج كلامهم وهذا معنى قولنا العربي والعرفي فهما بمعنى ولذا
جعل بعضهم المجاز العرفي شاملا للمجاز في اللفظ والاسناد وان كان المراد هنا الاول والمراد بالعرفي
عرف اللغة وقيل المراد بالعربي اللغوي وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب وهو
احتراز عن المجاز العقلي في الاسناد والنسبة وللتلمساني هنا كلام يتعجب منه وهو المراد بالعرفي ما عدل
عما وضع في عرف غير اللغة والشرع ولا وجه لارادته في هذا المقام الا ان يراد به ما يعم عرف اللغة
فهو في مقابلة العقلي وقد عرفت انه كلام ساقط بد منه وكذا ما قيل ان المجاز لا يختص بلغة العرب
الا انه لما كان متحدثا عنه في علم البيان المدون للفظ العربي مسمى عربيا وهو اصطلاح لم يجر به غيره
ومقابلة اللفظ ومناسبته بجرهما عطفا على المجاز وعطف مناسبة على مقابلة عطف تفسير ان اتحد
والظاهر تغايرهما فانه الاصل والمراد بالمقابلة صفة الطباق وهي الجمع بين متضادين في الجملة سواء
كان مثبتين نحو تحسبهم ايقاظا وهم رقود واحدهما مثبتة والاخر منفي نحو ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا كما في التلخيص وليس المراد المقابلة التي ذكرها التلمساني والمراد بالمناسبة
ذكر اليد في الجانبين والقتل والرمي فيهما فهي بالمعنى اللغوي كالمقابلة وليس المراد بها المشاكلة على حد
قوله قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا وقال التلمساني رح المراد بالمقابلة
الفاظ مواليه مماثلة في الترتيب والمادة كما ذكره ابن رشيق وهو اكثر ما يقع الفاظ الكتاب كقول البحتري
تطيب عبراها البلاد اذا سلوت فينعم رقاها ويصفو نسيمها والمناسبة ذكر الشيء مع ما يناسبه
على جهة الاستعارة او التشبيه كقول المتنبي سقيها عبرات ظنها مطرا سائلا من جفون ظنها سحبا
انتهى والاول لا مناسبة له بوجه من الوجوه والثاني يمكن ارادته اي ما قتلتموهم وما رميت اذ رميت
وجوههم بالحصا والتراب الحصا بالمد الاحجار الصغار وقيل المختلطة بالتراب لان الغالب
ان الحصا مع التراب وفي نسخة ما قتلتموهم اي لم يوجدوا ذلك وتحقيقه ولم يكن منكم ما ثبت لله
من رمي قلوبهم بالخوف والجزع لقوله ولكن الله رمي قلوبهم بالجزع اي رمي ما رماه من الجزع وهو
عدم الصبر لشدة الخوف ولم يتعرض لمعنى القتل المجازي لفهمه مما ذكرنا ولو جعل الرمي شاملا لايصال
الحصا العيونهم الشاغل لهم كان اولى فالله هو الموجد لما ذكر والممكن منه فقيل كان مقتضى الظاهر ان
يقول وما شغلت قلوبهم بالجزع ولكن الله شغلها به فعبر عن شغلها بالرمي للمشاكلة قوله رميت
قاصدا بالرمي الجزع في قلوبهم على تقدير المفعول كما قصد النبي صلى الله عليه وسلم رمي الحصا اي ان منفعة الرمي
كان من فضل الله تعالى والمنفعة والنفع ما يقابل النصر وفي لحن العامة للزبيدي اذا ذكر الضر مع النفع
فهو بفتح الضاد كقوله لا املك نفسي نفعا ولا ضرا واذا ذكر وحده فبالضم كقوله مسه الضر والنفع
بالنصر والغلبة والعزة او شغل قلوبهم بالجزع وسكت عن القتل لعلمه منه فالمراد بالفعل فائدة الموضوع
له فهو القاتل والرامي بالمعنى والحقيقة لانه الموجد له ولسببه ومنفعته المقصودة منه فكانه

هو الذي فعله وتفريع القائلية يدل على انه مقدر قتله او في حكمه او منفعة الرمي التي هي الجزع والرعب
سبب القتل فاذا كانت من الله فهو القاتل لانه الموجد له والرامي لانه الموجد لفائدته فهذا تقرير المعنى
المقصود والفائدة من اجل سببها فهو الموجد لها واتت بالاسم اي بتسميتك راميا واطلاق لفظه
عليك لغة لمباشرتك وان كان الفاعل هو الله وفي عبارة المصرح اشارة الى انه تعالى لو قال
فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم جاز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كما انه في قوله اذ رميت له
خاصة ولا ضير فيه وان لم يباشر القتل بنفسه لجواز ان يكون يسمى قاتلا لانه السبب والامر بالقتال
ولسبب القتل للجميع تغليبا للاكثر على الاقل لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل بنفسه في وقعة بدر كما قال التجاني وغيره
الفصل العاشر في ذكر ما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز اي القديم النظير او الغالب لغيره
من الكتب بالنسخ او الممتنع من مضاهاته باعجازه او من التفسير والتحريف لحفظ الله له
من كرامته عليه يقال كرم الله عليه لتضمينه معنى العزة او هي بمعنى عند وعدل عنها لئلا تتكرر
مع قوله ومكانته عنده اي علو مرتبته وشرفه عند الله كما مر وما خصه به من ذلك المذكور
من الكرامة والمكانة وهو تخصيص بعد تعميم اي فيه كرامات وتشريفات مشتركة ومخصوصة
به صلى الله عليه وسلم سواها انتظم فيما ذكرناه قبل اي غير ما دخل فيما قبله من الفصول وقيل مبني على الضم والنظم
يكون لازما ومتعديا كما صرح به اهل اللغة وفيه استعارة ظاهرة قبل متعلق به او يذكر
على التنازع فيه ولما لم تترعب كراماته قبل اردفه بفصل كمله به ولم يدرجه في بعض ما سبق
كالملاطفة لترجيح هذه الطريق من ذلك ما قصه الله تعالى ما قصصنا الخبر اذا ذكرته على وجهه
كما في المصباح فهو اخص من الذكر مع مجانسة لقوله من قصة الاسراء في سورة سبحان وسورة
النجم وهو متعد بنفسه فلا حاجة لجعله بمعنى بعض عليه على الحذف والايصال والاسراء سيره
صلى الله عليه وسلم من مكة الى الاقصى وما فوقه معراج وعروج ويطلق على ما يشملهما ايضا وكما مر وهنا وان تقدم
مفصلا الا انه ذكره هناك استطرادا وهنا اصالة لعقد الفصل لامثال وما انطوت
اي اشتملت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه من الله المفهومين من قوله امن ذلك ومشاهدة
من العجائب وهذا بناء على ان المراد بالدنو الاتي دنو النبي صلى الله عليه وسلم من الله ادو دنو الله منه دنو منزلته
ومكانه لا منزل ومكان بخلاف القول بان المراد دنو جبريل عليه السلام منه والعجائب ما راى من ايات
ربه الكبرى ورؤية الانبياء عليهم السلام وذهابه صلى الله عليه وسلم وايابه في برهة من الليل الى غير ذلك ومن ذلك
عطفه على من ذلك المتقدم اي ومما اظهره وقيل اشارة الى عظيم منزلته وقربه عصمته
من الناس اي حفظه صلى الله عليه وسلم عن ان يصل اليه كيدهم ومكرهم الذي اشير اليه بقوله والله يعصمك
من الناس اي يحميك عن القتل وما لا يليق من الاهانة وقد تقدم الجمع بين هذا وبين كسر ثنيته
صلى الله عليه وسلم باحد بتخصيص العصمة بالقتل او تاخر نزول هذه الاية والمراد بالناس الكفار كما في قوله امرت
ان اقاتل الناس الحديث وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اي ومن العصمة قوله
الى اخره وهو مجرور معطوف على قوله وكذا ما بعده وتمام الاية ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وهذا كان لما بايع صلى الله عليه وسلم الانصار بالعقبة

وامر اصحابه رض بالذهاب للمدينة اشفقت قريش من ظهوره ع م فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة
في امره فاتاهم ابليس اليهم بصورة رجل نجدي وقال سمعت ما اجتمعتم له فاحببت ان اكون معكم ولن تعدموا
من رأيي نصحا فقال بعضهم احبسوه موثقا وتربصوا به ريب المنون فقال الشيخ ما هذا براي يوشك
ان يثب اصحابه فيأخذونه من ايديكم فقال آخر اخرجوه من بين اظهركم فقال ما هذا براي يجمع جموعا
ويأتي لكم فقال ابو جهل لعنه الله نأخذ من كل قبيلة غلاما معه سيفه فيضربونه ضربة رجل واحد
فيتفرق دمه في القبائل فلا تطيق قريش على حربهم كلهم فيقبلون العقل وينزع فقال ابليس لعنه
الله هذا هو الرأي وتفرقوا فاتاه جبرئيل ع م واخبره بذلك وامره ان لا يبيت بمضجعه في هذه
الليلة فامر عليا رض بان يرتدي برده وينام مكانه ففعل فاتوه واحاطوا بمكانه فلما اصبحوا اتوه
وراوا عليا وقد خرج ع م ليلا الى الغار على ما فصل في السير وعلي اول من باع نفسه لله كما قال
رقيت بنفسي خير من وطئ الثرى　　ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر في شعر نسبه له ويثبتوك
معناه يوثقونك ويحبسونك ويمكر الله مشاكلة بمعنى يجازي مكرهم بما يليق به كقوله نسوا الله
فنسيهم قال النجاتي وخير الماكرين اقدرهم باعزهم جانبا لانه اثبت للكفار مكرا فصح التفضيل
عليهم فيه وقيل عليه انه يقتضي ان اصل المكر ثابت له كما يثبت لهم الا انه خير منهم مع ان الثابت له
انما هو المجازاة المعبر عنها بالمكر مشاكلة واذا ثبت لهم المكر الحقيقي وهو ايصال المكروه حقيقة
والمجازاة عليه فيكون الماكرين بمعنى المجازين وهو ممنوع عند النحاة كتثنية العينين المشتركتين
فالحق ان المراد خير المجازي على المكر كما قيل في احسن الخالقين انه بمعنى المقدرين وفيه بحث وقوله
تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا الى اخره بالجر كما روي وروي بالرفع
عطفا على العصمة وفي هذه الاية تتميم لما قبلها والمعنى ان لم تنصروه فينصره من نصره قبل ذلك
وهو بين اعدائه وقد هموا بما هموا به فاذن له ع م في الهجرة وامره بالملائكة وظرفيه الاخراج للنصر
لانه سبب له او لانه سلمه من اعدائه واعمى ابصارهم عنه ع م وحماه في الغار وقصة سراقة
معه فلا اشكال فيه والاية نزلت في غزوة تبوك ونسب الاخراج الى الكفار وان كان منه
باذن الله لانهم سببه كما قصصنا عليك وما رفع الله به اي يحفظه من غير معين له وبركته ع م
في هذه القصة المشار اليها بقوله تعالى واذ يمكر بك الذين الى اخره في الهجرة والغار والطريق وقوله
الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار من اذاهم اي اذيتهم له
ع م بما سيأتي ومن مبنية لا المعطوفة على الناس واختار بعضهم عطفها على عصمته ع م
على ان ما مصدرية او موصولة ومن بيان المقدر والتقدير ورفع الله بسببه النبي ع م عنه او واكثر
التي رفع الله بسببها عنه امرا عظيما ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع بعد تحزبهم بحاء
مهملة وزاي معجمة وموحدة وفي نسخة تربيهم براء مهملة ومثناة تحتية اي قصدهم والاولى بمعنى
تجمعهم في مشاورتهم مع احرار وقدر رأيهم لهلكه بضم فسكون اي هلاكه وهو مصدر او اسم
مصدر وخلوصهم نجيا في امره اي بعد اخلاصهم في اذيته منفردين في دار الندوة للمشاورة
في امره والخلوة اعون على الهم والرأي ونجيا بمعنى متناجين ومناجين فهو فعيل بمعنى فاعل ومفعول

للمبالغة

151

للمبالغة في التجوز ويقع على الواحد والجمع والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم حقيقة
الاخذ التناول باليد ونحوها ومنه اخذه الله بمعنى اهلكه ومعنى اخذ الله على ابصارهم منعها
من رؤيته ع م مع ترقبهم له لما خرج من داره مارا عليهم والاخذ مجرور معطوف على تحزبهم وروي
مرفوعا بالعطف على ما قبل وقيل تقديره من الاخذ على ابصارهم عند خروجه لما ارادوا قتله وهو خطاء
لاقتضائه رفع الاخذ وهو ثابت وذهولهم عن طلبه في الغار الذهول ذهاب العقل والنسيان
والغفلة والمراد هنا الاخير وفي الغار لا حال من ضميرهم لانهم طلبوه وهو فيه لما اقتصوا اثره
حتى بلغوه فصدهم عنه بنسج العنكبوت وبيض الحمام ببابه والغار ثقب في الجبل كالمغارة
فاذا اتسع فهو كهف وتعريفه للعهد لغار ثور القريب من مكة بمقدار ساعة وما ظهر في ذلك
الغار والامر وهذا معطوف على عصمته اي ومن ذلك ما ظهر لهما اي للنبي ع م وابي بكر رض فيما ذكره
من قصة الهجرة والغار وجمع ضميرهما تعظيما وجمع ضمير المثنى كثير ولهما في اكثر النسخ والقدح
فيه توهم ان الضمير للكفار ولم يظهر لهم نزول السكينة عليه تعسف من الايات الدالة على نبوته ع م
كوقوع كف من تراب على جميع رؤس جماعة رصدوه فعقلوا كلهم ببدر وبنات شجر تسمى ام كاسم
الحرف ببابه ونسج العنكبوت وتعشيش الحمام وبيضه به وشفاء الصديق رض من لدغ الحية
بريقه الشريف وشرب الصديق من ماء الجنة لما عطش به كما نقله الغيروبادي والطبري وفتح جبرئيل
ع م في طرف الغار الاخر عند خروجهما ونزول السكينة عليه اي على النبي ع م او على ابي بكر الصديق رض
لما في مصحف حفصة رض فانزل الله سكينة عليهما وقيل الحق ان الثاني هو الذي كان منزعجا بدليل قوله تعالى
لعله ان يقول لصاحبه لا تحزن وقال النجاتي في عود الضمير على النبي ع م او ابي بكر رض قولان وفي احكام
القران لابن العربي الاقوى انه لابي بكر رض لانه خاف على النبي ع م فانزل الله على قلبه سكينة اي طمانينة
وامنا وفي الشواذ عليهما ولذا قيل الضمير في عليه لهما واكتفي باعادته على احدهما كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه كما ذكره ابن الجوزي عن ابن الانباري بعد ترجيح عوده لابي بكر رض وان كان ضمير وايده
بجنود النبي ع م بلا خلاف لانه يحتاج للسكينة الا المنزعج ونظير ما مر في قوله ويوقروه ويسبحوه
والقراءة الشاذة ما ولد بنسبة ما للواحد الى الاثنين كيخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الا ان قوله تعالى
ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين يصح عودها هنا للنبي ع م ايضا والسكينة فسرت بطمانينة
الامن والرحمة والوقار فتفسر في كل بما يليق به مع ان طمانينته ع م كغيره لانها عن جزم بعدم وصولهم
له وعدم قدرتهم لو وصلوا اليه على اذيته او للرضى بما قدره الله تعالى وعدم المبالاة بما يناله لاجله كما قيل
وبما شئت في هواك اختبرني　　فاختاري ما كان فيه رضاها　　وقصة سراقة بضم
السين المهملة وراء مهملة وقاف ابن مالك وسيأتي تفصيلها وهو ابن مالك بن جعشم ابن مالك ابن تيم
بن مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة المدلجي الصحابي الحجازي رض وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة
بينهما عين مهملة ساكنة وما نقله البرهان عن الجوهري من انه بفتحها ليس موجودا في نسخة كما قيل وكانت
هذه القصة قبل اسلامه واسلم في غزوة الطائف بعد فتح مكة ومات في سنة اربع وعشرين وكان
شاعرا وبنو مدلج كلهم قافة والقيافة من علوم العرب وقلما يخطئون فيها وعمل بها النبي ع م في بعض الاحيان

جمّا ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة حسب بفتح السين وسكونها منصوب
اي موافقا لما ذكر وفي الحديث يجزى على المرء على حسب عمله اي على مقداره وله معان آخر والحديث اقواله عم
وافعاله واحواله وتقريراته ويطلق على قول الصحابي ونحوه ايضا كما فصل في محله واهله علماؤه
المفتون به والسير جمع سيرة بمعنى الطريقة والخصلة ثم خص بغزوات النبي عم واسفاره المفردة
بالتدوين والهجرة بالانتقال من دار لاخرى وهي هنا للعهد اي هجرته عم للمدينة المنورة ومنه
معطوف على قوله من ذلك قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر الى اخره اكده مع ضمير العظمة ايماء
الى عظمة المعطى والمعطي وتشريفا ونفيا للشبهة فيه وعبر بالماضي لمضيه ان كان الكوثر مطلق
الخير الكثير كما قال   وانت كثير يا ابن مروان طيب   وكان ابوك ابن الفضائل كوثرا
وكما كان اسم الحوض ونهر في الجنة احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج كما ورد
في الحديث لتقدم العطا وفي الروض الانف عن عائشة رض انها قالت الكوثر نهر في الجنة لا يدخل
احد اصبعيه في اذنيه الا سمع خرير ذلك النهر اي ونحوه مما ثبت في الاحاديث الصحيحة فان قلت
ما تسمع من الدوي اذا سدت الاذان بالاصابع انما هو لارتفاع الهوى المانع للاذن عن سماع حركة
الابخرة التي في داخل الدماغ وهو امر طبعي كما قال المتنبي في صفة حرب   وتسمع في الذياد وباكا
تداولت الاذان ابملك العشر   فما معنى هذا الحديث قلت الجنة موجودة
الان كما هو مذهب اهل السنة وهو الذي نعتقده وما تدركه الحواس الظاهرة يدركه الحس المشترك
بعد غيبته لانه كالحوض الذي ينصب فيه انما رحمة فلا مانع من ان النفس كانت سمعته في عالم الذي
بحاسة ظاهرة فلما غاب عنها ولم تستقل بالسمع الان تذكرة ادركته او ادركت رويا الخركما قاله
الحكماء فتذكرته وجعل تذكره سماعا على طريق الاستعارة وليس هذا مما يقال بالرأي وفي كلام المحدثين
ما يكفي ومعناه من احب ان يسمع خرير الكوثر اي نظيره وما يشبهه الا انه يسمعه بعينه بل يشبهه دوية
بدوي ما يسمع اذا وضع الانسان اصبعه في اذنيه وقد قلت وانا بالروم نشوق لمصر
بحديث سلك مصر اسمى مصغيا   حتى يخوضوا في حديث غيره   باكوثرا ان سد عنه سمعي القاء
فيه وتجرى بخريره فصل لربك وانحر امر بالصلاة مطلقا او التهجد وكان الظاهر فاشكر فعدل
عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغي ان يكون شكرها كذلك واعظم ذلك العبادة واعظمها
الصلاة وعدل عن التكلم اذ لم يقل لنا الى الظاهر بقوله مخلصا لربك التفاتا نظرية للسمع وتقوية
لداعية الشكر لتقدم انعامه عليه بالتربية قبل الشكر فكيف بعده وقوله وانحر امر بتقريب
البدن لان النحر يختص بها وفي غيرها يقال ذبح وهذا عبارة عن جميع انواع العبادة المالية
والبدنية ولما راى بعضهم عدم المناسبة عقلة عما ذكر جعل الصلاة صلاة العيد وقال معنى
انحر ضع يدك على صدرك في الصلاة لانها يكون تحت النحر وقول بعضهم ان الصلاة وقعت قرينة
للنحر كقوله ان صلاتي ونسكي لا يجري ان شانئك هو الابتر اي مقطوع العقب والقليل والحقير
جعلنا ابتر لئلا ليستند التي لنفسه اعله الله بما اعطاه حقيقة او قدرة له او بما هو موجب للعطا
فصريحه وتاويله يعطي لحوق هذه النكات ثم شرع في تفسير الكوثر وسرد اقوال المفسرين فيه

ولنقتصه

ولم يقصد بقوله قيل كذا في الستة الاقوال الاتية تضعيف ذلك وانما اراد الحكاية فقال وقيل نهر
في الجنة غير الحوض وهو الصحيح وقيل الخير الكثير فهو صيغة مبالغة من الكثرة في اللغة وخص بالخير
بمقتضى المقام واحسن في تعقيبه بقوله وقيل الشفاعة التي هي من خصائصه عم في مقام لا يسمع
غيره النطق به وهذا اعظم الخير وانفع واكثره وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
اي العلوم الدينية التي افاضها الله تعالى عليه فلفيضها بغير واسطة كانها كوثر وهكذا النبوة والمعجزات
فما قيل انه لا وجه للتخصيص فيها وان الظاهر ما قاله ابن عباس رض من انه جميع ما انعم الله به عليه
لا وجه له ثم انهم اختلفوا في الحوض ونهر الكوثر هل هما شيء واحد وامران متغايران او الحوض مأخوذ
من الكوثر وانما عده مجاري ثابتة منه على اقوال استدل لكل منها باحاديث تركناها لطولها ثم اجاب الله
عنه عدوه تقدم ان العدو يطلق على الواحد والجمع والمراد سفهاء قريش والعاص بن وائل السهمي كما
قال المفسرون لانه عم لما مات ابنه القاسم قالوا ان محمدا صار ابتر اي لا عقب له فنزلت السورة
جوابا لهم مصدرة بما اعطاه عوضا عن مصيبة بابنه القاسم وقيل عبد الله وقيل قائل ذلك ابو جهل
لعنه الله وقيل كعب بن الاشرف والسورة نزلت بتمامها جوابا لهم وعن ابن عباس رض ان اخرها نزل جوابا
لقول ابي جهل بن هشام وكلام المصرح ماش على هذا واورد على القول الاول بانها جواب للعاص
وان الابتر من ولد له انه قد كان العاص ذا عقب وولد وابناه هشام وعمرو ماتا مسلمين وهشام قديم
الصحبة اسلم بمكة وهاجر للحبشة وقدم المدينة بعد ما جاء ابوه وقدمه وعمرو قدم هو وخالد بن
الوليد وعثمان بن طلحة مسلمين فنظر لهم رسول الله عم وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها بالمعجمة جمع
فلذ وهو القطعة واجاب البحاني بان العاص وان كان له عقب ومن انقطعت عصبة منهم بالاسلام
ولا توارث بينهم وصاروا اتباع النبي عم لانه ابوهم وازواجه امهاتهم كسائر المسلمين فلا قرابة
بينهم وبينه وقد روي انه انقطع نسله كما سياتي بينهما وبين قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم
لان المنفي الابوة الحقيقية واجاب غيره بان من قال انه ابتر لم يقصد ظاهره وانما قصد انه سيموت
ولا يذكر وقد ورد هذا مصرحا به في بعض الروايات فالرد باعتبار المقصود وان نشأ بعده ما هو الذي
لا ذكر له فان المراد ذكرا لاب بخير بعد موته ولا شك ان عقبه لا يذكرونه بخير بعد اسلامهم ولما
ما قيل من ان صدر السورة لا دخل له في الرد فانها كانت نزلت جملة فكيف يقال انها نزلت للرد فدفوع
بانه لا مانع في الجواب من ان يزاد فيه والاحسن ان يقال انه موئد للجواب وموطئ له اذ المعنى انا اعطيناك
عطايا في الدنيا والاخرة يجب عليك شكرها وجعلنا لك عبادة وشريعة باقية ومن هنا شانه
لا يكون ابتر انما الابتر من ليس كذلك فان المقصود من الولد الذكر واي ذكر ابقى من ذكرك واقوى وله
ان يقول ليس سبب النزول قولهم هنا بل سببه مرة ذكر اولاده وقولهم شماتة لنسبة انه ابتر
ومعنى السورة مطابق له فان من مات من الاولاد فرط لا بائهم يثابون عليه في الاخرة فالمراد اعتدنا
لك الكوثر لما احتسبته منهم واللائق بك انما هو الاشتغال بالعبادة فان امتك ومن هداه الله
بك عقبك الى يوم القيامة ومن كان هكذا فليس بابتر انما الابتر عداه واي مناسبة اتم من هذه
ورد عليه قوله انه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه فقال تعالى وفي نسخة

قال على الاستيناف والبدل ان شانئك هو الابتر لا انت لبقائك وبقاء ذكرك فهو علة لمقدر اى
لا تلتفت لمقالة فانه ابتر او هو استيناف نشاء مما قبله اى امرتك باشغالك بالعبادة المالية والبدنية
لانها لا عائق لك عنها من عدوك الابتر وقيل هو مع الامر قبله معطوف على جملة الامر الاولى وعبر فيها
الاسلوب تفننا وفيه تكلف وتعريف الطرفين وضمير الفصل المفيد كل منهما والحصر لم يكتف باحدها
لزيادة الاهتمام بنفي ما ذكر عنه واثباته لعدوه على اتم الوجوه وبحث بعض الشراح هنا بامر لا طائل
تحته غير التطويل اى عدوك ومبغضك اصل معنى الشانئ المبغض ويلزمه العداوه فى الاكثر وهو
الواقع هنا فلذا ذكرهما لا انهما مترادفان كما قيل بدليل قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء والابتر الحقير الذليل اصل معنى البتر القطع وفى حديث الضحايا فنهى
عن المبتورة اى المقطوعة الذنب ثم استعير من لا عقب له وشاع فيه حتى صار حقيقة ومجرد
عدم الولد لازم فيه وانما يذم باعتبار لازمه وهو انقطاع العمل لحقارته وذلك كما ورد فى
الحديث اذا مات ابن ادم انقطع عمله الى اخره مع ان عقبه صلى الله عليه وسلم من فاطمة لم ينقطع
ففيه رد وزياده وان الحقير لا يذكره احد وقيل الابتر مشترك بين من لا عقب له والحقير وليس
ببعيد او معناه المفرد بفتح الراء الوحيد بمعناه تأكيد له وفى القاموس الابتر الذى لا عقب له
او مقطوع الذنب وهو المعنى ماخوذ منه ولذا فسر الابتر بالمنفرد الذى لا ناصر له ولا يبلغ مامله
وروى هذا عن الحسن ونسل اعدائه انقطع باسلامهم كما مر ومنه ما انقطع بقاؤه حقيقة
او المعاصى كما قالوه والذى لا خير فيه فلا يذكره احد وفيه مقابلة بينه وبين قوله الكوثر اذا فسر
بالخير الكثير ومن كرامته التى ذكرها الله تعالى ما اشار اليه بقوله وقال تعالى ولقد اتيناك
سبعا من المثانى والقران العظيم والمثانى جمع مثنى معدول عن اثنين ومن بيانية او تبعيضية
او من جملة الايات المثانى قالوا موقاة الصعود هى السور التى تقصر عن المبين وتزيد به المفصل
كان المص جعلت مبادى فالتى تليها جعلت مثانى القران وصغار اسم وخص السبع بالذكر لفضله
واما كون الفاتحة لم يكتب فى مصحف ابن مسعود كما نقله الامام فلا وجه له وقيل السبع المثانى
السور الطوال بكسر الطاء جمع طويلة واما بضمها فمفرد كرجل طوال بتخفيف الواو وتشديدها
للمبالغة الاول بضم الهمزة وفتح الواو المخففة جمع اولى مؤنث اول وليس الطول جمع طولى
حتى يرد عليه ان جمعه انما هو طول التى للسور الطوال واختلف فيها على هذا القول فقيل هى البقرة
وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال وبراءة معا
انهما سورة واحدة وقيل يونس وقيل يوسف وضعف ابو العتاهية هذا القول بان هذه الاية
نزلت ولم يكن اذ ذاك نزل شئ من هذه السورة والمثانى اما صفة القران كقوله كتابا متشابها
مثانى ومن تبعيضية او بيانية ومعنى وصف القران بها ان قصصه ومواعظه واوامره تثنى وتكرر
فلا تمل كغيرها من الحديث المعاد او هى المثانى نفسها فمن تجريدية واجيب بان اعطيناك بمعنى نعطيك
فى المستقبل عبر به لتحققه وقيل المثانى من الثناء لثنائها عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اقاربه والنعم
كقوله قران كريم ومجيد وهذه الاية مكية والسورة مدنية والقران العظيم على هذا التفسير

ام القران

ام القران اى الفاتحة وجعلنا اما لاشتمالها على معانيه وغير ذلك من المعانى التى ذكرها المفسرون
واطلاق القران عليها بخصوصها وهو بمعنى المفرق فاما يجعل التعريف للعهد والمخصص اخر
او لانه جعل علما عليها وان لم يذكره فى اسمائها وتفسير السبع بما ذكر مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما
واطلاقه عليها مروى عن ابى هريرة رضى الله عنه مع تفسير السبع الثانى بها ايضا فانه روى انه
صلى الله عليه وسلم قراء عليه ابى رضى الله عنه ام القران فقال والذى نفسى بيده ما انزل الله
فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان مثلها هى السبع المثانى والقران العظيم فما قيل ان ما ذكره
فى القران ضعيف مهجور عقلا ونقلا لا يخفى ما فيه وقيل السبع المثانى ام القران وعليه اكثر الصحابة
والتابعين وهو قول الجمهور من المفسرين ورد به الحديث الصحيح فى البخارى وغيره كما سمعته انفا
والمراد على هذا انها سبع ايات بعد البسملة اية منها او بعد صراط الذين انعمت عليهم اية وما بعدها اية
اخرى على الخلاف المشهور ويأتى تمامه انما سميت مثانى لتثنيها فى الصلاة وغيره من الوجوه المشهورة
والقران العظيم على هذا التفسير والقول بانه غير مخصوص بها كما مر سابقا اى جميعه او باقيه بعد
الفاتحة وفى كتب اللغة ان السائر الباقى مهموز من السور وهو البقية ومعتل من السور المحيط فهو
بمعنى الجميع وقد ورد كل منهما فى كلام العرب وقد اشبعنا الكلام عليه فى شرح درة الغواص وياتى له
مزيد بيان فى اول الباب الاتى وقول صاحب القاموس هو الباقى ووهم الجوهرى فى تفسيره بالجميع ليس
بشئ والواهم ابن اخت خالته وكلام المص رحمه الله يحتملهما وما قيل من انه هنا بمعنى الجميع فانا لا نعلم
احدا قال ان السبع المثانى ام القران والقران العظيم باقيه ليحمل كلامه عليه وان قيل السبع المثانى السبع
الطوال والقران العظيم جميعه امر غريب منه فانهم متفقون على ان القران يطلق على الجميع وعلى معنى كلى
شامل له ولبعضه والعطف قرينة قوية على ان المثانى وخصت بالامتنان بها لشرفها وزيادة فضلها
وثوابها واشتمالها على المعانى القرانية اجمالا فالحاصل انهم اختلفوا فى السبع فقيل السور وقيل
الفاتحة وعلى التقديرين جوز فى القران كونه الفاتحة او السائر وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
ام القران هى السبع المثانى والقران العظيم وفى رواية الذى اوتيته فذهب الاكثرون الى مقتضاه
وهذه الاية فوصف الفاتحة بوصفين فمن عدل عنه يلزمه التكلف فى الحديث والمص رحمه الله
عدل عن الاقوال المعتبرة الى تقديم قول ضعيف مهجور يوهم ان القائل بان السبع هى السور او الفاتحة
جزم فى القران بما نقله وليس كذلك فتاويله بان مراده نقل ما نقيل فى كل مفردا مفردا بعيد مع ان اللائق
حينئذ نقل ما قيل فى السبع ثم ما قيل فى القران فتدبر وقيل السبع المثانى فى هذه الاية ما فى القران من امر
ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم اى المراد بها سبعة معان يشتمل عليها القران والمراد بالامر
الطلب ايجابا او ندبا لا الصيغة وان كان يطلق عليها والنهى طلب الكف عما يحرم او يكره على سبيل الاستعلاء
والبشرى بضم الباء وكسرها بمعنى البشارة اسم مصدر والانذار ضده وهو التخويف منجزا او معلقا وضرب
المثل تشبيه شئ بشئ وهو المراد بالضرب والمورد واعداد النعم بكسر الهمزة اى تهيئتها وجوز فتحها على
انه جمع عدد وبه جزم البرهان الحلبى وقال ابن رسلان انه الواقع فى النسخ المعتمدة وكذا قال الدلجى
والعدد بمعنى المعدود او التعديد والنعم جمع نعمة بمعنى الانعام والمنعم به والذى عده المص رحمه الله

ستة فقيل ان السابع سقط سهوا او من الكاتب واما قوله ولقد اتيناك بنا القران العظيم فقيل انه اشارة
الى السابع ويؤيده قوله في تاج القران والسابع ابنا قرون والابنا جمع بنا وهو الخبر والقصص التي
قصها الله في القران لما فيها من الفوايد كالعبر وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وحكم شتى وعبر الاسلوب
اشارة الى مغايرة لما قبله نفسا كما قيل به في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث النسا والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة فان الثالث ما تضمنه قوله وجعلت الخ وعدل عن الظاهر وقوله وجعلت قرة
عيني اشارة الى انه ليس من لذايذ الدنيا المعروفة وان عدمنها لقوله فيها على ما اختاره ابن فورك
وغيره كما بين في محله الاتي وليس هذا تفسيرا للقران العظيم ليشمل ما مر وغيره وارتضاه السيد عيسى
ورده بعضهم فقال ليس هذا اشارة الى السابع بارادة بناء القرون لان مقتضى النظم حينئذ
ان يترك قوله اتيناك ليوافق المعطوف الاخير ما قبله في الاقرار بل هو اشارة الى ان القران العظيم منصوب
بالعطف على سبعا من المثاني والمعنى اتيناك القران العظيم وزاد بناء بمعنى شان لتعظيمه والنبا
يكون بمعنى القران كما فسر به في قوله عم يتساءلون عن النبا العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها
تثنى في كل ركعة قيل الاولى ترك الواو لانها مما قول اخر في تفسير الاية مع انه بيان لوجه تسمية
الفاتحة مثاني وكونها سبع ايات تقدم منا بيانه وفي نسخة تثنى في كل ركعة باسقاط في ونصبه
على الظرفية المجازية والركعة على ظاهرها والمراد في كل ركعة بعد اخرى والكل المجموعي والمراد بالركعة
الصلاة اطلاق للجزء على الكل لخروج صلاة الجنازة والماموم عند ابي حنيفة لكونهما على خلاف
الاصل المتبادر كما له والركعة الواحدة لا تسمى صلاة وقد فسر قوله تعالى واركعوا مع الراكعين
بصلوا مع المصلين لما مر والتثنية من جعل الشيء ثانيا كربعتهم وثلثتهم اذا كنت رابعهم او ثالثهم
او بمعنى التكرير او من الثني بمعنى العطف قيل ولتكرر مضمونها في القران وهي من الثنا بها او عليها
وتثنى بضم اوله وفتح ثانيه او التشديد او بسكون ثانيه والتخفيف وعليه اقتصر التلمساني وقيل
بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها والمثاني من الاستثنا المعروف او اصله الثني بمعنى
العطف واستثناها بمعنى ميزها واخرجها من بقية كلامه وذخرها بذال وخا معجمتين وفي نسخة
ادخرها بالمهملة المشددة والمعنى بالاصل واحد من الذخر وهو ما يدخر من النفايس والمراد انه
اختارها وحفظها ولم يبذلها لغيره من الرسل عليهم الصلوة والسلام ولذا قال الله اي لمحمد
صلى الله عليه وسلم لتنزيلها عليه دون الانبيا وروى دون سائر الانبيا فلم يدخرها
ويعطها لغيره لتميزه من بينهم وفي الحديث نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا رضي الله
عنه وهو يصلي فلما فرغ لحقه فوضع يده على يده وهو يريد الخروج من باب المسجد وقال لي لا ارجو
لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما انزل الله في التورية والانجيل مثلها فجعلت ابطي في المشي رجا
ذلك ثم قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني فقال كيف تقرا اذا افتتحت الصلاة فقرات
عليه الحمد لله رب العالمين الخ فقال هي هذه وهي السبع المثاني والقران العظيم الذي اعطيت
وبه استدل على خروج البسملة منها وفيه كلام ليس هنا محله يعني انها اشتملت على ما لم يكن في غيرها
ولها من الفضل واجابة الدعا بها ما لم يشاركها فيه غيرها كما ذكره مشايخ الطريقة والحق حتى

قال ابن مرجان في تفسيره لو قيل لك ان احدا احيى بها الموتى فاياك من انكاره ومن اطلع على تفسيره فهم
ما قلنا فالاعتراض بان هذا لا يختص بالفاتحة لوجوده في ساير السور ساقط وسمي القران مثاني
اي في هذه الاية ونحوها دفع لما يتوهم انه سمي به لما مر وهو جواب سؤال مقدر لان القصص بكسر القاف
جمع قصة وهو الظاهر من القصص وهو الاتباع من يحكي الحنين للاثار وروى بفتحتين كقوله نحن نقص
عليك احسن القصص فقوله يثنى فيه بالياء التحتية والضمير للقران وعلى الاول بالمثناة الفوقية
والرواية هنا كما قيل بتشديد النون لا غير والقصص مطلق الحكاية ويخص في العرف بحكاية اخبار
الامم السالفة ومجرد هذه المناسبة كافية في تسمية مثاني فلا يرد عليه انه كرر فيه غير القصص
كالفرايض والحدود والامثال وقد ذكروا هذا وجها لتسمية الطوال مثاني فلعله اقتصر في كل
منهما على وجه ليعلم اجراء كل في كل يقينا والقول بان وجه التخصيص لهما انها مع اعجازها لا يزداد
تاليها الا رغبة ومحبة فيها وغيرها من القصص لو كرر مجه الطبع وهذا كلما كررته يحلو كما قال
الشاطبي وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملا لا يخفى ما فيه ولك ان تقول
الاحكام لازمة لامة عظيمة فتكرارها ليتعلموها وتثبت في حفظهم بخلاف القصص ونحوها
من الامثال الا ترى ان الاستاذ يقرر المسئلة مرارا على الطالب لهذا وقيل السبع المثاني معناها
في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني انا اكرمناك بسبع كرامات هذا مروي عن الامام جعفر
الصادق فاتيناك بمعنى اعطيناك تكريما لك لانها كالهداية التي ترسل للتكريم وكان الظاهر ان
يقول سبع اكرمه بها او اتيناك بمعنى اكرمناك فالسبع مبتدا ما بعده خبره بتقدير مضاف اي معنى
اتيناك السبع المثاني اكرمناك الخ والسبع مبتدا وقوله الهدى الخ خبره وقوله اكرمناك جملة
معترضة وقيل انه بدل بعض من السبع او خبر مبتدا مقدر وعن الامام جعفر انه قال السر في هذا
انه ذكر في هذه السورة بجهنم سبعة ابواب فذكر سبع كرامات اشارة الى ان من اكرم بها امن من تلك
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة يجوز فيه الحركات الثلاث وهو
ظاهر والهدى ما هداه الله اليه من المعارف والدين والمراد بالنبوة نبوته صلى الله عليه وسلم الكاملة
المختصة به الخاتمة الناسخة لما عداها والرحمة العامة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
او ما طويت عليه جبلته والشفاعة العامة والخاصة كما سياتي والولاية بفتح الواو وكسرها كما مر
ولاية الله له بنصره او توليه بجميع اموره بحيث صار اولى بهم من انفسهم او الولاية التي هي صفة
له كالنبوة والتعظيم جعل الله اياه اعظم من ساير خلقه والسكينة الوقار والهيبة بحيث يخافه كل
من يراه وهو لا يخاف الا الله قيل تخصيص هذه الامور وتغايرها مع امكان اندراج بعضها في
بعض يحتاج لسند ودليل فتدبر وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية لتبين للناس ما نزل اليهم
ولعلهم يتفكرون وهذا متعلق بالاية المذكورة ومناسبة لما بعدها لدلالتها على عموم الرسالة
اذ لا عهد ولا تقييد اي لتخبر الناس بالوحي ولا تكتم شيا منه او لتبين لهم ما فيه من التكاليف
والشرايع قيل وردت هذه الاية الانزال والتنزيل بمعنى وقد فرق بينهما بان التنزيل ما كان تدريجيا
والانزال ما كان دفعة واحدة وهذا بحسب الاصل وقد يرد كل منهما بمعنى الاخر وتفصيله في شروح

الكشاف ووضع فيه الظاهر موضع المضمر اى ليبينه اشارة لتغايرهما لان المنزل لفظه والمبين
معانيه واحكامه والمعانى منزلة تبعا كالفاظه ولا حاجة لتقدير مضاف فيه وقال تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الكافة مأخوذة من الكف وهو المنع او الجمع والاحاطة كما قاله الهروى
ومعناه جميعا وتاؤه للمبالغة كعلامة وهى فى الاصل للتانيث نظرا للغاية والنهاية او الجماعة وهو
منصوب على الحالية من المجرور المتأخر او من الضمير المنصوب او هو صفة مصدر قام مقامه اى رسالة
كافة وفى المعنى انها تختص بمن يعقل ووهم الزمخشرى فى جعلها صفة لارسالة وذكر بعض النحاة
انها تلزم التنكير والحالية وتبعه الحريرى فجعل تعريفها والاضافة اليها لحن وليس كما قالوا فانه سمع
بخلافه كما فصلناه فى شرح الدرة وانما قدم لتدخل على المقصود حصره ولو قيل وما ارسلناك الا
للناس كافة او هم نفى الارسال لغير الناس وهو غير صحيح وقيل المعنى ما ارسلناك الا جامعا للناس
بالدعوة وكافا لهم عن المعاصى والمراد جميع بنى ادم او ما يشمل الجن وانما خصوا على الاول لانهم المقصودون
بالذات وليس المراد اهل زمنه كما توهم وقال تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا تقدم ما يعلم منه
انه لا يعترض على ذلك بان ادم ونوحا كانا مبعوثين الى اهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان
مؤمنا معه وهو مرسل اليهم لان العموم لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق لحادث وقع واما نبينا
صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة واما كون ثمه رسول غيره فى اثنا مدته فيحتاج
الى النقل والمراد بقا شريعته بحيث لا يطرؤ عليها ناسخ الى غير ذلك مما فصله ابن حجر فى شرح البخارى
واختلف فى خطاب يا ايها الناس ونحوه هل هو للموجودين ويثبت لمن بعدهم بدليل اخر كاجماع
وقياس ونص اخر او للجميع ويدخل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان مخاطبا بقل لانه يلزمه
ما يلزم امته بطريق الاولى ما لم يتعرض له مخصص ولا حاجة لتخصيص الناس بالمكلفين كما قيل لدخول
الصبى فى بعض الاحكام وقال الفقيه القاضى عياض المصرى رحمه الله فهذه اى الصفة او البعثة
العامة من خصايصه جمع خصيصة وهى ما لم يشاركه فيه غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام
كما عليه اكثر اهل الملة للحديث الاتى ومر الكلام على بعضه اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى نصرت
بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا واحلت لى الغنايم واعطيت الشفاعة وكان النبى
يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة وروى عامة وقد تقدم ما يرد عليه وجوابه وقوله
فيه وكان النبى صلى الله عليه وسلم الخ المراد به الاستغراق لانه ورد وكان كل نبى وهو صريح فيه فلا
وجه لقوله الامام الخاصة بمجموع ما ذكر فلا يلزم اختصاص عموم البعثة به صلى الله عليه وسلم
وقد وقع مثله للداودى فى شرح السنن قال ابن حجر رحمه الله وهو غفلة عظيمة منه فانه نظر الى اول
الحديث وغفل عن اخره فانه نص على خصوصيته بقوله وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وما قيل
من انه احتمال بعيد اذ لا يظهر لتخصيص الخمس تارة والاربع والاثنين اخرى جليل فائدة غير متجه
لانه اذا سلم عموم رسالة ادم ونوح يكون له فائدة واى فائدة وقد دفع بما مر وقيل المراد بالناس
من فى زمنه الى يوم القيمة وهذا لم يكن لغيره صلى الله عليه وسلم وهذا امر غير بقاء الشريعة لا منه
كما توهم او يقال هو مبعوث لجميع الناس من قبله ومن بعده بحيث لو ادركه من قبله لزمه اتباعه او هو

مبعوث الى الاصناف والاقوام واصحاب الملل المختلفة وادم ونوح عليهما الصلوة والسلام
ليسا كذلك اقول هذا كلام لا طائل تحته اما رده الاول بان ما ذكره هو غير بقا الشريعة فليس بصحيح
لان مراده البقاء مع العموم ولم يصرح به لظهوره واما جوابه الاخير فظاهر الفساد وقال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اى الا بلغة من بعث اليهم ليبين لهم ما بعث به اليهم
واما نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث الى قومه وغيرهم من جميع الامم كما عرفته فخصهم بقومهم
وبعث محمدا صلى الله الى الخلق كافة الانس والجن والملك كما سيأتى تحقيقه وقيل كلامه يقتضى ان غير
نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث بلسان من بعث اليه ونبينا صلى الله عليه وسلم بعث الى الخلق
فيختص الرسول بغيره وهو مخالف للظاهر ولما عليه المفسرون ويقابله على غير المنهج المعروف
مع انه لشامل لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا فان لسانه عربى وكتابه عربى ليأخذه عنه قومه بغير
واسطة وينقل نقلا مستفيضا ولا دلالة فيه على تخصيص بعثة الرسل عليهم الصلوة والسلام
بقومهم والنبى صلى الله عليه وسلم وان ارسل الى الناس كافة يكون لسانه وكتابه واحدا لا ينافيه
لفهم معانيه لغير قومه بالترجمة ولو اتى بغير لغته فات اعجازه المقصود منه واجيب عنه بانه
معطوف على قال الاخير ناظرا اليه مبنيا لضعفه فانه فسر بما ذكر كما نقل عن تفسير تاج القراء وفيه
بحث كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى واحمد والبيهقى بعثت الى الاحمر والاسود اى
العرب وغيرهما والانس والجن كما مر وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم يدخل فيه النساء على
ما بين فى الاصول لانهم تبع لهم فى الاحكام فيدخلون فى التغليب وان ذهب بعضهم الى انهن لا يدخلن
فى مثله الا بدليل وقرينة لظهور انهن يعلمن بالطريق الاولى الا ان قوله وازواجه امهاتهم مرجع الضمير
فيه لذكور المؤمنين فقط لان المراد تحريم نكاحهن وهو خاص بالذكور ولذا لم يسمع امهات المؤمنات
وقيل انه عام ايضا وهن امهات للمؤمنين والمؤمنات واقتصر على الاول واكتفى به لانه الاهم الاشرف
فيجوز اطلاقه عليهن ايضا وقوله من انفسهم المراد به ذواتهم وازواجهم يعنى انه صلى الله عليه وسلم
تقدم عند كل احد على نفسه وليس المراد انه اولى من بعضهم ببعض فى نفوذ حكمه وطاعته كما قيل فى قوله
فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض وان جاز فان الاول ابلغ فيما ذكر وهذا معنى ما قيل هو اولى
بالمؤمنين فيما قضى فيهم كما انك اولى بعبدك فيما قضيت وهو قريب من قول المصنف رحمه الله قال
اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى فيما انفذه فيهم فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على
عبده فيفعل ما يامره به ويختاره على ما يريده ويختاره لنفسه فكان احق بكل احد من نفسه ومضى الحكم
بمعنى نفاذه وجريانه وهذا معنى اشتهر حتى صار حقيقة من مضى السيف والسهم واصل معنى
المضى الذهاب واولى بمعنى احق وقيل انه من الولاية والتسلط وان ما ذكر مبنى على قول العرب للسيد
اولى بعبده من نفسه اى نافذ فيه حكمه فحمل الاية عليه مجازا او كناية وروى ان سبب نزول هذه الاية
انه صلى الله عليه وسلم لما امر الناس بالخروج لغزوة تبوك قال قوم نستأذن اباءنا وامهاتنا فنزلت
اى طاعة الرسول اوجب عليكم من طاعة ابائكم وامهاتكم وانفسكم وليس فيه تأييد للتفسير الثانى كما
توهم وقيل اتباع رأيه اولى من اتباع راى النفس هذا مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما بالمعنى الاول

هنا بمعنى اولوية اتباعه وقيل اولويته محبته وقيل معناه ارأف واعطف والاحسن ما في الكشاف من انه
صلى الله عليه وسلم اولى بهم في جميع امور الدين والدنيا من غيره فانه سبب حياتهم الابدية وفي
البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم
النبي اولى بالمؤمنين الاية فايما مومن ترك مالا فليرثه عصبته فان ترك دينا او ضيا عا فليأتني
فانا مولاه قال القرطبي هذا تفسير الولاية ولا عطر بعد عروس والظاهر كما قيل انه تفريع على الاولوية
العامة لا تفسير فلا تنافي فيما سبق وفيه اشارة الى ان مقتضى الاولوية انه راعى في جانب الرسول ايضا سيد
ومعاملته معهم فينفعهم اكثر من نفعهم لهم حيث رد على الورثة المنافع وتحمل المضار والتبعات فافهم
وقوله وازواجه امهاتهم اي هن وفي نسخة هم وهو سهو وكونه للفظ الى ازواج لا وجه له اي كالامهات
في التعظيم وحرمة النكاح لا الارث النفقة والنظر والخلوة لاية الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات على
ما يأتي وفي كونهن امهات المؤمنات قولان تقدمت الاشارة اليهما قريبا والى ما ذكر اشار بقوله في الحرمة
كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده اي بعد نكاحه او بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كما سيأتي والخلاف
فيمن طلقها قبل الدخول على قولين واكثر على ما سيأتي تجويزه كثير من الشافعية وبه قضى عمر رضي الله عنه
تكرمة له وخصوصيته بضم الخا وفتحها اي هو مخصوص به صلى الله عليه وسلم دون غيره من الامة
فما يقع لبعض جهلة الصوفية من منع تزوج المريد زوجة شيخه جهل منهم وترك ادب والمراد بالحرمة
النكاح اي تحريمه لقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
وفي خصايص الامام الخيضري اختلف في تعليل ذلك فقيل لانهن امهات المؤمنين قال تعالى
وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم في وجوب احترامهن وطاعتهن وقيل لما في احلالهن لغيره صلى الله
عليه وسلم من التنقص لمنصبه وقيل لانهن ازواجه صلى الله عليه وسلم في الجنة كما ذكره غير واحد
من المفسرين والفقهاء لان المراة في الاخرة لاخر ازواجها في الدنيا كما قاله القشيري وورد به الشيخ
في الحديث وقيل لاجل انه صلى الله عليه وسلم حي ولذا حكى الماوردي انه لا يجب عليهن عدة الوفاة والخلاف
فيمن فارقها في حياته صلى الله عليه وسلم كالمستعيذة على اقوال ثلاثة احدها وهو مروي عن ابي هريرة
رضي الله عنه انها تحرم فالتقدير من بعد نكاحه لوجوب محبته النبي صلى الله عليه وسلم وزوج
المراة الثاني يكره الاول فيؤذي لكنه قال النووي رحمه الله وهو الارجح والاشبه بظاهر القران
الثاني انها لا تحرم فالبعد به مخصوصة بما بعد الموت والثالث انه يحرم المدخول بها دون غيرها
وكذا اختلف في الامة الموطئة له صلى الله عليه وسلم بغير نكاح على ثلاثة اوجه فقيل لا تحل
لغيره كمارية رضي الله عنها وقيل تحل فانها لم تسم ام المؤمنين لنقصها بالرق وامومتهن لا تسعدى
فلا يقال لبناتهن اخوات ولا لاخوانهن اخوال فلا يقال لمعاوية رضي الله عنهما خال المؤمنين
وفيه خلاف ايضا واما كون النبي صلى الله عليه وسلم ابا المؤمنين فقال الواحدي لا يسمى به لقوله
ما كان محمد ابا احد من رجالكم والقراءة به منسوخة لفظا ومعنى وقيل يجوز والمنفي الابوة الحقيقية
انتهى وما يأتي هنا الاخير من قوله وقد روي فما قبل الحرمة للاحترام فيشمل التعظيم وعدم الايذاء
وحرمة النكاح فان فيه ذلا واكتفى بحرمة النكاح لانه مقصود ومخصوص بهن وقال ابن كثير لا يقال

لهن امهات النساء لعدم العلة فيهن وهي حرمة النكاح ورجح ابن حجر جوازه وقول القرطبي لظاهر التعميم
اذ لا يختص بالرجال مدفوع بما ذكر فان اريد التشبيه في التعظيم فلا منع والا فلا الا انه يوهم انه
مراد في الاية كلام غير محرر لما سمعته انفا وقوله ولانهن له ازواج في الاخرة احسن الاقوال الا
تيه كما عرفته والامهات جمع ام قيل اصلها امهة ولذا تجمع على امهات واجيب بزيادة الها
وان الاصل امات للفرق ويأتي لذلك مزيد بيان والوجه ما في البارع ان فيها اربع لغات ام
بضم الهمزة وكسرها وامه وامهة فالامهات والامات لغتان ليست احداهما اصلا للاخرى
ولا حاجة الى دعوى حذف ولا زيادة كما في المصباح وقد روي وهو اب لهم اي قرئ به في الشواذ
وهي على وجهين فقرأ ابن عباس رضي الله عنه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو صلى الله
عليه وسلم لهم بدون وازواجه امهاتهم وقرأ ابي رضي الله عنه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فجمع بينهما فقول بعض الشراح قراها ابي وابن عباس رضي الله
عنهما من غير تمييز بين القرائتين خلط موهم وقد علمت الكلام فيه وابوته صلى الله عليه وسلم
رأفته ورحمته لهم او لكون ازواجه امهاتهم او لكونه سبب حياتهم الحقيقية الابدية كما مر
وفي سنن ابي داود انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف وروى
ان عمر رضي الله عنه مر بغلام يقرؤها فقال للغلام حكه من المصحف والمراد بالمصحف مصحف
عثمان رضي الله عنه المتواتر بالاجماع ومخالفته له ايضا بعدم تواتره ونسخ تلاوته ولفظه
ومعناه على قول كما مر قيل وانما نسخ لئلا يتوهم حرمة زوجة الولد فتأمل وقول الحجازي انهم اجمعوا
على ان قراءة ابي رضي الله عنه المذكورة مما نسخ من القران مع ان مضمونه خبر مجمع على انه لا يصح
نسخه ليس بشيء لان في نسخ الخبر خلاف مقرر في الاصول ولو سلم فيلزمه احكام يصح نسخها
كتلاوته وتسميته به وجواز الصلاة به وقد قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما والكتاب القران والحكمة الشريعة والمواعظ
والسنة كما مر وهذا كقوله في سورة اقرأ علم الانسان ما لم يعلم ولما كان التعليم انما يحصل ما لم
نعلم ورد السوال على الايتين والفرق بينهما فقيل المراد بما لم يعلم ما لا يقدر على علمه من الخفايا
او مما لم يتصوره ولم يكن مطلق بالك فيفيد ذكر المفعول وقيل لو قيل ما لم نعلم اي ما كان مجهولا
لك افاد فائدة تامة حسنة لدلالته على اشراق نور العلم ورفع ظلمة الجهل والمراد ما لم تعلمه بقوة
نفسك واجتهادك واما ذكر الكون في اية النساء ونفيه في اية اقرأ لا سيما اذا اريد بالانسان نبينا
صلى الله عليه وسلم فقط فلان الثانية وردت في مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه
ذكر الكون والاولى وردت فيه اقول هذا السؤال غير وارد اصلا ولذا لم يعتن به جهابذة المفسرين
كالزمخشري الا انا نقول في تحقيقه ان نفي الكون ابلغ من نفي الشيء فان الشان يصدق بما بقي على عدمه
الاصلي لم يشم رايحة الوجود والاول يشمله وما عدم بعد وجوده وهو ابلغ ولما كان المنفي علمه
اولا بالدين والحكم والوحي ونحوه مما لم يتيسر لمن شاء في امة امية ولا يمكن بغير عناية الهية اشار
في الاول الى ان انتفاءه عنه امر محقق مقرر قوي فاكده بذكر الكون ولذا امتن به عليه وجعله فضلا

سيد
ابن الحنبلي

عظيما ولما كان الثانى قابل الوجود متيسر الكسب لان الانسان قابل للقرأة والعلم وصنعة الكتابة
لم يؤكد لان انتفاه امر اتفاق واما الفائدة فى المفعول فظاهرة اذ ليس المراد بها امرا بل امرا عظيما معلوما
بخصوصه مما قبله وانما ابهم ليدل على عظمته كما فى قوله فاوحى الى عبده ما اوحى فلا حاجة
لقوله فى عروس الافراح انما ذكر لانه اوضح فى الامتنان والا فلا فائدة فيه وفى بعض حواشى المطول
نقلا عن السعد رحمه الله انه قال فى درسه ان الاولى بصاحب التلخيص ان يقول ما لم تكن تعلم كما
فى قوله وعلمك ما لم تكن تعلم والا فلا فائدة فى ذكره لان التعليم انما يكون لما لم يعلم لان ما لم يكن يعلم
فيه اشعار بانه لولا تعليمه لم يحصل العلم به لانه علم خفى لا يمكن الاحاطة به الا لعلام الغيوب
وهو بعيد اذ ربما يتوهم انه يحصل العلم به من غير تعليمه له فلما ورد بان من مثل الاية فذكره لافادة
العموم كما فى قوله وما من دابة فى الارض الخ وبما قررناه لك تبين انه كلام قشرى قيل فضله العظيم
فى هذه الاية بالنبوة مطلقا فانها اعظم النعم التى تفضل بها او بنبوته به الخاصة الكاملة وقيل
بما سبق له فى الازل الازل مولده هو القدم والوجود الذى لا اول له فى المجمل الازل القدم ويقال هو ازلى
والكلمة ليست بمشهورة فى كلام العرب واجيب انهم قالوا فى القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم الا
باختصار وقالوا يزلى ثم ابدلوا اليا الفا وقيل الازل اسم لما يضيق القلب عن بدايته من الازل وهو
الضيق فهمزته اصلية والمراد بما سبق ما سبق للنبى صلى الله عليه وسلم فى علمه وتقديره من كل
ما اعطاه الى الابد فيعم جميع ما انعم الله به عليه اذ لا مخصص وقيل المراد ما اعطاه له وسبقه
باعتبار تقديره ففيه مضاف مقدر وهو تقدير وعلى الاول الامتنان بالتقدير صريحا وبالقدر ضمنا
لعدم تخلفه عنه ولفظة كان فى مثله تدل على الازلية فى حق الله كما صرحوا به واشار الواسطى رحمه الله
تعالى تقدم ذكره وترجمته والاشارة فى اللغة الايما الى الشىء بغير منطوق ويكون فى كلام
المصنفين مقابلة للصريح والمراد هنا مطلق الذكر وغيره مشاكلة لما بعده الى انها اشارة الى
احتمال الروية وضمير انها للاية وقيل لكلمة الفضل والاحتمال عبر بالطاقة والقدرة على روية الله
تعالى ومشاهدته ليلة المعراج على قول من قطع بانه راه ببصره ولما كانت هذه من اجل الفضائل
واخصها به حمل الفضل عليها وان كان فيها اختلافا الا انها لما كانت عند المصنف راجحة لم يلتفت
للخلاف فلا يرد عليه تفسير للمقطوع به بالمحتمل فالاعتراض على الواسطى رحمه الله بانه لا دلالة
فى النظم على ما ذكره غير متجه وحمل الروية على القلبية التامة يا باه ظاهر قوله التى لم يحتملها موسى
ابن عمران عليه الصلاة والسلام حيث قال لن ترانى الى قوله وخر موسى صعقا وموسى ممنوع من الصرف
للعجمة والعلمية واصله كما قيل موسى فغير وهو بالعبرانية مركب من مو وهو الماء وشا وهو الشجر فسمى به
لان امه القته فى ماء النيل فى صندوق من خشب الشجر والقول بانه من ماس يميس اذا تبختر ومنع صرفه
لالف التانيث بعيد جدا واما موسى بمعنى آلة الحلق فعربى وفى وزنه اختلاف عندهم وفى معربات الجواليقى
ان موسى لم يسم به احد من العرب قبل الاسلام وبعده سمى به تبركا باسماء الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وقال النجانى اكثر المفسرين على ان الفضل العظيم عصمة الله للنبى صلى الله عليه وسلم عن
ان يضله احد من الكفرة لقوله قبله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك

عروس الافراح اسم كتاب

وهذا

157

وهذا اخر الكتاب الاول فالحمد لله على تيسير شرحه والنظر فى حقايقه ودقايقه الرايقة وشفا
غليل الصدر من موارد فضائل سيد الخلق الفايقة وانا ارجو ببركته صلى الله عليه وسلم
ويمن صفاته ان يشرح صدرنا وييسر امرنا ويفيض علينا من بركاته امين **الباب الثانى** فى تكميل الله
سبحانه وتعالى له صلى الله عليه وسلم المحاسن جمع حسن على خلاف القياس وجمع مفرد
مقدر لم يسمع كما تقدم والحسن المحسوس تناسب الاعضاء وكونها على صورتها الاصلية مع
صفاء البشرة واعتدال القامة وفى ذكر التكميل اشارة الى ان النوع البشرى واعتدال القامة
وفى ذكر التكميل اشارة الى ان النوع البشرى مخلوق على الكمال فى احسن تقويم وصورة هذا
الحبيب صلى الله عليه وسلم وسيرته فى غاية الكمال وكون النوع احسن لا ينافى التفاضل
والتفاوت بين افراده حتى ذهب بعض الحكما الى كل فرد منه ماهية مستقلة خلقا بفتح
الخا وسكون اللام وتقدمه لتقدمه على ما بعده فى الوجود وهو منصوب على التمييز وليس
بمعنى المخلوق كما توهم وخلقه صلى الله عليه وسلم على احسن ما يكون كما قال فيه ابو العباس
الاشبيلى الواعظ رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته امين من انت محجوبه من ذا يغير
ومن صفوت له من ذا يكدره هيهات عنك ملامح الناس يشغلنى والكل اعراض حسن
انت جوهره وخلقا بضم الخا واللام وتسكن تخفيفا وهو فى الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق
على الصفات المعنوية الراسخة فى النفس وهو للنفس والصورة الباطنة واوصافها بمنزلة
الخلق للصورة الظاهرة وترتب الثواب والعقاب على هذه وقال الراغب هما فى الاصل بمعنى
وخص الفتح بالهيئة والصورة المدركة بالبصر والضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة
وهو كيفية راسخة فى النفس تقتضى سهولة صدور الافعال عنها من غير احتياج لفكر وروية ويطلق
على ملك الكيفية ويخص فى العرف بما يتعلق بمعاشرة الناس كما سياتى وقال الامدى رحمه الله
فى كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يمتدح به لانه يتيمن به ويدل على الخصال الممدوحة ويزيد
فى الهيئة والدمامة يذم بها لعكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه لا يدخل فى مدح العلماء انتهى
قلت وقد اشار الى هذا فى الحديث الشريف بقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند حسان
الوجوه ولله در الصرصرى رحمه الله تعالى فى قوله الا يا رسول الاله الذى هدانا به الله من كل تيه
سمعنا حديثا من المسندات يسر فؤاد النبيل النبيه وانت قلت اطلبوا الحوائج عند حسان
الوجوه ولم ار احسن من وجهك ال كريم فجد لى بما ارتجيه فان قلت قول الراغب رحمه الله
ان هذين المصدرين وضعا للهيئة ينافيه قول النحاة ان الهيئة والمصادر يعبر عنها بفعله بكسر الفا
كالجلسة قلت لا منافاة بينهما فان الهيئة التى ذكرها النحاة هى الهيئة العارضة فى الافعال كالخلقة
وقرانه بكسر القاف كما علم مما مر مجرور معطوف على تكميل اى جمعه جميع الفضائل الدينية الممكنة
اللايقة والدينية المتعلقة بدين الاسلام والدنيوية المنسوبة للدنيا المعروفة وفيه وفى امثاله
مما رابعه الف تانيث كحبلى اذا نسب اليه ثلاث لغات دينى ودنيوى ودنياوى كما فصل فى كتب العربية
فيه نسقا حال من قرانه اى قرن الفضايل فيه متناسبة منتظمة وفسرها التلمسانى بتبعا ولا وجه له

وقد تقدم الكلام فيه اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم اعلم داب المصنفين كما تقدم انهم ياتون به فى
ابتداء الكلام لتنبيه السامع وتنشيطه لاهتمامه بما يلقونه له والمخاطب به من سالة تاليف
هذا الكتاب او كل سامع فهو عام لكل من يصح لخطابه وكونه خطابا لنفسه على التجريد بعيد
مع مخالفة لتابعهم والكريم الشريف العظيم او الجواد الباحث اى الطالب المتفحص عما خفى لان
اصله كما قال التلمسانى الفاحر للتراب لشئ تحته عن تفاصيل جمل قدره العظيم جمع تفصيل المصدر
تفعيل من الفصل وهو تمييزا لشئ وافرازه عن غيره ثم استعمل فى تبيين كل امر باستيفاء افراده وتوضيحها
ويطلق على المبين نفسه وجمل جمع جملة وهو الامر المجموع فى عبارة مختصرة فهو بمعنى الاجمال فالمقابل
ان المشهور فى مقابل التفصيل والمفصل الاجمال والمجمل فالاولى اجمالات او مجملات قدره الا ان يريد
بالجمل المجمل وهو ما اشتمل على متعدد بلا تمييز لا وجه له وقدر بالسكون والفتح مقدار الشئ وما
تلته وحرمته ووقاره كما فى المصباح ومنهم من فسره هنا بمبلغه من الكمال والمرتبة والمراد تفصيل
ماجمع من انواع صفاته صلى الله عليه وسلم كمله وحده ان خصال الجمال والكمال فى البشر وفى اكثر
النسخ الجلال بلاميين وان معها مفعول علم والخصال جمع خصلة وهى الصفة المعتادة محمودة
كانت ام لا والجلال العظمة والجمال ما يستحسن والكمال التمام فيما يفصل به الشئ على غيره وخص
البشر لان مجموع ما ذكر مختص به ولان المقصود بيان حاله وقد تقدم على الاصمعى ان الجلال لا يجوز
ان يوصف به غير الله ولم يسمع فى غيره وخالفه فيه اكثر اهل اللغة لوروده فى كلامهم كقول
هذبة فلا ذا جلال هبنه لجلاله ولا ذا ضياع هن يتركن للفقد نوعان مختصرة فيهما وان توهم كثير
من الشراح انها اربعة لانها اما ضرورية او كسبية وكل منهما اما دنيوى واخروى حتى اعتذر عنه
بعضهم بانها قضية مهملة فى قوة الجزئية فالمراد بعضها الغالب فيها وهذا ناشى من عدم تدبر
كلامه فانها وان كانت اربعة الا انها فى الواقع لا يخلو من غير عنده لان الدينى منسوب للدين وهو وضع
الهى سائق لهم باختيارهم الى ما هو محمود فلا يكون ضروريا والدنيوى لا يعد منه من صفات الكمال
الا ما كان جبليا او ملحقا به وما عداه غير معتد به فسقط منه قسمان وسياتى معنى الالحاق
وتحقيقه والمراد بالنوع القسم لا النوع المنطقى احدهما ضرورى منسوب للضرورة وهى هنا اعم
من شدة الحاجة ومن عدم الاختيار وليس المراد به ما يقابل النظرى كما توهم فان الضرورة لها معان منها
هذا دنيوى لا يتعلق به ثواب وكمال اخروى من حيث هو اقتضته الجبلة قال التلمسانى اقتضته بمعنى
دعت اليه والمقتضى والداعى والسبب بمعنى واحد قيل ظاهره ان الطباع اسباب الخصال ودون
اثباته خرط القتاد وفيه ميل لمذاق الحكما والمراد ان الله تعالى خلقه من غير اختيار وغير بالاقتضاء
على طريقة الانا وهذه دقة من غير محلها لان الجبلة ما جبله الله عليه وخلقه فما له لما ذكره من غير
دندنة قال البرهان الحلبى الجبلة الخلقة قال الله تعالى واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين والمطبوع
على الشئ لا يتحول عنه كالجبل والمراد جبلته صلى الله عليه وسلم او جبلة ما يتعلق به كارضه وقومه
وفى الجبلة لغات ذكرها الصاغانى فى كتاب المعاد جبلة بضمتين مشددا للام وجبيلة بزنة
فعيلة وجبلة بتثليث الجيم وسكون الباء وجبلة بكسرهما مع التشديد وضرورة الحياة الدنيا فهله

سيد

ابن الحنبلى

سيد

انه عطف تفسير والمراد بما اقتضته الجبلة ما لا يمكن الحياة بدونه والاظهر انه قسم اخر للضرورى
الدنيوى لم تقتضه ولا يرد عليه انه ينبغى عطفه باو لان العطف فى التقسيم بالواو كثير وجماع الاقسام
فى مقسمها ومكتسب دينى اخروى حصل له فى حياته بعد ان لم يكن حاصلا وقيل انه شامل لما هو بجهده
وما هو وهبى فيشمل النبوة وليس على ظاهره لينضبط ويلتيم ولا يخفى ما فيه وهو قيل انه عايد على مطلق
الدينى ما يحمد شرعا وعقلا فاعله وهو من اتصف به ويقرب الى الله زلفى مصدر بمعنى قربه موكد ليقرب
كقعدت جلوسا لانه امر دينى بعد عبارة يثاب عليها ما لم يعرض له ما يفسده او بغير نية فاعله كالرياء
وبقى قسمان اخران الدنيوى المكتسب والدينى الضرورى وقد تقدم الكلام عليهما ثم هى اى خصال
الجمال والجلال والكمال جميعا لا بعضها والجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة
بثم للبعد الرتبى لان الاول تقسيم حقيقى وهذا اعتبارى على فنين ايضا اى على ضربين ووجهين اخرين كما
انها على قسمين بحسب القسمة الاولى وجعله بعضهم تقسيما للمكتسب الدينى وياباه المحض الاتى منها
اى من تلك الخصال ما يتخلص اى يصير خالصا غير مختلط بغيره لاحد الوصفين اى الضرورة والكسب
المفهومين من التقسيم السابق لا الضرورة الدنيوية والكسب الدينى وهو تقسيم لمطلق الكمال سواء كان
فى واحد من الانواع السابقة او اكثر ومنها ما يتمازج ويتداخل التمازج والتداخل والخلط معان متقاربة
وقد يراد بكل منها الاخر الا ان اصل المزج خلط بعض المايعات ببعضها بحيث لا يمكن تمييز بعضه من بعض
كالماء والخل ومنه مزاج الانسان والتداخل اعم منه لانه دخول اجزاء شئ فى اخر مايعا كان ام لا امكن
تمييزه ام لا والاختلاط اعم منهما لانه وجود امور مع امور تداخلت ام لا كاختلاط قوم بقوم ومراده
بالتمازج وجود الوصفين فى شئ ولما كان المراد معنويا لا امتياز منه حسا عبر به ثم عطف عليه لتحول
بعض الانواع فى بعض والتفاعل فيه على حقيقته فالمعطوفان متغايران وقيل المعنى انه يختلط الكسب
بالضرورة ويدخل كل منهما فى الاخر والتفاعل لاصل الفعل وهو على ظاهره وبينهما عموم وجهى والممتزج
ما كان اصله جبليا وكماله كسبيا او نوع يكون تارة كسبيا وتارة جبليا وقال التلمسانى التمازج والتداخل
بمعنى واحد والكلام يفسر بعضه بعضا وذلك توسع فى العبارة كما قرره الشارح وقال ابن سيده فى المحكم
تمازج اى يختلط ومزج خلط لكن المزج جعل الاثنين واحدا لاجل التشابه فى الصورة ولا كذلك الخلط
فهو مثله او خلافه وكل مزج خلط وليس كل خلط مزجا والتداخل دخول بعض الشئ فى الشئ وهو تفاعل
ومعنى الامتزاج ان يكون الشئ الخارج فى شدة تمكنه كالاصل لا يمتاز عنه ومعنى التداخل ان يمتاز الفرع
عن الاصل لكن بقرب شبهه منه فيكون كالاصل فهنا هو التداخل هنا انتهى وكل هذا خلط انت غنى عنه
بما مر فاما الضرورى المحض الخالص الذى لم يخالطه غيره ولا دخل لكسبه فيه واختياره فليس دينيا كما
اشار اليه بقوله فما ليس للمرء بفتح الميم وسكون الراء والهمزة بمعنى الانسان فيه اختيار ولا اكتساب والاختيار
هنا مقابل الاضطرار وقيل اصطلاح لاهل المعقول واصل معناه لغة فعل ما هو خير كما قال تعالى وربك
يخلق ما يشاء ويختار فيحصل له سواء اراده ام لا من غير كسب واسباب عادية ثم قيل له بعد ما فسره
توضيحا له فقال مثل ما كان فى جبلته اى فطرته التى فطر الله عليها من كمال خلقته واعتدال اجزاء بدنه تامة
معتدلة المقادير وقيل كان الاحسن ان يقول ما فى جبلته من الكمال اذ الجبلة هى الخلقة كما تقدم وجمال الصورة

سيد

ابن قرقوس

اى حسن صورته الظاهرة فى حسن تناسب اعضائه وصفاء لونه واعتدال قده وقيل المراد حسن وجهه
وقوة عقله وهو نور او قوة اودعها الله تعالى فى الانسان يميز به الاشياء وله تفاسير اخر كالعلم والعلوم
الضرورية وهل محله القلب او الدماغ قولان واصله معنا المنع ومنه العقال لمنعه عما لا يليق كما قال
قد عقلنا والعقل اى وثاق   وصبرنا والصبر مر المذاق   وصحة فهمه اى ادراكه المعلومات بسرعة
واضافة القوة للعقل بيانية وفى اضافة القوة للعقل والصحة للفهم غاية المناسبة وفصاحة لسانه
الفصاحة لغة واصطلاحا مشهورة ويوصف بها الكلام فيقال كلام فصيح والمتكلم
واللسان يطلق على الجارحة المعروفة وعلى اللغة ويصح ارادة كل منهما هنا والمراد فصاحة نفسه لان
المراد باللسان الذات ولا بالفصاحة عدم اللكنة وما قيل من ان الفصاحة جبلية تتكامل بمباشرة
الاسباب فهى من الممتزج الا ان يريد القدر السالق منها كما فى الاخلاق الاتية واطلاقه يقتضى انها ضرورية
محضة فاما انه لم يعتد بالمكتسب منها او التقسيم لما ذكر مطلقا والاسباب انما ترفع الموانع عن القوة
ولا تزيدها وان كان هذا بعيدا جدا كلام ناش من عدم معرفة الدخيل من الناشى وقوة حواسه المراد
الحواس الخمس الظاهرة من السمع واخواته لا الباطنة فان اهل الشرع لم يثبتوها ولم ينف وما وقوتها زيادة
احساسها وسلامتها عن الافات واعتدالها واعضائه جمع عضو بضم العين وكسرها وسكون الضاد
المعجمة وهى اجزاء البدن التى يزاول بها الاعمال ونحوها كاليد والرجل وبقوتها تتم اعماله وما به
كماله كما قيل ليس فى الانسان جارحة احب الى الله تعالى من اللسان لنطقه بتوحيده واعتدال
حركاته الاعتدال قيل انه وقوعها بين الافراط والتفريط فى السرعة وقيل سلامتها عن الافات
والمراد كونها على نهج قويم حيث جعل فى كل عضو اعصابا وعضلا يتحرك جميعها فرادى كالرأس
والظهر والكف والاصابع والزند وهكذا الجد ينحنى ويمسك ويطلق ويقعد ويلتفت الى غير
ذلك مما ليس فى غيره فقدرته على ذلك ومنشاؤه ليس باختياره فى الحقيقة والحركة ضد السكون
لا الحركات الفكرية ولا الاعم منها ولا الحركة فى النحو والكم ونحوه مما ذكر فى الحكمة لبعده عن مقام
المص رحمه الله تعالى فاذا اريد باعتدالها سلامتها او المعنى الاخر باعتبار منشئه ومبدئه
لم يشكل بانها امور كسبية اختيارية فلا يصح ذكرها هنا الا ان يقال انها لم تذكر قصدا بل تبعا للقوى
الاعضاء وهو بعيد من انه لو اريد مطلق الانتقال من حال الى حال لم يبعد والحركة وان كانت كسبية
يجوز ان لا تكون صفاتها بالاختيار لجواز ان يغفل عنها وفى الجبلة ان يؤتى بها على ما ينبغى فهذا الاعتدال
غير صادر بالاختيار عند المحققين وكذا الملكة المقتضية لها قريب مما قلناه وشرف نسبه اى شرفه
الحاصل له بسبب نسبه فانه صفة لم تحصل باختياره الا ان تسميته جبلة تسمح او على التغليب
ومثله غير بعيد والشرف والمجد بالاباء والحسب به وباباته معا كما قاله ابن السكيت ولا شك
ان نسبه صلى الله عليه وسلم اشرف الانساب لما فى سلسلته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وصميم قريش ومثله يدعو لعلو الهمم ويقوى نفسا فى الامور لا سيما اذا انضم لشرف الذات الذى
لا يساويه غيره كما قال ابن الرومى كم من اب قد علا بابن ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان
وعزة قومه العز والمنعة اذا اضيف لا حد لما نوا معه مجتمعين فى ابوكرم ارضه التى هى مولده

ومولده

سيد

ومولده وهى من احب البلاد الى الله والحرم الامن من فيه ومتعبد للحجيج وقبلة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام ومهبط الانوار والملائكة عليهم الصلاة والسلام واعدل الارض وان لم تكن كغيرها
ذات غياض ورياض وليس المراد بالارض لانها فراش وموضع حرث كما جوزه التجانى فان السياق
يأباه وهذا مما لم يكن باختياره وشرف البقاع يؤثر فى الطباع فغير بعيد جعله من الجبلة
ثم ان المص رحمه الله لم يعتبر فى الضرورى غير عدم الاختيار والاكتساب ولم يلتفت لعدم
الانفكاك فلا وجه لما قيل ان المراد ما لم يكن بكسبه واطلاقه موهم والمراد بما فى الجبلة الخلق
سواء كان فى طبيعته او خارجا عنه فصح جعل الثلاثة الاخيرة منها وان اريد بالضرورى ما لا ينفك
دائما فالفصاحة وقوة الاعضاء ليس كذلك وان اريد فى بعض الاوقات وكل مكتسب كذلك
الا ان يقال المراد انه لا ينفك فى وقته اللائق به او انه ناش عن كيفية مستمرة ويلحق به لحوق الشئ
بالشئ بتبعيته له والحق الولد بابيه اخبر بانه ابنه لشبه بينهما كما فى المصباح فالمراد انه ابعد منه
لشبهه به وسيأتى بيانه وهو بضم الياء مبنى للمجهول وفى الشرح انه يجوز فيه البناء للفاعل وفتح
الياء اى ملحق بالضرورى المحض امور منها ما تدعو ضرورة حياته اليه اى متعلق بتدعو او بضرورة
او بهما على التنازع وروى تدعو بغير ضمير والضرورة شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية
وفى عبارته لطف لايمائه الى انه ليس مضطرا اليه كغيره وانما الضرورة هى التى دعته وطلبته كما
قال الابوصيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
وانما كان ملحقا لانه اختيارى لا تدخل فى الضرورة المحضة كما مر من غذائه بغين مكسورة وذال
معجمتين ومد وهو ما يتغذى به من الطعام والشراب وجوز فيه الفتح والدال المهملة وهو طعام
اول النهار والاول اصح والاضطرار له البينة به ونومه وهو حالة معروفة تقتضى عدم الحس والحركة
بسبب تصاعد الابخرة والارتخاء الاعصاب وهو من الامور الضرورية لراحة البدن واستراحة
الحواس وقال المعرى وفضيلة النوم الخروج باهله   من عالم هو بالاذى مجبول وملبسه بفتح الميم
بمعنى اللباس ومسكنه بفتح الكاف وكسرها وهو المنزل وضرورى بحسب العادة وروى مكتسبه
بتاخير التاء عن الكاف الساكنة وبالباء الموحدة وكسر السين وفتحها اى اكتسابه للرزق وهو مما
يضطر اليه عادة الا انه يغنى عنه قوله وماله الاتى وقد يفسر بانه يغاير ومنكحه اى ما ينكح من النساء
عقدا وتسرى وهو ضرورى عادة ومثله قوله وماله اى ما يملكه وهو معروف يذكر ويؤنث وهو
عند العرب يختص بالابل وفى العرف العام بالنقدين وجاهه المنزلة والقدر عند الناس واصله
وجه ففلت فى عدة من الضروريات الملحقة بعد وان احتاج اليه بعض الناس عادة فلعل المراد ما يحتاج
ماله واتباعه وقد تلحق بضم التاء الفوقية وفتحها وقد للاشارة الى انها فى الاكثر غير ملحقة بها هذه الخصال
الاخيرة بالاخروية الدينية المثاب عليها فى الاخرة نسبة للاخرى بمعنى الاخرة وهو المعروف فى النسبة
فتكون بحسب القصد والنية اخروية لان الحاجة لها وان كانت بحسب الاصل دنيوية فلا تخرج عن
النوعين كما توهم وانقلابها بالنية من العادة للعبادة المثاب عليها صرح به فى الاحياء ومنهم من قال
الثواب انما هو على النية والفعل على حاله وقيل الخلاف فى ذلك ما لم يصر واجبا وعلى هذا يمكن عدها

اخروية والحاقها بها اما المشابهتها حتى كانها ضرورية او لاستلزام الضروري لها وعلى هذا يمكن ان يقال
ان الغذا واليوم ملحق بكمال الخلقة والصوت والملبس والمسكين والمنكح ملحق بالعقل والفهم والجاه
والمال لشرفه وعز هو مه ويمكن غير ذلك فتامل اذا قصد بها التقوى بفتح المثناة الفوقية والغاق
وتشديد الوا والمكسورة او الفاق المخففة من الاتقا والاول اقوى واظهر وعلى الثاني المراد التحرز المناهي
والمثال الاوامر بان يريد بما يفعله ذلك مع قضا وطره الدنيوي وقصده معه فان الباعث على الشيء
قد ينفرد وقد يتعدد مع غلبة احدهما وبدونها وقيل ليس المراد النية بل انبعاث النفس وميلها الى
فعل يعتقد انه يترتب عليه الغرض الباعث الغالب اجابة للباعث على تحصيل الغرض وارادة
الشيء قد لا يتيسر للتوقف على الميل النفساني الذي ليس باختياره الى اخر ما طوله بغير طائل ومعونة
البدن المعونة مصدر بمعنى الاعانة وهي المساعدة وهو من الشواذ كما ذكر في التصريف والبدن
هو الجسد ما سوى الاطراف وما سوى الرأس كما قاله الازهري ويطلق على جملة الجسد كثيرا وما قيل
من ان حذفه اولى اذ قد يقصد معونة الروح ايضا الاوجه لان المراد انه يقصد تقوية بدنه بالغذا
ونحوه ليقوم بوظايف العبادة كما اشار اليه بقوله على سلوك طريقها اي ليدخل في طريق الاخرة
او طريق الخصال الاخروية مع ان هذا لا يكون بمجرد البدن فهو يدل على ما ذكره والمراد ان يكون متلبسا
بما ينفعه في الاخرة او في طريق يوصله لنعيم الاخرة يقصد ما يحمده الشرع من العبادة والعفاف عن المحرم
ومتابعة السنة ونحوه لا مجرد قضاء الشهوة وحق النفس وما قوله في الحديث ان لنفسك عليك
حقا فلا ينافي هذا الا انه بامتثاله لامر الشارع مثاب بل لانه امر لا اثم له جائز شرعا وتركه
اذا اخر غيره جائز فهو مباح فوقه مرتبة اخرى يصير بها الحسن ولكل مقام مقال والملحق
بالاخروي يجوز في كل مباح حتى اللعب كما اذا مل من عبادة فاشتغل بمباح ينشطه بل قال
الغزالي اللهو هنا افضل من صلاته وعبادته ووجه بان تنفله بكسل من غير توجه مكروه
ثياب على تركه وكانت على حدود الضرورة الحدود جمع حد وهو نهاية الشيء وغايته المحيطة
ومعنى كونها على حدودها ان يأخذ منها بقدر حاجته من غير زيادة واسراف ونقص وتفريط
بالنسخ ونحوه فانها اذا كانت كذلك لم تكن محمودة ملحقة بالاخروية وهذا كقوله تعالى ومن
يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وما كان كذلك لا يفيد فيه نية صالحة كمن نوى بطعام
التقوى للعبادة وزاد على الشبع او زاد في الالوان ومن جمع المال لينفقه وانهمك في جمعه
ولكل ضرورة حد ومرتبة لا ينبغي تعديها والامور الدنيوية ليست مقصودة لذاتها وفي بعض
الشروح هنا كلام لا محصل له وقوانين الشريعة القوانين جمع قانون وهو الاصل والقاعدة
المنطقية على جزئياتها والاضافة لامية او بيانية لادنى ملابسة كما قيل والمعنى ان يكون
ما يفعله من هذه الامور على وفق الشريعة المطهرة فانه ان لم يكن كذلك لا ينفعه نية التقرب
الى الله تعالى كمن يأكل حراما او يلبس مغصوبا ليتعبد به او يتصدق بمال حرام قال ومطعمة الايتام
من كد فرجها فليتك لا تزني ولا تتصدقي قال الغزالي رحمه الله لا تظن ان المعصية تنقلب
طاعة بالنية كبناء الربط بالحرام فانه جهالة عظيمة وله في الكلام مفصل وعن العز بن عبد

تفعل من الفوق وما بعده
كالتفسير له وجوز فيه
فتح التا وسكون
الواو صح
م م

السلام ان المعصية قد تصير قربة بالنية كمن شهد زورا لدفع ظلمه الا ان منها ما لا يتغير حرمته
كالزنا وذهب ابن القيم الى ان من انفق مالا حراما في قربة يثاب عليه وان عوقب على كسبه من غير حل
كالصلاة في ارض مغصوبة وفي هذا المقام كلام طويل ليس هنا محله واما الخصال المكتسبة الاخروية
الدينية فسائر الاخلاق جمع خلق وهو الوصف الذي طبعه الله عليه او اكتسبه وسائر هنا بمعنى
الجميع او الباقي وقد اختلف فيه اهل اللغة فذهب الاكثر الى انه لم يرد في كلامهم الا بمعنى الباقي ثم
اختلفوا فقيل هو الباقي مطلقا قل او كثر لانه من السؤر بالهمزة وهو البقية وقيل انه الباقي الاقل والاول
هو الصحيح وذهب الجوهري وغيره الى انه يكون بمعنى الجميع وخطاهم فيه كثير كابن قتيبة والحريري في الدرة
لانه مخالف للسماع والاشتقاق لانه من السور فلا يصح كونه بمعنى الجميع وقد انتصر قوم للجوهري
رحمه الله وان ما قالوه غير صحيح اما الاول فلانه قد سمع من الفصحاء كقوله الزم العالمون حبك طرا
فهو فرض في سائر الاديان واما الثاني فلان القائل به يقول انه مشتق من السير اي يسير فيه هنا
الاسم ويطلق عليه وقد اشبعنا الكلام فيه في شرح الدرة فانظره العلية اي الشريفة المحمودة عند
العقلاء واهل الشرع المكتسبة لا الجبلية اذا اريد بها وجه الله تعالى والاداب الشرعية التي هي اعم
من الاخلاق ومقابلة لها فيشمل انواع العبادة ثم بين ما اجمله بقوله من الدين اي التدين والعبادة
والانقياد لاوامر الله والايمان والعلم بما له وعليه مما به نظام معاشه ومعاده والحلم وهي ملكة
يقتدر بها على الصبر على الاذى والصبر وهو حبس نفسه اذا اصابته مصيبة او نال ضررا وقر رزقه بان
يتصور ما خلق له ورجوعه الى الله تعالى وان كل شيء بقضائه وقدره لحكم فيتسلى بذلك ويرضى والشكر بان
يحمد الله على نعمه ويحمد من ولاه معروفا ويصرف ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله والعدل بان يجتنب
ما لا يحل فعله ويتوقى ما يضر غيره والزهد بترك الدنيا والرغبة عما في ايدي الناس وترك المحرمات والمشتبهات
وترك ما سوى الله تعالى مريدا وجه الله وهو زهد المقربين والتواضع اي الخضوع والتذلل ولين الجانب
والعفو وهو الصفح والتجاوز وعدم المواخذة والعفة وهي قمع النفس عن تعاطي ما لا ينبغي والجود
وهو بذل ما ينبغي فيما ينبغي من غير اسراف ولا بخل والشجاعة وهي الاقدام على ما ينبغي كما ينبغي ولها
طرفان الجبن والتهور والحيا وهو الانقباض عن القبيح حذر الذم من غيره ووقاحة وعدم مبالاة
وتفريط فيه وهو الخجل وهو انكسار يعتري القوى الحيوانية فيردها عن افعالها والمروة وهي فعولة
بالضم مهموز وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وتسهل بمعنى الانسانية لانها ماخوذة من المرء وهو تعاطي
المرء ما يستحسن ويجتنب ما يسترذل كالحرف الدنية والملابسة الخسيسة والجلوس في الاسواق
والصمت وهو الصموت بمعنى السكوت والمراد ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول لانه كما ورد
في الاثر الصمت حكم وقليل فاعله وقد يمدح في محله ولذلك قال عمر رضي الله عنه انه قفل الفم كما قيل
وكم فاتح الابواب شر لنفسه اذا لم يكن قفل على فيه مقفل وهو كثير في النساء ولذا يذم احيانا
ان كان عيا وقيل الصمت منام اللسان والتكلم يقظة والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه
وقيل من لم ينطق فقد عقله ومات خاطره وهنا في الخير والتؤدة بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة
والدال المهملة بعدها الها وهي التأني وترك العجلة والمبادرة بالكلام وغيره كما قيل قد يدرك المتأني

بعض حاجته وقد يكون مع المتبجل لزلل و روى التودد اى اظهار الود والمحبة للناس من غير
تملق ومداهنة والوقار وهو السكون من غير طيش وخفة والرحمة الشفقة والتعطف وحسن الادب
الناس باكرامهم وتنزيلهم منازلهم والمعاشرة معطوف على الادب اى حسن المعاشرة والاختلاط
مع الناس وترك التحجب وهجر الاخوان بغير داع واخواتها بالجر من كل ما يشبه هذه الخصال مما سياتى
فى الفصل الذى يليه وجماعها بكسر الجيم اى يجمع هذه واخواتها ويشملها كلها وفى الحديث حدثنى
بكلمة تكون جماعا اى جامعه للكلمات كما فى النهاية حسن الخلق فانه عبارة يدخل فيها كل ما ذكر سيد
وغيره وهو معاملة كل احد بما يرضيه ولا يوحشه كما قاله ابو مدين رحمه الله تعالى وحسن الخلق بمعنى
الخلق الحسن كما فى قولهم العلم حصول الصورة الحاصلة وفيه مبالغة بجعله كانه عينه للزومه وفيه
تفصيل فى حواشى المطول فى تعريف الفصاحة فما قيل ان الصواب الخلق الحسن لانه هو الشامل
وهو المراد الا ان يريد بالجمع المشترك بين الكل لان الخلق هو الصفة المعنوية والصورة الباطنة
ليس بصواب ولا حاجة لما تكلفه وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة هى والطبيعة والجبلة
بمعنى كما مر واصل الجبلة لبعض الناس خلقة الله وانشاه عليها كما ترى من بعض كرم الله وحسن خلقه
من غير تعلم من احد واعلم ان مراده بالكمال الذى عقد له هذا الباب كمال الانسان خلقته الذى
ذكره الله تعالى بقوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وما يلحق به من امور معاش وما له دخل
فيه كارضه واصله وما له دخل فى بقائه من امور معاش وهو الذى اشار اليه الحكما بقولهم لما كان
الانسان خلق لاشرف الصور التى هى النفس الناطقة خصه الله تعالى باشرف الامزجة واعدلها
وجعله بحكمته تقدست اسماؤه مدينة فيها اعضا رئيسة ومرؤسة ومراده بصفاته الاخروية
صفات ممدوحة فيها عقلا لا تختص بعصر ولا بنوع منه ولا بشريعة بل بما يدركه ويحسن كل عقل
سليم كالسخا والشجاعة وغيره وهذه لا يدخل فيها صرف العبادة كالصلاة والحج ونحوه مما يخصه
العرف باسم العبادة وان كانت هذه الصفات فيمن عرف نفسه وربه وقصد بها القربة تسمى عبادة
ايضا لان الشارع امر بها وحث عليها فمن فعلها امتثالا لامره كان متعبدا بها ومن لم يعرف مقاصده
خلط وتكلف توجيهات لا حاجة اليها فقوله واصل الخلقة عطف تفسير للغريزة وهذه فيها
ما هو قسم من الضروريات ايضا والاخلاق تطلق على الملكات والكيفيات النفسانية وعلى
اثارها مسامحة وكذلك تسمى جبلته مسامحة ويشترط فى كون هذه دينية ارادة وجه الله
كما عرفته فما قيل على المصنف ان مقتضى كلامه ان الجبلى والوهبى كالنبوة لعدم القصد والعمل لا يكون
دينيا وان التحقيق ان التقرب الى الله بتعظيمه وحسن الحال والمال يكون كمالا فالجبلة ووهب سيد
فى الحياة بلا اختيار فان المعرفة والتصديق الوهبى والجبلى كما فى بعض الانبياء عليهم الصلاة
والسلام والانتساب الى النبى صلى الله عليه وسلم بمحبته كمالات تقرب وتنفع وان لم يكن
اعمالا يثاب عليها وكم فى الاجرة من امر يقرب وليس بعمل وهذا لا ينكر من له اتصاف والاخلاق
التى مدحها الشارع امور كسبيه وان كان كمالها بكونها جبلية كما سيذكره المص رحمه الله
والظاهر انها توجب التقرب والتكريم فى حد ذاتها وباب الجدال لا يسعه طول المقال الى اخر ما قال

فيه قد عرفت انه خارج من نهج السداد وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها هذا معلوم من جعله مكتسبا
وانما ذكره توطية لما بعده وقوله فيكتسبها بالنصب كما قال البرهان الحلبى وقال بعض الشراح الصواب
الرفع على الاستيناف وتقدير المبتدا وهكذا كل ما اريد به نفى ما قبله واثباته لقولك لمن تكفر اتيانه
ما تاتينى فاكرمك ان قصدت اكرامه لاجل عدم اتيانه كما ذكره ابن هشام فى السدود وفى الاقليد
وكتب العربيه ما يخالفه وليس هذا محل تفصيله واعلم انهم اختلفوا فى الاخلاق هل هى كلها غريزية
من غير كسب او كلها كسبيه او بعضها كسبيه وبعضها غير كسبية واليه ذهب المحققون قال
اليه ذهب المصنف كما سيصرح به فى الفصل الحادى عشر من هذا الكتاب والشعرا فى تخيلاتها ان ما يلو
بغريزته لا بد من زواله كما قال المتنبى واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شى فى طباعك ضده وقال
ذو الاصبع العدوانى كل امرء راجع يوما لشيمته وان تكلف اخلاقا الى حين ولكنه لا بد ان يكون
فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شا الله تعالى لا بد ان كذا اى لا محيد عنه ولا مفارقة
من بددت الشى اذا فرقته ولا يستعمل الا فى النفى ولا يرد عليه قوله من ظن ان لا بد عنه فان عنه الف
بد لقصد التمليح وهو مولد وما وقع فى بعض حواشى المطول من تفسيره بالسعة وتوجيهه لا وجه له
واصل الجبلة اضافته بيانية والشعبة بضم الشين وسكون العين المهملة حصة من الشى واصل سيد
معناه الفرقة والقطعة واحال المصنف على ما سياتى فى فصل الخصال المكتسبة وتكون هذه
الاخلاق دنيوية اى اثارها المرتبة عليها واكتسابها والتطبع بها يعنى تنقلب من مكتسبها المحمود
المثاب عليه الا انها تكون دنيوية صرفة لا يثاب عليها كما ان الدنيوى ينقلب دينيا بالنية الصالحة
ولذا قيل طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله قيل وهذا تصريح بنوع رابع النوعين المذكورين اولا وهو
الدنيوى المكتسب فالانواع اربعة دينى ودنيوى وكل منهما ضرورى او مكتسب وقد عرفت ما فيه اذا لم
يردبها بالبنا للمجهول واذا لم يرد فاعلها بالبنا للفاعل وقد تقدم معنى الارادة والقصد وجه الله اى ذاته
بان لم يقصد عبادته والتقرب اليه واتباع امره والدار الاخرة التى فى مقابلة الدنيا اى نعيمها وما فيها من الثواب
والجزاء وما كان لله ولوجهه فهو للاخرة وبالعكس وقيل الاول اشارة لعبادة الخواص التى لا ينظر فيها لجنة
ونار وانما هو لاجلال الله وامتثال امره وقد يجعل هذا على قسمين ما قصد به الكمال بالنظر والقرب والربح
ونحوه وما قصد به التعظيم وامتثال الامر وفعل ما يستحقه وهذه عبادة خواص الخواص قال الغزالى رحمه الله
تعالى وهذا قل ان يفهمه احد فضلا عن ان ياتى به واعترض على عبادة الخواص بان البراة عن الحظوظ من خواص
الالوهيه حتى نقل عن البلعلانى رحمه الله تكفير من ادعى البراة من الحظ بفعله واجاب الغزالى رحمه الله بانه
حق ولكن مرادهم ان فعلهم لحظ غير حظ العوام وهو التلذذ بمعرفته تعالى ومناجاته والنظر له وقيل
عليه هذا لا يصح فى القسم الثانى اذ ليس نظرهم لتلذذ انفسهم ولم يبق لهم مطلب ولا مريد ولا مراد
فالحق فى الجواب ان عدم الحظ بمعنى عدم التاثر عن شى فانه عنى وهذا نقص لا يليق به لانه يلزمه الامكان
والاحتياج وهم معترفون بانهم محظوظون متاثرون ولكن يدعون عدم ملاحظة الحظ وقصده
بالفعل لا دليل على اختصاصه فيجوز فى فعلهم الغير الاختيارى واما الاختيارى ففيه نظر لما تقرر من ان
الفعل الاختيارى من الممكن لا بد ان يسبق بالتصديق بفائدة وغرض باعث على الفعل يعود الى الفاعل

ولذا نفوه عن الله فكيف تكون العبادة لمحض استحقاق الذات والظاهر ان ذلك غير مسلم عند الحكما
والثاني اشارة الى عبادة العوام مما كان لنيل النعيم والخلاص من الجحيم وهذه على مراتب منها ما يفعل
على مراتب منها ما يفعل لعبادة الله واطاعة امره راجيا النجاح بحيث لو لم يكن لم يفعل وهذه اعلاه ومنها
ما فعل لذلك والباعث لعبادته امر اخروي بحيث لو لم يكن لم يفعل وهذه دونها ومنها ما يفعل مع الغفلة
عن امر الله وطاعته وانما القصد مجرد النجاة والنعيم الا ان هذه حكم الرازي رحمه الله ببطلانها وفاقا
وقال في تفسيره اجمع المتكلمون على ان من عبد الله ودعاه لاجل خوف النار وطمع الجنة لا تصح عبادته
ودعاؤه وذلك لان التكاليف بمقتضى الالوهية والعبودية عند اهل السنة ومع كونها مصالح
عند غيرهم فوجدا لوجوب والحرمة الامر والنهي فمن اتى بها لا لاتباع الامر والنهي صحت ومن اتى بها خوفا
وطمعا لم يصح اتفاقا لانه ياتي بها على وجه وجوبها انتهى ومنه يظهر ان المراد وجوب ان يكون الفرض
الامتثال ونحوه ولم ينف انضمام شيء اخر باحد الوجهين ما لم يصر رياء فلا ينافي هذا قول النووي
رحمه الله لو قال لاحد لا خرص لنفسك ولك على كذا فصلى لهذه النية صح ومن لم يفهم مراده توهم
المنافاة هذا ومن العبادات الظاهرة ما لا يحتاج الى نية بل يكفي عدم الصارف كالصدقة والعتق
وغيره فلا يبعد ان يكون في الاخلاق العلية ما هو كذلك واذا لم تجب في الصدقة ونحوها فالاولى
ان لا تجب في العلوم الشرعية والعدالة واذا كان الكلام في الايثار فقد يكون عين ما ذكروه وحينئذ
انما تكون دنيوية اذا اريد بها غير الله واما اريد بها اخرة وغيرها ففيه تفصيل وخلاف ولنا هنا تحقيقات
خارجة عن مقاصد الكتاب انتهى ملخصا اقول ذكر هذا الامام في تفسير الفاتحة واستدل بقوله
تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية ووافق على ذلك جماعة وقد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي في شرح
الارشاد وهذا عجيب فقد صرح الفقها بان من قصد بالصلاة الدنيا تصح صلاته فبالاولى هذا
فالوجه خلافه وقد حث الشارع على العبادة بذكر الثواب والعقاب ففيه دليل على ان مثله
لا يضر وقد صرح في الاحيا بان قصده لا ينافي الكمال والعامل للجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير
السوء ودرجته درجة البله الذين هم اكثر اهل الجنة وفيه رد لما قاله الفخر ونحوه قول السبكي
رحمه الله العاملون على اصناف صنف عبدوه لذاته وان لم يخلق جنة ولا نارا ومع ذلك يسالونه
الجنة ويستعيذونه من النار اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال حولها ندندن ومن اعتقد
خلاف ذلك فهو جاهل وصنف عبدوه خوفا من ناره وطمعا في جنته وهو دون الاول وكلاهما
يعتقد وجوب الطاعة واستحقاقه تعالى لها انتهى وحمله بعضهم على جعل عبادته في مقابلة
ذلك وانه واجب على الله كالمعتزلة فهو غير جازم بالنية حينئذ فيبطل عمله عند اهل السنة
وحمله على انه لولا ذلك ما عبد تكلفا اذ الكلام فيما سلامة حينئذ وفي الاحيا عن مكحول بن
عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق اي المؤمن
لا بد له من الخوف والرجا لقوله تعالى خافون ولا تيأسوا من روح الله الخ فمن عبده بالخوف ولم يوجد
منه رجاء او وجد ما لا وزن له معه فهو حروري لحكمه على العاصي بالانسلاخ من الرحمة والخوف
من الذنب كالخوارج على علي كرم الله وجهه وهم فساق وكفرة فتجريد الخوف يوجب الالتحاق بهم ومن عبده

بالرجادون

بالرجا دون الخوف فهو كالمرجئة الذين يقولون لا ينقص مع الايمان ذنب ومن تجرد رجاؤه قد يقال
لا تصح صلاته ولا شيء من عبادته لان نية الفرضية شرط فيها واذا انتفى الخوف بتقدير الشرك
انتفى اعتقاد الوجوب لان الفرض ما يذم تاركه او يعاقب ويخاف من العقاب على الخلاف في حده
ومن اعتقد العقاب والذم يخاف منه العقاب فعلم ان انتفاء الخوف لا يصح معه عبادة ولجية
لانه رجا لا يقال لا ينافيه قوله نعم العبد صهيب الخ لانا لم نقل ان انتفاء الخوف لا يوجب الارجا
مطلقا بل تجريدا لرجا هو الموجب له وثمة حالة اخرى اكمل منه وهي الحيا المانع من المعصية ومعنى الثالث
ان تمحض المحبة مع انتفاء الخوف والرجا يستلزم العمل لاجلها لا لاستحقاقه تعالى واعتقاده كفرا
ممن يظهر الاسلام فهو كالزنديق ومعنى قولهم ما عبدناك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك انه لذاتك
المستحقة لذلك كما مر انتهى وانما اطلنا في هذه المسئلة لانها من المهمات والوقوف عليها لازم الا
ان ما ذكروه غير متجه بوجه من الوجوه لان كلامهم في العبادة المعروفة في عرف الشرع وما نحن فيه ليس
من هذا القبيل كما حققناه لك فلتكن على ذكر مع ان في كلامه سقطات يعرفها من له ذهن وقاد وفكر في فنون
المعارف نقاد فلنجذب عنان التحرير ليستريح جواد القلم من التسطير والى ما ذكر من ان ما نحن فيه
ليس من قبيل العبادة المعروفة في عرف الشرع اشار بقوله ولكنها كلها محاسن وفضائل اي كلها امور
حسنة تفضل بها صاحبها في حد ذاته بقطع النظر عن الشرع فان صحبها مقاصد حسنة وخلوص نية اثيب
عليها والا فلا باتفاق اصحاب العقول السليمة وان كانت قد تذم لامر عارض كالريا والصمت عما يجب انكاره
كما يعرض لبعض الكمال لما يجعله ناقصا وان اختلفوا في موجب بكسر الجيم لا بفتحها كما توهم اي سبب حسنها
وتفضيلها على غيرها هل هو لذاتها لما يترتب عليها او لتحسين الشارع وتفضيله بناء على ان الحسن والقبح
هل يعرف من الشرع لا من غيره مطلقا كما ذهب اليه الاشعري او في بعض الامور كما ذهب اليه الماتريدي
او من العقل مطلقا كما قال المعتزلة والخلاف في الحسن والقبح الذي يترتب عليه الثواب والعقاب
لا مطلقا كما توهم فصل قد عرفت ان فصول هذا الباب سبعة وعشرون وانه عد ما تقدم فصلا
ولم يعد الفصول لذلك او للاختصار ولم يترجم بعض الفصول لعدم انضباطها وهذا الفصل معقود
لخصال محمودة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم مقتبسة من الكتاب والسنة منها ما يذكر في الفصول
التي بعده اذا كانت خصال الكمال والجلال المتقدم ذكرها كما اشار اليه بقوله ما ذكرناه في اول
هذا الباب ووجدنا الواحد منا معاشر البشر وهذا معطوف على ما قبله او حال بتقدير قد والمعنى
ان الواحد يشرف كما وجدناه ويشرف بفتح اليا وضم الراء اي يحصل له الشرف على غيره بواحدة منها
او اثنين اي بسببه اذا كانت فيه على ما يليق به ان اتفقت له قيد للشرف او للوجدان والحصول ومعنى
الاتفاق حصولها على وجه يشرف بغير كسب والضمير للخصلة المفهومة من السياق والمراد نوعها
وجنسها فيشمل المتعدد وتعبيره بالواحد اشارة الى ان اهل الكمال في كل عصر قليل كما قيل اني لافتح
عيني حين افتحها على كثير ولكن لا ارى احدا والعصر الدهر وكل مدة ممتدة غير محدودة يحتوي على امم
وينقرض بانقراضهم والجار والمجرور متعلق بوجدنا او يتشرف ويجوز تعلقه باتفقت والمراد بالواحد
الجنس اي واحد في عصر واخر في اخر عصر بعد عصر لا في الايام قليل واشار بقوله واحدة او اثنين

الى ان اجتماعها كلها او اكثرها نادر وفى بعض النسخ او ان وهو زمن مخصوص كزمن الربيع وليس من عطف
الخاص على العام كما قيل اما من نسب او جمال او قوة فى الاعضا او القوى وقيل هى بمعنى البطش والشدة او علم
اى علم من العلوم الشرعية او العقلية او حلم او شجاعة او سماحة وجود وكرم حتى يعظم قدره غاية
لقوله يشرف ولوصفه بما ذكر اى يرتفع حتى يصير معظما مبجلا عند الناس فى حياته قيل وهو مع
ما بعده غاية اذ العظمة اعلا من العلو والشرف او مقيدة بقوله وتضرب باسمه الامثال فى حياته
ومماته كما يقال هو حاتم فى الوجود والامثال جمع وهو المشبه به وضربه بيانه وتشبيه غيره به وضرب
الامثال باسمه ذكره بجعله مشبها به وليس اسم مقحما للتعظيم والمبالغة هنا كما قيل والمثل يضرب
للايضاح بابرازه فى معرض المحسوس ليدل على غاية وضوحه وكماله فى وجه الشبه والضرب اصله
ايقاع شئ على اخر ويختلف باختلاف متعلقه فالضرب فى الارض لايقاع الارجل وضرب الدراهم
صوغها لايقاع المطارق ومنه اخذ ضرب المثل لتاثيره فى النفوس كما اشار اليه بقوله ويتقرر له بالوصف
بذلك فى القلوب اثرة بضم الهمزة وكسرها وسكون المثلثة وبفتحهما وهى المأثرة والمكرمة من تلك
الخصال التى وصف بها وانفرد واستأثر عن غيره وعظمة وهو منذ عصور خوال اى والحال ان ذلك
الموصوف بها من ابتداء ازمنة ماضية الى ظهور عظمة قدره وضرب الامثال به ومنذ مبنى على الضم
كما قرره النحاة مختص بالزمان بخلاف من على ما فيه ورمم بكسر الرا وقيل قد يضم جمع رمة او رميم
وهى العظام واجزاء البدن البالية بوالجمع بالية وبال تاكيد كنفخة واحدة او تجريد او بيان زمم
لانه قد يغفل عن معناها وهو قريب من التاكيد فلا وجه لرده وليس فى حمل الرمم على ما هو باعتبار
اجزاء بدنه تكلف ولم يكتف بالمفرد لان المراد ان الواحد يعظم قدره بعد موته بالاتصاف بواحدة
او ثنتين منها مع صيرورته عظاما تفرقت جموعها فما الظن بمن عظم قدره بما فوق ذلك وقد حرم الله
جسده على الارض واحياه فى قبره كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد رايت فى بعض الكتب
ان السلف اختلفوا فى كفر من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لما انتقلت روحه للملاء الاعلى
تغير بدنه وروى ان وكيع ابن الجراح حدث عن اسمعيل بن ابى خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما توفى لم يدفن حتى ربا بطنه وانثنى خنصره واخضرت اظفاره لانه صلى الله وسلم توفى يوم الاثنين
وتركه لليلة الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة واصطلاح امر الامة وحكمته ان جماعة من الصحابة
رضى الله عنهم قالوا لم يمت فاراد الله ان يريهم اية الموت فيه ولما حدث وكيع بهذا بمكة رفع الى
الحاكم العثمانى فاراد صلبه على خشبة نصبها له خارج الحرم فشفع فيه السفيان بن عيينة واطلقه
ثم ندم على ذلك ثم ذهب وكيع للمدينة فكتب الحاكم لاهلها اذا قدم اليكم فارجموه حتى يقتل فاراد له
بعض الناس بريدا اخبره بذلك فرجع للكوفة خيفة من القتل وكان المفتى بقتله عبد المجيد بن رواد
وقال سفيان لا يجب عليه القتل وانكر هذا الناس وقالوا لو راينا بعض الشهداء نقل من قبره بعد
اربعين سنة فوجد رطبا لم يتغير منه شئ فكيف بسيد الشهداء والانبياء عليه وعليهم الصلاة
والسلام وهذه زلة قبيحة لا ينبغى التحدث بها فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت له كل هذه الخصال
اى الواحد منا اذا حصلت له خصلة او خصلتان منها حصل له شرف قدر ووقع فى القلوب ويقع

قدره

قدره لا يزول بموته وصيرورته عظاما بالية فكيف بمن جمع جميعها وهو باق فى قبره وهو خاتم النبيين
وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهذا جواب اذا والظن الاعتقاد الراجح الغير الجازم
ويكون بمعنى العلم وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم والاستفهام انكارى بمعنى النفى او للحمل على الاقرار
بغاية عظمته او للتعجب وليس بعجيب كما توهم والمراد بالخصال السابقة حال كونها متجاوزة
الى ما لا ياخذه عد اى لا يعد للكثرة ولعدم اطلاعنا على كثير منه ومعنى لا ياخذه لا يحيط به
او يغلبه كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فهو كما ترى استعارة ولا حاجة الى ما قيل انه ادعا او
مبالغة الى ما قلناه اشار بقوله ولا يعبر بكسر الموحدة المشددة عنه قول فاعل يعبر اى مقول
وروى به مقال اى لا يعرب به ويظهره مقال ولا ينال اى يحصل ويوصل اليه بكسب وتحصيل
باسباب عادية ولا حيلة اى حذق وتصرف بجودة نظر وهو اعم من الكسب الا بتخصيص
الكبير المتعال استثناء مما قبله منقطع اى لكن لا ينال الا بامر وهبى يخص الله به من يشاء وقيل
يحتمل ان يكون متصلا اى لا ينال بمصاحبة للتخصيص فيقدره على كسب بعض ويهبه بعضا وفيه
نظر والكبير العظيم شانه وقال الرازى الكبير ما كبر فى ذاته والعظيم ما يستعظمه غيره فلذا كثر
وصفه تعالى بالكبير دون العظيم فتامله والمتعال بحذف اليا للوقف تخفيف المستعلى عن كل ما سواه
والعالى شانه عن جميع شوائب النقص وقوله من فضيلة النبوة والرسالة بيان لما فى قوله ما لا ياخذه
عد اى لم يذكر قبله وقيل للكل من الخصال المذكورة ومما لا يحويه العد مما هو مذكور فى الكتاب ليقف
عليها الباحث عنها مجتمعة فيكون اقرب الى الضبط وادعى للتعظيم والتخصيص اعم من السبى والحقيقى
وان الظاهر انه لم يرد الخصائص لعد المشتركات ولا داعى للتكلف للتخصيص والقول بانه لا يناسب
عد المواهب من الغرايب انتهى وفى قواعد القرافى النبوة افضل من الرسالة عند العز بن عبد السلام
من جهة انها عبارة عن خطاب الله نبيه صلى الله عليه وسلم بما يتعلق به وبذاته والرسالة متعلقة بالامة
وقيل الرسالة افضل لعظم ثمرتها وعموم نفعها ولكل وجهة وسياتى تفصيله قلت وبهذا ظهر السر فى
ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وردت مقرونة بلفظ النبى لتعلقها بذاته الشريفة ولذا قال
تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى لا لانه اذا صلى عليه باعتبار النبوة علمت بالاولى تلك وليس
ذكر الرسالة مستدركا هنا كما توهم والخلة بضم الخاء من المخاللة والمحبة والاصطفاء افتعال
من الصفوة بالفتح والكسر وهى الاخبار والاجتباء بالجيم تناول لجبايته وجمعها فيه وسياتى الكلام
على المحبة والخلة وهذا اشارة الى ما ورد فى الحديث الاتى ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى
من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم
والاسراء الى المسجد الاقصى وسياتى تفصيله والرؤية لربه واياته الكبرى وجبريل عليه الصلاة
والسلام فى صورته الاصلية فلا يرد عليه البرهان الحلبى من انه هنا جزم برؤية ربه وقال فيما سياتى
ان ذلك لم يثبت عنده لاحتمال ان يراد بالرؤية غير ما ذكر او يذكره هنا تبعا لغيره وقيل الذى راه رفرفا
اخضر سد الافق فى الجنة والقرب والدنو لقوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى على القول
بان الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم وليس عنا قربا مكانيا ان كان المراد به القرب من الله تعالى لاستحالة

المكان والجهة على الله وقد ذكر في الآية على سبيل المدح فالاول في قوله فكان قاب قوسين او ادنى والثاني
في قوله ثم دنى فهما متغايران هنا او هو عطف تفسير والوحي مصدر وحى بمعنى اوحى والاكثر في الاستعمال
الفعل المزيد ومصدر الثلاثي وهو اعلام بنبيه صلى الله عليه وسلم بما يريده من شرع وغيره بكلام او ارسال
ملك او الهام ونحوه واصل معناه الكلام الخفي والشفاعة والوسيلة المراد مطلق الشفاعة فانه
صلى الله عليه وسلم او الشفاعة العظمى وله صلى الله عليه وسلم شفاعات الثاني والوسيلة اصلها
ما يتوسل به ويتقرب ويتوصل بها الى مراجعة ربه وقيل هي الشفاعة يوم القيمة وقيل هي منزلة في الجنة
وحمله هنا عليها ارجح والفضيلة هي اما فضيلة خاصة به صلى الله عليه وسلم او شاملة لجميع ما منحه الله
من الفضائل والكمالات اذ كل صفة حادثة قابلة للزيادة ولذا قال وقل رب زدني علما وقال ولا يحيطون
بشيء من علمه الا بما شاء ولهذا قال بعض الشراح هنا انه يجوز في الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقال
اجعل ذلك زيادة في شرفه لقبول الصفات الحادثة للزيادة والنقص بخلاف صفات الله ولهذا
اثنى الله على نفسه ومنع غيره من الثنا على نفسه بقوله ولا تزكوا انفسكم واستثنى منه منه محال منها
الامين الواثق بامانة كقول يوسف عليه الصلوة والسلام اني حفيظ عليم ومن الشجاعة كقول
علي كرم الله وجهه انا مفرق الكتايب انا ليث بني غالب ومنها العالم والنسيب اذا لم يعرف انتهى
والدرجة الرفيعة واحدة الدرجات وهي الطبقات والمراتب وهي المنزلة المختصة به والرفيعة
المرفوعة العالية والمقام المحمود هو مقام يقوم فيه صلى الله عليه وسلم للشفاعة العظمى فيحمد
فيه الاولون والاخرون ولا شك انه مغاير للشفاعة واحتوى عليهما فهو مغاير لها لتقدمها
وهذا اولى من القول بانه الشفاعة لاخراج طائفة من النار ومن القول بالعموم والخصوص وتغاير
المفهومين وهو حيث يعطى صلى الله عليه وسلم لواء الحمد ويكون اقرب من جبريل وقال البرهان انه
الشفاعة العظمى في اراحة الناس من الموقف وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل فيكسوني ربي حلة خضرا فاقول
ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود رواه ابو حاتم وهذا لا ينافي ما تقدم كما قاله الطيبي فقوله
فاقول الخ يحتمل التغاير وعدمه وقوله فذلك الخ فذلكة لما قبله والاشارة لمجموعه كقوله تعالى عوان
بين ذلك ولا حاجة لتقدير مضاف اي فمقام ما ذكر والاشارة للمقام وان لم يسبق ذكره وفيه لواء الحمد
زيادة لقبول مقامه والباسه تلك الحلة الفاخرة ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه ان عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة
لواء الحمد فقال طوله الف وستمائة سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة
خضراء له ثلاثة ذوايب ذوابة بالمشرق وذوابة بالمغرب وذوابة وسط الدنيا مكتوب عليه
ثلثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثاني الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله
محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة الف عام قال صدقت يا محمد وفي الرياض النضرة في فضائل العشرة
للطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم سئل عن لواء الحمد فقال له ثلاث شقق
كل شقة ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الى اخر فاتحة الكتاب

وعلى الثاني

وعلى الثاني مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة مكتوب ابو بكر الصديق عمر الفاروق
164 عثمان ذو النورين علي الرضي انتهى رضي الله تعالى عنهم اجمعين وتصديق ابن سلام رضي الله عنه لاظهار
لخلوص اعتقاده او للموافقة لما في الكتب الالهية عنده لانه حبر بني اسرائيل كما مر ثم ان كونه جسما
بناء على هذه الصفة المروية خالف فيه صاحب النهاية فقال في قوله صلى الله عليه وسلم لواء الحمد
بيدي يريد به انفراده صلى الله عليه وسلم بالحمد يوم القيمة وشهرته به على رؤس الخلايق والعرب
تضع اللواء موضع الشهرة انتهى ووجه تسمية لواء الحمد كتابة الحمد عليه او انه تبعه فيه جميع
الناس حامدين له او انه حمد الله حين رفعه بمحامد اللايقة به والبراق تقدم الكلام عليه والمعراج
بكسر الميم وقد تفتح المصعد مفعال من العروج وهو اسم اله والمراد عروجه صلى الله عليه وسلم
على المعراج الى السماء وفي رواية انه راى معراجا كسلم فسمي به بهذا الاعتبار واشتهر بذلك وان لم سيد
تشتهر تلك الرؤية وفي الصحاح المعراج السلم ومنه ليلة المعراج ولا بعد فيه كما قيل وقال التلمساني
رحمه الله انه سلم من نور تصعد فيه الملائكة او المراد الدرجات الصورية كالسموات والمعنوية
التي عرج عليها وقد يطلق على العروج وبه فسر في بعض المواضع وفي القاموس عرج يعرج عروجا
ومعرجا ارتقى فاذا كان خلقة فعرج كفرح او مثلث في غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى
ومن لطايف الفضايل قوله في رسالة في اعرج قامت للعصا بين مقام رجله وقلت اعواد
الاغصان من اجله فعرج به من الارض الى السما وغرس العود بكفه ولكن ما اورق وغنا ولعمري
حمل العصا هو العذاب اليم وما افلح من لازمها بعد موسى الكليم تنبيه قال الحافظ الدما
ميني الاسراء عبارة عن سيره صلى الله عليه وسلم من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور
او من جواهر تصعد فيه الارواح الى السماء ويطلق كل منهما على ما يشمل الاخر كما مر والبعث الى
الاحمر والاسود اي عموم رسالته صلى الله عليه وسلم لما ذكر كما تقدم والاسود العرب والجن
والاحمر غيرهم لان الغالب على الوان العرب السمرة وعلى العجم البياض والصلاة بالانبياء عليهم
والسلام اي امامته لهم حين اجتمع بهم بالمسجد الاقصى حين اسري به صلى الله عليه وسلم لم يراع
المص رحمه الله الترتيب بين ما ذكر ولو راعاه كان احسن والشهادة بين الانبيا والامم يوم القيمة
كما في قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كما مر وسيادة ولد ادم اي سيادته لجميع الخلق وادم
وولده كما ثبت في الحديث الصحيح لانه اكرم الخلق على الله كما مر ولواء الحمد تقدم الكلام عليه وسياتي
ايضا واللواء اكبر من الراية ولا يشترط فيها التربيع كما قاله التلمساني ويجمعها العلامة والبشارة
والنذارة بكسرهما اولهما اي كونه بشيرا ونذيرا كما في القران الكريم والمكانة عند ذي العرش والطاعة
ثم بفتح المثلثة اي هناك والامانة على الوحي واسرار الالوهية المذكورة في قوله تعالى انه لقول رسول
الاية على قول من جعلها له كما مر مع انها ثابتة له في نفس الامر بادلة اخر والهداية له المذكورة في اول
سورة الفتح او كونه هاديا للخلق ورحمة للعالمين بالنصب بكون مقدر وروي بالجر لقوله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كما تقدم واعطاء الرضى والسؤال بضم السين وسكون الهمزة وتبدل
واوا وهو المامول وكل مسؤل والرضى ما يرضيه لقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى

والسوال قريب من الرضى قيل والذى ورد فى الاية الرضا والسوال ورد فى حق موسى عليه الصلاة
والسلام فى قوله لقد اوتيت سؤلك يا موسى اى ما ساله بقوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى
قال البجانى ولاشك انه صلى الله عليه وسلم اعطى الرضى لانه اعطى ما به الرضى فقد اعطى واما
السوال فكم اعطى سولا ونال مامولا ومسولا وان لم يعبر فيه بهذا اللفظ كما فى حق موسى عليه الصلاة
والسلام فلعل المص رحمه الله اراد انه صلى الله عليه وسلم اعطى سوال موسى السابق لقوله له
ان مع العسر يسرا وشرحنا لك صدرك الى غير ذلك مما هو بمعناه وهذه تكلمات لا حاجة اليها ولذا لم
يلتفت له الشراح والكوثر تقدم الكلام عليه وسماع القول اى سماع الله لقوله عليه الصلاة
والسلام وقبوله الوارد فى الحديث الشفاعة الطويل بقوله قل يسمع لك وسل تعط واحتمال ان يراد
بالقول القران وسماعه العمل بموجبه او استماع النبى صلى الله عليه وسلم لقول الله كما قيل بعيد واتمام ابن الحلبي
النعمة والعفو عما تقدم وتاخر المذكور فى قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر كما تقدم
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر المذكور فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعزة النصر كما فى
قوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا ونزل السكينة والتاييد بالملائكة اشارة الى قوله تعالى فانزل الله
سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة عليهم الصلاة والسلام بدركما مروقال ابن العربى
فى احكام القران اتفقوا على ان الاقوى فى هذه الاية ان الضمير فيها عايد على ابى بكر رضى الله تعالى عنه لا
على النبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ما فيه والمراد بالسكينة الرحمة وفى انوار التنزيل فى تفسير قوله تعالى
سكينة من ربكم اى ما تسكنون اليه وهو التوراة وقيل صورة من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة
وذنبها ولها جناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا ثبت ثبتوا وحصل النصر وهو غير ملايم
لهذا المقام ثم السكينة قد علم انها بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة فعيلة من السكون وبه جزم
ابن قرقول وغيره وما حكاه الصاغانى من كسر السين وتشديد الكاف فقول مرغوب عنه والاظهر انها
الامن والثبات او الرحمة او الوقار وقيل المراد الملائكة عليهم الصلاة والسلام والتاييد التقوية
وعن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا وينزل سبعون الفا من الملائكة يضربون باجنحتهم ويصلون
على النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فيصنعون مثلهم حتى اذا انشقت
الارض خرج سبعون الفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه وايتاء الكتاب والحكمة الكتاب القران
والحكمة النبوة والعلم النافعة على ما مر والسبع المثانى والقران العظيم تقدم الكلام فيهما وتزكية الامة
لقوله تعالى يتلوا عليهم اياته ويزكيهم وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم ظاهرة والدعا الى الله قال
تعالى قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما تقدم
واما قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعى الى الله فعامة او المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وعن عائشة
رضى الله عنها ان هذه الاية نزلت فى الاذان للصلاة واستشكل بانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة
وكذا ما قيل المراد بذلك بلال بخصوصه رضى الله عنه والجواب بان المراد ان الاذان داخل فيها ياباه
ظاهره وصلوة الله والملائكة عليه صلى الله عليه وسلم كما فى الاية والاحاديث الاتية والحكم بين الناس
بما اراه الله لقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله اى عرفه بالوحى والاجتهاد

الذى

الذى اراه طريقه ووضع الاصر اى ثقل التكاليف التى كانت فى الامم السابقة والاغلال عنهم اى
المواثيق اللازمة لهم لزوم الغل فى العنق وفيه استعارة مصرحة قال ابو على فى قوله تعالى ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التى كانت عليهم اى تخفيف ما يشدد فى التوراة على بنى اسرائيل واخذ عليهم العهد به
كقتل القاتل بدون دية او عفو وقطع الاعضا الخاطئة وقطع محل النجاسات من الثياب وضمير
عنهم لامته او له اولهم والقسم باسمه كما مر والاسم ما اطلق عليه صلى الله عليه وسلم فيشمل نحو
والنجم اى اراد اسمه صلى الله عليه وسلم فى القسم انما هو بمعناه واجابة دعوته اى دعائه
عليه الصلاة والسلام فى مواضع لا تحصى وتكليم الجمادات كالطعام والحصى والاحجار كما
ورد فى الحديث انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل غيره والمراد تكلمها عنده
ولاجله صلى الله عليه وسلم فلا يرد قول بعضهم انه لا يدخل فيه تسبيح الطعام فى يده كما ظنه التجانى
نعم هو داخل فى تسبيح الحصا لتشبهه به وسياتى ذلك والجمادات جمع جماد من الجمود ضد النموان
والمراد به ما ليس بحيوان قال وقلنا سمع الجودى والجمد وقيل انه اصطلاح العلماء والاسماء المذكورة
التى لم يسمع لها جمع تكسير من العرب يجوز جمعها بالالف والتاء كحيوانات واما ما جمع جمع تكسير
فلا الا فى الشاذ القليل كما قال التجانى وظاهره انه مقيس وكلام الحريرى فى الدرة مصرح بخلافه
والعجم اى وتكليم العجم بضم العين وسكون الجيم وليس بفتح العين والجيم رواية ودراية والمراد به
الحيوان الذى ليس من شانه النطق واراد به ما ورد من نطق الظبى والضب والجمل والحمار الفصل
فى معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو جمع اعجم كما فى المقتضى وحاشية الشمنى وقال ابن رسلان
جمع عجما ومنه الحديث اذا ذكبتم هذه الدواب العجم وجرح العجما جبار وكلاهما جائز وفى النهاية
ومختصرها للسيوطى ورد بعد كل فصيح واعجمى اى حى وبهيمة فقول التجانى الاعجم يطلق على من فى لسانه
عجمة وان كان عربيا وليس بمراد هنا وعلى من لا يصح منه كلام من الحيوانات غير الناطقة ان
اراد الاعتراض فغير مسلم وتفسير بعضهم له بخلاف العرب غير صحيح وجمع بعض الناس كتابا
مستقلا فى هذا سماه النطق المفهوم طالعته فلم اره محررا وفى عرايس الايمان للبارزى اختلف
اهل النظر فى هذا فمن قائل انه كلام واصوات يخلقها الله فى الجماد ويسمعها من غير تغيير
ومذهب الاشعرى والباقلانى وذهب اخرون الى ايجاد الحياة فيها اولا ثم الكلام بعده
وللمنصورى فى قصيدة نبوية يا السن فصحا قد خرست ان الجماد بفضله نطقا وسياتى
الكلام فيه مفصلا واحيا الموتى اى احيائه صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر والمراد
احيا الله الموتى له جمع ميتا كما ورد فى احيا ابويه له صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما سياتى
واسماع الصم اى اسماع الله بسببه صلى الله عليه وسلم الحجارة الصم ونحوها من الجماد كالشجر جمع
اصم وهو الحجر الصلب كما ورد انه صلى الله عليه وسلم امر الحجارة ان يجتمعن عليه لما لم يجد
ما يستتر به عند البراز كما ذكره التجانى وهذا لا يخالف قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدى
العمى ومن كان فى ضلال مبين فانه مستعار للكفار لكونهم غير منتفعين بحواسهم وليس المراد به العجم
المعروف فائدة قال الحافظ ابن حجر رحمه الله لم يكن فى حياته صلى الله عليه وسلم احد من الصحابة

رضي الله عنهم اصم وهذا من كراماته صلى الله عليه وسلم لانه مبلغ لهم او امر به والصمم يمنع منه بسهولة
يخرق العمى ونبع الماء من بين اصابعه اي حدوثه من بينهما كما سياتي بيانه والاصابع جمع اصبع وفيه عشر
لغات نظمها ابن مالك رحمه الله في فوائده بتثليث الهمزة مع تثليث البا واصبوع كعصفور فهي عشر
ومما قلت في هذا من تقطيعات النيل لا انقل لي اصابع النيل تحكي ما جرى من اصابع المختار وهو
عذب جرى بغير قياس زايدا رتقا بغير انكسار وتكثير القليل من الطعام وغيره اي تكثير الله
له صلى الله عليه وسلم او تكثيره هو له بحسب الظاهر والعادة وهو ضم الامثال كما في قصة
جابر وطلحة بسببه رضي الله عنهما المروية في كتب الحديث لما امر صلى الله عليه وسلم بجمع الزاد القليل
ودعا وترك فيه فكثر حتى ملا منه كل وعاء معهم وانشقاق القمر لاجله بدعائه صلى الله عليه
وسلم كما روى انس رضي الله عنه ان قريشا سالته ذلك فانشق القمر فلقتين وروي مرتين انه
ذهبت فلقة وبقيت فلقة وله طرق صحيحة وليس المراد بما في الاية انه سينشق يوم القيمة
كما في الكشاف وغيره لانه اخراج القران عن ظاهره وترك لتفسيره بما هو من اعظم معجزاته
صلى الله عليه وسلم وسياتي بسط الكلام فيه كالذي قبله ورد الشمس عليه صلى الله
في حفر الخندق وصبيحة الاسراء لصلاة علي كرم الله وجهه وسياتي تفصيله وفي حواشي
التلمساني انها وقعت ليلة الاسراء لتصديقه صلى الله عليه وسلم وردت لعلي رضي الله
عنه بعد الغروب حتى صلى العصر وستقف في ايام الدجال الطوال يا مه فيوم كسنة وشهر
وجمعة قيل كان علم النجوم صحيحا حتى وقفت الشمس ليوشع عليه الصلاة والسلام فبطل
بعضه وباطل باقيه بقصة علي كرم الله وجهه والى هذا اشار القائل رحمه الله وردت
علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر مطلع فوالله ما ادري احلام نائم المت
بنا ام كان في الركب يوشع وقلب الاعيان جمع عين وهو ذات الشيء ونفسه وهي مشتركة
بين معان مشهورة كثيرة كعصا عكاشة رضي الله عنه يوم بدر حيث تناولها عليه الصلاة
والسلام بيده فصارت سيفا صارما ونحوه مما سياتي وقلب الاعيان بقدرة الله ممكن واقع
ومن يكون وان لم يعتد بامكانه يقول لم تقلب عينه وانما عدمت ووجد الله مكانها مثلها
والنصر بالرعب بضم فسكون وهو الخوف وسياتي تفصيله والاطلاع على الغيب بتشديد
الطا اي اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على بعض المغيبات باقدار الله له صلى الله عليه وسلم
على ذلك ليكون معجزة له صلى الله عليه وسلم ويقع مثله لبعض الاوليا كرامة لهم خلافا للمعتزلة
حيث نفوه واستدلوا بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
والجواب عنه مفصل في التفاسير وكتب الاصول وقال التلمساني الاطلاع بسكون الطا ولا يشدد
لفساد المعنى لان الله هو الذي اطلعه لا انه اطلع بنفسه وقد يقال الاطلاع فيما يمكن من مقدور
الانسان بخلق قدرة من الله ولا كذلك الغيب لانه ليس من مقدوره وانما يطلعه الله عليه وليس
بشيء وظل الغمام اي تظليلها له صلى الله عليه وسلم لئلا يوذيه حر الشمس وقد كان ذلك في اول
امره فان لم يثبت بعد فلاستغنائه عنه وتسبيح الحصا في كفه الشريف وان كان ما من شيء الا

وهو

166

وهو يسبح بحمده لان هذا تسبيح خاص يسمعه الناس والحصا صغار الحجارة ومن احسن ما قلته
فيه رسول له وارى عدنا دعوته فليس به صم الحجارة يقدح رمى بالحصا قوما بغاة فكفهم بكف به
بحر السماحة يطفح وابراء الالام جمع الم وهو الوجع لغة والمراد ما يعم الامراض والاوجاع والاحداث
فيه كثيرة مشهورة والعصمة من الناس من بطشهم به بالقتل ونحوه وتقدم ما فيه الى ما لا يحويه محفل
هذا كقوله قبله الى ما لا ياخذه عد متعلق بمحذوف معلوم من السياق وتشبيه او مضمومه الى ما ذكر
ويحويه معنى يشمله ويجمعه اذا اجتمعوا ومنه المحفل ولا يحتفل به اي لا يهتم والمعنى ان من اهتم بجمع
هذه الصفات وامثالها لا يمكنه الاحاطة بها ويبينه قوله ولا يحيط بعلمه اي بالوقوف عليه
على اتم وجه الا من مانحه ذلك اي الا الله الذي اعطاه ذلك واصل المنحة كما في المصباح شاة
ونحوها يعطيها رجل رجلا لينتفع بلبنها ثم ترد وكثر ذلك حتى صار لمطلق العطا يقال منحته منحا من باب
نفع وضرب اعطيته والاسم المنحة ولا يلزم من الانصاف بشيء ان يعلمه الناس لان منه امور
باطنة عن ظاهره لخفيه بل منها ما لا يعلمه الموصوف بالكنه والكمال فلا حل في الحصر وتفضله
على غيره مما اودعه من الفضائل به اي بكل ذلك وبمجموعه لا اله غيره اشارة الى الفاعل للتفضيل
والعلم على ابلغ وجه والا للحصر اي ليس علمه واعطاؤه الا لله الخالق لا للمخلوق لعاجز لانه
المعطي الحقيقي المحيط علمه بكل شيء وقد تستعمل هذه الكلمة للتعجب كسبحان الله كما صرح به
النووي رحمه الله في اذكاره الى ما اعد الله له في الاخرة اي هياه له فيها من المنح والمنازل العالية مما
لا عين رات ولا اذن سمعت قيل انه حال من معمول التجاوز المقدر فالتجاوز الى ما لا يحويه في الدنيا
حال التجاوز عنه الى ما اعد او بدل او حال بعد حال او فرز للتصريح لكثرة الانواع في الدارين من منازل
الكرامة ودرجات القدس اي من مراتبه المقدسة او الموجبة للقدس او الكائنة منه وما فوقها
مما لا يتناهى فلا يقال الظاهر تقديم الدرجات على المنازل والقدس بضمتين وتسكن داله ولا حاجة
لتقدير الحلول في منازل الكرامة واصل معنى القدس الطهر ومنه به المكان لانه يتطهر فيه العابد
من الذنوب واسم الجبل يقال انه غير منصرف وانشد والكثير كالمصري غدا فاصبح واقعا في قدس
بني محاتم الا وعال قاله التبريزي في شرح ديوان ابي تمام ومراتب السعادة التي يرقى لها رفيع الدرجات
والحسنى والزيادة معطوف على مراتب والسعادة اي والمثوبة الحسنى من لقا الله والرضوان
ولا حاجة لتخصيص هنا ولا تخصيص ما قبله من غير داع التي صفة للزيادة او للمجموع تقف دونها
اي عندها والظاهر انه قبل الوصول اليها العقول قد وتصل الى ادراكها وتحار وتقعد عليه ويكاد
يحيد وهو منسوخ اليها التحتية دون ادانيها ودون ادراكها والادانى جمع ادنى بمعنى انزل
واسفل واقرب عن الدنو اي لا يدرك العقل سافلها فضلا من عاليها ولا يصل لما يقرب منها فضلا
عما بعد عنها الوهم وهو قوة يدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها وجانب القدس علا من ان تحوم
حوله الاوهام والخيالات وان كانت قد تعرض المحالات وفيه من الثقفي ما لا يخفى والقول
بان من هذه الخصال ما هو محض موهبته فلا يناسب المقام من جملة الاوهام تتمة لا بد من التنبيه
عليها فانها من المهمات اعلم ان افعاله صلى الله عليه وسلم صنف فيها العلامة ابو شامة كتابا سماه

تحقيق الوصول الى افعال الرسول صلى الله عليه وسلم لم ار في بابه مثله وقد طالعته ولخصته هنا
وتقريره ان افعاله تشارك اقواله في حكم الاسناد تختص باحكام ولا خلاف في الاستدلال بافعاله
صلى الله عليه وسلم فقيل يستدل بمجردها على الوجوب او الندب او الاباحة اقوال وقيل يستدل بها
باعتبار الوجه فان علم اتبع والا فضربان ما بيان لمجمل دال على وجوب وغيره اولا والثاني لا يدل
على وجوب وغيره والاول تابع لما بينه والمختار الاول وهو على اقسام الاول ما فعله امتثالا
لامر كالحج والصلاة وهو مساو لامته فيه والثاني ما وقع منه جبلة مما لا يخلو البشر عنه كالاكل
والشرب والحركة والسكون والسفر والاقامة والقيلولة في منزل تحت شجرة وهو سواء فيه وامته
ومنه تتبعه الدبا واكله القثا بالرطب ومحبته الحلو والبارد وسائر ما ورد في طعامه ولباسه
مما لا يظهر فيه قصد قربة ومنه كراهة اكل الضب لا الثوم والبصل والثالث ما ثبت انه من خواصه
كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا والرابع ما فعله بيان المجمل في القران كالصلاة
وقطع يد السارق من الكوع والخامس ما صدر ابتداء وليس بيانا ولا خصوصية له ولا جبلة
وهو اما يعلم وجوبه او ندبه اولا وهذا اما ان يظهر فيه قصد القربة اولا فالاقسام سبعة
وفي حكمها مذاهب مما ساواه فيه امته ظاهر والجبلي والضروري لا يسوغ اتباعه فيه وكذا كل
ما فعله على الاباحة من اكله ولباسه ولا يستحب كلبسه العمامة السودا وفعله وتركه سواء
الا ان يكون استنكافا عن مثله وحكى القاضي بن الطيب قولا بان التاسي به مندوب وقال الزركشي
في المنخول انه غلط ومن الغريب القول بانه يجب علينا فعل كل ما فعله ولا وجه له والى الاستحباب
ذهب ابن عمر رضي الله عنه فكان يتحرى اثاره صلى الله عليه وسلم والفقها يستحبون بعضه
كاتباع منازل الحج ومقدار وضوئه وغسله واما خصائصه صلى الله عليه وسلم فمنها ما وجب
عليه دون امته فيجوز التشبه به كالوتر عند الشافعي رضي الله عنه والمشاورة لان المخصص به
صلى الله عليه وسلم الوجوب وكذا المحرم كالاكل من الزكوة بخلاف ما ابيح له صلى الله عليه دوننا
وما فعله بيانا لمجمل وتقييدا لمطلق فهو كمبينه ومقيده والفعل المبتدا على وجه ما علم وصفه من وجوب
وغيره فنتعبد به كما علم وما لم يعلم فان قصد به القربة فاصله الوجوب ما لم يدل دليل على خلافه
وقيل يحمل على الندب وقال الغزالي يحمل على الوجوب في العبادات وعلى الندب في العادات وقيل
على الاباحة وقيل على الحرمة وقيل بالوقف وقيل ما ظهر فيه القربة بين الوجوب والندب وغيره
مباح فالاقوال سبعة وما لم يظهر فيه القربة قال الامدي فيه الاقوال ايضا غير ان القول
بالوجوب والندب بعدهما قبله والوقف والاباحة اقرب قال وبعض من جوز على الانبيا عليهم
الصلوة والسلام المعاصي قال انها على الحظر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب
والندب والاباحة وهو رفع الحرج عن الفعل والفعل دليل عليه وقال المازري افعال المكلفين
دائرة بين الوجوب والحظر وغيرهما فان قلنا بعصمتهم اي الانبيا من الصغائر سقط عنهم حكم
الخطر وان قلنا بجواز وقوعها لم يجز تركها فتقع قلته فاذا صدر منهم ولم يقارنه ما يدل
على انه معصية يحمل على الجواز لكن لا يقتدى بهم وهو كما قال ومن قال بالحظر ادخل اتباع

مطلب الانبيا معصومون عن الصغائر

عينهم لهم بناء على ان التحريم هو الاصل لا الاباحة اذا علمت هذا فافعاله صلى الله عليه وسلم
الجبلية مباحة وما وقع امتثالا او خصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذي ظهر فيه قصد
القربة وعلمت وما لم يعلم متردد بين الوجوب والندب والظاهر الندب ويعتقد المشترك
بينهما من غير تعيين وما لم يظهر فيه قصد القربة ان كان من افعال الجبلة فمباح وان تردد بين
العبادة والعادة فالمتحقق فيه القدر المشترك بين الاباحة والندب وهو رفع الحرج
كتنفله صلى الله عليه وسلم بالمحصب وما كان بيانا فهو واجب عليه وقيل بيان الواجب
واجب والمندوب مندوب والمباح مباح هذا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واما بالنسبة
للامة فما ظهر فيه قصد القربة وكان معلوم الصفة فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكذا ما كان
محتملا للقربة وغيرها فيستحب التاسي به فيها الا ان الثاني محطوط الرتبة عما قبله وقال المازري
التاسي به ابرك انتهى وهو كلام نفيس ينبغي حفظه وسياتي في عصمة الانبيا عليهم الصلوة والسلام
تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان انقسام افعاله ثم انه ذكر بعد هنا ادلة المذاهب ولا حاجة
انا به هنا فصل ثالث لما رحتى يتم العدد ان قلت كرمك الله وفي نسخة وان قلت بالواو دعا له بان يكون
معظما عزيزا ببركة حبيبه صلى الله عليه وسلم جامعا للفضائل واكرمهم من كرمت نفسه عن التدنس
بالرذائل من الكرم ضد اللوم والخطاب للمحب السابق او لب الباب او لكل من يصلح للخطاب والجملة
معترضة لا خفا بالفتح اسم لا وخبرها انه الاتي اي فانه على القطع اي على سبيل القطع بالجملة
المصنفون يقولون في كلامهم هنا في الجملة كذا وبالجملة بمعنى الاجمال ضد التفصيل ويريدون
على كل حال لانه اذا قطع بشيء مع الاجمال فمع التفصيل اولى فالمراد لا خفا قطعا فالجار والمجرور
متعلق بالخفا ويجوز تعلقه بالقطع والمراد به المجموع فالمعنى لا خفا اذا قطعت بجميع ما تقدم
وقيل المعنى لا خفا في المجمل اي لا ستر على القطع بالمجمل وجعل الاجمال الذي هو صفة اعظمية القدر
متعلقا بالقطع او عدم الخفا مجازا ومسامحة والمراد ان هنا المجمل قطعي لا حاجة الى بيانه بخلاف
التفصيل لان التفصيل كذلك كما توهم انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا اي فانه والضمير للنبي
صلى الله عليه وسلم لا للمجمل كما توهم والقدر المرتبة واثر الناس على الخلق قيل لانه ليس بواضح على القطع
واعظمهم محلا تعظيم محله ابلغ من تعظيمه كما لا يخفى قيل ولو قال اعلاهم محلا واعظمهم قدرا
احسن وقدرا ومحلا تمييز من النسبة محول عما يلزمه والتقدير علا قدره فتامل واكملهم محاسن
وفضلا في ذاته وعلى غيره وقد ذهبت اي سلكت وقصدت واعتقدت قال في المصباح ذهب
مضى وذهب مذهب فلان قصده وذهب في الدين مذهبا رايا حسنا وتاء ذهبت مفتوحة
للخطاب كما ضبطته البرهان في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا حسنا والمذهب المسلك
وجمعه مذاهب قال ابو فراس ومن مذهبي حب الديار لاهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب
والمراد بتفاصيلها ما تقدم من كونها ضرورية وكسبية شوقني وفي نسخة شوقتني بتاء الخطاب
والتانيث للمذهب بمعنى الطريقة وهو تكلف لا داعي له والشوق الحنين ونزاع النفس تقال
شوقني الى كذا اي هيجني وقال في هياكل النور في الانسان قوة شوقية محركة طبيعية وللجلال

سيد
سيد

فى شرحه كلام طويل فى الفرق بينه وبين العزم لا يليق ايراده هنا لابتنائه على تخيلات فلسفية
الى ان اقف اى اطلع عليها اى الخصال لان من وقف على شئ عرفه ويقال وقفنا الامر على كذا اى
علقه عليه من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا وهو حال من ضمير عليها لانه قد وقف
عليها مطلقا فلا بيان لها الا من حيث انها من اوصافه صلى الله عليه وسلم وتفصيلا بمعنى
مفصله حال ومفعول مطلق لقدرنا على خطاب بخاص او عام كما فى نور الله قلبى وقلبك بنور
منه يزيل ظلمة الغباوة حتى تعلم ما قصدته وقدم نفسه لما مر ولانه هنا معلم فقدم رتبته
وظعف اى ازداد وضعف الشئ مثله او اكثر وفيه كلام لاهل اللغة والمفسرين طويل الذيل
فى هذا النبى الكريم حبى وحبك الجار والمجرور متعلق بالمصدر مقدم عليه وان منعه بعض
النحاة لتجويز الاكثر له اذا كان ظرفا كقوله فلما بلغ معه السعى وفى كما فى الحديث الحب فى الله والبغض
فى الله فهى تعليلية كما فى قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار فى هرة وهى ابلغ من اللام
وان كانت بمعناها الدلالة على شدة حبه له حتى كانه فى ذاته والاشارة بهذا مزيد له لدلالته على قربه
وتعظيمه وقوله الكريم اى الجامع لخصال الخير الحميدة ودعاؤه بزيادة الحب مناسب حيث لا ان يحب
شيئا اكثر من ذكره ففيه حث له صلى الله عليه وسلم على التفحص عن اخلاقه عليه الصلوة والسلام
وفهمها وتفهيمها انك اذا نظرت الى الخصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفى جبلة الخلقة اى
طبيعتها واصلها والاضافة لامية او بيانية وهذه شاملة للطبيعة وغيرها وقوله انك الخ
مفعول علم وجدته صلى الله عليه وسلم اى علمت علما يقينيا انه كان حائزا اى حاويا لجميعها ومعتنيا
على اكمل وجه يليق به محيطا بشتات بفتح الشين مصدر بمعنى التفرق اريد به هنا المتفرق محاسنها اى
وجوه حسنها المختلفة المتفاوتة اى جمع ما تفرق فى غيره منها واحاط به كما ينبغى دون تخلف وفى تجاوز
عن اختلاف الناس الى اتفاقهم بين نقلة الاخبار نقلة بفتحات جمع ناقل ككاتب وكتبة اى لم يقع
اختلاف بين الناس رواة الاخبار فى جمعه صلى الله عليه وسلم للمحاسن والكمالات اذ ذلك متعلق
بنقلة وهو اشارة للمذكور من حيازته صلى الله عليه وسلم للمحاسن ثم انتقل لما هو ابلغ فقال بل قد بلغ
بعضها مبلغ القطع الجزم اليقينى لتواتره وكثرة رواته المثمرة للجزم ومبلغ بمعنى البلوغ مفعول
تبلغ لا مفعول مطلق شرع فى تفصيل الصفات المذكورة فقال اما الصورة اى هيئته الظاهرة
وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة ومنه قولهم صورة المسئلة كذا ومنه ما ورد فى الحديث ان الله
خلق ادم على صورته على احد الوجوه فيه وجمالها حسنها وتناسب اعضائه فى حسنها اى كل عضو
مناسب لمقابله وملائمه صفاته المستحسنة ووصفه كالطول والقصر والصغر والكبر كما
فقد جاءت الاثار جمع اثر وهو الخبر والحديث يطلق كل منهما على الاخر وقد يفرق بينهما الصحيحة
والمشهورة ليس المراد اللغوى بهما ما اصطلح عليه المحدثون وان جاز وحينئذ الصحيح دون
المشهور فذو وهم فيه كما توهم واذا اريد به المعنى فبينهما عموم وخصوص وجهى اى تلك الاخبار
والاثار منها ما هو صحيح وما هو مشهور وليس فيه لف ونشر الكثيرة بذلك متعلق بجاءت لانه متعدى
بالباء تقول جئت به واجاءته اى الجاته الى المجئ وذلك اشارة لما ذكر من الاخبار والاثار من حديث

على كرم الله وجهه بيان لما قبله من الاخبار والاثار وقد تقدم معنى الحديث وترجمة على رضى الله عنه
معروفة وانس بن مالك الانصارى الخزرجى الصحابى رضى الله عنه خدم النبى صلى الله عليه وسلم
وهو ابن عشر او ثمان ولازمه عشر سنين وروى عنه الف حديث ومائتين وستة ودعا له
صلى الله عليه وسلم بالبركة فى ماله وولده وعمره والمغفرة فكان رضى الله عنه من اكثر الناس
مالا ودفن لصلبه بضعا وعشرين ومائة من الاولاد وكان له بستان يحمل فى السنة مرتين وعاش
حتى سئم من الحياة وتوفى سنة ثلاث وتسعين وله مائة سنة ودفن بقرب البصرة بقصر انس
وحديثه فى الصحيحين كما قاله النووى وابى هريرة رضى الله عنه وتقدم ان اسمه عبد الرحمن
بن صخر على الاصح من ثلاثين قولا وقيل كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو او عبد شمس وفى الاسلام
عبد الله او عبد الرحمن وكنيته التى كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو هريرة وهو ممنوع
من الصرف على الاصح كما فصلناه قبل ذلك والبراء بفتح الموحدة والراء المهملة المخففة
والمد على الصحيح علم منقول من البراء القضاء بمعنى التراب ابن عازب بعين مهملة وزاى معجمة
وموحدة الصحابى الانصارى اسلم فى صباه قبل الهجرة وشهد احدا ومشاهد على رضى الله عنه
واسلم ابوه وتوفى بالكوفة فى ايام ابن الزبير رضى الله عنه وعايشة ام المؤمنين بهمزة
بعد الالف وعامة المحدثين يبدلونها ياء ويقال عيشة فى لغة ضعيفة وهى الصديقة بنت
الصديق وحبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المامور بحبها رضى الله عنها الطيبة الطاهرة النازل
فى حقها الطيبات للطيبين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بنت تسع ولم يتزوج
بكرا غيرها وقيل بنت ست وابتنى بها فى السنة الثانية من الهجرة على الصحيح ودفنت بالبقيع
سنة سبع او ثمان عشرة وخمسين ودفنت ليلا وما تقدم حديثها وسيجئ بعض حديثها وهذا الحديث
فى وصف حليته الرسول صلى الله عليه وسلم يروى فى الشمائل وعنها نظرت الى النبى صلى الله عليه
وسلم وهو يخصف نعله وقد عرق جبينه وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال ما لك بهتت فقالت
نظرت اليك عرقك يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلى لعلم انك احق بقوله ومبرا من كل غبر حيضة
وفساد مرضعة وداء مغيل واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل
فقام النبى صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينى وقال جزاك الله خيرا ما سررت بشئ كسرورى
بهذا قال التجانى معناه ان امه صلى الله عليه وسلم لم تحمل به فى اخر الحيض بل بعد انقضائه واستيعاب
طهرها وهو محمود مصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية كما قال الشاعر حملته غراء اول
الطهر وقد لاح للصباح بشير وقال المعرى وانى لمثل ابن اخر ليلة وان عزها لى
فالقنوع ثراء قال ابن السيد فى شرحه اراد ان امه حملت به فى اخر ليلة من طهرها حين
استقبلت الحيض وهو مذموم مفسد للولد وغبر بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة
المشددة وبالراء المهملة بقاياه كما قاله الجوهرى وابن ابى هالة بالهاء وتخفيف اللام علم منقول
منقول من هالة البدر وهى الدائرة المحيطة به وهو ابن مالك اخو بنى اسد بن عمرو بن تميم
حليف بنى عبد الدار واسمه هند ولابى هالة ثلاثة اولاد هند وهالة وبه كنى والطاهر

واشهرهم هند ولاشتهاره لم يسمه المصنف رحمه الله يقال له هند الوصاف لاشتهاره روصف
حلية النبي صلى الله عليه وسلم عنه لانه كان ابن خديجة ام المومنين من زوجها الاول وكان
ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا لفاطمة وخال الحسين رضي الله عنهم فكان لصغره
تشبع من النظر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر لوجهه لكونه عنده داخل بيته فلذا
اشتهر وصف النبي صلى الله عليه وسلم عنه دون غيره من كبار الصحابة رضي الله عنهم فانهم
لكبرهم كانوا يهابون اطالة النظر اليه صلى الله عليه وسلم فاحاط به نظره احاطة الهالة
بالبدر والاكمام بالثمر هنيا له مع ان ما قاله قطرة من بحر وعلى تفنن عاشقيه بوصفه يفنى الزمان
وفيه ما لم يوصف شهد بدرا قيل واحدا وقيل مع علي رضي الله عنه يوم الجمل قال التجاني
ولهند ابن ابي هالة ولد يسمى هند ايضا توفي بطاعون البصرة الذي مات فيه نحو من سبعين
الفا فاشتغل الناس بجنايزهم عن جازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهنداه ابن
هنداه وربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تبق جنازة الا تركت وحملت جازته على اطراف
الاصابع اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الدولابي وقيل الذي مات في الطاعون هند بن ابي هالة
والصحيح الاول وابي جحيفة بضم الجيم وفتح الحا المهملة والفا مصغرا واسمه وهب بن عبد الله ويقال له
وهب بن وهب السوائي بضم السين المهملة وتخفيف الواو والمد نسبة لسواه ابن عامر بن صعصعة
صحابي مشهور توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مراهق وتوفي هو سنة اثنين وسبعين وروى له
احمد وغيره وجابر بن سمرة بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة ابن جنادة بن جندب يكنى ابا عبد الله
وهو ابن اخت سعد بن ابي وقاص توفي بالكوفة سنة واربع وسبعين وقيل ستين وفي التهذيب انه وهم
ولكن التجاني وغيره اقتصر عليه وام معبد بفتح الميم وسكون العين والباء والدال المهملتين واسمها عاتكة
بنت خالد بن منقذ وفي الاكمال عاتكة بنت حليف بن منقذ بن ربيعة بن اصرم ابن حنيبس بن حرام بمهملتين
حبشية التي نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته وهي خزاعية كعبية صحابية خرج لها ابو يعلى
الموصلي وكان منزلها بقديد ولم ينقل لها تاريخ وابن عباس رضي الله عنه وترجمته معروفة ومعرض
ابن معيقيب معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة معناه
القوي العرض ثم نقل علما وهو صحابي روى له ابن قانع من طريق القدمي ولم يذكره ابن ماكولا ولا الذهبي
وفي تجريد الصحابة ان اسم ابيه معيقيل باللام بدلا لبا قال البرهان الحلبي وكذا هو في نسختي ولا ادري
الصحيح هو ام لا وفي شقيح ابن الجوزي معيقيب بالبا وابوه شهد بدرا وتوفي في زمن علي رضي الله عنه وهو
يماني وابي الطفيل اسمه عامر بن وايلة بن عبد الله بن عمير بن جابر الكناني صحابي له رؤيته ورواية وولد
في اوايل الهجرة وروى عن ابي بكر وعمر ومعاذ بن جبل وغيرهم وروى عنه الزهري وقتادة وغيرهما وكان
من محبي علي رضي الله عنه مات سنة عشر ومائة وقيل سنة مائة وهو اخر من مات من الصحابة وكان
شاعرا مغلقا والطفيل بطا مهملة مضمومة مصغرا والعدا ابن خالد بعين مهملة مفتوحة ودال
كذلك مشددة ومدو معناه الشديد الجري وهو ابن خالد بن هودة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة
اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين وحسن اسلامه وهو الذي اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم

غلاما او امة كما رواه الترمذي وذكره الفقها وتاخر الى ما بعد المائة وروى له الطبراني كان حسن 169
السبلة والعرب تسمي اللحية سبلة وخريم ابن فاتك بضم الخا المعجمة وراء مهملة وميم مصغرا وفاتك
بفا وشناة فوقية قيل انه نسبة لجد جده وقيل انه لقب ابيه الاخرم بن شداد بن عمرو وفي التهذيب
ان خريم بن فاتك ابن الاخرم وهو غريب شهد بدرا وقيل لم يصح ومات بالرقة في زمن معاوية
رضي الله عنه وروى عنه ابن عساكر وحكيم بن حزام وغيرهم حكيم بفتح الحا المهملة وكسر الكاف
وحزام بكسر الحا المهملة وبالزا المعجمة يليها الف وميم ابن اخي خديجة بنت خويلد ام المومنين
المعمر عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الاسلام وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة
داخل الكعبة ولم يولد فيها احد غيره وكان من المولفة ثم حسن اسلامه رضي الله عنه ولما
حج في الاسلام اهدى مائة بدنة والف شاة ووقف بمائة وصيف في عرفة فاعتقهم في اطواق
فضة منقوش عليها عتقا الله عن حكيم بن حزام ومات سنة ستين بالمدينة وقيل غير ذلك
واكثر من ذكر من روى حديث الحليلة بيانا لشهرته وتاييد الكلام قبله واشار بقوله وغيرهم
الى من رواه غير هولاء ككعب بن مالك والفاروق والصديق وبنت معوذ كما في كتاب الدلائل
والوفا وغيرهما من انه صلى الله عليه وسلم قيل انه بيان لاخر لما بنيه الاول بدل منه او مستانف
او بيان لمقوله ذلك والاظهر انه بيان الحديث وليس المراد ان جميع من ذكر انه كل واحد منهم
روى هذا الحديث بتمامه بل بمجموعهم فانه يلفق من رواياتهم كان ازهر اللون صفة
مشبهة للفاعل وفي الازهر هنا تفاسير منقوله عن اهل اللغة فقيل نير وقيل حسن ومنه زهرة
الحيوة الدنيا لزينتها وقيل ابيض وقد اختلفت الرواة هنا في لونه صلى الله عليه وسلم
فقيل ابيض كما في الحديث عايشة رضي الله عنها وابيض مشرب بحمرة عن علي كرم الله وجهه
وفي رواية انس رضي الله عنه ازهر اللون كما هنا وعنه ايضا انه كان اسمر وفي الصحيح عن انس
لم يكن بالابيض الامهق اي الخالص البياض كلون الجص فانه غير محمود وما وقع في رواية فيه
عنه امهق ليس بابيض مقلوبة او وهم من الراوي كما قاله المصنف رحمه الله او المهق يعني
الخضرة كما قاله ابن حجر الهيثمي رحمه الله وليس بالادم اي الاسمر ورد الطبري في الاحكام
رواية اسمر ورواه غيره كالترمذي في الشمايل وعامة المحدثين فسروا الازهر بالابيض
المنير المشرق وكذا ذكر في صحاح الجوهري وقد وفقوا بين الروايات بان المراد بالبياض المعتدل
المعتدل ويويده ليس بالامهق ولا ينافيه انه مشرب بحمرة وانه كان اسمر في بعض الاوقات
لمقابلته الشمس فتعتريه حمرة احيانا وهو المراد بكونه ادم وليس المراد انه شديد السمرة
لانه سمي لشبهه باديم الارض كما ان الابيض الامهق الشديد البياض الذي لا يخالطه
حمرة كالبرص والاحاديث دالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن شديد البياض ولا شديد
السمرة وعن الخطابي في الجمع بين حديثي السمرة والبياض ان السمرة فيما برز للشمس من بدنه
الشريف والبياض فيما تواريه الثياب ويؤيده رواية ابن ابي هالة رضي الله عنه انور المتجرد
ايضا ففي الحديث انه مشرب بحمرة والحمرة اذا اشبعت حكت السمرة وقيل انه ما في الشمايل

عن انس رضي الله عنه ابيض كانما صيغ من فضة لا يعارض وصف علي كرم الله وجهه له بالحمرة لانه عني
وجه الشريف وانس جسده كما ورد سيجي تتمة اقول لما ذكرنا انه عارض من تأثير الشمس وآباؤه السابق
لان الظاهر من لونه صلى الله عليه وسلم انه امر خلقي لا عرض لان مثله لا يقال الا انه لونه والراوي له
انس رضي الله عنه وكان قريبا منه صلى الله عليه وسلم لا زما له لا يخفى عليه امره قال ابن حجر الهيتمي
الاولى حمل السمرة التي تخالط البياض وهو المراد والعرب تطلق على من كان كذلك اسمر ويؤيده رواية
البيهقي عن انس رضي الله عنه كان ابيض بياضه الى السمرة وعن ابن عباس رضي الله عنه احمر الى البياض
فثبت من مجموع الروايات وصفه ببياض فيه حمرة ورواية انه شديد البياض محمولة على الامر
النسبي فالكلام رواية اسمر لا وجه له انتهى فالحق انه كان ابيض مشربا بحمرة وهو احسن الالوان
لدلالته على قوة المزاج واعتداله وهذا معنى ازهر ويقال له اسمر نظرا لميله للحمرة ومن اطلق عليه
ادم عنى هذا واما قوله كانما صيغ من فضة فلم يرد به شدة بياضه بل حسن منظره ورونقه واما
لو جعل لونه عبارة عن لون وجهه فجيد ايضا وقوله انور المتجرد اي ما تحت الثياب لا يساعد
وقالوا البياض برنس الجمال وما سواه ملاحة فان قلت كيف قال بعض الصحابة ان سمرته صلى الله
عليه وسلم من تأثير الشمس وقد كان الغمام يظله قلت اجيب بان ذلك انما كان في اول امره ارهاصا
للنبوة كما مر واما بعده فلم يحفظ ذلك كما قاله ابن حجر في شرح الشمائل كيف وقد ظلله ابا بكر
رضي الله عنه بثوبه لما وصل المدينة وظلل عليه بثوب وهو يرمي الجمار في حجة الوداع تنبيه قال
ابن الحجر ايضا من ائمتنا الشافعية من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود او غير قرشي او نفي
امرد كفر لان نعته صلى الله عليه وسلم بغير صفته نفي له وتكذيب ومنه يعلم ان كل صفة ثبت
بالتواتر نفيها كفر وسيأتي الكلام على ذلك اخر الكتاب فان قلت لونه صلى الله عليه وسلم اشرف
الالوان وكذلك اهل الجنة فلم جا في صفتهم ان لونهم بياض يشوبه صفرة كما فسر به قوله تعالى
كانهن بيض مكنون قلت البياض المشرب بالحمرة يدل على غلبة الدم المورث لقوة المزاج واعتداله
الناشي عن الغذا في الدنيا واما غذا الاخرة فله شان اخر والصفرة فيها بريق ولمعان يناسب
النساء دون الرجال ولذا امدحن به في اشعار العرب مع انه ناشي عن ترك الحركة وكثرة النوم
والتنعم ولذا قالوا الاولى لهن ان لا يلبسن البياض لما فيه من التشبه بالرجال ادعج وعن الترمذي
ادعج العينين والدعج بفتحتين شدة سواد العين مع سعتها وقيل سواد السواد وبياض البياض
ويشكل ذلك بانه اشكل بجل من الجلة وهي سعة شق العين ومنه طعنة نجلا ومن فسر الدعج
بشدة سواد العين مع سعتها فيه عنده تجريدا وتوكيد واشكل بشين معجمة من الشكلة وهي الحمرة
في بياض العينين وكان اصله مطلق الحمرة لقوله فما زالت القتلى تمج دماها بدجلة حتى ماء دجلة
اشكل اي احمر وقال ابن دريد يسمى الحمرة والبياض المختلطين فيه وفي المقتفي ال في صحيح مسلم
عن سماك بن حرب ان معنى اشكل طويل شق العين وهو وهم بالاتفاق وقال البجاني الشكلة حمرة
يسيرة في بياض العين فان كانت في السواد فهي شهلة والرجل اشكل واشهل وكلاهما مستحسن
ويعني اشكل اسجر بجيم وسين وراء مهملتين في حديث جابر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله

مطلب تنبيه قال ابن حجر

ادعج

عليه

١٧٥

عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين خرجه مسلم وقال الاصمعي الاسجر الاشكل واكثر اللغويين
على خلافه وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسجر العينين ولم ترتد
الشهلة في وصفه صلى الله عليه وسلم اهدب الاشفار الهدب بضم الها والدال ويجوز تسكينها
الشعر النابت على الجفن والاهدب الطويل الاهداب والكثيرة وهذه الصفة في حديث رواه
الترمذي والبيهقي ووقع في رواية فيه طويل الاهداب وفي البيهقي وصفه بالكثرة وكل منهما شامل
للتفسيرين السابقين والاشفار جمع شفر بضم الشين وقد تفتح طرف الجفن والجفن غطا العين
الاعلى والاسفل وانما خلقت هذه الاجفان واهدابها لتقي ناظر العين الاذى وهي تمسحه في انطباقها
وانفتاحها وتذب عنه باهدابها كما قال فلان افترقا ما ذب عن ناظر شفر ولذلك كان الذباب يمسح
دائما بيديه عينيه لانه خلق بغير اجفان واليه اشار عنترة في تشبيهه البديع بقوله وقع
المكب على الزناد الاجذم وفي الجفن وطول اهدابه زينة ونفع وحسن واضافة اهدب الاشفار
من اضافة الشيء لمكانه فانه يجوز اضافته للمكان والزمان نحو عالم بغداد ومالك يوم الدين
هي لامية او على معنى في والاهدب يوصف به الرجل فيقال رجل اهدب والجفن والشعر وليس فيه
اطلاق الاشفار على الاهداب مجازا باطلاق الجز على الكل ولا تجريد فيه ولا تقدير مضاف
اي شعر الاشفار كما توهم ابلج من البلج بفتحتين وهو نقا ما بين الحاجبين من الشعر ووقع في
حديث ام معبد وصفه بالقران وانه اقرن وهو مخالف للرواية المشهورة في حديث الحلية
واهدار بعضهم هذه الرواية ووفق بينهما بانه كان بينهما شعر خفيف جدا يجانبهما اذا وقع
عليه الغبار في سفر ونحوه وحديث ام معبد سفري وفي كتاب خلق الانسان لثابت رجل اقرن وامرأة
قرنا فاذا نسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين ولا يقال اقرن الحاجبين وقد مدحوا بالبلج
قديما وحديثا كما قال بعض المحدثين اذا راس سهما للناظرين بهدبه وان كان سلما غير يوم هياج
غدا موترا من حاجبيه حنينه لها البلج الوضاح قبض عاج ومنه اخذ ابن سينا الملك قوله
رماني ومن اجفانه السهم صايبا ومن حاجبيه القوس والقبضة البلج والحنية بمعنى المحنية
القوس والقبضة وسطها الذي يقبضه الرامي والعرب تسمي السيد بالابلج ووصف النبي صلى الله
عليه وسلم به مشهور وقال ابو طالب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وابلج يستسقى الغمام
بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل على احدى الروايات وانشده بعضهم وابيض والثمال
الملجا اسم مفرد كالغياث لفظا ومعنى ازج بفتح الهمزة والزاي المعجمة وتشديد الجيم وهذا وكل
ما ورد في حديث الحلية صفات مشبهة لانها تجري كذلك في الصفات والحلي ويوصف به
الرجل والحاجب في المدح والزجج كما في تحفة العروس للتجاني دقة خط الحاجبين وامتدادهما
الى مؤخر العين غير عريض ولا كثيف وضده الزبيت وقال الشمني ازج مقوس الحاجب مع طول
وامتداد وقال حسان رضي الله عنه ازج كشوح النون من يد كاتب وقال له دوبة ومقلة وحاجبا
مزججا والزجج خلقة والتزجيج ما كان يصنع كما قال وزججن الحواجب والعيونا اي
صنعن ذلك وهو ما تسميه العامة تخفيفا بالحا المهملة وهذا ايضا مما رواه الترمذي

ابلج

ازج

اقنى

رحمه الله اقنى كما ورد في حديث هند المذكور رواه الترمذي وفي حديث علي كرم الله وجهه اقنى العرنين
والعرنين الانف والقنا طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه وضبطه الجوهري بالحدب والمص
رحمه الله بالسايل المرتفع الوسط وقد تبدل السيلان بالدقة وقيل انه نتو في الوسط وضيق
المنخرين وقال البجاني القنا احديداب قصبته مع نزول الارنبة وهي راس الانف مما يلي الفم والشمم
استواء على قصبة الانف مع ارتفاع يسير في الارنبة وهو من صفات الجمال والمدح وعده
السود في الرجال قال حسان رضي الله عنه بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز
الاول وقال الفرزدق بكفه خيزران ريحه عبق من كف اروع في عرنينه شمم وورد في الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشم وبهذا وصفه اصحابه رضي الله عنهم كما ورد
في الاحاديث ويعارضه ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم كان اقنى وجمع بينهما بان القنو كان
خفيفا فان زيادته غير ممدوحة كما مر في البلج ويدل عليه قول ابن ابي هالة الاتي اقنى العرنين يحسبه
من لم يتامل اشم وقول بعض الشراح هنا لمن رآه متاملا عرفه اشم ومن لم يتامل ظنه اقنى انعكس
عليه الامر فتامل افلج الفلج بفتحتين تباعد ما بين الثنايا او ما بين الاسنان وهو من قولهم
فلجت الشيء اذا شققته فلجين اي نصفين وفلج فلوجا ظفر وقال ابن دريد وتبعه صاحب
القاموس رحمه الله انه لا يقال رجل افلج الا اذا ذكر معه الاسنان اي اذا قيد بها سواء
كان بلفظ الاسنان او الثنايا او غيرهما لئلا يلتبس برجل افلج اي بعيد ما بين القدمين واليدين
فانه ورد استعماله مطلقا في كلامهم دون الاول فانه ورد مقيدا باضافة وغيرها ومن هنا
قد اعترض على المص بان قوله افلج مخالف للغة اذ لم يستعمل فيها الا مقيدا كما عرفته وقد
استعمله الحريري كذلك ثم ما قاله اهل اللغة مخصوص بهذه الصفة فان غيرها كثير من غير
تقييد كقول العجاج ازمان ابدت واضحا مفلجا وفيه بحث لان هذا الاستعمال المروي في
الحديث هكذا وابن ابي هالة رواية من خلص فصحاء العرب ولا عبرة بقول بعض النحاة
ان الحديث لا يستدل به في اثبات العربية واعلم ان العرب اذا وضعت كلمة لمعنى فقد
تستعملها مطلقة او معينة كوحده او نحوها وقد تلزمه هيئة مخصوصة نحو كافة
وقاطبة وتعريفها الاول وقد تلتزم تقييده بشيء كما فيما نحن فيه ثم ان هاهنا شيئا وهو انه
اذا ورد استعمال لفظه عن العرب على هيئة مخصوصة ثم ما المانع من استعماله في
ذلك المعنى من غير تغيير لبنيته في موضع اخر كما فيما نحن فيه واذا جاز التجوز فيها ونقلها عن معناها
قياسا فهذا بالطريق الاولى خصوصا وقد عضده السماع والفلج ممدوح لانه يطيب نكهة
الفم والاسنان لعدم بقاء الماكول بينهما مع معاونة على خروج الحروف من المخارج سهلة
فصيحة ومن الملح فيه قول ابن شامة افدي الذي جبينه وشعره طرة صبح تحت اذيال الدجى
مالي به مع قرب داري ملتقى فهل رايت ثغره المفلجا مدور الوجه عبر في الشمائل بقوله لا
بالمكلثم وكان في وجهه تدوير وفيه بانه لم يكن شديد تدوير الوجه بل فيه تدوير مع استطالة
قليلة وهو احلى واحسن وهو المراد هنا والمكلثم بالمثلثة فسر بالمدور والسمين والخفيف من

صدره وفي النهاية صلى الله عليه وسلم كان اسيل الوجه وروى البغوي مسنون الوجه اي فيه
طول والروايات يفسر بعضها بعضا وما ورد من انه مدور الوجه كالبدر محمول على الضياء والحسن
فلا منافاة بينهما واسع الجبين السعة ضد الضيق والجبين والجبهة هل هما بمعنى او بينهما فرق
اكثر اهل اللغة على الفرق بينهما بان الجبهة موضع السجود المحاذي للناصية من الحاجب الى قصاص
الشعر وجانباها جبينان وقيل انها تطلق بمعنى الجبهة والمجموع وانكره بعضهم وخطأ المتنبي
في استعماله بهذا المعنى الا ان ابن عاصم قال في شرح قول زهير يعني بالجبين ومنكبيه وانضم
بمطرد الكعوب انه اراد بالجبين الجبهة وسعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم
والحواس اذا لم يكن مفرطا وسعة الجبهة حسنها وشخوصها او طولها كما قيل والظاهر من العبارة
انه اريد بالجبين الجبهة اذ لم يقل الجبينين بالتثنية كث اللحية هذه الصفة في الترمذي والبيهقي
عن هند وعلي وام معبد رضي الله عنهم والكث في اللحية ان تكون كثيفة غير خفيفة يعني منها ما تحتها
لكثرة اصولها مجتمعة ملتفة وليست بطويلة ولا قصيرة الشعر في العرض واليه اشار بقوله
تملا صدره الشريف يعني انها طولا وعرضا بمقدار صدره فجعلها كانها حالة فيه لان الظرفية
لا تزيد على طرفه ومثله قولهم قد ملات نحره ونحر الصدر اعلاه او موضع القلادة منه
فمراد المص اعلى الصدر او لا لطالت وقد ثبت قصرها وقيل المراد انها تملؤ ما يقابل الصدر
فاستوت طولا وعرضا والحاصل من ذلك ان لحيته صلى الله عليه وسلم معتدلة طولا وعرضا
غير خفيفة واعلم ان اللحى واللحا ما ينبت عليه الاسنان واللحية ماخوذة منه فان قلت ورد
في الحديث من سعادة المرء خفة لحيته وهو ينافي كثته قلت المراد من ذلك عدم طولها جدا لما ورد
في ذمه وقد قيل اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وقال الشاعر
ونقصان عقل الفتى عندنا بمقدار ما طال من لحيته مع انه ورد خفة لحييه بالتثنية وفي نسخة
في حركته للذكر سواء البطن والصدر هو بتنوين سواء ورفعه ونصبه واضافته اي مستويهما والبطن
مبتدأ وسواء خبر مقدم ولا حاجة لتقدير منه ولا لجعل البدل من الضمير كما قاله التلمساني
وهو اشارة الى اعتدال خلقهما وعدم خروجهما او احدهما عن الاعتدال فان البطن اذا كان
بارزا او مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة وكذلك اذا برز او تطامن وسواء الشيء قد يكون بمعنى
وسطه وليس بمراد هنا كما قاله التلمساني واسع الصدر عبر في المواهب عن ابي هريرة رضي الله
عنه بقوله رحب الصدر وفي الترمذي والبيهقي عريض الصدر وقال البيهقي كان بطنه صلى الله
عليه وسلم غير مستفيض فهو مساو لصدره وصدره عريض مساو لبطنه والعريض والواسع
بمعنى وقال الصفوي يجوز ان يكون مجازا عن الحلم واحتمال الامور كما يقال في صدره غير ضيق
الصدر وقال تعالى فلا يكن في صدرك حرج وعدل المص رحمه الله الى السعة ليكون اظهر
في احتمال المعاني اقول هذا غير صحيح هنا لان الكلام في الحلية الحسية وليس هذا منها فلو قال
كما قال الدلجي ان معناه واسع الصدر رحبا ومعنى ليكون كناية كان اولى فتامل عظيم المنكبين
مثنى منكب بفتح الميم وكسر الكاف والموحدة وهو مجمع عظم العضد والكتف اي ضخمهما

وروى البيهقي بسند اجليل مشاش المنكبين ومشاشهما بالضم رسولهما وروى الواقدي رحمه الله
ضخم العضدين والمنكبين وفي الشمايل جليل المشاش اي رؤس العظام كالمرفقين والركبتين والمنكبين
وهو معنى قوله ضخم العظام عبل العضدين الضخم الغليظ كما في الصحاح او العظيم الجرم الكثير اللحم
وفي حواشي عبد المجيد اليمني ضخم العظام غليظها تقول ضخمت اذا انتصبت قائما والمضطجع
المنتصب والعظام جمع عظم وعظيم كما في صرام السقط لصدر الافاضل وبعض الجهلة
توهم ان قولهم الموالي العظام غلط لانه لا يكون الاجمع عظم وروى الترمذي وغيره ضخم الكراد
يس قال ابو نعيم هي العظام اي عظيم الالواح وقيل رؤس العظام وقال البغوي الاعضاء والمراد
عظام يحسن عظمها كالجوارح والاطراف وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الاطراف
والجوارح والعظام اساس الانسان بعظمها يقوى ويحسن وتتم الحواس وعبل بفتح العين المهملة
وسكون الموحدة يليها لام بمعنى ضخم قوي والعضدين تثنية عضد بفتح العين وضم الضاد المعجمة
وتسكن تخفيفا وفيه للغات وهو ما بين المرفق والكتف ويسمى ساعدا والذراعين اي وعبل
الذراعين والذراع هو ما بين مفصل الكف والمرفق ومن المرفق الى اطراف الاصابع والاسافل
جمع اسفل قال التلمساني يريد به رجليه وباقي جسمه وقال غيره المراد بها الفخذان والساقان
وذلك كله مما يؤذن بكمال قوته لما في الحديث انه صلى الله عليه وسلم اعطي قوة ثلاثين رجلا
وفي مسند احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان مشبح الذراعين
بعيد المنكبين ما بين بقيل جميعا والشبح بفتح الشين المعجمة وسكون الموحدة وبالحاء المهملة
بمعنى العريض رحب الكفين والقدمين اي واسعهما وقال النجاني اي كبيرهما وهو محمول على
ظاهره من كبر الجوارح لدلالته على كمال الخلق بخلاف صغرها وتاوله بعضهم في الكفين
على انه كناية عن جوده وسماحته قال والحق انه ان روي مجموع رحب الكفين والقدمين فلا
محال لهذا التاويل للجمع بين الحقيقة والمجاز وان ورد رحب الكفين فقط فان كان في مقام بيان
خلقه بالفتح فلا مناسبة له او في مقام خلقه بالضم فله مناسبة وقد ورد انه صلى الله
عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين والشثن بمعنى الغليظ لا الواسع وهو لا ينافي ما مر
وفسر الاصمعي رحمه الله الشثن بالغليظ الخشن فقيل انه ورد في صفة النبي صلى الله عليه وسلم
وما ينافيه وقد ورد في البخاري وغيره عن انس رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا الين
وانعم من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فالي على نفسه ان لا يفسر شيئا في الحديث وقيل لين جلده
صلى الله عليه وسلم ونعومة ملمسه خلقه وخشونته باعتبار عمله في جهاده ومهنته وتفسير
ابي عبيد الشثن بالغليظ القصير مردود بما صح من انه صلى الله عليه وسلم سائل الاطراف ثم
واعلم ان الباذري رحمه الله قال في توشيح عن الايمان انه روي انه صلى الله عليه وسلم كان خمصان
الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناوله الارض من وسط القدم وروي
انه صلى الله عليه وسلم كان مسيح القدمين اي املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي
هريرة رضي الله عنه ما يخالفه لانه قال فيه اذا وطئ بكليهما ليس له اخمص وهو يوافق رواية مسيح

القدمين قال وسمي عيسى عليه الصلاة والسلام لانه لم يكن له اخمص لاحد الوجوه فيه وقيل
172 معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما ويخالف رواية شثن القدمين انتهى وفيه نظر ففي شرح الشمائل
مسيح القدمين املسهما لينهما فليس فيهما تكسر ولا تشقق وتفسير قوله ينبو عنهما الماء
اي يسيل سريعا للملاسة فيهما فكان غليظ اصابعهما وروى احمد وغيره ان سبابتي قدميه
عليه الصلاة والسلام اطول من غيرها وفي البيهقي كانت خنصر رجليه صلى الله عليه وسلم
متظاهرة وما اشتهر من اطلاق كانت سبابتيه صلى الله عليه وسلم اطول من وسطاه غلط
فانه خاص باصابع رجليه انتهى وما قيل ان سعة القدمين لم ترد الا انه بمعنى العظم المذكور
في البخاري فيه نظر سايل الاطراف وفي شمايل الترمذي سائل الاطراف بالشك من الراوي من انه
بالسين المهملة من السيلان بمعنى ممتدها امتدادا معتدلا بغير افراط ولا تفريط او بالمعجمة
من شالت الميزان اذا ارتفع احدى كفتيه والمراد منه ما قبله والمراد بالاطراف الاصابع
وروى ساين بالنون المبدلة من اللام كما قال التلمساني وطول الاصابع مما يمتدح به العرب
وسائل بهمزة مبدله من الياء كما تقرر في الصرف وقوله في المقتفى انه بالبيان اراد انه روي كذلك
على خلاف القياس فصحح والا فلا وفسر بالطول من غير تعقد وروي كان اصابعه قضبان
فضة اي اغصانها قيل والاوجه في تفسيره التنعيم لما روي من انه سبط القصب وفسر بكل
عظم ذي مخ والسبوطة الامتداد قال ابو نعيم انور المتجرد انور بمعنى نير صفة مشبهة لانه
من باب الالوان وعليه اقتصر التلمساني والبغوي والمتجرد بضم الميم وفتح الجيم والراء المشددة
ودال مهملتين بمعنى الجسد الذي من شانه ان يجرد عنه الثياب والعرب تقول فلان حسن
المجرد والمتجرد والجردة والعرية والمعري والكل بمعنى وقيل انور افعل تفضيل مضافة لغير — سيد
المفضل عليه كما ذكره النحاة اي مجردة انور من متجرد غيره والمجرد اي عند التجرد والتعري
والمحدثون فسروه بما جرد عنه الثياب اي نزع وليس على القلب اي ما جردت الثياب عنه او هو
اسم مفعول على الحذف والايصال كالمشترك لانه ثبت عن العرب فلا يقال انه غير قياسي واسم — سيد
المفعول لا يبنى من مثله بغير صلة كمرور به والقول بانه جعل تجرد بمعنى جرد المتعدي كما جعل
رحم المتعدي بمعنى رحم اللازم وبنى منه الصفة المشبهة وجعله من الحقايق والدقايق
من زخرف القول الذي لا طائل تحته وتفسيره بساير البدن باعتبار اغلبه واكثر كلام
حسن وجعله وهما خرافات واهية دقيق المسربة دقيق بالدال المهملة والقاف والمراد انه
ليس بمربض ولا متكاثف الشعر وروي بالراء المهملة وهما بمعنى والمربة بفتح الميم وسكون
السين المهملة وضم الراء كذلك وفتحها وبالموحدة شعر مستطيل من الصدر للسرة فهو خط
من الشعر بينهما قيل والذي يظهر انه شعر دقيق من الصدر الى البطن يطول ويقصر ابدا ولذا وصفت
مسربته بالطول من اوايل الصدر الى السرة والوصف بالدقة للمبالغة والمسربة من المسرب
وهو دخول الطريق والا شراب فيهما ربعة القد القد بمعنى القامة ورجل ربعة وامراة ربعة
بفتح الراء وسكون الباء وفي المصباح حذف الهاء في المذكور وفتح الباء لغة فيهما ورجل مربوع مثله

اى معتدله وفى القاموس الربع الرجل بين القصير والطويل وتانيثه باعتبار النفس والذات
وليس فى اضافته للقد تكلف كما توهم وفيه ضمير للنبى صلى الله عليه وسلم بالتاويل المذكور وروى
الترمذى وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان اطول من المربوع وفى البيهقى عن انس رضى الله
عنه فوق الربعة فالمراد بكونه عليه الصلاة والسلام ربعة انه بين الطول الفاحش
والقصر ومن نفى الطول اراد الفاحش ولذا قال ليس بالطويل البائن كذا فى الصحيحين عن انس
رضى الله عنه اى لم يكن مفرط الطول فهو من بان بمعنى ظهر لظهور طوله او بعد لبعده عن قدر
الرجال الطوال او لبعده عن الاعتدال او من المفارقة والانقطاع لانفصال بعضه عن
بعض او عن غالب الناس او عن الاعتدال ولا القصير المتردد اى المتناهى فى القصر
من التردد بمعنى الرجوع او الدخول كان بعضه يدخل فى بعض ويرجع اليه وهذه صفة خلقته
عليه الصلاة والسلام لذم الطول المفرط والقصر المفرط والقصر المفرط وللتلمسانى
هنا كلام فى تفسيره لا محصل له ومع ذلك اى مع كونه ربعة معتدلا فلم يكن يماشيه احد
من الناس بان يمشى معه ويجنبه بحيث يعرف تقدار العدود وقيل الاولى عدم الفاء الا
ان يقال هذه بيان للحالة السابقة يعنى لانها خلقة وهذه عارضة فتدبر ينسب الى
الطول الا طاله المراد بنسبته له اتصاله به وكونه معروفا به مشهورا كما يعرف المرء بالنسبة
فيقال القرشى ونحوه فهو استعارة وقوله الا طاله اى غلبه فى الطول وزاد عليه فهو من باب
المقالبة المعروف فلذا تعدى مع لزومه او اصله طال عليه على الحذف والايصال وروى البيهقى
وغيره زيادة ربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقان عاد ربعة وفى المواهب
عن ابن سبع واذا جلس عليه الصلاة والسلام كان كتفه اعلى من الجالسين وهل هذا تخيل
اراة لذلك او حقيقى يرجع عنه فيه تردد ولم يخلق اطول من غيره لخروجه عن الاعتدال الاكمل
المحمود ولكن جعل الله له هذا فى راى العين معجزة خصه الله بها لئلا تفوق احد عليه بحسب
الصورة وليظهر من بين اصحابه تعظيما له بما لم يسمع لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال المحذور
وعلم التعظيم فظهر كماله الخلقى رجل الشعر يقال شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وهو
ما فيه تثن قليل وما لم يتثن فيه فهو سبط والاول احسن وامدح وروى شعره بين الشعرين
لا رجل ولا سبط وفى مثله مبالغة فلة التثنى وفيه كلام بسطناه فى السوابغ وفى الصحيحين
لا بالجعد القطط ولا بالسبط والقطط بفتح الطاء وكسرها الشديد الجعودة
والسبط بكسر الباء وضده وهو المسترسل بغير تكسر فشعره صلى الله عليه وسلم بين
هاتين الصفتين لا تجعيد فيه كثيرا اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق هذا رواه
البيهقى مسندا ومعنى افتر كشف عن اسنانه مبتسما وضاحكا ويفتر يضحك ضحكا حسنا
بمعناه وفى النهاية يبتسم حتى تبدو اسنانه من غير قهقهة وهو افتعال من فرت الدابة اذا
كشفت شفتها ليعرف مقدار سنها ومنه اخذ السن بمعنى العمر وفى حواشى عبد المجيد اليمنى
ومنه فر الجراد له بمعنى بكسر الفاء وتشديد الراء وتبعه بعض الشراح ومن قال انه وهم لم
يهم

يهم مراده والسنا مقصور ورواية متن لا اصل لها فان الممدود بمعنى الشرف كما قال ابن عباد
المغربى بها الصاحب الذى فاتت عينى ونفى منه السنا اى اذا كشف صلى الله عليه
وسلم عن اسنانه فى حال ضحكه ظهر من فمه وبياض اسنانه لمعان كلمعان البرق وانما خص
التشبيه بحال التبسم والسرور وشبه ذلك بالبرق دون ما هو اضوء منه كالشمس والبدر
اشارة الى انه لا يدوم ضحكه وانفتاح فمه لان كثرة الضحك غير محمودة ولم يكن ذلك من دابه
صلى الله عليه وسلم ولان تبسمه للمخاطبة يعقبه نفع وخير من عطائه وكلامه ورضاه
كما يعقب البرق المطر والرحمة العامة وما قيل ان الاظهر انه اذا استمر تلالأ فيظهر تارة
ويختفى اخرى فالمناسب البرق ويؤيده رواية مثل سنا البرق اذا تلالأ مخيلة برق
حلب وهذا تشبيه لنور ثغره وقوله وعن مثل حب الغمام فى بياضه ونقائه وصفائه
حب الغمام هو البرد بفتح الراء وتسكينها قال المصنف ويروى بتسكينها والاول اصح وقيل حب
الغمام حبابه على ما شبه به من قليل الريق وبلله وهو الظلم بالفتح الذى تسميه الشعراء
الشنبا كما قال ابن لوكيل يا بارقا قد حكاه فى تبسمه لقد حكيت ولكن فاتك الشنب والاول
اصح لرواية البيهقى عن هند رضى الله عنه عن مثل البرد المنحدر عن متون الغمام قال السيد
رحمه الله ما يظهر من اسنانه فى التبسم بذلك فى البياض والصفاء واللمعان والاعتدال
وفى النهاية وفى البرد وهو بعيد ومن قال حبه قطرة الغمام شبه بها ما يطفو على الثنايا
من الريق فقد وهم لان الحباب ليس عليها عادة الا بلل فلو اجتمع لم يحسن قيل وما احسن عدوله
عن تشبيهه بالحباب لحب السحاب للتنزه عن تشبيهه بام محرم وقيل عليه ما حكم
صلى الله عليه وسلم بقول البحترى كانما يبتسم عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح وقول الحريرى ابن الحنبلي
نفسى الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب يفتر عن لؤلؤ رطب
وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب وليس الحبب حباب الماء ونفاخاته
ولا حباب الحمر بل نضرة الاسنان كما قاله الجوهرى فلا ميل فى التشبيه لما قاله وهو وهم
منه فان الحباب والحباب بالمعنى المذكور مما لا شبهة فيه وما قاله الجوهرى لا يصح هنا
لما فيه من تشبيه الشيء بنفسه كما قيل اقام يعمل اياما قريحته وشبه الماء بعد الجهد
بالماء اذا تكلم يرى كالنور يخرج من ثناياه وقع عندنا يرى مضارع راى المجهول والذى
صححه التلمسانى وغيره رواية راى براء مكسورة وياء ساكنة تليها همزة بوزن فعيل وفى رواية
رئى بضم الراء وهمزة مكسورة يليها المجهول راى والكل صحيح رواية ودراية وهذا رواية الترمذى
فى شمائله والدارمى والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنه والثنايا جمع ثنية وهى اربع اسنان
فوقانية واثنان فى مقابلهما والمراد وصف ثناياه صلى الله عليه وسلم بشدة البياض والبريق
والصفاء واول الحديث كان صلى الله عليه وسلم افلج اذا تكلم الى اخره وروى ابن كثير رحمه الله
رئى النور من ثنيته وهى الاظهر ولذا قيل الكاف زائدة ويحتمل انها اسم بمعنى مثل وهى والجار
والمجرور نائب الفاعل وهو صفة لمقدر اى تلألؤا او شيء وضمير يخرج للنور منه قيل ولا

كلام شبيه بالنور في ظهوره لاحسن الناس عنقا رواه البيهقي مسندا وفيه لاحسن عباد الله
عنقا وفي رواية من احسن الناس والمراد احسن جميع الناس او الناس الموجودين ولا تكلف فيه
كما توهم وحسنه باعتداله وبياضه وصفا لونه ويستحسن في العنق التلع وهو اشرافه وانتصابه
والسطع وهو طوله قال الحجاني وقد جاهد في وصفه عليه الصلاة والسلام قال وطول
العنق مما يستحسن ما لم يفرط فاذا افرط فهو مذموم وقد هجر واصل بطول عنقه ولقب به واعلم
ان السهيلي قال في الروض الانف ان العنق والجيد بمعنى الا ان الجيد يستعمل في المدح والعنق بخلافه
فتقول صنعت عنقه لا جيده ولما ورد عليه قوله تعالى في جيدها حبل من مسد قال انه تهكم
وتمليح بجعل الحبل كالعقد لها وفيه نظر لان الاستعمال بخلافه كثير كما هنا وكقوله وفي عنق
الحسنا يستحسن العقد ليس بمطهم ولا مكلثم المطهم كما في القاموس كمعظم السمين الفاحش
والنحيف الجسم الدقيقة ضد والمنتفخ الوجه والمجتمعة مدورته وقليل لحم الوجه ومكلثم
اسم مفعول من الكلثمة وهذه الصفة مروية عن علي كرم الله وجهه في سنن الترمذي
والبيهقي باسناد غير متصل وسياتي وعن عايشة رضي الله عنها وله معان منها ما تقدم
ومنها كما في الترمذي بادن كثير اللحم والمجاز لونه السمرة الى السواد ويصح ارادة كل منهما
غير الندور واذا قربه المكلثم لئلا يتكرر واعاده لامع العاطف اي كونه تاكيدا واما
واما معناه المذكور في القاموس وهو البادع في الحبال فلا يصح هنا النفيه وقد ثبت
انه وساير اعضائه في غاية الكمال والجمال ومكلثم اسم مفعول مروي عن علي وعائشة
رضي الله عنهما مسندا وفسر بمدود الوجه مطلقا ومع كثرة اللحم والباقي الوجنة وقيل هو
قصير الذقن وفي النهاية انه القصير الحنك الداني الجبهة المستدير مع خفة اللحم لانه
صلى الله عليه وسلم كان اسيل الوجه لا مستديرا ولا ينافي هذا ما مر عن علي كرم الله
وجهه من وصفه بانه مدور الوجه لان المنفي الاستدارة المفرطة المذمومة والمثبت
خلافه كما صرحوا به الا ان في شرح السنة ان الكلثمة لا تكون الا مع كثرة اللحم وكذا في الصحاح
والمراد غير المفرطة ايضا فهو من الاضداد والصفتان للنبي صلى الله عليه وسلم لا للعنق
كما توهم وهو غلط فاحسن هنا متماسك البدن وهذا مروي في حديث هند رضي الله
عنه كان بادنا متماسكا اي معتدل الخلق كان اعضاءه يمسك بعضها بعضا لقوتها وعدم
استرخائها وقال الغزالي لحمه متماسك على خلقه الاول لم يضره السن الذي من شانه
ان يسترخي اللحم فيه بخلاف الشباب ضربا للحم ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء
المهملة والموحدة بوزنه المصدر اي قليل لحم البدن خفيفه لا الى حد الهزال وهو يمدح به
كما قال طرفة انا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاشا كراس الحية المتوقد وهذا معنى قوله
لحمه بين اللحمين لا ناحل ولا مطهم وذكر اللحم مع قول اهل اللغة الضرب الرجل الخفيف
لبيان معناه لانه مشترك او للتجريد وهذه الصفة في حديث ام معبد رضي الله عنها
وفي حديث رواه البيهقي وهي لا تنافي ما ورد في حديث اخر من انه كان بادنا او جسما كثير اللحم

ابن الهرس

لان القلة

174

لان القلة والكثرة والخفة ومقابليها امور نسبية فحيث اثبتت اريد بها رتبة معتدلة
وحيث نفيت اريد الا فراطا وان هذا كان في اول عمره وكونه بادنا في اخره لما في الصحيح انه صلى الله
عليه وسلم لما كبر سنه كثر لحمه ولا خفا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن نحيفا قط ولا سمينا قط
وقال التلمساني معنى كونه بادنا كثير لحم البدن ولكنه لكونه متماسكا يقوي بعضه بعضا ويشده
ويمسكه فهو خفيف بهذه النسبة قال البراء بن عازب رضي الله عنه تقدمت ترجمته وهذا
الحديث رواه الترمذي وصححه ورواه بتقديم احسن الاتي ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم من زائدة او مبنية لمقدر اي احدا واللمة بكسر اللام
وتشديد الميم ما طال من شعر الراس في احد جانبيه قال التلمساني قيل هي الوفرة وقيل فوقها وقيل
ان الشعر بالمنكب فهو لمة وقيل اذا جاوز شحمة الاذن وقيل دون الجمة وقيل فوقها والجمة ما بلغ
المنكبين انتهى وقد اختلف في الفرق بين هذه الثلاثة اللمة بالكسر والجمة بالضم والوفرة
بالفتح فقيل اللمة ما جاوز من شعره شحمة الاذن وسميت بها لالمامها بالمنكبين وان زادت
فهي الجمة وهي ما سقط على المنكب كما في شرح السنة والمراد بالمامها به قربها كما في المصباح
لا بلوغ اولها وسقوطها وقوعها متصلة بها منبسطها بعضها عليه قليلا وقيل تجاوزه
لما ورد في الحديث كان الشعر يضرب منكبيه وفيه نظر وفي القاموس الوفرة ما سال على الاذن
او جاوز الشحمة ثم الجمة ثم اللمة ووافق ما في الجوهري تارة وتارة قال اللمة ما جاوز الشحمة
فاذا بلغ المنكب فهو جمة فتوهم فيه السهو والتناقض وهو محمول على ما في شرح السنة وقيل
يتعين حمل كلامهم على ما ان في الجمة لغتين اي معنيين ما سقط على المنكب وما لم يبلغه
لما رفا فتصر بعضهم على احدهما والاخر على الاخر وذكرهما الجوهري وفي الشمائل جمته قيل وربما
وصل لما ذكر بعده وهو بعيد بل غير سديد والمنتهى اقول الجمة بمعنى الكثيرة الشعر ومنه الجم
الغفير والوفرة من الوفور وهو الكثرة واللمة من الالمام وهو القرب والنزول ولا يخفى
ان الكثرة والقرب ونحوهما امور نسبية تتفاوت بحسب ما ينسب اليه فلا تعارض بين
معانيها بحسب الاصل والاشتقاق فلكل منها معنى يجوز استعماله في المعاني المذكورة بحسب
القرائن فاللمة ما يلم بالاذن او بشحمتها او بالمنكب بان تقرب منه او تنزل عليه والكثرة اما
في نفسها او بالنسبة للمة فاذا لوحظ كل من هذه صحت المعاني فتدبر والحلة بضم الحاء المهملة
وتشديد اللام كما في القاموس ازار ورداء بردا وغيره ولا تكون حلة الا من ثوبين او ثوب له
بطانة انتهى فلا تكون ثوبا واحدا ولا ثوبا ليس له بطانة كما قاله الخليل والثوب لا يختص
بالمحيط بل يعمه وغيره وفي النهاية انها من برود اليمن ولا تكون الا من ثوبين من جنس واحد
وتاويلها للوحدة الصورية كما يقال جنس واحد وللاسمية وقال الحجاني في الحديث دليل
على ان الحلة قد تكون ثوبا واحدا يعني لتاويل الوحدة ووصفها بحمرا واللغويون مطبقون على انها
لا تطلق الا على ثوبين والحديث صحيح متفق على تخريجه ووهم المصنف رحمه الله في مسارقة فقال
انها سميت بذلك لحلولها على الجسم او على ثوب تحتها وهو باطل لا قتضائه ان كل ملبوس يسمى

سيد

بروده تول مربع فتح كليمه دكه بيه عمو بلوكبير لوجمع برده كلور فتح دايله احتزى

حلة من اي نوع كان اقول ما نقله من اشتراط كونها ثوبين و اتفاق اهل اللغة عليه قد نقلناه لك عن
صاحب القاموس وعن الخليل واما اعتراضه على المصنف رحمه الله في وجه التسمية فليس بشئ
لان وجه التسمية مناسبة لحظها الواضع لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها فهو غفلة منه ثم
اعلم ان الامام الشافعي رحمه الله ومن وافقه استدل بهذا الحديث على جواز لبس الاحمر ولو كان
قانيا كالعصفر والمزعفر ومن ذهب الى كراهتهما كراهة تحريم اجاب بان المراد انه كان فيه
خطوط حمر وليس احمر خالصا وبان هذا منسوخ قال محمد رحمه الله في شرح السير الكبير لبس الاحمر
مكروه وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحمرة فانها زي الشيطان
وما روي من حديث البراء بن عازب ما رايت ذا لمة في حلة حمراء الخ كان في الابتداء ثم كره استعماله
للرجال بعد ذلك انتهى وهو من خصايصه صلى الله عليه وسلم ومن ضرب عمر رضي الله عنه من لبس
حلة معصفرة وقال دعوا هذه الثياب للنساء او الكراهة تنزيهية وفعله للجواز وسئل الشيخ
قاسم بن قطلوبغا عن لبس الاحمر الذي فيه النزاع وهو الاحمر الصرف وهل هو مكروه ام لا فاجاب بانه
مكروه كراهة تحريم للاحاديث الواردة في النهي عنه ثم اورد كلام محمد في السير وانه كرهه بعد
ذلك لما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما نهانا رسول الله عليه السلام عن لبس المعصفر وما قاله
الشعبي رحمه الله فرارا من القضاء لما كلفوه مرادا فلبس المعصفر ولعب بالشطرنج وخرج مع
الصبيان لينظر الفيل فتركوه واذا ورد ما يقتضي الاباحة وما يقتضي التحريم فالثاني ناسخ
نسخا اجتهاديا كما يشير اليه كلام السير وما ذكر عن الشعبي جواب عما يقال لو كان
النسخ مشهورا ما لبسه الشعبي وقال بعض المتاخرين حديث البراء ليس من محل النزاع لان
الحلة برود اليمن مخططة انتهى وفيما قاله الشيخ نظر لان النهي عن المعصفر العمل الذي شاع
في عهد النبوة لبس النساء له لا يستلزمه النهي عن الاحمر المنسوخ كذلك وفرار الشعبي عن القضاء
لا يبيح له الحرام وقوله حلة حمراء في حديث البراء ياباه كونها مخططة فالحق ان الكراهة تنزيهية
ولذا قال النووي في شرح المهذب لبس الاحمر جائز بالاجماع اي مع الكراهة التنزيهية وان
قال بعض اصحابنا من المالكية بجوازه اي من غير كراهة وقول بعض الحنفية بالكراهة لا ينافي
في الجواز ومراد الناوي الاجماع المذهبي وما ذكره من النسخ بالاجتهاد محل بحث فليحرر
وقال ابو هريرة تقدم الكلام فيه وانه غير منصرف ما رايت شيئا احسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا ابلغ من الحديث الذي قبله لانه فضله في لباس مخصوص وخصه
لانه يظهر فيه النور والحسن اكثر من غيره وقال في هذا ما رايت شيئا اي من الناس او غيرهم
مطلقا كان الشمس تجري في وجهه كان بالتشديد في الرواية هنا وان جاز تخفيفها وهي اداة
تشبيه وترد للظن والتشكيك وهو مبني على التشبيه والشمس منصوب اسمها وجملة تجري
خبرها وجريان الشمس حركتها الفلكية كما قال عز وجل والشمس تجري لمستقر لها قيل شبه
لمعان وجهه تارة بالشمس وتارة بجريان الشمس الا ان المنقول لمعانه فالمناسب ان يقال
كان نور الشمس او يراد بالشمس نورها فالاوجه انه شبهه بنورها وجريانه لكنه لما كان

تبقيتها

مطلب لبس الاحمر والاصفر

فوائد تعاليق نفيسة

بالفتح ابو عمرو بن شراحيل من كبار التابعين

والعلماء الادب في مشكل الاسماء والنسب

175

تبقيتها حكم بانها تجري وهو دقيق بليغ وشبه محل اللمعان بقرصها وتعين تارة وتارة بجريان
القرص وفيه بعد وقال الطيبي رحمه الله يجوز تعلق الخبر بتيسر فهو من تناسي التشبيه
وجعل الوجه مقر الشمس فكانه جعل يجري حالا او كان للظن والادعاء او فعلا وفعلا وهو
بعيد انتهى وقيل المعنى ان الشمس الجارية في فلكها مشبهة بما يجري في وجهه من عرق ونحو
في وجهه ما هو شبيه بالشمس ولذلك التشبيه ما هو سببه بذلك الجريان من التلألؤ
والانبساط ففيها مشبه به وصفة هي للمشبه ظاهرا وللمشبه به حقيقة على اسلوب كان قائل
اي انا كالرجل القائل يحول سنا دالجريان وفيه شبهان مطويان على سنن الاستعارة وهما
ما في وجهه من النسبة بالشمس والتشبيه بذلك الجريان كما في قوله تعالى وما يستوي البحران
هذا عذب فرات سائغ شرابه على ما فصل في شرح المفتاح اقول هذا كله تعسف وتكلف لا طائل
تحته وبيانه ان مراده المبالغة في وصف وجهه الشهي بالنور كما اشار اليه بقوله واذا ضحك
تلألأ في الجدر فشبه وجهه الشريف بالشمس في الاشراق والنور ثم عكس التشبيه ليكون ابلغ
فقال كان الشمس وجهه ثم زاد في المبالغة على طريقة التجريد فانتزع منه شمسا جعلها في وجهه
كقوله لهم فيها دار الخلد واقحم تجري على انه حال واصله كان وجهه الشمس ثم كان الشمس وجهه
ثم كان الشمس في وجهه وانما قيدها بكونها جارية اما لان المراد ظاهرة سائرة على وجه الارض
او لان لالأ النور في وجهه كتحركها وهو اقوى في التشبيه وهذا هو الذي عناه وامانا سي التشبيه
فمراده به تشبيه وجهه بالشمس لان المنطوقة تشبيه الاستقرار والجريان لما عرفته لكنه
تسامح في العبارة واما ما سنح له الشراح فلا وجه له ومن الغريب هنا قول التلمساني ان معنى
تجري في وجهه تتوهج كتوهج الشمس واشار الى ظهور الامر ان كرهه او اصابه كرب في وجهه كظهور
ذلك في الشمس من السحاب او غيره ومنه قوله في الحديث فرايت لوجهه صلى الله عليه وسلم ظللا
وهو جمع ظلة انتهى والتلألؤ اللمعان والاضاءة وجدر بضمتين جمع جدار وهو الحائط والناس
تستعمله بمعنى الاساس واما الجدر بفتح فسكون فهو الحاجز الذي يحبس الماء كما سياتي في حديث
الزبير رضي الله تعالى عنه استي يا زبير حتى يبلغ الجدر وليس مفردا بمعنى الجدار كما توهم وهذا رواه
احمد والترمذي وابن حبان والجمع على ظاهره من غير حاجة الى جعل التعدد باعتبار الاوقات
اي نور وجهه الشريف يشرق اشراقا يصل الى الجدر المقابلة له كما يكون ذلك من الشمس والقمر
وقيل انه من نور يخرج من بين ثناياه وفمه اذا افتر وتبسم وروى ابن كثير عن ابي هريرة رضي الله
عنه يكاد يتلألأ في الجدر وتفاوته بحسب الاوقات او بحسب خفة ضحكه وشدته
وما هنا محمول على المبالغة على تقدير يكاد وقال جابر بن سمرة الذي مر ذكره وهذا مما رواه
الشيخان عنه قال له رجل جملة حالية بتقدير قد او معطوفة على ما قبلها وفي الشمايل سال
رجل البراء بن عازب كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف بتقدير الاستفهام كما
ورد مصرحا به في الشمايل ويجوز عدم التقدير هنا والظاهر الاول وتشبيهه به في البريق
واللمعان لا مطلقا ولا في الطول كما توهم وروى البيهقي كان وجهه حديدا كالسيف

ابن الحنبلي

وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه كان اشبه الخلق ... الاسالة في الخد الاستطالة وان لا يكون مرتفع الوجنة وقال شيخ الاسلام ... فالخد ... من سال كان وجهه ...

سيد

ولا يظهر وصفه بالحسن وان اريد بحسنه نفاذ امره وامضائه في الدين وقصد الخير كما في النهاية
فلا وجه لتخصيصه بالوجه وكذا التعميم ولذا رده جابر فقال لا قيل قال تاكيد لقال الاولى
وعطفه بجواز عطف المؤكد على المؤكد بالفاء وثم كما قال الله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون
وانكار اهل المعاني غريب او هو لتفصيل ما قبله او انه لم يقصد الجواب ووقع في مسلم بدون
عاطف ورد بلا اما لايهامه الطول ومخالفته في اللون ولان لمعانه اقوى والمشبه ينقص عن المشبه به
كما قال ظلمناك في تشبيه صدغه بالمسك فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكى بل مثل الشمس
والقمر شبهه بشيئين والمشبه به قد يتعدد فيعطف باو كقول البحتري المتقدم كانما يبتسم
عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح بالواو كقوله الحريري المتقدم وايضا يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد
وعن اقاح وعن طلع وعن حبب فلا وجه لقول السيد اللائق ان يقول الشمس والقمر
بمعنى بل والشمس تمنع استيفاء الحظ من رؤيتها فالاليق القمر وما في الوفاء من انه لم يقم مع الشمس
قط الا غلب ضوءه ضوءها لانا في التشبيه بها اعرف واشهر وقال التلمساني انه اضرب عن تشبيهه
بالسيف لعدم مناسبته وانما يشبه به نفس الانسان في نفاذ امره وشدته كما قال لو كان السيف
ان لا ينبه لا نمسه وحياه ان خاشنته خشنان قال ويقال لا بل ولا بل ونا بل انتهى وهو
غريب وفي شرح الشمائل لابن حجر الشمس يشبه بها غالبا في الاشراق والضياء والرفعة والقمر يشبه به
في الملاحة والحسن فبين جمع وجهه للعينين مع نوع استدارة وطول وفي حديث كعب بن مالك
رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وفي رواية فلقة قمر وفي
رواية للطبراني التفت الينا كان وجهه شقة القمر وانما اراد والتشبيه بعض وجهه لان السهو كان
يبدو في جبهته فشبه بعضه ببعضه وبهذا اندفع ما قيل ان وجهه الاحتراز عما في القمر من السواد
فشبهه ببعضه الخالي منه انتهى وكان وجهه الشريف مستديرا فيه استدارة كما مر وهنا مؤكد
للتشبيه لا لعدم المشابهة التامة اي هو احسن منه واضوء لاستدارته دونه وهنا الاوجه
لان استداراته وكرويته كسائر الاجرام العلوية مبرهن عليه في الهيئة وقيل التشبيه بالنيرين
انما يتبادر منه الضوء والملاحة فبين الاستدارة ليكون التشبيه فيها ايضا وقالت ام معبد
وهي كما تقدم عاتكة بنت خالد الصحابية رضي الله عنها التي كانت نازلة بخيما في طريق المدينة وقد
نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته لما خرج من غار ثور وقصته معه مشهورة مروية من طرق
عديدة تعضدها وتصححها وكان زوجها غائبا فلما اتاها اخبرته به فاستوصفها اياه فقالت
رايت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صقلة وسيم قسيم في
عينيه دعج وفي اشفاره عطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة لقرن ان صمت فعليه
الوقار وان تكلم سماه وعلاه البهاء اجمل الناس وابهاه من بعيد واحلاه واحسنه من قريب الخ
ما قالته في نعته من كلام بليغ مشروح في السير منه وفي بعض ما وصفته به اي في بعض كلام وصفته
من رواية البيهقي ورد لانه عن اخيها حبيش بن خالد عنها والخبر لفظ بعض اشارة الى انه كلام طويل
مشتمل على وصفه وغيره من قصة الشاة وغيرها وما نقله المصنف رحمه الله بعض الصفة لا كلها

في هذا الحديث من العلم ان التشبيه ممن لا يحسنه لا يصح الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان اولى فرد عليه مراجب

مطلب الواو بمعنى بل

ويسمى هنا الواو واو الاضراب كما في قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه اي بل ابيه على ما صرح به في بعض كتب النحو

قوله فالاليق القمر لان القمر تملأ الارض بنوره ويونس كل من شاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كلل يمنع بخلاف الشمس التي تغشى البصر وتجلب للناظر [illegible]

واضافة بعض لامية من اضافة البعض للجزء لا بيانية كما توهم اقول تفصيله كما في شرح الكتاب
لابن غالب تلميذ الشلوبين ان النحاة اختلفوا في اضافة بعض القوم فقال ابن خروف لا يمتنع
بعض من القوم وجزء من الشيء فهو على معنى من ولا يكون ذلك في كل فقد يكون للشيء حكم لا يكون
لمقابله ويجوز في بعض المال لبعض المال لم يراد به اما الباقي منه فيتصف هنا بانه بعض له
كان مضافا اليه والاضافة تتحقق بادنى ملابسة وقد يراد به بعض له كان مضافا اليه
والاضافة تتحقق بادنى ملابسة وقد يراد به بعض للكل المحقق وقال السهيلي البعض
في مقابلة الكل واضافة كل على معنى اللام فتجد ذلك في بعض مقابلها وايضا فالاضافة
على معنى من انما يكون فيما يكون جنسا للاول ويصدق عليه كخاتم حديد وليس بعض الدرهم
درهما ولا بعض دينار دينارا وهذا فيه تفصيل وهو انك اذا اضفت البعض لجنسه كبعض الحديد
وبعض الطعام واذا اضفته لذي صورة له اسم كزيد كان حكمه انتهى اجمل الناس من بعيد
الظاهر انه صفة رجلا في قوله رايت رجلا كما سمعته انفا ويجوز رفعه على القطع والمدح
والجار والمجرور حال من ضمير اجمل اي مشاهدا من بعيد والجمال البهاء والحسن والنسخ والرواية
السابقة اجمل الناس وابهاه فالمصنف اما ان يكون اسقطه منه لكونهما بمعنى او ظفر برواية
فيها هكذا وكون الاطناب في المدح محمود سهل والناس اسم جمع او جمع ذا در واصله اناس
كما فصله شراح الكشاف وجعل الجمال من بعيد لانه يحقق الناظر النظر فيه لمهابته بحيث
لا يطيل النظر له من قرب منه الا من يكون صغير السن كابن ابي هالة او من محارمه او من
الاعراب الجفاة فاذا فعل ذلك ادرك فوق الجمال مرتبة اخرى كما قال يزيدك وجهه حسنا
اذا ما زدته والى ذلك اشار بقوله واحلاه واحسنه من قريب وفي نسخة واحسنهم والعرب
تفرد الضمير في مثل هذا حملا على لفظه او على الجنس كانه قال وابهى هذا الجنس وكذلك قوله
صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش احناه على ولد الحديث اي خير هذا
الجنس لان الناس والنساء من اسماء الاجناس وفي النهاية انما وحد الضمير هنا ذهابا الى
المعنى وان التقدير احنى من وجد ومن هنالك كنا قرره بعض الشراح اقول تحقيق هذه
المسئلة ان العرب تقول احسن الفتيان واجمله بافراد الضمير بمعنى احسن فتى وفي التسهيل
انه لسد واحد مسدهم ومثله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه لان الانعام
تسد مسد النعم قاله ابن مالك في شرح التسهيل وقال ابو حيان رحمه الله مذهب الفارسي
افراد الضمير لانهم يقولون تارة هو احسن فتى فيفردون وتارة احسن الفتيان فيجمعون
فتوهموا ذلك في حالة الجمع فافردوه والذي يدل عليه كلام سيبويه رحمه الله انه افرد
كما افرد في ضربني وضربت قومك على معنى من ذكر وهو الصحيح ويدل عليه الحديث السابق فلو كان
على ما يقوله الفارسي قال احناها وقد يعود الضمير على الاثنين والاناث مع افعل مفردا
كقوله ومية احسن الثقلين جيدا وسالفة واحسنه قذالا وقوله شر بوا منها واغوره الها
ركبت عنز بحدج جملا وضمير الاناث للسابق ويكون ذلك دون افعل قليلا وفيه كلام

حققناه فى غير هذا المحل قال التلمسانى وهو نفيس عند ابن مالك وسماع عند سيبويه وافراده
لارادته ما مر لا لانه اسم جنس كما توهم واحلى من وتلهم بعينه وقلبه اذا اعجبه واستحسنه
فعطف احسنه عليه عطف تفسير والحاصل ان الصورة الاجمالية المشاهدة اجمل
من غيرها وكذلك التفصيلية المشاهدة من قريب وكثيرا ما يتفاوتان بالبعد والقرب لا دقة
النظر وفى حديث ابن ابى هالة الاتى وتقدمت ترجمته يتلألأ يضئ ويشرق وجهه تلألؤ القمر
منصوب على المصدرية اى مثل تلألؤ ليلة البدر اى عند تمامه وتمامه هو انور ما يكون
واحسنه وقالوا يسمى ليلة طلوعه والثانية والثالثة هلالا ثم يسمى قمرا الى ثلاثة عشر
ثم يستوى ليلة ثلاثة عشر فتسمى تلك الليلة ليلة السواء ثم يليها ليلة البدر لانه اذا بدت
الشمس للغروب بادرها بالطلوع وقابلها وقيل من البدرة وهى الف دينار لتمام عدده ثم
يسمى ليلة النصف قمرا او يسمى بدرا قانا وقال على ابن ابى طالب كرم الله وجهه كما رواه الترمذى
والبيهقى عن محمد بن الحنفية فى حديث ضعيف فى اخر وصفه له صلى الله عليه وسلم اى فى حديث
طويل فى صفته وحليته اخره ما نقله المص رح عنه وليس المراد انه اخر مجلس وغيره مما تحمله
بعضهم من راه بديهة اى فجاة وبغتة قبل مخالطته ومعرفة حاله وخلقه ويقال لكل ما يفعله
عجلة من غير تامل بديهة كما قال القرى ان تطعام بداية الفرسان وفى كتاب البدايع البداية
البديهة مشتقة من بداهة كما يقال مدح ومده واصله فى الكلام وغلب فى الشعر من غير
روية وتفكر والارتجال اسرع من البديهة هابه اى خافه وقدر تقدم من يقوم بين يديه
وفى النهاية هابه عظمه ووقره فالمعنى ان من راه ابتدا وقره ولو كان من اعدائه فاذا تدبر
كماله وحلمه احبه ومن احبه عظمه فالتوقير لازم له على كل حال والمحبة بعد المخالطة كما
قال ومن خالطه اى مازجه وصاحبه ويلزمه معرفته فلذا قال معرفة وهو حال اى ذا او حكمه
معرفة او مفعول مطلق اى مخالطة معرفة او لاجل المعرفة لا لاجل النفاق والعداوة
والانقياد لما يراه من لين جانبه وحلمه وكرمه وشفقته على جميع عباد الله احبه لظهور
محاسنه التى توجب محبته ولان الله سخر القلوب لمحبته واذا احب الله بعض عباده القى
عليه محبته الناس ولا يحتاج الى ان يقال انه ربما كان يتصرف منه معجزة كما روى انه عليه
الصلوة والسلام وضع يده على صدر رجل لما رفعها حتى صار احب الناس اليه بعد
ما كان ابغضهم عنده وفى رواية من خالطه فعرفه وهى قريبة من رواية المص رحمه الله بلا
تفنن تقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله كلام مستانف فضله لاستقلاله وناعته واصفه
اى كل من يريد وصفه من شانه نعت ما يراه والنعت يغلب فى الوصف الحسن وقال الطيبى
رحمه الله اى ناعته يقول ذلك عند العجز عن وصفه ولا تكلف فيه كما توهم والرؤية
بصرية او علمية والمثل المساوى والمشابه ونفى المماثلة المطلقة مبالغة والمراد مثله
فى حسنه وكماله ونفى المثل يقتضى نفى من يفوقه بالطريق الاولى ولان كل فائق مثل وزيادة
فيلزم من نفيه نفيه كما ياد بنفى الافضلية اثبات الافضلية كما مر وقول بعضهم كل من شان

النعت هنا يقتضى انه لا مثل له حقيقة والا لم يكن من شان من راه نعت بذلك كما لا يخفى والاحاديث
الواردة فى بسط صفته بالجار والمجرور صفة بلا تكلف بتقدير الكاينة على انه حال من المبتدا
او منها على الخبر وفى الظرفية كلام مر والبسط التطويل مشهورة شهرة لغوية او عرفية
او اصطلاحية وفى كلام بعضهم وليس المراد بالشهرة مصطلح اهل الاثر فانه غير صحيح
بل الشهرة العرفية وما اشتهر تغنى شهرته عن ذكره فلذا قال فلا نطول الكتاب والكلام
بسردها سرد الشئ تعداده متواليا متتابعا مفصلا من سرد الدرع لنسج حلقه وقد اختصرنا
اى اوردنا مختصرا غير مطول فى وصفه عليه الصلوة والسلام نكت ما جاء منها اى فى تلك
الاحاديث والنكات للطايف والدقايق الخفية من النكت فى الارض كما مر والمعانى
اللطيفة التى تتاثر منها النفس لحسنها وجملة بضم فسكون اى مقدارا مجموعا مما فيه الكفاية
من بيانية اى جملة هى الكفاية اى الكافية او تبعيضية اى جملة هى بعض الكافى وقيل المراد
من جملة امور يكفى كل منها لا انها جزء الكافى لانه مع ما فيه ينافيه التقييد بالمشبه اللاتى
تذكر فى القصد الى المطلوب من وصفه صلى الله عليه وسلم متعلق بالكفاية والقصد الوصول
الى ما طلبه فى هذا المقام من بيان كماله وجماله وحسن جملته وتفصيله من قصد السهم
اصاب مرماه والمراد به الاتيان يقال قصد له واليه اذا اتى والمراد الاعتدال والتوسط
بين الاختصار والتطويل فيما يفضى الى الغرض المطلوب وقوله ان شاء الله تعالى وقع فى بعض
النسخ هنا وليس فى اصلنا وهو للتبرك والتيمن او تعليق للقصد والكفاية وقد ختمنا جملة
معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون حالا لا وجه لجعل الماضى بمعنى المضارع استعارة
لتحقق وقوعه بابرازه فى صورة الحاصل تفاؤلا او اظهارا للرغبة فيه او جعل مضيه باعتبار
عزمه او كونه فى المسودة لما فيه من المقارنة العرفية فتدبر هذه الفصول المراد بالفصول
فصول هذا الباب بحديث جامع لذلك اى لصفات حليته المنتشرة فى الاحاديث مشتمل
على اكثر انواعها واصنافها وان فات شئ من افرادها فلا تكلف فى الجامعية كما توهم وهذا
الحديث وان لم يكن اخرها بحسب الظاهر لا يضر لان ما بعده كالتتمة والخاتمة للمقصود
منه وهذه زمرة لا تحتمل الفرك تقف عليه هنالك وروى هنالك وهما للمكان وقد يكونان
فى اخر الباب او فى زمان الوصول اليه والاول للبعيد والثانى للمتوسط والبعد والتوسط
بالاضافة لا امر اخر دائر على الاعتبار فلا منافاة بينهما ان شاء الله تعالى قيد للوقوف
لتوقف على المشية وقول المص رحمه الله مثل هذا وقول على ونحوه كعليق وهو حذفا ول السند
وقد يسمى مثله معضلا فان اعتقد ان لقائله صحبته فلا كلام فيه والا فينبغى ايراده
بصيغة التمريض والكلام على هذا مفصل فى كتب ابن الصلاح وغيرها فصل هو رابع الفصول
السابق ذكرها واما نظافة جسمه عطف على قوله اما الصورة الخ فى الفصل الذى قبله
اى نقاوته من نظف بالضم ضد قذر وطيب ريحه المراده بالريح هنا الرايحة التى تدرك
بالشم وروى رايحته وهما بمعنى وعرقه بفتحتين وهو ما يترشح من البدن وقد يستعار لغيره

سيد

كماء الورد المستقطر منه و تزاهته عن الاقذار اى بعده وخلوه منها وتنزهه عنها والضماير
للجسم او لصاحب المعلوم التزاما والاقذار جمع قذر والقذارة ضد النظافة وهو موكد لما
قبله وكالتفسير له وعورات الجسد اى البدن وعورات بسكون الواو وقد تحرك وبه
قرى جمع عورة وهو كل ما يوجب حللا او يستر ويستحى منه مما يشين وينقص ولذا قيل مشتقة
من العار الذى يذم بسببه يقال عورات الجسد والكلام فكان صلى الله عليه وسلم الفا
تفصيلية وتخصه الله تعالى وفضله وميزه عن من سواه فى ذلك المذكور بخصايص اى فضايل
لا توجد فى غيره كما اشار اليه بقوله لم يوجد فى غيره من الامم اصلا او لم توجد فى الاكثر وهذه
صفة مخصصة او مبينة مؤكدة ثم تممها سبحانه تنزيه الله المنزه له ويقع فى محرز والضمير
للخصايص بنظافة الشرع متعلق بتممها اى تمم ما فطر عليه من ذلك وما خصه به مما شرعه له
من النظافة الدينية كالوضوء واضافة النظافة للشرع لملابستها وكونها كسببه فهى لامية
قيل المراد انه جعل بعضا منها فى جبلته بحصوله فيها او باقتضا طبعه وعقله مما لم يعط لغيره
ثم امر بما لم يكن كذلك كالطهارة ووفقه لاتباعه على اكمل الوجوه فاتصف بالنظافة الكاملة
سوا كان الشرع شرعه او شرع من قبله ان قلنا باتباعه له مع انه صار شرعا له واما ما نسخ
فقد زال فما قيل من ان هذا انما يستقيم ان لم يكن متعبدا بشرع من قبله او المراد بالنظافة
عدم الاصر والاغلال تكلف من غير داع وبالجملة فشرعه صلى الله عليه وسلم كمل ما ينبغى
على الوجه الاكمل وخصال الفطرة العشر من عطف الخاص على العام والفطرة اصل معناها
فى اللغة الطبيعة والجبلة التى خلق عليها مركوزة فيه من فطر بمعنى خلق وفى فاطر السموات والارض
واصل معنى الفطر الشق كما قاله الراغب وفرها المحدثون هنا بالسنة واعترض عليهم ابن
الصلاح بانه لا يناسب المعنى اللغوى ووجه ذلك بعضهم بان مرادهم ان فى الكلام مضافا
مقدرا اى سنة الفطرة بمعنى صفة الناشية عن الفطرة السليمة ورد بانه وقع تفسيرها
بها فى صحيح البخارى والقول ما قالت حزام فلا عبرة بمن انكره من اللغويين كصاحب المغرب
اقول السنة الطريقة المالوفة المعتادة والانسان لا سيما الانبياء عليهم الصلوة والسلام
اغاية الفون ما تقتضيه فطرتهم السليمة المبنية على النظافة والنزاهة وما يعتاد مما تقتضيه
الطبيعة يلحق بها فلا بعد فى تسميته باسمها كما قالوا العادة طبيعة ثانية فالقول بانه لا مناسبة
بينهما غير صحيح والجواب المذكور اقناعى لا يجدى نفعا وللسيد هنا كلام لا محصل له ردناه تركه
خير من ذكره ورده واول من سن هذه السنن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكونها عشرا رواه
مسلم فى حديثه مرفوع عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك والاستنشاق بالماء
وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب نسيت
العاشرة الا ان تكون المضمضة وروى ابو داود المضمضة والختان بدل اعفا اللحية وقال المص
رحمه الله المنسبى الختان وروى ايضا فى الحديث الصحيح خمس من الفطرة فالحصر غير مقصود وان
كانت تزيد شيا فشيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن

سيد

امر بعشر

امر بعشر خصال ثم عدهن كما مر واشار بقوله من الفطرة الى انها غير منحصرة فيما ذكره وهن كلها ظاهرة
والسنة المراد بها الطريقة كما مر فيشمل السنة والواجب والختان سنة عند الاكثر فى حق الرجال
وهو قطع جلدة الكمرة وفى حق النساء مكرمة ويسمى خفاضا بكسر الخاء المعجمة والفاء والضاد
المعجمة وهو قطع جلدة من على الفرج على نقب البول وقطع ادنى شىء منه كاف واستحسن مالك
رحمه الله ختان الصبى من سبع الى عشر وكرهه فى اليوم السابع لانه عادة اليهود ولم يعين له
ابو حنيفة رحمه الله زمانا وقص الشارب وقيل حلقه احسن وتقصير اللحية حسن كما مر
وهيئته يقص ما زاد على القبضة ويؤخذ من طولها ايضا على ما ياتى واما حلقها فنهى عنه لانه
عادة المشركين واما السواك فسنة مطلقا وقيل انه سنة الوضوء وهو سنة للرجال دون
النساء لضعف اسنانهن فاقيم العلك لهن مقامه ويكره للرجال الا فى الخلوة لعذر
والمضمضة والاستنشاق من سنن الوضوء وانتقاص الماء هو الاستنجا ويكون واجبا وسنة
كما بينه الفقها وهو بالفاء والمهملة او المعجمة والمذكور فى اللغة انه بالقاف والمهملة
واما بالفاء فنضحه على الذكر وقد ورد الاستنقاص بقاف ومعجمة بمعنى الاستنجا قال فى المغرب
بالقاف والضاد غير المعجمة تصحيف وفيه ان رواية القاف هى المشهورة وقال الصاغانى انتقاص
الماء بالفاء والمهملة رشه على الذكر وقيل الانتقاص بالقاف تصحيف واشعر بان ما فى المغرب
تصحيف وقص الاظفار وتقليمها سنة وورد النهى عنه فى يوم الاربعا وانه يورث البرص
وحكى عن بعض العلما انه فعله فنهى عنه فقال لم يثبت هذا فلحقه البرص من ساعته فراى النبى
صلى الله عليه وسلم فى منامه فشكى اليه ما اصابه فقال له صلى الله عليه وسلم الم تسمع
نهيى عنه فقال لم يصح عندى فقال يكفيك انه سمع ثم مسح بدنه بيده الشريفة فذهب ما به
فتاب عن مخالفة ما سمع وغسل البراجم ازالة وسخها بالماء والبراجم عقد الاصابع
من ظهر الكف والرواجب عقدها من بطنها وهما بالجيم والواحدة وقال الحجانى البراجم
مفاصل الاصابع فعم ونتف شعر الابط معلوم ولا باس بحلقه وحلق العانة وهى ما حول الذكر
والفرج واذا قص اظفاره وحلق شعر ابطه او عانته او حجم او افتصد فينبغى دفن ظفره وشعره
لحديث ادفنوا الاظفار والشعر والدم فانه سنة فان القاه فلا باس به ولا يترك السبال
وان طال وفى الاحيا اختلف السلف فيما طال من اللحية فقيل يقص ما تحت القبضة وكرهه
الحسن وقتادة لحديث اعفوا اللحى اى اتركوها على حالها واصل خلقتها ورجحه النووى وما ورد
من انه عليه الصلوة والسلام كان ياخذ من طول لحيته وعرضها ضعيف لا يحتج به وان لم يحتج
بعضهم فهو مكروه واما المراة اذا انبت لها لحية وشارب وعنفقة فيستحب حلقها وقيل
لا ينبغى تغيير خلقتها اقول انه صح فى لفظ الانتقاص فى الحديث ثلاث روايات الاولى انتقاص
بفاء وضاد معجمة والثانية انتقاص بفاء وصاد مهملة والثالثة انتقاص بقاف وضاد معجمة
ومعناه الاستنجا او رش الفرج بالماء دفعا للوسواس وروى انتضاح فلا وجه لما فى المغرب
وتفصيله فى شرح الحديث واما تقليم الاظفار وكيفيته وتفصيله فقد افرده السيوطى رحمه الله

مطلب
وورد النهى عن قص الاظفار يوم الاربعا

مطلب
سنة دفن الظفر والشعر والدم للحديث

مطلب
اما المراة اذا نبت لها لحية وشارب وعنفقة
فيستحب حلقها

تعالى بالتأليف فلا حاجة للتطويل بذكره كما في بعض الشروح ويكره ترك العانة والاظفار اكثر
من اربعين يوما وقال ان كان معطوفا على تم فالمعنى قال الله لرسوله وان كان مستانفا او حالا بتقدير
قد فالمعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده انه وقع في نسخة صلى الله عليه وسلم بني الدين
على النظافة النظافة مصدر نظف وهي ضد الدنس وفي قوله بني الدين استعارة مكنية وتخييلية
بتشبيه الدين ببيت قائم على اعمدة او اساس حفظ لاهله وقيل انه تشبيه مضمر او منسي
الاداة والمراد النظافة الحسية من الحدث والخبث والدنس والمعنوية كالعقايد الفاسدة
والاخلاق الردية والنها وزنا لعبادة والمراد انه مما بني عليه فلا يعارض بني الاسلام على خمس
وقد اورده هذا الحديث في القنوت وفي الاحيا في كتاب العلم وقال الحافظ العراقي في تخريج احاديث
الاحيا لم اجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عايشة رضي الله عنها تنظفوا فان الاسلام
نظيف وللطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن ابن مسعود رضي الله عنه النظافة تدعو الى
الايمان انتهى وفي الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة وهو بعض حديث ذكره في كتاب الاستيذان
عن سعيد بن ابي وقاص احد العشرة رضي الله عنهم وقال انه حديث غريب في سنده خالد بن الياس
او اياس وهو ضعيف وقال السيوطي في تخريجه هنا بعد ما ساق كلام العراقي وقلت رواه
الترمذي عن سعد بن ابي وقاص مرفوعا ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا افنيتكم وروى
الرافعي في تاريخ قزوين بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله
بني الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف انتهى وبما ذكرناه من ان الحديث روي
من طرق متعددة يجبر ضعفه علم انه خرج من الضعف الى مرتبة الحسن ومعناه صحيح موافق
للشرع فلا يرد على المص ما قيل ان الحديث الضعيف لا يؤتى فيه بصيغة الجزم كقال النبي صلى الله
عليه وسلم ونحوه لانه يقتضي صحته والجزم به فيخرط في سلك من كذب علي وهو تساهل قبيح
فينبغي ان يقول قيل او روي ونحوه من صيغ التمريض واما اضمار صيغة التمريض او قصد معناها
اعتمادا على القرينة فلا يتاتى مع الجزم وبقية الكلام عليه مستوفاة في اصول الحديث فلا يلتفت
لما ذكره بعض الشراح هنا من الخرافات المزخرفة ثم ان اطلاق المص النظيف على الله في الحديث
السابق ولم يذكره احد في اسمائه تعالى كما قيل وقع للمشاكلة والمتقدمون يسمونها ازدواجا ايضا
فلا وجه للاعتراض عليه لتوهم انه الازدواج المذكور في بديع المفتاح فانه من قصور النظر
وقيل انه لا حاجة للمشاكلة فيه لانه بمعنى القدوس وكفى لثبوته هذا الحديث حدثنا سفيان بن العاصي
سفيان بتثليث السين والعاص بعين وصاد مهملتين وهو سفيان بن احمد بن العاص ابن سفيان بن
عيسى ابو بحر الاسدي ولد سنة تسع وثلاثين واربعين واربعمائة وتوفي بقرطبة لثلاث بقين
من جمادى الاخرة سنة عشرين وخمسمائة وفيها توفي ابن رشد وغير واحد تنبيه على انه رواه عن غيره
ايضا قالوا حدثنا احمد بن عمر هو ابو العباس احمد بن عمر بن انس العذري صاحب كتاب الاعلام
باعلام النبوة ولد ليلة السبت لاربع خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة
وتوفي سنة وسبعين واربعمائة بالمرية قال حدثنا ابو العباس الرازي نسبة الى الري بزيادة زاي

سيد

مطلب في اطلاق النظيف على الله

عن غيره

معجمة

معجمة في النسبة على خلاف القياس كما قالوا مروزي في النسبة لمرو وهو احمد ابن الحسين بن بندار الخرا
ساني قال حدثنا احمد الجلودي بضم الجيم وفتحها نسبة لجلود قرية ببغداد او الشام او محلة
نيسابور او افريقيه او لبيع الجلود وهو محمد بن عيسى بن عمرويه الشيخ الصالح كان على مذهب
سفيان الثوري قاله التلمساني ولا وهم فيه كما توهم وفي اسمه ونسبه اختلاف لا حاجة
لنا به وقال النووي الجلودي بضم الجيم وليس هو منسوب الى جلود بفتح الجيم قرية وهو قول
ابن السكيت وابن قتيبة ثم قال الجلودي بالفتح وان العوام يقولونه بالضم انما قد لا ه
في المنسوب الى القرية لا في هذا الجلودي راوي حديث مسلم وهذا الذي تسمحت عليه لاختلاف
فيه قال حدثنا ابن سفيان هو ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن سفيان بن محمد المروزي الفقيه
الزاهدي توفي سنة ثمان وثلاثمائة وكان زاهدا مجاب الدعوة روى عن مسلم صحيحه
قراة عليه الا ثلاث مواضع رواها اجازة او وجادة قال حدثنا مسلم ابن الحجاج
القشيري النيسابوري وظنا صاحب الكتاب المشهور الذي تلقته الامة بالقبول وشهرته
تغني عن تفصيل حاله توفي سنة احدى وستين ومائتين قال حدثنا قتيبة علم منقول
من مصغر القتبة وهي واحد الامعا وهو قتيبة بن سعيد بن حميد بن طريف بن عبد الله الثقفي
يكنى ابا رجا سمع من الليث ومالك وابن عيينة وغيرهم وتوفي سنة اربعين ومائتين
وولد ببلخ يوم الجمعة لست مضين من رجب سنة ثمان واربعين ومائة حدثنا جعفر بن سليمان
البصري الضبعي بالضم لنزوله في بني ضبيعة الزاهد الاي وهو كما في التقريب صدوق وان كان
يتشيع والاصح قبول رواية من يتشيع ان لم يكن متعصبا ولا داعيا عن ثابت البصري ابو محمد بن اسلم
قال الذهبي وهو ثقة كان من اعبد اهل زمانه وكان يلبس الثياب الثمينة عن انس بن مالك الصحابي
السابق ذكره وترجمته رضي الله تعالى عنه قال ما شممت عنبرا شممت بكسر الميم وفتحها من باب
علم ونصر والعنبر طيب معروف طاهر بلا كلام وقال الماوردي اكثر العلماء على طهارته وفيه
اشعار بان فيه خلافا والصحيح انه شمع عسل ببلاد الهند يجمد وينزل للبحر ويخله برعاه من الزهود
الطيبة فيكتسب طيبه منها وليس نباتا ولا روث دابة بحرية واجوده الابيض وما قرب الى البياض
والاسود منه غير مرغوب فيه وفي النسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم تطيب به قط بفتح
القاف وتشديد الطاء المضمومة المبنية وفيه لغات ذكرها النحاة واصل معناه ما انقطع
من الزمان اي مضى ولذا اختص بالماضي المنفي في الاشهر وذكر ابن مالك رحمه الله انه اكثري وانه
سمع في المثبت في احاديث عدة واما استعماله في المستقبل فقال في الدرة انه لحن وفيه كلام لنا
في شرح الدرة وقيل معناه الدهر والابد وفيه نظر ولا مسكا هو طيب معروف وهو في الاصل دم
يتجمد عند سرة بعض الظباء في زمن معين بناحية من اقصى بلاد الترك تسمى تبت بمثناتين فوقانيتين
اولاهما مضمومة بينهما موحدة مشددة بزنة سكر والصحيح انه طاهر وان كان دما لاستحالته
كخل الخمر وقيل انه خصهما لانهما اشرف الطيب واشهره وقدم الاعز الاشرف منهما وعم بقوله
ولا شيئا وان علم حال غيرهما منهما بالطريق الاولى يشمل الشيء غيرهما من كل ذي ريح طيبة مفردا

كالورد والنرجس او مركبا كالغالية وقد يكون المركب اطيب رايحة والمراد ما شممت رايحة عنبر اطيب
مع ان العرب تجعل اذا الريح نفسه مشموما من غير تجوز فيه عرفا وكذا كانت رايحته صلى الله عليه وسلم
مستطيبا او لا حتى انهم كانوا اذا في بعض ازقة المدينة علم مروره صلى الله عليه وسلم به برايحته
وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه في موضعين احدهما كما ذكره المص رحمه الله فمن قال الذى
في مسلم عن ثابت رضى الله عنه ما شممت عنبرا ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيئا الين مسا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزيادة قط في كلام المص بعد العنبر ليست في محلها او هو رواية بالمعنى فقصر
على احد الموضعين والعنبر بالنون والموحدة وكونه بياء موحدة ومثناة تحتية وهو اخره
طيب مخصوصة تصحيف قراءة قيل انه برق على حد ما مر في قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم
والمعروف انه يبتداء فيقول عطيته درهما ودينارا وما اعطيته دينارا ولا درهما ولو قدم
نفي الدرهم على نفي الدينار بالطريق الاولى الا انه قد يراعى الترتيب الوجودى اقول هذا هو المشهور
وهي قاعدة كلية الا ان التحقيق فيها انه ان ذكر في الكلام ادنى واعلا وقصد اثباتهما في نفسهما
من غير اثبات شيء اخر لهما فالامر كما ذكر فان اضيفا الى ذلك شيء وقيد اخر فالترقى والتدلى بحسب
لا بالنظر لذلك كما في الاية فان المنفي فيها الاخذ وهو بمعنى الغلبة وغلبة السنة دون غلبة
النوم فاذا قيل لا تغلبه السنة يتوهم ان النوم الاقوى قد يغلبه فنفى غلبته وهذا ترتيب
مفيد بقطع النظر عن الترتيب الوجودى فان لم ينظر لهما بل اريد بنفيهما التعميم فلك البداءة
بايهما شئت فتقول لا صغيرا ولا كبيرا ولا صغيرا كما فصله في المثل السائر وبيناه في حواشي
القاضي وهذا هو المقصود هنا فان المراد انه لا طيب كطيبه صلى الله عليه وسلم مع ان طيب
العنبر دون طيب المسك كما قالوا ليس الطيب الا المسك وعزته وكونه اعلى منه لا دخل له
فيما نحن فيه ثم انه وصفه صلى الله عليه وسلم بلين الملمس لا ينافي ما ورد كما سيأتي من انه صلى الله
كان شثن الكفين والقدمين فان المراد غلظ جلدهما وعظمهما لانه اقوى له ولا ينافي ذلك ملاسته
فان فسر بغلظ في خشونة فاما ان يخص بهما ولين الملمس في غير ذلك من جسده الشريف وهذا
بالنسبة لاصل الخلقة وذلك لمزاولة الاعمال والاسفار كما مر والاول اصح اطيب من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا مثله ولا قريب منه كما مر من ان نفي الافضلية يقصد بها وجوده فلا
ان نفي الشم لا يدل على ان نفي الاطيبية وهو المقصود على انه قد يراد بنفي العلم ونفي الوجدان نفي
المعلوم والموجود والمراد رايحته صلى الله عليه وسلم الذاتية لا المكتسبة لانها لا مدح
فيها بل لا يصح ارادة المكتسبة لا وحدها لان المكتسب منه مثله ولا مع رايحته الذاتية
لان المركب ليس مثل ريحه صلى الله عليه وسلم فتأمل تنبيه قد عرفت ما اعترض به على المص
من انه غير الحديث وجوابه وعلى هذا قيل انه اختصر الحديث وقد اختلف في جوازه والصحيح جوازه
ان لم يكن المذكور يتوقف فهم معناه على ما قبله بحيث يختل المعنى كالشرط والاستثناء وما فيه
ضمير راجع لمعنى ولم يكن قرينة معينة واما النقل بالمعنى فممنوع لمن لم يكن عالما بالعربية ودقايقها

فان علم

فان علم بذلك جاز على الصحيح وفي جامع الاصول له تفصيل ولعل هذا كله في غير الامثال وما جرى
180 مجراها نحو اخوك البكرى ومن اعدى الاول وله تفصيل في ابن الصلاح وشروحه وعن جابر بن
سمرة بضم الميم وقد تقدمت ترجمته رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم مسح خده هذا
الحديث اخرجه مسلم ايضا واقتصر المص رحمه الله على بعضه لمناسبته للفصل بناء على
جواز الاختصار في الحديث كما مر واما مسح الخد فانما ذكره توطية لما بعده وكان من عادته
صلى الله عليه وسلم مسح وجوه الاطفال تانيسا لهم وتطيبا للقلوب والدايهم وشفقة
عليهم فان احصاره عنده تيمنا وتبركا به صلى الله عليه وسلم مشهور واول الحديث صليت
مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدى احدهم
واحدا واحدا واما انا فمسح خدى فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا في مسلم
او ريحا بالواو وبدلا لو او للانمة وكثيرا ما يوجدونها قيل ولعله رواية فيه والتقدير وقال جابر
قال اى جابر فوجدت اى احست ليده اى كفه وما قاربها بردا وفي صحيح البخارى فاذا هي ابرد من الثلج
وهذا يدل على ان البرد على حقيقته وانه ليس بعارض لمسرتها ونحوه وقد قيل انه عند العرب ممدوح
لا سيما في الزمن الحار ولا بعد في عده من خصايصه صلى الله عليه وسلم مع كمال الحرارة
الغريزية وقيل انه عبارة عن لين كفه ورطوبته والاقرب انه بمعنى الراحة واللذة والطيب
وقد فسر قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا براحة لاشتهاره بهذا المعنى كما قال ابتسمت بالرخى
مواعده فقلت يا بردها على كبدى وفي النهاية كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش
والغنيمة الباردة الهنية واللام للاختصاص والجار والمجرور حال من النكرة التى كانت
صفة لها قبل تقدمها لا ولم قال اذا كان البرد بمعنى الراحة يكون من باب وجدت للمريض راحة
فيكون المعنى ذو الراحة بيده ان المريض كذلك لانا نقول اللام تعليلية اى وجدت راحة
لاجل وضع يده فان كان على ظاهره فمعنى اختصاصيت وريحا كانما اخرجها الى اليد لانها سونة
سماعية من جونة عطار الجونة بضم الجيم وسكون الهمزة ويقال بالواو ساكنة يليها نون وهاء
تانيث وهي شبه صندوق صغير مغشى بادم وزند مستديرة يضع فيه العطار عطره
واختلفوا هل الواو صلية بتبدل همزة بضم ما قبلها كما قالوا في موسى موسى تنزيلا لضم
ما قبله منزلة ضمها والهمزة اصل ابدلت واوا على القياس كما قرى يؤمنون وكان اداة تشبيه
وما كافة وهل هي مركبة او بسيطة خلاف مشهور اى كان ريحها ريح ما اخرج من جونة
العطار مضمخا بالعطر وبالجملة صفة ريحا او مستانفة وعطار للنسبة كجمار للمبالغة
وهو بايع العطر وهو كل ما طابت رايحته وفي البخارى عن ابي جحيفة رضى الله عنه خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في الابطح فتوضا ثم صلى الظهر ركعتين والعصر
ركعتين وبين يديه عنزة يمر المار من ورائها وقام فجعل الناس ياخذون يده الشريفة
فيمسحون بها وجوههم فاخذت بيده الشريفة فوضعتها على وجهي فاذا هي ابرد من الثلج
واطيب رايحة من المسك وهذا ظاهر في ان البرد حقيقي وان برده لمسه الماء ان كانت

الواقعتين واحدة او هو ما ذكرنا مر ووضع اليد المذكورة من حسن اخلاقه عليه الصلاة
والسلام وتواضعه للصغير والكبير وورد في حديث رواه ابن لحماد عن انس رضي الله عنه
انظهور نفحات الطيب منه صلى الله عليه وسلم ظهر بعد الاسرا وهو ظاهر لانه طيب العنصر
لكنه لما اتصل بالملأ الاعلى والجنان وهبت عليه نفحات القدس ازداد طيبا وكان له صلى الله
عليه وسلم طيب لا يشبه طيبا الدنيا فله طيب ذاتي وطيب مكتسب من العالم الاقدس لا يفارقه
وهو اطيب الطيب ولا ينافيه حديث حبب الي من دنياكم الطيب كما مر ياتي لان الطيبات
للطيبين ولذا يد قابل للزيادة وعن غيره اي روى عن غير جابر بن سمرة وفي نسخة وقال غيره وفي بعضها
قال بدون عاطف وهذا الحديث رواه البيهقي وابو نعيم بسند فيه ضعف وفي لفظه اختلاف
فلذا ابهمه مسها بطيب ولم يمسها المس للمس متقاربان الا ان المس يقال لما معه ادراك بحاسة
السمع واللمس ادراك بظاهر البشرة ويتجوز به عن المطلب ومنه الالتماس وضمير مسها للكف
واليد وفيه قلب اذ الظاهر مس بها طيبا او لم يمس واول الحديث فكانه كفه كف عطار ولما كان
قوله كانما اخرجها من جونة عطار بمعناه اكتفى به عن سياق اول الحديث فلا حذف فيه وليس
متعلقا بما بعده ولا اختصار فيه كما توهم وانما هو رواية بالمعنى وهذا اشارة الى ان طيبه صلى الله
عليه وسلم ذاتي والقول بان الكلام في الخلق فلا حاجة لهذا لعوم الكلام يصافح اي يمس النبي
صلى الله عليه وسلم بصفحة يده المصافح مفعوله وهو بضم الفا اسم مفعول وهو من يريد مصافحته
فانها سنة عند الملاقات وفي رواية يصافحه المصافح بكسر الفا والرفع على انه فاعل والمصافحة
مفاعله بمعنى جعل كل من المتصافحين يده على يد الاخر وفي النهاية انها الصاق صفح الكف بالكف عند
الملاقاة وفي معناه قول التلمساني وضع باطن الكف على باطن الكف مع ملازمة على قدر ما يقع
منه من سلام اوكلام او عرض واختطاف اليد وتقبيلها وضمها مكروه وقد يشد كل واحد يد
صاحبه وقيل لا ينبغي فعله وهي بعد الصلاة بدعة عندنا والاصح انها مباحة لما فيها من الايناس
الى انه كان قدوم من غيبته لانه كان عند ربه يناجيه فافهم فيظل يومه يظل بفتح الظاء مثالة
مضارع ظللت بكسرها وظللت بفتحها ويقال ظلت بحذف احدى اللامين قال الراغب يعبر به
عما يفعل بالنهار مجرى صرت قال تعالى ظلت عليه عاكفا فهو فعل ناقص لثبوت الخبر في جميع
النهار كما قاله الرضي لانه لوقت فيه ظل الشمس من الصباح للمسا او من الطلوع للغروب فاذا
كانت بمعنى صار عمت النهار وغيره وكذا اذا كانت تامة بمعنى الدوام وقوله في القاموس يظل
نهاره يفعل كذا وليله يسمع في الشعر لا وجه له ويومه منصوب على الظرفية ولا توكيد فيه
ولا تجريد لا يسامح دلالته على الاستغراق يجد ريحها اي يجد المصافح من طيب يده وامنا فة
ريحها للعهد اي ريحها الطيبة طيبا خلقيا خصه الله به مكرمة ومعجزة له صلى الله عليه وسلم
ويضع يده على راس الصبي فيعرف ويمتنى لما لم يسم فاعلم من بين الصبيان بريحها هذا بعض من حديث
طويل رواه ابو نعيم والبيهقي مسندا عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبل الذراعين والعضدين طويل الزندين سبط العصب شثن الكفين رحب

الذيذ بالفتح والسكون
ويقال بكسر اولان
مفصل اختري

الرائحة

الراحة سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة وكانت كفه الين من الحرير وكان كفه كف
عطار مسها بطيب ولم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعهما على راس الصبي
فيعرف من بين الصبيان انه صلى الله عليه وسلم مسح على راسه والمخرج رحمه الله ظن هذا حديثا
مستقلا فنص له وليس المراد بالصبي معينا والمراد بريحها رائحتها التي حصلت بمسه والبا للسببية
والمراد انه يعرف بان النبي صلى الله عليه وسلم مسه فيميز من بينهم وفي نسخة لريحها باللام التعليلية
والمعنى واحد وفي رواية من ريحها وذلك اما في يومه كما مر فيوكد او انه يستمر مدة طويلة والمضارع
في موضع الماضي لنكتة المشهورة ثم انه ذكر بعضا من حديث رواه مسلم واقتصر منه على ما يناسب
المقام اختصارا فقال ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس بن مالك الصحابي
رضي الله عنه السابق ذكره على نطع له وكان النطع لامه رضي الله عنها قيل والاضافة لادنى
ملابسة لان الدار كانت لامه كما في صحيح مسلم ولا خلاف فيه لانه كان ساكنا معها ولانه لو قال
دار ام انس احتمل ان يكون كينة لغيرها فلا تعلم الجانبية بالقارورة مع ما في هنا من الدلالة
عن رواية انس رضي الله عنه الحديث بغير واسطة فعرق صلى الله عليه وسلم فجاءت امه وهي
ام سليم رضي الله عنه وهي ام انس بلا خلاف وقول الغزالي وغيره انها حدته غلط بالاتفاق
توفيت في خلافة عثمان رضي الله عنه وهي اخت ام حرام بنت ملحان الصحابية المدفونة
بجزيرة قبرس سيدة الشهداء من النسا وهي التي روت حديث غزاة البحر عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مشهور وهذا الحديث في صحيح مسلم عن ثابت عن انس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق فجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الذي تصنعين يا ام سليم قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا
وهو اطيب الطيب وله روايات من وجوه اخر فيها انه كان كثيرا ما يقيل في بيتها وينام على فراشها
وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه صلى الله عليه وسلم من وجهه الشريف ومن نطعها وتعصره
في قارورة لها وفي رواية انها قالت نرجو بركته لصبياننا وكانت تجعله في سك لها وهو بضم السين
المهملة وتشديد الكاف طيب معروف مركب مع غيره وكانت تبسط للنبي صلى الله عليه وسلم نطعا
من ادم فيقيل عليه عندها كما مر وروي في الوفا انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل بيتها فينام
على فراشها وليست فيه فاتيت فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم على فراشك فجاءت
وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة ادم ففتحت عتيدتها وجعلت تنشف ذلك العرق وتعصره
ولخزنت من عرقه وشعره فجعلته قارورة فلما حضر انس رضي الله عنه الوفاة اوصى ان يجعل
في حنوطه من ذلك وقد استشكل ذكر الشعر فيه والواقع في سائر الاحاديث العرق فقط واجيب
بانه ورد انه صلى الله عليه وسلم لما حلق راسه اخذ ابو طلحة رضي الله عنه شعره واتى به ام سليم
فجعلته في سكها فالمعنى انها كانت تضيف بعد ذلك ما اخذته من العرق للقارورة التي فيها الشعر
ثم ان نوم النبي صلى الله عليه وسلم عندها وعند اختها ام حرام استشكل بانه صلى الله عليه
وسلم نهى عن خلوة الرجل بغير ذي محرم وهو يقتدى بفعله فلا يدفعه كونه معصوما واجاب

مطلب
نوم النبي صلى الله عليه
عند ام سليم واختها

ابن عبد البر وغيره بانهما كانتا خالتاه من الرضاع فهما محرماه فلهذا كان صلى الله عليه وسلم
ينام عندهما ويخلو بهما ويفليان رأسه الشريف وقيل هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم
لملكه اربه وليس هذا قبل نزول اية الحجاب كما توهم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يخل بهما لان عنده
خادما ونحوه غير مسلم بقارورة يجمع فيها عرق صلى الله عليه وسلم تقدم الحديث وان ام سليم
رضي الله عنها لم تكن في بيتها لما جا صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله فجات وقد وقع فيه
بدل القارورة ففتحت عتيدتها ولا منافاة بينهما ولا حاجة لجمع بتعدد القصة لانه صلى الله
عليه وسلم كان يجيئها للقيلولة عندها لان العتيدة الصندوق الذي فيه القارورة وهي انا
من زجاج يوضع فيه الطيب ونحو وقد يطلق على غير الزجاج وجملته يجمع صفة قارورة او مستانفة
لا حال لتكلفه ومن فسر العتيدة بالحقة جنح لتعدد الواقعات ولا بعد فيه فسالها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما في صحيح مسلم انه قال لها ما هذا الذي تصنعين وفي رواية ما هذا
وفي اخرى ما تصنعي والسؤال ليعلم غرضها وقصدها بفعلها اما حقيقته او ليظهره لغيرها
فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وفي رواية لطيبنا اي نخلط كما روي اذوق اي اخلط وتقدم
روايته بركته لطيبيانا والواقعة متعددة اجيب في كل منهما بجواب فان كانت واحدة فهو
من تصرف الراوي وروايته بالمعنى والمال واحد وقد قال لها النبي صلى الله عليه وسلم اصبت
وهو اي عرقه صلى الله عليه وسلم من اطيب الطيب قيل يحتمل ان يكون ذلك من مقولها ويحتمل
غير ذلك والواقع الاول ووقع في مسلم اطيب بدون من وهي اولى فان كان الضمير للمخلوط
من عرقه وغيره فظاهر لان خالص عرقه اطيب منه ولا شك في طيبه واطيبيته كما ما شممت
عنبرا ولا مسكا اطيب فليس خلطه بالطيب لتطيبه او للتبرك فقط كما توهم فان قلت اذا كان
اطيب الطيب فلم خلط بالطيب قلت لان ما اجتمع من عرقه صلى الله عليه وسلم ليس كثيرا يكفي
لطيبهم فخلط بكثير منه ليكون كثيرا وذكر البخاري رحمه الله امام اهل السنة السابق ذكره
في تاريخه الكبير وهو تاريخ ذكر فيه رواة الحديث واحوالهم وليس كغيره من التواريخ كما توهم
بل كتاب من كتب الحديث معنى ورواه ايضا الدارمي والبيهقي بالمعنى عن جابر بن عبد الله الصحابي
رضي الله عنه الجليل الانصاري شهد المشاهد الا بدرا واستغفر له النبي صلى الله عليه وسلم
خمسا وعشرين مرة لما قضى دين ابيه وهو اخر صحابي مات بالمدينة سنة سبعين وشيء وروى الفا
وخمسمائة حديث لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق وفي رواية البزار وابي يعلى بسند
جيد عن انس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجد منه
رايحة المسك فيقال مر النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الطريق فيتبعه بالرفع احد اي ياتي
بعد ذهابه منه لا يمشي تابعا له والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لا للطريق كما قيل ان معناه
يتبع الطريق ويدل عليه قوله الا عرف انه سلكه وذكر ضمير الطريق وهي مؤنثة لشرفها بمروره
كما قيل عليك بارباب الصدور فمن غدا مضافا لارباب الصدور تصدرا والمراد علوق
تلك الرايحة بالمكان الذي يمر عليه الصلاة والسلام فيه وهو توهم لا يساعده اللفظ لان نفي

ويتبع

ويتبع بكسر العين او بالتشديد ويجوز فيه النصب والمراد انه يمشي بعده بزمان قليل فالفا للتعقيب
والقول بان الفا للعدم المهملة عرفا وحكما بقرينة الحال لا وجه له وقوله احد فاعل تبع على حال
من الاحوال الا على حال لانه عرفا اي النبي صلى الله عليه وسلم سلكه اي دخله ومر فيه والضمير
للطريق فانه يذكر ويؤنث فلا حاجة لتاويله كما توهم من طيبه اي عرق الطريق بمروره صلى الله
عليه وسلم به او من اجل طيبا لطريق برايحته الطيبة المخصوصة به الباقية به وهذا لا
يكون الا منه صلى الله عليه وسلم وذكر اسحاق بن راهويه هو ابو يعقوب المروزي الامام
الزاهد الثقة المجتهد امير المؤمنين في الحديث كما قال له ابن حنبل رحمه الله وهو الذي احيى
السنة بالمشرق ما سمع شيئا الا حفظه وما حفظ شيئا فنسيه قال كاني انظر
الى مائة الف حديث في كتبي وثلاثين الف حديث اسردها وراهويه لقب ابيه ابراهيم بن مخلد
التميمي الحنظلي لقب به لانه ولد بطريق مكة وراه بالفارسية معناه الطريق وهو بالهاء والواو
المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والهاء المكسورة في المشهور ويقال بضم الهاء وسكون
الواو وتحتانية مفتوحة كنفطويه وهو احب عند المحدثين واخره هاء والتا خطاب
في بعض النسخ من التا المفتوحة على انه ممنوع من الصرف خطا ان تلك الرايحة التي كانت
تشم منه وتبقى في الطريق كانت رايحته الذاتية المدركة منه صلى الله عليه وسلم بلا طيب
يمسه ويتطيب منه من خارج صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ما يدل عليه من الاحاديث
ثم قيل انه لم يظهر من رواه والظاهر ثبوته عندهم من قلة التتبع ولا ينافيه كونه صلى الله
عليه وسلم كان يستعمل الطيب ويحبه لانه لتكثيره والمبالغة فيه كما مر وروى المزني بالضم
ثم فتح نسبة لمزينة قبيلة مشهورة وهو ابو ابراهيم ابن اسماعيل بن يحيى بن اسمعيل المزني المصري
الزاهد كان مجاب الدعوة وقال الشافعي رضي الله عنه فيه لو ناظر الشيطان لغلبه وله
تصانيف مشهورة ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفي لست بقين من رمضان سنة اربع
وستين ومايتين ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الشافعي والحربي هو في بعض النسخ وهو ابراهيم بن
اسحق الحربي الحنبلي نسبة الى الحربية محلة من بغداد وهي تنسب لحرب بن عبد الله صاحب
المنصور مات سنة سبع ومائة عن جابر بن عبد الله السابق فقد قيل انه المراد اذا اطلق
وهنا ما وقع في بعض النسخ وكانه من الحاقه بالاصل قال اردفني النبي صلى الله عليه
وسلم اي اركبني خلفه اي وراء ظهره وهو راكب يقال ردفه وردفه ويقال اردفه اعم
فعلى هذا ذلك قوله خلفه لدفع توهم المعنى الاعم او تاكيد وفي الصحاح الردف الراكب
خلف غيره قال البرهان الحلبي جمع الحفاظ ارداف النبي صلى الله عليه وسلم فبلغوا نيفا
وثلثين ولم يذكر فيهم جابر وقال الشمني جمع بعضهم من اردفه النبي صلى الله عليه وسلم
على فرس او غيره فبلغوا نيفا واربعين وما ذكره من التاليف لم تقف عليه والذي عده
ممن ردفه صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد اردفه في مرجعه من عرفة على كافة والصديق
رضي الله عنه في الهجرة وعثمان رضي الله عنه في قدومه من بدر وعلي رضي الله عنه في حجة الوداع

وعبد الله بن جعفر وقثم وعبد الله بن عباس واخواه عبيد الله والفضل في نزوله من مزدلفة والحسن
والحسين ومعاوية ومعاذ بن جبل على حمار عفير وابو ذر وزيد بن حارثة وثابت بن الضحاك
والشريد ابن سويد وسلمة بن الاكوع وزيد بن سهل وسهل بن بيضا وعلي بن العاص وعبد الله بن
الزبير وغلام من بني عبد المطلب واسامة ابن عمير وصفية بنت حيي وابو الدردا وامية الغفاري
وابو قاسم وابو هريرة وقيس بن سعد واخوات ابن جبير وجبريل عليه الصلوة والسلام على
البراق في الاسراء والعباس وصفية الجهنية وعقبة بن عامر واخرون ولعل النوبة تقتضي لذكرهم
على التفصيل فالنتمت خاتم النبوة بفتح الا لتقام اخذ الشيء سمي الطريق سراطا ولقماكانه يبتلع
السابلة وخاتم بفتح التا وكسرها وسياتي تفصيله وقوله بفمي تاكيد لدفع توهم المجاز لانه يقال
القمه ركبته وفي العبارة ما يقتضي انه خاتم النبوة كان نايتا مرتجا حتى تمكن من التقله وهو
بين كتفيه وفيه روايات تخفيل كان كازر الحجل وقيل كبيضة الحمامة او التفاحة او الجمع بضم
الجيم وسكون الميم وهو ضم الاصابع للكف يقال ضربه بجمع كفه وقيل كركبة العنز وقيل
كزر الحجلة وعلى هذه الروايات يمكن التقامه وروى عن ابي سعيد الخدري انه بضعة ناشزة
هكذا ووضع طرف سبابته على مفصل ابهامه او دونه بقليل واما على رواية انه شامة
خضرا محتفرة في اللحم ان صحت فالتقام متجاز عن احفائه بوضع فمه عليه وزر الحجلة بيضة
طاير معروف وقيل ان الحجلة حكمة السرير التي يسميها العامة الناموسية وزرها ما يدخل
في عروتها وصححه في الروض الانف وقال تفسير الترمذي له ببيضة الطاير وهم وقال البخاري
انما هو على مذازر بتقديم المهملة على المعجمة ومعناه البيض ومنه زر الجراد لبيضه وكان
الخطابي الذي فسر به وجده في رواية وتفسير الحجلة ببياض بين عيني الفرس لا وجه له فان كان
مجازا عن التحجيل فبعيد جدا قال ووضع هذا الخاتم هل هو من ابتدا خلقه او بعد ما ولد او بعد
ما نبي وروى ابن ابي الدنيا عن ابي ذر رضي الله عنه مرفوعا انه قال قلت يا رسول الله كيف علمت
انك نبي واستيقنت قال يا ابا ذر اتاني ملكان وانا ببطحا مكة فوقع احدهما بالارض بين السما
والارض فاخرج قلبي واذال منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما وخلط بطني وجعل الخاتم
بين كتفي كما هو الان وولياعني فكاني اعاين الامر معاينة وفيه بيان لوقت الوضع وكيفيته الا انه
قيل ان قوله ببطحا مكة وهم من الراوي لان ذلك كان في بني سعد وهو مع حليمة كما سياتي وقول
المص رحمه الله انه اثر الشق بين كتفيه موافق لهذا الحديث سواء قرئ اثر بفتحتين او بكسر فسكون
اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلانه لما وقع بعده وبسببه جعل اثرا له فقول النووي
رحمه الله انه باطل لان الشق انما كان في صدره وبطنه وكذا قال القرطبي انه بلغ بالشق
حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت كان مستطيلا بين كتفيه في محاذاة صدره فالامر فيه غفلة منه
انتهى غير متجه وكذا قال ابن حجر في شرح البخاري وذكر انه مروي من طرق اخر فالوهم انما هو
في فهم كلامه قال وهذا اصح مما قيل انه ولد به وظاهر كلامهم انه مختص به صلى الله
عليه وسلم وفي كتاب القيافة انه موجود في كل نبي وانه من علامات النبوة وكان اهل الكتاب

يعرفونه صلى الله عليه وسلم به وقال البرهان الحلبي لا استحضر فيه شيئا والذي يظهر انه
من خصايصه صلى الله عليه وسلم لانه اشارة الى انه خاتم النبيين ومارواه ابن حبان
من انه كبيضة النعامة نسب فيه الى الوهم والصواب الحمامة وقيل انه شامة سودا او خضراء
مكتوب عليها محمد رسول الله او سر فانك المنصور او الله وحده لا شريك له ونحوه ولم يثبت
فيه ما يعتد به وفي رواية كسلعة او غدة او بندقة عند غضروف كتفه اليسرى ورفع عند موته
صلى الله عليه وسلم وانما وضع هنالك لان الشيطان اذا وسوس وضع خرطومه ثمه وهذاه
بعضهم في صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة ادخله في منكبه اليسرى الى قلبه ووسوس له
فاذا ذكر الله خنس وقوله كان ينم على مسكا اسم كان المستتر ضمير الخاتم وينم من قولهم نمت الريح
اذا جلبت الرايحة وهي استعارة لطيفة شايقة وقد استعير نمام للريحان نماما لطيب رايحته
وهي استعارة لطيفة شايعة وقد استعير نمام للريحان ثم للعذار كما قال بعض المولدين
لا افتضاحي في عوارضه سبب والناس لوام كيف يخفى ما اكابده والذي اهواه نمام
وينم روي بضم النون وكسرها وعن الذي الكسر في اللازم والضم في المتعدي وفي القاموس نم
المسك منقطع والمتعدي بمعنى ينقل او يحكي واللازم بمعنى يظهر ومسكا تمييز محول عن الفاعل
ومن قال محول عن المفعول فقد وهم وروي ينج بضم المثلثة وتشديد الجيم وكسر التالا بالفتح كما
قيل وهو متعد لازم والضمير فيه للخاتم او الفم اي تندفع رايحته مرة بعد مرة من ثج الماء وهو
خروجه متدفقا بسرعته قال الحجاني وفي بعض النسخ بكسر المثلثة والجيم اي يسيل والذي
في الصحاح انه بالضم لا غير فانه متعد من الثج بمعنى التسيل اي كانه يسيل منه المسك فمسكا
منصوب تمييزا ومفعول به وحكى بعض المحسنين باخباره اي المتميلين بنقل اخباره واحواله
صلى الله عليه وسلم وشمايله اخلاقه وصفاته اعتناء تتبع وعلم واعلام وهو البيهقي
عن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتغوط اي ياتي الغايط وهو
المكان المنخفض من الارض على عادتهم في البراز لانه استر كقوله تعالى او جاء احد منكم من الغايط
ثم كني به عما يقع فيه ومنه الحايط للبستان ويقال الغيط للفرق بينه وبين غيره انشقت
الارض وابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك المذكور من البول والغايط رايحة طيبة
وهذا الحديث قد علمت انه رواه البيهقي عن عايشة رضي الله عنها ولكنها قالت انه موضوع
ولم تبينه لك واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي الامام الكبير الحافظ الثقة وهو ابو عبد الله
محمد مولى بني هاشم صاحب الطبقات مات سنة ثلاث ومايتين والواقدي محمد بن عمر بن واقد قاضي
العراق مات في ذي الحجة سنة احدى عشرة ومايتين في عنها اي في ان الارض كانت تبلع ما يخرج
منه صلى الله عليه وسلم ويفوح له رايحة طيبة خبرا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء بالمد اي المكان الخالي البعيد عن البيوت لانهم كانوا
قبل وضع المراحيض فيها ياتونه لقضاء الحاجة ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ثم صار
عرفا اسما للبنا المعد لذلك فلا نرى منك شيئا من الاذى بالذال المعجمة والقصر اصله ما يضر

جمع مرحض بفتح الكيف

ثم اريد به هنا من شانه ان يكره فالمراد به هنا الغائط فقال لها يا عايشة اوما علمت ان الارض
تبتلع ما يخرج من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلا يرى منه شيء تبتلع تفعيل من البلع
في النسخة التي عندنا وضبطه التلمساني تبلع من بلع يبلع كعلم يعلم واصل البلع ادخال الطعام
والشراب في الحنجرة والمرئ فاستعير لمطلق الاخفا كما في قوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك وقوله فلا يرى
منه شيء تفسير للمراد من البلع وتاكيدا وبيان لحكمة فليس بمستدرك كما توهم واخفاؤه مع طيبه
وعدم استقذاره قيل انه لعدم الاذكار بمحله الخارج منه او لتبرك الارض به والظاهر انه
لانه ينبغي ستره لانه من المروة ولانه يخشى من اخذ الناس له وهذا الحديث وفي نسخة الخبر
وان لم يكن مشهورا قال ابن دحية سنده ثابت وهو اقوى ما في هذا الباب فلذا نفى المص رحمه الله
عنه الشهرة دون الصحة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا يلزم من نفي الصحة فقد قال قوم بطهارة
الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي المراد بالحدثين الخارجين كناية للتنزه
من ذكر ما يستهجن وظاهر ان القول بالطهارة مبني على هذين الحديثين فكانه من وضعهما بالطيب
واما ابتلاع الارض فلا يدل عليه بل على خلافه وتحقيقه ما في الخصايص للخيضري وهو كتاب له مفيد
في بابه مثله كما مر قال الرافعي في كتاب الطهارة لما تكلم على نجاسة الفضلات وهل هي كذلك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهان فقيل لا لان ابا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله عليه
وسلم ولم ينكر عليه وام ايمن شربت بوله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليها وقال اذا لا تلج النار
بطنك ويروى شرب علي كرم الله وجهه وابن الزبير رضي الله عنهما الدم وقال معظم الاصحاب حكمها
منه صلى الله عليه وسلم كحكم غيرها وحمل الاخبار على التداوي وروي انه قال للحجام لا تعد فان الدم
كله حرام اي على ما ياتي وقال النووي رحمه الله حديث شرب البول صحيح حسن وذلك كاف في الاحتجاج
اذ لم ينكر عليها ولا امرها بغسل فمها ولا نهاها عن العود لمثله وقال القاضي حسين الاصح القول بطهارة
الجميع واختاره كثير من المتاخرين وجواب التداوي يرده لن يجعل الله شفاء امتي فيما حرم عليها ولما
فيه غسل الملكين لجوفه وتطهيره ولا خلاف في طهارة شعره والاحاديث في هذا الباب كشرب ابن

مطلب
في طهارة ما يخرج منه صلى الله عليه وسلم

الزبير دمه وشرب ام ايمن بوله الذي كان في قدح تحت سريره يبول فيه بالليل كثيرة فان قلت ما الحاجة
لوضع هذا القدح والارض تبتلعه فلا يرى له اثر قلت لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره الخروج
ليلا من بيته وبيته مصلى نافلته ومحل نزول الوحي والملائكة فلا يليق ان يمس باطنه وظاهره شيء
من الفضلات ولو كانت طاهرة تعظيما للعبادة ربه وتادبا الا ترى الى قول القائل من عظم الناس
عظموه وفاز بالعز والرياسة ومن دريهم لو كان مسكا لقيل في اصله نجاسة
واما التداوي بالحرام كالخمر فقيل يجوز اذا اخبر ثقة بنفعه ولم يجدوا غيره وقيل لا يجوز لحديث
لن يجعل الله شفا امتي فيما حرم عليها وقيل انه لا يتاباه لانه يكون حلالا له غير محرم عليه وقيل
ان الله اذا حرم شيئا ابطل نفعه وكون علي كرم الله وجهه شرب دمه لم يثبت كما اشار الدميري
في منظومته في الفقه بقوله غريبة فضلة سيد البشر طاهرة على خلاف انتشر وابن الزبير بدم
الهادي البشير نال الذي رام كما له اشير وهو الذي خص ببول الناس وهم يوبله من الامراض

فمسند

فمسند البزار ثم البيهقي والطبراني رواه فثق والدارقطني وقول ابن الصلاح ليس له اصل يعني
184 بالاصطلاح وام ايمن استزادت شرفا اذ شربت بول النبي المصطفى وسقيت اذ هاجرت للتنه
مارويا من شراب الجنة فبعده ما مسها ظما ولم تذق الى الممات الما صححه الحاكم والمروي
شرب علي دمه لم يعرف وابن الصلاح قال في شرب ابي طيبة انه ضعيف السبب قال ابن
سبع ويقينا كانت تبلعها الارض ومنها ازدانت ولم تبل من تحته بهيمته ولم الدهر به
سقيمه وهذه فائدة تفرد بها وهي ان الدواب لم تبل وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليها ولم
تسقم دابة ركبها في حياته ثم وقع في فقه الشافعية ايضا ان حكم جميع فضلات الانبياء عليهم

مطلب
في ان الدواب لم تبل وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليها ولم تسقم دابة ركبها في حياته

الصلاة والسلام كذلك طاهرة لحديث عايشة رضي الله عنها بذلك وفي بعض نسخ الشفا
هنا حكاه الامام ابو نصر الصباغ في شامله وهو الامام الحبر ابو نصر عبد السيد بن محمد بن
عبد الواحد بن احمد بن جعفر بن الصباغ الذي انتهت اليه رياسة الشافعية في عصره وكان
ورعا تقيا زاهدا وله كتاب الشامل في الفقه لم يؤلف فيه مثله وهو اول من درس بالمدرسة
النظامية التي بناها نظام الملك للشيخ ابي اسحق رحمه الله فامتنع وابى ان يخرج من مسجده
فلما الحوا عليه اذن لابي نصر هذا في التدريس بها وتوفي ابو نصر رابع جمادى الاولى سنة سبع
وسبعين واربعمائة بعد ما كف بصره وقد حكى القولين عن العلما في ذلك اي في فضلات النبي
صلى الله عليه وسلم او الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمها في الطهارة وضدها وقيل
نزله العلما شاس للحنفية وغيرهم ابو بكر ابن سابق المالكي اي العالم المقلد لمذهب الامام مالك
وسابق بموحدة وقال البرهان وفي بعض النسخ مصححا وهو ابو الحسن محمد بن سابق الصقلي
المالكي المذهب لا النسب في كتاب البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم
من تفاريع الشافعية يعني انه الف كتابه المسمى بالبديع في فروع فقهية لم يذكرها علما المالكية
فخرجها على حكم ما ذكره الشافعية فيها لتصريحهم بها وليس هذا تقليدا لهم وانما هو نظر في دليلهم
واثبات لذلك الحكم بالدليل فهو اجتهاد مذهبي ويقع مثله لغيرهم من الفقها ايضا والتخريج في اصطلاح
الفقها ان ينص صاحب المذهب على حكمين مختلفين في صورتين متشابهتين لم يظهر فارق بينهما
فينقلون نصه في كل صورة الى الاخرى كمسئلتي الاجتهاد في الاواني والقبلة اذ منع في الاولى العمل
بتغير الاجتهاد وجوزه في الثانية فنقلوا منعه في تلك لهذه وتجويزه في هذه لتلك فصار في كل قولان

مطلب
في تعريف التخريج على الاصطلاحين

منصوص ومخرج المنصوص في كل هو المخرج في الاخرى عند المحدثين ان يخرج حديثا في كتاب فينقله
مسندا مبينا حاله في الصحة وضدها او غير مسند وشاهد هذا اي دليل القول بالطهارة انه
صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكرهه ولا غير طيب اي فان النجاسة للاستقذار وكراهة
النتن ولم يكن فيه صلى الله عليه وسلم شيء مكروه عند الطباع السليمة وهذا دليل عقلي مؤيد
لنظر اهل الشرع فلا يرد عليه انه لا يدل على مدعاه لان من المستقذر ما هو غير نجس ومن النجس
ما هو غير مستقذر ومنه اي من الشاهد على انه لم يكن منه صلى الله عليه وسلم شيء يكرهه ولا غير
طيب حديث علي رضي الله عنه الذي رواه ابن ماجه وابو داود في مراسيله غسلت النبي صلى الله

عليه وسلم بتشديد الياء لانه المستعمل في الميت ويخفف في غيره كالميتات فذهبت انظر ما يكون
من الميت فلم اجد شيئا ذهب هنا من افعال المقاربة اي جعلت انظر ومثله كثير في كلامهم فالقول
بانه بمعنى اردت استعير الذهاب بمعنى المرور للارادة بجامع التلازم بينهما تكلف مستند لمعنى لان
قوله فلم اجد لا وجه لتفريعه ويكون تامة بمعنى يوجد مما يوجد من الميت تغير رائحته وخروج فضلات
وهذا من علوم النبوة وطهارة عنصر طينته وقد مكث صلى الله عليه وسلم بعد موته يومين فلم يتغير
منه شيء ما وهذا مما يستانس به لان طيبه يدل على طيب ما يحصل منه وكل اناء بالذي فيه يرشح
وليس برهانا عقليا كما يرشدك اليه تعبيري بالشاهد فلا يرد عليه ان عدم وجوده كيف يدل
على ما نحن فيه من طهارة الفضلات ويأتي قريبا ان الذي غسل النبي صلى الله عليه وسلم علي والعباس
وابنه الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء واعينهم معصوبة تأدبا ولانه صلى الله
عليه وسلم قال لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه كما سياتي وروت عائشة رضي الله عنها انهم
ترددوا في تجريده للغسل فسمعوا قائلا لم يروا شخصه يقول لا تجردوا النبي من ثيابه فغسلوه وعليه
قميصه بسبع قرب من بئر غرس ثلاث مرات الاولى بماء قراح والثانية بماء وسدر والثالثة بماء وكافور
وانما قال علي فذهبت انظر بناء على العادة لتاخير دفنه لانه مات يوم الاثنين ودفن يوم الاربعاء
لاشتغالهم بامر الخلافة ولدفع وهم بعضهم انه لم يمت فقلت طبت بفتح تاء الخطاب حيا وميتا
والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في مخاطبة الاموات عند التوجع والتشكي كما
ورد في المراثي ولانه صلى الله عليه وسلم ليس كغيره فيسمع كما يسمع في قبره من يصلي عليه كما
سياتي قال فسطعت منه ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط اي ظهرت وارتفعت واصل السطوع
في النور فاستعمل في مطلق الظهور وروى ابن بكير في سيرته ان ام سلمة رضي الله عنها وضعت
يدها على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت جمعا لا تاكل ولا تتوضا الا وجدت ريح المسك
بين يديها ومثله اي مثل قول علي هذا قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه
وسلم بعد موته اشارة الى ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه لما نعي له
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمسكنه بالسنح بضم السين المهملة وضم النون وقد تسكن
ثم حاء مهملة بعوالي المدينة على مقدار ميل من المسجد النبوي جاء فدخل المسجد ولم يكلم احدا حتى
دخل بيت عائشة رضي الله عنها والنبي صلى الله عليه وسلم مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه
الشريف واكب عليه يقبله وهو يبكي ويقول بابي انت وامي يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين اما
الموتة التي كتبت عليك فقد متها فسل عمر رضي الله عنه سيفه وجعل يتوعد من يقول انه صلى الله
عليه وسلم مات ويقول انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى عليه الصلاة والسلام فلبث اربعين
ليلة ثم رجع واني والله لارجو ان يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ويقطع ايدي
رجال وارجلهم وفي رواية ان الصديق لما كشف عن وجهه بكى وقال بابي انت وامي طبت حيا وميتا
والصحابة منهم من خبل ومنهم من اخرس ومنهم من اقعد فلما خرج ابو بكر رضي الله عنه قال ايها
الحالف على رسلك فجلس فصعد ابو بكر المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال الا من يعبد محمدا فان محمدا

صلى الله عليه وسلم قد مات ومن كان يعبد الله فان الله سبحانه حي لا يموت وقد قال تعالى انك ميت
وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية فنشج الناس يبكون وروي انه
لما قبل وجهه وقال طبت حيا وميتا زاد وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء فعظمت
عن الصفة وجللت عن البكاء اذكرنا يا محمد عند ربك عز وجل ولنكن من بالك فجعل يقول وهو
يبكي واصفياه وانبياه وتقدمت الاشارة لشيء من ذلك في الفصل السابع ومنه اي من الشواهد

مطلب في الشواهد

على ما ذكر ما رواه البيهقي والطبراني في معجمه الاوسط عن ابي سعيد الخدري والاول دليل عقلي وهذا
نقلي شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه مالك بن سنان ابن ثعلبة بن الابجر بموحدة
وجيم وهو ابو ابي سعيد الخدري رضي الله عنهما وقد تقدم الكلام على ترجمتهما وهو من كبار
الصحابة قتل شهيدا يوم احد رضي الله عنه واحد بضمتين اسم جبل وقعت فيه الوقعة العظيمة
بعد قدومه صلى الله عليه وسلم من نجران وقد غزاه كفار قريش في شوال سنة ثلاث وقدموا
بنسائهم وخلفائهم وقصدوا المدينة فنزلوا قرب احد على شفير الوادي بقناة مقابل المدينة
فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه ان في سيفه ثلمة وان بقرا له تذبح وانه ادخل
يده في درع له حصينة فتأولها بان رجالا من اصحابه يقتلون وان رجلا من اهل بيته يصاب
وان الدرع الحصينة هي المدينة ورؤيا الانبياء وحي فاشار على اصحابه ان لا يخرجوا من المدينة
ويتحصنوا بها فان قربوا منها قوتلوا ووافقه على رايه عبد الله ابن ابي بن سلول وابى كثير من الانصار
الا الخروج ليكرمهم الله من شاء بالشهادة فلما راى صلى الله عليه وسلم عزيمتهم دخل بيته يوم
الجمعة ولبس لامته وخرج فقال قوم ممن الح في الخروج ان شئت فارجع فقال ما ينبغي لنبي اذا
لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج في الف من اصحابه واستعمل ابن ام مكتوم رضي الله عنه
على الصلاة بمن بقي بالمدينة فلما سار صلى الله عليه وسلم الى القوم انصرف عنه ابن ابي بثلث
الناس مغاضبا لمخالفة رايه فمضى صلى الله عليه وسلم لما عزم عليه وذكر له قوم من الانصار
الاستعانة بحلفائهم من اليهود فابى وسلك على حرة بني حارثة وشقوا اموالهم حتى نزل الشعب
من احد في عدوة الوادي وجعل ظهره الى احد ونهى الناس ان يقاتلوا حتى يامرهم وسرحت قريش الظهر
والكراع في زروع المسلمين بقناة وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال في سبعمائة
والمشركون ثلاثة الاف فيهم مائتا فارس وقيل كان في المسلمين خمسون فارسا ورماة المسلمين
خمسين رجلا امر عليهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه وهو معلم بثياب بيض فرتبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلف الجيش وامرهم ان ينضحوا المشركين بالنبل لئلا ياتوا المسلمين
من ورائهم وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء لمصعب بن عمير
رضي الله عنه اخي بني عبد الدار واجاز سمرة ابن جندب الفزاري ورافع بن خديج بالخروج وكان سن
كل واحد منهما خمسة عشر سنة وكان رافع راميا وجماعة ورد من لم يبلغ وقيل الاجازة استحقاق
السهمين ولم يعد دون ذلك وجعلت قريش على ميمنتهم في الخيل خالد بن الوليد وعلى الميسرة
عكرمة ابن ابي جهل واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه الى ابي دجانة وكان شجاعا

يختال في الحرب وكان ابو عامر المعروف بالراهب وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق سيد
في الاوس تنسك وترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام غلب عليه الشقا ففر عن المدينة لبغضه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى مكة في جماعة من الاوس وشهد يوم احد مع الكفار
ووعدهم بانحراف قومه اليه فكان اول من خرج في عبدان اهل مكة والاحابيش فلما نادى قومه
وعرفهم بنفسه قالوا له لا انعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد اصاب قومي بعدي شر ثم
لما التقى الجمعان قاتل المسلمون قتالا شديدا وابلى يومئذ علي وحمزة وابو دجانة وابو طلحة
رضي الله عنه بلا احسنا وكنا جماعة واصيب منهم مقبلين غير مدبرين وقاتلوا قتالا
شديدا ابيضا بر ثابتة فانهزمت قريش واستمرت الهزيمة عليهم فلما راى ذلك ابن جبير
اميرهم رضي الله عنه امر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ان لا يزولوا من مواضعهم فلم
يلتفتوا لقوله وقالوا قد انهزموا وتقدموا فنولى المسلمون وقد كر المشركون عليهم ففروا وثبت
من اكرمه الله بالشهادة وانما خالفوا لظنهم الامر مقيدا ببقاء العدو فاذا انهزم سقط
الخطاب فخلطوا في التاويل فوصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزمين وقاتل دونه
مصعب بن عمير رضي الله عنه حتى قتل وجرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وكسرت
رباعيته اليمنى السفلى بحجر وهشمت البيضة براسه وكان الذي تولى ذلك عمرو بن قمية الليثي
وعتبة ابن ابي وقاص وقد قيل ان عبد الله ابن شهاب هو الذي شجه واكب الحجارة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى سقط في حفرة كان ابو عامر الراهب حفرها مكيدة للمسلمين فخر عليه
الصلوة والسلام على جنبه فاخذ علي كرم الله وجهه بيده واحتضنه طلحة حتى قام ومص
مالك بن سنان من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الدم علاجا ومداواة له حتى
لا يختم الجرح قبل التصفية من الدم ولذا لم يقل له صلى الله عليه وسلم كما قال لابن الزبير
حين شرب دمه كما ياتي ونشبت حلقتان من درع المغفر في وجهه الشريف فانتزعهما ابو عبيدة
الجراح وعض عليهما بثنيته فسقطتا وكان اهتم يزينه هتمه وقد اختلف فهنا هل كان
قبل الوعد من العصمة او بعدها والعصمة انما هي عصمة النفس من القتل لا الجرح ونحوه
وتحمل له ثوابها وقد تقدم ما في ذلك والتاسي به فيها واعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الراية حين قتل مصعب ابن عمير رضي الله عنه عليا كرم الله وجهه وصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار وقتل صاحب لواء المشركين فسقط لواوهم
فرفعته عمرة بنت علقمة الحارثية فاجتمعوا اليه وحملوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكر دونه نفر من الانصار سبعة او عشرة فقتلوا كلهم واصيبت عين قتادة رضي الله
تعالى عنه فسالت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى محلها فكانت اجمل
عينيه واصحها ولذا قال بعض ولده لعمر بن عبد العزيز لما قدم عليه وقال له من انت فقال
انا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى احسن الرد فعادت كما كانت لاول
امرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد فقال عمر تلك المكارم لا قعبان من لبن واحسن

جايزة

جايزة وانتهى النبي بالنضر الى جماعة من الصحابة وقد القوا بايديهم فقال لهم ما يجلسكم قالوا
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات
عليه واول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الجولة كعب بن مالك الشاعر فنادى
باعلى صوته يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان انصت للناس فلما عرفوه صلى الله عليه وسلم مالوا اليه ونهضوا
معه نحو الشعب فيهم ابو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم فلما اسند في الشعب
ادركه ابي بن خلف فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حربة الحارث بن الصمة وطعنه بها
في عنقه فمات عدو الله مرجعه بسرف وقصته احد مفصلة في السير باسبط من هذا وما يتعلق
بابي بن خلف سياتي الكلام عليه مطولا في كلام المص رحمه الله في قوله فصل واما الشجاعة
الخ واشار بقوله شربه ومصه الى انه كان يفيض ولا فلذا جعل اخذه بفيه وابتلاعه اياه
شربا ثم لما قل وجعل يجذب ما قل منه بالسقبة لما فيه جعله مصا فان المص بالميم والصاد
المهملة اخذ المايع القليل بجذب النفس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي
لم يخالطه ذنب وهكذا من مازج بدنه بدنه شيئا منه وكان فيه اشارة الى انه يستشهد وقد كان
كذلك وقد علمت ان هذا رواه البيهقي والطبراني في الاوسط وكذا اصحاب السير وصيرا اياه
للنبي صلى الله عليه وسلم ووجه دلالته على ما قاله المص ان الدم غير طاهر من غيره صلى الله عليه
وسلم فلو كان دمه الشريف غير طاهر لنهاه عن ازدياده الا انه لا يدل على طهارة بقية الفضلات
منه قياسا لفرق الماوردي رحمه الله بين الدم والشعر وغيرهما بانهما من اجزاء بدنه بخلافها وقوله
وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك اي شربه دمه ومصه له اي لمالك بن سنان رضي الله عنه
وتسويغه بالسين المهملة والغين المعجمة بمعنى تجويزه له من غير انكار ومدحه له وهو مستعار
من ساغ الشراب في الحلق اذا سهل انحداره فيه ومنه لبنا خالصا سائغا للشاربين والتعبير
هنا في غاية الحسن والتورية لما فيه الشرب وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم لمالك لن
تصيبه النار كناية عن فوزه بنعيم الجنان وفي رواية من سره ان ينظر الى من خالط دمه دمي فلينظر
الى مالك بن سنان ومنه شرب عبد الله بن الزبير بضم الزاء والتصغير رضي الله عنهما دم
حجامته قال البرهان الحلبي هذا الحديث رواه البزار والحاكم والبيهقي والبغوي والطبراني
والدار قطني من طرق يقوي بعضها بعضا والعجب من قول ابن الصلاح ان هذا الحديث لم اجد له
اصلا وهو مذكور في هذه الاصول وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لما ولدته امه ونظر اليه
هو هو فكفت امه عن رضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذباب وذياب عليها
ثياب ليمنعن البيت او ليقتلن دونه وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لاخباره بالمغيبات
فانه بيان لقصته مع الحجاج فان ابن الزبير رضي الله عنه استخلف سنة اربع او خمس وستين
بعد وفات معاوية رضي الله عنه فحاصره بعد ذلك الحجاج عند البيت الحرام سنة ثلاث
وسبعين حتى قتل شهيدا وقصته مشهورة وهو احد العبادلة الامام الزاهد العابد الشجاع

وهو اول مولود ولد للمهاجرين وحنكه النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها بفمه فخالطه ريقه وله
رضي الله عنه من شرف النسب ما لا يوصل اليه لان امه اسما رضي الله عنها ذات النطاقين بنت ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وابوه الزبير رضي الله عنه احد العشرة سيف الله وجدته صفية رضي الله
عنها بنت عبد المطلب وعمته خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها وخالته عايشة رضي الله عنها
وجده لامه ابو بكر رضي الله عنه وكان صواما قواما لا ينام ليله وكان اطلس لا لحية له وقوله
فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل للناس منك بيان لما نشأ عن شرب ذلك
الدم وويل للتحسر والتالم من الامر قال تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وهو اشارة
الى قتله وتعذيبه وتحقيره لقتل الحجاج له ومن عاونه ظلما له وويل للناس منه لما اصاب الناس
من خروجه ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ثمة وما اصاب امه واهله من المصايب وما لحق
قاتليه من الاثم العظيم وتخريب البيت وهدمه بسببه وانما جعله ناشيا من شرب دمه
لانه بضعة من النبوة نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن ان ينقاد لغيره مما لا
يستحق الامارة فضلا من الخلافة وما قيل انه اشارة الى ما يلحقه من قدح الجهلة فيه بواسطة
شربه الدم وما يلحقهم من الاثم بذلك القدح بما لا ينبغي ذكره وسقوط معنى عن رده ويأتي تحقيقه
ودمه صلى الله عليه وسلم مما تعدى قطراته بالارواح ولله در القائل يجري العلا في عرقه فيجري الندا
في عوده فهو اللباب بصفاء او يبيعوا قطراته معدودة اعطوا به مهج النفوس سماء لو يقدر
الاحرار حين ارقته جعلوا الدجى القلوب وعا واسترخصوا في سعرها ان يبذلوا عن كل واحدة
جرت حوبا وقد شرب دمه صلى الله عليه وسلم ايضا اربعة رجال ابو طيبة واسمه دينار ونافع
وسالم بن ابي الحجام وهو الذي قال له صلى الله عليه وسلم لا تعد فان الدم كله حرام على ما فيه وسفينة
كما رواه البيهقي وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه ذكره الرافعي في الشرح الكبير وقال ابن الملقن انه
غريب لم يجده لغيره وقد مر ذلك ولم ينكر عليه هذا هو محط الدليل فان عدم انكاره صلى الله عليه
وسلم دليل على جوازه وطهارته قال السخاوي سئل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير
ومالك بن سنان وقوله للاول ويل لك الخ وقوله لمالك لا تمسك النار ما الحكمة في تنوع القول
مع اتحاد السبب فاجاب الزبير رضي الله عنهما شرب دم الحجامة وهو قدر كثير يحصل به الاغتذا
وقوة جذب المحجمة تجلبه من سائر العروق وكثيرا منها فعلم صلى الله عليه وسلم انه يسري في جميع جسده
فتكتسب جميع اعضائه منه قوى من قوى النبي صلى الله عليه وسلم فتورد به غاية قوة البدن والقلب
وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف العدل وقلة الناصر وتمكن
الظلمة وكثرة اعوانهم فيحصل له ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم من ملك حروب اهل الله
التي تنتهك بها حرمته اي الناشئة من حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق فقيل ويل له
لقتله وانتهاك حرمته وويل لهم لظلمهم وتعديهم عليه وتشغيبهم واما مالك رضي الله عنه
فازدرد ما مصه من الجرح الذي في وجهه صلى الله عليه وسلم وهو اقل من دم الحجامة وكان صلى الله
عليه وسلم انه يستشهد في ذلك اليوم فلم يبق من احوال الدنيا ما يخبره به فاعلمه بالامر له

بما يتلقاه

187

بما يتلقاه من انواع مسرات الجنان المهني ولا عطر بعد عروس وقد روي نحو من هذا المذكور في شرب دمه
صلى الله عليه وسلم عنه صلى الله عليه وسلم في امرأة شربت بوله سياتي بيان هذه المرأة فقال لها
لن تشتكي وجع بطنك اي لا يصيب بطنك وجع بعد اليوم لبركة ما دخل في جوفها فعبر بنفي الشكاية
عن نفي لازمه وهو الوجع بطريق الكناية التي هي ابلغ من التصريح ابدا وفي رواية بعدها ولم يأمر واحدا
منهم اي ممن شرب دمه ومن مصه ومن شرب بوله بغسل فم ولو كان نجسا لامرهم ونهاه عن عوده
لمثله لان تناوله لم يكن باذنه فلذا قال ولا نهاه عن عوده ضمير نهاه وكذا ضمير عوده المضاف
اليه ان كان للضمير لواحد وليس الضمير للشرب كما توهم وقال البرهان انه لعوده تباعا للتانيث
كدولة فانه رواية ولو كان نجسا حرم تناوله ووجب تطهير محله ولم يقر النبي صلى الله عليه وسلم
على مثله وكونه للتداوي والعلاج خلاف الظاهر على ما فيه وحديث هذه المرأة التي شربت بوله
صلى الله عليه وسلم صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح يعني انه مستجمع لشرطهما
فهو في اعلا درجات الصحة فكان ينبغي ذكره فليس الالزام على ظاهره والدارقطني منسوب الى دار
القطن محلة ببغداد وهو الامام الحافظ الذي لم ير مثله في عصره وهو علي بن عمر بن احمد بن مهدي بن
مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله ابو الحسن الذي انتهى اليه علم الاثر ومعرفة العلل واسماء
الرجال واحوالهم مع الصدق والعدالة والمعرفة بمذاهب الفقها فلذا قيل انه امير المؤمنين
في الحديث ولد سنة ست وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وما ذكره المصنف عن الدار
قطني في حديث المرأة التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم صحيح يخالفه انه قال في علله انه
مضطرب جا عن ابي مالك النخعي وهو ضعيف وروى عنه الحاكم واسم هذه المرأة بركة واختلف
في نسبها قال البلقيني رحمه الله في الخصايص ان ام ايمن وام يوسف شربتا بوله صلى الله عليه
وسلم ولم ينكر عليهما وفي تجريد الذهبي ان بركة الحبشية قدمت مع ام حبيبة وهي التي شربت
بوله وهي غير بركة بنت يسار المهاجرة الى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الاسدي وغير بركة
ام ايمن وهي بركة بنت ثعلبة ابن عمرو والدة ايمن بن عبيد وام اسامة بن زيد فاسم هذه المراة
بركة ولكن في الصحابيات من اسمها بركة عدة نساء فاختلف في التي شربت بوله صلى الله عليه
وسلم انتهى هي والى ذلك اشار المصنف بقوله اختلف في نسبها فقيل هي ام ايمن بركة بنت محصن بن
ثعلبة ابن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحاضنته الحبشية مقتقة ابيه اسلمت هي وابنها ايمن بن عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد بن حارثة
واخرج لها احاديث في كتب السنة وادركت خلافة عثمان كما في التهذيب وذكر الواقدي ورد
بما في مسلم من انها توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة او ستة اشهر ولم يكن بام ايمن غيرها
وقيل ان التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم بركة بنت مولاة ابي سفيان بن حرب المهاجرة السابقة
وكانت ظيرا لام حبيبة رضي الله عنها فلما تنصر عبد الله بن جحش ثبتت ام حبيبة على الاسلام وخلف
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتزويج النجاشي اياه صلى الله عليه وسلم لها واصداقه اياها
اربعمائة دينار وبعثها له صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة فقدمت ومعها بركة تخدمها

وهي القابلة انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قدح تحت سريره يبول فيه فشربته ليلا اي كما يأتي
وهذا مخالف لما قاله البرهان الحلبي من ان القادمة معها غير بركة بنت يسار ولما قاله الذهبي
من انها بركة الحبشية الا ان يريد بالحبشية المهاجرة للحبشة وهو خلاف الظاهر وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لها لا يبجع بطنك ابدا بفتح اليا الاولى وكسرها وهما لغتان في يوجع
سوى يا جع وعلى الكسر روي قوله ولا تنكئ قدح الفؤاد فيبجعا وروي كما مر ان لا تلج النار
بطنك وقيل هي اي بركة المذكورة ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم تأييد لكونها التي
شربت بوله صلى الله عليه وسلم ليلا لانها اذ كانت خادمة له صلى الله عليه وسلم تمكن
من الوصول لذلك في مثل ذلك من الوقوف على حاله فلذلك قالت وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان والقدح ليس المراد به ما يشرب به الشراب كما هو عند
العامة بل هو الاناء الذي يشرب منه واصغره الغمر بضم الغين المعجمة وهو الذي لا يروي ثم
العقب وهو ما روي ثم القدح وهو ما يروي الاثنين والثلاثة ثم العس وهو ما يشرب منه
الجماعة ثم الرقدم التين ثم الجفنة وعيدان جوز فيه التلمساني كسر العين على انه جمع ود
والذي عليه الشراح انه بفتح العين المهملة تليها ياء مثناة تحتية ثم دال مهملة والف ونون
ووزنه فيعال او فعلان والعيدان والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر ان الرياح اذا
ما اعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبان بالرتم ويقال للنخل اذا طال وتنا وله اليد عضيد
فاذا فاتت اليد فهي الجبارة فاذا ارتفعت فهي الرقلة والعيدانة وكان للنبي صلى الله عليه وسلم
عدة اقداح قدح يسمى الريان واخر يسمى الغيب واخر مضبب بسلسلة من فضة وقدح من زجاج
وهذا القدح كان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل والسرير معروف ومن ظرفيه بمعنى في لا زائدة
وقد عد من معانيها الكوفيون وابن مالك وانشدوا عسى سائل ذو حاجة ان منعته من اليوم
سؤلا ان له بعد في غد وقال تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة اي فيه فبال فيه ليلة ثم افتقد
الافتقاد افتعال من الفقد وهو العدم وليس الافتقاد هنا بمعنى العدم وان ورد بمعناه كما في الصحاح
بل الطلب والتفتيش بقيا التفقد والتعهد بمعنى الا ان الفرق بينهما كما قال الراغب ان التفقد حقيقته
تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم فلم يجد فيه شيئا من بوله وسأل صلى الله عليه وسلم
عنه بركة فقالت قمت وانا عطشانة المذكور في كتب اللغة انه يقال عطشان وعطشى وجماعة عطاش
الا في الفاظ قليلة جاءت على فعلان فعلانة ولغة بني اسد في كل فعلان فعلانة فيصرفون فعلان
لان شرط منع صرفه وجود فعلى او فقد فعلانة فما ورد في هذا الحديث ما سماعي على خلاف القياس
او هو على لغة بني اسد فتوقف البرهان فيه لا وجه له وقد كانت قريش تتكلم لغير لغتها لكثرة وفود العرب
عليهم وحكى صاحب القاموس امرأة عطشانة من غير تقييد بلغة وقيل الظاهر ان من قال لعطشى
لا يقول عطشانة وفيه نظر وقد علم ان هذا يدل على طهارة بوله صلى الله عليه وسلم اذ لم ينهها
عنه ولم يأمرها بغسل فمها ولا باعادة الصلاة ان كانت صلت ولا بيان فيه قولها فشربته وانا لا اعلم
لانه لبيان طيبه وانها لم تجد له ريحا وطعما كغيره اي لا اعلم ان بوله لما ذكر فلا ينافي قولها انه كان له قدح

يضعه

يضعه تحت سريره الخ فتأمل وروي حديثها اي بركة ام ايمن ابن جريج وغيره هو عبد الملك بن عبد
العزيز بن جريج بجيمين ولا هما مضمومة وهو امام ثقة ولد سنة ثمانين وتوفي سنة خمسين ومائة ويكنى
ابا الوليد وهو مولى لآل صفية بنت حيي قيل وهو اول من صنف في الاسلام وكان يقول ما دون العلم
احد تدويني وقيل اول من صنف سعيد بن عروبة وقيل الربيع بن صبيح وقد اختلف في قوله السابق
امرأة شربت بوله وقصة ام ايمن في قدح العيدان هل هما قصتان او قصة واحدة فروى الحاكم
والدارقطني عن ام ايمن انها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب
البيت فبال فيها فقمت وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام ايمن قومي
فاهريقي ما في تلك الفخارة فقلت شربت ما فيها فضحك ثم قال والله لا يبجعن بطنك ابدا ونحوه
واخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال اخبرت انه قال صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم
يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة
رضي الله عنها جاءت معها من الحبشة اين البول الذي كان في القدح فقالت شربته فقال لها صحة يا ام
يوسف وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت حتى كان مرض موتها واخرج ابو داود وابن حبان عن اميمة
بنت رقيقة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان الخ قال ابن دحية
رحمه الله هما قصتان لامرأتين وبركة ام يوسف غير بركة ام ايمن اه وفي قوله صلى الله عليه
وسلم صحة ما يدل على ان الدعاء به بعد الشرب سنة لا بدعة عامية وحكمته ان الاكل والشرب
يخشى منه السقم ونحوه فلذا دعي به كما قال الشاعر فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب
وفي بعض النسخ وهو ساقط من الام واكثرها وروي في بعض الروايات عن امه امنة انها قالت
ولدته صلى الله عليه وسلم نظيفا ما به قذر اي شيء مما يكون على المولود اي نظيفا من الوسخ وقد ولد
مختونا مقطوع السرة وفي بعض الروايات ولد مختونا مسرورا وفيه تورية لانه من المسرور او من
قطع السرة ومثلها في الحزن انه ولد معذورا مسرورا ومعنى معذورا مختونا يقال لعذرته واعذرته
اذا قطعت عذرته وهي القلفة وكونه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة ورد في حديث
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعلى هذا فهو تكريم له صلى الله عليه وسلم حتى لا يرى
احد عورته وقد وقع هنا الكثير من الناس والعرب تسميه ختان القمر واصله ان الطفل اذا ولد في ليلة
مقمرة واتصل بحشفته ضوء القمر وهي اذ ذاك لم تنضج جلدته اثر فيها حتى تقلصت وانحفت
فان القمر يؤثر ضوءه في اللحم وبعيره الا انه لا يكون قاطعا لها بالكلية ولذا لم يعد جوابه قال الشاعر
اني حلفت يمينا غير كاذبة لانت اقلف الا ما جنى القمر وقيل انه بشير الى ان النمو في خلقة
الانسان يحصل في زيادة القمر ويحصل النقصان عند نقصانه كما في الجزر والمد فهذا النقصان
منسوب لنقصان القمر وقيل ان عبد المطلب لما رآه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا قال ليكونن
لابني هذا شأن ولا يخفى ان سند هذا الحديث ضعيف جدا والذي صححه المحدثون كما في التمهيد لابن
عبد البر ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمدا وكانت العرب تختتن
لانه سنة توارثوها من اسمعيل وابراهيم عليهم الصلاة والسلام وليس ذلك لمجاورة اليهود

وقد ورد هنا فى قصة هرقل وواقعته التى قيل له فيها ان ملك اهل الختان قد ظهر وروى انه صلى الله
عليه وسلم ختن يوم شق قلبه الشريف وهو عند مرضعته حليمة وقد ذكره ابن القيم فى كتابه الهدى
وهو ارجح الاقوال وطعن فى القول الاول من الاقوال الثلاثة وقال انه روى فى حديث لم يصح وذكره
ابن الجوزى فى الموضوعات ومن الغريب قول الحاكم فى المستدرك ان الاخبار تواترت بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولد مسرورا مختونا وتعقبه الذهبى فقال لا نعلم صحة ما ذكره فكيف يكون متواترا
والقول بانه اراد بتواتره شهرته بين الناس لا ما اصطلح عليه المحدثون بعيد وقد وقع فى هذه المسئلة
نزاع بين ابن طلحة والكمال ابن العديم فالف ابن العديم فى تاييد انه صلى الله عليه وسلم ختن بعد ولادته
تاليفا اوضح فيه الدلائل والنقول الا انهم لم يرضوا قول ابن الجوزى انه موضوع ورده ومع قوله انه
موضوع نقل عن كعب الاحبار ان ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين اى على صورتهم وهم ادم وشيت
وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى
وعيسى ومحمد وزيد حنظلة بن عليهم صفوان قيل ولا تعارض بين كلامين ولا يخفى ما فيه وزيد
عليهم الى اثنى عشر وقد نظمهم بعضهم فى قوله وفى الرسل مختون لعمرك خلقة ثمان وتسع طيبون
اكارم وهم زكريا شيت ادريس يوسف وحنظلة عيسى وموسى وادم ونوح شعيب سام
لوط وصالح سليمان يحيى هود ياسين خاتم تتمة قد علم ان امه صلى الله عليه وسلم امنة
بنت وهب بن عبد مناف زوجها عبد المطلب ابنه عبد الله فولدت له النبى صلى الله عليه وسلم
وفى وقت وفاتها سبعة اقوال فقيل هو بعد ست سنين وسبع او ثمان وخمس او اربع او تسع
او اثنى عشر وتسعة شهور من ولادته او غير ذلك وماتت بالابواء راجعة من عند بنى النجار اخواله
وفى زيادة النبى صلى الله عليه وسلم قبرها واحيائها له كلام سياتى ثم انه ورد فى الحديث ان رجلا
ساله صلى الله عليه وسلم ما حقيقة امرك منذ نشات فقال انا دعوت ابى ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وبشرى اخى عيسى صلى الله عليه وسلم وانى كنت بكر امى وانها حملتنى كاثقل ما تحمل النسا
وجعلت تشتكى لصواحبها ثقل ما تجد الحديث وهذا الحديث يعارضه ما رواه الواقدى من ان امه
امنة قالت لما حملت به ما شعرت انى حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النسا وانى انكرت رفع
حيضى وجمع بينهما الحافظ ابو نعيم بان الثقل كان فى ابتدا علوقها به والخفة عند استمراره فيكون
فى الحالين خارجا عن المعتاد المعروف وهذا الجمع لا ياتى مع قولها كما روى انى لما انكرت رفع حيضى
اتانى ات وانا بين النائم واليقظان فقال لى هل شعرت انك حملت بسيد هذه الامة وتبيها فكونها
انبئت بالحمل تقتضى ان الثقل لم يكن فى ابتدائه والذى ينبغى فى التوفيق ان الثقل يكون معنويا وهو
الوجع والالم الذى يحصل للحوامل وهو المنفى وحسيا وهو رزانته وزيادة مقداره من غير الم
وتعب لانه صلى الله عليه وسلم وزن بجميع امته فرجحهم وهذا هو المثبت وبقية احوال الحمل به مذكورة
مفصلة فى كتاب المولود لابن حجر وعن عائشة رضى الله عنها ايضا قالت ما رايت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط وروى انها قالت ما رايت منه ولا راى منى يعنى العورة وحذف المفعول
لاستهجان ذكره وسياتى الكلام على ذلك عند اعادة المصنف له فى الكلام على الحيا والاعضا وقد خلقه

فى نظر احد الزوجين عورة الاخر فقيل يكره وهو الاصح وقيل يحرم لانه يورث العمى وورد تعليل النهى
عنه بذلك ونقل عن علما الشافعية الاختلاف فى هذا العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى الولد وقيل عمى
القلب وعن على رضى الله عنه اوصانى النبى صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيرى فانه لا يرى احد عورتى
الا طمست عيناه قال المخرج هذا الحديث رواه البزار والبيهقى اى لا يعين على جسده للغسل غيره لانه
من اقرب اقربائه واقدمهم صحبة واما قول الحافظ مغلطاى انه غسله صلى الله عليه وسلم على
والعباس وابنه يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء عليه واعينهم معصوبة من وراء
الستر فلا ينافيه انهما اعاناه بتقليب جثته والثلاثة اعانوه بصب الماء وهو يغسله بنفسه
وقوله من وراء الستر يعنى قميصه من غير تجريد منه كسائر الموتى عن عائشة رضى الله عنها انهم
اختلفوا هل يجردونه ام لا فسمعوا منا ديا من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرونه يقول غسلوا
النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فلم يجردوه وقوله واعينهم معصوبة اى مربوطة بعصابة حتى
لا ينظرون جسده الشريف وهو يغسل خيفة ان يبدو من بدنه الشريف ما لم يؤذن فى النظر اليه
وضمير اعينهم للعباس وابنه وقثم واسامة وشقران لا لكل فعلى رضى الله عنه لم يعصب عينيه
لانه المباشر فهو ماذون له فى ذلك وخص بالاذن لانه اقدرهم على الغض وغيره ربما حانت
منه لفتة فيطمس عيناه ولذا ورد انه نودى وهو يغسله ان ارفع طرفك نحو السماء خوفا ان
يديم النظر اليه وطمست بفتح الطاء والميم من الطمس وهو ازالة الاثر بالمحو وطمس العين ازالة
ضوئها وصورتها وهو لازم قال ربنا اطمس على اموالهم ويتعدى كقوله من قبل ان نطمس وجوها
وكفن صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة اثواب بيض سحولية والسحولية بضم السين وفتحها نوع
من ثياب اليمن قطن وبيانها لنسبته مفصلة فى اللغات وفى هذا دليل على ان الله تعالى صانه صلى الله
عليه وسلم عن ان يرى احد محل العورة منه قبل النبوة وبعدها فمن نظر اليها عن قصد عمى ولم يرد
ما ينافيه اذ لم ينقل ان احدا راها فى صغره كامه ومرضعته واما ما روى من ان قريشا لما بنت
الكعبة وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة معهم فكان يضع ازاره على عاتقه ويضع
الحجر عليه فاذا دنا من الناس لبسه فكلمه لا اكلمه كلمة شديدة فاشتغلت شاخصا بصره
للسما فقيل له ما شانك فقال نهيت ان امشى عريانا وكان ذلك اول شى راه من امر النبوة
فليس فيه ان احدا نظر لعورته صلى الله عليه وسلم وفى حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله
عنهما عكرمة منقول من العكرمة بمعنى الحمامة وهو عكرمة بن عبد الله البربرى مولى ابن
عباس احد فقها المدينة وتابعيها ومن الائمة المقتدى بهم فى التفسير والحديث توفى سنة
سبع ومائة وقيل غير ذلك وهذا رواه الشيخان وغيرهما وهو حديث صحيح انه صلى الله
عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط الغطيط صوت النائم اذا ارتفع نفسه لانطباق
مجراه وضيقه ويقال خطيط بالخاء المعجمة ايضا وهى بدل من الغين كما يقال الغن والخن قال
التلمسانى وثبتت به الرواية ايضا فنام فصلى ولم يتوضا لانه صلى الله عليه وسلم كان
لا ينقض وضوءه بالنوم مضطجعا بخلاف غيره وهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم

وحكى الشافعية قولا انه صلى الله عليه وسلم كغيره في الانتقاض بذلك والكلام على الانتقاض
بالنوم في المذاهب الاربعة مفصل في كتب الفقه وانما كان ناقضا لانه مظنة خروج شيء من ريح
ونحوه من النواقض ومذهب الشيعة وبعض السلف انه لا ينقض وفي احد قولي الشافعي انه ينقض
مطلقا وليس هذا محل تفصيله والاحاديث الدالة على ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وانه
تنام عينه ولا ينام قلبه كثيرة صحيحة منها ما ذكره هنا وهذا مخصوص به بالنسبة للامة لما
صح من حديث انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس رضي الله عنهما لان رؤياهم
وحي فيفارقون سائر البشر في نوم القلب ويساوونهم في نوم العين فلو سلط النوم على قلوبهم لم يكن
رؤياهم مفارقة لرؤيا غيرهم وهذا فضل من الله خصهم به واما ما روي من وضوئه صلى الله عليه
وسلم بعد موته فلم يقل انه لحدث وانما كان احيانا تجديدا للوضوء فانه كان يستحبه او هو بيانه
لامته للتشريع لهم فان قلت يشكل على هذا انه صلى الله عليه وسلم نام في الوادي حتى طلعت الشمس
ولو كان قلبه غير نائم ما اخرج الصلاة عن وقتها قلت اجيب عن هذا باجوبة احدها انه لا مخالفة
بينهما فان القلب يقظان فيحس بما يدركه القلب مما يتعلق بالبدن بخلاف ما يدرك بالعين كطلوع
الشمس والفجر ثانيها انه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم مستغرق تنام فيه عينه وقلبه ونوم
غير مستغرق تنام فيه عينه فقط قال النووي في شرح مسلم والمعتمد الاول فلعل قلبه صلى الله
عليه وسلم كان مستغرقا بالوحي والمشاهدة فلا يلزم وصف قلبه بالنوم كما كان عند نزول الوحي
عليه في اليقظة فلاشتغال باطنه بالقدس تعطل عن حقوق الظواهر كما قال الشاعر فوالله ما ادري
اذا ما ذكرتها   اثنتين صليت العشاء ام ثمانيا   وهذا الذي اختاره ابن عبد البر وابن المنير لان
ظاهر الحديث عمومه لسائر احواله وما خالفه وجهه ما ذكر وحكمته التشريع وهذا جواب ثالث
ورابعها انه يستغرق قلبه وينام ولكن لا يبلغ مرتبة عدم الشعور بالحدث تنبيه على القول بانه
ينقض الوضوء ذهب بعضهم الى انه لغيره صلى الله عليه وسلم واما هو فلا ثم اعلم انه اذا كان
رؤياه صلى الله عليه وسلم وحيا فهل اوحي اليه في نومه بشيء من القرآن قال الرافعي في اماليه
لم يقع ذلك وانما نزل عليه صلى الله عليه وسلم كله يقظة وما ورد من قراءة سورة الكوثر في النوم
محمول على انها خطرت على قلبه بعد نزولها يقظة وقوله ولم يتوضا بسكون الهمزة لدخول الجازم
عليه ويجوز ابدالها الفا لينة على القياس وحينئذ فيجوز فيه جزمه بحذف الحركة المقدرة
وابقاء الالف العارضة ويجوز جزمه بحذف الفه لها معاملة معاملة يخشى فلك ان تقول لم يتوضا
ولم يتوضو كما ذكره النحاة قال عكرمة في بيان وجه ما ذكر لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا
قيل هذا جواب عن الاشكال السابق حاصله ان النوم ليس ناقضا بنفسه وانما نقض لانه مظنة
الحدث والله تعالى حفظه صلى الله عليه وسلم عن وقوع ذلك منه ولو وقع منه عليه وهو
مع ضعفه مخالف لظاهر الحديث فالظاهر ان المراد ان الله حفظه عن ان ينام قلبه وقد علمت
مما مر ان هذه خاصة اضافية بالنسبة للامة او الامم لان سائر الانبياء عليهم الصلاة
والسلام كذلك وقيل ان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى كانه لم يطلع على حديث نا معاشر

الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا او لم يصح عنده فحكم بان الصلاة بعد النوم من غير وضوء
من خواصه صلى الله عليه وسلم وتبعه مغلطاي واليه ذهب بعض الشافعية ولذا قال ابن الوردي
رحمه الله في البهجة الوردية وبعض ما اكرمه الله به   منامه بالعين دون قلبه اقول لا وجه
لما قالوه فان الحكم بغفلة مثل سفيان وقوله فيما صح من الاحاديث انه غير صحيح مع انه لم يصح
ان النقول عليه بمثله غير لائق وحمل المؤمن وقوله على الصلاح اولى فنقول انما اراد هؤلاء انه لو سلم
ان الانبياء السالفة صح انهم كانوا يتوضؤون لصلاتهم كوضوئنا فلم يسمع من احد ان وضوءهم
ينتقض بنواقض شرعنا فتكون الصلاة بعد النوم من خواص نبينا على الاطلاق وعدم نوم
قلوبهم امر اخر وهذا امر اوضح من الصبح ومما قلته فيما نحن فيه وعينيك ما قلب النبي غفا ولا
عيون له في سدة الليل راقدة   وكيف الاجفان منه تهجدت   وباتت بمحراب الحواجب ساجدة
فصل في قوة عقله صلى الله عليه وسلم وشدة ادراك حواسه وذكائه وفيه ما يدل على
كمال القوى بنيته واما وفور عقله الوفور بضم الواو والفاء مصدر كالقعود بمعنى التمام لا
الكثرة وقيل يحتمل انه جمع وفر بمعنى كثير والعقل قوة وغريزة اودعها الله في الانسان ليتميز
عن الحيوان بادراك الامور النظرية وقيل انه نور يقذف في القلب يستعد به لادراك المعلوم
والامور العقلية وفي حقيقته ومحله خلاف وكلام لا حاجة لتفصيله واشتقاقه من العقل
بمعنى المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق ولذا انظر القائل قد عقلنا والعقل اي
وثاق   وصبرنا والصبر من المذاق   وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف وتزيد
بامور مكتسبة من التجربة ومخالطة العقلاء فلذا قيل العقل عقلان عقل غريزي وعقل مكتسب
وقد علمت ان المراد بوفور عقله صلى الله عليه وسلم تمامه وكماله لا كثرته حتى يقال ان المص
وصف العقل بالكثرة باعتبار اثاره الصادرة عنه قال في الصحاح الوفور الشيء التام ووفرت
الشيء وفرا ووفر الشيء بنفسه وفورا يعني انه تام ولازم والوفور لم يذكر انه جمع وذكاء لبه الذكاء
بفتح الذال المعجمة ممدود حدة الفؤاد بسرعة ادراكه وفطنته لانه في الاصل الاشتعال والتوقد
ولذا يقال الذكي يتوقد الذهن وقال الشاعر لو لم يحل ماء الندا   فيه لاحرقه ذكاؤه   واللب
بضم اللام وتشديد الموحدة التحتية بمعنى العقل ولب كل شيء قلبه وخالصه فلو فسر اللب هنا
بالقلب جاز ايضا يقال لب يلب اذا صار لبيبا وعلى الاول غاير بين اللب والعقل تفننا ولا تكرار
في كلامه كما توهم وقوة حواسه الخمس الظاهرة وهي اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وهذه
مما لا كلام في ثبوتها للانسان والحيوان الا ان الحصر فيها لانا لم نعثر على غيرها لا فينا ولا في غيرنا
وان امكن كما صرحوا به واما الحواس الباطنة كالحس المشترك والخيال والقوة الفكرية والوهم
والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها اهل الشرع على انهم في اثباتها وتعيين محالها في خبص
بيص كما يعرفه من وقف على كلامهم والحاسة بمعنى المدركة من حس بمعنى احس والثاني هو الاعرف
الافصح وبه جاء القرآن قال تعالى فلما احسوا باسنا فلما احس عيسى منهم الكفر وهو استعارة
لجعله لشدة ظهوره كالمحسوس وقوة الحواس مما يتمدح به وفصاحة لسانه هنا وما قبله مرفوع

بالعطف على وقور وسيأتي الكلام على الفصاحة قريبا واعتدال الحركات اى حركاته الظاهرة فى بدنه
واعضائه جارية على نهج الاستقامة والاداب فانها عنوان لما فى قلبه من الخشوع والخضوع ومراقبة
ربه الذى هو دائما فى حضرته ولذا قال صلى الله عليه وسلم لما راى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته لو خشع
قلب هذا خشعت جوارحه وحسن شمائل بالياء جمع شمال بالكسر وهو الطبع والاخلاق والصفات
المحمودة فلا مرية بكسر الميم وقد تضم وسكون الراء المهملة بينهما مثناة تحتية اى لا شك ولا شبهة
ولا جدال ولا محاجة وقال الراغب المرية التردد فى الامر وهى اخص من الشك قال تعالى فلا تكن فى مرية
من لقائه والامترا والمماراة المحاجة فيما فيه مرية وقال تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا واصله
من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب انه صلى الله عليه وسلم اعقل الناس وانكاهم اى اقواهم واشدهم
عقلا واكثرهم فطنة وذكا ووضح ذلك وبينه بما هو معلوم لاهل العلم والبصيرة فقال ومن تامل
فى الصحاح تاملت نظرت فيه مستبينا فكانه ماخوذ من الامل وهو الرجا لان من دقق النظر فى شئ
واعمل الفكر رجا حصوله وانكشافه كنه تدبيرى امور بواطن الخلق وظواهرهم اى الوقوف على
ظواهر احوالهم وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها واصل معنى التدبير التفكر فى عواقب
الامور وادبارها وتدبير مفعول تامل وامور مفعول تدبير لانه صلى الله عليه وسلم بعث داعيا
الى الله وهاديا للعباد وهذا انما يكون باصلاح باطنهم وظاهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك
وسياسة العامة والخاصة منصوب معطوف على تدبير والسياسة مصدر ساس الناس
يسوسهم اذا دبر امورهم وتصرف فيها قالت حرقة بنت النعمان فبينا نسوس الناس والامر امرنا
اذا نحن فيهم سوقة رعية نتنصف وقول علامة الروم انه معرب سه بسق غلط لا اصل له وقد
اخذه من كلام من لا يعتد به والعامة عوام الناس وجهلتهم من ارباب الصنايع والزعد
ماخوذ من العموم لان اكثر الناس كذلك والخاصة خلافهم وللمسعودى والجاحظ كلام
فى وصف العامة منه اتباع لكل جاهل لا يفرقون بين حق وباطل فتراهم مهرعين لقائد دب
اوضارب دف متشوقين الى اللهو واللعب مختلفين لتعبد متخرق واقفين عند قاص كذاب
مجتمعين حول مضروب واقفين عند مصلوب ينعق بهم فيتبعون ويصاح بهم فلا
يرتدعون اذا اجتمعوا اضروا واذا تفرقوا نفعوا وسياسة الخاصة بالدلالة على الخير
والنصيحة وسياسة العامة بالزجر والقهر والضرب والنهر وسئل العتبى عن قوله تعالى
انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد اى مناسبة
بين ذلك وبين الحديد وما هو الا كالجمع بين الضب والنون فاجاب بان مالك الملك ارسل
رسله لاجراء اوامره ونواهيه بين عباده وهما قسمان عقلاء ذوو بصيرة وارشادهم بالكتب
الالهية وملاحوته من الادلة العقلية وجهلة عوامهم وتسخيرهم بالقهر والارهاب
بالسيف والسنان فصار المعنى ارسلناهم بضابطى العامة والخاصة واى مناسبة اتم
من هذه وان ترى عدم المناسبة بينهما بحسب النظرة الحمقاء مع عجيب شمائله وبديع سيرته جمع
سيرة مضاف للضمير وقد تقدم انها هيئة السير ثم خصت بحاله فى غزوات الله ونحوها والعجيب

الامر الذى

الامر الذى من شانه ان يتعجب منه لكونه لا نظير له وكذا البديع بمعنى المبدع وغاير بينهما تفننا
فى العبارة ولم يعطفها واتى بمع للدلالة على ان انضمام هذا لما قبله سبب كونه عجيبا بديعا كما
تقول فلان يجود مع فقره لان الجود فى هذه الحالة اغرب يعنى انه صلى الله عليه وسلم مع سياسته
العامة للخاصة والعامة مهذب الاخلاق موطى الاكناف حسن السيرة وقلما تتفق السياسة
لعظمى الا مع التجبر والتعظم والتحجب كما تراه من الملوك فهذا دليل قوة عقله وفطنته صلى الله
عليه وسلم ثم قال فضلا عما افاضه من العلم اى وزاد على ما ذكر بكثرة العلم الذى علمه الناس
وجعله شايعا بينهم من افاض الحديث اذاعه وقوله من العلم اى من علوم الاولين والاخرين
وقرره من الشرع اى ما قرره للناس من الامور الشرعية لمعرفته بشرايع من قبله وبيانه لامور
شريعته والكلام على فضلا وتعديه بعن مفصل فى شروح المفتاح والكشاف وياتى بعض منه
والاضافة اصلها من فيض الماء ثم شاعت فيما مر وزن تعلم سبق متعلق بافاض وما بعده اى فعل
ذلك من غير تعلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يسكن غير بلده ولم يفارق غير اهل جلدته ولم يكن ثمة
من يمكن تعلمه منه ولا ممارسة تقدمت منه والممارسة معالجة ومزاولة بالاعتياد على فعله
اى لم يتعلم من غيره ولم يحاوله حتى يطمه من نفسه باجتهاد فى استخراجه بعقله ولا مطالعة
للكتب منه اى لم ينظر فى شئ من الكتب لانه صلى الله عليه وسلم كان امينا بين قوم اميين وهذا
دليل على شدة ذكائه صلى الله عليه وسلم وفطنته واستقامة طبيعته وفطرته فلذا قال لم
يمتر اى لم يشك ويرتب فى رجحان عقله اى فى زيادة عقله وثقوب فهمه اى نفوذه وظهوره
وهو بالمثلثة من ثقب النار وهو تذكيتها يقال ثقبت النار ثقوبا اذا انقدت لاول بديهته
اى لم يمتر ولم يشك فى اول نظرة نظرها فان قلت هو صلى الله عليه وسلم تعلم ما ذكر من الوحى
المنزل عليه وهو سفير محض قلت تلقى الوحى من الملك وضبطه وفهمه واجراؤه فى مجاريه
من غير تكلف منه يدل على ما ذكر وكم من عالم قرا ودرس العلوم اذا اراد تقرير ما علمه لم يجد له
نورا ولا رونقا وبعض الفقها اذا ولى القضا لا يحسن الحكم بين الناس ولك ان تقول المراد
بما ذكر امر اخر غير ما قلته من الامور العرفية التى اكثرها برايه وحسن تدبيره فانه صلى الله
عليه وسلم كان ماذونا له فى الاجتهاد وهذا مما لا يحتاج الى تقريره وبيانه بما ذكرناه
لتحققه بالمشاهدة فى عصره والتواتر بعد ذلك بحيث لا يشك فيه مسلم وعاقل وبما قررنا
عرفت ان قول بعض الشراح هنا ان قوله ومن تامل الخ غير واقع موقعه لان العلم بمثل هذا ملحق
بالبديهيات وقد استشعر ذلك فقال وثقوب فهمه لاول بديهته فهذا تطويل غير مفتقر اليه
من عدم التدبر وقال وهب بن منبه بضم الميم وفتح النون وكسر الباء المشددة بزنة اسم الفاعل
وهو وهب بن منبه بن سيج بسين مهملة مفتوحة وقيل مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم
جيم الانبارى اليمانى اخو همام بن منبه وكنية وهب ابو عبد الله ويقال له الذمارى نسبة الى
ذمار بكسر الذال المعجمة وهى قرية بقرب صنعاء تابعى مشهور بمعرفة الكتب القديمة سمع من جابر بن
عبد الله رضى الله عنهما وقيل انه لم يلحقه وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وابى سعيد

الخدري وابي هريرة والنعمان بن بشير وغيرهم رضي الله عنهم واتفقوا على توثيقه وعبادته وتوفي
سنة اربع عشرة وقيل سنة عشر ومائة وهو ابن ثمانين سنة واخرج له اصحاب الكتب الستة
وله ترجمة طويلة في الميزان قرات في احد وسبعين كتابا من الكتب القديمة النازلة على الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم وغيرها فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رايا يعني ان عقله ازيد من عقول الناس والمراد اشد من عقولهم جميعا واراءهم
وقد تقدم انه كان يعرف الكتب القديمة ويقروها قال التجاني في كتاب المعارف لابن قتيبة عن وهب
انه قال قرات من كتب الله سبحانه وتعالى اثنين وسبعين كتابا فيمكن ان يكون وجدان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا في احد وسبعين كتابا منها فقط ولم
يجد ذلك في الكتاب الثاني والسبعين ويمكن ان يكون الروايات عنه مختلفة بزيادة ونقص
والذي قاله وهب من انه صلى الله عليه وسلم منوه بذكره في الكتب المتقدمة يعضده قوله
تعالى النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل وفي رواية اخرى عن وهب ايضا
فوجدت اي جميع الكتب التي قراها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس حتى الانبياء والرسل في جميعها
عليهم الصلوة والسلام من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه
وسلم اصل معنى الجنب الجارحة ثم استعير للناحية التي تليها كاستعارة سائر الجوارح
لذلك كاليمين والشمال وقوله في جنب الله اي في امره وحده الذي حده لنا كما قاله الامام
الراغب فالمراد بقوله في جنب الله في حده ومقداره الذي اعطاه الله تعالى له الا كحبة رمل
من بين رمال الدنيا يعني ان عقله صلى الله عليه وسلم كجميع رمال الدنيا وعقل جميع الناس كحبة
منها وهذا على طريق التمثيل لان عقولهم لا تقاس بعقله صلى الله عليه وسلم كما ضرب الخضر لموسى
عليهما الصلوة والسلام مثلا بما في منقار عصفور من ماء البحر بالنسبة لسائره فشبه
علم الله وعلم ما عداه وقد اورد على كونه افضل الناس رايا انه ورد ما يخالفه في كثير من الوقايع
الثابتة في الحديث ورجوعه عن رايه الى راي غيره كما في قصة بدر في رجوعه لراي الحباب بن المنذر
حيث نزل النبي صلى الله عليه وسلم بادنى ما من مياه بدر فقال له الحباب هذا منزل انزلكه الله
فلا نتقدم ولا نتاخر عنه او هو راي ومكيدة حرب فقال بل هو الراي والمكيدة فقال ليس هذا بمنزل
بل الراي ان نسير حتى ناتي ادنى ماء من مياه بدر فننزل ثم نغور ما وراءه ونبني عليه حوضا ونملوه ثم
نقاتل ونشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراي ورجع صلى الله عليه وسلم لما قاله وكذا في قصة
اسارى بدر في الفدا وكذا في قصة تابير النخل ونحو مما سياتي مما الاحاطة للتطويل بذكره
واجاب التجاني بان رجحان رايه على ما سوى المخصوص بما امضاه من سنن الشرع واجتهاده
في امور الدين فلا ينافي رجوعه في اهل الدنيا لغيره كما صرح به في قصة التابير اذ قال انما انا
بشر مثلكم فاذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر مثلكم
اخطي واصيب وهذا نص فيما ذكر ورد بان مختار اهل الاصول انه صلى الله عليه وسلم
كان متعبدا فيما لا وحي فيه بانتظار الوحي ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار وقيل له الاجتهاد

مطلقا في الامور الشرعية والدنيوية وهو مذهب مالك واحمد والشافعي وهو المنقول
عن ابي يوسف وغيره واختلف في جواز خطائه في اجتهاده فذهب الرازي وغيره الى انه لا يجوز
وفي التوضيح يجوز لكن لا يقر عليه وعدم الاقرار بالاجماع لوجوب اتباعه المقتضي وجواز
الخطا عقلا لا مانع منه بمقتضى البشرية وقوة عقله صلى الله عليه وسلم وكمال حدسه وسداد
رايه لا ينافيه لانه من لوازم الطبيعة البشرية واذا جاز سهوه في صلوته ومناجاته ففي غيرها
بالاولى فقول التجاني ان جميع اموره الدينية صواب خلاف المختار عند علماء الاصول وحينئذ
فمعنى كونه افضل الناس رايا واجتهادا مع جواز الخطا احيانا ان رايه لو خلي ونفسه من غير معارض
فيما يقتضيه الطباع البشرية كان افضل من راي غيره واجتهاده اذا خلي ونفسه ايضا مع رجحان
رايه بعدم التقرير عليه اذا خالف الاولى وارائه صلى الله عليه وسلم كلها صواب بعد التقرير
عليها وقبله لا الا على قول من يقول كل مجتهد مصيب والحاصل ان كون رايه افضل الارا ينافي رجوعه
لغيره ومشاورته له فان العبرة بما وقع عليه القرار لا بابادي الراي فافهم وقال مجاهد رحمه الله
تعالى تقدم الكلام على ترجمته فيما رواه عنه ابن المنذر والبيهقي مرسلا بلفظ كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه قال البرهان في الاصل الذي
وقفت عليه من بفتح الميم موصولة وخلفه صلته منصوب على الظرفية وكذا من بين يديه وفي غيره
بن الجارة فيهما وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه لكن بلفظ قال
صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم واني لاراكم من وراء
ظهري ورواه مالك واحمد وغيرهما وفي لفظه اختلاف كما ياتي والمعنى متفق واختلفوا في هذه الروية
هل هي مختصة بحال الصلوة ام لا وهل هي روية حقيقية ام علمية قلبية فقال ابن الصباغ
في الشامل ان المراد بها الحس والتحفظ وقيل المراد العلم بان يوحى اليه صلى الله عليه وسلم
كيفية فعلهم او يلهم ذلك وفيه نظر لانه حينئذ لا معنى لتقييده بقوله من وراء ظهري وقيل
المراد من عن يمينه وشماله وهو تكلف والصواب انه محمول على ظاهره وان الابصار حقيقي
خاصة عاطرية تخرق العادة له صلى الله عليه وسلم ولذا اخرجه البخاري في علامات النبوة
بناء على ما ذكر من انه يجوز ان يكون بروية عينية خرقا للعادة فكان يرى بها من خلفه كما يرى ما يقابله
بعلم انه لا يشترط في الروية المقابلة ولا العضو المخصوص عند اهل السنة كما قرروه في روية الله
وهذا امور عادية يجوز الروية مع عدمها عقلا واذا قلنا الروية علمية فمعنى اري من خلفي اراكم
وانتم من خلفي وقال الزاهدي الحنفي صاحب القنية في رسالته الناصرية انه صلى الله عليه وسلم
كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما لا يحجبهما ثوب ولا غيره والظاهر ان مثله
لا يقال بالراي وقيل كانت صورهم تنطبع في حايط قبلته صلى الله عليه وسلم كما تنطبع في المرات
فيشاهد افعالهم ولا ينافي هذا ما ورد انه صلى الله عليه وسلم وضع شابا حدثا من وفد عبد
القيس خلفه ليلا يراه ولا قوله اني لا اعلم ما وراء جداري هذا ان صح ولا قوله في الحديث
ايكم الذي ركع دون الصف فقال ابو بكر رضي الله عنه انا يا رسول الله فلو كان يرى كما ذكر ما احتاج

للسؤال لان الاول تشريع والثاني المراد به نفي علمه صلى الله عليه وسلم بالمغيبات مع ان عدم
رويته ما وراء الجدار لا ينافي الروية من غير حائل وهذا ان لم نقل انه مخصوص بالصلاة كما في الامتاع
واجاب ابن عبد البر بحديث ابي بكر رضي الله عنه بان هذه الفضيلة كانت قبل ان فضله الله بهذه
الفضيلة فان شونه صلى الله عليه وسلم تتزايد دائما وقيل معنى قوله اني اراكم ان قصدت ذلك
ولم يكن صلى الله عليه وسلم قصد ذلك كما ان الانسان قد لا يستعمل نظره احيانا او انه راه
ولم يعلم عينه او اراد تقريره ليذكره ما ذكره وارتضاه بعضهم وارتضى غيره انه كان خلف
صفوف كثيرة فلا يرد عليه رويته لانه لم يكن خلفه في الصف الاول فلا حاجة لما تكلفوه
من الاجوبة وهو كلام حسن وبه فسر بالبنا للفاعل اي فسر العلما او بعض المفسرين قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين اي يرى تقلب بصرك في المصلين خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون
وهو امتنان بهذه النعم وهذا مونس لاختصاص بالصلاة كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث
ايضا وفي الموطا بصيغة المفعول المشدد الطا المهموز سمي به لما فيه من احاديث الاحكام الممهدة
للشريعة وساق هذا الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه الاسند لا له على قوة حواسه صلى الله
عليه وسلم فيناسبه التفسير بانه يراهم بعينه حقيقة كما مر عنه صلى الله عليه وسلم اني لاراكم
من وراء ظهري ونحوه عن انس رضي الله عنه في الصحيحين وعن عايشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة
زادها الله تعالى اياها في حجته وفي نسخة في حجته والاولى اصح وفي بعض الروايات ورويته
صلى الله عليه وسلم ما اكرمه الله به دون غيره من وراي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اي
في رواية اخرى لمسلم لعبد الرزاق والحاكم اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي والمراد بحجته
الدلائل الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وصدقه وقيل في حجته على الكفار لان
هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة وقوله زيادة بالرفع اي هذه زيادة ويجوز نصبه
وقول عايشة هذا لاثبات رويته من خلفه واكثر المفسرون في هذه الاية الاقوال فمنها ما ذكره
المصنف عن عايشة هنا ومنها ما مر من ان المراد انتقالك من صلب نبي لنبي وسياتي تتمته وقيل
ترددك في تصفح احوال المتهجدين لانه لما نسخ فرض الليل دار صلى الله عليه وسلم من بيوت
اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير من الذكر والتلاوة وقيل
معناه نرى تقلبك في جماعة المصلين اذا امتهم وما ذكره المص رحمه الله عن الموطا بعض حديث
رواه مالك عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي
ها هنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم من وراء ظهري واول الحديث قال انس
صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما اقبل علينا بوجهه قال ايها الناس اني امامكم
فلا تسبقوني بالركوع ولا بالقيام ولا بالانصراف اراكم امامي ومن خلفي الى اخر الحديث والكلام
عليه مستوفى في شروحه وحكى بقي بن مخلد بقي بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة تليها يا مثناة
تحتية ومخلد بفتح الميم واللام وخا بينهما معجمة ساكنة ودال مهملة هو الامام ابو عبد الرحمن
القرطبي الجياني الحافظ الزاهد العابد الثقة صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي

قال ابن حزم انه لم يصنف في التفسير مثله مولده في رمضان سنة احدى ومايتين وسمع من ناس كثيرين
منهم يحيى بن يحيى الليثي القرطبي وابا مصعب الزهري ويحيى بن بكير وابراهيم بن المنذر الحزامي وابن ابي
شيبة وطاف المشرق والمغرب وشيوخه مايتان واربعة وثمانون وروى عنه كثير كابنه احمد
وكان مجتهدا لا يقلد احدا وعد من اضراب اهل السنن وكان مجاب الدعوة يقال انه كان يختم القران
كل ليلة في ثلث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزاة وتوفي سنة ست وسبعين
ومايتين رحمه الله عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى
في الظلمة كما يرى في الضوء وفي رواية كما يرى في النور ولا شك انه صلى الله عليه وسلم كان
كامل الخلقة قوي الحواس فلا بدع مثل هذا منه عن بعيد وقد رواه الثقات كابن مخلد هنا فلا
وجه لانكاره وقد اخرجه البيهقي عن عايشة رضي الله عنها ونقل ابن دحية في كتابه الايات
البينات عن ابن بشكوال انه ضعفه لان في سنده ضعيفا واخرجه عن ابن عباس بلفظ كان
صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء ثم قال وليس بالقوي وذكر
ابن الجوزي في العلل حديث عايشة هذا وقال لم يصح وقال العقيلي في سنده من لا يعتمد عليه كما
فصله وذكر هذا الحديث الذهبي في ميزانه في ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفي مع جملة
احاديث قال انها موضوعة وقال السهيلي رحمه الله في الروض ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
ابتنى بام سلمة رضي الله تعالى عنها دخل عليها بيتها في ظلمة فوضع على زينب فبكت فلما كان من الليلة
الاخرى دخل في ظلمة ايضا فقال انظروا زينبكم ان لا اطا عليها وفي هذا الحديث توهين لحديث
انه كان يرى بالليل كما يرى بالنهار انتهى ولا يخفى انه لا معارضة بين الحديثين تقتضي ما ذكره لان
زينب رضي الله عنها كانت صغيرة نايمة مغطاة بازار ونحوه في جانب من البيت ومثلها قد لا يرى
بالنهار ايضا وهذا على ما فيه اقرب مما قيل ان عدم رويته صلى الله عليه وسلم لها كان لتغير
حصل في بصره الشريف لان الاعراض البشرية كانت تعتريه صلى الله عليه وسلم كما في قصة السحر
فكان ذلك كذلك فان مثله لا يقال من غير سند ورواية مجازف والاحاديث كثيرة صحيحة
في رويته صلى الله عليه وسلم الملايكة والشياطين هذا مما لا شبهة فيه واعلم ان ما ذكره المص
رحمه الله تعالى دليل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم وانه يرى ما لا يراه غيره اما رويته
صلى الله عليه وسلم الملايكة فورد في احاديث كثيرة منها ما في البخاري من انه قال لعايشة
رضي الله عنها هذا جبريل يقرا عليك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته
انك ترى ما لا نرى والاحاديث في رويته الملايكة غير جبريل حيث لا يراها غيره كثيرة كما في حديث
العقبة ورويته ملك الجبال المشهور وفي هذا دليل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم حيث
يرى ما لا يراه غيره وليس هذا مخصوصا بتشكل الملايكة فانها جواهر مجردة قابلة للتشكل عندنا
وعند الحكماء لقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا وليس ذلك لها بنقص فيها او زيادة بل للطافتها
تنتشر تارة وتنضام اخرى كما تراه في لهب النار عند تلاعب الريح بها وكذلك الجن فانها مخلوقة
من النار الا ان الملايكة من نورها الصافي والجن من النار المختلطة بالدخان ولذا ذهب بعض

الحكما الى انهما جنس واحد وان الاستثناء مفصل في بعض الشروح فان قلت فما معنى تشكل
الملائكة والجن في صور مختلفة ولا قدرة لمخلوق على تغيير خلقته قلت قال القاضي ابو يعلى
لا قدرة للجن على تغيير خلقتهم ولا على صورتهم الى صورة اخرى لان ذلك انما يكون بنقض البنية
وتفريق الاجزاء وان انفضت البنية بطلت الحياة واستحال وقوع النقل من الجملة فكيف
ينقل بعينها وانما ذلك باعتبار جواز ان يعلمهم الله كلمات وضروبا من الافعال اذا فعله
احدهم او تكلم به نقله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل وحمل عليه
تصور جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية رضي الله عنه وتصوره لمريم بشرا
سويا ويجوز ان يكون الله تعالى قد جعل لهم قوة التشكل عند ارادتهم ذلك لانهم ارواح
انتهى وفيه كلام اخر ليس هذا محله واما رؤية الجن فقد ثبتت في احاديث كثيرة منها ما رواه
مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنهما انه قال كنا معه صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه
فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا انه اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جاء
من قبل حراء فسألناه فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن وسألوني الزاد
فقال لكم كل عظم لم يذكر اسم الله عليه فهو طعام لكم وكل بعر علف لدوابكم ووردت
احاديث اخر في رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم وايمانهم به مفصلة في كتاب لقط المرجان
في احكام الجان قال بعض فضلاء عصرنا ظاهر كلام المص رحمه الله تعالى ان رؤية
الملائكة والشياطين من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم فلا يراهم غير الانبياء وفيما
الحلبي في سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام في قول الراهب رايت ملكين يظلانه من الشمس
فيه ما يدل على جواز رؤية الملائكة كالجن وقد صرحوا به وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم محمول على الغالب وفيه بحث يأتي اخر الكتاب ولو كانت رؤيتهم محالة
ما قال صلى الله عليه وسلم هممت ان اربطه حتى تنظروا اليه كلكم وقال المص قيل رؤية الجن
على صورتهم الاصلية ممتنعة الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له العادة
وانما يراهم بنو ادم في غير صورهم الاصلية ورده النووي بانه دعوى مجردة لا مستند لها ورفع
النجاشي له صلى الله عليه وسلم حتى صلى عليه يعني ان الله تعالى رفع النجاشي وجنازته وهو
ببلاد الحبشة فرآه النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وصلى على جنازته وهذا دليل على قوة
بصره الشريف بحيث يراه مع بعد ما بينهما من المسافة البعيدة والبحر ورفع مبني للمجهول
وتقديره رفعه الله تعالى وصلى فاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم قيل ويجوز ان يكون
رفع مصدرا مضافا لمفعوله مبتدأ وخبره مقدر اي ثابت او معجز ويجوز ان يكون رفع
عطفا على قوله في رؤيته الملائكة والاخبار كثيرة في ذلك وفي رفع النجاشي يعني انه مقرر
بطرق كثيرة ولا مانع من ذلك والاول اولى واظهر والنجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمه
بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح المهملتين والميم والها ابن ابجر بفتح الهمزة وسكون الموحدة
بعدها جيم مفتوحة وراء مهملة وقال مغلطاي ابن بجرى وقيل اسمه صحمه بمهملتين مفتوحتين

مناكحة

مطلب اسماء الكوكب

مناكحة وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل بالخاء المعجمة كما نقله البرهان الحلبي عن بعض مشايخه
وقيل سليم بضم السين وقيل حازم وقيل مكحول بن صصيه بمهملتين ولاهما مكسورة والادغام
والنجاشي بفتح النون المشددة والجيم وتخفيفها وضرب المحب الطبري التخفيف كما قيل في جني ابن جني
لانه معرب كني والنجاشي غلب على المذكور كالنجم للثريا وهو في الاصل كل من ملك الحبشة كقيصر لكل
من ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس وخاقان لملك الترك وفرعون للقبط والعزيز لملك مصر
وتبع لحمير ودهمي وفغفور لملك الهند وغانة للزنج وبطيموس لليونان وفطيون بكسر الفاء وسكون
الطاء المهملة ومثناة تحتية مضمومة يليها واو ونون اوماخ بفتح اللام والخاء المعجمة اوسالخ
لليهود وللصابئة نمرود وتبع ملك اليمن وجالوت من ملك البربر واخشيد من ملك فرغانة
والنعمان من ملك العرب من قبل العجم وجرجير من ملك افريقية وشهربان من ملك خلاط وفور
من ملك السند والاصفر من ملك علوى ورتبيل من ملك الخزر وكابل من ملك النوبة كذا في المقتفى
وغيره وفي سيرة مغلطاي ان من ملك اليمن يسمى تبعا فان ترشح للملك سمي قيلا بفتح القاف وسكون
المثناة التحتية وهو كالوزير واصله قيل بالتشديد كما حققه اهل اللغة وفرعون من ملك مصر
والشام فان اضيفا لها الاسكندرية فهو العزيز او المقوقس ومعنى اصحمة عطية الله
واصحمة هذا هو النجاشي وهو ملك جليل المقدار امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان بينه
وبينه مهاداة ومكاتبة الا انه لم يلقه ولم يجتمع به ولذا لم يعد في الصحابة لان شرطها
الملاقات الا على قول ضعيف ذكره في التقريب انه يكفي فيها المعاصرة مع المعاهدة والايمان
لا سيما من كان له عذر في التخلف وله اخبار حسنة منها انه لما بلغه وقعة بدر بعث
لمن قبله من المسلمين فلما دخلوا عليه وجدوه لبس مسحا وقعد على التراب فقالوا له ما هذا
ايها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه اذا انعم على عبده بنعمة وجب عليه ان يحدث
تواضعا وان الله احدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهي ما بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم التقى
واعداءه بواد يقال له بدر كنت فيه ارعى غنما لسيدي فهزم الله اعداءه ونصر دينه وروت
عائشة رضي الله عنها انه بعد موته كان يرى على قبره نور وقوله كنت ارعى الخ يدل على انه
دخل بلاد العرب واما ما ذكره التجاني من انه من بيت الملك وان الحبشة قتلت اباه وملكوا عمه
وكان له ميل اليه فخافوا ان يملكه بعده فيقتلهم بابيه فقالوا له لا بد من قتله او اخراجه
من ارضنا فباعه ثم ان الله جعله ملكا عليهم بعد ذلك فلا دلالة له على ما ذكر كما يتوهم
لان بقية القصة مذكورة في الروض الانف وفيها ما يدل على خلاف ما ذكره ثم ان ما ذكره
المص من رفع النجاشي للنبي صلى الله عليه وسلم حتى رأى جنازته قال السيوطي في كتابه منهل
الصفا في تخريج احاديث الشفا انه لم يجده في كتب الحديث وانما الوارد فيها انه رفع اليه
معاوية المزني حتى صلى عليه والنبي صلى الله عليه وسلم بتبوك كما اخرجه ابو يعلى والبيهقي
عن انس رضي الله عنه انتهى ويأتي بطوله اقول الذي انكره المخرج انما هو رفع جنازته اليه
فانه روى في خصائصه الكبرى من طرق شتى انه صلى الله عليه وسلم نعى لاصحابه

مطلب في قصة النجاشي

النجاشي لما مات وخرج الى المصلى وصلى عليه مع اصحابه وكبر اربع تكبيرات والصلوة عليه
ثابتة في الصحيحين وانما ذكره المص رحمه الله قصة الرفع مدرجة في الحديث بنا على الاختلاف
في مشروعية الصلاة على الغايب وتحتها مطلقا كما ياتي وكانت وفاته في السنة التاسعة
من الهجرة في رجب وعن ابي اسحاق ان ينزر او ابا ينزر بنون ومثناة تحتية وزاي معجمة وراى
مهملة النجاشي كان مولى لعلي بن ابي طالب بعد موت ابيه وطلبته الحبشة ليتوجوه فابى
وقال لا اريد الملك بعد ان من الله علي بالاسلام وكان طويل القامة صبيح الوجه ورؤية
النور على قبر النجاشي غير مستغرب فانه يرى على بعض قبور الشهداء ويصدقه قوله تعالى
والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وقد علم ان قصة النجاشي في الصحيحين وهي من اعلام
النبوة لاخباره صلى الله عليه وسلم بموته في اليوم الذي مات فيه مع بعد المسافة ولما صلى
عليه قال بعض المنافقين صلى على علج من علوج الحبشة فنزل قوله تعالى وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية واستدل به من قال بالصلاة على الغايب وبه قال
احمد والشافعي وبعض السلف لان الصلاة على الميت دعا له فكيف لا يدعى له وهو غايب
او في قبره كما يدعى له وهو حاضر وذهب الحنفية والمالكية الى انه لا يسوغ ذلك وعن بعضهم
يجوز لمن كان في جهة القبلة بخلاف مستدبرها واجاب من قال بعدم الصلاة على الغايب
عن هذه القصة بامور منها انه كان بارض لا يصلى بها فشرعت لذلك ولذا قال الخطابي لا يصلى
على الغايب الا اذا مات بارض لا يعرف بها الصلاة على الميت كبلاد اهل الشرك وكذا قال
ابو داود فاذا مات بها وجب على المسلمين ان يقوموا بحقه في الصلاة فلو علم انه صلى عليه لا يصلى
عليه من كان غايبا فان لم يصل عليه لعذر او عاين سن الصلوة عليه ولا يترك لبعد المسافة
ومنها ان هذا مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم لما روي انه سويت له الارض حتى يبصر
النجاشي وقد رد هذا بانه اذا فعل شيئا من افعال الدين كان علينا اتباعه فيه والتخصيص
لا بد له من دليل ونقل ثابت لا بمجرد الاحتمال ولو فتح هذا الباب لم يبق شيء يوثق به ولو كان
كذلك توفرت الدواعي بنقله يؤيد كلام التاهل لما رد قول ابن حجر ان نبينا صلى الله عليه
وسلم اهل لذلك لرفع والاحضار فانه قادر على ما هو اعظم من ذلك لكنا لا نخترع حديثا
ونقوله من عند انفسنا ومثل هذه الامور الضعاف تلاف بالتلاف وقال الكرماني رحمه الله
دفع الحجاب ممنوع ولئن سلمناه فهو غايب في حق الصحابة الذين صلوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم وقد وقع في حديث مجمع بن جارية ما يؤيده فان فيه فصففنا خلفه صفين وما نرى شيئا
كما في سنن ابن ماجه والطبراني واجاب الحنفية بانه يصير كالميت الذي صلى عليه الامام وهو
يراه والماموم لا يراه فانه جائز اتفاقا فاذا ورد عليه انه ليس النزاع في الرؤية وعدمها
فانه لا يشترط في صحة الصلاة رؤية الميت في بلد والمصلي في اخرى وعلى تقدير انه راه لم يقع
النزاع فان قلتم ان سريره رفع ووضع عنده صلى الله عليه وسلم لم يكن غايبا والحاصل
ان هنا ثلاثة امور احدها ان النبي صلى الله عليه وسلم علم بموته وهو بالحبشة وصلى عليه

فقال استغفروا لاخيكم
عن جابر رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله
ص اذا اخاكم قد مات
فقوموا فصلوا عليه
فقمنا فصففنا صفين
مسلم

بالمدينة هو واصحابه وعلى هذا هو دليل الشافعية الثاني ان يكون رفع له سريره او روحه
وهو من مكانه وازيل الحجاب فهذا ايضا صلاة على الغايب ونحن نطالب مدعيه بنقل صحيح
الثالث ان تحمل جثته لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه وهو صلاة على حاضر ولم ينقل
احد انه ورد ولا يثبت فقول الحنفية انه دليل فاسد لا وجه له وكان الاولى للمحص الاستدلال
على وقوع بصلاته صلى الله عليه وسلم بحديث معاوية المزني الذي رواه ابن عبد البر في الاستيعاب
عن انس بن مالك رضي الله عنه ان جبريل صلى الله عليه وسلم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد مات معاوية ابن معاوية المزني افتحب ان تصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض
فلم يبق شجرة ولا اكمة الا تضعضعت ورفع له سريره حتى نظر اليه فصلى عليه وخلفه صفان
من الملائكة في كل صف سبعون الف ملك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل بم نال هذه
المنزلة من الله عز وجل قال بحبه قل هو الله احد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا
وهذا حديث صحيح كما في شرح البخاري لابن حجر اقول بعد صحته هذا وبيان كيفية الصلاة فيه
على الغايب والاحاديث يفسر بعضها بعضا علم ان قصة النجاشي ورفع السرير وازالة الحجاب
امر خارق للعادة لا يتيسر لغير النبي صلى الله عليه وسلم فتبين صحة جواب الحنفية وقوته وسقط
الاعتراض عن المص ايضا وقد اختلف في النجاشي كما في بعض الشروح اهو علم شخص ام علم جنس
لكل من ملك الحبشة كفرعون هل اسم لكل متفرعن وهو علم شخص وقد يجمع بانه علم شخص نقل للعلمية
ولا وجه لانكار النقل فيه كما قيل تنبيه في حديث النجاشي امران احدهما انه وقع فيه نعي موت النجاشي
وقد ورد في الحديث انه نهى عن النعي ولذا اختلف الفقهاء فيه فقيل مكروه وقيل انه مستحسن ولا تخالف
بينهما فان معنى النعي الاخبار بالموت فاذا فعل من غير صياح او اطراء مما لا ينبغي فهو سنة ولو بالندا
في الاسواق لما فيه من الدعا للخير بتكثير الجماعة والاتعاظ فان كان بخلافه على عادة الجاهلية
فمكروه الثاني ان الشافعية بعد ما ذكروا دليل الخصم في التاويل قالوا لا دليل فيه فقيل انه
فاسد لان الدليل ملزوم لا يلزم من نفيه نفي اللازم ودعوى الفساد غير ظاهرة فان مرادهم
ان الصلاة على الغايب ثابتة بالاحاديث الصحيحة فتاويلها من غير مستند لا يكون دليلا اذ لا بد
لكل مدع من النقل فالجواب الصحيح ما نقلناه اذا المنع المجرد لا يسمع في مقابلة النص وقوله ورفع
بيت المقدس حين وصفه لقريش بالرفع معطوف على النجاشي ويجوز جره كما مر ومقدس كمرجع اسم
مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر اي المكان الذي يطهر الله فيه العباد من الذنوب او يطهر
من الاصنام وجا فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس وهو
التطهير وجا بكسر الدال اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الاثام ويقال البيت المقدس
بالتوصيف والاشهر فيه الاضافة وقدس بضمتين وضم فسكون الطهر واسم جبل معروف قال
التبريزي يقال انه غير مصروف ولا يمتنع واستشهد للاول بقول كثير كالمصرخي عنا فاصبح واقعا
في قدس بين مجاثم الاوعال انتهى فانظر دخول الالف واللام عليه ودفع بيت المقدس اشارة
الى ما وقع في حديث الاسراء الذي رواه الشيخان وغيرهما عن جابر رضي الله عنه بسند صحيح متصل

صلى النبي صلى الله عليه وسلم
جنازة النجاشي وخلفه صفان
من الملائكة في كل صف
سبعون الف ملكا

وهو انه صلى الله عليه وسلم لما اسرى به واصبح بمكة اتاه عدو الله ابا جهل فقال له هل كان من شئ
قال نعم انى اسرى بى الليلة الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فان دعوت قومك اتحدثهم
بما قال نعم قال يا معشر قريش بنى كعب بن لوى فانفضت اليه المجالس حتى جاؤا فقال لحدث قومك
بما حدثنى فحدثهم فصار وا بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبا فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا
بيت المقدس وكم فيه من باب فكربت كربا لم اكرب مثله قط فجلى الله لى بيت المقدس وكشف الحجب
بينى وبينه حتى رايته فنعته لهم وانا انظر اليه وجاؤا ابا بكر وقصوا عليه القصة وقالوا هل
تصدقه فقال نعم انى اصدقه باخبار السماء فسمى لذلك صديقا ولا استحالة فيه فقد احضر
عرش بلقيس فى طرفة وهذا مويد لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من قوة بصره حتى رآه مرفوعا
ولم يغب عنه شئ منه فما قيل من انه لا يندرج هذا فيما له عليه الصلاة والسلام من الكرامات
والمعجزات لانه امر زايد على تكميل الذات لا وجه له والكعبة حين بنى مسجده اى رفعت له صلى الله
عليه وسلم الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده بها على الوجهين السابقين فى الاعراب قال
السيوطى رحمه الله تعالى فى مناهل الصفا رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار فى اخبار
المدينة عن ابن شهاب ونافع ابن جبير وابن مطعم مرسلا ثم ما ذكره المص رحمه الله مشكل لانه
صلى الله عليه وسلم لما اتى المدينة نزل بقبا اياما ثم اسس مسجدها وهو اول مسجد اسس
على التقوى ثم خرج منها راكبا ناقته فاتى دور بنى النجار فبركت ناقته فى موضع مسجده فبناه على
ما فصل فى السير والاحاديث الصحيحة وكانت القبلة بيت المقدس اذ ذاك خمسة عشر شهرا
ونحوها فكيف يصح ان يقال ان الكعبة رفعت له صلى الله عليه وسلم حين بنائه كما وقع فى حديث
الشفا بنت عبد الرحمن الانصارية انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده
يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة وهذا كله فى غاية الاشكال مع وروده فى الحديث
وكذا فى الحديث المرسل الذى نقله السيوطى فى تخريجه ولذا قال الخفاجى رحمه الله تعالى فى شرحه
انه غريب والمعروف ان جبريل عليه الصلاة والسلام اعلمه بحقيقة القبلة واراه سمتها
لا انه رفع له الكعبة حتى راها وبهذا جاءت الاثار من غير تقييد وفى العتبية من سماع ابن مالك
انه قال سمعت ان جبريل عليه الصلاة والسلام هو الذى اقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قبلة مسجد المدينة قال ابن رشد فى البيان والتحصيل يعنى اراه السمت اليها وبين له جهتها والقرآن
اذ ذلك كان حين تحولت القبلة لا حين بنا مسجده وكون جبريل عليه الصلاة والسلام
اراه سمتها لا يقتضى رفعها ومثله لا يقدم عليه من غير رواية والحاصل ان ما فى حديث الشفا
من ان جبريل عليه الصلاة والسلام حين بنى مسجده كان يؤمه الى الكعبة فى غاية الاشكال
لان القبلة لم تكن اذ ذاك الكعبة بل بيت المقدس اللهم الا ان يقال ان لم يوجه اليها لم يستنح
وكان مخبرا اهل التوجه لها وللصخرة وقد وقع فى كتاب الناسخ والمنسوخ نحوه واما ما قاله
ابن الحنبلى فى شرحه من ان المعنى قول الشفا يومه اى يصير له اماما اى متبعا فى التوجه
الى الكعبة لاجل اقامة القبلة وبيان جهتها كما يكون الرجل اماما اذا استهل الهلال

لم يركه

196

لم يركه وانت متبع له فى التوجه لم يريك سمته تكلف لا يجدى شيئا ولما استشعر هذا تاول
توجهه بما ذكره تاج القراء فى سبب نزول قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس الاية انه صلى الله
عليه وسلم كان يحب التوجه للكعبة قبل تحويل القبلة فلما قوى رجاؤه وتمكن ان يكون سال
جبريل عليه الصلاة والسلام ان يبين له جهتها عسى ان يكون قبلة ففعل او سال الله
ذلك والامام المتبع فى الاقوال والافعال مطلقا كما فى عدة الحفاظ وبه فسر قوله تعالى
انى جاعلك للناس اماما وبمجرد هذا الاحتمال لا يندفع الاشكال وفى شرح الجديد هنا
كلام طويل بغير طائل راينا تركه اكثر فائدة من ذكره ثم انى رايت فى تذكرة الحافظ العلامة
العلاوى بخطه ان الراجح عند العلماء ان الكعبة كانت قبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
والسلام اما انها كانت قبلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فمما لا شك فيه وفى الاحاديث
انه عليه الصلاة والسلام كان يحب ان يتوجه الى قبلة ابيه ابراهيم الكعبة وفى الاثار
ما يقتضى ان توجه اليهود الى بيت المقدس كان عن اجتهاد منهم او عناد وفى كتاب الناسخ
والمنسوخ لابى داود مسندا الى الحسن فى قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس الاية قال
اعلم قبلته فلم يبعث نبيا الا وقبلته البيت ووقع فى قصة ذكرها مع سليمان بن عبد
الملك ان خالدا قال قرأت التوراة فلم اجد قبلة بيت المقدس فيه ولكن تابوت السكينة
كان على الصخرة فلما غضب الله تعالى على بنى اسرائيل رفعه فكانت صلاتهم الى الصخرة
عن مشاورة منهم وقال ابو داود وخاصم يهودى ابا العالية فى القبلة فقال ان موسى
عليه الصلاة والسلام كان يصلى عند الصخرة مستقبل البيت الحرام فقال له بينى
وبينك مسجد النبى صالح عليه الصلاة والسلام فقال له انى صليت فيه وقبلته الكعبة
فهذه الاثار تدل على ان الكعبة كانت قبلة الانبياء كلهم انتهى باختصار اقول وكذا قبلة
عيسى عليه الصلاة والسلام وانما غيرها للمشرق بولس عليه ما يستحق والسلام
كما صحح اذا عرفت هذا علمت ان النبى صلى الله عليه وسلم كانت قبلته قبل الهجرة الكعبة
ولكن كان يجعلها بينه وبين بيت المقدس لانه صلى الله عليه وسلم كان يوافق اهل الكتاب
فيما لم يوح اليه فيه فلما هاجر الى المدينة استمر على ذلك وهو يعلم ان القبلة الحقيقية الا
صلية انما هى الكعبة وهى قبلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد امره الله بالاقتداء به
ولم ينص على القبلة فعنده صلى الله عليه وسلم علم بانه سيصرفه اليها ولكنه منتظر لامر الله
مراعيا للادب فلا مانع من ان يسال صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام
ان يريه سمتها حتى اذا وقع ذلك لم يتردد ويتحير فيه وهذا هو الحق الحقيق بالقبول
فاعرفه ثم ذكر المص رحمه الله تعالى ما يدل على قوة حواسه صلى الله عليه وسلم فقال
وقد حكى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يرى فى الثريا احد عشر نجما قال السيوطى
رحمه الله تعالى فى مناهل الصفا هذا لم يوجد فى شئ من كتب الحديث والثريا مصغر ثروى
من الثروة وهى الكثرة وهى منزل من منازل القمر فيه نجوم مجتمعة جعلت علامة فقول

بعض الشراح انها كوكب وهو منه قال في مباهج الفكر وهي ستة انجم صغار كالمترشاش وحكى
ان الثريا اثنا عشر نجما لم يحقق الناس منها غير ستة او سبعة ولم ير جميعها غير النبي صلى الله عليه
وسلم لقوة جعلها الله تعالى في بصره والنجم علم لها بالغلبة كالكوكب للزهرة وذكر السهيلي انه
صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثني عشر نجما وقال القرطبي في كتاب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم
انها لا تزيد على تسعة فيما يذكرون ونظمه في ارجوزته فقال وهو الذي يرى النجوم الخافية مبينا
في السماء العالية احد عشر بعد في الثريا للناظر سواه ما اهتيا وفي كتاب التفهيم لابي الريحان
البيروني بكسر الموحدة والنون انها ستة كواكب كعنقود عنب ويظن العوام والشعراء انها سبعة
وهو ظن غير مصيب قيل وهو غير مصيب لنقصه عما راه صلى الله عليه وسلم وقد علمت انه
لم يثبت ما نسب للنبي صلى الله عليه وسلم هنا وقال الامام الخيضري في خصائصه ما ذكره
القرطبي والسهيلي لم اقف له على مسند واصل يرجع اليه وقال التلمساني انه جاء في حديث ثابت
من طريق العباس رضي الله عنه ذكره ابن ابي خيثمة وهذه الامور المذكورة كلها من روية النجاشي
والكعبة والثريا وغيرها مما ذكر محمولة على روية العين اي مفسرة بما ذكر وهو المراد منها والحمل
ليستعار لذلك في كلامهم استعارة مشهورة من حمل الاحمال يحمل اللفظ لحمل على المعنى
وقريب منه الاحتمال وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم اي الى تاويل
الروية بالعلم وصرفها عن ظاهرها فتعبيره بالرد توطئة لقوله والظواهر تخالفه اي ظاهر العيان
تخالفه ولا تقتضي لصرفها عن الظاهر ولا احالة في ذلك اي ليس في حملها على الروية البصرية
امر محال يقتضي العدول لاجله وهي من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصالهم
اي قوة البصر والحواس من صفات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا وجه لاستبعادها
وتاويل ما يدل عليها ثم ابدا ذلك بالنقل فقال كما اخبرنا قيل الظاهر ان الكاف في قوله كما انها
التعليلية مثلها في قوله كما ارسلنا فيكم رسولا والمعنى انما قلنا هذا من خواص الانبيا لاجل
ما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه قال التلمساني هو التميمي مات سنة
احدى وخمسمائة وهو من شيوخ المص وقوله من كتابه اشارة الى انه قراه وهو يسمعه من كتابه
لان من حفظه وقد اختلف فيمن لا يحفظ ويحدث من كتابه فالصحيح انه يجوز روايته ويحتج بها
واليه ذهب ابن الصلاح وقيل لا يحتج الا بما يرويه من حفظه واختلف ايضا فيما اذا لم
يتذكر ما في كتابه وتفصيله في ابن الصلاح وحواشيه قال حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني بالفاء
والغين المعجمة بينهما راء مهملة نسبة الى فرغانة بلدة مشهورة بالمشرق ويحتمل نسبته لفرغان
بلدة بفارس وباليمن وهو علي بن عبد الله المقرئ نزيل مكة قال حدثنا ام القاسم بنت ابي بكر
عن ابيها هي بنت ابي بكر محمد بن يعقوب البخاري الزاهد الصوفي المعروف بالخفاف صاحب كتاب
الاخبار بفوائد الاخبار قال حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني هو الشريف ابو الحسن علي
بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه توفي
في خلافة المعتز بالله لاربع بقين من جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين ومائة وهو ابن اربعين

سنة

سنة وغير ذلك قال حدثنا محمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن احمد بن سليمان قال حدثنا محمد بن
مرزوق قال حدثنا همام هو همام بن الحارث النخعي الكوفي سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم
النخعي وتوفي في ايام الحجاج بن يوسف ولفظ همام وقع في كثير من النسخ والصواب ما هي كما
اصلح وهو هاني بن يحيى السلمي وشيخه الذي اشار اليه بقوله حدثنا الحسين هو الحسين بن ابي
جعفر الجفري بضم الجيم والفا نسبته للجفر وهو مكان بالبصرة احد الضعفا وقد رواه ابو
القاسم الطبراني عن احمد بن الحسين بن مهران الابدجي حدثنا محمد بن مرزوق البصري حدثنا هاني
فذكره وقال في اخره لم يروه عن قتادة الا الحسين بن ابي جعفر تفرد به هاني بن يحيى وقوله عن قتادة
دعامة التابعي الجليل وقد تقدمت ترجمته عن يحيى بن وثاب بفتح الواو وتشديد المثلثة والف
وموحدة وهو يحيى ابن وثاب الاسدي مولاهم روى عن ابن عباس وعمر وعلقمة رضي الله تعالى عنهم
وروى عنه الاعمش وعيسى وهو ثقة محدث مقرئ توفي في سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرجه له
اصحاب السنن الا ان روايته عن ابي هريرة رضي الله عنه ليست من الكتب الستة عن ابي هريرة
تقدم الكلام في اسمه وترجمته عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه الصلاة
والسلام كان يبصر النملة على الصفا الصفوان والصفا الحجر الصلد الاملس في الليلة الظلما
مسيرة عشر فراسخ جمع فرسخ وهو ثلاثة اميال والميل اربعة الاف ذراع طولها اربعة وعشرون
اصبعا وعرض كل اصبع ست حبات شعير ملصقة ظهرا لبطن وقيل ثلاثة اميال والميل اربعة
الاف خطوة كل خطوة ثلاثة اقدام يوضع قدم امام قدم ويلصق به وشين عشر ساكنة ومفتوحة
ولفظ الفرسخ معرب وقيل عربي معناه السكون لانه يقطعه يسكن وقيل معناه الراحة والفرجة
وقيل معناه ساعة من ساعات النهار والتجلي كما قاله الراغب في مفرداته الكشف والظهور وقد يكون
بنفسه بالذات نحو والنهار اذا تجلى وقد يكون بالامر والفعل نحو فلما تجلى ربه للجبل انتهى واذا كان
التجلي يعني الذات يشمل الخطاب والكلام فيحمل تجلي الله لموسى عليه الصلاة والسلام على
خطابه وتكليمه وتجليه للجبل امر اخر فلا يرد على المص انه مخالف للقران فان التجلي فيه للجبل
لا لموسى عليه الصلاة والسلام مع انه عن مسلم فان القرطبي رحمه الله نقل في تفسيره قولا بان
موسى صلى الله عليه وسلم راى ربه ولذا خر صعقا وان تجليه للجبل واندكاكه فاما بمعنى امره
وفعله به ما اراد او نقول بان الله خلق فيه ادراكا علم به تجلي الله فتفتت واندهش من هيبته
ولعل المص رحمه الله ارتضى هذا وعليهما فاللام صلة التجلي لانه يتعدى بها وقال اليماني في الجواب
ان اللام تعليلية بتقدير مضاف اي فلما تجلى لاجل سؤال موسى ربه وان هنا لا بد لمنه في الحديث
للتوفيق بينه وبين الاية وقال بعضهم المراد تجلى امره او نوره والمقدر لهذا من المعتزلة لانكارهم
الروية من اهل السنة لا استبعاد ان يكون للجبل ادراك او روح تدرك وليس مثله بمستبعد
من القدرة اقول قد ارتضى هنا بعضهم وهو غير مناسب هنا لوجهين الاول ان ما ذكره خلاف
الظاهر لا يجوز الحمل عليه من غير قرينة الثاني انه لا يناسب سياق الحديث ولا كلام المص
لان تجلي الله للجبل حتى صار دكا وخر موسى عليه الصلاة والسلام حتى يخر صعقا لا يقتضي

التأثير في حواسه حتى يرى النملة المذكورة بل يقتضي خلافه ولا يصح تفسير كلام المصنف به لمنافاته
لفرضه فالحق ما قلناه وتحقيقه ان الله تعالى لما قربه حتى سمع كلامه النفسي بناء على ما قاله
الاشعري من انه يجوز سماعه او كلاما بغير واسطة يدل عليه ان لم نقل بقدم الالفاظ كما ذهب
اليه كثير من السلف حصل له قوة روحانية واتصل به نور الهي اثر في الروح الحيوانية وزاد في نورها
الذي بانتشاره في البدن يحصل الادراك على ما حققه الحكما في الحواس فادرك بذلك ادراكا خارقا
المعادة فاذا كانت زرقا اليمامة التي ضرب بها المثل فقيل ابصر من زرقا اليمامة ترى من مسيرة
وهي امرأة من الجاهلية فما بالك بمولاي وفي تخصيص النملة والظلمة والصخرة الملساء مبالغة
لا تخفى وقيل معنى الحديث ان الله تعالى لما خص موسى عليه الصلاة والسلام بمناجاته ظهرت له
انوار ربانية ساطعة اضاءت بها الارض اضاءات عجيبة حتى صار يرى الصغير من بعيد كما يرى
الكبير من قريب والمهم المعتمد فان فهمت فهو نور على نور وهذا الحديث رواه الطبراني في سننه
الصغير وصححه لما كانت هذه القوة حصلت للكليم بالتجلي لحصولها للنبي صلى الله عليه وسلم
بعد الاسرا ما رواه اظهر فلذا قال ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بادراكها
من رؤيته للملائكة والجن ورؤيته بالليل كما يرى بالنهار من هذا الباب اي من نوع هذه الرؤية
فان الباب والبابة ورد بهذا المعنى بعد الاسراء قيد به لانه وقع بالمدينة والاسرا كان بمكة
ولانه يكون بعد تجلي الله لرؤيته على ما عليه الاكثر فيزيد قوته الروحانية والجسمانية كما سمعته
انفا والحظوة بما رأى من ايات ربه الكبرى الحظوة زيادة القرب مع القرب والمحبة وزيادة وهي
بضم الحا وكسرها واما ايات ربه الكبرى فسيأتي الكلام عليها في الاسراء وقد جاءت الاخبار
بانه صلى الله عليه وسلم صرع ركانة اشد اهل وقته اشد اعظم قوة بدنية من جميع من كان
بالقوة الجسمانية وهذا اثبات لتفوقه صلى الله عليه وسلم على غيره في قوته البدنية بعدما اثبت
قوة ادراكه صلى الله عليه وسلم وركانة بضم الراء المهملة وكاف مفتوحة تليها الف ثم نون وهاء قال
الحافظ برهان الدين الحلبي في المقتفي هو ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم القرشي المطلبي الحجازي المكي ثم
المدني اسلم يوم الفتح وهو الذي صارعه النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه قال الحافظ عبد الغني
المقدسي وهذا مثل ما روي في مصارعته صلى الله عليه وسلم لغيره ورواه ابو داود والترمذي
مرسلا قال الترمذي وليس اسناده بالقائم واخرجه ابو داود عن قتيبة عن محمد بن ربيعة عن ابي
الحسن العسقلاني عن ابي جعفر محمد بن ركانة عن ابيه انه صارعه فذكره واخرجه الترمذي بهذا
السند وزاد والمزي ما لفظه هكذا رواه ابو الحسن بن العبد وغيره واحد عن ابي داود مثل رواية الترمذي
ورواه البيهقي في المراسيل عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال البيهقي وهو مرسل جيد وروي باسناد
اخر متصل الا انه ضعيف واشار الى ما تقدم وقد رايت ما نقله في مراسيل ابي داود في اطراف المزي
كما قاله لكن فيه انه عليه الصلاة والسلام كان بالبطحا فاتاه يزيد بن ركانة او ركانة بن يزيد
فذكره بالشك والله تعالى اعلم وتوفي ركانة بالمدينة سنة اثنين واربعين وقيل في خلافة عثمان
رضي الله عنه وقال النووي في تهذيبه وقع في المهذب في باب المسابقة انه عليه الصلاة والسلام

صارع

198

صارع يزيد بن ركانة وهو خطأ والصواب ركانة بن يزيد انتهى وقال السهيلي في روضة ان ابا الاسد
الجمحي واسمه كلدة بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه يقف
على جلد البقرة فيجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعى
النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني امنت بك فصرعه عليه الصلاة
والسلام مرارا ولم يؤمن انتهى والحاصل ان الذي صارعه صلى الله عليه وسلم ركانة في اصح
الروايات وكان دعاه الى الاسلام فلم يسلم اولا ثم اسلم بعد ذلك كما تقدم قيل كان ينبغي ذكر
هنا قبل ذكر ما اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم من قوى البطن ليترقى منه اليه اذ هذا
من قوى الظاهر وهو ادنى من قوى الباطن ولا مرية انه صلى الله عليه وسلم كان من اشجع الناس
واقواهم وصارع صلى الله عليه وسلم ابا ركانة في الجاهلية اي قبل ظهور الاسلام بمكة
قال البرهان الذي صح انه ركانة واما ابو ركانة فلم يصح والصواب ركانة وكذا ما نقل ان
ابا جهل صارعه صلى الله عليه وسلم لم يصح ايضا وذكر بعضهم عن السهيلي ان ابا الاسد
الجمحي صارعه وكان من اشد الناس وقدم وغير هذين لم يصح والجاهلية منسوبة اي الى الامة
الجاهلية او الفترة والجاهلية تطلق على ما قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وعلى ما قبل
الفتح قيل والمراد هنا الثاني وكان ابو ركانة شديدا وعاوده ثلاث مرات اي صارعه مرة بعد
مرة كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم كل منصوب بنزع الخافض اي يصرعه في كل
ذلك قاله البرهان وغيره واما حديث ركانة الذي تقدم فهو ما رواه البيهقي انه قال كنت
انا والنبي صلى الله عليه وسلم في غنيمة لابي طالب نرعاها فقال لي ذات يوم هل لك ان تصارعني
فقلت له انت قال انا فقلت على ماذا قال على شاة من الغنم فصارعته فصرعني واخذ مني شاة
ثم قال هل لك في المعاودة الثانية قلت نعم فصارعته فصرعني واخذ مني شاة فجعلت التفت
هل يراني انسان من الرعاة فيجترئ علي وانا في قومي اشدهم فقال هل لك في الثالثة ولك شاة
قلت نعم فصارعته فصرعني واخذ مني شاة فقعدت كئيبا حزينا فقال ما لك فقلت ارجع الى صاحب
الغنم وقد اعطيت ثلاثا من غنمه وكنت اظن اني اشد الناس فقال هل لك في الرابعة فقلت
لا بعد ثلاث فقال اما الغنم فاني اردها عليك فردها فلما ظهر امره اتيته واسلمت وفي رواية
انه راهنه على عشرة وانه قال له ما هذا الا سحر فان قلت ما حكم المصارعة شرعا قلت ذهب
البغوي رحمه الله الى تحريمها لانه لا منفعة لها في الحرب والاصح انها تجوز من غير عوض لانه
ربما ندعوا اليها المحاربة وبهذا افتى شيخنا الرملي واما اخذ النبي صلى الله عليه وسلم العوض
من ركانة فانما كان بنية رده وليرغب في المصارعة وليكون ذلك سببا في اسلامه مع
ان المروي ان ركانة هو الذي طلبها ثم ذكر ما يدل على قوته صلى الله عليه وسلم ايضا فقال
وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مشيته بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والياء المثناة التحتية المفتوحة يليها تاء تانيث
مضافا للضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وهي هيئة المشي وروي مشيه بفتح الميم دون

تاتانيث قاله التلمساني وقال الحجازي كثيرا مايقع في الشفا وغيره مكسور الميم والصواب
فتحها لان المشية بالكسر هيئة الانسان وبالفتح مصدر فاذا فتحت كان المعنى اسرع من مشي
رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كسرت فالتقدير اسرع من هيئة مشيته ولا يخفى
ورد بان المشي والمشية بمعنى ولم يرد الهيئة والمقصود واحد لان المشية تكون مصدرا
او هو كما يقول جمال زيد اكمل وانت تريد زيد اكمل في جماله فالمعنى اسرع من مشية في هيئة
المخصوصة ولم يرد تفصيل الهيئة كما في قولك فلان احسن الناس جلسته اي هيئة احسن
من هيئة غيره في الجلوس اقول هذا التكلف نشا من توهمه ان المشية مفضل عليها وليس كذلك
فان المفضل مطلق حركته ومشيته وفي معنى مع اي لا يرى اسرع من حركته مع هيئته المخصوصة
في مشيته فليس المقصود تفصيل الهيئة يعني انه صلى الله عليه وسلم مع تؤدته واعتدال
حركاته تراه يسرع كانه الما الجاري من غير اضطراب ولولا هذا ناقض ماذكر من اعتدال
حركاته في اول الفصل فلذا قال كانما الارض تطوى له فانه يدل على ان مشيه ليس بالجري
والهرولة ورد ان الارض كانت تطوى له صلى الله عليه وسلم ولا منافاة بينهما اما الحمل
هنا على غالب احواله وذلك على اسفاره ونحوها وقيل انهما بمعنى فان احدهما استعارة
او تشبيه بليغ وهذا التشبيه صريح كما تقول هو الاسد وكانما هو الاسد انا لنجهد
انفسنا وهو غير مكترث يجهد مضارع اما من الجهد بفتح الجيم وهو المشقة والتعب او بضمها
وهو الطاقة والمقدرة اي انا نتعب انفسنا في مساواة مشيه وهو صلى الله عليه وسلم
مستريح لا يرى له منقطعة او انا نبذل وسعنا وطاقتنا وهو غير مبال بمشيه ومكترث
بالكاف والتا المثناة فوقية وراء مهملة ومثله اسم فاعل من الاكتراث وهو المبالاة
والاعتنا بالامر قالوا ولا يستعمل اكترث الا في النفي وورد في الاثبات نادرا في حديث ذكره
صاحب النهاية وقد ورد في صفة مشيه صلى الله عليه وسلم كما ياتي في الحديث عن علي كرم الله
وجهه وغيره اذا مشى مشا تكفيا كانما يخط من صبب واذا وطي وطى بقدمه كلها ذريع المشي
اي خطاه متباعدة وكان اصحابه رضي الله عنهم يمشون بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو
خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة وماذكره المصنف رحمه الله بعض من حديث اوله مارايت
شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه ومارايت احدا
اسرع الخ رواه صاحب الشمائل والمصنف رحمه الله اختصره وغير بعض الفاظه وفي نسخة
المصححة مشيته موافق لاحدى هنا وقد علمت ما ورد عليه وجوابه فلا حاجة لما قيل ان النسختين
المشية اعم من المشي لدلالة الاول على الحديث والثاني على الحديث مع الهيئة وكلما دل
على الحدث مع الهيئة دل على الحدث ولا عكس والحدث المطلق اذا اضيف الى من صدر
عنه استفيد منه خصوص الهيئة لا التي تدل عليها فعلة المكسورة الفا التي
التي عليها الفاعل عند تلبسه بالفعل وهي لازم لكل مصدر فكل شي مشيه من غير عكس
لانه تكلف وفي صفته صلى الله عليه وسلم ان ضحكه صلى الله عليه وسلم كان تبسما

الضحك

الضحك انبساط الوجه وظهور الاسنان فلذا سمي مقدمها الضواحك والتبسم ابتداؤه
والاخذ فيه وقيل هو الضحك من غير قهقهة وفي الحديث كان ضحكه تبسما كنا في عمن الحفاظ
وعلى كل حال فالتبسم بعض من الضحك او نوع منه وعليه قول النحاة في قوله تعالى فتبسم ضاحكا
من قولها ان ضاحكا حال مؤكدة وقول الزمخشري اي شارعا في الضحك واخذا فيه يعني انه قد تجاوز
حد التبسم الى الضحك لا يقتضي التفرقة ولان المراد بالضحك امر مخصوص فلا اعتراض
على النحاة ولا على الزمخشري كما توهم وقد ورد في بعض الاحاديث ان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن الا تبسما وورد في بعضها انه ضحك حتى بدت نواجذه وفي بعضها وصفه صلى الله عليه
وسلم بمطلق الضحك وجمع بينهما بان التبسم كان غالب امره صلى الله عليه وسلم وان غيره
وقع منه احيانا على الندرة فلا منافاة بينهما وقيل المراد بقوله ضحك حتى بدت نواجذه المبالغة
لا حقيقته ولا حاجة اليه فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم كانوا
يضحكون اذا راوا عجبا او امر يسرهم ولنا فيهم اسوة حسنة وانما المكروه الاكثار كما ورد في الحديث
كثرة الضحك تميت القلب كمن عليه ذلك من اهل اللهو والبطالة وروي في قوله فتبسم ضاحكا
انه كان فرحا بفضل الله عليه ولم يكن بطرا واسيما لا سيما ما فيه من تانيس الناس وتعليمهم حسن
العشرة واما ما روي عن الحسن رضي الله عنه من انه ما رئي ضاحكا ولا متبسما لا في اهله
ولا وحده ولا مع جماعة فذلك غير منكر لشدة خوفه من الله ومراقبته له وهو مقام اخر لا يخالف
فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فلا وجه للاعتراض به عليه اذا التفت التفت معا
فلا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كما يفعله من به طيش وخفة بل يقبل جميعا ويدبر جميعا
ومعنى معا بجميعه واذا مشى مشى تقلعا رواه الترمذي في الشمائل اذا مشى تقلع وفي رواية اذا زال
زال قلعا يمشي تكفيا ويمشي هونا وفي النهاية الاثيرية ان المراد انه صلى الله عليه وسلم يرفع رجليه
من الارض رفعا قويا من غير مقاربة للخطا فانه مشي النسا والمختالين وقلعا روي بفتح القاف
وضمها مصدر بمعنى الفاعل اي قالعا رجليه وفي غريب الانباري في التهذيب بفتح القاف وكسر
اللام وهو قريب من قوله كانما يخط او ينحدر من صبب اي يثبت من غير عجلة ومبادرة شديدة
وروي في صبب بفتح الصاد المهملة وفتح اولى الموحدتين وهو الموضع المرتفع او ما انحدر منه
كسفح الجبل فمن على ظاهرها وقيل انها بمعنى الى ويخط بمعنى يتدلى وكذا ينحدر وفي رواية كانما يهوي
من صبوب بفتح الصاد وضمها مصدرا وجمع صبب وهو وصف بغاية السرعة كالنازل من علو
فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول معنى الفصاحة في اللغة كما في كتاب الصناعتين
لابي هلال الاظهار تقول العرب افصح الصبح اذا اضاء واللبن اذا انجلت عنه الرغوة وظهر
وتمامها بتمام الة البيان وهي اللسان قال ولتضمن الفصاحة معنى الالة يوصف بها اللسان
فيقال لسان فصيح ولا يوصف بها الله سبحانه وتعالى فلا يقال انه فصيح وان وصف بها كلامه
والبلاغة من بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها غيري سميت بلاغة لبلوغها النهاية او لابلاغها
المعنى لفهم السامع ومعنى الفصاحة عند اهل المعاني معلوم في كتبه وتقدم انه لو وصف بها

اللسان والمفرد والكلام والمتكلم وفي وصف المفرد بالكلام ليس هنا محله والمراد بالقول هنا
جنس اللفظ الموضوع مطلقا وتعريفه للاستغراق اي جميع اقواله بليغة واضاف الفصاحة
للسان والبلاغة للقول تفننا او للدلالة على كمال كلامه وآلة نطقه فان من العرب من كان كلامه
بليغا مع نقص لثة كزيادة الاعجم فانه كان لا يقيم الحروف فيقول المحارهما ولذا لقب بالاعجم
ويحتمل ان يريد باللسان اللغة فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك المذكور وهو الفصاحة
والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل المحل والموضع بمعنى وان تغاير مفهومهما لان
الاول مكان الحلول والثاني مكان الوضع ففي عبارته تفنن فرارا من التكرار اي كان صلى الله عليه
وسلم افصح البشر وابلغهم فمكنى عن ذلك بجعله في افضل محل البلاغة وفي موضع لها لا يجهله
احد كما في قوله ان الفصاحة والسماحة والندى   في قبة ضربت على ابن الحشرج فهو كالاثبات
بدليل ومرتبته في ذلك دون مرتبة الاعجاز وهو اقرب اليها من كل بليغ وقوله بالمحل خبر كان
ومن بيانية على القول بجواز تقدمها وقيل تبعيضية والجار والمجرور حال من المحل والموضع اي
كان بالمحلين كائنين بعض ذلك اي بعض مطلق الفصاحة والبلاغة والمرتبة التي له من ذلك
ويؤثر عنه من الكلمات البليغة ما لا تصل اليه القوى البشرية سلاسة طبع وفي نسخة مع
سلاسة طبع والسلاسة السهولة اي كانت سليقته صلى الله عليه وسلم في البلاغة
تنقاد له بسهولة من غير تكلف وسلاسة وقع بالنصب على نزع الخافض او هو مفعول له
ولو رفع بتقدير له سلاسة طبع جاز ومن الغريب ان الشارح العرضي بعدما اعربه مفعولا
قال انه في جواب سؤال تقديره هل كانت فصاحته سليقة او تتبع تراكيب البلغاء وقوانينهم
وبراعة منزع البراعة بفتح البا والراء المهملة من برع الرجل بضم الراء وفتحها اذا فاق بالفضل
غيره وكثيرا ما يستعمل بمعنى الفصاحة ولذا فسرها بها هنا بعض الشراح وليس ببعيد والمنزع
من نزع الى اهله اذا اشتاق واراد الرحيل اليهم ونزع القوس جذبها والدلو استقى بها فالمنزع
ان كان بفتح الميم فاسم مكان او مصدر ميمي وتفسيره هنا بالماخذ وما يرجع اليه الرجل من رأيه
وامره والظاهر ان المراد اصله ومقره يعني انه صلى الله عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من ذويه
وجلته هم افصح الناس وان كان بكسرها كما عليه التلمساني فهو اسم آلة كالفصل وفسر بالنبال
واصله السهم يقال نزعت في القوس نزعا وانزعت بمنزع اي سهم وفي المثل عاد السهم الى
النزعة اي رجع الحق لاهله وايجاز مقطع الايجاز التعبير اسم مكان او مصدر اي موجز في
محل القطع والفصل للامور فانه محل الايجاز لا كمقام الخطابة فانه يحمد فيه التطويل فلذا اثنى
عليه لا لانه يعلم من البلاغة كما قيل وجوز فيه كسر الميم على ان المراد به القول وتفنيد بتمام
الكلام ولظهوره عندهم تكلف ونصاعة لفظ النصاعة الخلوص والوضوح اي ان لفظه
صلى الله عليه وسلم خالص من كل بشاعة ولكنه واضح لكل احد لمخاطبته كل احد على قدر
عقله وبلغته وجزالة قول بفتح الجيم والزاي المعجمة وهو القوة والاتقان وضدها الركاكة
وصحة معان اي انه صلى الله عليه وسلم مع فصاحة الفاظه ووضوحها معانيه صحيحة

لانشاد فيها ولاحتوائها على الاحكام والحكم الفصل وقلة تكلف لانه يتكلم عن روية وسلامة
طبع من غير تشدق ورعاية سجع ومشقة والمراد انه لا يتكلف فالقلة هنا بمعنى النفي كما اشبه
النحاة واهل اللغة فاندفع قول بعضهم ولو قال وعدم تكلف لكان احسن واليق واوتي جوامع
الكلم اي اتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعاني التي هي بمنزلة الامثال فان
من تامل كلامه صلى الله عليه وسلم   راى فيه من المعاني الوجازة التي تستخرج الطبع الغواص
منها جواهر يحار فيها العقول وقيل المراد بها القران والحديث وفيه نظر وخص ببدايع الحكم اي خص
صلى الله عليه وسلم بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق اليها والحكمة العلم النافع لمن وعاه من الزيغ
والضلال وقال ابن عرفة الحكمة عند العرب ما يمنع من الجهل ولذا سمي الحاكم حاكما لمنعه التعدي
وعلم السنة العرب اي انه صلى الله عليه وسلم يعلم لغاتهم لان اللسان يطلق على اللغة وعلم
مخفف ماض مبني للفاعل ومشدد مبني للمجهول اي علمه الله او مصدر مجرور معطوف على بدايع
الحكم يخاطب كل امة منها اي كل قبيلة وجماعة منهم بلسانها اي لغتها لاختلاف لغاتهم ويحاورها
بلغتها اي يصاحبها ويراجعها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها المباراة بالراء المهملة غير مهموز
والمباراة والمجاراة المعارضة وفعله مثل فعله حتى كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم مع انهم
نشؤا عليها وهذا غاية لجميع ما قبله اي لقوة فصاحته قد لا يفهمون كلامه لما فيه من المعاني
البديعة التي لا يسمعوا بها ولما يليها من تكلمه بجميع الالسنة لان السامع قد لا يعرف لغة غيره
يسألونه في غير موطن اي في مواطن كثيرة عن شرح كلامه وتفسير قوله لانه صلى الله عليه وسلم
ارسله الله لجميع الناس علمه جميع اللغات قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
وهو صلى الله عليه وسلم مرسل للجميع من تامل حديثه وسيره جمع سيرة وروي بسين مفتوحة
مهملة وبا موحدة كما ذكره البرهان اي تتبعه وقس عليه واصله من سبر الجرح اذا اختبر عوده علم
ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد قريش قوم من ولد النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر سموا بذلك لتقرشهم اي تجمعهم بعد ما كانوا متفرقين
في غير الحرم فجمعهم مضر او لانهم كانوا يتقرشون البياعات والامتعة اي يجمعونها او سموا بالقرش
وهو دابة بحرية تخافها دواب الارض والانصار جمع ناصر او نصير سموا بذلك في الاسلام لنصرتهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الاوس والخزرج قبيلتان سموا باسم جدهم كتميم والحجاز
مكة والمدينة والطائف وما يليها سمي به لانه حجز بين تهامة ونجد والسراة او احتجزت بحار خمس
معروفة ونجد بفتح فسكون ما ارتفع من الارض وهي من اعمال اليمامة كما بين في معجم البلدان وغيره
ككلامه مع ذي المشعار الهمداني بسكون الميم ودال مهملة يليها الف ونون وياء نسبة لهمدان وهي
قبيلة عظيمة باليمن واما همذان بها وميم مفتوحتين وذال معجمة فبلدة بخراسان بناها همدان بن
الفلوح بن سام بن نوح والمعروف بين العجم اهمال داله فكان هنا تغريب له وذو المشعار بميم
مكسورة ثم شين معجمة ومهملة واقتصر في القاموس على الثاني وراء مهملة وفي الروض الانف انه
ابو ثور مالك بن نمط وهو من بني خارف ومن سام وكلاهما من همدان وهو صحابي وفد على النبي

صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك ومخارف بخا معجمة وراء مهملة وفا وياء مثناة تحتية ويقال
ايام بهمزة وهو الذي ذكره المصنف وهو همداني خارفي ارحبي وهم ابن اسحاق في قوله في سيرته مالك
بن نمط وابو ثور وذلك ان يقول انه من عطف الكنية على الاسم والاجر عنيه والذي صححه الصاغاني
في كتاب الذيل والصلة ان المشعار بعين مهملة وانه انما قيل له ذي المشعار لان المشعار موضع
باليمن ينسب اليه وسياتي ما قاله للنبي صلى الله عليه وسلم لما قدم وطهفة النهدي بكسر
الطا المهملة وسكون الها والفا تليها ها تانيث وهو ابن زهير ويقال ابن ابي زهير وسماه الذهبي
في تجريده طهية بالمثناة التحتية بدل الفا وقال ابن الجوزي انه صحفه بالخا المعجمة وقيل طغفة
بالعين المعجمة وقيل طقفة بقاف وفا وقيل قيس بن طخفة وقيل اسمه يعيش واسم ابيه ابو ذر
وقال التلمساني انه في بعض الشروح بنطا مشالة مفتوحة ويقال بكسرها والنهدي بالنون
والها والدال المهملة منسوب لنهد وهو اسم قبيلة باليمن وهو خطيبها ووافدها للنبي
صلى الله عليه وسلم في سنة تسع لما قدمت عليه وفود العرب ولما قدم قام وقال
اتيناك يا رسول الله من غوري تهامة باكوار الميس ترمي بنا العيس نستحلب الخبير ونستعضد
البرير ونستخيل الرهام ونستحيل الجهام من ارض غائلة النطا غليظة الوطا قد نشف المدهن
ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدي ومات الودي برئنا يا رسول الله
من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة المسلمين وشريعة الاسلام ما طما البحر وقام
تعار ولنا نعم همل اغفال لا تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنة حمرا مؤزلة
ليس لها علل ولا نهل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث
راعيها على الدثر بيانع الثمر وبارك لهم في الولد من اقام الصلوة كان مؤمنا ومن ادى الزكوة لم
يكن غافلا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مسلما لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك ما لم يكن
عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلوة ولا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة من اقر بالاسلام
فله ما في الكتاب ومن اقر بالجزية فعليه الزكوة وله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفا
بالعهد والذمة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طهية بن ابي زهير كتابا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني نهد بن زيد
السلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله عليكم بالوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب والضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ولا يؤكل
طلحكم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق انتهى وتفسيره الميس الرحال والعيس الابل والضبير
السحاب المتفرق والرهام القدح والجهام السحاب بلا مطر امطر بلد اخر غائلة المنطا بعيدة
المسافة ييبس المدهن غدير الما والجعثن عروق الشجر البكارة البكر وادركه الهزال بعد السمن العسلوج
عروق الشجر تتشعب دقة والودي الفسيل والعنن الخلاف وما تبض ببلال اي ليس لها لبن ووقير
قليل الرسل يعني الصرمة من الغنم ليس لها ولا دكيرا لرسل يقول شديد العرق في طلب المرعى
وقوله في مخضها وقرقها ومذقها كلها من اللبن والدثر الخصب ويانع الثمر نضيجه والثمد قليل الماء

يخرج من الارض الضيس الصعب والرماق النفاق والرباق الدعاوذو العنان الفرس يركب ويذيل
بالعنان لانه لا يركب فيلجم والرباق حبل تربط قلت غوري تهامة ما انخفض منها وغور كل شيء عمقه
وقيل تهامة ما بين ذي عرق على مرحلتين من وراء مكة وقيل انها الى اليمن اقرب والميس شجر صلب
تعمل منه الرحال وترمي تقصد والعيس ابل بيض الى الصفرة والصبير سحاب ابيض متكاثف
كان بعضه صبر على بعض اي حبس نستحلبه نستقطره والخبير النبات والعشب شبه بخبير
الابل وهو وبرها واستخلابه استحشاشه بالمخلب وهو المنجل والبرير ثمر الاراك اذا اسود
ونستعضده نجتنيه من غصنه اذا قطعه والرهام جمع رهم بالكسر وهو مطر وفسر بالقدح
وهو غلط والاستيخال والاستمطار من الجولان والجهام سحاب صب ماؤه ونستحيله روى
بخا مهملة اي ننظر اليه الجامعة في منطو وغايلة المنطا كظ سمعناه والذي رواه ابن الاثير
المنطا بكسر النون من غير همز وغائلة مهلكة وللنطا البعيدة والمدهن نقرة في الجبل فيها ماء
المطر والبكارة جمع بكر الابل والاملوج قيل ورق شجر شبه الطرفا وقيل نبت وقيل نوى
المقل وقال الزمخشري انه استعارة لما ذهب من سمن الابل الراعية والعسلوج غصن طري
قريب عهد بالطلوع والهدي ما يقدم للحرم اراد به مطلق الابل والعنن الاعتراض من عن له
كذا وطما البحر انتفع موجه وتعار بكسر التا اسم جبل وهمل لا راعي له والاغفال ما لا اسمة له
وبلها ما لا لبن له والوقير قطيع الغنم والمحض بمهملة الخالص وبمعجمة المخضوض لتخرج زبده
والمذق لبن مزج بالماء العرق بكسر فسكون انا يحلب فيه وقيل بفتحتين مكيال والاول اقرب هنا
وودائع الشرك العهود والمواثيق بينهم في الجاهلية وقيل ما استودعوه من اموال الكفار الذين
لم يسلموا فاحلها لهم كذا بخط العلائي وقطن بن حارثة العليمي فقطن بفتح القاف والطا المهملة ونون
والعليمي بعين مهملة مصغر وحارثة بحا وراء مهملتين ومثلثة وهو منسوب لبني عليم بن جناب بن
كلب فهو كلبي وقيل عليم بن جناب هبل من بني عذرة من قبائل كلب وهو صحابي وقدم على النبي صلى الله
عليه وسلم وافدا لقومه فكتب له كتابا بعد ما كلمه بكلام فصيح غريب وصورة الكتاب
هذا ما كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمائر كلب واحلافها ومن ظاره الاسلام
من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقام الصلوة لوقتها وايتاء الزكوة بحقها في شدة عقدها
ووفاء عهدها بمحضر من المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن انيس ودحية بن خليفة الكلبي عليهم
في الحمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم
لاغية وفي الشوي الوري مسنة حامل او حايل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر من ثمرها ومما
اخرجت ارضها وفي العذي شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم ولا يفرق شهد الله على ذلك ورسله
وكتبه ثابت بن قيس بن شماس والاشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن معدي
كرب ابو محمد وهو من ولد اكل المرار الكندي الشريف الصحابي توفي بالكوفة بعد موت علي كرم الله
وجهه باربعين ليلة وصلى عليه الحسن رضي الله عنه وكان شريفا مطاعا في قومه وفد على النبي
صلى الله عليه وسلم سنة عشر في ستين راكبا فاسلموا ورجعوا الى اليمن قال في الاستيعاب

ثم ارتد بعد وفات النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام بعد ما اتى به ابو بكر رضي الله عنه
اسيرا فجعل يعدد عليه افعاله فلم ينكرها وهو في الحديد حتى اتم مقالته فقال له الاشعث
استبقني وزوجني اختك فراى ابو بكر رضي الله عنه انه الراى ففعل وزوجه اخته ام فروة وروى
انه لما خرج من عنده استل سيفه فلم يلق ذات اربع في الانعام الا عقرها فقيل لابي بكر انه ارتد ثانية
فقال انظروا في شانه فراوا الناس اجتمعوا عليه وهو يقول يا قوم هذه وليمتي ولو كنت بارضي
اولمت كما يولم قبلي فاغدوا على وخذوا اثمان ما عقرت لكم وفي ذلك يقول الخزرجي لقد اولم الكندي
يوم ملاكه وليمة حمال لنقل الجرايم فقلت للفتى الكندي اما لقيته ذهبت باسني مجد
اولاد ادم ولقب بالاشعث لانه كان راسه اشعث دايما وقد اخرج للاشعث اصحاب الكتب
الستة واحمد في مسنده وحرحوا انه صحابي بناء على ان الردة لا تبطل الصحبة وان ابطلت ثوابها
اذا رجع للاسلام قبل موته وهو الاصح وبه صرح الشافعي في الام ونقل عن ابي حنيفة وقيل
انها تحبطها مطلقا ولم يذكر المص رحمه الله كلام النبي صلى الله عليه وسلم معه ولا اكرامه
حتى وفد عليه وهو كما في تاريخ ابن عساكر ونقله الذهبي ومن خطه نقلت عن هشام بن الكلبي
ان الاشعث وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من كندة فقال له عليه الصلوة
والسلام هل لك من ولد فقال غلام ولد لي مخرجي اليك ولوددت ان يتبع القوم مكانه وروى
لوددت ان لكم به قصعة من خبز ولحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تقولن ذا فانهم
لاجر اذا قبضوا وانهم لمجبنة ومحزنة وانهم لثمرة القلوب وقرة العين انتهى وهذا من بديع
الكلام ومن الحديث اخذ ابن الهبارية قوله في الصادح والباغم لا خير في الاولاد والاهل
والسفاد وليس فيهم فائدة الا ظنون فاسدة مجبنة ومبخلة مجهلة ومقتلة لولا
ما ذلا دواب وفلا ووايل بن حجر الكندي نسبة لكندة بكسر الكاف وسكون النون ودال
مهملة وهاو حجر بضم الحا المهملة وسكون الجيم وراء مهملة وهاو حجر بضم الحا المهملة وسكون
الجيم وراء مهملة ووايل بواو والف يليها همزة لا ياء مثناة كما في حواشي التلمساني وغيره ويقال له
ابو هنيدة ويقال ابو هنيد بغيرها ابن ربيعة بن نعم الحضرمي وما في الشفا من انه وايل بن حجر الكندي
غلط بغير شبهة والصواب ما تقدم ولعل الكندي كان وصفا للاشعث ابن قيس مقدما على قوله
وايل بن حجر فاخره الناسخ سهوا وجعله وصفا لوايل وفيه خلاف فذكره ابن الجوزي في كتاب الجمال
فقال وايل بن حجر بن سعد بن مسروق ابو هنيدة الحضرمي وابو هند الكندي الصحابي ووافقه ابن عساكر
فقال وايل بن حجر سعد بن مسروق بن وايل بن صبح فيمكن ان يكون كنديا عند المص فليس وصفه به غلطا
فيكون كنديا حضرميا وهو قيل من اقيال حضرموت وابوه ملك من ملوكهم فدعوى انه غلط قال
في العباب كندة ابو حي من اليمن وهو لقب له واسمه ثور بن عفير بن عدي ولقب به لانه كند نعمة ابيه
ولحق باخواله فقال له ابوه كندت نعمتي ولما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر
اصحابه قبل قدومه بثلاثة ايام وقال لهم ياتيكم وايل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا
في الله ورسوله طايعا وهو بقية من ابناء الملوك فلما دخل عليه رحب به رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وادناه منه وبسط له رداه واجلسه عليه وقال اللهم بارك في وايل بن حجر وولده وولد
ولده وفي التهذيب للازهري عن وايل بن حجر انه قال كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جلب
ولا جنب ولا شغار ولا وراط ومن اجبا فقد اربا وضبس من جبر عن عبن وهو حسن وعن ابي عبيدة
الاجبا الحرث قبل ان يبدو صلاحه انتهى وله قصة مع معاوية رضي الله عنه لما ارسله النبي
صلى الله عليه وسلم معه وتوفي في زمن معاوية سنة تسع واربعين في ذي الحجة وسبب اسلامه
كما قاله ابن ظفر في كتاب البشر انه كان له صنم من عقيق يعبده ويسجد له فبينما هو نائم عنده وفي
الظهيرة سمع صوتا منكرا له فاتاه وسجد له فسمع قائلا يقول واعجبا من وايل بن حجر
يخال يدري وهو ليس يدري ما ذا يرى حتى من منحت صخر ليس يدري عن فولا ذي نكر
ولا بذي نفع ولا ذي ضر لو كان ذا حجر اطاع امري فقال ارحل الى يثرب ذات النخل
وسر اليها سير مستعجل قبل تقضي العمر المولي فدن بدين الصايم المصلي محمد الرسول
خير الرسل ثم خر الصنم فقام اليه وجعله رفاتا ثم سار حتى اتى المدينة ودخل المسجد
فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم ادناه وبسط له رداه واجلسه معه ثم صعد
المنبر وقال ايها الناس هذا وايل بن حجر اتاكم من ارض بعيدة راغبا في الاسلام فقال يا رسول الله
بلغني ظهورك وانا في ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك في وايل
وولده وولد ولده ثم انه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاتيب ثلاثة باقراره
على ارضه وملكه فاعطاه ذلك وقد بسط ذلك ابن حديدة في كتابه الذي الفه في كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكاتيبه وغيرها اي غير من ذكر من العرب من اقيال حضرموت
وملوك اليمن الاقيال جمع قيل بفتح القاف واسكان المثناة التحتية واللام وهو الملك من ملوك
حمير واليمن وقيل الملك مطلقا وقيل من دون الملك الاعظم كالوزير وفي النهاية الاثيرية انه
صلى الله عليه وسلم كتب لوايل بن حجر الى الاقوال العباهلة وفي رواية الاقيال فقيل انه من القيالة
وهي الامارة وقيل من القول لنفوذ قوله وامره فاصله على هذا قيل بتشديد الياء اعل اعلال ميت
ولولاه لم يكن لقلب الواو ياء وجه واقوال على الاصل واقيال لفظ قيل كما قيل ريح وارياح والقياس
ارواح لكنه لم يرجع لاصله بنيه وبين جمع روح والعباهلة هم الذين قروا ملكهم وتبوا متروكا على
ما كان عليه من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت واحدة عبهل فالتاء للتاكيد بالجمعية كقشعم
وقشاعمة او جمع عبهول واصله عباهيل فحذفت الياء وعوض منها التاء كما في فرازنة وفرازين وفي تثقيف
اللسان العباهلة بالباء الموحدة هم الذين لا يد عليهم ولا احد بالمثناة التحتية الشيان وكلاهما
مدح كما قاله التلمساني وحضرموت بفتح الحاء المهملة واسكان الضاد المعجمة فتح الميم وقال
صاحب المطالع انه بضم الميم وجعله بعضهم وجها جائزا فيه وهو علم مركب تركيبا مزجيا
غير مختوم بويه وفي مثله ثلاثة اوجه فتح رائه واعرابه اعرابا لا ينصرف للعلمية والتركيب
واجراء الاول على حسب العوامل واضافته للثاني وبناؤهما كخمسة عشر وقال النووي في تهذيبه
حضرموت اسم بلدة باليمن واسم قبيلة واليمن الاقليم المعروف وينسب اليه يمني ويمان بالتخفيف

وبالتشديد وهو شاذ وسمي به لانه عن يمين الكعبة ويجمع يمني على يمنين ويمانون بالتشديد وانفذ
فى كتابه اى اعرفه ووضع عليه باى طريق كان من استعمال المقيد فى المطلق اى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم
الذى كتبه الى همذان بسكون الميم والدال المهملة كما تركبته لما وفد عليه ذو المشعار الهمدان قبيلة
من بطونها خارف ويام بالتحتية ويقال اليامى ولذا ينسب اليه اهل الحديث ايامى وقال ابن دريدان
همدان اسم لابى القبيلة وقيل اسمه اوسلة وانه اخى بما غنه فقال الهمدان فغلب وليس هذا مما يلتفت
اليه انتهى كلامه فى الجمهرة ولم يذكر فيه مادة ذمر بالاعجام لانه غير عربي عنده وتقدم الكلام
عليه وقصة الكتاب ان ذا المشعار رقا الرسول الله صلى الله عليه وسلم لما لاقاه بتبوك يا رسول الله
نصبه من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلوص نواج متصلة بحبايل الاسلام لا تاخذهم فى الله
لومة لايم من مخلاف خارف ويام وشاكر اهل السود والنزداجا بوادعوة الرسول وفارقوا الالهة
الانصاب عهدهم لا ينقض ما اقام القلع وما جرى العصفور بصلع فكتب لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمخلاف خارف واهل جناب الحضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن غط
ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها ما اقاموا الصلوة واتوا الزكاة ياكلون علافها
ويرعون عفاها لهم بذلك عهد الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار وروى هذا الكتاب
من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخلاف خارف ويام عهدهم لا ينقض عن سنة ماحل واهل
جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن غط ومن اسلم من قومه على ان لهم
فراعها ووهاطها وعزازها ما اقاموا الصلوة واتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عفاها لنا
من دفيهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح فقال فى ذلك مالك ذكرت رسول الله
فى فحمة الدجا ونحن على رحمان وصلدد وهن بنا خوض طلايح تغتلى بركبانها فى لاحب متمدد
على كل فتلا الذراعين جسرة تمرينا من الهجف الخفيدد حلفت برب الراقصات الى منى
صوادر بالركبان من هضب قردد بان رسول الله فينا مصدق رسول الى من عند ذى العرش
مهتدى فما حملت من ناقة فوق رحلها اشد على اعدائه من محمد واعطى اذا ما طالب العرف جاء
وامضى بحد المشرفى المهند والى بعض من هذا اشار بقوله ان لكم فراعها بالفاء المكسورة وراء
وعين مهملتين بينهما الف وهي ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع واعالى الجبال جمع فرعة
بفتح فسكون يعني انه صلى الله عليه وسلم اقطعهم ذلك ووهاطها بكسر الواو وبالهاء والطاء
المهملتين جمع وهطة كقرعة وهي الوهدة وما سفل وانخفض والضمير للارض المخصوصة
والوهاط والوهاد بمعنى ويحتمل ان احدهما مبدل من الاخر وعزازها بفتح العين المهملة وزايين معجمتين
مخففتين وهو ما اشتد وصلب من الارض مما لا ملك لاحد عليه فنوطا ويحرث فيصير نحوا ومنه
العز لصلابة جانبه تاكلون علافها بكسر العين المهملة واللام والفاء قال فى النهاية جمع علف
وهو ما تاكله الماشية مثل جمل وجمال لوفى قوله مثل جمل لطف لانه اذا كان علف الماشية فقوله

تاكلون

203
تاكلون بالخطاب لهولاء القوم غير مناسب هنا لا يجوز بان يقدر تاكل دوابكم او يجعل تاكلون بمعنى
تملكون ولعل العلاف معنى غير هذا فى لغة اهل اليمن والشراح لم ينبهوا على هذا وترعوا عفاها بفتح
العين والفاء والمدود فسره بما ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشيء اذا اندرس او من عفا يعفو
اذا خلص وقوله خذ العفو وامر بالعرف وقال الجاني روى عفا ومنه الحديث اقطعهم ما كان
عفا بكسر العين جمع عفو كجبل وجبال وهو بمعنى الاول وفى قوله ترعون ايضا ما يرجوبه ان المرعى
مخصوص باكل البهايم ولذا قال بعض الجهلة لبعض الادباء انت عندى كالاب بتشديد الباء فقال له
فلذا ترعانى كان الطف لما فيه من التورية لاحتمال ان يكون من المرعى او الرعاية كما فى الادب من خاطب
معنى الوالد على لغة فيه ومعنى التبن لانه عنى انه لجهله كالانعام لنا من دفيهم وصرامهم الدف
بكسر الدال المهملة وسكون الفاء فالهمزة ومفهوم هنا بالابل والغنم سميت بذلك لانها تتخذ
من اصوافها واوبارها ما يتدفا به ويجعل منها البيوت من الشعر ليتدفا بها وقال تعالى لكم دف
ومنافع اى ما يتدفا به من الصوف والوبر وهو فى الحديث بمعنى الانعام التي توخذ منها ذلك والصرام
بكسر الصاد المهملة جمع صرمة بكسر فسكون وهي القطعة من النخل ويجوز ان يكون الثمر بنفسه
لانه يصرم من النخل اى يجدو يقطع فسمي بالمصدر ويجوز فتح الصاد لانه يقال صرمت النخل صراما
وقيل من انه لا يجوز ان يكون جمع صرمة كما توهم لانها القطعة من الابل من الثلثين والقطعة من السحاب
وهو لا يصح ساقط لوجهين ما سلموا بالميثاق والامانة ما موصولة خبرها مقدم والمراد العهد الذى
اخذ عليهم او الاسلام والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطون من الزكوة المفروضة والامانة
اى كونهم مامونون على اموالهم لان رب المال فى الزكاة يصدق بقوله وقال التلمسانى ان اراد بها الطاعة
او الغنا او العبادة وهو بعيد اى لا يوخذ منهم شيء فيما ل عن طيب نفس وعن غير بجاو زعما حد الله
ولم يبين من يعلمون فيجوز انهم يسلمون بانفسهم او للسعادة فلا يتكلف له ويقال ان المراد الاول لان
النبي صلى الله عليه وسلم علم منهم الرغبة فى رضى الله ورسوله وانهم يودون ما يجب عليهم بلا جعال
وانما يجب بعث السعاة اذا لم يتيسر وصول الصدقة بدونهم ولهم من الصدقة الثلب بمثلثه
مكسورة ولام ساكنة وموحدة معناه الجمل المسن الهرم الذى سقطت اسنانه والانثى مثلبة فهو
مخصوص بالذكور كما قاله الهروى والناب مثل الثلب معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث لا يقال
للجمل ناب وان اسنوا انما سميت نابا لانها اذا هرمت حال نابها والفصيل ولد الناقة الصغيرة
الذى فصل عن رضاع امه والفصيلة انثاه والجمع فصال وفصلان وقيل هو من اولاد البقر والمعروف
فى اللغة الاول والفارض والداجن الفارض البقرة الهرمة المسنة قال تعالى لا فارض ولا بكر
وقال الراغب الفارض المسن من البقر قيل سمي به لكونه فارضا للارض اى قاطعا او فارضا لما يحمل
من الاعمال الشاقة من الفرض وهو القطع وقيل بل لان فريضة البقر تبيع ومسنة فالتبيع يجوز
فى حال دون حال والمسنة يجوز بذلها فى كل حال فسميت المسنة فارضا فعلى هذا يكون اسما اسلاميا
انتهى والداجن الشاة التى تكون فى البيت لا ترسل المرعى وكذا الداجن بالراء كما فى الصحاح وعلى هذا
فالداجن غير الفارض فينبغي عطفها كغيرها وهو فى غالب النسخ بغير عطف المحرة الا ان يقال

ماذكر معناه الحقيقي ومتى هنا صفة مجردة عن كونها شاة جعلت وصفا للفارض قلت ضمير لهم للشان
لاصحاب المال ومن تؤخذ منهم الصدقة والمعنى ان ماذكر بركة لهم ولا يؤخذ منهم لمقابلته لقوله لنا
والذي يؤخذ في الصدقة من اوسط مالهم لا اعلاه ولا ادناه كالصغير جدا والمسن الهرم فالفارض لما
كان بمعنى المسن الذي يؤخذ في الصدقة والمراد خلافه هنا وصفه بقوله الداجن بمعنى الذي يربض حول
المنازل من شدة الهرم فلا يسرح للرعي ولا يصلح للعمل والحمل هذا هو المراد من غير حاجة لتكلف دعوى
تجريد وقيل الفارض المسن من الابل وفي بعض النسخ والداجن بالعطف ومعناها شاة صغيرة تربى
في البيت كما وقع في حديث الافك والكبش الحوري الكبش الذكر الكبير من الغنم الذي يقودها غالبا
ولذا اطلق على الرئيس في المدح بخلاف التيس والحوري اختلفوا فيه فقيل انه بحاء مهملة وواو مفتوحتين
وراء مهملة بعدها ياء نسبة وفي النهاية الاثيرية انه منسوب الى الحوره وهي جلود تتخذ من الضان
وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ وهو احد ما جاء على اصله ولم يعل اعلال ناب انتهى وقال
ابن رسلان الحوري بفتح الحاء وسكون الواو نسبة الحوري وهي الجلود المذكورة والذي في الصحاح
ان الحورة وجمعها الحور بفتح الواو فيهما واقتصر ارباب الحواشي كالمشهدي والحلبي والقسطلاني على
ما في النهاية ونقل عن الكاشغري في كتاب مجمع الغرائب ان الحوري المحكي نسبته الى الحور او هي كبه
مدورة تعال حوره اذا كواه وانه على هذا بسكون الواو ولان الحورا بالقصر والمد للكية ساكنة
الواو وقال التجاني الحوري بفتح الواو ضرب من الكباش حمر الجلود وروي الحواري بزيادة الف ومعنا
الابيض لا الاحمر ولذا قيل الحواريين لانصار عيسى عليه الصلوة والسلام لانهم كانوا قصارين
يبيضون الثياب ولذا فسر بعض ارباب الحواشي الحوري بغير الف بالابيض الجيد لما ذكروا ولان
موضع الكية يبيض اقول الحاصل ان في لفظ الحديث وكلام المص ثلاثة اوجه اشهرها الحوري
بفتح الواو والثاني الحوري بسكونها الثالث الحواري بالف بعد الواو وكلها بمعنى والمراد الكبير
من الغنم وهو لا يؤخذ في الصدقة لكونه انفسها ولانه مما يحتاج اليه للضراب فلا يؤخذ منه
الا اذا اعطاه كما لا يؤخذ ماذكر من الهرم وكل ناقص كما فصل في كتاب الزكوة وعلى الاول لم يعله
مع تحرك الواو وانفتاح ما قبلها اما على خلاف القياس كما هو ظاهر كلام النهاية السابق او تبعا
لفعله وهو حور كفرح او لئلا يلتبس الواوي باليائي الذي من مادة الحيرة وقول التجاني انه من الكبش
ان لم ينقله احد من اهل اللغة ففيه نظر لانه كان ينبغي له ان يقول الكباش التي تتخذ منها الجلود
الحمر ولبعضهم هنا كلام طويل بلا طائل وعليهم فيها الصالع والقارح الصالغ بصاد مهملة
ولام وغين معجمة ويقال سالغ فان كل صاد تبدل سينا مع العين كما فصل في محله وهو من البقر والغنم
ما كمل وانتهى سنه في السنة السادسة وقيل هو من ذوات الاظلاف كلما اكمل ست سنين ودخل
في السابعة لان ولد البقرة في اول سنة عجل ثم تبيع ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم سديس ثم صالغ وسالغ
وما وقع هنا في بعض النسخ ضالع بضاد معجمة وعين مهملة تحريف ونقله عن النهاية وهم والقارح
بقاف وراء وحاء مهملتين بعد الالف وهو الفرس الذي دخل في الخامسة وفي القاموس القارح
من ذي الحافر بمنزلة البازل من الابل وقال التجاني القارح من ذوات الحافر ما اكمل خمس سنين وهو

في السنة الاولى حولي بسكون الواو ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم قارح وفي هذا المكتوب زيادة على ما قاله
المص رحمه الله وروايات اخر منها ما قدمناه ومعنى قوله وعليهم الى اخره انه اذا وجد عندهم هذا النوع
تؤخذ منه ما ليس هرما ولا معيبا كما مر وهذا مبني على ان الخيل تجب فيها الزكوة اذا كانت سائمة
ذكورا واناثا لا صغيرة كورد ان شاء اعطى عن كل فرس دينارا او قومها واعطى زكوتها اذا حال
الحول وتم النصاب والشافعي يحمله على ما كان معدا للتجارة وادلتها مبسوطة في كتب الفقه
وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد نهد قبيلة من اليمن تقدم الكلام عليها وهنا اشارة لما
قال عليه الصلاة والسلام لطهفة النهدي السابق ذكره فاللام صلة القول تنزيل
قوله لبعضهم منزلة قوله لكلهم او لتنزيل كتابه منزلة خطابه او هي للتعليل وقيل انه هنا
متعين لانه هنا ليس مقولا لهم والمخاطب بهذا الكلام الاتي هو الله عز وجل لما سال صلى الله
عليه وسلم ان يستسقي لهم فدعا لهم وقال اللهم اي يا الله بارك لهم اي اجعل البركة وزيادة
الرزق وثباته معتنوما واصلا لهم قال الامام الراغب رحمه الله اصل البركة صدر البعير
وان استعمل في غيره وبرك البعير التي بركه واعتبر فيه معنى اللزوم ومنه براكاء الحرب لمكان يلزمه
الابطال والبركة لمحبس الماء والبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء قال تعالى لفتحنا عليهم بركات
من السماء لثبوت خيرها ثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الالهي
يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة
مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة اشير بما روي لا ينقص مال من صدقة الا الى النقصان
المحسوس كما قال لبعض الخاسرين حيث قيل له ذلك بيني وبينك الميزان وقوله تبارك وتعالى
تبارك الذي جعل في السماء بروجا تنبيه على ما يفيض علينا بواسطة هذه البروج والنيرات
المذكورة في هذه الاية وكل موضوع ذكر فيه تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات
المذكورة مع ذكر تبارك وهو تحقيق لا مزيد عليه ومنه اخذ صاحب الكشف ما قاله في اول
سورة الملك وقد تقدم ان طهفة وفد من قومه على النبي صلى الله عليه وسلم وهم في قحط
شديد اصابهم فشكى له ما مسهم في كلام ذكرناه اولا فدعا لهم وقال اللهم بارك لهم
في محضها ومخضها متعلق ببارك والمحض بفتح الميم وسكون الحاء المهملة والضاد المعجمة
والمخض مثلثة الا ان خاءه معجمة ومعنى الاول الخالص كما مر وما دونه كلها تدل على الخلوص
والصفا ومنه محض الايمان في الحديث ومحضت له الود وعربي محض ونحوه والمخض
اصله تحريك السقاء الذي فيه اللبن حتى يتميز من زبده فيؤخذ منه ويسمى اللبن الذي اخذ زبده
مخيضا وهو صفة لا مصدر سمي به كما توهم ومذقها بفتح الميم وسكون الذال المعجمة والقاف
واصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن المخلوط بالماء قال الحجاج ابمذق هل رايت الذئب
قط والضمير راجع للارض او للانعام المذكورة في كلام طهفة السابق الذي شكا فيه
محل بلادهم وهلاك دوابهم فدعا لهم صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم بارك لهم في البانها
باقسامها مما كان خالصا لم يتميز زبده وما ميز زبده وما مزج بالماء ومجموعه كناية عن خصب

ارضهم وسقيها فان الالبان انما تكثر بنبات المرعى وهو انما يكون بالمطر فكانه قال المراسق
بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة كما يدل عليه قوله وابعث راعيها في الدثر ابعث بمعنى ارسل يقال
بعث الله رسوله للناس اى ارسله والراعي الذى يرعى الابل وغيرها والدثر بفتح الدال المهملة
وسكون المثلثة والراء المهملة وهو الابل الكثيرة ويقع على الواحد فما فوقه ويجوز فتح ثائه
وقيل الدثر الخصب وكثرة النبات لانه من الدثار وهو الغطا لانها تغطى وجه الارض
وافجر له الثمد افجر بضم الجيم من فجر يفجر كعقد يعقد من تفجير الما وهو جعله جاريا معينا والثمد
بفتح المثلثة وفتح الميم وقد يجوز تسكينها واخره دال مهملة وهو الما القليل وافجر له مجاز عن معنى
التكثير للزومه له غالبا فالمراد كثر ما قل من مائه وضمير له للراعي واذا كثر له كثر لغيره وبارك لهم
في الماء والولد معطوف على ما قبله او على بارك الاول والمال لكلما يتولد ويملك وهو في كلام
العرب في الاكثر يختص بالابل ويجوز ارادة كل منهما هنا من اقام الصلوة كان مسلما اى مسلما
كاملا كقوله المسلم من سلم الناس من يده ولسانه او المراد انه يحكم باسلامه بحسب الظاهر
او المراد الحث على اقامة الصلوة والمراد باقامة الصلوة المداومة والمحافظة عليها كما حقق
في الكشاف وشروحه وقيل انه على ظاهره لان من تركها مستحلا لتركها كفر ولان تاركها كافر لقوله
فولي حمدا وهو في حكم الكافر لانه يقتل كما سيأتي بيانه ومن اتى الزكوة عمدا اتى اعطاها واداها
كان محسنا اى منعما متفضلا على الفقرا واتيانا بامر حسن مطلوب في الدين ومن شهد ان لا اله الا الله
كان مخلصا اى من اتى بكلمة التوحيد واعلن بها فهو مخلص في ايمانه لان الظاهر مطابقة قوله لما
في قلبه وهذا من باب حمل احوال المؤمن على الصلاح والمراد بالاخلاص عدم النفاق وقيل
المراد من قال كلمة الشهادة وهي لا اله الا الله محمد رسول الله فهو كما يقال قرات حم والكتاب
المبين اى السورة بتمامها وعليه يحمل نظايره الواردة في الاحاديث لكم يا بني نهد ودايع الشرك
لكم خبر مقدم للاهتمام لا للحصر القلبي بناء على ما سيأتي من تفسيره وجملة الندا معترضة لبيان
المخاطب وودايع الشرك المراد بها كما في النهاية العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من حاربهم
من الكفار في الجاهلية يقال توادع الفريقان اذا اعطى كل واحد منهم الاخر عهدا ان لا يغزوه ويسمى
ذلك العهد وديعا بغير هاء فيقال اعطيته وديعا اى عهدا والظاهر ان المراد عهودهم التى
وقعت بينهم بعد الحروب بعدم المواخذة بما قتلوا اذ تحاربوا وقيل بعضهم بعضا وما اراقوا
من الدما هدرا كما في الحديث الاخر كل دم في الجاهلية تحت قدمي هذه اى متروك هدرا وقيل معناه
انهم كانوا التزموا اهانة بعض الكفار فغيرا الاسلام ذلك الحكم فلو وجب عليهم الوفا بما التزمو
لامرهم بغزو من خالف دينهم فاطلقوا من قيود ما التزموه في الشرك من ذلك ولا يخفى بعده
وتكلفه ثم قال في النهاية ويجوز ان يراد انما استودعوه من اموال الكفار حلال لهم لانها مال اخذ
من الكفار من غير ايجاف خيل وقتال فهو في وهكذا حكم ودايع الكفار فهو جمع وديعة بالها على
هذا ولا ينافيه ان النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر خلف عليا كرم الله وجهه ليرد ما كان عنده
صلى الله عليه وسلم من الودايع والامانات لانه كان قبل حل الغنايم له او لانه صلى الله عليه

وسلم فو من نسبته للخيانة وذهاب شيا منه وامانته فيطعنوا في الاسلام ويبعدوا من الايمان
ووضايع الملك الوضايع جمع وضيعة بمعنى موضوعة والملك بكسر الميم اى ما كان يوضع على
الاملاك من الزكوة والصدقة ثابت لكم كسائر المسلمين يلزمكم ما يلزمهم من الوظايف من غير
زيادة ولا نقص او الملك بضم الميم والمعنى ان ما كان ملوك الجاهلية يوظفونه على الرعايا
ويستاثرون به من غنايم الحروب لا يؤخذ منكم فهو لكم فلام لكم على ظاهرها بتقدير التفسيرين
الاخيرين للودايع والوضايع وبمعنى على كما في قوله تعالى وان اساتم فلها على التفسيرين الاولين
لهما وقيل عليه ان العهد اذا لزم الوفا به يكون على المعاهد لانه فرض مطلوب منه وعهودهم
بينهم قبل الاسلام لا يجب الوفا بها بعد الاسلام والقايل ظن وجوب الوفا بها فحمل اللام
على ما حمله وليس كذلك كما ان عهد الكافر لا يعتد به واما الوضايع بمعنى تكاليف الزكوة فهي
وان ثقلت على بعضهم لهم باعتبار الاجر عليها وقد علمت ان هذا مبنى على تفسير وليس بمتعين
كما مر مع ما فيه لا تلطط في الزكوة تلطط بضم التا المثناة وسكون اللام وكسر الطا المهملة
الاولى وجزم المهملة الثانية بلا الناهية وفي الزكوة متعلقة به اى لا تمنعها قال ابن الاعرابي
لط الغريم اذا منع حقه واصله من لطت الناقة فرجها بذنبها اذا ضمته عليه وقد اوردها
النحل وفي شعر الاعشى الحرماري في امراته وقد نشزت اخلفت الوعد ولطت بالذنب
وهن شر غالب لمن غلب ولط الغريم اذا اختفى ولا تلحد في الحياة هو مضبوط بضم التا
المثناة اوله ولام ساكنة تليها حا مهملة مكسورة ودال مهملة مجزومة من الحد الحادا اذا
جاد وعدل عن الحق واصله مطلق العدول ويقال الحد ولحد قليلا والذى في الشفا هو الذى
رواه القفشي بالفعل والخطاب للواحد والذى رواه غيره ما لم يكن عهد ولا تلحد في الحياة
بالاسم المصدر ويشد عين الاخيرين وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ما قبله كذا
في النهاية الاثيرية يعني ان هذه الرواية بلفظ المصدر من التفاعل والتفعل هو الوجه الواضح
لانه كلام خوطب به جماعة في قوله يا بني نهد وهنا جاز على غير اسلوبه لتوجه الخطاب لواحد
من بينهم وان كان ما قبله مشتملا على ضمير الجماعة المخاطبين دونه وقد جا التلطط والطط
والطي بالدال الاخيرة بالتخفيف وقال ابن رسلان لا تلطط او تلحد بالنون من باب نهى الانسان
نفسه لينتهي غيره مثل ولا ضمير في رواية القفشي اذ الخطاب فيها لمن تلقى الكلام له النبى صلى الله
عليه وسلم من بين جميع ما خوطبوا ابتداء ونظيره في افصح الكلام ثم عفونا عنكم من بعد
ذلك حيث خوطب من يتلقى الكلام بلفظ ذلك ولم يقل ذلكم وتخصيص واحد من الحاضرين
بخطاب النهي للتعريض بالباقين والصون لهم عن توجه صيغة النهي اليهم رجا الانقياد للامتثال
بالطف وجه ويحتمل ان الخطاب لهم برتبتهم اولا ثم توجه لواحد في المجلس خارج عنهم فيها تعريضا
او نهاهم نهي غيبة لتنزيلهم منزلة الغايبين عند توجهه الى غيرهم ولم يقل لا يلطوا ويلحدوا بلفظ
جماعة الذكور الغايبين بل لا تلط وتلحدا وهي والضمير لبني نهد وبنون وان كان جمع مذكر سالم
ومثله لا يعود له ضمير المؤنث ولا تلحقه التا فلا يقال الزيدون قامت ولا قامت الزيدون

ولا العمرون نقعد بخلاف قامت الرجال والرجال تقوم بتاء التانيث الا انه لما غير مفرده عند جمعه
اشبه جمع التكسير فاعطى حكمه فجاز الحاق التاء بفعله نحو قامت البنون ومنه قوله تعالى الا الذى
امنت به بنوا اسرائيل فصار ذلك داعيا الى جواز البنون قامت وتقوم ونحوه بتاء التانيث
وذهب بعض النحاة الى انه جمع تكسير بدليل جواز الحاق التا قال فى ضوء الزمان هذا مذهب
غير جيد راى غير مصيب قلنا المخطى مخطى وهذه المسئلة مذكورة فى شروح كتاب سيبويه والذى
قال انه قول غريب ابن درستويه ابن خروف ولولا خوف الملل فصلناه وقيل عليه ان قياس الضمير
على حرف الخطاب المتصل باسم الاشارة لا وجه له للفرق بينهما وما فى الحديث توجيه بانه خاطب
القوم اولا بقوله يا بنى نهد وعلم ان فيهم واحدا متبعا لهوى نفسه فخصه من بينهم بالخطاب
بما يليق به او جعله تعريضا لباقيهم لئلا تثقل عليهم المواجهة بالنصيحة ونقل عن ابن
الباذش ان الخطاب المفرد بعد الجمع له تاويلان اما تخصيص واحد من بينهم او تاويله بمفرد
لفظا مجموع معنى كالفريق وجوز فيه ان يكون التفاتا واتى بما لا يسمن ولا يغنى من جوع على عادته
فى التطويل الممل من غير فائدة وانا اقول هذا كله مبنى على قاعدة ذكرها النحاة كما فى شرح الكافية
للرضى وهى انه لا يكون فى كلام واحد خطابان لمخاطبين متغايرين من غير عطف ولا جمع وتثنية
وهذه القاعدة ذكرت فى باب الاشارة وقد تتبعت كلامهم فرايتها مقيدة باربعة قيود الاول
ان يكون ذلك فى جملة واحدة فلو قلت انت يا زيد تضرب انت يا عمرو تشتم لم يمتنع الثانى ان
لا يتغايرا فلو كان احدهما غير الاخر جاز نحو اذكر اذ قال ربك كما قدره المفسرون فى مثله وغفل
عنه بعضهم فاعترض بما لا يحصل له الثالث ان لا يكون احدهما بعض الاخر فيجوز اتيكما كما ذكره
النحاة فى افعال القلوب وصرح به المرزوقى رحمه الله فى قوله اجدوا قومها لكم يا جول
فقال جول اسم رجل جعل اول الكلام خطابا لجماعتهم ثم خص بالنداء واحدا منهم جعله
المامور بما اراد كقول الهذلى حجيا يا كن يا ليلى الاماريح فقال يا كن ثم قال يا ليلى انتهى
الرابع ان يبقى الخطاب على حقيقته كما ذكره الرضى فى باب التعجب وقد بسطنا الكلام على
هذه المسئلة فى كتاب طراز المجالس والمعترض والمجيب خبطا هنا خبط عشواء فان هذا
التركيب صحيح من وجهين لكونه بعضا فى جملة اخرى فاحفظه فانه من نفايس الذخاير لانه
ذكر فى اعراب قوله فى الرواية السابقة ولا موعد كلام يقضى منه العجب واجاب عنه تلميذه
فاعجب واعجب الا ان المصنف رحمه الله كفانا مؤنته لانه لم يذكره فلذا اضربنا عنه فان اردت
فانظره وقوله فى الحياة اى لا يلحد مادمت حيا ولا تثاقل عن الصلوة بجزم اللام والكلام
فيه كالذى قبله اى لا تتوانى وتكسل عن الصلوة وتتركها والتثاقل مجاز كناية كان عليه
ثقلا يمنعه عن الحركة اليها وكتب لهم فى الوظيفة اى امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يكتب لهم
كتاب يبين فيه ما يلزمهم بعد الاسلام والوفا باركانه وضمير لهم لبنى نهد وهو متعلق
بكتب والوظيفة بالظا المشالة والفا بزنة سفينة وهى المعين فى كل يوم او فى زمان معين
من الطعام وغيره من الرزق ويطلق على العهد والشرط وجمعه وظايف ووظف بضمتين

كسفن

206
كسفن كما قاله اهل اللغة والمراد الاخير اى كتب فى العهد وما شرط عليهم فى الزكاة لهم
فيما يوخذ منهم من الوظايف المرتبة عليهم الفريضة اى ما فرض عليهم ففريضة بمعنى مفروضة
فان كانت الفريضة بمعنى الهرمة المسنة كالفارض لفرضها سنها اى قطعها له او لانقطاعها
عن العمل والانتفاع بها فهى غير مرادة هنا لانه روى عليكم فى الوظيفة اى فى كل نصاب ما فرض
فيه وهذه الرواية مفسرة للمراد به ولان قوله ولكم الفارض يابا لما بينهما من التنافى مع غاية
ما فيه اطلاق الوظيفة على النصاب لانه وظيفة لاصحاب الارزاق مقدارا لهم كوظيفة الانعام
المعينة التى وصفها عمر رضى الله تعالى عنه كما ذكر فى باب الوظايف فلا تجوز فيه كما توهم والفارض
بالفا كما ضبطه البرهان الحلبى وقد تقدم تفسيرها ويؤيده ما فى الحديث الاخر ولكم الفارض والفريض
يعنى لا يوخذ منكم ولا يكون على الانضا لانه لا تصح به الزكوة وضبط التجانى بالعين المهملة بدل
الفا وقال العارض المريضة التى اصابها كسر وهى لا تقبل فى الصدقة فهى باقية لاصحابها وفى
تنزيل الخفا انه وقع فى بعض النسخ بالعين المهملة وهى الناقة التى يصيبها كسر او مرض فتنحر وفى
العرسين فى بعض نسخه الفارض بالفا وقيل بالعين التى اصابها كسر ولم يتعرض لمرضها يقال عرضت
الناقة اذا اصابها افة او كسر وبنو فلان اكالون للعوارض اذا لم ينحروا الا ما اصابه مرض
او كسر خوفا ان يموت فلا ينتفعون به والعرب تعير باكله قلت كانه سقط من عبارة التجانى لفظ
او وعد الكسر مرضا وفى الشرح خلط هنا لم نسوده وجد الطرس والفريش بفتح الفا وكسر الرا المهملة
والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة الحديث العهد بالنتاج كالنفسا من النسا وحكى انه ما لا يطيق
حمل الاثقال من الابل لصغره كما حكى انه يقال فرش وفريش بمعنى وان كان المشهور فيه الفرش كما فى الاية
ومن الانعام حمولة وفرشا وقيل الفرش ما انبسط على وجه الارض من النبات وهو بعيد هنا يعنى
ان هذه كلها لا توخذ فى الزكوة اما على الاول فلانها لبون نفيسة واما على الثانى فلحسنها وذو العنان
الركوب العنان بكسر العين ونونين بينهما الف والركوب بفتح الرا هو المركوب الذلول قال تعالى
فمنها ركوبهم ووصفه بذى العنان فى محله يعنى لا يوخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه
فلا يوخذ فى الزكوة وان قلنا بزكوة الخيل وكذا الصغير لانه ليس من اوسطها والركوب بالرفع
صفة ذو وروى بالجر صفة العنان والفلو بفتح الفا وضم اللام وتشديد الواو المهر الصغير
من الخيل لا يوخذ فى الزكوة وسمى فلوا لانه يفلى من امه اى يقطع بالفطام عنها قال الجوهرى يقال
فلوته اذا قطعته وعن ابى زيد اذا فتحت الفا شددت الواو واذا كسرتها خففت فقلت فلو كجرو
وفى القاموس انه يقال كجرو وعدو وسمو وقال انه الجحش والمهر وقيل صغار اولاد ذوات الحافر
مطلقا وروى الفلو بدون واو عطف والاول اصح الضبيس بفتح الضاد المعجمة ووهم من قال
المهملة والموحدة المكسورة والمثناة التحتية والسين المهملة اى المهر العسر الركوب الصعب وهو
من الرجال كذلك وكانه كنى به عن صغره ولو عطف كان المراد به الحرون الا انه وقع بلا عاطف
لا يمنع بالبنا للمفعول سرحكم باهمال السين المفتوحة وسكون الراء المهملة والحا المهملة وهى الماشية
التى تسرح بالغداة للمرعى والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها يقال سرحت الماشية

تسرح اذا خرجت للرعي وفعله يتعدى ولا يتعدى فاذا رجعت قيل راحت قال تعالى حين تريحون وحين تسرحون
وهذا كما قال في كتاب اكيدر لا تعدل سارحتكم وفاردتكم من مرعى الا انه غير فيه بالسارحة لمشاكلة
الفاردة كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله ولا يعضد طلحكم يعضد بمعجمة بين مهملتين يعني يقطع
يقال عضد عضدا اذا قطعه والطلح بفتح المهملة وسكون اللام والحاء المهملة شجر عظام يقال له
العضاة وام غيلان وكل شجر عظيم له شوك يقال له عضة والطلح في قوله تعالى وطلح قيل هو
الطلع وقيل شجر الموز والمراد لا يقطع لكم شجر طلحا كان او غيره وخصه لانه لا ثمر له فاذا امنع
قطعه علم عدم قطع غيره بالطريق الاولى ولا يحبس دركم بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين
واصل معناه اللبن والمراد به هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى في مكان يجتمع فيه
ليعدها من ياخذ الصدقة لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها عنه وروى لا يحشر
دركم اي لا يجتمع في مكان عند المصدق وهو بمعنى لما مر من الضرر وما قيل من ان ما رواه المصنف
لا يختص بالحبس عن المرعى لشموله لحبسها عند صاحبها على وجه يمنعها من المرعى وحبسها عند المصدق
ليعدها عليه مع مخالفته لكلامهم وللسياق لا طائل تحته وكذا ما قيل ان معناه لا تؤخذ الدر نفسه
الا ان يكون منحة وكل هذا مناف للفرض وقد ورد في صلح اهل نجران ان لا تحشروا ولا تعشروا او مقصوده
صلى الله عليه وسلم الرفق بمن يؤخذ منهم الزكوة فيوتى لمنازلهم من غير سوق لمواشيهم وحبس لها
ما لم تضمروا الرماق تضمروا بمعنى تخفوا وتكتموا الرماق بكسر الراء المهملة وميم والف وقاف هو النفاق
يقال رامقته رماقا وهو النظر الشزر من الحقد والمعنى ما لم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش
رماق اي ضيق يمسك الرمق وهو بقية الروح واخر النفس كما قاله ابن الاثير وتاكلوا الرباق بكسر
الراء المهملة والموحدة والقاف قال الشمني جمع ربقة وهي حبل فيه عرى يشد به البهايم وفي الحديث
خلع ربقة الاسلام من عنقه قال ابن الاثير شبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل
لنقضه فان البهيمة اذا اكلت الربق خلصت من الشد وما مصدرية ظرفية وهو اما قيد
بما قبله او لجميع ما تقدم والمعنى ان هذا امر تقرر عليكم منا ما لم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام
فاذا كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكفرة وهذا معنى لا غبار عليه ولا ترتيب في نحوه لان
المعنى ما لم تضمروا النفاق ثم تظهروا نقض العهد وقريب منه تفسيره بالغدر والنكث والعدوان
فانها اذا اضمرت كان نفاقا واما تفسير اضمار الرماق باخفاء قطيع من الغنم يعني عن المصدق
فانه خيانة تقتضي تضييق المصدق عليهم بحشر انعام درهم وحبسها فهو على هذا متعلق بقوله
لا يحبس دركم وهذا معنى صحيح موافق للغة لان الرمق القطيع من الغنم فارسي معرب كما قاله الجوهري
الا ان المشهور الماثور في تفسير الحديث ما تقدم فاعتراض البرهان عليه بانه لم ينظر في غير
الصحاح واخشى ان لا يكون احد قاله قبله بما يليق ذكره وكذا القول بان النفاق اضمار العذر
مع اظهار خلافه فتفسيره غير مستقيم ليس بشيء وكذا تفسير الرباق بالموحدة بالغنم مجازا
العلاقة المجاورة فكله بعيد بمراحل عن المرام وفي الكلام استعارة تمثيلية او تصريحية
والمراد بالعهد التام او امر الله ورسوله ونواهيه وفي الشرح الجديد قال البرهان يعني المعلق

ان الرباق مجاز عن الغنم ولا ادري من هنا المعلق وعلى هذا التقدير معناه ما لم تاكلوا الغنم ولا معنى
لهذه الظرفية حينئذ اذ يول الى ان ذوات كانتكم ما لم تاكلوا الغنم ومثله سمج لا يليق بحديث
الرسول صلى الله عليه وسلم المسوق لبيان فصاحته عليه الصلوة والسلام وفي الحواشي
التلمسانية تضمروا الاماق بهمزة مكسورة وميم ساكنة وهمزة ممدودة يليها قاف بزنة الاكرام
ومعناه الغدر والبغض يقال اماق يميق رباعيا وقد يخفف همزه هكذا ثبت عند العزفي وفي بعض
نسخ الشفاء الرماق بكسر الراء والميم بعدها وهو بخط القاضي رحمه الله انتهى والشراح وارباب
الحواشي متفقون على الرواية الثابتة من قوله الوفا بالعهد والذمة ال في العهد للعهد فالمراد
ما عرف من عهود الاسلام او ما عهدهم الله ورسوله فيما كتب لهم والذمة قال البرهان الحلبي
بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق والمراد الاولان وسميت الذمة ذمة لان تركها يوجب
الذم ثم سمي محل الالتزام بها في قول الفقها تثبت في ذمته كذا ومن الفقها من قال انها بمعنى يصير به
الادمي على الخصوص اهلا لوجوب الحقوق له وعليه كما قاله تاج الشريعة رحمه الله في شرح
الهداية وقال القرافي رحمه الله في قواعده لم يعرف اكثر الفقها معناها المستعملة فيه وحقيقتها
حتى ظنوا اهلية المعاملة او صحة التصرف وليس كذلك لان كلا منهما يوجد بدون الاخر وهي
عبارة عن معنى مقدر في المكلف قابلة للالتزام واللزوم مسبب على اشيا خاصة في الشرع وهي
البلوغ والرشد وعدم الحجر وهي من خطاب الوضع انتهى وسمي اهل الذمة بذلك لدخولهم في عهد
المسلمين وامانتهم والمراد ان من اعترف وصدق بما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فله الوفا
بالعهد والذمة ومن ابى اي امتنع من قبول العهد او نقضه بعد قبوله ودخوله فيه من منع
الزكوة فعليه الربوة والربوة بتثليث الراء المهملة وسكون الباء الموحدة والواو والهاء كما
في القاموس فالاقتصار على بعضها تقصير وهي الزيادة ومنه الربا كاخذ زيادة على
ما اعطاه وفسرت الربوة بان يؤخذ منه زيادة على فريضة الزكوة عقوبة وروي من اقر
بالجزية فعليه الربوة اي من امتنع عن الاقرار لاجل الزكوة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب
عليه بالزكوة قاله ابن الاثير وقال التجاني عنه صلى الله عليه وسلم ان من ابى من اداء الزكوة
اخذ منه الفرض وزيد عليه مثله كما في حديث ابي هريرة رضي الله عنه الصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ندب الناس الى الصدقة فقيل له منعها خالد بن الوليد وفلان
وفلان فقال اما خالد فانكم تظلمونه لانه احتبس ادراعه واعدها في سبيل الله واما
فلان فلا ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله ورسوله واما فلان فانها عليه ومثلها
معها وروي فانها عليه صدقة ومثلها معها وفي رواية البخاري ان عليه صدقة واجبة
تؤخذ منه وليس معناها انه يعطاها ويعطى مثلها معها لان المذكور من اهل البيت
لا تحل له الصدقة وذهب ابو عبيد في معنى هذا الحديث الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اغنا الزمه اياها ومثلها معها لانه كان قد اخر عنه صدقة العام الماضي ومثله
جائز للامام اذا علم حاجته وفقره لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه في معرض العقوبة

والجزاء فلو كان كذلك لم يكن فيه ردع له انتهى وفي رواية البخاري احتمال انها كانت قبل تحريم
الصدقة على اهل البيت كما في بعض شروح مسلم واعلم انه اي التجاني لم ينقل الحديث على وجهه
فانه هكذا في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمر رضي الله عنه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس فقال
صلى الله عليه وسلم ما ينقم ابن جميل الا ان كان فقيرا فاغناه الله تعالى واما خالد بن
الوليد فانكم تظلمونه وقد احتبس ادراعه في سبيل الله واما العباس فهو علي ومثلها معها ثم قال اما شعرت
ان عم الرجل صنو ابيه وفي رواية البخاري فهي عليه صدقة ومثلها معها وفي رواية لم يقل
صدقة ففيه ثلاث روايات ومعنى الاولى انه صلى الله عليه وسلم التزم باخراج ذلك
عنه وبين سببه بقوله عم الرجل الخ تشريفا له ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم يتحملها
عنه لتعلق الزكوة بالذمة وجمع ابن الجوزي بين رواية علي وعليه بانهما بمعنى وزيد في الثانية
هاء السكت في علي وقيل معنى علي انها عندي لاني اخذت منه صدقة عامين وقد ورد مصرحا
في رواية اخرى بناء على جواز تعجيل الزكوة وفي الحديث وجوه اخر في شروح الصحيحين لا حاجة لنا
هنا ومن هذا علمت ما في قوله لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه ورد في معرض العقوبة الخ فانه
لا زجر فيه الا لابن جميل لا للمقول في حقه فهي عليه ومثلها كما سمعته انفا ومن كتابه صلى الله
عليه وسلم لوايل بن حجر تقدم الكلام عليه الى الاقيال العباهلة اي الملوك القار
ملكهم وقد تقدم تفسيره وبيان لغته وضبطه والارواع بهمزة وراء مهملة وواو بعدها الف
وعين مهملة وهم السادة الزهر الالوان الحسان الوجوه وقيل انه جمع رايع وهم الذين يروعون
الناس اي يخوفونهم بمنظرهم لجمالهم وهيبتهم قاله ابن الاثير قيل والاولى جمع فاعل على افعال
نادر جدا اقول ما قاله ابن الاثير هو الذي ارتضاه المبرد في الكامل لما فيه من البلاغة فان الحسن
الرايع اذا اراه من له ادراك ادهشه وحيره فيشبه الخائف الفزع ومن وقف على كلام المبرد
عرف حسنه وقيل انما كان هنا غير موجه لان الهيئة التي كانت لهم هيئة تجبر وظلم لا انها الاسلام
والنبي صلى الله عليه وسلم انما اراد مدحهم بالحلم والرافة وليس بشيء المشابيب بفتح الميم
والشين المعجمة ثم موحدتين بينهما الف ومثناة تحتية جمع مشبوب وهو الحسن الازهر اللون
قال ذو الرمة انا الاروع المشبوب ضحى كانه على الرحل مما منه السير احمق والمراد السيد
الظاهر الازهر اللون المنير كانه اوقد فيه وجهه سراج نير وهو يجمع مع روح في كلامهم كما في البيت
فان النار مما تروع ناظره وروي الاشباء بزنة الاخلاء جمع شيب كخليل وقيل هم الرجال الذين
وجوههم بيض وشعورهم سود فهذا كما يقال للحسنات الذوايب السود شعرها يشب لونها اي يظهره
ويحسنه وقيل المراد الاذكيا وفيه اي في كتابه صلى الله عليه وسلم لوايل في التبعة شاة التبعة
بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية والعين المهملة الاربعون من الغنم وقيل الخمس
من الابل وقيل هي ادنى ما تجب فيه الصدقة من الغنم والابل وهو المقدار المذكور وقيل هي ما يأخذه
الساعي من الزكوة وهو غير مناسب هنا وهو من التبع وهو القي وقد وقع التشبب به في حديث

الراجع في هبته كالراجع في قيئه ويقال تاع قيئه وتاع ويقال تاع بمعنى ذهب قيل وجه المناسبة
سرعة المبادرة اليها كسرعة القي ولذهاب الساعي اليها والاحسن ان يقال لانها فضلة ووسخ
يستريح بدفعها لان الصدقة اوساخ الناس كما ورد في الحديث ولذا منع اهل البيت منها لشرفهم
لا مقورة الالياط مقورة بميم مضمومة وقاف ساكنة وواو مفتوحة مخففة وراء مهملة مشددة
من الاقورار كمحمرة من الاحمرار وهي المسترخية الجلد من الهزال فلا تؤخذ في الصدقة لرداءتها وقيل
هي المنتخخة من الهزال ايضا وقيل هي السمينة فهي من الاضداد كما ذكره الصاغاني في كتاب الاضداد
وهذه لا تؤخذ لانها اعلى والمامور باخذ الوسط وفي بعض النسخ مفورطة بفرعلة قال التلمساني
قال ابن سيدي الحسن ولا اعلم الان معناه ولعله صحف من مقربطة يقال قربط الجلد انضم بعضه
لبعض ومقربطة وهو بمعناه والالياط بلام ويا مثناة تحتية وطاء مهملة جمع ليط بكسر اللام
وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاط يلوطه اذا الصقه وقيل القورة المقطوعة والمعنى بها
الناقصة فالتفاسير متقاربة ولا ضناك بفتح الضاد المعجمة وكسرها قال التجاني ويجوز ضمها
وخطى فيه لانه بمعنى الزكام ولا مناسبة له هنا وفي ضبطه نظر لما في العباب للصاغاني الضناك
بالفتح قال الفارابي وقال غيره هو بالكسر وهو الصواب وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ
لجودتها وانطوا الثبجة انطا بمعنى اعطا لغة لاهل اليمن ولبني سعد وروي في الدعاء لا مانع لما
انطيت وقرئ شاذا انا انطيناك والثبجة بالمثلثة والموحدة والجيم المفتوحات والهاء بمعنى
الوسط والهاء للنقل من الاسمية للوصفية وقال التجاني ان الباء الموحدة مكسورة ومنه ثبج البحر
لوسطه وفي الحديث خيار امتي اولها واخرها وبين ذلك ثبج والمقصود انه لا يؤخذ في الزكوة
الاعلى لاضراره برب المال الا ان يكون موصى منه ولا الادنى ولا المعيب الا ان يكون الكل كذلك
لان الجود بالموجود وتفصيله في كتب الفقه قال البرهان وفي بعض النسخ بكسر الباء وتشديد
الجيم وفيه نظر قال التلمساني وروي الشجة بالشين والجيم من شجه سار كشجة واراد اعطاء القوي
للضعيف فتامله وفي السيوب الخمس السيوب بضم السين المهملة والمثناة التحتية وواو وموحدة
جمع سيب وهو الركاز بمهملة وكاف وزاي معجمة بزنة كتاب بمعنى مركوز وهو المال المدفون الجاهلي
من ركز الرمح اذا غرزه في الارض وامره او من الركز وهو الاخفاء قال تعالى او تسمع لهم ركزا اي صوتا
خفيا وسمي سيبا لانه عطية من الله تعالى وقيل هو الذهب والفضة المعدني من تسيب بمعنى
تكون من غير صاحب له فكانه مسيب والخمس بضمتين وضم فسكون ويقال له خميس ومنه اسم
الجيش لكونه خمسة اقسام ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلب وقوله في الحديث المعدن
جبار وفي الركاز الخمس يدل على ان الركاز غير المعدن واتفقوا على وجوب الخمس في الركاز الا الحسن
البصري فقال ان وجد في دار الحرب ففيه الخمس وفي غيرها الزكاة ولا فرق فيه وبين النقدين وغيرهما
والقليل والكثير ولا يشترط الحول كالزكوة وعند الشافعي انه كان وجد في ملكه فهو له ان ادعاه
والا فهو لقطة ومن زنى من بكر فاصقعوه مائة قوله من بكر وما ياتي من قوله من ثيب اصله
كما في النهاية من بكر ومن ثيب فقلبت النون ميما لانها اذا سكنت قبل الباء تقلب ميما سواء كان

من كلمة نحو عنبرا ومن كلمتين نحو من بكر وتقدم ان لام التعريف تبدل ميما في لغة حمير نحو ليس من ام بر ام
صيام في ام سفر فاما ان يكون ما نحن فيه من الثاني فاصله من البكر فحذفت نون من على حد قولهم في بني
الحارث بلحارث فيكون بكر حينئذ غير منون او استعمل البكر موضع الابكار والاشبه ان يكون
بكرة منونة وابدلت نون من ميما انتهى وقيل عليه ان كون بكر بمعنى ابكار لاجل من التبعيضية
فتقديره من زنى بكرا من الابكار ويجوز ان يكون لبيان الجنس فبكر على اصلها وهو على هذا يحتمل
ان يكون بمعنى الابكار لما في من العموم ثم انه اذا قلب النون ميما على نهج الانقلاب التجويدي
لا يتاتى في قوله م ثيب فلنا قال في حزبل الخفاانه من باب الازدواج والمشاكلة كما في قولهم ماقدم
وحدث بضمها مع ان حدث بالفتح فان قلنا انه انما قيل م بكر بقلب النون ميما لانها تقاربها
كثيرا كما في قولهم بان وبنام ودام ولاوام كما قاله البخاني لم يحتج لما ذكره وقوله فاصقعوه بهمزة
وصل ثم صاد ساكنة ثم قاف مفتوحة ثم عين مضمومة مهملة اي فاضربوه ويقال اسقعوه بالسين
ايضا من السقع وهو الضرب واصله الضرب على الرأس وقيل هو الضرب ببطن الكف وضبطه
بعض الشراح فاصفعوه بالفا بدل القاف كما نقله التلمساني يقال صفعت فلانا اصفعه صفعا
اذا ضربت قفاه بجمع كفي ورجب وهو مصفعاني يفعل به ذلك والعامة تقول لمن سرقت عمامته
انه صفع وهي استعارة عامية ركيكة كما قال ابن نباتة رحمه الله اسفت لشاشي الذي قد مضى
وفاز به سارق حاشه وو الله ما بي حاجي سوى قولهم صفعوا شاشه وتطفل عليه
الصفدي رحمه الله على عادته فقال لقد سرق الشاش بليل وما قدر الله فما يندفع
الحمد لله الذي لم يكن شاشي على راسي لما صفع والمراد هنا حد الجلد والمراد بالبكر غير
المحصنات كما بين في الحدود واستفوضوه عاما بهمزة وصل وسين مهملة وواو ساكنة مثناة
فوقية وفاء وضاد معجمة ثم واو ساكنة ثم ها الضمير يعني انفوه وغربوه من وفضنا الابل اذا
تفرقت والعام والسنة بمعنى هنا وان كان الامام السهيلي فرق بينهما في الروض الانف باعتبار
اصل الوضع فان السنة من دوران الشمس الى عودها لمحلها لانها من سنى بمعنى دار ومنه السانية
والعام ما اشتمل على الفصول الاربعة بتمامها ومن زنا من ثيب اي محصنة وتقدم ما فيه
فضرجوه بالاضاميم ضرجوه بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة مشددة وجيم مضمومة
من التضريج وهو التدمية اي ادموه حتى يسيل دمه ويقتل قال ابن جني ضرجوه بالدم والاضاميم
بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين اولاهما مكسورة بينهما يا مثناة ساكنة الحجارة واحدها
اضمامة بكسر الهمزة او اضموم بضمها كاقنوم سميت بها لانه يضم بعضها لبعض ويطلق على كل مجتمع
من الناس وغيرهم والمراد بالرجم الذي هو حد المحصن كما فصل في كتب الفقه واختلافهم في كون
التغريب من الحد ذا لا مشهور في الفروع شهرة تغني عن ذكره ولا توصيم في الدين توصيه تفعيل من الوصم
بالصاد المهملة وهو العيب والعار اي لا كبر ولا عيب ولا عار ولا كسل في اقامة حدود الله
فلا تحابوا فيها وهذا في معنى قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ولذا حرم الفقها الشفاعة
في الحدود دون التعزير ولا غمة في فرائض الله الغمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم اي لا يخفى

ولستر

وتستر فرايضه فقال بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهار للشعاير الدين وهذا يقتضي ان اظهار الفرايض
209 كلها فينبغي اظهار اداء الزكوة دون اخفائها فقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم محمول على صدقة التطوع فان الافضل اخفاوها وقيل انه شامل
للزكوة وقد يستحب اخفاوها اذا خاف الرويا ونحوه وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال
والزمان ولو قيل ان المراد هنا ان الحرام بين والحلال بين لم يحتج للتقييد ويويده انه روي هذا
لا عمه بفتح العين المهملة والميم المخففة والها اي لا حيرة ولا تردد فيها وروي لا غمد بكسر العين
المعجمة وسكون الميم والدال المهملة ومعناها الاستر ولا اخفا كتغمدنا الله برحمته اي سترنا بها
وكل مسكر حرام هذا حديث صحيح رواه مسلم وهو انه قال كل مسكر اي كل ما من شانه الاسكار
فهو حرام اي ولو قطرة منه والخلاف في المثلث بشروطه معلوم ويدخل فيه الحشيش على الاصح
للزركشي رحمه الله فيه تاليف مستقل وانما ذكر هذا لانهم سالوه وقالوا له يا رسول الله
ان شرابا يصنع بارضنا يقال له المزر والبتع واهل تلك الديار لهم ولع به فلذا بينه لهم والكلام
على الحديث مفصل في شرح مسلم ووايل بن حجر تقدم بيانه يترفل على الاقيال يترفل بالراء المهملة
والفاء واللام والترفل اصله تطويل الرداء والثوب وشله يكون فخرا وعظمة فاستعير او جعل
كناية وهذا اظهر لجعله رئيسا عليهم محكما فيهم وفي اخذ صدقاتهم لان الترفل للتعظيم والرئيس
والحاكم اعظم فجعل هذا عبارة عن ان النبي صلى الله عليه وسلم جعله واليا على امورهم وقبض
صدقاتهم قال البخاني اي يتامر ويترأس وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم في كتاب اخر له وقد وجهه
الى المهاجر بن ابي امية من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المهاجر ابن ابي امية ان وايلا يستعمل
ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت اي هو مستعمل على الصدقات وامير على الاقيال
قال الشاعر اذا نحن قلنا امراسا دقومه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر وقد تقدم معنى
الاقيال واصله ومن الترفل هذا الترفيل المذكور في العروض وقوله ابن ابو امية كذا صحت روايته
بحكايته اول احواله واشرفها كما يقال علي بن ابو طالب قال البخاني وقريش لا تغير الاب في الكنية
فتجعله بالواو في احواله الثلثة وحكاه ابو زيد عن الاصمعي في نوادره فليس بلحن كما يتوهم كما يقولون
ابازيد فهذه لغة خامسة لكنها لكونها مخصوصة بالكنية لم يذكروها ابن هذا من كتابه صلى الله
عليه وسلم لانس رضي الله تعالى عنه في الصدقة المشهور ان ما ستفهام عن المكان والمراد ان
بينهما بونا وفرقا فان ذاك جا بلغة اهل اليمن وهذا بلغة قريش وتهامة المالوفة بينهم ففيه
اشارة الى فصاحته صلى الله عليه وسلم ومعرفته باللغات وخطاب كل احد بلسانه ولغته
وهذا اشارة الى الكتاب الذي دفعه ابو بكر رضي الله تعالى عنه حين ارسله في خلافته الى البحرين
وامره ان يعمل به وهو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم وقفه على ابي بكر رضي الله
تعالى عنه وبعضهم رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انه كان عند ابي بكر رضي الله عنه
يعمل به وهو الذي سلمه لانس رضي الله عنه ولما دفعه اليه كان عليه خاتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا الكتاب ذكره البخاري في صحيحه والنسائي وابو داود والترمذي وغيرهم

على الخلاف بينهم في كثير من الفاظه والبخاري ذكره مفرقا في كتابه ولم يخرجه مسلم واختلف في سبب
تركه مع صحته وشهرته فقيل للاختلاف في كونه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم او من كلام ابي بكر
رضي الله عنه وقيل لاختلاف المحدثين في الكتاب والعمل به وان كان الاصح انه يعمل به ولا فرق بينه
وبين غيره من الاحاديث وله طرق مختلفة واوله بسم الله الرحمن الرحيم هذه
فريضة الله التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سألها من المسلمين على وجهها فليعطها
ومن سئل فوقها فلا يعطه فما دون خمس وعشرين من الابل الغنم في كل خمس ذود شاة فاذا بلغت
خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض وبقية الكتاب مذكور فيه احكام الزكوة وهو مذكور في المطولات
ولكن ذكرنا هنا المقدار منه تبركا لان الثمرة تدل على الشجرة وفي مزيل الخفا قيل لم يكتب النبي
صلى الله عليه وسلم الى انس وانما ابو بكر رضي الله عنه وهو الذي كتب اليه واجيب بان الدار
قطني ذكر باسناد صحيح رواية هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابو داود عن ابن
عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاب الصدقة ولم يخرجه في حياته فعمل به
ابو بكر رضي الله عنه ثم بعده عمر رضي الله عنه وعلى هذا ففي كلام المص مقدر دل عليه خصوص
الواقعة اي في كتابه الذي كتبت نسخة لانس رضي الله عنه لما في صحيح البخاري ان انسا حدث
ان ابا بكر كتب له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين ثم ان المص بين وجه التباين فقال لما كان كلام
هؤلاء الاشارة الى جميع من تقدم من الانصار وقريش واهل نجد واهل الحجاز والهدابين
والنهديين والى الاخيرين لقربهم على هذا الحد اي على هذه الصفة قال الراغب حد الشيء الوصف
المحيط بمعناه المميز له عما عداه وبلاغتهم على هذا النمط وعلى هذه الطريقة واكثر استعمالهم
هذه الالفاظ استعملها معهم يعني ان استعماله هذه الالفاظ مع من هي لغتهم لا تخل بالفصاحة
بل هو من اعلى طبقاتهم وان كان فيها ما هو غريب ووحشي بالنسبة لغيرهم فان الجاحظ نص في البيان
على ان كلام اهل البادية الوحشي بالنسبة لهم فصيح وان كان كلام اهل المعاني قد يوهم خلافه
وانه يخل بالفصاحة مطلقا وهذا مما غفلوا عنه وله في هذا فصل بديع منه من راغ معنى كريما
فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما
ويهجنهما ولا يعود من اجله ان تكون اسوا حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما فكن في ثلاث منازل
اولها ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا
اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة بان يكون للعامة اردت
والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة ولا يتضع بان يكون من معاني العامة وانما
مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال
الى اخر ما فصله ليتبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون شانه الى انه لما كان
مبعوثا لجميع الناس كان يتكلم بكل لغة مع اهلها لانه ابلغ في الابلاغ وانفع وكقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي منسوب لقبيلة بني سعد ابن بكر وفي العرب
مسعود غيرهم سعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر هؤلاء وغيرهم وعطية هذا

هو ابن

هو ابن عروة السعدي ويقال عطية بن عامر ويكنى ابا محمد روى عنه اهل اليمن والشام وهو
جد عروة بن محمد بن عطية روى ابن عبد البر بسنده الى عروة بن محمد ابن عطية قال حدثني ابي ان اباه
حدثه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من بني سعد قال وانا اصغرهم
خلفوا في رحالهم ثم اتوه صلى الله عليه وسلم فقضى حوائجهم ثم قال هل بقي منكم احد قالوا
يا رسول الله غلام منا خلفناه في رحالنا فامرهم ان يبعثوا اليه فاتوا الي وقالوا اجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فلما رآني قال ما اغناك الله فلا تسال الناس
شيئا فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة تمامه وما ل الله مسئول ومنطا
وروي يوده ومنطي وهذا حديث صحيح رواه الحاكم وصححه من طريق عروة وتمامه كما رواه
الواقدي في قصة وفود السعديين عن ابن النعمان منهم عن ابيه قال قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخذ نفر من قومي وقد اوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد
غلبة لهم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها اصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم في طلبنا فاتي بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه
اصغرنا وخادمنا فقال اصغر القوم خادمهم بارك الله عز وجل عليه فكان والله خيرنا
واقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم امره رسول الله صلى الله عليه
وسلم علينا فكان يؤمنا ولما اردنا الانصراف امر بلالا رضي الله عنه فاجازنا باواق فضة
لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام وهذا يشعر بانه كان امير القوم واذ كلهم
فلذا نصحه النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكره المص رحمه الله قال اي عطية السعدي
فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا ورواه السيوطي رحمه الله في تخريجه فكلمني
ولا تخالفه رواية المص لانه صلى الله عليه وسلم القى اليه الكلام وتوجه لما تفهم فيه
الخير لمخايل نجابته والقوم يسمعون فيصح ان يقال كلمهم وكلمه وقيل اراد بقوله كلمنا نفسه
بنون العظمة اظهارا لانعام الله تعالى عليه بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم له وبعثه اليه
وتاميره عليهم والمقام يأباه وقوله بلغتنا الخ بلغة بني سعد لانهم كانوا يقولون انطى ينطي انطا
بمعنى اعطى ولا ينافيه ما قيل انها لغة لغير يمانية لانه يجوز كونها لغة لهما وقال الشمساني
قيل لغة حمير انط بمعنى اسكت وكتب رجل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فدخل
آخر فقال له صلى الله عليه وسلم انط اي اسكت سترا لسره واليد العليا اليد المعطية
والسفلى يد السائل الآخذ وهي المعطاة وقد جاء تفسيره بذلك في حديث آخر وهو انه
صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا
خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة وهو حديث صحيح رواه الشيخان
والمنفقة بنون وفاء وقاف وروى المتعففة بعين وفاء اي التي لا تسأل احدا وقيل المتعففة بتشديد
الفاء وقيل يد الله فوق يدي المعطي ويد المعطي فوق يد المعطى بالفتح فهو اسفل الايدي والايدي
ثلاثة وقيل اليد السفلى الآخذة بسؤال او دونه وما قيل ان هذا لا ينبغي لان الصدقة

تقع اولا فى يد الله ليس بشئ لان هذا ليس على حقيقة لان المراد انها تقبلها ويدخرها له وقيل اليد
العليا المعطية المانعة وقيل اليد العليا يد الفقير لتحصيلها الثواب لصاحب المال ودفع
البلاغة ولخاله بعض مشايخ الصوفية فيده افضل عند الله قال ابن قتيبة وما ارى هذا
الا كلام قوم استحلوا السؤال وحسنوه وكل هذا مضمحل بعد التصريح بتفسيره وفى الاحاديث
الصحيحة وان قيل فيه انه مدرج والخلاف مبنى على ان المراد بالعلو المحسوس بناء على الغالب
او المعنوى من علو الشرف كما قال الشاعر اذا كان باب الذل فى جانب الغنا   سموت الى العليا
فى جانب الفقر   والتعبير عن المعطى بالمنفق وذى اليد العليا بنا على الغالب المتبادر فلا
يقال يد السائل قد تكون فوق اذا اخذ من كفه وان المنفق قد لا يكون متصدقا وان الاخذ
قد لا يكون سائلا بان يعطى ابتدا او السائل قد لا يكون متصدقا عليه كسائل القرض وغيره
وهو ظاهر لا ينبغى التطويل بمثله وتحصل فى الحديث ثلاثة اوجه احدها ان معناه يد المعطى
ويد السائل بطريق الكناية الثانى ان معناه المنفق والاخذ الثالث عكس الاول والاصح دراية
ودراية وبقى وجه اخر وهو ان يراد بالعلو ومقابلة العلو المعنوى لعلو رتبة المنعم وانحطاط
رتبة الاخذ قوله صلى الله عليه وسلم   فى حديث العامرى حين ساله فقال النبى صلى الله عليه
وسلم العامرى نسبة لعامر اسم قبيلة وتسمى بنى عامر سموا باسم جدهم كتميم وكانوا وفدوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم   وفيهم عامر بن الطفيل واربد وتواعدا ان يقتلاه صلى الله عليه وسلم
غيلة فهلكا فى الطريق لما رجعا من عنده صلى الله عليه وسلم وقد حماه الله وعصمه اما
اربد فاصابته صاعقة اهلكته واما عامر فاصابه طاعون مات فيه فى بيت امراة سلولية
وسلول قبيلة مذمومة مسترذلة عند العرب فكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت
امراة سلولية فجرت مثلا لاجتماع امرين حقيرين واربد اخو لبيد الشاعر وقد هداه الله للاسلام
بعد موت اخيه اربد وحسن اسلامه ولم يقل شعرا بعد اسلامه غير قوله الحمد لله اذ لم ياتنى
اجلى   حتى اكتسيت من الاسلام سربالا   وهذا العامرى اسمه عطية توفى فى حدود الثمانين
وفى العقد لابن عبد ربه ان اسمه لقيط ابن عامر بن المنتفق وساق له حديثا على وجه اخر سل عنك
بفتح العين وسكون النون عن الحاجة وكان خطاب هذا الحديث رواه ابو نعيم فى الدلائل
عن شداد بن اوس ولم ار من صحح لغة بنى عامر هذه وبين وجهها ورايت فى شرح ديوان الاعشى
فى قوله فاذهبى ما اليك ادركنى الحلم   عدانى عن هجائكم اشغالى ان العرب تقول اذهب اليك
وسل عنك بزيادة اليك وعنك انتهى والمص رحمه الله ثقة واسع الاطلاع لو لم يقف
على ان هذه لغة لبنى عامر لم يذكرها ووجه البلاغة فيها انها جعلت كناية عن سل عن كل شئ
فان كل احد ادرى بنفسه فاذا امره بسؤاله عنها فكانه قال له انا اعلم بك منك واذا كان كذلك
فهو عليم بجميع احواله وهذا يدل على المراد بطريق برهانى بليغ اى سل عم شئت وهى لغة بنى
عامر عم وقع فى بعض النسخ عما بالالف وفى بعضها عم بدون الف والاولى اولى لانها موصولة كما
لا يخفى وان اردت تحقيق هذا المقام فاعلم ان ابن قتيبة قال فى ادب الكاتب اذا جرت ما الاستفهامية

بحرف جر

بحرف جر سقطت الفها فرقا بينها وبين الموصول الاسم شئت فان العرب تقول ادع بم شئت
فى الموصولة والاستفهامية فان جرت باسم مضاف لم تحذف فى شرح الكيل اما اذا كان الجار لها
اسما متمكنا لم يفعلوا ذلك وقول العرب بجرم ومثلم شاذ وانما حذف مع الحرف تخفيفا فرقا بين
الاستفهام والخبر وخص الاستفهام لانه اسم تام فصارت مع الحرف كاسم واحد فحذفت الالف لطول
الاسم وجاء نادرا سل عم شئت فان جره اسم متمكن لم يفعلوا ذلك وجامع بعد وعلى لعدم تمكنها
والحاقها بحروف الجر وقول العرب بجرم حيث ومثلم انتشار انتهى وهو تفصيل نفيس قل من حرره
هذا التحرير ومنه عرفت ان قوله عم شئت صادف محزه وانه لا يرد عليه شئ مما قالوه وفى شرح
التسهيل لابى حيان ان الاخفش قال فى الاوسط ان انا وقد ذكر ان كثيرا يقولون سل عم شئت كانهم
حذفوا الفها لكثرة استعمالهم اياها انتهى وحينئذ لا حاجة الى ما قيل ان المص رحمه الله وقف
على انها لغة لبنى عامر فقد جانس المفسر والمفسر وما قيل من انه لا وجد لهذه النسخة من قصور
النظر وقصر الاطلاع واما كلامه المعتاد اى كلام النبى صلى الله عليه وسلم الذى اعتاده
فى مجالسه مع قومه واهل ارضه وغيرهم وفصاحته المعلومة لكل احد من كلامه وجوامع كلمه
كما ورد فى الحديث الصحيح اوتيت جوامع الكلم والجوامع جمع جامعة اى كلمة جامعة لوجوه
الفصاحة والكلم اسم جنس جمعى لكلمة لا جمع والا اسم جمع على الاصح والمراد ان الله تعالى
من عليه صلى الله عليه وسلم باقداره على التكلم بكلمات بليغة جزلة حاوية لمعان نافعة
من المواعظ ونحوها وقيل المراد بها القران والاصح الانسب بالمقام الاول وقول الهروى معنى
جوامع كلمه القران جمع الله له فيه معان كثيرة فى الفاظ يسيرة وكلامه صلى الله عليه وسلم
كان كذلك عرفت ما فيه وقال ابن شهاب بلغنى ان جوامع الكلم ما جمعه الله تعالى من الكتب التى
كانت قبله فى الامر الواحد والامرين ونحوه والحاصل انهم عدوا من فضائله صلى الله عليه وسلم
وكماله انه كان يتكلم فى محاوراته بقليل الالفاظ المحتوية على المعانى التى لا حصر لها ومنه
ما ورد فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب الجوامع من الدعا وهو ما يجمع الاغراض
الصالحة والمقاصد الصحيحة او ما يجمع انواع السؤال واداب المسئلة كما قلت فى قصيدة فى مدحه
صلى الله عليه وسلم   وجوامع الكلم التى فخرت له   سجدت لها البلغا والاقلام وحكمه المأثورة
من الاثر وما يدل على الشئ من اثار وعلامة ومنه اثرت العلم اذا رويته اثره اثرا واثرة اذا تتبعت
اثره كما قاله الراغب فالمأثورة المنقولة المروية والحكم جمع حكمة وهى الكلمات النافعة فتشمل
المواعظ فهى اعم من جوامع الكلم فقد الف الناس فيها الدواوين الفا جواب اما والضمير للحكم
والمذكورات كلها والمراد بها هنا الكتب المستقلة جمع ديوان بكسر الدال وفتحها فى لغة وقال
ابو عمرو انه خطا ولو صح كان جمعه ديا وين ولم يسمع كما قاله الجواليقى وفى الاحكام السلطانية
الديوان موضوع لحفظ الاموال والاعمال ومن يقوم لها من الجيوش والعمال ووجه التسمية
بذلك ان كسرى اطلع عليهم وهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اى مجانين ثم خفف بحذف الها
وقيل ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين جمع ديو بكسر الدال والالف والنون علامة للجمع

فى القادسية كزاهد وزاهدان فسموا به لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى ثم سمى به مكانهم
واول من وضع الديوان عمر رضى الله عنه وهو معرب كما قاله الجواليقى واطلق على الدفتر ثم قيل
لكل كتاب وقد يختص بالشعر لشاعر معين مجازا وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعانيه خمسة الكتبة
ومحلهم والدفتر وكل كتاب ومجموع الشعر وجمعت فى الفاظها ومعانيها الكتب المراد كتب الحديث
المسندة وغيرها وشروحها وجمعت مبنى للمفعول فلا وجه لما قيل ان الالفاظ قوالب المعانى فمتى
تجردت عنها كانت مهملة ومنها ما لا يوازى فصاحته يوازى مبنى المجهول اى يماثل ويقابل ويساوى
من الموازاة وواوه مبدلة من الهمزة يقال ازى الشئ يازيه اذا حاذاه وفى شرح الكرمانى للبخارى
ازيته ولا وازيته بمعنى لا يقال ذلك فى ماضيه واما المضارع فيجوز ابدالها فيه واو لانضمام
ما قبلها فتدبر ولا يبارى بلاغة اى لا يعارض فيونى بمثله وهو مجهول بضم المثناة التحتية والوحدة
والمهملة بين الغين وانما لم يمكن معارضته لقربه من مرتبة الاعجاز ففى تعبيره بالموازاة فى الفصاحة
وبالمباراة فى البلاغة حسن ولا يخفى وجهه فلا يرد عليه ان الذى لا يعارض هو الكلام المعجز لانه
مختص بالقرآن كما توهم وفصاحته وبلاغة منصوبان على التمييز كقوله صلى الله عليه وسلم
المسلمون تتكافى دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم التكافؤ التماثل من الكفوء
بالهمزة وهو المثل اى هم متساوون فى القصاص والدية فشريفهم ومشروفهم وصغيرهم وكبيرهم
وفقيرهم وغنيهم واميرهم وسوقتهم وهذا كقوله النفس بالنفس خلافا لما كان عليه الجاهلية
من قتل الجمع الكثير بالواحد كما قصة كليب وغيرها فجاء الشرع بابطاله فلا تقتل الجمع بالواحد الا
ان تواطئوا عليه وكان فعل كل واحد منهم يقتل لو انفرد وبهذا الحديث استدل على ان المسلم لا يقتل
بالكافر لا بناء على العمل بمفهوم المخالفة بل لما ورد من التصريح به فى الاحاديث كقوله صلى الله عليه
وسلم لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد فى عهده والقايل بانه تقتل المسلم بالكافر الذى قال المراد
بالكافر هنا الحربى وفى وجه التخصيص كلام الفقها والاصوليين وقد افرد هذا الحديث بجزء مستقل
وهذا اخرجه ابو داود والنسائى عن على كرم الله وجهه وصححه والى عدم قصاص المسلم بالكافر
ذهب ابو حنيفة خلافا للشافعى وتساوى دمائهم كناية عن التساوى فى القصاص والدية كما مر
وقوله ويسعى بذمتهم ادناهم المراد بالذمة العهد والامان فانه اذا امن احد من المسلمين واحدا من الكفار
كان ذلك جاريا على جميع المسلمين لا يجوز نقضه لاحد منهم وادناهم اقلهم مقدارا فيشمل كل
وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى فيدخل فيه الصبى والمراة واختلف فى امان العبد فقيل يقبل
وقيل ان كان سفيها بلا اجازة والافلا والصبى قيل ان امانه يقبل وقيل ان كان مراهقا قبل والافلا والمجنون
لا يصح امانه بلا خلاف ومنهم من استثنى الاجرا والاسرا فى دار الحرب ومعنى يسعى يباشر ويفعل
وقوله وهم يد على من سواهم فى النهاية معناه انهم مجتمعون على اعدائهم يعاون بعضهم بعضا فلا يخذل
فجعل ايديهم كانها يد واحدة فى الاتفاق ولذا لم يقل ايدى واليد تستعمل فى القهر والقوة والقدرة اى هم
مستولون قاهرون لغيرهم من اهل الملل فهم فى الاتفاق كاليد الواحدة فهو تشبيه بليغ او استعارة
فى هذا الحديث ويرد عليهم اقصاهم وتفسيره مذكور فى كتب الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم

الناس كاسنان المشط مناسبته لما قبله ظاهر والمشط بضم الميم وكسرها وفتحها وشينه مثلثه
ايضا ويقال ممشط كمنبر وهو آلة معروفة يسرح بها الشعر وهذا مثل كذا فى الشروح وهذا الحديث
اخرجه ابن لال عن سهل بن سعد فى مكارم الاخلاق واعترض على هذا التفسير وجعله نظير الما قبله
بان تفاوت الناس فى الاخلاق معروف فالظاهر ان المراد تساويهم فى الاحكام الشرعية والمراد بالناس
المسلمون لان غيرهم لا يساويهم فى ذلك او الجمع باعتبار اغلب الاحكام او المراد تساويهم فى
الانساب فانهم كلهم اولاد آدم كما قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الخ فالمراد نفى
ما كان عليه الجاهلية من التفاخر بالنسب فلا شرف الا بالعلم والتقوى كما ورد فى الحديث يا ايها الناس
ان ربكم واحد وان اباكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى وفى معناه ما نسب لعلى
كرم الله وجهه الناس فى عالم التمثيل اكفاء ابوهم آدم والام حواء وقدر كل امرء ما كان يحسنه
والجاهلون لاهل العلم اعداء والشعر تمامه مشهور وليس المراد ان النسب لا يعتبر مطلقا
والمرء مع من احب رواه الشيخان عن انس رضى الله عنه وغيرهما وهو حديث صحيح يروى من طرق منها
ما اسند الى ابن مسعود رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
كيف تقول فى رجل احب قوما ولم يلحق بهم فقال المرء مع من احب فمن احب الابرار فهو مع الابرار ومن احب
الفجار فهو مع الفجار وفى الحديث لا يحب الرجل قوما الا حشر معهم وفيه يحشر المرء مع خليله فلينظر
مع من يخالل وروى من يخال بالتشديد ومصادقة وقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
وامثاله كثيرة لا تحصى والمرء بمعنى الرجل والمراد به هنا مطلق الانسان الشامل للمرء والمراة بطريق
التغليب ويحتمل التخصيص لان المراة تحشر مع زوجها ولو اجنبيا عنه الله تعالى والمراد المعية فى الحشر
والمنازل الاخروية فيرتقى من منزلته لمنزلتهم لسبب خلوص المحبة قال الغزالى رحمه الله تعالى وهذه
المناسبة روحانية باطنية خفية واسباب لا يطلع عليها كما ورد فى الحديث لو ان مؤمنا دخل
مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه فالمعية لدنو وقرب دينى لا فى مجرد الاكرام
وهذه فضل من الله لا يعلمه الا الله ولذا قال فى آخر الآية السابقة ذلك الفضل من الله وكفى بالله
عليما وان لم يعمل عمل من احبه ولو كانت المعية فى مطلق الاكرام نال كل مؤمن صالح وان لم يحب
فان قلت من اخلص محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يكون معه وقد خصه الله تعالى
بدرجة رفيعة لا يصل اليها احد وهذا هو الداعى لمن جعل المعية فى مجرد الاكرام بقطع النظر عن خصوص
المرتبة قلت هذا ارتضاه بعضهم وقد عرفت ما فيه وقد اقتضى غيره خلافه وقال يدل قوله
صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم كهاتين ولا يلزم مساواته من كل الوجوه وقد اطال فى الشرح
الجديد هنا بما لا محصل له على عادته ويجوز ان يراد بكونه معه كونه فى الجنة ولابن حجر رحمه الله
وقايل هل عمل صالح اعددته ينفع عند الكرب فقلت حسبى خدمة المصطفى وحبه فالمرء
مع من احب وقلت انا وحق المصطفى لى فيه حب اذا مرض الرجا يكون طبا ولا ارضى سوى
الفردوس ماوى اذا كان الفتى مع من احبا ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له هو حديث

رواه ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف كما قاله السيوطى فى تخريجه واوله كما قال التلمسانى المرء على دين
خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك من الخير مثل ما ترى له وروى من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه قال
وروى يرى بالياء والتاء والبناء للفاعل والمفعول والصحبة بضم الصاد وسكون الحاء المهملتين والموحدة
مصدر كالرفقة اى يكون عنده من الرغبة والمودة والنفع مثل ما عندك كما قال ابن الاحنف اذا
كان ايدينك الاشفاعة فلا خير فى ود يكون بشافع والناس معادن رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله
عنه وتمامه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام
اذا فقهوا والارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والمعادن جمع معدن
بكسر الدال وفتحها خطاء منبت الذهب والفضة ونحوه من عدن بمعنى اقام لاقامة اهله فيه
او لانباته فيه ويطلق على مكان كل شئ فيه اصله وعلى كل اصل وعلى بيوت العرب يعنى صلى الله عليه
وسلم بذلك ان بنى ادم يختلفون باختلاف اصلهم فمن كان اصله شريفا اعقب مثله وسرى عرقه
لفرعه ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ومن كان خبيثا الا ترى ان الشجرة الكريمة تنبت فعاليها
وثمرة جنية وضدها كذلك فعروق الحنظل لا تنبت الا حنظلا ولو سقيت شهدا ومنبت الذهب
لا يكون فيه الحديد والنحاس لكن خيارهم حسبا لا يصير خيارا فى الاسلام الا بالتقوى والعفة
فالعلم فاذا كان كذلك طاب اصله وفرعه والا فلا ينفعه حسبه كابى جهل لعنه الله واضرابه
وههنا نكتة وهى انه صلى الله عليه وسلم قال كمعادن الذهب والفضة ولم يذكر معادن غيرهما
من الامور الخسيسة كالحديد والملح اشارة الى ان خلقة الانسان وجبليته خلقت على الكرم والشرف
كما قال تعالى ولقد كرمنا بنى ادم وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وقوله
فقهوا بضم القاف من الفقه وبكسرها بمعنى الفهم ويجوز فى الاول الكسر ايضا والفقه حذق
الرجل بما يعلمه وعلمه وفهمه ثم خص بعلم الشريعة مطلقا ولذا قال ابو حنيفة رحمه الله هو
معرفة النفس ما لها وما عليها وسمى كتابه فى العقايد الفقه الاكبر ونقل لعلم الفروع وتعريفه
والكلام عليه مفصل فى كتب اصول الفقه وقوله الارواح جنود مجندة يعنى انها خلقت قبل
الاجساد اقساما مجتمعة فمن وافقت روحه الروح التى هى من قسمة الفقها كما قال ابو نواس
ان النفوس لارواح مجندة لله فى الارض بالاهواء تاتلف فما تعارف منها فهو مؤتلف
وما تناكر منها فهو مختلف ومن جوامع الكلم قوله صلى الله عليه وسلم ما هلك امرؤ عرف
قدره قال السيوطى قال السمعانى رحمه الله انه حديث روى مسندا عن على كرم الله وجهه وفى سنده
من لا يعرف حاله وقال النجانى لا اعرف له سندا صحيحا الى النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو
من كلام اكثم بن صيفى فى وصيته فان ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فلعله تمثل به واكثم هذا
بالمثلثة من بلغاء العرب وعده بعضهم فى الصحابة والاكثر على خلافه وفى كتاب جوامع الكلم
وبدايع الحكم هو من كلامه صلى الله عليه وسلم وذكره مسندا يعنى ان من عرف مقدار نفسه
ونزلها منزلتها نجا فى الدنيا والاخرة من الهلاك ومن تعدى طوره فتكبر رفع نفسه فوق حده
هلك وهو ظاهر والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم المستشار اسم مفعول من المشاورة

وسينه

وسينه للطلب اى طلب راى من يشاوره وسيأتى ان المشورة بفتح الميم وسكون الشين وان الاخ
فتحها وضم الشين وكلاهما جائز يعنى الشورى من شار العسل اذا اجتناه لانه يأخذ الصواب
كانه اطعمه شهدا او من شار الدابة اذا عرضها ومنه المشوار لمكان تعرض فيه الدواب
والعامة تطلقه على جريها من اطلاق اسم الحال على المحل فاختره لنفسك ما يصلح فسميت بها
لعرض امره على من استشاره وانما كان المستشار مؤتمنا لانه اودعه سره وما خفى من امره وجعله
امانة عنده فعليه ان يحفظ ولا يظهره وان ينصحه فيما استشاره فيه وقد امر النبى صلى الله
عليه وسلم بالمشاورة وناهيك بعلو مقامه ومعرفته بعواقب الامور حتى قيل انها كانت
واجبة عليه فى الحروب تشريعا للامة وتطييبا لقلوب اصحابه كما قيل شاور صديقك فى الخفى
المشكل واقبل نصيحة ناصح متفضل فالله قد اوصى بذاك نبيه فى قوله شاورهم وتوكل
وقوله وهو بالخيار الى اخره معناه انه مخير ان شاء اشار عليه بما شاوره فيه وان شاء سكت ولم
يتكلم فاذا تكلم لزمه بيان رايه ونصحه وذكر الصواب عنده وهذا الحديث اخرجه احمد عن ابن
مسعود رضى الله عنه ولفظه المستشار مؤتمن وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم
فليجهد رايه اى فليجتهد فى داية ويفكر فى الصواب فيه واخرج صدره فقط الاربعة من حديث
ابى هريرة رضى الله عنه والحاكم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما من جوامع الكلم النبوية قوله صلى الله
عليه وسلم رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم هذا الحديث اخرجه ابو الشيخ عن ابى امامة
رضى الله عنه والديلمى عن انس رضى الله عنه لكنه رواه رحم الله امرا بدل عبدا والعسكرى ايضا رواه
عبدا مرفوعا عن انس ايضا وله شواهد وروايات تقويه وتصححه فرواه البيهقى فى الشعب والخرائطى
فى الاخلاق واما كونه اذا قال خيرا كالذكر والعلم والعظة فانه يغنم الاجر والذكر الجميل وربما يحصل
المغنم فى الدنيا وقوله او سكت اى عن خلاف الخير فيسلم من وباله وما يندم عليه كما لا يخفى واسلم
تسلم يؤتك الله اجرك مرتين من حديث رواه الشيخان فى كتابه الذى كتبه صلى الله عليه وسلم لهرقل
ملك الروم وروى اسلم تسلم يؤتك الخ وهو ظاهر وعلى الاول فالثانى بدل مما قبله او جواب
بعد جواب او مجزوم بجازم مقدر فيه من البدايع التجنيس والانسجام والايجاز ومعناه تسلم من عذاب
الدارين ومن ذل الجزية ويؤتك الله اجرين اجرا باتباعك عيسى عليه الصلوة والسلام وايمانك به
واجرا اعظم منه بالاسلام واتباع خير النبيين عليه افضل الصلاة والسلام ومرتين منصوب
على الظرفية وهذا كما ورد فى حديث اخر ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين فذكر منهم رجل من اهل الكتاب
امن بنبيه وادرك النبى صلى الله عليه وسلم فامن به الخ بخلاف المشركين وكتابه صلى الله عليه وسلم
لهرقل كان فى سنة ست حين هادن قريشا وقيل فى سنة خمس وصورته بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد
فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين الخ وهو مذكور فى الصحيحين
مشروح فى شروحهما والدعاية بكسر الدال مصدر بمعنى الدعوة وكتب الى المقوقس فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسول الله صلى الله عليه

وسلم الى المقوقس وقال فيهما عظيم الروم وعظيم القبط ولم يقل ملك الروم ولا ملك القبط لانه
لا يستحق ذلك العنوان الا من كان مسلما ومع ذلك فلم يخل بتعظيمهما تليينا لقلوبهما في اول الدعوة
الى الحق وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء المهملة وسكون القاف كما قال جرير وارض هرقل قد قهرت وداهم
وبسعى نكم من الكسرى المواصب وقيل انه بسكون الراء وكسر القاف ولعلها لغة فيه للتلاعب
بالاعجمي وهو علم ممنوع من الصرف ولقبه قيصر ويلقب به كل من ملك الروم كما مر ولم يقل ويؤتك
بالعطف لتكرار اسلم لفظا او تقديرا في حقه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ومناسبته لكون
اجره مرتين ويكون له اجرين ايضا والامر الاول للدخول في الاسلام والثاني للدوام عليه ووصل
الكتاب مع دحية رضي الله تعالى عنه وهو في المحرم سنة سبع فلما قرأه كتب الى النبي صلى الله عليه
وسلم اني مسلم ولكني مغلوب فقال صلى الله عليه وسلم كذب عدو الله انه على نصرانيته وقيل انه
امن قال ابن عبد البر كيف هذا وقد قاتل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بتبوك وواعد النبي صلى الله عليه
وسلم ان ياتيه في العام المقبل فترك النبي صلى الله عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجئ ثم اخذت
البلاد منه فمكث بالقسطنطينية الى ان هلك على نصرانيته سنة عشرين ولذا لم يلقبه الرسول
صلى الله عليه وسلم بالملك مع انه اعترف بانه مغلوب والمتغلب معزول عند ابي حنيفة رحمه الله
ففي هذا اخبار بالغيب فان قلت قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين نزلت في اهل الكتاب بين التوراة
والانجيل وهو في النصارى صحيح واما في اليهود فلا اذ لا يوجرون على دينهم بعد نسخه بشريعة عيسى
صلى الله عليه وسلم قلت قد ثبت انها نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله عنه واضرابه ممن اسلم
من اليهود واستمر قبل ذلك على اليهود ولم يتبع عيسى عليه الصلوة والسلام فقيل انهم لايمانهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه يوجرون عليه وان كان دينهم منسوخا واما القول بانهم
لم تبلغهم دعوة عيسى عليه الصلوة والسلام فبعيد ولانهم ماولين بانه مبعوث لبني اسرائيل
خاصة وهم من العرب لاسيما وهم ينكرون النسخ واما القول بانها نزلت في كعب الاحبار فغير صحيح
لانه ليس له صحبة ولم يسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الا ان يؤول بانها نزلت في اشباهه ممن امن
من اهل الكتاب وهو بعيد وقال الكرماني رحمه الله ان هذا مخصوص بمن امن به صلى الله عليه
وسلم في عصره لان من بعده ينسخ دينه وبلغته دعوة الاسلام وصحح غيره انه عام لكل من اسلم
من اهل الكتاب لما مر وبه افتى الامام البلقيني فلا اشكال وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة
احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويولفون هذا ايضا من جوامع كلمه صلى الله عليه
عليه وسلم وبدايع حكمه وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن مسعود وعن جابر رضي الله عنهما
ورواه الطبري وزاد فيه وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيمة الثرثارون المتفيهقون
المتشدقون وزاد غيره المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبرا العيب واقتصر
المص رحمه الله تعالى على بعض وفيه روايات مختلفة بالزيادة والنقص واحب افعل تفضيل
من المبني للمجهول وفعله ثلاثي لانه يقال حبه بمعنى احبه فهو محبوب وان كان قليلا وصوغه من المجهول
مقصور على السماع في الاصح ومجالس جمع مجلس وهو محل الجلوس منصوب على انه تمييز والتمييز

يجوز افراده وجمعه كما بينه النحاة ونسبته القرب لها كناية عن رضاه عنهم وشفاعته صلى الله عليه
وسلم لهم في الموقف واحاسن جمع احسن افعل تفضيل جمع لمطابقة ما هو له وهو المضاف اليه واستدل
النحويون بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف لمعرفة يجوز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه
لافراده احب واقرب وجمع احاسن بخلاف ما اذا اضيف لنكرة فانه يلزمه الافراد والتذكير
ولا حاجة الى القول بانه انسلخ عن معنى التفضيل وصار بمعنى حسن وان ورد كثيرا في كلامهم كما
قاله ابن مالك رضي الله عنه بناء على ان الاحبية وكثرة الثواب بحسن الخلق في الجملة والاخلاق
جمع خلق وقد تقدم بيانه والموطئون بضم الميم وفتح الواو والطاء المهملة المشددة وبعدها همزة
مضمومة جمع موطأ اسم مفعول وقال البرهان الحلبي انه في الاصل الذي وقف عليه بفتح الطاء
من غير تشديد وهو من فيه لين ودفق وسهولة من التوطئة وهي التمهيد والتذليل يقال دابة
وطية اي لا تحرك راكبها وفراش وطئ لا يؤذي جنب النائم عليه وهو في الاصل على طريق التمثيل
والاستعارة كانه يمكن غيره من طئه باقدامه فاريد به ما مر والاكناف جمع كنف بزنة جمل
وهو الناحية والجانب اي من يلين بجانبه لغيره او المراد من يلتجا اليه ويعتمد عليه والاول انسب
بما بعده من قوله الذين يالفون ويالفون اي الذين يالفهم الناس ويالفونهم من الالفة بالضم وهي
الاجتماع مع حسن المعاملة والعشرة والثرثار الكثير الكلام فيما لا يعني مشتقا من عين ثرثارة اذا
كانت الماء وكذا المتفيهق وهو مفيعل من الفيهقة من فهق الغدير يفهق بفتح الهاء فيهما اذا كثر ماؤه
والمتشدقون الذين يتكلفون في كلامهم بفتح اشداقهم كما قيل تشادق حتى مال بالقول شدقه
وكل خطيب لا ابا لك اشدق وورد في هذا الحديث ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله
قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وهو غير مخالف لما تقدم لان
المعجب بنفسه وكلامه تدعو حاله الى التكبر وفي التقريب الفهق الاتساع وكل شيء توسع
فقد تفهق وانشد المبرد تفهق بالعراق ابو المثنى وعلم قومه اكل الخبيص وفهق الغدير يفهق
فهقا وفهق الرجل بالكلام امتلا انتهى ثم عقبه بما يناسبه من جوامع الكلم فقال وقوله صلى الله
عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يعنيه هذا حديث صحيح روي من طرق بعضها
موافق لكلام المص وفي بعضها ما لا ينقصه وفي بعضها ما لا يضره وضميره راجع للرجل المذكور
في اول الحديث الذي رواه البيهقي عن انس رضي الله عنه في الشعب ان رجلا من الصحابة
استشهد باحد فقالت امه يا بني ليهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها
وما يدريك لعله الى اخره واخرج الترمذي من حديث حفص بن غياث عن الاعمش عن انس رضي الله
عنه قال توفي رجل من الصحابة فقالوا له ابشر بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم لولا تدرون فلعله
قد تكلم بما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه واخرجه البيهقي من هذا الوجه ايضا وقال هذا هو المحفوظ
قال خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي رضي الله عنه ومعناه انه لا ينبغي ويبشر بالجنة الا من لم
يصدر عنه مثل هذا فلعله يعاقب عليه ويعنيه بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة والنون
بمعنى يهمه وينفعه من عناه يعنيه ومنه الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفيه

ونهى عن التكلم بما لا يلزم ولو مباحا لما فيه من تضييع الاوقات ومن ترك الاهم لذكر الله وتلاوة
القران واذا نهى عن هذا فما بالك بالتكلم بكل قبيح كالغيبة والنميمة لقوله ويخل بما لا يعنيه ويعنيه
تجنيس والبخل ترك البذل ومنع العطا اللازم كالزكاة والنفقة على من تلزمه نفقته او المستحسن
مرؤة كالتصدق على الفقراء وتفريج ضيق الاخوان واطعام الطعام وتخصيصه بالاول عن ظاهر
وكان الظاهر ان يقال بما لا يحتاج اليه كما في الرواية الاخرى لا يعنيه ولا ينقصه فعدل عنه لانه
ابلغ فهو كناية عما ذكر لانه يعلم منه بالطريق الاولى والمراد ما لا غنا له عنه والبخل صفة ذميمة
لا تعقب الا الخسارة كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث او وارث وقال
الشاعر كما رغى البخيل بجمع المال مدته   وللحوادث وللوارث ما يدع   كدودة القز ما تبنيه
يهلكها   وغيرها بالذي يبنيه ينتفع   وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله
وجيها هذا حديث رواه ابو داود عن عمار بلفظ ذو الوجهين ذو اللسانين في النار فيقال له ذو الوجهين
وذو اللسانين ويقال له ذو الاوجه كما قال وكم من فتى يعجب الناظرين له السن وله اوجه واذا كان
ذو الوجهين كذا فذو الاوجه معلوم بطريق الاولى وبين الوجه والوجيه جناس اشتقاق كقوله
فاقم وجهك للدين القيم وفيه لطافة لما فيه من جعل كونه له حالين متخالفين وكلامين غير متوافقين
عند رجلين على وجه الافساد اذا كانا متحابين وعلى وجه الاغراء اذا كانا متعادين عبر له منزلة
وجها تارة يأتي هذا بوجه وهذا باخر كما قال واخرج بوجه واتى بوجه غير والواجب الذي له قدر ومنزلة
والمراد بكونه لا منزلة له عند الله انه لا يرضاه ولا يحبه لقباحة فعله اما لو فعل ذلك لاصلاح
ذات البين واذالة ضغاين القلوب ونحو ذلك فهو من حسن ليس من اخلاقهم وقال الجاني ذو الوجهين
هو الذي ياتي كل قوم بما يرضيهم خيرا كان او شرا فيظهر لاهل المنكر انه راض عنهم فيستقبلهم
بشر منه وترحيب ويظهر لاهل الحق انه عنهم راض فيزيد ايضا كل فريق منهم ويظهر انه معه وان كان
ليس كذلك باطنا وروى ابو هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شر الناس ذا
الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه خرجه مسلم وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال من كان ذا اللسانين في الدنيا جعل الله له لسانين من نار يوم القيمة ونهيه
عن قيل وقال هذا حديث صحيح رواه الشيخان عن مغيرة بن سهم وفيه ثلاثة اوجه فقيل القيل والقال
مصدران بمعنى القول وقيل فعلان احدهما مبني للمجهول والثاني غير مجهول وجوز فيه ان يحكى مبنيا
على الفتح وان يعرب اعراب الاسما وينون ومنه تعلم ان نقل الجملة يجري في غير الاعلام كما صرح به المرزوقي
وذكر له نظاير هذا ما يتعلق بلفظه واما معناه فالنهي عن كثرة الكلام لما يؤول اليه من الخطا وكونه
بمعنى لا وجه له فقيل انه اشارة الى حكاية كلام الناس فالاول حكاية عن غير معين والثاني عن معين
وقيل الاول عبارة عن السؤال والثاني عن الجواب فالمعنى انه نهى عن كثرة البحث والجدال في الدين
وغيره مما لا يلزم وقيل انه نهي وزجر عن كثرة الكلام متبديا ومجيبا وكثرة السؤال اي سؤال الناس
ما بايديهم استعطا وهو للقادر على الكسب من غير ضرورة حرام وهو الذي ارتضاه علماؤنا وقيل
مكروه او السؤال عن اخبار الناس واحوالهم وقيل وهذا يغني عنه قوله عن قيل وقال والسؤال عن المشكل

والبحث عنها

215

والبحث عنها والتكلف في تخريجها وتوجيهها وقد ورد النهي عن ذلك او المراد نهيهم عن سوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امور لم يؤذن في السوال عنها كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ويرد عليه انه لو اريد هنا قال وعن السوال من غير ذكر الكثرة
واجيب بان كثرته بنصه لما اذن في السوال عنه وهذا يتضمن النهي عن احدهما لان النهي عن مجموع
امرين احدهما هو المنهي عنه في نفس الامر نظرا الى هيئتها المجموعة يتضمن النهي عن خصوص ذلك النهي
عنه ولا يخفى ما فيه من التكلف لادعاء امر لا يدل عليه اللفظ واضاعة المال بطريق كان
سواء كان ماله او مال غيره كالانفاق في الحرام واهمال ماله وعدم تنميته حتى يهلك ودفع مال
السفيه له والاسراف فيما لا فائدة فيه كل ذلك منهي عنه وعد من اضاعته حبه وعدم صرفه
فيما لا يليق كما قيل وما ضاع مال اورث المجد اهله   ولكن اموال البخيل تضيع ومن هان عليه
المال توجهت اليه الامال   ومن بسط راحته اتسع ساحته   وكما قلت وتكرم نفس المرء ان هان
ماله وكل كريم النفس فهو كريم وقيل تصدق المحتاج والمديون حرام وكذا تصدقه بجميع ماله وقال
السبكي في فتاواه الضابط في اضاعة المال ان يكون لغرض ديني او دنيوي فاذا انتفيا كان اضاعة
ويحل حرمته ما اذا لم يصبر ويتوكل على الله حق التوكل لقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة ومنع وهات منع منون مجرور وجوز فيه ان يكون فعلا ماضيا وهو بعيد والمراد منع
بذل ما يجب او يستحسن ومطلق الامساك وهات بكسر المثناة الفوقية اي طلب ما عند غيره وسؤاله
وهو فعل امر اصله ائت فقلبت همزته هاء وهو مذهب الخليل رحمه الله وعليه اكثر النحاة وعقوق
الامهات العقوق مخالفة الوالدين وايذاؤهم ضد البر من العق وهو القطع والامهات جمع امهة
وهي الام واصل الام امهة لجمعه على امهات وتصغيره على اميمة وقد جاء اصله من المضاعف لقولهم
امات واميمة وقال بعضهم اكثر ما يقال امات في البهايم ونحوها مما لا يعقل وامهات في الانسان
وخص الامهات مع ان عقوق الوالدين من الكباير لانهن اكثر حقا وشفقة على الولد لما سال سائل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احق الناس بحسن صحابتي قال امك ثم قال من قال امك ثم قال من قال
امك ثلاثا ثم قال من قال ابوك وهو حديث صحيح وايضا لما لم يكن للنساء تلك الحرمة خصهن ليحثهم
على برهن وينبه على ما يجب لهن قيل ومنه يؤخذ انه اعطى والديه شيئا يزيد عطية الام على الاب
واكثر العقوق يكون لهن وقال حكمة الثلاث في الحديث مشقة الحمل والوضع والرضاع وذهب
الجمهور الى انه يحصل على الاب في البر ونقل عن مالك وبعض الشافعية التسوية بينهما والاول
الاصح ووأد البنات الواد بفتح الواو وسكون الهمزة والدال المهملة واصله الصوت الشديد
وهو دفن البنات في حياتهن اما انفة وغيرة من النكاح او خوفا من الفقر والمدفونة حية حالة
الدفن تصيح غالبا وما في الشرح الجديد من انها سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤودها
اي يثقلها ومنه ولا يؤده حفظهما غلط فاحش لاختلاف مادتيهما فان ما في الاول واو ودال والثاني
اود واختلاف معنييهما كما بينه اهل اللغة وادعاء القلب لا حاجة اليه وكان هذا في الجاهلية
واول من فعله قيس بن عاصم التميمي فتبعه العرب على ذلك وكان بعضهم يقتل اولاده مطلقا وكان

مصعب بن ناجيه جد الفرزدق منع الواد فى الجاهلية كما قال وجدى الذى منع الوادات واحى الوئيد فلم يوئد وخص البنات لانه الغالب وكانوا على فريقين فمنهم من يحفر حفيرة تلد المراة عندها فان وضعت ذكرا ابقته وان وضعت انثى القيها فى الحفيرة وردم عليها التراب فان لم تفعل ذلك وصارت سداسيته ذهب بها ابوها كبير ورد ما هافيها بعد ما طيبتها امها وزينتها وفى الجاهلية من نهى عن ذلك كزيد ابن عمرو بن نفيل فلما جاء الشرع ابطل ذلك وقد جعلوا العزل وادا خفيا وهى الموودة الصغرى ووجه ظاهر وهو حرام او مكروه وفيه تفصيل ذكره الفقها ثم نهيه صلى الله عليه وسلم عن الثلاث الاول فى هذه الامور الستة نهى كراهة وعن البقية نهى تحريم لكن ليس بصيغة النهى بل بمقتضى الحديث الاخر الصحيح وهو انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق الامهات الخ وتبقى الكلام زايد على مقتضى المقام وقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت وفى نسخة الديلمى حيث ما كنت وهذا الحديث رواه احمد والترمذى والحكم عن ابى ذر رضى الله عنه ولا فرق بين الروايتين معنى لان ما زائدة والتقوى حفظ النفس عن ارتكاب المعاصى ولها مراتب فصلها القاضى فى اول سورة البقرة وحيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم اى فى اى مكان واى حال وقيل انها ظرف زمان بنا على مجيئها للزمان لان التقوى فى جميع الازمنة وقيل ان الرواية حيث ما كنت وقال غيره انه روى بحذفها ايضا والامر للوجوب او لكل من يقف عليه ليعم كل مامور وباعتبار افراد التعميم كما فى قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار ولنا فيه كلام ليس هنا محله واتبع السيئة الحسنة تمحها هذا وما قبله وما بعده حديث واحد رواه الترمذى وقال انه حديث حسن صحيح والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها اى واقعة بعدها بقرب منها وفى معنى الحديث قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ومحوها واذهابها بمعنى تكفيرها وعدم مؤاخذة الله بها فكانها لم تكن والمراد بالسيئة الصغيرة لقوله فى الحديث الصلوة الى الصلاة كفارة لما عدا الكباير وقالت المرجئة انه شامل للكباير والصغاير وقال بعض المعتزلة المراد ان الحسنة تكون سببا لترك الذنب ولا تكفر شيئا اصلا ويحتمل ان المراد بالمحو حقيقته والمعنى انها تمحى من كتاب اعماله ودونها مجزوم فى جواب الامر ولا يخفى انه هنا مقيد بغير حقوق العباد اما هى كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من قيلت فيه بعد بيان جهة الظلامة ان امكن والا فقالوا ينبغى ان يكثر من الاستغفار والدعا ويكثر من فعل الحسنات لحديث اذا اغتاب احدكم اخاه من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة ولهذا زيادة بيان وتفصيل فى كتاب المكفرات للسيد السمهودى رحمه الله وقوله وخالق الناس بخلق حسن قد علمت انه من تتمة ما قبله وخالق امر من خالقه بمعنى عاشرهم وخالطهم وعاملهم بما تحب ان يعاملوك به فليس المقصود المفاعلة بل هو لاصل الفعل وهو على اصله يجعل المطلوب منهم بمنزلة الواقع والخلق بضمتين وضم فسكون السجية والطبيعة التى طبعوا عليها وفيه اشارة الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما ورد يا معاذ حسن خلقك مع الناس اى عاملهم بطلاقة وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مود لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر كما قلت ان رمت ان تحظى بعز وهنا فاجتنب الناس وكن عنهم غنى

وان نخالصهم

وان تخالصهم فكن ذا عفة وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوسطها لما كانت الملكات المحمودة لها طرفا افراط وتفريط مذموسان والمحمود منها ما بينهما وهو الوسط كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن جعل الوسط منها مطلوبا على ما بين فى علم الاخلاق وبه ورد التصريح فى الحديث الذى رواه العسكرى عن الاوزاعى بسنده وهو ما من امر امر الله به الا عارض الشيطان فيه بخصلتين يبالى فعل اصاب الغلو والتقصير وروى ابو يعلى بسند عن وهب بن منبه ان لكل شى طرفين ووسطا فاذا امسك باحد الطرفين مال الاخر واذا امسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالاوساط من الاشيا ويشهد له قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اى بين غلو النصارى وتفريط اليهود قال الشاعر عليك باوساط الامور فانها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا وقال الحريرى حب التناهى غلط خير الامور الوسط وقال خير الامور عندنا الاوساط ويكره التفريط والافراط وليس الوسط بمعنى الخير والحسن مطلقا بل فى امور مخصوصة اقتضى توسطها خيريتها الا ترى الى قولهم اخو الدون الوسط وقولهم ابغض من مغن وسط لا مطرب ولا مضحك كما فى الروض الانف وهذا الحديث اخرجه السمعانى فى ذيل تاريخ بغداد عن على كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم وابن جرير فى تفسيره عن مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفى وكذا اخرجه البيهقى بلا سنده وذكره الديلمى بلا سند عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه دوموا على اداء الفرايض فخير الاعمال اوسطها ويناسبه قوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما والهون بفتح الها وسكون الواو والنون مصدر كالقول من هان عليه الشى اذا خف وسهل ومنه الهون فى الشى وهو الرفق واللين فارشد صلى الله عليه وسلم المتحابين الى الاقتصار فى المحبة وعدم المبالغة فيها وكذا المتباغضين الذين بينهما عداوة لا ينبغى لهما المبالغة فى العداوة واظهارها فليكن ذلك على قدر متوسط فان خير الامور الوسط فقد ينقل الحب الى البغض والبغض الى الحب فيقبح تفاوت حالك وبغير قوالك وافعالك فالهون هنا بمعنى التوسط وعدم الافراط وقد فسره به اهل اللغة قال فى النهاية اى لا تسرف فى الحب والبغض فعسى ان يصير الحبيب بغيضا والبغيض حبيبا فيندم ويستحى ويدخل هذا الحديث تحت ما قبله وقال ارسطاطاليس للاسكندر لا تملان قلبك بمحبة شخص ولا تستولين عليك بغضته واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وقال بعض العرب واحبب اذا احببت حبا مقاربا فانك لا تدرى متى انت نازع وابغض متى ابغضت غير مباين فانك لا تدرى متى انت راجع وبين علته ابن الرومى بقوله احذر صديقك مرة واحذر عدوك الف مرة فلربما انقلب الصديق فكان اعرف بالضرة فان قلت كيف يدل هنا على التوسط وقد قالوا انما تدل على التقليل سواء قلنا انها زائدة او اسما على ما فصله المفسر فى قوله تعالى مثلا ما بعوضة وهى هنا مشددة لقلب النون ميما وادغامها فيها قلت لان الوسط قليل بالنسبة للاعلى وقيل انها تفيد تقليل الوسط والحب اذا كان على وجه التوسط فى القليل كان قليلا ولكن غير خارج عن مراتب التوسط بل عن مرتبة التوسط الوسطى ومن الجائز ان يكون له مراتب متفاوتة قربا من الطرفين

وبعدا منهما وعدم قرب وبعدا منهما وعند عدم القرب والبعد منهما يكون التوسط الكثير ونعني بالتوسط التام كما يعني بالتوسط القليل التوسط الناقص والحق انه لا تقليل فيهما وانما المراد اي هون كان وما في ذلك للتاكيد كما في الاية والتقليل لو سلم يفيده تنكير هونا انتهى وفيه نظر وهذا الحديث كما السيوطي اخرجه البخاري في الادب والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه وقال التجاني الاكثر على انه من كلام علي كرم الله وجهه ورواه الحسن بن ابي جعفر مسندا عن علي رضي الله عنه يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم باسناد ضعيف وقال الترمذي الاصح انه موقوف عن علي وذكر الترمذي ايضا انه ورد عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اراه رفعه وهو غريب لا نعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه وممن رفعه القضاعي في الشهاب ورواه الماوردي مرفوعا في ادب الدين والدنيا وكذا الغزالي في الاحيا ورواه في مسند الفردوس والظلم ظلمات يوم القيمة الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد يكون بمعنى النقص قال ولم تظلم منه شيا اي لم تنقص منه شيا وارض مظلومة اي لم تمطر فكانها نقصت عن غيرها والمراد به تعدي الحدود سواء كان في حق او في وتعريفه يراد به العموم وافرد الظلم وجمع الظلمات اما لانه جمع معنى لاستغراقه فيكون كمقابلة الجمع بالجمع او اشارة الى ان الظلم الواحد تعقبه ظلمات متعددة لفظا عنه وقال ابن الجوزي ان من ظلم نفسه او غيره نشا ذلك عن قسوة قلبه ثم يعقب ذلك تعديه ومبارزة ربه بمخالفته فلذا تعدد جزاؤه وتلك الظلمة اما حقيقة حسية كما ان المؤمن المطيع له نور في يوم القيمة قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم الاية ومنهم من حمل الظلمة على الاهوال والشدايد كما فسر به قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي شدايدهما ولا حاجة الى صرفه عن حقيقته مع امكانها وهذا الحديث صحيح اخرجه البخاري وترجم له واسنده الى ابن عمر رضي الله عنه ورواه كما رواه المص رحمه الله الظلم ظلمات يوم القيامة ورواه مسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وبذلك علم انما ذكره المص من حذف ان رواية فيه فلا يقال انه اخل بلفظه او وقع على رواية فيه غير مشهورة وحمل على الظلم الظلمات وجعلها عينه لانه سببها مبالغة وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اي في بعض دعواته المأثورة وقد جمع العلماء ادعيته في كتب مستقلة من وقف عليها راى فيها من هذا النمط امورا عجيبة وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال انه غريب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته اللهم اني اسئلك رحمة من عندك وفي رواية عن المص بدون من عندك والاولى هي المذكورة في الترمذي وعند اذا اضيفت الى الله لها معان منها العلم كقوله وكان عند ربه مرضيا ويكون بمعنى الحكم نحو وكان عند الله عظيما وبمعنى التفضل والانعام من غير مقابلة عمل نحو قالت هو من عند الله وبهذا فسره البرهان هنا اي اطلب منك احسانا بمجرد فضلك لا في مقابلة عمل وقيل بل معناه قرب المنزلة اي اسئلك رحمة تقربني لديك والهداية وغيرها بمحض فضل الله اذ لا يجب عليه شيء فقوله من عندك ليس معناه لا في مقابلة

طاعته لاشعاره بانها كانت في مقابلتها ليس بمحض الفضل وذلك لنسبة تشريف وتعظيم وتنويه بكيهم انتهى وليس بوارد لان ما في مقابلة العمل ليس بطريق الوجوب بل بمقتضى وعده وحكمه السابق وهو تفضل مخصوص منه ايضا وقيل معنى العندية عموم نفعها وجودها بدون وسايط كونه وهو تكلف لا يساعده اللفظ والرحمة بمعنى الانعام او ارادته كما حقق في محله تهدي بها قلبي اي تدله او توصله الى ما يقربني من حضرتك وقدسك لاشاهد نفحات النسك وتجمع بها امري اي تنظم بها اموري وشاني حتى لا يكون لها تشتت وتلم بها شعثي اي تلم برحمة من عندك وتجمع ما تشعث وتفرق من امري وهو كالتفسير لما قبله قال الجوهري الشعث انتشار الامر يقال لم الله شعثك اي جمع امرك انتهى واصله انتشار الغبار في الهوا وتصلح بها غائبي بالغين المعجمة والبا الموحدة فسره بباطني اي ما خفي من اموري عني وعن غيري وقيل المراد قلبي وصلاحه بصلاح صفاته من الاخلاص والصدق والتوكل والتوحيد وترفع بها شاهدي اي ظاهري من الشهود وهو الحضور والمعاينة وهو مقابل لقوله غائبي وبينهما صنعة الطباق وقيل اراد بهما الدنيا والاخرة ورفعها اي جعلها عالية رفيعة بالاعمال الصالحة والصفات الحسنة وقيل المراد بظاهره جسده ورفعته سلامته من الافات وعصمته من البليات وقدم الصلاح عليه لان بصلاحه صلاح غيره لقوله صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله وتزكي بها عملي اي برحمة وتفضل منك بجعل عملي كله مباركا مقبولا سالما مما ينقصه كالريا او هو من تزكية الشهود اي بجعله ممدوحا وهما متقاربان وتلهمني بها رشدي الالهام ايقاع الخير في القلب والرشد والرشاد السداد والاستقامة والرشيد في اسماء الله تعالى هو الذي يرشد عباده لمصالحهم ويدبرهم وترد بها الفتي بضم الهمزة وكسرها وسكون اللام وفتح الفاء يليها تا تانيث ويا متكلم مصدر بمعنى المفعول اي ما كنت الفه كالاليف ما تحبه وتريد اجتماعه وردها عودها الى ما كانت عليه والمراد عشيرته واقرباؤه واهل حلته فدعا الله ان يولفهم ويهديهم للاسلام كما يقال رد الله عليه ضالته اي جمع بينه وبينها وقيل المراد حالته التي كان عليها في عالم الذر والارواح من حب الله وتعظيمه وخلوصه من الكدورات الجسمانية وهو بعيد وتعصمني بها من كل سوء اصل معنى العصمة المنع والحماية اي يصونني ويحفظني مما يسوؤني والبا في المواضع كلها سببية وزاد التجاني هنا اللهم اعطني ايمانا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني اسئلك الفوز في القضا وروى في العطا والفوز النجاة والظفر والقضا والقدر بالفتح والسكون بمعنى في اللغة ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقدير الله الامور قبل ان تقع والقضا انفاذ ذلك القدر وخروجه من العدم الى حد الفعل وهو الصحيح لانه قد جا في الحديث انه صلى الله عليه وسلم مر بكهف مايل للسقوط فاسرع المشي حتى جاوزه فقيل له اتفر من قضاء الله فقال افر من قضائه الى قدره ففرق بين القضا والقدر وبين ان الانسان يجب عليه ان يتوقى ما يضره قال البطليوسي فالمعنى انه سال الله النجاة من كل سوء قضاه على غيره او عليه معلقا على

وقوله ونزل الشهداء النزل بضم النون والزاى وتسكن وهو مصدر جعل اسما لما يعد للضيف
اذا نزل من القرى والكرامة اراد ما لارواحهم فى البرزخ ولهم فى الجنان من الاكرام والرزق
والثواب وقد قار صلى الله عليه وسلم بذلك لما منحه الله من الشهادة مع ما لاعين رات
ولا اذن سمعت وعيش السعداء اما ان يريد بالعيش الحياة بان يكون سعيدا فى الدنيا معززا
مكرما موفقا لما يرضاه فايزا بكل شئ تمناه او فى الاخرة بان يحييه حياة مخلدة بنعمائها بما يليق
بجنابه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها الاية والاحسن
ان يريد مجموعهما والعيش اصل معناه الحياة والسعداء جمع سعيد ضد الشقى وبعده فى الدعا
ومرافقة الانبيا والنصر على الاعدا اى الانتصار عليهم وغلبتهم والاعدا جمع عدو وضده
الصديق وتمامه اللهم انزلت بك حاجتى يا قاضى الامور ويا شافى الصدور كما تجير من البحور
ان تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصر عنه راى
وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وامنيتى من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا
من خلقك فانى ارغب اليك فيه واسئلك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير
ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك
من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعا وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك الابلاغ
ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسئلك الفوز يوم الوعيد
والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود
وانت تفعل ما يريد سبحان من تفرد بالعز وقال به سبحان الذى لبس المجد وتكرم به سبحان الذى
لا ينبغى التسبيح الا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى القدرة والكرم سبحان ذى الجلال
والاكرام سبحان الذى احصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا
فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا
بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم
اعط لى نورا واجعل لى نورا انتهى وقوله اعط لى باللام لمشاكلة اجعل لى والا فوجه لما قيل
اعطنى لانه لا يتعدى باللام ان صحت الرواية اللهم اعظم لى نورا واعطنى نورا واجعله لى نورا
وما وقع فى هذا الدعا من السجع لا ينافى ما قيل من انه صلى الله عليه وسلم كان يكرهه لان
محله ما اذا كان عن تصنع وتكلف ملتزما فاما ما جاء من غير تكلف فلا باس به وقد روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يكره السجع اذا كان عن تعمد لانه من التكلف وهو براءة منه
فمجيئه منه كتكلمه بالنظم المنزه عنه انما صدر منه احيانا وان التزم ههنا ففيه مكرر
كما ورد فى القران ولذا قيل انه يصح اطلاق السجع عليه ثم اشار الى ما ذكره قطعة من جرثان بسبب
الوقوف على غيره فاضف ما ذكر الى ما دونه الكافة عن الكافة اى مما رواه كثير من الناس لا بعض
مكافة وان كان بمعنى جميعا انه اسم فاعل او مصدر كالعافية والفاتحة فى قول من كفا اذا جمع
اطرافه او من كف بمعنى منع لانه كان يمنع من الزيادة عليه اريد به الكثرة كما وردت كل كذلك

كثيرا اذ لم يروه جميع الناس ولا جميع المحدثين لكنه لما شاع وذاع فكان كذلك ثم ان سيبويه قال
ان كافة يلزمها التنكير والنصب على الحالية كعامة وقاطبة وطرا ونحوه وزاد غيره انها لا تثنى
ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلاء ولم يرد ذلك فى كلام الله تعالى ولا كلام العرب ووهموا من استعملها
على خلافه ذلك كابن نباتة فى خطبه وصاحب الكشاف فى كشافه وفى قوله فى خطبته المفصل
محيط بكافة الابواب لاخراجه لها عن النصب والتنكير واستعماله فيما لا يعقل واما قول الجوهرى
الكافة الجميع من الناس فلا وهم فيه لان النكرة اذا اريد لفظها يجوز ان تعرف فلا وهم فيه كما
توهمه صاحب الدرة وتبعه بعض الشراح فانه ليس مما نحن فيه اقول هذا وان اتفقوا عليه لا وجه له
رواية ودراية اما الاول فلان العرب اذا استعملت لفظا فى معنى وضعته له على وجه مخصوص
من الاعراب لم يلزم عندهم اتباعهم فيه ولو قلنا بذلك لادى الى التضييق على الناس فى استعمال
الالفاظ العربية وعدهذا ونحوه لحن كما قاله الحريرى لا وجه له واما الثانى فانه روى عن عمر
رضى الله عنه استعماله فى كتابه لبنى كاكلة المروى عنه رواية ثابتة وعن على كرم الله وجهه
فى ذلك ايضا حيث كتبه بجنبه بين جمع من الصحابة وناهيك بهم فصاحة فان اردت تفصيله
فانظر فى شرحنا الدرة الغواص وقوله من مقاماته ومحاضراته بيان لما فى ما رويته والمقامات
بفتح الميم جمع مقامة مفتوحها وهى اسم لمكان القيام وتوسعوا فيه فاستعملوها لمطلق
المكان كقوله وكالمسك ترب مقاماتهم وترب قبورهم اطيب ثم كثر فيه فاستعملوه لمن قام
فيه كما سموهم مجلسا فى قوله واستب بعدك كاكليب المجلس وزادوا فى التوسع حتى سموا به
الكلام الصادر فيه مقامة كمقامات البديع والحريرى ومثله من التجوز كثير ومنه تعلم ان المجاز
على المجاز لا يقتصر على مرتبة واحدة كما يوهمه كلامهم فالمراد به الكلام الصادر منه فى مجالسه
وخطاباته صلى الله عليه وسلم فى حال حكمه وحروبه ولا يختص بالخطب لكونه يخطب
فانما ذكره لغيره وان كان المقام مقام خطابة يغتفر فيه الاسهاب ولما اريد به هنا الكلام
وقع بيانا لما رويته الكافة عن الكافة والمحاضرات جمع محاضرة ولا محصرة كما توهم بضم الميم
وحاء مهملة وضاد معجمة وراء مهملة اصل معناها كما قاله الجوهرى من حاضرته اذا جاثيته اى
جالسته عند السلطان وهو كالمغالبة والمكاثرة وحاضرته حضارا عدوت معه انتهى
يعنى انها مفاعلة من الحضور عنده او من الحضر بالضم فمعناها مجاراة الجليس جلسة فى الكلام
بان تتكلم بما عندك مما يخطر على بالك ويتكلم هو فى ذلك معك فالمراد مصاحبة النبى صلى الله
عليه وسلم مع اصحابه احيانا ومصاحبتهم له كالتحدث بامور سلفت ونحوها مباسطة
وملاطفة ومنه كتب المحاضرات الادبية كمحاضرات الراغب وخطبه جمع خطبة بضم فسكون
من خطب الخاطب خطابة بالفتح وخطبة بالضم اذا تكلم بكلام فى امر مهم سواء كان قائما على
منبر والكلام مسجع ام لا وهى معروفة وادعيته جمع دعا وادعيته وهى سؤال الله وتوجهه
اليه فيما يهمه ومخاطباته اى توجيه الخطاب لغيره حسبما اتفق وعهوده اى كلامه اذا اخذ
العهد والميثاق على غيره من المسلمين كما فى كتبه للملوك وغيرهم وقيل المراد وصاياه مما لا اخلاق فيه

عن محمد بن الحنبلي

انه نزل من ذلك مرتبة لايقاس بها غيره وانه بتقدير فانه لاطرد حذف الجار وقيل ان وان كان ذكر
النجاة والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم او لما وذلك اشارة الى البلاغة والفصاحة
لسبقهما او للعلم بهما من سياق كلامه ونزل منزلة ومرتبة اى حل محلا عاليا ووصل الى محل لا يصل
اليه غيره والمنزلة تستعمل فى الشرف والثنا للنقل وفى بعض النسخ مرقته بالقاف اى محلا عاليا
من شانه ان يقصده ويطلع على احوال غيره وقوله لايقاس الى اخره اى لايساويه غيره وضميرها
للرتبة وضمير غيره للنبى صلى الله عليه وسلم او للكلام والقياس يتعدى بالبا وعلى يقال قاسه بغيره
وعليه كما فى القاموس والاساس وفى حواشى العضد للابهرى تقدير شى باخر وعدى بعلى لتضمنه
معنى البنا وهو مخالف لما فى القاموس مع ان تعدى البنا بعلى فيه كلام فى حواشى تهذيب المنطق
واما تعديته بالى فى قول المتنبى عن اضرب الامثال ام من اقيسه اليك واهل الدهر دونك والامر
فلتضمنه معنى الضم والجمع كما قاله الواحدى وحازمنها سبقا حاز بالحا المهملة والزاى المعجمة
بمعنى حوى واشتمل وضميرمنها للرتبة والسبق بفتح السين وسكون البا الموحدة مصدر واما البق
بفتحها فما يجعل من المال للراهنة فى المسابقة اى ما توعد باعطائه لمن سبق غيره وهو اولى هنا
فكانه قال لتحققه سبقه احد وفاز بما يعد للسابقين واما السبق فى قول صدر الشريعة
حفظته سبقا وسبقا فالمورد العين لحفظ الاطفال وهو مولد ماخوذ من هنا لايقدر بضم
المثناة التحتية وفتح الدال المهملة المخففة مبنى للمجهول قدره بسكون الدال اى مقداره اى سبق كثير
لايلحقه فيه احد ولا يعرف حقيقته كما فى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وقد جمعت من كلماته
صلى الله عليه وسلم التى لم يسبق اليها ضبطه الدلجى وتبعه اشارح الحديد بالبنا للمفعول وسكون
تا التانيث والجار والمجرور نايب الفاعل ومن للتبعيض اى جميع الرواة بعض كلماته لم يسبق اليها
ولم يتكلم بها غيره صلى الله عليه وسلم او من زائدة وكلماته نايب الفاعل الا ان فيه زيادة
من فى الاثبات ومدخولها معرفة او نايب الفاعل ضمير الكلمات المعلومة من السياق وهذا كله
تكلف حملهم عليه انه روى كذا والفعل المجهول لايونث اذا كان نايب فاعله جار ومجرور مونث
فلا يقال اخذت من هند وعدوا امثاله خطا لكن ابن جنى رحمه الله قال فى اعراب الحماسة انه سمع نادرا
وبه قرى فى الشواذ فى قوله تعالى ان تعف عن طايفة فمن خطا صاحب التلخيص فى قوله صوحب
معها لم يصب وسياتى وجه اخر اظهر من هذا وهو ان نايب الفاعل ما الموصولة فى قوله ما يدرك
بالناظر ولو قرى بالبنا للفاعل وحذف المفعول جاز ولا قدر احد ان يفرغ فى قالبه عليها وقدر
بالتخفيف من القدرة ويفرغ بضم المثناة التحتية وسكون الفا وكسر الرا المهملة والغين المعجمة
وهو صب المايعات فى ظرف وقالب بفتح اللام اسم آلة كالعالم على خلاف القياس وقد تكسر لامه
وقيل انه معرب كالب وقيل انه غير صحيح والقالب ما يصب فيه ما يذاب من الجواهر كالفضة
ليصاغ ففيه استعارة مكنية وتخييلية لجعله الكلام بمنزلة الجواهر واسلوبه بمنزلة ما
صيغ عنه واثبت له القالب تخييل وعليها بتقدير على هيأتها وان تحاكى وفيه من البلاغة
والمبالغة ما لا يخفى وقيل المراد بالقوالب الالفاظ لانها قوالب المعانى قال الجاحظ استعمل

البنى

219
البنى صلى الله عليه وسلم المتوسط وهجر الغريب ورغب عن الهجر فلم يات الا بكلام حق وسدد
بالتاييد جمع الرقة والجزالة تدخل الاذن بغير اذن ليحفظ وينقل عنه كقوله حمى الوطيس هذا حديث
روى عن العباس رضى الله عنه ورواه مسلم والبيهقى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما
وانه صلى الله عليه وسلم قاله يوم حنين وقيل انه اول ما قاله باوطاس ففى التعبير به مناسبة
لفظيه متضمنة لبلاغته وابداعه اى اشتدت الحرب والوطيس بفتح الواو وكسر الطا المهملة
يليها مثناة تحتية وسين مهملة وهو التنور او شى يشبهه ومن هنا يظرب الحرب اراد المعنى
المجازى وقيل هو الوطى الشديد الذى يطس الارض اى يدقها وقيل هو حجارة مدورة اذا حميت
لم يقدر احد ان يطاها قيل ولم يسمع هذا الكلام من احد قبل البنى صلى الله عليه وسلم وهو من بليغ
الكلام وفيه استعارة مصرحة مرشحة بقوله حمى اى اتقد و قد حماه اذا سخنه وهى عامية
وهو طرف من حديث طويل فى مسلم وربما هو يحمى فانه من موافان كان الوطيس بمعنى الحجارة ففيه
مناسبة ومات حتف انفه اى من غير ضرب ولا قتل ولا حرق ولا غرق ونحوه على فراشه كانه
سقط على انفه فمات والحتف الهلاك وقيل كانت العرب تتوهم ان روح المريض تخرج من انفه
وروح المجروح من جراحته فكلمهم البنى صلى الله عليه وسلم على قدر عقولهم وهذا بعض
حديث صحيح رواه عبد الله بن عتيك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذى يخرج
مجاهدا فى سبيل الله ان لسعته دابة او اصابه شى فهو شهيد ومن مات حتف انفه فقد وقع
اجره على الله ومن قتل فقد استوجب المآب قال عبد الله بن عتيك فو الله ما سمعت قول حتف انفه
من احد من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا بنى المص رحمه الله تعالى
كلامه وعدها من كلامه الذى ابتدعه وهو المشهور وذهب بعض اهل اللغة الى ان هذه
الكلمة تكلمت بها العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه فى المصباح واستدلوا
بقول السموال وما مات منا سيد حتف انفه ولا طل منا حيث كان قتيل واجيب بان هذه
القصيدة اختلف فى قايلها فقيل هو السموال وهو شاعر جاهلى وقيل عبد الملك بن عبد الرحمن
الحارثى وهو اسلامى وقيل ان الرواية ليست هكذا وانما هى وما مات منا سيد فى فراشه فعلى
هذا لا يرد على من عدها من مبدعاته صلى الله تعالى عليه وسلم لان الشاعر الجاهلى لم يقلها
والاسلامى اخذها من كلامه صلى الله عليه وسلم كقول عبيد ابن عمر التابعى ما مات بن السمك
حتف انفه فلا تاكله اى ما طفا على الماء من غير سبب ظاهر لموته او انه لم يسبقه احد من اهل
زمانه ولم يسمعه من غيره فتامله ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين هذا حديث صحيح رواه ابو هريرة
رضى الله عنه وفى لفظه اختلاف لا يضر ففى بعضها من جحر واحد وفى بعضها تقديم المؤمن
وهو من الامثال النبوية وفى كتاب ابن مسكويه المسمى بجاويذان خرد الذى جمع فيه حكم اليونان
ان من امثالهم لا يرجى العاقل بجحر مرتين فانظر الفرق بين كلام النبوة وغيرها فان العاقل اذا دخل
يده فى جحر فلدغ هل يدخلها مرة اخرى وقد قيل من لسعته الحية من الحبل يخاف يعنى ان المؤمن
الفطن لا يخدع مرة بعد مرة ولا يؤتى من جهة الغفلة فيقع فى مكروه وهو لا يعلم فينبغى ان يكون

متيقظا فى امردنياه واخرته ويلدغ باليا المضمومة المثناة التحتية واللام الساكنة وبالدال
المهملة والغين المعجمة واما بالذال المعجمة والعين المهملة فهو احراق النار والجحر بضم الجيم
وحا ساكنة مهملة حفرة فى الارض يكون فيها الحيات والحشرات وهذا قاله النبى صلى الله عليه
وسلم لابى عزة الشاعر وكان يحرض الناس بشعره على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فاسر يوم بدر فقال
انى محتاج ذو بنات فمن عليه النبى صلى الله عليه وسلم واطلقه بغير فداء واخذ عليه ان لا يظاهر
عليه احدا فقال يمدحه صلى الله عليه وسلم من مبلغ عنى الرسول محمدا فانك حق والمليك
حميد وانك امرؤ تدعو الى الله والهدى عليك من الله العظيم شهيد وانت امرؤ بوئت
فينا مباءة لها درجات سهلة وصعود فانك من حاربته لمحارب شقى ومن سالمته
لسعيد ثم نقض عهده واتى مع الكفار لحربه صلى الله عليه وسلم فاخذ ايضا باحد فسأله
صلى الله عليه وسلم ان يمن عليه على مثل شرطه الاول وقال غلبت فاقلنى فلم يفعل
وقال لا ادعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر
مرتين وامر بضرب عنقه فقتل صبرا ومرتين اريد به التكرار كقوله تعالى فارجع البصر كرتين
هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين لكنه اقتصر على الاقل لانه انسب بالجزم فكان
محاربا شقيا كما قال فى شعره والفال موكل بالمنطق ولما فيه من الميل للحلم جرد من نفسه
مؤمنا فطنا منتقما لا ينخدع لعادم رحمته وانتقم صلى الله عليه وسلم منه ولم يعف
عنه فان غضبه لله يابى الحلم كما قيل ولا خير فى حلم اذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
وان كان صلى الله عليه وسلم يغضى عن امور كثيرة ويتغافل عنها فى مقام اخر كما قال ابو فراس
ليس الغبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى قال التجانى وما وقع فى شعر ابى عزة من مدح
النبى صلى الله عليه وسلم والتصريح برسالته ليس له مخرج الا ان يكون قصد به خداعه
والسعيد من وعظ بغيره المراد بالسعيد المبارك المرضى عند الله والناس والوعظ
ذكر ما يلين القلوب من ثواب وعقاب اى من نصحته الحوادث النازلة بغيره فذكرته
عواقب الامور من خير وشر فاتعظ فقبلها فهو سعيد ومن يوعظ به غيره فهو شقى وابلغ
من هذا وان كان معنى اخر ما ورد فى الحديث اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه
كما رواه الماوردى فى اعلام النبوة وفى معناه قول الشاعر لا تنتهى الانفس عن غيها ما لم يكن
منها لها زاجر وفى معناه قلت الزهد فى الدنيا وترك الهوى عن كل امر ما يحافظ ومن يرد
خيرا به ربه كان له من نفسه واعظ وما ذكره المص رحمه الله بعض حديث طويل رواه
مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه فيه الشقى من شقى فى بطن امه والسعيد من وعظ بغيره
والسعيد سعيد فى بطن امه واخرجه العسكرى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم
فليس من كلام ابن مسعود رضى الله عنه كما توهم وانما تمثل به كما قاله الحافظ ابن حجر
وشيخه العراقى وقوله فى اخواتها جمع اخت اى فى الكلمات المشابهة لها بحسب البلاغة
يقال هذا اخو هذا المشابهة مواخاة لغلبة التشابه بين الاخوات فهو استعارة

اومجاز

اومجاز مرسل وفى بمعنى مع كقوله ادخلوا فى امم او هى على اصلها كان اخواتها لكثرتها محيطة بها
احاطة الظرف بالمظروف ففيه استعارة وهى فى الحقيقة اكثر من ان تحصى كقوله صلى الله عليه
انما الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة واياكم وخضراء الدمن المرأة
الحسناء فى المنبت السوء وغيره مما لا يحصى وقد افرد بالتاليف وذكر الشيخ الجديد منها جانبا
فيه وفى شرحه وهو بمعزل عن شرح الكتاب فكذا اضربنا عنه صفحا ما يدرك الناظر العجب
فى مضمنها قيل ما نايب فاعل جمعت المبنى للمجهول كما تقدم ضبطه وانث رعاية لمعناه لانه
بمعنى الكلمات المجموعة وجملة يدرك بمعنى يلحق والعجب فاعله او الناظر فاعل والعجب مفعول
ويدرك من الادراك بمعنى التصور ومضمنها بضم الميم وفتح الضاد المعجمة والنون اسم
مفعول اى ما تضمنته من المعانى البديعة والتراكيب الصحيحة اى تعجب فى ذلك كل من راها
وفى نسخة مضمونها وتذهب به الفكر فى ادانى حكمها اى يذهب بالناظر فكره فى اقلها واقل
ما تضمنته من الحكم فالضمير فى به للناظر وادانى جمع ادنى بمعنى اقل عددا او كلها فما بالك
بالاكثر ومعمول يذهب محذوف لقصد العموم اى فى كل مذهب فمعنى الذهاب به ان يتحير فيها
فهو على حد قوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون ففيه استعارة تمثيلية او كناية وقد قال له
اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ما راينا الذى هو افصح منك هنا الحديث رواه
البيهقى فى شعب الايمان مسندا وذكره القالى فى اماليه وشرحه وهو انه صلى الله عليه
وسلم كان يوما جالسا مع اصحابه فنشات سحابة فقال صلى الله عليه وسلم كيف
ترون قواعدها الخ وستراه قريبا ومثله ما رواه ابو نعيم فى الدلائل قال لما خاطب عنده
صلى الله عليه وسلم بعض خطباء الوفود فاجابه بكلام عذب فصيح فقال له على كرم الله
وجهه يا رسول الله نحن وانت بنو اب واحد ونشانا فى بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان
ما نفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبنى فاحسن تاديبى ونشات فى بنى سعد بن بكر والحاصل
ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم اكثروا من مخالطة فصحاء العرب وخلصها وكانوا لا يفهمون
احيانا كلامهم حتى يفسره صلى الله عليه وسلم لهم وقد ورد ايضا كما ياتى ان لغة اسمعيل
عليه الصلوة والسلام كانت اندرست فعلمها له جبريل عليه الصلاة والسلام كما علم
ادم الاسماء قال وما يمنعنى وانما انزل القران بلسان عربى مبين اى ما يمنعنى من ان اكون افصح
الناس ومن ان لا تروا افصح منى والكتاب الذى نزل على بافصح اللغات وفى اعلى طبقات البلاغة
هذا من تتمة الحديث السابق فى وصف السحابة وهو حديث صحيح رواه التجانى مسندا عن عباد بن
عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمى عن ابيه عن جده قال بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا مع اصحابه اذ نشات سحابة فقالوا يا رسول الله
هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما احسنها واشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها
قالوا ما احسنها واشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما احسنها واشد
استقامتها قال وكيف ترون برقها اوميضا ام خفيا ام يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال

وكيف ترون نجونها قالوا ما احسنه واشد سواده فقال صلى الله عليه وسلم الحيا فقالوا يا رسول الله
ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني من ذلك وانما انزل القران بلسان عربي مبين
وقواعد السحابة اسافلها واحدتها قاعدة واما القواعد من النسا فواحدتها قاعد وهي التي
قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار
القوم وقال الجوهري مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شيء علا فقد بسق وقال
ابن الاثير ما استطال من فروعها والوميض اللمع الخفي يقال ومض ايماضا وومضا بعينه
غمز والحقق نزنة الضرب والاعجام البرق الضعيف كما قاله القالي قال البجاني النقدير ان الوزنة
وميضا اي ذا حقو لقول الجوهري حقا البرق يخفو خفوا ويخفي خفيا اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا
في نواحي الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض فان شق الغمام فاستطال فهو العنقة وجونها
اسودها وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه احيا والعنانيه
بوصف السحاب مشهورة بين فصحا العرب وقال صلى الله عليه وسلم مرة اخرى بيد اني من قريش
ونشات في بني سعد قال السيوطي هذا الحديث اورده اصحاب الغريب ولا يعرف له اسناد
والطبراني من حديث ابي سعيد ولفظه انا اعرب العرب ولدت في قريش ونشات في بني سعد فاني
ياتيني اللحن وقال القطلوبغا في تخريجه اخرجه ابو عبيد بلاغا واخرج الطبراني في الكبير عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب انا اعرب
العرب ولدتني قريش ونشات في بني سعد فاني ياتيني اللحن وفي سنده مقال وانا ما اشتهر من انا
افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش فقالوا انه لم يثبت وان ذكر في كتب النحو والاصول وبيد فيها
لغتان اخريان ميد بالميم وبايد كما ورد في الحديث قال في النهاية ولم اقف عليه ولعله بايدي
بقوة فحرف وفسر بغير الاستثنائيه وممن احل التعليلية وبعلى ان كما يقال هو كثير المال على انه
بخيل وتلزم الاضافة لان المشددة وصلتها وهي في الحديث بمعنى غير والاستثناها هنا
منقطع على حد قوله ولا عيب فيه غير ان نزيله يعاب بنسيان الاحبة والوطن واستدل ابو
عبيدة على مجيئها بمعنى من احل فقوله عمدا فعلت ذلك بيد اني اخاف ان هلكت ان ترني وقولهم
ما راينا الذي هو افصح منك عنوا ولا يساويك كما مر تحقيقه وجوابه بقوله بيد الى اخره ان منه
بغير فظاهر لافادته انه صلى الله عليه وسلم افصح من جميع العرب واما تفسيرها بمن اجل
فقد استشكل بان مفهومه انه من قريش وهم افصح العرب ولا يلزم منه ان يكون افصح العرب
بل من افصحهم وهذا الاشكال اورده بعض الشراح على انه من افكاره ومرانه قد سبقه اليه
الكوراني في شرح جمع الجوامع وتقدم جاني ذلك مبسوطا اول الكتاب ووجهه ان العلة موجودة
في غيره وهو نقض للحكم بوجود علته في غيره واورد عليه ان كثيرا من الاصوليين كالبيضاوي
والهندي ذهبوا الى ان تخلف الحكم ان كان لمانع او فقد شرط لا يقدح في علية العلة مطلقا
سواء كانت منصوصة ام لا والتقدير هنا مع كونه نبيا فالتعليل هنا صحيح مطرد على ما تقرر
في العضد وغيره ويسمونه خصوص العلة وهذه خزعبلة لان الحديث بيد اني من قريش واسترضعت

ابن الحنبلي

عرضه

في بني سعد وفي رواية وانزل القران بلسان عربي مبين والمجموع هو العلة ولا توجد في غيره اي اني من قبيلتين
هما افصح وقد نشات بالحاضرة والبادية فجمع لي من الرقة والجزالة ما لم يجتمع لغيري والمعنى اني انزل
علي القران على اسلوب لا يوجد في غيره جامع لزبدة جميع اللغات فاثر في سلامة طبعي وانتقش في صحف
ذهني ما لا ينصور لغيري واما النبوة فلا دخل لها هنا او نقول كونه افصح من قريش معلوم لان السائلين له
صلى الله عليه وسلم منهم وهو بين اظهرهم لا يخفى عليهم حاله واما كونه نشا في بني سعد واسترضع
فلان حليمة السعدية رضي الله عنها ارضعته بعد ثويبة جارية ابي لهب وحليمة بنت ذويب وزوجها
الحارث ابوه من الرضاعة وبنو سعد من اكرم العرب وافصحهم وحليمة من اوسطهم ولذا اختارها
الله تعالى لرضاعه صلى الله عليه وسلم لان الرضاع يؤثر في الطباع ووقع عندها شق صدره
الشريف وسياتي بيانه وانه وقع مرارا ثم ان البجاني قال اختلف المتكلمون في كلام النبي صلى الله عليه
وسلم هل منه ما هو معجز كالقران بناء على هذه الاحاديث ام لا فذهب بعضهم الى اعجازه وان اعجازه دون
اعجاز القران وذهب الباقون الى انه في معناه في الفصاحة ولكن لا يبلغ الى رتبة الاعجاز وهذا هو
الصحيح واحتج الاولون بما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه اشتبه عليه كون المعوذتين
من القران وعد بعض الصحابة رضي الله عنهم القنوت من القران وهم فصحاء عالمون بمراتب الاعجاز
والصحيح ان هذا باطل لم يثبت عن ابن مسعود وغيره او متاول بانه لم ينكر كونهما من القران ولم يشك
فيه وانما انكر كتابتهما في المصحف لانه لم يبلغه انه صلى الله عليه وسلم امر بكتابتهما وهو محجوج
بقرائه وقراءة الصحابة رضي الله تعالى عنهم بهما في الصلوة وسياتي لذلك مزيد بيان في اخر الكتاب
فان قلت ما مر من تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بالوحشي الغريب مخالف لفصاحته صلى الله
عليه وسلم قلت لا لما مر ان الوحشي من اهله وممن تكلم معهم فصيح فلا حاجة الى القول بانه
غير غريب لثبوته في كتب اللغة من غير احتياج لتفتير وتفحص والى ما ذكرناه اشار المصنف رحمه الله
تعالى بقوله فجمع له صلى الله عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية جمع مبني للمجهول واصل
جمع الله له فحذف للعلم به وذلك اشارة لكونه من قريش ونشا في بني سعد وانما نشا صلى الله عليه
وسلم فيهم على عادة قريش في دفعهم اولادهم لمرضعات بالبادية ليتفرغ النسا لشانهن ولان هواها
اصح وليكون مع اولاد الاعراب فيتدرب لترك الترفه ولذا كان عادة ملوك بني امية والعباسية
التجلد والقدرة على الكلام ويقال عرضه للسفر اي قوي عليه واضافة القوى لها بيانية والبادية
والبدو والبداة خلاف الحاضرة وتبدى اتى البادية وتبادى تشبه باهلها وهي خلاف الحاضرة
اي الامصار والمراد بالبادية اهلها اهو بتقدير مضاف وجزالتها بفتح الجيم والزاي المعجمة
خلاف الركاكة اي جزالة كلامها يقال كلام جزل اي قوي شديد ومنه الحطب الجزل الغليظ
وليس من الركيك وهو الضعيف من الالفاظ المحلول التركيب فتكثير السواد به هنا غير
مناسب ونصاعة الفاظ الحاضرة النصاعة كالفصاحة مصدر بمعنى الخلوص والمراد خلوها
من التعقيد والغرابة الوحشية وصاده وعينه مهملتان من نصع الشيء اذا ميز جيده من رديه
والحاضرة خلاف البادية سكان القرى والامصار ورونق كلامها الرونق البها والحسن فكان كلام

عرضه

اهل البادية قوى متين لعدم تصنعهم وكلام اهل الحاضرة دقيق لطيف فجمع كلامه صلى الله عليه
وسلم بين هاتين الصفتين مضموما ذلك الى التاييد الالهى الذى مدده الوحى وسدده بمعنى عينه
لا بمعنى زيادة والتاييد التقوية من الايد وهو القوة وامده بايجابه وانزل عليه كلامه المعجز
ولذا صح ان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ولغة اهل الجنة فلا صحة لما رواه
بعضهم ان لسان اهل الجنة فيها الفارسية الدرية وهذا فى معنى ما روى عن ابن عمر رضى الله عنه
قال مالك افصحنا ولم يخرج من بين اظهرنا فقال صلى الله عليه وسلم كانت لغة اسمعيل قد درست
فجاءنى بها جبريل عليه الصلوة والسلام فحفظتها الذى لا يحيط بعلمه بشرى اى انسان منسوب
للبشر وهم الناس والضمير للتاييد الالهى قوله ام معبد هى كما قدمناه عاتكة بنت خالد بن منقذ احدى
نساء بنى كعب بن عمرو بن خزاعة وزوجها عبد الملك بن وهب وقيل لا يعرف اسمه توفى فى حياة النبى
صلى الله عليه وسلم ويقال انه صحابى له رواية وكانت تنزل بين مكة وجبالها فنزل عليها
النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله عنه لما هاجرا فقريتهما فلما جا زوجها اخبرته بذلك
ووصفته له فى حديث ذكره اهل السير افرده الحافظ العلائى بالشرح فى وصفها له مصدر مضاف
لفاعله وضميره للنبى صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون له خبر مقدم والاول ولى حلو المنطق
الحلو فى المطعومات مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه دوقه او كلحين الما فصل
مصدر بزنة ضرب بفا وصاد مهملة ولام اى فاصل بين الحق والباطل وبين ظاهر قاطع للشك
لا لبس فيه او يفسره قوله لا نذر ولا هذر كما قاله العلائى رحمة الله او ذو فصل بين اجزائه لقول
عايشة رضى الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان اذا تكلم
بكلام بينه فيحفظه من يجلس اليه كما فى المصابيح ونذر بفتح النون وسكون الزاى قليل لا يفهم والهذر
بالها والذال المعجمة المفتوحتين يليه را مهملة كذا ضبطه العلائى وهو را وشبقه وتبعه بعض
ارباب الحواشى وضبطه ابن الحنبلى بسكون الذال مصدر هذر يهذر فى كلامه والاسم الهذر
بالتحريك وهو كثرة الكلام بحيث يمل وهذا عرض اضاف لما ورد فى الحديث اوتيت جوامع الكلم
واختصر لى الحديث اختصارا لان المنفى الايجاز المخل لا المقبول كان منطقه اى ما نطق به من خرزات
نظمن اى متناسبة لها رونق كالعقد المنظوم من الجواهر والخرز ما ينظم من الجواهر وليس كما تفهمه
العامة من تخصيصه بنوع كما فى الصحاح من الخرز وهو الثقب وكان جهير الصوت حسن النغمة
العرب تمدح بعلو الصوت وتذم بضده ولذا تمدحوا بسعة الفم وذموا بصغره كما قاله الجاحظ
فى كتاب البيان وقد ورد فى وصفه صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن ابى هالة انه كان يفتتح
الكلام ويختمه باشداقه كما قال الحجير السلوى جهير وممتد العنان مناقل بصير بعورات الكلام
خبير لوان الصخر الصم يسمعن صوته لرجعن فى عراضهن فطور والجهير والجوهرى العالى الصوت فليس
فيه خفاء ولا يكسر كما ان الناس اقول هذا لاينا فى ما مر من ذم المتعقر والتشدق فى الكلام فان ذلك اذا
افرط وكان تصنعا ثم ان المدح بسعة الفم لدلالته على الفصاحة وقوة القدرة عليه اى على الكلام
بخلاف غيره والمراد ما لم يفرط بحيث يشوه الخلقة لا سيما مع غلظ الشفتين ولا عبرة بمدح شعر

النجم

النجم ومن تبعهم من المتاخرين لضيق الفم فانه مقصد فاسد كما قال ابن سنا الملك له فم ضيق فلم يستطع
ان يخرج اللفظ بتقويم ولفظه سكران من ريقه فهو لهذا غير مفهوم وقال ايضا بمهجتى افديه من فصيح
لفظ معجمه لا يستطيع اللفظ ان يخرج من ضيق فمه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قراء بالليل او خطب
يسمع صوته واما حسن نغمته فلما ورد فى الحديث عن على كرم الله وجهه لم يبعث الله نبيا الا حسن
الوجه حسن الصوت وكان داود صلى الله عليه وسلم اذا قراء الزبور لم تبق دابة الا انصتت له
الا ان قراءة نبينا صلى الله عليه وسلم لم تكن على طريقة الالحان والموسيقى فانه غير ممدوح وحديث
ليس منا لم يتغن بالقران الكلام فيه مشهور غريبة ذكرها التلمسانى هنا قال سيدى الحسن كان
شيخنا ابو زكريا يحدث عن شيخه منصور بن على الحيانى عن ابيه وغيره من شيوخه يقول انما كانت
المصامدة فيهم بركة لانه وفد منهم رجل وقيل رجلان وقيل بل هم سبعة على النبى صلى الله عليه وسلم
حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبى صلى الله عليه وسلم ولا كانوا يعرفون العربية
فقال رجل منهم بلغته من ابون اسان واسير بلفظهم النبى والرسول واكيم رسول الله فلم يفهم
الحاضرون قوله فقال النبى صلى الله عليه وسلم اشكداور ومعنى اشكد تعالى واقبل وهلم وهو
بهمزة وشين معجمة ساكنة وكاف مفتوحة مشددة واور معناه هنا والينا وجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبى صلى الله
عليه وسلم اخبرهم بقدومه ولغته قال ابو زكريا كان شيخه منصور يحدث بهذا الحديث فى هذا
الفصل فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم قال وقبورهم موجودة الى الان تسمى فصل واما شرف
نسبه وكرم بلده ومنشئه الشرف رفعة القدر والكرم يجمع انواع الخير وان خصه العرف بمعنى الجود
والمنشا محل نشا فيه وربى فيما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه لظهوره ولا بيان مشكل ولا خفى منه المراد
انه لا خفاء فيه ولا اشكال حتى يحتاج الى البيان على حد قوله ولا يرى الضب بها ينجحر فانه صلى الله عليه
وسلم نخبة بنى هاشم النخبة بضم النون وسكون المعجمة وفتحها وبالموحدة كهمزة المختار من بينهم النقى
وسلالة قريش وصميمها السلالة بالضم بمعنى النسل المستخرج منهم والصميم الخالص واشرف
العرب واعزهم نفرا اى قوما والنفر رهط الانسان وعشيرته وهو اسم جمع لا واحد له يقع
على الرجال خاصة من الثلاثة الى العشرة وذكر الكرمانى انه يقع على الواحد كما ذكرناه فى شرح الدرة
من قبل ابيه وامه كما هو مبين فى السير ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله لتشريفها وجعلها
قبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومقصد الحجيج وعلى عباده اذ لم تزل الناس تعظمها
فى الجاهلية والاسلام وقال التجانى وتبعه بعض الشراح هنا بعد ما ذكر حديث لاحب ارض الله
الى الله الذى قال صلى الله عليه وسلم عند ما خرج منها جرا اجمعوا على ان مكة والمدينة افضل
البقاع وانما اختلفوا ايهما افضل فنسب للمالكية تفضيل المدينة والشافعى وابو حنيفة
والاكثر تفضيل مكة لما لها من الزينة بان الله حرمها وحرم صيدها وقيل بتغليظ الدية ودية
القتل فيها وانه لا يقام الحد فيها وغير ذلك من الحرمة التى ليست لحرم المدينة والصلاة بها
ثوابها زيادة على غيرها وهذا فى غير البقعة التى وضع فيها النبى صلى الله عليه وسلم وسياتى ان الص

رح فضل على مكة المدينة فجعلها اشرف واكرم فكلامه هنا مناف لمذهبهم في كلامه الاتي ولهذا
اعترضوا عليه وفيه خلاف عند المالكية كما سياتي فلا حاجة لما قيل من ان كلام البخاري يكفي
دليلا على فضل مكة في مذهب مالك وقال الطبري بيت خديجة يلي المسجد الحرام في الفضيلة
واجيب بانه عبر هنا بفضل كما سياتي لانه لم يقل مكة اكرم واشرف البلاد بل اكرم البلاد ومن فيه
تبعيضية لا بيانية وكون الشيء بعض الاشرف لا يقتضي انه اشرف فان البلاد الثلاثة التي تشد الرحال لها
شريفة وهذا منها اقول ولو قال اشرفها لم يشكل ايضا لان الكلام في منشاته ومولده وهي في زمن ولادته
وقبل هجرته كانت اشرف البقاع على الاطلاق اذ المدينة انما صارت حرما مكرما بعد هجرته تكريما له
صلى الله عليه وسلم وكان المعترض لاحظ لان المراد تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم على جميع
خلقه لشرف منشئه فيناسب كونه اشرف من جميع ما عداه فتدبر ووقع في نسخ بعض الشراح اكرم
بدون فلعل كلامهم مبني على هذه النسخة حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي نسبة الى الصدفة
وهو اسم قرية من قرى القيروان ووقع للفقها اختلاف في جواز اطلاق قاضي القضاة فقال بعضهم
لا يجوز كملك الملوك وشاهنشاه اي سلطان السلاطين فانه هو الله والحق جوازه كما افتى به كثير
من ارباب المذاهب الاربع فان القرينة ظاهرة في ان المراد قضاة عصره ومملكته فانه يطلق
على من يكون قاضيا في تخت الملك ويؤذن له في تولية قضاة الاطراف ولهذا عدلوا عنه وقالوا
قاضي العسكر ولكن قوى بعضهم منعه لورود التصريح بمنعه في الحديث والصدفي هو ابن سكرة
وهو امام ثقة ترجمته مشهورة قال حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف هو الامام العلامة
الحافظ ابو الوليد الباجي وقد تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا ابو ذر عبد بن احمد هو الامام
الحافظ ابو ذر الهروي وقد تقدمت ترجمته وعبد اسمه من غير اضافة قال حدثنا ابو محمد السرخسي
نسبة الى سرخس بفتح السين وضم الراء بلد عظيم بخراسان وهذا هو المعروف واما قول التلمساني
نقلا عن ابن مرزوق انه بكسر السين وفتح الراء وانه يقال بزنة درهم وجعفر فلا نعرفه وابو اسحاق
المستملي واسمه ابراهيم بن احمد بن داود البلخي الامام الثقة وابو الهيثم محمد بن يوسف هو محمد
المكي بن زراع الكشميهني بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية
وفتح الهاء وكسر النون ويا النسبة نسبة لقرية من قرى مرو قديمة خربت وخرج منها جماعة قاله
ابن الاثير قال التلمساني ويقال الكشماهني ويأتي الكلام عليه ايضا بابسط من هذا قال حدثنا
محمد بن يوسف الفربري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو حافظ الاسلام البخاري
وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا قتيبة بن سعيد تقدمت ترجمته قال حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن
بن عبد الله القاري منسوب للقارة قبيلة المدني نزيل الاسكندرية وهو يروي عن زيد بن اسلم
وسهيل بن ابي صالح وغيرهما وروى عنه قتيبة ويحيى بن ابي بكير توفي سنة احدى وثمانين ومائة
واخرج له اصحاب السنن ووثقه ابن معين عن عمرو بن عمرو ويقال ابن ابي عمرو مولى المطلب روى
عن انس وعكرمة وطائفة وروى عنه مالك والدراوردي ووثقه وقال النسائي انه ليس بالقوي
وقال احمد ليس به باس وقال ابو زرعة انه ثقة واخرج له الائمة الستة وتوفي في اول خلافة المنصور

وله ترجمة

وله ترجمة في الميزان عن ابي سعيد المقبري بتثليث الباء سمي به لسكونه بقرب المقابر كذا وقع في بعض
النسخ قال البرهان الحلبي وضرب المص رحمه الله على لفظ ابي وهو الصواب فانه سعيد بن ابي سعيد
المقبري واسم ابي سعيد كيسان وكنية سعيد ابو سعيد وفيه نظر وهو يروي عن ابيه وابي هريرة
وعايشة وغيرهما وروى عنه الليث ومالك وخلق ووثقه النسائي وابو زرعة وغيرهما وقال
احمد ليس به باس توفي سنة ثلاث وثلثين وقيل خمس وعشرين ومائة واخرج له اصحاب الكتب
الستة عن ابي هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته والكلام في اسمه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم هذا حديث صحيح انفرد البخاري باخراجه وعنه روى المص رحمه الله
وفي القرن عشرة اقوال لغة فانه مقدار من الزمان ويطلق على اهله فقيل عشرة وعشرون وثلاثون
واربعون وستون وسبعون وثمانون ومائة ومائة وعشرون ومطلق الزمان كما قال البرهان
الحلبي قال وابتداؤه عليه الصلاة والسلام من بعثته او من حين فشا الاسلام وقيل القرن
كل عصر فيه نبي او كبار من العلما فليس زمان الفترة بقرن نقله التلمساني وقال البخاري القرن في اللغة
كل طبقة من الناس متقدم في وقت واحد وربما سمي الوقت قرنا لانه يقرن ناسا بناس واحتج القائلون
بانه مائة سنة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح راس غلام وقال عش قرنا فعاش مائة
سنة كما ذكره الهروي والمختار ما قيل ان القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى وفيه نظر والظاهر
ان المراد بالقرن في الحديث طائفة وجيل من الناس في عصر واحد وزمان متقارب اشتركوا في امر
من الامور المقصودة وقوله من خير الخ من فيه لابتداء الغاية او بيانية لا للتبعيض لان المراد
ان قرنه الذي بعث فيه خير القرون لانه بعث في بعض القرن بدليل ما روى في الحديث الصحيح خير القرون
قرني والمراد به عصره صلى الله عليه وسلم وعصر صحابته رضي الله عنهم لانهم انقرضوا بعد مائة من انتقاله
صلى الله عليه وسلم وكسوا اختلف فيها فقيل وهذا الحديث يدل على ان اصحابه صلى الله عليه وسلم
افضل هذه الامة وساير الامم غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان ذلك ثابت لكل واحد منهم
لا لمجموعهم واليه ذهب الجمهور لان فضل الصحبة ونورها لا يعدله شيء ولا يساويهم في الفضل
وان تفاوتوا فيه بعدم الصحبة ونحوه خلافا لابن عبد البر رحمه الله حيث جوز ان يكون بعد الصحابة
من هو افضل من بعضهم الا من قاتل معه صلى الله عليه وسلم وانفق ماله في سبيله فانه لا يعدله
غيره بالانفاق واستدل بحديث امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره وهو حديث صحيح واجاب
النووي رحمه الله بان المراد ما اخره من ادرك عيسى عليه الصلاة والسلام وراى ما في زمانه
من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام واضمحلال الكفر وهو متوقف ولحق من لم يدركه في صدر الاسلام
غير الصحابة وسياتي الكلام عليه مفصلا قرنا فقرنا هذا كقولهم قرات النحو بابا بابا وهو حال
بتاويل مرتبا ولم يذكره النحاة معطوفا وكانه الحامل لبعض الشراح على جعله معمولا لحال مقدرة
والفا للترتيب في الوجود او الفضل نحو خذ الاكمل فالاكمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات
زجرا وهذا قريب من قول ابن الرومي وكم من اب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان
حتى كنت من القرن الذي كنت فيه قيل حتى غاية لبعثته واراد به تغليب في صلاب اباء من ابراهيم

عرض

عليه الصلاة والسلام ثم من ثابت بن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن
عبد المطلب ثم ايد هذا بحديث رواه البيهقي مسندا فيه لا تأله والترمذي وحسنه وهو ما اشار اليه
بقوله وعن العباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق اي مخلوقات
كلها من انس وملك وجن فجعلني من خيرهم اي اوجدني وصيرني من خير جنس منهم وهم الانس وهم خير
نوع وهم العرب ومن خير قرن وهو قرنه صلى الله عليه وسلم وقرنا اصحابه فلذا ابدل منه قوله
من خير قرنهم بدل بعض من كل ثم تخير القبايل اي اختار من قرنه الجماعة من اب واحد والقبيل
بغيرها بنوا ابا مختلفة او هم اعم وقد يكونان بمعنى والقبيلة تحتوي على جماعات من ابا منتسبة
للاب الاول تسمى بيوتا وبطونا لانهم من بطن واحدة ويجمعهم بيت واحد واصل البيت المسكن
الذي يبيتون فيه فاطلق على اهله وصار حقيقة فيهم فلذا قال ثم تخير البيوت بضم الباء ويجوز
كسرها فجعلني من خير بيوتهم يعني به بني هاشم وقيل المراد بالبيت هنا الشرف اي تخير الله جهات
الشرف واسبابه المقتضية له واختاره لي اعلام والاشرف والاول هو الموافق للغة نعم
البيت يخص عن له شرف فانا خيرهم اي جميع من ذكر نفسا اي روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي حسبا
وشرفا واصلا وفيما ذكر اشارة الى الطبقات الست من الناس قال العرب كما تقدمت تقسم
الناس لشعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة كل طبقة تجمع ما بعدها وما قيل من انه
لا يلزم من كونه خيرهم بيتا ان يكون هو خير المشاركة اهل البيت له في شرفه والجواب ان المراد
انه خيرهم بالقياس الى غير بيته لا الى كل واحد من اهل بيته ليس بشيء لانه لو كان كذلك لم يصح
تفريعه على كونه خيرهم نفسا فهذا كقولهم فلان من العلما وهو امدح من قولهم عالم كما قرره اهل
المعاني لسوق فضله وخبرته مساق المعلوم المسلم وبيان عراقته واصالته في ذلك كقوله وكان
من القانتين كما روى عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه في التذكرة من رجال الكتب العشرة لابي
المحاسن العلوي واثلة بمثلثة ولام ابن الاسقع بن كعب بن عامر ابو الاسقع ويقال ابو قرصافة الليثي
اسلم قبل تبوك وشهدها وكان من اهل الصفة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي
مرثد الغنوي وابي هريرة وام سلمة رضي الله عنهم وروى عنه بناته ومكحول وجماعة قالوا مات
سنة ثلاث وثمانين وعمره مائة وخمس سنين وقال البرهان خمس وتسعون سنة وخدم النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وذكر نسبه مخالفا لما ذكرناه فقال ابن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وقيل ابن عبد الله وقيل غير ذلك والاسقع
بفتح الهمزة وسكون السين وفتح القاف وعين مهملة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى اي اختار وارتضى من ولد ابرهيم اسمعيل عليهما الصلاة والسلام فهو افضل
اولاده وكان له غير اسمعيل واسحاق ستة اولاد من قطورا واصطفى من ولد اسمعيل بني
كنانة اي كما تقدم قال السهيلي ولاسماعيل بنون ذكرا سحاق وهم اثنى عشر منهم ثابت بالنون وهو
جد كنانة وبنيه وبينه ثلاثة عشر ابا وسمي بكنانة السهام التي تسمى جعبة ولقب به وحكى ابو حاتم
عن الاصمعي ان رجلا وقف مع اخيه اسد يسلخان جزورا لهما فقال لرجل ما جلا الكا شطين

عرضه

ابن الحنبلي

فقال له حاشية المصارع وهصار الاقران فقال لها كنانة ويا اسد الطعمانا من جزور بيتكما فاطعماه
فكني له الرجل عن كنانة بحاشية المصارع يعني السهام لانها تصرع ما اصابته وروي المصادع
بالدال الراجع مصدع والعصر من صفات الاسد وجاد بكسر الجيم والمداي هما اسمها الذي يكشف
اللبس عنها الكشط بمعنى السلخ والولد صفة مشبهة جرى مجرى الاسما يشمل الواحد وغيره واصطفى
من بني كنانة قريشا ولد كنانة لصلبه النضر وله اربعة اولاد من ذريته قريش واول قريش في الاصح
فهر بن مالك بن النضر وقيل النضر اول قريش واختلف هل قريش اسمه او لقبه واسمه فهر وبه جزم
العراقي في الفية السيرة ويطلق قريش على بنيه فينصرف ولا يصرف باعتبار القبيلة كما يقال
تميم وربيعة وولد النضر فمن لم يكن من ولد النضر ليس بقريشي قال الشعبي رحمه الله النضر بن كنانة
هو قريش وانما سمي قريشا لانه كان يتقرش عن ارباب الحاجات ليقضي حوائجهم والتقريش التفتيش
وقيل التقرش التجمع فسموا به لتجمعهم فيكون اسما للقبيلة ولذا جاز منع صرفه كا علم وقيل هو اسم
سمكة عظيمة سميت به القبيلة لانه يأكل السمك ويقهرها فسمي به القبيلة او ابوها لشدتهم
وتصغيره للتعظيم قال الشاعر وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واسمه عمرو وهو علم منقول من عمرو ان منه العمر بالضم وواحد عمور الاسنان
وهو اللحم المطيف بها وهاشم اسم فاعل من هشم بمعنى كسر سمي به لانه هشم الثريد لقومه في سنة
مجدبة قال عمرو العلا هشم الثريد لقومه وقوم بمكة مسنتين عجاف وخلط الرواة في الشعر
فزعموا انه اقوا وليس كذلك واصطفاني من بني هاشم هذا الحديث رواه مسلم والترمذي
وما قاله المصنف رح هو بلفظه في الترمذي ولفظ مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل
واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفيه دليل على
تفاضل العرب فيما بينهم الا انهم اختلفوا في التفاضل بين قريش على ما فصله الفقها في باب النكاح
في احكام الكفاءة وقد تبرع به بعضهم هنا ولا داعي له قال الترمذي هذا حديث صحيح ونقل المزي
المزي عنه انه قال انه حديث صحيح غريب وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبراني في الاوسط
بسند حسن ورواه الطبري هو الامام المفرد الحافظ ابن جرير ابو جعفر احد الاعلام صاحب
التصانيف المشهورة من اهل طبرستان كان كثير الطواف والعبادة وسمع من محمد بن ابي الشوارب
والسكوني واسحاق بن اسرائيل وغيرهم واخذ القراءات عن جماعة وروى عنه كثير توفي ودفن ببغداد
وولد سنة اربع وعشرين ومائتين وترجمته مشهورة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
اختار خلقه اي اراد ان يخلق خلقه ويوجدهم فلما اوجدهم تخيرهم فاختار منهم بني ادم وقيل اختار
خلقه بمعنى اختار منهم ففيه حذف وايصال وقوله فاختار الخ بيان له وكذا قوله ثم اختار بني ادم
فاختار منهم العرب وهم الجيل المعروفون كما تقدم وقيل معناه من بني ادم من بينهم عن غيرهم ثم اصطفى
من بني ادم على غيرهم او معناه فاصطفى من بينهم بني ادم ثم دام على اصطفائه اياهم وكثيرا ما يضمن
الافعال معنى الدوام نحو يا ايها الذين امنوا امنوا والا فلا معنى لاصطفائهم واختيارهم مرة بعد
اخرى وليس العرب كلهم من ولد اسمعيل كما قاله بعضهم فانه قول غير صحيح لشهرته فلا حاجة لذكره

ثم اختار العرب اى بطنا من خيارهم لدين لطفا فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم
فاختارنى منهم فلم ازل خيارا من خيار اى لم ازل منتقلا من اصل مبدى واصولى الى ان نشانى الله خيارا ومخلوقا
من خيار وشريفا من شريف الاحرف استفتاح وتنبيه على ما علم مما قاله وتحقيق لما بعده من احب العرب
فبحبى احبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم الظاهر ان البا للسببية اى من احبهم بسبب محبة النبى
صلى الله عليه وسلم لهم ولمحبته فان من احب احدا يحب لاجله قومه واصوله وكذا البغض وهو
عدم المحبة ولا يكمل ايمان المرا حتى يكون الله ورسوله احب اليه من نفسه ونقل عن بعض المالكية
اى من سبهم وجب قتله قيل وهذا ينبغى ان يقيد بالحيثية فانه ملاحظ فى كثير من القضايا اى من حيث
كون النبى صلى الله عليه وسلم منهم او من حيث انهم عرب لا من بعضهم او ذمهم لامر اخر كقوله
تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا ويدل عليه حديث احب العرب لثلاث لانى عربى والقران عربى ولسان
اهل الجنة فى الجنة عربى والمراد الحث على محبته وقد صنف العراقى رحمه الله كتابا فى هذا سماه نيل
القرب فى محبة العرب وفى هذا نص على الشعوبية وهو قوم يفضلون العجم على العرب ولهم ادلة على مفا
يبنوها وما عليها واوردوا الاحاديث الموضوعة نفترى لهم منها ان الله تعالى اذا تكلم بالرضا تكلم
بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية وفى الشرح الجديد الاحاديث الواردة فى فضل
اللغة الفارسية كلها موضوعة وفضلهم فى الكرم والشجاعة والحلم والعلم اكثر من ان يحصى
وقيل ان ابا عبيدة كان شعوبيا وصنف كتابا فى مثالب العرب وقد قيل انه كذب عليه فان قلت عرض
ان تقديم المتعلق اعنى بحبى وببغضى يقتضى الحصر ومحبتهم لشرف نسبهم وحسبهم وما فيهم من الامور
المحمودة لا يتوقف على محبته صلى الله عليه وسلم قلت ان كانت البا للدلالة الادعائية
كما فى نحو نظرت بعينى وسمعى باذنى فلا اشكال لان المعنى من احبهم او ابغضهم فينبغى ان يحبهم
بمثل حبى ويبغضهم بمثل بغضى وهو الحب فى الله والبغض فى الله وان كانت للسببية فالمراد
انه بسبب حبى يحبهم لا للعصبية وامور الجاهلية فتدبر قلت وهذا الحديث رواه البيهقى
عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال انا لقعود بفناء النبى
صلى الله عليه وسلم اذ مرت امراة فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ابو سفيان مثل محمد صلى الله عليه وسلم فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط
النتن فانطلقت المراة واخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فجاء يعرف فى وجهه الغضب
فقال ما بال اقوام يبلغنى عنهم ما يبلغنى ان الله عز وجل خلق الخلق واختار من الخلق من بنى ادم
واختار من بنى ادم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى
هاشم واختارنى من بنى هاشم فانا خيار من خيار الى خيار فمن احب العرب الخ وقوله وعن ابن
عباس رضى الله عنهما قال السيوطى هذا الحديث رواه ابن ابى عمر العدنى فى مسنده ان قريشا بفتح
همزة ان المشددة والمصدر مبتدا خبره الجار والمجرور قبله كانت روحه نورا بين يدى الله تعالى
هو مستعار مما بين الجهتين المسامتين لليدى الانسان لانهم من الله بمنزلة توجب اجلالهم
ومحبتهم تفخيما لشانهم وحثا على محبتهم وقيل انه كناية عن غاية القرب من محل رضاه كما يقال

فلان بين يدى الملك وان كانت الحقيقة هنا متعذرة فهو مجاز متفرع على الكناية كما فى قوله لا ينظر الله
الى فلان كما فى شرح المفتاح قبل ان يخلق ادم عليه الصلوة والسلام بالفى عام هو على حقيقته
او المراد طول المدة اى قبل ان يظهره فى عالم الشهادة ثم بين حكمة اظهاره بقوله يسبح ذلك
النور ويسبح الملائكة اقتداء بتسبيحه اى بتقديسه وتنزيهه لله والمراد بكون قريش
نورا روحها او ان الله مثلها بهذا المثال وابرز صورها فى الملا الاعلى بتسبيحه ليعلم انها بشرية
ملكية ولذا قال الله تعالى لهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون يعنى انهم سبحوا قبل ما اسبحتم فى الازل فهم لا يعلمون
بذلك لانهم ظنوا تلك الانوار ملكية صرفة وكان نور محمد صلى الله عليه وسلم مدرجا اذ ذاك
فى اصوله من قريش وغيرهم بجملة اصلابه المسبحة وان لم يشعروا به وان من شى الا يسبح بحمده
فلما خلق الله ذات وجسم ادم عليه الصلاة والسلام القى ذلك النور فى صلبه والصلب
والصالب عموم الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها اى اودعه فيه كما سياتى تحقيقه ثم فصله
بقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطنى الله الى الارض فى صلب ادم اى انزل
نورى الذى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح اى نقل نورى من صلب ادم عليه الصلوة
والسلام الى صلب نوح عليه الصلاة والسلام وقال وقذف بى فى صلب ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ولم يقل جعلنى لما بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام من البعد لان
القذف الرمى من بعيد واصله الرمى بالحجارة يقال هم بين حاذف وقاذف والحذف رمى العصا ثم لم
يزل الله ينقلنى من الاصلاب الكريمة يعنى اصلاب اجداده عليه الصلوة والسلام والارحام
الطاهرة من حيث النفى وغيره ووصف الاصلاب بالكريمة والارحام بالطاهرة فى غاية الحسن
لانها مقر الطمث والدم والنطف والارحام جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة حتى
اخرجنى من بين ابوى اى ابى وامى على التغليب المشهور واخراجه من بينهما تولده منهما وخلقه من نطفتهما
لم يلتقيا على سفاح قط جملة حالية والسفاح الزنا من سفح الماء وصبه من المايعات اذا اراقه
اى لم يجتمعا على زنا ولم تلق نطفة احد من ابويه واباته فى غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح
الجاهلية كما مر وقط ظرف لتعميم الازمنة الماضية يقال ما رايت قط بفتح القاف وضمها وتشديد
الطا وبفتح القاف وتخفيف الطا المضمومة واذا كانت بمعنى حسب فبفتح وسكون ويشهد لصحة
هذا الخبر شعر العباس رضى الله تعالى عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم فانه اشتمل على معناه
فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وهو الشعر المشهور الذى اوله من قبلها طبت فى الظلال
وفى مستودع حيث يخصف الورق الابيات وستاتى بتمامها مع الكلام عليها وقد قيل انها
لحسان رضى الله تعالى عنه والصحيح الاول وان ذهب ابن عساكر فى تاريخه الى الثانى فى حديث
اخرجه عن ابن عباس رضى الله عنهما الا انه ضعيف جدا قيل وهذا موضع بحث لانه ان اراد بكونه ابن اقبس
شاهدا بصحته متنا وسندا وهو غير لازم وان اراد به صحة معناه فهو غير مفتقر له لان كثيرا
من الاحاديث دلت عليه وانتقاله عليه الصلوة والسلام من صلب ادم عفى ايضا وفيه نظر

فصل واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فيما تقدم اول الباب وتدعو بمعنى تقتضيه
ويلزم حتى كانه تطلبه منه فهو استعانة في الاصل وضرورة الحياة ما لا بد منه فيها مما يضنا دالحراليه
فعلى ثلاثة ضروب جمع ضرب وهو القسم والنوع من الشيء وفي بعض النسخ فعلى ثلاثة ضرب في
بعضها اضرب بجمع القلة وهو المنسب بالثلاثة والاولى لان الجمعين يقام كل منهما مقام الاخر كثيرا
كقوله ثلاثة قروء وفيه تفصيل ليس هذا محله ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الاحوال فيه وافرد لكل منهما فصلا كما سياتي فاما ما التمدح اي حسنه بحيث يستحق المدح
وليس المراد به التكلف كتحلم والكمال بقلته اتفاقا شرعا وعادة كما بينه بقوله وعلى كل حال عادة
وشريعة والمراد بالعادة ما اعتاده الناس مما يودي اليه العقل اذ اخلى ونفسه وطبعه والشريعة
ما امر به الشارع صلى الله عليه وسلم ونهى عنه مما تضمنه الوضع الالهي السابق لذوي العقول
باختيارهم الى الامر المحمود كالغذا والنوم الغذا بكسر الغين وفتح الذال المعجمتين وبالمد كل ماكول
ومشروب به قوام البدن مطلقا واما بفتح المعجمة ودال مهملة فما يوكل في اول النهار كما مر والنوم
معروف ولم تزل الحكما والعرب اراد بالحكما حكما اليونان والهند والفرس ونحوهم ولذا قابلهم بالعرب
وهم يمدحون قلة النوم والسهر بما لا مزيد عليه قال في هياكل النور النفوس الناطقة من جواهر الملكوت
وانما يشغلها عن عالمها القوى البدنية ومشاغلها وضعف سلطان القوى البدنية بتقليل الطعام
وتكثير السهر فيتخلص احيانا الى عالم القدس ويتلقى منه المغيبات تمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
كتفاخر لفظا والمقصود الكثرة لا التفاعل وخص العرب لانهم اكثر الناس مدحا لهذين بخلاف
غيرهم كالروم والعجم فانهم يفتخرون بكثرة الاطعمة ونفاستها ولهم حرص عليها وذكر الحكما منهم
ومن غيرهم وحر ذلك لاغتنائهم بالرياضة وقلة الشح في كل ماكول ومشروب مع سداد عقولهم
وصفا اذهانهم واعتنائهم بمهمات امورهم وعباداتهم وهو ظاهر وورد في الحديث ابغضكم
الى الله كل نوم وقال عيسى عليه الصلوة والسلام للحواريين اجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم
بقلوبكم وقالوا البطنة تذهب الفطنة والاحاديث في هذا اكثر من ان تحصى وقال الله تعالى الذين
كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم بفتح النون والها
وهو الافراط في شهوة الطعام ومنه الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والشره
مثلثة الشين والحرص والشرة اي الحرص على الاكل والشرب والشرة بفتح الشين المعجمة والراء
المهملة والها زيادة الحرص ففيه ترق وغلبة الشهوة المراد غلبة شهوته للطعام على تحمله وصبره
وعقله فيما فيه صلاحه فليس في كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد في الحديث
الحرص والشره داء عضال والحريص اسير شهوته وعبد بطنه والحرص قوام الحسد وهو هادم الجسد
والحرص قد يكون محمودا اذا كان في محمود قال تعالى حريص عليكم بالمومنين رؤف رحيم وانما
مدح قلة الغذا والنوم اذا لم يفرط حتى يؤدي لضد بلا ضرورة كما قال واخش الدسايس من جوع
ومن شبع ومن مخمصة شر من التخم ثم ان ترك من ابتلي بذلك اذا عسر عليه ينبغي قطعه بالتدريج
كما في منظومة ابن سينا وكل عادة تضر اهلها فاقطع بتدريج الزمان اصلها وقوله مسبب لمضاد الدنيا

والاخرة خبر بعد خبر لان وهو بكسر البا المشددة اسم فاعل ولم يقل سبب مع انه اخف واظهر
لانه امر مباح لا ضرر فيه دنيوي ولا اخروي بل ربما يترتب عليه نفعهما كراحة البدن والقيام
بعده للعبادة لكن لو لم ينم اول الليل لم يدرك صلاة الصبح فحيث انه ترتب عليه نفع تارة
وضرر اخرى علم انه ليس سببا بل قد ينشو عنه سبب ضررهما فهو مسبب لا سبب فان النوم
قد يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الاخرة والاكل يكون منه الامتلاء وهو سبب
للدق والسل والشرب بعد النوم يورث الامراض وقيل انه بمعنى السبب هنا المفضي الى المسبب
بالفتح والفضل للمتقدم فمعنى مسبب موجد للاسباب وهذه الشهوة والحرص عليها يودي
الى جلب المال وكذا حب المال وكذا حب الدعة والراحة قد يترتب عليه مفاسد كما قال
الشاعر وانك ان اعطيت بطنك همه وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا ويقع في بعض النسخ
وغلبة الشهوة مسبب برفعها على انه مبتدا وخبر وليس بشيء لان غلبة الشهوة ليس سببا
للمضار وانما سببه الاكل والشرب كما قاله الانطاكي ثم اشار المص الى ذلك على طريق اللف
والنشر فقال لجالب لادواء وجامع داء الجسد اي امراضه واسقامه كما هو مشاهد وقال ان الا
اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب فلهذا راجع لكثرة الاكل والشرب اذ بهما تمتلي المعدة
والعروق بالدم وتزيد الاخلاط فيتولد منها الامراض واجتمع اربعة اطبا هندي ورومي
وعراقي وسوادي عند الرشيد فقال ليصف كل واحد منكم الدوا الذي لا داء معه فقال الهندي
هو الاهليلج الاسود وقال الرومي حب الرشاد الابيض وقال العراقي الما الحار فقال السوادي
وكان اعلمهم الاهليلج يعقص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرقها وهذا داء والما الحار يرخي
وهذا داء قالوا فما هو قال ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك وانت تشتهيه وفي الطب
النبوي في معناه احاديث كثيرة كحديث صوموا تصحوا وخثارة النفس بفتح الخا المعجمة والمثلثة
والراء المهملة عند ابن رسلان وبضم الخا عند البرهان الحلبي والاول هو الظاهر لموافقة
القياس كالكهالة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس وعدم نشاطها والظاهر انه راجع
لكثرة النوم فانه يورث لاسيما بالنهار ضعفا للبدن ووقع في بعض النسخ خسارة بالسين وهو
تصحيف وتحريف من الكاتب وهو مجرور معطوف على الادوا وكذا قوله وامتلا الدماغ بابخرة
رطبة تتصاعد عند النوم ترخي اعصاب الدماغ وتضعفه وتذهب صفا الذهن وتورث
البلادة وقلة الحفظ ويصح رجوع هذا وما قبله للجميع لكن يا باه ما بعده من قوله وقلته
دليل على القناعة بالنصب عطفا على كثرة الاكل ويجوز رفعه على الابتدا لان من اعتاد قلة
الاكل يقنع باليسير فاستراح واستغنى عن الناس فعز وتخلى للعبادة وكان من رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله وملك النفس معطوف على القناعة اي ملك نفسه الامارة فلا تعصيه
لانه اذا اشبع عصته نفسه وتحرك شهوته كما قال ذو النون رحمه الله ما شبعت الا همت
بمعصية والجوع يقمع الشهوات وقمع الشهوة معطوف على القناعة والقمع القهر اي قهر شهوته
وغلبها واضعفها حتى لا تخالفه وما بعده خبر مبتدا مقدر والظاهر انه مبتدا خبره سبب للصحة

اهليلج هليله ديرلر بر آغاجدر اوتدر بانوس

وصفا الخاطر وحدة الذهن الخاطر يطلق على ما يخطر على القلب من الافكار ويطلق على القلب نفسه
وصفاوه من الكدورة بحسب فهمه والذهن قوة الفهم وحدته سرعته وهذا يكون عند الجوع اقوى
واصفى وبه يصل للمعارف الربانية ويلتذ بالمناجات والاذكار والعبادة وقال الجنيد يجعل
احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وهذا كله راجع للاكل
وما بعده والحزم بكسر الحا القوة كبعثة كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة بضم الفا والسين
المهملة واللام وهي الرذالة وعدم الهمة في امور الدنيا والاخرة فيا نائم الليل هنيته فقبل
الممات سكنت القبور الا انه يميت القلب ويورث الكسل ولا يصح اعجامه وان كان بمعنى الحين لعدم
مجي مصدره على فعوله والضعف اى ضعف القوى والادراك وعدم الزكاء والفطنة سببها
منقاربان او الفطنة الفهم والزكا سرعته فقدم نفي الاخص على نفي الاعم ليفيد المبالغة على ذاته
في الترقي فيه وعدم الزكا مرفوع مبتدا وخبره مسبب كما في الاصول والاظهر جره عطفا على ما قبله
فسبب خبر بعد خبر للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع اما كون كثرة النوم سبب للتواني
من فعل اليم فلتعطل الحواس فيه وارتخائها بعده فاذا الف ذلك عجز وضاع عمره بلا فائدة كما قال
اليس من الخسران ان ليالياً تمر بلا نفع وتحسب من عمري فمثله لا يعد عمراً لانه ما عمر الانسان لحدا
داريه اذا كان راس المال عمرك فاحترس عليه من الانفاق في غير واجب وقساوة القلب وغفلته
وموته لعدم قبوله الموعظة بسبب غفلته به عما يهمه وموته بعدم ادراكه لانه صفة تبطل
الحس والارادة كالموت واليه الاشارة بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الاية فالنوم
اخو الموت والشاهد على هذا اى الدليل عليه وانما يورثان ما ذكر ما لم يعلم ضرورة اى يعلمه
كل احد علما بديهيا ضروريا ويوجد مشاهده منه ومن امثاله او ينقل متواترا اى نقله متواتر المعنى
من كلام الامم المتقدمة والحكما السالفين المتقدمين على ملة الاسلام من حكما الهند
والعجم واليونان والعرب وغيرهم لقول الحارث بن كلدة حكيم العرب افضل الدوا الا ثام المقلة الاكل
وقال داود اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس لاعمالهم واشعار العرب ولغيرها
كقوله قارب غذيتك ان كلت فان شئت وان عشيتا وانا الكفيل لك الحياة وان تعاقاما حينا
وقال قيصر لقس بن ساعدة ما افضل الاكل قال ترك الاكثار وصحيح الحديث النبوي مثل ابغضكم
الى الله كل نوم اكول شروب وغيره واثار من سلف وخلف الاثر ما اثرته اى نقلته عن غيرك فيشمل
الحديث ويطلق ويراد به ما يقابل الحديث والمراد عن سلف من تقدم عصر النبي صلى الله عليه وسلم
وبمن خلف ما عداهم كالصحابة رضي الله عنهم والتابعين بما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اى
طلب شاهد ودليل عليه وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله اختصارا او اقتصارا على اشتهار
العلم به الغني عن التطويل بذكره والاختصار عند اهل العربية الحذف لدليل والاقتصار حذف
بلا دليل وعند المحدثين ان يكون للحديث طرق فيكتفى باحديها والمراد هنا عدم التطويل اكتفا
بشهرة العلم بما ذكر فكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين اى النوعين وهما الاكل
والنوم بالاقل عداه بالبا وان كان متعديا بنفسه لتضمنه معنى التمسك او الاتصاف لانه

صلى الله

227

صلى الله عليه وسلم اقل قليل منهما لما فيه من الكمال والملكة المرضية واتى باسم الاشارة القريب
تحقيرا لهما نحو ما هذه الحياة الدنيا وتبعيد انهما عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة بهما وتمامه
من انه كان ينبغي للمص رحمه الله ان يقتصر على كلامه صلى الله عليه وسلم فان معه لا يحتاج لغيره
من شعر وحكمة ليس بشيء فان مراده ان صفاته صلى الله عليه وسلم مما اتفق العقلا وجميع
الامم على حسنها وكونها مرضية محمودة وان كلامه صلى الله عليه وسلم ربقة حكم الامم وان لم
يرهم ولم يقرا كتبهم وكذلك قصص القران نظرا لصنيعه هذا اى ما ذكر من قلة كلامه ونومه ما لا
يدفع اى لا ينكر ولا ينازع فيه من سيرته اى من طريقته وصفته وهو بيان لما حال من ضمير يدفع اى
لشهرته وتواتره لا ينازع فيه احد وهو الذي مر به امته دون ضده وضمير به لهذا او للاقل وخص عليه
بحا مهملة وضاد معجمة اى حث الناس ورغبهم في التخلق به لما علم من شرفه وكماله لا سيما بارتباط
احدهما بالاخر لا سيما بمعنى لا مثلهما والكلام عليه مفصل في العربية ويذكر بعده ما هو اولى
بالحكم نحو اكرم الناس لا سيما العلما الان في كونهما هنا كذلك خفاء لم يتعرضوا له غير ان بعضهم
قال المعنى لا سيما الامر الاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط احدهما بالاخر لانه اذا شبع شبعا
كثيرا نام كثيرا ففاته خير كثير يعقبه ندم كبير وهو لا يجدي نفعا والبيان الشافي ان كل واحد
منهما مذموم مع انفراده ينبغي الحث على تركه فكيف اذا اجتمعا وهما كذلك غالبا للزوم
احدهما للاخر فان النوم يلزم الاكل والبا بمعنى مع فما قيل ان لا سيما هنا ليست على وفق
استعمالها ليس بشيء وهو توطئة للحديث الاتي المتضمن لتلازمهما ومن لم يفهم هنا قال
ان المص استعمل لا سيما على خلاف ما جا في قوله ولا سيما يوم بدارة جلجل وقد قال ثعلب من استعملها
على خلافه اى على خلاف اى خلاف ما جا عليه انتهى فهو مخطي وحذو الواو والمستثنى بها وتقدير
ولا سيما حض بارتباط احدهما بالاخر الخ حدثنا ابو علي الصدفي بن سكرة تقدم بيانه بقراتي
عليه بين طريق روايته عنه بانه قرا وشيخه سمع الان قراة الشيخ والسماع منه اعلى رتبة
في الرواية لكن صار المعروف اليوم القراءة على الشيخ ولذا قيل انهما ادفع وقيل انهما سوا
قال حدثنا ابو الفضل الاصفهاني بفتح الهمزة وكسرها وبالبا والفا وهي بلدة عظيمة قال صاحب
المطالع قيدناها بالفتح عن جميع شيوخنا قال وقيدها بالكسر ابو عبيد البكري قال واهل
المشرق يقولون اصفهانا بالفا واهل المغرب بالبا وهو احمد بن خيرون وقد تقدم ومعنى
اصبهان عسكر الفرسان لان اصب بمعنى فرس فيل وهو لا تخلو غالبا من ثلاثين رجلا يستجاب
دعاؤهم وكان نمرود حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل عليه الصلاة والسلام فلما رواه
امنوا به فدعا لهم بذلك اى بان تجاب دعوتهم كما اجابوا دعوته قال حدثنا ابو نعيم بالتصغير
وهو حافظ عصره ومحدثه احمد بن عبد الله ابن احمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني
الصوفي سبط الزاهد محمد بن يوسف البنا ولد سنة ست وثلاثين وثلثمائة وتوفي في المحرم
سنة ثلاثين واربعمائة وعمره اربع وتسعون سنة وسمع من كثير وسمع منه الحفاظ وله
ترجمة في الميزان وتصانيفه مشهورة قال حدثنا سليمن بن احمد بن ايوب بن مطر الشيباني

مسند الدنيا الامام الجليل ولد بعكا في صفر سنة ستين ومائتين واعتنى به ابوه فرحل به في حداثته
وسمع في سنة ثلاث وسبعين وبعدها بمداين الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة والبصرة
واصبهان والجزيرة وغيرها وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم يذكر مسند ابي
هريرة فانه افرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب فيه وكان يقول هو روحي والمعجم
الصغير ومصنفات اخر جليلة وتوفي لليلتين من ذي القعدة من سنة ستين وثلثمائة وله مائة
سنة وعشرة اشهر تقريبا وترجمته في الميزان وتصانيفه مشهورة قال حدثنا ابو بكر بن سهل ابو محمد
مولى بني هاشم بن عبد الله بن يوسف الدمياطي روى عنه الطحاوي والطبراني وغيرهما توفي سنة تسع
وثمانين عن نيف وتسعين سنة وهو مقارب الحال وقيل ضعيف كما في الميزان قال حدثنا عبد الله بن صالح
الجهني مولاهم كاتب الليث روى عن معاوية بن ابي صالح الاتي وموسى بن علي وغيرهما وروى له
البخاري واصحاب السنن وهو زاهد حسن الحديث توفي في سنة مائتين وثلاث وعشرين عن
ست وثمانين سنة وله ترجمة مطولة في الميزان قال حدثنا معاوية بن ابي صالح الحضرمي قاضي
الاندلس وهو امام صدوق توفي سنة ثمان وخمسين ومائة وله ترجمة في الميزان ان يحيى بن جابر حدثه
عن المقدام ابن معدي كرب هو يحيى بن خالد الطائي قاضي حمص مات سنة مائة وستة وعشرين
واخرج له اصحاب السنن والمقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي صحابي نزل حمص وترجمته
مشهورة توفي سنة سبع وثمانين واخرج له اصحاب السنن واحمد قال السهيلي معنى معدي كرب وجه
الفلاح وفيه لغات اسكان يا معدي ولو في النصب مع فتح با كرب بلا تنوين لبنائه واعرابها
بالاضافة مع الصرف وعدمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا
من بطنه وهذا الحديث رواه الترمذي والنساي وابن حبان واخرجه المص رحمه الله عن الطبراني
ولم يروه عن الترمذي لان سنده لمعجم الطبراني اعلى من غيره لان بينه وبين المقدام ثمانية في رواية الطبراني
وبينه في رواية الترمذي من احدى طريقيه احد عشر ومن الاخرى عشرة والحديث صحيح وفي الروايات
اختلاف يسير ففي الترمذي بدل ابن ادم ادمي وبلفظ بطن بلا اضافة وبحسب الاتي بالبا الجارة
والوعا ظرف الطعام والمراد انه لا وعا اشر منه ولا يساويه في الشر فجعل بطنه كاوعية البيت
تحقيرا له ثم جعله شر الاوعية زيادة في تحقيره لان امتلاءه يورثه البلادة ويحرك شهوته فيرتكب
المعاصي ويحصل له من الامراض ما يضره كما مر ويودي الى هلاكه ولا شر اعظم من هذا فحسب منه
ما يقيم صلبه ويعينه على عبادة ربه ونظام امور دنياه فلذا قال بحسب ابن ادم وفي رواية المسلم
بدون ابن ادم اكلات يقمن صلبه حسب بسكون السين اسم بمعنى كفى كما يقال اعطيتك الرجل ما حسبه
اي اعطيت عطا يكفيه وهو مبتدا خبره اكلات بضم الهمزة والكاف معا والرواية به ويجوز فتح
الكاف وتسكينها جمع اكلة بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يوكل ويقمن بمعنى يقوين من قام بمعنى
دام وثبت وصلبه بضم الصاد وفتحها عظام سلسلة ظهره لانه عموده وفيه النخاع الذي يمد
العصب بالممسك فاذا افرط جرعه ضعف وانحنى صلبه وفي القاموس ما يخالف ما قاله
الشراح لانه جوز في اكلة الفتح والضم واقتصر في جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان اكلات

بضم الهمزة جمع اكلة بفتحها وهي اللقمة فان كان لا محالة بضم الميم والحا المهملة واللام بمعنى
لابد ولا حيلة كما توفي قوله وكل نعيم لا محالة زايل اي ان لم يكن صبر على الاقتصار على لقيمات
فثلث من بطنه لطعامه وثلث منه لشرابه وثلث منه لنفسه بفتحتين وهو الهوا الخارج
من الجوف وروى الديلمي طعامك وشرابك ونفسك بكاف الخطاب على الالتفات من الغيبة
للخطاب اعتنا بشان من ارشده بما ارشده اليه وانه لا ينبغي تجاوزه وفي الاول حث على
الاقلية وفيما بعده تجويز لما فوقه من غير افراط والشراب هنا بمعنى الما ولان كثرة النوم
من كثرة الاكل والشرب هذا من كلام المص رحمه الله لا من الحديث الا ان الشراح لم يبينوا
وجه ارتباطه بما قبله ولا على ما عطف والظاهر انه عطف على قوله السابق بارتباط
احدهما بالاخر لان السبب والعلة في معنى واحد فالمراد بارتباطهما ان احدهما يستدعي الاخر
فان الاكل يقتضي الشرب ثم بين انهما وكثرتهما يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما من الابخرة
الكثيفة الى الدماغ المرخية له المقتضية لكثرة النوم المستدعي الكسل وذهاب الفطنة
وفوات العبادة وفي ذلك ما لا يخفى من الضرر قال سفيان الثوري بكسر السين وضمها
وفتحها وهو سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبد الله والثوري نسبة لثور بن مناة وقيل
من ثور همدان وهما قبيلتان الكوفي عالم عصره الزاهد المحدث توفي سنة احدى وستين
ومائة وعمره اربع وستون وهو ثقة ولا عبرة بمن تكلم فيه وهو من اقران مالك رحمه الله
يملك سهر الليل بقلة الاكل يملك بضم اليا وفتح اللام مبني للمفعول وسهر مرفوع نائب الفاعل
اي يقوى ويقدر عليه من غير مشقة فيه قدرته يملكه له فهو استعارة لان النفس تقهر بقلة
الطعام بعد ان كانت قاهرة وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا زاد
الغزالي في الاحيا فتخسروا كثيرا او زاد غيره فتندموا عند الموت لقلة الزاد لان اكل زاده
فضيعه في غير وقته وقد روى عنه اي النبي صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه
ما كان على ضفف اي كثرة الايدي لما فيه من السخا بالطعام وقلة الاكل وكثرة البركة وهذا
الحديث قال السيوطي رحمه الله انه رواه ابو يعلى عن انس وجابر رضي الله عنهما بسند جيد ولفظه
كما قال الشيخ قاسم في تخريجه لم يجتمع له غدا وعشا وخبز ولحم الا على ضفف وسنده جيد
واخرج ابو عبيد في الغريب انه صلى الله عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف واخرج
الترمذي في الشمايل عن مالك بن دينار قال ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبز
قط ولا من لحم الا على ضفف قال مالك سالت رجلا من اهل البادية ما الضفف قال تناول مع الناس
واخرج الطبراني رحمه الله عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب الطعام
الى الله تعالى ما كثرت عليه الايدي انتهى والضفف بفتح الضاد المعجمة والفائين اولاهما مفتوحة
فسرها المص رحمه الله بما ذكره اهل اللغة وهو تفسير ماثور كما سمعته انفا وهو من قولهم ماء مضفوف
اذا كثر الناس عليها وقال يحيى بن احمد الضفف ان يكون الاكلة اكثر من الطعام والجفف
بالجيم ان يكون بمقداره وقيل الضفف الضيق والشدة اي لم يكن صلى الله عليه وسلم مجا

للشرفه فی ماکله ولا تنطعا فیه وفی روایة لم یشبع رسول الله صلی الله علیه وسلم من طعام الا علی ضفف
وروی علی شظف ای ضیق وشدة کما علم فالضفف والشظف روایا بمعنی الضیق والحاصل انه صلی الله
علیه وسلم کان یحب الاکل مع الجماعة وان قل طعامه وضاقت معیشته والاحادیث فی معناه
کثیرة کطعام الواحد یکفی الاثنین وطعام الاثنین یکفی الاربعة وطعام الاربعة یکفی الثمانیة
وهو حدیث صحیح وقیل الضفف کثرة العیال وقیل قلة الطعام وکثرة الاکلین ویقال الضف
بالادغام وقال ابن السکیت الضف الاکل بالید ففیه لغتان وله معانی وعن عایشة رضی الله
عنها لم یمتلی جوف النبی صلی الله علیه وسلم شبعا قط وروی عنها ایضا ما شبع رسول الله صلی الله
علیه وسلم ثلاثة ایام تباعا من خبز حتی مضی لسبیله وهذا یقتضی بمفهومه انه شبع بعض
الایام دون الثلاثة وهو معارض للاول وکلاهما صحیح ویجمع بینهما بان دلالة المفهوم لا تعارض
المنطوق عند من قال بها کابی حنیفة رضی الله عنه فلا تعارض بینهما بالطریق الاولی ویقال
الامتلا شبعا صفة زائدة علی الشبع فالشبع الاعم کان یقع منه صلی الله علیه وسلم
احیانا واما الامتلاء من الشبع فلم یقع اصلا والشبع مباح علیه محرم علی غیره الا للتقوی
علی صوم الغد او لو افقه المضیف حتی لا یستحی من الاکل کما قاله الحنفیة وعند الشافعیة
هو محرم من مال الغیر ان لم یعلم رضاه ومن مال نفسه مکروه مع ان ما ذکر من تعارض الحدیثین
غیر مسلم لان ما ذکره المص هنا ذکره فی الاحیا ایضا عن عایشة رضی الله عنها وتمامه وربما
یکثب رحمة له صلی الله علیه وسلم لما اری به من الجوع وامسح بطنه بیدی واقول نفسی لک
الغدا لو تبلغت من الدنیا بقدر ما یقوتک منها ویمنعک من الجوع فیقول یا عایشة اخوانی
من اولی العزم من الرسل قد صبروا علی ما هو اشد من هذا فمضوا علی حالهم فقدموا علی ربهم عز وجل
فاکرم مابهم واجزل ثوابهم واجدنی اخشی ان ترفهت فی معیشتی ان یقصر بی دونهم فاصبرا یاما
یسیرة احب الی من ان ینقص حظی غدا فی الاخرة ونعم فاصبرا یاما یسیرة احب من ان ینقص حظی غدا فی الاخرة
وما من شیء احب الی من ان الحق اخوانی واخلانی قالت فوالله ما استکمل بعد جمعة حتی
قبضه الله تعالی وقد ذکر المص رحمه الله صدره فقط وقال العراقی فی تخریج احادیث
الاحیا اجد هذا الحدیث فلا یعارضه وشبعا تمییزا ومفعول له او مفعول مطلق وشینه
مفتوحة وتکسر وتفتح البا وتسکن وصوب ابن مکی کسر الشین وسکون البا کما قاله التلمسانی
ثم انه ورد فی الاحادیث الصحیحة انه صلی الله علیه وسلم کان یشبع ویجوع وفی البخاری
ما شبع ال محمد قط وهذا محمول علی غالب احواله صلی الله علیه وسلم فان الغالب ینزل
منزلة الکل کثیرا وهذا لم یکن عن احتیاج حقیقی لما رواه الترمذی عن ابی امامة رضی الله
عنه انه قال صلی الله علیه وسلم عرض علی ربی ان یجعل لی بطحا مکة ذهبا فقلت لا یا رب
اشبع یوما واجوع یوما فاذا جعت تضرعت الیه واذا شبعت شکرتک کما قال الابوصیری
وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فاراها ایما شمم فجوعه علیه الصلاة والسلام
کان قصدا ولکن یظهر انه عن احتیاج تطییبا لقلوب الفقرا وتنبیها من ریاضة اهل الکتاب

ولکنها

والحکمة کما قال صلی الله علیه وسلم لا رهبانیة فی الدین وهنا مما ینبغی التنبه له ویجب اعتقاده
والتاسی به فیه فافهم وانه معطوف علی ما قبله من قوله انه کان احب الخ وقوله کان فی اهله ای
اهل بیته وعایلته وهو حال من فاعل یسال والخبر وجملة لا یسالهم طعاما حال منه وعدم
سواله صلی الله علیه وسلم لذلک لعدم اهتمامه به والتفاته لما هو اهم منه ولا یشتهاه
مضارع تشهی تفعل من الشهوة وهی المیل الی ما یستلذ وقیل هی ادراک الملایم من حیث هو
ملایم وقیل الشهوة لا تحد والفرق بینها وبین الارادة ان الانسان قد یرید ما لا یشتهی ما لا یرید
کالمریض المحتمی عما یشتهیه والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها
بل تتعلق بالذات المغایرة لها فاذا ذکرت متعلقة بنفسها کانت مجازا عن الارادة کما قیل
لمریض ما تشتهی فقال اشتهی وفرق بینها وبین المحبة ایضا فانک تقول احب الله ورسوله ولا تقول
اشتهیهما فالمحبة اعم والشهوة فی الاصل تکون وجدانیة غیر اختیاریة بخلاف المحبة ولذا
افرق النحاة بین قوله احب الی واشتهی الی فجعلوا الی فی الاول للتبیین وفی الثانی بمعنی عند وفی لنا
فی نکت المعنی من باب المهموز فان اردته فراجعه ثم بین ما ذکر بقوله ان اطعموه اکل وما اطعموه قبل
وما سقوه شرب یعنی انه صلی الله علیه وسلم کان یاکل ما قدمه له اهله ونحوهم من الطعام
ویقبله من غیر ان یعیبه وکذا اکل ما قدم له من الما یشرب وهذا کان غالب حاله صلی الله علیه وسلم
فلا ینافی ما وقع له نادرا علی خلاف مقتضی طبعه کما فی مسلم عن عایشة رضی الله عنها انها قالت
قال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم ذات یوم یا عایشة هل عندکم شیء فقلت یا رسول الله
ما عندنا شیء قال فانی صائم الحدیث وسقوه بمعنی اعطوه ما شرب وزاد الدلجی قط بعد قولهم
السابق لا یسالهم ولا یعترض بینا المجهول علی هذا بحدیث بریرة رضی الله عنها ای علی هذا المذکور
من عدم سواله لما ذکر وبریرة بفتح الواحدة وراین مهملتین ولا هما مکسورة بینهما مثناة تحتیة
من البر بمعنی مبرورة او بارة وهی بنت صفوان وهی قبطیة وحبشیة عند الذهبی مولاة عایشة رضی الله
عنها اشترتها من عتبة ابن ابی لهب وقیل من بنی کاهل وقیل کانت لناس من الانصار وحدیثها
خرجه مالک فی الموطا عن القاسم بن محمد عن عایشة رضی الله عنها ورواه الشیخان وهو قالت
عایشة کانت فی بریرة ثلاث سنن وکانت احدی السنتین انها اعتقت فخیرت فی زوجها وقال
فیها رسول الله صلی الله علیه وسلم الولا لمن اعتق ودخل رسول الله صلی الله علیه وسلم علی
اهل بیته والبرمة تفور باللحم خبزا وادما من ادام البیت فقال لم ار البرمة فیها لحم فقالوا بلی
یا رسول الله ولکن هو لحم تصدق به علی بریرة وانت لا تاکل الصدقة فقال رسول الله صلی الله
علیه وسلم هو لها صدقة ولنا هدیة فاخبرهم صلی الله علیه وسلم ان هذا اللحم باهدائها
اباه انتقل من حکم الصدقة الی حکم الهبة وانما الذی حرم علیه ما تصدق به علی نفسه وجعل
محلا لقبوله ولو کان ما تصدق به حرة یثبت له حکم الصدقة لما جاز للفقیر اذا تصدق علیه
بشیء ان یبیعه من غنی فقد ساله صلی الله علیه وسلم الطعام واجاب عنه المص بقوله الاتی
فاراد بیان سنة فان سواله لمقتضی والمنفی السوال لغیر مقتضی وقوله الم ار البرمة بضم الموحدة

وسكون الراء وبالميم وهي عند العرب قدر منحت من الحجارة وقيل اعم من ذلك فيشمل النحاس والحديد
وغيرهما فيها لحم الضمير للبرمة لانها مؤنث كالقدر الا ان تانيث الثانية سماعي واللحم بسكون الحاء
المهملة وتفتح وقد قيل انه لغة مطردة في كل ما ثانيه حرف حلق كالبحر والنهر والبغل والبخل والكحل والنخل
وانكره البصريون اذ لعل سبب سواله ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقادهم اي
اعتقاد عايشة المخاطبة وغيرها من الناس فذكره تعقيبا انه اي اللحم بسبب انه صدقة
من الاصل لا يحل له صلى الله عليه وسلم كالصدقة عليه بالذات فاراد بيان سنته اي طريقته
المشروعة له وهي جواز اكل الهدية وان كانت صدقة على مهديها اذا هم لم يقدموه اي اللحم
اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به اي لا يخصون انفسهم ويقومونها عن النبي صلى الله
عليه وسلم في شيء من الطعام وغيره فصدق بتخفيف الدال ويجوز تشديدها عليهم ظنه
بالنصب اي صدق في ظنه جهلهم فهو متعد بنفسه اي على الحذف والايصال كما في صدق
وعده او بالرفع على انه فاعل اي تحقق ظنه او وجده صادقا في جهلهم ذلك وبين لهم ما جهلوا
من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وهذا جواب استحسنوه فان الرجل اذا راى طعاما ما اهدي
فسال عنه وطلب ان يوتى به لا يذم وانما لا يسال عما عهد من طعامه ويبحث عنه واتى بلعل
التي للترجي لانه لم يجزم وتقدم جواب اخر وهذا الحديث يدل على ان الصدقة حرام عليه صلى الله
وسلم لشرف قدره وعلو منصبه وغناه حقيقة وسوا فيه صدقة التطوع والفرض كالزكوة
وفي حل التطوع قول للشافعي وكذا اهل بيته وقيل ما يحرم عليه الصدقة العامة كماء السبيل
والابار المسبلة وهل ذلك حرام على سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام ام خاص به صلى الله
عليه وسلم فيه خلاف والاصح اختصاصه به صلى الله عليه وسلم وفي الاحاديث ما يدل عليه
ونقل عن ابي حنيفة رحمه الله جواز الصدقة على اهل البيت مطلقا وقيل اذا حرموا سهمهم من بيت
المال كما نقله الطحاوي وهو وجه عن الشافعي ومالك وهم بنو هاشم وكذا بنو المطلب بخلاف
غيرهم من قريش وازواجه رضي الله عنهم وفي حكمة لقمان بن عنقا بن سيرون واسم ابيه تاران وقيل
غير ذلك وقيل انه ابن اخت داود عليه الصلاة والسلام وعنه اخذ الحكمة وقيل كان قاضيا
في بني اسرائل والاصح انه حكيم وقد جمعت حكمه في كتاب مستقل مسند والمراد بالحكمة الموعظة الحسنة
لفظا ومعنى ولقمان هنا هو المذكور في القران وكانت تجري على لسانه لما اتاه الله من العلم والنفس
القدسية وهو ولي عند الاكثر ونبي عند بعضهم وكان عبدا حبشيا نجارا بالراء وقيل نجادا بالدال
او خياطا او راعيا وقيل نوبيا وقيل انه تلميذ لالف نبي وهو غريب وهو من اهل ايلة وقيل انعم وقيل
اشكم وقيل ماثان وقيل انه ابن ايوب او ابن خالته وقيل انه كان في زمن داود وقيل انه بعد ابرهيم
والاصح الاول وقيل بعد عيسى عليه الصلاة والسلام والقول بانه عاش الف سنة غلط
من لقمان بن عاد يا بني بالتصغير والاضافة واسمه مشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وميم على الاصح
وقيل غيره كما مر اذا امتلات المعدة قامت الفكرة المعدة بفتح الميم وكسر العين وبكسر الميم مع
سكون العين مقر الطعام وهي للانسان كالكرش للبهايم والحوصلة للطير والفكرة والفكر قوة مدركة

في الدماغ

في الدماغ عند من اثبت الحواس الباطنة في بطون الدماغ كما فصل في كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول
هي قوة للنفس ندرك بها الامور الدقيقة فعلى الاول نومها استعارة تبعية لبطلان عملها او تشبيه
الفكرة بشخص واثبت له النوم على طريقة المكنية والتخييلية وكذا على الثاني والمراد نام صاحبها
والنوم مبطل للحس والادراك والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول على كل من يشغله بطنه
عن مهماته ومثله ما ورد في الحديث لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع
يموت اذا كثر عليه الماء فيه تورية عما يعمه من العلم النافع والعبادة والجهل يستعار له الموت كما قيل
لا تعجبن الجهول بزته فذاك ميت وثوبه كفن وخرست الحكمة هو الذي قبله في الاستعارة ونحوها
اي خرس اللسان التي تجري عليه والحكمة النطق بما فيه كمال النفس واقتباس العلوم النظرية
والملكات التامة والافعال الفاضلة اي تركت ذكرها واكتسابها وقعدت الاعضاء عن العبادة
اي كسل صاحبها فلم يستعملها في عبادة الله بان يعطل بدنه من القيام لها واللسان من ذكرها والقلب
عن فكرها وهكذا فشبه تركه بالقعود او استعمله في لازمه ونحوه مما مر نفسه على ما قبله قال
سحنون الفقيه المالكي وهذا لقبه واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي قاضي افريقية وكنيته
ابو سعيد وهو بضم السين وصوب القاضي فتحها وقال ان الضم زعمه بعض الفقها وعليه ابن
الحاجب في الشافية حيث قال سحنون ان صح الفتح ففعلون كحمدون وهو مختص بالعلم لنذور فعلول
وهو صعفوق وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلون بالنون وهو اولى لكثرته في الاعلام
كعبدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم طائر كثير الحركة في الاصل وقيل هو البلبل
وادرك مالكا ولم يقرا عليه وقرا على ابن القاسم واشهب وهو واضع كتاب المدونة وانتهت اليه
رياسة العلم بالمغرب وحصل له ما لم ينله غيره وولد في رمضان سنة ستين ومائتين ومات لتسع عرض
خلون من رجب سنة اربعين ومائتين وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهي الهيئة
الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة او هو مصروف ان كان فعلولا وقال التلمساني
وقع في نسخة الغزالي هنا ذو النون بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور واسمه ثوبان وقيل
الفيض بن ابراهيم المصري فيمكن ان يكون احدهما روى عن الاخر لانهما في عصر واحد لا يصلح
العلم لمن ياكل حتى يشبع المضارع بقيد الاستمرار التجددي اي من يكون دابه كثرة الشبع بكثرة نومه
ويصير بليدا بطالا فلا يحصل العلم ولا يليق به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة كما تقدم ولانه
يشتغل باصلاح ماكله وكسب ما يحصله فيفوته العلم وكل خير وفي صحيح الحديث الذي رواه
البخاري وغيره ويجوز ان يريد المص بصحيح الحديث كتاب البخاري لان الصحيح غلب عليه اما انا
فلا اكل متكئا هذا الحديث في الصحيحين مروي بروايات مختلفة منها ما ذكره المص ومنها اني لا اكل عرض
متكئا ومنها لا اكل وانا متكئ قال الكرماني هذا ابلغ في الاثبات والاول ابلغ في النفي فيدل على المراد
انه اكثر مبالغة لا بلاغة ووجهه ان متكئ اسم فاعل فيه ضمير مستتر فاسند الاتكا اليه مع اسناده
الى انا فهو ابلغ في اثبات الاتكا لتكرر اسناده وان لم يكن متكئ مع فاعله جملة بخلاف لا اكل
متكئا فانه لم يتكرر فيه الاسناد فهو في النفي ابلغ وعندي ان الثاني ابلغ لنفي القيد والمقيد انتهى

اقول هذا كلام لا محصل له مع عدم استقامته والظاهر ان مراد الكرمانى بالنفى والاثبات نفى
الاكل فى حال الاتكا واثبات الاكل فى حال عدم الاتكا الذى يقتضيه مفهومه بنا على الفرق بين الحال
المفردة والجملة فان النفى فى الاولى ينصرف الى القيد والمقيد فيقتضى نفيهما والثانية لا تقتضى ذلك
نحو وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فانه يقتضى انهم يعذبون بعدم كامر ويقتضى هنا انه ياكل اذ ذاك
الاتكا وفيه بحث ليس هنا محله وسبب هذا الحديث ما اخرجه ابن ماجه بسند حسن وهو ان اعرابيا
اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه ياكل فقال له الاعرابى ما هذه الجلسة
فقال ان الله جعلنى عبدا كريما و لم يجعلنى جبارا عنيدا والاتكا هو التمكن للاكل والتقعدد
فى الجلوس له اى لاجل الاكل والتقعدد تفعلل من القعود ومعناه التثبت والتمكن من القعود
الا انه قيل انه لم يوجد من هذه المادة تفعلل والمصنفة ما يقوله بمنزلة ما يرويه والجلوس
انواع بينها الثعالبى فى فقه اللغة فى الجلوس له اى لاجل الاكل كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات
التى يعتمد فيها الجالس على ما تحته من ارض وفراش ونحوه والتربع يكون بمعنى النزول فى الربيع
وبجعل الشئ رباعيا ونوع من الجلوس ماخوذ من الاخير لبسط اربعة من اعضائه الساقين
والوركين مع انضمامهما على هيئة معلومة وقوله من تمكن الخ بيان للتربع وشبهه والتمكن
تفعل من المكان اى تثبته فى المكان والاعتماد بمعنى الاتكا كما فى الصحاح وهذا اشارة الى
ما ارتضاه فى تفسير الاتكا فان اهل اللغة اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى انه الميل الى احد
جانبيه مع اعتماده على شئ كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب الخطابى وتبعه المص
رحمه الله الى انه الاعتماد على ما تحته فى غير ميل كما بينه هنا وسياتى تحقيقه ثم اشار الى وجه
كون الاتكا بهذا المعنى فى حال الاكل لم كان غير محمود فقال لان الجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل
اى يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضى تناوله ويستكثر منه اى يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة
حد الاعتدال حتى كانه يطلبه من نفسه لاقباله عليه وقوة شهوته لغلبة حيوانية والنبى صلى الله
عليه وسلم لاعراضه عن مثله وتناوله مقدار الضرورة بسرعة والنبى انما كان جلوسه للاكل
جلوس المستوفز مقعيا المستوفز الذى لا يكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام ومنه نحن على اوفاز اى
على سفر كما قلت فى الفصول القصار من كان فى الدنيا على اوفاز استراح لتمنيه بعيشه اوفاز
والاقعا بقاف وعين مهملة والف ممدودة لها تفاسير والمعروف منها اثنان احدهما ان يلصق
اليتيه بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره وربما يكون مع وضع يديه على الارض
مع اقعساس شبيه جلوس البدوى المصطلى والثانى ان ينصب قدميه واضعا على عقبيه اليتيه
ضاما ساقيه وفخذيه واضعا ركبتيه على الارض وهذا استحبه الشافعى فى الصلاة اذا رفع
رأسه من السجود الاول وبه ورد الحديث وقال الشافعية انه عليه العبادلة وكرهه الحنفية
واما الاول فمكروه بلا خلاف فى الصلاة واما اقعاؤه صلى الله عليه وسلم للاكل فنفسره بالصاق
مقعده بالارض ناصبا ساقيه وهو الاحتفاز وقال البجانى ان قول المص رحمه الله ان جلوس
النبى صلى الله عليه وسلم لاكله مستوفزا مقعيا ظاهره انه كان عادة له فى كل احواله والذى

ورد

ورد فى الحديث انه اكل مرة هكذا كما قال انس رضى الله عنه رايته صلى الله تعالى عليه وسلم اكل
مرة مقعيا لا وجه له لان ما قاله المص هو المصرح به فى عامة الكتب ورواية انس رضى الله عنه
مرة لا تصلح سندا للنفى فى غير تلك المرة وانما امتنع صلى الله عليه وسلم من الاتكا فى اكله لانه
من الكبر والترفه الذى ينزه طبعه عن الميل له ولانه يضر اذا مال ومستدعى لكثرة الاكل اذا
تربع وهل كان الاكل متكئا مكروه فى حقه صلى الله عليه وسلم كسائر الامة او حراما عليه
وان ذلك من خصائصه ذهب الى الثانى بعض الشافعية والاصح الاول واختياره صلى الله
عليه وسلم غيره دائما لا يدل على حرمته ويقول انما انا عبد الله لا ملك لاختياره العبودية
التى هى اشرف الصفات وهذا من حديث رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والاطرا المبالغة فى المدح والى هذا اشار الابوصيرى
رحمه الله تعالى بقوله دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت فضلا فيه واحتكم
وهذا من تاكيد المدح بنفيه اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد فى حال الاكل وغيره تواضعا
لله فلا يمد رجليه عند جلسائه تكريما وتعظيما لعباد الله وارشادا لغيره ولا يعبؤ بترفع ذوى
الوجاهة والتكبر من الملوك وغيرهم وبه اقتدى خلفاؤه رضى الله عنهم لان الله رقيب عليهم
وهو معهم فادبهم انما هو معه وسياتى الكلام ايضا على هذا الحديث عند ذكر المص له
فى قوله فصل واما تواضعه وقد صنف بعض المشايخ بعض الامرا وهيا له محلا ينام فيه فلا
دخل وجد فيه مصحفا فلم يزل قائما على قدميه الى الصباح فلما اتاه رب المنزل راه قائما فقال له
لم لا تجلس فقال له كيف اجلس وانام فى محل فيه كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم
يمض زمن حتى صار سلطانا واستمر الملك فى عقبه الى الان فلما طغوا وتجبروا حتى طلب بعضهم
سجود الناس له فقصمه الله تعالى وصار ملكهم على شفا الزوال وما لك الملك يوتيه من يشا
وليس معنى الحديث فى الاتكا المذكور سابقا الميل على شق عند المحققين من اهل اللغة والحديث بل
عوام وهو احد قولين لهم واعلم ان الصاغانى قال فى المجمع رجل تكاه مثل تودة كثير الاتكا واصله
وكاه والتكاة ايضا لما يتكا عليه وهو المتكا قال تعالى واعتدت لهن متكا قال الاخفش هو
فى معنى مجلس وطعنه حتى اتكاه اى القاه على هيئة المتكى واوكات فلانا نصبت له متكا وفى
نوادر ابى عبيد اوكات عليه اى توكات انتهى وكذا قوله غيره فهو واوى من لوكا واصل
معناه الشد والمعتمد على شئ يتقوى ويشتد به فالاعتماد حالة الجلوس على الارض وغيرها
متكئ والمايل على احد شقيه المستند الى الارض او الوساطة متكى ايضا فكلام المفسرين
صحيح والمراد به فى الحديث صالح لكل منهما ومن فسره بالميل جنح الى انه عادة المتكبرين المترفهين
او المشهور فى الاستعمال بحيث طابق الوضع كان اظهر فرد المص رحمه الله لم يصادف محزه
واكثرهم على خلافه الا الخطابى والحق احق بالاتباع فالحاصل تحقيقه انما هى الاعتماد
لحسى فالمتربع معتمد والمايل معتمد على احد شقيه فلا خطا فى كلام المفسرين لمن له معرفة

باللغة فالتحقيق خلاف ما ادعاه المصر رحمه الله من التحقيق وانما جعل النبي عليه الصلاة والسلام
هذه حالة العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لا يستقر ويطمئن فيكون مستوفزا مستعدا
والمعنى اني لست مخلوقا للدنيا وترفهها فنظري انما هو لعبادة الله وتبليغ اوامره فلا التفت
اليها وانما اتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة سيده وثمة نكت
اخر تدرك بالذوق اى انه مهتم بذلك لا بالاكل والشرب كالبهايم وكذلك اى كقلة اكله وشربه
وعدم ترفهه فيهما نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا بيان لوجه الشبه شهدت بذلك اى
بقلة نومه صلى الله عليه وسلم ودلت عليه الاثار الصحيحة اى الاحاديث الصحيحة المثبتة
في كتب الحديث التى اغنت شهرتها عن ذكرها كما مر وهذا كان اكثر حاله صلى الله عليه وسلم
وربما خالف هذا احيانا اذ قد ورد ما يوذن بان نومه زاد على يقظته او ساواها كحديث
النسائي عن انس رضى الله عنه قال ما كنا نشا ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل
مصليا الا رايناه ولا نشا ان نراه نائما الا رايناه ومع ذلك اى مع قلة نومه غالبا فقد
قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فنومه صلى الله عليه وسلم ليس كنومنا
بل هو يقظة فكانه لا نوم له اصلا بحسب الحقيقة فقلبه صلى الله عليه وسلم مستيقظ
دائما مدرك ما لا يدركه غيره في يقظته ولذا كانت روياه صلى الله عليه وسلم قسما من الوحي
لاتصاله بعالم الملكوت في نومه وكذلك سائر الانبيا عليهم الصلوة والسلام تنام عيونهم
ولا تنام قلوبهم فهذه خصوصيته اضافية بالنسبة لامته وهذا ايضا باعتبار غالب حاله
فانه صلى الله عليه وسلم نام هو واصحابه مرة حتى فاتتهم صلوة الصبح وادركهم حر الشمس
وقد اجيب عنه ايضا بان القلب وان كان يقظان لا يدرك ما تدركه العين النائمة وانما يدرك
ما يتعلق به من الحدث والالم ولذا ذهب بعض الفقها الى ان نومه صلى الله عليه وسلم
لا ينقض وضوءه وبانه شغل الله تعالى قلبه الشريف بمشاهدة ملكوته مع نوم عينه فلم تدرك
خروج الوقت للتشريع لامته وقد مر الكلام على ذلك كله وكان نومه صلى الله عليه وسلم
على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم اى استعانة فان الاستظهار استفعال من الظهر
بمعنى القوة والاستعانة لان قوة البدن واستمساكه بظهره فكان صلى الله عليه وسلم من عادته
انه اذا نام نام على شقه الايمن وحكمته ما ياتي ان القلب مايل الى جانب اليسار فاذا نام المرء
على يساره يستقر القلب فيزيد نومه لراحة قلبه واذا نام على يمينه تعلق القلب ولم يسترح
فيخف نومه ويكثر سرعة يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون القلب في جانب اليسار
ليعادل الكبد الذى في جهة اليمين غالبا ولموافقته لما كان يحبه صلى الله عليه وسلم من التيامن
في اموره لما فيه من اليمن لفظا ومعنى وما قيل من انه حال الامتهان لا اتكائه على الجانب الذى ينام
عليه لا وجه له فان في النوم راحة تعين على العبادة فالاتكا عليه كالاتكا عليه كالاتكا
على اعضا السجود وكذا ما قيل انه صلى الله عليه وسلم مع قوة روحه ويقظة قلبه غالبا
لنومه غير محتاج للاستظهار عليه وانما هو للتيمن فالتشريع فان القوى اذا تقوى كان شديد

القوة والنوم امر طبيعي في جميع الخلق غالب وقد عرفت ان يقظة قلبه كانت هي الحالة الغالبة
فالتقوى احتراز مما يعرض نادرا لانه اى النوم على الجانب الايسر هنا افعل تفضيل مهموز الاخر
من الهنى اى اسهل والذ والهنى ما اتاك من غير مشقة فالنوم على الايسر ايسر وفعله هنوء بالضم
ويكسر هناه قيل انما جعل الطايف البيت عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة ابراهيم واجعل افئدة
الناس تهوى اليهم فجعل جانب القلب واعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة وكاتب
السيات واليمين محل الرحمة وكاتب الحسنات كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار بين رحمتين
لتقلب عنه وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القادم يستقبل البيت من ثنيته كدا من ناحية
باب بنى شيبة فيبقى ركن البيت على يسارك وهو يمين البيت لانك اذا قابلت شخصا فيمينه
يسارك ويسارك يمينه والذى يلى مقدم البيت وجهه وهو الباب لان باب كل شى وجهه
والادب ان يوتى الكبير من قبل وجهه ولهذا ابتدى بثنية كدا والاصل في القربة التيمن فلو ابتدا
بالحجر وجعل البيت على يساره فكان قد ابتدا بالوجه واليمين معا فيجمع بين فاضلين ولو ابتدا بالحجر
وجعل البيت على يمينه ترك الادب ويمين البيت الحايط الذى من ركن الحجر الى الطرف الاخر وغيره
ما يقابله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق وقوله لهدو القلب تعليل لكونه اهنا اى لراحته
واستراحته لسكونه والهدو منزلة السكون وهو مهموز الاخر وتبدل همزته واوا وتدغم وتسهل
ايضا وهو قريب من الهنو لانهما مهموزان في الاصل وما يتعلق به اى وتهدى معلاقه الذى تعلق به
ونياطه فكلاهما من الاعضا الباطنة اى الموجودة في داخل الانسان حينئذ اى حين نومه على جانبه
الايسر فيستدعى ذلك اى يقتضى ذلك الهدو ويستلزم بحسب الطبع الاستثقال فيه اى
ثقل بدنه في نومه وغلبة النوم حتى يستغرق فيه وهو جواب اذا او مسبب عما قبله والطول
اى طول نومه وطول زمان بطالته واذا نام النائم على جانبه الايمن تعلق القلب وقلق اى
لم يستقر ويطمئن فاسرع الافاقة اى التيقظ من نومه ولم يغمر بفتح اليا وسكون الغين المعجمة وضم
الميم وجزم الراء المهملة الاستغراق في النوم وهو انقطاع احساسه انقطاعا تاما طويلا
وعدم له بتغطيته وشدة استيلايه عليه من غمرها الماء اذا علاه فهو استعارة كما اشتهرت الغمرة
للشدة فبينه وبين الاستغراق مناسبة لطيفة لانه من الغرق وذلك لان القلب مايل طرفه
الاسفل الى اليسار لشوق الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم فان الحرارة كلها في الايمن لكون الكبد
فيه فصل والضرب الثاني مما ندعو ضرورة الحياة اليه وهو الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه
ضده اذ فيما قبله يتمدح بقلته وبضدها تتبين الاشيا وهو ما يتفق التمدح بكثرته يتفق مما من قولهم
اتفق كذا ووقع اتفاقا اى وقع من غير قصد لصاحبه او من الاتفاق وهو اجتماع الكلمة
فالاصل ما يتفق الناس على التمدح بكثرته اى كثرة المدح وقوته والمراد بالاول لان صاحبه لم يقصده
ولم يقصد مدح الناس له بسببه وان كان قد يقصد ذلك والتفخر به اى الافتخار بكثرته دون
قلته ووجوده فانه موجود في كثير مما لا يعتد به وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ منه
بالحظ الاوفى الاوفر كالنكاح اى الجماع فانه يطلق عليه وعلى العقد كما مر والمراد الاول والجاه

وهو علو القدر عند الناس والمهابة ونفوذ الكلمة والاشتهار بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة
واصله وجه فقلب واعلى كلامنا النكاح متفق عليه اى فى مدحه وشانه اتفق العلما واصحاب البصيرة
والتمييز شرعا كما سياتى بيانه وعادة فيما اعتاده الناس وتعارفوه كما لا يخفى ونصب شرعا وما بعده
على التمييز او المصدرية ثم بين ذلك على اللف والنشر المشوش فقال لغاته اى النكاح دليل الكمال
فى الخلقة والجسم بقوته واعتداله وصحة الذكورة الظاهر انها مصدر كالصعوبة والانوثة
والمشهور انها جمع ذكر خلاف الانثى ويصح ارادته ايضا الا ان الاول اولى وصحة الذكورية بمعنى
قوتها وسلامتها من الضعف والافة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة للناس معروفة بينهم لا تنكر
والتمادح به سنة اى طريقة ماضية اى قديمة او تافنة مقررة من مضى الامر اذا قضى وقرر
واما الشرع فسنة ماثورة اى هو فى الشرع امر مسنون منقول فى اثار السلف والاحاديث الصحيحة
اى المراد انه طريقة مشهورة قال الراغب سنة النبى طريقته التى كان يتحراها وقد قال ابن عباس
رضى الله عنهما وهو حديث صحيح رواه البخارى افضل هذه الامة اى افضل امته اى افضل امة الاجابة
لنبينا صلى الله عليه وسلم ولذا عبر باسم الاشارة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم
يعنى ان المراد بالافضل فى كلامه هو النبى صلى الله عليه وسلم لانه ابيح له جمع ما فوق الاربعة وهو
من خصايصه صلى الله عليه وسلم دون امته فدلت الاكثرية على تعينه لهذه الافضلية ولذا
عبر عنه بالاشارة فانها تطلق على مقابل التصريح وهو وان كان افضل من انه اجل واعلى من ذلك
انه افضل منهم مع انه لا فائدة فيه بادى الراى لان رضى الله عنه قصد الحض على النكاح ولا
منه ولذا كان مفيدا وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه لما ساله الك زوجة
فقال لا فقال له تزوج فان خير هذه الامة من كان اكثرها نسا وفى صحيح البخارى كما مر ولا بد من جعل
النبى صلى الله عليه وسلم داخلا فى الامة على ما ياتى لان افضل التفضيل فى الاصل انما يضاف لما
هو بعضه وان جاز يوسف احسن اخوته على ما ارتضاه بعض النحاة على تفصيل فيه شهرته تغنى
عن ذكره وهذه الكثرة باعتبار ما ابيح له صلى الله عليه وسلم بعد التزوج بمن شاء ان يجمع فى وقت
واحد عدة لا تجوز الا بمجرد الدخول والعقد فانه ثابت لغيره ايضا وكان اللاتى تزوج
صلى الله عليه وسلم بهن باجماع اهل السير احدى عشر امراة ستة من قريش واربع من سائر العرب
وواحدة من بنى اسرائيل من نسل هارون عليه الصلاة والسلام وهى صفية بنت حيى وسياتى
لذلك مزيد بيان واما التى اختلف فيهن ممن فارقها او عقد عليها ولم يدخل بها او خطبها ولم يقع
عليها العقد فاختلف فيهن وفى سبب فراقهن والذى ذكره بعضهم انتهى سوى من تقدم سبع فالجميع
ثمان عشرة امراة غير السرارى ويمكن ان يكون المراد بالامة ما يشمله صلى الله عليه وسلم وامته
ولا بعد فيه كما قيل والتمدح بالنكاح لما فيه من الفوائد كالولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل الى
ما لا يشغل عن القيام باوامر الله تعالى مع امتثال امر الله كقوله تعالى خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وفى ذلك تسبب للالفة والمودة وايضا للقرابة ولان فيه تبليغ الاحكام التى
لا يطلع عليها الا النسا ولما فيه من اظهار معجزته لقوة قدرته على الجماع مع قلة اكله وتنعمه

والمعنا

233

والمعناد خلافه ومع ذلك لم يشغله ذلك عن تقشيه بامر الجهاد والتبليغ الى غير ذلك مما
لا يحصى وقد عد من النسك والعبادة بل قيل انه افضل منها احيانا وهو من اخلاق الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وتركه للقادر عليه مكروه الا ان يحوجه لكسب ما لا يقدر عليه
وارتكاب محظور كما فى اخر الزمان ولذا ورد اخير كم الخفيف الحاد الذى لا زوجة له ولا ولد
وانما قيد بهذه الامة ليخرج سليمن وداود عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا اكثر منه
صلى الله عليه وسلم نسا وفيه تامل وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فانى
اباهى بكم الامم يوم القيمة ووقع فى بعض النسخ تناكحوا فانى مباه بكم الخ بدون تناسلوا
والتناكح تفاعل من النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها بان
يراد لينكح احدكم بنت غيره وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين بعضهم من بعض
والتناسل كثرة النسل وهم الاولاد والذرارى والمراد بالتفاعل لازم معناه وهو كثرة
النكاح وهذا انسب بالمقام وبما بعده وتناسلوا اصله تتناسلوا بتائين فى اول المضارع
وحذفت على القياس فى كل تائين فى اوله او هو اصله بدل مما قبله وبتقدير العاطف والاول
اولى لان التناسل ليس باختيارهم وانما هو فعل الله فيحتاج الى تاويله باطلبوا التناسل
واحرصوا عليه بان تنكحوا غير العقيمة والايسة من الولد بان يعلم ذلك منها ان كانت ثيبا
وبكون الظاهر ذلك منها لشبابها ففيه نهى عن نكاح العجائز من غير داع واشارة الى انه
ينبغى ان يكون المقصود من النكاح مع قمع الشهوة وجود ذرية تعبد الله ويحصل بها كثرة
الامة والمباهاة المفاخرة وهى على ظاهرها بان تقع منه المفاخرة حقيقة او يجعل مسرته بهم
ورؤية غيرهم لهم كالمفاخرة ويؤيده ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم قال اتى يوم القيمة بمثل السيل فيحطم الناس فتقول الملائكة عليهم الصلاة والسلام
لما جاء مع محمد اكثر مما جاء مع الامم والانبياء وهو صلى الله عليه وسلم اكثر الناس
امة لعموم بعثته وبقائها وكثرة اتباعه وجنده المؤيدين لدين الله ففيه فخر عظيم وهذا
الحديث اخرجه ابن مردويه فى تفسيره بسند ضعيف الا انه حسن لكثرة متابعته لفظا
ومعنى فانه رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث سهل بن حنيف رضى الله عنه تزوجوا فانى
مكاثر بكم الامم وعن معقل بن يسار رضى الله عنه تزوجوا الولود فانى مكاثر بكم الامم
يوم القيمة ونهى صلى الله عليه وسلم عن التبتل كما رواه الشيخان عن سعد بن ابى وقاص
والحديث صحيح قال رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو اذن له
لاختصينا فهذا هو المنهى الذى كان استاذنه فى التبتل فرده ونهاه عنه وروى ان جماعة
من الصحابة فيهم على كرم الله وجهه لما رأوا عبادة النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر قالوا نلتزم الصوم والعبادة ونترك النساء ونطلقهن
وننقطع للعبادة فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك والاختصاء الشق على الانثيين
وانتزاعهما وهو التبتل من البتل وهو القطع والمراد الانقطاع عن النكاح بالكلية وتعاطي

رجل بتول وامرأة بتول اذا انقطعت عن الرجال ولذا قيل لمريم البتول واما فاطمة الزهراء رضي الله
عنها فسميت بتولا لانقطاعها عن الدنيا وزهدها او لانقطاعها لعبادة الله تعالى ولانقطاعها
عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا واما قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا فليس منافيا للحديث
لانه بمعنى اخر اى انقطع فى الليل لعبادة الله تعالى والتهجد واخلص له واقرا القران وورد
النهى عنه اى عن موافقتهم للنصارى وما كانوا عليه من الرهبانية واما قوله لو اذن لنا لاختصينا
فلا يدل للاختصاء ان كان على حقيقته فانه قد يستعمل بمعنى اخر كما سمى الصوم وجا وهو جائز فى البهائم
فى صغرها لغرض كتسمين المأكول وهو فى الادميين حرام لانه مثلة ويكره استخدام الخصى ويمنع
من دخوله على النساء ثم ان النهى عن ترك النكاح للقادر عليه يفيد كراهته لانه مستحب وعند
المالكية واجب فالنهى على ظاهره قال البجانى المتاخرون من المالكية يجعلونه فى حق بعض الناس
واجبا وفى حق بعضهم مندوبا وفى حق بعضهم مباحا التفاتا للمصلحة وهذا نوع من القياس يسمى
القياس المرسل وهو الذى ليس له اصل يستند اليه وانما هو لاقتضاء المصلحة وقد انكره كثير القياس المرسل
من العلماء والظاهر من مذهب اصحاب مالك القول به النهى مع ما فيه اى فى النكاح او فى التبتل
وقيل الاول متعين بقرينة ما سياتى من قمع الشهوة اى قهرها والغلبة واصله ضرب الراس ومنه
مقامع من حديد والمراد بالشهوة شهوة النكاح والنساء وغض البصر اى خفض البصر وتغميضه
عن النظر عما يحرم وجعل غض البصر كانه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز لان من لم يتشوف
لامر يغض عنه عينه فكانه لا يبصره ويجوز جعله حقيقة او كناية اللذين نبه عليهما صفة
لقمع الشهوة وغض البصر بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه ابن ماجه عن عائشة
رضى الله عنها الا ان فى سنده مقالا وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج واخرجه الطبرانى بلفظ المص بدون فانه الى اه من كان ذا طول بفتح الطاء المهملة وسكون
الواو واللام وهو سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجته واهله بحيث
لا ينظر الى مال المرأة وغيرها فانه ورد فى الحديث ايضا لا تنكح المرأة لمالها فلعل مالها ان يطغيها
ولا لجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات الدين فانهن فى النساء مثل الغراب الاعصم قال
ابن رشد وهذا نهى ارشاد لا تحريم وورد فى الحديث استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع
وان اعلاه اعوج فان ذهبت تقيمه كسرته وقد نظمه القائل حيث قال هى الضلع العوجاء لست
تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى اليس عجيبا ضعفها
واقتدارها ومنه اخذ المنصور قوله اذا نعمت عرس وانت تجها فدع بجرا رهوا ولا تزال لها
ولا تطمعن الدهر فى ان تقيمها فقد خلقت فى الاصل من ضلع عوجا فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج اى فان التزوج اكثر حملا على غض البصر وكفه عن النظر لما يحرك الشهوة
واكثر تحصينا اى حفظا للفرج عن الزنا والمفضل عليه التبتل وتحصين الفرج بقمع الشهوة
ففيه تنبيه على الامرين المذكورين ثم لما كان فى التبتل زهد ظاهر ربما يتوهم انه افضل من التزوج

دفعه

دفعه بقوله حتى لمرء اى التزوج والنكاح العلما بالدين والشرع مما يقدح فى الزهد القدح
والطعن فى الشىء ذكر عيوبه اى ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس فاسند القدح اليه مبالغة
وقوله فى الزهد اى بترك الدنيا ولذاتها لانه ما ذكر من جملة التلذذ لان القصد به العفة والنسل
وهذا مروى عن ابن عمر رضى الله عنهما فانه قال ليس فى النساء سرف ولا فى تركهن عبادة وزهد كما فى تحفة
العروس للبجانى قال سهل بن عبد الله التسترى وقد تقدمت ترجمته قد حبين بالبناء للمجهول والتشديد
الى سيد المرسلين اى خلق الله فيه حبهن والضمير للنساء فكيف يزهد فيهن اى اذا كان الله جعل حبهن
مركوزا فى جبلة من هو ازهد الخلق صلى الله عليه وسلم فكيف يدعى احد ان تركهن زهد وفى سراج
المهتدين فى قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين
اماما ان هذه الاية تدل على ان فضل التزوج على العزوبة لبقاء الذرية ودعائها الذى هو عمل
لا ينقطع بموته قلت ويدل على انه افضل فى حق من يقتدى به الناس ونحوه اى مثل المروى عن التسترى
مروى عن ابن عيينة علم منقول من تصغير العين وهو سفيان بن عيينة بن عمران الكوفى احد الائمة
الاعلام الامام الحافظ روى عن كثير كالزهرى وابن دينار وروى عنه احمد والزعفرانى وروى عنه خلق
كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وكان يسكن مكة وتوفى فى رجب سنة ثمان وتسعين ومائة
ومولده سنة سبع ومائة وكان اعور وترجمته مشهورة وهو من تبع التابعين ادرك منهم ستة
وثمانين نفسا وقد كان زهاد الصحابة رضى الله عنهم كثيرى الزوجات والسرارى كثيرى النكاح
كثيرى بياء اصله كثيرين بصيغة الجمع فحذفت نونه للاضافة يعنى كانوا يكثرون من النساء حرائر
واماء وانهم كانوا يطلقون كثيرا فتكثر زوجاتهم بهذا الاعتبار كما قاله البجانى وكان عند على
كرم الله وجهه اربع نسوة وتسع عشرة وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة رضى الله تعالى عنها حتى ماتت
وولد له منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفى صغيرا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذى سماه محسنا كما ذكره الدارقطنى والحسن رضى الله عنه كان من اشد الناس حبا للنساء
وكان مطلاقا قيل انه احصن تسعين على ما تحرر والسرارى بتشديد الياء وتخفيفها جمع سرية بالتشديد
والسرية هى الامة المنكوحة ولو مرة فلا تسمى سرية قبل الوطء حتى ان من حلف بعدم وجته عتق كل سرية
لم يكن لها عتق التى لم يطاها زوجها وهى منسوبة الى السر الذى هو الجماع او الاخفاء لانه كثيرا ما يخفيها
عن زوجته فضم سينها من تغييرات النسب كما قيل فى النسبة للدهر دهرى بالضم وقيل انها مشتقة
من السرور لانه يسربها فابدل احدى رائيها ياء كما قالوا تظننت وتظنيت وضم بسببها لازم ولذا
قيل عليك بضم صدر السرية والتسرى سنة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بالسرارى
فانهن مباركات الارحام وقد تسرى الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضى الله
عنهم وحكى بالبناء للمجهول فى ذلك المذكور من التزوج والتسرى وكثرته عن على كرم الله وجهه
والحسن ابنه كما مر لانه المنقول عنه ذلك ولذا قدمه لا الحسن البصرى فانه لم ينقل عنه مثله وابن
عمر وغيرهم من الصحابة غير شىء هنا هو نائب فاعل اى حكى عنهم اشياء كثيرة فى ذلك الاشياء واحدا
وابهمه لكثرته كما فى قوله وقد ذكره غير واحد من السلف الصالحين ان تلقى الله يموت لا ان تلقى الله

عبارة عن القيامة وعن المصير اليه قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واللقاء الملاقاة
واصل معناه مقابلة الشيء ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما عزبا بفتح العين المهملة
والزاي المعجمة والبا الموحدة هو الذي لا امراة له من عزب بمعنى تباعد يقال رجل عزب وامراة عزبة
وعزب عنه علمه اذا غاب عنه ولم يعلمه وهذا مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه فقد حكي عنه
انه كان يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لئلا القى الله عزبا وماتت امراتان
لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان مطعونا ايضا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا
اي عن النسا وقال في الدرة الغرب يقال للذكر والانثى وقد يقال للمراة عزبة ولا يقال للرجل اعزب
بالهمزة او هي لغة قليلة وفي التقريب قال ابو حاتم لا يقال اعزب قال الازهري واجازه غيره وورد
في الحديث في مسلم ما في الجنة اعزب قال النووي هو في جميع نسخ بلادنا بالالف وهي لغة مشهورة
وما وقع في بعض النسخ من تقييد عزب بسكون الزاي بالقلم كما قاله البرهان لا وجه له فانه
خلاف المنقول في كتب اللغة فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا
جعلهما لشهرتهما وشهرة اتصافهما بما ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد حتى اشار اليهما ويحيى وزكريا
بلغاته اعجميان وقيل انه عربي مشتق من الحياة لا كالمفازة بل لان الله احيا قلبه بانوار النبوة
الذاتية والمكتسبة من زكريا لانه اول من امن به او في النبوة والفضائل المكتسبة منه فقال
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبي لم يسم احد قبل يحيى
بذلك فاحيى الله به دين عيسى عليه الصلاة والسلام فاشتق له من اسمه الحي اسما كما اشتق اسم
سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اسمه المحمود كما قيل وكان هو وعيسى ابني خالة وكانت
امه تقول لمريم اني اجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك كما سياتي ويحيى اكبر من عيسى وفي مقدار
عمره اختلاف فقيل مائة وعشرين سنة وقيل ثمانية وتسعين اثنين وسبعين واما زكريا فمن
ذرية سليمان عليه الصلاة والسلام وكان اخر من بعث في بني اسرائيل قبل عيسى عليه الصلاة
والسلام ولما اراد بنوا اسرائيل قتله فر منهم فانفلقت له شجرة فدخلها فاخذ الشيطان بهدب
ثوبه فلما راوه نشروا الشجرة حتى قطعوه في جوفها واما يحيى عليه الصلاة والسلام فقتل
بسبب امراة اراد ملكهم تزوجها فقال له يحيى انها لا تحل لك لانها بنت امراتك فتوصلت
لقتله قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام فكان دمه يفور حتى قتل منهم بخت نصر
سبعين الفا وهذا قصاص الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ان قصاص الملوك خمسة
وثلاثين الفا كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل بل صح في الحديث ان الموت بعد استقرار
اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة يوتى به بصورة كبش املح فيذبح فيذبحه يحيى وقيل
الذي يذبحه جبريل عليه الصلاة والسلام والثاني مروي في بعض التفاسير واما الاول
فلا مستند له وان ذكره بعض الصوفية قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا في قوله وسيدا
وحصورا والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير سياتي واما الحصور فمن الحصر وهو المنع
ولذا اشتهر تفسيره بمن حصر عن النسا بحيث لا ياتيهن واخرج ابن جرير عن ابن عمرو بن العاص

رضي الله

235

رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يلقى الله تعالى الا ذا ذنب
الا يحيى بن زكريا فان الله عز وجل يقول وسيدا وحصورا قال وانما كان ذكره مثل هدبة
الثوب واشار بانملته وبه فسره ابن عباس رضي الله عنهما واورد شاهدا له من كلام العرب
وعلى هذا بنى المصنف السوال كذا في الشرح الجديد اقول هذا الحديث لم يثبت وسئل النووي
رحمه الله في فتاويه عن حديث ما منا الا من عصى او هم بمعصية الا يحيى بن زكريا فاجاب بانه
حديث ضعيف لا يحتج به رواه ابو يعلى في مسنده عن زهير عن عفان عن حماد بن مسلمة عن
علي بن يزيد بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال ما احد من ولد ادم الا قد اخطا او هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا واسناده
ضعيف لان ابن جدعان ضعيف ويوسف بن مهران مختلف في تخريجه فكيف يثني الله عليه
في القران بالحصر عما يعد فضيلة وهو النكاح وكثرته وهذا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
تبتل عن النسا اي انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج ولو كان كما قررته ان النكاح بل كثرته فضيلة
ممدوحة لنكح اي لتزوج ليحوز هذه الفضيلة فاجاب بقوله فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى
عليه الصلاة والسلام انه كان حصورا ليس معناه كما قال بعضهم كما مر انه كان هيوبا
باصل معنى الهيوب الجبان من الهيبة وهي المخافة والتقية ويا ني بمعنى يخافه الناس وليس
يراد هنا بل المراد انه كان جبانا عن النكاح او لا ذكر له الذكر بتحتين معروف لم يرد ظاهره
وانما اراد انه صغير جدا او لا حركة له اصلا ولما ورد في بعض الاحاديث الضعيفة ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخذ نواة او قذاة وقال كان ذكره مثل هذه وفي اخرى مثل هدبة الثوب
وقال ابن المنذر كان عنينا وقد يطلق الحصور على المجبوب الذكر والانثيين كما في حديث القبطي
الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه بقتله قال فرفعت الريح ثوبه فاذا هو
محصور بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلما الحذاق جمع حاذق بمعنى ماهر في علم التفسير
والنقاد جمع ناقد وهو الذي يميز جيد النقدين من رديهما واصل معناه الوزن وخلاف
النسيئة ولم يذكر الاول في القاموس وهو المراد هنا وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق
بالانبيا عليهم الصلاة والسلام اي لا تصلح لهم ولا تناسبهم من لاق الدواة يليقها اذا
اصلحها وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب كسائر الانبيا والعصمة عندنا ان لا
يخلق الله تعالى فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور وسياتي الكلام على تفصيل
عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي لا ياتيها كانه حصر عنها اي منع عنها محصور بمعنى
محصور قال الحجازي هذا الجواب ضعيف لما ورد في حديث بسر بن عطية قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تحصن في الاسلام وقال لا حصور الا يحيى بن زكريا كما اخرجه الما
وردي وغيره وفيه نظر سياتي وقيل ما نعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النسا
يعني ان له قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه عنها باشتغاله بغيرها من العبادة او له قدرة ولكن
لا تتوق نفسه له ولا يريده فانهم عرفوا الشهوة بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا

بينها وبين الارادة بان الارادة اعم فان الارادة قد تتعلق بما لا يشتهى كارادة شرب الدواء والاشتها
ميل طبيعي غير مقدور ولذلك يعاقب بارادة المعاصي عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى ان الله
عصمه بان لم يخلق فيه ميلا للمشتهيات ولو لم يفسر بما ذكر لما صح تعقيبه بقوله فقد بان لك
من هنا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها وهذا معنى
ما قاله البسيلي في تفسيره ان الظاهر ان كونه حصورا كان عن اختيار منه لان خلافه نقص
في الخلقة وعيب ينزه عنه الانبيا عليهم الصلوة والسلام وما ذكره ابن حزم في الملل والنحل
من ذمه انما يمشي فيما اذا كان لمجرد الشهوة البهيمية اما اذا كان لتكثير النسل في الاسلام
فلا ذم فيه وقال ابن العربي قول من قال الحصور هو الذي يكف عن النسا عن قدرة هو الصحيح
لوجهين احدهما انه اثنى به عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلي الثاني ان حصورا
فعولا من صيغ المبالغة وهو انما يكون في الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة وهو في شرعه
مطلوب بخلاف شرع نبينا لنهيه صلى الله عليه وسلم عن التبتل انتهى فاندفع ما قيل ان قوله
لا شهوة له في النسا لا وجه لذكره هنا لانه في مقام الجواب عما اورده وهذا مقولا يراد
لا جواب عنه وما ذكر في هذا المقام هو وجه تفضيل البشر على الملك فان قلت فما تقول فيما
ورد في الحديث على فرض صحته من انه عنين وما له كهذاة او نواة او هدب ثوب قلت اجيب
عنه بانه لغلبة خوف الله تعالى عليه وشدة الرياضة التي كانت مشروعة له ذبلت
اعضاؤه واضمحلت حتى صار كانه مثل بذلك ما ذكر لا انه لنقص في خلقته فهو على طريق التشبيه
والتمثيل واما بمجاهدة متعلق بقمع والمراد بذلك ان الله خلق الانبيا عليهم الصلوة والسلام
على احسن تقويم فلهم قوة على الجماع زائدة على غيرهم الا ان منهم من قهر شهوته وغلبها حتى اضعفها
وذلك اما بمجاهدة كافراط الرياضة بجوع وسهر وخلوة عنهن للعبادة وهو المراد بالمجاهدة
لانه يجاهد نفسه بمنعها عما تريد من الشهوات وهو الجهاد الاكبر كعيسى عليه الصلاة والسلام
او تقهرها بعدم مطاوعتها على ما تريد لان الله تعالى خلقه وجعل فيه ملكة على ترك الشهوات
من غير مجاهدة وهو المراد بقوله او بكفاية من الله كيحيى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى
صرفه عن شهوة الجماع قيل والاولى ان يكون له قدرة قمعها بالمجاهدة كعيسى عليه الصلاة
والسلام ولذا فسر البيضاوي حصورا بمبالغ في حبس نفسه عن الشهوات والملاهي والتبتل
في حق المعصوم امر مطلوب وفي غيره نهي عنه وكان مشروعا في دينهم كما ان ترك التزوج عبادة
عندهم لمن قدر على صون نفسه عن الشهوات وكان يحيى عليه الصلاة والسلام شديد الخوف
من الله تعالى حتى قيل انه وضع وجهه على الارض وبكى حتى ذهب لحم خديه وبدت اضراسه
للناظرين فضيلة زائدة مرفوع خبر لمبتدا وهو قمعها في قوله ثم قمعها اي ترك الشهوة والجماع
بعد القوة عليه فضيلة محمودة وصفة حميدة زائدة في الخلقة على اصلها لكونها شاغلة في كثير
من الاوقات اي لكون الشهوات تشغل الانسان كثيرا عن العبادة والمهمات وفي نسخة مشغلة
قال التلمساني مشغلة من الشغل وروي مشغلة اسم فاعل من اشغل وهو قليل وروي شاغلة انتهى

قلت

قلت الاخير هو الصحيح رواية ودراية لان الاشتغال لغة ردية ولذا لما وقع الصاحب على رقعة
فيها الاشتغال قال من قال اشتغال لا يصلح لاشتغالي كما مر وهو لم يقع في النسخ المنبذا او محطة
الى الدنيا اسم فاعل من الحط وهو الانزال من علو الى سفل وهو منصوب بخبر لكون اي ينزل
الانسان الى شهوات الدنيا الدنية لمن لم يعصمه الله عن التخلي بها وتمنعه عن اشتغال قلبه
بها ثم هي اي الشهوة في الجماع لا الفضيلة الزائدة عليها كما توهم في حق من قدر عليها بالبناء للمجهول
اي ان من اقدره الله على شهوته فلم تغلب وملكها اي تصرف فيها كما يريد منعا وفعلا وهو بفتح اللام
والميم مبني للفاعل وبضم الميم وكسر اللام المشددة والبناء للمجهول قال التلمساني وهو اولى ليكون
على نسق اقدر والحق هنا بمعنى الشان والحال كما يقال الغنى في حق الكريم حسن وقام بالواجب فيها
معطوف على ملكها اي ملك شهوته ولم يمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه
لان ما يمنع عن ذلك ينبغي تركه وفيها متعلق بقام اي قام بما يجب عليه وهو متلبس بها ولم
يشغله عن ربه شغل كسائر الناس وقوله درجة علياء مرفوع خبر هي اي مرتبة رفيعة عند الله
تعالى وعلياء بفتح العين والمد وهي في الاصل كل مكان مشرف اي مرتفع واريد به علو المنزلة وهي درجة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي هذه الدرجة العليا عند الله التي وصل اليها في الدنيا مع انها
غير شاغلة له عن التقرب الى الله تعالى بفعل ما يجب عليه من العبادة ودعوة الخلق الذي لم يشغله
صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم مبنية لما قلناه كثرتهن اي النسا عن عبادة ربه بل زاده ذلك
عبادة على عبادته المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل لتحصينهن اي جعلهن محصنات
متعففات بنكاحه صلى الله عليه وسلم لهن وقيامه بحقوقهن من النفقة والكسوة وغير ذلك
فان فيه اجرا ايضا واكتسابا بطن فان الكسب الحلال للعيال عبادة وارشاد للخلق وان كان
لو سال الله تبارك وتعالى ذلك اوصله له من غير كسب لكنه صلى الله عليه وسلم ملتزم لقيام
العبودية وهدايته اياهن بتعليمه الدين بعد خلوص الايمان بالله ورسوله ثم ترقى لمرتبة اعلى من هذه
بين فيها ان حظوظه الدنيوية ليست ناشئة عن ميل قلب وتوجه فكر حتى يشغله عن ربه فاضرب
عما توهم ذلك فقال بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو جمع حظ كاحاظ واحظ
وهو النصيب المقدر مما يسر به ويقال الحنظ بالنون وهي لغة يمانية وان كانت من حظوظ دنيا
غيره من الناس فانهم يسرون بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا ومحبتها فان قلبنا امتلا
بمحبة الله تعالى لا يدخله محبة غيره كما قيل تملك بعض حبك كل قلبي فان ترد الزيادة هات قلبا
ثم فسر تصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث فقال حبب الي بالبناء للمجهول من دنياكم ثلاث
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الحاكم
والنسائي عن انس رضي الله عنه بدون لفظ ثلاث الا ان احمد رواه عن عايشة رضي الله عنها ولفظه
كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشيا النسا والطيب والطعام فاصاب
اثنين ولم يصب واحدة اصاب النسا والطيب ولم يصب الطعام واسناده صحيح الا ان فيه رجلا
لم يسم وقد روي هذا الحديث من طرق اخر يقوي بعضها بعضا فهو صحيح الا ان اكثر الحفاظ على انه ليس

فيه لفظ ثلاث كابن القيم والعراقي وابن حجر وانها مدرجة في الحديث ومن رواها فقد وهم وخالفهم
في ذلك ابن فورك وقال انها مروية في الحديث والف في ذلك جزا مستقلا صحح فيه رواتها ولم اقف عليه
وتبعه في اثباتها الزمخشري في سورة ال عمران والراغب وابن عربي في الفصوص وغيرهم ومن وهمهم
قال الصلاة ليست من امور الدنيا فلا يصح عدها منها لجعلوه وهما لفظا ومعنى ومن اثبتها افترقوا
فرقتين فرقة قالت ان المراد بامور الدنيا ما وقع في الدار الدنيا لذة كان او عبادة فالصلاة
من امورها على هذا وفي لفظ ثلاث تغليب للمونث على المذكر عكس القاعدة المشهورة لنكتة وغير
الاسلوب في الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله ومنه عطف الفعل على الاسم
الجامد والمعروف عطفه على المشتق كما قال ابن ملك رحمه الله واعطف على اسم شبه فعل فعلا
وعكسا استعمل تجده سهلا فلست زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع
من البديع يسمونه الطي وهو ان يذكر جمعا يريد تفصيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضها فالثالث
مطوي ذكره في الحديث لنكتة كابهامه على السامع لعدم ارادته ووقوف السامع عليه لنكتة فان
هنالك الطعام كما ورد التصريح به في رواية احمد فطيه لحسنه عنده واستشهد واله بقوله
ان الاحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بهن قديما مولعا الخمر والما القراح واطلي بالزعفران
فلا زال مولعا وقوله كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها وفيه مع النكتة
المذكورة تعليل للفظ مع تكثير المعنى وقد يقال لا شاهد فيما ذكر اما الاول فالثالث وهو قوله واطلي
الخ على نهج ما تقدم في الحديث واما الثاني فلانه ذكر قبيلة بني حنيفة وجعلها اثلاثا عبيدا وموالي
وحلفا فبقي نفس القبيلة وصميمها وهي مذكورة اولا وقال حبب بالبنا للمجهول ودنياكم بالاضافة
اليهم ولم يقل احببت من دنياي اشارة الى ان محبته صلى الله عليه وسلم لذلك ليست باختيار
لشهوات نفسه بل بفعل الله فحبه انما هو لله وانه لما راده ورضيه له لانه صلى الله عليه
وسلم بشري الظاهر ملكوتي لا يتحلى باحوال البشر الا اذا امر الله تعالى بها للتاسي به امته وتشريفه
بما رضيه له فهو صلى الله عليه وسلم من البشر كحد اليا قوت من الاحجار وكان اذا دخل في الصلاة
اشتغل ظاهره وباطنه عن الخلق لوقوفه بين يدي خالقه فيزداد قربه ومشاهدة فينصل نور
بصره بنور بصيرته فلذا جعلها قرة عينه ولذا شرع السلام لعوده الى من عنده من حواجه
ولذا كان بعض الناس يصافح من عنده فانهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس مع
اصحابه الاربعة رضي الله عنهم فقال حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة
عيني في الصلاة فقال ابو بكر رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الجلوس
بين يديك والنظر اليك وانفاق جميع مالي عليك وقال عمر رضي الله عنه وانا يا رسول الله
حبب الي من الدنيا ثلاثا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ الحدود وقال عثمان رضي الله عنه
وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا افشا السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس
نيام وقال علي رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاثا اقراء الضيف والصوم
بالصيف والضرب بين يديك بالسيف فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وانا يا رسول الله

حب الي

237

حبب الي من دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة للمسلمين واداء الامانة واداء الندا من قبل الله
تعالى ويقول ان الله يحب من دنياكم ثلاث بدن صابر ولسان ذاكر وقلب شاكر فالخطاب على هذا للخلفا
الاربعة رضي الله تعالى عنهم ويجوز ان يكون لجميع الناس او الامة فدل ذلك على ان حبه صلى الله
عليه وسلم لما ذكر من النسا والطيب الذين من دنيا غيره اي دل ما ذكر من بناء حبب للمجهول واضافة
الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم واستعماله لذلك بالنصب عطفا على اسم ان والمراد باستعماله
لذلك مباشرته للجماع وتطيبه وتضمخه بالطيب ليس لدنياه والتلذذ بها بل لاخرته اي استعماله
بنية العبادة التي هي من امور الاخرة للفوايد التي ذكرناها في التزويج من تحصينهن وقيامه
بحقوقهن واكتسابه وهدايته لهن وللقا الملائكة في الطيب اي استعماله لاجل محبة الملائكة
وهو صلى الله عليه وسلم يلاقيهم كثيرا ولذا ترى اصحاب الخرايم والهياكل يلازمون البخور
لمحبة الروحانية لهم له ولانه اي الطيب ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه اي مما يحرك داعيه
الجماع ويقويها لانعاش الروح به ويحرك اسبابه اي يهيج مقدماته كالشهوة والقبلة او المراد
الله فكنى عنها تادبا واحتشاما وهو تعبير حسن وكان حبه صلى الله عليه وسلم لهاتين
الخصلتين الجماع والطيب لاجل غيره اي الزوجات والملائكة عليهم الصلاة والسلام
وقمع شهوته لا لمجرد التلذذ والتنعم كغيره وان كان قادرا على ذلك ولذلك كان صلى الله عليه
وسلم لا يرد الطيب اذا اهدي اليه وفي الحديث من عرض عليه طيب فلا يرده فانه طيب الريح
خفيف المحمل واذا اعطي احدكم ريحانا فلا يرده والمراد الريحان المعروف وكل ذي رايحة طيبة
قال ابن العربي ما ورد قط عن نبي من الانبيا انه حبب اليه النسا الا سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم وانكانوا رزقوا منهن كثيرا كسليمان وغيره ولكن كلامنا في كونه حبب اليه وذلك انه كان
منقطعا الى ربه عز وجل لا ينظر معه الى كونه يشغله عنه فانه معزل بالتلقي عن الله تعالى ورعاية
الادب فلا تنفرع الى نبي الله حبهن اليه والله جميل يحب الجمال وكان حبه الحقيقي المختص به انه
لا لامر اخر عرضي يرجع بالاخرة الى الدين والثواب في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته الجبروت
فعلوت كالرهبوت والملكوت والمراد عظمة الله سيده ومولاه والمناجاة المسارة بتلقي
وحيه ودعائه وقراءة القران وقال الدواني في شرح هياكل النور الجبروت يراد به عالم العقول
اي الملائكة ويسمى ايضا بالملكوت الاعلى والاعظم قيل انما سمي بالجبروت لانها مجبورة على كما
لاتها الفطرية او لانه جبر نقصها الامكاني بحصول ما يمكن لها بالفعل انتهى ولذلك ميز فرق
وفصل بين الحبين اي حب ما هو من امور الدنيا ظاهرا وبين حب ما هو حقيقة لله وفصل بين
الحالين اي حالي الحبين بتغيير العبارة والاسلوب كما مر فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فاوردها
جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها كما مر تعظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها مجبولة لذاتها فليست
معطوفة على حبب عطف الفعلية على الفعلية كما ذهب اليه من جعل الثالث مطويا كما عرفته
وقرة العين ما يسر من ينظره من قرت بالفتح اذا برد لانه كما قيل دمعه السرور باردة او من القرار
والسكون لسكونها اذا نظرت من تعب او نومها لان الحزين يسهر وقد قيل عيني تقر بكم عند تفرقكم

ولم يغير الاسلوب قال والصلاة التي بها قرة عيني ووقرة عيني في الصلاة فلا يحصل التميز بين ما جبه عرضي وبين ما جبه ذاتي وحقيقتي وبهذا العدول علم انها ليست من دنياكم وهذا انما يتوهم اذا كان الحديث لفظه هكذا والمص رحمه الله تعالى ممن لا يقول بصحته كما سياتي في فصل وفاته والمراد بالصلاة الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود لما يشاهد فيها كما مر وقيل المراد صلاة الله وملائكته عليهم الصلاة والسلام عليه قال ابن قرقول والاول اظهر فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام في كفاية فتنهن بعد ان يحيى وعيسى صلى الله عليهما وسلم تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النسا وهي تمكن حبهن في القلب والاشتغال بهن عن العبادة في مشاهدة عالم الملكوت وهن لم يشغلنه صلى الله عليه وسلم ولم يمنعنه عنها في حال من الاحوال فنا وانما في عدم الاشتغال حتى كان الوحي ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو في فراش زوجاته وعانقته خديجة رضي الله تعالى عنها في اول امره فلا يقال انه صلى الله عليه وسلم في حال مضاجعتهن مشغول عن عبادته الا ان يعد جماعه عبادة وزاد فضيلة عليهما اي يحيى وعيسى بالقيام بهن اي له صلى الله تعالى عليه وسلم فضيلة زائدة على ما ذكر بقيامه على زوجاته وكسبه لهن وهدايته لهن مع غفلته صلى الله عليه وسلم طرفة عين عن الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر بالبناء للمجهول اي اقدره الله تعالى على القوة في هذا اي امر النكاح مع القيام بحقه وحق الله وليس في هذا دلالة على ان غيره صلى الله عليه وسلم اقدر منه كما توهم واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له صلى الله عليه وسلم من الحراير جمع حرة على خلاف القياس لكونه بمعنى عقيلة فجمع جمع فعليه كما قال النابغة خذا راعلى ان لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرايرا ما لم يبح لغيره من جمع ما فوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة لامته فابيح له ان ينكح من النسا ما شا في اول امره ثم حرم عليه بعد ذلك ان يزيد على ما في عصمته من ازواجه فقال لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك قاله التجاني وقال مغلطاي له صلى الله عليه وسلم خصايص جمة منها اباحة تسعة نسوة والصحيح ان له الزيادة قال بعض الشيوخ من قال لا يزيد على التسعة واستدل بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وهو خطا بالاجماع لانه ليس معنى الاية وليست الاية في حقه صلى الله عليه وسلم وانما هي في حق الامة والزيادة على الاربعة ممنوعة بالاجماع الدال على معنى حديث غيلان ولم يخالفه مستند لا بهذه الاية الا بعض الروافض والزنادقة كما فصله ابن حزم في كتاب المحلى وقد روينا عن انس رضي الله تعالى عنه قال السيوطي هذا الحديث عزاه المص رحمه الله للنسائي وهو عند البخاري ودوينا بفتح الرا والواو المخففة وما قاله الشهني نقلا عن المغني من انه بضم الرا وكسر الواو المشددة لا وجه له انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه اي يجامعهن من دار على كذا وطاف به اذا مشى حوله فجعله كناية عما ذكر في الساعة من الليل والنهار اي في مقدار ساعة منهما فقدرته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع ما كان عليه من قلة الاكل والشرب نجزه

فى حقه

ابن اقبرس

فى حقه صلى الله عليه وسلم قيل والتبتل في حق يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام تشبيها بالملائكة كان افضل في زمانهما ودون صلى الله عليه وسلم عليهن كان برضاهن فلا ينافى وحديث القسم وهي احدى عشرة اي نساؤه صلى الله عليه وسلم اللاتي دار عليهن كذلك عدتهن قال البرهان كذا في صحيح البخاري من حديث انس رضي الله عنه وقال ابن خزيمة لم يقل احد من اصحاب قتادة بانهن احدى عشرة الا معاذ بن هشام عن انس ورواية اخرى في البخاري انهن تسع وجمع بينهما بان ازواجه صلى الله عليه وسلم كن تسعا في ذلك الوقت كما في رواية سعيد وسريتاه مارية وريحانة عند من قال ان ريحانة كانت امة وبعضهم انها زوجة وروى ابو عبيد انه كان مع فاطمة بنت شريح وقال ابن حبان كان هذا اول ما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فكانت زوجاته تسعا لان تجمع نساؤه لم يقع مرة واحدة ولا يستقيم هذا الا في اخر امره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا يعلم اجتماع احدى عشرة زوجة عنده فانه صلى الله عليه وسلم تزوج احدى عشرة امراة اولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى ما ذكره البرهان وكلام ابن خزيمة يدل على رواية الاحدى عشر مرجوحة والتسع راجحة وجمع بينهما بان مع التسع فاطمة بنت شريح وريحانة على القول بانها زوجة فقصد الجمع منه صلى الله عليه وسلم مرة تسعا ومرة احدى عشر وايضا قيل التسع محمول على الحقيقة والاخرى على تغليب الزوجات على السريتين وهما ريحانة ومارية فان قيل الرواية بلفظ النسا وهن حقيقة في غير الرجال فلا حاجة الى التغليب قيل لا يقال انه حقيقة في ذلك الا اذا لم يضف للازواج الا ما كما في الحديث وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم فان اضيف لهم لم يتناول الاما حقيقة ولذا احتج علماؤنا بهذه الاية على عدم صحة ظهار الاما فالمالك وقد تبعه التجاني ان جمع بين رواتي انس بانهن تسع حراير واحدى عشر منكوحة وسريتان لدخول السراري في النسا كالامة والنسا والنسوة والنسوان جمع المراة من غير لفظها كالقوم في جمع المرء وقد علم ان طوافه صلى الله عليه وسلم على ساعة واحدة لا ينافي القسم ان قلنا بوجوبه عليه ولم ينقل ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجب عليه القسم وقد ذهب الى هذا الزيلعي من ايمتنا وبعض المحدثين فقسمه صلى الله عليه وسلم انما كان تطييبا لخاطرهن تفضلا منه وتعليما لامته ولذا كان يقرع بينهن اذا اراد السفر مع ان القسم انما يجب عليه في الحضر ويقول هذا برضاهن مع انه هنا لا يفوت القسم لهن وانهن فيه والاختيار في القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب انه روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيي رضي الله عنها كما في مسلم وعليه قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقال المنذري كان يؤوي عايشة وام سلمة وزينب وحفصة رضي الله عنهن انتهى ومن ازواجه تسع جويرية وام حبيبة وصفية وميمونة انتهى واستدل القائل بوجوبه عليه بحديث الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي

ابن اقبرس

فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك وقد يقال لهذا كان قبل علامه بعدم الوجوب
عليه اولعدوله عن الافضل في حقه صلى الله عليه وسلم والكلام على ترجمة زوجاته رضي الله
عنهن مفصل في السيرة للعلامة ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى توفي رسول الله عن تسع
نسوة اليهن تعزى المكرمات وتنسب فعايشة ميمونة وصفية وحفصة يتلوهن هند
وزينب جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست نظمهن مهذب والواو في قوله
من الليل والنهار بمعنى او وقال انس رضي الله عنه وكنا نتحدث انه صلى الله عليه وسلم اعطى
قوة ثلاثين رجلا في الجماع وهذا تتمة الحديث الذي قبله خرجه اي رواه مسندا النسائي
وقد تقدم ان البخاري رواه ايضا وروي بالبنا للفاعل والمفعول نحو عن ابي رافع اي
هذا الحديث روي عن ابي رافع ايضا في سنن ابي داود والبيهقي والنسائي ولفظه طاف
صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه في يوم اوليلة واحدة وكان يغتسل عند هذه وهذه
ولذا قال نحوه لاختلاف لفظه وزيادته وابو رافع هذا هو مولى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو قبطي واسمه ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل صالح وقوله قوة ثلاثين
قال البرهان الحلبي في الصحيح من رواية الاسماعيلي عن معاذ اعطى قوة اربعين رجلا وفي
حلية ابي نعيم عن مجاهد قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وفي الترمذي ان قوة كل رجل من رجال
الجنة قوة سبعين رجلا يعني من اهل الدنيا وصححه وفيه قوة مائة رجل وقال انه صحيح غريب
فقال ابن حبان قوة كل رجل في الجنة قوة مائة رجل والنسائي هو الامام الحافظ الحجة ابو عبد
الرحمن احمد بن شعيب بن علي صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته واصحاب مالك وحماد بن
زيد وانتهى اليه علم الحديث وروى عنه كثيرون وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة ويشبه انه
سنة خمسة عشرة ومائتين ولم يبق من اصحاب الكتب الستة بعد الثلاثمائة غيره فعلى هذا قوة
صلى الله عليه وسلم قوة الوف ووقع في بعض النسخ هنا برواية اللخمي عن المص رحمه الله تعالى
وعن طاوس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا وقد تقدم من رواه وما فيه وطاوس
هو الامام عبد الرحمن بن كيسان اليماني وهو من ابناء الفرس وقيل من النمر بن قاسط وقيل اسمه
ذكوان ولقب بطاوس لانه كان طاوس القراء روى عن عايشة وابي هريرة وابن عباس وغيرهم
رضي الله عنهم وروى عنه الزهري والتيمي وابنه وغيرهم وتوفي بمكة سنة ست ومائة واخرج له
اصحاب السنن وغيرهم وعن صفوان بن سليم بالتصغير وهو امام عابد قيل انه لم يضع جنبه
على الارض اربعين سنة حتى نقبت جبهته من السجود توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعي روى
عنه اصحاب السنن وقالت سلمى مولاته بفتح السين بلا خلاف وغلط من ضمها كما قاله النووي
رحمه الله والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لانها خادمه وقيل انها مولاة صفية عمته صلى الله
عليه وسلم وهي زوج ابي رافع داية فاطمة الزهراء رضي الله عنها وروى ابن ابنها عبيد الله وهذا
الحديث صحيح رواه ابو داود كما قاله السيوطي طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع
وتطهر من كل واحدة اي من جماع كل واحدة منهن قبل ان ياتي الاخرى وقال لهذا اي الغسل من كل
جماع

جماع اطهر واطيب وروي ازكى واطيب واطهر اما كونه اطهر فظاهر واما انه اطيب فلانه يقوي
البدن بانعاشه وقيل اطيب للباطن واطهر للظاهر وهذا الحديث متصل لان سلمى روته عن زوجها
ابي رافع وفيه دليل على ان الغسل على الفور وانه لا يجب لكل جماع وقيل ان لم يغتسل يستحب له
الوضوء كوضوء الصلاة وروي عن عمر انه لازم وما ورد في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
كان يطوف على نسائه بغسل واحد فلبيان الجواز وحمل بعضهم الوضوء في قوله صلى الله عليه
وسلم اذا اتى احدكم اهله فليتوضو على الوضوء اللغوي اي يغتسل فرجه وهذا بناء على ان الوضوء
لا يستحب كما قاله ابو يوسف وذهب بعضهم الى انه يستحب لانه انشط كما ورد في الحديث وقد قال
سليمان عليه الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك
اي الطواف عليهن وجماعهن كما قاله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه
قال قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على سبعين امراة كلهن
ياتي بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي فلم تات
واحدة منهن بولد الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال
ان شاء الله تعالى لم يحنث وكان له دركا لحاجته وفي رواية على ستين امراة وفي رواية على تسعين
وفي اخرى على سبعين وتسعة وتسعين وسيأتي الزيادة وما فيها قالوا ولا تعارض بين الروايات
لان اثبات القليل لا ينفي الكثير والعدد لا مفهوم له ثم هذه النساء ان كانت اماء او بعضها حراير
وبعضها اماء فلا اشكال وان كانت حراير فالحصر في الاربع لم يكن شرعا لمن قبلنا وانما شرعها
لنا لضعف الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف بالشيء واطاف به اذا دار حوله وقد قدمنا انه كناية
عن الجماع وعلى اختلاف اللفظين جاءت روايتان لاطوفن ولاطيفن وفي الحديث جواز القسم والتعليق
بالمشية واما كون سليمان عليه الصلوة والسلام لم يقله وانه نسيه فسيذكره المص رحمه الله
تعالى في اول القسم الثالث وقوله في الحديث لم يحنث بمعنى لم ياثم ويخطى لانه فعله وليس المقسم
عليه الولد لانه ليس في قدرته ومثله لا يخفى عليه والدرك بفتح الراء بمعنى الادراك والتحصيل
وفي البخاري بدله كان ارجا لحاجته وسليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم امره ونسبه مفصل
في القصص والتواريخ قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمان عليه الصلاة والسلام
ماء مائة رجل المراد بالماء المني ومنبعه من الرجال صلب الرجال كما ذكروه في قوله تعالى يخرج
من بين الصلب والترائب والمراد انه له قوة مائة رجل في الجماع وكانت له ثلاثمائة امراة وثلثمائة
سرية وحكى النقاش رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته وغيره انه كان له سبعمائة امراة وثلثمائة سرية
وروي انه الف امراة وتسعمائة سرية وهذا يخدش فيما تقدم من العدد وقد تقدم ما اجاب به
عنه الان بعضهم ضعفه وجمع بين الروايات بان بعضها محمول على الحراير وبعضها على الحراير والسراري
ولا يخفى ما فيه ولو قيل ان الاختلاف لاختلاف احواله صلى الله عليه وسلم باعتبار الزمان
فكانت تزيد وتنقص بهذا الاعتبار لكان اظهر وفي تفسير البستي عكس ما حكى المص رحمه الله
عن النقاش فقال كان لسليمان عليه الصلوة والسلام ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية وكذا

في الكشاف والله اعلم بالصواب وقد كان لداود عليه الصلوة والسلام على زمنه واكله من عمل
يده لان الله تعالى الان له الحديد فكان يصنع منها الدروع ويبيعها ويأكل هو واهله من ثمنها مع ما اتاه الله
من الملك وافضل ما انفق المرء ما كان من كسب حلال كالصنعة والتجارة والزراعة واختلفوا
في الافضل منها وفصلوه في كتب الفقه والحديث مما لا مزيد عليه ولا حاجة لنا هنا به تسع وتسعون
امراة كما ذكره القشيري في تفسيره وعبر بزوج اوريا مائة بالرفع والنصب فالرفع على ظاهره على انها
علية والنصب على ان يكون الفاعل العدة وهو مضمر ويجوز النصب على الحال منها اى وتمت العدة
في حال كونها مائة ويقال لكل قرينين من ذكر وانثى زوج وزوجة لغة رديئة واوريا علم لرجل
من بني اسرائيل عبراني واختلفوا في ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وواو وراء مهملة ومثناة
تحتية فقيل ممدودة وقيل مقصورة وهمزة مضمومة وواو ساكنة وراء مكسورة وياء
مفتوحة بعدها الف وقيل همزة مفتوحة وهو اوريا بن حنان وقال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب
النساء هو اوريا السعدي وزوجته هي ام سليمان النبي صلى الله عليه وسلم وقصته هي المذكورة
في القرآن في قوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وقصته ستأتي وما فيها في القسم الثالث
من هذا الكتاب ولكنا نوردها هنا تبعا لما في بعض الشروح وذلك ان داود عليه الصلوة
والسلام كان في ملأ من بني اسرائيل فاعجب بعمله وانه لا يخاف الفتنة ويقال انه قال للملكين
الحافظين له اني لا اقع في مكروه غبتما او حضرتما فانفرد في محرابه يوما فوقع بين يديه طائر
حسن الهيئة يقال انه ابليس فمد يده لياخذه فزال من موضعه غير بعيد فتبعه فخرج من مدخله
فاطلع داود منه فرأى امراة جميلة تغتسل فاعجبته فلما شعرت به ارسلت شعرها وايديها
لتسترها فزاده ذلك عجبا وميلا اليها فانصرف وسال عنها فقالوا انها امراة رجل من جند لك
يسمى اوريا كان مع جيش له بعثوا للقتال فارسل لاميره ان يجعله مع التابوت في القدمة
وهو معترك الحرب واشده فقدمه فاستشهد فلما جاء خبر الشهداء كان كلما اخبر برجل منهم
توجع فلما اخبر به قال الموت مكتوب على كل نفس وخطب امراته وتزوجها فولدت له سليمان
عليه الصلوة والسلام فبعث الله له خصمين ليحكم بحكمهما ان ما فعله ظلم وهو اشد عليه
فتسورا حائطه ودخلا عليه ففزع منهما لخوف انهما من اهل مملكته بغاة لان التسور في العادة
كذلك لانه كان ليلا بلا استيذان ففهما منه الخوف وقالا لا تخف واقضا امرهما وقالا له احكم
ولا تحكم كما قصه الله تعالى وقد ذكر كلامهما على لسان اوريا وقوله تعالى اكفلنيها اى اجعلها في كفالتي
او كفل بمعنى زوجنيها والنعجة كناية عن المراة وقوله عزني اى غلبني لغلبته على وقهره فقال داود
لخصمه ما تقول فاقر فنجره وامره بالرجوع للحق وقال للعدل ملك فتبسما وذهبا وقيل ارتفعا للسما
فشعر داود وقيل تبينا له ما فعل وعرفاه ان ما قاله تمثيل له فخر ساجدا فغفر الله تعالى له فقال
يا رب ما اصنع اذا طالبني بدمه فقال استرضيه فسر بذلك قالوا وهذه القصة مما افتراه
القصاص واهل الكتاب حتى روي عن علي رضي الله عنه من حدث بقصة داود صلى الله عليه وسلم
جلدته مائة وستين وهو حد قذف الانبياء عليهم الصلوة والسلام عنده والمعتمد ان داود

عليه

240

عليه الصلوة والسلام راى امراته فاعجبته فسأله تطليقها فطلقها بطيب خاطره فتزوجها
ومثله في شرعهم جائز وقد كان مثله في صدر الاسلام مع المهاجرين والانصار وسياتي بقية
الكلام على هذا وقد نبه الله عز وجل على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة الاية حكاية عن الخصمين اللذين نزلا انفسهما منزلة اوريا ونزل احدهما الاخر
منزلة الاخ لان الصحبة كالاخوة كما قال صحبة يوم نسيب قريب وذمة يعرفها اللبيب بتشديد
الظلمة والعرب تكني عن المراة بالنعجة وهي في الاصل انثى الضان تاؤها لتاكيد التانيث لان مذكرها
لفظ مخصوص هو خروف وتطلق على البقرة الوحشية ايضا فاستعيرت للمراة كما استعير لها
الشاة في قوله ما شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم وفي مصحف ابن مسعود
نعجة انثى لمزيد تاكيد للتانيث او لبيان المراد كحديث فلا ولي رجل ذكر وقيل انثى بمعنى امراة مؤنثة
يستانس بها زوجها وضدها امراة مذكرة وهي التي لا تلين لزوجها ولا يأنس بها ووصفها بانها حسنة
تشنع على ظلم صاحبه فانه مع كثرة نعاجه حسده مع قلة ما عنده وفي حديث انس عنه عليه
الصلاة والسلام كما رواه الدارقطني في الاوسط بسند جيد كما قاله السيوطي رحمه الله
انه قال فضلت بالتشديد والبنا للمجهول على الناس باربع السخا والشجاعة وكثرة الجماع
وقوة البطش البطش هو قوة السطوة والاخذ بعنف وعطفه على كثرة الجماع لما فيه من ذهاب
القوة لانه ماء الحياة يصب في الارحام ونور العين ومخ العظم اشارة الى انه صلى الله عليه
وسلم لم تضعف قوته وانه من اياته وسياتي معنى الشجاعة واما الجاه وهو كونه وجيها
عند الناس بتسخير القلوب بطاعتها وحبها وانقيادها له بحيث يقدر على استعمال اربابها
في مقاصده وهي لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى يستعبدهم كما يستعبد الارقا
محمود عند العقلاء عادة منصوب على الظرفية او الحالية اى جرت عادة العقلاء بحمده ويجوز
جعله تمييزا وعند متعلق بمحمود ظرف لغو وقيل انه حال لكونه محمودا عقلا يقتضي انه محمود
شرعا بحسب ذاته واصله وان كان قد يذم شرعا بحسب ما يعرض له عند بعض الناس
وهو اعظم نفعا من المال لان المال يكسب به ولا يخشى عليه ما يخشى على المال وقدر جاهه
اى الانسان ذي الجاه يعظم في القلوب بمقدار عظمة جاهه وقيل المراد جاه النبي صلى الله
عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الاخرة بلوا الحمد يكون عظمه بكسر العين وفتح الظا المثالة
وفي اخرها الضمير كما قاله البرهان الحلبي في القلوب لان الجاه كما تقدم متفرع على اعتقاد
الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده زادت عظمة شانه في قلوب الناس وقد كان صلى الله
عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند اعدائه ثم ايد كونه محمودا بقوله وقد قال الله تعالى في صفة
عيسى عليه الصلوة والسلام وجيها في الدنيا والاخرة اى عظيما ذا جاه عند الله في الدارين
وفيه دليل على ان الجاه من الوجاهة فقلب وكان اصله وجه فوزنه عفل ووجيها منصوب
على انه حال مقدرة من كلمة في قوله ان الله يبشرك بكلمة منه ووجاهته صلى الله عليه وسلم
في الدنيا بالنبوة وفي الاخرة بعلو رتبته كما مر ثم استدرك على كونه محمودا بدفع ما يتوهم من انه

مذموم لما فيه من العلو فقال لكن افاته كثيرة جمع افة وهي العاهة والمفسدة اي يعرض له ما يفسده
ويجعله مذموما كثيرا فهو مضر لبعض الناس باعتبار ما يعرض له لعقبى الاخرة باعتبار ما يعقبه
ويترتب عليه في الاخرة فاللام لتقييد التاقيت والتخصيص بالوقت كما قيل ويجوز ان تكون للتعليل
ولذلك اي لضرره في العاقبة ذمه من ذمه ومدح ضده وهو الخمول وعدم الشهرة بين الناس
اي انما ذمه من ذمه لهذا لا لانه في نفسه امر مذموم كما ورد في الحديث الصحيح ما ذيبان جايعان
ارسلا في غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وقد فصله في الاحيا فقال الطلب رفعة المنزلة
في القلوب باعتقاد صفة ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه كذب وتلبس وطلبها بما فيه ليجعلها
وسيلة لنفع الناس ونفعه في الاخرة جايز ممدوح كقول يوسف عليه الصلوة والسلام اجعلني
على خزاين الارض اني حفيظ عليم وقد تضمن هذا قوله صلى الله عليه وسلم حسب امرء من الشر
الا من عصمه الله ان يشير اليه بالاصابع في دينه او دنيا رواه البيهقي وورد في الشرع
مدح الخمول وذم العلو في الارض معطوف على قوله وهذا كما في الحديث ان الله يحب
الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا وقال تعالى تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وان كان العلو في الاية مقيدا
بصفة زايدة عليه من ظلم او غيره والخمول بضم الخا المعجمة وفتحها خطا ضد الظهور
وكون الخمول فضيلة ممدوحة لا ينافي مقام الانبياء عليهم الصلوة والسلام الذين لم
يرضوا الخلفا الراشدين والايمة العلما فان المذموم هو طلبها للشهرة فاما وجودها
من الله تعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم بل افضل من الخمول في حق من قدر على
نفع الناس مع خلوص نيته وسلامة طويته ولذا قال الله تعالى لا يريدون علوا دون
يعلون ومن لم يقدر ويصبر على ذلك فالخمول في حقه احسن كما اشار اليه في الاحياء
واليه الاشارة في حديث المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل
ولذا قال الشاعر من اراد العز والراحة في الدهر الطويل فليكن فردا من الناس ويرضى
بالخمول ويرى ان قليلا كافيا غير قليل وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة
اراد بالحشمة المهابة والعظمة في اعين الناس ولذا عطفه عليه والمكانة هي المنزلة
الرفيعة رفعة معنوية كالعطف التفسيري وتبع في هذا الاستعمال المشهور لانها وردت
في كلام الناس بمعنى الاستحيا فاريد به لازم معناه وهو المهابة وتخفيفه كما في شرح ادب
الكاتب لابن السيد الحشمة تضعها الناس موضع الاستحيا وعليه قول المتنبي ضيف
الم براسي غير محتشم وليس كذلك انما هي الغضب يقال احفظنا انما يحتشمه اي يغضبه
وهذا قول الاصمعي وهو المشهور وذكر غيره انها تكون بمعنى الاستحيا وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال لطاعم حشمة وقال الطرماح ورايت الشريف في اعين الناس وضيعا
وقل منه احتشامي في القلوب والعظمة معطوف على الحشمة قبل النبوة عند الجاهلية
اي عند اهل الجاهلية والمراد بالجاهلية ما بين المولد والبعث وتطلق على ما كان قبل

241

البعثة ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وبه جزم النووي في شرح مسلم فان اضيف للشخص اريد به
ما قبل اسلامه وقد يراد بها ما قبل فتح مكة وبعدها اي بعد النبوة وهم يكذبون ويؤذون اصحابه
ويقصدون اذاه في نفسه خفية بضم الخا وكسرها كما قاله البرهان لانه لما هيبته صلى الله عليه
وسلم عندهم وعظمته في قلوبهم لا يواجهونه بما يؤذونه وهو منصوب مفعول مطلق لمذكور او
مقدر او حال حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي
بعضها وهذا بالنسبة لما في نفس الامر واكثر الاحوال كما روي عن ابي جهل لعنه الله انه ساوم رجلا
من نجد ميدثروثة ابعرة هي خيرا بله شلث ثمنها فامنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضي فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث
واعطى ثمنه ارامل بني عبد المطلب وابو جهل يجري بنظره ولا يتكلم ثم قال له صلى الله عليه وسلم
له اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الاعرابي فترى مني ما تكره فقال لا اعود يا محمد فقال له امية بن
خلف ذلك في يد محمد فقال ان الذي رايتم مني لما رايت معه لقد رايت رجالا فيه وبيسارا يشرعون
رماحهم الي لو خالفته لكانت اياها اي لاهلكوني في وقايع اخرى مثلها وهذا لا ينافي انهم في بعض
الاحيان قالوا ذوه صلى الله عليه وسلم جهرة كوضعهم الجزور على ظهره الشريف وهو ساجد وتكذيبهم
له في قصة الاسراء وقوله ابي جهل لابي طالب عند موته لا تطعه اترغب عن ملة عبد المطلب
ولا يحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا لذلك لحكمة تظهر بها غيرة الله وامره بقتالهم
وقد كان يبهت ثلاثي مبني للفاعل او المفعول بمعنى يتحير ويدهش كما في قوله فبهت الذي كفر وروايته
بالبنا للفاعل من باب علم او يخاف ومن لم يره فاعله كما روي عن قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية
ولام وها وفي الصحابيات من يقال له قيلة ثلاث قيلة ام بني انمار ويقال اخت بني انمار وهي الخزاعية
ام سباع وقيلة بنت مخرمة العنبرية وقيل العترية نسبة يعني بنو زاي معجمة مفتوحتين وقيلة
الغنوية بفتح الغين المعجمة والنون كما قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها مذكور في شمائل
الترمذي وفي سنن ابي داود واخرجه ابن سعد بتمامه كما قاله السيوطي وهو انها رات النبي صلى الله
عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصا قالت فلما رايته متخشعا في الجلسة ارعدت من الفرق
وهذا هو المراد وان اختلف بعض لفظه وقال البخاري هل انه مخرومه المغنوية العترية ويقال
بل التميمية ولا تنافي بين الاخير وغيره لان العنبرية نسبة لبني العنبر ابو حي من تميم كما ان العنبر حي
من ربيعة بن نزار وفي مثل هذه القصة وقعت لعمر رضي الله عنه وكان مهيبا وقوله انها لما رات
صلى الله عليه وسلم ارعدت بضم الهمزة وكسر العين وفتح الدال المهملات مبني للمجهول واخذتها
رعدة من الخوف وقوله من الفرق بفتحتين وهو شدة الخوف وفي نسخة ارتعدت فقال صلى الله
عليه وسلم يا مسكينة عليك بالسكينة وصفها بالمسكنة ترحما لها والسكينة هنا بمعنى
الطمانينة اي الزمي الاطمينان وعدم الخوف والسكينة ثبت في النسخ المعتمدة بالرفع على انها
مبتدا وخبر والجملة خبر به مراد بها الامر اي اسكني وبالنصب اي الزمي السكينة للاغراء وعليك
اسم فعل بمعنى الزمي ولم يثبت هنا ما قيل انا انا ابن امراة تاكل القديد وبين سكينة ومسكينة

تجنيس ومسكين بكسر الميم على الافصح وتفتح وحق سكينة انها لا تلحقها الها لان باب مفعيل ومفعال للمبالغة لا تلحقه التا لكنه حمل على فقيرة وسكينة بالفتح والتخفيف وقد تكسر وتشدد وتفتح وهو جدا وفي حديث ابي مسعود رضي الله تعالى عنه هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الصحابي رضي الله عنه البدري كما في البخاري وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى انه لم يصح انه شهد بدرا وانما شهد العقبة الثانية وعليه الاكثر وانما سكنها فهو بدري دارا لا حضورا وبهذا يحصل الجمع بين القولين وروى عنه ايضا وروى احمد واصحاب السنن ومات سنة اربعين واحدى او اثنين واربعين وهذا الحديث رواه البيهقي من طرق فليس عنه موصولا وعن قيس مرسلا وقال هو المحفوظ واخرج الحاكم مثله وصححه ان رجلا قام بين يديه صلى الله عليه وسلم فارعد بضم الهمزة وكسر العين المهملة اي اخذته رعدة من خوفه وفي رواية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل فكلمه فجعلت ترعد فرايصه بالفاء والصاد المهملة كالفرائض بالمعجمة وهي لحمة بين الجنب والكتف ترعد من الخائف فقال هون الله عليك فاني لست بملك الحديث وتمامه وانما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وهون بتشديد الواو المكسورة امر من الهون وهو الامر الهين السهل والعرب تقول هون عليك يعني لا تخف قال فهون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها ولا وجه لتفسيره بالقصد في المحبة ولا بالبالغ في التعظيم وملك بفتح الميم ويجوز تسكينها بمعنى السلطان يعني لست من الملوك الجبابرة حتى تخاف مني لان جبريل عليه الصلاة والسلام جاء من الله وخيره بين ان يكون ملكا نبيا وعبدا نبيا فاختار ان يكون عبدا نبيا ولم يرض موضعه بالملك وكذا الخلفا الاربعة واول من ملك في الاسلام معاوية رضي الله عنه فلا يرد لقول بعضهم هنا ان هذا الانبا في انه ظهر ملكه وان كان ملكه نبوة فانه لم يرد الا نفي انه ملك كسائر الملوك عند المخاطب انتهى وهذا الرجل لم يسمه احد من شراح الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة اي وصف قدر نبوته بالعظم لان النبوة مقربة له من الله وفيه من العظم ما لا يخفى وسن يعني لمنزلته بالرسالة جعل منزلة رسالته شريفة لانها واسطة بين الله تعالى وخلقه وفي تاهيلة لذلك دون غيره شرف له على من عداه وجعلها منزلة لنزوله اليه بتبليغه من اتصاله بالملا الاعلى وانافة رتبته بالاصطفا الانافة بالنون والفا بمعنى الاعلاء والاشراف على ما تحت والمراد بالاصطفا ولايته وهي قربه مقاماته من الله تعالى بتخصيصها للطرق الاعلى ولذا جعلها مرتبة كالمرقبة اعلى الجبل كما في الصحاح فتفطن لتعبيره اولا بالقدر وثانيا بالمنزلة وثالثا بالمرتبة بعصاده فقد ذلك وفي نسخة بدل انافة انابة بالنون وللوحي والكرامة في الدنيا خصها لانها محل ظهور امره صلى الله عليه وسلم والا فذلك في الاخرة مما لا شبهة فيه كما سيذكره فامره هو مبلغ النهاية التي ليس فوقها مرتبة اخرى يكون نهاية او هو نهاية النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم عطفه بثم لتراخيه زمانا ومعنى ورتبة وهذا بعض من حديث البخاري وهو انا سيد ولد ادم ولا فخر وتقدم ان قوله ولا فخر سقط من بعض نسخ الشفا وثبت في بعضها قيل وهو الاكثر

الاولى لانه هنا من كلام المص رحمه الله تعالى لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومن اثبته فهو حكاية كما قاله التلمساني وفيه نظر والمراد انا اشرف هذا النوع ادم وولده لما ورد ادم ومن دونه تحت لوائي ومن في معنى قوله ولا فخر انه لم يذكره للافتخار ومدح نفسه بل للبيان الواقع تحدثا بنعمة الله تعالى والمراد اني لا افتخر بهذا فان لي ما هو اعظم منه من المنزلة عند ربي ولا حاجة للاستدلال عليه بكنتم خير امة لانه يلزم من تفضيل امته على الامم تفضيل نبيهم صلى الله عليه وسلم لان اجماعهم له وعلى معنى هذا الفصل المشتمل على اوصاف يتمدح بكثرتها ويتميز باتسامه بها نظمنا هذا القسم الاول من الكتاب اي جعلناه موضوعا لبيانه وهو المقصود منه بالذات بجعل ما فيه كالعقد المحتوي على اللآلي والفوائد كناية واثبت له النظم تجنيدا كما قيل ولك ان تقول المراد بالفصل المشار اليه ما تضمنه قوله فاما عظيم قدره الخ باسره اي جميعه واصل الاسر شد الاسير بما يربط به ويطلق على ما يربط به فاذا قيل خذ الاسير برباطه فالمراد خذه بجميع ما له ثم تجوز به عن معنى الجميع فصل واما الضرب الثالث فهو ما يختلف الحالات جمع حالة والحالة تذكر وتؤنث والغالب عليها التانيث في التمدح به وهو تفضل للكثرة او بمعنى المجرد لا للتكلف والتفاخر بسببه بين الناس والتفضيل من الناس لصاحبه لاجله غاير بين العبارات تفننا وهربا من التكرار في مقام اسهاب الخطابة ككثرة المال ثم بين اختلاف الناس فيه فقال فصاحبه على الجملة هذا كما يقال في الجملة والمالة لحيا نا لا في كل حال معظم عند العامة اي عوام الناس واكثر الناس الناظرين للدنيا ووجه تعظيمه لاعتقادهم توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه مجرور معطوف على حاجاته بسببه اي المال والا اي وان لم يكن ذلك او ان لم يعتقد فيه ذلك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يعظمه احد واقيم بسببه مقامه وهو قوله فليس له فضيلة في نفسه ثم فسر ما اجمله بقوله فمتى كان المال بهذه الصورة اي مصروفا في هذه المصارف وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه بمهملتين بينهما مثناة فوقية اي من ورد عليه وقصده من الضيوف والاخوان وارباب الحاجات من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل بالهف نفسي على مال الجود به على المقلين ارباب المروات وامله اي رجاه ورجا احسانه واكرامه ولو قرئ امله بمعنى قصده صح ولكن لا يساعده الرسم كما قيل من امله ينال ما امله وتصريف في مواضعه مرفوع معطوف على المال اي كان تصريفه في مواضعه اي تصرفه واقع موقعه ويصح عطفه على قوله صاحبه وهو اسد معنى ويجوز جره عطفا على مهماته وكذا ضبط بالقلم في بعض النسخ اي ان صاحبه منفقا له في مهماته ومنفقا له في تصريفه في موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول صرفه بدل تصريفه مضافا للفاعل اي ضمير صاحبه وللمفعول اي ضمير ماله والاولى لقوله مشتريا به المعالي والثنا الحسن فانه حال منه اي حال كونه مشتريا بماله وتصريفه معالي الامور وثناء الناس عليه والمراد بالمعالي جمع معلاة وهي الجاه والرتب العالية والثنا الجميل كما علم وذلك انما يكون بصرفه واعطائه لطالبه فجعل تحصيل ذلك بخرجه بمنزلة اشترا امر نفيس كما في قوله تعالى هل ادلكم

دلجي

على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ومثل هذه الاستعارة شايع في الكلام القديم وغيره وقوله لحسن
صفة مؤكدة والمنزلة من القلوب اى كونه له مهابة وعظمة في قلوب الناس لانها جبلت على حب من حسن
اليها وهو منصوب معطوف على المعالى مفعول الحال كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا
جواب متى المسبب عنه وقيده بقوله عند اهل الدنيا لان نظرهم لهذا فان اعطوا منها رضوا وان لم
يعطوا منها اذا هم يسخطون لا لانه ليس فضيلة عند الله كما توهم لانه ان اقترن بنية صالحة كان
فضيلة عند الله ايضا واذا صرفه في وجوه البر اى اذا صرف المال في انواع الاحسان كالصدقة
والهبة فالوجوه بمعنى الجهات وهو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية او مكنية وانفقه
في سبيل الخير اى في طرقه كالحج والجهاد وصلة الرحم وقصد بذلك المذكور من الصرف والانفاق
او المصروف والمنفق الله والدار الاخرة اى قصد ان يكون ذلك لله ولثواب الاخرة كان فضيلة
اى امرا فاضلا محمودا عند الكل اى كل الناس من اهل الدنيا وغيرهم العامة والخاصة ومن
ادخال ال على كل وبعض منعه بعض النحاة ولم يسمع من العرب الا ان القياس لا يأباه بكل
حال اى سواء اكتسب به المعالى والثناء ام لا ومتى كان صاحبه ممسكا له اى لا يصرفه في مصارفه
بل يخزنه لشحه به ومحبته له غير موجهه وجوهه اى غير صارف له في مصارفه في مهماته ووجوه
الخير حريصا على جمعه عاد اى رجع او صار كثره كالعدم الكثر بمعنى وهو بضم الكاف وكسرها
وظاهر كلام اهل اللغة جواز فتحها فهو مثلث ومثلثة ساكنة وهو المال الكثير يقال
ماله قل ولا كثر ومقابلته بالعدم ابلغ من مقابلته بالقليل ولذا عدل عنه وان كانت
القلة تكون بمعنى العدم ايضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه به فانه خازن لغيره
حارس لنعمته يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغنى الذي طلبه فيعيش عيش الفقرا
او يحاسب عليه حساب الاغنيا كما قيل وقد مس يعني البخيل بجمع المال مدته وللحوادث
والوارث ما يدع كدودة القز ما تبنيه يهلكها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع وكان
منقصة في صاحبه لذم الناس له ووصفه بالبخل والرذالة وقبحه عقلا وشرعا ولم يقف
على جدد السلامة اى لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والذم والجدد بفتح الجيم
والدالين مهملتين ولاهما مفتوحة وهي الارض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد امن العثار فالمراد
الطريق المسلوكة وهكذا هو مضبوط في النسخ وارتضاه البرهان رحمه الله تعالى فمن قال
انه وهم فقد وهم واما ضبط بعضهم له بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة بكسرة ومد
اى طريق ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض اى طرق وهو صحيح ايضا ومنه ركب فلان
جدة في الامر اى فيه رايا ظاهرا ولم يقف في امر يوصله للسلامة وهو عدم الجمع او صرف
ما جمعه في مصارفه فعدل عن طريق السلامة فهلك كما اشار اليه بقوله بل اوقعه ماله
الذي جمعه وبخل به في هوة بضم الهاء وتشديد الواو وهي الاهوية الحفرة العميقة وهو مضاف
لقوله رذيلة البخل اى اوقعه في هوة دناءته وخسته التي حفرها لنفسه وفيه استعارة
مكنية وتخييلية كالذي قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويامن من كل عثرة وشبه

ابن قريس

عريضه

ضن

243

ضنه بحفرة يقع فيها من اتاها ومذمة النذالة هي بالنون والذال المعجمة الدناءة والخسة وهو
معطوف على رذيلة ففيها الاستعارة السالفة او على هوة وهذه من افات المال المقابلة لمحاسنه
السالفة الدالة على انه في نفسه ليس ممدوحا وانما يمدح بما يكتسب به كما بينه بقوله فاذن
التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله اى عند من مدحه ومدح صاحبه ومفضله بكسر
الضاد المشددة وفتحها ليست لنفسه من حيث هي وانما هو اى التمدح به بالتوصل به الى غيره
من الثنا الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون مبدله وتصريفه في متصرفاته وفي الحديث يقول
ابن ادم مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
فمن لم يتوصل بماله لما ذكر ولم ينتفع به كمن لا مال له قال ابو العتاهية اذا المرء لم يعتق من المال نفسه
تملكه المال الذي هو مالكه الا انما مالي الذي هو منفق وليس لي المال الذي انا تاركه فجامعه
اذا لم يضعه مواضعه يصرفه في مهماته ومهمات من امله ولا وجهه وجوهه من انواع البر وسبيل
الخير ويحتمل التعميم في كل منهما غير ملي اى غير غني يقال ملؤ ملاوة بالمد اذا استغنى بالحقيقة
اى في نفس الامر لان الغنا هو المغني لصاحبه عما سواه وهو محتاج لما له ولغيره وفي اكتسابه
وقد قال الحكما الغني هو الذي لا يحتاج في ذاته وكماله الى شيء ولا عبرة بالمغني المقصود منه
وهو كفاية المهمات واكتساب المحمدات فكانه فقير ولا متمدح به بفتح الدال عند احد من العقلاء
بالجر معطوف على ملي اى من كمل عقله لا يمدح بمثله بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر وكونه لم يصل لغرضه لعدم
انفاقه وكسبه به ما يريد كما اشار اليه بقوله اذا ما بيده اى في ملكه وتصرفه من المال الموصل لها
بكسر الصاد مخففة ومشددة اى اغراضه لم يسلط عليه بالتشديد والبنا للمجهول اى لم
يرزقه الله ويقدر له الانفاق منه في اغراضه فاشبه خازن مال غيره في حراسته المال وعدم
قدرته على الانفاق منه ولا مال له جملة حالية من خازن فكانه اى صاحب المال ليس في يده شيء
منه كما قيل اذا كنت جماعا للمال ممسكا فانت عليه خازن وامين تؤديه مذموما الى غير حامد
فياكله عفوا وانت دفين وللمحمود الوراق تمتع بمالك قبل الممات والا فلا مال ان انت متا
شقيت به ثم خلفته لغيرك بعدا وسحقا ومقتا فجادوا عليك بزور البكا وجدت عليهم
بما قد جمعتا وارهنتهم كل ما في يديك وخلوك رهنا بما قد كسبتا والمنفق على غنى بتحصيله
فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فالممسك كما انه فقير بالقوة فكذا المنفق غني بالقوة
لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده كما قيل واني لارجو الله حتى كانني ارى بجميل الظن
ما الله صانع وهذا كله توطئة لبيان امر النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمال عدما
ووجودا كما قال فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم اى طريقته وهديه وخلقه بضمتين
او ضم فسكون في المال اى في شان المال وماله بالنسبة اليه تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح
البلاد اى اتاه الله ذلك كما ورد في الحديث الصحيح بينا انا نائم اوتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت
في يدي وفي كتاب الوفا عن جابر رضي الله تعالى عنه مسندا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس واليه اشار المصري رحمه الله
تعالى بقوله بعثت مقاليد الكنوز جميعها تهدى اليه على سراة حصان جعلت عليه قطيفة من سندس
فلم استقام الزهد عن امكان ومثله ثابت من طرق عديدة وهذا يدل على ان الله اعطاه ذلك
حقيقة وخزاين الارض دفاينها ومعادنها بان يطلعه الله عليها ويجعل الملائكة الموكلين بها
طوع يده فان السلطان خزينة بيد خادمها حاضر مطيع لديه فهذا معنى كونها في يده عرفا واما
المفاتيح فان كانت بمعنى الخزاين فكذلك وان كانت جمع مفتح او مفتاح بمعنى آلة الفتح فاعطاؤها
ارسالها كما هو ظاهر الحديث السابق وقيل انه كناية عن فتح البلاد على امته وجباية اموالهم
والمفاتح روي في الصحيح بدون يا جمع مفتح وروي بيا في كلام المصنف رحمه الله تعالى جمع مفتاح
والاول افصح كما قيل واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله الغنيمة ما يؤخذ من الكفار وكذا الفي
وفرق الفقها بينهما بان الفي ما يحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كسرقة وهبة والغنيمة
ما حصل بقتال ولو قبله او بعده وقد يستعمل كل منهما لما يعم الاخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك
ما يحصل من اهل الحرب كالمقرب من الذبايح تنزل نار من السماء فتحرقه ان قبل فان قلت كيف هذا
وقد كان لسليمان وداود عليهما الصلوة والسلام سواري ولا شك انها تحصل من اهل الحرب
غنيمة حتى تملك قلت قالوا ان الذي كانت تاكله النار سهام الانبيا عليهم الصلوة والسلام
دون سهام الامة وقرابتهم فكانت تحل لهم فاذا اشترى النبي كداود عليه الصلوة والسلام
من امته شيئا منها كان له ذكره ابن الجوزي رحمه الله تعالى في الوفا وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز
الحجاز بمعنى الحاجز وسميت بها لانها تحجز بين نجد وتهامة او بين اليمن والشام وهي مكة والمدينة
والطايف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها
حجازي ونصفها تهامي واليمن وهو معروف وسمي به لانه عن يمين الكعبة او ليمنه او لانه عن يمين
الشمس وجميع جزيرة العرب الجزيرة فعيلة من جزر الماء وهو انكشافه ورجوعه ضد المد
وجزيرة العرب ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا
عند الاصمعي ومن حفر ابي موسى الى اقصى اليمن طولا ومن رمل قبرس الى منقطع السماوة عند ابي
عبيدة وقال مالك هي الحجاز واليمن واليمامة وما لم يبلغه ملك فارس والروم مع اقوال اخر
وسميت جزيرة لان في بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات احاطت بها وما داني ذلك
اي قريب منه او من جزيرة العرب فيذكر باعتبار المكان ونحوه من الشام والعراق اما الشام
فبهمزة وتبدل الفا وقد تعد همزته فيقال شام وبعضهم ابى هذا ويذكر ويؤنث كغيره من اسما البلدان
وينسب اليه شامي بهمزة والف وشامي بالتخفيف والتشديد كيمانى فيقال امرأة شامية وشامية
مخففا ووجه تسميتها بذلك عن شمال الكعبة او لانه يتشام بها قوم او باسم صاحبها وهو سام
ابن نوح عليه الصلاة والسلام فغربت بابدالها شينا معجمة وانكر بعضهم هذا وقال لم ينزلها سام
قط وانما سميت بها لان في ارضها شامات حمر وسود وبيض وحده من العريش الى الفرات او الى
نابلس طولا وعرضه من جبل اجا وسلمى الى بحر الروم وما يسامته وقد دخله النبي صلى الله عليه

وسلم

244

وسلم الا انه لم يدخل دمشق وقيل دخل الشام عشرة الاف غزوات رسول الله صلى الله
عليه وسلم واما العراق فهو اقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة وقرى
وطوله من تكريت الى عبادان وهي قرية ولذا قيل في المثل ما وراء عبادان قرية وعرضه من القادسية
الى حلوان ودجلة حد جانبيها الايمن للعراق والايسار لفارس واما عراق العجم فهو اقليم خراسان
ولفظ العراق عربي وقيل انه معرب ايران وفيه كلام ليس هذا محله واليمن فتحها علي رضي الله
عنه في سنة عشر من الهجرة والشام فتحها منها دومة الجندل فتحها عبد الرحمن والعراق فتح منها
البحرين وقدم اهلها على النبي صلى الله عليه وسلم على ما فصل في السير والتواريخ ومن لم يقف
على هذا قال انها انما فتحت في زمن ابي بكر رضي الله عنه لكن النبي صلى الله عليه وسلم اوتي مفاتيحها
ووعد بفتحها وجلب اليه بالبنا للمفعول نايب فاعله ما لا يحصى لا تي وانثه باعتبار المعنى وهو
الاموال من اخماسها اي غنايمها لان الغنايم يجعل خمسة اجزاء خمس للامام واربعة اخماس للجند
والمراد الخمس لانه اي الذي يختص به وجزيتها بكسر فسكون وهو ما يؤخذ من الكفار من الخراج
على الروس سمي بها اسما لانها تجزيء ومن المجازاة او من الاجزا بمعنى الكفاية وقيل انها معرب كزيت
واحكامها تفصيلا في كتب الفقه وصدقاتها المراد ما كان يؤخذ من الزكاة كبيت المال لانه يسمى
صدقة ما لا يحوى اي يجمع يقال جباه اذا جمعه للملوك الا بعضه وهادته اي اهدت اليه صلى الله
عليه وسلم وليس المراد المفاعلة ملوك الاقاليم المتقدمون قسموا الارض سبعة اقسام وسموا
كل قسم منها اقليما كما يعلم من علم مساحة الارض المسمى جغرافيا وحد كل اقليم وما فيه من البلدان
مفصل في كتب الهيئة والمساحة وقيل المصنف اراد بالاقاليم النواحي والبلدان وان كانت من اقليم
واحد او اقليمين من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى مستعمل ايضا كما يقال اقاليم مصر
فسموا كل ناحية منها اقليما والهدية ما يبعث بلا عوض الى المهدى اليه اكراما وقال السبكي
الاكرام ليس شرطا فيها وانما الشرط كونها من المنقولات فلا يقال العقار هدية فهي اخص
من الهبة والظاهر ان قيد الاكرام بنا على الظاهر فرقا بينها وبين الصدقة وممن هاداه صلى الله
عليه وسلم المقوقس ملك القبط اهدى له جاريتين وكسوة وبغلة بيضا وهي الدلدل وهاداه
فروة ابن عمرو الجذامي عامل قيصر بعد ما تنزع بالاسلام واهدى له بغلة بيضا يسمى فضة وفرسا
واثوابا وقبا من سندس ولما بلغ ذلك قيصر حبسه مدة طويلة ثم ارسل يقول له ارجع لدينك
اطلعك واعيد لك ملكك فابى وقال لا افارق دينه وانك لتعلم انه حق ولكن ضننت بملكك
بملكك فقال صدق والانجيل ومنهم اكيدر دومة الجندل كما في البخاري والبخاني واما هدايا
غير الملوك التي كانت تصل مع الوفود فكثيرة لا يحصى كما يعلم من السير واهدى له الرهبان ايضا
كراهب نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من لم يسلم منهم كالمقوقس والنجران ورده بعض
هدايا المشركين وقوله انا لا نقبل زبد المشركين اي عطيتهم لانه كان يقبل الهدية ممن يرجو اسلامه
استيلافا له لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد غير هدية او ذاك خاص بالمشركين ومن قبل منه
من اهل الكتاب فيقبل كما تؤكل طعمتهم وذبايحهم وقيل ان عدم القبول منسوخ باحاديث

القبول لا العكس على الارجح ثم ان قبول النبي صلى الله عليه وسلم الهدية مع انه لا يجوز لغيره
من الحكام من خصايصه صلى الله عليه وسلم لانتفاء التهمة في حقه صلى الله عليه وسلم وقيل انه
صلى الله عليه وسلم رد ما اهدى له خاصته دون ما اهدى للصحابة فما استاثر بشيء منه
اي ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون اصحابه لرؤيته انه احق به كما يفعله الملوك فيما يليق
بها وهو استفعال من الاثرة وهي المكرمة والخصوصية كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم
ولا امسك منه درهما اي لم يبق لنفسه منه شيئا ولم يحبسه عنده او في يده بل صرفه في مصارفه
باعطائه لمن يستحقه وفي وجوه الخيرات واعني به غيره من الجند والمولفة قلوبهم فكان صلى الله
عليه وسلم يعطي اعطا من لا يخاف الفقر وقوي به المسلمين بصرفه فيهم تمهم وفيما ينصرهم على
اعدائهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان مسندا عن ابي هريرة
رضي الله عنه منه ما يسرني اي يجعلني في سرور وفرح ان لي احدا ذهبا اي مثل احد او نفس احد
يكون ملكا لي وهو ذهب حقيقة وقوله ذهبا تمييز اي من ذهب واحد بضمتين وقد تسكن حاوه
اسم جبل معروف قريب من المدينة سمي به لتوحده وانقطاعه عما هنالك من الجبال وقال صلى الله
عليه وسلم فيه احد جبل يحبنا ونحبه يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني وقد روي
هذا الحديث بروايات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى في الصحيح تاتي علي ثالثه وعندي منه دينار
وامسي ثالثة وعندي منه دينارا او روي تحول ذهبا ويصير ذهبا والا دينارا روي بالرفع
والنصب وارصده بفتح الهمزة وضم الصاد ويجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لانه يقال
رصدته وارصدته بمعنى اي اعددته للخير او الشر وقيل رصدته بمعنى راقبته وارصدته بمعنى اعددته
وهو المشهور وقوله لديني بفتح الدال المهملة وسكون المثناة التحتية والنون وارصاده للدين
اما لان صاحبها غايب او لانه لم يحل اجله وفيه دليل على جواز الاستقراض وانه لا ينبغي ان يكون
المرء مستغرقا في الدين حتى لا يحصله وفا وبقية الحديث في الصحيحين وشروحها فان اردته فانظره
وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصروهي وانه صلى الله عليه وسلم جاءته دنانير مرة فقسمها
وبقيت منها ستمائة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت
انتهى وقوله دفعها روي دفعتها بالرا قال السيوطي رضي الله عنه هذا الحديث رواه ابن سعد
عن عايشة رضي الله عنها بهذا اللفظ وفي الشرح لم اقف عليه الان له نظاير ها اوردها وكانت
هذه الدنانير جاءت من الصدقة وانما لم ياخذ النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تاخر
بعدما عصمه الله تعالى مع استقيا هنا الزمان وصرفهم بيت المال في هوى انفسهم قاتلهم الله
انى يؤفكون ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة على نفقة عياله جمع عيل وهو من يلزمه
مؤنته والدرع مؤنثة وهي الزردية وكان له صلى الله عليه وسلم عدة ادرع ذات الفضول
سميت بها لطولها اهداها له سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه لما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم لبدر وذات الحواشي ودرعان اصابهما من بني قينقاع السغدية وفضة ويقال
ان السغدية كانت درع داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها لقتال جالوت والبيرا والخرنق

قف

فهذه

245

فهذه سبع وقال ابن الاثير رحمه الله تعالى في مادة سباغ سبغ درع التبر ذات السبوغ
لتمامها وسعتها فيحتمل واحدة مما ذكر او غيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزي ان الذي رهنها صلى الله
عليه وسلم هي ذات الفضول ورهنها عند يهودي يسمى ابا الشحم كما وقع في كتب فقه الشافعية
ووقع في كلام بعض تسميته بابي شحمة والمعروف الاول والسغدية لم يتعرضوا لحركة
سينها المهملة ويجوز فتحها وضمها والمشهور الثاني وهي بغين معجمة منسوبة للسغد وهي
جبل معروف وقال مغلطاي انها بعين مهملة وفي معرب الجواليقي انه بالسين والصاد لان فيها
في كل سين معها حرف استعلا وقال الشقيق الاسدي وخافت من جبال السغد نفسي وذكر
مغلطاي ايضا انه صلى الله عليه وسلم كان له مغفر يسمى السبوغ والحديث المذكور
في صحيح مسلم مسندا عن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي
طعاما نسيئة فاعطاه درعا رهنا وفي رواية فرهنه صلى الله عليه وسلم درعا له من حديد
ورواه البخاري ايضا بزيادة ثلاثين صاعا من شعير ومنه علم جواز معاملة الكفار مع
ان كسبهم لا يخلو من خبث وجواز الرهن على الخبز المؤجل وادخار القوت خلافا لزفر
وقال المص رحمه الله تعالى في شرح مسلم انه مكروه عند مالك واحمد واجمعوا على انه
يجوز معاملة اهل الذمه وغيرهم الا في ايات الحرب وما يستعان به عليه وقال الحنفية
يكره بيع السلاح والكراع من اهل الحرب وتجهيزه اليهم قبل الموادعة وبعدها واما رهنه
فان خشي التقوي به علينا فهو كالبيع فما فعله النبي صلى الله عليه وسلم اما لان اليهودي
لم يكن من اهل الحرب او لانه كان بين اظهر المسلمين فلا يخشى تقويه به وفي رواية مالك رهنت
في عشرين صاعا وفي اخرى اربعين وفي رواية وسق شعير والاجل سنة فحل قبل الاجل ومن ثم
قيل انه صلى الله عليه وسلم افتكه قبل موته لخبر نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه
وهو صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك والاصح خلافه كما اقتضاه كلام المص ولقول
ابن عباس توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي والخبر محمول
على غير الانبيا وجمع بين الروايات السابقة بتعدد الواقعة وكان موسرا وقد نفسر لانفاقه
جميع ما عنده ولا يعلم احد بذلك اذ لو علم الصحابة ذلك لواسوه صلى الله عليه وسلم
بجميع اموالهم كما كانوا يواسونه بارواحهم ولكنه تكتمه وتصبر تلذذا بالرضى بما قسم وفي توفي
قوله في نفقة عياله للتعليل واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه
وزهد بصيغة الماضي معطوف على اقتصر فيما سواه اي ما سوى مقدار الضرورة ووقع في بعض
النسخ وزهده بصيغة المصدر المضاف للضمير وهو مرفوع عطفا على ضرورته او مجرور
بالعطف على مجرور الى من غير اعادة الجار والنسخة الاولى اوضح وكان صلى الله عليه وسلم
يلبس ما وجد حاضرا عنده من غير تكلف فيلبس في الغالب الشملة هي كسا يشتمل به وقيل
يختص بما له هدب وقال ابن دريد هو كسا يتزر به وهي البردة وان تسميه العوام ما يلف
على الراس شملة فلا اصل له والكسا الخشن اي الكسوة الملبوسة والكسا قريب من البرد

وخشن بزنة حذر ضد اللين والرقيق والبرد الغليظا البرد بضم اوله ثوب فيه خطوطه ومطلق
الثوب ثم اشار الى ان هذا ليس من عجزه صلى الله عليه وسلم عن فاخر الالبسة بل لعدم ميله
لها ويقسم مما عنده من الغنايم والهدايا على من حضر عنده اقبية الرماح المخصوصة بالذهب
الاقبية جمع قبا وهو المخيط من اللباس والديباج نوع من اقبية الحرير معرب ديبا بالدال المهملة
فيهما بكسر داله وقد تفتح والمخصوصة بضم الميم وفتح الخا المعجمة وتشديد الواو يليها صاد
مهملة وهاء اى منسوجة باعلام من ذهب كالخوص وفعل يأتي للتشبيه كثيرا فلا وجه لانكاره
سرج بمعنى كالسراج فى كتب المعانى وقيل هو المكفوف بالذهب او المطوق والمزر به اما نفقته
صلى الله عليه وسلم فى ماكله فكان التمر ولا الما وحده فكان يمضى عليه الشهر ولا يوقد فى بيته
نار وهو يقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا او كفافا وملبسه فى اكثر اكسيته الصوف الغليظة
الخلقة مع انه لبس ثياب الكتان والقطن ايضا حسبما اتفق له وكان له صلى الله عليه وسلم
حلة حمرا وبرد احمر يلبسه فى العيدين وعند قدوم الوفود عليه وكانت له صلى الله عليه وسلم
جبة رومية ضيقة الكمين وكان احب اللباس اليه القميص القصير الكمين وفوق الكعبين
مساوية لاطراف اصابعه وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه فى الثمانية فى صفة العمامة
وكان له صلى الله عليه وسلم قلنسوة وقسمته صلى الله عليه وسلم ما ذكر رويته فى البخارى
وهذا انما يكون قبل تحريم الحرير والذهب وكان يقسمه ليباع او يعطى ذلك للنسا والصغار
ويرفع لمن لم يحضر اى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة
التى رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة قال قال لى ابى يا مسور بلغنى انه صلى الله عليه وسلم جاءه
اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال ادعه لى فاعظمت ذلك فقال يا بنى
انه ليس بجبار فدعوته صلى الله عليه وسلم فخرج ومعه قبا من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة
خبات لك هذا فجعل صلى الله عليه وسلم يريه محاسنه ثم اعطاه له فنظر اليه وقد مضى وكان
فيه شدة واستيثارا ذا المباهاة اى اظهار الفخر باللباس والعجب به والتزين واصل معنى المباهاة
المفاخرة فنزل ذلك بمنزلتها فى الملابس جمع ملبس وهو اللباس بمعنى والتزين بها اى اظهار الزينة
بالملابس ليست من خصال الشرف والجلالة اى المغالاة فى ذلك واظهاره ليس مما يعد شرفا وانما
يقصد الاشراف وقال الفقها رحمهم الله تعالى لبس الثوب الجميل للتزين مباح فى الجمع والاعياد
ومجامع الناس وما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مسنون
بشرط ان لا ينوى به العظمة والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان
صلى الله عليه وسلم يفعله وقلت فى ذلك نصيحة لطيفة قالت بها الاكياس كل ما اشتهيت
والبس ما تشتهيه الناس وانما هى من صفات النسا اى المباهات والتزين انما يقصده النسا
ومن فى حكمهم كالاطفال واكثر ما رويناه ذلك فى محدثات النعمة ومن لا قدرة له والمحمود منها اى
المحمود منها عند الله وعند الناس من صفات الملابس نقاوة الثوب بفتح النون وضمها اى كونه
نقيا من الوسخ والنجاسة وهو مصدر ويهمز فيقال نقاه بمعنى نقاوة وفى البستان وهو مصدر ويهمز

فيقال النقاه بمعنى نقاوة وفى البستان يستحب للرجل الذى له مروة وعلم ان يكون ثيابه نقية من كبر واى
النبى صلى الله عليه وسلم رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيئا ينقى ثيابه وقال ايضا اما
على الرجل حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبى مهنته وفى المثل المروة الظاهرة فى الثياب الطاهرة وقال
البرهان النقاوة بضم النون الخيار والظاهر هنا فتحها وهى النظافة كما لم ما بوبه السخا والوسط
فى جنسه اى المحمود فى اللباس استعمال الوسط منه فلا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا وكونه
لبس مثله بضم اللام بمعنى اللائق اى كونه مما يلبسه امثاله من جنسه فينبغى
ان يوافق اقرانه فى لباسه فلا يخالفهم فيوقع الناس فى الفتنة ونهى النبى صلى الله عليه وسلم
عن الشهرتين فى اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال ابن مبارك الموصلى اكثر الناس
فى مدح الملابس وذمها واللازم ان يلبس كل احد على قدر حاله فلا يلبس الغنى ما هو دون
حاله ولا الفقير ما هو فوق حاله ولا يتزيى العالم بزى الجاهل ولا الجاهل بزى العالم وعنه
صلى الله عليه وسلم لا يشبه الزى بالزى حتى يشبه القلب فالى ما ذكرنا اشار بقوله غير
مسقط لمروة جنسه اى مما يعد مسقطا المروة امثاله مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين اى
غاية التعظيم وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور اوسطها والشهرة اسم من الاشتهار
وهو الظهور بين الناس لامتداد النظر لما يعهد قال النووى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب
الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وبهذا ورد الحديث فلبس المرقعات امر
مكروه شرعا وربما يكون حراما اذا قصد اظهار الزهد للطلب كما نراه اليوم وما نهى الشرع
عنه كالحرير خارج مما نحن فيه واما توسيع الاكمام كما يفعله الفقها فمخالف السنة كتكبير العمايم
وقد قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة قبيحة وسرف وتضييع للمال الا ان ابن عبد السلام والسبكى
قالا اذا كان ذلك شعارا للعلما يندب ليعرفوا فيسالوا ويطاعوا فاذا كان كذلك فى نفس
الامر لا يسقط المروة وقال السبكى انه استنبطه من الاية فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم
يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ومثله لباس الخضرة للاشراف
فاختار علما الشافعية انه سنة وليس من الشهرة المنهى عنها لاهله ولبس ثياب الفقرا مع
القدرة على غيرها ليروج حاله عند الظلمة ويجعله مكتسبا له منهى عنه وفى الحديث من لبس
ثوب شهرة فى الدنيا البسه الله ثوب مذلة يوم القيمة وقد ذم الشرع ذلك كما عرفته وذلك
اشارة الى المباهاة فى الملابس والتزين بها وغاية الفخر فيه عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة
الموجود ووفور الحال يعنى ان كثرة المال والملابس عند العقلا غير محمودة لانها مذمومة شرعا
غير مقصودة لذاتها واما العوام فيفتخرون بكثرتها وتعددها حتى راينا بعض الحمقا يلبس
فى المجلس الواحد الوانا من الثياب والغاية النهاية واصلها غيية بيائين اعلت اولاهما لتحصن
الثانية بتاء التانيث وكثرة الموجود المراد به ما عنده من المال ونحوه ووفور الحال المراد به
قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره فالوفور على ظاهره او بمعنى القوة وكذلك البنا هى
اى مثل التفاخر بما ذكر التفاخر بجودة المسكن اى حسنه بحسن بنائه وزخرفته وعلوه

والجودة بفتح الجيم وجوزضمها ابن رسلان وهو كذلك وسعة للمنزل لانه مما يتمدح اهل
الدنيا به وقد قالوا خير المنازل ما يسافر فيه الشطر وقد قالوا الدار المضيقة العمى الاصغر
ثم اتبع ذلك بما يتبعه فقال وتكثير الالات الات جمع الة والالة ما يصنع به الاعمال كالقدوم
للنجار والابرة للخياط والمراد به هنا لوازمه كالفراش واوانيه وخدمه جمع خادم وفعل
بفتحتين جمع سمع منه الفاظ معدودة ومركوبات كالخيول والبغال وغيرها واضافتها
للمنزل لادنى ملابسة او لانها فيه فمثل هذه الامور لا يفتخر بكثرتها الا ذوى العقول السخيفة
ومن له حرص على حطام الدنيا تنبيه لا يكره البنا للحاجة وان طال والاخبار الدالة على منع
ما زاد على سبعة اذرع وان فيه الوعيد الشديد محمولة على من فعل ذلك للخيلاء والتفاخر
على الناس ويكره الزيادة عليها لغير حاجة اى من حيث القدرة في معناه على ما هو الظاهر
ما لا تدعو الحاجة اليه من حيث الوصف كان يتخذ بيتا من نحو العنبر والعود والدرفان
قلت يشكل ذلك بان الظاهر انه لا كراهة في تناول نفس الاطعمة والملابس على ما تقدم
قلت يفرق بان المتلبس منهما قد ينفع البدن او يحتاج اليه لمصلحة بخلاف المسكن لان كل
ما زاد منه على ما يدفع به الحر والبرد لا تشتد الحاجة فيه للبدن وهو يخص كراهة ما زاد
على الحاجة بالبنا حتى لا يكره شيء ما زاد منه على الحاجة فيه نظر ولا يبعد عدم الفرق نظر
اللمعتنى به عليه شيخنا ابن قاسم رحمه الله تعالى ثم بين ان النبي صلى الله عليه وسلم حائزا
للفضيلة المالية ايضا وواصل منها ما لم يصل اليه غيره ولذا قالوا لا يجوز ان يقال في حق النبي
صلى الله عليه وسلم انه فقير فقال ومن ملك الارض بتمليك الله اياها له فلو اراد ملكها
من المشرق للمغرب يسره الله له في طرفة عين وقد خيره الله تعالى بين الملك والعبودية فاختار
العبودية كما مر وجبي اليه ما فيها اى جمع له ما فيها من الغنايم وخيرتها وصدقاتها مما فتح في زمانه
فترك ذلك اى المال المجبي زهدا وتنزها اى لاجل الزهد والتنزه عن قبوله والزهد هو الترك
لاجل الله فالزهد اخص من الترك وكلاهما مفعول لاجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد
الرغبة عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة عن الاخرة ولا يتحرر ممن لا مال له ولا جاه وقيل
لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا فبم
زهدت تجتهد على وهو من اعلى المقامات وفي الحديث ازهد في الدنيا يحبك الله ويقال زهد
فيه وعنه وقوله فهو حائز جواب او من خبرها وحائز بالحاء المهملة والزاي المعجمة اى جامع
ومحصل لفضيلة المالية اى من كان كذلك حاز فضيلة المال التي يفتخر بها اهل الدنيا وقادر
على التنعم والتلذذ بها الا انه لا يريد ذلك وما لك للفخر بهذه الخصلة المالية الا انه لا يفعله
كاهل الدنيا وقيل المراد خصلة الزهد والتنزه وهذا هو الذي يلتئم مع قوله ان كانت فضيلة
زايدا عليها في الفخر ان كانت فان بفتح الهمزة مفسر بمعنى اى كما قاله التلمساني رحمه الله وهو تحقيق
واثبات للفضيلة التي حازها من الزهد والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامة او ناقصة والتقدير
كانت تلك فضيلة زائدة على فضيلة المال ولكن الظاهر انه يقول زائدة وزايدا على هذا منصوب صفة

وقيل

247

وقيل ان صح نصبه فهو حال من فاعل حائز وقال بعض الشراح فيه دليل على عدم الجزم بكونها
فضيلة وفيه نظر اذ لا يتحقق الكرم بدونها قطعا وهذا مبني على ان ان شرطية مكسورة الهمزة
وهو مبين على ان المراد بالخصلة المالية لا الزهد وفي الشرح الجديد ما ذكر من نصب زايدا
على الحالية ان صحت روايته فانه في بعض النسخ مرفوع ومفرق الا انه مرفوع في جميع النسخ وعندي
ان نصب زايدا على انه حال من فاعل مالك لا حائز اى هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه
زائدا عليها في الفخر لعدم التفاته لها واكتراثه بها فهو في ملكها وفخره بهذه الفضيلة على
تقدير كونها فضيلة ليس مساويا للفخر من فخر بها فقد ملكها حالة كونه زايدا على سائر ملاكها
باعراضه عنها فزاد او صفة له صلى الله عليه وسلم والاولى انه صفة مصدر هو مفعول
مطلق لمالك اى مالك ملكا زايدا على هذه الفضيلة باعراضه عنها انتهى وهذا محصل ما في
جميع الشروح وقوله في الفخر متعلق بقوله زايدا واقول لا يخفى ان هذا كله كلام مظلم
لم ينور به كلامه وتحقيقه ان يقال هو مبتدا وخبره ومالك معطوف عليه وان مكسورة
شرطية وكانت ناقصة اسمها ضمير للفضيلة او للمالية وفضيلة منصوب بخبرها وقوله
زايدا خبر ثالث والخبر اذا تعدد يجوز عطف الجميع وترك عطفها وعطف بعضها دون بعض
كالصفات وترك العطف فيه لانه ليس من جنس ما قبله لان الفضيلة الدنيوية ليست
من جنس ما زاد عليها في الفخر والفضيلة لان الاول امر دنيوي ولا فخر باعتبار ذاته بل باعتبار
ما يترتب عليه اذا صرف في وجوه الخيرات من الثواب ونصرة الدين ولذلك اتى فيه بان
الشرطية لانه بكونه ذا وجهين اذ لا فضيلة له بحسب ذاته فيتوهم انه لا فضيلة له اصلا
فان نظر لما يترتب عليه فله فضيلة لكنها لكونها غير ذاتية كانها غير محققة اى هو زائد
على تلك الفضيلة المالية في فخره بالامور الدينوية لو اراد ما لزيادة ما يأتيه لو بقي على
ما عند غيره او لكونه مكسبه طيبا ومصرفه في محله وفيه من الفوائد ما لا يستر لغيره فحاصل
المعنى انه صلى الله عليه وسلم حاز من الغنى وفضل المال والفخر به وان لم يحبا به ما لم يحز
بعضه غيره ولذا قال بعض العرب كما سيأتي ان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف
الفقر وزاد غناه فوائد لا يتيسر لغيره ويجوز نصب زائدا على انه حال من ضميره صلى الله
عليه وسلم وما مر من انه لا يتحقق الكرم بدونه فكيف يخفى ومعروف بضم الميم وسكون العين
المهملة وكسر الراء المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والاول هو القياس من اعرق
الرجل والشجرة اذا اشتدت وامتدت عروقه والمعنى انه صلى الله عليه وسلم اصل في الكرم
والحسب قال محمد يا خير ضنو كريمة في قومها والفحل فحل معرق وقد يقال في اللوم تمكنا
وعرقا للثرى اذ هو قال امرؤ القيس الى عرق الثرى وشجت عروقي وهو مرفوع معطوف على قوله
زائد فان نصب يعني ان الناس تتمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم
جمع له ما جمع لاهل الدنيا وهو زايد عليهم في ذلك واصل في المدح بذلك لانها لا قيمة لها
عنده كما اشار اليه بقوله واضرابه عنها اى بسبب اعراضه عن الجهة المالية وزهده في قلتها

بالفا ومثناة تحتية ثم فوقية اى يزهد فيما هو فايت منها اى ذاهب كما يقال تعالى لا تاسوا على
ما فاتكم وفى بعض النسخ فانها بنون بعد الالف ونون لها بعوحة وذال معجمة اى اعطانها فى
مضانها من الضنة بالضاد المعجمة والنون اى يجود صلى الله عليه وسلم فى محال يحصر
فيها الناس كذا ضبطه وفسره التلمسانى وهو فى غاية الحسن والظهور وضبطه البرهان
الحلبى بلفظ المثالة وعليه الرواية فى اكثر النسخ جمع مظنة بالكسر وهى الموضع الذى
يظن كونها فيه فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم يبذلها فى محلها الذى يرجى فيه كمال البر
والصدقة فصل واما الخصال المكتسبة اى الصفات الحميدة التى ليست ضرورية
ولا طبيعة من الاخلاق الحميدة من هنا تبعيضية او بيانية والاداب الشريفة جمع ادب
وهو الافعال المستحسنة فى معاملة الناس ومخالطتهم التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل
صاحبها اى من قامت به واتصف بها بالخلق الواحد منها اى يمدح بكل واحد منها منفردا
فضلا عما فوقه اى عما زاد على الواحد منها وفضلا يفيد ان ما بعده اولى بالحكم مما قبله
كقولهم فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار ولابن هشام فيه رسالة مستقلة فى بيان
اعرابه ومعناه وهى مشهورة الا انهم قالوا انها تلزم الوقوع بعد نفى تصريح او ما ول
كقوله فلما يبقى على هذا التعلق صخرة صما فضلا عن زمق لان قل ورد بمعنى النفى لان القلة
اخت العدم ولا يختص هنا بكونها مكفوفة كما قاله ابن هشام والمصنف استعملها فى الاثبات
لان معنى الواحد الذى لا يتعدد فرد اشكال فى كلامه اثنى الشرع على جميعها وامر بها فيدل
الثنا عليها على حسنها والامر بها على انها مكتسبة والا لم يكن للامر بها فائدة وفيه دليل
على جواز تغير الطباع وتبدلها والطبع فى الانسان لا يتغير ما ول والاكثرى ووعد
السعادة الدائمة منصوب بنزع الخافض اى وعد بالسعادة او هو مضمن معنى اعطى
للمتخلق بها اى الذى اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله وليس المراد
المتكلف المتصنع باظهار ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل يا ايها المتحلى غير شيمته
ان التخلق ياتى دونه الخلق ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة كما ورد فى الحديث
السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة وورد
فى حديث اخر ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين
جزءا من النبوة وهذا هو الذى اشار اليه المصنف اى هذه الخصال من شمايل الانبيا
ومن فضايلهم عليهم الصلوة والسلام وليس معناه ان النبوة تتجزى وتكتسب بجميع
هذه الخصال لانها كرامة يخص الله بها من يشا من عباده وهى المسماة بحسن الخلق
قيل اطلق عليها خلقا لكونها ناشية عنه والاحسن الخلق ملكة للنفس باعثة على
الافعال الحسنة والشيم الشريفة وهنا اربعة امور صدور الفعل الحسن والقدرة
عليه ومعرفته والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس حسن الخلق عبارة
عن الاول لان ذلك قد يصدر عنه تكلفا او ريا ونحوه ولا عن الثانى لان تعلق القدرة

ابن الحنبلى

عرضى

بالشيخ

اندلسى

بالشيخ والمحسن على السوية ولا عن الثالث لذلك فتعين الرابع انتهى وقيل المصنف جعل
الخصال الحميدة حسن خلق وجعلها مكتسبة فانها كسبية فى اول امرها ثم تصير سجية طبيعة
وهو مبنى على الاصح من ان الاخلاق مكتسبة قابلة للتغير كما عليه المحققون والخلق هيئة
راسخة فى النفس يصدر عنها الافعال بسهولة تم اطال بما لا طائل تحته والثمرة تدل على الشجرة
فكن على بصيرة وهو اى حسن الخلق الاعتدال فى قوى النفس واوصافها قوى جمع قوة وليست الشدة
وضد الضعف كما توهم بل الامور المذكورة فى الخلق كما يسمى المتخيلة قوة ونحوها من سائر القوى
النفسية واعتدال القوى ان لا يخرج الى حد الافراط والتفريط فاعتدال قوة العقل يعبر عنه
بالفطنة والكياسة فانها لو مالت الى الافراط تسمى مكرا وخداعا وان مالت الى التفريط تسمى بلها
وحمقا وكذا اذا اعتدل قوة الغضب تسمى شجاعة فان افرطت فهى تهور وان مالت الى التفريط
تسمى جبنا فطرفا كل قوة مذموم والاعتدال هو الوسط المحمود وهو المعبر عنه بحسن الخلق كما
اشار اليه بقوله والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها منحرف بكسر الراء من اضافة
الصفة الى موصوفها اى اطرافها المنحرفة والمنحرف بمعنى المايل والمراد بالاطراف ما بيناه ويجوز
فتح رائه على انه مصدر ميمى بمعنى الانحراف والاولى فجميعها اى جميع الخصال الحميدة قد كانت
خلق نبينا صلى الله عليه وسلم انث ضمير جميع لاكتسابه التانيث من المضاف اليه على الانتهاء
فى كمالها حال من ضمير كانت اى مستقر وتلك الاخلاق الحميدة الحسنة على انتهاء الكمال بتشبيه
تمكنها واستقرارها بتمكن الراكب على مركوبه كما تقرر فى قوله على هدى من ربهم والاعتدال الى
غايتها معطوف على كمالها اى وصلت الى غاية الاعتدال والسداد حتى غاية للغاية اثنى الله
عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم اى مستقر ثابت على خلق يستعظمه كل واقف عليه
لحسن مداراته وتحمل اذى قومه وملاطفته لهم كما تضمنه قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين قالت عايشة رضى الله عنها كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه اى
كان صلى الله عليه وسلم متمسكا باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الاخلاق
ومحاسن الاداب لا يتعداها فيرضى بكل ما يرضى الله ويسخط بكل ما لا يرضاه كل ذلك لله لا لحظ
نفسه وقال السهروردى قدس الله روحه فى عوارف المعارف فى كلام الصديقة بنت الصديق
رضى الله عنها سر غامض وذلك ان النفوس البشرية مجبولة على طبايع وصفات شيطانية
وبهيمية وسبعية والى الاولى اشار بقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار
فى الفخار وخلق الجان من مارج من نار والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه كما ورد فى حديث
شق صدره فبقيت نفسه الزكية على حد النفوس البشرية مبقاة فيها امهات تلك الصفات
الا انها فى غيره ممتزجة بظلمة الطبايع لتفاوت حاله عن حالهم فنزلت الايات لقمعها تاديبا
من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ورحمة خاصة به وعامة للامة موزعة على الاوقات عند
ظهور الصفات كما قال كذلك لنثبت به فوادك ورتلناه ترتيلا فثبت فواده بها عند ظهور
بعض الصفات لارتباطه بنفسه فعند كل اضطراب تنزل اية لمصالح سنة كما وقع فى احد اذ شج

صلى الله عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل
عليه ليس لك من الامر شيء فلبس قلبه لباس الاصطبار وفا بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت
الايات على تلك الصفات بحسب الاوقات وصفت الاخلاق النبوية بالقران وفي ابقاء
امهات تلك الصفات تهذيب للامة وتاديب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال في كلامها رضي الله
عنها رمز وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان يقول كان متخلقا باخلاق الله وعبرت
بقولها كان خلقه القران استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال لوفور علمها
وكمال ادبها انتهى ولا يخفى ان خلقه في كلامها اسم كان والقران خبرها وما قيل من انه على العكس
لضبط النسخ الصحيحة ويجوز بحسب العربية عكسه لانهما معرفتان لا وجه له فان خلقه
صلى الله عليه وسلم معلوم والذي قصد اثباته انما هو بيان ما تخلق به وهذا مما اتفق عليه
النحاة واهل المعاني فالوجه هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة بتمامه
والسخط ضد الرضى وقد يقابل الرضى بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى الخلاف في رضى الله تعالى
بالكفر وعدمه كما فصلناه في حواشي البيضاوي وقوله وقال عليه الصلاة والسلام بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق حديث صحيح رواه احمد عن معاذ والبزار عن ابي هريرة رضي الله عنه
بهذا اللفظ ورواه مالك في الموطا وغيره بغير هذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة
قبله لا سيما في العرب فتممها صلى الله عليه وسلم بشريعته السمحة وزاد فيها ومنه اجتماعها
جملة وكاملة في شخص واحد هو النبي عليه الصلاة والسلام فلذا افرد الخلق ووصف بالعظيم
في الاية السابقة اشار اليه الحقي قدس سره في روح البيان ما لم يسبق اليه وجمع ما تفرق منها فيه
وفي امته فهذا على حقيقته وليس من قبيل قولهم ضيق فم الركية كما لا يخفى قال انس رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال
الحليمي وصف خلق النبي صلى الله عليه وسلم بانه عظيم في الاية والغالب وصفه بالحسن كما في هذا
الحديث لان حسن الخلق وكرمه واد به اللين والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان
رحيما رؤوفا بالمؤمنين غليظا على الكفار مهيبا في صدورهم فكان وصفه خلقه بالعظيم اولى ليشمل
الانعام والانتقام ولذا اردفه المص بحديث انس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسلم
عنه خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط وعن علي بن ابي طالب
مثله اي رواه عن علي كرم الله وجهه مثل ما قاله انس رضي الله عنه كما ذكره ابو عبيد في الغريب
وكان صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا اي مخلوقا مطبوعا عليها اي على مكارم
الاخلاق وفي اصل خلقته واول فطرته التي فطره الله عليها اي من غير تكلف ولا تعلم لم تحصل باكتساب
ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية بفتح الخا وضمها ربانية منسوبة للرب على خلاف القياس وكذا
اي مثل هذا من جميع مكارم الاخلاق فطرة ثبتت لساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي لبانهم
او لجميعهم انهم مجبولون على كرم الاخلاق وحسنها واما غيرهم فبعضها فيهم فطرة وجبلة وبعضها
مكتسب واما الخلاف في الاخلاق هل هي جبلة او كسبية فليس هذا محله كما ذكره بعضهم والحق

ان بعضها

ان بعضها جبلي وبعضها مكتسب والجبلي لا يقبل التغير والزوال كما سبق تفصيله وفي قوله فيما ذكره
المحققون اشعار بان خلافه فهم ذهبوا الى انها كسبية في الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيعلم
حال غيرهم بالطريق الاولى ولكذا اعترض عليه بانا لا نعلم خلافا في ذلك وخلط بعض الشراح ابن اقبرس
هنا فادخل نفس النبوة في كلامه وجعل هذا اشارة الى مذهب الحكماء في ان النبوة تحصل بالرياضة
والتصفية ولا حاجة لمثله من التكلف فان مراده الاشارة الى الخلاف في مطلق الاخلاق
والفضايل النفسية كما ذكر في كتب الاخلاق وهو اشهر من ان يذكر ومن طالع سيرهم منذ صباهم
الى مبعثهم حقق ذلك اي كونها خلقية جبلية وانما قيد بقوله الى مبعثهم لان بعد البعثة
ونزول الوحي لا يظهر كونه جبليا لتعليم الله تعالى له ذلك باخبار ملائكته عليهم الصلاة
والسلام فلا تقوم الحجة على من يقول انه جبلي اما قبله فامره ظاهر لا يشتبه كما عرف من حال
عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلاة والسلام قيل انما خص هؤلا بالتمثيل لما اشتمل ابن اقبرس
عليه موسى وسليمان من الشهامة ويحيى وعيسى من الانقطاع عن الخلق والسياحة ولذا
قدم عيسى على موسى وهو قبله ويحيى على سليمان او لذكره اخبار هؤلاء في الطفولية وهذا
الثاني هو الحق فان هؤلا وقع منهم امور في طفوليتهم وامور الطفولية جبلية من غير شبهة كما
اشار اليه بقوله بل غرزت فيهم الاخلاق بالجبلة واودعوا العلم بكتاب الله غرزت بالبنا
المجهول واصل معنى الغرز ادخال شيء في مكان الطبيعة ادخلت فيهم ومنه الغريزة وهي الطبيعة
وقال البرهان معنى غرزت خلقت والفطرة الخلقة وفاطر السموات بمعنى خالقها واودعوا
مجهول ايضا من الوديعة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وما ذكره من الترتيب في النسخ عند
ما يخالفه وسياتي من المصنف ما يبين ما قلناه قال تعالى واتيناه الحكم صبيا الحكم والحكمة
من الحكم وهو المنع ومنه الحكمة بفتحتين سمي به من الفساد وكل ما لا ينبغي واختلف في تفسيرها
هنا وقال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله يعني التوراة في حال صباه اشارة الى ان قوله
صبيا في الاية حال وهذا احد التفاسير فيها وقيل هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كل من قرا القران قبل ان يحتلم فقد اوتي الحكم صبيا وعلى تفسيره بالنبوة
فالمراد انه لظهور اثارها كانه اوتيها فهو مجاز بنا على ان الله لم ينبئ صبيا قط وكذا اول قول
عيسى عليه الصلاة والسلام وهو طفل اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقيل الحكم
العمل مع العلم وقال معمر بن راشد كان اي يحيى عليه الصلاة والسلام ابن سنتين او ثلاث
وفي بعض النسخ ابن معمر والصواب معمر بدون ابن وتقدم ان معمر بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة
ساكنة وراء مهملة وهو معمر بن راشد ابو عروة الازدي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وغيره
وروى عنه كثير واخرج له الائمة الستة وهو ثقة الا ان له اوهاما يحتمل في جنب سعة
علمه توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة باليمن وله ترجمة في الميزان وقوله ابن سنتين او ثلاث
قيل هنا غريب في الرواية والاصح انه كان ابن ثمان وقيل لا غرابة فيه فانه منقول عن قتادة
ومقاتل من طرق والغريب ما انفرد به رواية فكيف يكون غريبا فقال له الصبيان لم لا تلعب

فقال للعب خلقت قال السيوطي رواه الديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ولم يسنده والحاكم
في التاريخ عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا وسنده واه واخرجه احمد في الزهد وابن ابي حاتم
في تفسيره عن معمر قال بلغني فذكره والاستفهام انكاري في معنى النفي ولذا روى لم اخلق للعب
والمشهور انه لم يبعث الله تعالى نبيا طفلا بل روى انه لم يبعث نبيا قبل الاربعين فقيل هو المطرد
وهذا نادر لا يرد نقضا ومن الغريب ما قيل ان الله تعالى خلق عيسى عليه السلام بالغا عاقلا
وان كان في صورة طفل كما خلق عليه السلام حتى قيل انه الهم التوراة في بطن امه وروى
عن الحسن فلا حاجة لتاويل ما ورد فيه بالتاويل المشهور وقيل في قوله مصدقا بكلمة
من الله صدق يحيى بعيسى عليه السلام هذا بناء على ان المراد بالكلمة عيسى عليه السلام
لانه اوجد بدون اب فشابه مما ابدع من عالم الامر كما قاله البيضاوي ولكونه اوجد بكلمة
كن اولا اهتدا الناس به كما يهتدون بكلام الله كما سمي النبي صلى الله عليه وسلم ذكرا
رسولا كما قاله الراغب وقال الصدر القونوي في نفحاته لصورة كل شيء في عرصة العلم
الالهي الازلي مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق بنور الوجود الذاتي وذلك بحركة معقولة
معنوية يقتضيها شان من الشؤون الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى صورة ومعلومية
الشيء المراد بكينونته وبهذا الاعتبار سمي الله الموجودات كلمات وسمي عيسى كلمة
وقال اليه يصعد الكلم الطيب اي الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق وشهود
فافهم ولا حاجة لجعل من زائدة على هذا كما قيل وهو اي يحيى عليه الصلاة والسلام
ابن ثلاث سنين فليشهد له انه كلمة الله وروحه قد بينا معنى كونه كلمة الله وكان يحيى
وعيسى عليهما الصلاة والسلام ابناء خالة كما مر ويحيى اكبر سنا منه واطلاق روح الله
تعالى عليه اما لان جبريل عليه الصلاة والسلام المسمى بالروح نفخ في درع امه
فيكون من نفخته فاضافته الى الله اضافة تملك وتشريف او لانه خلقه من غير واسطة
بشر ولذا وقع النصارى فيما وقعوا فيه وعن كعب ان الله خلق ارواح بني ادم قبل اجسادهم
لما اخذ عليه الميثاق فامسك روح عيسى عليه الصلاة والسلام فلما اراد خلقه
ارسلها لمريم فلذا كان روحانيا وقيل الاضافة للتشريف كبيت الله كما علم وقيل معنى
روح الله نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفي صحيح البخاري مسندا عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وان عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله
الجنة وقيل صدقه يحيى عليه الصلاة والسلام وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول
لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له منصوب مفعول له اي سجوده له سجود
تحية وتعظيم لا سجود عبادة وكان السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا
الحديث رواه احمد وابن جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انه لم يرفع
للنبي صلى الله عليه وسلم ومثله لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد

بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضي ان حمل مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام
طالت مدته وفي تلك المدة اختلاف وقيل انها ولدته في ساعة نفخ الروح وقد نص الله
على كلام عيسى عليه الصلاة والسلام لامه عند ولادتها اياه تقول لها لا تحزني وهذا
احد من تكلم في المهد وفي عدتهم خلاف وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه لم يتكلم في المهد
الا ثلاثة عيسى بن مريم عليه السلام وصاحب جريج وغلام كان يرضع في حجر امه فمر عليه
راكب فقالت امه اللهم اجعل ابني مثله فقال اللهم لا تجعلني مثله وظاهره الحصر اذ لم يذكر
معهم الصبي المذكور في حديث الساحر الذي قال لامه اصبري فانك على الحق وهو في صحيح مسلم
واجيب بانه لم يكن في المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد التكلم ورد بان ابن قتيبة حكى انه ابن سبعة
اشهر فلعله صلى الله عليه وسلم انما اطلع اولا على ثلاثة ثم اطلعه الله بعد ذلك على غيرهم
لثبوته في صحيح مسلم كما يعلم وقالوا تكلم في المهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ذكره البغوي
والقاضي في التفسير وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد وهو عند حليمة السعدية
واول كلمة تكلم بها الله اكبر وحكي عن الواقدي وشاهد يوسف كما حكاه القرطبي وقيل انه كان
رجلا وابن ماشطة فرعون كما في مسند احمد وفيه زيادة لقوله ابن ماشطة ابنة فرعون وروى
الضحاك تكلم يحيى عليه الصلاة والسلام في المهد ايضا ومبارك اليمامة الذي كلمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما في الدلائل فهم احد عشر كما فصله البرهان الحلبي رحمه الله ونظم عليهم
القائل في قوله اذا رمت سرد الناطقين بمهدهم فمنهم رسول الله احمد ذو المجد خليل ويحيى ثم
عيسى وطفل من دعت لابنها فوزا الذي شانه مرد فقال الا لا تجعلني مثله ورد عليها قولها
افصح الرد كذاك الذي قد قال ان جريجا بري فلا ترموه بعد بما يردي ومنهم نجي كان
يدعى مباركا وقال رسول الله قد جاء بالرشد وماشطة كانت لفرعون تنتمي وكان لها
طفل تكلم في المهد كذا شاهد في شان يوسف منهم فدونك جمعا زايد الحسن في العد وقوله
بقوله الخ يعني انها لما حملت بلا زوج وكانت فرت وتحيا مع كمال بعيد خوفا من اهلها فلما وضعته
قال لها لا تحزني على قراءة من قرا من تحتها بفتح الميم على ان من موصولة بنصب الناظر وصلته وقد
اورد على المصنف امران الاول ان تخصيص دلالة الاية على ان المتكلم عيسى عليه الصلاة
والسلام في المهد بهذه القراءة لا وجه له فان القراءتين على حد سوا في احتمال ان يكون المنادي عيسى
او جبريل او بعض الملائكة وكيف ومعنى النظم على القراءتين واحد فان المعنى ناداها مناد من تحتها
قائلا لا تحزني فان قيل لو كان المنادي جبريل عليه الصلاة والسلام كان فوقها لا تحتها لاتيانه
من الافق قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انها كانت على اكمة هو تحتها واذا كان المنادي
عيسى عليه الصلاة والسلام قال الجعبري معنى كونه تحتها انه كان تحت ثيابها الثاني انه قيل ان كلام
المصنف لا اخلاق وانها جبلية وكلام من في المهد ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق العادة
كنطق الجوارح يوم القيمة وتسبيح الحصا ونطق الشجر وهو لم يدم فانه منقطع ويعود في زمنه
ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر والجواب ان ما ذكره بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل

وقد ذكر هنا بقوله انما انا رسول ربك كان الظاهر ان يقول فنادها كما في القراءة بمن الجارة فلما عرفه
بالاسم الظاهر وعدل اليه في محل الاضمار علم انه غيره وليس ثمه احد فعلم انه عيسى ومعنى كونه
من تحتها ان المراءة في حال الوضع ترتفع عن الارض على عال فيقع الولد تحتها فلا حاجة لما قاله
الجعبرى واما السؤال الثاني فساقط لانه وان كان خارقا للعادة يدل على ان ما ياتي بهذه من جنسه
امر جبلي وقراءة الكسر بمن الجارة والفتح بمن الموصولة كلاهما متواترة من السبعة وعلى قول زكريا
بكسر الدال عيسى عليه الصلوة والسلام لا الملك ونص على كلامه في مهده المهد كالمهاد بمعنى
الفراش الممهد للنوم ثم كما رخص ما يربط فيه الطفل لنومه وقراره فيه فقال اني عبد الله اتاني
الكتاب وجعلني نبيا فلما تكلم عليه الصلاة والسلام بذلك علموا براءة مريم ثم سكت حتى بلغ
مدة التكلم لامثاله وجعل اول تكلمه الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله
لان الولد لا يكون عبدا ولو ملكه عتق عليه والكتاب بالانجيل ويجوز ان يريد التوراة لعمله
صلى الله عليه وسلم بها او الاعم وتعبيره بالماضي باعتبار ما قدره الله تعالى له او جعله
بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه نبي في صغره حقيقة كما روي عن الحسن وقال الله تعالى ففهمناها
اي القصة الاتية سليمان عليه الصلاة والسلام وكلا اي من سليمن وابيه داود اتينا حكما
وعلما اشارة الى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام اذ اوتي الحكم صبيا وعمره اذ ذاك
احد عشر سنة في الغنم التي نفشت في الحرث اي رعته ليلا واو افسدته والنفس الرعي بالليل
بلا راع فان كان بالنهار فهو همل وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم الداخلين
عليه من باب اخر فخاصم رجلان لاحدهما حرث وهو زرع وقيل كرم والحرث يطلق عليهما
وللاخر غنم دخلت حرثه فافسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب الحرث وبدفع الحرث
لصاحب الغنم فداود عليه السلام راى على القول الاول ان الغنم تقاوم الغلة الفاسدة
وعلى الثاني راى انها تقاوم الحرث والغلة معا فلما خرجا على سليمان عليه السلام سالهما
عما حكم لهما به فرجع لابيه وقال اني رايت ما هو اوفق بالجميع وهو ان ياخذ صاحب الغنم
الحرث فيقوم عليه حتى يعود كما كان عليه وياخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها ودرها
فاذا عاد الحرث لحاله صرف ملك صاحبه له فقال اصبت وحكم بما قاله العلامة ابن
القيم في كتابه معالم التقويم حكم داود عليه السلام له بقيمة التلف فاعتبر الغنم فوجدها
بقدر القيمة فدفعها لصاحب الحرث اما لانه لم يكن له دراهم وتعذر بيعها ورضوا بدفعها
واخذها بدلا عن القيمة وسليمان عليه السلام فقضى بالضمان على اصحاب الغنم وان يضمنوا
ذلك بالمثل بان يعمروا البستان حتى يعود كما كان فلم يضيع عليهم شيئا من حين الاتلاف الى حين
العود فاعطى اصحاب البستان الماشية لياخذوا من نمائها بقدر نماء البستان فيستوفوا
من نماء الغنم بقدر ما فاتهم من غلة حرثهم وقد اعتبر النماءين فوجدهما سوا فهذا علم خصه الله به
واثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلماء في ضمان النفس وفي المثل وهو الحق وهو احد القولين
في مذهب احمد والشافعي ومالك والمشهور خلافه والقول الثاني موافقته في ضمان النفس دون

التضمين بالمثل وهو المشهور عن احمد ومالك والشافعي والثالث موافقته في التضمين بالمثل دون
النفس كما اذا رعاها صاحبه باختياره دون ما اذا انفلتت ماشيته ولم يشعر بها وهو قول
داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب الضمان بحال وما وجب من ضمان الرعي بغير
النفس فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل وهو مذهب ابي حنيفة وما حكم به سليمان عليه الصلاة
والسلام اقرب الى العدل والقياس وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الحوائط
حفظها بالنهار وما افسدت المواشي بالليل مضمانه على اهلها يصح بحكم ضمان النفش ويصح
بالنصوص السابقة والقياس الصحيح وجوب الضمان بالمثل وصح بنص الكتاب الثناء على سليمان
عليه الصلاة والسلام بتفهيم هذا الحكم فصح انه الصواب انتهى وقال البخاري اختلف
في حكمهما في هذه القضية هل كان بوحي فالثاني ناسخ للاول او باجتهاد وبناء على ان كل مجتهد
مصيب وكونه فيتا يرده ان نبيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام حكم مع انه ياباه قوله اذ
يحكمان وكنا لحكمهم قيل ويؤيد انه اجتهاد قول سليمان عليه الصلاة والسلام اني رايت ما هو
اوفق للجميع وهو مبني على جواز خطا الانبياء عليهم الصلاة والسلام في اجتهادهم وان لم
يقروا عليه وفي التلويح هنا كلام يلوح عليه اثر الضعف وعلى ان شريعة من قبلنا ليست
شريعة لنا مطلقا وقد ورد في الحديث ما يخالفه كما سمعته انفا وقول ابي السعود ان راي سليمان
استحسان وراي داود قياس قيل انه غير سديد لان الاستحسان اما دليل ينقدح في نفس المجتهد
والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يكون الا صوابا او هو العدول عن قياس اقوى
منه وحينئذ كل منهما قياس واجتهاد او هو العدول عن الدليل الى العادة لمصلحة ومثله
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام جائز ولا يخفى ما فيه وفي الكشاف ان حكم داود
عليه الصلاة والسلام لان الضرر وقع بسبب الغنم فسلمت بجنايتها الى المجني كما قاله
ابو حنيفة في العبد اذا جنى جناية عن نفس فسيده يدفعه او يفديه وعند الشافعي يبيعه
بذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت قدرا لنقصان في الحرث وسليمان عليه الصلاة
والسلام جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث
ما يزيل ضرره كما لو غصب عبدا فابق في يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا ظهر رد له
وفي هذا المقام كلام طويل لا حاجة لنا به فان اردته فارجع اليه وقد ذكر من حكم سليمان
عليه الصلاة والسلام وهو صبي يلعب في قضية المرجومة وفي قصة الصبو ما اقتدى به
ابوه كما اقتدى به في قصة الحرث وذلك كان في صباه واول امره فهذا واشباهه مما يدل
على انها امور جبلية غير كسبية وقصة المرجومة كما حكاه التلمساني ان امراة كانت بارعة
الجمال وهي من اهل الدين ولها حق فرفعت امرها لاحد قضاة بني اسرائيل فلما راها افتتن بها
وراودها عن نفسها فامتنعت ثم ذهبت لثان وثالث وراودها عن نفسها فاتت نبي الله داود
عليه الصلاة والسلام فحجبت عنه فاجمع الاربعة ان يقولوا لداود عليه الصلاة والكلام
ان لها كلبا تمكنه من نفسها ويزني بها ففعلوا فامر برجمها فوجبت فيهما داود عليه الصلاة

والسلام يوما فى عليته له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان وفيهم صبى جميل فجعلوا سليمان
قاضيا والصبى كمراءة ذات حق واربعة منهم قضاة وفعلوا مثل تلك القصة بعينها من المراودة
والتهمة وذلك براى من داود عليه الصلاة والسلام كما فى قصة المرجومة ففرقهم سليمان
وقال لاحدهم ما لونه فذكر لونا ودعى كلا بانفراده فذكر كل لونا مخالفا للاخر فامر الصبيان
فضربوهم فقال داود عليه الصلاة والسلام لعل القضية هكذا فبعث للقضاة وسالهم
عن لون الكلب على الانفراد فامر بهم فقتلوا وهكذا نقله غيره من الشراح عن ابن عباس مسندا
وكذا نقله السيوطى رحمه الله فى تخريج احاديث هذا الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان المراد
بالمرجومة التى اريد رجمها لان داود هم برجمها ثم لما راى صنيع سليمان درا عنها الحد فسماها المص
رحمه الله مرجومة باعتبار ما يؤول ولانه اريد رجمها يتبع فيه غيره فلا يخفى انه مخالف للظاهر فلا
وجه لكلامه ولا لمن تبعه فيه ثم انه قيل انه هنا يقتضى انه كان فى شرعهم ان المراة الممكنة
من نفسها حيوانا ترجم وان شاهد الزور يقتل وفى الشريعة المحمدية ان حكمها التعزير وقصة الصبى
هى ما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه قال بينما امراتان معهما ابنان لهما فاخذ ذيب
احدهما فتحاكما الى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان عليه السلام
فقال هاتوا سكينا لشقه بينهما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لها
لشفقتها عليه ورضى الاخرى بشقه ليتشاركا فى المصيبة قال التجانى وهذا مما لا شبهة فى صحته
واما الحديث الاول فالله اعلم بصحته وقد وردت الاسرائيليات على غير رواية ابن عساكر وان
داود لم يرجمها وانما امرهم برجمها فرواها على سليمان فوقفها واحضر الشهود وفرق بينهم
كما مر ورجع سليمان عن حكمه وعلى هذا ينبنى ما مر من ان المرجومة هنا مجاز عن من اريد رجمها
وفيه فوايد منها انه اذا يجوز بالفعل عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها ان ابا هريرة رضى الله
عنه قال والله ان سمعت بالسكين الا ذات اليوم ومنها ان داود عليه الصلاة والسلام
يحتمل انه قضى للكبرى اشبه بينهما وانه كان فى شريعته يجوز الالحاق بالشبه او لكونه فى يدها
والترجيح باليد شريعته له صلى الله عليه وسلم واما سليمان عليه الصلاة والسلام
فتوصل بلطفه لمعرفة باطن القضية فاوهمها ارادة شقه ليسوى بينهما ومثله يفعله
حذاق الحكام فيقصون باموره لو جرت لم يقض بها شيء ولعل الكبرى اقرت بانه ليس
ولدها فرده باقرارها لا بمجرد الشفقة فلذا نقض داود عليه السلام حكمه او انه ثم
انه يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد كما فى مزيل الخفا ومنها انه وقع فى مسلم ان المصغرى قالت
سليمان عليه السلام لا يرحمك الله جملة مستانفة دعائية لكنها موهمة للدعا عليه
وفى الاكمال ان السلف كرهوا مثله لما فيه من الايهام يريد ما روى عن ابى بكر الصديق
رضى الله عنه انه قال لمن قال له مثله لا تقل هذا وقل يرحمك الله لا وروى بعضهم
لا يرحمك الله اقول يعنى ان الواو تزاد لرفع الايهام كما تحذف له فى نحو قوله وتظن سلمى انني
ابغى بها بدلا اراها فى الضلال تهيم فانه لو قال واراها ربما ظن انه معطوف على ابغى وليس

مراده ذلك وسال الرشيد رجلا عن شيء فقال له لا وايد الله الخليفة فاستحسنه منه
فلما سمعه قال هذه الواو احسن من واوات الاصداغ فى خدود الملاح وهذه الواو اما زايدة
او اعتراضية او لعطف الانشا على الخبر وحكى الطبرى ان عمره كان خمسين وتولى الملك اثنى عشر
عاما وكذلك قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل فرعون لقب
لكل من ملك القبط كما مر وهنا هو مصعب بن الوليد ابن ريان كان من القبط العمالقة عمر اكثر
من اربعمائة سنة وسن موسى عليه الصلاة والسلام حين اذ اخذ بلحيته ابن عامين وكان فرعون
لعنه الله استعبد بنى اسرائيل واستخدمهم وضرب عليهم الجزية فراى فى منامه او اخبره الكهنة
ان زوال ملكه على يد غلام من بنى اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد منهم فراى اهل مملكته ان فى ذلك
ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المونة فعزموا على قتلهم عاما بعد عام قيل وهو بعيد لا حتمال
ان يولد عام استحيايهم واتفاق العقلاء على مثله غير ظاهر فلعلهم راوا عاما ولاية زوجا او فردا
وعينوه وولدها هارون فى عام الاستحيا وولد موسى فى العام الرابع من ولادته وكان
عام قتل فخافت امه فاوحى الله اليها ما ياتى على لسان ملك او رات ذلك فى منامها والقول
الاول اما لان من لا يكون نبيا قد يرى الملك وقد جوزه جماعة من السلف ولعله كان فى الزمن
السالف او ان امه كانت نبية والمشهور ان النبى لا يكون الا ذكرا قال التجانى وقد ذهب علماء قرطبة
الى صحة نبوة المراة وصححه ابن السيد ونسبه ابن الهمام الى بعض اهل الظاهر فاوحى الله الى امه
ان تتخذ تابوتا تضعه فيه وتقذفه فى النيل ففعلت وكان النيل يدخل منزل فرعون فبينما هو جالس
اذ دخل التابوت به عنده فاخذه آل فرعون ففتحه آسية امراة فرعون رضى الله عنها فلما رات
فيه موسى رحمته وسالت من فرعون ان تتخذه ابنا فاجابها كذلك فكانت تدخل به عليه فاخذه
وجعله يوما فى حجره فمد يده للحيته وجذبها جذبا شديدا فغضب فرعون وقال هذا عدو لى
وامر بذبحه فناشدته الله وقالت انه لا يعقل فقال بل يعقل فقالت جربه فجعل بين يديه تمرة
وجمرة وقيل درة وجمرة وقال ان اخذ التمرة او الدرة فهو يعقل والا عذر فلما مد يده للتمرة
ضربه جبريل عليه الصلاة والسلام فاخذ الجمرة فاحرقت لسانه ومنها كان فى لسانه
عليه الصلاة والسلام عقدة تمنعه من ابانة بعض الحروف وهى التى ازالها الله بدعائه
فعنده فلم يزل فى حجره الى ان كان ما كان من موسى وقصصه وسببه مذكور فى محله والطفل
يكون للواحد وغيره وقد يختص بالواحد فيجمع على اطفال وفائدته قيل كل مولود ذكرا انثى يزيد
كل سنة اصابع باصابع نفسه وكل احد طوله اربعة اذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه
والقوة تزيد الى الاربعين وتقف الى ستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هنا غير فرعون يوسف
وقيل هو وانه اسلم ثم ارتد وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب امهلت
فرعون مع كفره فقال انه كان سهل الحجاب فكافاته على ذلك فى الدنيا وقال تعالى ولقد آتينا
ابراهيم رشده من قبل اى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره هذا احد التفاسير فى العلم السابق
وقيل المراد قبل موسى وهارون والرشد الاهتدا لوجوه الصلاح ويقال رشد ورشد

وبهما قرى قال فى الكشاف معنى اضافة الرشد له عليه الصلاة والسلام انه رشد ثابت له ورد
بان هذا المعنى حاصل بدون الاضافة لو قيل اتينا ه رشدا له افاد ذكر مع التعظيم ولم يفهم مراده
انا اتيناه رشدا معلوما من حاله لا يقابه وباماثاله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لا كرشد
غيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابدا خلقه اى اتخاه رسولا خليلا فى علمه فانه لا يختص به
بل المراد انه حين اراد خلقه فى بطن امه بامر الملائكة ان يكتب اصطفاه وخلته تنويها به
وتعظيما لقدره بخلاف غيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه والظاهر ان المراد انه اصطفى روحه
فى عالم الذر قبل خلق جسده كما فى حديث كنت نبيا وادم الخ وفى نسخة قبل ابدا خلقه قيل لما
كان من قبل على هذا بمعنى قبل خلقه ولا معنى لهدايته قبل خلقه اوله باصطفاه اللازم له
لصحته اصطفا المعدوم وقال بعضهم لما ولد نبى الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الله
اليه ملكا يامره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك
رشد يعنى عبر بالماضى الدال على وقوعه قبل امره فيكون المعنى اتيناه رشده قبل امره فيدل ذلك
على الايمان واشتغاله بذكر ربه امر جبلى مجبول عليه اوامره فه به فى عالم الذر والارواح
فيكون بمعنى ما قاله ابن عطا او المراد انه عبر بالماضى لسرعة امتثاله حتى كانه وقع منه فمعنى
من قبل على هذا من قبل امره لا من قبل بلوغه كما قيل وقيل ان القا ابراهيم فى النار ومحنته التى
وقعت له مع النمرود فانه كما رواه ابو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ولد فى زمنه
وكان له كهنة فقالوا له يولد له فى كل هذه السنة مولود يفسد الهة الارض ويدعوهم الى
غير دينهم وهلاك اهل بيتك على يديه فعزل النسا على الرجال ودخل ازر الى بيته فوقع
على زوجته فحملت فقال الكهان ان الغلام قد حمل به الليلة فقال اقتلوا كل غلام ولد
فلما اخذ ام ابراهيم عليه الصلاة والسلام المخاض خرجت هاربة فوضعته فى نهر
يابس ولفته فى خرقة ووضعته فى حلفا واخبرت به اباه فاتاه فحفر له سردابا وسد
عليه بصخرة فكانت امه تختلف اليه فترضعه حتى شب وتكلم فقال لامه من ربى
فقالت انا فقال من ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى وقالت له اسكت فرجعت
الى زوجها فقالت له الغلام الذى تحدث به انه يغير دين اهل الارض ابنك فاتاه
فقال له مثل ذلك وقوله كانت وهو ابن ست عشر سنة كذا فى الكشاف وقال البجانى المعروف
انه كان ابن ست وعشرين سنة والذى اشار باحراقه رجل من اعراب العجم وهم الكرد
ولما هموا باحراقه حبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب الصلاب شهرا حتى كان من مرض
ينذر جمع الحطب له ثم اشعلوا نارا عظيمة اذا مرت بها الطير احترقت لشدتها ثم
وضعوه فى منجنيق مقيدا مغلولا ورموه فيها فناداها جبريل عليه الصلاة والسلام
يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلم يحترق غير وثاقه فقال له حين القى الك حاجة
فقال اما اليك فلا حسبى من سؤالى علمه بحالى وقيل نجاته بقوله حسبى من الله ونعم
الوكيل واشرف نمرود عليه من صرحه فاذا هو فى روضة معه جليس من الملائكة فقال

ابن الحنبلى

انى

انى مقرب الى الهك فقرب اربعة الاف بقرة وكف عنه وقصته مذكورة فى القرآن مجملة مفصلة
253 فى التفسير واعلم ان نمرود كما قاله السهيلى بضم النون وذال معجمة وقد تهمل انهى قيل لما ارادوا رميه
فى النار لم يقدروا على القرب منه فعلمهم ابليس لعنه الله صنعة المنجنيق فلما ارادوا رميه
لم يمنع الملائكة عليهم الصلاة والسلام فامرهم ابليس ان يحضروا النسا مكشوفة الفروج
فصعد الملائكة للسماء وان ابتلا اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة
وهذا بنا على ان الذبيح اسحق عليه الصلاة والسلام كما عليه اهل الكتاب وكثير من المفسرين
والمحدثين حتى صنف الجلال السيوطى فى تصحيحه رسالة مستقلة والمشهور وهو مذهب
الجمهور انه اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهو قول اكثر الصحابة كابن عباس وابن عمر
ومعاوية رضى الله عنهم وهو الظاهر فان سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
كانت لا ولد لها وهاجر جاريته فولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت مقامها معها فنقلها
اسمعيل عليه والسلام وكان بمتابهما فلما كبرت سارة وشاخ ابراهيم عليه السلام
بشرتها الملائكة باسحق فقالت االدوانا عجوز الاية فلما كان الذبيح اسحق عليه الصلاة
والسلام ناقض ذلك اخبار الله بانه سيولد له يعقوب ولا يصح انه امر بذبحه بعد ما ولد له
يعقوب للاجماع على انه فى صغره كما مر لقوله فلما بلغ معه السعى ولانه فى الصافات ذكر
تبشيره باسحق بعد قصة الذبح وبهذا احتج مالك وغيره وورد فى الحديث انا ابن الذبيحين
يريد عبد الله واسمعيل وفى تفسير الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما تزعم اليهود ان اسحق
هو الذبيح وكذبوا وقال لبعض من اسلم من احبارهم انهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون هذه
الفضيلة فيكم وقال الاصمعى سالت ابا عمرو عن الذبيح فقال اعزب عنك عقلك المر ان الموضع
الذى ضجع فيه الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحق مكة وقال ابن الجوزى هو الصواب والقول
بانه اسحق باطل باكثر من عشرين وجها واطال فيها ابن القيم فى الهدى وقال المحب الطبرى الاكثر
انه اسحق ورجحه هو وغيره والصحيح ما مر ويدل له حديث انا ابن الذبيحين وقصة ذبح ابيه
عبد الله مشهورة لان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا الى الله
تعالى فلما كملوا اتى بهم البيت وضرب عليهم القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو مشهور
والقول بان المراد بالذبيحين عبد الله وهابيل بناء على ان الذبيح اسحق كما نقله مغلطاى مع
غرابته لا يعلم له وجه لانه لم يتعين انه من ولد هابيل الا ان يجعل العم بمنزلة الاب ولا يخفى
ما فيه من التعسف وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر
شهرا ووجه الاستدلال ان الاجرام السماوية افلة وكل افل فهو متغير وكل متغير حادث
ولا شئ من الحادث بصانع فلا شئ من هذه الاجرام بصانع وتلك الاصنام كهذه الاجرام
فى التغير فلا شئ منها بصانع بل هى مصنوعة فيثبت لها ذلك بالطريق الاولى فالصانع المغير لها
موجود اذ لا بد للعالم من صانع فثبت المطلوب بدليل ولف من قضايا مستلزم لذاته قولا
اخر هو النتيجة او الدليل ما يدل بالقوة وان كان مفردا وهو المعرف بما يمكن التوصل بصحيح

النظر فيه الى العلم بمطلوب خبرى كالعلم المستدل به على وجود الصانع والاجرام المذكورة
وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اخفته امه فى غار خوفا عليه كما مر مكث فى الغار
عشرة اعوام او اربعة اعوام كما فى عيون المعانى او خمسة عشر شهرا كما حكاه المص فلما
عقل سال امه من ربى كما مر وفى رواية فقالت ابوك فقال من ربى فقالت الملك فعرف جهلها
ونظر ما يستدل به عليها فراى النجم فقال هذا ربى الى اخر ما قصه الله والاقوال بناء على انه
قبل بلوغه فى الغار وقيل انه بعد بلوغه فى الغار او بعد بلوغه وخروجه منه وقد بعث الله
نبيا وعمره اكثر مما ذكروه والذى يقتضيه ظاهر القران لانه حكى فيه انه قال لابيه اتتخذ اصناما
الخ ثم عقبه بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الخ ثم ربط به قوله فلما
جن عليه الليل الخ فدلت الفا على كونه بعد هذا كله وقوله حجتنا الخ يدل على مناظرته مع قومه
ليرشدهم للايمان بالصانع لا لنفسه وبينه قوله يا قوم انى برئ مما تشركون ولو كان فى الغار
نظر لنفسه قال انى برئ من الاشراك فاذا ثبت هذا وانه موجود جازم بعدم ربية الكوكب
فقوله هذا ربى ما انه اتى فى المناظرة بما قالوه ليكر عليه بالابطال لانه مسلم عنده او قوله
هذا ربى على تقدير الاستفهام والاستفهام انكارى او هو على تقدير اى يقولون هذا ربى والتقدير
فى الكلام قالوا هو البحر حدث عنه ولا حرج وهو فى القران كثير او انه عرف طباعهم عن قبول
الحق لو صرح به ابتدا فاتى بما يستدرجهم الى استماع حججهم ان اسمعهم ما يوهم موافقتهم
فاذا اصاخوا له اورد الدليل المبطل لما يعتقدونه بما هو اتم وانفع وهذا قريب من الاول وان فرق
بينهما بما فى هذا من الايهام وعدم اظهار الانكار وسياتى فى القسم الثالث ما يتعلق بهذا
وقول المص استدلاله وهو ابن خمسة عشر شهرا ان كان قصد به دفع ما قيل ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام موحدون لا يصدر منهم شك فى الله ووحدانيته فكيف صدر هذا
من الخليل عليه الصلاة والسلام بانه صدر منه قبل سن التميز وهو غير مكلف فليس بكفر
ولا جهل بالله فغير مناسب فانه يجب ان يعتقد انهم اعرف الناس وانهم مجبولون على فطرة سليمة
موحدون فالاولى ما قدمناه من التاويل وقد تقدم ان الاصح انه صدر منه صلى الله عليه
وسلم بعد بلوغه بل وبعثه وان سياق الاية ناطق به كما قررناه اولا وهو ظاهر ارتضاه القرطبى
فى تفسيره وقيل انه قاله فى طفوليته من غير اعتقاد ولا قصد كذب والقول بانه بعد البعثة
فاسد وقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قصة اخرى لانه قصد النظر
لنفسه والفا ليست لتعقيب كلامه هذا على ما قاله لابيه وانما هو من قبيل المعاريض تعريضا
بجهل عبدة الاصنام وتضليل قومه والقول بانه على تقدير مضاف اى هذا مخلوق ربى لا يخفى
بعده وقيل اوحى الله الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو صبى هذا الوحى يحتمل ان يكون
برسول من الملائكة ارسله الله اليه وهو طفل ان لم يقل انه لم يبعث نبى الا بعد الاربعين وهو
وان اشتهر فقد روى المحدثون والمفسرون ما يخالفه ويحتمل انه بالالهام او رؤيا منام وقد ذهب
الى كل من هذه الاقوال طايفة وفى الكشاف ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان اذ ذاك

عريضه

مدركا

مدركا وعمره سبع عشرة سنة وهو مخالف لما قاله المص رحمه الله تعالى من انه كان صبيا عند مامر
اخوتك بكسر الهمزة وضمها جمع اخ بالقائه فى الجب بضم الجيم وتشديد البا وهو البئر غير مطوية
بالحجارة وسميت بالجب من الجب وهو القطع والجب ببيت المقدس وقيل بالاردن على ثلاثة
فراسخ من منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام وقصة القائه بالجب مشهورة غنية عن البيان
وسياتى ذكر اخوتهم وقصتهم بقوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب واوحينا
اليه لتنبئنهم اى لتخبرن يا يوسف اخوتك بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهذه جملة حالية اما متعلقة
بقوله اوحينا او بقوله لتنبئنهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المص رحمه الله تعالى وقيل بل كان
ابن اثنى عشر سنة او ثمانية عشر فعلى الاول هو ممن نبى واوحى الله فى صباه كيحيى وعيسى فالوحى
فى الاية على ظاهره كما ذهب اليه المص رحمه الله تعالى وقوله هم هو معنى قوله تعالى واجمعوا
امرهم لان معنى اجمع عزم وهم كانه جعل رايه جميعا بعد ما تفرق وهو يقتضى ان الوحى وقع له
حين هموا بالقائه وفى الاية ما يقتضى انه وقع بعد القائه قال القاضى انهم اتوا بيوسف عليه
الصلاة والسلام الى البير ودلوه فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه
بالدم حيلة منهم فقال ردوا قميصى اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا يلبسوك ويونسوك
فلما بلغ نصفها القوه وفيها ما فاوى الى صخرة بها وقام عليها يبكى فجاءه جبريل عليه الصلاة
والسلام بالوحى كما قال الله تعالى انتهى وهذا يقتضى ان الوحى بعد الالقاء تطييبا لقلبه وهم
يظنون انه معذب مذلل وهم لا يشعرون ان الله اراحه بما بشره به من نصره فالحال من ضمير اوحينا
والاولى جعله حالا من قوله لتنبئنهم اى لتحدثنهم بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد
العهد وتغير حالك فهو اشارة لما وقع لهم لما اتوا ممتارين ليعلم ان المحنة تنقلب محنة الاية
اى اذكر الاية التى ذكر فيها صنعا ما لها الى غير ذلك من اخبارهم اى اخبار الانبيا عليهم الصلاة
والسلام الدالة على انهم مجبولون على الكمال من ابتداء امرهم فى صغرهم وقد حكى اهل السير مما يدل
على ذلك ان امنة بنت وهب ام النبى صلى الله عليه وسلم اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولد حين ولد اى خرج من بطنها حين اراد الله اخراجه منها فلا لغوية فيه وقال حين ظرف متعلق
بباسطا الاتى وهو حال من الضمير المستكن فى ولد الاول والظرف موكد لدفع ان الحال مقدرة
باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء رواه ابن الجوزى فى الوفا عن ابى الحسن بن سعيد
مرسلا قالت امنة ولدته صلى الله عليه وسلم جاثيا على ركبتيه ينظر الى السماء ثم قبض قبضة
من الارض واهوى ساجدا وولد وقد قطعت سرته وكنت وضعت عليه انا فوجدته قد تعلق الانا
عنه وهو يمص ابهامه يشخب لبنا انتهى وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم لما وقع
الى الارض مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وله نظاير ذكرها ابن حجر فى كتاب
المولد قيل ولا منافاة بين قبض اصابعه فى هذا الحديث وبين ما فى سيرة ابن اسحق من انه ولد
واضعا يديه فى الارض رافعا بصره وانه كان مسبحا اقول اما التسبيح فلا دلالة عليه فى الحديث
واما عدم منافاته لما فى سيرة ابن اسحق ومسلم لكنه منافى لما ذكره المص رحمه الله الا بتاويل

بعيد ويؤيده قول الاَبي صبري في قوله رافعا طرفه وفي ذلك الوقع الى كل سود دايماء وقال في حديث صلى الله عليه وسلم لما نشأت اى صرت شابا وهذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلائل عن شداد بن اوس بغضت لها الاوثان بالبنا المجهول اى بغضها الله لي وهي جمع وثن وهو حجارة كانت تعبد من اوثنة اذا اجزلت عطيته واوثنت كذا اكثرت منه قاله الراغب وقيل الوثن ما له جثة ما يعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من سوى بينهما وقد يطلق على الصليب وكل ما يشغل عن الله وبغض الى الشعر اى استماعه والتلفظ به ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد وكونه صلى الله عليه وسلم بغض اليه الشعر لا ينافي قوله ان من الشعر لحكمة لان فيهما يحمد كالحكم والمواعظ ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وهجا الكفار كما قال تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقد استمعه صلى الله عليه وسلم واجاز قايله وقال مرة لقائله لا يفضض الله فاك لان الامر المذموم قد يحمد لعارض وتقال تعريفا الشعر للعهد وقوله اهم بفتح الهمزة وضم الها كما قاله البرهان الحلبي وفسره بمعنى لم اردوا قصد وهذا اشارة الى حديث صحيح رواه البزار مسندا عن علي كرم الله وجهه ولفظه ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدها بشيء حتى اكرمني الله تعالى برسالته ورواه في المستدرك بلفظ اخر قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة ترعى غنما ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الصبيان فجيت ادنى دار من دور مكة فسمعت غنا وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هنا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغنا وذلك الصوت غلبتني عيني فما ايقظني الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى كذلك والله ما هممت بغيرها مما تفعله الجاهلية وروى ان الله تعالى القى عليه القوم النوم بيان في المرتين صيانة له وليس في هذا ارتكابه لمحرم لانه كان قبل تحريم السماع ولان ضرب الدف في العرس غير ممنوع واما النهي عن سمر الليل فليس نهي تحريم مطلقا وكان مباحا اذ ذاك مع انه شرعا قد يكون افضل من النوم كمذاكرة العلم وانما يحرم او يكره لعارض كما ذكره الفقها وقوله فعصمني الله اى حفظني من ذلك لما غلب عليه من النوم حتى لم يسمع وما وقع في بعض الشروح ان كلامه اشارة الى انه كان لقريش صنم يسمى ... وانه يجتمع عنده في كل عام فقالوا انك لا تجتمع مع قومك ولا تكثر لهم جمعا فذهب ثم عاد مرعوبا لرؤيته رجل طويل حال بينه وبينها فغير مناسب هنا مع ان في روايته كلاما للسهيلي ليس هنا محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة في زمن الفترة كما تقدم ثم تمكن الامر لهم وترادف نفحات الله عليهم الضمير للانبيا عليهم الصلاة والسلام والظاهر انه معطوف على غرزت من قوله سابقا بل غرزت فيهم الاخلاق الى اخره وعطفه بثم لبعد بينه او زمانه باعتبار الابتدا او الانتها وتمكن بمعنى يقر ويثبت لا بمعنى يزداد لانه تفعل من المكان والمراد بالامر ما اودع فيهم من الكمال والعلوم وترادف تفاعل من الردف وهو الركوب خلف غيره والمراد انها

تتوالى فياتي بعضها عقب بعض ونفحات بفتحتين جمع نفحة بالسكون وهي في الاصل رايحة تاتي مع هبته من النسيم طيبة وهي هنا بمعنى الهبة والعطية قال لما اينك ارجو فضل نايلكم نفحتني نفحة طابت لها العرب والمراد هنا امداد الله لهم بوحي وغيره واطلاق النفحة على ما يصيب من الشر مجاز تهكم كقوله ولين مستهم نفحة من عذاب ربك وفي الحديث ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها وتشرق انوار المعارف في قلوبهم تشرق بمعنى تضيء يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية حتى يصلوا الغاية اى غاية الكمال في التخلق باخلاق الله ويبلغوا باصطفا الله تعالى لهم اى بجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم بالنبوة متعلق بيبلغوا او باصطفا في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية التي لا يصل اليها غيرهم والغاية والنهاية واحد لكنه تفنن في العبارة دون ممارسته اى من غير تكرار عمل ومزاولة له ولا رياضة اى تمرين على العمل باعتباره من رضت الدابة اروضها اذا عودتها السير والجري قال الله تعالى ولما بلغ اشده اى موسى عليه الصلوة والسلام بلغ نهاية قوته وتمام عقله وهو من ثلاثين الى اربعين او ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين وهو مفرد وجمع لا واحد له او واحده اشد بالفتح او الكسر وقيل خمسا وعشرين لما روى عن عمر رضي الله عنه انه قال ينتهي لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين قيل هذا لا ينافي ما مر لما ذكره الفقها من ان رشد البالغ ببلوغ هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر رضي الله عنه واستوى ذكر الاستوى في قصته موسى عليه الصلاة والسلام ولم يذكره في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام قال التلمساني لان الاستواء كمال العقل ووقت الرسالة وموسى عليه الصلاة والسلام ارسل في ذلك الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ ونقل ابن مرزوق عن ابن عرفة انه قال قال ابن جماعة من استوفى خمسين سنة فقد بلغ انتها الكهولة وهو مجتمع الاشد ومن بلغ اربعين فقد بلغ حد الاستوا ومنتهى الكمال اتيناه حكما اى نبوة وعلما بالدين وسياسة الامة وكذلك نجزي المحسنين علق وقوع الجزاء بالاحسان للتنبيه على انه انما جازاهم لكونهم محسنين اى مخلصين مراقبين لله في افعالهم وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الاية لانه تعالى اخبر فيها بكمالهم وترادف نفحات الله عليهم حتى ارتفعوا الى اقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة وقد نجد غيرهم اى غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام بطبع اى يخلق مجبولا على بعض هذه الاخلاق الشريفة دون جميعها وفي نسخة دون بعضها ويولد عليها موجودة فيه اساسا صلاة وهذا كالتفسير لما قبله فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل منصوب بنزع الخافض اى بعناية الله ولطفه ادخله على اصولها كما يشاهد من خلقه بكسر الخا المعجمة وسكون اللام وقاف وها تانيث او بفتحها مصدرا فالمضمر لله والاول اولى وعليه اقتصر ابن رسلان بعض الصبيان على حسن السمت السمت الطريق وهيئة اهل الخير يقال ما احسن سمته اى هديه وسيرته وقد ورد في الحديث بهذا المعنى او الشهامة او خلقه على الشهامة بفتح الشين المعجمة والها والميم اى حدة الفوايد والذكا والجلادة والنفاذ في الامور يقال رجل شهم اذا كان سيدا نجيبا

ابن الحنبلي

نشيطا فى اكتساب المعانى وعدم الالتفات للملاحات والخصومة وفى الحديث من لاحى الرجال
سقطت مروته وذهبت كرامته وما زال جبريل ينهانى عن ملاحاة الرجال كما ينهانى عن عبادة
الاوثان او وصدق اللسان او السماحة كان الظاهر عطفها بالواو ولكنه لما اتى بها ان البعض
راى ان او الفاصلة انسب وكما يجد بعضهم على ضدها اى ضد المذكورة كالكذب والبخل وغير
بعلى لانه متمكن منها تمكن الراكب من مركوبه كما فى قوله تعالى على هدى من ربهم فبالاكتساب يجعل
ناقصها فان قلت لم عبر هنا بالكمال وقبله بالتمام وهل هو تفنن فى التعبير او بينهما فرق
قلت قال العينى بينهما فرقا الا انه لم يفصح عنه وقال ابن ابى الاصبع فى كتاب التوكيد الفرق بينهما
ان التمام الاتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام فاذا قلت رجل تام الخلق
يفهم منه السامع عربيا كان او غيره الا انه تام الخلق ليس فى اعضائه نقص فاذا قلت انه
كامل فهم وصفه بمعنى زائد على التمام كالحسن والفضيلة الذاتية او العرضية وهذا هو
المتداول بينهم فالكمال تمام وزيادة فهو اخص منه وقد يطلق كل منهما على الاخر تجوزا وعليه
قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى انتهى وما ذكر المص تمشى على الاخر حيث
جعل ما فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام تماما وما فى حق غيرهم كمالا ولو عكس كان احسن
وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها بالجيم والبنا للمجهول اى مكتسب وتحصل لمن لم
يطبع على شئ منها وطبع على ضدها وان لم يكن الطبع كالتطبع وهذا قسم اخر غير ما تقدم فان
الاول وهو مرتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يطبع على جميعها والثانى ان يطبع
على بعضها ويكتسب البعض وهذا ان يطبع على عدمها ولكونه ناقصا لم يتعرض له اولا
فسقط ما قيل ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قرر انه يطبع على بعض هذه ابن قرمس
وبالاكتساب يكون كالا الى كال البعض الخلقى الا انه بعينه استجلاب المعدوم بالنسبة
لذلك البعض ويعتدل منحرفها المراد بمنحرفها المايل عن الاعتدال المحمود لانه هو الطريق
لمن فرط او افرط فقد مال عنه وهذا بنا على القول الاصح لان الطباع يمكن تغييرها والانتقا
المواعظ والنصايح وكان الانسان دون البهايم التى برياضتها قد تعلم ما ليس فى طباعها
وقد قال تعالى وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا وقال الشاعر تكرم لتعتاد الجميل فلن
ترى اخا كرم الا بان يتكرما كما فصل فى علم الاخلاق وباختلاف هذين الحالين الجبلى والكسبى
يتفاوت الناس فيها اى فى الصفات الحميدة قلة وكثرة وقوة وضعفا وكل ميسر لما خلق له
هذا من الامثال النبوية وجوامع الكلم وهو بعض من حديث صحيح واوله اعملوا فكل ميسر
لما خلق له فمن خلق سعيدا يعمل عمل اهل السعادة ومن شقيا يعمل عمل اهل الشقاوة ولذا كان
التوفيق خلق قدرة الطاعة والخذلان خلق قدرة المعصية وقال تعالى فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
ولهذا التفاوت فيها ما قد اختلف السلف فيها ما فى اكثر النسخ وهى موصول اسمى او حرفى
او زائدة ولذا سقطت من بعض النسخ وهو الاظهر والمراد بالسلف من تقدم من العلماء اهل

هذا

هذا الخلق الحسن الذى يحمد به الناس جبلة او مكتسبة والغريزة والطبيعة والسليقة بمعنى
وهى بكسر الجيم والبا وتشديد اللام وتخفيفها فحكى الامام المفسر محمد بن جرير الطبرى عن بعض
السلف ان الخلق الحسن الذى يجمع اكثر الطبايع المحمودة جبلة وغريزة خلقها الله فى العبد
وتعبيره بالعبد ايما الى ان المطلوب منه تخلقه باخلاق الله سيده وحكاه عن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه والحسن البصرى وبه قال هو اى ابن جرير وصرح به لانه لا يلزم من حكايته اعتقاده له
والصواب بما اصلناه اى قدمناه وجعلناه اصلا وقاعدة فيما مر من منها ما هو جبلة غير
مكتسبة ومنها ما هو مكتسب بالتعليم والرياضة وقد تقدم الكلام عليه وقد روى سعد
اى ابن ابى وقاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم كل الخلال بكسر الخا المعجمة بوزن
رجال جمع خلة بفتح الخا المعجمة وتشديد اللام وهى الخصلة والصفة يطبع عليها المؤمن
الا الخيانة والكذب وهو حديث صحيح رواه احمد فى مسنده والبيهقى فى شعب الايمان وابن ابى
شيبة فى المص عن ابى امامة رضى الله عنه ورواه ابن ابى الدنيا فى الصمت عن سعد مرفوعا وموقوفا
وقال الدارقطنى فى العلل الموقوف اشبه وعنه صلى الله عليه وسلم كما رواه الذهبى يطبع المؤمن
على كل شئ الا الخيانة والكذب والخيانة ضد الامانة وهى تشمل امورا كالسرقة وانكار الوديعة
وخيانة غيره بالنظر لزوجته ونحو ذلك والكذب معروف يعنى ان هذين لا يكون طبيعة مخلوقة
فى المؤمن مطلقا لان المؤمن جبلة وفطرة سليمة وهاتين الخصلتين فى غاية القبح فلا يجتمع
اتصافه بهما وان كانت هذه الخصلة لا تقتضى كفره او المراد المؤمن الكامل وقال لعمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال السيوطى رواه سعيد بن منصور فى سننه وابن جرير وابن ابى حاتم فى حديثه
والجراة بوزن الجرعة وقد تنقل حركة الهمزة للرا وتحذف وهى الشجاعة او اعم منها ومقابله ما اشار
اليه بقوله والجبن بضم الجيم والبا وتخفيف النون وتسكن باؤه كثيرا وهو عدم الاقدام للخوف
وضد الشجاعة واما الجبن الماكول بتثقيل البا والنون وقد تخفف فيكون كهذا ولذا تملح القايل
يقولون لى هلا اجترات لدى الوغى وكنت شديد الباس فى الضرب والطعن فقلت دعونى فاننى
بسلامتى فانى مما ياكل الخبز بالجبن غرايز يضعهما الله حيث يشا وفى هذا وما قبله دليل لما
صوبه فانه فيما قبله جعل الخيانة غير مطبوعة وفى حديث عمر رضى الله عنه جعل الخيانة والجراة
غريزتين مطبوعتين فدلا على ما ادعاه من ان منها ما هو طبيعى ومنها ما هو غير طبيعى وهذه الاخلاق
المحمودة والخصال الشريفة كثيرة لا يمكن استيفاء اقسامها تفصيلا ولكنا نذكر اصولها التى
تضمن باقيها اجمالا ونشير الى جميعها اشارة لا تصريحا وتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم
بها ان شا الله تعالى فان المقصود من ذكرها فصل ما اصل فروعها هذا الفصل معقود لبيان
اصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا لتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها وغير
فروعها للاخلاق المذكورة قبله وعنصر هو بضم الصاد وفتحها والاول اشهر والثانى افصح
ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها التراب والما والهوا والنار لتركب جميع
الاجساد منها والينابيع فى قوله ينابيعها جمع ينبوع وهو ما ينبع الما منه كالعين وكل ما يتفجر منه

الماو نقطة دايرتها والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط مسطحه فاذا كان السطح
مستديرا يكون في حاق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذي
يحيط بالسطح متساوية فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دايرة وكذا الخط
المحيط به ويصح اراده كل منهما هنا فشبه العقل الذي بني الاخلاق عليه بشجرة اصلها العقل
وفروعها الاخلاق ونورها وثمراتها ما يظهر منها وينتفع به غيره ثم شبهه بعين تلك الاخلاق
كالمياه الفايض منها ثم شبهه بنقطة في الوسط المعتدل لتساوي جميع جوانبها والاخلاق كسطح
او خط محيط بها فقال فالعقل وهو مشتق ماخوذ من عقله اذا شده فمنعه من الحركة لانه
يمنع صاحبه مما لا يليق ومن العقل وهو الملجا لالتجا صاحبه اليه وهو كما افاده الراغب
يقال للقوى المتهيه لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال علي كرم الله وجهه
العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس
وضوء العين ممتنع وفي الحديث ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده
عن ردى وقال بعض الحكما هو جوهر وقال اخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب والاصح
انه قوة نفسيه هي منشوء الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال
كما قيل لان اهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله الذي ينبعث منه اي ينشا ويخرج وهذا ناظر
لكونه ينبوعا وقوله العلم والمعرفة العلم يكون بمعنى مطلق الادراك وبمعنى ادراك الكليات
والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها ما سبق بالجهل وقال البيضاوي انها تكون بمعنى العلم كما ان
العلم يكون بمعنى المعرفة كما في قوله تعالى واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اي الله يعرفهم
والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشي معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق
على الله لاقتضائه سبق الجهل وتبع فيه السيد في شرح المواقف في قوله علم الله لا يسمى معرفة
لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطاه فيه الحافظ العراقي رحمه الله عليه تعالى في نكته على ابن
فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله ورد في الحديث وكلام الصحابة واهل
اللغة والمتكلمين انتهى فاي اجماع يخالف هذا ومثله عجيب من الشريف وتتفرع اي ينبني ويفهم
ناظر لكونه اصلا وعن هنا عداه بعن لتضمين تتفرع معنى تنشو والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة
للاصل الذي هو العقل ثقوب الراي اي نفاذ رايه فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الامور ومنه كوكب
ثاقب اي مضي فقوله وجودة الفطنة وهي الحذق وسرعة الانتقال والاصابة اي موافقة الصواب
فيه تفسير لثقوب الراي وصدق الظن اي موافقته للواقع كاليقين كما قال الالمعي الذي
يظن بك الظن كان قد راى وان سمعا والنظر للعواقب اي كانه ينظر عواقب الامور ويشاهدها
كما قال واني لارجو الله حتى كانما ارى بجميل الظن ما الله صانع ومصالح النفس مجرور معطوف
على العواقب او مرفوع معطوف على ثقوب الراي اي ما فيه صلاح وخير لها ومجاهدة الشهوة اي
مدافعتها وممانعتها عما تريده فانه جهاد اكبر واعدى عدو لنفسك التي بين جنبيك وحسن السياسة
لغيره بامره من ساسه اذا حكم عليه وهو لفظ عربي لقوله وكنا نسوس الناس والامر امرنا وليس

ولجي

معربا

257

معربا كما توهمه ابن كمال في رسالة التعريب والتدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها وهو عطف
تفسير لما قبله ايضا واقتناء الفضايل اي اكتسابها والتحلي بها وتجنب الرذايل اي ترك كل ما يذم
وينقص به الانسان كالكذب والخيانة وقد اشرنا اي ذكرنا فيما تقدم فيما اوردناه في صفاته والاشارة
وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد يراد بها العبارة ايضا لنكتة الى مكانه منه عليه الصلوة
والسلام الضمير الاول له صلى الله عليه وسلم والثاني للعقل والمكان المرتبة المعنوية في الفضايل
يقولون فلان بمكان من الفضايل يريدون علو رتبته فيه وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انحيازه له
وما لكه لامره على طريقة التجريد مبالغة في تمكنه منه ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع له وبلوغه
منه ومن العلم الغاية التي لا يبلغها بشر سواه كما سنبينه واذ جلالة محله من ذلك قيل الظرف متعلق
بقوله حارت العقول التي في اخر الفصل اي حارت العقول وقت حلوله الى اخره واذ تعليلية
اي حارت العقول لاجل الى اخره وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته اي من اجل
ان جلالة محله الخ واذ تعليلية كما في قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقيل المعنى من اجل
ان جلالة محله متحقق يجب اعتقاده ذلك ويجوز ان يكون ذلك لمجرد التحقيق ولا يخفى ما في هذا
كله من التكلف والذي ظهر لي انه معطوف على ما قبله لانه يعلم من اشارته الى مكانه منه لم
يبلغه غيره علوا ظاهرا فيه مكانه قال اذ علو قدره فيه محسوس مشاهد واذ جلالة محله امر
متحقق بالدليل القاطع فاستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو في القران
وكلام العرب متداول قال ناظر الجيش في شرح التسهيل في قوله اجدك لن ترى بثعيلبات ولا بيدان
ناجية ذمولا ولا متدارك والليل طفل ببعض نواشع الوادي حمولا متدارك بالجر لان المعنى لست
براء ولا متدارك وجعله ابو حيان من العطف على التوهم كقوله مشايم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا ببين غرابها والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وفيه
كلام بيناه في نكت المغني وقوله من ذلك اشارة للاصل ولو سلمنا صحة تعلقه بقوله حارت كان
معطوفا على ما قبله ولا وجه له وما يتفرع منه من الاخلاق الشريفة وثمراتها تحقق لا ريب
فيه لتواتره بحسب المعنى عند من تتبع اي علم فعبر بالسبب عن مسببه كما قالوا في تتبع خواص
التراكيب مجاري احواله جمع مجرى بالضم واصله مسيل الما والمراد ما جرت به عادته في احواله
ولا يخفى لطفه مع ملاحظة قوله اولا ينابيعها فانه جار على مجراها ومجرد اليها واطراد سيره
الاطراد افتعال من الطرد وهو الجري خلف شي من صيد او غيره ومنه مطاردة الفرسان
في الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تختص بالغزوات
وقيل المراد محال اطرادها ليوافق قوله مجاري احواله اي محال جريانها والاطراد مصدر
اطرد الشي تبع بعضه بعضا وجرى والانهار تطرد اي تجري ومنه الاطراد البديعي لسرد اسما
الممدوح وابانة مرتبته والمعنى جريه في جداول الكتب منتجمه فهو استعارة وجه الشبه
فيها الكثرة ولا يخفى ما فيه من البعد وطالع جوامع كلامه اي جمع جامع والمراد الكتب الجامعة
للحديث الشريف او كلماته الجامعة للحكم التي تحير فيها عقول البلغا والحكما وحسن شمايله

ابن الحنبلي

بالجر معطوف على كلامه وهي جمع شمال بمعنى الخلق والصفة قال فما الموت من اخر من شمائليا انى
من خلقي وعادتي وبدايع سيره اى سيره البديعة وينبغي ان يراد بها كتب السير حتى لا يكون مكررا
مع ما مر وحكم حديثه بكسر الحا وفتح الكاف وهي القول المصيب غرض الحق والحديث معروف
وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة بالتشديد والتخفيف على الانبيا عليهم الصلاة
والسلام كالزبر والصحف اى على علمه بذلك والتورية اجل الكتب المنزلة قبل القران واصلها
وورية ابدلت الواو تاء ووزنها تفعله بفتح العين وكسرها وقيل وزنها فوعلة والانجيل بالكسر
وقد تفتح من النجل وهذا امر تقديري لتجري عليه احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لا يجري
في غير كلام العرب وحكم الحكما جمع حكمة اى ما لهم من الحكم في كلامهم فانهم كان لهم اعتنا بذلك
وقد امر ان جمعها ابن مسكويه في كتاب كبير سماه جاودان خرد وقد طالعته فرايت اكثره ورد
في الاحاديث الشريفة ولكن اين الثريا من الثرى فان روثق الالفاظ النبوية لا يمكن مضاهاته
وسير الامم الخالية اى ما وقع في زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بني
اسرائيل وما كان من عجايبهم وايامها اى وقايعها في حروبها ومجادلاتها فان الايام شاعت
بهذا المعنى كما يقال يوم حليمة ويوم بغاث وهو اطلاق شايع صار حقيقة فيه ومما قلته
مشيرا لهذا تمنيت من دهري زماني مساتي زمان به طيف السرور كاحلامي فجا بايام على اثر
ما مضى لكن ولكن حروف قد نسمت بايام وضرب الامثال الامثال جمع مثل وهو كلام
شبه مضربه بمورده الذي وقع فيه اولا مستعار من ضرب الخاتم او اللبن كما حققه اهل المعاني
وتفسيره هو ما يعنى به البلغا لكشف المعنى الممثل له وابرازه في صورة المشاهد الى غير ذلك
والامثال النبوية افردت بالتاليف وسياسات الانام السياسة ضبط امور العامة
باللسان والسنان وتدبير احوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمساني والانام الخلق
وقيل الانام عبارة عما يعتريه النوم او الانس والجن او ما على وجه الارض من الخلق فيختلف
بحسب ما يضاف اليه وتقرير الشرايع اى بيان ما يتعلق باحكام الشرع في المعاملات وغيرها
وتاصيل الاداب النفسية اى بيان اصول الاداب التي تتادب بها الناس في مجالسهم ومجالسهم
ومحاوراتهم كقوله صلى الله عليه وسلم اكرموا عزيز كل قوم ونهيه عن الملاحاة والمجادلة كالمـ
وقوله تهادوا وتحابوا وسماها نفسية لانها مما يتنافس فيها المتنافسون والشيم الحميدة جمع شيمة
وهي العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف اى عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة مضموما
ماذكر الى فنون العلم التي كانت في الامم السالفة كالطب وغيره لما لم ينه الشرع عنه التي تفخر
اهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها فتوق اتقدوا بها فيها واستدلوا بها عليها واشارا
في اثناء كلامه بها حجة دليلا عليها كالعبارة بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها
كما قاله البرهان الحلبي وذكره الازهري والجوهري الا انه لم يضبطه والذي في النسخ كسر العين
بمعنى تفسير الرويا وهو على قسمين فالرويا الصحيحة لانها على ثلاثة اقسام رويا حلمية من الشيطان
ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فراى نارا او توقدا عنده او البرودة فراى ثلجا

الو اكل ما كل غليظة سوداوية كالباذنجان فراى سواه او يسمى اضغاث احلام ولا تاويل لها وكنا
من غلب فكره في شيء فراه كما قال المعري الى الله اشكو انني كل ليلة اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامي
فان كان شرا فهو لا بد واقع وان كان خيرا فهو اضغاث احلام ورويا من الله يريها له ملك
الرويا عند اهل الشرع او تدركها الروح اذا انقطعت عنها علايق البدن واتصلت بالملا الاعلى
فتلقيها الى القوة المتخيلة له فترتسم في الحافظة وتبقى شاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس
قدسية والقوى قوية وقع ما راه بعينه ولم يحتج للتاويل وهو الاكثر في رويا الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ومن كان على نهجهم ولذا اراد الخليل عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه ولم يأول روياه
بالفدا حتى امره الله تعالى به والا فتاول بما يناسبه معنى او لفظا او محاكية صورة وفعلها عبر
بالتخفيف يعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وظلامة او عبارة كرسالة وقد تشدد فيقال
عبر تعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر
وقد عبرت على بيت انشده المبرد في الكامل يدل عليه وهو رايت رويا ثم عبرتها
وكنت للاحلام عبارا انتهى هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس ابن الحنبلي
وغيره وقال في عدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبوره الهوا من لسان المتكلم
لسمع السامع ولا يستعمل في تفسير الرويا انتهى يعني انها فيه مفتوحة لا غير فتوهم بعض الشراح
انها بكسر العين لا غير وانه انكر هنا اللفظ مطلقا وانما سمع فسا ما اجابه ثم جامن بعده فضاره
مضاربه العيان فقال انه كلام ضعيف مردود ولم يقف على المراد ولم يات بما يدفع الايراد
فاخطا في المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرويا فليس هنا محله ولعل النوبة تفضي اليه في بحث
النبوة وقد افرد ناله تعليقه والطب وهو مثلث الطا الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر
والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوايل وللعرب فيه
اعتنا وقد افرد الطب النبوي بالتاليف والحساب بكسر الحا مصدر حسب بمعنى عد ثم صار
علما لعلم يعرف به احوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة والفرايض ذكره بعد
الحساب لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة
لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق هذا اللفظ عليه بعد نزول القران
ومعناه ظاهر والنسب اى معرفة انساب الناس من ادم عليه الصلاة والسلام الى كل
عصر وهو من علم التاريخ وكانت العرب تعتني به واعلم الناس به بعد النبي عليه الصلاة
والسلام الصديق رضي الله عنه ومن نسبت الرجل اذا عزوته لابيه ومناسبته للفرايض
ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لاسيما الفرايض والانساب فان النبي صلى الله
عليه وسلم امر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من خرج من نسبه وانتمى
لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين كما نقله التلمساني وغيره ذلك مما ستنبيه
معجزاته صلى الله عليه وسلم في ابوابه ان شاء الله تعالى وقد حصل له صلى الله عليه وسلم
ذلك دون تعليم من احد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق ولا مدارسة من درس

الكتاب اذا قراه وحفظه اى لم يعرف ياخذه من الافواه وحفظه الشى فى العلوم عن غيره
ولا مطالعة كتب يقال طالعت الشى اذا اطلعت عليه اى لم يطلع على شى من الكتب بقراتها
او سماعها لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا بين قوم اميين لم يره احد قرا ولا تعلم ممن
قرا واستعمال المطالعة بمعنى القراة وهو مجاز مشهور قريب من معناه اللغوى من تقدم
ككتب الانبيا عليهم الصلاة والسلام او الحكما ولا الجلوس الى علمائهم اى لم يعرف
احد انه جلس عند احد ممن يعلم كتب من تقدم لياخذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى
فكل ذلك الذى حصل له صلى الله عليه وسلم انما هو علم لدنى غير مكتسب من احد من البشر
واما قوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ففيه الرد على قولهم المذكور بانه كذب
محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم فى ذلك كما هو مبسوط فى التفسير
بل هو عليه الصلاة والسلام نبى امى لم يعرف بشى من ذلك التعلم والمدارسة والمطالعة
والمجالسة اى منبى عن الله او منبيا لا عن مخلوق والامى منسوب الى الام لانه كيوم ولدته
امه او الى ام القرى او امة العرب لان القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم والامى الذى
لا يكتب ولا يقرا الكتب وقيل هو الذى لا يكتب وبما شرحناه علمت مناسبة ذكر
النبى هنا وفى الحديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اى على جبلتنا لا نتعلم حسابا
ولا كتابة فلا ينافى ما مر من علمه صلى الله عليه وسلم بالحساب حتى شرح الله صدره
اى وسعه ونوره بالعلم والحكمة وهداه لكل خفى من العلوم وابان امره اى اظهر امره
فى العلم للناس باياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامته الحجج المتالقة وعلمه من لدنه
العلوم المعهودة وغيرها واقراه اى قدره على القراة بما القاه اى بما اوحاه اليه
بواسطة الملك والاسناد مجازى او التجوز فى الظرف كقوله سنقرئك فلا تنسى فعلم
بالنبا المجهول ذلك اى ما بلغه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم بالمطالعة
اى بالاطلاع على سيره عليه الصلاة والسلام وشمايله من كتب الحديث والبحث
عن حاله وفى نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديته بعن وهو بمعنى التفتيش عنه
بالسوال وغيره ضرورة منصوب بنزع خافض متعلق بيعلم اى من وقف على احواله صلى الله
عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل وبالبرهان
القاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا اى ويعلم ذلك ايضا بالبراهين القاطعة
الدالة على نبوته لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال
من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله تقليب البصر للادراك ثم استعمل فى التامل
والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا اى من نظر فى دلائل نبوته
صلى الله عليه وسلم علم فوق عقله او انه احاط بعلوم لا نهاية لها فلا تطول بسرد الا
قاصيص لسرد تعداد امور من القصص ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد
خلق الدرع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة او جمع

قصص

259

ابن الحنبلى

قصص على خلاف القياس كما قاله التلمسانى يقال قص بمعنى اخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل
ان يكون جمع اقصاص جمع قصص كانعام واناعيم فى جمع جمع نعم الا انهم لم يذكروا استعمال اقصاص
فانه لم يسمع وفيه تكلف لا يخفى واحاد القضايا احاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفردها وفى العباب
سيل ابو العباس عن الاحاد اهل هو جمع للاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها
جمع الواحد فهو محتمل كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسه انتهى والقضايا
جمع قضية وهى الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهى قريبة من قول اهل الميزان
القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهى اخص من الكلام والجملة ووزنها فعالى عند الكوفيين
وفعايل عند البصريين اذ مجموعها اى جميع قصصه وقضاياه ما لا ياخذه حصر اى ضبط اصل
معنى الاخذ حوز الشى وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم
كما مر وهنا هو المراد هنا وجعل مجازا او كناية عن انه لا يمكن حصره وكذا قوله ولا يحيط به حفظ
جامع اى لا يحفظ والاحاطة الاخذ بجوز ادا الشى واريد به ما ذكره بحسب عقله قال البرهان
هو فى الاصل بسكون السين وينبغى ان يفتح اى بقدر عقله وادراكه وقد جوز فيه السكون لكنه
ضرورة والذى فى القاموس هذا بحسب ذا اى بعدده وقد تسكن ولم يخصه بالضرورة كانت
معارفه صلى الله عليه وسلم جمع معرفة اى علومه الى ساير ما علمه الله واطلعه عليه من علم
ما يكون وما كان اى مضمومة الى جميع او باقى ما اطلعه الله عليه مما تقدم فى الكون من احوال
الامم الخالية وكتبهم وشرايعهم ومما اطلعه الله عليه من المغيبات التى ستاتى ولما كان تحصيله
قدره بواسطة علمه بما يكون اقوى منها بواسطة علمه بما كان قدم ما يكون فى المستقبل على ما كان
فى الماضى مع سبقه اهتماما بشانه ومقتضى الترتيب العكس وعجايب قدرته وعظيم ملكوته مجرور
معطوف على علم والمراد ما اطلعه الله عليه فى الاسرا من خلق الملايكة والسموات وافراده على
ذلك فى برهة من الزمن وقدم والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والجبروت ويطلق ويراد به
عالم الامر ويقابله الملك قال الله تعالى وما يضرونك من شى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اى علمك ما لم يكن من شانك وفى قدرتك
علمه والاطلاع على احوال الملكوت ولذا امتن عليه صلى الله عليه وسلم بانه فضل عظيم
فضله به على مخلوقاته تعالى لانه كقولهم ما يكون لك ان تفعل كذا اى لا ينبغى ولا يليق ولا يصح
ولا يمكن ولذا ختم الاية بهذه المنة دون قوله فى الاية الاخرى علم الانسان ما لم يعلم الا انه
بقى السوال حينئذ على الاية الثانية بانه اى فائدة فى ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم انه
لا يكون الا لغير المعلوم وقال فى عروس الافراح بعد ما ذكر ان لم النافية يجوز فيها اتصال النفى
وانفصاله وانهما اجتمعا فى قوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وفائدة ذكر المفعول
فى قوله وعلمك ما لم تكن تعلم كان الانسان لا يعلم الا ما لا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التى
اتفقوا عليها فانه اوضح فى الامتنان انتهى وفى حاشية اليسرامى على المطول ان الشارح قال فى بعض
دروسه الاولى ان يقول ما لم يكن يعلم كما فى قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم اذ لا فائدة فى ذكر

المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم ولم يكن فيه اشعار بانه لو لم يعلمه لم يحصل العلم لخفائه
على غير علام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير تعليمه تعالى ورد بانه كقوله تعالى
علم الانسان ما لم يعلم الاية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لانه لئلا يتوهم اختصاصه
ببعض الافراد كقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه للتاكيد فذكره لكن قوله
من البيان يأباه ويحتمل انه ذكر للتشجيع انتهى اقول هذا كله كلام سطحي والذي ظهر لي في الاية
ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له
صلى الله عليه وسلم اقرا فقال ما انا بقارئ سواء اريد النفي او الاستفهام قال له كيف لا تقرا
ولك رب اكرم تفضل على عباده بنعم اجلها ان كل انسان كان اميا مثلك في ابتداء امره فعلمه الكتابة
وقراءتها الهاما فكيف لا يعلمك وانت اعزهم عليه واقواهم بصيرة فاي فائدة اتم من هذه وكل
فعل متعد يدل على فاعل ومفعول ما التزاما ولذا لم يفد ضرب ضارب وضرب المضروب فان اريد
عموما وخصوص افاده وهنا علم انه لو قال ما لم تكن تعلم اوعقبه بما عقب به تلك الاية لم يفد
نحوه وما قيل من انه لم يذكر الكون في هذه الاية وذكره ثمه لانه ورد في مقام خال عن اعتبار النفي
والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون المؤذن بها بخلاف ذلك ويؤيده قول الكرماني في قوله تعالى
وما كان الله ليضيع ايمانكم ان كان ذكرت للتاكيد لان معناه كما في الكشاف ما صح ويعني به نفي
امكان الاضاعة وهو ابلغ من نفي الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر في انه اردف قوله وعلمك
ما لم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يردف هذه به لما في الاول من المبالغة والتاكيد
انتهى قد علمت ما فيه مما تقدم وقوله حارت العقول في تقدير فضله عليه المذكور في هذه الاية
لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ونكره وما يكون عنده تعالى عظيما كيف يعلمه
سواه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك الفضل وما لا يدرك كيف يوصف وفي قوله
خرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضي سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال وتنهي
اليه اي كيف يحيط بما لم يصل اليه فضل واما الحلم اي حلمه صلى الله عليه وسلم وهو ضبط
النفس والطبع من هيجان الغضب وعدم اظهاره والاحتمال هو افتعال من الحمل وهو يكون
على الظهر وفي البطن ففرق بينهما لفظا ثم استعمل في التكليف كقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به
وللصبر على المكاره وعدم التاثر منها كما في المثل لا يحمل الخبث وهو المراد هنا والعفو عدم المؤاخذة
بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق تقدم مع القدرة وفي نسخة القدرة بفتح الدال
وضمها وميم مفتوحة مصدر ميمي بمعنى القدرة ومن كلامهم المقدرة تذهب الحفيظة اي الغضب
والحمية والصبر على ما يكره وكان صلى الله عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك وبين هذه الالقاب
اي بين مسميات هذه الالقاب فرق يتميز بها عن غيره واحتاجت الى الفرق لتقارب معانيها والمراد
بالنعت اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح عليه النحاة وهو كما قال الراغب اسم
يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام فان الحلم حالة توقر بفتح المثناة
الفوقية وضم القاف المشددة اي اظهار الوقار وهو السكون يقال هو وقور ووقار ومتوقر

ابن الحنبلي

ساكن

ساكن غير مضطرب وثبات عند الاسباب المحركات كالغضب قيل ولا بد من اعتبار كون هذا
لسهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتياد يصير كذلك والاحتمال حبس النفس عند ورود
ما يعتريها من الالام بعد الهمزة جمع الم وهو ما يولم في اي عضو كان والموذيات بالهمزة والواو
والذال المعجمة جمع موذية والاذى كل ما يتاذى به والمراد بحبس النفس ضبطها حتى تخضع
لسلطان العقل وتطمئن لما يامرها به وفي نسخة المرديات كما قاله التلمساني المرديات بالراء
والدال المهملتين من الردى بمعنى الهلاك ومثلها قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل
الاحتمال وضميره باعتبار انه حال ولو قال ومثله كان احسن واسلم من التكلف والصبر فان معناه
لغة الحبس ومنه قتله صبرا اذا امسكه لقتله في غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمال لان
معانيها متقاربة قال الراغب الصبر الامساك في ضيق وحبس النفس عما يقتضيه العقل او الشرع
او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بسبب اختلاف مواقعه
فان كان حبس النفس لمصيبته سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده
الجبن وان كان في نائبة تضجر سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده
الذل انتهى ومنه تعلم ان له معنيان خاص وعام فلو حمله المص على الخاص غاير اخويه وهو الاولى
واما العفو فهو ترك المؤاخذة بالهمزة وبالواو غير فصيحة وهي الجزاء على ما فعل غيره قيل وفي تقييده
بالترك اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة لان من لا يقدر عادم لا تارك فتقييده به اولا للتاكيد
كنظر بعينه كقوله وان في الحلم ذلا انت عارفه والحلم عن قدرة فضل من الكرم لانه ان لم
يكن عن مقدرته فهو عجز وما احسن قول ابن زيدون ارى الدهر ان يبطش فخذ يمينه وان تبسم
الدنيا فانت لها ثغر عطا ولا من وحكم ولا هوى وحلم ولا عجز وعز ولا كبر وهذا كله
مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم اي اداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
وارشده بعد ما خلق فيه استعدادا تاما لها كما قال ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو احد الحكم في كونه
صلى الله عليه وسلم ترب يتيما حتى يعلم ان به مربيه من غير حاجة لامه وابيه فقال خذ العفو وامر
بالعرف الاية وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق اي تعاطى
العفو عن الناس وترك مواخذتهم وفي عدوله عن اعف الاظهر الاحصر نكتة يعرفها من له المام
بالادب كما ان في قوله وامر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركون في جبلته ومن تامل
مثله استخرج منها فوايد لا تحصى ومنهم من فسر العفو بالمساهلة وترك المؤاخذة والبحث عن مذام
الاخلاق فامره باخذ ما سهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض
عليه بانه غير مناسب لقوله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية وهذا
الحديث كما قاله السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ في تفاسيرهم وابن ابي الدنيا في
مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضي الله عنه وعن الشيخ قاسم للبخاري
عن عبد الله بن الزبير في قوله خذ العفو الخ انه قال ما انزل الله هذه الاية الا في اخلاق الناس
وله في رواية اخرى تعليقا عن عبد الله قال امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو

ابن الحنبلي

من اقوال الناس او من اخلاق الناس واما قوله واعرض عن الجاهلين اى عن معايبهم ولا تمارهم
فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ باية السيف وان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم
مقابلة من سفه فليست منسوخة قيل ويعين هذا ما رواه البخاري من ان عيينة بنت حصن
استاذن له الحر بن قيس بن عمر رضى الله عنه فى الدخول فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب
اما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضى الله عنه فقال له الحر يا امير المؤمنين
ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو الاية وان هذا الجاهلين فما جاوزها
عمر رضى الله عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة وليس كما قال
فانه يجوز ان يكون استشهد بها لشمولها غير الكفار لا ان هذا هو معناها فقط سال
النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام عن تاويلها اى تفسيرها
وبيان المراد منها فانه احد معنى التاويل فقال له حتى اسال العالم يعني الله عز وجل والعالم
يعني الله عز وجل والعالم كالعليم من اسماء الله تعالى ويوصف بهما غيره تعالى اما الاول
فظاهر واما الثاني فى حق الله فظاهر فى غيره فكقوله فان تسالوني بالنساء فانني عليم
بادواء النساء طبيب والثاني فى حق الله اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل فى العلم كما فى قوله
ذلك الكتاب فيختص به فانه مساو بهذا المعنى للعليم واما العلم فاطلاقه على غير الله
لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردي وهو من المتاخرين لا يستدل به وهذا الحديث يكفي
شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف فى ثبوته اقول هذا عجيب من مثله وفيه من الخلط
ما لا يخفى واما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردي فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض
العرب وهو مذكور فى الشواهد واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور فى القران
كقوله عالم الغيب والشهادة فمما يقضى منه العجب واما قوله جبريل عليه الصلاة والسلام
حتى اسال العالم دون اسال الله فكانه ادب منه لايهام انه لا يسال الله بالذات فكان بينه
وبينه واسطة اى من هو عالم بالتفسير وفيه ارشاد لمن سئل عن شيء لا سيما القران
فينبغي ان يتثبت فيه وفى جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح
وجبرئيل مفتوحا بهمزة بلا الف وياء وجبرئل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات
اخر وقال الجوهري والازهري وكثير من المفسرين فى جبريل وميكائيل ان جبر وميك معناهما
عبد وايل والاسم الله وقال ابو على الفارسي هذا خطا لان ايل لم يذكر احد انه من اسماء الله تعالى
ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم اخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال السندي
وهو الصواب ولا يخفى ما فيه فان ايل اذا كان اسم الله فهو سرياني فلا يا باه وعدم معرفة العرب
واما اعرابه فلانه لما عرب غير ما كان عليه وجعل اسما واحدا ولذا ارجعوه لاوزانهم والعرف
هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعي كما توهم فاتاه الفا فصيحة اى انفصل عنه وفارقه ثم
اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى
القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام

بعضهم

ابن قيس

ونحو ذلك

ونحو ذلك وضده وقطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهى عنه كما فى قوله
وتعطى من حرمك يقال حرمه واحرمه بمعنى اى احسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله
عليه وسلم ولامته وان كان لا يرجو غير الله واحسانه وتعفو عمن ظلمك هذا معنى قوله خذ
العفو وما قبله يعني وامر بالعرف ولم يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره او للاشارة
الى انه فى معرض النسخ او لان المراد بالجاهلين من قطع وظلم وهذا اشارة الى اصول الاخلاق
واعظمها واجمعها الى الله تعالى فتدبر وقال له واصبر على ما اصابك الاية وهذه الاية من وصية
لقمان لابنه اذ قال له يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله فى كتابه الكريم
وكل ما قصه الله من قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو ارشاد لنبينا صلى الله عليه
وسلم ولامته فكانه بما امر به ابتدا فلا يتوهم انهم ليست فى حقه اى اذا امرت بمعروف ونهيت عن
منكر واصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل قال العز بن
عبد السلام اولو العزم اولو الجد والجهد والصبر وهم المامورون بالجهاد او الرسل من العرب
وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من اصابه بلاء بغير ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون فى الانعام فى قوله
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الا يونس لقصة الحوت انتهى ولا ينبغي عد محمد صلى الله
عليه وسلم هنا لقوله كما صبر وهم كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم فقال مجاهد هم
خمسة وهم اصحاب الشرائع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولو عزم وقيل كل
الانبياء عليهم الصلاة والسلام اولو العزم الا يونس لعجلته والفاء فى قوله فاصبر فصيحة
لان قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكر فاصبر وقد صبر
صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن فى من الرسل بيانية او تبعيضية والخلاف
دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الاية او الجد والاجتهاد والجهاد وقال وليعفوا
وليصفحوا الاية الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المؤاخذة بالذنب
والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شيء ولى صفحة عنقه وهذه الاية وان نزلت
فى الافك وفى حق ابى بكر رضى الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض فى الافك
الى ان لا ينفق عليه فقال الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى
والمساكين الى اخره فقال ابو بكر رضى الله عنه بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى وعاد الى انفاقه
عليه فالنبي صلى الله عليه وسلم داخل فى عمومها كما فى ساير الخطابات فلا يرد على المص ان هذه
الاية ليست فى حقه صلى الله عليه وسلم وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اى من
الامور التى ينبغي التصميم والعزم عليها واللام موطئة للقسم ان قلنا ان من شرطية او لام
ابتدا ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الاية مع ما قبلها نزلت كما علمت فى ابى بكر
رضى الله عنه وقد شتمه بعض الانصار واستشهد بها المص على انه صلى الله عليه وسلم
كان اخذا بذلك معتمدا عليه ولا خفا بما يؤثر من حلمه واحتماله البالغ فى يؤثر بمعنى ينقل ويروى

من حلمه وتحمله للاذى فانه شايع عنه خفي على احد وان كل حليم اى ولا خفا ان كل حليم غيره صلى الله
عليه وسلم قد عرفت منه ذلة بفتح الزاى المعجمة وهى الخطية والسقطة قال الشاعر فى لا انرلى زلة
ليس بعدها غوور لات الناكثير وحفظت عنه هفوة بفتح الها وسكون الفا وهى قريبة من الزلة معنى
وقال التلمساني هى بالفاء وهو اكثر وبالقاف وهى المسقطة وهو غريب منه وهى من خفا بمعنى زل وسقط
او تحرك واسرع وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما
جملة حالية اى مع انه لابد من زلة والهفوة فى الغضب والمكاره فهو صلى الله عليه وسلم لا يزداد مع
ذلك الا صبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان اشهر معنيه بل هو السئ الخلق المجازى
فى امور قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى
بعلى وقد نترك تعديته كقول الحماسى وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان وقال بعض الحكما لا يحملنك
الجهول لك وجراة السفيه عليك على الاجابة له والرد عليه فحلم يغنى صبرك خير من سعة يشفى صدرك
وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقاربا له كما مر وهذا هو المعروف عند العرب فى الجهل
والاسراف بمعنى الزيادة ومجاوزة الحد حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على التغلبى وغيره هو محمد
على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين بن عسلين التغلبى بفتح المثناة الفوقية وسكون العين المعجمة
منسوب لتغلب اسم قبيلة سميت باسم ابيهم كتميم ولامه مكسورة تفتح فى النسب استيحاشا من توالى
كسرتين وبيا وقد سنة تسع وثلاثين واربعمائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسمائة
ودفن يوم الجمعة بعد صلوة العصر وكان فقيها ثقة تولى القضاء فى ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين
فسار باحسن سيرة وبقى فيها مدة عمره وسمع من شيوخ الاندلس واخذ عنه المص فى رحلته لقرطبة قال
حدثنا محمد بن عتاب بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والفه بالموحدة وهو ابن محسن
الجذامى المحدث الفاضل توفى ليلة الثلاثا لعشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة قال حدثنا ابو بكر بن
وافد وغيره هو يحيى بن عبد الرحمن بن وافد بالفا والدال المهملة علم منقول من الوافد بمعنى القادم قال
ابن سهل فى احكامه كان ابن وافد مقدما فى صحابة ابن زرب ثم سقط بعد موته والزم داره ثم عاد
المنصور بن سليمان الى مرتبته وجعل اساسا يجامع الزهراثم وقعت له امور اقتضت سجنه فى الحبس
ودفن بمقبرة الريض سنة خمسين واربعمائة وافضى الله من قائله بعدايام وفى بعض الحواشى وقع
هنا فى اصل السماع وافد بالفا وفيما سياتى فى كيفية الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم واقد
بالقاف وهو الصواب والاول هو الذى صححه البرهان الحلبى والتلمسانى قال حدثنا ابو عيسى هو
الليثى واسمه يحيى بن عبيد الله بن ابى عيسى يروى عن ابيه عبيد بن يحيى توفى لعشر بقين من رمضان
سنة ثلاث وثلاثين وستماين قال حدثنا عبيد الله قال البرهان الحلبى هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن
كثير قال حدثنا يحيى بن يحيى قال البرهان الحلبى هو يحيى بن كثير الليثى مولاهم البربرى المصمودى القرطبى
الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطا مشهور به وموطاه اتم
نسخ الموطا وقد سمعته بحلب واقرانه بالاسكندرية اما الذى ذكره فى البخارى ومسلم والترمذى
والنسائى فهو يحيى بن ابى بكر بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمى ابو زكريا النيسابورى احد الاعلام

انتهى

انتهى قال حدثنا مالك ابن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحى امام دار الهجرة ومن اليه الرحلة بها صاحب
المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعى او من تبع التابعين ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفى فى ربيع
الاول سنة ست وسبعين ومائة ومات وهو ابن ست وثمانين ومائة واختلف فى جده ابى عامر هل له
صحبة ام لا عن ابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى توفى سنة اربع وعشرين ومائة
وقيل غير ذلك عن عروة بن الزبير بن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقها المدينة السبعة روى عن
ابويه الزبير واسما بنت ابى بكر وخالته عايشة رضى الله عنهم وغيرهم وتوفى سنة اربع او خمس وتسعين
بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح فى الصحيحين والموطا واختار المص رحمه الله
طريق الموطا فقال عن عايشة ام المؤمنين فهى بنت الصديق وتيمية الدم رضى الله تعالى عنها قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما قال البرهان هذا ما اخرجه المص
عن موطا مالك عن يحيى بن يحيى وقد اخرجه البخارى ومسلم واصحاب السنن ولم يروه المصنف من غير
هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل المغرب اعتنا به وترجيحه على غيره من كتب السنة ولان سنده
فيه من هذه الطريق اعلى من سنده فى غيره لان بينه وبين مالك فى هذه الطرق ستة بالسماع وبينه
وبينه فى رواية الصحيحين سبعة وفى ابى داود وستة الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها
لما لها من الشان عنده وفى هذا الحديث الاخذ بالاسهل والارفق ما لم يكن حراما او مكروها ونقل النووى
عن المص انه يحتمل ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار من القتال
واخذ الجزية او فى حق امته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واما قوله ما لم يكن اثما
فيتصور اذا خيره الكفار والمنافقون اما اذا كان التخيير من الله او المسلمين فيكون الاستثنا
منقطعا انتهى قال بعض الشراح انه فهم من قوله ما لم يكن الخ اى موجبا لاثم من حرام او مكروه
ما يفهم من الاستثناء فسماه استثنا وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره الله او خلص
المؤمنين بين امرين احدهما اثم وهو مبنى على ان ما فى معنى الاستثنا الا ترى الى قوله النحاة ان قولك
لا الزمنك او تقضى حقى بمعنى الا ان تقضينى حقى فكانه قال هنا الا ان يكون اثما فان قلت هذا
مناف لما ورد ان افضل العبادة احمزها اى اشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل قلت
انما كان صلى الله عليه وسلم يوثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا فى حق نفسه لانه ارسل
بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ويوبده مع ما فى
نفس الامر قوله فى عجز الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه يعنى ان التخيير بين
الاثم وغيره من العباد يتصور واما من الله فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او يفضى اليه فى حق
غيره صح او المراد بالاثم ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز
الارض وعيش الكفاف ويدل على انه فى حقه قوله فان كان اثما كان ابعد الناس منه اقول قال
العز بن عبد السلام وتبعه الزركشى فى قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وما ورد
فى حديث عايشة رضى الله عنها اجرك على قدر نصبك كما فى مسلم ليس على اطلاقه انما هو
اذا اتحد العملان فى الشرف والشرايط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة

ابن الحنبلي

وذلك كالغسل في الصيف والشتا اما اذا لم يشتا ويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته
والمختار ان افضل الاعمال انما هو بالصالح الناشية عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه الليل
وانفاذ الحاكم مظلوما بكلمة افضل من قيامه الليل وصيامه النافلة انتهى وهذا هو الحق الذي
لا محيد عنه فلا حاجة لما اطالوا به من غير طائل وما انتقم رسول الله عليه الصلاة والسلام
لنفسه اي لا يعاقب احدا بتقصير وقع منه في حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف امر الله فيما فعله
لانه يرى من الحظوظ النفسانية والاعتبارات الدنيوية الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله
اي بسبب حرمة الله تعالى وانتهاكها وحرمة الله ما حرمه او جعله محترما ممنوعا وانتهاكه
التعدي والتجاوز فيه من نهكت الثوب اذا لبسته حتى خلقته وتقال نهكته الحمى اذا اضعفته
واضنته فانتهاكها تناولها بما لا يحل وانتهك فلان محارم الله اي فعل ما حرم الله فغلبه
عليه لما فيه من ضعف الدين وابتذال حكمه وليس الانتهاك المبالغة في اتيان ما حرمه الله
تعالى كما توهم حتى يرد انه لا يغضب بمجرد فعل محرما وصغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بان من
فعل ذلك فقد بالغ في الجراة على الرب العظيم او يقال انه كان يقضي عند فعل الصغاير ويغضب
اذا فعلت الكباير فان هذا مما لا ينبغي فانه كيف يخطر بالبال انه صلى الله عليه وسلم يقضي
عن الصغاير من غير عذر لفاعلها ولا حاجة ايضا الى حمل هذا على ما يتعلق بالمال فانه صلى الله
عليه وسلم اقتص من نال من عرضه كما امر بقتل ابن ابي معيط والاخطل واي حرمة الله اعظم
من حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن اذاه فقد اذى الله وانما المراد ما كان يقع من بعض جفاة
الاعراب كالاعرابي الذي امسك برداءه وجذبه حتى اثر في جسده الشريف وقول بعضهم له اعدل
في القسمة فانك لن تعطي من مال ابيك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلظة طباعهم مما لا يفضي
الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيئا من محارم الله بحضرته عليه الصلاة والسلام التي من جملتها
احترامه انتصر عاملة لله لا لحق نفسه وان تعلق بها انتصارا لدين الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب
من اليمين واخرى من اليسار ويقابلها مثلها من فوق فالرباعيات اربع وشج وجهه يوم احد الشجة
جراحة في الوجه او الرأس شق ذلك الكسر والشج على اصحابه شديدا اي حصل من ذلك في نفوسهم
مشقة وامرا شديدا عظيما وقالوا له صلى الله عليه وسلم لو دعوت عليهم اي على الكفار
بان يهلكهم الله ويستاصلهم باشد العذاب فقال اني لم ابعث بالبنا للمجهول اي لم يبعثني الله لعانا
اي داعيا على الناس بالطرد والبعد من رحمة الله ولكني بعثت داعيا للناس الى الله ورحمة للناس
اجمعين باخراجهم من الكفر الى الايمان وتاخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله وابعادهم
عنه ثم قال داعيا لهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون دعا لهم ان يهديهم الله تعالى للاسلام
فانهم لا يعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريد بهم من الخير ولو علموا
ذلك لم يصدر عنهم ما صدر وفي سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن ابي وقاص وغيره ان عتبة بن
ابي وقاص رماه صلى الله عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله

بن شهاب

بن شهاب الزهري شجه في وجهه الشريف وان ابن قمية جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر
في وجنته وفي الروض الباسم انه صلى الله عليه وسلم اصيب وشج جبينه وكسرت رباعيته
برميه عبد الله بن قمية وضربه بالسيف على شقه الايمن فجرحت وجنته ودخلت فيه حلقتان
من المغفر وشفته السفلى وصح ابن قمية ان محمدا قد قتل وقد اختلف في اسلام عتبة بن ابي وقاص
اخي سعد بن ابي وقاص والصحيح انه لم يسلم وابن شهاب اسلم واما ابن قمية فنطحه كبش فتردى
من شاهق فهلك وكل شيء آفة من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد احد
من نسل عتبة الا ابخر اهتم فسرى خزيه لعقبه فبخور اولاده لا يخفى نشا حدهم وقد قالوا ان رباعيته
صلى الله عليه وسلم لم تنكسر من اصلها وانما سطيت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة
رضي الله عنها تغسل دمه وعلي كرم الله وجهه يصب عليها الما بالمجن فلما رات فاطمة ان الما
يزيد الدم كثرة اخذت قطعة من حصير واحرقتها وذرتها عليه فامسك الدم وكسرت البيضة
التي على رأسه الشريف وقال الامام الحضري في خصايصه انه هنا قبل نزول قوله تعالى والله
يعصمك من الناس والمراد عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل لا من مطلق الاذية كما ورد بيان
ذلك وما احسن قول ابن الفارض في الاشارة لذلك عيني جرحت وجنة بالنظر من رقتها فانظر
لحسن الاثر لم اجن وقد جنيت ورد الخفر الا ترى كيف انشق القمر وانشق وجنة عاينا
وكنه ليلة ساطعة للبشر حلاها لنا الله كما نرى بها كيف كان انشقاق القمر وبقية
قصة احد وما فيها مفصل في السير مشهود فلا نكثر السواد به كما في الشرح الجديد ثم نبه قال
الامام السمرقندي في تفسيره قوله عز وجل ويقتلون النبيين بغير حق طعن الملحدة لعنهم الله وقالوا
ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى انا لننصر
رسلنا وقال انهم لهم المنصورون وما في معناه من الايات ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا
فما بالهم قتلوا فهو تناقض واجيب بوجهين الاول انه لم يثبت في الكتاب وفي خبر متواتر قتل رسول
من الرسل الذي اخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبيا لان الرسل هم الذين اتوا المعجزات
لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق وكان عصمتهم عن القتل من اياتهم الحسنة الدالة على صدق دعواهم
الرسالة ولان القتل مما يوهن دعوتهم بخلاف الانبيا اذ ليس لهم دعوة وشريعة والثاني ان المراد
النصر بالحجج لا بالعصمة انتهى وعن عمر رضي الله عنه قال السيوطي رحمه الله ان هذا لا يعرف عن عمر
في شيء من كتب الحديث وبيض له الشيخ قاسم في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فكانه لم يقف له
على اصل ايضا وتقدم ما فيه انه قال في بعض كلامه اي كلام قاله له لما راى ما اصابه صلى الله
عليه وسلم من كسر رباعيته وشجه في غزوة احد بابي انت وامي يا رسول الله هذا الجار والمجرور
متعلق بمحذوف تقديره افديك وتسمى هذه الباء باء التعدية ومعناه اني اجعل ابوي فداء دونك
وابذلهما في حمايتك لقول الرجل لمن هو اعز عليه من نفسه واهله وماله لانهم كانوا يبذلون
الانفس في صيانة اهلهم وقد تكلم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى
المثل في ذلك وقد يظهرون متعلق الجار والمجرور والفدا بكسر الفا والمد وفتحها مع القصر

فكاك الاسير يقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه اذا بذل فداه وفدّاه بالتشديد اذا قال جعلت
فداك وهي كلمة تقال في التعظيم وتدخل ايضا على المبتدا ول المفدى به وقد يعكس كما في قوله فديت
بنفسه ومالي وما املك الا ما اطيق وجعله في المغني من المقلوب كعرضنا الناقة على الحوض
وقد جرى عمر رضي الله عنه في هذا على ما تداوله العرب والا فهو صلى الله عليه وسلم حقيق
بان يفدى بالنفوس فضلا عن الاباء والامهات ولقد قال الاخر نفسي الفدا لقبر انت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم فانظر قصة علي رضي الله عنه اذ فداه بنفسه ونام مكانه
لما هموا بالقتل صلى الله عليه وسلم وهو اول من اشترى نفسه من الله كما مر ومقامه دون
عمر رضي الله عنه كما هو معلوم لقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه فقال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وانما قال عمر رضي الله عنه هذا لان عمر كان مشرب
نوح عليه الصلاة والسلام كما ان مشرب الصديق رضي الله عنه كان مشرب ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام وتذر كتدع بمعنى تترك وديار بمعنى احد وهو يختص
بالنفي يقال ما في الدار ديار ودور اي احد واصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وادغم
والفاء عاطفة للمفصل على المجمل ولو دعوت علينا اي على الناس كلهم مثلها اي مثل دعوة
نوح عليه وسلم لهلكنا من عند اخرنا هذا التركيب وقع في كلام العرب والمراد به من اولنا
الى اخرنا اي جميعنا ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا الى اخرنا وكما ذكروا عند
متجهة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك عند اخرهم الا اذا
شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف في اول سورة البقرة فلقد وطئ ظهرك
الوطي الدوس بالقدم وفي الشرح الحديث الجديد انه لم ينقل ان احدا من المشركين وطئ ظهر رسول الله
صلى عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روي في الليس من انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند
البيت وثمة كرش ذبيحة فيها قاذورات فقال ابو جهل لعنه الله لجماعة جالسين ثمة الا رجل
يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث اشقاها وهو عقبة بن ابي معيط فالقاه
عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف وكانوا ابا جهل وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي
معيط وامية بن خلف وعمارة بن الوليد وهم المستهزءون فاهلكهم الله جميعا فاما ان يكون سمي
هذا وطا لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمي الغزو وطيا او وقع هذا في قصة لم نقف عليها ودمي
وجهك اي جرح في وقعة احد يقال دميته اذا جرحته فاسلت دمه والذي فعل به صلى الله عليه
وسلم ذلك عتبة بن ابي وقاص اخو سعد كما مر وفيه يقول حسان رضي الله عنه اذا الله جازى معشرا
بفعالهم ونصرهم الرحمن رب المشارق واخزاك ربي يا عتيب بن مالك ولقاك قبل الموت
احدى الصواعق بسطت يمينا للنبي تعمدا وادميت فاه قطعت بالبوارق وهلا ذكرت الله
والمنزل الذي يصير اليه عند احدى البوائق وشج وجهك وقع في نسخة التلمساني زيادة
هنا هنا وقد شجت وجنة وجهه باحد فدخل في وجنته صلى الله عليه وسلم حلقتا الدرع

فزعهما

فنزعهما بفيه ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حتى سقطت ثنيته والذي جرحه عبد الله بن قمية
فيقال نطحه تيس وتردى من شاهق فمات كما مر وقيل انما هو عتبة بن ابي وقاص فادركه حاطب فقتله
كما مر بفرسه وكسرت رباعيتك تقدم بيانه وما فيه وعليه فابيت ان تقول الاخير اي لم تدع
عليهم كما دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله فقلت اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون الحق ولا يهتدون الى الصواب وفي النسخ الرواية هنا اللهم اهد قومي وهي مفسرة
للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية او التقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا
يرد عليه ما قيل ان الدعا المذكور صدر منه صلى الله عليه وسلم باحد وكانت على احد وثلثين
شهرا من الهجرة فكيف يسال لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ولو قلنا
ان مغفرة الشرك جائزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فما وجه وقوعه في كلام
الشارع صلى الله عليه وسلم ولا حاجة الى الجواب بان هذه الاية من سورة النساء وهي
مدنية بجملتها او هذه الاية بخصوصها فيجوز ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان قبل نزولها
وقبل علمه بمنع الدعا لهم بالمغفرة لجوازه سواء قلنا المدني ما نزل بالمدينة او بعد الهجرة والمراد
ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة الشرك وقيل هذا انما صدر من النبي صلى الله
عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبي كان قبله كما رواه مسلم في صحيحه قال عبد الله بن عباس كاني
انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي عن نبي من الانبيا ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم
عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومثله في البخاري والمراد بهذا النبي نوح عليه
الصلاة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يخرج
ويدعوهم الى الله فلما ايس منهم دعا عليهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لما وقع به ما وقع حكى
ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومي ذكر نسبتهم له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك
ورجاء لرحمة الله بهدايتهم وان ضافتهم اليه موافقة لما في نفس الامر وان قيل انه ليس من اهلك
كما لا يخفى وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقي او بما هو في حكمه لعدم جريهم على
مقتضى علمهم كما تقول لتارك الصلاة واجبة والجهل وان لم يكن مع مشاهدة الايات البينات
عذرا فليس ينجي من العذاب وقد اختلف فيما قبل البعثة ايضا كما هو معلوم في كتب الاصول لكنه
جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكون منهم مؤمنين وهو سيتم
وقد حقق الله رجاه لانه جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يرد هنا شيء كما توهمه بعضهم قال
القاضي ابو الفضل اي المص عياض رحمه الله انظر ما في هذا القول المذكور في كلام عمر رضي الله
عنه وفي الحديث الذي قبله من جماع الفضل الجماع بكسر الجيم ما يجمع كل امر كالجماع الاثم
وبطنته ودرجات الاحسان بالجر معطوف على الفضل اي ما يجمع مراتب الاحسان وكذا
بذله وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم ففيه ما يدل على نهاية هذه الصفات اذ لم
يقتصر على السكوت عنهم مع ما فعلوه معه صلى الله وسلم مما لا يحتمل بعضه احد فضلا
عن اعز الناس نفسا واشرفهم واعلاهم حسبا ونسبا وجرح ذوي القربى اشد مضاضة

ابن الحنبلي
وعرضه

على النفس من وقع الحسام المهند حتى عفى عنهم مع عظيم جرمهم في حقه اذ قال اللهم لم ابعث لعانا
اشفق عليهم اي ابدا شفقة ورحمة لهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد كما مر بيانه مفصلا
ثم اظهر سبب الشفقة بقوله لقومي فان الطبع البشري يقتضي العطف والحنو على الاقارب باي
حال كانوا ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم قوم لا يعلمون وقد تقدم بيانه ونسبتهم اليه
ليبلغهم ذلك فتنشرح صدورهم لاجلها فيختاروا الايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم
العلم تحسينا للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان جهلهم
لا يعتد به بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه
اعتذار ظاهري اعتبره سعيا في تسخير قلوبهم والا فهم عالمون جاحدون مكابرون وليس لهم
عند تقبيل شرعا كما مر تفسيره ولما قال له الرجل هو ذو الخويصرة التميمي ويقال له حرقوص بن زهير
راس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان كما في تجريد الذهبي وفي صحيح البخاري هو عبد الله
بن ذي الخويصرة التميمي قال في المغني ولعلهما قالاه والصواب ان ذلك هو القايل والنهروان بفتح
النون والهاء اسم موضع فارسي معرب قال الطرماح قتل في شط نهروان اغتماضي ودعاني هوى
العيون المراض وحكى الجواليقي انه سمع من العرب ضمهما وكان حرقوص مع علي كرم الله وجهه في حروب
ثم اتبع الخوارج وزعم بعضهم انه ذو الثدية وليس كذلك ومقول القول اعدل فان هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله اي كن عادلا في قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله
ولرضاه والمقسوم كان من غنايم خيبر او تبرا ارسله علي بن ابي طالب رضي الله عنه من اليمن
وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه ونحوه في صحيح البخاري واخرجه البيهقي وهو
حديث صحيح وفي الفاظه اختلاف والمال واحد لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه اي بين له
ما جهله اي لم يزده على ان بين له ما جهله من عدل الله في قسمته حيث قال من يعدل اذا لم اعدل ووعظ
نفسه وذكرها التذكر والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القايل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم
منه صلى الله عليه وسلم لما قال ويحك ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها
كلمة مدح وتعجب وهي منصوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك اضافتها فترحم له
لما خالف رضى الله عنه او تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع في رواية ويلك فمن يعدل ان لم اعدل
وفي مسلم او لست احق اهل الارض ان يطيع الله عز وجل وغضب صلى الله عليه وسلم حتى احمرت
وجنتاه خبت وخسرت ان لم اعدل روي بفتح التاء فيهما على الخطاب وضمهما على التكلم
واقتصر بعضهم على الفتح اي خبت وخسرت ايها القايل ان لم اعدل لانا لا اتباعك واقتديك
بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمني رحمه الله تعالى لانه معلق بعدم العدل الذي عصمه الله
تعالى عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل النووي في شرح مسلم الوجهين
وفسره بما تقدم وقال الفتح اشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم اعدل خبت لاني قتلك لنفاقك
ونقطك بما بيننا في الاسلام لكني عدلت نظرا لظاهر اسلامك وان ما وقع من سوء ادبك
جهل منك غير مخل بعقايدي ونهى من اراد من اصحابه قتله وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في

البخاري

265

البخاري قال عمر يا رسول الله ايذن لي اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان يتحدث
الناس اني اقتل اصحابي وفي مسلم ان القايل خالد بن الوليد رضي الله عنه وجمع بينهما بان كلا منهما
اراد ذلك وقد صرح به في مسلم وان عمر رضي الله عنه لما قال ذلك فقال دعه واد برفقام اليه
خالد بن الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المص رحمه الله في شرح مسلم من سب
النبي صلى الله عليه وسلم كفر وقتل وهذا الرجل لم يقتل قال المازردي يحتمل انه لم يفهم منه
الطعن في النبوة وانما نسبه لترك العدل بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام عند هذا القايل وان لم يصب او انه لم يسمعه منه وانما نقل له ولم
يثبت عنده لان المخبر له واحد ومثله لا تراق به الدما وهذا التاويل باطل فان المروي يا محمد
اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة رضي الله عنهم حتى استاذنوه صلى الله عليه وسلم
في قتله وانما الوجه انه صلى الله عليه وسلم سلك به مسلك غيره من المنافقين استيفا
لانقيادهم وتاليفا لقلوب غيرهم لئلا يتحدث الناس بانه صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه
فينفروا ويرتدوا فاختيار اهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا ولما تصدى له صلى الله
عليه وسلم غورث بن الحارث تصدى بالتاء المفتوحة والصاد المهملة كذا والدال المشددة
والفاء اي اتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وتضم ايضا وواو ساكنة وراء
مهملة مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبي قال وعند
بعضهم مصغر يعني عريك لغورك وزيرك فانه تصغير بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب
عويرث قال التلمساني انه غويرث ايضا وفي بعض الروايات تسميته عنود وانه اسلم
لكن قيل انهما روايتان ليفتك به الفتك مثلث الفا ساكن التا هو ان ياتي رجل الى اخر وهو
غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم وهذه القصة كانت في غزوة
ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ بضم الميم وسكون
النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة وذال معجمة اي جالس في ناحية متخل وحينئذ
بقرب من الناس تحت شجرة وحده ليستريح بظلها وتلك الشجرة شجرة عضاة وهي التي تسمى ام
غيلان وهي شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دابه صلى الله عليه وسلم في سفره قايلا
حالا اي مستريحا في وقت القيلولة وهي وسط النهار اذا اشتد الحر وان لم ينم والناس قايلون
اي كل منهم في قيلولة منفردا عن اصحابه في غزاة هي غزوة ذات الرقاع كما علم والاختلاف
في زمنها ووجه تسميتها مفصل في السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو فلم ينتبه اي لم ينتبه
صلى الله عليه وسلم لمجيئه او لم ينتبه من نومه الا وهو استثناء من اعم الاحوال وضمير هو
لغورث قايم والسيف صلتا بفتح الصاد المهملة او ضمها ولام ساكنة ومثناة فوقية
اي مسلولا مجردا من غمده ويجوز في السيف رفعه على انه مبتداء ونصبه على انه مفعول معه
وصلتا حال على كل حال في يده فقال غورث له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني لانه وجده
خاليا ليس معه احد ولا سلاح وهو جالس وغورث قايم عليه بسيفه المجرد وفي رواية

انه كرر مراجعته ثلاث مرات فقال الله اى يمنعنى منك الله الذى عصمنى من الناس كافة فسقط السيف
من يده لما ارعبه قوله الله وفى رواية ان جبريل عليه الصلاة والسلام ظهر له فسقط سيفه وفى رواية
فشام سيفه اى اغمده فهو من الاضداد وكان غورث من اشجع الناس يتوعد ان يقتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل له امكنك الله من محمد فاختار سيفا من سيوفه واقبل حتى قام على راسه
صلى الله عليه وسلم فاخذه اى السيف الذى سقط منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
من يمنعك منى اى من ان اقتلك والسيف بيدى فقال كن خير آخذ بالمد اسم فاعل اى خير رجل اخذ خصمه
وتمكن منه فتكرم عليه فتركه وعفا عنه مع القدرة عليه وقيل الاخذ الاخذ الاسر والاخيذ الاسير
كما فى النهاية وهو غير بعيد ايضا وفى البخارى مسندا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل الغزوة ذات
الرقاع ونحن معه فادركتنا القايلة فى واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه فنمنا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا
فجينا فاذا عنده اعرابى جالس فقال ان هذا اخترط سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا
فقال من يمنعك منى قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما راى كرمه وحلمه صلى الله عليه
وسلم اسلم وهو من غطفان فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وجاء غورث قومه وفى نسخة فجاء قومه وقال جئتكم من عند خير
الناس حلما وكرما ومن عظيم خبره صلى الله عليه وسلم فى العفو عفوه عن المراة اليهودية وهى زينب
بنت الحارث بن سلام بن مشكم اخت مرحب اليهودى كما ورد فى الحديث الصحيح الذى اخرجه الشيخان
عن انس رضى الله عنه التى سمته اى جعلت له صلى الله عليه وسلم السم فى الشاة المشوية من غير
بعد اعترافها بوضع السم له صلى الله عليه وسلم فى الشاة على الصحيح من الرواية متعلق بقوله
عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف الرواية فيه ولذا قيل انه كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله
بعد اعترافها لانها اهدت له صلى الله عليه وسلم شاة مصلية اى مشوية لم تخبره فقال لها ما هذه
فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله عليه وسلم لا ياكل منها فاكل هو واصحابه من تلك
الشاة ثم قال صلى الله عليه وسلم امسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك
بهذا قال هذا العظم لساقها بيده قالت نعم قال ولم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك
والناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب وقد
اختلف فيها فقيل عفا عنها وقيل لا وروى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وصلبها ونقل
البرهان عن كتاب شرف المصطفى ذلك وجمع بين الروايتين بانه صلى الله عليه وسلم صفح عنها
لحق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات بشر بن البراء من اكله منها قتلها قصاصا به لانه
لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات فى الحال وروى معمر فى جامعه عن الزهرى انها اسلمت
فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفى جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البراء قالت له صلى الله
عليه وسلم فى مرض موته انى لا اتهم بشرا يعنى ابنها الا الاكلة بخيبر فقال وانا لا اتهم لنفسى الا ذلك
وهو ظاهر فى ان المرض الذى مات منه صلى الله عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل النقض

لا القطع

266

لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب فى الطب النبوى انه صلى الله عليه وسلم احتجم من السم فخرجت
المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقى اثرها مع ضعفه فانه فيه لما يريد الله له صلى الله
عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفى الرواية اختلاف
فى ما ان الذى اكله صلى الله عليه وسلم ساق الشاة وفى اخرى انه كتفا وذراع لانها سألت
عن احب اللحم اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة
ولم يسغها واساغ بشر لقمته وهذا يوهم عدم القطع بتاثيره فيه لكن يؤيد ما فى المواهب
ما ورد فى الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال فى مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودنى
حتى قطعت ابهرى فانظر فى التوفيق بين الروايتين فى الاكل وعدمه واعلم ان فى هذه المسئلة
اختلاف الفقهاء فمن وضع طعاما مسموما لغيره فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لا وهو
مبنى على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة ايهما يقدم فالاكثر على تقديم المباشرة وقولهم انها
اسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط حقوق العباد الا ان يكون هذا
من خصايصه صلى الله عليه وسلم وفيه نظر وانه صلى الله عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم
بزنة احمر بمهملات ويقال له عصم بدون الف ولام وهو رجل من بنى زريق وهم بطن من الانصار
وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جاء الاسلام بروا منهم واختلف فى لبيد هذا
ففى الصحيحين انه يهودى وهو المشهور وقيل انه منافق كان مخالفا لليهود وسياتى عن المصنف
رحمه الله انه حكم باسلامه وقال البرهان لا اعلم احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق
معناه العرفى كما ورد فى الحديث اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن
خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا اذ سحره صلى الله عليه وسلم وقد اعلم به واوحى الله
اليه بشرح امره اى ببيانه مفصلا فى سحره وما فعله ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته تقدم
الكلام على فضلا وذلك كما رواه النسائى والبيهقى فى الدلائل عن زيد بن ارقم رضى الله عنه
قال سحر النبى صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاءه جبريل عليه الصلاة
والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا فى بير كذا فبعث فاستخرجها فجاء بها
فحلها فقام صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى حتى مات وكانت له
امراة يهودية تسمى زينب تعمل ذلك قال التلمسانى وهو من افعال النساء فى الاكثر ولذا قال
تعالى من شر النفاثات دون النفاثين تغليبا وقال الواقدى لما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحديبية فى ذى الحجة سنة جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا له انت
اسحرنا وقد سحرنا محمد فاصنع له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع ما سياتى فاقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر يخيل اليه انه فعل الشىء وما فعله فبينما
هو ذات يوم اذ قال لعايشة رضى الله عنها ان الله افتانى فيما استفتيته اتانى رجلان
فقعد احدهما عند راسى والاخر عند رجلى فقال احدهما ما وجع الرجل قال مطبوب اى
مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى اى شىء قال فى مشط ومشاطة وجف

طلع نخلة ذكر في بير ذروان او ذي اروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض اصحابه وماؤها
كنقاعة الحنا ونخلها كانه رؤس الشياطين وقيل انه صلى الله عليه وسلم ارسل عليا والزبير
وعمارا رضي الله عنهم اجمعين فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة بها وتحتها
مشاطة من رأسه واسنان مشطه ووتر عقد فيه احدى عشر عقدة قيل وتمثال من شمع
مغروز فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجا ابر حتى الم
الميم والرجلان اللذان راءهما في منامه جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام وما كان
يخيل له صلى الله عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته لا فيما يتعلق
بالنبوة والوحي فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا في السحر كما ياتي هل هو امر حقيقي ام
محض تخيل لا اصل له والصحيح انه حقيقي بفعل الله بواسطة فانه كان بمجرد توجه النفس فهو سحر
وان كان باستعانة بخواص سفلية فعلم الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة
الكواكب وان كان باستمزاج القوى السفلية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تاثيرها
بالذات فكفر والا فحرام وفاعله لاضرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقها ليس هذا
محله وكذلك لم يؤاخذ صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي هو عبد الله بن ابي بن سلول بن مالك بن
الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج كان قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
للمدينة رأس الانصار مرشحا لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اسلم
ظاهرا وكان كاهدم وفيه عجهية الجاهلية وغلبة حب الرياسة فكان بسبب ذلك رأس
المنافقين يصدر عنه امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
فيعفو عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان يداري المولفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس
بانه يقتل اصحابه وكان ابنه من كبار الصحابة وخلص المؤمنين فكان النبي عليه الصلاة والسلام
يكرمه لاجله وسلول علم لام ابي ممنوع من الصرف فابي منون وابن بعده يرسم بالالف لانه لم يقع
بين علم اب على الاصح وهو راس المنافقين هلك في السنة التاسعة بعد مقدمه عليه الصلاة
والسلام من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة وهلك في ذي القعدة فصلى عليه النبي صلى الله
عليه وسلم وكفنه في قميصه قبل نزول النهي عن الصلاة على المنافقين كرامة لابنه رضي الله
عنه واشباهه جمع شبه بمعنى شبيه اي لم يؤاخذه صلى الله عليه وسلم ولم يؤاخذ من يشبهه
من المنافقين بعظيم ما نقل بالبنا للمجهول في جهته اي في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق ام
المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولا وفعلا كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه
وبالاذل نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلثمائة
ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان الحلبي في شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه للبخاري
في تفسير سورة المنافقين بل قد قال صلى الله عليه وسلم لمن اشار بقتل بعضهم وهو عمر رضي الله
عنه لما انهزم بنوا المصطلق فبلغه قول ابن ابي وقد لطم حليفا له يقال جهجاه من فقراء المهاجرين
مساعدة لاخيه لعمر رضي الله عنه ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل

سمن

سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاية ثم قال لقومه والله لئن امسكتم
عن جعال وذويه طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال اريد
بذلك عمر رضي الله عنه انشد الله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم
في عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبر بذلك ابيه فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني اضرب
عنقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اذن لك في ذلك لئلا يتحدث الناس من قبائل
العربان محمد يقتل اصحابه فهو علة لترك رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفي نسخة يتحدث
بدون ذكر الناس مبني للمفعول ولا هنا ليست لنفي التحدث اذ هو مستانف معلل لما قبله كما
علم مما قررناه وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه وروى الطبراني ان ابنه رضي الله
عنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني اقتله واتيك راسه فقال
لا نقتل اباك وفي الكشاف فان قلت كيف جاز له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه
في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر لم يجدوا له قميصا
يستره به وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قميصه وكان جاريا على عادة العرب في المكافاة
وروي ان ابنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ابوه اسالك تكفينه ببعض قمصانك
وان تقوم على قبره ولا تشمت به الاعدا ففعل ذلك فقيل له لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصي
لن يغني عنه من الله شيا واني لارجو ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف
من الخزرج بسبب ذلك وعن انس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي
رحمه الله هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله الا من مال الله الذي عندك قال فضحك وامر له
بعطا واخرجه بلفظ المصابيح البيهقي في الادب من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ولفظ مسلم كنت امشي
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة
الى اخره وعليه برد غليظ الحاشية البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية
جانب الثوب وفي رواية الاوزاعي غليظ الصنفة بفتح الصاد وكسر النون وبالفا وهي طرف الثوب
ايضا فجبذه اعرابي جبذ لغة في جذب او مقلوب منه وهما بمعنى بردائه جبذة شديدة وهذا يقتضي
انه كان عليه برد ورداء فوقه وان الجذب وقع بهما حتى اثرت بتشديد المثلثة مبني للفاعل اي اظهرت
اثرا وعلامة حاشية البرد في صفحة عاتقه الصفحة الجانب او العرض والعاتق ما بين العنق والكتف
او موضع الردا من المنكب وهو يؤنث ويذكر وفي رواية ان البرد انشق ثم قال الاعرابي يا محمد
قيل شأنه صلى الله عليه وسلم بهذا تقتضي انه لم يكن مسلما والسياق يقتضي خلافه وليس
فيه ما ينافيه غير ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهي عنه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
الخ او ان الاعرابي كان قريب عهد باسلام وفي طبعه غلظة وجفا فهو معذور وطلب عطا الرسول
صلى الله عليه وسلم واخذه من ذلك يدل على انه من المسلمين المولفة قلوبهم وفي كتاب الامتاع
من خواصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد يا احمد ولكن

يقول يا نبي الله يا رسول الله قال تعالى لا تجعلوا الخ وقال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
اى لا تدعوه باسمه فان قيل ثبت عن انس رضى الله تعالى عنه ان رجلا من اهل البادية جاء فقال يا محمد
الخ اجيب بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه او في حال اسلامه قبل النهى و قبل بلوغه
فلو ناداه بالكنية هل يحرم او لا فيه نظر انتهى قول الطاهر ان هذا في حياته مواجهة اما في غير
ذلك فلا يحرم الا ذكره بما لا يشعر بتعظيم فلا يرد انه وقع كثيرا في المدائح النبوية وغيرها
كقول حسان هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء فان ابى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء فلا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن
ومما قيل هنا ايضا ان لو سول ويا رسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على قول ابن مالك
في القنية مصليا على الرسول المصطفى ولا وجه لما مر احمل لى قال التلمساني همزته همزة قطع رباعى
اى اعنى على الحمل ويجوز ان يكون معنا احمل لى اى اعطني ما احمل والاول اولى لوجود المحمول انتهى وتبعه
بعض المحشين فيجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما درج به الاول لنظر على بعيرى بالتثنية نصا ان
المتكلم هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحمل لى بضم التاء وفتحها على ما مر وروى لا تحملنى
اى لا تعطيني من مالك ولا من مال ابيك وقيل انه اسند الحمل اليه لانه سبب امره به فهو مجاز عقلى
فعلى هذا همزته همزة وصل ايضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من احمل احمالا
اى جعل البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشئ لان ما ذكره معنى
اخر حقيقى صرح به الجوهرى وكان المرواة عليه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
المال مال الله وانا عبده اتصرف في ماله باذنه واعطى من يامرنى باعطائه فرد عليه صلى الله
عليه وسلم بالطف رد ثم قال ويقاد منك بالبنا للمجهول وتقدير همزة الاستفهام اى ويقاد
منك من القود وهو القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اى تجازى على ترك ادبك ولم
يقل اقيد نفسى منك كراهة ان يذكر ما يشعر بانتصاره صلى الله عليه وسلم لنفسه ولو متنها
وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فيمن يستوفى القود اهو الله ام من عنده من المسلمين وقوله يا اعرابى
اشارة الى انه معذور لما فيه من غلظ الاعراب وهم اهل البادية ما فعلت بى من جذب بردى يا ن
يفعل بى مثله او يعذر بما يليق به وسياتى تحقيقه في القصاص باللطمة قال لا قال لم لا يقاد منك
قال لانك لا تكافى بهمزة من المكافاة وهى المجازاة او بالبا اصلية او مبدلة منها بالسيئة السيئة
فيه مشاكلة لان الجزاء ليس بتشبيه او استعارة لانها مثلها بحسب الصورة فضحك النبى
صلى الله عليه وسلم سرورا بما راه من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك بقصد التنقيص منه
وتطمينا لقلبه اذ ادى لستره بقاله ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى اخر تمر وفيه من حلمه
صلى الله عليه وسلم وتحمله الاذى وعدم التضجر ما لا يخفى وهو ارشاد لامته لا يسما من يتولى
منهم امور المسلمين ثم اتى بما يدل على ما في الحديث من خلقه العظيم فقال قالت عائشة رضى الله
عنها في حديث اخرجه الشيخان واحمد والترمذى في الشمائل مع مخالفة يسيرة في لفظه ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم راى بصرته او علمه منتصرا اى منتقما وناصرا لنفسه على عدوه

من مظلمة

من مظلمة اى من ظلم وهى بفتح الميم وكسر اللام وفتحها واقتصر في التقريب على الاول ظلمها مبنى للمفعول
وهو مؤكد او وقع لشئ مم كون الظالم لغيره قط لاستغراق ما مضى كما مر ما لم يكن حرمته من محارم
الله اى ما لم تكن المظلمة بارتكاب امر حرمه الله وليس بصفح حق له ولا يرد عليه انه قتل ابن خطل
والقينتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه حق لله فان ابن خطل ارتد وهجو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابى فانه مسلم حمله على ما فعله
غلظة طبعه وظهر من جوابه انه لم يقصد بذلك الاهانة مع ما فيه من حكم خفية كاستعطاف
قلوب اهل البادية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وما ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط من دابة وانسان وغيره الا ان يجاهد في سبيل الله كما في ضربه ابن
خلف باحد بحربة تناولها من بعض اصحابه اما الحارث بن الصمة كما ياتى او الزبير بن العوام
فخدشه بها في عنقه خدشا غير كبير فاحتبس الدم اى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى
والله محمد فوقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه التى كان اعدها ليقتل عليها النبى صلى الله
عليه وسلم كما ياتى وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفى رواية انه ضرب تحت ابطه
فكسر ضلعا من اضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر
الراء المهملتين وهو مناسب لوصفه وانه مسرف وقيل ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله عليه
وسلم بيده الشريفة قط احدا الا ابى بن خلف هذا لا قبل ولا بعد وجا اشد الناس عذابا من قتله
نبى وفى رواية بلفظ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسحقا
لاصحاب السعير وفى لفظ اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سبيل الله اى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما مورون باللطف والشفقة
على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا امر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
اكملهم لطفا ورفقا وسعة بعباد الله قالوا واحترز بسبيل الله عمن قتله صلى الله عليه
وسلم حدا وقصاصا لان من يقتله في سبيل الله كان قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابى بن
خلف لعنه الله كما ياتى بيانه وما ضرب خادما له ولا امراة من نسائه وفيه دليل
على جواز تاديب الرجل امراته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به صلى الله عليه وسلم وجئ اليه
صلى الله عليه وسلم برجل هنا الحديث اخرجه احمد والطبرانى بسند صحيح ولم يسميا الرجل
فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع اى لا تخف منى وكرره
ليطمئن قلبه والروع الخوف والفزع ولن هنا بمعنى لا اى لا اخوف عليك منى ولا من غيرى
ولو اردت ذلك لم تسلط على لان الله عصمنى فلن ينالنى سوء ارد به انت ولا غيرك فان
قلت قوله لو اردت يقتضى انه لم يرده مع انه اراد ذلك لقولهم اراد قتلك قلت المراد
بالارادة سببها وهى مباشرة ما هم به اى لو سددت يدك الى لم تصل الى وجاءه صلى الله
عليه وسلم زيد بن سعنه بفتح السين والعين المهملتين وفتح النون وقيل انها مصغوته
وهو حبر من احبار اليهود كما في الاكمال وفى التهذيب هو صحابى من احبار اليهود الذين اسلموا

وهو من اكثرهم مالاً وعلماً حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه صلى الله عليه
وسلم من تبوك ويقال انه سعيته بالياء التحتية حكاه ابن عبد البر وقال النون اشهر وعليه
اقتصر الجمهور وقال الذهبي انه اصح واما اسيد بن سعيته فالتحتية فيه اصح واسيد بفتح الهمزة
او هو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلاً عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبراني وابو
نعيم عن عبد الله ابن سلام ايضا وسنده صحيح كما قاله السيوطي قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه
اي يطلب منه صلى الله عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضي بمعنى المطالبة من كلام العرب قال
الحماسي لحى الله دهراً شره قبل خيره تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا قال الشراح اي طالبنا وهذا
كثير في كلامهم وكلام اهل اللغة فقول شيخنا المقدسي في الرمز التقاضي معناه لغة القبض لانه
تفاعل من قضى يقال تقاضيت ديني واقتضيته بمعنى اخذته وفي العرف الطلب شيء لا وجه له والذي
غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي بل معنى عرفي وهو غريب منه وفي رواية عن زيد المذكور
كنت اريد ان اعلم حال النبي صلى الله عليه وسلم ليطابق ما في التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه علي فاتى
رجل كالبدوي فقال يا رسول الله ان قرية بني فلان اسلموا واعلمتهم انهم ان اسلموا اتاهم ارزاقهم رغدا
وقد اصابتهم سنة وشدة واني مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام فان رايت ان ترسل اليهم بشيء
يغيثهم فقال زيد بن سعيته يا رسول الله انا ابتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا
فدفعها الى الرجل وقال له عجل عليهم بها واغثهم فلما كان قبل المحل بيوم او يومين او ثلاث خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الجنازة في نفر من اصحابه فلقيه وتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع
ثيابه ضمنه معنى ازاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو
اطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب اي اخذ بطوقه وما تحت لبته ونحوه وهذا هو الصحيح المرجح عرضه
لما قيل انه ما بين الكتفين فان الثياب كلها كالازار والقميص تجتمع هنالك واغلظ له اي قال له
كلاما غليظا خشنا مع تعبس وتجهم وجه ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مفتعل من الطلب واسمه
شيبة على الاصح لانه ولد في راسه شيبة ظاهرة في ذوابته مطل بضم الميم والطاء جمع ماطل
والمطل التطويل في تاخير الحق وخلف الوعد فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا مده وفي القاموس
المطل التسويف بالعدة والدين فانتهره عمر رضي الله عنه بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر
ونهره وانتهره بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ في القول مع صياح وقيل النهر عن الشيء
بفظاظة وشدة له في القول فقال له عمر اي عدو الله اتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتصنع به ما ارى وتقول له ما اسمع فوالذي بعثه بالحق لولا ما اخاف فوته لسبقني
راسك والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم من مقالهما لشدة حلمه ولعله كشفا بمراد ابن
سعنه وان عمر رضي الله تعالى عنه لو كشف له العظائم يصعب عليه ذلك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا وهو اي ابن سعنة صاحب الحق كنا الى غير هذا المقال الذي قلته منك احوج يا عمر
اي اكثر حاجة وهو افعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما
توهم فان تلاوته مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبرانا وما عطف عليه ثم بين الغير الذي

هما

هما احوج اليه من هذا التشديد بقوله تامرني بحسن القضا اي وفاء ماله علي وتامره بحسن التقاضي
269 والطلب بلطف ثم قال صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل او تاخير منه لقد بقي
من اجله اي من تاجيل دينه ثلاث اي ثلاثة ايام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضا النبي صلى الله
عليه وسلم فانه وقع على احسن وجه فانه فعل ما وعد وزيادة كما اشار اليه بقوله وامر عمر
بقضيه ماله ويزيده على حقه عشرين صاعا من تمر لما روعه ما مصدرية اي لاجل ترويع عمر له
اذ هم بقتله وقال له ما مر فكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم سبب اسلامه لانه كان عالما
بالتوراة ورأى فيها ذكره صلى الله عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير
علامتين لشدة حلمه فلما رآهما تيقن امره وزالت شبهته فحسن اسلامه واراد الله سعادته وذلك
انه كان يقول لمن عنده من اليهود ما بقي من علامات النبوة اي علامات نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم المذكورة في التوراة التي قراها وعرفها شيء الا وقد عرفته اي شاهدته فيه صلى الله
عليه وسلم وفي نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشيء بمعنى العلامة الا اثنتين لم اخبرهما
اي اعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الاثنتين
اللتين لم يعرفهما بقوله يسبق حلمه جهله تقدم ان الجهل في كلام العرب قديما بمعنى المبادرة
للغضب ومقتضاه بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله الا لا يجهلن احد
علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا كما مر ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغضب احيانا لله وينتقم
فلا يتوهم من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق بصفاته صلى الله عليه وسلم فالمراد ان حلمه صلى الله
يغلب حدته كما في قوله سبقت رحمتي غضبي والسبق على ظاهره ومن قال المعنى يغلب حلمه على جهله
لو كان له جهل كقوله فتبارك الله احسن الخالقين وليس المراد ان له صلى الله عليه وسلم جهلا
يسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس من قبيل سبقت رحمتي
والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لا به انتهى لم يصب مع ما في كلامه من التناقض ولا تزيده
شدة الجهل الا حلما هذه هي العلامة الثانية اي جهل غيره بمعنى سفاهته واذيته كلما ازدادت
واشتدت عليه زاد حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره ما لم تتجاوز حدود الله وتؤتى حرماته فانه
حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله عليه وسلم الخارقة للعادة كما عرفته
في هذه القصة مع زيد بن سعيه ولذا قال زيد لعمر رضي الله عنه لما قضاه وزاده اشهد
ان لا اله الا الله وانه رسول الله وما حملني على ما رايتني صنعت يا عمر الا اني كنت رايت صفاته
التي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة واني اشهدك
ان هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين واسلم اهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة
والى هذا اشار المصنف بقوله فاخبره لهذا فوجده كما وصف والحديث اي الاخبار المستفيضة
بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عداه بعن فقال عن حلمه وصبره وعفوه عند القدرة
عليه لانه هو المحمود كما مر اكثر من ان ناتي عليه يقال اتى على الكتاب قراءة او المال انفاقا اذا استوعبه
كله وهذا التركيب كقولهم اكثر من ان يحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكننا استيعابه

مطلب غلب حلمه صلى الله عليه وسلم على جهل غيره

واستقصاه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة اي يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل الثقات فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفي هنا منضما الى ما بلغ لك وعندك متواترا معنويا بمجموعها مبلغ اليقين اي وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذي لا يشك فيه احد ولو قال مبلغ القطع كان اولى والقول بانه اراده لا يخفى ما فيه ثم بين ذلك بقوله من صبره صلى الله عليه وسلم على مقاسات قريش المقاساة معالجة امور صعبة شاقة بحيث لا يتحمل مثلها وهذا في اول بعثته صلى الله عليه وسلم كما يعرفه من طالع السير واذى الجاهلية اي تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم اذى الجاهلية اي اهل الجاهلية وهم الكفار ومصابرته الشدائد الصعبة معهم في الحروب الواقعة بينه وبينهم وهي وان كانت سيما لا الآن انه صب عليهم العذاب فالمصابرة مفاعلة من الصبر عن شدائد الحروب وهم صناديد كان لهم صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله عليه وسلم غلبهم وصابرهم وزاد عليهم حتى ظفر وانتصر الى ان اظفره الله عليهم وحكم فيهم اي جعله الله قاهرا غالبا لهم وهم في قبضة تصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء وهم لا يشكون في استيصال شأفتهم الاستيصال قطع الشيء من اصله وازالته بالكلية وشأفة بشين معجمة مفتوحة وهمزة ساكنة وقد يليها ها تانيث وتبدل الهمزة الفا وهي قرحة تخرج في اصل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد يدعى به والمراد ازاله الله من اصله بحيث لا يبقى له عين ولا اثر ولا فرع وفيه اشارة الى خبثهم وانهم كقرح في البدن خبيثة مهلك لصاحبه فشبه هلاكهم اجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا تخفى وابادة خضرائهم الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذي قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقدم فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال في النهاية ابيدت خضراء قريش اي دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض اهل اللغة الى ان صوابه غضراؤهم بغين معجمة وهي عصارتهم وخيرهم وخصبهم او طينتهم التي خلقوا منها والمراد على كل حال استيصالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله عليه وسلم ظفر بهم في حال تيقنوا هلاكهم باسرهم بحيث لا يبقى منهم باقية فما زاد صلى الله عليه وسلم على ان عفا وصفح اي مع شدة اذاهم ونصره عليهم بحيث صاروا في قبضة تصرفه وقد احاط بهم الهلاك من كل جانب ما زاد ما كان عليه من حاله الا العفو والصفح لا شفاء النفس بالانتقام وفعل ما يستحقون بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب وقال صلى الله عليه وسلم تلويحا للطف بهم مستنذرا انهم بما في ضمائرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله عليه وسلم ما تقولون ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح النحاة فقوله اني فاعل بكم بفتح همزة ان وهي وما معها سادة مسد مفعولية وهذا متعين وجعل القول على اصله بناء على انه سالهم عما قالوا في انفسهم او فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح قالوا خيرا منصوب بمقدر يدل عليه فاعل قبله اي تفعل خيرا او انت فاعل خيرا اخ كريم وهي جملة مستانفة لبيان انه يفعل الخير وابن اخ كريم هذا على عادة العرب في تسميته القريب اخا

قال

قال تعالى والى عاد اخاهم هودا او الكريم الجامع للخير والفضائل كما في الحديث الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف الى اخره فقال اقول كما قال اخي يوسف فيه بلاغة ولطف بديع ابلغ من قوله نهيت من الاعمار مما لو حويته لهنيت الدنيا بانك خالد لما فيه من الايماء الى شفقتهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه وقطع رحمه مع ماله صلى الله عليه وسلم من الشرف الباذخ فانه الكريم ابن الكريم وان حسدهم وبغيهم كان سببا لعلو مقامه وتملكه لنواصيهم وذلتهم له معترفين بقصورهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين التثريب التعيير والتوبيخ اي لا اوبخكم واعيركم بما يخجلكم ويحتمل ان المراد لا عتب عليكم لعدم مبالاتي لكم من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القرآن ولو مع تغييره في المعنى وقد جوز الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر وفيه المسارعة بالمغفرة في وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان يوقف على اليوم اي لا اتعييركم اليوم لان القدرة تذهب الحفيظة اذا بدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن الفرقة الفة ومن الغربة مكانا وبسطة فلا تثريب في زمان فيه مثل هذا الخير وبهذا الوقف قرأ القراء ويغفر جملة دعائية او خبرية مبشرة لهم بذلك اذهبوا فانتم الطلقاء بالمد جمع طليق وهو الاسير يطلق ويخلى سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقاء تمييزا بينهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل الى اخره فخرجوا كانما نشروا من القبور وقال انس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح منصوب على الظرفية اي وقت صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الهبوط النزول من علو لسفل وهو يتعدى ولا يتعدى قال العباس رضي الله عنه ثم هبطت البلاد لا بشر وبابه مفتوحة في الماضي مكسورة في المضارع وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية ان الضم كثير في غير المتعدي ورد عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدي وغيره يعني بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادي هو نعمان فقيل منه التنعيم كذلك وقالت امرأة تذكره ايا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها وهو على اربع اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله في هذه القصة وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي اظهركم ونصركم عليهم فانهم حتى دخلهم بطنها وحديث انس رضي الله عنه المذكور رواه مسلم والترمذي وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه وكان ذلك وهو في اصل

مطلب تنعيم

الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام رحمه الله سبعون او ثمانون واخذ
وا واسروا واسقروا يمشون في الصلح فاطلقهم وهم العتقاء وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبر ان عكرمة بن ابي جهل خرج اليه في خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد هذا
ابن عمك خرج في خمسمائة فارس فقال انا سيف الله وبذلك سمي يومئذ فقام اليه في خيل فهزمه
الى حوايط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة وبهذا استدل بعض الحنفية على انها فتحت عنوة
ورد بان الاية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة الماضي والاية نزلت
بالحديبية قيل ومن العجيب قول ابي السعود ان الاية نزلت لما خرج عكرمة بن ابي جهل في خمسمائة
فارس الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم
حيطان مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست في ذي القعدة
وفتح مكة كان في رمضان سنة ثمانون وقصة خالد كانت يوم الفتح اقول من قال المراد فتح
مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضي عن كف للتحقيق بمعنى
المضارع وعدا ووعيدا بعيد جدا وايضا ما ذكر ان عكرمة بن ابي جهل خرج في عسكر فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان
خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما في البخاري ولا حاجة لتاويل كلامه
بانه اراد بالفتح قصة الحديبية لانها سميت في القرآن فتحا مع انه تابع في هذا الغلط لغيره وعهدته
على من قاله اولا وليس ما نقل ايضا مطابقا لما قاله في تفسيره وفي فتح مكة خلاف في كتب الفقه
وفي الكشاف كف ايديهم قضى بينكم وبينهم بالمكافة والمحاجزة وهي نزعة اعتزالية ولذا تركه
القاضي رحمه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لابي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن
عبد مناف وقد سيق اليه جملة حالية اي قال له القول الاتي وسيق مبني للمجهول سائقه اتى به وقاده
والسائق له هو العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشار النبي صلى الله عليه وسلم
لفتح مكة ونزل من الظهران عشاء وعشرة الاف نار وجعل على الحرس عمر رضي الله عنه واراد
دخولها قهرا لقتل الكفار فرقت نفس العباس رضي الله عنه لاهل مكة فخرج على بغلة النبي صلى الله عليه
وسلم حتى اتى الاراك فقال لعلي اجد ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يخرجوا ويستامنوه قبل ان يدخلها عنوة فسمعت صوت ابي سفيان يقول لبديل ما رايت
كالليلة سرايا ولا عسكرا فقلت يا حنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي
قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قريش قال ما الحيلة قلت والله
لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستامنه لك فركب خلفي فكنت كلما مررت باحد قال بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها
عمه حتى مررت بعمر رضي الله عنه قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بلا عقد
ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة ودخلت عليه وعمر معه
فقال ابو سفيان دعني اضرب عنقه فقلت اني قد اجرته وجلست فلما اكثر عمر رضي الله عنه في شانه

قال صلى الله

قال صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فاتني به فغدوت به
صباحا فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم علم انه جاء ليسلم منقادا بعد ان جلب اليه
الاحزاب جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع واصله من الجلبة وهي اصوات المحاربين والاحزاب
جمع حزب وهي الناس المجتمعة من قبايل شتى للحرب ويقال تحزبوا اجتمعوا وهذه غزوة الخندق التي كانت
في سنة خمس واسناد جلب الاحزاب اليه لانه كان قايد جيشهم وصاحب رايتهم والا فسبب
التحزيب انما كانت جماعة من اليهود دعوا القبايل وحركوا قريشا لذلك كما فصل في السير وقتل
عمه حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه واصحابه اي اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعود الضمير
له وان صح بعيد ومثل بهم بالتشديد اي شوهت خلقتهم بقطع الاطراف وشق البطن واخراج
القلب ونحوه وهو من المثلة بضم الميم وهي العقوبة الشديدة ومنه قد خلت من قبلهم المثلات
ويقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة رضي الله عنه وقتل اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم لابي سفيان مع ان قاتل حمزة وحشي بن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشره ابو سفيان
الا انه هو الباعث والسبب لذلك القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضي الله عنه مشهور
انه باحد لا يقال ان عبارة المص رحمه الله توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل
باحد وكانوا اكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع ان الممثل زوجته هند لان فعل اهل
الرجل كفعله لا سيما النساء وقد مثل بجماعة غيره ايضا كما اشار اليه المص رحمه الله بقوله
بهم فممن مثل به انس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل في السير فعفي عنه ما سبق في كفره
لان الاسلام يجب ما قبله ولاطفه في القول اذ خاطبه بقوله ويحك يا ابا سفيان اي تعجب
ما عقلك وذهابك وظهور حقية الاسلام وعبر بفاعل ليلطف كل منهما في مقاله واللطف
الرفق والبر ويكون بمعنى الرقة والصغر الم يان لك اي الم يدن وقت علمك يقال ان يان اذا حان
وقته وجاز بيانه ان تعلم ان لا اله الا الله اي توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا فقال
ابو سفيان بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك لرحمك اذ خاطبتني بلطف وهديتني الى
الحق مع ما قاسيته مني ثم اجابه مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد اغنى شيئا
بعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله
فقال بابي وامي اما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه
في السير واسلام ابي سفيان رضي الله عنه مشهور وفي بعض النسخ يدل ما اجملك من الجمال ويحتمل
انه من التجمل وهي صيغة تعجب وكل هذا جائز وفي تاريخ قزوين للامام القزويني روى عن علي بن
احمد بن صالح قال حدثنا ابو العباس العبدي القزويني حدثنا الحسن بن الفضل حدثنا محمد بن
غزوان البغدادي حدثنا الاصمعي حدثنا مالك بن مغول عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لطم ابو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فشكت
ذلك الى ابيها فقال لها ايتي ابا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف على ابي جهل لعنه الله

مطلب قتل حمزة وحشي

وقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجات الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم
لا تنسها لابي سفيان قال ابن عباس رضي الله عنهما ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبي صلى الله
عليه وسلم انتهى نقله السيوطي في كتاب تحفة الادب ومن خطه نقلت وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا اي غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة
بخلاف رضاه فانه يرضى باقل شي سريعا لكرمه وحلمه صلى الله عليه وسلم ويأتي فيه الكلام
مبسوطا وهذا لانه تخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه وفي الحديث
المومن بطي الغضب سريع الرضى وهذا في غير حقوق الله وفي غير ما يودي الى عدم الحمية والمروة
فلا ينافي هذا قول الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان
فصل واما الجود والكرم والسخا والسماحة جواب اما قوله الاتي فكان صلى الله عليه وسلم
لا يوازى الخ وما بينهما جمل معترضة ومعانيها متقاربة بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم
لذلك انها مترادفة وقد فرق بعضهم بينها بفروق واهل اللغة يعرفون الفرق في امثاله بمقابلها
واضدادها كما قيل وبضدها تتميز الاشيا ولابن هلال كتاب في الفروق مفيد جدا وتقدم
ان فرق بتخفيف الرا وتشديدها بمعنى الا ان بعضهم قال الاكثر في التفريق استعماله في الاجسام
والفرق في المعاني وهذا لا ينكر استعمال احدهما مكان الاخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق
باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو في الحقيقة فرق وبدا المص بالجود اولا وفي التفريق
اخره لانه عنده بمعنى السخا ولذا قيل كان الاولى تركه وعطفه على السخا وتاخيره فجعلوا الكرم
الانفاق بطيب النفس فيما يعظم عظم يعظم بضم العين فيهما جل مقداره وخطره بفتحتين وقد تسكن
الطا قدره ووقعه ونفعه لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطي
والاخذ وكان هذا معنى الكرم في عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطاء
ولذا قال وسموه ايضا حرية بضم الحا وكسر الرا المهملتين المشددة يليها يا المصدرية وهي
اذا الحقت الاسما الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولا بد في اخرها من ها تانيث ولم تفصل
النحاة حال هذه الاسما الا انها شايعة في الاستعمال وما وقع في بعض النسخ هنا من انه جراة
بجيم مضمومة ورا ساكنة تليها همزة وها كما في حواشي ابن رسلان فهو تحريف الكتاب فانه لا مناسبة
له هنا وان كانت الجراة والكرم اخوان لا يفترقان لا سيما في زمان فيه غاض الكرام وفاض
اللئام واما تسمية الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من رق الناس فاذا
طوقهم منه خلصت له الحرية لان الانسان عبيد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم
قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار ونهاية السخا لانه بذل ما له اليه حاجة وهو نهاية السخا
واعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شي من المخلوقات ولا من اعراض
الدنيا والاخرة ويكون فردا لم يسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ متمناه وقال القرطبي في كتاب
المنتقى من كلام اهل التقا في التصوف الحرية المحضة هي الخروج من ملك سلطان الشهوة والغضب
والقهر بالصبر والعبودية المحضة هي طاعة الارادة فيما لا يضطر النفوس اليه الا لبنو العادة

وايثار اللذة وكل من خدم في زمن الحداثة الشهوة والغضب شق عليه في زمن الشيخوخة ما يلحقه
من ضعف بدنه عن خدمته لذته ومن خدم في الراي والادب شق عليه ذلك في الحداثة وكان
في زمن الشيخوخة متريحا انتهى وهذا ضد النذالة بفتح النون والذال المعجمة واللام هي
الخسة والحقارة وهي من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له
حقيقة والسماحة والسماح التجافي نفاعل من الجفا وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد
والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا نبا عنه كما قال عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع
اي لا يكثرون النوم اي العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة بشين
معجمة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهو كما قاله التلمساني سو الخلق وفي القاموس انها البخل
والاول انسب هنا والثاني انسب بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية والسخا سهولة
الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد من الصنايع المذمومة كالحجامة واخذ ما لا يحل وهو
الجود وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور في الممتع السخا ماخوذ من الارض السخاوية
وهي الرخوة ولذا وصف الله بجواد دون سخي لانه اوسع في معنى العطا وادخل في صفة العلا
انتهى وتقدم ذلك فعلى هذا هو اخص منه وقال ابن مالك رحمه الله في الكفاية السخي هو الجود
فهو موافق لما قاله المصوق لسقراط الجواد هو الذي يعطي بلا مسالة صيانة للاخذ
من ذل السوال وقال الشاعر وما الجواد من يعطي اذا ما سالته ولكن من يعطي
بغير سوال وهو ضد التقتير المعروف في اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضييق في
الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما صاحب الكشف في سورة الاسرا
يقال قترت الشي واقترته اي ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون منهما ضد
للسخا واعلم ان كلام المص هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادري من اين اخذه ولكن الامر
في مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسنكر عليه مرة اخرى فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى
بالهمز مبني للمفعول اي لا يساوى ولا يقابل يقال فلان يوازي فلانا اي يحاذيه ويساويه وقال
الكرماني موافقا للجوهري يقال ازيته اي حاذيته ولا يقال وازيته والذي عندنا في النسخ موازية
بالواو المبدلة من الهمزة وقد اجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا فتحت وانضم ما قبلها نحو جون
وجزم البرهان الحلبي بانه في كلام المص بالواو ويحتمل انه في كلامه بالهمز ورسمت واوا على قاعدة
الرحم في مثله اي هو صلى الله عليه وسلم لا يساويه احد في هذه الاخلاق الكريمة والاوصاف
الحسنة من الجود والسخا والكرم والسماحة فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم
ولا كرم ولا يبارى بالبنا للمجهول وهو بالموحدة والرا المهملة ومعناه يعارض والمعارضة ان
تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان بهذا وصفه كل من عرفه بالمشاهدة او بما اشتهر عنه شهرة لا يبقى
معها ريب ولا شبهة حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي هو الحافظ ابو علي ابن سكرة وقد تقدمت
ترجمته وهو منسوب لصدف بفتح الدال وهي قرية بقرب القيروان قال حدثنا القاضي ابو الوليد

الباجي تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو ذر الهروي تقدم ايضا قال حدثنا ابو الهيثم الكشميهني قال
البرهان الحلبي هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح
الها بعدها نون كما في لباب الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي في طبقاته
بفتح الكاف وكذا صحح في نسخ الشفا والصواب ماذكرته والنسبة لقرية من قرى مرو قديمة خرج
منها جماعة وقد خربت انتهى وفي اخره يا نسبة لم يصرح بها لانه معلوم من السياق فما في بعض الشروح
من انه لا يا في اخره وان النسبة فيه على خلاف القياس مما يقضي منه العجب وابو محمد السرخسي نسبة
لسرخس بلدة عظيمة بخراسان وقد تقدمت ترجمته وابو اسحاق البلخي ابراهيم ابن احمد بن ابراهيم
احمد بن داود المستملي الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة في ما وراء النهر
قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري تقدمت ترجمته وفربر بلدة بجنب بخارى قال حدثنا البخاري
تقدم وشهرته تغني عن ذكره قال حدثنا محمد ابن كثير بلفظ كثير ضد القليل العبدي البصري الحافظ
روى عنه اصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وعشرين ومأتين وله ترجمة في الميزان فيها كلام لابن
معين وقال الذهبي انما هو في ابن كثير الفهري ومنه تعقب لكلام المزي لانه قال العبدي قال حدثنا
سفيان هو ابن سعيد الثوري كما تقدم وهذا الحديث رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر
عن جابر كما هنا واخرجه مسلم والبخاري والترمذي في الشمايل وهو حديث صحيح عن ابن المنكدر
وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي المدني الحافظ عن ابيه وعن عايشة وابي هريرة رضي الله
عنهما واخرج له اصحاب الكتب الستة قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول ما سيل
النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا وهنا كما علمت ان الحديث اخرجه الترمذي في الشمايل
وغيره وفي معناه قول حسان ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم تسمع له لا لا
ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم اذا اتاه محتاج يطلب عطاه لا يخيبه ويقول له لا فقط
بدليل قوله حتى اذا لم يجد شيئا اقترض وقال ايتنى غدا ونحوه وهذا هو الذي عناه حسان
وهو باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة مالوفة ولم يرد انه صلى الله
عليه وسلم لم يتلفظ بلا اصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصدرة بلا نحو لا يلدغ المومن
من جحر مرتين كما لا تحصى كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لا حاجة له ثم قال واما قوله في البردة نبينا
الامر الناهي فلا احد ابر في قول لا منه ولا نعم فهو انما يقتضي صدور لا عنه مطلقا وذا لا ينافي
انها لم تكن تصدر عنه اذا سيل عن شي من متاع الدنيا لجواز صدورها منه في غير تلك الحال
اقول قد عرفت ما فيه اولا تقي هنا في البيت اشكال كان يجول في الصدر قديما وهو ان الامر والنهي
انشا لا ايجاب بلا ونعم فالتفريع بلا لا يصادف محله هنا ولم يحم حوله هنا احد من الشراح مع
ظهوره وقد ظهر لي ولله الحمد وجهه فمعنى نبينا الامر الخ انه لا حاكم غير محكوم فاذا قال في امر لا او نعم
وهو لا يقول الا صوابا موافقا لرضى الله فحينيذ لا يخالفه الا بقسر فاسر وليس غيره حاكم يمنعه
عما حكم به ويرد احكامه فهو اصدق القايلين فيما يقوله وعن انس بن مالك رضي الله عنه وسهل
بن سعد مثله اي مثل الحديث السابق المروي في الصحيحين وحديث انس رضي الله عنه هذا في مسلم

ابن الحنبلي

وذكر

273

مطلب
لا يكره ان يقال رمضان

وذكره في الوفا ايضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جيبا لا يسال شيا الا اعطاه
والاحاديث في معناه كثيرة وسهل هو الساعدي الانصاري الصحابي وقال ابن عباس رضي الله عنهما
كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير اي بما فيه نفع الناس واجود ما كان في شهر رمضان
رمضان اسم للشهر وتقيا لرمضان وشهر رمضان وكون العلم المضاف دون المضاف اليه
او هما كلام لا حاجة لذكره ولا يكره ان يقال رمضان وما روي من حديث لا تقولوا رمضان
فان رمضان من اسما الله عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما
فصله شراح البخاري وهذا الحديث رواه الشيخان وروي فيه اجود ما يكون ووقع في بعض
النسخ هنا ايضا واجود الثاني يجوز رفعه مبتدا ونصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره
محذوف وجوبا كما قرره النحاة في نحو اخطب ما يكون قايما والكلام عليه طويل الذيل هذا محله وما
مصدرية وكان تامة ولتنقص من القلادة على ما احاط بالعنق وانما زاد جوده صلى الله عليه وسلم
في رمضان لحاجة الصايمين ولانه موسم الخيرات الذي تفضل فيه الله على خلقه بما لم يتفضل
في غيره فاتبع سنة الله في عباده وتخلق باخلاقه وكان صلى الله عليه وسلم اذا القيه جبريل اجود
بالخير من الريح المرسلة لانه عليه الصلاة والسلام يستجلي فاته وامداده له بالبشرى والكرامة
فيحسن كما احسن الله اليه فكان بكثرة مجيئه له في رمضان ليدارسه القران ويعارض به بقراءة
كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القران اجود بالخير من الريح المرسلة قال الكرماني الجود
اعطا ما ينبغي لمن ينبغي والخير شامل لجميع انواعه مما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها
باذن الله فترسل بالرحمة والمطر قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وقال
المرسلات عرفا اي الرياح المرسلة بالمعروف على احد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل
الترقي فجعله اجود الناس ثم ذكر ان جوده في رمضان وعند ملاقاة جبريل زيد منه في غيره والمراد
بالمرسلة خلاف العظيمة قيل وفي قوله اجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم
من كلام اهل المعاني في تحقيق وجه الشبه في قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير
هنا اما به والدلالة على تقدير مثله فيما بعده او اشتراكهما فيه لا لدفع توهم تعلقه بالريح
المرسلة وليس من الاكتفا وفي تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته له وقد علم ان المراد
بالريح المرسلة التي لم ترسل بالغيث لا مطلقها لانها في القران مخصوصة بهما فان قلت ذكر الريح
وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون في العذاب والشر واذا جمعت فهي للنفع والخير قلت هنا قيل
انه مخصوص بما وقع في القران بالاستقرا لا مطلقا فلا ينافيه ما وقع في هذا الحديث وغيره
ويؤيده ما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي بن كعب انه قال كل شي في القران من الريح فهو رحمة وكل شي
فيه من الريح فهو عذاب وما ورد في الحديث كما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ما هبت
ريح الا جثى النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل على اختصاصه بما وقع اتفاقا في القران لانه قيل
انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها من جملة رياح القران ولا تجعلها من ريحه اي

مما ذكر بهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قيل الا ترى الى قوله ارسلنا عليهم الريح العقيم وريحا
صرصرا ونحو ذلك وقوله وارسلنا الرياح لواقح وارسلنا الرياح مبشرات وقد قرئ في بعض ايات
الرحمة بالافراد والجمع وورد مفرده في ذلك فكانه اغلبي واما تاويل رياحا في الحديث بما جاز فيه
الجمع فتعسف وقيل يحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك لان ما هب ان كان ريحا واحدة
لم تلقح السحاب ولم ينزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل ان يكون معناه لا
تهلكنا بريح واحدة لا تهب بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى تهب علينا رياح كثيرة وعن انس
رضي الله عنه كما رواه مسندا مسلم في صحيحه ان رجلا هو صفوان ابن امية الاتي بيانه كما في
سيرة ابن سيد الناس وغيرها ساله صلى الله عليه وسلم فاعطاه غنما كثيرة كانت بين جبلين
اي مالية واديا بين جبلين كما يفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال للغنم السارحة بينهما
قليلة اوكثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله فرجع الى قومه وهم قريش لانه
من اهل مكة وفي نسخة الى بلدة وقال اسلموا الا ينافيه وان كان قبل اسلامه فاما انه كان في
صدر الاسلام يجوز اعطا المولفة قلوبهم من الكفار من الزكاة او من بيت المال ثم نسخ وقول
القصري واتاه اعرابي التمس الندا اعطاه شاء ضمها جبلان لعله قصة اخرى فان الرجل
المذكور عنا من اكابر قريش ورؤسه قوله فان محمدا يعطي عطا من لا يخشى فاقة فان قريشا
كانوا يعلمون كرم محمد وجزيل عطائه صلى الله عليه وسلم فانه لا يخشى فاقة وما بارى احد
في الجود الا فاقة والفاقة الفقر اواشد وهكذا اوليا امته ففي الحديث دعايم امتي عصاب
اليمن واربعون رجلا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه اخر اما انهم لم يبلغوا ذلك
بكثرة صلوة ولا صيام ولكن بسخا الانفس وسلامة الصدور والنصيحة للمسلمين واعطى
غير واحد مائة من الابل الابل اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم
صلى الله عليه وسلم مائة ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث ابن هشام وقد
عدهم البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم وكذلك ذكر الشيخ قاسم
في تخريج احاديث هذا الكتاب واعطى صفوان ابن امية مائة ثم مائة ثم مائة وصفوان ابن امية
هو ابن خلف بن وهب بن خزاعة ابن جمح قريشي له صحبة وكنيته ابو وهب اسلم يوم الفتح وشهد
حنينا والطائف وهو مشرك فلما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنى ما ذكر قال
اشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبي فاسلم وروى له اصحاب الكتب الستة وتوفي في خلافة
معاوية سنة ثنتين واربعين بمكة وعلى هذا فاعطاه مرارا غنما وابلا فلا منافاة بينه
وبين ما سبق وعطاؤه له السابق كان من غنايم حنين وهذا الحديث رواه مسلم وهذه
الخصلة والسجية في الكرم والعطا كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث اي نبيا
او يرسل وقد قال له ورقة بن نوفل ورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين وقاف وهو ورقة بن
نوفل بن اسد ابن عبد العزى كان من اعقل اهل زمانه واعلمهم شاعر بليغ مثاله وكان يقرا
الكتب القديمة بالعربية والعبرانية ويتاله ويتعبد ولذا سمي القس وتهود في اول امره ثم تنصر

وهو ابن عم خديجة ام المومنين رضي الله عنها وله اشعار كثيرة في التوحيد والترهب لم يكن له
عقب وورد في الحديث لا تسبوا ورقة فاني رايت له جنة او جنتين يعني بذلك ما ورد من طريق
اخر انه صلى الله عليه وسلم راه في منامه في الجنة وعليه حلة خضرا او بيضا ونحوه كثياب
من حرير وحلة من سندس وكان حيا في ابتدا الوحي الى ان نبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وامن به كما في اول البخاري وقال لئن ادركت زمانك لانصرنك
نصرا موزرا وكان صلى الله عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يومر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته
صلى الله عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا انه اول من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم
من الرجال وهو ثان بالنسبة لخديجة رضي الله عنها وصحابي ولذا عرفوا الصحابي بانه من اجتمع
بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغي التنبه له وفي نظم السيرة
للعراقي فذكر ورقة فهو الذي امن بعد ثانيا وكان برا صادقا مرائيا والصادق المصدوق
قال انه راى له تخططا في الجنة وهذا هو الصحيح المذكور من انه صحابي عند بعضهم وقيل
انه ليس بصحابي لانه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ولم يومن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون
وقول المص رحمه الله تعالى وقد قال الخ ان كان الجملة معطوفة على ما قبلها فهو صادق على القولين
وان كانت حالا من الضمير في قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثاني وهو مؤمن على كل حال ولذا
راه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة والاكثر من علمائنا انه صحابي وانك تحمل الكل هنا بعض
من حديث صحيح رواه الشيخان لكن قال السيوطي في تخريجه القايل له صلى الله عليه وسلم وهذا
انما هو خديجة رضي الله عنها مكالمتها لورقة في شان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل عليه
الصلوة والسلام في اول امره وخاف على نفسه منه وكذا اعترض عليه الشيخ قاسم في تخريجه
ايضا فقال لا اعلم هنا من قول ورقة رضي الله عنه والذي في صحيح البخاري وغيره انه من قول
خديجة رضي الله عنها وما قيل من ان القاضي جليل القدر لا يخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره
من ورقة لا يجدي نفعا مع نقل الصحيحين خلافه وليس مثله محل بحث والكل صادر بنوة والكل جود
بنوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام مصدر بمعنى الكلال وهو الاعيا وفسر بالثقل فقيل
انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا يقال حمل الاعيا والذي في البخاري قبل هذا من قولها
ايضا حين قال لها صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل عليه الصلوة والسلام لقد خشيت
على نفسي وهو فقالت كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث وتودي الامانة والحديث في اول البخاري
والكلام عليه مفصل في شروحه وحمل الكل هو كقول العرب في المدح هو حمال اثقال اي يحمل
ثقل غيره من الضعفا والعيال واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطايهم كل ما يحتاجون
اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شاع في هذا المعنى وتكسب قال ابن
قرقول بفتح التا وكسر السين المهملة في اكثر الروايات واصحها اي تكسب لنفسك بتحصيله
ما ليس وقيل تكسب غيرك اي تعطيه لان كسب جالاز ما ومتعديا وانكر الفرا وغيره اكسبه

في المتعدي وصوبه ابن الاعرابي وانشد فاكسبني مالا واكسبته حمدا فيتعدى بالهمزة لمفعولين
وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين ككسب والمعدوم الذي لا وجود له واما
الفقير فيقال له معدم كمكرم قال الشاعر قالت بنات العم يا سلمى وان كان فقيرا معدما قالت
وان قيل ويطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف
ان بني للمعلوم ومذكور ان بني للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطي الناس الفقرا ما لا يجدونه
عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابي رحمه الله تعالى صوابه المعدوم
بلا واو يريد انك تعطي العادم الفقير الذي لا يجد شيا حظا لان هذه الرواية صحيحة
مشهورة عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله عليه وسلم على نفسه وجوه واصحها
انه خشي الهلاك من شدة الرعب او تعييرهم اياه فارادت خديجة رضي الله عنها دفع ذلك
الذي خشيه بقولها المذكور لا تخف فانك لا يصيبك مكروه لما فيك من جميل الصفات
ثم ذكر قصة هوازن وهي صحيحة رواه البخاري وغيره فقال ورد على هوازن سبايا ها
وكانت ستة الاف نفس من النسا والذرية غير الاموال التي غنمها منهم لما غزاهم وكانت اربعة
وعشرين الفا من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة الف وقية من الفضة
والاوقية اربعون درهما وعن ابن فارس انه قوم ما وهبه لهوازن فكان خمسمائة الف وقيل
ستمائة الف الف وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسلم وكان يسكن حنينا وهو
يأتي موضع سمي بحنين بن نابة مهلاييل وغزوته صلى الله عليه وسلم لهم تسمى غزوة حنين وغزوة
هوازن وكانت في شوال وفي رمضان وامرها معروف مفصل في السير ولما غزاهم وغنمهم
جا وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرد
وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع فسالوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم
لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال لهم ابناوكم ونساوكم احب اليكم ام اموالكم قالوا
ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب
فهو لكم وما للناس سنسال منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله
وقال جماعة من المولفة قلوبهم اما ما لنا فلا فاخذه صلى الله عليه وسلم قرضا على ان
يعوضهم عنه من اول مال يجي فسلموه جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك
لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق حق الغير به والسبايا جمع سبية
بمعنى مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النسا واعطى ايضا العباس بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري عن انس تعليقا من الذهب ما لم يطق
حمله وقد اتي بمال من البحرين وكان اكثر مال اتي فنثر في المسجد فاتاه العباس رضي الله عنه
وقال اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا فقال له صلى الله عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب
ليقله فلم يستطع فقال لمن يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب
يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه صلى الله عليه وسلم

بصره

بصره تعجبا منه ولم يقم حتى فرقه فلم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها
275 وكان يخفي اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فعلوه وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون
الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منها رواه ابن الحسن بن
الضحاك في شمايله مرسلا الا انه قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في الوفا وقال سبعون
الفا كما قال الشيخ قاسم في تخريج احاديث الشفاء والسيوطي في تخريجه بلفظ سبعين بتقديم
السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصري في مديحه سبعون الفا قسمها في مجلس لم يبق منها عنده
فلسان وقوله حتى الخ غاية لقوله قسمها وقيل لقوله فما رد سايلا وليس المراد انه يرد بعد
الفراغ فهو على حد قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وجاءه رجل فساله عطا شي
يحسن به له فقال ما عندي شي ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافي ما مر من انه صلى الله عليه وسلم
ما قال للسايل لا قط لان المراد انه لم يمنعه ما سال من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره
في عدم التعجيل له بدليل قوله ولكن ابتع علي بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناة فوقية
مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشراء فانه يطلق عليهما وفي القاموس ابتاعه
اشتراه اي اشتر بثمن يكون ذلك الثمن علي وفي ذمتي كذا ثبت في الحديث وفي شرح الدلجي انه
بتقديم المثناة الفوقية على الموحدة اي اشتر واستلف ما تختار بثمني وليس هذا ضمانا بل
وعد منه الا ان وعده صلى الله عليه وسلم كان ملتزما الوفا لان وعد الكريم دين ولذا صح انه
لما توفي نادى ابو بكر رضي الله عنه من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة او دين
فلياتنا فجاء جابر رضي الله عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني كذا فاعطاه له
فاذا جانا شي مما من الله به من الغنايم او غيرها وفي قوله جانا يعني معاشر المسلمين اشارة
الى انه قال الله لعباده لا لي وحدي قضيناه اي اديناه ويحتمل ان الضمير هنا وفيما قبله للتعظيم
اي قضيته قضا انا له التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم ولذا لم يقل جاني وقضيته مع
نزله على فتامل والقضا يشعر بانه لزم ذمته كالدين فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك اي بدا في وجهه الشريف اثر عدم رضاه لان فيه
كسر خاطر السايل ولان مثله لا يعد تكلفا لما قدر له لما عوده الله من فيض نعمة عليه فقال رجل
من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا كان حاضرا لما راى من كراهة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك البرهان هذا الرجل لا اعرفه وفي حفظي ان القايل
بلال رضي الله عنه لكنه مهاجري لا انصاري فيكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي
فيه ذكر بلال قصة اخرى المامور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار مسندا
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبرة
من تمر وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ما عندي الا صبرة جانبها لك
ولضيفانك فقال اما تخشى ان تقذف بها في نار جهنم انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا
ومن العجب ايراده هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث انفق بر ولا

ووجه بتوجيهات منها ان اصله بلالي بالاضافة ليا المتكلم وحذف حرف النداء وابدال اليا الفا كيا
غلاما وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل اي انفاقا رطبا تبل به قلوب الكليه ولو قيل انه رد
لاصله من النصب واطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد اخرجه العسكري في الامثال مرفوعا ومعنى
اقلالا ان يقلل الله الرزق ويجعله قليلا لان الكل منفق خلفا وقوله لا تخش نصف بيت وقع اتفاقا
وقيل بلالا كلمتان اي بخيلا ويا باه رواية يا بلال بحرف النداء والذي رواها المصر ولا تخف دون
لا تخش كما مر وقول بعض الشراح الصواب لا تخش ليصير موزونا غير صواب من وجهين فتبسم
صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه بانبساطه وتهلل اساريره وقال بهذا امرت اي بالا
نفاق من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهي مبادي الضحك وقد استشكل هذا
بان الله امره بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
قال في الكشاف لان الاسراف غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى
يربط الحجر على بطنه واجاب القاضي ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله عليه وسلم
وغير خلص المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب لتوكلهم وثقتهم بما عند الله
اما من كان ليس كذلك يتحسر على ما ذهب منه فهم المحمود منهم التوسط وهم الذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم لا صبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه الصلاة والسلام كلام
عمر رضي الله عنه لما راعى ظاهر الحال وامره بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم
لعلمه بكثرة السايلين له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصاري راعى حاله صلى الله
فلذا سره كلامه فقوله بهذا امرت اشارة الى انه امر خاص به وبمن يمشي على قدمه وقوله فذكره
الترمذي اشارة الى من روى هذا الحديث وذكر عن معوذ بن عفراء ذكر بالبناء للمجهول قال السيوطي
ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمايل والطبراني عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعني ان المذكور
انما هو الربيع بنت معوذ بضم الرا المهملة والتصغير فهو مشدد اليا التحتية اسم امراة منقول
من مصغر ربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع او وقف عليه القاضي
رواية عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم
وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا يجيزه وكذا ضبطناه عن الصدفي
ثم ذال معجمة وقال التلمساني قيل ان الدال مهملة مع الفتح والكسر والاول اولى وعفرا بعين مهملة وفاء
مهملة وهمزة ساكنة ممدودة اسم امه وهي عفرا بنت عبيد بن ثعلبة وشهد بذلك واسم ابيه الحارث
بن رفاعة بن الحارث بن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه هو الذي قتل ابا جهل
وفيه كلام في الميسر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع بقاف مكسورة ومضمومة فنون والف
فعين مهملة ويقال له قنع بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله من رطب تريد طبقا انه مفرد
وكذا قوله في حديث اخر تهدي لنا القناع فيه كعب حيثما فهو واجر زغب بفتح الهمزة وسكون الجيم
وكسر الرا واصله اجري فسقطت ياؤه كادل في جمع دلو وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن علم وهو
صغير القثا وزعم ابن قرقول ان جرو اجمعه اجرا على افعال وهو جمع جرو وزغب بضم الزا وسكون

ابن الحنبلي

الغين المعجمتين وموحدة جمع ازغب وهو ما عليه زغب والزغب صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون
على الفاكهة ونحوها من الصغير وقوله تريد قثا بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهي
معروفة وهي ضرب من الخيار والفه للتانيث او للالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره
ولذا صنعه الجمع ولا حاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال ان زغب هنا كالديار
الصغر كما توهم وهو تفسير لقوله اجر وروى الهروي اجنيا بالنون بدل اجر وهو جمع جنا وهو الغض
الرطب والمشهور الاول وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثا فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا
بالواو العاطفة وفي الترمذي او قال ذهبا مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل
على الوهم وفي رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال البحرين انما اتاه صلى الله عليه وسلم بعد ظهور
الاسلام والحلي بفتح الحا المهملة وسكون اللام بزنة ضرب وجمعه حلي بضم الحا وكسرها ووزنه
فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمساني بالمفرد هنا فان كانت الرواية به
فواضح والا فيجوز قراءته بالوجهين وعن انس وفي نسخة قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد اخرجه الترمذي وشيئا اعم من المال والقوت وهذا بالنسبة
لاغلب احواله صلى الله عليه وسلم وقد وقع خلافه تعليما وتطييبا لقلوب اهله وهو
لا ينافي التوكل كما لا يخفى والخبر بجوده اي فخبيا ان جوده وكرمه كثير لا يحصى فحدث عن البحر
ولا حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرجل
لم يسم والحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره يساله فاستسلف له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي اقرض والسلف والقرض بمعنى نصف وسق بفتح الواو وكسرها وهو ستون
صاعا وعند اهل الحجاز ثلاثمائة وعشرين رطلا واربعمائة وثمانون رطلا عند اهل
العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبي رحمه الله تعالى والوسق
ايضا مصدر بمعنى ضم الشيء فجاءه الرجل الذي اقترض منه يتقاضاه اي يطلب منه كما مر فاعطاه
وسقا مما اخذ منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له نصف قضاء لما اخذته منك ونصفه
نائل اي عطا وهبة لك ووقع في بعض النسخ هنا زيادة سقطت من اكثر النسخ وهي وقد
قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة وهي
غاية الكرم والايثار على رايهم واصطلاحهم في الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل احد في القيامة يقول نفسي نفسي ويقول هو صلى الله
امتي امتي انتهى ما زيد هنا واثبتها محمد بن مرزوق في شرحه وتبعه التلمساني وشرحها فالنتم
الفائدة ببعض فوائدها وبيان ما فيها فاعلم ان الدقاق هو ابو علي الحسن بن علي شيخ القشيري
تفقه في اوله على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته والمتصوفة والصوفية واحده
صوفي ويقال للتصوف اذا انقطع الى الله تعالى كما يقال لقيسي اذا انتسب لقيس وهذا لفظ مولد
واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم الصوفي هو المنقطع بهمته الى ربه وهم
مقتدون باهل الصفة رضي الله عنهم وهي سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة في مسجد النبي

صلى الله عليه وسلم وكان قبل الاسلام حتى يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفى
نسبة لهم وقيل لانهم يجتمعوا كما تجمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض
او هم منسوبة للصوف للينهم وسهولة اخلاقهم او للبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا
اظهر الاقوال لفظا ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفى فابدل لاحد حرفى التضعيف لينا وقيل
انه من الصفا ففيه قلب وصح هنا بعضهم لقول البستى تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا
جهلا فظنوه مشتقا من الصوف ولست انحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفى حتى سمى
الصوفى ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعرا وقد بين المص رحمه الله تعالى معنى الفتوة
فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل هذا معنى
ما قاله الحكما فى علم الاخلاق ان الله تعالى ركب فى الانسان قوة هى مبدو الاقدام على الاهوال
والمهالك لتصونه ان من خاطر بالنفس ربما يهلك النفس وانه لا يغنى حذر من قدر وهى القوة الغضبية
الشنيعة والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة ليكون اقدامها
على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التشهور وهو
الاقدام حيث لا ينبغى وتفريطها الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراة اعم منها وهذه
تختص بالانسان ومنها ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لفظى بالاعم والنجدة بفتح
النون وسكون الجيم ودال مهملة كما فى النهاية وهى شدة الباس ويقال هم انجاد امجاد اى
اشد اشجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد وفسرها
اهل اللغة بالشجاعة على عادتهم فى التسامح فلا ينافى تغايرهما كما توهم ويؤيده ما فى الحديث
الاتى عن ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت
النجدة فى معنى المساعدة ثقة النفس فى بعض الشروح وثق الشىء بالضم وثاقه صلب واشتد
ومنه الوثاق وثقت به بالكسر ثقة اعتمدت عليه وائتمنته كما فى التقريب والمص رحمه الله
تعالى استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم اظفر به قلت هذا عجيب منه فانه بمعنى اعتماد النفس
على ربها واعتماده على نفسه عند استرسالها اى انطلاقها واخذها فيما يردى الى الموت اى
استينا سها وطمانينتها بلا خوف كما ورد فى الحديث ايما مسلم استرسل الى مسلم فغبنه
وحديث غبن المسترسل ربا حيث يحمد فعلها دون خوف قيل ومنشؤ قوة النفس وشدتها
وليست عين الشجاعة فسرها الشرح بما ينشؤ عنها انتهى وكلامه ماش على تغايرهما والشراح
لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فان الشجاعة جراة واقدام يخوض به المهالك كما
ينبغى والنجدة ثباته على ذلك مطمينا من غير خوف من ان يقع على الموت او يقع الموت عليه
حتى يقضى الله تعالى له باحدى الحسنيين الظفر والشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا
فتلك مقدمته وهذه نتيجتها ولذا اخرها المص فى الذكر وكان صلى الله عليه وسلم منهما
اى من الشجاعة والنجدة بالمكان الذى لا يجهل اى كان متصفا بهما على اعظم وجه ومشتهرا
بذلك اشتهارا لا يخفى على احد وعدم جهل المكان لعلوه وشرف بنايه كالجبل والقصر فكنى بذلك

ابن الجنبلى

دبلى

عن علو

277

عن علو قدره صلى الله عليه وسلم وشهرته على حد قوله ان الشجاعة والسماحة والندى فى قبة
ضربت على ابن الحشرج قد حضر المواقف الصعبة اى مواضع القتال الشديدة ومصافها جمعها
نفسها صعبة لصعوبة ما فيها وفر الكماة والابطال عنه غير مرة الفرار الرجوع بسرعة والكماة
بزنة قضاة جمع كمى على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل او هو جمع كام بمعنى كمى
وان لم يسمع وهو من تكمى اذا تستر فاصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل فى
مطلق الشجاع كالمشفر فانه قيل انه سمى به لانه يستر شجاعته ووقايعه كان الثانى حقيقة
ايضا لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل كحسن وهو الشجاع المعروف بالشجاعة
سمى به لانه يبطل عنده دما الاقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تجعل غير مرة بمعنى مرات مع
صدقه على مرتين للابهام ونحوه من الفوايد وهو صلى الله عليه وسلم ثابت لا يبرح اى لا يفارق
مكانه قال تعالى كقوله فلن ابرح الارض اى لا افارقها ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح اى لا يزول
عن مقره قال تعالى فمن زحزح عن النار وهذه الحالتان تدل على ثباته صلى الله عليه وسلم
اى انه تارة يقبل على الحرب وتارة يثبت كالجبل الراسى فلا يتحرك فان اريد بالمقبل له بجده وتوجهه
بوجهه وبعدم ادباره التفاته لغيرهما فهما حال واحدة واصل معنى التزحزح التباعد
والتنحى عن المكان قال الزبيدى زحه ازاد فعه وكذلك زحزحه وقيل هو من زاحه يزيحه او من
الزوح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح وانزاح اذا تباعد ومنه المزاح
والصحيح الاول وعطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان من خصايصه صلى الله
عليه وسلم انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثروا زاد على ضعف عسكره وياتى ما فيه
واما الان فان زاد العدو على ضعف المسلمين جاز انصرافهم عن القتال والا فلا يجوز الا
بالتحيز او التحرف الى فئة فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقها والمفسرون وما يحتاج
الا وقد احصيت له فرة احصيت بالبنا للمجهول من الاحصا وهو العد والحفظ والفرة المرة
من الفرار وهو الهزيمة والفرار الهارب وحفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم
الجولة بفتح الجيم وسكون الواو واللام المرة من الجولان فى المكان وقيل هى الانكشاف
والزوال عن الموقف من غير تقييد بالمرة فى النهاية جال واجتال اذا ذهب وجاء ومنه الجو
لان فى الحرب والجايل الزايل عن المكانه وقول الصديق رضى الله عنه للباطل نزوة وللحق
جولة يريد به غلبه من جال على قرنه يجول انتهى والجولة هنا صفة ذم بمعنى فر لا غلبة وفى
الحديث للباطل جولة ويضمحل والحاصل ان الجولة تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب والعود
والتردد فى المكان ويصح ارادة كل منهما هنا ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر ما يدل على ما ذكره
فقال حدثنا القاضى ابو على الجيانى فيما كتب لى هو الامام الحافظ ابو على الغسانى الجيانى
بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم الف ونون وياء نسبة لابلدة منها ابن مالك وابو حيان
وغيرهما من الايمة وقوله كتب لى دون الى يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله
حدثنا فان الكتابة تكون للغايب والحاضر وتضمن الاجازة وابن الصلاح رحمه الله تعالى

لم يفرق بين كتب له واليه اذ فالكثيرا ما يوجد في مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الي فلان وهو معمولة
عندهم معدود وفي المسند الموصول وفيه اشعار قوي من الاجازة وان لم تقترن بها وعند السمعاني
وامام الحرمين انه اقوى من الاجازة المجردة قال حدثنا القاضي سراج بكسر السين كالسراج المنير وهو
سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموي توفي لست بقين من جمادى الاولى
سنة ثمان وخمسمائة والذي روى عنه الجياني وهو جد سراج بن عبد الله كما قاله التلمساني قال
حدثنا ابو محمد الاصيلي هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي ويقال الازيلي
بالزاي والسين ايضا نسبته لاصيلة بلدة بالمعروفة كما قاله ابن قرقول وقال الصاغاني في الذيل
والصلة اصيل بلد من اعمال الاندلس قال حدثنا ابو زيد الفقيه هو ابو زيد المروزي وقد تقدمت
ترجمته قال حدثنا محمد بن يوسف الفربري وقد تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو
الامام البخاري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابن بشار الامام الحافظ ابو بكر محمد بن بشار بفتح
الموحدة التحتية وتشديد الشين المعجمة والف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه اصحاب الكتب
الستة عاش ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل احدى وخمسين وترجمته
مفصلة في الميزان قال حدثنا غندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وتضم
وراء مهملة وهو محمد بن جعفر الهذلي مولاهم البصري الحافظ روى له اصحاب الكتب الستة توفي
سنة ثلاث وتسعين ومائة وترجمته في الميزان ايضا عن ابي اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي
الهمداني الكوفي احد اعلام الحديث اخذه عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين وروى عنه خلق
كثير وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو يشبه الزهري في الكثرة وكان صواما قواما غازيا مات سنة
سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعين سنة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة
في الميزان سمع البراء بن عازب الصحابي المشهور وقد سئل رجل وهذا الحديث اخرجه القاضي كما ترى
عن البخاري في الجهاد في موضعين باختلاف في بعض الفاظه ورواه مسلم في المغازي والنسائي
في السير افررتم معاشر الصحابة يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وحنين
ثمانية ابن مهلائيل وبه سمي الموضع المعروف وسميت غزوة حنين واوطاس باسم الموضع الذي
كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة في شوال ووقع في البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم
خرج الى حنين في رمضان والمعروف انه في شوال وما ذكره المصنف ورد في بعض طرق الحديث
وفي بعضها افررتم ولم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي رواية مسلم وعلى هذه
الرواية قال النووي جواب البراء رضي الله عنه من بديع الادب لان تقديره افررتم كلكم فيقتضي
انه صلى الله عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه
ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا ياتي الا على الرواية الثانية
وكان ينبغي للشيخ ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا لفهم احترز عنه السائل بقوله عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يجئ انه صلى الله عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله احد وقد نقل الاجماع
على انه لا يجوز ان يعتقد انه صلى الله عليه وسلم انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس

وابو سفيان

وابو سفيان رضي الله عنهما اخذين بلجام بغلته بكفانها عن اسراع التقدم الى العدو كما ياتي
وقد صرح به البراء في حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه ياتي الجواب على ما رواه المصنف ايضا
لان قول السائل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دفع وهم انه ما فر معهم لا يدفع انه
فر بعد فرارهم فكان ثابتا فيما طواه البراء في الجواب الذي تقديره فر من عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي دفعه بقوله لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر لانه استدراك
لدفع ما توهم من الكلام السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البراء ان بين
انفرادهم لم يكن بالكلية وانما معناه تحولنا عن وجه العدو وفي لنا جولة ثم عدنا وكيف ندع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعز من انفسنا وهو من الاسلوب الحكيم فكانه لما سأله
عن فرارهم قال له هذا لا يهمك شانه وانما الذي ينبغي ان نعتقده انه صلى الله عليه وسلم
لم يفر تكلف ليس في الكلام ما يدل عليه ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء الشهباء يقال
لها فضة اهداها له فروة بن نفاثة كما في مسلم وفروة بفتح الفاء واسكان الراء ونفاثة بضم
النون وبالفاء المخففة وبالمثلثة الجذامي بضم الجيم وبالذال المعجمة وفي رواية ابن اسحاق بن
نعامة بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله عليه وسلم في حنين بغلته
تسمى دلدل كما قال النووي في شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل اهداها له المقوقس
وكبرت وبقيت الى زمن معاوية رضي الله عنه ويقال انه وجهها صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله
عنه وكان له صلى الله عليه وسلم ست بغلات او خمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهداها
اليه وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه المغيرة
او اسمه كنيته وكان اخاه من الرضاع والفا الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله عليه
وسلم ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبي صلى الله عليه وسلم
واجابه حسان رضي الله عنه بما هو مذكور في السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم
حنين وتوفي سنة عشرين وصلى الله عليه وسلم وهو احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر
كما فصله اصحاب السير اخذ بلجامها اي بمسك عنان بغلته عليه الصلاة والسلام والعباس
رضي الله عنه من الجانب الاخر فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي سفيان وقال
وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابي وامي فقال نعم اخي ناولني حصا
من الارض فناوله ورمى به فاصاب اعينهم كلهم وانهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع
للاتصال بالعدو لما راياه من اقدامه صلى الله عليه وسلم ومسارعته فاشفقا عليه بمقتضى
المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله عليه وسلم وحماية الله له والنبي صلى الله
عليه وسلم عليه يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب هذه الرواية المشهورة
بسكون الباء للوقف ويروى بتحريك الباء فيهما وروي بلا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال
وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من بحر الرجز والنبي صلى الله
عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فكيف يصدر

عرضه

مطلب دلدل

عنه صلى الله عليه وسلم هنا ونحو كقوله اهل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
ووقع مثله في كتاب الله واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا
بهذا وبان العرب لا تسمي قايله راجزا لا شاعرا بان المراد بالشعر الممنوع عنه صلى الله عليه وسلم
ان يكون بنظم انواعه فيكون سجيته وما وقع نادرا لا يعد قايله شاعرا ونظيره ما قاله
الباقلاني في كتاب الاعجاز ان القران يقع فيه ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله
لا يكون القران شعرا كالبيت والمطرع اذا وقع في النثر رسالة او خطبة والجواب المشهور
ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع في الحديث وفي القران كقوله يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا في الحديث صحيح واما
في القران فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لا بد ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن
ان يقع شيء في الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا البعض مشايخي فاستحسنه ثم رايته
في بعض شروح المفتاح وقد اجبنا عنه في كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة في كتاب التكملة
لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القران موزون لانا لا نجوز ان يقرا على هذه الطريقة بل نصل
الكلام ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام
حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك وهو لحن لا يصدر عمن هو افصح الناس
وفيه نظر ونفيه الكذب عنه لانه صلى الله عليه وسلم مصون عنه مطلقا او معناه
لا كذب في الظفر والنصر وما وعدني الله او لا اكذب في دعوى النبوة لظهور اياته ووضوح
برهان معجزاته والمقصود تثبيتهم حتى لا يفر احد منهم ان كان الضمير راجعا للبخاري في قوله
زاد غيره اقتضى صيغة ان هذه الزيادة لم ترد في البخاري مع انها فيه في محلين من كتاب الجهاد
فكان ينبغي له اسقاط قوله وزاد غيره ان رجع لغيره ممن سمع البراء فالامر واضح وقوله
انا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب انا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما انتسب
صلى الله عليه وسلم لجده دون ابيه لاشتهاره بذلك لان اباه مات شابا في حياة
جده وهو طفل فكفله فكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه سيد اهل
مكة او خصه بالذكر وقد اشتهر مراعنه تثبيتا لنبوته عليه الصلاة والسلام وازالة
للشك فيها لما عرف من رؤياه المشهورة بذلك كما انبا بذلك الاحبار والكهان فكانه يقول
انا ذلك الموعود به فلا بد مما وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول او مغلوب وكان
عبد المطلب راى في منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف
في الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور فاذا
اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه
اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السما والارض فلذلك سماه محمدا كما قاله حين قيل له
لم سميته بهذا وليس لاحد في ابائك ولا قومك مثله فقال لارجو ان يحمده اهل الارض
وقيل ان امه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا

قد علمت ان قوله انا النبي الى اخره ليس من الافتخار المنهي عنه لانه جائز في الجهاد لارهاب
العدو وكان صلى الله عليه وسلم ينصر بالرعب كما مر وهنا جار على عادتهم كقوله اقول له
والرمح باطر متنه تامل خفافا انني انا ذلكا قيل فما راى يومئذ احد كان اشد منه
صلى الله عليه وسلم اي لم يرى في حرب هوازن اقوى واشجع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد
ركب بغلته وقد ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم
بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا برزوا للقتال في كتايب لم ير المسلمون مثلها عددا وعدة وحملوا
حملة واحدة وكانوا ارمى الناس بالسهام واعرفهم بالقتال فانهزم الناس والنبي صلى الله عليه
وسلم ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم وهو يقول يا انصار الله وانصار رسول الله انا عبد الله
ورسوله ثم تقدم بحربته امام الناس فلم يمض قليل حتى هزمهم الله وانما قال المص رحمه الله
تعالى قيل لان هذه اللفظة بعينها لم تثبت عنده بطريق صحيح واما كونه صلى الله عليه وسلم اشد
من حضر تلك الوقعة واشجعهم فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن احدا انكاره وقال غيره اي غير
البخاري الذي الحديث السابق من روايته لكنه لم يذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته
فانه في رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال لما غشوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم فقال
شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم حتى امتلات عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله
ولا شك ان النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى وتسميه العرب نزالا فلما التقى
المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين هذه حال مؤكدة وهي قد تكون موافقة لعاملها معنى
كهذه الاية وولى مدبرا وقد تكون موافقة له لفظا كقوله اصبح مصبحا لمن اريد نصيحته والاول
اقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب الظاهر وفي قوله ولى المسلمون ان اريد جميعهم مجاز بجعل الاكثر
بمنزلة الجميع والا فلا تجوز خلافا لمن ظنه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف في عددهم كما مر
وفصل في السير وكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه رواية عن العباس رضي الله عنه عم النبي
صلى الله عليه وسلم قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي جعل وشرع في فعل ذلك يركض بغلته نحو الكفار اي يسوقها ويسرع بها
والركض الضرب بالرجل فحين ينسب الى الراكب فهو اعدا مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب
الى الماشي فوطئ الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب على الظرفية اي في جهتهم وانا اخذ
بلجامها اي ممسكه اكفها اي امنعها من السرعة ارادة ان لا تسرع اي لاجل ارادة ان لا تسرع نحو
العدو وتنغمر به وابو سفيان بن الحارث بن عمه اخذ بركابه هذه رواية وفي اخرى ان ابي سفيان
كان يقود بغلته صلى الله عليه وسلم اخذا بلجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة
كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات ثم نادى العباس رضي الله عنه وكان جهوري الصوت
يا للمسلمين بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يا لله
يا للمسلمين وكان نداوه رضي الله عنه بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال له يا عباس

مطلب نادى العباس

نادى اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا حتى هزم الله اعداء الدين وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الان حمى الوطيس وهذا الحديث نقله المص رحمه الله عن مسلم بالمعنى اذ ليس
فيه نداء العباس رضى الله عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب السمرة
هم اصحاب الشجرة وانما خصهم بالندا لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت وان لا يفروا فذكرهم
بذلك وفى خصايص الخيضرى كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا
والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن انما
ورد ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الزحف
وخوفه من القتل غير جايز لان الله عصمه انتهى وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ اى لهابة كل احد له صلى الله عليه وسلم وخوفه
منه لا يتحرك احد عنه وقال لشىء دون واحد مبالغة فان العاقل وغيره سواء فى ذلك ففى هذا اشارة
الى انه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة احيانا ولكن ذلك غيرة على حدود الله
لا لنفسه ومناسبته هنا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان الغضب مقتضى للبطش والاقدام
وهو من غطها وهذا بعض من حديث صحيح فى شمايل الترمذى وقال ابن عمر رضى الله عنهما من حديث
صحيح رواه الدارمى مسندا ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة
فليس عطفه عليه عطف تفسيرى كما توهم ونفى الافضل هنا يفيد نفى المساوى بطريق الكناية كما
تقول ما فى البلد اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اكثر
رضى منه لانه صلى الله عليه وسلم كان يرضى بكل شى من ملبوس وماكول وغيره ويحتمل ان المراد
بالرضى عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره وبكل
منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية فى رضى الله للكفر
فى قوله ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر انه هنا مراد المص لانه المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه
احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى وقيل عطفه اجود على انجد لما بينهما من المناسبة فان الجواد
لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت كقوله انا الذى جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جميعا
ولان الاول بذل النفس والثانى بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود وقال على رضى الله
عنه انا كنا اذا حمى الباس بالموحدة وبهمزة اوالف وهو الشدة والمراد به الخوف والحرب حمى
علم او قد ففيه استعارة مصرحة او مكنية اى اشتد القتال وهذا معنى ما وقع فى الرواية
الاخرى حمى الوطيس فان الوطيس التنور كما مر وذلك ابلغ مع نكتة لانه صلى الله عليه وسلم قاله
فى غزوة اوطاس على ما تقدم مع الكلام عليه بما لا مزيد عليه ويروى اذا اشتد الباس وهذه
الرواية مفسرة للاولى واحمرت الحدق جمع حدقة وهى ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند
الغضب لان الدم يهيج فيه وفى الحديث الغضب جمرة تتوقد فى قلب ابن ادم اما ترى انتفاخ اوداجه
واحمرار عينيه وتسميته الغضب هو غير مناسب هنا وان كان كل عدو غضبان على عدوه ولذا
فسر بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال اشتعلت واوقدت ومنه

من النار ولازمها تحمر عينه فالمعنى اذا اشتد القتال واحمر منه اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
اى جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيسد مع العدو ونحن خلفه كما يشير اليه قوله فما
يكون احد اقرب الى العدو منه ولذا امسكوا بغلته صلى الله عليه وسلم يوم حنين كما مر لما نكر
عليهم وقد صارت هذه سنة فى الملوك وقت القتال حتى ان ال عثمان يقتدون فرسه ولقد رايتنى
بضم التاء وهذه من خصايص افعال القلوب وما الحق بها من راى البصرية والحلمية ان يكون فاعلها
ومفعولها ضميرين متصلين لشىء واحد وراى هذه بصرية كما فى قوله ولقد ارانى للرماح دريئة من عن
يمينى تارة وامامى وقد اختلفوا فى تعليل هذا كما فصل فى كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده يوم
بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم ان يقول رايتنا فكانه عدل عنه اشارة الى ان كل احد
مشغول بنفسه لا يرى غيره معنى ونلوذ نستتر ونلتجى اليه قال عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا وهو اقربنا الى العدو ومن الشدة شجاعته صلى الله عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار
وكان من اشد الناس يومئذ باسا اى نكاية فى العدو كقوله تعالى والله اشد باسا واشد
تنكيلا كما قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنساى والطبرانى والبيهقى فى الدلايل
من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البرا ابن عازب رضى الله عنه كما قاله السيوطى
فى مناهل الصفا وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو اى
قرب من المسلمين وقت المقابلة لقربه اى النبى صلى الله عليه وسلم منه اى العدو وهذا من كلام
البرا ابن عازب رضى الله عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ولذا قيل ان قول المص رحمه الله قيل ليس
فى محله لايهامه ضعفه وعن انس رضى الله عنه هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان كان النبى
صلى الله عليه وسلم احسن الناس كلهم خلقا وخلقا واجود الناس اى اكثرهم عطاء واحسانا
واشجع الناس افعل تفضيل ولا وجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر ما يدل على شدة شجاعته
صلى الله عليه وسلم فقال لقد فزع اهل المدينة اللام فى جواب قسم مقدر والمدينة مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم علم لها بالغلبة والفزع انقباض ويقال يعترى المرء مما يخاف
وهو قريب من الجزع ولذا يقال خفت الله ولا يقال فزعت من الله كما قاله الراغب قال تعالى
لا يحزنهم الفزع الاكبر اى من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال كنا اذا ما اتانا
صارخ فزع ليلة منصوب على الظرفية اى فى ليلة فانطلق ناس اى خرجوا من المدينة قبل بكسر
القاف وفتح البا بمعنى الجانب والجهة ظرف اى نحوه يقال ذهب قبل السوق قال تعالى
فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويكون بمعنى عند يقال لى قبله حق ويستعار للوسع والطاقة
نحو فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها الصوت الذى سمعوه وخرجوا ليعرفوا خبره لظنهم انه عدو غار
على من هنالك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك فعرف ذلك ورجع
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حال كونه راجعا من جانب سمع الصوت منه قد سبقهم
الى الصوت اى المكان الذى سمع الصوت من جهته وقد استبرا الخبر بمهملة ومثناة فوقية
وموحدة وهمزة وقد تبدل الفا اى وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته وفى الاساس استبرات

مطلب السيف محمل على العنق

الشيء طلبت اخرى لاقطع الشبهة عني واستبرا الارض وقطعها انتهى حال كونه راكبا على فرس ابي
طلحة زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصاري الصحابي وكان ذلك الفرس يسمى المندوب اي
المطلوب او لانه كان فيه ندب اي اثر جرح عري بضم العين وسكون الرا المهملتين مجرور صفة فرس
ويقال في الادمي عريان اذا لم يكن له لباس ولغيره عري وقيل انه عري بضم العين وكسر الرا وتشديد
المثناة التحتية بمعنى عري وليس في اللغة ما يساعده اي ليس على ظهره شيء من سرج او غيره قال
في المغرب فرس عري لا سرج عليه ولا لبد وجمعها اعرا لا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عرو اعراوا
وروى الدابة ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلوة والسلام يركب الحمار معروريا وهو حال
من ضمير الفاعل المتمكن ولو كان من المفعول لقيل معروريا والسيف في عنقه اي حمايله معلقة
في عنقه الشريف متقلدا به صلى الله عليه وسلم واعلم ان هنا هو السنة في حمل السيف كما
قاله ابن الجوزي لا شده في وسطه كما هو المعروف الان وهو يقول لمن لقيه من اهل المدينة لن تراعوا
لن هنا بمعنى لم ونفي الروع بفتح الرا بمعنى الخوف والمراد نفي سببه اي ليس هناك شيء مما
تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح في الصحيحين وقال
عمران بن حصين بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة وحصين بمهملتين كتصغير حصن وهو
صحابي خزاعي كان من فقها الصحابة وفضلائهم رضي الله تعالى عنه ما لقي النبي صلى الله عليه
وسلم كتيبة بفتح الكاف وكسر التاء المثناة فوق وبالمثناة التحتية وبا موحدة هي الجيش المجتمع
وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف الا كان اول
من يضرب بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث رواه الشيخ في الاخلاق
وفيه راو مجهول ولما راه صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف يوم احد هو ابي بن خلف بن وهب
حذافة بن جمح الكافر المشهور الذي طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحربته في وقعة احد
فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه كما ياتي فهلك عدو الله وقول المزي في تهذيبه
انه صلى الله عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابي بن خلف فخدشه يوم بدر او لحد فمات ذكره بالترديد بين
بدر واحد لا وجه له ويوم احد ظرف لرؤيته وهو يقول حال من ابي اين محمد سوال عن المكان فان
قلت كيف يسال عن مكانه وهو قد راه قلت يحتمل ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن
تمكنه منه وظفره به او التقدير اين يذهب محمد والظرف ممتد وقع جميع ذلك فيه فهو في وقت
واحد وان تقدم وتاخر لا نجوت ان نجا دعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله حبيبه ورسوله صلى الله
عليه وسلم وقد اجاب الله دعاه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله عليه وسلم والفال موكل
بالمنطق وقد كان ابي يقول حين افتدي يوم بدر قبل يوم بدر بدل من حين وافتدي مبني للفاعل ومفعوله
محذوف اي افتدى اسيره وهو ابنه عبد الله والافتدا اعطا الفدية لافتكاك الاسير
فالمراد بحين الافتدا يوم بدر بتمامه لا الزمان الضيق الذي وقع الافتدا يوم بدر فيه لان الظاهر
انه لم يقل وعيده له صلى الله عليه وسلم الاتي قبل ان يفتدي لا حين لا حين الافتدا وقيل يوم بدر
فهو متعلق باسيره اي بما اسر يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الافتدا وقع

بعد

281

بعد وقعة بدر بالمدينة وابي قال من قال حين افتدى لا بعده وكان من قال ان ذلك وقع قبل ان يفدي
ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلوا المدينة بالامان فالاسر وقع ببدر والافتداء بالمدينة فلا تنافي
البدلية فتامل عندي فرس اعلفها الفرس يقع على الذكر والانثى وانثها هنا لانها كانت انثى وقد ورد
في الحديث تذكيرها وتانيثها بحسب المراد والقرائن وقال التلمساني اعطها هو الصواب وفي السير
اعلفه بضمير المذكر واصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام مشوش والذي في الصحاح
انه يقع على الذكر والانثى ويصغر على فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن
ابي بكر بن السراج انتهى فلا وجه لقوله الصواب واسم فرس العود بوزن الضرب وعينه ولامه
مهملتان والعلف ما كول الحيوان كل يوم فرقا بفتح الفاء والرا المهملة ويجوز تسكينها وقيل
لا يجوز وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن ماية وعشرين
رطلا والمحرك ستة عشر رطلا من ذرة بيان للفرق بضم الدال المعجمة وفتح الرا المهملة المخففة
وهو نوع من الحبوب معروف وتقدم ان غزوة احد كانت في شوال سنة ثلاث وقيل الظاهر
ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كما لا يخفى اقتلك عليها صفة
بعد صفة او هي جملة مستانفة في جواب سؤال مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون
حالا منتظرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله تحقق ما اوعده وكان
انما علف فرسه لتسوقه لهلاكه سريعا كالحافر بظلفه على حتفه وكل باغ مصرع فلما راه
ابي اي ابي النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان والمراد به
الوقعة على حد قولهم ايام العرب شد ابي بن خلف الشقي اي عدا واسرع قال الراغب يقال شد
فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح واصل معنى الشد القوة على فرسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجاران متعلقان بشد وان كان لا يجوز تعلق حرفي جر
بمعنى متعلق واحد ما لانه قيد الشد والعدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده به بعد تقييده
بالاول فيتغاير المتعلق معنى لان الاول يقيد به وهو مطلق والثاني تعلق بالمقيد كما حققه صاحب
الكشاف في قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا والاول مستقر حال اي راكبا على فرسه والثاني
لغو وشد جواب لما الثانية دال على جواب الاولى فاعترضه رجال من المسلمين اي حالوا بينه
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفعوه ويصدوه عنه اي قصدوا نحوه وجهته فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اي تنحوا ولا تحولوا وتعترضوا بيني وبينه فهكذا هنا اسم
فعل امر بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلي رحمه الله تعالى فدويعرفه ما قبله كما اذا قلت جلس
هكذا اي على هذه الحالة او تقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استغنى عنه وقام هكذا
مقامه واصله مركب من هاء التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه انسلخ
عن معناه اشار بقوله اي خلوا طريقه اي اجعلوها خالية من حايل بيني وبينه وتناول اي اخذ
صلى الله عليه وسلم بيده الحربة بوزن الضربة وهي واحدة الحراب بوزن رجال وهي قناة صغيرة
سميت بها لانها من الات الحرب وقيل ان هذه الحربة كانت للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان لا يرى

مشاركة في جهاده وسفره في سبيل الله ولهذا اشترى من ابي بكر رضي الله عنه راحلته التي هاجر بها
والاظهر انها كانت للحارث وربما استعان بغيره من اصحابه كما اشار اليه بقوله من الحارث بن الصمة
بكسر الصاد المهملة وفتح الميم المشددة وها تانيث ومعناه الشجاع المصمم في اموره ثم نقل علما
وهو اعني الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك الانصاري الصحابي شهد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بدرا وغيرها من المشاهد وقتل ببير معونة وذكر ابن الاثير ان الذي ناول رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من احدهما
فسقطت منه فناولها له الاخر او ان احدهما وهو الذي معه الحربة كان بعيدا منه فناولها الاقرب
منه فسلمها له بيده ولابد من التوفيق فان الروايتان صحيحتان والقصة واحدة فانتفض بها انتفاضة
اصل معنى النفض بالنون والفا والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه عن ثوب او شجر قال ابو ذيب
تنفض مهده وتذود عنه وما تغني التمايم والعكوف ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض
الصبغ اذا اثر لونه في غيره وذكر نصيب عن نباته فقال نفضت عليهن لوني وقلت في اول قصيدة
نفضت على صباغها ايام نفض البياض بها قليل قيام وهو هنا استعارة اي قام بها فرمى
شريقه وضربها للحربة وما قيل انه مستعار من انتفاض الطاير قال كما انتفض العصفور بلله
القطر غير مناسب هنا الا ان يقال الباء للتعدية والمعنى انه هزها وقيل معناه حركها وحركها
والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية يلزمها تشبيههم بانهم كالذباب المؤذي ونفع
المنتهى فتفيد هجومهم عليه وتشبيه نهوضه لهم بنحل اهتز ليزيل ذبابا وقع عليه لقوله تطاير
واعنه تطاير الشعرا عن ظهر البعير اذا انتفض وتطيروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالعصفور والشعر
بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة ذبابة لها ابرة وفي نسخة
البرهان بفتح العين الا انه لم يثبت وقال القتيبي الشعرا جمع شعرا وهي ذباب صغار حمر توذي الدواب
وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر وفي رواية تطاير الشعارير وهي جمع بمعنى الشعر وقياس واحده شعرور
وقيل هي ذباب تجتمع على دبر البعير وفي الروض الانف الشعرا ذباب صغير له لذع وفي المثل قيل
للذيب ما تقول في غنيمة يحرسها جويرية قال شجيم في ظفر قيل فما تقول في غنيمة يحرسها عليهم قال
شعرا وفي ابطي اخشى خطواته وهي سهام تتعلم الغلمان بها الرمي وروي فرجل بالحربة اي رمى بها انتهى
قيل رواية الشعرا انسب لان الواحد لا يتطاير اقول هذا زبدة القيل والقال وما انكر من فتح العين
لا وجه له فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها تطرد فيقولون في نحو شعر شعر والشعر
الليس مفردا بل اسم جمع كالطرفا فلا وجه لما قيل ان الاول انسب للشعر وقول بعضهم الشعرا جمع شعر كان
تحريف واعلم ان ضمير تطايروا للكفار الذين كانوا جاؤا مع ابي وقيل انه للصحابة رضي الله عنهم وتطايرهم
عنه صلى الله عليه وسلم باذنه ليكشفوا له عن ابي ولا يخفى انه لا يناسب هذا بوجه تشبيههم
بالشعرا ولا تطايرهم كما لا يخفى ثم استقبله اي قام النبي صلى الله عليه وسلم ومشى اليه بالحربة فطعنه
في عنقه طعنة تداداً منها عن فرسه مرارا تداداً بمثناة فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اي تدحرج
وسقط وقيل ما ل وضمير منها للطعنة ومثله تدهده وقيل الهاء بدل من الهمزة وفي رواية تردى اي

وقع

ابن الحنبلى

دبلى

وقع وقيل لم يطعنه صلى الله عليه وسلم في عنقه بل كسر ضلعا من اضلاعه بكسر الضاد المعجمة
وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال الاخفش في الجنب
الايمن تسع اضلاع وفي الايسر ثمان وما نقص منه تام في النسا وهو الذي خلقت منه حوا ولذا
روي عن ابي حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه انثى بتمام اضلاعه وعكسه وقال التلمساني
رواية طعنه اقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله عليه وسلم طعنه
نوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن فرجع ابي الى قريش وهو يقول
قتلني محمد جملة يقول حالية اي قايلا وعبر بالماضي لتحققه الموت وهم يقولون لا باس بك
الباس بهمزة ساكنة وتبدل الفا كما مر وهو اسم لا مبني على الفتح والباس الشدة والموت والالم
وهنا هو المناسب ويقال لا باس عليك ولا باس بك للتسلية او الدعا له بان لا يصيبه شيء
من الناس وفي نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى فقال لو كان ما بي من الالم والشدة التي اجدها في نفسي
موزعا وحلا بجميع الناس لقتلهم فكيف احتمل انا وحدي هذا واسلم منه اليس قد قال صلى الله
عليه وسلم حين توعده انا اقتلك قيل اصله اقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اي انا لا غيري
اقتلك وحدي لا يشاركني احد ولا يساعدني في قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى نزلت فيه فالقصر قصر افراد والظاهر انه قصر قلب فهو المناسب للرد
عليه اي انا اقتلك لا انت تقتلني فتدبر والله لو بصق علي لقتلني البصق رمي ماء الفم ويقال
بالصاد والسين والزاي وانما قال ذلك لتحقق صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قال له فمات
الملعون من تلك الطعنة بسرف بسين مهملة مفتوحة ورا مهملة مكسورة وفاء اسم موضع
وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال او سبعة او تسعة او اثني عشر على الخلاف فيه واسم
مكان موته مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل اختبر الارض باسمائها واختبر الصاحب
بالمصاحب في قفولهم اي الكفار الى مكة اي مات وقد رجعوا من احد الى مكة والقفول معناه
الرجوع وتسميتهم القافلة تفاولا برجوعها كما سمي الملدوغ سليما فانكار الحريري وتخطيته فيه
لا وجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقي في الدلايل عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب
مرسلا وعبد الرزاق في مصنفه والواقدي في مغازيه وابن سعد في طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة
بمكة لما خلص من الاسر ورجع به وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول انه مات ببطن رابغ واني سرت
من المسلمين مرة وهو اسير برابغ فرايت بعد هدو من الليل نارا فهبتها فلما دنوت منها خرج رجل في
سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لا تسقه فانه ابي بن خلف قتيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت سحقا له فصل واما الحيا والاغضا الحيا ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة
وفعله استحيا يستحي بيائين وتحذف احداهما تخفيفا والاغضا اصل معناه ارخا الجفون قريبا
من الانطباق وهما متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق يغضي حيا ويغضى من مهابته
فما يكلم الا حين يبتسم فالحيا رقة الرقة ضد الغلظ ورقة القلب ان لا يكون فيه قسوة وجفا
قال الراغب الرقة كالدقة باعتبار دعمقه وهي في الجسم ضد الصفاقة وفي النفس تضاد

الحقوق والفسوق تعرّى اى تعرض وحدث وجه الانسان فيكون فيه ما يدل عليه كحمرة عند الخجل
عند فعل ما يتوقع كراهته لم يقل ما يكره لان من يراه قد لا يكرهه فالمراد ما من شانه ان يكره او ما يكون
تركه خيرا من فعله وان لم يكره وقال الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها وفي الحديث
ان الله يستحي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وليس المراد به انقباض النفس لتنزه الله سبحانه
وتعالى عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووي هو خلق يمنع من القبيح ومن التقصير في الحقوق
وقال الزمخشري هو تغير وانكسار يلحق من فعل او ترك ما يذم به وله تفصيل في تفسير البيضاوي كما
بيناه في حواشيه فانظره والاغضاء في عرف اللغة التغافل اى اظهار الغفلة عمن يستحيه والمراد التجاوز
عما يكرهه الانسان بطبيعته وان لم يكره شرعا وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم
عن العورات جمع عورة وهي كل ما يقبح اظهاره ولذا كني عن سواة الانسان وعن المراة بالعورة
وهو ماخوذ من العار اغضاء اى سكوتا وتجاوزا والاغضاء يتعدى بعن وعلى وعبر في جانب الحيا
بالاشدية وفي الاغضاء بالاكثرية لان الحيا كيفية نفسانية تنشوء عنها كيفية حسية تقبل
الشدة والضعف والاغضاء فعل من الافعال يكثر ولا تزيد كيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضاء
نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع في مكروه وهو مسبب عن الحيا والسبب اقوى باعتبار انه منشوء
للمسبب عنه وفيه ثم استدل على ان هذه الصفة الحميدة موجودة فيه صلى الله عليه وسلم
فقال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم اى مكثكم في بيت النبي صلى الله عليه وسلم مستانسين لحديث
بعضهم لبعض كان يوذي النبي فيستحيي منكم الاية والله لا يستحيي من الحق وكان صلى الله عليه
وسلم بنى بزينب بنت جحش واولم بشاة وتمر وسويق وامر انسا يدعو الصحابة لذلك فدعاهم
فجعلوا يجيئون وياكلون ويخرجون ويجي اخرون الى ان بقي ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون
فتاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحيا فنزلت الاية في حقهم اى ان ذلكم
اللبث كان يوذي النبي صلى الله عليه وسلم لضيق منزله فيستحيي منكم ان يامركم بالخروج
منه وهذا من الاداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو بدعوة ان يظهر القيام للذهاب ثم
يذهب ما لم يقل له امكث عندي وقد قال السلف رحمه الله من زار وخفف وقيل لبعضهم هل نزل
في الثقلاء قران فقال نعم فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطي تاليف لطيف في هذا حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه تقدمت ترجمته وقيد روايته عنه بقراءته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح
صحة ذلك الا انه اختلف في كونها دون قراءة الشيخ او مثلها او فوقها على ثلاثة اقوال وتفصيله
في ابن الصلاح قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم المعروف بابن الطرابلسي
وكنيته بابي القاسم غير مكروهة لاختصاصه بحياته صلى الله عليه وسلم او لانه انما يكره الجمع
بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور كما سياتي قال حدثنا ابو الحسن القابسي بن محمد بن خلف
الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو زيد المروزي
بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو والزاي تقدم الكلام فيه وفي نسبته قال حدثنا
محمد بن يوسف هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو البخاري وقد روى هذا الحديث

سندا في صفة صلى الله عليه وسلم وكذا اخرجه مسلم في فضائله قال حدثنا عبدان بفتح العين
المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة والف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن ابي
رواد العتكي المروزي ابو عبد الرحمن الحافظ توفي سنة احدى وعشرين ومائتين وخرج له اصحاب
الكتب الستة قال انبانا عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي لو اهل شيخ خراسان وسند
هالله مناقب مشهورة روى عنه اصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة
وولد سنة ثمانية عشر ومائة وقبره بهيت نوار قال اخبرنا شعبة تقدمت ترجمته عن
قتادة تقدم ايضا قال سمعت عبد الله مولى انس هو ابن ابي عتبة مولى انس رضي الله تعالى
عنه وقيل اسمه عبيد الله مصغرا وذكره ابن حبان في الثقات مكبرا وهو يروي عن انس
وعايشة رضي الله عنهما وروى عنه كثيرون واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو بصري صدوق
ثقة يحدث عن ابي سعيد الخدري بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم الكلام عليه وان
الخدري بدال مهملة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حيا من العذرا في خدرها
وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجة والمصنف اخرجه من طريق البخاري
وحيا ممدود تقدم معناه وبالقصر المطر وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذرا
بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة ومد البكر الباقية بعذرتها وهي جلدة يذهبها الفرج فاذا
جومعت زالت فقيل لافتضها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل ما لم يسبق اليه ابو عذرته
وابو عذرته والخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال وبالراء المهملتين هو البيت او ستر
في جانب البيت او قبة تضرب لها فان قلت البكر في حجابها بين اهلها وابويها وهي لا تحتجب عنهم
ولا تستحيي منهم كاستحيائها من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذرا في غير خدرها لما فيه
من المبالغة قلت المراد بكونها في خدرها انها لم تخرج لسبيها وتزوج ونحوه لانها اذا خرجت بذلك
قل حياؤها او زال حجابها وقيل المراد التعميم وان العذرا في خدرها اشد حيا لكونه مظنة الاجتماع
والظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون مفردة قاله ابن حجر ولا يخفى
ما فيه فانه لا دلالة في اللفظ على ما قاله فالحق ما سمعته اولا وكان صلى الله عليه وسلم
اذا كره شيئا عرفناه في وجهه اى عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح في وجهه الشريف كتغيره وغض
بصر ونحوه والمراد انه اذا لم يكن في حدود الله تعالى وحقوقه فلا يواخذ احدا بما يكره كما قال
الصرصري فاق العذارى في الخدور حياؤه لا جد فيه لصاحب وشاني وكان صلى الله
عليه وسلم لطيف البشرة تقدم معنى اللطف والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء
المهملة هي ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البشارة لظهور اثار الفرح بها في الوجه وهذا
كالعلة لعرفه ذلك في وجهه الشريف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم للطف بشرته يظهر
فيها ذلك وكذا قوله رقيق الظاهر اى ما يظهر من بدنه رقيق يظهر فيه بسرعة اثار الانفعالات
النفسية ولا وجه لتفسيرها بانه يستحيي كما قاله التلمساني لا يشافه احدا اى لا يكلم احدا
ولا يواجهه بما يكرهه حيا وكرم نفس منصوب مفعول له اى يترك ذلك تكرما منه صلى الله

عليه وسلم لا خوفا ومداراة وعن عايشة رضي الله عنها هذا حديث رواه ابو داود في سننه
مسندا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول
كذا البال هو الحال والشان وما استفهامية مبتدا وخبره بال وجملة يقول حال ومفسرة
للبال ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا اشارة وكناية عما يكره فلان يعني الصانع
او القايل وفلان وفلانة كناية عن اسما الادميين والفلان والفلانة كناية عن اسما غيرهم ينهى عنه
ولا يسمي فاعله بصريح اسمه بل يكني عنه وينهيه عما انكره ماخوذ من الاستفهام الانكاري
وسياق الكلام في قوله ما بال فلان يقال لانه ليس في الكلام نهي وروى انس رضي الله عنه
هذا الحديث رواه ابو داود والترمذي والنساي قالوا انه صلى الله عليه وسلم دخل عليه
رجل به اثر صفرة الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعني انه كان خضب
بذلك فبقي عليه بقية منها ولم يسم هذا الرجل فلم يقل له شيئا من نهيه عن ذلك وعن ما يكرهه
كما اشار اليه بقوله وكان صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بما يكرهه اي لا يخاطبه شفاها
ويقول له في وجهه شيا يكرهه وان قاله احيانا في غيبته فلما خرج ذلك الرجل من مجلسه صلى الله
عليه وسلم قال لو قلتم له يغسل هذا اي اثر الصفرة والخضاب او ينزعها بفتح الزاي المعجمة
يقال نزعه ينزعه كسال يسال اذا ازاله والضمير للصفرة والشك من الراوي وهما بمعنى
ولو شرطية جوابها محذوف لتذهب النفس كل مذهب وتقديره اصبتم ونحو وقيل انها مصدرية
اي وددت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان في لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحنا
ونحوها ولا يعضده ما في البخاري عن قتادة رضي الله عنه انه قال سالت انسا هل خضب النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا انما كان شيء في صدغيه اي شيء قليل من الشيب لا يحتاج للخضاب لانه
لا يدل على تركه لانه منهي عنه شرعا بل لعدم الحاجة اليه وكذا ما روي عنه انه صلى الله عليه
وسلم لم يخضب قط اي لعدم الحاجة اليه الا انه روي عن انس رضي الله عنه انه راى شعر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا يعني بعد موته كما نقله ابن الجوزي وما قبله فاختلفت فيه
الروايات وروى جماعة انه صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس والزعفران وكان
وكان عمر رضي الله عنه يفعله وجمع الكرماني بين الروايات بانه صبغ في وقت وترك في معظم الاوقات
فاخبر كل بما راى وقد امر صلى الله عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث عليه وفعله وتبعه
على ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما تركه بعضهم لما فيه من التكلف
وهو احب للنسا وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن الخضاب بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النسا فما في هذا الحديث محمول
على غير خضاب اللحية بان يحني يديه ورجليه او يجعل الصفرة في ثوبه فانه منهي عنه وفي فتاوى
شيخ شيوخنا ابن حجر الهيتمي انه من غير حاجة كخرب ونحوه حرام لما فيه من التشبه بالنسا
وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم يغسله او ينزعها فيه دليل
على انه كان في ثوبه ولو لم يحمله على هذا اشكل الحديث والشراح لم يتعرضوا له وقالت عايشة

ابو قرس

في

في الصحيح اي في الحديث الصحيح المروي عنها كما اخرجه الترمذي وصححه لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا الفحش كل امر قبيح او شديد القبح قولا او فعلا والفاحش من يصدر
عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر ان المراد به بذاءة اللسان هنا ويويده
قوله ولا صخابا بالاسواق صخاب بفتح فتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت
بالمبالغة فيه وهو بالصاد والسين وهكذا كلما كان معه حرف حلق يجوز ابداله قياسا
مطردا وخص الاسواق لانه فيها اقبح ولانها محله واما في المنزل ونحوه فلا حاجة اليه
ولا يجزي بالسيئة السيئة لانه احق بالاجر من الله على ذلك لانه المنزل عليه فمن عفى واصلح فاجره
على الله ولما كان العفو عنه لازم من عدم المجازاة بالفعل اتى بالاستدراك في قوله ولكن
يعفو ويصفح يعني انه صلى الله عليه وسلم كثيرا العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو
ترك المواخذة بالذنب والصفح الاعراض عن المسي بحيث لا يخجله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث
روي في الصحيحين بطريق اخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما عن عطا بن يسار
انه قال له اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة فساقه له في حديث
طويل واليه اشار بقوله وقد حكي بالبنا للمجهول مثل هذا الكلام الذي قالته عايشة رضي الله
عنها عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام بفتحتين مخفف اللام وهو الصحابي المشهور رضي الله
عنه وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو وان كان قرشيا لكنه قرا الكتابين وكان
عالما بما فيهما ولذا سالوه عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم فيهما وقد اختلف في تحريف
اهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير عبارتها بنقص وزيادة او انه انما كان بمجرد التاويل وصرفها
عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراتهما وانه حرام ولا يرد
عليه ان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يقروها لانهم يعلموها قبل اسلامهم وهم لا يخفى
عليهم ما غير منها والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم وروي عنه اي عن
النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ذكره الامام الغزالي في الاحيا وقال الحافظ انه لم يجده في كتب
الحديث وكذا قال السيوطي رحمه الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم كان من حيايه لا يثبت بصره
في وجه احد ثبات البصر يعني اطالة النظر من غير تخلل اغماض جفن ونحوه حتى كان بصره صار
قارا في المرئي كما قال المتنبي وحضرت تثبت الابصار فيه كان عليه من حدق نطاقا فتخيل حقيقة
الثبات فيه ثم بنى عليه جعله كالنطاق وان كان فيه تلاعب بالكلام وانه صلى الله عليه وسلم
كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره اي يورد المعنى القبيح عادة بطريق الكناية
لشدة حيايه صلى الله عليه وسلم كقوله حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك لان
الجماع وذكره للمراة يستحيى منه ومثله في الحديث كثير وعن عايشة الصديقة بنت الصديق
رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط مع انه يجوز رويته كل احد من
الزوجين فرج الاخر وان كان مكروها وفي حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج يورث الطمس
اي العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى اولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى انه صلى الله عليه وسلم

لشدة حيائه لم يكشف عورته عند احد قط كما ورد من كرامتي على الله انه لم يطلع لي على عورة
احد فما ذكر منطبق على ما يستوله الكلام فان عايشة رضي الله عنها زوجته صلى الله عليه وسلم
واقرب الناس واحبهم اليه وكان يضاجعها وينام عندها فاذا لم ترذلك منه صلى الله تعالى
عليه وسلم لزم عدم كشفه عندها واذا لم يكشف عندها فبالطريق الاولى عند غيرها
وانما كنت عن ذلك ولم تصفه تادبا منها فلله درها فهذا كقولهم لا ارينك هنا فلو ترفع
الثياب الا وقد لاصقها فيكون سترة له حينئذ وهذا معنى قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس
لهن فلا يتوهم ان عدم رويتها لذلك لغض بصرها حيا منه صلى الله عليه وسلم لا انه لا ينكشف
عندها فافهم فصل واما حسن عشرته بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة اي اختلاط
المرء مع اهله واصحابه ومعاملتهم وادبه بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ووجهه بعض
الشارحين فلما ورد عليه ان الادب لا يكون الاحسنا دفعه بان منه ما لا يحسن كادب اهل
الدنيا مع كبارهم وهو انسب بقوله صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي والادب
استعمال ما يحمد قولا وفعلا والاخذ بمكارم الاخلاق من المادبة وهي الطعام الذي يدعى
الناس وبسط خلقه تقدم معنى الخلق وانه بضمتين او ضم فسكون والبسط نشر الشي وتوسيعه
ومنه البساط وورد البسط بمعنى المسرة وعليه استعمالهم وورد في الحديث فاطمة مني يبسطني
ما يبسطها فليس من كلام المولدين كما توهم ومن امثال العامة البسط صدقة والمعنى هنا سعة
خلقه صلى الله عليه وسلم ويجوز رفعه وجره ايضا والاول اولى وليس بمعنى كما توهم وانما
كان معنى بسط الخلق هنا سعته لانه صلى الله عليه وسلم نال من الاخلاق الحميدة اقصاها وغايتها
مع اصناف الخلق تنازع فيه الالفاظ الثلاثة فهو قيد لجميع ما قبله فبحيث انتشرت اي كثرت
واشتهرت وهو جواب اما وهو خبر مبتدا مقدر اي فهو بحيث اي بمحل معلوم لكل احد به الاخبار
الصحيحة قال علي رضي الله عنه وصفه عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه
الترمذي في شمائله كان اوسع الناس صدرا المراد بسعة صدره تحمله صلى الله عليه وسلم
مشاق الناس وكثرة تكاليفهم قال تعالى فلا يكن في صدرك حرج اي ضيق واصدق الناس
لهجة في الصحاح اللهجة اللسان وقد تحرك فاطلق واريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق
المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كل منهما صفة مستقلة ولا ينافيه حديث
ما من ذي لهجة اصدق من ابي ذر لان المراد تفضيله رضي الله عنه على امثاله والصدق ضد
الكذب وهو معروف ثم ان في التفضيل في الصدق سوالا وهو ان الصدق هو المطابقة للواقع
فما طابق فهو صادق وما لم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هنا صادق
وذلك اصدق وهذا انما يرد لو كان التفضيل في كلام واحد وانواع منه محصورة اما الوارد
كل كلام صدر عن متكلم فلا يرد وما ذكروا الينهم عريكة اي اسهل الناس طبعا فهو صلى الله
دايما سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لا نفور فيه واصل العريكة السنام فهو في الاصل
مجاز حتى صار حقيقة فيما مر واكرمهم عشرة اي يعامل الناس في معاشرته ومخالطته بكريم الاخلاق

فيعظم

فيعظم من يستحق التعظيم ويتلطف مع من دونهم حدثنا ابو الحسن محمد بن مشرف بضم الميم
وفتح الشين المعجمة وفتح الرا المشددة وقافا سمعه على ولده ترجمته في الميزان وسمع منه السلف
وفيه كلام الانماطي جمع نمط وهو ثوب من صوف يطرح على الهودج والنسبة الى الجمع على راي
او لانه ملحق بالعلم كالانصاري لان المراد به صيغة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس
فيما اجازنيه وقراته على غيره فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فانحسم الطعن فيه
وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي قال حدثنا ابو اسحاق الحبال بفتح الحا المهملة وتشديد
البا الموحدة والف ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر ابو اسحاق ابراهيم بن
سعد بن عبد الله النعماني التجيبي الفرا الوراق المصري ولد سنة احدى وتسعين وثلاثمائة
وسمع من احمد بن عبد العزيز صاحب المحاملي وغيره وضعف في سنة اثنتين وثمانين واربع
مائة وله احدى وستون سنة وترجمته مشهورة قال حدثنا ابو محمد بن النحاس بحاء مهملة
مشددة وهو الامام ابو محمد عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن اسحاق المصري البناز سمع ابا
سعيد بن الاعرابي وسليمان بن داود العسكري وجماعة كثيرون وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا
حدثنا ابن الاعرابي هو الامام ابو سعيد الذي يروي سنن ابي داود عنه قال حدثنا ابو داود
سليمان بن الاشعث صاحب السنن المشهورة قال حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى
هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الازرق الدمشقي الثقة الثبت توفي سنة تسع واربعين
ومائتين وترجمته في الميزان ومحمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ توفي سنة اثنتين وخمسين
ومائتين قال حدثنا ابو الوليد بن مسلم الحافظ احد الاعلام اخرج له الجماعة الا انه رمي
بالتدليس قال حدثنا الاوزاعي هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسب للاوزاع وهي قبيلة من حمير
واسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطا ومكحول وروى عنه كثيرون واخرج له
اصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة قال سمعت يحيى بن ابي كثير ضد القليل
وهو من العباد وائمة الحديث توفي سنة تسع وعشرين ومائة واخرج له الستة
وترجمته في الميزان قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة بضم الزاي المعجمة وهو
محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد ولد بالمدينة وهو ثقة اخرج له الستة
وتوفي سنة اربع وعشرين ومائة عن قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي سيد الخزرج
سيد الخزرج وصاحب شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج له الستة واحمد وكان
من الدهاة ذوي الراي طويل القامة جميلا جوادا توفي بالمدينة في اخر خلافة معاوية
رضي الله عنه قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عادته في تفقد اصحابه وكان
سعد بن عبادة دعاه رجل ليلا فخرج له فضربه بسيفه فاشواه فجاءه رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعوده وذكر قصة هي ما وقع له مع عبد الله بن ابي بن سلول اذ مر به وهو
جالس مع اخلاط المسلمين وغيرهم فغشي المجلس غبار دابته صلى الله عليه وسلم
فخمر ابن سلول انفه بردائه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبروا علينا ارجع

الى رحلك ثم جاك منا فاقصص عليه فاستبا المسلمون مع المشركين حتى هموا ان يتواثبوا
فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضى الله عنه وذكر
ذلك له فقال له يا رسول الله اعف عنه واصفح فلقد اتفق اهل هذه البحيرة على ان يعصبوه
فلما رد الله ذلك بالحق الذى جيئت به شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى اخرها اى اخر القصة فلما اراد الانصراف قرب له سعد رضى الله عنه حمارا ليركبه وطا عليه
بقطيفة هى كساء له دبر وحمل وضعه على ظهر الحمار وطاة له ليركب عليه ووطا بتشديد الطا
المهملة وهمزة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد لابنه يا قيس اصحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اى كن معه فى خدمته وفى هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لما جا كان
على حمار مردفا خلفه اسامة بن زيد فسعد رضى الله عنه انما اعطاه حمارا ليركبه وحده ويبقى
اسامة على الحمار الذى جا به ووهب سعد له صلى الله عليه وسلم ذلك الحمار قال قيس فقال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب معى على الحمار فابيت الركوب معه تادبا وفوزا بالمشى
فى خدمته فقال اما ان تركب واما ان تنصرف اى ترجع ولا تمشى معى فانصرفت تمشى معى فانصرفت
امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم وفى رواية اخرى انه صلى الله عليه وسلم قال له اركب امامى
فصاحب الدابة احق بصدرها وهذا وقع هنا فى بعض النسخ والمراد بصدرها تقدمها وفيه
دليل على جواز الارداف ولو صار واثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق ذلك وقيل ما فوق
الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان وهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم بانه وهبه له
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يولفهم اى يولف المسلمين بايناسهم ومداراتهم ليزداد
ايمان من كان قريب عهد بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بجبر خاطره والتودد اليه ولا ينفرهم
اى لا يلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب عهد من المولفة قلوبهم ويكرم
كل قوم برعايته بما يليق به كما فعل مع عدى بن حاتم وغيره مما فصل فى السير ويوليه عليهم
اى يجعل شريف القوم واليا عليهم اذا رجعوا من عنده صلى الله عليه وسلم لديارهم كما ولى
على وفد همدان مالك بن غط ويحذر الناس ويحترس منهم لانه من الحزم ان لا يركن لكل احد
حتى يجربه من غير ان يطوى عن احد منهم بشره اى كان صلى الله عليه وسلم مع احتراسه منهم
يلقاهم ببشره وبشاشته ولا يغير حاله معهم فشبه بشره وايناسه ببساط ممهد لهم فلا
يطوى عنهم ما داموا عنده كما قال الشاعر انما مجلس الندامى بساط فاذا ما مضى طوينا
بساط ولا خلقه المعهود منه صلى الله عليه وسلم يتفقد اصحابه اى من فقده من اصحابه
رضى الله عنهم يسال عنه او يزوره او يرسل اليه من يتعهده قال الراغب التفقد اخص من العدم
لانه العدم بعد الوجود والتفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشىء والتعهد
تعرف العهد المتقدم وكان صلى الله عليه وسلم يعطى كل جلسائه نصيبه اى يعطى كلا منهم
ما يليق به ويسايره لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه اى لما يراه من لطفه به يظن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه اكثر من غيره من جالسه اى جلس عنده فى ناديه او قاربه

لحاجته

286

لحاجة اى كان معه حال مشيه او صابره اى صبر على سواله وذكره حوايجه حتى يكون
هو المنصرف عنه اى الراجع عن مقارنته او مجالسته ومن ساله حاجة لم يرده الا بها اى باعطائه
حاجته التى سالها منه صلى الله عليه وسلم او بميسور من القول كوعده او تسليته واللمع
الخلق قال تعالى وقل لهم قولا ميسورا قد وسع الناس بسطه وخلقه بسطه مصدر بزنة ضرب
مضاف لضمير عايد له صلى الله عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع بزنة علم وكذا خلقه المعطوف
عليه وقد تقدم معنى الخلق والجبلة فجملة بسطه بمعنى توسعته على الناس وبمعنى بشره كالمكان
الرحب وكذا خلقه الحسن جعله لبدله لهم كالمكان الذى تمكنوا فيه فصار لهم ابا اى صار
صلى الله عليه وسلم لجميع امته بمنزلة الاب فى لطفه بهم والشفقة عليهم وهو لا ينافى قوله
تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان المنفى ثم الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء الشافعية
ذهب الى انه لا يجوز ان يقال له صلى الله عليه وسلم ابا المؤمنين كما يقال لنسائه صلى الله عليه
وسلم امهات المؤمنين عملا بظاهر هذه الاية وانما يقال انه كالاب ونص الشافعى رضى الله
عنه على جوازه وهو الحق وكذا كل نبى من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لامته ذكورا واناثا
وكونه صلى الله عليه وسلم ليس ابا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما معناه فى الاية ردا على من
انكر تزوجه صلى الله عليه وسلم بامراة زيد الذى تبناه وصار واعنده فى الحق سواء لان الله
عصمه صلى الله عليه وسلم فنفى الاعراض لنفسيه الحاملة له على الميل مع الهوى وكذا وصفه
به صلى الله عليه وسلم ابن ابى هالة ربيبه فى الحديث الصحيح المروى عنه كما اشار اليه المص بقوله
بهذا وصفه ابن ابى هالة ابن خديجة ام المومنين رضى الله عنها بنت خويلد واسم هند وابوه
ابو هالة حليف عبد الدار اختلف فى اسمه فقيل نباش ابن زرارة وقيل مالك ابن الياس
بن زرارة وكان تزوج هندا ايضا عنه ابن منده وابو نعيم فى الصحابة وابوه هند من كبار
الصحابة قتل مع على كرم الله وجهه فى وقعة الجمل وقد تقدمت ترجمته با بسط من هنا قاله
ابن ابى هالة رضى الله عنه فى وصفه صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث وكان دايم البشر
بكسر البا وسكون المعجمة اى طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس فى وجه احد سهل الخلق
لا صعبا ولا حزنا لين الجانب استعارة مصرحة شبه وصول كل احد له صلى الله عليه
وسلم ولما يريده منه بشئ لين تاخذ منه ما يحاربه وقيل شبهه بجانب لين من الارض
ليس بحزن ليس بفظ ولا غليظ الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ اى الكرش وهو
مكروه لا يتناول الا وقت الضرورة كما قاله الراغب والغلظ ضد الرقة واصله
فى الاجسام فاستعير للمعانى كما تقدم ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب اى لا ينطق
بالفحشا كالشتم ولا يعيب احدا اى لا يذكر عيوبه ولا مداح لا حد يا يودى الى طرايه والالفة
البشرية وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النسبة كتمار ولبان او المبالغة راجعة
للنفى كما قالوه فى قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقيل المقصود بها اصل الفعل وقول
انس لعمر رضى الله عنهما انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتضى ثبوت

عريضه

دلجى

ذلك له فقيل المقصود وجود اصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله عليه وسلم لاحقيقة
التفضيل والمراد اثبات ذلك على المشركين كما في قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة كما ان المدح
قد يستحسن في مقام دون مقام اذا كان في محله بخلاف ما اذا كان كذبا ولذا قال صلى الله
عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين على احد الوجوه فيه يتغافل عما لا يشتهي اي
راى صلى الله عليه وسلم شيئا لا يرضاه تغافل عنه حتى يظن انه ما راه اذا كان ذلك مما
يترتب عليه اثم ولا يوئس منه مبني للمفعول وضمير منه له صلى الله عليه وسلم اي والحال انه
صلى الله عليه وسلم يتغافل لا ييأس احد منه وروي مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر
الهمزة التي كانت مفتوحة ومفعوله محذوف لقصد التعميم اي لا يوئس احدا منه اي يجعله ذا ياس
بحيث لا يرجوه فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا اقتصر ارباب الحواشي وقال تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ما زائدة للتاكيد وقيل نكرة موصوفة
ورحمة بدل منه وقيل استفهامية تعجبية اي باي رحمة عظيمة لنت لهم ورده في المغني بثبوت
الف ما وقال ان ما قبله ايضا يتجه لا يتجه كما فصله شراحه وليس هنا محل تفصيله والمعنى
انك لو كنت فظا غليظ القلب انفضوا عنك اي تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك بلين
جانبك لهم وشفقتك عليهم تولف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا امتنان عليه بما جبله الله تعالى
عليه من الاخلاق الحسنة وقد تقدم الكلام عليه وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة الاية
التي هي احسن الصفح والتجاوز والاحسان في مقابلة السيئة ولا حاجة لتقييدها بما لم يكن
فيه وهن في الدين لانه لا يكون حينئذ بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله وقيل التي هي احسن
كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقدم الجار والمجرور على
المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اي ادفع بهذا لا بغيره وكان صلى الله عليه وسلم
يجيب من دعاه لطعامه او لمنزله جبرا لخاطره وتعليما وتشريفا لامته صلى الله عليه وسلم
سواء كان المدعو له وليمة عرس او غيرها وفي الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وما قيل
من ان اجابة دعوة العرس واجبة عينا او كفاية لورود الامر بها في الاحاديث الصحيحة
فلا يكون ذلك من التفضل ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل بعدم الوجوب فيها عند
الشافعية ايضا كما صرح به السبكي ولو سلم فهذا محمول على الاعم من الولايم وغيرها وليس
في العبارة ما يقتضي التخصيص ولا تجب اجابة امير وليمة عرس ونحوه وليمة المشترى كما هو
ظاهره وقيل تجب واختاره السبكي لاخبار فيه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية لا
الصدقة ولو كانت كراعا لانه مقتضى للتحاب وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة
والعين المهملة وهي ما تحت الركبة الى الخف والحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد التقليل
كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع ما دون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شيء طرفه
وفي الترمذي عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اهدي الي كراع لقبلت
ولو دعيت الى كراع لاجبت وكراع الثاني اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة عرضه

والتصحيح

والتصحيح انه بالمعنى السابق والمقصود المبالغة في ذلك اي بقبول الهدية ولو كانت حقيرة واجابة
287 الدعوة ولو كانت الى مكان بعيد ويطلق الكراع على الشاة نفسها وفي الحديث اذا دعي احدكم فليجب
فان كان مفطرا اكل وان كان صائما دعا بالبركة وقوله ويكافئ عليها بالهمزة اي يجازي على الهدية
بشيء مثلها او اكثر لان المكافاة اصل معناها المساواة والمماثلة ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم اي تتساوى في القصاص وفي البخاري كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية اذا اطلق
الواهب وكان ممن يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم يوافق عليه وقال انس رضي الله
عنه وهو خادم النبي صلى الله عليه وسلم خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وفي رواية
لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه خدمه تسع سنين واشهرا فتارة نظر للكسر وجعلها
سنة وتارة الغاها وكان عند عمه ابي طلحة فانطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له
ان انسا غلام كيس فليخدمك فما قال لي اف قط هي كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه وهي اسم فعل فيه لغات
نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة وللسيوطي في نظم لغاتها ابيات مشهورة حيث
قال اف ربع اخيرة ثم خفف ... مبتداه مشددا ومخفف ... وبتنوينه وبالترك اني ... لاتما لا او بالا
مالة مضعف ... وبكسر ابتدا واني مثلثا ... وذو الهاء في اف طلق لا اف ... ثم مد بكسر افواف
ثم اوفا فاحفظ ودع ما يزيف ... قال الراغب اصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر
وما يجري مجراهما ويقال لكل مستقذر يستخف به واففت لكذا اذا قلت له افه والحاصل مما تقدم
ان همزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها في البحر ومن لطائف السراج الوراق
رحمه الله تعالى في مدح ابنه رحمه الله بنيّ فتدي بالكتاب العزيز فرزت سعودا وزادني ابتهاجا
وما قال لي اف في عمري لكوني ابا ولكوني سراجا اي لم يتضجر من امر غيره مني وقع مني وفيه دليل
على زيادة حلمه صلى الله عليه وسلم وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته وهذا
الحديث رواه الشيخان وعن عائشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم بينت بعض ذلك بانه ما دعاه احد اي ناداه فقال يا رسول الله من اصحابه
ولا اهل بيته خصم لان العادة جارية بالمسامحة الا قال لبيك قال السيوطي رواه ابو
نعيم في دلائل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادي فالتلبية اجابة المنادي من ما
من لب والب اذا اقام بمكان ولم يفارقه فكانه يقول انا ثابت على اجابتك ولا تستعمل الا
بلفظ التثنية كانه قال اجابة بعد اجابة والمراد التكثير كقوله فارجع البصر كرتين وهو منصوب
على المصدرية بعامل لا يظهر وتغلب اضافته لغير المخاطب وقد يضاف للغيب كما فصله النحاة
ولا يجاب به الا من يعتنى باجابته وتعظيمه ولذا يقوله الحاج في اجابة الرسول صلى الله
عليه وسلم اتباعه بذلك رعاية مقامهم وتعظيمهم وهو من خلقه العظيم كما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاطب القادم بمرحبا بام هاني وقال جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي
سيد قومه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لا قبل موته باربعين

يوماً كما قيل ولما قدم قال صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم خير ذي يمن وكان رضي الله عنه جميلاً
حتى قال عمر رضي الله عنه فيه انه يوسف هذه الامة وارسله النبي صلى الله عليه وسلم لذي
الخلصة وهي الكعبة اليمنية وكان فيها صنم لخثعم وقيل من عنده ما حجبني رسول الله صلى الله
عليه وسلم منذ اسلمت قط اي ما منعني من الدخول عليه في بيته وقد استاذنته لاما مطلقاً فلا
يقال كيف يدخل على غير محرم وحتى يجاب بان المراد في مجلس مختص بالرجال والمراد ما منعني
شيئاً سالته واسلامه رضي الله عنه كان في رمضان سنة عشر كما مر ولا راني الا تبسم
وفي رواية الا تبسم في وجهي وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادي الضحك بحيث
يبدو مقدم الاسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحك
صلى الله عليه وسلم في اغلب احواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت
نواجذه وقيل انه اريد به مجرد المبالغة لا الحقيقة بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول
وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان لزمه استهزاء
باحد وسخرية فحرام وكان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه الممازحة تكون بالكلام
والفعل ملاطفة ولكنها انما تحمد من الكبار احياناً بحيث لا تودي الى اذية صاحبها والمداعبة
قريبة منها ولكن بينهما فرق سيأتي وكان صلى الله عليه وسلم يمزح احياناً ولا يقول الا
حقاً ولكنه يورّي في كلامه كما قال لبعض العجائز انه لا يدخل الجنة عجوز لانهم يعودون في سن
الشباب ولله در القائل افد طبعك المكدود بالهم راحة ... براح وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما يعطى الطعام من الملح ... والمزاح بضم الميم اسم
وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال ... فاياك اياك المزاح فانه ... يجري عليك
الطفل والرجل النذلا ... ويذهب ماء الوجه من كل سيد ... ويورثه من بعد عزته ذلا ... والصحيح
انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشرطه وكان كبار السلف يمزحون وقد قيل الناس
في سجن ما لم يتمازحوا وورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان افكه الناس وكان يمزح
ولا يقول الا حقاً ويخالطهم ويحادثهم تانيساً لهم وجبراً لقلوبهم ويداعب صبيانهم بداعب
بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع
الخزرجي رضي الله عنه عقلت منه صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وانا ابن خمس سنين
ويجلسهم في حجره كما فعل صلى الله عليه وسلم مع ام قيس لما اتته بابن لها صغير لم ياكل
الطعام فاجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة
وفتحها معروفاً وهو ما كان من ثوبه على فخذيه وهو جالس ويجيب دعوة بفتح الدال المهملة
العبد والامة والمسكين قال السيوطي اجابته صلى الله عليه وسلم دعوة العبد رواها
البزار عن جابر رضي الله عنه والترمذي وابن ماجه عن انس رضي الله عنه فذووجه لما
قيل اني لم اقف عليه الا في صحيح البخاري من انه صلى الله عليه وسلم اتى غلاماً خياطاً فاتاه
بقصعة فيها دبا فجعل يتتبعه وكان صلى الله عليه وسلم يعلم طيب انفسهم بما يملكونه لهم

فلا يقال

فلا يقال كيف اكل مما في يد العبد وهو مما يملكه لسيده او يقال كان مكاتباً او المراد بالعبد
من مسه الرق ولو قبل دعوته وقدم العبد اهتماماً ببيان انه صلى الله عليه وسلم كان يجيب دعوته
مع حقارته بالنسبة للحر واخرج الترمذي بسنده عن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويشهد الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقي
دعوة المملوك في اقصى المدينة اي في ابعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لا سيما من
يتبرك بعيادته لما فيه من التسلية وتاليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل
ثلاثة لا عيادة فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لا يعاد المريض الا بعد ثلاثة ايام
وورد في ذلك حديث ضعيف والصحيح انه لا فرق والحديث قال شيخنا الرملي انه موضوع واختلف
في عيادة الذمي فقيل تجوز اذا كان يرجى اسلامه او تضمن مصلحة ويقبل عذر المعتذر والمعتذر
كل من ابدى عذراً سواء كان له حقيقة ام لا وسواء كان من شانه انه يقبل ام لا ولذا لم يقل المعذور
لانه من له عذر وعدم قبوله منه مذموم وقبول اعتذاره عقوبة جنايته وعدم مواخذته بها
لانه من تمام المروءة وهذا كما قبل صلى الله عليه وسلم عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم
الى الله تعالى وكقبوله عذر حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمجيئه
صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله
تعالى وقال انس رضي الله تعالى عنه قال السيوطي هنا الى قوله بين يدي جليس له رواه ابو داود
والترمذي والبيهقي في الدلائل واخرجه البزار عن ابي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما ما التقم احد اذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما جعل احد اذنه محاذية لفمه فيحاذيه وقال الشمني اي
ما حدثه احد عند اذنه فجعله استعارة ولم يحمله على حقيقته وانه فعله للتبرك كما وقع
لجابر رضي الله عنه في التقامه لخاتم النبوة لان لفظه مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيراً
مستبعد بخلاف قصة جابر رضي الله عنه لما اردفه صلى الله عليه وسلم خلفه وامكنه
ذلك بسهولة وايضاً في مثله سوء ادب ومنافاة لغرضه فانه اذا ادخل اذنه في فيه لم يمكنه
اداء لسانه ومناجاته وفي النهاية في الحديث ان رجلاً التقم عينه حصاة الباب اي جعل الشق
الذي في الباب محاذي عينه فجعله للعين كاللقمة في الفم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا
لا ينافي ما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال والله لآتين النبي صلى الله عليه وسلم
فلآتينه وهو في ملأ فساررته فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر
من هذا فصبر لانه صلى الله عليه وسلم لم يغضب من المسارة بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة
والذال المعجمة وقد يسكن فينحي راسه عنه اي يبعدها ويجعلها في ناحية منه حتى يكون
الرجل هو الذي ينحي راسه اي حتى يفارقه او ينفصل منه قليلاً وما اخذ احد بيده اي امسكها
فيرسل يده اي يطلقها ويفكها من يده وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام
ابن القوطية انه معنى حقيقي ان كانت اليد الثانية يد الآخذ فليس من وضع الظاهر موضع
الضمير والا فهو منه وقوله حتى يرسلها الآخذ غاية لترك ارسالها اي الى ان يرسلها الآخذ

وهو بالمد اسم فاعل من الاخذ وفي نسخة الاخر بالراء المهملة وفي البخاري ان كانت الامة لتاخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن احمد فما ينزع يده من يدها
وهو عبارة من الانقياد ولشدة تواضعه وتنزهه عن التكبر صلى الله عليه وسلم وقوله ولم
ير صلى الله عليه وسلم مقدما ركبتيه بين يدي جليس له من جملة حديث انس رضي الله عنه
في المصابيح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده حتى يكون هو الذي
ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه او هو رواية اخرى
وهو الظاهر لما بينهما من المخالفة ومعنى لم ير متقدما الخ انه يخفض ركبتيه تعظيما لجلسائه
وقيل المراد بالركبتين الرجلين اي كان لا يمد رجليه في مجلسه لما روي في حديث اخر انه صلى الله
عليه وسلم كان يجلس وسط اصحابه ولا يتقدم عليه بركبتيه حتى كان الغريب يجيء فلا يعرفه ويسال
عنه وكان صلى الله عليه وسلم يبدو اي يبتدئ من لقيه بالسلام من تفيد العموم اي كل
احد لقيه صغيرا او كبيرا من المسلمين الا في مواضع لا يستحب السلام فيها واما الكفرة فلا يسلم
عليهم وجوز بعضهم ابتداهم بالسلام ايضا ويبدو اصحابه بالمصافحة مفاعلة من الصفح
اي يجعل صفحة يده الشريفة على صفحة يده وفي الحديث تمام تحيتكم بينكم المصافحة وهي سنة
عند التلاقي وكانت الصحابة رضي الله عنهم تفعله واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت الصحابة
رضي الله عنهم تقبل يده ايضا وهي مستحبة ايضا للكبير وكرهها مالك اما اذا كان على وجه
التكبر فيكره وقال النووي انه مستحب ايضا لاهل الشرف والصلاح واما لاهل الدنيا فيكره
وقال لفقهاؤنا لا باس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما ورد في الحديث ايضا نحوا وقيل انه
من الصفح والعفو اي ليصفح احدكم عن غيره ولا يناقشه والمشهور الاول واما بعد صلاة
الجمعة والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل المشايخ لانهم كانوا في الصلاة غائبين
عمن حضرهم ومن كان هذا حاله لا يكره منه ولم ير صلى الله عليه وسلم قط مادا رجليه بين
اصحابه حتى يضيق بهما على احد هنا اشارة الى انه كان ذلك في مجلس يكثر فيه الناس اما
اذا كان وحده او في قليل من خواصه فكان صلى الله عليه وسلم قد يتكي وقد يضع احدى
رجليه على الاخرى كما ورد في بعض الاحاديث يكرم من يدخل عليه بالقيام ويلاطفه كقيامه
صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لما قدم سعد
قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من
النار وحمل هذا على عادة الاعاجم في وقوف الناس بين ايديهم اما القيام للعلماء والصلحاء
فمستحب كما ياتي وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب للكراهة
ابن حجر رحمه الله تعالى وقال في قوله صلى الله عليه وسلم قوموا لسيدكم انما كان لانه
قدم على حمار وكان مريضا وفي رواية قوموا لسيدكم فانزلوه ورد بانه لو كان كذلك لم
يامر جميع الناس بالقيام له ولذا استدل النووي وفيه نظر وربما بسط لمن يدخل
عليه ثوبه تعظيما له كما جعل ذلك لعدي بن حاتم ولاخته من الرضاعة لما اتته كما ياتي ويؤثر

لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه كما سياتي يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم صح

ما يتعلق بالقيام اكراما

بالوسادة الايثار تقديم غيره على نفسه في بعض الامور والوسادة ما يتوسد اي يوضع تحت الراس
وهي التي تسمى مخدة ويقال الساده بالهمزة ووساد بدونها وقضية قوله التي تحته كما في البخاري انها
فراش يجلس عليه وكانت محشوة بالليف وقال عدي بن حاتم دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي اذ لقيته امراة
ضعيفة كبيرة واستوقفته فوقف طويلا تكلمه في حاجتها فقلت في نفسي والله ما هذا بملك
ثم مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة كبيرة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال اجلس على هذه
فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بيني وبينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق
فقلت والله ما هذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة بتفسير الجوهري لها
بالمخدة فقط ويعزم عليه في الجلوس اي يقسم عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله اجلس
انت قال في التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن كذا اي اقسمت انتهى وهو ماخوذ من العزم وهو
التصميم في الامر وقوله عليها اي على الوسادة ان ابى اي امتنع من الجلوس حياء من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويكني اصحابه اي يضع لهم كنية كابي فلان او يدعوهم بالكنية تكريما ويدعوهم
اي يناديهم باحب اسمائهم تكرمة لهم اي يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم لاجل اكرامهم وتعظيمهم
وتلطفا بهم وتانيسا معهم فان نداء المرء بكنيته تعظيم وكذا كان صلى الله عليه وسلم يكني من لا كنية له
كما قال للطفيل الذي كان معه طائر يسمى نغيرا يا ابا عمير ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية
من لا ولد له على عادة العرب تفاؤلا بان يعمر ويرزق ولدا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف
الواقع فهو كذب واخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كناني النبي صلى الله
عليه وسلم ابا عبد الرحمن قبل ان يولد لي وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا اولادكم
بالكنى قبل ان يغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال
النووي يجوز تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثاني ان يخاف من ذكر اسمه
فتنة فالاول كابي طالب والثاني كابي حباب لابن سلول وفيه نظر وقد يكون لامر اخر كابي لهب
فانه اشارة الى انه جهنمي وقيل كني بذلك لحسن وجهه ولا يقطع على احد حديثه اي من حديث
عنه يصغى اليه ولا يقطع حديثه بتكلمه بكلام اخر او قيامه او نهيه عن الكلام فان
مثله يؤذي المتكلم حتى يجوز بياء وتاء مفتوحتين وجيم مفتوحة وواو مشددة وزاي معجمة غاية
لتركه قطع حديثه اي حتى يكثر فيتجاوز الحد او يخرج الى ما لا يليق من الكلام فهو من التجاوز
والجواز كما ياتي فيقطعه بنهي عن الكلام او قيام من مجلسه اعراضا عنه وهو مفيد لنهيه
عنه ويروى بانتهاء او قيام فالنهي بمعنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهذا وقع
في بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك في حديثه فيقطع حديث نفسه اما بسبب انه انتهى ولم
يبق منه شيء او لقيامه عن المجلس والتجوز على هذا بمعنى التخفيف له والقليل منه وقيل معناه
ينطق بما هو غير حقيقي كما يتكلم بما لا يليق من الكلام وروي انه صلى الله عليه وسلم كان
لا يجلس اليه احد اي لا يجلس متوجها اليه والمراد لا يجلس عنده صلى الله عليه وسلم

وهو يصلي الا خفف صلاته اي اسرع فيها فقطعها والتخفيف ضد الطويل وسياتي بيانه وسال
عن حاجته واذا فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه وبيان حاجته عاد صلى الله عليه وسلم الى الصلاة
التي كان فيها وقال البرهان الحلبي هذا الحديث منكر وقد ذكره في الاحيا في ادب المعيشة وقال العراقي
في تخريج احاديث الاحيا لم اجد له اصلا انتهى ولذا قيل لوا ورد حديث الصحيحين اني لا قوم
الى الصلاة اريد ان اطول فيها فاسمع بكا الصبي فاتجوز في صلاتي كراهة ان اشق عليه كان اظهر فانه
متفق عليه وهو في معنى حديث الاحيا وكان صلى الله عليه وسلم اكثر الناس تبسما وقد تقدم
معنى التبسم وما يتعلق به واطيبهم نفسا اي لم يكن مقطبا وعبوسا في مجلسه لطيب نفسه
وهذا وما بعده حديث رواه احمد والترمذي بسند حسن ما لم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب
قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي
قال ما رايت اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال غريب وقد
تقدم وعن علي كرم الله وجهه او الزبير رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كان حديث عهد بجبريل عليه الصلاة والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه
احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضي الله عنه من غير شك وعن جابر رضي الله تعالى عنه كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فاذا سرى عنه فاكثر الناس ضحكا
اخرجه الطبراني في مكارم الاخلاق وفيه ابن ابي ليلى سيء الحفظ وعن علي والزبير كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكانه نذير قوم يصبحهم
الامر غدوة اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير من غير شك وعن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه رواه مسلم والحاكم
من حديثه كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه انتهى وكونه صلى الله عليه وسلم
لا يتبسم في هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحي وتادب معه وفيما بعده لانه مقام
انذار وخوف وتخويف قال عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن غنم الزبيدي
الصحابي سكن مصر ومات رضي الله عنه بها سنة خمس وسبع وثمانين وهو اخر من مات بها
ببلدة تسمى سفط قرية من سمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن منده عن ابن يونس
وقال انه شهد بدرا ولابن حجر فيه كلام ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفي الحديث تبسمك في وجه اخيك صدقة
وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل في جمع
فاعل جا في الفاظ محصورة نظمها ابن مالك رح وقيل انه اسم جمع وهو بالتاكير ككملة جمع
كامل والمراد بالخدم العبيد والجواري وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح ياتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صليت الغداة اي الصبح بانيتهم فيها الماء والانية
جمع انا ككسا واكسية وهو ما يوضع فيه الشيء والاواني جمع الجمع وكثير من الناس يظن
ان الانية مفرد او ظاهر قوله فما يوتى بانية الا غمس يده فيها يوهم ذلك وربما كان ذلك اي اتيانهم

بالاواني

بالاواني وغمس يده فيها في الغداة الباردة والغدوة والغداة بالعشي ووصفها بالباردة اشارة
لما فيه من زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا باثاره صلى الله عليه
وسلم ومامسته يده الشريفة وقوله يريدونا التبرك به يحتمل انه من كلام المص فان البغوي
رحمه الله تعالى رواه في مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه ارشاد للتبرك باثار العلما والصلحا
فصل واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق والفرق بين هذه الثلاثة ان الشفقة
رحمة ورقة القلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه كما في الاساس والرافة التلطف
بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس بن الرقيات ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت
يرى ولا كبرياء فمقابلتها بهذا المعنى كما هو تحقيقه فما قيل انها ارق من الرحمة ولا تكاد
تقع في الكراهة كالرحمة غير موجه وقوله لجميع الخلق يعني انها لا تختص باحد كرحمة غيره لقوله
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فقد قال الله تعالى عنه اي في حقه وصفته عليه الصلاة
والسلام عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم عزيز من عز بمعنى اشتد
وصعب والعنت المشقة اي يصعب عليه مشقتكم وما يولمكم لرافته ورحمته وقد تقدم
الكلام على هذه الاية وقوله بالمؤمنين لا يناسب قوله لجميع الخلق فالا نسب ان يقتصر
على قوله وقال سبحانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد اشار المص رحمه الله تعالى
لدفع هذا في الفصل الاول من ان صدر الاية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا تنافي العموم
فكانه يشق عليه العموم رحمته صلى الله عليه وسلم كما يقع بهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم
فهي مطابقة لهذه الاية كما يعلم من كلامه هنا وقد تقدم ما ذكر لانه اسم وذكره هنا لغرض اخر
كالايات المكررة في القران فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادته على المقصود ولو بنيه
على ما قلنا كان اولى به لكنه حريص على العنت كما لا يخفى لمن سبره قال بعضهم من فضله عليه
الصلاة والسلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم تقدم
الكلام على هذا واعاده هنا لمعنى اخر فلا تكرار فيه فائدة قال السيوطي رحمه الله ظاهر كلام
المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابي حاتم الرحيم لا يستطيع
الناس ان ينتحلوه ويظهر ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى وحكى نحوه
الامام ابو بكر بن فورك تقدم الكلام عليه وعلى اسمه وعلى اسم ابيه وهو امام بلغت تصانيفه
اكثر من مائة مصنف جليل توفي سنة ست واربعمائة قال حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله
بن محمد الخشني بقرائتي عليه وهو عبد الله بن ابي بكر بن ابي جعفر بن محمد الخشني بضم الخا وفتح الشين
المعجمتين ونون نسبته لخشينة مصغرا اسم قبيلة ولد سنة تسع واربعين واربعمائة ومات
بمرسية من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقرائتي عليه قال
حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري هو الامام ابو عبد الله ويقال ابو الحسين بن علي شيخ الحرمين
ومحدث مكة والطبري منسوب لطبرستان او لطبرية والاول اصح قال حدثنا عبد الغافر
الفارسي الامام الزاهد العدل ابو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسي احد رواة مسلم المشهور

ابنا قبس

بالرواية عن الجلودي ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة
وعمره ثمان وسبعون سنة قال حدثنا ابو احمد الجلودي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه
يجوز فيه فتح الجيم وضمها وقد قيل هنا ان عبد الغافر لم يرا الجلودي ولا روى عنه صحيح مسلم
وانما الراوي جده ابو امه واسمه عبد الغافر ايضا كحفيده لكنهما اختلفا كنية وابا فان
كنية الاول ابو الحسن وهذا ابو الحسين مصغرا واسم ابي الاول محمد وهذا اسمعيل وتاريخ
موتهما مختلف وهذا لم يدرك الجلودي وقال السبكي رحمه الله في طبقاته بينهما وبين
الجلودي اثنان وهذا مما لم ينبه عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغي التنبيه له قال
حدثنا ابراهيم بن سفيان تقدم ايضا وان سين سفيان مثلثه قال حدثنا مسلم بن الحجاج
الامام المشهور صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الطاهر احمد بن عمرو بن
عبد الله بن عمرو بن سرح بمهملات بزنة ضرب الاموي مولاهم المصري روى عنه اصحاب السنن
وغيرهم ووثقه النسائي وقال ابو حاتم لا باس به وكان فقيها صالحا ثبتا توفي في ذي القعدة
سنة خمسين ومائتين قال اخبرنا ابن وهب ابو محمد عبد الله الفهري احد الاعلام روى عنه
الستة وتوفي سنة سبع وتسعين ومائة اخبرنا يونس بن يزيد الايلي بفتح الهمزة وسكون
المثناة التحتية واللام وياء النسبة احد الاثبات روى له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة
ثبت توفي سنة تسع وخمسين ومائة وله ترجمة في الميزان وفي يونس ست لغات تثليث
النون مع الواو والهمزة عن ابن شهاب الامام ابو بكر بن مسلم الزهري وقد تقدم قال غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا تقدم الكلام على حنين قال البرهان
الحلبي الراوي اذا قدم الحديث على السند كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا
اخبرني به فلان ويذكر سنده اوقدم بعض الاسناد مع المتن كما نحن فيه قال بعد هذا قال
ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان بن امية الخ فهو اسناد متصل ولا يمنع ذلك
الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد بتمامه اولا وقال ابن الصلاح ينبغي ان يكون فيه خلاف
كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية بالمعنى لا تجوز
والجواز على القول بانها تجوز ولا تجوز ولا فرق بينهما في ذلك انتهى وفي جعله كالرواية بالمعنى
خفا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي
الجمحي الصحابي وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا
والطايف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعد ما كان من المولفة قلوبهم وكان رئيس
بني جمح وكان يواذي النبي صلى الله عليه وسلم ويوذيه اذية بالغة مع ما بينهما من الرحم
فجازاه على اساته بالاحسان ان زاد اليه مائة من النعم ثم مائة ثم مائة والنعم اسم جمع للابل
لا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال العزيزي هو الابل والبقر والغنم قال ابن شهاب حدثنا
سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال
يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي بعد ما كان اشد الناس عداوة له لقتل ابيه يوم بدر ولما شهد

وهو كافر

وهو كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة فبينا يسير في الغنايم
ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر الى شعب ملي نعما وشاء واد وما النظر اليها ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يرمقه فقال له ابا وهب يعجبك هذا الشعب قال هو لك وما فيه فقال
صفوان ما طابت بهذا الا نفس نبي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكانت
زوجته اسلمت قبله فاقر النبي صلى الله عليه وسلم نكاحه عليها واختلف فيما كان يعطيه
صلى الله عليه وسلم للمؤلفة هل هو من خمس الخمس الذي هو حقه او من الخمس او من الغنايم
واما اعطا مؤلفة الكفار فكان جايزا في صدر الاسلام وهل هو من الزكاة او من بيت المال
ثم منعوا منه في خلافة الصديق او في خلافة عمر رضي الله عنهما فان قلت ما مناسبة الحديث لما
نحن فيه قلت لانه صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان لما بينه وبينه من الرحم خوفا عليه ان يستمر
على عداوته وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه شفقة عليه من ان يحل به المنية
والعذاب وقد تقدم اعطاوه اكثر من ذلك وروي ان اعرابيا جا يطلب منه اي من النبي صلى الله
عليه وسلم شيئا فاعطاه هذا الحديث رواه البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه بسند ضعيف
وكذا ابن حبان ولم يسموا الاعرابي ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت الذي
في النسخ احسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا
عدد الرمل والحصى والتراب ومثله كثير نفيس والاستفهام تقريري وقوله لا رد لقوله
احسنت واجملت يعني فعلت فعلا جميلا محمودا وقال بعضهم معناه ما اعتدلت في الاخذ
والعطا وما اكثرت وهذا اولى انتهى واللغة لا تساعده وانما حمله عليه الهرب من التكرار
ولا تكرار لانه من ذكر العام بعد الخاص ومثله لا يعد تكرارا لما فيه من المبالغة وفي ذلك غلظة
وسوء ادب فغضب المسلمون من كلامه وجراته عليه صلى الله عليه وسلم وقاموا اليه ليضربوه
ويجازونه بما يستحقه فاشار اليهم ان كفوا اشار بيده اليهم اشارة يفهم منها الامر بكفهم اي
تركهم لما ارادوه وان تفسيرية او مصدرية على الخلاف المشهور عند اهل العربية وهذا
من حلمه صلى الله عليه وسلم وشفقته تالفا له ليحسن اسلامه ثم قام من مجلسه ودخل
منزله وارسل اليه عطية وزاد اي زاده على ما اعطاه اولا ثم قال احسنت اليك فيه مقدر ابن الحنبلي
وهو خرج وقال له ذلك قال نعم احسنت الي فجزاك الله على احسانك ولطفك بي من اهل
وعشيرة خيرا مفعول جزاك وما بينهما اعتراض والفاء تفريعية وسببية لما تضمنه وقيل
انها فصيحة في جواب شرط مقدر او عاطفة على مقدر اي احسنت واجملت فجزاك الخ ومن في
من اهل قيل انها بدلية مثلها في قوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض اي بدلكم فالمعنى بدلا من اهلي
وعشيرتي الذين يحسنوا الي وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا له وعشيرة اي قبيلة عرضي
اما الفعله فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم اهلا وسهلا او لما تقدم من انه له
صلى الله عليه وسلم في كل قبيلة قرابة وعرقا فمن اما تعليلية كقوله فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله اي لاجل ذكر الله واما كونها للفصل والتمييز كما في قوله تعالى اتاتون الكذابون

من العالمين اي ممتازون من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فبعيد جدا ثم اشار المص الى انه صلى الله
عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت
في جوابك وردك علي وفي انفس اصحابي من ذلك شيء تنكيره اما للتحقير اي شيء حقير لا يعتد به
عندي او للتعظيم اي امر عظيم عندهم لاذيته النبي صلى الله عليه وسلم ووضع اسم الاشارة
موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره لتذكيره بما وقع منه من الامر العجيب
فان احببت فقل من بين ايديهم ما قلت بين يدي علق قوله على محبته وارادته لطفا منه صلى الله
عليه وسلم واي لطف مع انه ذنب عظيم ينبغي التنصل منه وفيه من الشفقة بالامة ما لا يخفى
وبين الايدي كناية عن حضوره وتمثله لهم وليس المراد البينية الحقيقية بل المقابلة مع القرب
وقد يعبر به عن المستقبل نحو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم حتى يذهب ما في صدورهم عليك
اي الغضب والالم الذي في قلوبهم بسبب ما قلته اولا قال نعم اي اقول لهم ما قلت لك فلما
كان الغدا والعشي المراد بالغد صبيحة اليوم الذي بعد اليوم الذي كلمه فيه النبي صلى الله عليه
وسلم والغداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشي ما بعد الزوال الى الغروب والشك من الراوي
جاء اي الاعرابي الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه الحاضرين عنده ان هذا الاعرابي قال ما قال لي ولا اذا ساء ادبه لغلظة طبعه
ولذا وصفه بالاعرابي لما علم من حال الاعرابي فزدناه على عطائه الاول فزعم انه رضي بجملة
ما اعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى كقول الشاعر هلكتا
ولكن ان هلكت فانما على الله ارزاق العباد كما زعم ويكون بمعنى القول الباطل كقوله
تعالى هذا لله بزعمهم ولذا قالوا زعم مطية الكذب وفي التعبير ايماء الى ما في نفسه
من الحرص والطمع ثم التفت صلى الله عليه وسلم الى الاعرابي وقال له اكذلك فالاستفهام
متوجه منه صلى الله عليه وسلم الى الاعرابي اي الامر كذلك من انك رضيت وان كان
ما قبله كلاما منه متوجها لاصحابه رضي الله عنهم فالجار والمجرور خبر مبتدا مقدر اي
الامر كذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا انقذهم مما فيه فقال النبي صلى الله
عليه ومثلي ومثل هذا الاعرابي المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام المشبه مورده
بمضربه ويكون استعارة تمثيلية او تشبيها تمثيليا مركبا كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا الاية ويكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فانه اوقع في النفس لانه
يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من الشان الغريب وهو في الكلام الالهي والا
حاديث النبوية كثير مثل رجل له ناقة شردت عليه اي نفرت منه وذهبت في الارض يقال
شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى جريا شديدا لا يلحق شرودا وشرادا واصل الشراد
الفراق خوفا قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم قال ابن عرفة اي افعل بهم فعلا يخيف
من وراءهم فيشردهم فاتبعها الناس افتعال من الاتباع اي مضوا وجروا خلفها ليمسكوها
فلم يزيدوها الا نفورا اي لم يحصل باتباع الناس لها الا زيادة هربها ونفورها خوفا منهم

فناداهم

فناداهم صاحبها اي الناقة خلوا بيني وبين ناقتي اي وقال لهم خلوا الخ فهو مفعول نادى
لتضمنه معنى القول او مقول قول مقدر كما عرف في امثاله اي لا تتبعوها واتركوها واتركوني
احتال في امساكها فاني وفي نسخة انا ارفق منكم واعلم اي انا اشفق عليها واعلم بحالها منكم
فتوجه لها بين يديها اي جاءها من امامها فاخذ لها من قمام الارض القمام جمع قمامة ككناسة
لفظا ومعنى والمراد بها النبات التي ترعاه الدواب شبهه به لخسته ولانه مما يطرح كالقمامة
فاستعير لذلك فردها حتى جاءت فيه مقدرا اي فدنت لتاكل ما بيين من الحشيش فامسكها
وردها حتى اتى بها محله واستناخت اي بركت ومكثت عنده من ناخ الجمل ونوخه اذا بركه
وشد عليها رحلها الرحل للابل كالسرج للفرس وهو معروف واستوى عليها اي على ظهرها
اي ركبها يقال استوى على الدابة اذا علاها على ظهرها وركبها واني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال اي على الفكم وامنعكم عنه حين قال الرجل مقالته السيئة فقتلتموه دخل النار
عقوبة له باساته على النبي صلى الله عليه وسلم وشبه المال لخسة الدنيا عنده بالقمامة
وشبه نفسه بالرجل وشبه الاعرابي بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما غضبوا
وقاموا له بالناس التابعين لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله
خلوا بيني وبينها وفي قوله فاني ارفق بها منكم بيان لانه اعظمهم رفقا واقواهم شفقة على خلق الله
تعالى وهو تشبيه في اعلا طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعاني اللطيفة قيل ويحتمل ان الرجل عرضي
انما قال ولاما قال لبطلع على حلمه صلى الله عليه وسلم لانه سمع صفاته من اهل الكتاب
والنبي صلى الله عليه وسلم علم بذلك وقيل ان جزمه بدخوله النار لكفره بما قاله للنبي
صلى الله عليه وسلم والنبي تلطف به حتى امن ونجا من النار فتامل وهذا الحديث رواه ابن الحنبلي
البزار وابو الشيخ بسند ضعيف عن ابي هريرة رضي الله عنه وابن حبان في صحيحه وابن الجوزي
في الوفا وروى عنه بالبنا للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي له ابو داود
والترمذي عن ابن مسعود وفي نسخة وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد
منكم عن احد من اصحابي شيئا هذا نهي عام من الغيبة والنميمة ونقل ما يكره نقله من قول او فعل
او ترك فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه
بغض لاحد ولا غضبان على احد ومثله صلى الله عليه وسلم يقال له سليم القلب قال الله
تعالى الا من اتى الله بقلب سليم اي بريء من الكفر والنفاق وهذا معنى اخر وقد صح عن انس فيما
رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار
والله ما اراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فتمعر وجهه
وقال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر رواه البخاري والمراد سلامة صدره
للمقول عنه او الناقل كما قيل سبك من بلغك والاولى ابقاؤه على اطلاقه ليشملهما وغيرهما
وكل من النميمة والغيبة حرام الا في اماكن استثناها الفقها وقد نظمها الجوجري
من فقهاء الشافعية في قوله لبست غيبة جازت تخذها منظمة كامثال الجواهر تنظم

واستغفت واستفت حند   وعرف واذكرن فسنو المجاهر وثياتى لذلك مزيد بيان ايضا
ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته تخفيفه عنهم التكاليف الشاقة التى كانت
فى الامم السابقة ورجاؤه صلى الله عليه وسلم من ربه ان يجعل الصلوة خمسا بعد ما كانت
خمسين وتسهيله عليهم فى امورهم كقوله صلى الله عليه وسلم لبدنك عليك حق ولزوجك
عليك حق لمن اراد قيام الليل كله وكراهته اشيا مخافة ان تفرض عليهم الكراهة والكره
من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له
ثم بين ذلك بقوله كقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتى اى لولا مخافة المشقة
عليهم لامرتهم بالسواك اى امر ايجاب والا فامر الاستحباب ورد فى الحديث كقوله صلى الله
عليه وسلم عليكم بالسواك واستاكوا حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم فجعله واجبا وورد
بهذا الحديث فهو سنة واختلف فى محل سنيته فى الوضوء فقيل حال المضمضة وقيل قبل
الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من سنن الوضوء كما اختاره
الزيلعى رحمه الله والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم العود نفسه والمراد هنا
الاول او الثانى بتقدير مضاف اى استعماله وهو مذكر وجوز بعض اهل اللغة تأنيثه مع
كل وضوء وفى مسلم عند كل صلوة وهذا الحديث رواه اصحاب الكتب الستة والوضوء
بضم الواو مصدر وبفتحها ما يتوضأ به كالطهور واجاز بعضهم فى المصدر الفتح وقد جاء
فى المصادر الفتح ايضا وقال ابو شامة رحمه الله تعالى فى كتاب السواك السواك ماخوذ
من قولهم ساكت الابل اذا اضطربت من الهزال فيما قلت من الضعف لما فيه من الحركة وقوله
مع كل وضوء روى مع كل صلوة وعند كل صلوة كما علم وهل هو عام لكل صلوة فرضا او نفلا
او الصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعى احب السواك للصلوة وعند كل
حال تغير فيها الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يشمل الصايم وفيه كلام للفقها فيكره له
بعد الزوال ما لم يحصل له تغير بنحو نوم بعده ورواية الموطا مع الوضوء قال ابو شامة
يحتمل معنيين لامرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء او لامرتهم به كما امرتهم بالوضوء وله
فيه كلام طويل وقوله فى خير صلوة الليل هو ما قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريجه الاحاديث
الشفاء ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجيرة بخصفة او حصير فى المسجد فى رمضان فخرج فصلى فيها قال فسمع رجال ورجا وايصلون
بصلوته قال ثم جاوا فحضروا فابطا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا اصواتهم
وحصوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب
عليكم فعليكم بالصلوة فى بيوتكم فان خير صلوة المرء فى بيته الا المكتوبة رواه الشيخان
وفى رواية خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله
واليه اشار السيوطى ايضا فى مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفا لا ما قيل انه اراد به
حديث صلوة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل فى النفل ليلا ان يكون ركعتين ركعتين

ابن الحنبلي

وعند ابى

293

وعند ابى حنيفة رحمه الله الافضل ليلا ونهارا الاربع لدليل لاح له وقد علمت ان الاول هو
المناسب هنا ويناسبه ما روى خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد
حتى يذهب عنه النوم وهذا هو الذى قاله التلمسانى فى حواشيه ايضا فان قلت كيف يخشى
صلى الله عليه وسلم افتراضه بعد فرض الصلوة فى الاسراء وقول الله لا يبدل القول لدى
قلت قيل انه يحتمل ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلوة بجماعة افترضتها عليهم
او انه وقع فى نفسه صلى الله عليه وسلم ذلك او المعنى انى خشيت ان تظنوها فرضا اذا داوم
عليها ولا يخفى بعده وان قيل انما فى الاسراء هى وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان وانه
لما كان قيام الليل فرضا عليه صلى الله عليه وسلم خشى ان يسوى به غيره من الامة وقيل
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا واظب على شىء من اعمال البر واقتدى الناس به يفترض
وفيه انه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة ولم يفترض كرواتب الفرائض والسنن
المؤكدة وقيل ان المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرمانى ان قوله لا يبدل القول لدى
معناه نفى النقص لا الزيادة بعيد جدا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم
فى العبادة يفرضون على انفسهم ذلك كالنذر فيشق على من بعدهم بعيد ايضا وعلى كل حال فالقيام
لا يخلو من الاشكال ونهيهم مصدر مضاف للمفعول اى نهى النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة
رضى الله عنهم عن الوصال وكراهته لهم والوصال فى الصوم وهو ان يصوم يومين فاكثر من غير
اكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت فى الصحيحين فانه عليه الصلوة والسلام لما واصل
واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم
مثلى انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فمن خواصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له الوصال
ويمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية او تنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن
لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه
قوة روحانية ويغذيه بانوار ربانية بحيث لا يضعف بدنه بترك الطعام والشراب
بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل له بدل ما يتحلل بحيث
لا يشعر وليس هذا حاصلا له فى كل الاوقات الا ترى ان المريض مدة طويلة لا ياكل ولا يشرب
ولو فعل ذلك فى حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا علماء الشرع
والحكما كما فصله ابن سينا فى مقامات العارفين فلا يرد عليه انه صلى الله عليه وسلم كان
فى بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذى الحكيم لما لم يقف على هذا
انكره لتوهمه ان بين الحديثين تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحا
المهملة وفتح الجيم والزاى المعجمة جمع حجزة وهى مشقة الحزام وقال ما يغنى شد الحجر ولم يدر
انه يقلله ويبرده بجمع الامعاء ويبردها ويقيم الصلب الضعيف وانكار الحديث الصحيح وحمله
على غير ظاهره كما قيل بان يغذيه حقيقة من طعام الجنة يأباه المقام لانه لو كان كذلك لم يكن وصالا
وكراهته دخول الكعبة اى من شفقته صلى الله عليه وسلم على امته كراهيته دخول الكعبة

فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يريد يستغفر الله فيسب نفسه   على القارى

في الحديث الذي رواه ابو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة
والحاكم عنها ايضا مصححا مسندا وهو انه صلى الله عليه وسلم خرج من عندها وهو قرير العين
ثم رجع وهو كئيب اي محزون فسألته عن ذلك فقال اني خشيت ان اكون شققت على امتي اي بدخول
البيت وكان ذلك في حجة الوداع وكانت عائشة رضي الله عنها معه وبهذا جزم الطبري
والبيهقي واختلفوا هل صلى فيه ام لا وفي بعض شروح البخاري يحتمل ان يكون دخوله عليه
الصلاة والسلام الكعبة وقع مرتين صلى في احديهما ولم يصل في الاخرى وكونه صلى الله عليه
وسلم دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضي الله عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم واغلقوا عليهم الباب
فلما فتحوا كنت اول من ولج فسألت بلالا هل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها قال نعم
بين العمودين اليمانيين فكان ابن عمر اذا دخل مشى قبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون
بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة اذرع فيصلي يتوخى المكان الذي صلى فيه رسول الله عليه
الصلاة والسلام ولا بأس على احد ان يصلي في اي جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية
اسامة بن زيد انه دعا فيه ولم يصل لان المثبت مقدم على النافي لزيادة علمه وكان صلى الله
عليه وسلم قدم مكة بعد الهجرة ثلاث مرات الاولى في عمرة القضاء ولم يدخل فيها
الكعبة لما فيها من الاصنام والكفر باقيها والثانية في فتح مكة وفيها دخل الكعبة ثم
ما اغلقوا بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فلقيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم خارجا وبلال على اثره فقلت له هل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم
قلت اين قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان اسأله كم صلى والثالثة في حجة الوداع واختلف
في انه دخل الكعبة فيها ام لا وانما كره دخولها في حجه لئلا يجعله الناس من المناسك اقتداء
به صلى الله عليه وسلم وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا في كونه من المناسك والصحيح انه
ليس منها تمسكا بهذا الحديث وقوله لئلا نعنت امته بتاء بين مفتوحتين وعين مهملة مفتوحة ونون
مشددة ومثناة فوقية تفعل من العنت وهو المشقة والاثم ووقع في بعض النسخ نتعب
من التعب كما قاله التلمساني وامته فاعل عليهما وروي يعنت بضم التحتية وسكون العين وكسر النون
من اعنته بمعنى عنته وامته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد ايضا ونصب امته نفيه
وجوه مروية ورغبته اي طلبه صلى الله عليه وسلم لربه ان يجعل سبه لهم اي لامته اي لا
حد منهم رحمة بهم والسب والشتم بمعنى واصله من السبه وهي مخرج البعر من الدبر فنقل لما
ذكر وسيأتي بيان هذا وانه صلى الله عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبي وهو في صلاته فيتجوز
في صلاته التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها ويسرع فيها مستعار من تجوز عن شيء
اذا لم يؤاخذه به كثيرا وزاد هو من الجواز في السير والصبي المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه
ابن السني في حديث صحيح عن انس رضي الله عنه كما قاله السيوطي وروى الشيخان عن انس انه
صلى الله عليه وسلم قال اني لادخل في الصلاة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز

في صلاتي

في صلاتي مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه ولا دليل فيه على جواز دخول الصبي والنساء في المسجد
لاحتمال ان يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه ايضا على جواز تطويل الصلاة لاجل
من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف ما لا يؤدي الى عدم تعديل الاركان والاخلال
بالواجبات كما لا يخفى ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته ورحمته لهم انه دعا ربه وعاهده
هذا مفسد لما مر ولو اقتصر على هنا كان احضر واظهر والمراد بالمعاهدة الزام ما لا يلزم شرعا
كالنذور كما قاله الراغب اي دعا بذلك ونذر وفصره ما ذكر فقال ايما رجل سببته او لعنته
تفسير لما دعا به ودعا هو الله عليه واللعن اصل معناه الطرد والابعاد ثم خص بالبعد من رحمة
الله فاجعل ذلك السب واللعن زكاة اي تطهيرا له مما ارتكبه مما اقتضاه وصلاة له رحمة
وطهورا اي مطهرا له من ذنوبه وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة كما رواه الشيخان عن
ابي هريرة رضي الله عنه وروي هذا الحديث من طرق اخر فيها ايما رجل من المسلمين او من
المؤمنين وروي او جلدته ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه وانما
يغضب لله فاذا راى احدا من المؤمنين وقع منه ما يخالف امر الله ربما حصلت له غيرة
لامر الله فبادر بزجره وشتمه او ضربه ثم انه رجا من الله ان يكون ذلك مكفرا لما صدر منه
ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المؤمن اذا راى غضب النبي صلى الله عليه وسلم
حصل له خوف شديد يغتم قلبه فتكون شدة خوفه جزاء عمله وزجر النبي عليه
الصلاة والسلام زيادة في حسناته تقربه من ربه وهذا لا ينافي ما ورد في حديث آخر
اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة للعالمين اما لان المنفي هناك المبالغة
والكثرة ان لم نقل المبالغة في النفي فان قلنا بها فالمعنى انه ليس هذا مقصودا من بعثته
فلا ينافي فيه وقوع ما يخالفه للتأديب نادرا او ما حمل ما صدر منه صلى الله عليه
وسلم على ما قبل البعثة فينافيه قوله من المؤمنين او المسلمين وسياق الحديث
في قوله جلدته يأباه او انه لما رجا من الله ان يكون ذلك رحمة لهم لم يكن لعنا حقيقيا
بل رحمة فلا لعن منه لاحد من امته اصلا وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم رحمة
واذيته نعمة لا نقمة بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان دعاءهم
نقمة عاجلة على اممهم وفي المصابيح ان الله اجاركم ان لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا
وسيأتي تتمته هنا في القسم الثالث فصار دعاؤه عليهم دعاء لهم على حد قولهم قاتله الله
وتربت يداه وفي هذا نهاية الشفقة واول الحديث اللهم انما محمد بشر يغضب
كما يغضب البشر واني اتخذت عندك عهدا لن تخلفه فايما رجل الخ وهذا كما مر لا ينافي
في دعائه صلى الله عليه وسلم على بعض كفرة المنافقين ومن عظيم شفقته صلى الله
عليه وسلم ما اشار اليه بقوله ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه الصلاة
والسلام فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا
عليك وقد امر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه

وقال لحرني بما شيت ان شيت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل ارجوا ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا هذا الحديث
رواه الشيخان واصحاب الكتب الستة وكان ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش منه
صلى الله عليه وسلم ما لم تناله في حياته فخرج لثقيف ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصرة منهم
والمنعة فعمد الى نفر من روسايهم فجلس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه
وسلطوا عليه سفهاهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى
ادموا رجليه وهم يضحكون وزيد رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى انتهى صلى الله عليه وسلم
الى حايط استظل بكرمه وهو مكروب موجع فاذا بقرب الحايط عتبة وشيبة ابنا ربيعة
فلما راهما كره ذلك لما يعلم من عداوتهما له فرحماه ودعوا غلاما لهما قال له عداس وقالا له
خذ قطفا من هذا العنب وضعه في طبق واذهب به له لياكله فلما وضعه قال صلى الله عليه
وسلم بسم الله ثم اكل فقال الغلام ان هذا الكلام لا يقوله اهل هذه البلاد فقال
له صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك قال نصراني من اهل نينوى فقال
من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال ما يدريك يونس قال ذاك اخي من انبيا الله فاكب
يقبل راسه ورجليه فلما رجع قالا له ما لك قبلت رجليه قال ما في الارض خير من هذا لقد
علمني بامر لا يعلمه الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان هذا من اشد ما لقيه والقصة مفصلة في السير وقوله وما ردوا عليك
اي ما اجابوك به وما ردوا قولك وخالفوه اذ كذبوك وقوله فناداه ملك الجبال اي قال له
يا رسول الله السلام عليك وقوله اطبق بضم الهمزة وسكون الطا المهملة وكسر الموحدة
مخففة ومشددة وقاف اي اضمهما واجمعهما حتى يهلكوا تحتهما وملك الجبال هو الموكل بها
بامر الله والاخشبين تثنية الاخشب بخاوشين معجمتين وموحدة بزنة افعل جبلان يضافان
تارة لمكة وتارة لمنى فيقال اخشبا مكة واخشبا منى وهما ابو قبيس وقعيقعان بالتصغير
ويسميان الجبجبان وهما تحت العقبة التي بمنى فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبي وقعيقعان
هو الجبل المشرف على الاحمر ولهم قعيقعان اخر بالبصرة وسميا اخشبان لغلظ حجارتهما وخشونتها
واصلاب جمع صلب الظهر والمراد بالاخراج منها ان يخلق لهم نسل وذرية وقد حقق الله
رجاه صلى الله عليه وسلم وعن ابن المنكدر وفي نسخة وروى ابن المنكدر وهو محمد بن المنكدر
عبد الله بن الهدير بن عبد العزيز المدني توفي سنة ثلاثين واحدى وثلاثين ومائة وهم ثلاثة
اخوة وكان يدخل على عايشة رضي الله عنها وهو تابعي وقد تقدم فقوله ان جبريل عليه الصلوة
والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الصحابي فهو مرسل قال البرهان وانما يكون
مرسلا اذا قلنا ان الصحابي اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد فيه يكون مرفوعا كما ذكره الامام
الشافعي رضي الله عنه فيكون ما قاله التابعي مرسلا وفي بعض الشروح نعم هو مرسل الا ان
ارساله لا يمنع من قبوله اذ مرسل الصحابي القرون الثلاثة مقبول عندنا وعند مالك بل هو

فوق

فوق المسند برهان فارعليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول لكنه دون المسند
وفي الشفيح الاصولي حكايته قبول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه نظر لمخالفة ابي اسحاق
الاشعري سفرايني فيه كما نقله العراقي وقيل انه خلاف طرا بعد انعقاد الاجماع في العصر الاول
ومثله لا يضر وفيه نظر ولنا في اطلاق هذه المسئلة بحث ذكرناه في حواشي النخبة ان الله
امر السماء والارض والجبال ان تطيعك المراد بطاعة السماء له صلى الله عليه وسلم انه
ان اراد ان تحصوا عقبها على من عصاه فتهلكهم كان ذلك والارض ان اراد خسفها بهم وانطبا
قها عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضميرك تطيعك مع عوده على شيئين معطوفين
بالواو لجعلهما كشيء واحد لتاويلهما بالعالم او الدنيا وكان الظاهر يطيعاك وفي بعض
النسخ والجبال وعلى هذا لا حاجة الى التاويل لان الجمع يجوز عود ضمير المؤنث المفرد عليه
وفي مراعاة النظير وحسن الترتيب اي بان تطيعك في كل ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم
اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم رجا انهم يتوبون عن مخالفتي ويوفقهم الله للايمان فيتوبون
ويقبل الله منهم ذلك او يكون منهم من يعبد الله ولا يشرك به واصل معنى التوبة الرجوع فهي
من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله قبول ذلك او من الرجوع عن الغضب عليهم والعقوبة
لهم ولا منافاة بين هذا وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولا بين ما وقع له منه صلى الله
عليه وسلم في غزواته من القتل والسبي كما توهم لانه عذاب مخصوص ولان التاخير لا ينافي ما وقع بعده
كما لا يخفى والاحسن ان جوابه معلوم من قوله الاتي ما لم يكن اثما فتدبر قالت عايشة رضي الله عنها
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما تقدم هذا الحديث وانما
اعاده هنا تاييدا لما قبله وايسرهما اي اسهلهما واهونهما على الامة شفقة ورحمة منه صلى الله
عليه وسلم عليهم وبقية الحديث ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه كما سياتي
وكذا رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه وقال ابن مسعود رضي الله عنه في حديث رواه
الشيخان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة بفتح المثناة التحتية وفتح المثناة
الفوقية والخا المعجمة والواو المشددة المفتوحة واللام والضمير للصحابة اي يتعهدنا يقال
فلان خايل مال وهو الذي يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولي لداعي الغنم والمواشي وقيل الصواب
يتحولنا بالحا المهملة اي يطلب الحال التي ينشط فيها لاستماع الموعظة فيعظ فيها ولا يكثر
منها مخافة السامة علينا اي لئلا نمل ونسام وقيل انه يتخوننا بنونين اي يتعهدنا كما يتعهد الشيء
بالخوان والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام والنون كما مر وكان فعل ماض اذا
اخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددي دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر
ميمي بمعنى الوعظ وهو التذكير والتخويف من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو
مصدر بمعنى الخوف كما مر والسامة بالمد وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه بالسامة بتضمين المشقة
تكلف وان جاز وقيل انه حال من السامة وهو الارجح او صفة لانه في معنى النكرة كقوله
كمثل الحمار يحمل اسفارا وفي افادة كان التكرار كلام مفصل في كتب الاصول وعن عايشة

رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة اى شدة بحيث لا ينقاد لراكب اذا اوقفه واذا سيره
فجعلت ترده اى تمشي به وترجع واصل التردد عدم البقا على حالة ومنه تردد الانسان في الامر
لحاجة تعرض له ومنه التردد في الخواطر وانما فعلت ذلك لتروضه حتى ينقاد لها فقال صلى الله
عليه وسلم لعايشة عليك بالرفق اى استمسكى بالرفق في امورك ولا تتعبى الدابة التي ركبت
ففيه دلالة على شفقته صلى الله عليه وسلم على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف
اسم فعل يتعدى بنفسه وبالبا كما ذكره النحاة والبعير بفتح اوله ويكسر وكذا كل فعل ثانيه
حرف حلق ويطلق على الجمل والناقة وقيل هو الجمل البازل وهو الموافق للاستعمال وهذا
الحديث اخرجه البيهقي في سننه عن المقدام عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها انها كانت على جمل
فجعلت تضربه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة عليك بالرفق فانه لم يكن
في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وختم بهذا الحديث لما فيه من العموم فهو من الفذلكة
لهذا الفصل فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا هو ضد الغدر ونقض الذمة
وحسن العهد اى ما عاهد عليه والتزمه وهو عطف تفسير لما قبله وصلة الرحم هو الاحسان
الى الاقارب والاصهار والرفق بهم وعفوه لاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم
وهذا اذا لم يكونوا كفارا اعدا الله كابي لهب وابي جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل
بمعنى القرابة بعيده او قريبه بواسطة ودونها حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بن
ابراهيم الامام المحدث الطليطلي ولد سنة ست وخمسين واربعماية مات بقرطبة في ربيع
الاول سنة ثلاث وعشرين وخمسماية بقراتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد تقدم قال
حدثنا ابو اسحق الحبال بفتح الحا المهملة وتشديد الموحدة وهو ابراهيم بن سعيد بن عبد الله
المهدي الثقة المشهور وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد بن النحاس تقدم ترجمته قال حدثنا ابن
الاعرابي تقدم ايضا قال حدثنا ابو داود صاحب السنن المشهورة وقد تقدم قال حدثنا محمد بن
يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابوري الامام الحافظ الجليل القدر توفي سنة ثمان وخمسين
وماتين اخرج له اصحاب السنن وغيرهم قال حدثنا محمد بن سنان بكسر السين ونونين بينهما الف
العوقي بفتح العين المهملة والواو وسكن وبالقاف نسبة للعوق بطن من عبد القيس غير مشهور
قال حدثنا ابراهيم بن طهمان بفتح الطا المهملة وسكون الها وهو الامام ابو سعيد الخراساني المشهور
روى عنه اصحاب الكتب الستة توفي في بضع وستين وماية وترجمته مبسوطة في الميزان عن بديل
بضم الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون اليا المثناة التحتية ولام ابن ميسرة الفضل
عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق العقيلي الامام الثقة عن ابيه عبد الله بن شقيق الامام المعروف
توفي زمن الحجاج عن عبد الله ابن ابي الحمسا بحا مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة ومد
العامري الصحابي وفي المغني انه غير ابي الجدعا وسياتي حديثه في انتظاره عليه الصلاة والسلام
الى يوم ثالث وشقيق والد عبد الله اخرج له ابو داود فقط قاله المذي بعد ان بين طرقه عن ابي
داود وليس هو غيره وذكر كلام ابي داود الذي نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما في نسخة

عندى

عندى من السنن والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو من كلام ابي داود ما لفظه كذا وهو
296 من زوايدي ورواه عثمان ابن خرزاد عن محمد بن سنان هكذا وقال عبد الرحمن بن مهدي ما اظن
ابراهيم ابن طهمان الا اخطا في عبد الكريم وانما هو عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه
عن ابي الحمسا ورواه ابو عون الزيادي عن ابراهيم بن طهمان فلم يذكر عبد الكريم في اسناده
وقال عن بشر بن السري رواه عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق وقال البزاز اظن فيه غلطا
من الناقل لان شقيقا والد عبد الله جاهلي لا اعلم له اسلاما انما عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق
عن ابيه قال ولا نعلم انه روى عبد الله بن ابي الحمسا الا هذا الحديث ووقع في الشفا نسختان
احدهما الخنسا بمعجمة ونون والاخرى وعن ابي الخنسا باسقاط عبد الله والاولى تصحيف والثانية
خطا لان ابا الخنسا لا اسلام له ولا رواية وانما الرواية لولده عبد الله بن ابي الحمسا انتهى
قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع اى باع مبيعا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
وبقيت له اى لذلك المبيع بقيه لم تسلم له فوعدته ان اتيه بها في مكانه اى في مكان وقع فيه
البيع فنسيت الوعد الذي جرى بينهما ثم ذكرت بعد ثلاث اى ثلاثة ايام ولم يقل ثلاثة لان المعدود
اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتانيثه مع المؤنث كما قالوه في قوله صلى الله عليه وسلم واتبعه
ستا من شوال وانما تلزم قاعدة العدد اذا ذكر المعدود فجئت فاذا هو في مكانه اى مستقر
صلى الله عليه وسلم في مكانه لم يفارقه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هنا منذ ثلاث انتظرك
وفي هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله عليه وسلم بعهده ووعده وهذا الحديث رواه ابو داود
وهو من افراده واخرجه ايضا ابن منده في المعرفة والخرايطي في مكارم الاخلاق وعن انس
رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى بهدية مبنى للمفعول اى اتاه احد بهدية
قال اذهبوا بها الى بيت فلانة لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها فانها كانت صديقة
لخديجة رضي الله عنها وفي رواية انها كانت تحب خديجة وهذا الحديث رواه البخاري في الادب
الفرد وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما غرت على احد وفي نسخة امراة اى من نسائه عليه
الصلاة والسلام ما غرت على خديجة يقال غار الرجل والمراة اذا غضب من فعل يقتضي امرا
لا يرضاه وغيرتها كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة محبتها له وارادتها لصرف
محبته لها دون غيرها وهذا امر طبيعي لا لوم فيه واما كون الغيرة من خديجة فلا وجه له بعد
موتها لما كنت اسمعه صلى الله عليه وسلم يذكرها تعليل للغيرة وما مصدرية اى لسماعي
ذكرها ولو شددت لما وجعلت حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على اصلها
وقيل انها بمعنى البا كما في قوله اركب على اسم الله وقال اى المصنف في الاكمال لمغاضبة عايشة
رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الغيرة التي عفي عنها للنسا حتى ذهب مالك الى اسقاط
الحد عن المراة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا كان على عايشة رضي الله عنها في مغاضبتها
النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفو عنها الله
وفي الشرع وان بكسر الهمزة وسكون النون وهي مخففة من الثقيلة كان ليذبح الشاة ليس

المراد لتزيد جها بنفسه فيهديها بضم اليا الاولى والمراد انه يهدى منها او يهديها تمامها والظا
الاولى لانه في الحديث فيهدى ما يشبعها او يشبعين الى خلايلها بالخا المعجمة جمع خليلة بمعنى
لصاحبه والصديقة واستاذنت عليه اى طلبت الاذن في الدخول له اختها اى اخت
خديجة وهى هالة بنت خويلد بن اسد وهى ام ابن العاص بن الربيع الصحابية المشهورة رضى الله
عنهما فارتاح اليها اى حصلت له صلى الله عليه وسلم راحة اذ دخلت عليه واظهر البشر والسرور
برؤياها وهذا الحديث في البخارى وفى رواية ارتاع بالعين بدل ارتاح بمعنى سال اليها واعجبه
مجيئها مجازا ودخلت عليه امراة فهش لها اى بتسم قليلا واظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس
باصدقائهم ومن يحبونهم يقال يهش ويبش به اذا فعل ذلك استينا سا ويقال هو هش بش اذا
كان طلق المحيا غير عبوس شامخ الانف كما يفعله المتكبرون واحسن السوال عنها فيه مضاف
مقدر بقرينة المقام وال في السوال للعهد او بدل من المضاف اى احسن اليها بسواله عن حالها وما
عليه كما تقول لمن يزورك ما حالك وما انت عليه تلطفا به واعتنا بشانه كما هو عادة الناس
لمن يحبونه ووقع في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لها كيف حالكم كيف انتم فقالت
بخير وهو مفسر لما هنا فلما خرجت من عنده صلى الله عليه وسلم وذهبت من مجلسه قال
بيانا لسبب معاملته معها وهى امراة اجنبية انها كانت تاتينا ايام خديجة اى انها كانت في حياة
زوجته خديجة تدخل منزله صلى الله عليه وسلم لانها من معارفها واصدقائها وان حسن
العهد اى رعاية العهود القديمة ورعاية من يحبك او يحب من يحبك من الايمان اى من شعب
الايمان ومقتضياته لان من كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم السيد اكرام
عبيده ومناسبته هنا لما عقد له الفصل ظاهرة ووصفه بعضهم اى وصف بعض الصحابة
النبى عليه السلام فقال كان يصل ذوى رحمه اى من صفته التى كانت منه دائمة وكان يدل
على التكرار والدوام كثيرا وان لم تكن موضوعة لذلك نحو كان حاتم يقرى الضيف وكان الله
غفورا رحيما كما فصل في الاصول اى يحسن اليهم ويوادهم ولما كان هذا يوهم الاختصاص به
احترس عنه فقال من غير ان يوثرهم اى يخصهم ويقدمهم على من هو افضل منهم من ساير الناس
وهذا ايضا من حسن العهد وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان ال بنى فلان ليسوا لى باوليا
الال بمعنى الاهل والاتباع وفلان كناية عن الاعلام التى للعقلاء والمراد به هنا كما قال ابو العاص بن
امية بن عبد شمس بن عبد مناف والكناية من الراوى لا من كلامه صلى الله عليه وسلم وابو العاص
هو ابو الحكم بن ابى العاص وكان منافقا في اول امره ثم حسن اسلامه وهو عم عثمان بن عفان
رضى الله عنه وما ذكر كذا هو في نسخة البرهان الحلبى قال ابن قرقول وفى الحديث المشهور
ان ال ابى ليسوا باوليائى بفتح همزة ابى وبعده بياض في الاصول كانهم تركوا من الاسم بقية وعن
ابن السكن ان ال ابى فلان بالكناية عنه وذكر في بعض الروايات اسقاط ال والاوليا جمع
ولى وهو القريب ومن يتولى امره اى لا اتولاهم ولا احسبهم من اوليائى لما علمت منهم والمراد به
القدح كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم اى لا ولى لهم

ولا ناصر غير ان لهم رحما اى قرابة سابلها ببلالها لان ابا العاص احد بنى امية وهم قريبون
منافقون وولد امية العاص وابو العاص والعيص وابو العيص وهم الاعياص وحرب
وابو حرب وسفيان وابو سفيان واسمه عنبسة وعمرو وابو عمرو وابو سفيان هذا هو
صخر بن حرب بن امية وهو غير ابى معاوية رضى الله عنهما وقوله سابلها اى سا اصل رحمها
بصلتها اللايقة بها والبلال بكسر البا الموحدة مصدر كالقتال وجمع بلل كجمل وجمال وهو
الافصح والاصح رواية وروى بفتح البا ايضا والمعنى واحد وهو الرطوبة والنداوة
وكل ما يبل الحلق من المايعات كالما واللبن فاستعير للصلة والاحسان كما استعير
اليبس للقطيعة والشح وفى الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة
تجمع الاشيا واليبوسة تفرقها وايضا ان بل الارض يجعلها منبتة فاستعيرت لما ذكر
لتاليفها للقلوب وتنميته المودة كما قال كيف اصبحت كيف امسيت مما ينبت الود في قلوب
الرجال ففيه استعارة مصرحة او مكنية وتخييلية وقد صلى عليه الصلاة والسلام
اى دخل في الصلاة بامامة بضم الهمزة وميمين علم ابنت ابنته زينب اكبر بناته صلى الله
عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وتزوجها ابو العاص بن الربيع لا ابن الربيعة
كما في البخارى فانه غلط مشهور وولدت منه امامة وكان صلى الله عليه وسلم يحبها
وتزوجها على كرم الله وجهه بعد فاطمة رضى الله عنها ثم تزوجها بعده المغيرة بن نوفل
فماتت عنده قال البرهان الحلبى ليس لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا لرقية ولا لام كلثوم عقب وانما العقب لفاطمة رضى الله عنها ولذا سادت جميع
بناته وامها خديجة وهى سيدة نسا اهل الجنة الا مريم وقال السهيلى فضلت على اخواتها
لانها بضعة منه وزوجة خليفة وام ريحانتيه ولانها اصيبت برزء لا يساويه رزء وهو
موت ابيها صلى الله عليه وسلم في حياتها فصبرت واحتسبت ومن ذريتها المهدى
وهذا الحديث رواه البخارى في صحيحه كغيره وفيه كما ياتى انه كان اذا سجد وضعها
واذا قام رفعها العرب عن الحمل الاتى وقد اشكل هذا على الفقها لان هذه اعمال كثيرة
مبطلة للصلاة فقيل انه من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقيل انه منسوخ وقيل
انه لا عمل له لانها لمحبتها له كانت تتعلق به وتعلق عليه من غير عمل منه وقوله رفعها
ووضعها يأباه وقيل انه كان في النفل فله ضرورة لانه لم يكن ثمة من يكفيه امرها وقال
بعضهم ان كله باطل لانه وقع بعد الهجرة وتحريم الاعمال وكان في صلاة الصبح وهو
يؤم الناس كما ورد التصريح به فالصواب انه عمل قليل لا يبطل الصلاة وكانت طاهرة
مطهرة ليس معها ما يبطل الصلاة قيل وانما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم ارغاما
للعرب في عدم محبتهم البنات يحملها على عاتقه اى كتفه وعلى متعلق بحمل الاحال من امامة
او من ضميرها كما قيل فاذا سجد وضعها على الارض واذا قام حملها بيانا للجواز وقال
وقال الخطابى لسناد وضعها وحملها مجاز فانها كانت تالفه فاذا سجد جلست على عاتقه

دبجي

فلا يدفعها فتبقى محمولة حتى يركع فيرسلها فاذا سجد فعلت كذلك وتقدم ما فيه وعن ابي
قتادة الصحابي الانصاري فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه فقيل
الحارث بن ربعي بكسر الراء ابن عمرو وقيل النعمان توفي بالمدينة سنة اربع وخمسين وقيل ثمان
وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وروى له احمد واصحاب السنن قال وقد وفد وفد للنجاشي
وفد بمعنى قدم ويختص بقدوم الرسول ووفد بسكون الفاء اسم جمع بمعنى الوافدين والنجاشي
بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل صحمه بفتح الضاد وسكون
الحاء المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل بخاء معجمة وقيل اسمه مكحول ابن صصه وقيل
سليم وقيل حازم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان رضي الله عنه ممن اعان المسلمين
لما هاجروا اليه وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم واهدى له الهدايا وزوجه بام حبيبة
رضي الله عنها وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه للاسلام فاسلم
على يد جعفر بن ابي طالب سنة ست وكان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم محبة عظيمة
فلما توفي في رجب سنة تسع نعاه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى على جنازته وبه استدل
الشافعي رحمه الله على الصلاة على الغايب على ما تقدم وقصته مشهورة ولما توفي خلفه
نجاشي اخر دعاه النبي صلى الله عليه وسلم للاسلام فابى ومات كافرا فقام النبي صلى الله
عليه وسلم يخدمهم بنفسه تواضعا منه وارشادا لغيره فقالوا له اي النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابه نكفيك اي نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي خدمتهم فابى صلى الله عليه وسلم وقال انهم
كانوا لاصحابنا هاجروا لارضهم مكرمين واني احب ان اكافيهم اي اجازيهم على اكرامهم لاصحابنا
باكرامهم ولا اكرام اعظم من تعاطيه صلى الله عليه وسلم امورهم بنفسه وهذا الحديث
رواه البيهقي في دلايله مسندا ولما جيء مبني للمفعول اي جاء الصحابة رضي الله عنهم باخته
من الرضاعة بفتح الراء وكسرها بمعنى الرضاع الشيما بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية والميم
وهمزة ممدودة ويقال لها الشما بتشديد الميم من غير ياء كما قاله المحب الطبري ويحتمل ان يكون
الشيما اصلها شما فابدلت احد الميمين كما قيل في اما ايما فيكون صفة بمعنى ذات شيم ثم نقل وجعل
علما لها وهي بنت حليمة السعدية التي ارضعت النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اختها وزوج
حليمة هو الحارث بن عبد العزى وحليمة اسلمت وعدت من الصحابة على ما ياتي واسمها جدامة
بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل خدافة بخاء مهملة وذال معجمة وفاء وقيل حذافة بمعجمتين
واختلف في زوجها ابو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر احد من اهل السير
اسلامه ولكن ذكر يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا ابن اسحاق عن ابيه عن بعض بني
سعد بن بكر ان الحارث عبد العزى ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع قدم
عليه بمكة بعد بعثته فقالت له قريش يا حار ما يقول ابنك هذا فقال ما يقول قالوا
يزعم ان الله يبعث الخلق بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من اطاعه
وقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال اي بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون انك

حليمة اسلمت وعد من الصحابة

تقول

تقول ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال نعم ولو كان ذلك اليوم يا ابت
اخذت بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين اسلم لو قد
اخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني ان شاء الله حتى يدخلني الجنة انتمي في سبايا هوازن السبايا
جمع سبية بمعنى مسبية اي ماسورة وهوازن اسم قبيلة من بني سعد بن بكر سميت باسم
الاب الاعلى لكنهم وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن نضر والمراد
بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم ايضا وتعرفت له يقال تعرفت له اذا اعلمته باسمه وشانه
فهي اعلمته صلى الله عليه وسلم انها اخته رضاعا فقال لها صلى الله عليه وسلم ما علامة
ذلك فقالت عضة كنت عضضتها في ظهري فعرفه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقها
جواب لما بسط رداءه اي فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها وقال لها بعد ما جلست عنده
ان احببت فمت عندي مفعول لاحببت مقدر تقديره احببت الاقامة عندي وهذا يدل
على انها اسلمت كما تقدم مكرمة ومحبة بالنصب على الحالية فيهما ومكرمة بضم اوله وسكون
ثانيه وتخفيف رايه اسم مفعول اكرمه اذا فعل به ما يحبه من احسان قولا وفعلا وكذا محبة
فانه اسم مفعول من احبه ويقال حبه واحبه بمعنى والاكثر الافصح في اسم المفعول ان يكون
من الثلاثي فيكثر فيه محبوب ويقل محب لكنه هنا احسن لاقترانه بمكرمة وعليه الاستعمال
كقول عنترة واذا نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم وقولها جارية حدبة مكرمة
محبة وحيدوا ذلك فضاعفوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا محب ولم يقولوا حاب او متعتك
ورجعت الى قومك فاختارت قومها تمتعها ورجعت لقومها وتفصيلها ما قاله اصحاب
السير انه لما قدمت اخته الشيما بنت الحارث بن عبد العزى وعرفته صلى الله عليه وسلم
بنفسها فعرفها وبسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع لقومها وارضيها
وان يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر رحمه الله انها اسلمت
فاعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله عليه وسلم صلة لرحمه
لان الرضاع له حكم النسب والقرابة واللبن كماء الابوين وقال ابو الطفيل بضم الطاء المهملة
وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة بالثاء المثلثة الكناني الصحابي
وهو اخر من مات من الصحابة ووقع في بعض النسخ ابن ابي الطفيل وليس بصحيح كما قاله البرهان
الحلبي رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام الغلام كما في كتاب المحفظ عن بعض اهل
اللغة الصبي اذا فطم الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج وقد يطلق الغلام على الشاب
التام الرجولية والمراد هنا الاول اذ اقبلت امراة حتى دنت منه اي قربت من مكانه الجالس
فيه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وفي بعض النسخ
تاخير قوله وانا غلام عن قوله اذ اقبلت الخ وهذا الحديث رواه ابو داود في سننه بسند
حسن فقال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابو عاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال اخبرنا عمارة
بن ثوبان ان ابا الطفيل اخبره قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وانا يومئذ

اخر من مات من الصحابة عامر بن واثلة

غلام اجمل لحم الجزور اذ اقبلت امراة وساقه وقوله اذ يحتمل ان يكون ظرفا لرايت اي رايت
وقت اقبال المراة ويحتمل ان يكون للمفاجاة بتقدير بينا اي رايته يقسم لحما وبينا هو كذلك
اذ اقبلت الى اخره او هي بمعنى قد والوجه هو الاول وفي هذا دليل على قبول رواية الصغير وفيه
كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا وهذه المراة هي حليمة امه صلى الله عليه وسلم
من الرضاع ومجيئها له صلى الله عليه وسلم كما في الاستيعاب كان في يوم حنين وقال الحافظ
الدمياطي رحمه الله لا نعرف له صحبة ولا اسلاما وساقه ابن عبد البر من انها اتته صلى الله
عليه وسلم يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح
وابن جعفر لم يدركها وانما التي جاءته هي بنتها الشيما وام حليمة فانها جاءته صلى الله عليه
وسلم بمكة قبل النبوة في زمان خديجة رضي الله عنها فاعطاها اربعين شاة وجملا ثم انصرفت
لاهلها وما هنا يقتضي مجيئها له صلى الله عليه وسلم بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء
حرب هوازن ومجيء وفدهم وليس كذلك انما هي ابنتها وجوز الذهبي رحمه الله ان تكون هذه
المراة التي جاءته ثويبة مولاة ابي لهب الاتي ذكرها ويرده انها ماتت سنة سبع قبل هو
ازن ولما فتح مكة سال عنها ابنها مسروحا فاخبر بموتها وصحح بعضهم خلافه وذكره ابن
الجوزي في الوفا وصنف الحافظ مغلطاي جزا في اسلامها سماه التحفة الجسيمة في اثبات
اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره وممن انكره ابو حيان وعن عمرو بن السايب عمرو بفتح العين
وبالواو وهو ابن واش المصري وقيل انه عمر بالضم وحذفها قال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم
كما ذكره ابن حبان وقال انه من الثقات روى عن اسامة بن زيد وروى عنه جماعة واخرج له
ابو داود فقط كذا قاله التلمساني في حواشيه وهو من جلة التابعين وهذا الحديث رواه
ابو داود بلاغا كما قاله السيوطي في تخريجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما قيل ظاهره ان عمرو شاهد هذه القضية وهو تابعي والحديث من مرسل زيد كما في سنن
ابي داود قال عن احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث ان
عمرو بن السايب حدثه انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا الخ فلو ذكره
المص كما قاله ابو داود كان اولى فاقبل ابوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى
وقد تقدم الكلام فيه وفي اسلامه وكونه زوج المرضعة يسمى ابا ويثبت بارضاع زوجته
معنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان الفحل محرم وان لم يكن له حكم النسب من كل وجه
وله ذهب الفقها كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل في كتب الفروع فوضع له صلى الله
عليه وسلم بعض ثوبه وفرشه له في الارض ليجلس عليه فقعد عليه ثم اقبلت امه وهي حليمة
كما مر فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه يعني انه اجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا من ثوبه
واجلس امه حليمة عن يساره وفرش تحتها جانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم اخوه وهو عبد الله
بن الحارث بن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له صلى الله عليه وسلم لئلا ينقص

توقيره عن ابويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال
انه مكروه مطلقا وللنبي صلى الله عليه وسلم عدة مرضعات منهما حليمة هذه وثويبة
مولاة ابي لهب الاتية وخولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد وام ايمن وثلاث نسوة من
سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو احد القولين في قوله صلى الله عليه وسلم
انا ابن العواتك وقيل انهن جدات له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب وكان صلى الله
عليه وسلم يبعث الى ثويبة علم منقول من تصغير الثوبة وهي مولاة ابي لهب
مرضعته اي جارية معتقة له وابو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكني بذلك لتوقد لونه
وذكر بهذه الكنية في القران للاشارة الى انه جهنمي كما مر بصلة اي عطية يحسن بها لها
وكسوة بضم الكاف وكسرها اي ثياب تلبسها فلما ماتت بمكة بعد هجرته عليه الصلاة
والسلام سال من بقي من قرابتها اي عمن بقي فهو منصوب بنزع الخافض وبتقديره
وقال من بقي فهي اما موصولة او استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب
وسمع اسم جمع بمعنى الاقرباء كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للحريري اذ انكره وقال
لا يقال للاقرباء قرابة وانما يقال ذو قرابة كما قال الشاعر يبكي عليه غريب ليس يعرفه
وذو قرابته في الحي مسرور فقيل لا احد اي لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل
مقدر اي لم يتواحد او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر
عليهما وقوله وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفا وصلة
الرحم وفيه من مكارم اخلاقه وحسن عهده صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وهذا
الحديث رواه الواقدي وغيره واما ارضاع ثويبة له صلى الله عليه وسلم فثابت
في الصحيحين وهي اول من ارضعته مع ابنها مسروح المتقدم ذكره اياما قبل حليمة
وارضعت قبله عمه حمزة وابا سلمة واختلف في اسلامها فاثبته بعضهم وعدها
في الصحابة وانكره ابو نعيم وكان ابو لهب اعتقها لما بشرته بولادة النبي صلى الله
عليه وسلم وراي في المنام وهو يقول خفف عني العذاب باعتاقي ثويبة لما بشرتني
وفي السير انه اعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروي في غير السير وفي المواهب
ما يخالفه والذي راى في المنام بشر حيبة بفتح الحا المهملة او بكسرها وياء مثناة
تحتية وبا موحدة وقيل انه بخا معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف اي بسوء حال فهو من الحوبة
وهي المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت ياء لانكسار ما قبلها او على خلاف القياس
وتخفيف عذابه بسبب ما ذكر لا يعارض قوله تعالى في اعمال الكفرة فجعلناه هباء
منثورا لانه بعد الحشر ولانه لما لم يخيبهم من النار مكانه لم يفدهم اصلا وتفصيله
في حواشينا على القاضي وفي حديث خديجة رضي الله عنها الذي رواه الشيخان
عن عايشة رضي الله عنها بسند صحيح انها قالت له صلى الله عليه وسلم في ابتدا
امره لما راى جبريل عليه الصلاة والسلام فحصل له به رعب شديد ابشر امر بفتح

الهمزة وهي همزة قطع يقال ابشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو
امر المقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى التي بعده وهو انشا اريد به الخبر اي ميشرة لك
والبشرى الخبر السار الذي يظهر اثره في البشرة فوالله لا يخزيك الله ابدا وهذا الحديث تقدم
شرحه في فصل الجود والكرم وان في يخزيك روايتين ضم اليا واعجام الخاء من الخزي وهو
النكال والفضيحة وبه روى لفظ المص هنا كما ذكره البرهان الحلبي واهمال الحاء من حزن
واحزن وهي دون الاولى فلذا تركها المص رحمه الله وروى لا يحزنك الله ابدا عن الزهري
بزيادة ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على الخلق
على نوايب الحق وقدم ذلك بينا فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم التواضع
بضم الضاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو اشرف الناس فالصيغة للتكلف في الاصل
على علو منصبه قد قدمنا لك ان المنصب في كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما في قول
ابي تمام ومنصب غاه ووالد سماه وان استعماله في تولي الاعمال السلطانية كقول
ابن الوردي نصب المنصب اوهى جلدي وعنائي من مدارات السفل مولد لم يسمع من العرب
ولذا عطف عليه قوله ورفعته رتبة فهو كالتفسير له والرتبة كالمنزلة رفعة القدر
فكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا منصوب على التمييز واقلهم كبرا وفي نسخة
واعدمهم كبرا وفي نسخة بالجمع بينهما وهو افعل تفضيل من العدم وهذه انسب بمقامه
صلى الله عليه وسلم لان اللايق به عدم الكبر لا قلته ووجه هذه البرهان بان القلة بمعنى
النفي وقال ابو حيان في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ان القليل يرد بمعنى النفي المحض كما في قولهم
اقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وقلما يقوم زيد وقليل من الرجال يقول ذلك وقال
الحافظ السخاوي في كتابه جواهر الدرر في مناقب شيخه ابن حجر ان ابن حجر رحمه الله سئل عن
هذه العبارة وان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض
باطل لانهم تكلموا على الحديث الذي رواه النسائي عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو اصلا وقال
ابن الاثير في النهاية لان قل يستعمل في النفي كما في الاية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لا يقع
منه صلى الله عليه وسلم كبر اصلا كما في الحديث الصحيح وليس افعل فيه للتفضيل فانه
قد يخرج عنه كما في قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومثله افظ واغلظ فانه
بمعنى فظ غليظ اي كما مر وقال المص رحمه الله في شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة والقدر
الذي فيه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم لانه صلى الله عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى
فقوله اقلهم كبرا بمعنى انتفاء الكبر عنه البتة او يحمل على شدته على الكفار والمنافقين
كما في الذي قبله لان تواضعه صلى الله عليه وسلم ورأفته كانت بالمؤمنين لقوله تعالى
بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله في التورية ليس بفظ ولا غليظ اي بالمؤمنين ونظيره

اشداء على الكفار رحماء بينهم بمعنى اعزة على الكافرين متكبرين عليهم اذلة على المؤمنين عاطفين
عليهم بعادونهم فلا معنى لمحوا النسخ وابدالها انتهى واستدرك عليه عز الدين الحنبلي بان تاويله
الشدة والغلظ بكونها على الكفار والمنافقين فيه ان شدته وغلظه على نحو هولاء كانت
اشد من عمر رضي الله عنه بلا شك انتهى اقول الجواب الحق هو الثاني لانه صلى الله عليه
وسلم كان متخلقا باخلاق الله ومنها المتكبر فاتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة
في محلها مدح ولذا قيل التكبر على المتكبر صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين احيانا
في محله ممدوح وهو في صفاته تعالى ذاتي دايم لا ينازعه احد رداءه الا قصمه الله والجواب
الاول تعسف وليس من قبيل قوله فقليلا ما يؤمنون واما تاويل التفضيل بالنفي
وخلع المفاضلة منه فمجاز على مجاز وضعت على ابا له واما اعتراض الحنبلي فله وجه له
ولبعض الشراح والمحشين هنا كلام ركيك تركه خير منه وحسبك اي يكفيك في اثبات
ما ذكرناه صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا بكسر اللام اي سلطانا وخير
مبني للمجهول اي خيره الله تعالى على لسان ملك كما في الحديث المشهور او نبيا عبدا فاختار
ان يكون نبيا عبدا فخيره الله بعد تفضيله بالرسالة ان يكون شونه كالملوك في اتخاذ الجنود
والحجاب والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة مقام العبودية
والخدمة بنفسه في مهنة اهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا في الدنيا
ولذا وصفه الله تعالى بالعبودية في عظيم مقاماته كقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
وهذا من حديث صحيح رواه احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله
عنهما فقال له اسرافيل عند ذلك اي حين اختار العبودية على الملك فان الله قد اعطاك
هذه الفا فصيحة عاطفة على مقدر اي اصبت وجزاك الله خيرا مما تركته بما تواضعت له
الباء سببية وما مصدرية اي بسبب تواضعك له انك سيد ولد ادم بفتح همزة انك
وهي وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق غيره في الشرف وهو يطلق على الله وعلى
غيره في اصح الاقوال الثلاثة المشهورة وخصه بقوله يوم القيمة لانه لا اعلى من هذه
السيادة حيث يسوده صلى الله عليه وسلم فيه على الرسل وساير البشر وفيه نكتة لثيرا
صحلال كل ملك لعنانه حيث يقول الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لساير
مخلوقاته فتدبروا واول من تنشق الارض عنه معطوف على سيد حيران وانشقاق الارض
لتخرج الموتى من قبورهم للبعث فلا يتقدمه صلى الله عليه وسلم احد وام احديث
فان الناس يصعقون اي يغشاهم غشية كالموت يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول
من يفيق فاذا موسى عليه الصلاة والسلام باطش بجانب العرش فلا ادري كان ممن
صعق وكان ممن استثنى الله تعالى بقوله الا من شاء الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة
كما قاله التوربشتي صعقة فزع بعد البعث ويؤيده قوله يوم القيمة واول شافع اي
يوم القيمة او في الجنة لرفع درجات الناس لان مقام الشفاعة متعدد في قوله اول

اشارة الى ان غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون بعد ذلك واعلم ان سفير الوحي بين الله وبين نبينا
صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام وعن الشعبي ان اسرافيل عليه
الصلاة والسلام كان يأتيه صلى الله عليه وسلم بالوحي فاول بعثته ويتراى له
ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشي ثم وكل به جبريل عليه الصلاة والسلام قال
ابن عبد البر في الاستيعاب نزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين
سنة فقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة
والشي ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه
الصلاة والسلام فنزل بالقرآن عليه عشر سنين وفي شرح البخاري لابن التين مكان
بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان المشهور ان الذي ابتداه بالوحي جبريل عليه
الصلاة والسلام وانكر الواقدي كون غير جبريل وكل به وقال السيوطي رحمه الله
من كتاب الحبايك لم اقف على ان جبريل افضل واسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة في ذلك
وفيه ايضا ان اسرافيل نزل عليه صلى الله عليه وسلم باية ذكرها حدثنا الفقيه
ابو الوليد بن العواد بفتح العين المهملة وشديد الواو والف ودال مهملة وهو هشام
بن احمد القرطبي وقد تقدمت ترجمته بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة
وفي هذه السنة توفي رحمه الله قال حدثنا ابو علي الحافظ الغساني وقد تقدم والحافظ
اذا اطلق يراد به حافظ الحديث بالرواية قال حدثنا ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن
عبد البر النمري القرطبي الامام الجليل صاحب التاليف المشهورة كما تقدم قال حدثنا ابن
عبد المؤمن ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن كما تقدم قال حدثنا ابن داسة ابو بكر محمد بن
بكر وقد تقدم وان داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما الف قال حدثنا ابو داود
صاحب السنن المتقدم قال حدثنا ابو بكر بن شيبة عبد الله بن محمد بن ابي شيبة العبسي
احفظ اهل عصره له ترجمة في الميزان مفصلة واخرج له الائمة الستة قال النووي ابو بكر بن
ابي شيبة منسوب الى جده هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمن بن خواستي بخا معجمة مضمومة
ثم واو مخففة ثم الف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق مكسورة وابو شيبة
هو ابراهيم وغلب على اولاد ابنه النسب اليه وهم ثلاثة عبد الله هنا وهو مشهور
بكنيته وعثمان والقاسم فاما عبد الله وعثمن فاماما ن حافظان من احفظ اهل عصرهم
وهما شيخان البخاري ومسلم واما القاسم فليس كهما بل ترك الحديث عنه ابو زرعة
وابو حاتم الرازيان الحافظان وابوهم محمد نفسه وجدهم ابراهيم ضعيف قال حدثنا
عبد الله بن نمير بالنون كمصغر النمر الهمداني ابو هشام بن هشام بن عروة الاعمش الحافظ
اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة عن مسعر بكسر الميم وسكون
الشين وفتح العين المهملتين وراء مهملة ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب للشجاع
وهو مسعر بن كدام ابو سلمة الهلالي الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن خرج

الستة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وله الفصحيث عن ابي العنبس بفتح العين المهملة وسكون
النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو الحارث بن عبيد بن كعب العدوي الكوفي لم يخرج له
غير ابي داود وذكره في الميزان ولم يذكر فيه شيا عن ابي العديس بفتح العين والدال المهملتين
وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان الاسدي ويقال الاشعري
الكوفي وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة وعين مهملة بزنة المصغر كما في الميزان وتهذيب
الذهبي والاكمال الا ان ابا خليل الحافظ كتب في حواشيه ان هذا وهم منه وانما هو منبع بالميم
بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي عن ابي مرزوق التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة في
الميزان قال فيها ان ابن حبان قال انه لا يحتج بما انفرد به عن ابي غالب الراسبي واسمه حزور
وقيل سعد بن حزور وقيل نافع وروى عنه اصحاب السنن واختلفوا في ضعف روايته ومنهم
من وثقه عن ابي امامة الباهلي او السهمي وهو صدي بن عجلان بن وهب توفي سنة احدى او ست
وثمانين واخرج له الستة وهو من بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه ابو داود وابن
ماجه مسندا قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا بكاف مشددة مكسورة
وهمزة اي معتمدا متحاملا وهو منصوب على الحال على عصا وقال ابن عباس التوكؤ على العصا
من سنن الانبيا وكان له صلى الله عليه وسلم عصي منها قضيب ومخصرة قصيرة ومحجن وكانت
في يده اذا خطب وكانت عند الخلفا وقال فيها الصرصري رحمه الله كما روعصاه لما مسها
بيمينه فضلت عصا صارت الى ثعبان فقمنا له تعظيما واجلالا فقال لا تقوموا كما يقوم
الاعاجم يعظم بعضهم بعضا هذه الجملة بدل مما قبلها او مستانفة استينافا بيانا
والاعاجم جمع اعجم او اعجمي او عجم على خلاف القياس او جمع اعجام جمع جمع وهم من عدا العرب
وقد يختص بفارس وقد اختلف العلما في القيام للتعظيم المعتاد هل هو مكروه ام لا فقيل
مكروه استدلالا بهذا الحديث وبحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من
النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ما قاله القاضي زكريا في شرح الروض
انه مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد يجب اذا خشي من تركه ضررا
كجبابرة الملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوي الارحام تكريما وبرا لهم ويدل على ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد رضي الله عنه قوموا لسيدكم
والمنهي عنه انما هو ما كان على سبيل الريا والتكبر وحمل حديث سعد على انه كان مريضا
وقدم راكبا فامرهم صلى الله عليه وسلم بالقيام ليعينوه في النزول عن دابته خلاف
الظاهر كما مر وقد فعله صلى الله عليه وسلم فكان يقوم لفاطمة رضي الله عنها اذا
جاءته وانما نهاهم لئلا يظنوه سنة ويتخذوه عادة وقال صلى الله عليه وسلم انما انا
عبد الحصر فيه اضافي اي لست بسلطان ثم الذي اريد بالعبد معناه العرفي وهو الرقيق
المملوك للناس فهو استعارة فشبه نفسه تواضعا لله بالرقيق لتعاطيه خدمة نفسه
في بيته فانه صلى الله عليه وسلم كان يأتي يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته ويلبس

الغليظ فقوله اكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد بيان لوجه الشبه وان اراد عبد الله
وكل الناس عبيد الله الملوك وغيرهم سواء في ذلك فالمراد انه متمحض لهذه العبودية لا يتشبه
بشيء من امور الدنيا ولا تخلق بشيء من اخلاق اهلها في لباسهم ومآكلهم ومشربهم فانه
صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض ويأكل على خوان ولا يغلق عليه بابا ولا يتخذ
حجابا وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار وكثير من الاغنياء يانف من ركوبه وكان له
حمار يسمى يعفور وهو ماخوذ من العفرة وهي التراب لشبه لونه له وليسا اسمين لحمار واحد كما
توهم فان عفيرا اهداه له المقوقس ويعفورا اهداه له فروة ابن عمرو وقيل بالعكس ومات
يعفور منصرفه من حجة الوداع وقيل القى نفسه في بئر ابي الهيثم يوم موته صلى الله عليه
وسلم وقيل انه كان من جنس من الحمر لم يركبه الا نبي وانه كان صلى الله عليه وسلم يرسله
للرجل فياتي به ويقرعه براسه فيعلم انه يطلبه ويردف خلفه غيره ويردف بضم المثناة
يعني يجعله رديفا له اي راكبا خلفه على دابته التي ركبها ويقال ردف واردف واصله
الركوب على الردف وكان صلى الله عليه وسلم يجعل غيره قدامه ايضا ولم يذكره المص
من اردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار وقد ذكروا ان من ردفه
صلى الله عليه وسلم بلغ الاربعين في سفره وحضره وهذا من تواضعه صلى الله عليه
وسلم وهم اسامة بن زيد رضي الله عنهما مرجعه من عرفة والصديق رضي الله عنه في الهجرة
وعثمان رضي الله عنه راجعا من بدر وعلي كرم الله وجهه في حجة الوداع وعبد الله بن
جعفر رضي الله عنهما بين يديه وبسطه مع غلامين من بني هاشم واولاد عباس
الثلاثة رضي الله عنهم في نزوله من المزدلفة والحسن والحسين رضي الله عنهما ومعاوية
رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه على عفير وابو ذر
رضي الله عنه على حمار وزيد بن حارثة رضي الله عنه وثابت بن الضحاك رضي الله عنه
والشريد بن سويد رضي الله عنه وسلمة بن الاكوع رضي الله عنه وزيد بن سهل رضي الله
عنه وابو طلحة الانصاري رضي الله عنه وسهيل بن بيضا وعلي بن ابنته زينب رضي الله
عنهما وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وغلام مطلبي واسامة بن عمير رضي الله عنه
وصفية بنت حيي رضي الله عنها تقدمه من خيبر وابو الدردا رضي الله عنه وامية بنت
ابي الصلت وابو اياس وابو هريرة رضي الله عنه وقيس بن سعد رضي الله عنهما وخوات
جبير رضي الله عنه وجبريل عليه الصلوة والسلام على البراق في الاسراء وام اجيبة
الجهنية وزيد بن ارقم رضي الله عنه وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وزاد ابن منده
رحمه الله غير هؤلاء ونظمهم ابو ذر بن موفق الدين فقال واردفه جم غفير فمنهم علي عثمان
شريد وجبريل واولاده ذوو الرشد والتقى اسامة والدوسي هو نبيل معاوية قيس
سعد صفية وسبطاه ماذا عنهم ساقول معاذ ابو الدردا سويد وعقبة وامنة
انقام ثم دليل كذلك خوات ظريف وسبطه على ووجه النقل فيه جميل اسامة

والصديق

302
والصديق ثم ابن جعفر وزيد وعبد الله ثم سهيل كذا بنت قيس خولة وابن اكوع وقدمهم
في العالمين جليل كذلك زيد صابر ثم ثابت فمنحهم والله لست احول ثلاثة غلمان
وزد معهم انا اناس وحسبي الله فهو وكيل وكان صلى الله عليه وسلم يعود المساكين
ويجالس الفقراء الفرق بين المسكين والفقير مشهور في مبحث الزكوة الا ان كلا منهما يطلق
على الاخر من غير فرق في العرف والعيادة سنة للغني والفقير وانما خصها ويكون بمعنى
المتذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم احيني مسكينا وامتني مسكينا وتقدم
انه لا يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم انه فقير او مسكين وان اطلقه على نفسه
الشريفة ويجيب دعوة العبد اذا علم انه يجوز له اطعام غيره لكونه ماذونا ونحوه
ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم قال ابو هريرة
رضي الله عنه حتى كان الغريب اذا اتى ناديه لا يعرفه حتى يسال عنه ثم ان الصحابة رضي الله
عنهم سالوه صلى الله عليه وسلم ان يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه
وساله ففعله من طين تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه حيثما انتهى به المجلس جلس
حيثما تفيد العموم اي اي مكان وجده خاليا وقت مجيئه يجلس فيه صدرا وغير صدر
وكل هذا لتواضعه صلى الله عليه وسلم وارشادا منه وفي حديث عمر عنه صلى الله
عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري لا تطروني مضارع اطراه اذا بالغ في مدحه
وتجاوز الحد فيه قال لا يلحق الواصف المطري مدائحه وان يكن محسنا في كل ما وصفا اي
لا تعدني قال الجوهري والزبيدي اطريت الرجل مدحته وقال ابن فارس في المجمل اطريته
مدحته باحسن ما فيه وقال الهروي الاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وبه
فسر الحديث وقد علمت ان الذي قاله الهروي هو معنى الحديث وهو ماخوذ من الطراوة
وطراة يقال طراوة ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب من كل احد والمنهي انما
هو عما لا يليق به ولذا قال كما اطرت النصارى جمع نصراني منسوب لناصرة او نصر
او نصورية على خلاف القياس وتلك القرية كان فيها في ولادة ابن مريم فانهم قالوا فيه
انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهنا كقول الابوصيري رحمه الله تعالى دع ما ادعته
النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم وما احسن قول العارف بالله
تعالى سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان
وفيه ما لم يوصف انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولا تقولوا ما قاله اهل الكتاب
ونحو فالحصر اضافي وعن انس رضي الله عنه رواه مسلم ان امراة من الصحابة تسمى ام
زفر وهي ماشطة خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها وتردد البرهان الحلبي رحمه الله
فيها هل هي هذه او غيرها وجزم به غيره كان في عقلها شيء من الجنون ولم يصرح به
اشارة لخفته وانها لم تستغرق فيه فان لفظ شيء يشعر بالقلة جاءته صلى الله عليه
وسلم فقالت ان لي اليك حاجة اي لي حاجة اريد ان انهيها اليك واعلمك بها قال لها

لجلسي يا ام فلان الابهام من الراوي لانه عبر به لم يحصر اسمها في اي طريق المدينة شئت اجلس
اليك بجزوم في جواب الامر والي يعني عند عبر به للمشاكلة حتى اقضي حاجتك قال
فجلست فجلس اليها حتى فرغت من حاجتها التي اعلمته بها تواضعا منه صلى الله عليه وسلم
وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بمثلها لا بمن كان فيه جنون مطلق وكانت جارية سوداء
تصرع احيانا فشكت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وقالت اني اصرع وانكشف
فادع الله لي فقال ان شئت فاصبري ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك
فقالت اصبر ولكن ادع الله ان لا انكشف فدعا لها فكان ابن عباس رضي الله عنهما
يقول الا اريكم امراة من اهل الجنة فيشير اليها وقيل ان التي كانت تصرع سعيرة
الاسدية وقال انس رضي الله عنه في حديث رواه بتمامه ابو داود والبيهقي كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد كما تقدم بيانه وكان
صلى الله عليه وسلم يوم بني قريظة يوم واحد الايام واليوم هنا بمعنى الوقعة والغزوة
شايع بحيث اذا اطلقوه انما يفهم منه هذا وبنوا قريظة بصيغة التصغير والقاف والرا
المهملتين والظا المشالة ثم اقوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم
قبل غزوة الخندق كما فصل في السير راكبا على حمار وهو صاحب الرياسة والرسالة العظمى
تواضعا منه وممن هو من اقل من عبيده يركب الخيل في مثله ويجنب الجنايب اظهارا للشوكة
وعظمته بذاته لا لغرض الدنيا الذي لا يستقر وما في بعض الشروح هنا نقلا عن بعض
الحواشي في ضبط يوم من انه بفتح اليا التحتية والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم
المشددة بمعنى يقصد تحريفا لا وجه له مخطوم بحبل من ليف اسم مفعول من الخطام بخا معجمة
وطا مهملة وهو ما يقال به الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والفا شي يتخذ من النخل ويفتل
حبالا وعليه اي على الحمار اكاف بكسر الهمزة وكاف والف وفا بزنة كتاب وبضم كغراب ويقال
وكاف بالواو وهو رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه او بعض دوابه وهو البردعة
وهذا من حديث رواه ابو داود والبيهقي كما مر وقال اي انس بن مالك رضي الله عنه وكان
صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة الاهالة بكسر الهمزة
وتخفيف الها واللام وهو كل ما يوتدم به من الدهن او ما يذاب من الالية او الدسم الجامد
وسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخا المعجمة وهما بمعنى متغيرة الرايحة يقال سنخ
الدهن وزنخ اذا تغير فيجيب دعوة من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذي في شمايله وابن
ماجه في سننه قال انس رضي الله عنه وحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في حجة الوداع
كما في البخاري ويدل عليه قوله الاتي وقد فتحت عليه الارض على رحل رث الرحل للجمل كالسرج
للفرس فيختص به ورث بفتح الرا المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال خلق وعليه قطيفة
اي كسا من صوف له خمل ما يساوي اربعة دراهم اي لو قومت لم يكن قيمتها اربعة دراهم
ويقال هنا يساوي ويسوي كما لقيمته والحج من اعظم شعاير التواضع واظهار الافتقار

ابن الحنبلي

الى الله

الى الله تعالى ومنع النفس من التلذذ والملابس ولذا شرع الاحرام فيه والتجرد في الموقف
303 ليذكر الموقف الحقيقي والعرض على الله وهذا من محاسن التشريع والارشاد للاخلاص
ولذا قال لما فقال اللهم اجعله اي اجعل حجي هذا حجا مبرورا لا ريا فيه ولا سمعة
بل خالصا لوجهك الكريم والريا مشتق من الروية وهو ما يفعل من عبادة ونحوها
لاجل ان يراه الناس فيحمدوا صاحبه به والسمعة بضم فسكون ما يفعل ليشيع
ويسمع الناس به وهما بمعنى بحسب الماصدق وان اختلف مفهوماهما ومنهم من فرق
بينهما فان عبدا لسلطان اذا عمل عملا ليره سيده وحده ريا لا سمعة ومن اشاع
امرا لم ير سمعة لا ريا فيه وقال القرافي في قواعده الريا موجب للاثم والبطلان
عند كثير لظاهر قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين وهو ان يعمل لله مع
قصد نفع من العباد وهذا ريا الشرك اما ان يعمل للناس فقط ويسمى ريا الا
خلاص وهو لاغراض شتى والشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا
يضر بنقص الثواب ولا يحرم بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع او ليحظى
عند الامام او يكثر عطاوه وهو محرم ليس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك
مع الحج المتجر لا ياثم ولا يقدح ذلك في صحة حجه ولو كان جل قصده او كله التجارة ومن
صام ليصح بدنه ويحتمي فهذا لا يقدح في فعله لان الشارع امر به في حديث يا معشر
الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له
وجاء اي قاطع للشهوة فامر بالصوم لغرض اخر غير العبادة ولو كان قادحا لم يامر به
كمن توضا للتبريد والتنظيف فان فيه اغراضا ليس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو
المضر المنهي والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الريا والسمعة وانما دعى بذلك
تعليما لامته وتواضعا كقول يوسف عليه الصلاة والسلام وما ابري
نفسي لان النفس قد يدخله الريا باطنا والزهد هذا اي فعله صلى الله عليه وسلم
هذا واختياره رث الثياب والمركب ليس عن عجز وقد فتحت الارض عليه صلى الله عليه
وسلم وفتح يتعدى بعلى كما حكيت بسهولة من الله كانه اضافه عليه وفتح الارض
ان اريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان اريد جميعها فعدم تمكنه صلى الله عليه وسلم
منها بمنزلة وقوعه ومر في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اتيت بمقاليد الدنيا
على فرس ابلق عليه قطيفة سندس وفي رواية بمفاتيح خزاين الارض فوضعت بين يدي
وهو محمول على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهو كناية عن ان الله مكنه
من ذلك ولو ان الله اراد صرفه بالفعل فيها وقاد جميع اهلها له واهدى في حجه
ذلك مائة بدنة اهدى بمعنى بعث الهدي بوزن الرمي مخففا ليا وقد تشدد فتكسر داله
وهو ما يرسل للبيت الحرام لينحر فيه ويتصدق به من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق
على الجمل والناقة والبقرة واكثر ما تطلق على الابل وقد يسمى الابل مطلقا هدى

وسميت بدنة لكبر بدنها وفي البخاري لما حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع اهدى
مائة بدنة نحرها وقسم لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها جملة ثم امر عليا كرم الله
وجهه بنحر باقيها واختلف فيما نحره صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة اهو ثلاثة وثلاثون ام
ستون ولما فتحت عليه مكة دخلها بجيوش من المسلمين وذلك في شهر رمضان ثالث
عشرة او سادس عشرة او ثامن عشره وصحح النووي انه تاسع عشرة واختلف في الجيوش
ايضا فقيل اثنا عشر وقيل عشرة الاف وقيل ثمانية طاطا على راحلته راسه حتى كاد يمس
قادمته الرحل له مقدم وموخر ترتفع عن محل الراكب وفيهما لغات قادم وقادمته ومقدم
ومقدمته بكسر الدال مخففة وفتحها مشددة وكذا اخرة الرحل تواضعا لله تعالى ومن
تواضعه صلى الله عليه وسلم ان ركب الجمل دون الفرس وعلى راسه مغفر فوقه عمامة سودا
واردف خلفه اسامة رضي الله عنه كما روي من تواضعه قوله صلى الله عليه وسلم
لا تفضلوني على يونس بن متى قال شيخ مشايخنا الجلال السيوطي لم اقف عليه بهذا
اللفظ والذي في البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس
بن متى وفي سنن ابي داود ما ينبغي لنبي ان يقول انا افضل من يونس بن متى وفي الصحيحين
لعبد بدل النبي وفي رواية لا اقول ان احدا افضل الخ انه سبح الله في الظلمات وفي البخاري
وفي البخاري ونسبه لابيه ففيه اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التا مقصورا
اسم ابيه وقيل معناه انه ذكر اسم ابيه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم
ينسب لامه الا يونس وعيسى عليهما السلام واختلف في المراد منه فقيل انه صلى الله
عليه وسلم قاله تواضعا منه وان كان هو افضل من جميع الرجل بالاتفاق وكلام المص
يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل احد له وقيل انه كان قبل ان يعلم بتفضيله والاذن
فيه لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وخص يونس صلى الله عليه وسلم
لئلا يتوهم احد تنقيصه اذ سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصته مفصلة
في السير وقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا بين الانبياء لا ينافي هذه الاية
لان المنهي عنه تفضيل يودي الى التنقيص والخصومة والنزاع او التفضيل من سائر
الوجوه لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل والتفضيل في نفس النبوة لا في الخصائص
وعموم الرسالة والا فيجب علينا اعتقاد افضليته عليه الصلاة والسلام لقوله
انا سيد ولد ادم وقوله ان الله تعالى اختارني على جميع العالمين من الانبيا والمرسلين
ولا تخيروني على موسى صلى الله عليه وسلم اي لا تقولوا اني خير منه وافضل وخصه لئلا
يظن احد نقصه لقوله فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وسياتي بيان
ذلك اقول الظاهر ان المعنى لا تفضلوني تفضيلا يودي للنزاع والمخاصمة فان هذا من بعض
حديث في الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع يهودي فقال اليهودي والذي فضل موسى
على العالمين فلطمه فاشتكى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك وسياتي الكلام على هذا

ونحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه
كان قبل البعثة في سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبيا مطلقا قال انه نفي للشك لا اثبات له
وانما قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع اي نحن احق بالشك منه لو شك
ولكنه لم يشك فكانه قال انا لا اشك فكيف بابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال
شك ابراهيم ولم يشك نبينا ولا ثاني بين القولين ويشير اليه المص في القسم الثالث
وقيل لا يصح ان يكون المراد انه احق بالشك منه كقوله اولم تومن قال بلى الى اخره
وتسميته شكا بالنظر للظاهر لاقتضائه عدم الاطمينان وهو ينافي عدم التردد
والشك ولذا احتيج لتاويله بان الخليل عليه الصلوة والسلام قطع بالقدرة
على احيا الموتى بدليل قطعي لكنه اشتاق لمشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذي
جزم بثبوته لنفسه لا تطمين حتى تشاهده قال ابن ابي شريف رحمه الله وهذا التاويل
يشير الى ان المطلوب بقوله ولكن ليطمين سكون قلبه عن المنازعة الى روية
الكيفية المطلوبة التي تمناها ليحصل له العلم البديهي بعد العلم النظري ولما كان هذا
الشك ظاهرا جايزا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال صلى الله عليه وسلم
ما قاله كناية عن انه جايز منه لانه اورده بهذه الصورة تادبا مع الله تعالى وان لم
يكن احو بذلك الشك منه وكيف يتصور جوازه عليه وعلي كرم الله وجهه يقول
لو كشف الغطا ما ازددت يقينا الا ان في هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضايه
تساوي علمه البديهي والنظري فيتجاوز المقام الخليلي وقد اجاب عنه في كتابه كشف
الاسرار فقال العز بن عبد السلام المراد ما ازددت يقينا بالايمان وان كان اذا راها
ابصر من التفاصيل والهيات ما لم يحط به قبل ذلك علما وكذلك ابراهيم لما راى كيفيته
الاحيا لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته تعالى على الاحيا وان وقف بمشاهدة الاحيا
كيفيته الاحيا على ما لم يقف عليه من الايمان كمن راى بنا عجيبا وعرف صانعه علم قدرته
وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنايه وصنعة عمله فاذا طلب مشاهدة عمله
وراه لم يزده علمه بقدرته وصنعته وهيته بذلك ولكن اطمان قلبه لحصول ما طلبه
من كيفية صنعه وقال السبكي رحمه الله سيل الغزالي عن هذا فقال اليقين يتصور
عليه الجحود كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يتصور عليها
الجحود وهو جواب حسن في الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس
رضي الله عنهما هذه الاية ارجى اية في القران معناه ان سوال الاحيا في الدنيا يدل على انا
نحيى وننعم في الاخرة افانا الايمان بالغيب اجمالا كاف لنا ولو لبثت ما لبث يوسف
في السجن لاجبت الداعي لبث في السجن بضع سنين اي لبث خمسا ثم سبعا بعد رويا
الفتيين الذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك وورد في الحديث رحم الله اخي يوسف
لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن سبعا بعد خمس اي ولم يستعن بغير الله

تعالى ما طالت المدة والمراد باجابة الداعي اجابة رسول الملك الذي دعاه للخروج منه قال الكرماني
وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا الا انه كان فيه مبادرة وعجلة
لو كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله
عليه وسلم اشارة الى مقام التفويض وتلقي كل ما ياتي من الله بالقبول ورفض الوسايط
والمعنى لو كنت مكانه تلقيت دعوة الداعي مستعينا بالله تعالى مفوضا امري له وقد كان
يوسف عليه الصلاة والسلام عبر رويا الفتيين ثم رايا الملك فطلبه فلما جاءه الرسول
ليخرجه من السجن لم يبادر للخروج وطلب الكشف عن امره حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبي
الوجه الذي عندي في ذلك انه صلى الله عليه وسلم اخذ لنفسه وجها اخر من الراي وهو
ان يفعل امرا ليقتدى به فيه وهو ان يخرج سريعا لم يبرئ ساحته بالنبوة من غير الحاح
وهو الحزم ويوسف عليه الصلاة والسلام سلك مسلكا اخر هو الصبر وقيل
انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت لما التفت اليه من براءة الساحة اكتفاء بعلم الله
واعتقاده لانه بريء ساحته من غير طلب منه لهذا المقام ولكنه قال ما قال تواضعا
وفي يوسف ست لغات بتثليث السين مع الهمزة وعدمها وقال للذي قال له يا خير البرية
ذاك ابراهيم وهذا من تواضعه ايضا صلى الله عليه وسلم والا فهو خير البرية من غير
شك وليس فيه اخبار بغير الواقع اذ المعنى لا اقول ذلك اطراء للنفس والبرية الخلق
من برا بمعنى خلق لكن همزته متروكة كما في الذرية والنبي والخابية وهذا الحديث رواه مسلم
في صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى من غير تطويل واعتساف
وعن عايشه والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض وقدم عايشة
رضي الله عنها لانها ادرى بحاله عليه الصلاة والسلام في بيته ولذا اعقبها بالحسن
علي رضي الله عنهما لانه من اهل البيت ايضا وابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان يخدمه
صلى الله عليه وسلم فلذا خص هولاء ورتبهم الاقرب فالاقرب كان في بيته في مهنة
اهله خبر بعد خبر او بدل مما قبله بدل اشتمال او المهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة ماخوذة
من الامتهان واختلف في ايهما الافصح والاكثر على انه الفتح والاشهر انه الكسر لتوافق
الخدمة لفظا ومعنى وانكر بعضهم الكسر والاصح انه لغة وانه ثابت بالوجهين يفلي
ثوبه بيان هو وما بعده لما قبله لان هذا مما ينبغي ان يفعله اهله ويفلي بفتح المثناة التحتية
وسكون الفا يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش ما فيه من قمل وغيره هذا اصله
وهو يقتضي ان يكون في ثوبه صلى الله عليه وسلم قمل وقد قالوا انه لا يكون تكريما له
صلى الله عليه وسلم ولانه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لا يكون
فيه عفونة والقول بان فيه قملة تنقيص لا ينبغي ان يقال الا ان بعضهم نقل انه لم يكن
الذباب يعلق عليه وان القمل لا يوذي بدنه تعظيما له صلى الله عليه وسلم وتكريما كما سياتي

بيانه

بيانه قبيل فصله قد انبانا اكرمك الله فقيل المراد يتفلى اذيته تفيد لانه من لوازمه
305 وقيل انه كان فيه ولكن لا يوذيه والاول مناف لحديث المتن ولما روي ان ام حرام
كانت تفلي راسه واللفظ شاهد لخلافه نعم نفي اذاه مستلزم لنفيه لان اذيته
بتغذيه من البدن فاذا امتنع غذاوه لم يعش وحينئذ لم يكن في وجوده الا قذارته
والاحتياج لتفليه ولذا قيل المراد تفليه تفتيشه لخرق فيه او تعلق شيء به من شوك
ونحوه وكل ذلك للتشريع واظهار التواضع واحتمال ان يكون القمل جاء من غيره
لكثرة مجالسته الفقرا كما سياتي لا ياباه فلي ام حرام لراسه كما قيل على انه يحتمل انها
كانت تفحص عن هذا وان لم تجده ويحلب شاته ويرقع ثوبه بفتح اليا وسكون الرا
المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد الا ان الضبط بالاول المناسبة
ما معه ورقع الثوب ان يضع فيما انخرق منه رقعة من غيره يسده بها ويخصف نعله
اي يخرزها به وفي النهاية انه تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو في قوله تعالى يخصفان
عليهما من ورق الجنة استعارة من هذا واصل معنى الخصف الضم والجمع ويقم البيت
اي يكنسه ويزيل قمامته من قم يقم بضم القاف اذا كنس ويعقل البعير اي يربطه من رجله
بالعقال ويعقل بوزن يضرب ويعلف ناضحه بنون وضاد معجمة وحا مهملة وهو
البعير الذي يستقى عليه من النضح ويخدم نفسه اي يفعل ذلك كثيرا لا دايما مع
كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب
فعل ذلك تواضعا وتشريعا ويأكل مع الخادم متعاطي الخدمة ذكرا كان او انثى
حرا او عبدا واكل الانسان مع خادمه سنة قال القاضي ذكرها في شرح الروض
ان السنة ان يجلس خادمه للاكل معه ويلبسه من لباسه فان ابى فليناوله مما ياكله
ومن الغريب ما نقل عن الشافعي انه واجب للامر به في الحديث وفيه نظر ويعجن معها
الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كما مر والعجين من عمل النسا ويحمل بضاعته بكسر
الموحدة وهي ما يشتريه من السوق وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان
يدخل السوق قالوا وهو عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وكذا كان داب
الصحابة رضي الله عنهم ولا ينافيه احب البقاع الى الله المساجد وابغضها اليه
الاسواق لان المراد بعض ما فيها او النهي عن الجلوس فيها من غير حاجة وعن انس
رضي الله عنه بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري
تعليقا ووصله ابن ماجه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة بكسر همزة ان المخففة
من الثقيلة كقوله وان كانت لكبيرة وهي مهملة او اسمها ضمير شان مقدر لتاخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت اي تمسك يده الشريفة
وتذهب الى اي محل تريده لاجل حاجتها حتى يقضي حاجتها وليس فيه افراط في التواضع

المذموم لان قضاء حاجة المسلمين امر محمود ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة
بكسر فسكون الخوف من مهابته اذا كان لم يره قبلها واعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة
والرعدة ان يرجف ويضطرب فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك امر من التهوين
اى عد ما رايته امرا هينا غير صعب تخشى منه اى لا تخف ولا تفزع فانى لست بملك من الملوك
الجبابرة الذين تخشى بوادرهم انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد هو اللحم الذى يقطع
ويجعل فى الشمس حتى ييبس وكان عادة العرب اكله وهكذا عادة فقرائهم فكنى به عن
عدم تكبره وتجبره وترفعه صلى الله عليه وسلم وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال السيوطى
هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف قال دخلت السوق مع النبى
صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل فى حواشى الشمنى ذكر المص رحمه الله تعالى
اشتراه صلى الله تعالى للسراويل لانهم قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم
لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال ابن القيم فى الهدى انه لبسها فقالوا انه سبق
قلم وقال السيوطى فى فتواه قد رايت الذى ذكره المص فى معجم الطبرانى الاوسط ومسند
ابى يعلى وفيه انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولفظه عن ابى هريرة انه قال دخلت يوما السوق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم
وكان لاهل السوق وزان فقال له زن وارجح واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
السراويل فذهبت لاحمل عنه فقال صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمل الا ان يكون ضعيفا
فيعجز عنه فيعينه اخوه المسلم فقلت يا رسول الله انك لتلبس السراويل قال اجل فى السفر
والحضر وبالليل والنهار فانى امرت بالستر فلم اجد شيا استر منه اخرجه من طريق ابن
زياد الواسطى واخرجه احمد وفى سنده ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان انتهى قول احمد
ضعفه بما بعده ومنه يعلم ان تخطية ابن القيم لا وجه لها وكون الثمن اربعة دراهم
هو المروى لا ما فى الاحيا من انه بثلاثة وكونه صلى الله عليه وسلم اشتراها ولم يلبسها
بعيد جدا وقد لبسها عثمان رضى الله عنه وهو محاصر ايضا والسراويل تذكر وتونث ولم
يعرف فيه الاصمعى الا التانيث وجمعه سراويلات وهى مصروفة فى النكرة عند سيبويه
فان سمى بها رجل لم تصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مونثة على اكثر من ثلاثة احرف
كعناق فان صغرت من غير علمية صرفته قال الجوهرى من النحويين من لا يصرفه فى النكرة
ايضا لانه عنده جمع سروالة وانشد عليه من اللوم سروالة ومقبول ابن مقبل فلتى فارك
فى سراويل رامح والحمل على الاول والثانى قوى انتهى ومن ثمه رد قول من قال انه ممنوع
من الصرف بالاتفاق وقول المحدثين انه لم يصح انه فى الاصل كمصاجر الضبع فيعتبر فيه
الجمعية الاصلية قال ولذا اضطربوا فيه فقيل انه اعجمى معرب سروال حمل على موازنه فى
العربية كمصابيح وقيل عربى جمع سروالة تقديرا وهى لغة فى سراويل ويقوى عجميته انه
لا نظير له فى العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقى فى معرباته الاانه قيل انه معرب شلوان

بالمعجمة

306

بالمعجمة والاشبه انه معرب شراوين اى بدل الراس لان سر معناه الراس واوين معناه بدلى
وقال صلى الله عليه وسلم للوزان اى الذى يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفى زن
فارجح اى زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى ترجح الميزان بزيادة الكفة التى
فيها الدراهم وبهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لانه من حسن
القضا وكلام ابى حنيفة فى الهبة المحضة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها
وذكر القصة كما سمعتها انفا قال اى ابو هريرة رضى الله عنه راوى هذا الحديث فقال
الوزان هذه كلمة ما سمعتها من احد فقال له ابو هريرة كفى بك من الوهن والجفا فى دينك
انك لا تعرف نبيك وطرح الميزان ووثب اى قام بسرعة الى يد النبى صلى الله عليه وسلم
يقبلها اى قام ليقبل يده الشريفة لما راى منه ولمعرفته انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجذب اى نزع صلى الله عليه وسلم يده من يده وقال هذا اى تقبيل اليد امر تفعله
الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم معاشر العرب والناس وهذا من تواضعه
صلى الله عليه وسلم اولانه علم انه انما قبل يده لامر دنيوى والا فتقبيل يد الرجل لعلمه
او صلاحه او شرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يقبلون يده الشريفة
ويد الخلفاء رضى الله عنهم وقيل لبعض المشايخ اتقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله
فشموها بالتقبيل ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة السراويل
ليحملها بنفسه فذهبت لاحمل اى شرعت فى حملها عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله
اذا شرع فى الفعل ولذلك عدت من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور
وضمير لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتانيثه كما علم فقال اى النبى صلى الله عليه
وسلم لابى هريرة صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله بدل من شيئه اى احق بحمله من غيره
وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم واقتدى به الصحابة رضى الله عنهم فكان الخلفا
منهم يحملون امتعتهم فى السوق كما فصله الغزالى فى الاحياء فصل واما عدله صلى الله
عليه وسلم العدل مصدر معناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل
فيستوى فيه الواحد وغيره ويجمع على عدول وامانته فى كل شئ يحفظ قولا كان او فعلا
او غير ذلك مما يجعل عنده وكونه موثوقا به فى اموال الناس واحوالهم وعفته فى نفسه
بترك كل قبيح وترك السوال والتنزه عن كل شئ وصدق لهجته اللهجة اللسان
والكلام وقد يقال لهج بكذا اذا اولع به ولا يخفى تقارب معانى ما ذكر ولذا جمعها
فى فصل فان فى العدل عفة عن الظلم وفى الصدق امانة على ما سمع وعفة عن الكذب
وهذا ظاهر لمن له بصيرة فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس من بدا التميز بمعنى اكثرهم
واشدهم امانة واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اى من ابتدا
خلقته الى نهايتها وكان امانته يعترف له بذلك محادوه جمع محاد بتشديد الدال
المهملة بمعنى المعادى والمخالف الذى له فى حد وجانب عنه ويكون بمعنى المحارب قال

تقبيل اليد

ومن يحاد الله ورسوله وعداه بكسر العين جمع عدو او اسم جمع وهو في الصفات
وقد تضم عينه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحاق محمد بن اسحق بن يسار صاحب
السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه احمد في مسنده والحاكم والطبراني عن علي كرم الله
وجهه كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره قبل نبوته يسمى الامين لامانته وصدق
قوله في جميع الذي ائتمنه الله اياها او اليا بمعنى مع ما جمعه الله من الصالحات التي
عرفها عندهم وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه اي المطاع الامين في هذه
الاية محمد صلى الله عليه وسلم وكثير منهم على انه جبريل عليه الصلاة والسلام كما يشهد
سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون لكونه عليه الكثير وفيه نظر ولما اختلفت قريش
وتحازبت بالحا المهملة والزا المعجمة والبا الموحدة اي صارت احزابا وفرقا لاختلاف ارائهم
ولو قيل تحاربت بالرا المهملة لما في السير انهم تحالفوا حتى اعدوا للقتال ثم بدا لهم
فتشاوروا واصطلحوا الا انه بعيد والنسخ المضبوطة خطا بخلافه عند بنا الكعبة قال السهيلي
كان بناها خمس مرات الاولى والثالثة حين بناها بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام
والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير بنار طارت من ابي قبيس او بشرر طار من مجمرة امرأة
ارادت ان تجمرها فتعلق باستارها واحرقها فتشاوروا من حضرها في هدمها فهابوه وقالوا
يصلح ما انهدم منها فقال رضي الله عنه لو احترق بيت احدكم لم يرض له الا باكمل صلاح بنا
ان يأكل صلاح ولا يكمل صلاحها الا بهدمها فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم عليه
الصلاة والسلام فامرهم ان يزيدوا في الحفر فحركوا حجرا منها فرووا تحته نارا افزعتهم فامرهم
ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر واستمرت على ذلك الى ان قام عبد الملك
بن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسة ولا منافاة بينه وبين ما في التواريخ من ان
الخامسة بنا الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه اميره وكان ارسله لمحاربة ابن الزبير
رضي الله عنهما وقيل غير ذلك والكلام فيه مفصل في تاريخ مكة فيمن يضع الحجر الاسود
في ضعه ويرفعه بيده لما في مباشرة ذلك من الشرف والجار والمجرور متعلق باختلفت
حكموا بفتح الحا وتشديد الكاف جواب لما اي ارتضوا بان يكون الحاكم في ذلك اول داخل
عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل اذ فجائية اي فاجاهم دخوله عليهم بغتة
من غير طلب وميعاد منهم وذلك قبل نبوته صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين
وقيل ابن خمس وعشرين او حين بلغ الحلم ولا شك في ان هذا كان قبل النبوة والاول اصح
فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به حكما في هذه القضية فلما انتهى اليهم ذكروا
له ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لهم ايتوا بثوب وضعوا فيه الحجر وارفعوه جملتكم من كل
بيت رجل فلما فعلوا وضعه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ثم بنى عليه فكان شرف
الوضع له وكان مع العباس رضي الله عنه ينقلون الحجارة له فقال له العباس اجعل ازارك
على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل بدا منه ما لا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمحت

عيناه الى السما فقال ازاري فشد عليه ازاره لانه نودي يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة
بعده ولا قبله وروي انه وقع له مثله وهو يلعب صغيرا وعن الربيع بن خثيم رضي الله عنه
بضم الخا المعجمة وفتح المثلثة وسكون اليا المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن
عايذ بن عبد الله بن موهب ابو يزيد الثوري ينسب الى ثور بن عبد مناة ابن اد بن طابخة
ابن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع يروي عن ابن مسعود وابي
ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا واخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة
سبع وستين كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وفسر الجاهلية
بقوله قبل الاسلام لانها تطلق بهذا المعنى في الاكثر وهذا شاهد لعدله صلى الله عليه
وسلم والمراد قبل بعثته وتطلق الجاهلية كما في النهاية على صفاتهم وان كانت في الاسلام
كقوله في الحديث ان فيك جاهلية وحقيقتها الاول وهذا معنى مجازي المعتمد الا ان
يراد بها المعنى اللغوي وهو النسبة الى الجهل مطلقا فيكون حقيقة والى هذا نظر ابن
حجر في شرح البخاري ويتحاكم بضم المثناة مجهولا اي يتحاكم اليه قريش والعرب وقول الربيع
هذا رواه ابن مسعود وله حكم الرفع وتحاكمهم اليه صلى الله عليه وسلم يدل على
عدله وانصافه وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لامين في السما وامين في الارض يعني
يعني انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور
في احكامه وهذا الحديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده عن ابي رافع وفيه دليل على جواز
مدح الانسان نفسه موكدا بالقسم واعاد امينا لاختلاف الامانتين حدثنا ابن سكرة
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه وقد تقدمت ترجمته وحكمه قال حدثنا ابو الفضل
بن خيرون تقدم انه احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون الحافظ وان خيرون ممنوع الصرف
قال حدثنا ابو علي بن زوج الحرة تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو علي السنجي تقدم ضبطه وترجمته
قال حدثنا ابو محمد المروزي محمد بن احمد بن محبوب راوي جامع الترمذي كما تقدم قال حدثنا
ابو عيسى الحافظ هو الامام الترمذي كما تقدم قال حدثنا ابو كريب بضم الكاف وفتح
الراء المهملة ويا تصغير ويا موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلا الهمداني اخرج له
الستة ووثقه النسائي وغيره توفي سنة ثمان واربعين ومائتين قال حدثنا معاوية بن هشام
القصار الكوفي الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذاك توفي سنة خمس وعشرين
ومائة عن سفيان الثوري فيما يظهر الا ان المزي والذهبي لم يقيداه عن ابي اسحاق
عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي احد الاعلام عن ناجية بنون وجيم بن كعب القرشي
او الاسدي الثقة وتوقف ابن حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان وقال الذهبي
في المغني ما ادري لماذا توقف فيه ابن حبان انتهى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي
عنه وهذا الحديث رواه الترمذي كما ذكره المصنف وانفرد باخراجه من طريقين احدهما
ما ذكره المصنف والثانية عن اسحاق بن منصور عن ابن مهدي عن سفيان عن ابي اسحاق

عن ناجية قال وهذا اصح وكذا رواه عبد العزيز بن ابي عثمن نا نا جهل ابن هشام لعنه الله وفرعون هذه الامة قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فيما قاله وهو سبب نزول هذه الاية فانهم لا يكذبونك الاية ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وروى ابو ميسرة انه صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الاية وقرئ يكذبونك مخففا ومشددا فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته وكذبته واكذبته فجنيته واختار ابو عبيدة قراءة التخفيف وهي مروية عن علي كرم الله وجهه وقيل معنى يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون ما قلته ومعناه بالتخفيف يجدونك كاذبا كما تجلته اذا وجدته بخيلا والمعنى على التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان فيتلو في كلام المص اشارة الى دفع التناقض في الاية فانه قال ولا انهم لا يكذبونه ثم اخبر انهم يجحدون ما جاء به من الايات وجاحد كلامه يكذب له ويجحدون مضمن معنى يكذبون ولذا عداه بالبا وهو متعد بنفسه ويدل على انهم كذبوه وقوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد بقوله لا يكذبونك نفي تكذيبه مطلقا فاما ان يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك بالتشديد لا يحكمون عليك بان سجيتك الكذب لانك موصوف بالصدق عندهم في جميع شؤونك ما عدا قولك الذي جئت من عند الله وهو الايات فانهم يجحدون وهذا مراد المص في استشهاده بهذه الاية او يقال المراد انهم لا يكذبونك في الحقيقة ونفس الامر في نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون التكذيب حسدا وبغيا او انهم لا يكذبونك اذا منعوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا عن نور الهداية انتهى وفي الاية كلام فصلناه في حواشي القاضي البيضاوي وروى غير اي روى غير الترمذي او الصد في هذا الحديث زيادة وزيادة الثقة مقبولة لا نكذبك وما انت فينا بمكذب اي معروف بالكذب في غير هذا وقيل ان الاخنس بن شريق بن ثعلبة الثقفي الصحابي واسمه ابي وهو بهمزة وخاء معجمة ونون وسين بزنة افعل التفضيل وشريق بفتح الشين المعجمة وكسر الرا المهملة وقاف على وزن فعيل وهو قديم الوفاة كذا قاله البرهان الحلبي وقال التلمساني انه حليف قريش قتل يوم بدر كافرا يعني به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث رواه ابو اسحاق والبيهقي عن الزهري واخرجه ابن جرير عن السدي لقي وفي نسخة اتى ابا جهل يوم بدر وكان يوم الجمعة سنة اثنين من الهجرة في تاسع عشر رمضان فقال له يا ابا الحكم بفتحتين وهذه كنيته القديمة ثم غلب عليه كنية بابي جهل ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد جملة خبرية والمراد اخبرني عنه صادق ام كاذب يعني اصادق بحذف الهمزة تخفيفا والاستفهام حقيقي وتقريري فقال ابو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط هذا يدل على انهم لا يعتقدون كذبه وسال هرقل عنه بكسر الها

وفتح الرا وسكون القاف ويقال باسكان الرا بين كسرتين كما سياتي وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي فيل وهو ما ول ابا سفيان صخر بن حرب بن امية القريشي الاموي اسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش واكثرهم مالا وتوفي سنة اربع وثلاثين وسنة ثمان وثمانين سنة في المدينة وقصة ابي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين مفصله في اول باب في البخاري وكان النبي صلى الله عليه وسلم كاتبه في سنة ست فلقيه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص فلما قرا الكتاب امر مناديا ينادي الا ان قيصر قد اسلم واتبع محمدا وترك النصرانية فماج جنده وتسلحوا فامر مناديا ينادي الا ان قيصر راض بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني مغلوب على مملكتي وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اني مسلم وبعث له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن صميم قلبه ولو سلم فنداوم بانه راض بدينه ردة فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله واه كيف وقد قاتل المسلمين يوم موتة وواعدهم ان ياتيهم في العام المقبل وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجي واخذ منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته وقوله فقال اي هرقل ابو سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب اي هل وقع في قلوبكم انه صدر منه كذب في قوله قال في الاساس وهمت الشيء همه وهما وتوهمته وقع في خلدي وشيء موهوم ومتوهم انتهى وانما سالهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره بالطريق الاولى قبل ان قال ما قال قال لا فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وانما لم يقل انه يكذب لئلا تاثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب او يقول ما لا يقبل منه ثم قال ابو سفيان الا اخبرك عنه خبرا كذب فيه قال ما هو قال انه زعم انه خرج في ليلة من الحرم الى مسجد ايليا ثم رجع فيها قبل الصباح وكان عنده بطريق ايليا فقال صدق اني كنت لا انام حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت ابوابه غير باب منها غلبني فاستعنت بمن حضرني فلم يمكنهم تحريكه وقالوا انه سقط عليه البنا فلما اصبحت غدوت عليه فاذا الحجر الذي في زاويته منقوب فيه اثر ربط فقلت ما حبس هذا الباب الليلة الا على نبي قد صلى الله في مسجدنا فقال قيصر يا معشر الروم الم تعلموا ان بين عيسى عليه الصلاة والسلام نبيا بشركم به وكنا نرجوا ان يكون فينا فجعله الله تعالى في غيرنا وهو رحمة من الله يضعها حيث شاء ولم يعتدوا التصديقه هذا حتى يكون يوما لتلبسه بما يخاله قولا وفعلا قلت وبهذا علم ان ربط البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسال ابا سفيان عنه صلى الله عليه وسلم اسيلة اخرى

اخرى مذكورة في اول البخاري وقال النضر بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة
ابن الحارث لقريش في حديث رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن
علقمة بن كلدة بفتح الكاف بن عبد مناف القرشي وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به
النبي صلى الله عليه وسلم ببدر فقتله كافرا صبرا كما ياتي فرثته اخته قتيلة بابيات
مشهورة اولها يا راكبا ان الاثيل مظنة من صبح خامسة وانت موفق الخ وقيل انها
مصنوعة وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف في اسلامها وكونها صحابية قد كان
محمد فيكم غلاما حدثا بفتحتين قال الجوهري حدث شاب فان ذكرت السن قلت حديث
السن من الحدوث لقرب عهده بالوجود والغلام الذي لم يلتح ارضاكم فيكم اي اكثركم
رضا وصبرا وافعالا مرضية واصدقكم حديثا واعظمكم امانة منصوب هو وما قبله
على التمييز وهذه شهادة العدو فما بالك بغيره حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب
الصدغ ما بين لحظ العين والاذن والشعر الذي فيه من اعلى العذار وجانب الراس
كثيرا ما يبدو الشيب فيه قبل غيره فكنى بذلك عن انه تمت رجوليته وكمل عقله صلى الله
عليه وسلم بمجاوزته سن الشباب وهذا اشد في الانكار عليهم وجاءكم بما جاءكم به قلتم
ساحر اي قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدا مقدر اي هو ساحر فهو خبر مبتدا مقدر اي هو ساحر
بدليل قوله لا والله ما هو ساحر وهذا منه غاية الانصاف ولكن غلب عليه الشقاء فقتل
صبرا بالصفرا في منصرفه صلى الله عليه وسلم من بدر كما ذكره الشيخان عن عايشة
رضي الله عنها وهذا الحديث رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما والذي
قال انه ساحر الوليد بن المغيرة وسبب نزول النضر المذكور ان ابا جهل لما اراد ان يرضخ راس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فتمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة فحل
فقرها دبا ويبس يده على الحجر كما سياتي فلما سمع ذلك النضر قال يا معشر قريش والله قد
نزل فيكم امر ما اتيتم فيه بحيلة بعد قد كان فيكم محمد الى قوله ما هو بساحر وقد راينا السحرة
ونفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ما هو بكاهن وقد راينا الكهنة وسمعنا سجعهم
وقلتم انه شاعر والله ما هو بشاعر وقد راينا الشعر وسمعنا اصنافه هزجه ورجزه وقلتم
مجنون لا والله ما هو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا في شانكم فانه
والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذي جاء بقصة
رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ما جاء به محمد ليس باحسن مما جئت به
ان هو الا اساطير الاولين فنزل فيه واذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين في ايات اخرى
في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما مست يده يد امراة قط لا يملك رقها وهذا من عفته
عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها وسكت
عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التي ليست بمحرم فيعلم ذلك
من الرقيق بالطريق الاولى وقيل انه دخل ذلك في ملك الرق لتملكه البضع وقد سمى بذلك

في قول

في قول اسما رضي الله عنها التزويج رق المراة فلينظر اين يضع رقها ولا ينافي هذا ما مر من ان الامة
من اما المدينة كانت تاخذ بيده عليه الصلاة والسلام فلا يدع يده من يدها حتى يقضي
حاجتها لانه كان بحائل من كمه او كمها وكلام عايشة رضي الله عنها هذا ورد في مبايعته
صلى الله عليه وسلم للنسا فان بعضهم توهم انها كمبايعة الرجال باليد من غير حايل فقالت
رضي الله عنها انما كان يقول لمن هاجر من المومنات ما امره الله تعالى به في قوله يا ايها
النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فيبايعهن على ذلك فمن اقر به قال
قد بايعتك كلاما من غير مس لايديهن وما ورد في المبايعة من مسك ايديهن فان كان
مدا من غير مصافحة فيها والا فهو بحايل لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم اتى بثوب
وضعه على يده وقال لا اصافح النسا وروي انهن كن ياخذن بيده من فوق ثوب وفي المغا
عن ابان بن صالح انه صلى الله عليه وسلم كان في المبايعة يغمس يده في ما في اناء وتغمس
بايعته يدها فيه وقيل انه صلى الله عليه وسلم بايع النسا بواسطة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وكلام عايشة رضي الله عنها يقتضي انه عليه وسلم لم يبايعهن الا بالكلام
فلعله تعدد وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام اصدق
الناس لهجة رواه الترمذي في شمائله وتقدم بيانه لعصمته صلى الله عليه وسلم عن الكذب
ولو سهوا لمنافاته للابلاغ ووجوب تصديقه في كل ما يقول كما سياتي وقال في الصحيح
اي في الحديث الصحيح او في صحيح البخاري لانه حيث اطلق الصحيح انصرف اليه وهذا اولى
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل وتقدم ضبطه على الخطاب
والتكلم والكلام عليه الا ان الذي في البخاري في باب الادب ويلك بدل ويحك
وقد فرق بينهما فقال ويل كلمة زجر وتوبيخ وويح كلمة ترحم دون توجع وهو معنى قول
الاصمعي انها تصغيرها وقيل اصل ويل ويح فبدلت فيها اللام وقد تقدم انه صلى الله
عليه وسلم قال لمن قال ليست قسمتك بعدل وانه اختلف في اسمه وانه عبد الله بن ذي
الخويصرة التميمي او حرقوص بن زهير الخارجي او ذو الثدية وقدم الكلام فيه مفصلا
فتذكره قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا
اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه اعاد المص هذا الحديث
وقد تقدم بعينه لما فيه من عدالته صلى الله عليه وسلم وعفته فلا وجه للاعتراض
عليه والامران من امور الدنيا والمخير ان كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله وهو
الظ والمراد بالاثم ما يودي الى وقوع امته فيه لان الله لا يخيره صلى الله عليه وسلم
بين اثم وغيره كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم
عن العبادة وتوقعهم في المهالك وقد تقدم تفصيله قال ابو العباس المبرد وهو
وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام العربية وترجمته مشهورة في التواريخ وما نقله المص
هنا عنه انما ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره عليه الصلاة والسلام ومباينة حاله

لحال اهل الدنيا وما هم عليه من اللهو فلا يرد عليه ما قيل انه لا فائدة فيه قسم كسرى
ايامه بكسر الكاف وقد تفتح وهو كما تقدم اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو الا انه على كسرى
انوشروان الذى ولد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم لانه اشهرهم واعظمهم فقال يصلح
يوم الريح للنوم والتغطى حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع ويوم الغيم للصيد
الذى كان يتعيد به الملوك لعدم اذية الشمس وحرها ويقال له يوم فاحش وسبيل
ويوم المطر للشراب واللهو لقلة المصالح فيه والسلامة من البلل والنظافة من الزحل
والمراد باللهو سماع الغنا ومنادمة الندما ويوم الشمس للحوايج وروى يوم الصحو اى
خلو الجو من المطر والغيم والمراد بالحوايج مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس
او جمع حايجة وانكره بعض اهل اللغة وقدرده الجواليقى بانه ورد فى كلام الفصحا كثيرا وفى
الحديث اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه فلا وجه لانكاره كما فصلناه فى شرح الدرة
وانما اختير ذلك اليوم للحوايج لعدم المانع فيه وما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم
قال ولدت فى زمن الملك العادل كسرى فقد قال الحافظ السخاوى والسمعانى انه لا اصل له
فهو موضوع ولو صح لم يكن فى وصفه بالعادل باس كما توهم فانه كان لا يجور على احد من رعيته
ولا يظلمهم فى حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لا ينافى كفره وظلمه لنفسه لجهله ومحبته
للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته به ادعا منهم لا انه شهد له بالعدالة حقيقة وذكر
قصته توطية لقوله قال ابن خالويه بفتح اللام والواو وسكون المثناة التحتية والمحدثين
يضمون اللام مع سكون الواو وفتح اليا وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوى اللغوى الاديب
الهمدانى دخل بغداد ثم انتقل للشام وصحب سيف الدولة لتاديب اولاده واخذ العربية
عن ابى بكر ابن الانبارى والسيرافى وتصدر للافادة وله تاليف جليلة وشعر حسن ومات
بحلب ستة سبعين وثلاثمائة ماكان اعرفهم اى الفرس الدال عليهم ذكر كسرى بسياسته
دنياهم اى بتدبير امورها لان هذا معنى السياسة لغة قال فبينا نسوس الناس والامر امرنا
اذا نحن فيهم سوقة نتنصف وقول ابن كمال فى رسالة التعريب انه معرب خطا كما تقدم
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون يعنى انهم عرفوا امر دنياهم وكانهم
وحوكتهم وتقيدوا بذلك وغفلوا عن المعاد وما يليق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال
الشاعر ومن البلية ان ترى لك صاحبا فى صورة الرجل السميع المبصر فطن لكل مصيبة
فى ماله واذا يصاب بدينه لم يشعر ويقرب ماقاله المفسرون نقلا عن ابن عباس رضى الله
عنه انهم يعلمون امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون
ويبنون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزاء يعنى انهم قسموا اياما
ذكروا والنبى صلى الله عليه وسلم قسم اوقاته وهو اكثر حرصا لعدم ضياع جزء ووقت
من عمره فيما لا يعنيه وشتان بين القسمين والقسمين وفى نسخة لكن بدون واو جزا لله
اى لعبادة الله وتلقى وحيه وجزا لاهله اى لمصالح اهله وبيته وجزا لنفسه مخصوصا

بأكله وشربه ونحو ذلك من اموره الدنيوية وجزا فى المواضع الثلاثة يجوز نصبه ورفعه
وكذا روى ثم جزاءه بينه وبين الناس اى جعله قسمين قسما للخاصة نفسه وقسم الخاص
به قسم له فى نفسه وقسم ينظر فيه امور الناس وحوايجهم فكان صلى الله عليه وسلم
يستعين بالخاصة من اصحابه وهم خلفاؤه ووزراه رضى الله تعالى عنهم ومن يقرب منهم
على العامة من المسلمين ويقول للخاصة ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها اى اخبرونى
وتولوا الى ما يطلبه العوام ممن لا يقدر ان يبلغنى حاجته اما لعدم الجراة على كلامه لمهابته
صلى الله عليه وسلم او لعجزه عن الوصول الى ثم رغب فى ذلك بقوله فانه من ابلغ حاجة
من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وهو يوم البعث والحشر حيث
يكون الناس كلهم فى فزع اى خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف
الى النار وهذا من حديث هند بن ابى هالة وامنه بالمد بمعنى جعله فى امن من اهوال القيمة
وعن الحسن بن على رضى الله عنهما كما رواه ابو داود فى مراسيله كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد الاخذ مجاز عن العقوبة من اخذه السلطان اذا
حبسه وجازاه على ما صدر منه والقرف بفتح القاف وسكون الرا المهملة والفا التهمة
واسناد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبى يقال قرفت الرجل عبته واتهمته فهو مقروف
وفى نسخة بقذف بذال معجمة بدل الرا وكتب عليها صح ولا يصدق احدا على احد اى
لا يحكم بصدق مقالة صدرت من احد فى حق احد غيره باسناده اليه امرا يقتضى عقوبته
او حقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقاله وهذا من عدله عليه الصلاة والسلام
ولكن هذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره وينكشف
بنور النبوة جلية الحال له وذكر ابو جعفر الطبرى هو الامام محمد بن جرير الطبرى المشهود
وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته الاتى عن على كرم الله
وجهه عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشىء وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه
وانما اعاده المص لغرض اخر وهو بيان عفته صلى الله عليه وسلم عن اللهو وان الله
عصمه عن ذلك من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم تذكر اولا وهى قوله غير
مرتين الخ مما كان اهل الجاهلية يعملونه كما تقدم بيانه غير مرتين كل ذلك يحول الله
بينى وبين ما اريد من ذلك استعار الحائل الحاجز بين شىء وشىء للمانع كما فى قوله
تعالى يحول بين المرء وقلبه قال ابو عبيد اى يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك
الثانى اشارة لما كان عليه اهل الجاهلية والمعنى انه عصمه صلى الله عليه وسلم
عنه ثم ما هممت بسوء اى صرف الله قلبى عن ان يهم بسوء اى بقبيح شرعا كاللهو
حتى اكرمنى الله برسالته اى حتى من الله على بالبعثة وجعلنى نبيا رسولا ثم بين ما هم
فى المرتين فقال صلى الله عليه وسلم قلت ليلة لغلام كان يرعى معى يعنى انه
صلى الله عليه وسلم كان يرعى غنما لبعض قريش فى صغره وهكذا كان الانبيا عليهم

الصلاة والسلام يرعون لغيرهم ايضا والغلام كان اجيرا ايضا ويرعى معه وانه
فى البادية وفى هذا وفى هذا تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم
راع ومسؤل عن رعيته مع ما فيه من الانس بالوحدة والخلوة وفى الحديث ما من نبى
الا رعى الغنم ولا انت يا رسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط بمكة وقيل حكمته
ان الغنم جاهلة صعبة السياسة فكان ليانس بسياسة الخلق والقراريط جمع
قيراط وهو سدس درهم وقيل انه اسم جبل بمكة وانكره لانه لم يسمع به ثمه وفى
الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط فيه قيل انه
انه بهذا المعنى وقيل انه نشاب بينهم وقيل غير ذلك وعندى انه بمعنى مقدار الارض
المعروف بينهم فى المساحة لانه مخصوص بها واما غيره فلا اختصاص له بها وفى هذا
معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله لو ابصرت غنمى لى اى لو حرستها
وحفظتها لان البصر والنظر يستعار لذلك حتى ادخل مكة فاسمر بها سمر يسمر كقتل يقتل
والسمر التحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر من السمرة وهى السواد القليل فسمى به
حديثهم ليلا لجلوسهم له فيه قال كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة
سامر كما يسمر الشباب به والشباب بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمع له
كالقعود والشاب حديث السن كالفتى فخرجت من البادية التى فيها الغنى حتى اذا جئت
اول دار من مكة غاية لمجيئه من لوعى سمعت فيها عزفا بمهملة وزاى معجمة وفا بزنة ضرب
وهو ما يلهى به الانسان وفى مختصر العين العزف اللعب بالمعازف وهى الملاهى وواحدها
عزف على خلاف القياس او معزف والمعزف الطنبور او الدف وقيل كل لعب عزف بالدفوف
جمع دف بضم اوله وفتحه وتشديد الفا وهو الذى يضرب به النسا وهو معروف ويسمى
عند العامة درداجا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال كان فى الدف الذى يفصله نمارد
بغير جلاجل والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر ما يلعبون به والذين يلعبون فضرب
على اذنى فنمت بكسر النون واذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله على اذنه ان
يغشاه النوم واصله منع السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة
العظيمة المعطية لمن تحتها فكان اذانهم تحت غطا محجوبة عن السمع قال الراغب ضربت
عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على اذانهم فى الكهف
وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه صيانة من الله له صلى الله
عليه وسلم فما ايقظنى الا مس الشمس اى حرها فكانها مسته حتى حرقته وجسته
حتى نبهته ففيه استعارة ولطف كما فى قول ابن المعتز والريح تجذب اطراف الغصون كما
اقصى الشفيق الى تنبيه وسنان وكما قيل غنت تحت اذيالك النسيم حتى الفت على الشمس
رداها فرجعت من المكان الذى ضرب فيه الدفوف ولم اقض شيئا من قضى وطره اذا كان نهاره
يعنى انه صلى الله عليه وسلم جلس قبل تعاطيهم اللهو فغلبه النوم حتى لم يسمع شيئا من ذلك

لعصمة الله له صلى الله عليه وسلم ومجرد همته بذلك وارادته لا حرج فيه والفاشاهد

بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شئ من ذلك وكونه محرما فى شرع من قبلنا وهو صلى الله
متشرع به غير مسلم واعلم ان المعازف حرام فى ملتنا للنهى عنها فى الاحاديث المشهورة كقوله
صلى الله عليه وسلم ليكونن فى امتى اقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف فى بعضها
فمنهم من جوز الدف فى العرس ومنهم من جوز ضرب العود لتسلية الاحزان كالماوردى وكان
الاستاد الشيخ محمد البكرى رحمه الله نفعنا به يقول عطروا مجلسنا بالعود الماوردى
لكنه قول ضعيف وفى منظومة الدميرى رحمه الله ونغمات العود فى الالحان قالوا تزيل
اثر الاحزان فاجزم على التحريم اى جزم والحزم ان لا تتبع ابن حزم فقد ابيحت عنده الاوتار
والعود والطنبور والمزمار ثم عرانى اى طرا على وعرض لى وغشينى مرة اخرى فى وقت اخر مثل
ذلك من الهم بالسماع والذهاب له ثم لم اهم قال الشمنى هو بضم الها وعليه اقتصر الجوهرى
رحمه الله بعد ذلك بسوء اى عاقبه اثم فسماه سوا لانه يكرهه ويولمه فصل واما وقاره صلى الله
عليه وسلم اى سكونه وطمانينته ورزانته يقال وقر يقر وقارا ووقارا وفسروه هنا بالحلم
وهو غير مناسب هنا كما لا يخفى ويجئ الوقار بمعنى العظمة كما فى قوله ما لكم لا ترجون لله
وقارا واصله من الوقر وهو الثقل وصمته اى سكوته وهو من الوقار وتؤدته بضم
التا الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة وهى التانى يقال اتاد فى فعله اذا تلبس ولم يعجل
وتاؤه منقلبة عن واو وحسن هديه بوزن ضربه بمعنى سيرته وطريقته وسمته
وسلوكه فحدثنا ابو على الجيانى بالجيم وتقدم ضبطه وترجمته الحافظ اجازة قال
ابن فارس فى مجمله وهى من جواز الماء الذى تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا
فاجازنى اذا سقاك الماء لارضك وماشيتك قال القطامى وقالوا فلان قيم
الماء فاستجز عبادة ان المستجيز على قترا اى على ناحيته وجزت الموضع سرت فيه وتجزته
خلفته واجزته بعدته قال امرؤ القيس ولما اجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى
قفاف عقنقل وقوله حتى يقال اجيزوا ال صوفا انما يريدون بانهم مجيزون الحاج انتهى
قال ابن الصلاح قلت فللمجيز على هذا ان يقول اجزت فلانا مسموعاتى او مروياتى فيعديه
بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية ونحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل
الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول اجزت لفلان
رواية مسموعاتى مثلا ومن يقول منهم اجزت له مسموعاتى فعلى سبيل الحذف الذى
لا يخفى نظيره انتهى اقول اعلم ان اصل الاجازة فى كلام العرب قديما كما ذكره اهل
اللغة الاذن فى الانصراف ولما كان من ياخذ عن شيخه ينصرف عنه اخذت منه
كما يقتضيه الاستعمال وكلام اهل اللغة قاطبة لانها من جاز المكان اذا تجاوزه
ومر عليه ثم عديت بالهمزة للمفعول الثانى وقد تقتصر على احد مفعوليه لانه من باب
كسا ومعنى اجازه اذن له فى الجواز والمرور ثم استعمل فى مطلق الاذن وشاع

حتى صار حقيقة فيه فمعنى اجازة الشيخ اذنه فى الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته
وكذا الجائزة بمعنى العطية ليست محدثة كما قاله الحافظ ابن حجر الا انه يحتمل انهما من هذا
لان المعطى كانه ياذن لمن اعطاه فى الانصراف عنه ولا يختص بالمال كما يوهمه كلام المجمل
المتقدم وهو الذى عزا ابن الصلاح فقوله ماخوذه من جواز الماء لا وجه له بل
من اجازه اذا جعله جايزا ثم نقل لمعنى اذن له وكذا قوله وقد تبين انه تجوز به عن معنى
لفظ اخر وما بينهما مخالفة فى التعدية فيجوز حمله على حقيقته وعلى مجازه فلك
حينئذ ان تعديه لمفعولين ولك ان تعديه لو احدهما بحرف وبدونه ويحمل على اذن واجاز
من غير تكلف وعارضت بكتابه اى قابلت نسختى بنسخته حال العراة لان يقال
عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين فى مصطلح الحديث فالمعنى نسخته به
قراة منه وهو مقابله فى يده كتابه قال حدثنا ابو العباس الدلالى بكسر الدال
المهملة مشددة وتخفيف اللام المفتوحة ثم الف ممدودة ويا مشددة ووجد
فى بعض النسخ مضموم الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها يا نسبته انتهى والظاهر
انه مفتوح الدال وهو صاحب الدلو وهو ابو العباس احمد بن انس العذرى المعروف
بابن الدلاء من مدينة يا لنسبة قال اخبرنا ابو ذر الهروى تقدمت ترجمته وهو عبد الله
بن احمد بن محمد الهروى قال اخبرنا ابو عبد الله الوراق ابو الحسن عبد الله محمد ابن على الانطاكى
المعروف بابن الفنور الوراق قال حدثنا اللؤلؤى ابو على محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية
السنن عن ابى داود قال حدثنا ابو داود سليمان بن اشعث صاحب السنن الامام الحافظ
المشهور قال حدثنا عبد الرحمن بن سلام بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد
الرحمن نسب اليه وابو محمد بن سلام البغدادى الثقة روى عنه ابو داود والنسائى وقال الاباس
قال حدثنا حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن ابى الزناد هو الاعور المصيصى الحافظ الثقة
اخرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابن حزم توفى سنة اربع وستين ومائة عن عمرو بن
عبد العزيز بن وهيب ويقال بالهمزة وهو بدل قياسى وانصارى مولى لزيد بن ثابت وهو
يروى عن خارجة واخرج له ابو داود فى المراسيل هذا الحديث وقال الذهبى لا يعرف من هنا
كما فى الميزان سمعت خارجة بن زيد هو خارجة ابن زيد بن ثابت الانصارى المدنى التابعى
احد فقها المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد
عبيد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وفى السابع اقوال
فقيل هو سالم بن عبد الله بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وقيل ابو سلمة بن عبد الرحمن وقيل
ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ثم ان الفقها بالمدينة وان كانوا كثيرا فانما
خص هولا لاجماع الناس على رايهم وانتهابهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل وانه لاح حتى
كان لا يقضى بحكم حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان اسماهم اذا علقت
على محموم برى واذا وضعت فى الترلم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل فى قوله

الاكل من لا يقتدى باية فقسمته مينرى عن الحق خارجه فخذهم عبيد الله عروة قاسم
سعيد ابو بكر سليمان خارجه وهذا الحديث من مراسيل ابى داود يقول كان النبى صلى الله
عليه وسلم اوقر الناس فى مجلسه اى اعظمهم وقارا اذا برز للناس وجلس معهم بخلاف
ما اذا خلا مع اهله او مع خاصته فانه ينبسطه ويلاطفهم يعنى ان هذا كان عادته
ودابه صلى الله عليه وسلم بحيث لا يصدر عنه خلافه وكان وان كانت بحسب
الاصل مخلو ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار
نحو كان حاتم يقرى الضيف لقرينة شانيه وتكرثه عند بعض الاصوليين معنى لها
ولم يحققه احد كابن جنى فى كتاب الخصايص فان اردته فانظره لا يكاد يخرج شيء
من اطرافه اى اطراف بدنه كرجليه ولا يكاد يخرج فيه مبالغة اى لا يخرج ولا يقرب
من الخروج ولذا عدل عن لا يخرج وهو اخصر ويخرج بفتح اوله مضارع خرج يخرج كقتل
يقتل وشيء يفتله وشى فاعله او بضمه مضارع اخرج وشيا مفعول الا ان جل النسخ
على الاول وروى ابو سعيد الخدرى هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله
عنه وقد تقدم كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وكذلك
كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وفى رواية بثوبه بدل بيديه والاحتبا با
لحا المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه او عمامته ونحوه والحبوة بضم الحا وكسرها
ويقال حبيه وحبيه ايضا ويقال الاحتبا حيطان العرب لانهم اهل براري لا حيطان
لهم يستندون لها فالاحتبا قايم مقامها وليس هذا معارضا لما ورد فى الحديث من انه
صلى الله عليه وسلم نهى عن الاحتبا فى ثوب واحد اذ النهى فيه لم يرد عن الاحتباء وانما
ورد عن كونه فى ثوب واحد لانه ربما تحرك فيزول الثوب وتنكشف عورته واما قوله
واذا احتبى قد يوسه بعنانه علك الشكيم الى انطرفا الزاير فاستعانه وعلى عن
الاحتبا يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يودى الى النوم وهذا الحديث رواه ابو داود
والترمذى فى شمائله وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه رواه مسلم وابو داود انه
صلى الله عليه وسلم تربع اى جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركيه ويمد ركبته
اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره وركبته اليسرى الى جانب يساره
وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا فى خارج الصلاة كما فى الحديث كان صلى الله
عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع الشمس وهو فى الصلاة كما صرح به
الفقها واما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض فقهائنا انها جلسة الجبابرة
مع فعله صلى الله عليه وسلم لها فيه نظر وربما جلس القرفصا بضم القاف والفا
ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على الييه كجلوس المحتبى بيديه من غير
احتبا كما يدل عليه ما بعده وقال الفرا اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت
وهو اى جلوسه صلى الله عليه وسلم القرفصا ورد فى حديث قيلة بفتح القاف

وسكون المثناة التحتية ولام نبت مخرمته العنبرية كما في المغني وقال الشمني العدوية
وقيل العترية وهو الصحيح وفي حديثها انها رات رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
وهو قاعد القرفصا وفي رواية فلما رات رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع
في الجلسة ارعدت من الفرق وليس هذا في رواية الترمذي ومسلم التي ذكرها المص
وفي كلامه اشارة الى ان زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالروية بصرية وان كان
مفعولا ثانيا فهي علمية ورعدتها من هيبته صلى الله عليه وسلم لا من تخشعه وكان
صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة تدعوه للكلام ولم يكن يسرد
الحديث بعجلة ليفهم عنه وهذا مروي عن عايشة رضي الله عنها يعرض عن من تكلم بغير جميل
لا يرضاه فيعلم باعراضه عنه انه غير مرضي له صلى الله عليه وسلم وهذا من وقاره ايضا
وليس المراد به ان يكون حراما كما قيل لانه صلى الله عليه وسلم لا يقر على مثله وكان ضحكه
تبسما بدون قهقهة لشدة وقاره صلى الله عليه وسلم والضحك انبساط الوجه حتى
يظهر منه السرور ويبدو الثنايا فقط واما ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم ضحك
حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لزيادته فيه على ما عهد منه او هو نادر لا يعتد به
وكلامه فصل بفا وصاد مهملة اي فاصل بين الحق والباطل ومفصل لتمهله فيه قال
تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل لا فضول مصدر اي لا زيادة فيه وقيل انه في الاصل
جمع فضل غلب على الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل في النسبة له فضولي ونسب للجمع ولا تقصير
فيه حتى يخل بفهم السامع وكان يضحك اصحابه عنده صلى الله عليه وسلم التبسم توقيرا له
صلى الله عليه وسلم واقتداء به لتخلقهم باخلاقه وتاديبهم باداب مجلسه مجلسه مجلس حلم
بكسر الحا وسكون اللام وفي نسخة حكم بضمها مع الكاف وحيا منه ومن اصحابه وخير لاحسانه
ولطفه وتعليمه وامانة يامن المتكلمون فيه على اسرارهم فلا ينقل منه ما لا يحبون
افشاءه كما ورد في الحديث المجالس بالامانة لا ترفع فيه اي في مجلسه الاصوات لادبهم
وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي واسكونه وقع مثله بحضرته في قصة الافك فنادر لا يعتد به ولا تؤبن
فيه الحرم بضم المثناة الفوقية وهمزة ساكنة وتبدل واوا وترن من ابنه يابنه اذا عابه
ورماه بقبيح اصله الابنة وجمعها ابن لعقدة في القسي تفسدها وتعاب بها ووقع في بعض
الحواشي توبر بالدال النون وفسر بما ذكر على انه ماخوذ من المآبر التي واحدتها ميبرة اوس
ابرة العقرب اذا لدغته بابرتها وهي اخر عقد ذنبها وهو تصحيف كانه وجد في بعض النسخ
فاتبعه والمذكور في كتب اللغة كالنهاية والجوهري وغيرهما هو الاول وصحح بن فارس
في المجمل بان الحديث مروي هكذا والحرم جمع حرمة وهي كل ما يحرم هتكه واما استعماله
بمعنى المراة فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراد بها هنا النسا لانه ورد
في الحديث نهيه صلى الله عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء وفي حديث الافك

دبلى

اشيرواعلى

اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي انتهى يعني انه محفوظ من الرفث ولغو القول فهو من وقاره ايضا
لقوله اذا تكلم اطرق جلساوه اي طاطوا روسهم توقيرا له صلى الله عليه وسلم
بضمتين لكلامه كانما على روسهم الطير وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش
لان الطير لا تكاد تقع الا على شي ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون مغروسة
في رياض مجلسه كما قال في البردة كانهم في ظهور الخيل نبت ربا من شدة الحزم
وقلت في المقصورة كانما الطير على روسهم من كل غصن في ربا المجد غنا والطير
جمع او اسم جمع لطاير وهو معروف وفي صفته صلى الله عليه وسلم في مشيه
وهو خبر مقدم وقوله يخطو تكفؤا مبتدا لانه اريد به لفظه فهو كقوله لا حول
ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة اي قيل في وصفه هذا ويخطو مضارع خطا
المعتل اذا مد رجله ومشا والخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة وتكفا بفتح
المثناة والكاف والفا مضمومة مشددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى
مال الى قدام والاصل فيه الهمز وبه روي فان اعل كسرت الفا وكان بالياء كتسمى تسميا
وقال شمر معناه مال يمينا وشمالا كتكفي السفينة والصواب تفسيره بما مال الى جهة ممشاه
كما وقع يدل عليه قوله كانما ينحط من صبب اي من علو لا تمايل فانه غير مناسب وقد ورد
في حديث ابن ابي هالة انه صلى الله عليه وسلم ذريع المشية اذا مشى مشيا تقلعا اي
يرتفع عن الارض بجملته وروي تقلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو دال على التثبت والشجاعة
وهكذا كان اولو العزم عليهم الصلاة والسلام ويمشي هونا بفتح الهاء وسكون الواو
اي برفق ولين من غير تمايل مع الترفق والتثبت قال تعالى يمشون على الارض هونا قال
مجاهد بالسكينة والوقار كانما ينحط من صبب بفتحتين اي ينزل من صبب وهو الموضع
المنحدر وفي رواية كانما هو من صبوب بالضم والفتح وهو ما يصب من ماء ونحوه اي لم
يكن صلى الله عليه وسلم يستعجل واما قول ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا
اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كنا نجهد انفسنا وهو غير مكترث فانما
هو لسعة خطوته صلى الله عليه وسلم حتى لا يلحق مع تثبته وتمهله وفي الحديث الاخر
اذا مشى مشيا مجتمعا اي ينقل اعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لراسه
الشريف وبدنه فهو صلى الله عليه وسلم في مشيه قوي غير مترخ يعرف في مشيته
بكسر الميم وفتحها انه غير غرض بفتح الغين المعجمة وكسر الرا المهملة والضاد المعجمة
اي غير قلق ولا ضجر ولا ملل ولا وكل بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذي
يكل امره لغيره وحكى شمر فيه كسر الكاف كما قاله التلمساني والنجي وهو انسب هنا
لموازنته لما قبله وفسره بكسلان وقوله اي غير ضجر ولا كسلان بعينه فان ظاهره
انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلق والكسلان
من الكسل وهو الفتور وعدم النشاط من الغم ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون

غرض بمعنى سباق كقوله انى ضجرت الى تناصف وجهها غرض المحب الى الحبيب الغايب وليس
بمراد هنا وقال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه رواه البخارى واصحاب السنن ان
احسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم والهدى بدال مهملة بوزن الرمى السمت
والسيرة والطريقة والحالة التى يكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود
فله حكم المرفوع وكذا ساير الاحاديث المتعلقة بالشمايل فان مثلها لا يقال من قبل الراى
وقد روى مرفوعا ايضا وكان ابن مسعود رضى الله عنه اشبه الناس هديا بهدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذا عمر ابنه رضى الله عنهما فلذا كان الصحابة رضى الله عنهم يتشبهون
فى هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن فرفول
وروى بضم الها وفتح الدال ضد الضلال وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما اخرجه
ابو داود والامام احمد فى الزهد كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل
او ترسيل كذا فى النسخ باو واشارة الى انه روى بكل منهما على حدة وفى المصابيح بالواو
لتقارب معناه فالعطف تفسيرى فلا منافاة بينهما كما قيل اى يبين الكلام من غير
عجلة وغموض حتى يسبق فهم السامع وقيل الترتيل التبيين والترسيل التؤدة فالترتيل
من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان قال ابن ابى هالة المتقدم ترجمته كان سكونه
صلى الله عليه وسلم على اربع اى يقع على اربع خصال منه على الحلم اى يسكت تارة لحلمه
على من تكلم عنده بما يقتضى المواخذة والحذر اى الاحتراس من كلام ربما ادى لامر يخشى
منه والتقدير اى تقدير صلى الله عليه وسلم فى نفسه وسكونه ما يليق به وبغيره
والتفكر فى مصنوعات الله ونحو ذلك قالت عايشة رضى الله عنها كما رواه الشيخان
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه
اى لو اراد عده عده بسهولة او لو عده حصره بحيث لا يفوته منه شىء لقلته وتثبته
وعدم سرعته فيه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة الطيب
كل ما يتطيب به من بخور ومسك وزعفران ونحوه والرايحة الحسنة تشمل رايحة
غيره كالريحان وساير الزهور العطرة ولذا كان صلى الله عليه وسلم لا يرد هدية
ويستعملهما كثيرا فى اكثر اوقاته لملاقاة الملك فانهما تقوى الحواس والملايكة عليهم
الصلاة والسلام يحبها وتكره الرايحة الخبيثة بعكس الشياطين ويحض عليهما
بضمير التثنية للطيب والرايحة وفى نسخة عليها فالضمير لها لانها المقصود من الطيب
لا لانها اعم كما قيل لتغايرهما اى كان صلى الله عليه وسلم يحث الناس ويحرضهم على استعمال
ذلك لما لهم فيه من الفوايد ولحضور الملايكة الحفظة والكتبة عندهم ولملاقاتهم
له بما يحبه ومن مروة الانسان نظافته وطيب رايحته ويقول حبب الى من دنياكم
النسا والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ
ثلاث الموجودة فى التفاسير غير ثابتة عن اكثر المحدثين وما فى عطف جعلت فان جنه

النساء

النساء من هدى الانبيا عليهم السلام كداود وسليمان وكان فيه صلى الله عليه وسلم
من قوة الجماع وشدة البطش وكان فيه صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا من رجال
الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة رجل من اهل الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه عليه الصلاة
والسلام وهذا الحديث اخرجه اصحاب الكتب الستة انما وكان اكثر طيبه عليه الصلاة
والسلام الذريرة وهو طيب يجىء من الهند معروف مركب وتقدم انه قال حبب بالبنا
للمجهول لان تلك المحبة جعلها الله فيه طبيعة لا شهوانية وعلى تسليم رواية ثلاث
اما ان يكون اكتفى باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب والعرب
تفعله كقوله كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها او الثالث
الصلاة وقرة عينه صلى الله عليه وسلم فيها وجعلها من الدنيا لوقوعها فيها ويكون
تغيير العبارة اشارة لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع فى بعض النسخ
هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم ومر الكلام فيها وانها ليست ثابتة وان اثبتها
الزمخشرى والغزالى فى الاحيا وكذا المص تبعا لهم وقد افردنا هنا الحديث بتعليقه
مستقلة والحديث رواه ايضا النساى كالحاكم بلفظ حبب الى من دنياكم النساء
والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة من هذا الوجه اخرجه احمد وابو يعلى فى مسنديهما
وابو عوانة فى مستخرجه والطبرانى والبيهقى واخرون كالحاكم فى مستدركه بسند
جيد بدون لفظ وجعلت وقال صحيح على شرط مسلم واخرجه ابن عدى فى كامله
وقال العقيلى انه ضعيف ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ فى الطعام
والشراب المروة من المرء وهو الانسان فهى بمعنى الانسانية ومعناها التلبس بما يليق
بالرجال وترك ما يخل به فارتكاب ما يكرهه الصاحب مخل بالمروة والنفخ فيما ذكر
ما للتبريد او ازاحة قذر على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله او يكون
النفس متغيرا فيؤثر فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر واماطة ما عليه بارفقة
وخلال ونحوه ولذا نهى عن التنفس فى الاناء حال الشرب واما ما ورد من انه عليه
الصلاة والسلام كان يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع
الشرب وينحى الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع فى الشرب وقد ورد
ان النفخ فى الطعام يذهب البركة منه كما ورد ابردوا الطعام فان الحار لا بركة فيه
وفى لفظ غير ذى بركة وليس المراد بابراده نفخه حتى يبرد بل تركه باردا بان يصبر عليه
حتى يبرد فلا منافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه لا يلتذ بمضغه وبلعه او انه
لشدة حرارته ينهضم سريعا فلا يشبع شبع غيره ومروته صلى الله عليه وسلم الامر
بالاكل مما يلى كل احد من الطعام لحديث عمر بن ابى سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لان امه ام سلمة رضى عنها
زوجته صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى رسول الله

صلى الله عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك اى لا من الوسط ولا مما يلى غيره فهذا
امر منه صلى الله عليه وسلم بذلك وورد مثله فى احاديث اخر وقال ايضا تنزل البركة
فى وسط الطعام فكلوا من حافته او من حاشيته وهذا امر ندب وذهب بعض
الشافعيه الى انه للوجوب وقال الشيخ تاج الدين السبكى من الفوايد الفقهيه فى هذه
فى هذه المسئلة التى لا تكاد تعرف لان الشافعى نص فى الام فى الجزء السادس عشر
فى باب النهى عن اكل الانسان مما يليه واجب ولو لم يفعله اثم ان كان عالما بالنهى
ولعله اذا علم عدم رضا صاحبه وجليسه بذلك قيل وهذا اذا لم يكن الاكل من ذلك
بقصد التبرك بمس يده وعليه حمل ما فى حديث الدبا انه صلى الله عليه وسلم جعل يتتبعها
وهو ايضا فى غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ منها من اى جانب قال بعض المدققين
واليه الاشارة بقوله وفاكهة مما يتخيرون ومنه لطف خفى والامر بالسواك امر ندب
وشد بعض الشافعيه فاوجبه للصلاة والسواك اسم للعود الذى يستاك به وللفعل
وهو الاستياك والمراد الثانى او الاول بتقدير مضاف اى استعمال السواك وعده
من المروة لما فيه من النظافة وطيب رايحة الفم وانقا بكسر الهمزة وسكون النون وقاف
بعدها مدة من انقاه اذا نظفه كنقاه البراجم بالموحدة وراء مهملة والف وجيم جمع برجم
او برجمة بضم البا والجيم وهى مفاصل الاصابع التى بينها والسلاميات من ظهر الكف التى
ترتفع اذا قبض الانسان كفه فهى المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هى مفاصل
الكف كلها والاجمع جمع اشجع وهى اصول الاصابع المتصلة بالكف والرواجب براء مهملة
وواو والف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس وقيل جمع روجبة بضم فسكون
على خلافه وهى المفاصل التى تلى الانامل وقيل هى مفاصل اصول الاصابع وقيل قصب
الاصابع وقيل السلاميات وقيل مفاصل الاصابع وواحد السلاميات سلامى
بضم السين وفتح الميم مقصورة وتفصيله فى كتاب خلق الانسان وجزم البرهان
الحلبى بان البراجم العقد المتشنجة فى ظهور الاصابع قال وهى مفاصلها ونقل عن ابى عبيد
ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهى اللايق بكلام المصنف فينزل عليه
لا على ما فى الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التى بين الاشاجع والرواجب وهى رؤس
السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت والراجبة
فى الاصابع واحدة الرواجب وهى المفاصل التى تلى الانامل ثم البراجم ثم الاساجع التى
تلى الكف انتهى لئلا تكون المفاصل التى تلى الكف خارجة اذ هى على ما فيه غيرها وعند
ابى عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تنقى كما تنقى التى بين الانامل والتى بينهما كما قيل
واستعمال خصال الفطرة الخمس فيما رواه الشيخان الختان والاستحداد اى حلق العانة
بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد مسلم رحمه الله المضمضة
واعفا اللحيه والاستنجا وابو داود الانتضاح وزاد غيره عن ابن عباس رضى الله

ابن الحنبلى

عنها

315

عنهما فرق الناس كما تقدم تفصيله المغنى عن اعادته والفطرة بكسر الفا معناها الخلقة
كما قال فطرة الله التى فطر الناس عليها والمراد السنة التى امر بها النبى صلى الله عليه وسلم
كما مر فصل واما زهده صلى الله عليه وسلم فى الدنيا الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها
رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول
الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واسامى الزهد
وصف اولياء الله به فضلا عن انبيائه عليهم الصلاة والسلام لان الدنيا لا تساوى
عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة وسايل الاعظم ملوكها بعض منها بل اقل
قليل من باقيها فعنده معنى الزهد ترك ما يرغب نفسه فيه فمن لا رغبة له فى شى منها
لا يسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا او يترك ما من شانه ان يرغب فيه والى
هذا اشار الغزالى فى الاحيا فمن وصفه باعلى طبقات الزهد نظر الى الاول وجنح الى انه
من مقامات الكاملين فله منه الحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولا يرضى وصفه به نظر
الى الثانى واما طلبه صلى الله عليه وسلم للدنيا الضرورية فى المعاش فليس لرغبته
فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن ادا حق العبودية فلا ينافى الزهد ايضا واليه
يشير صاحب البردة بقوله واكدت زهده فيها ضرورته ان الضرورة لا تعدو على العصم
ومن شرط الزهد ايضا العقد وقال ابن المبارك لما قيل له يا زاهد الزاهد عمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها فائدة قال ابو يزيد البسطامى
بفتح البا قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال ما علامة الزهد عندكم فقلت اذا فقد
ناصبرنا واذا وجدنا نشكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ قلت فما الزهد عندكم
قال اذا فقدنا نشكرنا واذا وجدنا اثرنا فقد تقدم من الاخبار التى فى صفاته فى اول الباب
فى اثناء اى فى خلاله وما بينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة
ومعناه ما انثنى ودخل بعضه فى بعض هذه السيرة اى هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته
صلى الله عليه وسلم والمراد سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته ما يكفى طالب
سيرته ويغنى عن اعادته هنا وحسبك من تقلله اى يكفيك فى معرفة تقلله اى قنعه
بالقليل منها اى من الدنيا لزهده عليه الصلاة والسلام فيها واكتفائه فى ضروريايه
بالامر الزهيد القليل وهذا الاتيان فى زهده واعراضه عن زهرتها اصل معنى الزهرة
النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات ويسكن الثانى اى بتركه
تركه صلى الله عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته فى الابتعاد
من حرصك يا لعناكم تشتغل والعمر مضى فما يفيد الامل ما زهرة هذه الحياة الدنيا
للفرك بامل المنا تحتمل وقد سيقت اليه اى ساق الله اليه صلى الله عليه وسلم
الدنيا مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكن منها بحذافيرها اى بجملتها
وكليتها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره اى جميعه بحيث لم يبق منه شى

جمع حذفورا وحذفار وهو الناحيته وفي النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالي فكنى به عما
ذكروه اشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله عليه وسلم فيها ليس بعجزه عن تحصيلها
بل هو مع غاية القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم وترادفت
عليه فتوحها اي تتابعت وتوالت فاتته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الغنايم والاموال
والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد توسع فيها وانفق واقتطف زهرتها فلم يرض
واكتفى باقل قليل منها والجملتان حاليتان او معترضتان هي المبتدا وخبره افادتا كمال
زهده فزهده ابلغ زهد واتم عفاف اي كافيك مما ذكر حال حصول ما ذكر الى ان توفي
بالبنا للمجهول اي حضرت وفاته عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي اي والحال
هذه والدرع معروفة تذكر وتونث والاكثر تانيثها واليهودي كان يسمى ابا الشحم من ظفر
من موالي الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها وانما عامله
صلى الله عليه وسلم ولم يطلب من الصحابة رضي الله عنهم واعلمهم بضرورته وهبوه ذلك
ولم يرضوا باقتراضه منهم فاخفى حاله مع ما فيه من بيان جواز معاملة الكفرة واهل
الذمة في نفقة عياله في للتعليل كقوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار في هرة
عذبتها والعيال اهل البيت ومن تلزمه نفقته والذي اقترضه صلى الله عليه وسلم ثلثون
صاعا وروي عشرون صاعا من الصغير وكان في حال اقتراضه وهو يدعو يقول كما
رواه الشيخان اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا القوت كل ما يتقوت به الانسان من الطعام
اي اجعله بمقدار ما يسد الرمق من غير زيادة وقد استشكل هذا بانه صلى الله عليه وسلم
مات وله حصون واراض وعنده مما افا الله عليه ارض خيبر وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك
يكون صلى الله عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن درعه على اصوع شعير واجاب عنه
ابن الصلاح في فتاواه بانها كانت معدة لنوايبه موقوفة ولذا لم تورث عنه وقال انا لا نورث
ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان في ملكه وقد اعده لمصالح المسلمين واخرجه ما يحصل
منها في ذلك والفقرا يدخلون الجنة قبل الاغنيا بخمسماية عام فاختار صلى الله عليه وسلم
الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوز ان يقال في حقه عليه الصلاة
والسلام انه فقير كما مر واقول هنا دقيقة وهي ان رياضة النفس بالجوع تصفي الذهن
وتقوي الروح وتجعل النفس قديسه ملكية وقد كان اهل الملل يتعبدون بذلك ولما لم
يكن في الدين المحمدي لما فيها من الحرج فعل ذلك صلى الله عليه وسلم واختاره لنفسه خاصة
وابرزه بصورة الفقر لئلا تقتدي به امته فيه وتحسنه لذلك طلبه من الله له ولاهله
فافهمه فانه دقيق جدا حدثنا سفيان ابن العاص هذا الحديث رواه مسلم والبخاري
وسفيان هنا هو ابن سكنة لان المص سمع منه صحيح وليس هو الفساني لانه لم يسمع
منه وانما روى عنه بالاجازه والحسين ابن محمد الحافظ بن عيسى قاضي سبتة شيخ المص
احد الاعلام وقد اكثر المص الرواية عنه توفي في جمادى الاخرة سنة خمس وخمسماية

والقاضي

والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر وقد تقدمت ترجمتهما قال حدثنا ابو العباس
الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي بفتح الجيم نسبة لقرية بافريقية وقيل بالشام وقيل انه
بضم الجيم وقد تقدم قال حدثنا ابن سفيان ابو الحسين بن الحجاج مسلم صاحب الصحيح وقد
تقدم هو ومن قبله قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة تقدم ترجمته قال حدثنا ابو معاوية
محمد بن حازم بمعجمتين الضرير الحافظ احد الايمة الاعلام الا انه كان مرجيا روى له
الستة وتوفي سنة خمس او اربع وتسعين وماية وترجمته مفصلة في الميزان عن الاعمش
ابو محمد سليمان بن مهران الكاهلي احد الاعلام روى عن انس وابن ابي اوفى وغيرهما
وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون نحو الف وثلاثماية حديث وعاش ثمانيا وثمانين
سنة ومات في ربيع الاول سنة ثمان واربعين وماية واخرج له الستة وترجمته
في الميزان عن ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعي الكوفي الفقيه
الزاهد راس عصره راى عايشة رضي الله عنها واخرج له الستة وتوفي سنة ست
وتسعين عن الاسود بن يزيد النخعي العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر جلده
وكان يختم القران في كل ليلتين وتوفي سنة اربع وخمس وسبعين وهو ثقة
اخرج له الستة عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة ايام تباعا اي متتابعة متوالية من خبز بر كان او شعيرا وفي نسخة
من خبز بر حتى مضى لسبيله اي حتى توفي لان الموت طريق يسلكه كل احد واول منزل
منه القبر وفي رواية اخرى رواها البخاري من خبز شعير يومين متواليين ولو شا الدنيا
وترفها ونعيمها لاعطاه الله عز وجل ما لا يخطر ببال القلب والعقل والفكر
وخطر يخطر بضم الطا وكسرها خطورا اذا ذكر وتصور اي يعطيه منها كل امر
نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمه وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف
وفي رواية اخرى رواها مسلم ما ترك اي ما خلف تركة رسول الله صلى الله عليه
وسلم دينارا ولا شاة ولا بعيرة وفي رواية ولا شيا ولذا قال عبد الله بن ابي
اوفى ما اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته لانه لا مال له عنده يوصي به وانما
اوصى بكتاب الله وادعا الشيعة انه اوصى ان عليا كرم الله وجهه وهي لا اصل له
ولا لم يثبت وفي رواية في الصحيحين ما شبع ال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز حتى لقي الله عز وجل وفي البخاري ما شبع ال محمد منذ قدم المدينة من طعام
بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقا الله وفيه روايات كثيرة متقاربة المعنى
وانه ما جمع بين غدا وعشا وفي رواية من خبز وزيت وفي رواية ما اكل اكلتين في يوم
قيل وهذا مشكل بما ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع لاهله قوت سنة
وانه ساق ماية بدنة ووهب قطيعا من الغنم والف بعير ونحوه كما مر وان اصحابه
كابي بكر وعثمان وطلحة كان لهم اموال كثيرة رضي الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله

عليه وسلم اموالهم وانفسهم واجيب بان ذلك كان في حالة دون حالة وان ذلك
للارشاد وكراهة الشبع لا لضيق اليد وعن عايشة رضي الله عنها من حدثكم انا كنا
نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك وروى لما
فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا في ضيق قبل الهجرة وبعدها
واساهم الانصار بالمنايح فلما فتحت النضير وما بعدها ردوا عليهم اقول هذا
ينافيه ما مر من انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف تكون العسرة الا
بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع ما قاله ابن الصلاح رحمه الله وما قاله لا يسمن ولا يغني
من جوع وفي حديث عمرو بن الحارث الذي رواه البخاري ما ترك اي ما خلف صلى الله عليه
وسلم تركه لاهله الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة هذا بعض حديث اوله
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة
ولا شيا الا بغلته البيضا وسلاحه وارضا جعلها صدقة وتفصيله في السير فانهم قالوا
كان له صلى الله عليه وسلم تسعة اسياف لكل منها اسم ودروعه سبع وقسيه ست
وثلاثة اتراس وخمسة رماح وقال مغلطاي اربعة ومغفرات وراية سودا يقال لها
العقاب مربعة وراية بيضا او صفرا وكان مكتوبا على راياته صلى الله عليه وسلم
لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الميزان انها لم تكن الا بيضا ولم يبين ما وجد منها
عند موته واما بغلته صلى الله عليه وسلم فهي الدلدل التي اهداها له المقوقس وعاشت
بعده عليه الصلاة والسلام حتى ذهبت اسنانها فكان يجش لها الشعير ثم ماتت
بالينبع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية رضي الله تعالى عنه وان عليا كرم الله وجهه قاتل
عليها واما بغلته فضه فوهبها لابي بكر الصديق رضي الله عنه والارض المذكورة فدك
والنضير وارض بخيبر وهي مفصلة ومعنى كونها صدقة انه وقفها لمصالح المسلمين
والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله عليه وسلم ياخذ منها نفقته ونفقة عياله بقدر
الحاجة ويتصدق بباقيها فكل ما عنده عليه الصلاة والسلام كان مرصدا لا ملكا فلذا
لم يورث عنه كسائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام واما قوله يرثني ويرث من آل يعقوب
فالمراد منه انه يرث علمه وحكمته وشرفه كما مر جوابه وضمير جعلها للارض والجملة صفة
او مستانفة استينافا بيانيا والضمير للمذكورة وقالت عايشة رضي الله عنها في حديث رواه
الشيخان ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد هو كناية
عن كل حيوان انسانا او غيره والكبد معروف وهي احد الاعضا الرئيسة وخصه لان منه
يصل الغذا الى الجسد كله وهذا مناف لقولها ما ترك درهما ولا دينارا ولا شيا ووفق
بينهما بان المنفي هنا ما كان مختصا بها من بقية نفقتها او المراد بالشيء وان كان عاما
ما كان من جنس المال والمتاع او هو لعدم الاعتداد بما ذكر لقلته الا شطر شعير
الشطر النصف كالشطير او البعض مطلقا وفي النهاية اراد به نصف مكوك او نصف

وسق

317

وسق والمكوك المد وقيل الصاع في رف لي بفتح الراء المهملة وتشديد الفا شبه المطاق
في الحايط ويطلق على خشبة عريضة ترفع عن الارض تعد لوضع ما يراد حفظه وهو
الرفوف ايضا والاول اقرب لان الخشبة لا تحتمل وضع هذا المقدار عليها وتتمة الحديث
فاكلت منه طويلا ثم كلته ففني وفيه اشارة الى ان الكيل كالعد يذهب البركة وقد ورد
له نظاير كما في مسلم عن جابر رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه
فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامرأته ووصيفه ياكل منه حتى كاله فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم واخبره فقال لو لم تكله لم ينفد قيل لما فيه من الحرص وعدم التوكل والتمسك
بالاسباب المعتادة واما ما ورد في حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه
فاجيب عنه بانه عند التبايع بحق المشتري فتامل وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
لي اي لعايشة وفي شرح ابن قرس وقال لي تاتي بدل اللام اي ادن واقترب لي فطلب صلى الله
عليه وسلم دنوها ليسارها وقال حكاية لحال ماضية اني عرض علي بالبناء للمجهول وفي رواية
عرض علي ربي فيقال عرضه له وعليه اذا اظهره له واراه اياه والمراد اعلمه بالوحي ان يجعل
لي بطحا مكة ذهبا البطحا والابطح واد يجري فيه السيول وبطن واد فيه رمل وحصى
او مكان لا ينبت لانه مسيل وهو مما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا ان يملاه به
او ان يقلب حصاه ورماله ذهبا وقلب الاعيان كانشائها من العدم غير مستحيل لوقوعه
والله قادر على كل شيء فقلت لا يا رب اي لا اريد جعل البطحا ذهبا اجوع يوما واشبع
يوما استيناف كانه قيل فما تريد قال اريد الفاقة وان اكون تارة جايعا وتارة شبعان
لزوما لمقام العبودية والافتقار الى الله ثم بين ما يكون عليه فقال فاما اليوم الذي
اجوع فيه فاتضرع اليك فيه والتضرع الدعا بذل وانكسار من الضراعة وهي الذلة
والا لتجا وادعوك اي اطلب منك وفي الدعا مناجاة والالتجا ومعاملة مع الله وان كان
عالما بذلك وامّا اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك لما انعمت به علي ولا وجه
لما قيل هنا من انه تعليم لفقرا امته والا فلو وجدت له الدنيا ذهبا لم يشغله ذلك عن الله
طرفة عين الى غير ذلك مما اطال فيه بغير طايل على عادته وهذا الحديث رواه الترمذي
عن ابي امامة رضي الله عنه بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك فاذا شبعت
شكرتك وحمدتك وفي حديث اخر قال السيوطي لم اجده هكذا ولكن البيهقي رحمه الله
اخرجه في الزهد من طريق عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوما ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فماتاه اسرافيل عليه الصلاة
والسلام فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك
ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فقلت الخ واخرج
ابن سعد وابن عساكر في تاريخه من حديث عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم
قال لو شئت لسارت معي جبال الذهب ولاحمد في الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله

مطلب العد يذهب البركة

معي جبال الذهب والفضة وللطبراني نحو منه من حديث ام سليم رضي الله عنها عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال لو سالت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا لفعل ولخرج احمد حديث الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له مختصرا عن عايشة رضي الله عنها
قلت فما ذكره المص رحمه الله رواية بالمعنى من عدة احاديث ان جبريل نزل عليه الصلاة
والسلام فقال له ان ربك يقريك السلام اي يسلم عليك ويحييك تحية اكرام قال
في الاكمال اقرائه السلام وهو يقريك السلام بضم اليا من المزيد واذا قيل يقروء عليك
السلام فبفتح اليا لا غير وقيل هما لغتان وهو مهموز لا معتل ويجوز ابدال الهمزة واوا ويا
ومعنى اقراه حمله على ان يقرا عليه سلامه اي يبلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ ماخوذ
من القراة ومعنى قراه عليه ذكره له ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيث ما كنت اي تسير معك وتتوجه اين توجهت فاطرق ساعة اي طاطا راسه
يفكر فيما يجيبه به صلى الله عليه وسلم ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له الدنيا تقابل الاخرة لانها فعلى من الدنو وهو القرب وتطلق على هذا العالم المشا
وكل ما فيه من المال وغيره وعلى الارض التي هي مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمى دارا وقوله
دار من لا دار له اي لانها فانية لا يقيم فيها احد ولذا شبهت بالخان الذي ينزله المسافرون
وبالقنطرة بل بالسفينة كما قال لو انا لفي الدنيا كركب سفينة نظن وقوفا والزمان بنا
يسري وقوله مال الخ اي ما يملكه المرء فيها سيسلب منها فهو عارية او وديعة فصاحبه
لا ملك له حقيقة فكل غني فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط له وذخر من لا ذخر له قد يجمعها
من لا عقل له قد للتحقيق لان من جمع الدنيا كثيرا وهي لتقليل جمعه وحيازته لها فانه يجمعها
بعد بلوغه ورشده لموته ثم يفقدها الى ما لا نهاية له او لمتعلق الفعل فان متاع الدنيا
بالنسبة لغيره قليل وعلى هذا حمل قوله قد يعلم ما انتم عليه فان ما هم عليه بالنسبة لبقية
معلوماته اقل قليل او هي مستعارة تهكما للتكثير كقوله قد انزل القرآن مصفرا انامله
وان كان في البيت نزاع ليس هذا محله وجعله لا عقل له لتنزيل وجود عقله منزلة
العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالاخرة ويهديه الى الاكتفا من الدنيا بزاد المسافر الذي
يبلغه منزله فانا لعاقل من كان كذلك ولذا قال الفقها لو اوصى لاعقل الناس صرف
للزهاد وقال الشاعر ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا نظروا فيها فلما
علموا انها ليست بحي وطنا جعلوها لجة واتخذوا صالح الاعمال فيها السفنا
فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت المراد بالقول
الثابت الحق لانه دايم لا يزول او المراد به حق مخصوص بمقالته وهو اسادعا له او اخبار
بان الله امتن عليه فانه بمحض فضل الله ولطفه فانه الذي ثبته على هذا وعن عايشة رضي الله
عنها في حديث صحيح رواه الشيخان انها قالت انا كنا ال محمد المراد بال اهل بيته عليه
الصلاة والسلام وله معان اخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة لنمكث شهرا ما نوقد

نارا

نارا اي ما نوقدنا رافالسين للتاكيد والمراد ما نطلب من احدنا ارا نوقدها وهذا كناية
عن انه ليس لهم ما يطبخ ان هو الا التمر والما وان نافية وهو ضمير الطعام والماكول اي
ما عندنا ما يوكل ويتغذى به الا التمر والما وروي وانما هو الاسودان التمر والما قيل هذا
كان في بعض الاحوال وعن عبد الرحمن بن عوف الصحابي المشهور رضي الله عنه وهذا
الحديث رواه عنه الترمذي والبزار وغيرهما بسند جيد هلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي توفي والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وغيره قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه واما اختصاصه بميتة السوء كالقتل
ونحوه فطارو ولذا اكثر استعماله في الاعدا فيقال هلك عدو الله وقد ورد في الحديث والاها
انما تفهم من ذكر العدو ونحوه قلت فلا يجوز لنا الان اطلاقه على من كرمه الله والصحابة
ونقتصر فيه على ما ورد منه من غير نكير كما ورد في حق يوسف عليه الصلاة والسلام
حتى اذا هلك قلتم الخ وكذا ورد في حق غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا
يختص بمن استحق العذاب الا بقرينة ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير واول الحديث
عن نوفل بن اياس الهذلي قال كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه جليسا لي وكان نعم الجليس
وانه انقلب بنا ذات يوم حتى اذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج واتانا بصحفة فيها خبز
ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا ابا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير فلا ارانا اخرنا لما هو خير لنا
وقد تقدم انه ورد في معناه احاديث كثيرة متقاربة المعنى وتقدم ما فيه من الاشكال
وجوابه والى تقويته هذا اشار بقوله وعن عايشة رضي الله عنها وابي امامة وابن عباس
رضي الله عنهم نحوه اما احاديث عايشة رضي الله عنها فما في الصحيحين عنها انها قالت ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين حتى قبض وحديث ابي امامة رضي الله
عنه في الترمذي بهذا اللفظ ايضا وحديث ابن عباس رضي الله عنهما هو المذكور عقب
هذا بقوله كان النبي صلى الله عليه وسلم الخ قال السيوطي رحمه الله وسياق كلامه
ياباه ولو كان مراده هذا اكتفى بذكره والاحسن انه ما في الصحيحين ايضا عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان عمر رضي الله عنه حدثه انه دخل عليه صلى الله عليه وسلم وقد اعتزل
نساءه فاذا هو مضطجع على حصير قد اثر بجنبه فقلبت عيني في خزانته فاذا هي ليس فيها
شيء غير قبضتين من شعير وقبضته من تمر فابتدرت عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب
فقال ما لي لا ابكي وانت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم في الخنادق والانهار وانت
هكذا قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان يكون لنا الاخرة ولهم الدنيا فقلت بلى يا رسول الله
قال فاحمد الله عز وجل قال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت
هو واهله الليالي المتتابعة طاويا حال من ضميره صلى الله عليه وسلم ولم يقل طاوين
لان المقصود حاله صلى الله عليه وسلم وحال اهله يعلم من حاله لانهم يتبعونه في كل

حال وطاويا بمعنى جايعا لان الطوى الجوع كما ذكره الجوهري والليالي منصوب على الظرفية وقوله
لا يجدون عشاء بفتح العين والمد الطعام الذي يقابل الغدا وخصه لنزوله بسبب والمراد
مطلق الطعام وهذا الحديث اخرجه الترمذي وابن ماجه وعن انس رضي الله عنه في
حديث رواه البخاري قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان بكسر الخا المعجمة
وضمها فارسي معرب ويقال اخوان بزنة اكرام وايضا وهو المائدة والميدة بمعنى
وان فرق بينهما في الاصل بان الخوان ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده يسمى
مائدة والاكل عليه عادة المتكبرين حتى لا يحتاجوا الى الانحنا اذا اكلوا وقيل انه عربي
من التخون وهو التنقص ويجمع على اخونة وخون واما السفرة بالضم فالطعام المعد
للسفر ويكون بمعنى ما يوضع عليه الطعام من الاديم ايضا ولا في سكرجة قال الجواليقي
هي بضم السين المهملة وضم الكاف وفتح الرا المهملة المشددة وجيم وهاء وهي
اعجمية معربة وقيل الصواب اسكرجة بهمزة مضمومة وقد جا في الحديث الصحيح بدون
الهمزة ومعناه مقرب الخل ولذا قيل معناها قصعة مدهونة وقيل انها مائدة صغيرة
وعلى كل حال فهي مما يضعه العجم والمقلدون لهم من المتكبرين والجيم والها علامة
التصغير عندهم وقيل فيها ايضا سكيرجة ولا خبز له مرقق بالبنا للمجهول ومرقق بوزن
معظم دقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المنبسط الدقيق وقيل هو الجوازي والسميد
بدال مهملة او معجمة وفي رواية مرققا بالنصب تمييزا او مفعول ثان لخبز لتضمينه معنى
الجعل والمراد ان خبزه صلى الله عليه وسلم لم يجعل من بياض الدقيق لانهم لم يكن لهم
مناخل ولا راى شاة سميطا قط سميط فعيل بمعنى مفعول اي لم يطبخ له صلى الله عليه
وسلم شاة بتمامها بعد سمطها اي غليها في الماء الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر
كلامهم انها لم تسلخ وان ما ذكر في الحملان الصغيرة وعن عايشة رضي الله عنها في
حديث رواه الشيخان انما كان فراشه عليه الصلوة والسلام الذي ينام عليه ادما
بفتح الهمزة والدال المهملة وميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين وقيل انه
مخصوص بالاسود حشوه ليف والليف ما يكون من النخل وهو معروف وعن حفصة
رضي الله عنها بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ام المؤمنين وحديث حفصة رواه الترمذي
في الشمايل منقطعا وحديثها لا ينافي حديث عايشة المتقدم لجواز كون كل منهما
ذكرت فراشه صلى الله عليه وسلم الذي كان عندها كان فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بيته مسحا بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها حا مهملة وهو
ثوب مستد للفراش شبه الكسا ويقال له جنبل وقيل هو ثوب اسود من شعر يلبسه
الزهاد وقيل هو ثوب من الشعر او الوبر او الصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح
وعلى كل حال فهو شيء غليظ خشن من ملابس اصحاب الزهد يثنيه ثنيتين فينام عليه
الثني بكسر فسكون والمثني ما ثني بعضه على بعض وعطف اي يجمع بعضه على بعض

مرتين

مرتين حتى يكون اثخن واوطا للنوم عليه وتثنيه ثنيتان وجمعه اثناء وروي ثنيتين
بمثناة فوقية مكان اليا المثناة التحتية والمعنى واحد والنسخة الاولى اصح واشهر
معناه له ليلة باربع طاقات ليكون الين مهادا من الثنتين فلما اصبح صلى الله عليه
وسلم قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له وهو انهم جعلوا فراشه اربع طاقات
فقال ردوه بحالة الاول وهو الثنيان فان وطاته بفتح الواو والطا المهملة والمد ونا
تانيث مضنا فالضمير للفراش فوزنه فعالة او فعلة بفتح فسكون وهمزة غير ممدودة
على وزن فعلة اي لينه تحت جنبي لكثرة طاقاته بتضعيفها منعتني الليلة صلاتي اي
ان لينه لذلة صلى الله عليه وسلم النوم فنام اكثر من معتاده لان فراشه مهد لم
يزده حتى يمنعه فانقطع عن بعض القيام للتهجد ليلا لزيادة نومه وكان صلى الله
عليه وسلم ينام احيانا على سرير مرمول ونومه الاول على الارض ومرمول براء مهملة وميمين
بمعنى منسوج بشريط او غيره والشريط بشين معجمة وراء وطا مهملتين بينهما يا مثناة
تحتية حبل مفتول من خوص النخل وسعفه مع حبال وواحده شريطة حتى يوثر حبال
شريطه في جنبه لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه وهذا من حديث طويل رواه الشيخان
والترمذي وفيه وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وفي معناه احاديث اخر
وعن عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط قال التلمساني
فيه اربع لغات فتح الشين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها وقال البرهان هو بفتح
الموحدة نقيض الجوع وبسكونها ما يشبع والظاهر هو الاول وقيل عليه ان كان ظهوره
بحسب الرواية فمسلم وانما بحسب الدراية فالظاهر هو الثاني لانه اسم عين وعلى الاول اسم
معنى والامتلاء منه مجازي لا مثلا غضبا وقيل عليه ان المجاز ابلغ من الحقيقة فهو اولى
رواية ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضي انه صلى الله عليه وسلم
كان يشبع ولكنه لا يملئ جوفه بتمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار
على ما يقوم به الاود ثم ملئ ثلث بطنه فان ثلثا للزاد وثلثا للما وثلثا للنفس فان زاد فنصفها
وما زاد على ذلك حرص وبطنه غير ممدوحة وقد يحرم ان وصل للضرر والتخمة فقصد اكما ان
اولى مراتبه واجب ولم يبث يشكو الى احد بفتح اليا التحتية وضم البا الموحدة وتشديد
المثلثة بمعنى تذكره وتظهره يقال بث الخبر وابثه اذا نشره ويقال ايضا انه نونه ندبه روى
قول قيس اذا جاوز الاثنين سر فانه يبث وتكثير الحديث قمين والشكوى مذمومة فالذي
يليق بمقام العارفين الصبر وكتم ما بهم لا سيما والنبي صلى الله عليه وسلم كان يتبجل
ما ياتيه من الله ولا يعده مولما بل يتلذذ به فكيف يتصور شكواه والى هذا اشار بقوله
وكانت الفاقة وهي الحاجة والفقر احب اليه صلى الله عليه وسلم من الغنا قيل هذا يقتضي
ان الفقر افضل من الغنا وقد اختلف فيه على قولين ولكل منهما ادلة كقوله تعالى ووجدك
عائلا فاغنى حيث امتن عليه صلى الله عليه وسلم بالغنى ولا دليل فيه لانه امتن عليه

بقضاء حاجته والمفضول قد يكون في مقام له منته تزيد على الفاضل ولا في قوله ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى فانه لم يذم الغنا بل ما قد يترتب عليه وكذا كون حسان الفقير لخف
والمختلف فيه هل الغني الشاكر خير ام الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلما
لحديث ذهب اهل الدثور بالاجور وحديث ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنيا
بنصف يوم من ايام القيمة وهو خمسمائة عام الى غير ذلك من الاحاديث الواردة
في الجانبين وقال الغزالي رحمه الله تعالى قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة
الخلق الا في موضعين غنى يستوي فيه الوجود والعدم ويستفاد به دعا المساكين
وقضا حوايجهم كغنى بعض الصحابة رضي الله عنهم وفقر يكون مع الضرورة حتى
يكاد يكون كفرا فالاول الخير محض وهذا الاخير فيه بوجه من الوجوه والممدوح غنى
النفس لا غنى المال من حيث هو والفضل كله في الكفاف والاقتصار على مقدار الحاجة ولذا
طلبه صلى الله عليه وسلم له ولاله وان كان ليظل جايعا ان مخففة من ان المكسورة مع
الهمزة المثقلة النون والجملة حالية بفتح المثناة التحتية والظا المشالة من اخوات
كان واصل معنى ظل فعله نهارا لانه زمان يبدو فيه الظل ثم استعمل الدوام الفعل ليلا
ونهارا وهو المراد يلتوي طول ليلته من الجوع بتقدم اللام على التا الفوقية وواو مخففة
مكسورة وفي نسخة يلتوي بياء مثناة مفتوحة وفوقية ومفتوحة ولام كذلك وواو
مخففة مكسورة يليها الف معناه ينقلب على فراشه من الم الجوع من لواه ليا اذا صرفه عن
جانب الاخر قال تعالى لووا رؤسهم وهذا لزهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا وصبره على مشا
قها ليقمع شهوة نفسه ويقهرها ويرشدا منه بذلك كما بينه بعد وقوله فلا يمنعه ذلك
او جوعه صيام يومه بالنصب بيمنع او بنزع الخافض اي عن صيام يومه يقال منعت الرجل
عن الشيء فامتنع وقوله ولو شاء صلى الله عليه وسلم الغنى والشبع وشا كثيرا ما يحذف
مفعولها بعد بدلالة جوابها عليه سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها
ما بعد الكنوز يجوز جره عطفا عليه ونصبه عطفا على جميع والكنوز جمع كنز وهي معروف
والثمار جمع ثمرة وهي ما يحصل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما
يقال ثمرة العلم العمل ويجوز ارادة هذا هنا ورغد بفتحتين وقد يسكن ثانيه يقال فيه
رغد وارغد والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما يتعيش به واصل معنى الرغد الواسع يقال
ارغد فلان اذا اصاب رغدا اي سعة وخصبا وغيره ولقد كنت ابكي له رحمة مما اراه به
وفي نسخة لما ارى به اي مما اشاهده به او مما اعلمه به وامسح بيدي على بطنه كانه بمسحه
يستريح بذلك كما كان يصنع الحجر عليه ليرده ويشد صلبه وهذا للشفقة مما به من الجوع
اي من المه ثم بين ان ذلك شفقة بقولها واقول نفسي بك الفدا تقدم ان الفدا بالكسر
والفتح والقصر والمد وهو ما يفدى به الاسير ونحوه فيجعل عوضا عنه ويقال افديه
بنفسي وبامي ومالي وقد يقال بنفسي من غير ذكر للفدا وسمي الباب التفدية وهذا جائز بل

مستجب

مستحب لصدوره منه صلى الله عليه وسلم فيقال لمن له شرف كالحكام والعلما والصلحا
واعزة الاخوان وقصد التوقير واستعطافه ولو كان محظورا كما قيل ما قاله صلى الله
عليه وسلم ولنهى عنه من قال له وقد قال له ابو بكر رضي الله عنه فديناك بابائنا
وامهاتنا وقال صلى الله عليه وسلم لسعد ارم فداك امي وابي ومنعه قوم لحديث
مالك بن فضالة ان الزبير رضي الله عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم وهو شاك
فقال كيف تجدك جعلني الله فداك فقال له صلى الله عليه وسلم ما زلت على اعرابيتك
بعد قيل ولا حجة فيه لما ادعوه لان هذا الحديث الواحد لا يقاوم الاحاديث الصحيحة
الكثيرة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده في غير محله لانه لا ينبغي
ان يقال ذلك للمريض بل يتوجع له ويقال لا باس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه
ولكل مقام مقال لا لان القائل له كان ابواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان
من قابلية من ليس كذلك والاصل عدم الخصوصية لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك
التبليغ تفعل من البلاغ وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ ماخوذ
من الزاد الذي يبلغ به المسافر منزله وضمنه هنا معنى اكتفيت اي لو اكتفيت منها بالكفاف
من القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للتمني فيقول صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله
عنها ما لي وللدنيا قيل ما نافية اي ليس لي الف ومحبة مع الدنيا حتى ارغب فيها او استفهامية
اي اي الفه ومحبته ورغبة لي في الدنيا وهذا من اتيانه صلى الله عليه وسلم الزهد
واظهاره لغنى القلب ومحبته تركه لها ثم بين انه مقام عظيم سبقه به الرسل عليهم
الصلاة والسلام فجرى على طريقتهم فقال اخواني من اولي العزم من الرسل تقدم انهم
نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على خلاف فيهم وفي وجه تسميتهم
بذلك صبروا على ما هو اشد من هذا كالحبس والعرض على القتل وغير ذلك مما علم من القصص
فمضوا على حالهم اي استمروا عليه راضين بقضا الله لهم الى ان ماتوا فقدموا على ربهم اي
لاقوه وشهدوا ما انكشف لهم من احوال الاخرة في البرزخ فاكرم مابهم اي اكرمهم الله
في مرجعهم اليه يقال اب ايوبا اذا رجع فهو اسم مكان او مصدر ميمي واجزل ثوابهم اي اكثر لهم
العطا والجزا في دار المقامة فاجدني استحي من الله عند لقائه ان ترفهت في معيشتي اي ان
تنعمت وتوسعت في العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية وهي كالرغد السعة
وقد كان الله خيره صلى الله عليه وسلم قبيل موته بين الخلد في الدنيا ولقائه فاختار
لقاه كما قاله ابن العربي وان شرطيته ويجوز فتحها على المصدرية بتقدير لام قبلها اي
لترفهي ووقع في نسخة في معيشتهم اي في جنس معيشتهم والاصح الاولى ان يقصر بي غدا
يقصر مبني للمجهول مع التشديد اي ان يقع التقصير او المقصر بالكسر حالا له وعمله
دونهم اي فيكون مقامي دون مقامهم لتنزل مرتبتي عن مرتبتهم والمعيشة مفعلة وجمعه
معايش بلا همزة وقد تهمز قليلا كما بينه النحاة وهي ما يتعيش به وعذا بالمعجمة اليوم

الذي بعد يومك والمراد به الاخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والاخرة لكونها بعدها
بمنزلة غد استعارة وما من شيء هو احب الى من اللحوق باخواني واخلائي بالمد مضاف
لياء المتكلم جمع خليل وهو قياس في المضاعف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبيا
عليهم الصلوة والسلام السابق ذكرهم والرفيق الاعلى وعن عايشة رضي الله عنها
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ويخير
بذلك فلما حضرته صلى الله عليه وسلم الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لي
والحقني بالرفيق الاعلى كما في البخاري وفي النهاية الرفيق الاعلى جماعة النبيين الذين
يسكنون اعلى عليين والمراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الروف وهو من اسماء الله
كالاعلى واللحوق بهم بمعنى كونه معهم قالت عايشة رضي الله عنها فما اقام بعد بالبنا
على الضم اي بعد مقالته هذه الا اشهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم اي انتقل للاخرة
واستوفى ايام عمره فصل واما خوف ربه عز وجل ولما كان الزهد ترك الدنيا بالكلية
وحبسه نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجا عقبا الزهد
بالخوف من الله وربه منصوب بمفعول المصدر واعلم انهم اختلفوا في خوف النبي صلى الله
عليه وسلم من عقاب الله فقال الامام ابو الحسن الاشعري في كتاب الايجاز كان
صلى الله عليه وسلم يخاف الله بلا خلاف لان خوفه كان لماذا فقال اهل الحق كان
خوفه قبل ان امنه الله من عقابه وبعده كان من عتابه ولومه في الدنيا كما قيل له
صلى الله عليه وسلم لما اعرض عن ابن ام مكتوم عبس وتولى الاية فاما بعد ان امنه
الله تعالى من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه مع علمه بانه امنه منه فاخبر بانه
لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وساير المكلفين
في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سكتوا امنهم ام لا دليلنا ان الخوف من شيء لا يجوز الا
الامع تجويز نزوله به واما مع القطع بانه لا يحصل ابدا فمحال لحصول الخوف منه
عند عاقل فلو قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف عقاب الله مع تامين الله
له من ذلك لادى الى كونه شاكا في غيره وانه صدق او كذب في اخباره بانه لا
يتعلق به عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب
اصلا انتهى وسئل شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي عن الانبياء والملائكة عليهم الصلاة
والسلام والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون عقاب الله تعالى بعد اخبار الله
لهم بانهم لا يعذبون فاجاب بان نفي الخوف واثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل بل مصادم
للنصوص من وجوه احدها ان حقيقة الخوف كما في الاحيا الم القلب لتوقع مكروه
في المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله على ما ينبغي والخوف
بهذا المعنى محقق في جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم الامن
من مكر الله ولا يامنه احد الا ان كان المامون منه الانسلاخ عن النبوة والملكية

والايمان

والايمان في العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم والرجا والخوف متلازمان واشتراط
الرجا والخوف بما هو مشكوك فيه لا لا تابيد فيه لانهم لا يخافون لانهم على بينة ويقين
من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكمل على يقين من اصل الكمال وقد تعتريهم
استشعار قدرة الله واستغنائه عن خلقه وانه لا يسال عما يفعل ولا يجب عليه شيء
وقد يشترط ما اخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب اصل الكمال
الثاني ان الشافعي رضي الله عنه صرح بان الملائكة داخلون في قوله لا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون لما اخرج ابن ابي حاتم من ان الله تعالى قال لهم ما هذا الخوف الذي بلغ
منكم وقد انزلتكم منزلة لم ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا يامن مكرك الخ الثالث ما في الاحيا
ان الانبياء عليهم والسلام يخافون المكر لما روي ان النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام
بكيا خوفا من ان يكون تامينهما امتحانا ومكرا وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين فلا
شبهة في ذلك لقوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم فان قلت يرده ما روي عن الحسن انه لما نزلت
هذه الاية خاف صلى الله عليه وسلم زمانا فلما نزل انا فتحنا الى اجر صلى الله عليه
وسلم في العبادة وقال افلا اكون عبدا شكورا وروي انه قال في الاية انا في الاخرة فمعاذ الله
لانه اخبر بانه في الجنة فالمعنى ما ادري ما يفعل بي في الدنيا فاخبر بنصره واظهار دينه
قلت المراد خوفه صلى الله عليه وسلم من امور الدنيا واستيصال امته فامنه الله منه
واما الخوف من الله فلا يامنه احد الرابع انه ورد في ادعيته صلى الله عليه وسلم كثيرا
ما يدل عليه نحو اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك
منك وقوله اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة المحيى والممات وليس هذا تشريعا
لامته ان يقولوه لانه لم يقل قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقها في الامن
من مكر الله واليأس من رحمة الله تعالى فقال الشافعية انهما من الكبائر وقال الحنفية
انهما كفر لقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون وتمسك الشافعية بعدهما من الكبائر بما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله
عنه وقال ابن ابي شريف ان اريد باليأس انكار سعة الرحمة الذنوب وبالامن انه لا مكر
فهو كفر وفاقا لانه رد للقران وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو استبعادا
يدخل في حد اليأس وغلبة الرجا المدخل في حد الامن فهو كبيرة لا كفر فان ورد اطلاقه عليه
فللتغليظ او اداة كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما ابن نجيم في رسايله وعلى ما مر عن الا
شعري يخص الامن بغير من ورد وعلى غيره هو باق على عمومه هنا جملة ما قاله الفقها والاصوليون
في هذه المسئلة وها هنا بحث مما قالوه وهو ان الاشعري امام اهل السنة وقد جزم بانهم
امنوا مما ذهبوا الى انهم من العقاب كما بد ون العتاب وقوله افلا اكون عبدا شكورا
يؤيده وما ذكر من الخوف والادعية فالظاهر للذي يقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله
ليس بمعنى عقابه بل بمعنى ان يقدر عليهم امرا يقتضيه اذا صدر منهم لانه تعالى وان كان له

ان يعذب كل احد لكن عدله وحكمته تقتضي ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا ومن علم
هذا ونظر لعظمته واستغنائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشي منه وهذا مقام الكملين
ولذا قال انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا الخوف لا بد منه لكل احد وانما خوفه العقاب
بدون هذا ما دام على حال العصمة والتقوى فلا يجوز عليهم فانه يلزم عدم الوثوق بخبره
تعالى وعلى هذا يحمل كلام الاشعري وهو مناف لما قاله ابن حجر رحمه الله اذا عرفت هذا
فقوله في شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله تعالى معناه الاسترسال في المعاصي اتكالا
على العفو ليس بسديد وليس محلا للخلاف ثم اقول الحق ما قاله الاشعري والذي ندين الله به
انا نعتقد ان العقاب لا يقع وان الانبيا خصوصا نبينا عليهم الصلاة والسلام بعد
عصمته ومغفرة ما تقدم وما تاخر له لا يخشى احد عليه العقاب ولا يجوز تجويزه عليه
اما هو فلعظمة الله ومهابته عنده وعلمه بانه غني عن خلقه له ان يفعل بهم ما اراد فيخاف خوفا
شديدا ويستعيذ من عقابه وان لم يجوزه نعم وفي قوله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ايماء لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لا دليل له فيه وكلام الغزالي لا حجة له فيه والاية التي
ذكرها مخصوصة بالدنيا او منسوخة كما في الكشاف ولك ان تقول انه لشدة خوفه صلى الله
عليه وسلم من الله قد يذهل عن تامين الله له لا يسامح ما مر ونظيره ما قاله السيوطي رحمه الله
في اجوبة الاسيلة التكرورية في قول يوسف عليه الصلاة والسلام توفني مسلما والحقني
وهو يعلم ان كل نبي لا يموت الا مسلما انه دعى بذلك في حال غلبة الخوف عليه حتى اذهله
عن علمه ساعة الدعا او ذلك اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة
الخاتمة وتعليمها للامة انتهى ثم رايت ما قلناه صرح به ابن عربي في سراج المريدين فالحمد لله
على الوفاق وانما اطلنا الكلام في هذا المقام لانه من مزال الاقدام فعليك باعادة
النظر فان مورده لم يصف من الكدر ولنا عودة الى الكلام فيه اخر الكتاب ان شا الله
تعالى وطاعته له وشدة عبادته قدنها مع الخوف لتلازمهما معه فعلى قدر علمه بربه قال
القشيري رحمه الله العلم والمعرفة عند العلما بمعنى وعند القوم معرفة الخوف باسمائه وصفاته
ومن عرفه صدق في معاملته وتنقى من ردي اخلاقه وافاته ومن امارات المعرفة حصول
الهيبة وهي الخوف مع الاجلال والى ذلك اشار المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد
خوفه منه واطاعه وعبده على قدر طاقته وانما يعصي الله من جهل ربه ونفسه فان الايمان
محبة الله ومن احبه اطاعه وتحت الرغوة اللبن الصريح ولذلك قال فيما حدثنا وفي نسخة
حدثني ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه تقدم ترجمته قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسي حاتم
بن محمد بن عبد الرحمن التيمي المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم عن البرهان فالنسبة اليه طرابلسي
واطرابلسي بزيادة همزة في اوله وهي مدينة بالشام وبالمغرب والمشهور فيها ترابلس
بالتاء الفوقية وهو صحيح ايضا لانه اعجمي عرب بابدال التاء طاء فتلك حكاية اصلية
والمنطق معرب به قال قال حدثنا ابو الحسن القابسي علي بن محمد بن خالد المغافري الامام

الفقيه

الفقيه الحافظ وقد تقدم قال حدثنا ابو زيد المروزي تقدم ايضا قال حدثنا ابو عبد الله
المروزي تقدم ضبطه وترجمته قال حدثنا محمد بن اسمعيل الامام البخاري صاحب الصحيح
وقد تقدم قال حدثنا يحيى بن بكير المخزومي الحافظ ابو زكريا المصري روى عنه البخاري وغيره
وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة عن الليث بن سعد بن
عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر واصله من اصفهان وكان نظير الامام مالك وكان اسخى الناس
نقيل انه كان دخله كان في كل يوم الف دينار ولم تجب عليه زكاة توفي يوم الجمعة منتصف
رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وادرك ناسا من التابعين عن عقيل
مصغر وهو عقيل بن خالد الحافظ خرج له الائمة الستة وله ترجمة في الميزان توفي سنة
احدى واربعين ومائة عن ابن شهاب تقدم انه ابو بكر بن محمد الامام المشهور بالزهري
عن سعيد بن المسيب تقدم ضبطه والكلام عليه ان ابا هريرة رضي الله عنه تقدم ايضا
كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم من عظمة الله وجلاله
وكبريائه هذا هو المناسب للترجمة او ما اعلم من احوال الاخرة واهوالها وما سيلقاه
الانسان لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ياتي بيانه وفي الحديث طباق ان وثلاثية بين قليل والبكا
والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبر وهذا الحديث رواه المص عن صحيح البخاري
وله فيه رواية اخرى عن الترمذي اشار اليها بقوله زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي
رفعه بصيغة الماضي اي زاد هذا الكلام او مصدر فهو مفعول لنا دالي ابي ذر رضي الله
عنه يعني ان رواية البخاري السابقة رواية ابي هريرة رضي الله عنه وهذه رواية ابي ذر عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقد خالف المص في عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع
عندهم ما اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم بان يذكر صحابيه قال النبي صلى الله عليه وسلم
كذا فيقال رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم لا الى الصحابي وقيل الجار والمجرور متعلق بحال
مقدرة تقديره عازيا الى ابي ذر فلا مخالفة فيه لاصطلاحهم وسياتي تتمته اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون المراد بما الموصولة فيهما مغيبات وامور في الملا الاعلى
اطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع
على الموتى واحوال البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين في القبور ولاطيط السماء المشار
اليه بقوله اطت السماء اصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب
اذا ضغطه ثقل ما عليه ومخوذ لك اي ان السماء لكثرة ما فيها من الملائكة اذا تحركوا
يسمع لها صوت سمعه النبي صلى الله عليه وسلم وحق لها بالبناء للمجهول وهو مصدر
مرفوع خبر مقدم لقوله ان تئط اي تصوت ويسمع لها صرير لثقل ما عليها وعلى الاول
هو نائب الفاعل وقد قيل ان صريرها يسمع منه الحان مناسبة مطربة منها اخذ الحان
الموسيقى ولذا تطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهد حماها وقيل انه انين
من خشية الله وقال التلمساني هذا ايذان بكثرة ما في السماء من الملائكة وان لم يكن

ثمه اطيط والمراد تقدير عظمة الله ثم استانف صلى الله عليه وسلم مابين سبب الاطيط
فقال ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد الله اى ليس فيها مكان
خال منهم ومن هنا علم ان الملائكة اكثر المخلوقات والله لو تعلمون ما اعلم من احوال الدنيا
والاخرة الدال على عظمة الله تعالى وقدرته لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا اى لضحكتم ضحكا
قليلا اذا سررتم برجا عفو الله ونظرتم ما انعم به عليكم وبكيتم للخوف منه حتى يشغلكم ذلك
عن التنعم والتفكه بلذايذ الدنيا وما تلذذتم بالنسا على الفرش بضمتين جمع فراش وكنى بذلك
عن مضاجعة النسا ومجامعتهن ولخرجتم الى الصعدات بضم الصاد والعين وفتح الدال
المهملات جمع مؤنث سالم لصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى اى لخرجتم
من دوركم للطريق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهى فنا الدار تجارون الى الله اى تضجون
وتصيحون من الجوار بضم الجيم وفتح الهمزة والف وراء مهملة وهو الصياح ورفع الصوت
اى تستغيثون الله وتتركون اهلكم ومساكنكم لوددت انى شجرة تعضد اى تقطع من اصلها
يقال عضدت الخشب والنبات اذا قطعته واللام فى جواب قسم مقدر ووددت بزنة علمت
بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت وبودى اذا تمنيت قال البحترى وبودى لو استطعت لخفت
بصرى عن سيدى حين ملا وهو مستعار من المودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشئ
وتمنى كونه موجودا ويستعمل فى كل واحد من المعنيين على ان التمنى تتضمن معنى الود لان التمنى
تشتهى حصول ما يوده انتهى والمراد تمنيه ان يكون غير ذى روح فلا يبعث ولا يسأل او عضد
الشجر موته واخر العهد به وروى هذا الكلام يعنى قوله وددت انى شجرة تعضد فهو
بدل من الكلام مبين له من قوله ابى ذر نفسه لا من الحديث وكلام النبى صلى الله عليه وسلم
وهو اى كونه منه قول ابى ذر اصح وفى نسخة واضح بالضاد المعجمة والصحيح اصح اى كونه
من الحديث مرفوعا له صلى الله عليه وسلم وهو اليق بحاله وانسب بكلامه بخلاف
ما قبله فانه من الحديث بلا خلاف والى هذا اشار المص بقوله سابقا زاد فى روايتنا
عن ابى عيسى الترمذى رفعه الى ابى ذر واذا كان من كلام ابى ذر فهو مندرج فى الحديث
اذا غير لفظه عن لفظ فاعتراض البرهان الحلبى عليه بانه كان ينبغى له ان يقول انه مندرج
لا وجه له نعم فى عبارته السابقة كدر لا يخفى مثل وكونه صلى الله عليه وسلم تمنى
ما ذكر مشكل لانه مقطوع له بالخلاص من كل سوء موقن بالدرجات العلى وخوفه
انما هو خوف اجلال له هيبة لخوفنا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة
المبشرين بالجنة ليتنى طائر وليتنى لم اخلق بشرا وليتنى كبشا يذبح ويوكل لحمه ليس لعدم
الوثوق بالوعد بل لم يكن الا خوفا من مخالفة امره فانهم يجلونه ويخافون من مخالفته
وان لم يعاقبهم وهذا كلام من لم يحقق المقام وقد تقدم فى اول الفصل ما فيه كفاية
وفى حديث المغيرة رضى الله عنه المتفق عليه فى رواية الشيخين والمغيرة بضم اوله
وتكسر تباعا اى ابن شعبة من الصحابة وهو احد دهاة العرب صلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم اى صلاة التطوع والتهجد لان الزيادة المذكورة فى بعض الروايات انما
تاتى فيها حتى انتفخت قدماه اى ورمت من طول القيام وفى رواية انه كان يصلى حتى ترم
بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم
اذا انتفخ لانصباب المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله عليه وسلم ووقع
فى بعض النسخ ترم بتشديد الميم اى تصير رميما وهى غير صحيحة رواية ودراية قدماه
وفى رواية ساقاه وروى تورمت وتزلعت بزاى معجمة وعين مهملة اى تشققت فقيل له
اتتكلف هنا بهمزة استفهام وفتح التاء الفوقية واصله اتتكلف فحذفت احدى التائين
تخفيفا اى تتحمل مشقته وكلفته وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر جملة حالية
معترضة بين الاستفهام وجوابه وسياتى ما فى اضافة الذنب له صلى الله عليه وسلم مع انه
معصوم عن الصغاير والكباير على الاصح بان المراد لو صدر منك او ما يعد من الذنوب
بالنسبة لغيرك لنزهك وعلو مقامك وستسمع تفصيله فى محله قال افلا اكون
عبدا شكورا لما انعم الله تعالى على من جلايل النعم التى لا تحصى ومن اجلها عصمته لى
ومغفرته لذنبى قبل وقوعه والاستفهام انكارى والفا سببية اى اترك الصلاة
لمغفرته وهى سبب موجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لانها نعم جليلة تستوجب
مزيد شكر وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له صلى الله عليه وسلم بتقريبه ونسبته
لسيده وكله يقتضى لزوم الشكر وهو العبادة ونحوه عن ابى سلمة رحمه الله تعالى واسمه
عبد الله او اسمعيل واسمه كنيته بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى التابعى احد الفقهاء
السبعة المشهورين وابنه عن ابى هريرة وغيره وفى الصحابة ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد
المخزومى مات فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعرف له الا حديث واحد واخران
غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة وابى هريرة رضى الله عنه قال البرهان هكذا فى نسخ
قال المحشى وانا اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه ان يكون عن ابى سلمة عن ابى هريرة
رضى الله عنه فانه وقع هكذا فى الشمائل فى باب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ان ذكر حديث المغيرة الذى ذكره المص هنا فقال بعد حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن
عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه كان يصلى الخ الا ان يكون المص وقف على حديث
اخر لابى سلمة الصحابى ولم نره قلت ويحتمل ان يكون مراده عن ابى سلمة عن ابى هريرة ولكنه
عطف احدهما على الاخر وهو بعيد ايضا وقالت عايشة رضى الله عنها كما رواه الشيخان
كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة بكسر الدال وسكون اليا المنقلبة
عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدائم واصل معناه المطر الدائم فى سكون وهدو
وفى الحديث احب الاعمال الى الله تعالى ما دووم عليه وان قل لان ترك الشئ بعد
فعله كالاعراض عنه بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القران ثم نسيه وايكم
يطيق ما كان يطيق اى ايكم يقدر ان يعبد الله كما عبده صلى الله عليه وسلم كما وكيفا

وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا
يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم روي نقول بالنون والتاء الفوقية وبرفع يقول ونصبه كما
قرئ به في قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول يعني انه صلى الله عليه وسلم في بعض الازمنة
يوالي الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم نافلة وقيل
المراد انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم من اول الشهر ووسطه واخره حتى يتوهم من صادف
ايام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهو الاينافي كون
عمله صلى الله عليه وسلم ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة من كل شهر
وهذا بالنسبة لغيره وذلك ان تقول الاول في صلوته وقيامه وهنا في صيامه ويؤيده
لفظ العمل لكن يأباه قوله ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم اسم ام سلمة
هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث التي رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف
في بعض الفاظها وكلها صحيحة مروية في الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح هنا
ولكن لا حاجة لايرادها هنا كما في الشرح الجديد وقالت عائشة كنت لا تشاء ان تراه
صلى الله عليه وسلم من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف
بن مالك هو ابو عبد الرحمن الاشجعي الصحابي الجليل القدر رضي الله تعالى عنه سكن الشام
وتوفي في ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقمت
معه اي تهجدوا واقتديت به وفيه دليل على صحة الاقتداء في صلاة النافلة من غير نزاع
واليه ذهب الشافعي رحمه وبعض الحنفية وبدأ الصلوة وفي نسخة فابتدأ بالفا
اي شرع في الصلوة فاستفتح البقرة اي شرع في قراءتها وفيه على انه يقال البقرة وسورة
البقرة من غير كراهة كما ورد في احاديث لا تحصى واسماء السور توقيفية على الاصح
خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة السورة التي يذكر فيها
النساء وهكذا لما روى الطبراني والبيهقي عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة
ال عمران ولا سورة النساء ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال
ابن الجوزي انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهي ارجح وعليه العمل ونقل
ان هذا كان في اول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة العنكبوت
ونحوها فلما كفاه الله المستهزئين وكف السيف ايديهم والسنتهم قيل ذلك من غير حرج
فلا يمر صلى الله عليه وسلم باية رحمة الا وقف فسال الله الرحمة ولا يمر باية عذاب الا وقف
ونعوذ بالله من العذاب وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائي ويؤخذ منه انه ينبغي
لمن قرأ القران ان يتدبر ويتفكر في معانيه وان الدعا بما يناسبه مستحب ومستجاب فيدعو
بما يناسبه واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان يقول امنت بالله ونحوه ونحو هذا ما ورد
ان من قرأ سورة تبارك فبلغ فمن ياتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرأ سورة

التين فبلغ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرأ لا اقسم
بيوم القيمة وبلغ قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى واذا قرأ والمرسلات
فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله واذا قرأ سبح اسم ربك فليقل سبحان
ربي الاعلى واذا قرأ سورة الرحمن فليقل عند كل فباي الاء ربكما تكذبان ولا بشيء من نعمك
ربنا نكذب وكل ذلك ورد في الاحاديث الصحيحة وهذا نظير سجود التلاوة الا ان
من الناس من فعل امورا زايدة على ما ورد كالدعا بين الجلالتين في سورة الانعام وقد قال
البقاعي انه بدعة لم يرد في اثر ولا حديث ثم ركع فمكث بضم الكاف وهي لغة القران
وتفتح في لغة عنه ومعناه انتظر وتوقف بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت
والملكوت والعظمة هذه الصيغة مرانها صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت
والرغبوت وهي مصادر في الاكثر ووردت في الاسماء ايضا كجالوت والجبروت مبالغة
في الجبر وهو القهر والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليها ولانها
اعم ويكون صلى الله عليه وسلم كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى
ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرأ ال عمران اي السورة التي ذكر فيها قصة ال عمران وقد تقدم
جوازه وما فيه ثم سورة سورة اي ثم قرأ في صلوته في كل ركعة سورة بعد سورة وهما منصوبان
على الحالية كما قرره النحاة في قولهم قرأت النحو بابا بابا وجعله التلمساني منصوبا مفعولا
لقرأ المقدر فيه وفيه والسورة مهموزة من السور وهو بعض بعض الماء الباقي في الاناء
وتبدل الهمزة واوا لسكونها وانضمام ما قبلها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور لاحاطتها
بالايات ومن السوار او من النشوز لرفعتها والسورة مقدار من القران تشتمل على ايات
اقلها ثلاثة مسماة باسم ولا يرد عليه اية الكرسي لذكر الاية بفعل مثل ذلك المذكور
من القراءة والتسبيح وعن حذيفة ابن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا
الحديث رواه مسلم عنه مثله اي مثل الحديث السابق وقال حذيفة رضي الله تعالى عنه
سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه اصل معنى القصد ومنه علم النحو ويقال
هذا نحو من هذا اي مثله او قريب منه فان قلت ذكر الفقها ان الجلوس بين السجدتين ركن
قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله
قصدا مبطل للصلوة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم كما مر وهو مناف
لما ذكر قلت قالوا انه انما يضر اذا طول بسكوت او بذكر غير مشروع فلو طول بغير ذلك
كما في صلوة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووي تبعا لامام الحرمين
استدلالا بحديث حذيفة هنا ولا يشترط ان يكون بمقدار اكمل التشهد وقال حذيفة
رضي الله تعالى عنه حتى قرأ البقرة وال عمران والنساء والمائدة اي قرأ في كل ركعة بسورة
من هذه السور وعن عايشة رضي الله عنها في حديث صحيح اخرجه احمد والنسائي على ابي
ذر والاية التي ذكرت في قولها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران يرددها

طول ليلة ويكررها في كل ركعة وهي كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الاية في سورة المائدة
وانما اكثر ترددها للتدبر والتفكر فيها فان القران له بطون سبعة ففي كل قراءة يظهر له صلى الله
عليه وسلم ما لم يظهر قبل والله تعالى يتجلى لخلص عباده في كلامه ولكن لا يتبصرون كما روى
عن جعفر الصادق رضي الله عنه ففي كل قراءة يتجلى له الله في قراءة كلامه ومثل هذا لا تفي به العبارة
اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تنطبع فيها صور الحقائق وعن عبد الله بن الشخير بكسر الشين
والخاء المعجمتين المشددتين ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب العامري الصحابي
البصري المخضرم الذي ادرك الجاهلية والاسلام وروى له اصحاب الكتب الستة وهذا
الحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
ولجوفه ازيز كازيز المرجل جوف كل شيء باطنه والمراد به ما تحت صدره واضلوعه والازيز
بهمزة مفتوحة وزايين معجمتين بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة وهو صوت الغليان اذا اشتد
وهو المشيش والمراد انه صلى الله عليه وسلم لشدة خوفه وخشيته من الله يسمع
حركة قلبه اذا ارق صدره وقيل صوت الحنين مع البكاء والمرجل بكسر الميم وسكون الراء
المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس قال ابن ابي هالة الصحابي المتقدم
رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان اي حزنا يتصل
بعضه ببعض بحيث لا ينفصل بينها فرح وسرور وهذا يقتضي الدوام ولذا فسره بقوله
دائم الفكرة اي تفكره دائما في امره وامر امته ومن كان هكذا ليست له راحة لاستغراق
اوقاته في الذي كلفه من اعباء الرسالة وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقائع ومن نيط
امور جميع الخلائق كيف يفضي من الهم فان الامور بقدر الهم والظاهر ان هذا حاله صلى الله
عليه وسلم اذا لم يكن متكلما مع الناس في مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاته
من يقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه امورهم وفي عشرة اهله وانما ذلك حال
سكونه وهو بين الناس وفي خلوته بنفسه ومشيه ونضده اما في غير ذلك فكان طلق المحيا
متبسما متلقيا بالبشر ودوام كل شيء بحسب زمانه فاقسم لكل زمان ما يليق به فان للزند
حليا ليس للعنق فسقط ما قيل انه وصف في غير هذا الحديث بانه صلى الله عليه وسلم
دائم البشر وهذا مما قصد له وقد اورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود
وقد نهى الله تعالى عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال لا تحزن ان الله معنا وقال انما النجوى
من الشيطان ليحزن الذين امنوا واستعاذ صلى الله عليه وسلم منه فقال اللهم اني
اعوذ بك من الهم والحزن وتقدم الفرق بينهما اذ الهم لما يقع في المستقبل والحزن لما مضى
وكلاهما مغير للعزم مضعف للقلب غير معدود من مقامات العارفين ولذا قال اهل الجنة
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله عليه وسلم ما يصيب المؤمن من هم
ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به خطاياه يدل على انه مصيبة يؤجر المرء عليها وسيأتي
عليه والحديث الذي ذكره المصنف رواه الطبراني والقضاعي وقال ابن القيم كما سيأتي انه

لم يثبت

لم يثبت وفي سنده من لا يعرف ولا اعلم صحته وفي التوراة اذا احب الله عبدا جعل في قلبه
نائحة واذا ابغضه جعل في قلبه مزمارا فقال ابن القيم اجمع اهل السلوك على ان الحزن
ليس من مقامات السائرين الى الله الا ابو عثمان الحيري فانه قال الحزن فضيلة وزيادة كمال
للمؤمن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا اوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة
كالمرض لا مقام كما قاله الحيلي وحزنه صلى الله عليه وسلم لما اودعه الله فيه من الرحمة
ورقة القلب فكان يحب هداية الامة فاذا راى ما هم عليه من عنادهم وتخلفهم
حزن لذلك وخاف من ان ينسب اليه قصور في دعوتهم ولما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر
اشكال بوجه من الوجوه ولا حاجة لتفسير دوام الفكرة بانها في ذات الله وصفاته حتى
يرد عليه انه نهي عنه فيجاب بان النهي لغير المكمل كما قيل وقال عليه الصلاة والسلام
اني استغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة هذا حديث صحيح وسيأتي الكلام عليه
وقوله صلى الله عليه وسلم استغفر الله بمعنى اطلب منه المغفرة او اذكر هذا اللفظ
بعينه والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا يكون الروايتان بمعنى وطلب
المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من الكبائر والصغائر
مطلقا على الاصح المراد به مع كماله صلى الله عليه وسلم يشهد في نفسه قصورا نزل منزلة
الذنب فاستغفر له او عد اشتغاله بما ابيح له كالاكل واشتغاله بامور الناس ذنبا لغفلته
عن الشهود او هو تشريع لامته او كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لذنوبهم او انه
لم يزل يترقى في المقامات فكلما ترقى لمرتبة راى ما دونها نقصا فاستغفر منه وسيأتي
تتمة وعن علي كرم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته اي طريقته
التي هو عليها وهذا الحديث ذكره في الاحياء وقال الحافظ العراقي لا اصل له وقال السيوطي
رحمه الله انه موضوع واثار الوضع لائحة عليه وهو يشبه كلام الصوفية فقال المعرفة
راس مالي راس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو الفائدة والمراد بالمعرفة
معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يكن يعلمه وهي تختص بالعلم
المسبوق بالعدم او بالجزئيات فلذا قيل ان علم الله لا يسمى معرفة ولا يقال الله عارف
الا انها جاءت بمعنى العلم ايضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا تشبيه بليغ كما
قيل اذا كان راس المال عمرك فاحترس عليه من الانفاق في غير واجب وقد تقدم والعقل
اصل ديني ومن العقل قوة غريزية في الانسان يستعد بها لادراك العلوم اي دينه
وشرعه اي ما يتعبد به ويتدين قبل البعثة او قبلها او بعدها مبني على ما اودعه الله
تعالى فيه من كمال عقله الذي هداه الى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته
وانه هو الحقيق وفي الحديث ان عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله بم تتفاضل الناس
قال بالعقل في الدنيا والاخرة فقالت اليس يجزون باعمالهم فقال يا عائشة هل يعمل الا من له
عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر عملهم يجزون وقد اتفقوا على ان ما اعطي الناس

من بدئ الدنيا الى اخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى
رمال الدنيا كلها والحب اساسي اى محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب اساسي مبنى
عليه اموري فى اتباع او امر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس لى كما قال تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يكمل ايمان احد حتى يكون الله ورسوله احب اليه
من نفسه واهله وماله كما سيأتى بيانه وجمع هذه الامور فى نسق واحد لان راس المال والاساس
والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو لتلوين الخطاب والشوق مركبي اى شوقى الى المطالب
العالية والى لقاء الله تعالى هو الذى مركبي حتى وصلت المرادى كما قيل وقالوا اذا اتيت
لهم سريعا مجدا فى سبيلى للتلاقى ركبت على البراق فقلت كلا ولكنى ركبت على اشتياقى
والشوق على من المحبة لانه يشوء عنها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء من يشتاقه
وذكر الله انيسي وفى نسخة انسي يعنى انه يانس فى خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا اكثر من ذكره
صار نصب عينه حتى كانه معه ومن كان الله معه انس به واستوحش مما عداه ومن كان
له ورد فى الصباح والمسا كان من الذاكرين الله وانظر لقوله اذكرونى اذكركم وقال
ممنون تحقيقة الذكر ان ينسى ما سواه ويستغرق الاوقات فيه لا لانى انسا لك اكثر
ذكرك ولكن بذاك يجرى لسانى والثقة بكسر المثلثة مصدر كالعدة بمعنى
الوثوق بما عند الله وما يطلب منه كنزى الكنز المال المكنوز المدفون وفيه بلاغة
ونكتة بديعة لانه مثله مال مدفون لا يراه ولكنه انفع مما يراه فكذا ما ترجو
من الله قبل حصوله انفع من الحاصل عند الثقة كما قيل وانى لارجو الله حتى كانى
ارى بجميل الظن ما الله صانع وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود
والحزن رفيقي اى لا يفارقنى وذكره مع الانيس لان الرفيق انيس وهذا بمعنى ما تقدم
من قوله متواصل الاحزان وقد علمت ما فيه والعلم سلاحى اى علمى بالله وبما علمني
من لدنه واوحاه الى ادفع به من يجادلنى ويخاصمنى وادفع الشيطان ووسواسه كما
يدفع العدو بالسلاح والات الحرب والصبر فى المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة
فى الامور ردائى الرداء ما يكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه
سكون وتحمل وعلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء المتجمل به ودفعه ضرر
البرد فما قيل من انه لو شبهه بالدرع واللحاف صح كما قيل تدرعت صبرى والتحفت
صروفه وقلت لنفسى الصبر اولى فاهلكى ليس بشئ والرضا بالقصر مصدر وبالمد
كما فى النسخ بالمد غنيمتي جعل غنيمة لانه يقهر به عدو نفسه اللوامة وياسرها اذ الراضى
بما قسم الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى القلب والراحة كما قيل هل هى الا مدة تنقضى
ما يغلب الايام الا من رضى ولاشك ان الرضى بما قدره الله واجب وقوله فى الشرح
الجديد واختلف العلما فى الرضى هل هو واجب او مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر
وانما ورد الثنا على المتصف به والى هذا ذهب محقق العلما مما لا ينبغى ذكره والفقر فخرى

وفى نسخة

326

وفى نسخة البرهان وعزى والفخر بدل الفقر اى اظهار انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة
لله وهو تقتضى مقام العبودية كما قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والعجز المذموم الذى
استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل
بمعنى اخر وهو التثاقل عن العبادة والتوانى كما قيل اذا ما التوانى انكح العجز بنته وساق
اليها حين اصدقها مهرا فراشا وطيا ثم قال لها اتكى فصارا هما لا شك ان تلد الفقرا
وقال ابن تيمية الفقر فخرى ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر ان المراد
بالعجز بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن فى الثروة والشوكة وازيد به لازمه
وهو الفقر ولا وجه له فانه صلى الله عليه وسلم ليس بعاجز عما ذكر وانما تركه واعرض
عنه باختياره كما مر فالاوجه ان المراد به ما مر كما فى الحديث لا يدخل على الاعجز الناس
اى ضعفاؤهم وفى اخو اهل الجنة كل ضعيف متضعف وفى حديث هرقل ضعفاء الناس
اتباع الرسل وفى حديث الاسراء امتك اضعف الامم وهم اكثر اهل الجنة وقيل فقوله
الفقر فخرى قديما لانه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر وكذا قال الحافظ ابن
حجر انه باطل موضوع فانه ورد مدح الفقر فى الحديث كحديث تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر
وقد روى بسند لا باس به واثبات الفخر له وقد نفاه فى قوله لا فخر لانه ليس من شانه
لان المراد به الخصلة الحسنة التى من شانها الافتخار بها والمراد فخرى لو كنت ذا فخر كما قيل
فى قراءة انما يخشى الله من عباده العلماء برفع الجلالة اى انما يخشاهم لو كان يخشى غيره وان كان
المشهور ان المراد بالخشية لازمها وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر وصف محمود
فان الغنى هو الله كما قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد
والزهد حرفتى الحرفة بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين والفاء هى الصناعة التى يرتزق منها
الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدى من الاملاك
والقلوب من التتبع وليس الزهد عدم الملك فان سليمان عليه الصلاة والسلام
كان زاهدا مع ان الدنيا كلها فى قبضته والتعبير فى الحرفة ليس فى محله فانه يوهم انه
جعلها تكسبا وفيه شاهد للوضع ومما قلته فى مشايخ زماننا قد قام فى سوق الريا
تاجر وباع للسوقه ارشاده حرفته الزهد وكانه يبيع فيه الكذب سجاده
واليقين قوتى اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوة القلب من قام به لا طمينانه وعدم
خوفه من غير الله وهذا تام لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور فى التفسير
وكتب الكلام والصدق شفيعى الصدق بمعنى مطابقة الخبر والمراد به ما اصطلح
عليه المشايخ من استوا السر والعلانية والوفا لله عز وجل بكل ما عهده اليه ويصح
ارادة المعنى الاول والمراد بكونه شفيعه سبب مصالحه عند الله او المراد تعليم امته
والطاعة حسبى بفتحتين هو ما يعده المرء من مفاخر اباءه اى طاعة الله فى السر وعلانية
هى التى افتخر بها واعدها ماثرة لا ما يفتخر الناس به او هو بسكون السين اى الطاعة تكفينى

والجهاد في سبيل الله او مجاهدة النفس بحيا لفنا خلقي اي طبعت على محبته وقرة بضم القاف وتشديد الراء المهملة عيني الباصرة اي مسرتها وفرحها في الصلاة لما اشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر والقرة ماخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان بلوغ الامنية برؤيته ما يسر تسكن به العين فلا تستشرف لغيره وقد تقدم ما فيه وفي حديث اخر لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب وثمرة فؤادي في ذكر ربي الفؤاد القلب او داخله وهو محل العقل على الاشهر جعله كشجرة مثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه وغمي لاجل امتي لرفقي عليهم في الدنيا والاخرة وشوقي الى لقاء ربي ومنا جاته والتوجه اليه فصل اعلم وفقنا الله واياك تقدم الكلام عليه ان صفات الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام من عطف الخاص على العام اعتنا لشانهم وبيا تا لشرفهم وسيأتي تفصيله من كمال الخلق وحسن الصورة الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بشرته وشرف النسب الى شرف ابايه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهي الى ادم عليه الصلاة والسلام فليس فيهم خسيس ولا وضيع وحسن الخلق بضمتين او ضم فسكون وقد تقدم بيانه وجميع المحاسن في هذه الصفة كذا في بعض النسخ وفي غيرها وعليه الشراح هي بالضمير بدل في الجار قال القسطلاني هذه الصفة خبر ان ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير للفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المنطلق اي لا غيره واتى بها على لفظ الافراد ليغاير بين المبتداء والخبر فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام ليشعر بان المراد استغراق ما ذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض الشراح ولم ينبه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهي صفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي على الوجه الاتم الاكمل لا تجتمع في غيرهم ومن بيانية لصفات جميع الانبيا والرسل والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من العلاقة والخفا وان ترك هذه الصفة ركيكة جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ خبر ان ومن ابتدائية وجميع مرفوع مبتداء وفي هذه الصفة خبره والمعنى جميع صفات الانبيا عليهم الصلاة والسلام ناشية من كمال الخلق الخ وجميع المحاسن مجموعة فيها كان اظهر واحسن لانها صفات الكمال اي هذه الصفات بها تكمل البشر والكمال والتمام البشري تقدم الفرق بين الكمال والتمام والفضل الجميع مبتداء وكان الاحسن ان يقول والفضل جميعه لهم خبره اي ثابت للانبيا عليهم الصلاة والسلام اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتي ولكن فضل الله بعضهم على بعض استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم بتبعية ثم اشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله قال الله تعالى تلك الرسل المذكورين في سورة البقرة فالتعريف

عهدي وجميع الرسل الذي يعلمهم فهو استغراقي فضلنا بعضهم على بعض بمواهب سنية ومراتب عليه غير اصل النبوة والرسالة منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام واشار الى فضلهم على من عداهم بقوله وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم منا باحوالهم على العالمين وهذا من المصنف مبني على ان الضمير للانبيا مطلقا والمراد بالعالمين جميع العالم لا على ما اختاره من انه لبني اسرائيل والعالمين عالمي زمانهم لكثرة الانبيا فيهم وقال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان اول زمرة اي طائفة وجماعة يدخلون الجنة على صورة القمر اي وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله في الاستدارة وغير ذلك ولذا قال ليلة البدر وهي ليلة اربعة عشر وهو اضوا ما يكون فيها وسمي بدرا لامتلائه بالنور ولمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا في اول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم ان الهلال اذا رايت عيونيك ان يسعود بدرا كاملا والقمر يطلق عليه دايما كما بينه اهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كاشد كوكب دري في السما اضاءة ثم قال اخر الحديث قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرء منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون انيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفيه ايضا ان له من الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه من الدنيا وان الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الارض على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه الصلاة والسلام طوله ستون ذراعا في السماء والمراد بهذه الزمرة عليهم الصلاة والسلام وبالذين يلونهم الاوليا والعلما الراسخون وقيل المراد بهم الانبيا والاوليا وبالذين يلونهم بقية المؤمنين الاتقياء وقوله انيتهم الذهب والفضة اما على اللف والنشر فانية الفرقة الاولى من الذهب والثانية من الفضة او هما لهما بقرينة جعل امشاطهم كلهم من الذهب ويحتمل ان يكون اكتفا اي من الذهب والفضة ورجح بعضهم ان يكون هؤلاء كلهم من امته محمد صلى الله عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بيض الوجوه تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى وهم مسكوت عنهم وعلمهم عند الله وجعلهم على صورة ادم عليه الصلاة والسلام لانه كان اجمل الناس واتمهم خلقا والستون ذراعا اما بذراع نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول اظهر لكن روى ابن ابي الدنيا عن انس يدخل اهل الجنة الجنة على طول ادم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلين وورد ان عرضه سبعة اذرع والحديث يدل على تبدل الوانهم فمن كان اسود او اشقر صار ابيض بياضا معتدلا وروى الامام

احمد عن ابى هريرة يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة جردا بيضا جعدا مكحلين ابنا ثلاث وثلثين
وهم على خلق ادم ستون ذراعا فى عرض سبعة اذرع وقوله فى السماء يحتمل ارادة الحقيقة
منه اى كابتداء خلقه وصورته اذا كان فى السماء اوالمراد جهة العلو اى طوله ذلك
اذا كان منتصبا قائما فائدة استنبط بعضهم من ان مقعد الحور فى الجنة ميلا ان كلا
من يدخل الجنة يكون طوله اثنا عشر الف ذراع الشرع الذى هو شبران لان مقعد
الحور اميل فيكون طولها ثلاثة اميال ومقعد الوحد من ثلث قامته تقريبا والغالب
ان الذكر كالانثى فى الخلقة فيكون طول الرجل اثنا عشر الف ذراع كما تقدم يقسم على
الستين الواردة فى الحديث فيكون كله ذراع من الستين مائتا ذراع شرعى تقريبا
وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه الذى رواه الشيخان ايضا رايت موسى عليه الصلاة
والسلام ليلة الاسرى عيانا لا مناما لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام احياء
لاتبلى اجسادهم فاذا رجل ضرب باذا الفجائية اى فاذا هو رجل ضرب بفتح الضاد المعجمة
وسكون الرا المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم بمعناه المشهور وهو الذكر من بنى ادم
ومعنى ضرب بالفتح والسكون ان جسمه بين الهزال والسمن وقال الخليل رحمه الله انه
القليل اللحم ووقع فى رواية الاصيلى بسكون الراء وكسرها والاصح الاول وروى مضطرب
وهو الطويل غير الشديد الطويل وفى مسلم عن ابى عمر رضى الله عنهما انه جسيم بسط
وحمل هنا على ما يوافق رواية مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع فى صفة الدجال فهو من الاضداد
رجل بفتح المهملة وكسر الجيم وجا فتحها فى لغة قليلة اى شعره متكسر قليلا ليس بسبط
لاتكسر فيه ولا جعد متكسر كثيرا اقنى بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الانف
ودقة ارنبته يقال رجل اقنى وامراة قنوا وقيل القنا احديداب فى الانف فمعناه
محدودب وليس بعيب فى الناس وفى النهاية القنا فى الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب
فى وسطه واما قول كعب رضى الله عنه قنوا فى حرمتها للبصير بها عنق مبينة فى خديه
تسهيل فمعنى اخر لا حاجة لنا به هنا كانه من رجال شنوة بفتح الشين المعجمة وضم النون
وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وهاء وزن فعولة وهى اسم قبيلة
ويقال لها ازد شنوة واسد شنوة وهى باليمن مشهورة وهى من الشنا وهو التباعد
مما يدنس يقال رجل شنوءا اذا كان ظاهر النسب ذا مروة سميت بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرتهم
وافعالهم وهذا الحديث متفق عليه وفى رواية البخارى كانه من رجال الزط وهو نوع من السود
ان الهنود طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو وجه الشبه اى انه طويل غير جسيم ورايت
عيسى عليه الصلاة والسلام يقظة فى الاسراء كما سياتى فاذا هو رجل ربعة بفتح
الرا المهملة وسكون البا الموحدة وفتحها اى بين الطول والقصر معتدل القامة كثير
خيلان الوجه بكسر الخا المعجمة وسكون المثناة التحتية جمع خال وهو الشامة السودا
المعروفة وما قيل من ان كثرة الخيلان مذ موته غير مسلم واختلفت الرواية فى لونه فروى

انه

328
انه ادم اى اسمر وروى احمر كانما خرج من ديماس بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم
والف وسين مهملة وهو الحمام والكن واصله السرب فى الارض والمراد صفا لونه مع حمرة
فيه فرواية ادم بمعنى شديد الحمرة لا تنافى هذه وفى حديث اخر لم يعرف راويه مبطن بالتشديد
والطا المهملة اى ضامر البطن كما يفسره قوله مثل السيف اى فى استوايه ودقته وقد
تعددت الرواية برويته صلى الله عليه وسلم للانبيا عليهم الصلاة والسلام يقظة
فى السماء والارض لانهم احيا وصنف البيهقى فى هذا جزا مستقلا قال صلى الله عليه وسلم
وانا اشبه ولد ابراهيم به يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم ولونه كلونه فهو اكثر شبها به من سائر
الانبيا عليهم الصلاة والسلام والناس كلهم قال صلى الله عليه وسلم فى حديث
اخر فى صفة موسى عليه الصلاة والسلام كما رواه البخارى فى صحيحه كاحسن ما انت
راء من ادم الرجال ما موصولة والعائد محذوف اى الذى انت رايته وادم من الادمة
وهى سمرة وهى سمرة اللون وقيل وهى فى الابل بمعنى البياض وفى الظبيه سمرة الظهر وبياض البطن
ومن ثمه ادما وادم هنا بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وبالميم جمع ادم كاسمر وسمر وهى السمرة
مطلقا او الشديدة وقيل انها البياض والاول اصح واستدل عليه بقوله تعالى تخرج بيضاء
من غير سوء اى عيب كالبرص وانما يكون هذا اذا كان اسمر خالف لونها لونه ويحتمل انها تخالفه
لشدة بياضها كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس وفى حديث ابى هريرة رضى الله
عنه عنه صلى الله عليه وسلم رواه ابو يعلى وابن جرير من طرق واخرجه سعيد ابن منصور
فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا ما بعث الله تعالى من بعد لوط عليه الصلاة
والسلام نبيا وهو لوط بن هاران وهو ابن اخى ابراهيم وخص ما ذكر بما بعده لانه من الشام
فبعثه الله تعالى الى اهل قرية يقال لها سدوم ليست من بلاده وليست موطنا لقومه ومن بعده
من الانبيا لم ينبا الا فى ذروة من قومه ويروى فى ثروة اى كثرة والذروة بكسر الذال المعجمة وضمها
وسكون الراء المهملة اعلى كل شى اى بين قوم له ذوى جاه وسعة وشرف لا غربا ولا من قوم
ليسوا كذلك واشار بهذا الحديث الى ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام كلهم شاركوا
نبينا صلى الله عليه وسلم فى علو النسب وشرف القوم والثروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد
تخص بالمال وقيل الذروة المكان المرتفع وهى مثلثة الذال ومنعة بفتح الحروف اى بميم
ونون وعين مفتوحات وهاء جمع مانع ككتبة جمع كاتب ويجوز تسكين نونه او هو اسم
مصدر فى الاصل كصدقة اى قوم يمنعونه ويحمونه وقصة لوط عليه الصلاة والسلام
مفصلة فى كتب التفسير وفى قوله تعالى قال ان لى بكم قوة او اوى الى ركن شديد اشارة الى
ما ذكر من انه لم يبعث فى قومه الذين ينصرونه ويحمونه فان قلت كيف يكونون فى منعة وثروة
وقد قال فى بعضهم وما امن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم وما مناسبة ما ذكر
لما عقد له الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات الذاتية قلت قد توهم بعضهم
ورود ما ذكر وليس كذلك لان ما ذكر من شرف القوم والاصالة يدل على المحاسن الذاتية

لاستلزامه لها وكونهم كثيرون لاينافي عداوتهم واما المنعة فباعتبار من اتبعه منهم ولذا
رد رحم الله اخي لوطا لقد اوى الى ركن شديد وهو لاينافي الاية لان المراد الملائكة وما امره الله
تعالى به وحكى الترمذي عن قتاده ورواه الدارقطني من حديث قتاده عن انس رضي الله عنه
تقدم ترجمة الترمذي وقتادة وان الدارقطني منسوب لدار القطن وهي محلة ببغداد كان
يسكنها وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره في الحديث والفقه والقران وغيرها
من العلوم الشرعية والحديث المذكور في الشمايل وغيرها مرسلا مابعث الله نبينا الا وقد
خلقه حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم من ابتدا وجوده وخلقته احسنهم اى الا
نبيا عليهم الصلاة والسلام وجها واحسنهم صوتا لان حسن الصوت يدل على كمال
الخلق والخلق اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل يدل على معروفه حسن وجهه وما زال
حسن الوجه اهدى الدلايل وقال يدل على قبح الطوية ماترى بمناجها من قبح بعض
ملامحه وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطف فيه يدرك بالذوق
ولا يلزم كونه على رسم الموسيقي وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان اجمل من يوسف
واحسن صوتا من داود عليهما الصلاة والسلام وكانت قراته صلى الله عليه وسلم ليلا
في بيته يسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة وما ورد في حديث الطبري في يوسف
فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن المراد منه تفضيله على من عداه
صلى الله عليه وسلم لا سيما ان قلنا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه كما ذهب اليه
بعض الاصوليين ويدل عليه ما ورد انه صلى الله عليه وسلم اعطى الحسن كله واعطى
يوسف عليه وسلم شطره اى نصفه اى ان الحسن كله جمع له صلى الله عليه وسلم من تناسب
اعضا وصفا لون وغيره مما يدرك ولا يوصف ويوسف اعطي من جنس الحسن الكامل فيه
نصفا وجميع الخلق وزع بينهم ما يعدل نصفه الاخر فدل ذلك على انه احسن الناس كلهم
كما صرح به في الحديث الذي نحن فيه وما قاله السخاوي في كتاب الامتنان من ان الجلال المحلي
رحمه الله سئل عن حديث اعطى نبينا جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشيء
الواحد جميعه في شيء ونصفه في اخر فقال لم يظهر لي جوابه وكذا ابن حجر وقد تاملت قوله
في البردة البوصيرية منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم فبان لي
جوابه وهو ان حسن النبي صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه وبين غيره بخلاف حسن
ساير الناس فانه منقسم بينهم وبين يوسف عليه الصلاة والسلام انتهى فيه نظر وهو
مغالطة وزهرة لا تحتمل الفرك ومنشاه عدم الفرق بين تقسيم شيء بعينه وتقسيم افراد
نوع من الانواع فتدبر وفي حديث هرقل الاضافة لادنى ملابسة لذكره في الحديث كما يقال
حديث الشفاعة والاصل اضافته لراويه الصحابي او التابعي او من خرجه كالبخاري ومسلم
وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه وابن عباس نقله عن ابي سفيان
حين ارسل اليه هرقل وهو بالشام للتجارة في ركب من قريش في مدة مهادنة رسول الله صلى الله

عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظما الروم فسالهم عن احواله صلى الله
عليه وسلم فكان اول ما ساله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذو نسب الى اخره
فقال له كما اشار اليه بقوله وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب اى نسب
عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله صلى الله عليه وسلم وانه ليس في ابايه سفاح ولا شيء
من نكاح الجاهلية كما مر وتقلبه في الاصلاب الطاهرة من الانبياء وقبيلته اشرف القبايل
وبيته اشرف بيوتهم وكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام تبعث في انساب قومها اى كل نبي له
نسب عال في قومه لان من اختاره الله لنبوته يختار له عنصرا مناسبا ولم يتخذ وليا من الذل
فشبه اتصالا لذيها باتصال الظرف بمظروفه وقال تعالى في ايوب صلى الله عليه وسلم وكان
ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرية قرب نوى وعليه مسجد وقرية موقوفة على مصالحه
وعنده عين جارية فيها اثر قدم في حجر يقال انه اثر قدمه عليه الصلاة والسلام والناس
يشربون من عينه ويغتسلون منها للتبرك ويقولون انها المذكورة في القران انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب كثير الرجوع لربه بمراجعته دعائه وامتثال اوامره ونواهيه
واستشهد بهذه الاية على حسن خلق الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان الصبر من اعظم
خلق كل كريم حليم ولذا اثنى الله عليه بقوله نعم العبد الخ ووصفه بالعبودية المناسبة
للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صلى الله عليه
وسلم صبر على قومه وما قاساه منهم وقصة ايوب عليه الصلاة والسلام ونسبه
مذكور في التفسير واختلف في زمن نبوته فقيل كان قبل موسى عليه الصلاة والسلام
وانه من بني اسرايل ومدة بلائه ثلاث عشرة سنة او ثلاث سنين وامراته اسمها ليا
وقيل رحمة بنت يوسف وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا
وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين واستشهد المصنف بما ذكر على محاسن الانبيا
واخلاقهم اذ تلقى يحيى عليه الصلاة والسلام الكتاب التوراة او غيرها بقوة فهم
وعزيمة على العمل بما فيها وقد اتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته
وكان حنانا في طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقايص وانه سلمه الله من يوم
ولادته الى مماته وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين الايتين
استشهد بهاتين الايتين على ما حواه الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الصفات الجليلة
ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم صفوة خلقه قال ال ابراهيم اسحاق واسمعيل
واولادهما وال عمران عيسى ومريم بنت عمران ذرية بعضها من بعض على سنن واحد وقال
في نوح عليه الصلاة والسلام انه كان عبدا شكورا لانه صلى الله عليه وسلم كان
لا يفعل شيئا الا قال بسم الله والحمد لله وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الاية
استشهد بهذه الاية على ما يعسى صلى الله عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية
التي وصفه الله بها من انه وجيه اى شريف قدره في الدارين وانه تكلم في المهد وقد تقدم ذكره

من تكلم في المهد غيره والكهل الشاب وقيل من خطه الشيب ومن جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين
وكونه رفع ابن ثلاث وثلثين وان جزم به القاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في الاصابة
انه الاخر منها انه بلغ المائة او زاد عليها وتقدم معنى كونه كلمة الله وقال انى عبد الله اتانى الكتاب
وجعلنى نبيا الى ما دمت حيا قيل انه نبى وهو صبى والهم حفظ التورية والانجيل ووصف نفسه
بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه بما ذكر تبرئة لامه عليه الصلاة والسلام
وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وذلك
لانهم عابوه عليه الصلاة والسلام لشدة تستره حيا من الله بان في بدنه برصا او ادرة
فبرأه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك ساق القصة الاية وقال النبي صلى الله
عليه وسلم كان موسى رجلا حييا بحا مهملة وياءين ثانيهما مشددة بزنة صبى اى كثير الحيا
ستيرا بكسر السين المهملة وكسر التا المثناة المشددة بزنة سكينة اى شديدا الستر لبدنه
وقد اشار للتفسيرين بقوله ما يرى من جسده شىء استحيا وهذا يدل على عفته وحياته
صلى الله عليه وسلم وهو خلق حميد وقال البرهان ستيرا بفتح السين وكسر التا الفوقية
المخففة فعيل بمعنى فاعل والذي احفظه انه بكسرها وتشديد التا الفوقية كسكيت وسكين
وكذا ضبط في نسخ البخارى وعمر كان يستحى من كشف عورته وبدنه فهو اشد حيا من كشف
غيره الحديث بالنصب اى اقرا الحديث الذى رواه البخارى عن ابى هريرة او نذكره وتمته ان
صلى الله عليه وسلم لما كان يكثر الستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل هذا البرص
او ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما اراد ان يلبسه فر الحجر وجرى خلفه
يقول ثوبى حجر حتى مر على بنى اسرائيل فراوه اكمل الناس واصحهم بدنا فبرى مما اسمعوه واذوه
به وقال تعالى عنه معنى حكى مقدار بعناه اى عن موسى عليه الصلاة والسلام ففررت
منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين الاية اى علما ونبوة وفراره صلى الله
عليه وسلم لما قتل القبطى وذهب فكلمه الله كما هو مشهور وقال في وصف جماعتهم
اى من الانبيا عليهم الصلاة والسلام انى لكم رسول امين وقع هنا من نوح وصالح
ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام كما حكاه عنهم على وجه الرضى والتصديق
فلا يتوهم انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه وقال موسى لشعيب عليهما الصلاة والسلام
ان خير من استاجرت القوى الامين وقصته معه انه لما فر من القبط اذ خافهم لقتل رجل
منهم ومر بابنتى شعيب عليه الصلاة والسلام جالستان ينتظران فراغ الناس ليسقيا غنمهما
لهما فقال لهما لم تاخرتما فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعا فقال اما عندكم بئر غير هذه فقالتا
عند نا بئر مطبق عليها حجر لا نطيق رفعه وكان لا يرفعه الا عشرة من اشداء الرجال فقال
اذهبا فادنيها فرفعه وحده وسقى لهما فقالتا له اذهب معنا يجزيك ابانا على ما فعلت
فقال ارشدنى للطريق وامشيا خلفى لانى رجل من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لا احب ان ارى منكما ما لا يحل لى فاخبرتا اباهما بقصته وقوته في رفعه ذلك الحجر وامانته

في سورة القصص

لامتناع

٣٣٠

في سورة الانعام

لامتناعه من النظر لهما فاستاجره على ما قصه الله تعالى عنه قال البيضاوى والجملة معللة
لما قبلها وللمبالغة جعل خيرا واسم ان معرفتين يعنى لم يقل ان من استاجرته قوى امين بل اتى
بجملة معرفة الطرفين لحصر الخبرية فيه فتدبر وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
توصفهم بالصبر وهو من احسن الاخلاق والعزم على التصميم على نفاذ الامر والحزم
في الشدايد وقد اختلف في اولى العزم كما مر وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا
ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون
وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل
واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم
واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده
ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة
فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقد وقع في هذه الاية بحث ذكره الطوفى في تفسيره وهو انه استدل
بهذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لان الله تعالى امره بالاقتداء بهداهم جميعا ولا شك في امتثاله واقتدائه صلى الله عليه وسلم
وازالته يعاتوا به جميعا مع خصه به كان افضل من كل فرد بلا شبهه ومن المجموع ونقل
عن العز بن عبد السلام انه قال انه افضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة في الاية
عليه قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس ونسبوه في هذه المقالة الى ما وصل الى
تكفيره وانا اقول انا برى من نسبة مثله للعز والقايل بهذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة
دنانير على خمسة رجال واعطى اربعة منهم دينارا دينارا واعطى ستة للخامس فهو يزيد
على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع
فالاية لا دليل فيها لما ادعوه وهذا انما يتم لو لم يثبت له صلى الله عليه وسلم غير الجميع
وهو مفرد ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا المحل والها في اقتده ها سكت تثبت
وقفا على القياس ووصلا اجرا له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام
اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان بها تشبيها لها بها الضمير وقيل هذا لا يصح وانما هى
بها المصدر كقوله هذا سراقة للقران يدرسه فوصفهم باوصاف جمة اى كثيرة من الصلاح
ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور في قولهم رجل صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبيا
عليهم الصلاة والسلام ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق
في شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهى ابلغ من غيرها كما فصله
السبكى في فتاويه والهدى والاجتبا وهو الاصطفا والاختيار للرسالة والحكم والنبوة
اى الحكمة او فصل الامر على مقتضى الحق وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وهو اسحق
توصفه بالعلم والحلم وهما امران عظيمان قال الانطاكى كذا في النسخ والذى في القران

فبشرناه بغلام حليم وبشرناه بغلام عليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر وقال
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد الله انى لكم رسول امين سورة دخان
الى قوله امين والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النار
فشبه امرهم باتباعه بعجائب ملة المختبر والمراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب نبينا صلى الله عليه
وسلم فوصفهم الله في هذه الاية بصفات حميدة من الكرم والامانة وغيرهما وقال حكاية
عن الذبيح ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح مسلما لله ولذا سلمه الله وفداه
وقال في اسمعيل عليه الصلاة والسلام انه كان صادق الوعد الايتين صرح باسمعيل
مع ان المذكور مثله في حقه اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحق وقيل انه اسمعيل بن حز
قيل وهو نبي بعثه الله لقومه فسلخوا راسه فخيره الله بين تعذيبهم وغيره فاختار العفو والرضى
بثوابه والجمهور على انه اسمعيل الذبيح ابن ابراهيم وهو رسول نبي وصدق وعده لانه وعد اباه بالصبر
على الذبح فوفى بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها اشرف على قول وقال في موسى عليه
الصلاة والسلام انه كان مخلصا في طاعته لا يقصد بها الا وجه الله والتقرب اليه وقال
في شان سليمان نعم العبد انه اواب اي مسبح او رجاع اليه بالتوبة وقيل الاواب المطيع
وقيل الرحيم او كثير الصلاة وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وهو اسرائيل
ابو انبياء بني اسرائيل اولي الايدي والابصار الايدي جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر
بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة الظاهرة وقوتها وعلى القوة الباطنة المدركة ولا يقال
للجارحة بصيرة كما في عمدة الحفاظ وبمعنى اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار جعلناهم خالصين
بسبب انهم لا يذكرون الا الدار الاخرة واطلق الدار اشارة الى ان الدنيا ليست بدار مقر بل
ممر ومعبر وعندهما للقرب والاخيار جمع خير او خير المشددة بعد التخفيف وقال في داود
اواب تقدم تفسيره ثم قال في حقه وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب اي
قويناه لان بني اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثة الف متسلح او قويناه
بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اي الكلام الفاصل بين الحق والباطل وقيل هو اما
بعد وهو اول من قالها وقيل هو البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وقيل غير ذلك
وقال عن يوسف عليه الصلاة والسلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
وقيل الارض هنا ارض مصر وفي الاية دليل على جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليه
من الكافر وقيل ان فرعون يوسف اسلم وقصة يوسف عليه الصلاة والسلام في سورة الكهف
اشهر من ان يذكر وقال في موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا وهذه قصته
مع الخضر عليهما الصلاة والسلام المشهورة وقال عن شعيب عليه الصلاة والسلام
ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال عنه ايضا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت شعيب من نسل ابراهيم عليهما الصلاة
والسلام ارسل الى مدين والايكة وهما امتان وقيل امة واحدة فوصفه الله تعالى

بالصلاح

بالصلاح والاصلاح وانه لم يامر الا بما فعله وهو خطيب الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما فلوط ابن اخي ابراهيم كما تقدم والحكمة والحكم
بمعنى هنا وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية اي شانهم المبادرة الى فعل انواع الخير
وسوال الله تعالى في الرغبة والرهبة وقال سفيان الثوري وابن عيينة في تفسير هذه
الاية هو الحزن الدائم قيل هو راجع الى الخشوع في قوله وكانوا لنا خاشعين وفي الشرح
الجديد يريد ان ما ذكر في الاية من الخيرات الذي ينشا عن خيرات من سلك طريقها فقد
وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول في اي جمع اية كثيرة ذكر فيها من خصالهم
ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وهذا ابتداء كلام لا تعلق له بكلام سفيان رحمه الله
اي ما ذكر من الايات مندرج في ايات كثيرة داله على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو
بعض منه وجاء من ذلك اي من وصف كمالهم عليهم الصلاة والسلام في غير القران في الا
حاديث الصحيحة كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي بن نبي ابن نبي بن نبي هذا الحديث في البخاري بدون
انما وقوله نبي بن نبي الخ والكريم ليس بمعنى السخا فانه استعمال طار وانما هو بمعنى جامع للخير والشرف
ومكارم الاخلاق قيل وانما خصه يوسف عليه الصلاة والسلام بما ذكر لما جمع الله
له مع علو النسب جعله رابع اربعة من الانبياء من الحسن المفرط والعفة والملك والعلم
والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره وفيه التكرار المعدود من المحسنات البديعية
كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام يا ابت لم تعبد الاية كرر يا ابت مبالغة استعطاف
ابيه والاطراد كقوله واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب والسجع وهو من المحسنات
احيانا وانما انكاره لمن خاطبه وقوله اسجع كسجع الكهان لانه ليس في محله وهو مقام
الحكمة وقيل عليه ان ما ذكر ليس من قبيل التكرير لان كريما ليس معناه واحد في الحديث
وان ما ذكر ليس من قبيل السجع وليس بشيء لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ما صدق
عليه والسجع ما اتحدت فاصلته وفي حديث انس رضي الله عنه الذي رواه البخاري
وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فهو من خصائص الانبياء عليهم الصلاة
والسلام ومر ان الخصائص تنقسم الى اقسام فمنها ما اختص به صلى الله عليه وسلم
دون سائر الناس الانبياء وغيرهم ومنها ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون امته
كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره في الشرائع السابقة ومنها ما اختص
به صلى الله عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبياء كما نحن فيه ولذا كان
وضوءه صلى الله عليه وسلم لا ينقض بالنوم كما صرح به الشافعية ومنها ما اختص
صلى الله عليه وسلم دون الامم السالفة وانبيائهم كالتيمم فان قلت كيف هذا وقد نام
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس عليه لا يصح ان يكون
هذا تشريعا لامته لانه لا يفعل ما يمتنع شرعا للتشريع وان لزمه ذلك من غير قصد له

قلت اجيب عنه باجوبة احدها وهو الاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حالان حال لا ينام فيها قلبه وهي الغالب عليه وحال نادرة فيها ينام قلبه الثاني انه يغيب عنه في نومه ما يحس بالبصر ما لا يدرك بالقلب كالحدث والالم ونحوهما ورجح بعضهم هذا الثالث ان قلبه لا يستغرق حتى يتعطل احساسه وقد يستغرق لاشتغاله بوحي كما كان يشاهد منه اذا نزل عليه الوحي في اليقظة وقيل ان المراد انه لا يستغرق قلبه حتى لا يدرك الحدث قال ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة الضعيفة ان قلبه صلى الله عليه وسلم كان يقظان وعلم بخروج الوقت ولكن فعله تشريعا اما فيه هنا اشارة الى يقظة قلبه وانه لا يغفل وهذا من جملة الكمال فناسب للترجمة مناسبة تامة وروى رواه الطبراني عن ابي هريرة رضي الله عنه ان سليمان عليه الصلاة والسلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وذلك لتعظيم ملكوت الله وملائكته استصغارا لنفسه لا لان الله في جهته وحيزه كما يتوهم وكذا كان ابوه داود عليه الصلاة والسلام كما ذكره الغزالي في الاحيا حياء من الله تعالى اي حياء من ملائكة الله تعالى لقصور اعماله من اعمالهم اي لا يفترون عنها طرفة عين ولا ينافي هذا قوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت لانه مقام اخر وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة ويأكل الخبز الشعير جمع لذيذة وهو ما يشتهى ويميل له الطبع من المأكولات واوحى الله اليه يا رأس العابدين اي اعلاهم ورئيسهم وابن محجة الزاهدين اصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لمنهجهم ومقصدهم ومقتداهم الذين يأتسون بسنته ومسلكه وفي نسخة محجته وزهده صلى الله عليه وسلم لا ينافي في ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك وكانت العجوز تخصها لحاجتها تعترضه اي تتنحى له صلى الله عليه وسلم وتقف مقابلته وهو راكب على الريح في جنوده وعزة سلطانه فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي لقصده وقيل ليوسف عليه الصلاة والسلام ما لك تجوع وانت على خزاين الارض فقال اني اخاف ان اشبع فانسى الجايع المراد بخزاين الارض المخزون من الاموال والارزاق وروى ابو هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري عنه خفف على داود القران هو مصدر بمعنى القراءة كالغفران والمراد قراءة كتابه وهو الزبور والمقروء وقيل ان اطلاقه هنا مع انه علم فيما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلق على المعنى القايم بذاته تعالى اشتراكا او مجازا على طريق الاستعارة او المجاز المرسل والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير فكان يأمر بدوابه فتسرج وروى بدابته والمراد الجنس المختص به فيقرأ القران قبل ان تسرج قالوا هذا من بسط الزمان صلى الله عليه وسلم او من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووي وبلغنا ان من الناس من قرأ اربع ختمات بالليل واربع ختمات بالنهار ولا يأكل الا من عمل يده مع انه صلى الله عليه وسلم ملك خزاين الارض بيده وكان ادم عليه الصلاة والسلام

حراثا ونوح عليه الصلاة والسلام نجارا وادريس عليه الصلاة والسلام خياطا وموسى عليه الصلاة والسلام راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لا ينافي في توكل الخواص ثم بين عمله بقوله قال تعالى والنا له الحديد فكان اذا مسه بيده لان كالشمع والعجين من غير نار وضرب ان اعمل سابغات اودروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة وقدر في السرد سرده نسجه اي عمله واصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل ثقوب طرفي الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير دقيقة فتعلق ولا غليظة فتكسر الحلق وقيل ان دروعه صلى الله عليه وسلم كانت بلا مسامير لالينا بهما وان في قوله ان اعمل تفسيرية او مصدرية بتقدير الجار وقيل كان تكسبه لانه اختفى ودار يسأل الناس عن سيرته فيهم فيلقى ملكا في صورة رجل فسأله عن نفسه فقال له نعم الرجل لو كان لا يأكل من بيت المال واصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها اقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الانفصال عن المطالبة وكان داود عليه الصلاة والسلام سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وسببه ما مر من هنا يعلم ان السلطان ينبغي ان يكون له ما يكتسبه لئلا يأكل من بيت المال فان لم يكن له صنعة لا يأكل من بيت المال الا بقدر الحاجة والاسراف منه حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه حق غيرهم وقال عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما الاتي وما بعده سيأتي من نقله احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وبين ذلك بقوله كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيامه في وقت يتجلى الله فيه ويقول هل من سايل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع الشمس بل الى قبيل الفجر فيستقبل الصبح بنشاط لاستراحته وهكذا ينبغي للمتهجد ولم يتعرض احد لصلاة الامم السالفة ولا لصلاته صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء وبيان كيفيتها الا ان السيوطي رحمه الله تعالى نقل في الخصايص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا وكان يصوم يوما ويفطر يوما وفي هذا اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهي عنه مع ان هذا اشق منه لان من اعتاد شيئا صار طبيعة له لا تنفر وهذا الحديث اخرجه وقوله وكان اي داود عليه الصلاة والسلام يلبس الصوف ويفترش الشعر اي ما نسج منه لانه خشن يمنعه النوم والاستغراق فيه المانع له ورده وهذا شعار الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصلحا ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد الملح ادام بخلاف الرماد فكانه كان يأتدم به على خلاف المعتاد او يضعه في ادامه لئلا يلتذ به ويمزج شرابه بالدموع لكثرة بكائه وعدم خلوه منه ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة وهي تزوجه بامراة اوريا بعد ما ساله ان ينزل له عنها ففعل وتزوجها فجاه ملكان في صورة

رجلين يديعيان نغاجا على ما قصه الله تعالى وليست هذه خطيئته ولكن علو مقامه وزهده
يقتضى خلاف ذلك فلما عوتب عليه وكان يبكى وقد ذكر الله مدحه وعصمته مما لا مزيد
عليه لا شاخصا را فعا وفا تحا بصره نحو السما اى جهته العلو حيا من ربه سبحانه وتعالى
كعادة من اذنب فانه يطاطى بصره ولم يزل باكيا حيا نه منصوب على الظرفية اى مدة حياته
صلى الله عليه وسلم كلها تاكيد لما قبله وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه لكثرته
وهذا رواه ابن ابى حاتم عن انس رضى الله عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا وحتى
انحدرت الدموع ليا خذه اخدودا هو فى الاصل الشق المستطيل فى الارض استعير لتاثير الدموع
ومجراها اثرا يعلم وبين الخدود وتجنيس اشتقاقى وقيل كان يخرج من منزله متنكرا اى متخفيا
من معرفة الناس لتعرف سيرته جملة مستانفة لبيان سبب تنكره فيسمع الثنا عليه فيزداد
تواضعا لله لما منحه من السيرة الحسنة والذكر الحسن لا لكن يزداد بمدح الناس له غرورا وقيل
لعيسى عليه الصلاة والسلام كما اخرجه احمد بن حنبل وابن ابى شيبه عن ثابت لو اتخذت لك
حمارا لتركبه لتستريح من المشى قيل انما اكرم على الله ان يشغلنى بحمار هذا من زهده وسوء
حاله ايضا اذ لم يقل انا اتواضع بالمشى وشغله يشغله كسا له يسا له واشغله لغة رديه
وكان يلبس الشعر اى ما نسج منه زيادة فى تقشفه وانما كره ما لك لبس الصوف لمن
يتخذ شعارا له اظهارا للزهد فان اخفاه افضل لما فيه من الريا وياكل الشجر اى ورقه
او المراد به مطلق النبات تجوزا ولم يكن له بيت يملكه او يختص به ايما ادركه النوم اى
وقت نام اى ينام فى اى مكان يجن عليه الليل فيه وكان احب الاسما اليه وفى نسخة
الاسلمى اى الالفاظ التى ينادى بها ان يقال له يا مسكين رغبة فى التواضع لعظمة الله
عز وجل وقيل عليه نحن ما مورون بتعظيم الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومحبتهم
وتعظيمهم تعظيم لله فلو قال لاحد نبى من الانبيا يا مسكين كان تحقيرا له وتحقيرهم
كفر ومعصيته فلا ينبغى لنبى ان يرضى به وقد امرنا بتعظيم نبينا صلى الله عليه وسلم
وان لا نناديه باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع اصواتنا عنده توقيرا له وحرمته
صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا كما سياتى بيانه وهذا مما اشترك فيه سائر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فكان يجب على امته عيسى عليه الصلاة والسلام ان يوقروه
ويجب على عيسى ان لا يرضى بعدم توقيره فان قيل انه فر من العجب وقيل مثله لا يطرق على
عجب ولا يخشاه واجيب بحمل هذا على انه صدر ممن لم يومن به فكانوا يقصدون بذلك
تنفير الناس على الايمان به واتباعه كما وقع مثله من المشركين فى حق نبينا صلى الله عليه
وسلم فكان عيسى عليه الصلاة والسلام اذا بلغه ذلك عنهم احبه واما المومنون
فيجب عليهم تعظيمه افرده ممن امن به اذا سالهم سايل عنه اهو ذو مال ام فقير فيقولون
هو مسكين كما كان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم احينى مسكينا وامتنى
مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وكما قال ابو العتاهية اذا اردت شريفا القوم

كلهم

كلهم فانظر الى ملك فى زى مسكين والكلام على الفقير والمسكين اشهر من ان يذكر اقول الاوجه
333 للسؤال ولا للجواب تاتالا ولا فلان عيسى صلى الله عليه وسلم غلب على امته الرهبانية
واظهار المسكنة فيكون فى شرعهم يجوز مناداته وخطابه بمثله من نبيهم وخواص حواريهم
وان لم يجز مثله فى شرعنا ولا ما يقرب منه واما الثانى فلان جعله من كفارهم او مومنيهم
فى غيبته لا يصح لان اظهار محبته وقوله يقال وحرف لنداسناد على خلافه وصريح فى
عكسه لمنزلة ادنى منهم وقد روى ما من كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلاة والسلام
احب اليه الخ وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ورد ما مدين هذا الحديث
رواه احمد فى الزهد وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا وتقدم ان وروده
عليه الصلاة والسلام لما مدين كان لما فر من قبط مصر فلقى ابنتى شعيب على ذلك
الماء وبينه وبين مصر ثمانى مراحل واكثر فى قصته السالفة المذكورة فى القران وكان
عليه الصلاة والسلام حافيا من عير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعائه
وكانت ترى خضرة البقل الذى كان ياكله عليه الصلاة والسلام اذ لم يجد غيره
والبقل ما ليس بشجر من النبات التى لا تبقى اروسته واصوله بعد اخذه وهو معروف فى بطنه
من الهزال بضم الهاء وزاى معجمة وهو ضعف يذهب اللحم وقال عليه الصلاة والسلام
كما رواه الحاكم عن ابى سعيد الخدرى وصححه ولقد كان الانبيا قبلى تبتلى بالبنا للمفعول ونائبه
احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك الابتلا احب اليهم من العطا اليكم لتيقنهم بما اعد الله
لهم فى مقابلته وهوان لنعيم الدنيا عندهم لفظ والحديث ليس كما ذكره المصنف وهو ما قال
ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قلت يا رسول الله من اشد الناس بلا قال الانبيا قلت
ثم من قال العلما قلت ثم من قال الصالحون كان احدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى بالفقر
حتى لا يجد الا العبا يلبسها ولاحدهم اشد فرحا بالبلا من احدنا بالعطا وهو صحيح
مسلم والمراد ما يعطى من السعة فى الدنيا قيل وهو يدل على ان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام يشق عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية الا ان ابن الملقن رحمه الله
تعالى نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يوذيه صلى الله عليه وسلم تكريما له ونقل عن عبد البر
رحمه الله فى التمهيد ان نعيم ابن حماد ذكر عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن رضى الله عنه
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقتل القمل فى الصلاة والظاهر ان جسده الشريف لم
لا يتولد منه القمل لاعتدال مزاجه الشريف وانما كان يوجد فى ثيابه من الغفر المجالسين
وكذا سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولو قيل ان الضمير يبتلى فى حديث الحاكم
للصالحين كان قريبا انتهى وهذا ينافيه ما نقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل
على صبر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وعلو همتهم فى النظر للاخرة وقال عيسى
عليه الصلاة والسلام لخنزير لقيه المراد به الحيوان المعروف وتجويز ان يراد به الكافر
والعدو والجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا اذهب بسلام اى اذهب مصحوبا

بالسلامة فيقيل له في شان ذلك القول الذي قاله فانه لاينبغي فقال اكره ان اعود لساني
النطق بسوء عمدا بقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل به وقال مجاهد كما رواه
احمد وابن ابي حاتم كان طعام يحيى عليه الصلاة والسلام العشب وهو النبت الذي
يخرج بشير ذرع وعينه مضمومة وكان يبكي من خشية الله عز وجل وخشيته خوف
مع تعظيم حتى تخذ الدمع مجرى في خده اي صار محل جريانه مخصصا متميزا عن غيره
لتاثيره بدوام جريانه فيه وكان ياكل مع الوحش اي كان يحيى عليه الصلاة والسلام ياكل
العشب في القفار الخالية التي يسكنها الوحش ويالفهم فيها ويكون معهم لئلا يخالط
الناس اي يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه عن العبادة وذكر الله وما ذكر رواه احمد
في الزهد عن الخولاني وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه الصلاة والسلام كان
يستظل بعريش هو كل ما يستظل به خيمة كان او خشبا ونباتا وياكل في نقرة في حجر بوزن
حفرة فلا ياكل في آنية ويضع طعامه في الارض ويكرع فيها اي يضع ما يشربه في نقرة
يكب عليها ويشرب منها بفيه اذا اراد ان يشرب واصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها
من ما في الارض وضمير فيها راجع للنقرة المذكورة او لغيرها من جنسها كما تقول اعطيته
درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره كما تكرع الدابة اي تشرب
بفمها بلا آنية وقيل معنى كرع دخل النهر وصوب راسه ليشرب تواضعا لله بما اكرمه
من كلامه اذ كلمه بلا واسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما واخبارهم اي الانبياء عليهم
الصلاة والسلام في هذا كله من النعوت التي تقدمت في هذا الفصل المعقود لها
مسطورة في كتب الحديث والتفسير المعول عليها وصفاتهم في الكمال وحسن جميل الاخلاق
كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع وحسن الصور والشمايل جمع شمال وهي الخلق
والسجية وينبغي ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمايل ما ينشو عنها من الاثار
معروفة مشهورة وعبر في الاولى بانها مسطورة وفي هذه بانها مشهورة تفننا في العبارة
ولان الاولى اخبار يحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كمالات لايقة بهم تدرك
بالعقل وكونها مدونة مشهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكر منها ما ذكر ليعلم
قدرهم وفضلهم فلا نطول بها مع انها معلومة ثم كان في بعض الكتب امورا متعلقة
بالانبياء عليهم الصلاة والسلام غير لايقة بهم حذرنا منها فقال ولا تلتفتن اي
لا تعتبر وتعتقد واصل الالتفات لي العنق والانعطاف بالجانب لتنظر ما تريد معرفته
فتجوز به عما ذكر منه الا لعقات البديعي الى ما تجده وتقف عليه في كتب بعض جهلة
المورخين جمع مورخ بالهمزة وقد تبدل واوا وهو المصنف في التاريخ وهو فن معروف
وهو لفظ عربي اصله بالارخ مستعار للحادث من ولد البقرة او هو معرب ماه وروز وهو
بعيد جدا واول ما حدث في زمن عمر رضي الله عنه وفي كتب بعض المفسرين مما يخالف
اشار لهذا المذكور فصل قد اتينا اكرمك الله جملة اعتراضية والخطاب لمن ساله

تصنيف

تصنيف هذا الكتاب كما مر او لكل من يقف على كتابه وليس فيه تجريد المخاطب من نفسه
كما قيل ومفعول اتينا مقدر اي مما عرفته وسمعته او مما فيه مقنع بقرينة ما سياتي
من ذكر الاخلاق الحميدة اي المحمودة الممدوحة وهو بيان لمقدر ولما الاتية بناء على
جواز تقدمه والفضايل المجيدة اي الكريمة الشريفة وخصال الكمال العديدة
اي الكثيرة المعدودة وقد تقدم انه قد يفيد الكثرة لان القليل لايحتاج للعد وقد يراد
به القلة والمراد الاول واريناك اي علمناك واوضحنا لك صحتها له صلى الله
عليه وسلم اي كونها صحيحة لايقة به وجلينا بجيم ولام مفتوحتين ومثناة تحتية
اي اوضحنا وبينا وفي نسخة جلينا بيا موحدة اي دونا ونقلنا وفي بعض النسخ حكينا
بالكاف بدل اللام والمعنى واحد من الاثار جمع اثر وهو ما بقي من علامات الشيء
الدال عليه ويطلق في حقه على الحديث وقد يخص بالموقوف وكلام الصحابة ويراد به
مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع والموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا ما فيه
مقنع بفتح الميم والنون وقاف ساكنة مصدر ميمي بمعنى القناعة او هو صفة مشبهة
بمعنى ما به القناعة والرضى وفي القاموس يقال شاهد مقنع وقنعان اي يرضى ويكتفى
بشهادته وقد قال ابن الحاجب ان مفعولا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه
نادر وعلى هذا فما ذكر هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى
لهم فيها دار الخلد والتجريد يكون بمن وبالبا وما قيل من ان المراد به الدليل وهذه الايات
والاخبار تضمن الدليل تضمن اللفظ للمعنى تكلف مذهب لرونق الكلام والامر
اوسع جملة حالية اي شانه صلى الله عليه وسلم ومقامه اعظم مما ذكرناه واكثر
فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان
وفيه ما لم يوصف فمجال هذا الباب بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار اي
محل تجول فيه الافكار حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصال ومحاسنه
صلى الله عليه وسلم في حقه صلى الله عليه وسلم اي ما يقال في امره وشانه الذي
يحق له ممتد اي واسع فكنى عن كثرتها وعظمتها بسعة محلها كما يقال المجلس والمقام
العالي عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله ينقطع دون نفاده الادلاء جمع دليل وهو
من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق ان يعجز ويقف دون
دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته صلى الله عليه وسلم بطريق
ممتد طويل وشبه العلما الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقها وشبه من يستفيدون
منه بها ويهديهم في الطريق وعجزه عن الوقوف على كنهها بمن انقطع ووقف فيها لا يهتدي
لسبيله والادلاء جمع دليل لا بمعنى الحجة بل بمعنى هادي السابلة كانبيا جمع نبي واصله
ادللا وقيل انه جمع ادلة بمعنى دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكمالاته صلى الله
عليه وسلم لو اريد عدها بالادلة كالايات والاحاديث واقوال الصحابة لم يكن

الان يراد بيان المقصود منه ونفاد بالفا وبالدال المهملة بمعنى الذهاب والفنا قال تعالى
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ولا وجه لتفسيره بفراغه ويجري علم خصايصه من اضافة
المشبه به للمشبه كلجين الما وقد يعكس لكنه قليل زاخر اي كثير لا تكدره الدلا جمع دلو وهو
ما يوخذ به الما من الاديم وعدم تكديره عبارة عن بلوغ اخره لانه اذا بلغه حرك طينه
فيكدر ماوه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة من الكدرة خلاف
الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته لكنا اثبتنا فيه بالمعروف المشهور الذي يعرفه الناس
مما اكثره في الصحيح اي الكتب الصحيحة كالكتب الستة واشار بقوله اكثره الى ان فيه احاديث
غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر بعض المصنفين لها واوردها لما فيها من الفضايل كما اشار
اليه بقوله والمشهور من المصنفات التي لم يلتزم فيها الصحيح واقتصرنا في ذلك الذي
اثبتناه واثبتناه اي اكتفينا بقل من كل وفي نسخة من كثر والاصح ما ذكرناه والقل بضم
القاف وتشديد اللام بمعنى القليل او بمعنى القليل وبمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة
اي ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيرا او دون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به وغيض من فيض
الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية والضاد المعجمة من غاض الما اذا نقص
والمراد انه قليل والفيض بخا ويا مثناة تحتية وضاد معجمة من فاض الما اذا اندفق
وانسكب والمراد انه كثير وفيه طباق وافتنان ورايناه هو من الراي لا من الروية اي خطر لنا
خاطر ان نختم هذه الفصول اي نجعل خاتمة هذه الفصول التي سبق ذكرها في هذا الباب
بذكر حديث الحسن رضي الله تعالى عنه ابن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الذي رواه الترمذي
في شمايله واخرجه ابن سعد والبيهقي والطبراني ورواه المص عن مشايخه عن ابن ابي هالة
وهو هند بن ابي هالة الصحابي رضي الله عنه ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه ابن خديجة بنت خويلد ام المومنين رضي الله عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته
لجمعه الضمير للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام من شمايله واوصافه
عطف تفسير كثيرا مفعول جمعه المصدر المضاف لفاعله وادماجه اي اشتماله
من ادمج الشي اذا لفه وستره وقيل المراد لاحكامه واتقانه وانه اولى جملة كافية
من سيره وفضايله مفعول للادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهري دمج دموجا
اذا دخل واستحكم ونضله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله اي بيّن في التنبيه ما في
الحديث من غريب اللغة وما يشكل من تركيبه حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ
رحمه الله تعالى عليه سنة ثمان وخمسمائة هو الامام الحافظ ابو علي بن سكرة الذي
تقدمت ترجمته قال حدثنا الامام ابو القاسم التكنية بهذه الكنية جايز وما ورد
في حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي محمول على حياته صلى الله عليه وسلم او على الجمع
بينهما على ما ياتي في ذلك من الخلاف عبد الله بن طاهر بطا مهملة تقدمت ترجمته التميمي
منسوب لبني تميم قبيلة مشهورة قرات عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله

بن الحسن

بن الحسن النيسابوري الاديب هو العارف بعلوم الادب الاثني عشر المشهورة والشيخ
الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي منسوب للمحمدية قرية من قرى نولش وتسمى
بهذا الاسم قرى اخر بنواحي مصر وبغداد واليمامة والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر
الوخشي بواو مفتوحة وخا وسين معجمتين نسبة لوخش قرية من اعمال بلخ وقيل بجيم مهملة
والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن بن علي بن محمد بن
جعفر البلخي يروي عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن ابن
علي البلخي سنن ابي داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا انه اتهم بالقدر توفي خامس
ربيع الاول سنة احدى وسبعين واربعمائة ببلخ وعمره ست وثمانون سنة قالوا حدثنا
ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي بضم الخا المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة
معروفة قال انبانا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي نسبة للشاش بلدة معروفة
بما ورا النهر وهو الحافظ الثقة ابو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل صاحب
المسند محدث ما ورا النهر سمع من الترمذي وغيره توفي سنة خمس وثلثين وثلثمائة
قال انبانا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ الامام الترمذي صاحب السنن
وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم قال حدثنا سفيان بن
وكيع ابن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي سنة سبع
واربعين ومايتين قال حدثنا جميع بزنة مصغر جمع ضد المفرد ابن عمر بن عبد السلام
الرحمن العجلي الكوفي وعجل اسم قبيلة بكسر العين المهملة وسكون الجيم املاه من كتابه
الذي بيده او بيد غيره وهو اصطلاح في الرواية المقبولة من الثقة المصحح لكتابه ومادوى
من منع الرواية من كتابه المصحح خلافه كما فصلوه قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد ابي هالة
زوج خديجة ام المومنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله هذا الرجل هو عبد الله بن ابي
هالة الذي كان تزوج خديجة قبل النبي صلى الله عليه وسلم كما مر وهذا الرجل اخرج
عنه الترمذي في شمايله عن ابن ابي هالة قال الذهبي وتبعه البرهان انه هذا الرجل
لا يعرف اسمه هذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم منقول من هالة
القمر وهي دارته عن الحسن ابن علي بن ابي طالب قال سالت خالي هند بن ابي هالة لانه اخو
فاطمة الزهرا رضي الله عنها لامها قال القاضي ابو علي بن سكرة المتقدم فروى هذا الحديث
من طريقين وقرات على الشيخ ابي طاهر احمد بن حماد الكرجي الباقلاني وخداداذ بضم الخا
المعجمة وفتح الذال المعجمة والف ودال مهملة ثم ذال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه
البرهان وهو معرب خداداد بدالات مهملة ومعناه بالفارسية عطية الله والكرجي
بفتح الكاف والرا المهملة ثم جيم منسوب للكرج اسم بلدة لابي دلف العجلي واسم
بلدة بالدينور وبضم فسكون اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد اللام قال الجوهري
الباقلا اذا شددت لامها قصرت وان خففت فتحت قال ابو علي واجاز لنا الشيخ

الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون هو الحافظ المتقدم ترجمته قالا اخبرنا ابو على
الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بشين معجمة والف وذال معجمة والف
ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور ابن حرب كضد السلم ابن مهران بكسر الميم
الفارسى منسوب لفارس ديار العجم قراءة عليه فاقر به هو شرط لقبول الرواية عمن قرئ عليه
فيقال له اخبركم بهذا فلان عن فلان فيقول نعم اخبرني به فلذا قيده المصنف بهذا قال
اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن ابى
طالب المعروف بابن اخى طاهر العلوى هذا الرجل ترجمه الذهبى فى الميزان ونسبه كما هنا
وروى حديث على وذريته مجتمعون الاوصيا الى يوم القيمة وهذا الحديث يدل على كذبه
ورفضه وهو متهم بالكذب ولولا هذا لازدحم الناس عليه لانه معمر توفى سنة ثمان
وخمسين وثلثمائة قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين
بن على بن ابى طالب قال حدثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين على هذا هو جعفر بن
محمد الصادق روى عن ابيه واخيه موسى روى عنه الترمذى دون اصحاب السنن الا
انهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذى عن اخيه موسى بن جعفر هو موسى بن
جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة عن جعفر بن محمد هو الصادق وقد تقدم عن ابيه
محمد هو محمد بن على ابو جعفر الباقر عن على بن الحسين هو زين العابدين الامام المشهور
قال قال الحسين بن على رضى الله عنهما واللفظ بهذا السند يعنى اللفظ المذكور مخصوص
بالطريق الثانى والسند بالنون بمعنى الاسناد وليس اليد بمثناة تحتية لانه لم يذكر
انه رواه عن على بن الحسين زين العابدين وكذا انه رواه احد مع الحسن هو ابن على كما
فى القتفى وهذا اسناد شريف لان رواته كلهم من اهل البيت ومثله حديث
صفة الصلاة حتى نقل التلمسانى رحمه الله انه اذا قرئ على مصاب افاق ورجاله
سنده كلهم معروفون قال سالت خالى هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان اى بما يرى من وجهه الشريف وبدنه
وهى بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وكان وصافا اى فصيحا له خبرة بوصف
الناس لحذقه او كان معروفا بذكر صفات النبى صلى الله عليه وسلم وانا ارجو
جملة حالية اى راجيا ان يصف لى منها اى من حليته النبى صلى الله عليه وسلم شيئا
اى مقدارا منها لان جميعها لا يحصى وبعضها لا تفى العبارة به اتعلق به اى احفظ
واتمسك به تبركا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما بفتح الفاء وسكون
الخاء المعجمة والفخم بوزن المكرم والمفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة العظمة فى الاجسام
ثم شاعت فى المقدار والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه
النبى صلى الله عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة كما تقدم فى البائن
الثانى انه كان واسع الصدر وعينه بخلاف اى واسعة الشق ووجهه الشريف ممتلئ

مطلب الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان

مطلب يتلألأ الوجه

بالجسم وان قامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك فى العيون الناظرة
اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما انه له صلى الله عليه
وسلم مهابة فى العيون والصدور مع الجلال يتلألأ وجهه اى يضئ ويشرق وهو
مأخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه تلألؤ القمر ليلة البدر اى فيه نور كنور القمر
فى ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتفسير اطول من المربوع وهو الذى بين الطويل
والقصير كالربعة وقال التلمسانى المراد به هنا القصير الذى تحت الربعة ليلائم ما قبله
ما ورد من وصفه صلى الله عليه وسلم بانه ربعة واصل المربوع الجبل المفتول على اربع
طاقات فاستعير لما ذكر انتهى اقول لا حاجة لما ذكر لصرفه عن ظاهره لان المراد انه
يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهنا امر تحقيقى وربعة امر تقريبى
فلا منافاة بينهما ولذا قال واقصر من المشذب بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين والباء
الموحدة وهو المفرط فى الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة وهى التى قطع بعض
جريدها والتشذيب قطع كالتقليم عظيم الهامة بالهاء وتخفيف الميم وهى الرأس وليس
المراد انها مفرطة فى الكبر بل كبيرة كبرا نسبيا لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته
على قلة العقل وقيل الهامة وسط الرأس وقيل مخه ولها معان اخر غير مناسبة هنا رجل
الشعر بكسر الجيم على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كما مر والمراد انه
فيه تجعد قليل وهو من صفات الممدوحة فيه ويقال الضده قطط وهو الشديد
الجعودة والسبط المسترسل ان انفرقت عقيقته فرق اى صار شعر راسه فرقتين والعقيقة
الشعر الذى على راس المولود الذى يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع لانه يحلق فى اليوم
السابع فيسمى به شعر النبى صلى الله عليه وسلم على طريق المجاز المرسل لاستعمال المقيد
فى المطلق وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه منفرقا على حاله اذا انفرق
بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع بين شعر الرأس وفى رواية
عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه وفى رواية اذنيه
بالتثنية وهما بمعنى كما يقال نظرت بعينى اذا نظر بعينيه وهكذا فى كل عضو كان كذلك كما
هو مقرر فى العربية وشحمة الاذن ما لان منها حيث يعلق القرط وتقدم فى هذا الحديث ما رايت
من ذى لمة فى حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اللمة الشعر الذى يجاوز
شحمة الاذن فاذا وفر شعره صار لمة اى ما يلم بالمنكبين واللمة دون الجمة والوفرة دون
اللمة والجمة اكثر من الوفرة وهى ما سقطت على المنكبين فالوفرة ابلغ منها اللمة والجمة ابلغ
منها وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف السدل من قدام او خلف ومعنى قوله والا وان
لم يفرق فعلم منه انه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل المنكب واحواله مختلفة فى الطول ولذا قيل
له لمة وجمة اذا هو وفرة وفى بعضها وفره بدون ضمير والمعروف رواية الاول كما قاله المزى
وفاق مخففة ومشددة اى كثر وقد يقل بعد الحاف وغيره كما عرفته وهذا اولى من حمل اختلاف

الروايات على التقريب ازهر اللون سيأتى معنى ازهر وان معناه ابيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس
بالابيض الامهق ولا بالادم وبهذا علم ما روى انه كان اسمر ولعله راه عقب سفر ونحوه ولم يحققه
لانه لمهابته صلى الله عليه وسلم لا يحدق النظر فى وجهه وفى رواية انه كان ابيض شديد
الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا سمى خزيمة الابرش الوضاح
ويؤيده انه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان عنقه كوز فضة وتاتى كان ساقه جمارة
وكشف ظهره فكانه سبيكة فضة وقيل ان سمرته حمرته ولذا قيل فى الجمع بين الروايات
انه كان يميل الى السمرة او البياض لونه وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة اسفاره واسع
الجبين فى القاموس الجبينان حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين وبعد الجانبين والجبهة
وسطها او هو جميع ما بين الصدغين فتدخل فيه الجبهة الى قصاص الشعر ازج الحواجب ازج
افعل كاحمر والزجج تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وامتداد بدقة فى طرفيه واراد بالحواجب
الحاجبين وجمع لان اقل الجمع اثنان او لاطلاقه على اجزائه وهما العظمان فوق العينين
بلحمهما وشعرهما ويطلق على الشعر وسمى به لانه يحجب الشمس وغيرها عن العين سوابغ بالسين
والصاد جمع سابغ لانه لما يعقل وقيل جمع سابغة وفيه اى طوال كاملة من غير قرن
بفتحتين اى من غير اقتران واتصال لانه غير ممدوح عند العرب وما وقع فى حديث ام
معبد من وصل حاجبيه صلى الله عليه وسلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما شعر فيتوجد اذا
سافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا وما قيل انه بطريق الراى او انه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا
او انه حديث له صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بعيد جدا بل لا وجه له بينهما اى بين
الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع فى الحواجب بمعنى المثنى هنا عرق يدره الغضب بضم اليا من
الادرار من در الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وما فى تحلبه والمراد انه يظهره بغليان
الدم بالغضب بعد ما كان خفيا لا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافى ما ورد من انه صلى الله
عليه وسلم حليم لا يغضب لانه باعتبار اكثر احواله صلى الله عليه وسلم وانه لا يغضب
لنفسه ولا لاجل امر دنيوى ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمه وفى ضربه للاعدا
كما قال الصرصرى رحمه الله يجبينه عرق يدر اذا سطا غضبا على الاقران يوم طعان
والغضب يهيج الحرارة الغريزية فيغلى الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق اقنى العرنين
القنا فى الانف طوله ورقة ارنبته اى طرفه مع ارتفاع يسير فى وسطه والعرنين كسكين
العرنين الانف او ما صلب منه او ما تحت مجمع الحاجبين وهو اول حيث يكون الشمم والجمع
عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ انفهم وارتفاعه على اقرانه قال العرانين تلقاها محسدة
ولن ترى لليام الناس حسادا له نور يعلوه الضمير له صلى الله عليه وسلم وجوزوا
ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله له نور لكنه اول ما يتعلق به ولذا سمى انفا ايضا
يحسبه من لم يتامله اشم الشمم فى الانف ارتفاع وسط قصبته مع استواء اعلاه
واشراف ارنبته قليلا يعنى ان وسطه فى استواء مع اعلاه واسفله ولكنه للالئه

قد يظن ان فيه ارتفاعا او ان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما قد يعبر به عن عزة النفس
وعدم التنزل للامور وهو مما يمدح به كما قال كعب رضى الله عنه شم العرانين ابطال لبوسهم
من نسج داود فى الهيجا سرابيل والتامل اعادة النظر وتكراره ليثبت فيه ويقف على
كنهه وهو فى الاصل تفعل من الامل والرجا لان الانسان لا يعيد النظر غالبا لما فيه
امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلة
ودقته والاول اصح واشهر كث اللحية بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون
اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر وما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة
لحييه مثنى لحى وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله او المراد عدم طولها ادعج اى سواد
عينيه شديد مع بياضها ويقال رجل ادعج اى اسود وليس بمراد وسياتى فيه كلام
سهل الخدين اى غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق
منبسط ضليع الفم بضاد مفتوحة معجمة اى طويل انشقاق الفم واسعه وهو مما
يمدح به ويعاب ضده به لدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها
كما قاله التلمسانى وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم وهو خطاء منهم او لمعنى اخر
لا يلتفت اليه كما مر اشنب بنون بين شين معجمة وبا موحدة اى ذو شنب وهو كما فى النهاية
بياض وبريق وصفا وتحديد فى الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة
فيها وقيل نقط بيض وتحزز فيها وسيل دونه عن قول ذى الرمة لميا فى شفتيها حوة لعس
وفى اللثات وفى انيابها شنب فاخذته رمان وقال هذا هو الشنب
اى انه صفا وما فيها كهذا ومن امثال المولدين فاتك الشنب لمن راد الشبه بمن لا يشبهه
قال ابن الوكيل رحمه الله يا بارقا باعالى الرقمتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب
مفلج الاسنان تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو انقى للفم واطيب وفى حديث
على كرم الله وجهه افلج الثنايا وهو المراد بالاسنان او المراد الثنايا والرباعيات
لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد
اللام ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى كقوله ما لى به مع قرب دارى ملتقى
فهل رايت ثغره المفلجا دقيق المسربة بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة
مضمومة ومفتوحة تليها هاء وهو شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة
ووصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف طويل كان عنقه جيد دمية الجيد العنق
الا ان السهيلى قال ان العنق يستعمل فى غير المدح والجيد يستعمل فى مقام بخلافه
وان قوله فى جيدها حبل من مسد تهكم لجعل الحبل عقدا لها وما هنا على اصل اللغة
لانهم لا يستعملون الغلو اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم
وتخفيف المثناة التحتية وهى الصورة من رخام او عاج والمراد شدة بياضه
وطوله ويؤيده ما روى من ان عنقه صلى الله عليه وسلم كابريق فضة ويشير اليه

هنا قوله في صفاء الفضة اي بياضها الخالص وهذا يوين مامر من انه عليه الصلوة
والسلام ليس باسمر وانما شبه بالدمية لان صانعها يبالغ في تحسينها ولهذا ضرب بها
المثل معقول الخلق بفتح فسكون اي متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال
والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضا مستقيم في احسن تقويم بادنا اي ضخم
البدن غير دقيق الاعضا صغيرها واردفه بقوله متماسكا اي كان اعضاءه يمسك
بعضه بعضا لشدة ارتباطه به ومناسبته له وهو منصوب بصفة بادنا وروى
بالرفع خبر مبتدا مقدر سوا البطن والصدر اي متساويهما لم يرتفع احدهما على الاخر
مشيح الصدر بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحا مهملة بمعنى
عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه وروى بفتح الميم وكسر
السين المهملة وهو بمعناه بعيد ما بين المنكبين تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف
ونون بينهما وماخره باء موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد بعيدهما سعتهما
وهو اقوى للبدن والبطش وعبر عنه تارة بالبعيد وتارة بالعظم والكل واحد وما
موصولة ضخم الكراديس وهو راس العظم او ملتقى كل عظمين كالمرفقين وضخم بمعنى
كبير وكل عظم كثير اللحم كسر دوس انور المتجرد اسم مفعول يعني ما خفي من البدن من المتجرد
وهو الكشف ودفع الثياب وانور بمعنى نير مشرق او افعل تفضيل لان ما تحت الثياب
من البدن لعدم ملاقاة الهوا والشمس ابيض من الاطراف المكشوفة وورد في وصفه صلى الله
عليه وسلم انه اجرد وهو ضد الاشعر فان الشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة
والمساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطي في شرح البردة قال بعض الصحابة رايت
ساق النبي صلى الله عليه وسلم في غرز الركاب كانه جمارة يعني في بياض اللون والطراوة
فان قلت الوارد في صفته صلى الله عليه وسلم انه ازهر اللون اي مشرب بحمرة وبياض
الجمار خالص قلت يمكن الجمع بان ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض
بخلاف غيره انتهى موصول ما بين اللبة بفتح اللام وتشديد البا الموحدة وهي المنحر
وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة لا زائدة والسرة وهي موضع ما يقطع
من المولود والمقطوع سر بشعر متعلق بموصول يجري كالخط وهو المسربة النا لغة جريا
امتداده كما جار والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة وفي الاصطلاح ما وصل بين
نقطتين متقابلتين فكانه جعل اللبة وهي النقرة التي فوق الصدر نقطة والسرة نقطة
اخرى والشعر لرقيق بينهما خطا عاري الثديين تثنية ثدي بفتح المثلثة وكسرها اذكر وتونث
وروي الثندوتين بثا مثلثة ونون وهما بمعنى قال الجوهري الثدي يكون للرجل والمراة وقال
الصاغاني وفي درة الغواص الثدي خاص بالمراة والذي للرجل ثندوة وهو غير مهموز
كترقوة على فعلوة وهو مغرز الثدي وراسه فان ضممت همزته وهو فعلوة ففيه تفصيل
بيناه في شرح الدرة وعلى ما قاله الحريري تبعا لبعض اهل العصر صوب بعضهم رواية

338 الثندوتين وزعم ان غيره خطا لعدم ثبوته في اللغة وما قيل من انه صحيح على الاستعارة
غير صحيح ومعنى عاريهما انهما لا شعر عليهما وقيل لا لحم عليهما لما سياتي من انه اشعر الخ وفيه نظر
لانه لم يذكر فيه ان على ثدييه شعرا كما ستسمعه قريبا ما سوى ذلك اي ما سوى الشعر الذي
بين السرة واللبة وهو يدل من الثديين وفيه نظر وروى ما سوى ذلك وهو اظهر اشعر
اي كثير الشعر في الذراعين بكسر الذال المعجمة ما بين المرفق وطرف الاصابع والمنكبين
تقدم بيانهما واعالي الصدر طويل الزندين تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف
وطرفاه الكوع وهو راس الذراع مما يلي الابهام والكرسوع وهو راسه مما يلي الخنصر
وهما العظمان اللذان في ظاهر المساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا
وصفه بالطول رحب الراحة اي واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من الروح
وهو الاتساع شثن بفتح الشين المعجمة وسكون الثا المثلثة والنون وهو الضخم
الممتلي لحما ويؤيده انه ورد في روايته انه ضخم الكفين والقدمين وما في النهاية في تفسيره
من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذي
في انامله غلظ بلا قصر وذلك محمود في الرجال دون النسا لانه اشد للقبض والبطش
وقال ابن بطال كانت كفه عليه الصلاة والسلام ممتلية لحما وهي مع ضخامتها لينة
وفي حديث انس رضي الله عنه ما مسست حريرا الين من كفه عليه الصلوة والسلام
وقال الاصمعي الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليه ولا حاجة لتاويله بانه
لامر عارض في اسفاره وجهاده واستعمال يديه في مهنة بيته فانه مناف لعده من الحلية
وهي الصفات الخلقية فان الذي ارتضاه اهل اللغة انه الضخم ولا ينافيه قوله
سايل الاطراف وبسط الكفين او سبط الكفين كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع
والكف والقدم مغرسهما فليست داخلة في معناهما ومعنى سايل باللام طويل فكانه
شبههما بعين سالت من بركة لطولها وصفائها وبياضها ولينها لان راحته صلى الله
عليه وسلم تنبع منها الخيرات والمياه كما قلت في قصيدتي الهمزية منبع الماء من صحيح
كفه بابا وما غاض فيها المياه لا تقسها على اصابع سيل كم تكسي من حين حين وفاء
او قال سائل الاطراف شك من الراوي في قول ابن ابي هالة انه قال ما تقدم او قال سائن
بنون مبدلة من اللام كما ياتي وقالوا جبريل وجبرين واسمعيل واسمعين وساير الاطراف
بالرا المهملة مكان اللام ومعناه باقي وجميع وليس الثاني خطا كما قاله الحريري وتبعه
في الشرح الجديد كما فصلناه في شرح الدرة وعلى هذا الاخير هو مجرور معطوف
على القدمين اي ضخم اطرافه كلها وليس شكه لتقارب الحروف الثلثة في الخط والمخرج
كما قيل وقد ضبب في النسخ على قوله سائن بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلثة
لما سياتي في تفسيرها كما قاله في المغني وجا هنا في بعض الروايات من غير شك سبط
العصب سبط بسكون البا الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس به تعقد ونتو كما في النهاية

والعصب وقع في اصل البرهان بعين وصاد مهملتين كما ضبطه ابن الانباري والذي اتفق
عليه ابن الاثير والهروي انه القصب بالقاف لا بالعين والمراد بالقصب ساعداه وساقاه
وفي القرسين كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه قصبة وجمعها قصب ويشهد له ان العرب
تمدح به كما قال النجاشي به سبط العظام كانما عمامته بين الرجال لواء لانه يدل على قوة
البدن والشجاعة والعصب بالعين ما يمتد في البدن لربط الاعضا وتحريكها كما بين
في علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به هنا عظام الساقين والساعدين مجاز
لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا خمصان الاخمصين خمصان بضم
الخا المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحهما كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم
هنا وبهما ضبط لفظ الشفا ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافي عن الارض
المرتفع والاخمصين مثنى اخمص بوزن احمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب
الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم ويسمى به لضموره ودخوله ولما كان
اخمص القدم قد يطلق على ما يلي الارض منها مطلقا اتى بقوله خمصان ومضافا اليه
ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة في ارتفاعه كما فسره
بعضهم هنا بالتشديد التجافي لهذا وجعله قليل البل فقد قال ابن الاعرابي اذا كان
خميص الاخمص لم يرتفع جدا او لم يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا
فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسيأتي
ماينا في هذا يعني قوله مسيح القدمين قال البازري في كتاب توثيق عرى الايمان
خمصان الاخمصين متجافي القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم
وقوله مسيح القدمين ينبو عنهما الماء قال المصنف فيما ياتي اي املسهما ولذا قال ينبو
عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلافه ففيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له
اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمي عيسى بن مريم صلى الله
عليه وسلم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح لا لحم عليهما وهو مخالف لقوله
شثن القدمين انتهى واقره صاحب المنتقى وفي الشرح الجديد في النهاية معنى مسيح القدمين
انهما ملسا وان لينتان ليس فيهما تكسر ولا انشقاق فاذا اصابهما الماء سال لو مر سريعا
من جانب الكعب القبلي وقال ابن الحنبلي في شرح قصيدة الصرصري النونية ليس المسح
باطن القدمين الذي هو محل الخمصان بل ظاهرها الملامسة فلا تعارض بين العبارتين
بباطن القدمين الذي هو محل الخمصان اقول هذا كله خلط منهما وليت شعري ما يقول
في حديث ابي هريرة الذي نقله البازري فالاشكال الذي ذكره البرهان غير مندفع
اللهم الا ان يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا ومعنى ينبو يرتفع والمراد به مفارقة
الماء وانصبابه مجازا وانشدوا هنا لبعضهم يا رب بالقدم التي اوطأتها من قاب
قوسين المحل الاعظما وبحرمة القدم التي جعلت لها كتف المؤيد بالرسالة

سلما

سلما ثبت على متن الصراط تكرما قدمي وكن لي منقذا ومسلما واجعلهما ذخري فمن
كانتا له ذخرا فليس يخاف قط جحيما والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم
والثانية قدم علي رضي الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم اصعد لكسر اصنام
الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح
بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفي بعض
النسخ مشيخ بضم الميم وشين معجمة ولم يفسره وكانها تحريف من الناسخ او معناها
خفيف المشي اذا زال زال تقلعا وروي اذا مشى تقلع اي رفع رجليه رفعا قويا
ليتثبت في مشيه فكانه يقلع رجليه من الارض فيقارب خطاه من غير اختيال واسراع
كما ورد من قوله الاتي كانما يحط من صبب وروي اذا زال زال قلعا بفتح القاف وسكون
اللام وكسرها وروي بالضم ايضا ويخطو تكفيا اي اذا اسرع خطاه يميل الى قدامه
كمن يتكفى وتكفوا ان همز فتحت فاؤه كالمصادر الصحيحة مثل تقدم تقدما لان الهمزة
حرف صحيح فان ابدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمى تسميا ونحوه من المصادر المعتلة
الاخر ويمشي هونا بفتح الهاء اي اذا مشى برفق ولين ووقار كما ياتي لانه ممدوح قال تعالى
يمشون على الارض هونا ذريع المشية بفتح الذال المعجمة وكسر الميم والذريع الواسع الخطو
اي ما بين قدميه واسع فمع عدم سرعته يساوي مشيه المشي السريع او يفوقه كانما
يحط من صبب اي ينحدر من مكان عال والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة وانما
قال كانما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر في السرعة والسهولة واذا
التفت التفت جميعا اي اذا اراد ان يدور لما خلفه او في جانبه لا يلوي عنقه بل
يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش
خافض الطرف مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع والطرف
العين وفسر هذا بقوله نظره في الارض اطول من نظره الى السماء يعني ان نظره لجانب
السفل اكثر من نظره في جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا مخصوصا
بالصلاة والدعا فانه مكروه فيهما ولا ينافي هنا قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء
لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به لفظ فعجل نظره الملاحظة جل بضم الجيم بمعنى
المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحظ وهو طرف العين مما يلي الصدغ وما
يلي الانف موق وماق او ينظر طرف عينه تادبا وحيا يسوق اصحابه اي يمشي خلفهم
وفي ساقتهم ولا يدع احدا يمشي خلفه كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله عليه وسلم
يقول خلوا ظهري للملائكة وفي قوله يسوق اشارة الى انه هو ... مما قيل من انه لا يتقدم
الصغار الكبار الا اذا ساروا ليلا او خاضوا سيلا وليس على وفق السنة ويبدؤ من
لقيه بالسلام لانه من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر والسلام دعاء وتحية
وهو تحية اهل الجنة كما ورد في السنة فهو دعا بالسلامة واسم من اسمائه تعالى

وجوز ارادته هنا بمعنى ان الله معك ومطلع عليك وابتداوه سنة لا واجب بالاجماع
وفيه قول به ضعيف لا يعتد به ورده فرض كفاية لا على كل احد لان السلام معناه الامان
فاذا سلم احد ولم يجب توهم الشر فيجب دفعه كما قاله الحليمي وهذا منه صلى الله عليه
وسلم تواضع ولطف ما سبته لما نحن فيه من حسن الخلق قال الحسن رضي الله عنه هنا
الحديث قلت لخالي هند بن ابي هالة رضي الله عنه صف لي منطقه مصدر ميمي اي
نطقه وكلامه صلى الله عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال معنى واما قول سليمن
عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر لقد نطق اليوم الحمام لنطربا
فلتنزيله منزلته لفهم سليمان عليه الصلاة والسلام منه معنى ولادعا الشعرا
شوقه وطربه كما قاله الجوهري قال كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان هنا شمل
على الجواب وزيادة فالجواب قوله الاتي ولا يتكلم في غير حاجته فكأنه قال كان كلامه مؤخر
قليل وقيل معناه ان كلامه لم يكن بفرح وبطر بل بحزن واسف وقال ابن قيم الجوزية
قول ابن ابي هالة متواصل الاحزان الخ لم يثبت عنه وفي سنده مجهول كيف وقد صانه الله
عن الحزن واسبابه ونهاه عنه بقوله ولا تحزن وغفر له ما تقدم وما تاخر فلا خوف عليه
ولا حزن في الدنيا والاخرة فمن اين تاتيه الحزن وقد ورد وصفه صلى الله عليه وسلم
بانه كان دايم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن ومر ان الهم لما سياتي
والحزن على ما مضى وقال ابن قيمية في حديث ابن ابي هالة انه صلى الله عليه وسلم كان
كثير الصمت دايم الفكر متواصل الاحزان ليس المراد بالحزن الالم على فوت مطلوب
او حضور مكروه فانه لم يكن من حاله صلى الله عليه وسلم وانما المراد به التيقظ لما
يستقبل من الامور وهو مشترك بين العين والقلب انتهى قيل ولم ينبه عن ذلك لانه
ليس باختياره وانما نهى عن تعاطي اسبابه كما قيل ومن سره ان لا يرى ما يسوءه
فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا انتهى وقال ابن قيم الجوزية في شرح منازل السايلين ليس
الحزن من منازل السالكين وقد ورد النهي عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقد استعاذ ابن الحنبلي
منه صلى الله عليه وسلم وحزن المومن يسر الشيطان لانه مفتر العزم ولذا قال اهل
الجنة الحمد لله الاية وهو من المصايب وان ما جرانا الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت قول
هنا تطويل بغير طايل وانكار وورد الحديث مردود لانه ثابت كما قاله الحفاظ ابن تيمية
وغيره واما كونه ليس من المقامات فمع كونه غير مسلم كما هو بين فلا يضر والمراد انه
صلى الله عليه وسلم كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره في امور امته وهو
كما يدل عليه قوله دايم الفكر ليس له راحة وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
في التبليغ ما لا يوصف واما وصفه صلى الله عليه وسلم بالبشر والتبسم فهو في حال
وهو مخاطبته للناس والنظر في امورهم ولا يتكلم في غير حاجة له صلى الله عليه وسلم
او لامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه طويل السكوت كما لا يجدي نفعا

لكثرة افكاره صلى الله عليه وسلم ودوام اذكاره يفتتح الكلام ويختمه باشداقه جمع شدق
بفتح اوله وكسره وسكون داله المهملة وهو جواب الفم وذلك لسعة فمه الدالة على
فصاحته صلى الله عليه وسلم كما مر وهو مما تمدح به العرب واما قوله صلى الله عليه
ابغضكم الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلم كثرة الكلام بلا احتياط منه فسقط
ما قيل انه من صفة الفم ولا مدخل في الجواب ويتكلم بجوامع الكلم وهي الكلمات
الموجزة المشتملة على الحكم النافعة السايرة مسير الامثال لجمع جامعة وتطلق على
القران فصل بفتح الفا وسكون الصاد المهملة اي كلاما للخصوصه وفارقا بين
الحق والباطل لا فضول فيه اي لا زيادة فيه على المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع
فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى اخر ولذا انسب اليه فقيل فضولي كما في المغرب ولا تقصير
فيما يريده بتقليل مخل بالفهم دمثا بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثاء المثلثة من الدماثة
وهي سهولة الخلق مستعار من الارض الدمثة وهي ذات الرمل المتلبد اي لين الخلق
لطيف المعاملة ليس بالجافي اي ليس غليظ الطبع وهو اصل معنى الجفا ولم يكن
يجفو اصحابه ولا المهين روي بضم الميم وفتحها فالاول من الاهانة والميم زايدة اي
لم يكن صلى الله عليه وسلم يهين احدا من الناس والثاني من المهانة وهي الحقارة والميم
اصلية اي لم يكن صلى الله عليه وسلم حقيرا امتذلا لاحد من الناس لشرف نفسه
وعزتها وهذا وصف لذاته صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه يعظم
النعمة وان دقت اي يعد كل ما انعم الله به عليه عظيما وان لم يكن كذلك ومعنى دقت
صغرت وقلت ولا يذم شيئا اي شيئا يستحق الذم لم يكن يذم ذواقا بفتح الذال المعجمة
وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال بمصدر صار بمعنى ما يذاق من ماكول ومشروب
فما قدم له صلى الله عليه وسلم من طعام ونحوه ان عجبه اكل منه والا كف يده ولا يقول
فيه شيء فلا يذمه ولا يمدحه ولا يقام لغضبه من قام اذا ثبت اي لا يثبت له
احد او من قام بمعنى دام اي لا يدوم احد على تحمل غضبه ويقام بضم المثناة التحتية
مبني للمجهول وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان يغضب لله احيانا وقد ورد
ما يدل على ذلك اذا تعرض الحق بشيء بضم التاء الفوقية والعين والرا المهملتين المشددة
والضاد المعجمة اي اذا تعرض احد للحق بما يبطله او يقتضي خلافه بشيء بالباء الجارة
واللام وحاصله اما بقام او تعرض حتى ينتصر له اي للحق فيؤيده ويبطل خلافه ولا
يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اي اذا اذاه احد من الاعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه
كالاعرابي الذي مسكه صلى الله عليه وسلم بردائه ولببه والذي قال ان هذه قسمة
غير عادلة ونحو ذلك كلام بعض المنافقين كابي بن سلول راس المنافقين وما كان
بصدد منه اذا اشار اشار بكفه كلها اي اذا اشار لشيء خارج الصلاة اشار برفع
يده واما في الصلاة واذا اشار للتوحيد اشار باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق

بين الاشارتين وله صلى الله عليه وسلم اشارات اخر نبه عليها بقوله واذا تعجب قلبها اي
قلب كفه وجعل باطنها نحو السما وظاهرها للارض وتانيث الكف لانها مؤنث سماعي وهو شان
لانقلاب الحال عما يعتاد من غير اظهار للتعجب واستغراب لامر وهذا مما يدل على سكونه صلى الله
وعدم خفته وهو امر ممدوح واذا تحدث افضل بها في شرح الدلجي بهمزة وفا وصاد مهملة ولام
والضمير للكف اي وجه كفه من فضل علينا اذا خرج من طريق او ظهر من حجاب قاصدا بها اي بكفه
ولم يتبينه غيره ووقع في بعض النسخ اتصل بها اي بمثناة فوقية بدل الفا وفي حاشية التلمساني
والحديث يتصل بها اي لا يزال يحركها وذلك اثبت لانه قول وفعل شيء وهذا يدل على ان اتصل
رواية وفي العبارة ثلثة وجوه افضل واتصل ويتصل والمعنى انه صلى الله عليه وسلم فضل
حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه في امرهما اقول هذا كلامه
مع غموضه غير محرر مع ما فيه اما ما ذكره الدلجي من انه افضل بهمزة وفا فتحريف لانه لم يسمع
في هذه المادة مزيد بزنة اكرم فالصواب فصل او اتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم
فصل كلامه باشارته او وصل احدى يديه بالاخرى ثم رايته في كتاب النعمة في الصلاة
والسلام على شفيع الامة ذكر هذا الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح
وذكر انه صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد
ويجمع لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا احدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له والظاهر
ان الفا في قوله فضرب تفصيلية كقوله ونادى نوح ربه فقال رب الخ ولم يبينوا معناه
والظاهر ان المعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه
متفارق كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهامه على راحته وقت
حديثه لتثبيت حديثه او انتهائه فاعرفه وقوله بابهامه اليمنى راحته اليسرى كذا في اكثر
الروايات وفي بعضها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف فيذكر
ويؤنث وجمعه اباهيم واباهم قالوا وهذا عادتهم واذا تحدثوا واذا غضب اعرض عمن
غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه صلى الله عليه وسلم واشاح بشين معجمة وحا مهملة
بينهما الف قيل معناه صرف وجهه فهو تاكيد لما قبله وقيل معناه قبض وجهه ومنزوا
من غير لوم وعقاب وهذا من حلمه صلى الله عليه وسلم فلا يقال كيف ادرج هذا في
صفات المدح فيجاب بان الغرض بيان صفاته صلى الله عليه وسلم للسايل لان القاصر
ياباه وسياتي من المص تفسيره بما يقارب هذا وقيل ان في النهاية ان المشيح الحذر والجاد
في الامر والمقبل عليك المانع لما وراء ظهره وفي حديث سطيح اقبل على جمل مشيح اي جاد مسرع
فيجوز ان يريد احد هذه المعاني اي حذر من موجب غضبه او جد في الامر كيشعر باعراضه
عن موجب غضبه او اقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه ولا يخفى انه تكلف
مخالف لما اختاره المص مما هو الظاهر هنا واذا فرح لرؤية ما يسره او سماعه غض طرفه
اي ارخاه واطرق تواضعا من الاشر والمرح جل ضحكه التبسم اي اكثره وقد تقدم بيانه وقد

يضحك صلى الله عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادي الضحك ويفتر
بفتح اليا وسكون الفا وفتح التا الفوقية وتشديد الرا المهملة من فوقهما اي افتر ضاحكا
اذا ابدى اسنانه قال يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حب
وهو من فررت الدابة اذا كشفت فمها لتعرف سنها من سمنها وذلك هو الفراد بالضم عن
مثل حب الغمام متعلق بيفتر والغمام والسحاب واحده غمامة كسحابة وحبه هو البرد
المعروف لا قطر المطر كما توهم فانه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا لان الحب الجامد دون
السايل وتشبيه اسنانه صلى الله عليه وسلم به لصفايه ولمعانه ورطوبته دون
جري حتى يقال انه لنوع منه وهو مشهور في كلامهم كما مر قال الحسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنهما فكتمتها اي اخفيت صفاته صلى الله عليه وسلم التي سمعتها
من ابن ابي هالة الحسين مفعول ثان لكتم وفي نسخة عن الحسين بن علي زمانا مدة
من الزمان ثم حدثته بما سمعته من صفته صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني
اليه اي الى الحديث المعلوم من قوله حدثته اي حفظه قبلي لانه رواه عن ابيه
علي رضي الله تعالى عنهما فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه
ومجلسه وفي نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهر
والا بان كان اسم زمان او مكان فالمراد سالته عن حاله في مخرجه ومدخله والمراد
خروجه صلى الله عليه وسلم للناس ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سياتي وقيل
المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه وان ما ذكر استقر الجميع احواله يعني الحسن
انه سمع هذه الصفات من ابن ابي هالة خاله ولم يخبر اخاه بما سمعه منه والحسين
لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد علما منها عنده علم انها من طريق وهي روايته لها
عن امير المؤمنين ابيه مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهي عن كتمان العلم عن اهله
لانه لم يساله ولم يخصه علمه فيها ولو كان كذلك دخل في حديث من كتم علما الجمه الله
بلجام من نار او انه انما كتم عنه كلام ابي هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم
اهل البيت بذلك فان البيت والحديث لهم وشكله بفتح اوله اي هيئته في تلك
الحال او بكسره بمعنى الهدي والسمت قاله التلمساني فلم يدع من ذلك شيئا اي لم
يترك شيئا من احواله الا بينه لي قال الحسين سالت ابي رضي الله عنه عن دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه اي دخوله منزله ليجتمع
باهله لمصالحه وقضاء ماربه وقيلولته ماذونا له في ذلك من الله اذنا عاما
بحيث يدخل اي بيت من بيوته في اي وقت من غير استيذان من زوجاته رضي الله عنهن
لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخوله ببيوت اصحابه
رضي الله عنهم وهو بعيد لقوله فكان اذا اوى الاصح قصره ويجوز مده الى منزله
جزا دخوله اي قسم زمن دخوله لبيته ثلثة اجزا جزا لله اي لعبادته والتفكر

في ملكوته وجزا الاهله يدبر فيه امورهم ويصلحها ويتلطف بهم وجزا لنفسه من ماكل
ومشرب وراحة وغيره مما يليق به لقوله ثم جزا جزاه بينه وبين الناس اي قسم الزمن الذي
جعله لنفسه فجعل قسما منه مخصوصا بذاته ولحواله في نفسه وجزا لاخر للناس وسائر
الامة وهو في منزله ولا يلائمه فيه الا اهله او خواص اصحابه الذين يؤذن لهم في الدخول
عليه وغيرهم لا يصل اليه ثمه فلذا قال فيرد ذلك على العامة بالخاصة يرد بمعنى يوصل
ويعطى كانه لما كان لهم حق في الجملة اخذ منهم ثم رد اليهم وقيل معناه يستعين لانه
ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يستعين بالخاصة على العامة وهو بيان لمحصل
المعنى وذلك اشارة لما فهم من السياق وهو جزا الناس والعامة من عدا الخاصة التي
عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعته منه صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن
مما ينبغي كتمه عنهم والبا في بالخاصة للسببية وكونها للبدل كقوله فكيف لي بهم قوما
اذا ركبوا بعيد لانه ليس المراد انه يجعل وقت العامة بدل الخاصة وبدلا منه وعلى
ظاهرها وقيل بمعنى الى وروى بدل يرد بذل بالمعجمة والمهملة مع ضم اليا المثناة التحتية
وفتحها فيهما ولا يدخر عنهم يشا اي عن المذكورين من العامة والخاصة وقيل عن الداخلين
عليه صلى الله عليه وسلم والمال ولحدو يدخر بدال مهملة مشددة واصله يذتخر بذال
معجمة وتا افتعال من الذخر قلبت تاؤه دالا وادغم الدال او فعل به ما علم من كتب الصرف وكذا
امثاله من ذكره ويجوز يذخر بذال معجمة وخا مشددة فكان من سيرته في جزا الامة
وهو الجزا الذي جعله للناس لو افونه مما كان لنفسه اي كان دابه صلى الله عليه وسلم
وعادته في هذا الجزا ايثار اهل الفضل باذنه الايثار وتقديم ما يوثر على غيره والمراد
بانه انه ياذن لهم في الدخول في خلوته في بيته كما مر وما قيل من ان المراد باهل الفضل
اغنيا الصحابة رضي الله عنهم والفضل زيادة ما لهم على حاجتهم والمعنى انه صلى الله
عليه وسلم ياذن لهم ان يوثروا بصدقاتهم اقرباءهم كما وقع لابي طلحة رضي الله عنه
في بيرحا تكلفا ونفعه فيه قوله وقسمه على قدر فضلهم في الدين فنوهم ان المراد تقسيم
المال والعطا وليس كذلك وانما معناه قسمه جزئه في حديثه معهم واشتغاله بلوازمهم
وقوله في الدين لان اكرمهم عند الله اتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال
وفي بعض النسخ وقسمه بدون نائم بين سبب تفاوتهم بقوله منهم ذو الحاجة الواحدة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج الثلاثة فاكثر فيتشاغل بهم اي بقضا حوائجهم
وارشادهم لما يصلح معاشهم ومعادهم ويشغلهم بفتح اليا المثناة التحتية مضارع
شغل واما اشغل فلغة رديئة كما مر اي يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما امرهم
فيما اصلحهم وفي نسخة يصلحهم اي ما فيه صلاحهم والامة بالنصب اي واصلح
الامة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته صلى الله عليه وسلم بحالهم من مسالته
عنهم وهو بيان لما اي سواله عن احوالهم وروى مسالتهم اي الخاصة ذوي الفضل

واحباهم

واخبارهم اي اخبار ذوي الفضل بالذي ينبغي لهم اي يليق ويناسب حال المسول عنهم من الامة
وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغي ان يكون كذا فهو على وجهين احدهما
ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغي ان تحرق الثاني الاستهال نحو فلان ينبغي ان يعطى
لكرمه قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ويقول صلى الله عليه وسلم لمن حضر
عنده ليبلغ الشاهد امر وهو امر للوجوب في الامور الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة
ذكر الاتباع بعده ويجوز تشديدها والاول اصح هنا والشاهد الحاضر عنده
لمقابلته بقوله الغايب وهو من لم يكن حاضرا او موجودا فهو من كبار الصحابة والغائب
من صغارهم او هم الصحابة والتابعون قيل ويحتمل ان يراد العالم والجاهل واهل
واهل الحضر والبادية والسامع ومن لم يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات
عقلية او همية وبلادت وتعميم لمفهومه فتأملوا بلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها
اي حاجته وروى ابلاغ حاجته وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب والحث وبيان
لسبب الامر فانه اي الامر والشان من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها
قبل يريد ان من ابلغ سلطانا حاجة جوزي بهذا الجزا العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم والا فهو اجل من ان يكون ملكا وسلطانا وقد قال كما تقدم لست
بملك قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله
وقد اطلق الفقها ذلك عنه كما بيناه وفي حكمه بالسلطنة والفتيا والقضا المذكور
في القواعد للسبكي كما سياتي وهذا مستقل رواه الاصبهاني وفي بعض الفاظه لاختلف
ثبت الله قدميه يوم القيمة على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا في رواية ابن
ابي الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه وسعى لحاجة اخيه فهو جزا من جنس العمل ومو من
كناية عن نجاته من اهوال الموقف ولا يذكر عنده اي لا يذكر في مجلسه صلى الله عليه
وسلم الا ذلك الاشارة لجميع ما تقدم من ذكره مصالحهم وسواله عن الامة والامر
بالتبليغ والحث عليه والترغيب فيه ولا يقبل بالبنا للفاعل والمفعول غيره اي لا يرضى
كلاما غير ما يكون من هذا القبيل وقال اي علي رضي الله عنه في رواية في حديث سفيان
بن وكيع بن الجراح ابو محمد الكوفي وهو امام حافظ روى عنه الترمذي والدارقطني
وغيرهما توفي سنة سبع واربعين ومائتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله يدخلون
اي صحابه رضي الله عنهم روادا بضم الرا المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة جمع
رائد واصله من يتقدم القوم المسافرين لينظر لهم منزلا فيه الماء والكلا فاستعير
هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم وما يرشدهم وقيل يتحينون وقت الوصول اليه وقال
التلمساني انه رواد بكسر الرا وتخفيف الواو وسعد ويروى لواذا بلام وذال معجمة
اي ملتجئين لائذين به ولا يتفرقون من مجلسه عليه الصلاة والسلام الا عن ذواق
بفتح الذال المعجمة والواو المخففة والف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق وهو الماكول

فاستعير للعلم الذي يتعلمونه ويحتمل ان يريد حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم كان
عادته ان يطعم شيا لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة
المذوق كما قال له الراغب وجود الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله ومنه تفصيل
ذكرناه في كتابنا طراز المجالس اي لا يتفرقون الا عن علم وادب هو غذا الارواحهم
وسبب لبقائهم ويخرجون من عنده صلى الله عليه وسلم ادلة يعني فقها عالمين بامور
الدين اي هداة مرشدين للناس ويهتدون بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادي
او بمعناه المشهور كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضي الله عنهم كلهم مجتهدون
خلافا لبعض الحنفية كما في تحرير ابن الهمام قلت قائله الحسين لابيه رضي الله عنهما
فاخبرني عن مخرجه اي عن حاله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من منزله كيف كان
يصنع فيه بعد خروجه منه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر
موضع الضمير للاهتمام والتلذذ والتبرك بذكره يخزن لسانه بالخاء وضم الزاي
المعجمتين والنون اي يصونه ومنه الخزانة لانه لا يحب كثرة الكلام قال اذا المرء لم
يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان ولما فيه من المنع عداه بمن فقال الا فيما يعنيه
وفي نسخة الا فيما ويعني بفتح المثناة التحتية اي يهمهم وينفعهم من جوامع كلمه
وزواجر حكمه ويولفهم ولا ينفرهم اي يجعلهم مولتفين به غير متنفرين عنه لمداراتهم
ولطفه بهم كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك او جعل الله
بينهم الفة لحثهم على التحابب والمواخاة بينهم يكرم كريم كل قوم كما قال اكرموا عزيز
قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير الناس ويوليه عليهم اي يجعله حاكما عليهم
فلا يولي احدا من اصحابه غير كريم عليهم ولا يولي صغارهم عليهم رعاية لاهلية ذوي
الولايات وتجنبا الا على الاسافل ترغيبا في الاسلام ويحذر الناس ويحترس منهم لان
من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل احد وقال عمر رضي الله عنه احتجزوا بسوء الظن وهو
من بعيد حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحترال والاحتراز
والحزر متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعوذ والحذر الخوف من غير ان يطوي
اي يخفي ويمنع استعارة من طي الثياب عن احد بشره اي طلاقة وجهه وانبساطه معه تانيسا له
وتاليفا لقلبه واذهابا بالخوف مهابته وخلقه اي حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه
مجبول على الحسن فيه ويتفقد اصحابه اي يسال عمن لم يحضر عنده وفقد من مجلسه وقد يذهب
صلى الله عليه وسلم لمنزله اذا طالت غيبته وتطلبه ويسال الناس عما في الناس
من احوالهم وامورهم ليعلم امرهم فيتدارك ما ينبغي تداركه وينصح من يلزم نصحه وليس
هذا من التجسس والغيبة المنهي عنه بل سوال الطبيب ليشفي المريض فاذا اخبروه بحال
حسن حمد الله على ذلك يحسن الحسن ويصوبه اي يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله
ترغيبا له فيه ويقبح القبيح ويوهيه بضم اولهما وتشديد ثانيهما والنون والياء التحتية

من الوهي بمعنى الوهن وهو الضعف اي يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا وتحذيرا ونهيا
نافعا والمراد الحسن والقبيح عادة او شرعا وفيه صنعة الطباق معتدل الامر اي امره
صلى الله عليه وسلم كلها معتدلة فلا يبالغ في تحسين وتقبيح غير مختلف اي على
سنن واحد في جميع اوقاته لا يغفل عن شيء من احوال الناس مخافة ان يغفلوا اي يحصل لهم
فتور وكسل عن صالح امورهم اذا لم ينبههم عليه ولو ارجع هذا القول معتدل الامر لبعد
ويجمع هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة لكل حال من احوال
الناس عنده عتاد بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد العدة
والحاضر المعد لاصلاحه وتداركه اذا وقع فهو متخلق بقوله رقيب عتيد وقيل اصل العتاد
عداد لانه من العدة فابدلت داله تاء هربا من التكرار ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره
فاذا راه عمله واذا راى منكرا ازاله من غير تاخير الذين يلونه من الناس اي يقربون منه في
مجلسه ونحوه خيارهم اي افضلهم واشرفهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة اعم هنا
بمعنى اكثر نصيحة او اكثر منصوحا بان ينصح في كل امر كل احد بارشاده لما هو خير له ولذا قال
صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين فنصيحة الله
اخلاصه في اعتقاده له بما يليق به من توحيده وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه فهم
معانيه والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم الايمان به واجتناب
نواهيه وامتثال اوامره ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج ونصيحة العامة ارشادهم
لمصالحهم والنصح ارادة الخير لمن ينصحه بالخلاص وهي كلمة جامعة يقال نصحته
ونصحت له واعظمهم عنده منزلة اي رتبة وشرفا احسنهم مواساة لكل احد لان حسن
المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريد وبذله له يقال اساء وواساه
بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة له وموازرة اي اعانة لمن التجا اليه يقال ازره ووازره
اذا اعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة البدن به او من الوزر وهو الملجا ومنه
الوزير وفي الحديث ما احد عندي اعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وهذا يدل
على انه افضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قال الحسين رضي الله عنه
فسالته يعني عليا والده رضي الله عنهما عن مجلسه اي عن حاله في مجلسه خارج بيته مع
الناس ومعاملته لهم فيه ولذا ردفه بقوله ما كان يصنع فيه فقال كان لا يقوم
من مجلسه الا على ذكر الله يجعل صلى الله عليه ختام مجلسه مكانا اذا قام منه قال سبحانك
اللهم وبحمدك لا اله الا انت فجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة والذكر بالذال
المعجمة اذا اطلق اريد به ذكر الله تعالى وان كان عاما وقال التلمساني رحمه الله وقد يحمل
داله قليلا فقيل انهما لغة وقيل لغة ولا دليل لقائله في نحو هل من مذكر فانه مغالطة
ولا يوطن بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الطاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة
كما في بعض الشروح وفي بعضها انه بالكسر من اوطنه ووطنه اذا اتخذه وطنا الاماكن

جمع أمكن وأمكنة جمع مكان فهو جمع الجمع وفي ميمه خلاف فهل هي أصلية أو زائدة وينهى
عن إيطانها أي اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل مخصوص فيه في غير بيته مما ليس يملك كالمسجد
وغيره من الأماكن المباحة لأن لكل أحد حقا فيه والنهي الوارد عنه صلى الله عليه وسلم إنما
هو في حق المسجد بأن يتخذ مصلى معينا منه ولذا نص فقهاؤنا على كراهة إرسال السجادة للجامع
وفرشها فيه وفي الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يوطن الرجل المكان بالمسجد قيل
وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن ألف مكانها للإفتاء والتدريس فله إيطانه وإقامة
غيره منه إذا كان من لا يعرفه يأتي لاستفتائه فيعرفه في مكانه وقوله إيطانها يريد أن يوطن مخفف
ولا يعينه كما قيل لأنه يجوز أن يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر أو اسم فاعل أو مفعول
واسم مكان وغيره من باب آخر نحو تبتل إليه تبتيلا وقوله وداع دعا يا من يجيب إلى الندا
فلم يستجبه عند ذاك مجيب ويجوز في نحو إجراء مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة
أبلغ وأكثر معنى وهذا مما ينبغي التنبيه وإذا انتهى مشيه قاصدا إلى القوم الذين يريد الجلوس
معهم جلس حيث ينتهي به المجلس أي في مكان خال منه من غير تصدر على أصحابه رضي الله عنهم
وينتهي من النهاية لأن نهايته محل الجالسين فيه ويأمر أصحابه بذلك تشريعا وتأديبا
فعلم أن تحري الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على أصحابه لا سيما إذا لم
تطب أنفسهم بذلك فيتأذون به فإنه قد يحرم كما يفعله علماء السوء في زماننا
ويعطي كل أحد من جلسائه نصيبه أي ما يستحقه من ملاطفته ومحاورته سؤاله
وبشره صلى الله عليه وسلم له حتى لا يحسب أي يظن جليسه أن أحدا أكرم عليه
منه أي يظن أنه أكرم الناس وأجلهم عنده لما يرى من لطفه به فهو كقولهم ليس في البلد
أعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الإعطاء من جالسه أو قاومه في حاجة أي من جلس
أو قام مع قيامه لعرض حاجته أو لغير ذلك فهي مفاعلة من الجلوس والقيام صابره
أي صبر عليه أو صبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو كل ذلك لاستمالتهم
وتطييب قلوبهم فلا يمل حتى يملوا حتى يكون هو المنصرف عنه والحصر بتعريف
الطرفين في نحو هذا من سأله حاجة لم يرده إلا بها أي رده صلى الله عليه وسلم
مقضي الحاجة غير خائب أو بميسور من القول أي ورده بقول لين سهل لا غلظة
فيه كوعد وقد تقدم بيانه قد وسع الناس بالنصب مفعول وسع بسطه وخلقه
بإضافته لضميره ورفعه على الفاعلية أي عمهم بسطه أي بسط يده صلى الله
عليه وسلم وسماحته أي بشره وطلاقة وجهه وإبداء سروره وحسن خلقه
فشبهه بمكان متسع رحب وأثبت له السعة والبسط بهذا المعنى مسموع
وليس لغة مولدة كما يتوهم كما ذكره المص في المشارق وتقدم في الحديث عنه
صلى الله عليه وسلم فاطمة مني يبسطني ما يبسطها فصار لهم أبا أي بمنزلة
الأب في البر والصلة وقصد الخير وفيه دليل على أنه يجوز أن يقال إنه صلى الله عليه

وسلم

344

وسلم أبو المؤمنين كما يقال لزوجاته رضي الله عنهن أمهات المؤمنين ولا ينافيه
قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم لأن نفي الحقيقة لا ينافي المجاز كما سيأتي
وصاروا عنده في الحق متقاربين أي يقرب بعضهم من بعض إذا كانوا على الحق وفي
أداء حقوقهم أي في أصل الحق فلا ينافيه قوله متفاضلين فيه بالتقوى أي بحسب
مراتبهم في تقوى الله لقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقال صلى الله عليه وسلم
أنزلوا الناس منازلهم وسيأتي في الرواية الأخرى وصاروا في الحق سواء فلا ينافيه
هذه الرواية ولأن بينهم تفاوتا تاما وفي الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا
فإن تساووا هلكوا وصاروا كأسنان المشط ليس فيهم فضلاء وتنافسوا في الفضائل
فأنكروا فضل بعضهم على بعض وما عبر الإنسان عن فضل نفسه كمثل اعتراف الفضل
في كل فاضل وفي الرواية الأخرى صاروا عنده في الحق سواء كما بيناه مجلسه مجلس حلم
وحياء أي يظهر فيه حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لا يستفزهم الغضب وهم
مظهرون للحياء لا يرفعون رؤوسهم وأصواتهم ولا يرتكبون ما لا ينبغي قولا وفعلا
قيل ولو قدم هذا وأدرجه في جواب السؤال عن مجلسه كان أحسن قلت ما بالعهد من قدم
وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات احتراما له صلى الله عليه وسلم ولوقارهم وأدبهم
ولا تؤبن فيه الحرم كما تكبر جمع حرمة وهي ما لا يحل والمراد النساء الحرمة النظر لهن ونحو
أي لا يذكرون بسوء من أبنه وأبنه إذا ذكره بما يكره مأخوذ من الأبنة والأبن وهو عقد
في القسي تعاب بها أي لا تذكر فيه النساء لأنه رفث من القول ولا يذكر فيه ما يحرم كالغيبة
وسيأتي تفسيره ولا تنثى فلتاته بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مفتوحة
من النثاء وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق كما سيأتي وروي
ولا تثنى بتقديم المثلثة وهذا على النون أي لا تعاد والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون
ويجوز تسكين لام فلتات ويجوز ضم فا فلتة كما قاله التلمساني وهي الزلة أي القبيح الذي
يقع بغتة والمراد أنه لا فلتة فيه حتى تذكر في مجلس آخر فيعاد ذكرها فنفي الشيء بذكر لازمه
لأنها لو وقعت ذكرت كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر وهذه الكلمة أي قوله لا تثنى فلتاته
من غير الروايتين رواية الحسن عن خاله ورواية الحسين عن أبيه ويجوز أن يراد ظاهره أي
أن الفلتة إذا وقعت لا تذكر بل تستر يتعاطفون بالتقوى أي يعطف بعضهم على بعض
ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لا رياء ولا سمعة ولا خوفا واتقاء شر فالباء
سببية كقوله رحماء بينهم متواضعين أي يتواضع بعضهم لبعض لا يتكبر أحد على أحد
فيخدمه ويخفض جناحه له يوقرون فيه أي في المجلس الكبير سنا ويرحمون الصغير
شفقة عليه ورأفة وهو مفتوح الضاد ويكسر في لغة ردية ويرفدون بفتح المثناة
التحتية وضمها أي يعينون ويواسون يقال رفده يرفده بالكسر وأرفده بمعنى ذا الحاجة
أي كل من كانت له حاجة ومسألة لهم أو له صلى الله عليه وسلم إنما نوه بقضائها

اوابلاغها او الشفاعته ويجوز ان يراد به الفقير المحتاج ويحمون الغريب اى
يشفقون عليه ويعطفون تانيسا له وازاله لوحشة غربته قال الحسين فسالته
عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسايه فقال كان صلى الله عليه وسلم دائم
البشر اى طلاقة الوجه وبشاشته واظهار السرور في مجالسه العامة وهذا
لا ينافي ما مر من قوله دايم الاحزان كما مر فتذكره سهل الخلق اى خلقه وسجيته السهولة
وعدم الشدة في اقواله وافعاله وقد جا صلى الله عليه وسلم بالملة السمحة السهلة
لين الجانب بتشديد اليا وسكونها اى لا غلظة فيه ولا جفا منه لانه متواضعا ليس
بفظ اى سيء الخلق ولا غليظ اى شديد متوعد لاحد ممسك عنه لطفه ورفده
ولا صخاب بالصاد والسين اى لا يرفع صوته جدا في حضرته ونحوها ولا فحاش اى
لا يتكلم بقبيح كالشتم ولا عياب اى ذاكر العيوب الناس وتفايصهم ولا مداح اى
لا يكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة فوق ما فيه وان كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه
كما مر وذكرهذه بصيغة المبالغة اشارة الى انه قد يصدر قليلها احيانا منه صلى الله
عليه وسلم لمقتضى الحال ومثله لا يعاب والمدح انما يذم اذا كان زيادة عنحده
لانه كذب ومداهنة واما مدح من يستحق المدح بما فيه اذلم يلزمه محذور فامرحسن
الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالم لرجح وقوله
لعمر رضي الله عنه لو لم ابعث بعثت انت ياعمر فاى مدح يزيد على هذا لكنه صدق
ناس عن بصيرة ولا يورثهم ذلك اعجابا ولا فتورا وما من شيء الا وهو ممدوح من وجه
مذموم من اخر يتغافل عما لا يشتهى اى يتغافل عن ما ليس بمنكر شرعا لكنه غير مستحسن عادة
او طبعا اذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم الاخلاق كما قال
ابو نواس ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي ولا يويس منه قال في المغني
يويس بضم اوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهي ترسم ياء ويجوز فتحها على انه مبني للفاعل
او المفعول وهو من اليأس ضد الرجا يعني اذا سئل صلى الله عليه وسلم عما لا يليق تغافل
عنه ولم يرد السائل حتى ييأس ويبين له انه سال ما لا يليق فيخجل سايله وقد ترك
نفسه من ثلاث اى نزهها عنه ومنعها وقيل فيه قلب اى ترك ثلاثا من نفسه المرا
والاكثار وما لا يعنيه بفتح المثناة التحتية اى يهمه وهي بدل من ثلاث مبينة لها
والريا اظهار ما فيه من الصفات الحميدة والافعال الجميلة للناس حتى يحمد بها ويشيع
وهو الشرك الاصغر وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنه بلا شبهة فان قلت كون
غير ثابت له امر ظاهر لا شفاعته فما الحاجة لذكره قلت كانه ذكرهذه الجملة الحالية
لبيان وجه تغافله عما لا يحبه من غير ان يقنط راجيه يعني انه لم يقل لا الا حيث هنا
فلذا لم اجلك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه من الريا ولذا قال وترك الناس
من ثلاث اى بعدهم عنها او من ترك ذكر الناس ونحوه من اجل ثلاث تضمنها قوله كان

لا يذم احدا من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله ولا يعيره بعين مهملة يقال عيره
كذا وبكذا اى ذكر ما فيه بما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه فالفرق بينه وبين
ما قبله انه اخص منه وليس عينه حتى لا تكون امور الناس المتروكة اربعة كما ذكره
التلمساني رحمه الله ولا يطلب عورته اى لا يتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان
صلى الله عليه وسلم يفعل مع المولفة قلوبهم واصل العورة الخلل وما يجب ستره كما
في حديث ابي داود يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين
ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته وهذا
كما قيل في المثل كل من عير ابتلى وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه
وقوله ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه صفة اخرى مرتبطة بما قبلها وليست من الثلاث
وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخير والتبليغ اذا تكلم اطرق جلساوه اى
خفضوا روسهم تادبا وانصاتا كانما على روسهم الطير اى بسكون ووقار من غير طيش
وخفة لان الطير لا يقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور واذا سكت تكلموا فلا يقطعون
حديثه بحديثهم تادبا معه صلى الله عليه وسلم وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على
حفظه مراعاة لتعظيم قدره لا يتنازعون عنده الحديث اى اذا كانوا في مجلسه صلى الله
عليه وسلم لا يريدون الحروف الحديث بينهم فيحدث بعضهم بعضا كما هو جار بين
الناس اذا اجتمعوا في ناد وهذا بيان لقوله تكلموا وان المراد تيكلمون مع النبي صلى الله
عليه وسلم بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لانهم يريدون الحديث بينهم وهذا هو معنى
تنازع الحديث في كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاغتراره بظاهر التنازع لم يصب لعدم
مناسبته للمقام ولا يخفى انه لا معنى لقولك تخاصموا الحديث الا بتاويل اى تخاصموا في
الحديث وهو وكيك قال امرؤ القيس فلما تنازعنا الحديث واسمحت هصرت بغصن
ذي شماريخ ميال قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب تنازعنا الحديث اى تداولناه
فحدثتني مرة وحدثتها اخرى وههنا بحث وهو ان سيبويه قال في كتابه تفاعلت
بنصبه وفي تفاعلنا تلفظ بالعين الذي في فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا وقد يجي تفاعلت
على غير هذا كتغافلت انتهى فلم يجز تعدى تفاعل لمفعول الا اذا كان لواحد لان تفاعل
قد تضمن الفاعل والمفعول الذي كان في فاعل ومفعول فاذا قلت تضاربنا لا يتعدى
لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لنا غيره وليس تنازعنا كذلك لان نازع يتعدى
لمفعولين تقول نازعت الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثاني
لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد في المقتضب شرح ادب الكاتب اقول
في كلام سيبويه حينئذ قصور لانه كان عليه ان يقول ان باب تفاعل بمعناه الاصلي
ينقص عن فاعل مفعولا فان كان متعديا لواحد كان لازما وان كان متعديا لاثنين
تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه لا ينبغي وقد نقل ابن السيد هنا في محل اخر عن

الكوفيين فقال ثعلب يقال فلان متعهد ضيعته ولا يقال يتعاهدها قال ابن درستويه
انما انكرها لانها على وزن يتفاعل وهو عند اصحابه لا يكون الا من اثنين ولا يكون عندهم
متعديا بالمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل قد يكون لواحد ويكون
متعديا كقول امرئ القيس تجاوزت احراسا واهوال معشر على حراص لو يسرون مقتلي
وجاتفاعل متعديا لاثنين كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد
والتعهد الاحتفاظ بالشيء واحداث العهد به وقول سيبويه السابق يشبه قول
الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع كقوله صلى الله عليه لمن قرا
خلفه ما لي انازع القران من تكلم عنده اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم من الصحابة
او غيرهم انصتوا له حتى يفرغ من حديثه وفي بعض النسخ من كلامه وانصت يكون
لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال انصته اذا اسكته حديثهم حديث اولهم
مبتداء وخبر او حديثهم فاعل يفرغ بجمع الضمير وهو من رعايته للمعنى وحديث اولهم
بدل منه اي لا يقطع كلام من تقدم بكلام اخر ولا يخاصم لهذا في معنى لا يتنازعون
وهو مرتبط بما قبله فان كان مبتداء بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه اي حديث
كل واحد منهم انما هو حديث من قبله يعني انه لا حديث له معه يقطعه كقوله صلى الله
عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة امه وقد خفي هذا على بعض الشراح فعلقوه
بانصتوا يضحك صلى الله عليه وسلم مما يضحكون منه اي الصحابة رضي الله
عنهم ويعجب مما يعجبون وفي نسخة ويتعجب مما يتعجبون لانه من حسن الصحبة ان يسرك
ما يسره ويرضيك ما يرضيه وهم على نهج واحد وطبايعهم سليمة فلا يضحكون
ويعجبون من غير مقتض فلا يقال انه يلزم من ضحك احد وتعجبه فعل غيره مثله لانه
امر طبيعي وهنا في احيان قليلة فلا ينافي قوله السابق كانما على رؤسهم الطير ويصبر
للغريب على الجفوة اي الغلظة وتكلمه بما يولم في المنطق اي في تكلمه مع النبي صلى الله
عليه وسلم كتحليف الاعرابي له صلى الله عليه وسلم وقوله له آالله ارسلك بهذا
وانما قيد بالغريب لانه معذور لانه لا يعرف احواله وهذا من مكارمه ومعاملة
كل احد بما يليق به حتى ان كان اصحابه يستجلبونهم ويقول صلى الله عليه وسلم لاصحابه
اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه بوصل الهمزة وقطعها من رفده وارفده
اذا اعانه او اعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا ولا
يطلب الثنا بمعنى يقبله كما ورد في رواية فهو مجاز مرسل او استعارة والثنا الذكر
الحسن الجميل والمدح الا من مكافي بالهمزة اختلف في تفسيره اي ممن اثنى جزا على نعمة
واحسان تقدم له منه وقد صرح به في بعض الروايات بقوله عن يد ولا يرد عليه
ان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة عامة ما من احد الا وله عنده يد فالصواب تفسيره
بسلم اي غير متجاوز في المدح مطرا لان القرينة قائمة على ان المراد بنعمة حادثة خاصة

ولا يقطع

ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه اي يخففه يقال التجوز في الصلاة اذا اسرع
وخفف فيقطعه بانتهاء اي اتمام لحديثه وبه ينقطع الكلام او قيام من المجلس لانه
انقطع كلامه فمضي لشانه هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع السابق ذكره وزاد
الاخر اي صاحب الرواية الاخرى قلت لقائل احد السبطين رضي الله عنهما كيف
كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوم وقد تقدم لم يفسره
وقال فاما تقديره اي عن نظر مقداره اذا صدر منه او من غيره ممن يقتدي به ففي تسوية
النظر في الامور وما يترتب عليها من المنافع الدنيوية والاخروية والاستماع اي
استماع الناس به صلى الله عليه وسلم او بامورهم فيما بينهم ومعنى الاستمتاع
الانتفاع وقوله بين الناس متعلق بالتسوية وهي جعلهم متساوين وليس المراد
تساويهم حقيقة بل ان يكون لكل احد مقدار يليق به واما تفكره ففيما يبقى ويفنى اي
في امور الدنيا الفانية والاخرة الباقية المخلدة فان قلت كيف يعلم هنا وهو امر مضمر
في نفسه صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه الا الله قلت هنا بطريق الاستدلال
العقلي الفراسية الصادقة الشاهد لها ما يظهر من اثاره ويتعلق به اذا تكلم فان
الظاهر عنوان الباطن وجمع بالبنا للمفعول اي جمع الله له وكذا ما سياتي بعده الحلم
باللام اي جمع له ساير جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفي بعض النسخ الحكم
بالكاف وله وجه في الصبر اي مع الصبر على امور الناس والامة فكان صلى الله عليه
وسلم مع حلمه صابرا لا يضجر ولا يقلق كما اشار اليه بقوله فكان لا يغضبه شيء
مما يتعلق به في نفسه وان كان قد يغضب لله ولا يستفزه بكسر الفاء وتشديد الزاي
المعجمة اي يستخفه بحيث يبدو منه حفة وقلق لامور الدنيا والاعداء وجمع له في الحذر
اي في حال حذوره واحتراسه من الناس ومع ذلك اربع نائب الفاعل اخذه بالحسن
وفي بعض النسخ تركه قوله اربع وهو مرفوع نائبا الفاعل ومنصوب مفعول لاجله
اي يمسكه بكل امر مستحسن مشروع ليقتدي به ويتبعه الناس وتركه القبيح شرعا
وخلاف الاولى لينتهى عنه علة للترك اي لينتهي الناس عنه واجتهاد الراي اي اجتهاده
صلى الله عليه وسلم فيما يراه رايا بما اصلح امته اي فيما يصلحهم او يسببه والقيام
لهم اي الامة بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة في المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام
والاجتهاد وبذل ما في وسعه وطاقته من اصلاحهم او هو بمعناه المصطلح بناء على
جواز اجتهاده صلى الله عليه وسلم وفيه اختلاف مذكور في كتب الاصول قال الابي
في شرح مسلم نقلا عن المصر لا اختلاف انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في امور
الدنيا ويرجع الى راي غيره في ذلك كما فعل في تلقيح النخل واختلف في انه صلى الله عليه
وسلم هل له ان يجتهد في الشرعيات وهل هو معصوم في اجتهاده ام لا والصواب

ان له ذلك وانه معصوم وتفصيله فى اصول الفقه فلا حاجة للتطويل به فصل
فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله المراد بالغريب ما لم يكن استعماله مشهورا بين
العرب بحيث يخفى على غير العرب العرباء لا ان يكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل والمشكل
ما لم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتاويل المشذب بضم الميم وفتح الشين وتشديد
الذال المعجمة المفتوحة والبا الموحدة اى البائن اى الظاهر احترازا عما فوق الربعة بقليل
الطول فى نحافة هى قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا وهو مثل قوله فى
الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر
الغين المعجمة وطا مهملة واصله متمغط فابدلت النون ميما وادغمت بمعنى الطويل من
انمغط النهار اذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما فى النهاية وقال التلمسانى بالمعجمة
والمهملة والميم الثانية مشددة او مخففة وهو الطول فى نحافة او الطول الذى ليس
بفايق فليس بذم والشعر الرجل بفتح الرا المهملة وكسر الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر
وتمشيطه والرجل الذى سرح بمشط والرجل الذى يحاكيه خلقة كما فى الاكمال واليه اشار
بقوله الذى كانه مشط بالتخفيف والتشديد فتكسر قليلا والتكسر التثنى كانه كسر ليس
بسبط بفتح البا وكسرها وهو المرسل الذى فيه تثن كما قاله ابن عبد البر ولا جعد بفتح
فسكون اى كثير الشعر كشعر الزنج وقال المازرى شعر رجل ورجل بفتح وسكون وبكسر الرا ثلث
لغات بين السبوطة والجعودة وقيل الذى له مشط والعقيقة وهى كما تقدم فى الاصل
الشعر الذى يولد به الطفل لانه يعق اى يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذى يصنع
عنده والشاة التى تذبح له شعر الراس واصله شعر المولود ثم اطلق على غيره اراد ابن ابى
هالة وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان انفرقت انما انفرقت
انها انفرقت من ذات نفسها وذات مقحمة تاكيد النفسها ان وقع تفرقها من غير صنع فرقها
بالتخفيف اى تركها متفرقة بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص ضفر الشعر
على الراس وليه وقيل هو لى الخصلة من الشعر ثم عقدها ثم ارسلها وعقص شعره عقده
فى قفاه ويروى عقيصته بدل عقيقته وهى الشعر المعقوص اى المضفور من العقص
وهو اللى ادخال واطراف الشعر فى اصوله كما فى المقتفى والمشهور عقيقته لانه صلى الله
عليه وسلم لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان فى صدر الاسلام لانه كان يحب
موافقة اهل الكتاب فيما لم يومر فيه بشئ وكانوا يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون
فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد وقال النووى المختار جوازهما والفرق
افضل وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها من ازهر
السرج اذا نوره ومما قلته كما تقدم من حرصك بالغنا كم تشتغل والعمر مضى
فما يفيد الامل ما زهرة هذه الحياة الدنيا للعزك با نمل المنا تحتمل
وهنا كما قال فى الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع

اى الخالص

اى الخالص البياض والممتق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل ما يقرب بياضه من الزرقة
ويقال امهق بتقديم الها ايضا وهو من القلب والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث
الاخر ابيض مشرب بالتشديد على زنة اسم المفعول المزيد ويقال مشرب بالتخفيف
والتشديد للكثير والمبالغة والاشراب خلط لون بلون فكانه شرب واكثر ما يقال
فى اللحم اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر الاقنى السايل
الانف المرتفع والاسم الطويل وقصبته الانف والقرن بفتحتين اتصال شعر الحاجبين
وضده البلج كما تقدم ما فيه ولاحا القول التلمسانى البلج صباحة الوجه فلا ينافى
ما فى حديث ام معبد من وصفه الذى اشار وقع من حديث ام معبد وصفه بالقرن
صلى الله عليه وسلم بالقرن ورواية مثله عن ابى عبيدة فان المشهور خلافه ويويد
ان العرب تكرهه والادعج الشديد سواد الحدقة فى الصحاح الدعج شدة سواد العين
مع سعتها وكذا فى غيره وهو لا ينافى قوله فى الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين بسين
مهملة وجيم وهو الذى فى بياضهما حمرة اى اللون الذى فى بياض العين وحمرة بدل منه بناء على
جواز ابدال النكرة من المعرفة او الذى صفة لمقدر وحمرة خبر اخر وهو ممدوح لانه فى البياض
لا فى الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين كما فى المصابيح الا انه غلط فيه كما مر فى الفصل
الثانى ومنهم من قال الدعج لغة دقة فى بياض مستدلا بقوله يا رب ان العيون السود
قد فتكت فينا وصالت باسياف من الدعج ان السيوف دقاق مخلوقة من الدعج
كقولهم انت مما تفعل وخلق الانسان من عجل على قول وقيل لا حجة فيه لاحتمال انه من الدعج
بضمتين على انه بحريه وهو جمع ادعج وتشبيهما بالسيوف فى فتكها لا فى لونها فانها يقال
لها البيض كما يقال للرماح والزرق بما هى السهام قال امرء القيس تقتلنى والمشرفى
مضاجعى ومسنونة زرق كانياب اغوال والضليع الواسع والشنب رونق
الاسنان وماوها وقيل رقتها وتحزيزها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين
الثنايا صح الخ كما تقدم ما فيه وماوها صفاؤها كما يقال ما الجمال والماء تستعار لمعنى
فصلها الثعالبى فى المضاف المنسوب وقيل المراد بالماء ريق الفم والمراد بتحزيزها تزاين
مجتمعين كون اطرافها دقيقة كالشرافات لها ودقيق المسربة خط الشعر الذى بين
الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك اى لا سمين فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن
كذلك وهو ممدوح فهو معتدل الخلق فى المقتفى وهو اشارة لدفع احتمال السمين
وكذا قوله يمسك بعضه مثل قوله فى الحديث الاخر لم يكن بالمطهم اى فاحش السمن
منتفخ الوجه ولا بالمكلثم اى ليس بمترخى فى اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن
والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر بضم الميم والشين المعجمة كما مر ان صحة هذه اللفظة
فى صفته صلى الله عليه وسلم فيكون من الاقبال فى صدره وهو احد معانى اشاح اى
انه كان بادى الصدر والمراد به انه لم يكن فى صدره قعس بفتحتين وعين وسين مهملتين

بعد قان وهو تطامن فيه اى فى الصدر قيل لله هذا مخالف لقول الجوهرى القعس خروج
الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان التطامن الانخفاض كقول ابن مالك رحمه الله
فى نظم الكفاية والميل من ارنبة الانف خنس وعرض انف مع تطامن فطس وفى الروض
الانف الحدب انحنا فى الظهر وقد يكون مستعملا فى معنى المخالفة اذا قرن بالقعس
كقوله فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب قلت
وكذا فسره الشراح والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه ورد انه مستوى
البطن والصدر وقد صرح به المص فى قوله وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى
ليس بمنتفخ الصدر ولا مفاض البطن والعجب منه بعد هذا كيف يعترض عليه وكيف
يصح تفسيره بغير ما ذكره ومفاض بضم الميم وفتح الفا واخره ضاد معجمة ضخم البطن وقيل
مسترخى اللحم وقيل عظيم البطن وعظيمها مسترخى اللحم ولعل هذه اللفظة فسيح بالسين
وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام
وهو مثل قوله فى الحديث الاخر جليل المشاش والكتد جمع جليل بفتح الجيم بمعنى عظيم العظام
والمشاش بضم الميم وشينين معجمتين واحده مشاشه وهى روس العظام كالمرفقين
والكتفين والركبتين وفى الصحاح روس المناكب اى العظام اللينة التى يمكن مضغها ويقال
عيشمشها والكتد بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز فتحها فسره المص بانه مجتمع الكتفين
وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والرندان عظما الذراعين سائل الاطراف اى طويل
الاصابع وسائر الكلام عليه مفصلا وذكر ابن الانبارى محمد ابن قاسم بن بشار اللغوى
نسبة للانبار بفتح الهمزة قرية قريبة من الفرات ولهم انبارى اخر منهما راو للحديث وهو
وهو محمد بن سليمان والانبار معربة معناها مخزن القمح انه روى سائل الاطراف وقال
سائن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية
الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه عليه الصلوة والسلام كما
وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة اى واسعها وقيل كناية عن سعة العطا
والجود وقوله خمصين تقدم ضبطه وما فيه وفسره هنا بقوله اى منجافى اخمص خمصان الا
القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم وهو بفتح السين والكثير
سكونها وضابطه انه انما يستعمل فى متفرق الاجزا كالناس والصواب فيما لسكون
وقد تفتح او ما يتصلها كالدار والراس فيما لفتح وقد تسكن وقال الجوهرى وغيره
والاول ظرف والثانى اسم ومن هنا يعلم انهم لا يريدون بالاسم فى امثال هذا الكلام
اسم المصدر بخصوصه اذ الوسط بالمعنى الثانى ليس اسم مصدر قطعا ثم قضيته
انه ليس ظرفا اذ لا يقال جلستنا وسط الدار بل فى وسطها اى ما توسط منها ومسيح
القدمين اى ملسهما ولذلك قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى
عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا موافق معنى

قوله

348 قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم اى انه لم يكن له اخمص وقيل
مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين اذا فسر بلحيمهما واما
اذا فسر غليظهما الى غلظ وقصر او بغلظ الاصابع فلا وزعم ابو عبيدة ان شثنهما
بمعنى غليظهما مع قصرهما قال فى المطالع وقد جاء خشنا وهو سائل الاطراف
يشير الى رد زعمه قال وليس الشثن بعيب فى الرجال بخلاف النساء والمن زعم انه
عيب فقد تقدم انه محمود فى الرجال دون النساء والتقلع هو رفع الرجل بقوة والتكفو
الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه
صلى الله عليه وسلم كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشيه المختال
ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله
فى صفته عليه الصلوة والسلام بفتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه
والعرب تمدح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله
فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصله
عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء اخر بالعامة وقوله يدخلون
روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده وقوله ولا ينصرفون الا عن ذواق وقيل
عن علم يتعلمونه منه عليه الصلوة والسلام ويشبه ان يكون على ظاهره اى
فى الغالب والاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة والمعاونة وقوله
لا توطن الاماكن اى لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه صلى الله عليه
وسلم عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه
وقوله لا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرون بسوء وقوله لا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها اى
لم يكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت وقوله يرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح
وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم
وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم اى نعم واليد تطلق
على الجارحة وعلى النعم لانها بمنزلة العلة الفاعلية لها لصدورها عنها الا انه خولف
بينهما فى الجمع فقيل فى الجارحة ايد وفى النعمة ايادى ويدى بضم المثناة التحتية
وكسر الدال المهملة وتشديد الياء كقوله فان له عندى يديا وانعما والاصح انهما فى الجمع
سواء كما اثبته اهل اللغة بشواهده فلا حاجة للاطالة بذكره ويستفزه يستخفه
وفى حديث اخر فى وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب اى قليل لحما بسين
مهملة ومعجمة اى قليل لحم العقب وقيل بالمعجمة معناه ناتئ العقبين
معروفهما قاله ابن قرقول برمته واول حديث النضر بن وافق كلام المص والمراد جنس
العقب لا عقب واحد كما تقدم مثله وثانيهما يخالفه لانه اعتبر فيه النتو مع قلة
اللحم لانه معنى المعروف قليل اللحم كما فى الصحاح واهدب بدال مهملة الى الاشفاه

بشين معجمة وفاو راء مهملة وهي حروف الاجفان التي نبتت عليها الشعر المسمى بالهدب والحدها
شفر بضم فسكون كهدب ويكون مطلق الظرف اي طويل شفرها انتهى التفسير والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه الطيبين وسلم تسليما كثيرا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار المراد ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من العلة
القادحة وقد يطلق على ما يشمل الحسن كما فصل في مصطلح الحديث والخبر تقدم يراد به الحديث
وقد يراد به معناه الاعم الشامل له ولغيره وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوي وما ثبت صدقه
فقوله ومشهورها ليس من عطف الخاص على العام ومن قال كانه اراد به قسيما منه
وهو ما اشتهر بين المحدثين وارجع الضمير لصحيح الاخبار رواته رعاية لمعناه اولا كتسا
التانيث من المضاف اليه فلا وجه لتخطيته فيه بعظيم قدره عند ربه متعلق بورد والبا
للتعدية او الالصاق ومنزلته عطف تفسير والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة بمعنى
لشرفه وما خصه به في الدارين الدنيا والاخرة غلب اطلاقه عليهما من كرامته صلى الله
عليه وسلم بيان لما وكرامته جلالته وعزته وضمير خصه له او لما وكذا به والبا داخلة
على المقصور او المقصور عليه وكل منهما جايز بلا خلاف فانما اختلفوا في اصله وحقيقته
لاخلاف اي لاحد من المسلمين بل العقلا لانعقاد الاجماع عليه ولا يعتد بما زعمه بعض
اهل الكتاب انه اكرم البشر والنوع الانساني وتقديره في انه وحذف الجار في مثله نفيس
مطرد وسيد ولد ادم السيد من ساد غيره اي فاقه في الشرف والكمال وفي اطلاق السيد
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى الله وعلى غيره اقوال قال البيهقي في كتاب الاسماء والصفات
السيد اسم الله لم يرد في القران وورد في الحديث فعن مطرف قال انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد هو الله قلنا وافضلنا فضلا
واعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم او ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان قال الحليمي
ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق والله فان سيد الناس انما هو راسهم الذي يرجعون اليه
وبامره يعملون وعن رايه يصدرون ومن قوله يستمدون الخ فهذا دليل على اطلاقه على الله
ودليل اطلاقه على غيره سواء كان نبينا صلى الله عليه وسلم كما في الحديث وغيره كقوله
تعالى والفيا سيدها لدى الباب فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو
القول الاصح وحكي عن مالك امتناع اطلاقه على الله ويطلق على غيره وهو القول الثاني
انه لا يطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف بالالف واللام
اختص بالله كما ذكره الدماميني في اول شرح التسهيل وهو انه اذا اطلق على الله فمعناه
المحتاج اليه في جميع الامور واذا اطلق على غيره فمعناه الرئيس الذي يتبعه قومه كما
فصلناه في شرح اسماء الله الحسنى وقد ورد في الحديث النهي عن تسميته سيدا وهو اسما
مواضع منه م او المراد نهيه عن سيادة دنيوية فلا منافاة بينه وبين هذا واما في الصلاة
فاختلف في الافضل فيها هل هو صلى الله على سيدنا او على محمد ولابن حجر كلام فيه في الفتاوى

سيأتي

349

سيأتي في محله والولد يطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد ادم وولده ولذا عقبه بقوله
وافضل الناس منزلة عند الله واذا كان صلى الله عليه وسلم افضل الناس علم انه افضل
الثقلين ولا حاجة الى ان يقال ان الناس يطلق على ما يشمل الجن وانه ذهب اليه بعض اللغويين
في قوله تعالى قل اعوذ برب الناس وقالوا قوله من الجنة والناس بيان له والعرب تقول ناس
من الجن وذهب السبكي في فتاواه الى ان يطلق على ما يقابل الجن وعلى ما يشملهما وعلى انه
الاول اصله اناس من الانس وعلى الثاني من نوس فالناس الاول غير الثاني وهو كلام
حسن واعلاهم درجة الدرجة واحدة الدرج وهي مواطن التسلم لما يعلو وذكرها بعد المنزلة
فيه لطف لان علو المراقي يقتضي زيادة على المنازل واقربهم زلفى اي قربى وهو كجدوى وقيل
هو اسم اقيم مقام المصدر الموكد فهو في معنى اقربهم تقريبا وليس تمييزا كمنزلة ودرجة
واعلم ان الاحاديث جمع حديث على خلاف القياس قيل ولا يناسب ان يكون جمع احدوثة
لانها تختص بالمضحكات والشرور ورد بانها تستعمل في الخير ايضا كقوله من الخفرات البيض
ود جليسها اذا ما انقضت احدوثة او تعيدها وقول القاضي في سورة المؤمنين
في قوله تعالى فجعلناهم احاديث ان احاديث اسم جمع للحديث وقد شرطوا فيه ان لا يكون
على وزن مختص بالجمع او يغلب فيه وصيغة منتهى الجموع لا توجد في المفردات يدفع بما
في الكشف من اسم الجمع يطلق بمعنى اخر وهو ما كان على خلاف القياس كما يقال في ليال انه
اسم جمع وقد علمت ان الحديث ما يضاف للنبي صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله
وتقريراته وصفاته وساير احواله في منامه ويقظته الواردة في ذلك اي في عظيم قدره
صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة وهو مفعول مطلق
محذوف عامله وجوبا لجريه مجرى الامثال وهو موكد لما قبله اي مثناة في الكثرة واصله
من الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد انه اجتهد في كثرته وبولغ فيها وقد اقتصرنا منها اي من تلك الاحاديث
الكثيرة على صحيحها الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به ومنتشرها اي مشهورها وحصرناها
من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته معانيها وردت منها في اثني عشر فصلا فيه مسامحة
لان الفصول اسم للالفاظ وهي مغايرة فيحتاج لتقدير مضاف الاول والثاني الفصل
الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه المكانة كالمنزلة علو قدره ان يكون من التمكن
وهو الثبوت كما يقال له مكنة وتمكن من السلطان اي قرب والاصطفا اي اختياره
صلى الله عليه وسلم على غيره وتقديمه والتفضيل وسيادة ولد ادم وكرمه وما خصه
في الدنيا من مزايا جمع مزية بزنة عطية وهي الفضيلة التي تقدمه على غيره وفي شرح
المفتاح انه لا فعل له ومخالفة ما في الاساس من انه يقال تمزيت عليه كامر وسميها التسرى
بالتمام والكمال وبركة اسمه الطيب اي كونه يتبرك باسمه المشهور وهو احمد ومحمد والطيب
صفة لا بدل لان الطيب ليس من اسمائه المشهورة وهنا اشارة لما ورد في الحديث كل امر
لا يبدا فيه بحمد الله والصلاة علي فهو ابتر اي ممحوق البركة ذكره السخاوي في شرح

الفية الحديث وقال هو وان كان ضعيفا لكنه يذكر في الفضايل اخبرنا ابو محمد عبد الله بن
احمد العدل لقب به وهو امام حافظ تيمي توفي سنة احدى وخمسمائة اذ قال بلفظه اراد بالاذن
الاجازة بروايته عنه وقال بلفظه لانه لم يكن من كتابه وهو يقرؤ كما مر وهنا جايز قال حدثنا
ابو الحسين الفرغاني بالفا والرا المهملة الغين المعجمة نسبته لفرغانة بلدة بما وراء النهر وهو
الامام علي بن عبد الله المقرئ ووقع في بعض النسخ الحسن والاصح الاول قال حدثنا ام القاسم
بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها قال حدثنا حاتم وهو ابن عقيل بفتح العين وكسر القاف وهو
ابن المهتدي ابن المرادي اللولوي المشهور عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني بكسر الحا المهملة
وتشديد الميم والفا ونون ويا نسبته وهو يحيى بن عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن ميمون ابو زكريا
الكوفي وهو ثقة وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة في الميزان قال حدثنا قيس بن
الربيع ابو محمد الكوفي اختلفوا فيه ايضا فقيل ثقة وقيل ضعيف واخرج له اصحاب السنن
توفي سنة خمس وسبع او ثمان وستين ومائة وترجمته في الميزان عن الاعمش سليمان بن
مهران تقدمت ترجمته عن عباية الربعي بفتح العين واخره يا ويقال عباءة بالهمزة علم منقول
من اسم الكسا والربعي بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وعين مهملة ويا النسبة هو من
غلاة الشيعة وله ترجمة في الميزان عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا الحديث رواه
الطبراني والبيهقي في الدلائل فانه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم
الخلق قسمين قيل هذه قسمة تقديرية في علم الله تعالى وقيل حقيقية كما بينه في قوله فجعلني
من خيرهم قسما منصوب على التمييز اي من القسم الذي هو خير يعني اصحاب اليمين المشار اليهم
في قوله فذلك التقسيم ما تضمنه قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال لا العرب كما توهم
لقوله فانا من اصحاب اليمين من تبعيضية او ابتدائية وانا خير اصحاب اليمين اي اكرمهم
وافضلهم ثم جعل القسمين اثلاثا اي جعل مجموع القسمين ثلاثة اقسام لا كل منهما
كما يتبادر الى الذهن فجعلني في خيرها ثلثا وقيل اصحاب اليمين هم الذين تؤخذ بهم ذات اليمين
الى الجنة واصحاب الشمال الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وهم الذين كانوا عن يمين
آدم والذين كانوا عن شماله في عالم الذر والذين اخذوا من شقه الايمن والايسر والا
يسر او من على كتابه بيمينه وشماله او الذين راهم في الاسراء عن يمين آدم صلى الله عليه
وسلم وشماله وذلك اي التقسيم الثلاثي ما بينه قوله اصحاب الميمنة اي اليمين
او اليمن على انه مصدر ميمي وهم بعض السعداء غير السابقين لئلا يتداخل الاقسام واصحاب
المشامة هي كالميسرة بمعنى الشمال لان العرب تقول للعبد الشمال شومى ومنه الشام لانها
عن شمال الكعبة في قول والشامة والسابقون وفي بعض النسخ والسابقون بالتكرير كما في الاية
ولابد من تغايرهما ليفيد الحمل فهو اما كقوله انا ابو النجم وشعري شعري اي الذين عرفوا بكمال
السبق والاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثاني بمعنى السابقين الى الجنة ونعيمها
وهو احد التفاسير وقيل هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سالوه بذلوه ويحكمون

لغيرهم

لغيرهم عما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات والنوبة وقيل هم الانبيا عليهم
الصلوة والسلام فانا من السابقين وانا خير السابقين فهو من اعلم الاقسام لا قسم
مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم ومن هنا القسم الانبيا عليهم الصلوة والسلام
فهو افضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم ثم جعل الاثلاث قبايل اي جعل كل
ثلث ومجموعها وهذا اظهر والقبايل جمع قبيلة وهم بنو اب واحد والقبيل بدونها الجماعة
مطلقا ثلاثة فصاعدا وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية والشعوب
جمع شعب بالكسر وقيل انا هو بالفتح والذي بالكسر طريق بين جبلين واختلف في تقسيم
الناس فقيل الشعب اكثر من القبيلة وبعدها الفصيلة ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة
ثم الاسرة وهذا مخصوص بالعرب وقيل هم ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة وبطن
وفخذ وفصيلة فالشعب الطبقة الاولى وبعدها القبيلة ثم العمارة بكسر العين المهملة
ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة فالشعب يجمع القبايل والقبيلة تجمع
العماير والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصايل فخص شعب
وكنانة قبيلة وقريش وهو النضر بن كنانة عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعبد المطلب
والعباس فصيلة وقد تطلق القبيلة على ما دونها تجوزا ولما لم يكن في الاية ما يوذن
بشرف الفصيلة في نفسها فان الشرف انما هو بالفضلة لا بالفصيلة ولكن شرف
الاصل يستلزمه غالبا قال فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله تعالى ولا فخر جملة
حالية اي لا اقول هذا تفاخرا ومباهاة وتعظما وانما هو تحدث بنعم الله وبيانا للامة
ما يجب عليه اعتقاده توقيرا واحتراما له وانما نلته بتكريم ربي وفضله وكل مؤمن
تقي كريم على الله تعالى وكل فاجر شقي هين على الله تعالى وقال عيسى صلى الله عليه وسلم
من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله ويقال هو اكرم عند الله وعلى الله لكونه بمعنى
اعز المتعدي بعلى حملا له على نظيره ثم جعل القبايل بيوتا وجعلني من خيرها بيتا بيوت
بضم البا الموحدة وكسرها جمع بيت وهو المنزل والمسكن والظاهر ان المراد بالبيوت
هنا الفخذ او الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت يطلق مجازا على المجد والشرف كما
في قوله ان الذي سمك السما بنى لنا بيتا دعايمه اعز واطول وعلى الاصول والاقارب
كما يقال هو بيت علم اي من قوم علم وفي اضافته للمكان اثبات لمن فيه بطريق الكناية
التي هي ابلغ من التصريح كما قرر في كتب المعاني وذلك اي كونه صلى الله عليه وسلم
من خير بيت واشرفه ما دل عليه قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذا يدل على ما فسرنا به البيت والرجس النجس
المستقذر استعير للمعاصي والتطهير من ترشيح للمعاصي وما استعير لها لانها
تلوث الاعراض واهل البيت والال الاقربا وقول الشيعة انهم علي وفاطمة والسبطان
وهم اهل الكسا رضي الله عنهم وادعا وهم عصمتهم وان اجتماعهم حجة استدلالا

بمنه الاتية بنا فيه السياق وفي الاية مبالغة في شرفهم بليغة لذكر تطهير اعراضهم من دنس
المعاصي وهو اجل النعم وتعريف الرجس بلام الاستغراق الدال عليه اطلاقه في مقام
المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم لتذهب
النفس كل مذهب ونصب اهل البيت على المدح والندا وتعريف البيت للعهد والتعبير
بالتطهير الدال على التكثير وتاكيده بالمصدر وسياتي تتمة لهذا وعن ابي سلمة هو ابن
عبد الرحمن بن عوف احد الفقها السبعة كما تقدم عن ابي هريرة رضي الله عنه عبد الرحمن بن
صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه وقال انه
حسن غريب قال قالوا اي بعض الصحابة متى وجبت لك النبوة اي في اي زمان ثبتت لك اذ لا
على الله شيء قال وادم بين الروح والجسد الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية
من الجواب المقدر لمتى الزمانية اي ثبتت لي في هذه الحال وفي هذا الحديث روايات متعددة
صحيحة منها اني عند الله لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته ومنها متى استنبات
قال وادم بين الروح والجسد وفي رواية بين الما والطين وقال ابن تيمية والزركشي
وغيرهما حديث كنت نبيا وادم بين الماء والطين وكنت نبيا ولا ادم ولا ماء ولا طين
ولا اصل لها بهذا اللفظ قلت ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية المعنى وهي جائزة
لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهي الارض وليس المعنى انه
كان نبيا في علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه قبل روحه وساير الارواح
وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما للملا الاعلى به واذا كانت النبوة صفة
لروحه علم انه صلى الله عليه وسلم بعد موته نبي رسول ولا يضر انقطاع الاحكام والوحي
وقد اكمل دينه وانكار ذلك جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى خلق نوره قبل ان يخلق ادم عليه الصلاة والسلام
باربعة عشر الف عام كما رواه ابن القطان وفي رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه وهذا يويد انه صلى الله عليه وسلم مرسل للملائكة كغيرهم فهذا صريح
في ان نبوته صلى الله عليه وسلم ظهرت في الوجود العيني قبل نبوة ادم وغيره وان الملائكة
لم تعرف نبيا قبله وانه صلى الله عليه وسلم النبي المطلق وساير الانبيا عليهم الصلاة
والسلام خلفاوه والشرايع شريعته ظهرت على لسان كل نبي بقدر استعداد اهل زمانه
فهو صلى الله عليه وسلم اول الانبيا واخرهم ولا يمكن ان يجري على شريعته قلم نسخ
ولا يكتب على نسخه رسالة حواشي زيادة كما قيل ابدا احد ثني ليس بالمنسوخ الا في الدفاتر
وقيل انه صلى الله عليه وسلم سابق على ساير الانبيا روحا لما مر وجسدا لان مادة
جسده صلى الله عليه وسلم خلقت قبل ساير المواد لما روى ابن الجوزي في الوفا عن كعب
الاحبار ان الله تعالى لما اراد ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل صلى الله عليه وسلم
ان ياتيه بالطينة البيضا فهبط في ملائكة الفردوس فقبض قبضة من موضع قبره بيضاء

فجئ

فجئت بماء التسنيم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضا لها شعاع عظيم ثم
351 طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والارض حتى عرفته الملائكة
قبل ان تعرف ادم عليه الصلاة والسلام اي عرفت روحه وعنصره والبنية
وفي هذا الحديث الظاهر ان المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد اي لا روح ولا جسد
كما صرح به في الرواية السابقة لا ادم ولا ماء ولا طين لانك اذا قلت مسكني بين البصرة
والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد انه قريب منهما
كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل وليس معنى بين الما والطين
انه لم يكن ماء صرفا ولا طينا صرفا لنبو المقام عنه وعدم ملاقاته لما قررناه وقد حققنا
هذا المقام بما لم يسبق اليه ولله الحمد وعن واثلة بن الاسقع بمثلثة ولام والاسقع بسين
مهملة وقاف وعين مهملة الصحابي الجليل القدر من اهل الصفة اسلم رضي الله عنه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوجه لتبوك فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشهد مشاهد الشام وتوفي بدمشق سنة خمس وست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى
بابي محمد وفضائله لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم
وقد تقدم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
اي اصطفى ابراهيم صلى الله عليه وسلم واختاره من الانبيا لشرفه واصطفى من ولده اي من اولاده
اسمعيل صلى الله عليه وسلم فهو افضل من اسحق واصطفى اي اختار من ولد اسمعيل بني كنانة
وهم ربعة النضر وعبد مناة ومالك وملكان وكنانة علم منقول من كنانة السهام
وجعبتها قال الشاعر صاح في العاشقين يا لكنانة منه كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشا وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر بن مالك كنانة
وقد تقدم سبب تسميته قريشا واصطفى من قريش بني هاشم بن عبد مناف بن
قصي بن كلاب فهم مصطفون من قريش واصطفاني من بني هاشم بن عبد المطلب
ومن حديث انس رضي الله عنه بن مالك بن النضر خادم النبي صلى الله
عليه وسلم ودعا له واحاديثه والرواية عنه كثيرة مشهورة جدا وتوفي
سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز عمره المائة وهذا الحديث والذي بعده اخرجهما
الترمذي انا اكرم ولد ادم اي اعزهم واشرفهم وتقدم ان لفظ ولد يطلق على الواحد
المذكور وغيره على ربه لا فخر تقدم معناه وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما انا
اكرم الاولين والاخرين ولا فخر قيل قال فيما مر في حديث انس ومن حديث انس
هنا وفي حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا حديث
مستقل وفيه نظر وعن عايشة رضي الله عنها كما رواه الطبراني وابو نعيم
والبيهقي في الدلائل مسندا عنه عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل لم يذكر ما اتاه
لاجله لان قوله فقال تقلبت بتشديد اللام بمعنى فتشت وليس المراد به قلبها ظهرا

البطن لم يذكر فيه انه اوحى اليه بهذا مشارقا الارض ومغاربها جمع مشرق وهو
الجهة التى تطلع منها الشمس وجمع مغرب وهو مقابله وجمعهما لان للشمس فى كل
زمان مشرقا وتشرق بعده منه دجة غيره وكذلك المغرب واذا افردا فباعتبار
الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبى والشمالى ولذا ورد فى القران بالوجوه
الثلاثة كما بيناه فى حواشى البيضاوى واختار الجمع هنا لانه انسب للعموم والمراد انه
فحص عن جميع اهل الارض مشرقا ومغربا ونظر احوالهم كمالا ونقصا فلم ار رجلا
افضل من محمد صلى الله عليه وسلم الظاهر ان راى علمية ونفى الافضلية يدل على
نفى المساواة ايضا كما بيناه سابقا ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم الذين هم عشيرته
وبيته فهو خيار من خيار وعن انس رضى الله عنه فى الحديث الحسن الذى رواه الترمذى
وقد تقدم ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق مبنى للمجهول اى اتاه جبريل
عليه الصلاة والسلام به ليركبه للاسراء وقدم ان البراق بالضم على شكل دابة
فوق الحمار دون البغل يسمى للمعانه وبريقه او لسرعته كالبرق الخاطف ليلة اسرى
ظرف به وهى ليلة سبع عشر رمضان او سبع عشر رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه
صلى الله عليه وسلم بخمس سنين او بخمسة عشر شهرا كما سيأتى فيه فاستصعب عليه
اى لم ينقد له وامتنع منه لبعد عهده بركوب الانبيا عليهم الصلاة والسلام لطول
زمن الفترة او لسبب اخر لقول جبريل له صلى الله عليه وسلم للعلك مسست الصفرا
اى الذهب او صنم اصفر فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله
فقال له اى للبراق جبريل عليه الصلوة والسلام ابمحمد تفعل هذا الاستصعاب
وقدم متعلق الفعل اى تفعله به دون غيره والاستفهام انكارى بينه بقوله فما
ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا اى سال عرقه كما مر بيانه وعن ابن عباس
رضى الله عنهما رواه ابن الجوزى فى الوفا وابو نعيم فى الدلائل وقال السيوطى رواه ابن
ابن عمر والمعدنى فى مسنده عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم اهبطنى فى صلبه
الى الارض يعنى ان الله خلق نوره صلى الله عليه وسلم وعنصره الذى عجن بالتسنيم
والطف شىء فاودعه فى صلب ادم واهبطه فيه كما مر ثم نقله منه بوسايط وجعلنى
فى صلب نوح فى السفينة فكان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم وباسم الله مجراها ومرسيها
وقذف بى فى النار فى صلب ابرهيم فكانت بردا وسلاما ببركته صلى الله عليه وسلم
وفى النكرة هنا اسالان الاول بدل منه اولانه مضيق فى قوله كلما رزقوا
منها من ثمرة رزقا فينزل ذلك منزلة التغاير فلا يرد عليه انه لا يتعدى
عامل بحرفى جر بمعنى ولم يزل ينقلنى فى الاصلاب الكريمة الشريفة الى الارحام
الطاهرة من ونسل الزنا ونكاح الجاهلية وفيه كلام تقدم حتى اخرجنى الى الدنيا
اذ خلقنى بين ابوى يعنى اباه عبد الله الذبيح وامه امنة بنت وهب بن عبد مناف

والخلف

والخلف فى زمن موتهما فقيل مات ابوه وامه حاملة به وقيل فى المهد قيل وهو ابن
شهرين وقيل ابن سنتين ومات عند اخواله بنى النجار وماتت امه وقد بلغ سنه خمسا
اوستا او سبعا او اثنى عشر على اختلاف فيه لم يلتقيا على سفاح قط جملة حالية
والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد جاهلى وهذا علمه بالوحى صلى الله عليه وسلم
او لعلمه باخبار الجاهلية لا بالهام كما توهم والى هذا المذكور فى الحديث بجملته اشار
عمه العباس رضى الله عنه بن عبد المطلب بقوله فيه يمدحه صلى الله عليه وسلم وهذا
الشعر رواه الطبرانى وصاحب الغيلانيات وفى الزاهر لابن قتيبة ان العباس اتى
اليه صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان امدحك فانشده هذه الابيات فقال له
صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك او لا يفضى الله فاك وكان ذلك لما رجع
صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث
يخصف الورق اى من قبل هذه النشاة او الدنيا وقيل قبل النبوة او قبل الولادة او قبل
كل ذلك فاعاد الضمير على غير مذكور لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت وقدم لافادة
ان طيبه صلى الله عليه وسلم ثابت له قبل ظهوره لا بعده فقط وطبت اى تطهرت
من الادناس البشرية لطيب عنصره صلى الله عليه وسلم والظلال جمع ظل يعنى فى ظلال
الجنة فى صلب ادم عليه الصلاة والسلام قبل ان هبط وليس المراد به المتعارف الذى
تنسخه الشمس اذ لا شمس فى الجنة ولا قمر وقد ورد فى الحديث ظل الجنة سجسج اى لا حر فيه
ولا برد بل المراد الكن والمقر وهو كما فى قولهم انا فى ظل فلان اى فى حمايته ومستودع
بضم الميم وفتح الدال المهملة يعنى به مكان ادم وحوا من الجنة كما قال ابن قتيبة هو
المحل الذى كان فيه ادم عليه الصلاة والسلام من الجنة كانه وداعة فيه وفيه
ايماء الى اخراجه منه للارض واراد به الرحم وكان ابو عبيدة يقول فى قوله مستقر ومستودع
المستقر الصلب والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق بعضه ببعض ومنه الخصاف
ويروى حيث يستر الورق يعنى به الجنة والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به ادم
صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم الحياكة فلما اهبط الى الهند نبتت الورق الذى
عليه فيتولد منه حصل العود والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسخ
والثياب للسترة ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق اى هبطته
فى صلب ادم من حيث الى الدنيا وهى المراد بالبلاد والهبوط كما قال الراغب الانحدار قهرا
وهو متعد قال تعالى اهبطوا مصرا ولا يحتاج لتأويله بالدخول كما قيل والبلاد وان اختصت
بالبنيان فهو باعتبار الاول ضاء لما كان اللازم هبوطه صلى الله عليه وسلم هبوط نوره
قال لا بشر وهى جملة حالية اى فى حال كونك غير حيث والمضغة قطعة لحم بمقدار
لقمة تمضغ غير مخلفة والعلق بفتحتين جمع علقة وهى دم متجمد من المنى بل نطفة تركب
السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق النطفة الماء الصافى والمنى فى الاصلاب والسفين

جمع سفينة وهي المركب اي في صلب نوح صلى الله عليه وسلم لما اغرق الله قومه بالطوفان
والجم وصل الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طاير معروف سمي به صنم كان
يعبده قوم نوح عليه الصلاة والسلام وهو المراد هنا واهله قوم نوح الصلاة
والسلام والمراد بالغرق الما المغرق وهو على ظاهره والجم بمعنى ادرك لان الانسان اذا ما
فمه منع من الكلام والسفين المراد به سفينة نوح فان كان مفردا فهو ظاهر والا فهو جمع
اريد به واحد تجوزا فلا اشكال فيه كما هو ظاهر تنقل من صالب الى رحم اذا بدا عالم بدا طبق
في ابيات اخر الصالب والصلب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم مسكون وفتحتين ففيه
لغات اقلها صالب كما قاله ابن قتيبة وهو القفا او الظهر والرحم مقر الولد من المراة والعالم
المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر وجدد طبق بمعنى قرن ايضا لانه يطبق وجه
الارض اي لا تزال تظهر في عالم بعد عالم يريد اذا مضى قرن بدا قرن اخر وروي هنا بيت
هو وردت نار الخليل مكتتما تجول فيها ولست تحترق يجول فيها ولست تحترق ومعنى
مكتتما محفوظا في كتفا ويحيط بك نارها ولست تحترق وروى مكتتما اي مستترا حتى
احتوى بيتك المهيمن من خندف عليا تحتها النطق احتوى بالحا المهملة افتعال من حوى
بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف والنسب كما مر والمهيمن بمعنى الشاهد على فضلك او الامين
وخندف بكسر الخا المعجمة وكسر الدال المهملة ونون وفا اسم امراة الياس بن مضر وهو
من الخندفة وهي المشي السريع والعليا العز والشرف وتحتها دونها والمعنى والجمع والنطق
بضمتين جمع نطاق وهو ما ينشد في الوسط كالمنطقة استعارته العرب لجبال لواسعة
فوق بعض وبيتك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه صلى الله عليه وسلم اي ان شرفك
وعلو نسبك واصلك من خندق اشتمل على عليا ودونها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة
في هذا البيت اقوال احدها انه اعلى قومه وهم دونه كالنطاق له والاخر انه يريد العفاف
من نطاق المراة الذي يحسنها اي تحتها العفاف والحسب والثالث ان النطق المتكلمون
جمع ناطق اي كل خطيب من العرب فهو دونك ملسان نومك من قوله بل هم قوم خصمون
انتهى وروي في هذا الشعر زيادة ذكرها الغساني وهي وانت لما ولدت اشرقت الارض
وضاءت بنورك الافق فنحن في ذلك الضيا وفي النور وسبل الرشاد تخترق يا بردنا والخليل
ناسبا لعبصمه النار وهي تحترق ومعنى تخترق بالخا المعجمة تقطعها وتجاوزها
وضاء يكون لازما ومتعديا والافق الناحية وانثه هنا لتاويله بها قال العارف
بالله تعالى ابن عربي ذهب بعضهم الى ان عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل في سفر الى
ما لا نهاية له فاذا لاح له منزل يقول هنا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث
ان يخرج منه راحلا منكم سافرت في اطوارك الى ان يكون بين ابيك وامك اذا اجتمعا
من اجلك ثم انتقلت الى نطفة وعلقة الى مضغة الى عظم كسي لحما ثم انشئت نشاة
اخرى واخرجت الى الدنيا فتنقلب من اطوارك من الطفولية والصبا والشباب الى الكهولة

والشيخوخة

والشيخوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار له
وروي عنه صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث مشهور رواه ابو ذر وغيره واخرجه
احمد والبزار والبيهقي عن ابن عمر واخرجه الطبراني وابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس واحمد
والبزار وابن ابي شيبه والبيهقي عن ابي هريرة واخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله
فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين روايتهم مغايرة في بعض الالفاظ وقد ساقها
كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدته الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث
هذا الكتاب كما رايته بخطه ولولا خوف الاطالة اوردت كلا منها على حدته والى هذا
اشار المص بقوله ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام
الانصاري روى كل واحد من هولاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت
خمسا وفي بعضها اي في بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد رواياتها ستا اي
ست خصال وخصايص ولذا حذفنا لتا مع انه غير لازم اذا لم يذكر المعدود
لم يعطهن نبي قبلي ولا رسول لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص ولا تنافي بين الروايتين
ان قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه صلى الله عليه وسلم
اطلع اولا على بعض خصايصه فاخبر به ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى
احد قبلي اي لم يعط واحدة منهن احد فنصرت بالرعب ميسرة شهر اي نصرني الله
على اعداء الدين الكفرة بالرعب بضم الراء المهملة المشددة وهو شدة الخوف الذي
القاه الله في قلوبهم واذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوي له
وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو ابعد منه قيل لانه لم يكن بينه صلى الله عليه
وسلم وبين من اظهر العداوة له اكثر من ذلك وقد قال ذلك في غزوة تبوك اخر غزواته
وابعدها فهو ذكر بيان لما وقع له صلى الله عليه وسلم حال تكلمه فلا ينافي الزيادة
وهذا من خصايصه حتى لو سار وحده بغير عسكر ارعب اعداه وقد وقع هذا
لبعض خلفائه ومن اتقى الله من امراء الاسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله
من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن احدا ونقول ان ذلك لا يثبت لغيره او فضل
اتباعه كفعل وجعلت الي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة
فليصل قال العلامة الزركشي في احكام المساجد قال القاضي عياض هذا من
خصايص هذه الامة لان من قبلنا كانوا لا يصلون الا في موضع يتقنوا طهارته
ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبي
هذا مما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وكانت الانبياء قبله انما
انما ابيحت لهم الصلاة في بعض مواضع مخصوصة كالبيع والكنايس وقال
المهلب في شرح البخاري المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا
فلم يات في اثر انها منعت من غيره وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يسيح

فى الارض ويصلى حيث ادركته الصلاة فكانه قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا
وجعلت لغيرى مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى اقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا
وبامته لزمه اشكال وهو ان الانبيا السالفة واممهم كانت لهم صلوة مفروضة وكانوا
يسافرون فلو لم تجز لهم الصلوة الا فى مساجدهم لزمتهم اما ترك الصلاة او عدم صحتها
وهو مخالف للظاهر فاجاب واعنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه الامة مجموع
الامرين لا كل واحد منهما لو جعل جميع الارض مسجدا حتى تيقنوا نجاستها وهم لم تحل لهم الصلوة
الا فيما تيقنوا طهارته وعلى هذا قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة كما فى بعض التفاسير فقوله
فايما رجل الى اخره معناه على ظاهره او ما تيقن نجاسته ولك ان تقول انه مخصوص بغير
حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة ويؤيده جعله قرين
التيمم المخصوص بالضرورة وهذا اقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية كما بينه
الفقها وفى قوله الارض دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع اجزاء الارض ولم يخصه
بالتراب وهو المناسب للمقام وان خصه الشافعى رحمه الله بالتراب لرواية وتربتها
طهورا والمطلق يحمل على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول النسا فى هذا الحكم ايضا
وانما خصوا بالذكر لانهم الاصل ويعلم النسا بالطريق الاولى ومعنى ادركته الصلوة
ادركه وقتها اذا دخل ولا ينافيه ايضا النهى عن الصلاة فى بعض الاماكن لثبوت المنع
فيه بدليل اخر والمراد بالارض جميعا الامكنة وما حولها ما راى مسجدا ومحلا للصلوة
وقوله فايما الخ لدفع توهم انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم وحره واحلت لى الغنايم
ولم تحل لنبى قبلى تحل بفتح التا المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة وروى بضم التا وفتح الحا
وكان من قبله صلى الله عليه وسلم من الانبيا منهم من لم يوذن له فى الجهاد فلم يكن له
مغانم ومنهم من اذن له فيه ولم يوذن له فى الاكل منها فكانت الغنايم تجمع فى محل فتاتى
النار من السماء فتحرق ما تقبل منه على ما مر بيانه وكانت فى صدر الاسلام تحل له صلى الله
عليه وسلم فقط ثم امر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقها والغنايم جمع غنيمة ما يؤخذ
من الكفار بقتال ونحوه والفى ما حصل منهم بدون ذلك وبعثت بالبناء المجهول ارسلت
وطوى ذكر الفاعل للعلم به اى ارسلنى الله الى الناس كافة المراد بالناس جميعهم او ما يشمل
الانس والجن كما مر وروى الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعها وفى ارساله صلى الله
عليه وسلم للملائكة كلام سيأتى وعموم البعثة مخصوص به صلى الله عليه
وسلم بالاحاديث الصحيحة ومر انه لا يرد عليه ان نوحا عليه الصلاة والسلام
كان مبعوثا لاهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا
اليهم لان هذا العموم لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق
فى الموجودين على ان رسالته عليه الصلاة والسلام انما كان لقومه ولم يات ما يدل
على عموم رسالته واما دعاؤه على جميع اهل الارض واهلاكهم فلا يدل على ذلك لجواز

ان يرسل غيره فى مدته ولم يؤمنوا به فلذا دعى عليهم قال ابن حجر هنا جواب حسن الا انه لم ينقل انه
نبى فى زمنه غيره ويحتمل ان خصوصيته ببقا شريعته الى يوم القيمة بحيث لا ينسخها غيرها
ويحتمل انه دعا الناس للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد
يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد واشار اليه ابن
عطية فى سورة هود او انه لم يكن فى عهده غير قومه واولاده كادم عليه الصلاة
والسلام فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية ما ذكروا اعطيت الشفاعة اللام اما
للعهد فالمراد الشفاعة العظمى فى فصل القضا لاهل الموقف اجمعين بعد مراجعة ساير الانبيا
واظهارهم العجز فيأتونه صلى الله عليه وسلم فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام الاعلى
او هى للاستغراق فكانها لو جل اى الشفاعة الكاملة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات
كثيرة شاركه فى بعضها بعض الانبيا كشفاعته فى قوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه
مخصوصة به وشفاعته فى قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفى بعض اهل النار
فيخرجون منها وفى تخفيف عذاب بعض اهل النار كابى طالب وشفاعته لمن مات بالمدينة
ومن صبر على لاوايها وشفاعته لمن صلى الله عليه بعد الاذان وغير ذلك مما ورد فى الاحاديث
الصحيحة وفى رواية بدل هذه الكلمة اراد بالكلمة قوله واعطيت الشفاعة وسماها كلمة
لانها كلمة لغوية وهى تطلق على الجمل وفى نسخة الكلمات وقيل فى سل تعطه اى قال الله وحذف
الفاعل للعلم به وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها احد من الرسل فقال انا لها
وخر تحت العرش ساجدا فقال له الله ارفع راسك يا محمد وقل تسمع وسل تعط واشفع
تشفع وفيه كمال الادب اذ لم يسال حتى اذن له فى السوال وامر به وهذا فى القيمة ويحتمل انه
اشارة الى ما فى الاسراء كما سيأتى فى حديث ابن وهب واصل سل اسل فخففه بنقل حركة
الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفى حذف المفعول عموم كرم اى سل كل ما تريد
تعط اكثر مما تسال وتعط مجزوم فى جواب الامر والهاء للسكت وضمير عايد على مقدر
وفى رواية اخرى وعرض على امتى فلم يخف على التابع من المتبوع اى الشريف والوضيع ويحتمل
ان الله عرض عليه صلى الله عليه وسلم بالوحى تفصيل احوالهم وذواتهم وصفاتهم
وساير تصرفاتهم فى زمنهم او انه ابرزهم له حقيقة فوجا فوجا متلبسين باعمالهم على وجه
لا يقف على حقيقته وذكر العراقى فى شرح المهذب انه صلى الله عليه وسلم عرضت عليه
الخلايق من لدن ادم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم ادم الاسما وروى الطبرانى
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى قد رفع لى الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو
كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفى هذه وحديث حذيفة الطويل المذكور فى الفتن
وما يكون فيها مطول ذكره العراقى وقال فيه ما ترك فيه شيا الا سماه باسمه واسم ابيه
وقبيلته الى يوم القيمة ومنه اخذ الجفر والجامعة الذى رواه جعفر الصادق عن على
رضى الله عنه وان توقف بعضهم فى صحته كما ذكره ابن خلدون فى اول تاريخه وفى رواية

بعثت الى الاحمر والاسود اى الى جميع الناس وجميع الجن كما يكنى عن مثله بالعرب والعجم اى الى
كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للجن والانس وفيه رد على من زعم
من اهل الكتاب بان بعثته صلى الله عليه وسلم مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود
بالنقض عليهم اذ يقال لهم اذا اعترفتم بنبوته صلى الله عليه وسلم وجب تصديقه فيما
قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته واشار المص رحمه الله الى معناه بقوله قيل
السود جمع اسود العرب وهذا مذكور فى الحديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهد
بل للاستغراق فهو بمعنى السود وبين علته فقال لان الغالب على الوانهم اى العرب الادمة بضم
الهمزة وسكون الدال المهملة وهى فى الادميين السمرة وفى الطعام بياض يشوبه سمرة فهم السود
اى فهم المقصودون من قوله الاسود الذى بمعنى السود كما عرفته والحمر جمع احمر وعبر عن الاحمر
بالحمر لما مر العجم اى المراد بهم فى الحديث العجم والمراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل فارس ولم
يعلله لغلبته اى لغلبة لون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النادر لا حكم له لا انا لعلة احد
العدم ولذا لم يعبر بها عنها وقيل البيض جمع ابيض يعنى قيل المراد بالحمر البيض اى بالاحمر
الابيض لان العرب تقول امراة حمراء بمعنى بيضاء وقال ثعلب العرب لا تقول ابيض من بياض
اللون فاذا ارادوه قالوا احمر والابيض عندهم بمعنى النقى من العيوب كما قال ابن الاثير وفيه
نظر فانهم قد استعملوا الابيض فى الوان الناس وغيرهم وهو اعتراض وارد وما قيل من ان
مراده انه لا يستعمل وفى محل اللبس كما هنا فانه لو قال بعثت الى الابيض لتوهم انه اريد به
السالم من العيوب لا يجدى نفعا وكيف يراد المجاز من غير قرينة وقيل البيض والسود من الامم
وقيل الحمر الانس والسود الجن وهذا مبنى على ما فى مخيلتهم من انهم سود وفى الحديث الاخر عن ابى
هريرة الذى رواه البخارى ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله نصرت بالرعب
قوله واوتيت جوامع الكلم جمع جامعة بجمعها الحكم والمنافع فى لفظ قليل والكلم اسم
جنس جمعى للكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت
بالقرآن لما فى جمعه من المعانى والالفاظ الموجزة وقيل المراد به كلماته الموجزة المتضمنة للحكم
والمنافع وفى نسخة وخواتمه فقيل هو بمعنى الجوامع وقيل التى ختم بها الكلام فلا ياتى
بعدها ما يقرب منها لعدم الحاجة له وبينا انا نايم اصله بين فاشبعت فتحتها حتى صارت
الفا وهو ظرف زمان كبينما المتصلة بما المزيدة وتجيء بعدها اذ كقوله اذ جيء بالبنا للمجهول
اى جاءنى ملك ارسله الله واذ للمفاجاة وهو جواب لها ونعلب بعدها كقوله استقدر الله
خيرا وارضين به فبينما العسر اذ دارت مياسير وقد تخلو عنها كقولك بينا انا جالس دخل
على عمرو وهو مضافة لجملة انا نايم وقيل مضاف لمحذوف تقديره بين اوقات النوم موجود
كما فصله اهل العربية بمفاتيح خزاين الارض فوضعت فى يدى بتشديد اليا مثنى مضاف
او بالتخفيف مفرد ومفاتيح جمع مفتاح وهو الذى يفتح بها الاقفال المعروفة والخزاين جمع
خزينة او خزانة وهو ما يدخر فيه المال والامور النفيسة لتحفظها والمراد ما فى الارض

من الكنوز

من الكنوز والاموال فاما ان يكون راى فى رؤيا نومه ملك الرويا وضع فى يده مفاتيح حقيقة
وقال له هذه مفاتيح خزاين الارض ارسلها الله اليك ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة
والسلام وحى تقع بعينها تارة وتعبر بما يحكيها اخرى وظاهر تعبيره ان امته تملك الارض
ويجى لهم اموالها وفى المواهب اللدنية انها خزاين اجناس العالم بقدر ما يطلبون فان
الاسم لا يعطيه الا محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده مفاتيح الغيب التى لا يعلمها
الا هو فالمراد ان الله خصه بتمكين امته من الارض ويحتمل ان الملك اخبره وقال له ذلك
فيكون استعارة لما مر والقول بان المراد العناصر وما يتولد منها وانه لم يقبل ذلك تعسف
وكونه صلى الله عليه وسلم لم يقبله يا باه عده خاصية له بل قبله فان عطا الكريم
لا يليق رده ولكنه ادخره لامته وفى رواية لمسلم عنه اى عن ابى هريرة رضى الله عنه
وختم بى النبيون اى جعلنى خاتمهم واخرهم حتى لا يبعث نبيا بعده غيره فلا يرد عيسى
عليه الصلوة والسلام ومجيئه اخر الزمان لانه يجيء على انه من امته ايضا واما المخفى
فطى تدين نبوته معناه فلم ينبا بعده وفى هذا الختم تكريم له حيث لا ينسخ شيء بعده ولا يغير
مكث امته فى الثرى واشارة الى ان دينه كامل جامع بجميع الكمالات لا يحتاج الى ملة
اخرى تتمة وما روى من قوله لا   الا ما شاء الله الاستثنا لا يقتضى وقوع
شيته على فرض صحته والمنفى النبوة فيحتمل ان الذى   ويا الصالحة لانها
جزء من اجزاء النبوة وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه وهو ابو اسد
وابو عمر الجهنى الصحابى الفصيح السيد الجليل توفى بمصر سنة ثمان وخمسين وهذا الحديث
رواه الشيخان وابو داود والنسائى قال عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا فرطكم على الحوض الفرط بفتحتين والفارط الذى يتقدم القوم ليهيئ لهم فى منازل
اسفارهم الما والكلاء ونحوه مما يحتاجون وكما يقال رجل فرط وقوم فرط ايضا
وفى الدعاء للطفل الميت اللهم اجعله فرطا لابويه اى اجرا يتقدمنا حتى نرد عليه والحوض
هو حوضه صلى الله عليه وسلم الذى يستقى منه عطاش امته يوم القيمة وعلى
متعلقة بفرط او حال من الضمير فيه لانه صفة مشبهة وهل الحوض الكوثر او غيره اختلف
فيه وعليه او ان كالنجوم وفى الحديث بلاغة بديعة اذ المراد ان موته صلى الله عليه
وسلم قبلهم فيه مصيبة عظيمة هى سبب لدخول الجنة واجر عظيم فشبههم بقوم
مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من يسبق لما كان فذكر الحوض
فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على اثره صلى الله عليه وسلم واردون
جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لا نظما بعدها وانا شهيد عليكم شهيد بمعنى
شاهد قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا اى يوم القيمة فان الله تعالى يسئل
الرسل هل بلغتم فيقولون نعم فيقول لاممهم هل بلغوكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول
للرسل من يشهد لكم فيقولون امة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو قوله لتكونوا شهدا

على الناس ويشهد لهم صلى الله عليه وسلم بصدقهم وتزكيتهم على ما مر بيانه وهذه شهادة لهم
لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن واني والله لانظر الى حوضي الان
اي اشاهده الان لان الجنة والنار موجودتان الان وتاكيده بان والقسم يقتضي رؤيته
بصرية حقيقية لانكشاف الغطا عن بصره الحايل عند رؤيته وليس بطريق الكشف ونحو
وفي هذا بيان لما مر لانه صلى الله عليه وسلم لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه
مشاهد له لا شبهة فيه والان مبني على الفتح ولا يستعمل الا بالالف واللام واني قد
اعطيت مفاتيح خزاين الارض تقدم قريبا بيانه واني والله ما اخاف عليكم الصحابة او معا
الامة ان تشركوا بعدي اي من ان تكفروا بعد موتي فمن مقدرة لانها تحذف هنا قياسا مطردا
الان من ذاق حلاوة الايمان لا يرجع عنها ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها اي في الدنيا اي
اخاف عليكم من رغبتكم في نفايس الدنيا وانهماككم في تحصيلها حتى يوديكم ذلك الى الهلاك
وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى وهذا تنبيه لهم على انه لا تلهيهم الخزاين عن المعاد وعن
عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما كما رواه عنه الامام احمد بسند حسن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب نسب لامه لانه
كان على حاله يوم ولدته امه او الى ام القرى لان الكتابة كانت عزيزة في اهلها او الى امة
العرب وهذه الصفة في حقه صلى الله عليه وسلم من اجل النعم عليه واعظمها اذ اعطا
علم الاولين والاخرين وحفظ هذا الكتاب الذي لم يعادله كتاب وهو لا يقرا ولا يكتب
ولم يدارس ولم يلاقي احدا له شغل بذلك تنبيه كون النبي صلى الله عليه وسلم اميا
من معجزاته الشريفة الباهرة كما تقدم مبسوطا عزيزة واشار اليه الابوصيري رحمه الله
تعالى في قوله كفاك بالعلم في الامي معجزة وهذا كان في اول امره الا ان بعضهم
ذهب الى انه بعد ذلك قرا وكتب من غير تعلم وهو معجزة اخرى الا ان الجمهور على خلافه كما
ذكره الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقال ابن عربي في شراح المريدين حل ابو الوليد
الباجي وابعد رحلته فلما عاد قرا البخاري وقال في درسه انه صلى الله عليه وسلم في الحديبية
محى الكتاب وكتب بيده الا ترى انه قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب
وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ما قاضى الى اخره فابتدر رجل مغربي وصاح في المجلس
زنديق لان الامير كان متفننا فدعى الفقها وسالهم فشنعوا عليه وقالوا انه كفر
فاستظهر الباجي بالحجة وقال ان هؤلاء جهلة فاكتبوا الى علماء الافاق فكتب الى علماء افريقية
وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجي الى اخر ما فصله ورايت في بعض الكتب انه مما يدل
على ذلك انه صلى الله عليه وسلم قال للكاتب طول الشنات وقوله تعالى ما كنت تتلوا
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فقوله من قبله يدل على انه صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك كان يكتب نادرا فاعرفه وقوله لا نبي بعدي تقدم بيانه اوتيت جوامع الكلم
وخواتمه تقدم معناه ولفظه وانما كرره هنا ليبين مع انه مع كونه اميا اوتي ما لم يوته

احد ممن افنى عمره في القراءة والكتابة وعلمت بضم العين المهملة وكسر اللام المشددة او فتحها
وتخفيف اللام جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملايكة الموكلون بها وحملة العرش
جمع حامل وهم الملايكة يعني انه صلى الله عليه وسلم علم ما لم يعلم غيره بمشاهدته
لهم الا ترى ما ورد في الاحاديث من وصفه صلى الله عليه وسلم لهم وبيان هياتهم
مما كان له راي عين وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيمة ثمانية كما نطق به القران
العزيز وعن ابن عمر رضي الله عنهما كما رواه احمد بسند حسن بعثت بين يدي الساعة
اي القيمة سميت ساعة لانها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي هي جزء من اجزاء
الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال وهو اسرع الحاسبين ولما نبه عليه
بقوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل الساعات التي
هي القيمة ثلاث ساعات الكبرى وهي بعث الناس للحساب والوسطى وهي موت اهل
القرن الواحد والصغرى وهي موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني
في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد بكونه صلى الله عليه وسلم بين يديها انه قريب
منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث انا والساعة كهاتين يشير بالوسطى والسبابة
وفيه اشارة الى بقا دينه صلى الله عليه وسلم وعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف
ومن رواية ابن وهب من تبعيضية اتى بها اشارة الى انه بعض من حديث الاسراء الطويل
الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه وابن وهب هو عبد الله
ابو محمد بن وهب بن مسلم الفهري المصري احد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك
والليث وخلق كثير وروى عنه خلق كثير وكان افقه من ابن القاسم وطلب للقضا فتجنن
وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة والجار والمجرور خبر مقدم لقوله انه
صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى له صلى الله عليه
وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسرا كما يدل عليه سياق الحديث سل يا محمد حذف
احد مفعوليه للتعميم اي كل ما تريد والاخر للعلم به فانه لا مسول سواه ولدلالة قوله
فقلت ما اسال يا رب عليه ورب بكسر البا وضمها ولم يقل اسالك تادبا يعني ان جميع
الكلمات استودعتها الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبله فلم يسبق ما يخصه
حتى يساله ثم فصل بعض ما اجمله فقال اتخذت ابراهيم خليلا اي اصطفيته وخصصته
بالخلة وكرامتها وسياتي تحقيقها واتخذت موسى كليما اي اصطفيته وفضلته بان كلمته
بنفسك بكلامك القديم قبلي فلا يرد انه كلمه ايضا واصطفيت نوحا اي فضلته على
غيره بان جعلته اول رسول اهلك من عصاه كما قال الله تعالى ان الله اصطفى ادم
ونوحا فهو ابو البشر واول الرسل واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده اي لا يتيسر
لغيره من الرسل الملوك لتسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بعظمته البسه اياها
من عظمتك فقال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ما اعطيتك خير من ذلك كله

وهو مبتدا وخبر بينه بقوله اعطيتك الكوثر فوعل من الكثرة وذكر البيضاوي فيه
سبعة اقوال اشهرها انه نهر في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل في وسط
الجنة حصاوه الدر والياقوت وقيل هو القرآن وقيل النبوة وقيل غير ذلك مما تقدم
وجعلت اسمك مع اسمي اي مقرونا باسمي في التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك
ولذا قال ينادى به في جوف السماء اي تنادي الملائكة عليهم الصلوة والسلام باسمي
وتصلي عليه لامر الله لهم بذلك اولما راوا من منزلته صلى الله عليه وسلم وقربه منه
وكتابته اسمه على ساق العرش وتفسير السما هنا بالامكنة العالية كمنارة الاذان
كما قيل لا وجه له وجعلت الارض من طهورا لك ولامتك لان الله تعالى شرفها بك فكانت
طاهرة مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تمهيدا لها وما احسن قول ابن رشيق القيرواني
سالت الارض لم كانت مصلى ولم كانت لنا طهرا وطيبا فقالت غير ناطقة لاني حويت
لكل انسان حبيبا وقد تقدم هذا الحديث وشرحه وغفرت لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر اي لو صدر كان مغفورا فلا ينافي هذا عصمته صلى الله عليه وسلم او المراد
بالذنب التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة واعلامه بمغفرة كل مقدم ومؤخر
تشريفا وتطمينا لقلبه صلى الله عليه وسلم وقد قال العز بن عبد السلام انه مما
اختصا به صلى الله عليه وسلم ولم يقله الله لغيره من الانبياء وكذا قالوا في الموقف
نفسي نفسي والى هذا اشار بقوله فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد
قبلك فليس المراد باحد غير الانبيا كما قيل وجعلت قلوب امتك مصاحفها اي منت عليك
بان جعلت في امتك حفظا لم يكن في غيرهم من الامم السالفة حتى ان من كان يحفظ
التورية وغيرها من الكتب الالهية افراد معدودون في كل عصر وحفظة القرآن والحديث
من هذه الامة لا يحصون في كل عصر والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة وجمعه
مصاحف ثم خص بالصحف المكتوبة فيها القرآن وقد قيل انه لفظ حدث في الاسلام
وكونه معربا من اللغة الحبشية لا اصل له وهنا تشبيه بليغ اي جعل قلوبهم كالمصاحف
التي تحفظ القرآن وقيل انه استعارة تصريحية وله وجه وفي رواية صدور بدل القلوب
وهذا بناء على ان محل الحفظ والادراك القلوب واضافته للصدور لانها محله هو
الحكما يقولون ان محل الحفظ الخيال الذي هو خزانة الحس المشترك في الدماغ واهل
الشرع والمتكلمون من اهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع ان كلام الحكما مضطرب
فيها وفي محالها كما ذكره الجلال الدواني في شرح الهياكل النور وليس هنا محل تفصيلها
وخبات بخاء معجمة مفتوحة وموحدة وهمزة اي خفيتها واخرتها الى يوم القيمة شفاعتك
المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضا ونحوها من الشفاعات الخاصة به كما تقدم
ولم اخباها لنبي غيرك وفي نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه وفي حديث اخر رواه
حذيفة بن اليمان العبسي الصحابي رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم

توفي سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشرني يعني ربه ولم يذكر الفاعل في اصل رواية هذا الحديث
للعلم به كما في قوله حتى توارت بالحجاب ولمن يدخل الجنة مبتدا ومن موصولة
وجملة يدخل صلته ومعي ظرف متعلق به ومن امتي حال من عايد من المتن بخبث
يدخل سبعون الفا حتى مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب صفة
سبعون وحال منه اي لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما
لهم وقوله مع كل الف سبعون الفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم وذراريهم قوله
وليس الى اخره صفة للالفا الثانية فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق
الاولى وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما قال ذلك دخل بيته فخاض الصحابة
في هؤلاء فقيل لعلهم الذين صحبوه وقيل لعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا
الى غير ذلك فخرج رسول الله صلى الله وسالهم عما خاضوا فيه فاخبروه فقال لهم الذين
لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة رضي الله عنه فقال
يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام اخر فقال مثل ذلك
فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وفي الحديث ايضا وعدني ربي
ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب
وثلث حثيات من حثيات ربي رواه ابن ابي شيبة والطبراني وقد حسب ما في الحديث
فبلغ اربعمائة الف الف وسبعمائة الف وفي هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم في حادي
الارواح واعطاني ان لا تجوع امتي اي ان لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن اخرهم
ويستاصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع في بعض الازمنة في بعض الاقطار بخصوصها
اذ لم يعم ولم يستمر ولا تغلب بضم المثناة الفوقية اي الامة جميعها او تستمر مغلوبيتها
او هذا مشروط بالطاعة فاذا بدلوا او غيروا خرجوا عن اضافة التشريف بقوله
امتي وقد شاهدنا في بعض السنين واليه الاشارة بقوله ان تنصروا الله ينصركم
واعطاني النصر اي على من عادى ديني ولو مع قلة العدد وفي بدء الامر والعزة اي الغلبة
والقوة عليهم والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا قيل شهرا مفعول مطلق لا ظرف
اي العدو الذي بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا من خواصه
صلى الله عليه وسلم وخواص امته وخص هذه المسافة لانها ابعد مسافة اعدائه
الموجودة في زمانه كما مر وبهذا علم ان قوله في المواهب في حديث نصرت بالرعب
وكونه هنا له صلى الله عليه وسلم ولامته فيه احتمال لغفلة عن هذا الحديث
وقوله يسعى تشبيه للرعب بمقابله بتقدمه وفيه مبالغة بليغة كما قلت
في قصيدة ولم يهزم عدا بجيوش جندا وجيش الرعب قد هزم القلوبا ولو ثبتوا
لقد هاموا منهم وارواح وما عرفوا الهروبا وطيب بالتشديد والبناء للمجهول اي

اى احل لقوله حلالا طيبا لى ولامتى الغنايم هى شاملة للنفى هنا وقد مر منتزعته واحل لنا
كثيرا مما شدد فيه على من قبلنا من الامم السالفة كقطع الاعضا والتوبة بقتل النفس وقرض
محل النجاسته ووجوب القصاص فى العمد والخطا الى غير ذلك مما ذكروه وتفنن فى العبارة
ولم يراع التقابل ولو راعاه قال سهل علينا ما شدد مع انه لو عبر به توهم انه رخصته وليس
كذلك على انه قد يقال الحل فيه طباق وايهام مع الحل الذى هو ضد الشد ولم يجعل علينا
فى الدين من حرج اى شدة وضيق وقال علينا لانه له صلى الله عليه وسلم ولامته فوسع
عليهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر واكل الميتة للمضطر وقصر الصلاة والتيمم وعن
ابى هريرة رضى الله عنه فى حديث صحيح رواه الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبى
من الانبيا زاد من وبينه بقوله من الانبيا للتعميم الا وقد اعطى من الايات ما مثله امن
عليه البشر اى كل نبى جعل له الله معجزة اظهرها على يديه اطاعه بها الناس كعصى موسى
عليه الصلوة والسلام واحيا الموتى لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور وما نور مناسب
لزمانه الا ان تلك الايات انقطعت بانقطاع عصره ومضت بمضيه بخلاف اعظم
معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة طرية فى كل عصر
تتلى وتشاهد بركاتها وتستخرج من جواهر معانيها ما لا يفنى وهى القرآن كما اشار اليه
بقوله وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الله الى وما نافية ومن صلة لتاكيد النفى وهى
مبتداء وسوغ الابتداء به وقوعه بعد النفى ومن الثانية تبعيضية او بيانية والجار
والمجرور صفة نبى وقوله الا وقد اعطى خبر والواو مزيد فيه لتاكيد الاتصال واللصوق
والضمير المستتر فى اعطى مفعوله الاول وما الموصولة او الموصوفة مفعول ثان ومثله
مبتدا ايضا والجملة بعده خبر له وامن مضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى ومن بمعنى البا
والضمير المجرور بعلى عايد على ما فالجار والمجرور متعلق بامن وحال منه مغلوبا عليه
والمراد بالايات المعجزات ومفعول اوتيت محذوف اى اوتيته والحصر فيه اى اعاده الى او ما
الاعظم او المعظم ووحيا بمعنى كلام موحى به او قطرا قراد اى اوتيته انا لا غيرى من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فليس حصرا حقيقيا بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من معجزة
اعطيت لنبى الا اعطيها وزاد عليها بما هو مخلد فى صحايف الدهر يعرف فى كل زماننا ولذا رتب
عليه قوله فارجوا ان اكون اكثرهم اى الانبيا عليهم الصلاة والسلام تابعا يوم القيمة
وذلك لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيمة وهى باهرة ظاهرة يومن بها من كل
وقف عليها من الناس لزم اكثرية من امن به صلى الله عليه وسلم واتبعه على من امن بغيره
من الرسل وصدق بمعجزاته المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدى بمعجزته وغابت عن الادراك
وصارت خبرا كغيره من الاخبار اذ لم يات احد منهم بمعجزة يدرك بعده اعجازها فاما التورية
وساير الكتب السماوية فليست بمعجز نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات
مختلفة وسياتى الكلام على الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاه والى هنا اشار بقوله

القرآن معجز وساير الكتب ليست بمعجز

ومعنى

ومعنى هذا الحديث عند المحققين بقا معجزته المذكورة ما بقيت الدنيا اى مدة بقائها وكون القرآن
يرفع فى اخر الزمان كما ورد فى حديث حذيفة بن اليمان الذى رواه ابن ماجه ان الاسلام يدرس
ويرفع كتاب الله فى ليلة حتى لا يبقى منه فى الارض اية ويبقى ناس يقولون ادركنا اباونا على
هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فقال له صلة ما ينفعهم هذه وهم لا يدرون صلوة ولا صياما
ونسكا فقال تنجيهم من النار ولا ينافيه اما لانه باعتبار الاكثر والظاهر فانه محقق بقاوه
فى نفس الامر لم ينسخ ببدل او قيل انه زمن يسير بقاوه كالعدم وساير معجزات الانبيا اى جميعها
ذهب للحين المراد بالحين عقب وقوعها او انقراض عصره والمراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده
وبينه بقوله ولم يشاهدها الا الحاضر لها بخلاف من اتى بعدها ومعجزة القرآن اى القرآن
المعجز او المعجزة التى هى القرآن فالاضافة بيانية يقف عليها اى يعلم بها ويحيط بها مجاز لان من وقف
على شئ اطلع عليه كما فى الاساس قرن فاعل يقف بعد قرن اى يطلع عليها جميع القرون
والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها عيانا بكسر العين كما راى مشاهدة لا اخبار
اى لا باخبار غيرهم لهم الى يوم القيمة اى الى اخر الزمان وقيام الناس الى المحشر وهو كناية عن التابيد
والبقا فى الدنيا وفيه اى فى هذا الحديث ومعناه للعلما كلام يطول هذا نخبته بضم النون
وسكون الخا المعجمة والبا الموحدة اى مختاره وزبدته قال فى الاساس نخب الشى وانتخبه
اذا نزعه ومنه الانتخاب الاختيار كانك تنزعه من بين الاشيا وهولا نخبة قومهم لخيارهم
انتهى وقد بسطنا اى فصلنا من بسط يده اذا مدها القول فيه هنا وفيما ذكرنا فيه سوى
هذا اخر المعجزات وعن على رضى الله عنه فى حديث رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه
وهو موقوف عن على كرم الله وجهه له حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالراى وسياتى رواية
ابى نعيم له مرفوعا كل نبى من الانبيا اعطى سبعة نجبا من امته جمع نجيب وهو الكريم الحسيب
ويكون بمعنى الرفيق المعين فى المهمات والشدايد وهو المراد هنا واعطى نبيكم صلى الله
عليه وسلم اعطى اربعة عشر نجيبا اى رفيقا كما مر شريفا وجعلهم ضعف ما لكل نبى
مرتين تكرمة له صلى الله عليه وسلم واشارة لكثرة امته حتى يحتاج زيادة فى وزرائه
والمراد بهولاء كما رواه ابو نعيم عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه لم يكن نبى الا وقد اعطى سبعة رفقا نجبا وزرا واتى وقد اعطيت اربعة
عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود
وابو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وفى رواية بلال وقد وقع فى تعيينهم اختلاف
اقول وبعد عصره صلى الله عليه وسلم خليفة القطب ووزرائه النجبا والنقبا والبدلا
وتفسير الاربعة عشر هنا بهولاء لم يصب رواية ودراية وقد ورد التصريح بهولاء فى احاديث
جمعها السيوطى فى رسالة مستقلة ومن العجب انه هنا مع انه متفق عليه بين اهل
الشرع والحكما كما قال صاحب حكمة الاشراق فى كتابه لا بد لله من خليفة فى ارضه وانه قد يكون
متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالاقطاب وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفا

الراشدين كابي بكر وعمر بن عبد العزيز قد انكر بعض الجهلة في زماننا قال لعـ والنون النقبا ثلاثمائة
والنجبا سبعون والبدلا اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد وحكى
ابو بكر المطوعي عمن لقي الخضر صلى الله عليه وسلم انه قال له لما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم بكت الارض الى ربها وقالت الهي وسيدي بقيت لا يمشي على نبي الى يوم القيمة
فقال الله لها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبيا لا اخليك منهم فقالت
كم هم قال ثلاثمائة وهم الاوليا وسبعون وهم النجبا واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم
النقبا وسبعة وهم العرفا وثلثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات جعل
واحد من الثلاثة مكانه وتقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين
الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلثمائة
وهكذا الى ان ينفخ في الصور منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقد بينا ذلك وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن ابي شريح
قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة ومعنى حبس منع
وفي رواية القتل بقاف وتاء فوقية وقصة الفيل مشهورة غنية عن البيان وسلط عليها
رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يقل سلطني اشارة الى انه مامور من الله لا حظ له
في ذلك من نفسه لتنزهه من الحظوظ والاعراض النفسانية والمومنين من امته وجنده
وانها اي مكة لا تحل لاحد بعدي وفي نسخة من امتي وفي نسخة لم بدل لا وفي اخرى لن وفيه اشارة
الى ان تحريمها سابق في علم الله وفي زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانه حرمها وجعلها حرما
امنا وكان ذلك اظهارا لما سبق في علمه وحكمه وانما احلت لي ساعة من نهار اي انما اعلمني الله
بحلها لي وكان حل القتال لي فيها في ساعة من نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله
ساعة تقليلا لزمانه لانه ساعة حقيقية كما قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
الى اخره والحرم مثل المسجد في ذلك وهذه الاية محكمة عند ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا
الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروي بمعناه من طرق اخر وقتاله
صلى الله عليه وسلم امره بقتل من لجا الى الحرم كابن خاطل من خصايصه كما روي عن السلف
وقيل عليه ان قوله احلت يدل على تقدم حرمته فيكون منسخا ولو كان منسخا استمر فيكون
رخصته لانها استباحته مع المانع وبه قال ابو حنيفة رحمه الله وقال قتادة والضحاك
انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبايات اخر في معناها وتمسكوا
بفعله صلى الله عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي رحمه الله
وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه في حديث رواه احمد والبيهقي والحاكم وقال انه صحيح
الاسناد والعرباض بكسر العين وسكون الرا المهملتين وموحدة واخره ضاد معجمة ومعناه
القوي نقل للعلمية وهو من كبار الصحابة اهل الصفة رضي الله عنهم سكن بحمص من ارض
الشام ومات بها سنة خمسة وسبعين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول جملة حالية او مفعول ثان على الخلاف في سمع اذا تعلق بالذات الغير المسموعة كما يعرفه
من تبحر في العربية وقد مر بيانه اني عبد الله وفي رواية اني عبد الله مكتوب خاتم النبيين قدم
على هذه الكلمات وصفه صلى الله عليه وسلم بالعبودية اشارة الى انها اشرف عنده مما سواه
وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحتراسا ممن يطريه ان يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى
في عيسى صلى الله عليه وسلم ولذا قال اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وخاتم بكسر التاء وفتحها
اخرهم ومن به كمالهم وان ادم لمنجدل في طينته اي مختلط في تربته او ساقط فيها كما تقدم
وفي طينته جزئان لا ظرفا فالمنجدل ثم اخبر صلى الله عليه وسلم باول امره بانه عدة ابراهيم
بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفي نسخة دعوة ابي
ابراهيم وهي اشهر واظهر لانه اشارة الى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ولثقته بالله
انه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس الدعوة مبالغة باقامة السبب
مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية اسمعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا
غيره مرسلا فان الانبيا من ذريته كداود وسليمان من ذرية اسمعيل فتعين كونه محمدا
صلى الله عليه وسلم وبشارة عيسى بن مريم فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله ومبشرا
برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وجعله نفس البشارة مبالغة وهي بكسر البا مصدر
كالبشرى وبضمها ما يعطى البشير واسم مصدر بمعنى المبشور ويكون في الخير والشر اذا
اطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقية ونحو فبشرهم بعذاب اليم تهكم على الاول
هي حقيقية مطلقا او اذا قيدت وسميت بشارة ليسرها في بشرة الوجل ما يسمى ورد السرور
وفي شرح الجامع الصغير الفرعي ان البشارة تختص بالصدق وجهل المخاطب والجراان
ذلك بغير بشرة الوجه الفرح وهي في اللغة خبر بعيد بشرة الوجه مطلقا الا انه صار فيما
ذكر حقيقة عرفيه والاصل فيه ما في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم لما قال من اراد
ان يقرا القران غضا طريا كما انزل فليقراه بقراءة ابن ام عبد فابتدر ابو بكر وعمر ليخبراه بذلك
فسبق ابو بكر رضي الله عنه فكان يقول بشرني ابو بكر واخبرني عمر قال العلامة ابن كمال
فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة ايضا وليس من شرط الحنث بقا المعلق عليه كما
لو قال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم خرجت حنث قلت في الكاذب لم تتم البشارة
لو قوانه وزانه ما لو حلف على لبس خفيه فلبس احدهما ولم يذكر الصدق في الهداية
وفيه قصور ومن ثمت قالوا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر عتق الاول
لان الذي ظهر السرور بخبره دون الثاني وبشرهم بعذاب اليم تهكم ومن هنا علم ان البشارة
مشروطة بجهل المخبر اذ البشرة لا تتغير بما علمه قال وفي هذا الحديث دلالة على ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام قبل عيسى لم يخبروا باتيان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بخصوصه
لقوله في الكشاف في تفسير قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابن
سلام رضي الله عنه دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام وقال قد علمتما انه تعالى

قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به اهتدى ورشد ومن لم يؤمن
به فهو ملعون فيه انه صريح في بشارة موسى بمحمد عليهما الصلوة والسلام باسمه الخاص وهو مخالف
لنص القران والحديث الصحيح لا يقال اليهود حرفوا التوراة فزال حكم تلك البشارة وصح
ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى لقوله مصدقا لما بين يديه من التوراة
فثبتت البشارة لعيسى ظاهرة في عدم البشارة قبله والا لقال البشارة اخي موسى وكذا
قولهم في الخطب المنبرية في التوراة والزبور والانجيل انتهى اقول هذا غير وارد بل غير صحيح
من وجهين الاول ان كونه مبشرا به قبل الانجيل في الكتب السماوية كلها او جلها مما لا شبهة
فيه وقد صنف في ذلك كتابا مستقلا سماه خير البشر بخير البشر الحافظ ابن ظفر ولولا خوف
الاطالة اوردت ما فيه هنا الثاني ان قوله انه مخالف للقران والحديث كلام ناش من عدم
تدبر معنى البشارة والفرق بينها وبين الخبر الصادق فان كل بشارة على ما ورد خبر بلا عكس
والبشارة خبر سار بما فيه نفع المخبر زمنا بعيدا او قريبا كالبشارة بالجنة ولما كان
من قبل عيسى بينهم وبين نبينا رسل وامم لم يكن ذلك بشارة لعلمهم بان المخبر لا يدركه بخلاف
عيسى فان امته ومؤمنوهم ادركوا نبينا صلى الله عليه وسلم كسلمان ونحوه فكان
اخباره به بشارة لمن تبعه منهم وحثا لهم على اتباعه كما اشار اليه قوله من بعدي فلم
يخالف النص الا ابن اخت خالته فاعرفه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث رواه
البيهقي والدارمي وابن ابي حاتم قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل
السماء يعني ملائكة السماء وهم افضل من ملائكة الارض فيعلم منه تفضيله
صلى الله عليه وسلم على جميع الملائكة حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة
والحليمي من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الانبياء ولم يختلفوا
في تفضيلهم على ملائكة الارض كما سيأتي وعلى الانبياء كلهم فردا فردا وعلى المجموع
فلا وجه لتخصيصه بالاول كما تقدم فتذكره فما فضله على اهل السماء اي ما سببه
ودليله قال ان الله قال ومن يقل منهم اي من اهل السماء اني اله من دونه اي من ثبت
منكم الهية غيره فذلك القائل نجزيه جهنم تهديدا لمن اشرك منهم وتقطيعا
لامر الشرك وتعظيما لتوحيده تعالى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك
الاية فجعله مغفورا له غير مواخذ بما صدر وما يصدر عنه وورد عليه انه لا دلالة
فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطب بمثله في قوله
لئن اشركت ليحبطن عملك وللشان تقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل
الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم
عنده عن رتبته فتأمله قالوا فما فضله على اهل السماء اي ما سببه ودليله
قال ان الله قال ومن يقل منهم اي من اهل السماء اني اله من دونه اي من يثبت منكم
الهية غيره فذلك القائل نجزيه جهنم تهديدا لمن اشرك منهم وتقطيعا لامر الشرك

وتعظيما

وتعظيما لتوحيده تعالى قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا
360 من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة
للناس اي ان هذه الاية تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وتخصيص رسالة
كل رسول بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدرا اي رسالة كافة اي عامة وللناس
متعلق به والحاصل ان ابن عباس رضي الله عنهما فهم من هذه الاية العموم والخصوص فاستدل بها
فلا يقال انه لا يلزم من انه لا ينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى
الظاهر فلا يدعى غيره الا بدليل والدليل قائم على خلافه فكان مر وعن خالد بن معدان رحمه الله
تعالى هذا الحديث روي من طرق لما اشار اليه المصنف ورواه ابن اسحاق مفصلا والدارمي
واحمد موصولا عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن السلمي عن عتبة بن عبد السلمي بطوله
ومعدان حمصي تابعي من كبار التابعين وزهادهم ادرك سبعين من الصحابة وتوفي سنة
اربع ومائة ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا
عن نفسك اي عن حالك وشانك من ابتداء امرك وقد روي نحوه اي نحو ما رواه خالد عن ابي
ذر الغفاري الصحابي اخرجه الدارمي وشداد بن اوس بن ثابت بن المنذر ابن حرام وهو ابن اخي
حسان ابن ثابت بن حرام بالمهملتين المفتوحتين صحابي نزل بيت المقدس وتوفي في الشام
رضي الله عنه سنة ثمان وخمسين والرواية عنه اخرجها ابو نعيم في الدلائل وانس بن مالك
اخرجه ابو نعيم ايضا فقال صلى الله عليه وسلم لمن ساله عن نفسه ثم جواب سوالهم اي اخبركم
بذلك انا دعوة ابي ابراهيم بدل من ابي او عطف بيان اي اثر دعوته او عينها مبالغة ونعته
بانه اب لانه على الجد وليبان انه من ذريته الذين دعا لهم يعني قوله ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم فهو المراد بالرسول في دعوته المجابة وبشرى عيسى عليه الصلوة والسلام تقدم
بيانه ورات امي اراد رؤيا اي فغير الاسلوب لانه نوع مغاير لما قبله فهو على نهج قوله
وجعلت قرة عيني في الصلوة كما تقدم حين حملت بي وفي رواية حين وضعتني فالرؤيا وقعت مرتين
وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرئي محذوف دل عليه قوله انه خرج منها نورا
اضاء له قصور بصرى بضم الباء والقصر بلدة من اعمال دمشق هنا وهي ايضا اسم بلدة اخرى
من قرى بغداد بقرب عكبرا كما في معجم ياقوت وهي مدينة حوران وقيل انها قيسارية خوارزم
وهو غير صحيح لان قوله من ارض الشام يأباه فهو غفلة من قائله والصحيح انها مدينة بين
دمشق وهي اول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاث عشرة والشام الاقليم المعروف
بهمزة ويجوز ابدالها الفا كراس وفيه لغة اخرى شام بالمد قال ابن قرقول اباها اكثرهم وحده
طولا من العريش الى الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من جبل طيء اجا وسلمى الى بحر الروم
وما سامته ودخله من الصحابة كثيرون ودخله صلى الله عليه وسلم اربع مرات مع
عمه ابي طالب لما راه بحيرا ومرة في تجارة لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين اسري به
ومرة في غزوة تبوك قال ابن عساكر رؤيتها اياه النور حقيقة حين وضعته واما رؤيتها له

حين حملت فكانت فى المنام كما قاله الواقدى ثم حقق الله لها ذلك اذ وضعته لانها كما وردت
فى الحديث ائت وقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة واية ذلك ان يخرج معه نور يملؤا
قصور بصرى فحقق الله لها ما راته اولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه اول فتح بالارض
المقدسة واسترضعت بالبنا للمجهول اى طلبت امى ان اكون رضيعا فى بنى سعد بن بكر ارضعته
منهم حليمة السعدية بنت ابى ذويب زوجة الحارث بن رفاعة لعله بعدما ارضعت ثويبة
مولاة ابى لهب وله اخوة من الرضاع مذكورون مع قصته ارضاعه فى كتب السير فبينا انا
مع اخ لى من الرضاع لا من النسب اذ ليس له صلى الله عليه وسلم اخ ولا اخت من النسب
وبينا ظرف والفه للاشباع او كافة كبينما والكلام عليها مفصل فى كتب العربية خلف بيوتنا
اضاف البيوت له باعتبار السكنى والتغليب لان المراد بيوت بنى سعد نرعى بهما الرعى اكل
الحيوانات النبات والذهاب بها للرعى وهو المراد هنا والمراد انه صلى الله عليه وسلم مع
الرعاة لا راعيا لصغر سنه والبهم بفتح البا الموحدة وسكون الها وميم وهى جمع بهمة اسم
لاولاد الضان واولاد المعز سخال ويطلق على ما يعمهما للصغير من نرعى اليهم ما ليت انا
الى يوم لم تجر ولم تكبر البهم لنا امنا فما له معهم لاختلاطه باصحابها لادنى ملابسة
ان جاءنى رجلان اى ملكان فى صورة رجلين فهو مجاز عليهما ثياب بيض وفى حديث
اخر ثلاث رجال وهم جبريل واسرافيل وميكائيل عليهم الصلوة والسلام كما اشار
اليه بقوله وفى رواية اخرى ثلاثة رجال وجمع بينهما بانه جاء اثنان اولا للشق وصدرة
والثالث بعد لما شرة بطشت من ذهب مملوة ثلجا وفى رواية ملكان وفى رواية
كوكبان كانهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست بفتح الطا
وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة اخرى طس بتشديد السين وطسه
بها وفى طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن
حراما اذ ذاك لا سيما وهو من الجنة لا من جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه
يجوز للصغار وانه يجوز تحلية الات الطاعة به كالمصحف والسيف مع ما فيه
وفى رواية انه من زمرد اخضر وانه صب عليه من ابريق فضة واما كوز الطشت
بشين معجمة فقيل انه غلط وقيل انه لغة فيه ومملوة بالتانيث لان الطست
يذكر ويؤنث او هو لتاويله بانية وهى مجرورة صفة او منصوبة حال والمراد انه
نقى بالثلج او بمائه ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر ام لا لان هذه امور لا يطلع
عليها وروى انه غسل بماء الجنة وبماء زمزم وهذا كان فى حال الطفولية وقد
وقع فى رواية انه كان بعد هذه البعثة لما اسرى به فمنهم من قال الروايتان
متعارضتان ورد هذه وقال السهيلى لا تعارض بينهما وانه وقع مرتين الاولى للتنقية
من الحظوظ النفسانية والاخرى ليقدس فيقوى على العروج لمشاهدة الانوار العلوية
وكونه مخلوق من النور لا ينافيه كما توهم وروى ان الطست مملوة حكمة وايمانا وان الثلج

لبرد اليقين

لبرد اليقين فهو اما بتاويله او بتجسم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج بسكون اللام
وقال التلمسانى بفتحها بمعنى اليقين فيجوز قراءته بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوة حكمة
وايمانا فاخذانى اى امسكاه صلى الله عليه وسلم واضجعاه فشقا بطنى قال فى غير هذا
الحديث من نحرى الى مراق بطنى النحر اعلا الصدر ومراق بفتح الميم وتشديد القاف وهو مارق
ولان من البطن ولا واحد له من لفظه والميم زايدة ثم استخرجا منه عايد على الجوف المعلوم
من السياق او للبطن لتاويله به قلبى مفعول استخرجا فشقاه اى القلب وهذا من المعجزات
لان الاطبا اجمعوا على ان القلب لا يتحمل جراحة اصلا فكيف يعيش صاحبه اذا شق واستخرجا
منه علقة سودا فطرحاها اى رمياها لانها حظ الشيطان ومغمزه ومنها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم متجمد كالعلقة المعروفة
ذى دود الماء قال السبكى رحمه الله فى طبقاته سئل الوالد رحمه الله عن هذه العلقة
التى خرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان
منك فاجاب بان تلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقى الشيطان فيه ولم
يكن للشيطان فيه حظ وانما الذى نفاه الملك منه امر فى الجبلة البشرية فازيل القابل
الذى لا يلزم من حصوله حصول الالقا فى القلب وانما خلقت على هذا لانها من اجزا البدن
المكملة لخلقه فلا بد منه ثم نزعت بامر ربانى طرا بعده وقريب منه قول الاستاذ محمد
البكرى فى رسالته الشافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك هذا حظ
الشيطان اى لو تعلق الشيطان بمحل منه كان هذا فخلق ابتدا تكملة لاصل الخلقة وتسوية
للنشاة الانسانية مع زيادة اظهار دياس الشيطان باخراجها منه وهذا من تقديس
السر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقد لا يدانيه احد فيه اقول حاصله ان الله خلقه
صلى الله عليه وسلم كامل البنية مكملها فاقتضت الحكمة الربانية ان يكون جسمه
احسن الاجسام وقلبه اقوى القلوب كما ان روحه صلى الله عليه وسلم اعظم الارواح
وانوارها ولما كان القلب رئيس الاعضا بقوته تقوى صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها
وهذه العلقة جزء سوداوى به يكون القلب اقوى البنية وهى الثمرة وعليه ينبنى لكونه
كحب العنب والفواكه فبعد نضجه ثمرته ينزع عجمه ويرمى ولكونه سوداوى ردى الاخلاط
كان محلا لاقذاء الاوهام والخيال الذى هو لو يجان الفكر كالحشيش النابت به
بقاعه يقوى فاندفع انه لم لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة وما يقبلها
فلا يالم بشق وقلع وظهر معنى كونها حظ الشيطان لانها محل حظه لو كان لكنه لم يكن
وانما اطلت هنا لانه سر من اسرار الله ولله در ابن قرناص الحموى فى قوله اما والله لو شقت
قلوب ليعلم ما بها من فرط حب لارضاك الذى لك فى فؤادى وارضا فى رضاك
بشق قلبى ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقيا ولما كان ازعنه صلى الله عليه
وسلم لا يلتج بما غسل بذلك ليعلم انه من عالم الغيب والجنة ويقال انقاه بالتشديد

وانقاه اذا جعله نقيا نظيفا والمشهور الاول وفي هذا دليل على عصمته صلى الله عليه وسلم
قبل النبوة من جميع الاثام والنقايص وكيف يتصور بعد هذا ان يصدر منه زلة او امر لا يرضى
الا سهوا او شبهه لا يؤاخذ به قال اى النبي صلى الله عليه وسلم في حديث اخر ثم تناول احدهما
اى اخذ من ملك غيره او اخرجه من يده واصل المناولة الاخذ من غيره شيئا فاذا بخاتم في يده
من نور اى يتلألأ او يضيء اضاءة زائدة حتى كانه مجسم من النور ففيه مبالغة في اشراقه كقوله
خلق الانسان من عجل وفي رواية انه خيط بمخيط وكان يرى في صدره الشريف اثر الخياطة
يحار الناظر دونه اى فيما هو دونه اى اقل منه بها اى نورا ونفاسته والناظر اما بمعنى الشخص
الذي ينظره ويحتمل ان يريد به العين وانسانها لانه يطلق عليهما فعلى الاول المعنى انه يتحير من نوره
وحسنه في معرفته وعلى الثاني النسبة اليه مجازية والمراد صاحبه او معناه يبهت ولا يطرف
اجفانه وفيه وفي قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به فختم به قلبي كما يختم الكيس
والخزانة التي فيها الجواهر وكل نفيس وختمه لئلا يصل اليه ما لا يليق به من الوسوسة
ولئلا يضيع ما فيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبياء وليس هذا ولا اثره خاتم النبوة
المذكور في الحديث حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به او كان حدوثه حين نبئ ولا في هذا الحديث
بيان لانه كان حين شق صدره كما توهم والختم حفظا له عن ان يخرج مما احرز شيء بغير علمه
فلا يرد ما قاله السهيلي انه ينافي انه صلى الله عليه وسلم يعلم الناس الحكمة وتفجرت
من قلبه ينابيع الحكم وفاضت انواره على العالم فامتلاء ايمانا وحكمة في تفسيرها اقوال
والذي صفي منها انها العلم المشتمل على معرفة الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به وفي التفريع هنا
خفا لان مقتضى الظاهر ان يقدمه على الختم ولا يرتبه عليه فيقول ملاءه فامتلاء ثم ختمه
لانه بعد الختم لا يدخله شيء الا ان يأول بانه تبين في انه امتلاء الا ان يقال انه دخل
فيه نور من الخاتم ثم ملاءه بما ذكر وقران العلم والحكمة معنى لا يعلم حين فاما ان يقال انه
تجسم او جعل بمنزلته ثم اعاده مكانه اى اعاد الخاتم في مكانه الذي كان من يده او يد غيره
وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من اصل خلقته وامر بتشديد الراء المهملة
لخوه اى مسح والصق يده ما فوق الاخر اى الملك الاخر بين على مفرق صدري بفتح الميم والراء وكسرها
بينهما فاء ساكنة اى محل الشق والافتراق الذي كان منه فهو بمعناه اللغوي وان اختص عرفا
بوسط الراس او هو مصدر ميمي فالتام بهمزة بعد المثناة الفوقية اى انضم واجتمع حتى لم يبق
فرجة من الشق وفي رواية اخرى ان جبرائيل عليه الصلوة والسلام قال بعد ما مر قلبه وكيع
اى شديد وفي كتب اللغة تفسيره بصلب وغليظ والمراد هنا ما ذكره المص ومنه نقل العلم
فيه اى في قلبه صلى الله عليه وسلم عينان تبصران واذنان سميعتان لا يخفى ان حمله
على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه شديد الادراك لما يبصر ويسمع وكون القلب لا يدرك
المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لا وجه له فانه يدركها بواسطة الحواس
وفي التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثاني بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان الاول

لايكون

لا يكون الا بفعل يحدث منه كالمقاتلة وفتح الجفن بخلاف الثاني واسنادهما ليس بمجازي
وهنا كالتعليل لما قبله ثم قال احدهما اى الملكين لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني
فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني فرجحتهم
الوزن معروف ورجحانه زيادة ما في الكفتين وثقله فينزل الراجح ويعلو مقابله والمراد
بامته من اتبعه صلى الله عليه وسلم ومن امن به وهم امة الاجابة او من وجد في عهده
وهم امة الدعوة فمن فسر بالاول لعله لثاني بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم
ويجوز ارادة الثاني وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه مجرد المقابلة بين كماله صلى الله عليه
وسلم وكمالاتهم بحسب النظر العلمي ومنهم من ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم
يعرف كيفيته الا انه يحتاج لتاويله لان الامة لم يكونوا موجودين فقيل المراد منهم
ارواحهم وان الله اطلعهم على ذلك وانما ذكروه ليطلع على ذلك ويعلم به امته ثم
انه وقع في هذا الحديث اختلاف في رواية ابي ذر رضي الله عنه ان الوزن قبل الشق وانه ابتدا
في الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المص هذه الرواية لان الرجحان بما اودعه الله تعالى
فيه بعدما ماطه ما لا وزن له عند الله وفيه ايضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه
وقال شيخ والذي اشبهها ابن حجر الهيثمي انه وقع في بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة
فان الحاكم روى بسند حسن عن عايشة رضي الله عنها عن بعض الاخبار انه قال ولد
في هذه الليلة يعني ليلة مولده صلى الله عليه وسلم نبي هذه الامة بين كتفيه علامة
فيها شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند صحيح من هذا ان الملكين
لما شقا صدره الشريف ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بانهما ختماه ذلك المحل الذي عند الوضع
بعد ختمه اولا واشارة الى زيادة الاعتناء والتشريف ثم رايت من جمع بينهما بانه كان
في موضعين على الكتف وبين كتفيه وروى بسند ضعيف انه رفع بعد موته صلى الله عليه وسلم
واعلم ان بعض الشراح قال ان الشق والغسل في ذلك ليس مخصوصا به صلى الله عليه وسلم
بل كان لساير الانبياء عليهم الصلوة والسلام لما روي انه كان في تابوت السكينة الطست
الذي غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام ثم قال دعه عنك فلو وزنته
بامته لوزنها اى لغلبهم في الوزن لا عادلهم وباب المغالبة معلوم من كتب الصرف
وفي هذا الحديث دليل على انه صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الناس واقواهم
شجاعة وقدرة على الجماع وعلما وفضلة كما ورد لما اودع في قلبه صلى الله عليه وسلم
مما لم ينله غيره قال في الحديث ثم ضموني الى صدورهم اى عانقوني اظهارا لمحبتهم وتكريمهم لي
وقبلوا راسي وما بين عيني بتشديد الياء للتثنية وفي استحباب تقبيل الراس وما بين العينين
لمن ينبغي محبته واكرامه اظهارا لذلك ثم قالوا يا حبيب يا لبنا على الضم واصله يا حبيب الله
لم ترع بضم المثناة التحتية وفتح الراء المهملة وعين مهملة اى لم تخف وتفزع وهو مبني للمجهول
اى حصل لك من قوة القلب ما لا يقربك بعده خوف من شيء والمراد تطمين قلبه

صلى الله عليه وسلم بعد ما وقع من الشؤله ثم استانف بجملة مونية لما قبلها فقال انك لو تدرى ما يراد بك من الخير اى ما يريده الله لك من الكمال والخير الدنيوى والاخروى لقرت عيناك اى لسررت سرورا عظيما وقد حران قرة العين الفرح وهى ضد سخنة فهو من القر بمعنى البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه لم يبق له شئ يطمح له عينه وينظره وفى بقية هذا الحديث من قولهم اى قول هؤلاء الملائكة وهو موافق لكونهم ثلاثة كما مرها اكرمك على الله تعالى تعجب من نعت صلى الله عليه وسلم وكرامته عنده به ان الله معك وملائكته بعنايته وفضله وليس فعوله من قولهم ما يقتضى انه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل قال فى حديث ابى ذر المشهور المذكور اولا وهذا الحديث رواه الدارمى فاهوى فعلهما بعد ذلك وما نافية وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرّ الى ان وليناه انجحا وانصرفا عنه بعد فعلهما ومقالتهما السابقة فكانما ارى الامر معاينة المراد بالامر هنا ما اكرمه الله به وما سيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها وما زاد فى فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئى ببصره وليس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين وما فعلاه كما توهم وقد اتى بخبط وخلط فى تفسيره لا طائل تحته وحكى ابو محمد مكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما تقدم ترجمتهما والكلام عليهما ان ادم عليه الصلاة والسلام عند معصيته اى اكله من الشجرة وسيأتى الكلام عليه فى عصمة الانبيا عليهم الصلوة والسلام وهذا الظرف متعلق بقوله قال ومقوله اللهم بحق محمد اى بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر رضى الله عنه بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقال فى الدعا بحق الانبيا ونحوه خلافا لمن افتى من علما العصر انه لا يجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله فى احاديث كثيرة ومعناه ما مر اغفر لى خطيئتى ويروى تقبل توبتى فقال له الله من اين عرفت محمدا فقال رايت فى كل موضع من الجنة راى معنا بصريه مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله نايب فاعل اسم المفعول ويروى محمد عبدى ورسولى بدل من رسول الله فعلمت بما رايته من كتابته واقترانا سمه باسمك انه اكرم خلقك اى مخلوقاتك عليك فتاب الله عليه وغفر له ذنبه لتوسله الى الله بحبيبه وصفيه وبما علمه من ذلك وهذا اى الحديث المذكور عند قائله اى عند من رواه واعتقده وهو مكى رحمه الله ومن سبق ذكره وليت الاشاة لقول ادم عليه الصلوة والسلام اللهم الخ كما قيل تاويل قوله تعالى اى تفسير لان التاويل يرد بمعنى مطلق التفسير وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل ماثور ويكون ايضا بمعنى ما يؤول اليه ويتحقق به فى الواقع وهو اصل معناه فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا فيه خفا لان معنى تلقيها من الله اخذها منه بغير واسطة والمذكور انه راها مكتوبة فى الجنة فكانه جعل الهام الله له الدعا بها بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه

على قراءة

على قراءة ابن كثير بنصب ادم ورفع كلمات ومعنى تلقيها استقبالها باخذها والعمل بها حين علمها واشار بقوله عند قائله الى ان فيه اقوالا اخر فقيل الكلمات المتلقاة هى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفر لى انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم فسقط ما قيل انه ليس فيه على هذه الرواية انه تلقى من الله والكتابة لا تسمى كلمات لا مجازا ولا قرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة على ان ادم عليه الصلاة والسلام كان يعلم الكتابة وسوال الله له بقوله من اين الخ ليس استفهاما على حقيقته لعلمه به وانما هو تشريف له بخطابه وليبين له فضيلة محمد صلى الله عليه وسلم عقبه وفى الرواية الاخرى نسخة وفى رواية اخرى قال فقال ادم عليه الصلوة والسلام لما خلقتنى رفعت راسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فيه خبر مقدم ومكتوب مبتداء موخر صفة شئ مقدر ولا اله الخ بدل منه او هو مبتداء مكتوب خبره وفى بعض النسخ وفى رواية الاخرى بالمد وضم الجيم وتشديد الرا المهملة ويا النسبة نسبتى للاجر المعروف وهو الامام القدوة ابو بكر بن محمد الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة شيخ ابى نعيم سكن مكة وتوفى بها فى المحرم سنة ستين وثلاثمائة فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فلا وزما المقارنة قيل هنا فى الرواية الاولى ظاهر اذ فيها من كل موضع واما هنا فهو فى موضع واحد واجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة على هذه وتركها لئلا تتكرر ولا يخفى بعده ولا حاجة الى ما فهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة فى هذا المحل العظيم تكفى فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يوخذ ان كتابة اسما الله ونحوها فى سقوف المساجد ونحوها غير مكروهة كما توهم فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك فروحه صلى الله عليه وسلم مخلوقة قبل الارواح والانبيا كلهم خلقوا لاجله ووجوده سبب لوجودهم فهو اب معنوى لهم وكلهم اتباع له فى الوجود قيل قوله فاوحى اليه يقتضى ان هذا الخطاب وحى لا مشافهه وقوله لما خلقتنى قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه اولا واوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعى يخاطب ربه وان لم يخاطبه فلا بد لكلامه الاول على ان كلام الله معه بدون وحى وقال كان ادم عليه الصلوة والسلام يكنى بابى محمد قيل وبابى البشر كما رواه البيهقى عن على كرم الله وجهه مرفوعا والثانى شهير نبيه قوله ولولاه ما خلقتك خلاف فى اللغة فانها فى الاكثر يليها ضمير رفع منفصل يحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور وصورة كما هنا قليلا فيقال لولاى ولولاك ومنعه المبرد رحمه الله واجازه غيره فقيل انها حرف جر وقيل انه نايب عن المرفوع واتصل بغير عامله ومنعه سيبويه بمنع النيابة فى غير الضماير المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال كما تقرر فى محله وعليه الزمخشرى

وروى عنه شريح بن يونس بضم السين وفتح الراء المهملتين ويا مثناة تحتية وجيم وصحفه
بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة وهو غلط وهو ابو الحارث البغدادي امام الحديث
توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وروى له مسلم والبخاري انه قال ان كان الضمير
للنبي صلى الله عليه والسلام لانه المعلوم من السياق فهو ظاهر وان كان للشيخ
فهو في حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالراي ان لله ملائكة سياحين من السياحين
من ساح الماء اذا جرى ثم شاعت في السير الطويل والمشي في الارض والسفر من غير
مقصد معين للنظر في المصنوعات ونحو ذلك عبادتها اي الملائكة وانه نظر
الظاهر لفظه او لتأويله بطائفة وعبادتها بما موحده ففيه مضاف مقدر اي
حفظ كل دار فيها من اسمه احمد او محمد ودخول كل دار ونحوه وضبط ايضا بياء مثناة
من تحت والمراد بالعبادة الزيارة وقدم احمد لانه مسمى به قبل محمد ولانه صلى الله
عليه وسلم معروف به عند الملائكة او للترقي كراما نهم اي زيارتهم لاجل الاكرام
وقال منهم لئلا يتوهم انهم اتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل في ذلك والا فهو حشو وثاني
ان اهل مكة ونقل ايضا عن اهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله
رزقهم وهو عن تجربة منهم وقيل هنا لا يختص بهذين الاسمين بل كل من تسمى باسم من اسمائه
صلى الله عليه وسلم كذلك وفيه نظر وروى ابن قانع القاضي ونون بعد الف ولام
وعين مهملة وهو عبد الباقي ابن قانع بن مرزوق الاموي البغدادي صاحب معجم الصحابة
وكتاب القوم وترجمته في الميزان وهو ثقة في الرواية الا انه قيل انه تغير في اخر عمره وتوفي
سنة احدى وخمسين وثلاثمائة قال البرهان كان على المصنف ان يذكر مقدم السند
من ابن قانع الى قوله عن ابي الحمراء حتى يعرفه وهو ابا الحمرا واعتذر بانه لم يلتزم الاسناد
في كتابه وانما اشترط ما صح عنده واشهدوا الظاهر انه استغنى عنه بروايته عن ابن قانع
لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبري ايضا وفي بعض النسخ ابن قانع بالفاء وهو الفقيه
صاحب الامام مالك وهو وهم وتحريف وابو الحمراء بحاء مهملة وميم وراء مهملة ممدود قال
البرهان ولا يعرف من المراد به فان ابا الحمراء الصحابي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسمه هلال ابن الحارث وابن طفر اخرج له ابن ماجه حديثا غير هذا وكان بحمص وقال ابن قال
صحبته ولا يصح حديثه ومن الصحابة ابو الحمراء مولى ال عفراء البدري ولا يعرف له رواية
ولا يعرف في التابعين من اسمه ابو الحمراء ولا فيمن بعدهم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اسري بي الى السماء اذا هي بجانبيه اي صادفت فجاءة على العرش مكتوب لا اله
الا الله محمد رسول الله العرش في اللغة سرير الملك وعرش الرحمن غير السموات وهو
سقف الجنة وهل هو الكرسي او غيره فيه خلاف ليس هنا محله وكون اسمه صلى الله
عليه وسلم مكتوب مع اسم الله على العرش وفي الجنة ورد في احاديث كثيرة والظاهر ان
النبي صلى الله عليه وسلم عرف تلك الكتابة بالهام من الله او بذكر جبريل عليه الصلاة

والسلام لها او غيره من الملائكة قالوا له هذا اسمك مكتوب هنا فلا يقال انه صلى الله
عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب وقد تقدم ما في ذلك ايدته بعلي كرم الله وجهه في حياته
لما له من الصحبة القديمة والاثار العظيمة في عروته معه والتاييد التقوية والنصر
ولا يلزم من هنا تفضيله على غيره من الخلفاء كابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا ان تاييده له
اعظم ولعل لتخصيصه هنا وجه لا يقف عليه الا الانفس القدسية وفي التفسير
اي في كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده في كثير منها عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه
الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن ابي ذر رضي الله عنه واخرجه البزار موقوفا عن علي
وعمر رضي الله عنهما والبيهقي في الشعب في تفسير قوله تعالى وكان تحته اي الجدار الذي
اقامه الخضر عليه الصلاة والسلام كنز لهما لليتيمين قال ابن عباس رضي الله عنهما
المراد بالكنز وهو المال المدفون لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا منصوب بفعل
محذوف وجوبا اي عجبت عجبا واللوح بفتح اللام وقد تضم صحيفة مبسوطة لمن
ايقن بالقدر اي تيقن قضاء الله وقدره وانه لا يكون الا ما قدره وما قدر لا بد ان يكون
ولتضمينه معنى تمن عداه بالباء واليقين الاعتقاد الجازم كيف ينصب بفتح اوله
وثالثه من النصب بصاد مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب الانكاري
اي كيف يتعب نفسه في تحصيل رزقه وما قدر له لا يختلف عنه مقدار ذرة
ولحظة وللقاضي ناصح الدين الارجاني يا قلب تخل من هموم وشجون بادر فرص
الزمان من قبل تخون لا ناس فان جملك المهم جنون ما قدر ان يكون لا بد ان
يكون عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك اي من تيقن وجود النار وعلم انه لا يخلو
من ذلة يعاقب عليها فكيف لا يخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لا يعلم
اشقي هو ام سعيد والموت اقرب اليه من حبل الوريد عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها
باهلها اي تغير احوالها في كل حين قال الراغب التقلب التصرف قال الله تعالى او ياخذهم
في تقلبهم فالبا بمعنى في او مع اي تصرفها في اهلها او تغيرها وتغير اهلها كيف تطمئن
قلبه ويركن اليها بعد ما راى منها وشاهدا انا الله لا اله الا انا قوله الحكم والامر بيده
كل شيء في قبضة تصرفه محمد رسولي ارسلته للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه
حديث قدسي اوحاه الله لبعض انبيائه وقد ذكره القرطبي في تفسيره بهذا اللفظ عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه لوكان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم
عجب لمن يومن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يومن بالرزق كيف ينصب عجب لمن امن بالموت كيف
يفرح يضحك عجب لمن امن بالحساب كيف يغفل عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله انتهى وعجب في هذه الرواية مرفوع بالابتداء
كسلام عليكم وهذه رواية عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك
وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله

من قالها اي من نطق بكلمة الشهادة مومنا مخلصا لا اعذبه وان ارتكب الذنوب وهذا
كقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقد ورد مثله كثيرا في الاحاديث
الصحيحة وذكر انه وجد بالبنا للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما لعدم وقوفه عليهما ولا ينافي
هذا انه ذكر هنا ما صح او اشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما مبنيين للفاعل والضمير
المستتر لابن عباس كما قيل يحتاج لنقل على الحجارة القديمة اي الموجودة قبل عصر النبوة
لان الكتابة لو كانت جديدة بخط هذه الامة لم تكن دلالة على ما نحن فيه مكتوب محمد تقي
اي ممتثل لاوامر الله مجتنب لنواهيه صلى الله عليه وسلم مصلح لجميع الناس لهدايتهم
لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله وسيد امين على الوحي وغيره كما تقدم وذكر السمنطاري
بسين مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة وطا مهملة بعدها الف وراء مهملة ويا نسبة
مشددة قال صاحب القاموس في تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار قرية من جزاير
الغرب قيل هو الذهب بلسان اهل الغرب وهو ابو بكر بن عتيق بن علي احد عباد الجزيرة
وزهادها وله كتاب الرقايق في اثني عشر مجلدا كبيرا لم يسبق لمثله ومنه نقل المص هذا
الحديث انتهى وقال التلمساني انه من الاجلة وله تاليف في فنون العلم فمن قال لم ار له ترجمة
ونحن في غنية عما نقل عنه من الغريب فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع انه شاهد في بعض
بلاد خراسان هو اقليم معروف قيل وقد تسكن راء وتحذف الفه وفي الزاهر لابن الانباري
معناه مطلع الشمس لان خور بالفهلوية معناه الشمس مولودا ولد اي حين ولادته وخروجه
من بطن امه فلا يتوهم ان وصف المولود بانه من اللغو وعلى احد جنبيه اي شق بدنه وصفحته
مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون المراد بهم المورخون
الذين لهم اعتنا باخبار الامم السالفة ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام خص لهذه
الطايفة نسب للجمع لمشابهته العلم كالانصار والانصاري ولولا هذا لرد في النسبة لمفرده
كساير الجموع المنسوب اليها ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله اي مكتوب فيه بلون ابيض عكس المشهور من كتابة الالوان في البياض
للدلالة على انه ليس من صنع البشر وهذا كقول الابوصيري في مطلع قصيدة له كتب الشيب
بابيض في اسود بغضا لعين الحساد الحزد (?) وقد ذكر ابن العديم في تاريخه حكايات
كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله في الثمار والاوراق وان الصيادين راوا مثله في السمك
واعلم ان ما اشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق النبي صلى الله عليه وسلم او من عرق
جبريل عليه الصلوة والسلام موضوع كما نقله ابن حجر عن النووي والذهبي وابن عساكر
وكذا ما في الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق
من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وعن انس رضي الله عنه يرفعه قال لما عرج بي
الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف وهو الكبر من مائها فلما ان رجعت قطر من عرقي
على الارض فنبت ورد كل احمر الا من اراد ان يشم رايحتي فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله

ابو حنيفة الدينوري نور كل شيء شجرة وزهر نبت ثم خص بهذا الورد المعروف فقيل لاحمره الجوجم
ولابيضه الوتير وفي شرح سقط الزند الورد ما يضرب الى الحمرة يقال اسد ورد وعز ورد
ودم ورد اي احمر والورد المشموم ليس بعربي في الاصل الا ان العرب تسمي الزهر وردا انتهى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ينادي
منادي في الموقف الا ليقم من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة لكرامتي وياتي شرحه فيما بعد
ليقم وفي رواية يقول الله له عبدي اما تستحي مني اذ عصيتني واسمك محمد وانا استحيي ان اعذبك
واسمك اسم حبيبي اذهبوا به الى الجنة والى هذا اشار في البردة بقوله فان لي ذمة منه
بتسميتي محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم وروي عن جعفر بن محمد هو جعفر الصادق وقد تقدمت
ترجمته ومحمد هو محمد ابو الباقر وقد تقدم ايضا عن ابيه ابو محمد علي بن الحسين بن علي بن
ابي طالب اذا كان هي تامة بمعنى وجد يوم القيمة نادى مناد من الملائكة بامر الله بالنداء بقوله
الا ليقم من اسمه محمد الا حرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه ليمتاز
عن غيره ممن لم يسم بهذا الاسم كما ان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة
او مجاز مرسل او يدبه (?) لازمه او كناية وليس هذا امر تسخير للاموات قبل احيائهم اي ليقوموا
من قبورهم او لمن قعدوا في ارض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد
من السياق وياباه قوله فليدخل الجنة لانه مومن شرفه الله بهذا الاسم اذ لم يتهيا
لتسميته احد من الكفار به بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لكرامته اسمه عليه
الصلوة والسلام وهذا من تتمة الحديث فهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما
علم من الرواية المتقدمة ولم يقل باسمي التفاتا او تجريدا او هو مدرج فيه من كلام
جعفر رضي الله عنه وعلى الاول هو من كلام المنادي وليس هذا مما يقال بالراي فهو حديث
له حكم الرفع وما قيل من انه يودي الى الاتكال وعدم العمل مما لا يلتفت اليه وقد تقدم
تتمة قريبا وروى ابن القاسم فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب
مالك وراوي الموطا عنه وهو من الثقات توفي سنة احدى وتسعين ومائة في سماعه
اعني كتابه في مسموعاته عن شيوخه وابن وهب ابو محمد عبد الله بن وهب تفقه بمالك
وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطا الكبير والموطا الصغير
وكان اسن من ابن قاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين في جامعه وهو اسم
كتاب له الفه على الابواب بخلاف ما الفه على الصحابة فانه من المسانيد عن مالك
محيي السنة وامام دار الهجرة الامام المشهور رحمه الله قال سمعت اهل مكة يقولون
ما من بيت فيه اسم محمد اي مسمى باسمه او المراد ظاهره لانه لا يكون الاسم بدون
مسماه الا نما اي زاد ذلك البيت بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه
ورزقوا اي زاد الله رزقهم ببركة ذلك الاسم وفي نسخة الا وقوا من الوقاية
اي حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان يكون اضافته بيانية اي اسم هو محمد

فيختص بهذا الاسم او لامته اى اسم من اسما هذه الذات فيشمل بجميع اسمائه وفى نسخة
ورزق جيرانهم جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى اربعين دار ويحتمل ارادة هذا ايضا
لان بركته تعم جميع الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث مرفوع مسند كما قاله
السيوطى وذكر سنده ماضر احدكم ما نافية واحدكم مفعول الضر وان يكون فى بيته
محمد ومحمدان وثلاثة فاعله فى محل رفع ولا يصح كونها موصولة ونفى الضر والمراد به وجود
النفع ولكن هنا يستعمل للحث يعنى لو لم يكن فيه ضر لكفى سببا فكيف وفيه نفع عظيم
واى نفع ويجوز ان يكون استفهاميه وان يكون مجرورا بجر مقدر اى اى شئ حصل له
من الضرر لكونه فى بيته وتوهم بعضهم انه لا يصح لانه ان يكون فاعله فتبقى الجملة التى هى خبر
عنها بلا عايد فيها وعندى انه احسن لقول الناس ماضرك لو صليت لمن ترك الصلاة
وفيه هنا فيه حث عظيم حتى لا يتركها لا لمانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر
باعتبار الالباس فى تعدد المسمى باسم واشتقاق مما لا يلتفت اليه وفى بعض النسخ
وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مشورة
بفتح الميم وضم الشين المعجمة ويجوز سكونها اى فى امر يتشاورون فيه معهم رجل اسمه
محمد لم يدخلوه فى مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب لانه من نسمى به
يبارك الله فيه ويلقى الراى السديد ببركته صلى الله عليه وسلم ومن اعرض عنه كان
بضد ذلك وعن عبد الله بن مسعود فى حديث رواه احمد والبزار والطبرانى بسند رجاله
ثقات وهو وان كان موقوفا له حكم الرفع لان مثله لا يقال من قبل الراى كما اتفق
عليه فى مصطلح الحديث اكثر المحدثين ان الله نظر الى قلوب العباد وما فيها من العقل
وقيل المراد ارواحهم لان القلوب تطلق عليها فاختار منها قلب محمد فاصطفاه
وارتضاه فاصطفاه لنفسه اى جعله صفيا له مقربا عنده مخصصا به لا تطلق له بغير الله
فى ظاهره وباطنه ولذا جعله محلا لسره ومبلغا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق
التمثيل فهو استعارة اى عامله معاملة عظما الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون
وزيرا مخزنا لاسرارهم والمراد ان روحه وقلبه اشرف مما عداه فلذا كان مقربا عنده
وخليفة له وفيه اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة كقوله تعالى ويحذركم الله
نفسه وادعا انه مشكله تقديرية يتكلف بقول اهل المعانى انه لا يطلق عليه الا مشا
كلة كقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك غير صحيح وجمع بين القولين بعض
المحققين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم
وما يلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة وحكى النقاش
ابو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدم ترجمته ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما نزلت اية وما كان لكم اى لا ينبغى ولا يحل ولا يجوز ان تؤذوا رسول الله باى اذية
كانت ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده اى بعد موته ابدا الا ان حرمتهم مؤبدة وهن امهات

المؤمنين حتى قال الشافعى رحمه الله من استحل ذلك كان كافرا لانه صلى الله عليه
وسلم حى لم تزل عصمته عنهن وهن معه فى الجنة وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال
وسبب نزول هذه الاية ان بعض المنافقين قال ان مات محمد تزوجت عايشة وما قيل
ان القايل ذلك طلحة احد العشرة المبشرة وانه ندم فحج ماشيا واعتق رقبة وحمل
على عشرة افراس فى سبيل الله كفارة لمقالته لان مثله لا يصح لا يصدر عنه
مثل ذلك بل لا يصدر ممن دونه بطبقات قام خطيبا على عادته صلى الله عليه وسلم
فيما اذا بلغه ما لا يجوز واراد اعلام الناس به فقال فى خطبته يا معاشر اهل الايمان
المعشرة للجماعة ان الله فضلنى عليكم تفضيلا عظيما تفضل به على الامة وفضل نسايى
على نسائكم تفضيلا الحديث لانهن افضل من جميع نساء عصره وفى فضل بعضهن على بعض
كلام ليس هنا محله واشار به الى عدم كفاءة احدهن وان كان الله خصه بانه لا يجوز
لاحد نكاح زوجاته لما مر فصل فى تفضيله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته كرامة
الاسراء اى ما اشتملت عليه قصة الاسرا ووقع فى ضمنها مما فضله الله به على سائر
الرسل عليهم الصلوة والسلام والمراد ما اكرمه الله به من خارق العادة وليس المراد به
ما يقابل المعجزة فانه من اعظم معجزاته وقد اعلم به وبما فيه من فضله ولك ان تقول
المراد به ظاهره لانه امر لا يطلع عليه غيره وما هو كذلك لا يتحدى به ولذلك عبر المصنف
عنه بالكرامة والبا للتعدية او السببية والاسراء مصدر اسرى ويقال سرى واسرى
اذا سار ليلا واختلف فيهما فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق فقيل اسرى سار من اول الليل
وسرى سار من اخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه واسرى ليلة اذا سار
جميعها ولا يقال اسرى ليلا اذا وقع سيره فى اثنائه فاذا وقع فى اوله قيل ادلج بمعنى اسرى
بعبده ليلا انه فى وسطه واسرى متعد ومفعوله محذوف هنا اى اسرى البراق وقيل انه
لازم كسرى وانهما متغايران معنى كما مر ولفظا لان سرى من السرى واسرى من السراة وهى
الظهر فمعنى اسرى به ذهب به فى سراة الارض وهى ظهرها كذا فى المفردات ويدل على تغايرهما
اتفاقهما على التعبير بالاسرا هنا دون السرى واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سير
الى بيت المقدس فالاسرا غير المعراج كما سياتى ثم بين ما تضمنه بقوله من المناجاة
وهى الكلام سرا لان السر يقال نجوى وتخص المناجاة فى العرف بكلام العبد مع ربه
كمناجات موسى عليه الصلوة والسلام والرؤية اى رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه
بمعنى بصره او رؤيته ما فى الملا الاعلى من العجايب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية
واذا كانت حلمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها راى وقال السهيلى
الرؤيا تكون بمعنى الرؤية ايضا وله شواهد فى كلام العرب وعليه قول المتنبى
ورؤياك احلى فى العيون من الغمض فلا يرد عليه شئ كما توهم وما يقوله صلى الله
عليه وسلم بمنزلة ما يرويه وامامته الانبيا اى صلاته صلى الله عليه وسلم

بالانبيا اما ما لهم فانه يدل على تفضيله عليه الصلوة والسلام ولذا استدل على تقديم
ابي بكر رضي الله عنه في الفضل بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة في مرض
موته وقال لو الا نرضى لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا والعروج به الى
سدرة المنتهى العروج بمعنى الصعود في جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل وفي بابٍ في
الحديث عرج بي بفتحتين وقال المص انه بضم العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعرج بكسر
الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسما معراج تصعد فيه ارواح
الموتى وهو الذي يشخص اليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه فاذا راه لم يتمالك روحه
ان تخرج وبه تصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذي المعارج فالاسرا سيره عليه
الصلاة والسلام لبيت المقدس والمعراج صعوده للسما وهو مصدر ميمي او اسم السلم
اطلق عليه او فيه مقدر وقد يطلق الاسراء على جميع الاسراء والمعراج ويطلق المعراج
على كل ذلك مجازا فقيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهي شجرة النبق وقيل
للتي في الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة في السماء السابعة وقيل في السادسة واقتصر عليه
المص فيما ياتي وجمع بينهما بان اصلها في السادسة واعلاها في السابعة ويأتي ان نبقها كقلال
هجر وان ورقها كاذان الفيلة وانه يغشاها نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب
في ظلها مائة ويخرج من اصلها اربعة انهار منها النيل والفرات وانها انما سميت سدرة المنتهى
لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها وقيل انه ينتهي اليها علم الخلق فلا يعلم
او منتهى الملائكة فلا يجاوزها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك
من الاقوال وما راى من ايات ربه الكبرى ما موصولة عايدها مقدر اي راه او مصدرية
والكبرى مفعول راى ومن ايات بيان مقدم عليه او هو صفة لاياته ومن تبعيضية او زائدة
وايات الله كل ما راه مما يدل على عظمته او جبريل على صورته الاصلية او ما يغشى السدرة
من الانوار التي لا يمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف اخضر سد السما والرفرف
ما يسمى بالفارسية سيابان وقيل انه بساط ومن خصايصه عليه الصلاة والسلام
اي ما خصه الله به من دون الانبيا عليهم الصلاة والسلام مع ما له من المعجزات التي
لساير الانبيا كما فصل في محله قصة الاسرا وما انطوت عليه اي احتوت عليه وتضمنته
من درجات الرفعة اي العلو في الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما اعطيه من المراتب
المعنوية بالمراقي الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة مما نبه عليه في كتاب
العزيز في سورة الاسرا وسورة النجم وشرحته اي كشفته وبينته صحاح الاخبار وفي بعض
النسخ صحايح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال في القاموس يقال صح يصح فهو صحيح وقوم
صحاح بكسر الصاد وصحايح انتهى وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح او مصدر بمعنى الصحة
وهو من اضافة الصفة للموصوف اي الاخبار الصحاح والصحاح وهي ما رواه الثقات بسند
متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل في مصطلح الحديث قال تعالى

سبحان الذي

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية وقدم الكلام
على لفظ الاسراء وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة
فاذا اضيف فقصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وانكره بعضهم بنا على انه
غير معين فلا يتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وانكر بعض
النحاة علميته وخطا من قال به كما ذكره ابو علي في تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان
مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه او اسم مصدر وابتدا السورة والقصة به لانه لما ذكر
الاسراء والروية بما توهم ان الله تعالى في جهة فنزهه عن ذلك وهي مع التنزيه تدل
على التعجب وللمكذبين في الاسراء نزهه الله عن الكذب وعجب عباده في نسبته لمثله
ومما انعم عليه من النعم التي خصه بها قيل ويحتمل ان يكون بمعنى الامر اي سبحوا تسبيحا
وقال ليلا اي في مدة قليلة ولذا ذكره وذكره مع ان السرى يختص به كما مر وقال بعبده
لان صفة العبودية اشرف الصفات واضافه له تشريفا وايماء الى انه مجرد الذي
سراد قات العز والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا
واسراو به صلى الله عليه وسلم كان من الحجر وهو نايم به وروى انه كان في بيت ام هاني
وجمع بينهما بان جبريل اتاه في بيت ام هاني فايقظه جبريل عليه الصلوة والسلام
وذهب به الى الحرم ثم تبطا لمجيئه فنام في الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمي به لبعده
عن المسجد الحرام وضميرانه هو لله اي هو السميع لما قيل في حقه والبصير المطلع على احواله
وقيل انه للنبي صلى الله عليه وسلم اي هو السميع لكلام ربه المشاهد لاياته وقال
تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى الواو للقسم والنجم لكل نجم
والمراد به الثريا لغلبته عليه او المراد به نجوم القران المنزلة عليه وهوى بمعنى غرب
او انقض عام او طلع او نزل عليه وحيه واقسم به لوقوع ذلك ليلا وله تعالى ان يقسم
بما شا او التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط في التفاسير اذا علمت ما ذكر من المصنف
فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام بحسب العقل الشاهد له
العقل والمسلمون يجمعون عليه وانما اختلفوا في كونه يقظة او ناىما كما سياتي اذ هو
نص القران تعليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القران الذي لا يجحده مسلم
وجاءت بتفصيله بعد ما اجمله النص وشرح عجايبه الواقعة فيه وخواص نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فيه اي ما خصه الله به في الاسراء احاديث كثيرة منتشرة
وفي نسخة اخبار كثيرة ومعنى منتشرة انها مفرقة في كتب الاحاديث باسانيد مختلفة
راينا من الراي وهو النظر والتدبر في الامور المهمة بعد ما راينا جمعها يطول ويعرض
تقدم اكملها اي الحديث الذي هو اكملها اي اجمعها لهذه القصة واصحها والمراد بتقديمه
اتيانه كما في قوله فقلت له هاتيك نعمى اتمها ولا تبتشش ان المهم المقدم وهذا
رواه مسلم فلذا جعله اصح من غيره بنيا على راي المغاربة من انه اصح من البخاري ويشير

الى زيادة من غيره اى من غير هذا الحديث وقعت رواتها لغير مسلم وهى مهمة يجب ذكرها
حدثنا القاضى الشهيد ابو على هو حافظ ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته والفقيه ابو بحر
بالبا الموحدة والحا المهملة الساكنة ابن القاص الامام المشهور بسماعى عليهما اى بسماعى
ممن يقرؤ عليهما فان حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور وبعضهم يجعلها تشمل السماع
وغيره فذكر المص هذا الدفع توهم غيره والقاضى ابو عبد الله التيمى وهو محمد ابو عبد الله بن
عيسى التيمى استاذ المص الذى تفقه عليه واليه اشار بقوله وغير واحد من شيوخنا
والشيخ فى الاصل معناه الكبير سنا ثم صار فى العرف اسما لمن يقرأ عليه الناس ويستفيدون
منه لانه فى الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان فى العطر لا ولا يقال لابى بكر وعمر
رضى الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوى قالوا حدثنا ابو العباس العذرى بضم
العين المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبته لبنى عذرة قوم من العرب مشهورون
وفى بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ قال حدثنا ابو العباس الرازى تقدمت
ترجمته قال حدثنا ابو احمد الجلودى تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال
حدثنا ابو سفيان تقدمت ترجمته قال حدثنا مسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح الامام
المشهور قال حدثنا شيبان بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة
والبا الموحدة ابن فروخ بفتح الفا وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة وخا
معجمة وقال ابن حجر والتصبيران يدون واو والذى نعرفه فى لغة العجم انه بالواو فان صح
ما قاله فلعله تغيير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعه وهو علم غير منصرف للعلمية
والعجمة وقول البرهان انه ضبط فى بعض النسخ بالتنوين خطاء لا ينبغى ذكره وكذا قول
التلمسانى انه يصرف ولا يصرف وصرفه اكثر وقال صاحب العين انه اسم لابراهيم
الخليل عليه الصلوة والسلام وهو ابو العجم كما فى المطالع ونقل النووى فى شرح
مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو ابو محمد الحطى الايلى روى له اصحاب السنن فهو
امام ثقة توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته فى الميزان قال حدثنا حماد بن سلمة بن
دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق لكنه يغلط توفى سنة سبع وستين ومائة
وترجمته فى الميزان قال حدثنا ثابت البنانى بضم البا الموحدة نسبته لحى من العرب يقال
لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن سلم راس العلما العابدين فى عصره توفى سنة سبع وعشرين
ومائة وعمره ستة وثمانون وهو ثقة ثابت كاسمه اخرج له اصحاب الكتب الستة وله
ترجمة فى الميزان عن انس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمى به لشدة
بريقه ولمعانه او لسرعته كبرق الخاطف كما مر وهو دابة اى على صورتها وهى فى عرف اللغة
ذوات الاربع واصل معناها وضعا كل ما يدب اى يتحرك ويمشى من ذوات الارواح وهو
يذكر ويؤنث ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل اى فى الجثة وابيض خبر بعد خبر لا صفة

دابة

دابة وطوله باعتبار ما بين عنقه وذنبه لانه اعون فى مد خطوه وليس المراد طول قوايمه
وقيل انه بادى البشرة خده كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوايمه كالابل واظلافه وصدره
كالبقر وصدره ياقوت لا يشبه الدواب قال ابن المنير فى المقتفى فاتحاله صلى الله عليه وسلم
بالبراق تانيسا له بجريه على العادة والله تعالى قادر ان يرفعه بغير شىء واظهار الكرامته
فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بعثوا له بمركوب فى وفادته ولم يكن على شكل الفرس
تنبيها على انه حال سلم لا حرب واظهارا للاية فى اسراعه العجيب وليس شكله مما يوصف
بالسرعة عادة ولذا ركب صلى الله عليه وسلم البغلة فى حنين اظهارا للثباته
وشجاعته وتساوى الحرب والسلم عنده وبغلته بيضا ايضا كالبراق قال ابن منير
اى شهبا والاشهب المايل الى البياض والشاة البرقا هى البيضا ومنه البراق ويجوز
الجمع فى التسمية بين البياض واللمعان والسرعة يضع حافره عند منتهى طرفه الحافر مجاز
كالمشفر فان الحافر لا يطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف كالبقر لكنه لقربه من البغل
سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتهى كما مر والطرف العين والمراد به النظر ولا يلزمه ان يصل
الى السما بخطوة كما توهم قال صلى الله عليه وسلم فركبته حتى اتيت بيت المقدس
بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس
وهو التطهير واختلف هل ركب جبريل عليه الصلوة والسلام معه ام لا فقيل ركب
معه لانه ورد فى بعض طرق هذا الحديث فما زلت على ظهره انا وجبريل وسياتى التصريح به
عن حذيفة وحينئذ فيحتمل انه كان خلفه ويوكده ما تقدم فى عده من ارد فهم ويحتمل انه
كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح فى الحديث بان صعوده
صلى الله عليه وسلم كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال الدميرى ان الله
انزل بدونه اظهارا للقدرة وقيل انه هبط به ايضا ولكنه لم يتعرض له اكتفا بذكر العروج
فربطته اى البراق بالحلقة بفتح الحا المهملة وسكون اللام وهى معروفة واختلف
فى فتح لامها فجوزه بعض اهل اللغة وجعله بعضهم خطا وقال الليثى بالتحريك جمع
حالق ككاتبة وكتبة التى تربط بها الانبيا وروى به فى مسلم وفى الشفا التاويل الحلقة
بشىء ونحوه وقالوا امر التذكير والتانيث سهل وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية
ولم يبين اين كانت الحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذى فى حديث الترمذى
انه صلى الله عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل عليه الصلوة والسلام
الى الصخرة فخرقها وربط البراق فيها وهذا هو المعروف ولا اعرف ما قبله ممن نقل ولم يذكر
المربوط وظاهر السياق انه البراق بنا على ان الانبيا كانت تركبه وهو الصحيح فان ركبه
جميعهم فهو ظاهر والافراد بالانبيا الجنس واثبت لجميع فعل البعض وهو جائز ولعما ك
ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكون البراق قوى يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلا فائدة
فى الربط لا يضر لانه مسخر لا يخالف فعل النبى صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى

مباشرة الاسباب وانها لا تمنع التوكل وكفاك شاهدا عقلوها وتوكلوا ثم دخلت المسجد
الاقصى وعطف بثم للتراخي الرتبي وجعل بعديته المسجد عن الارض التي ليست بمسجد بمنزلة
البعد الحقيقي فصليت فيه ركعتين تحية المسجد وكان صلى الله عليه وسلم يصلي
قبل فرض الصلوة بالاسرا وفرض عليه صلوة اختلف فيها فقيل صلاة الليل وقيل
صلوة بالغداة وصلوة بالعشي ونقله ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات الخمس
في الاسرا من غير تعيين اوقاتها فكانوا يصلونها متى ارادوا مجموعة ومفرقة ثم عينت اوقاتها
بوحي من الله ثم خرجت من المسجد فجاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن وخيرني في شرب
ايهما اردت فاخترت اللبن باخذه وشربه فقال لي جبريل اخترت الفطرة وروى اخترت
الفطرة وقد تقدم ان الفطرة الجبلة والطبيعة التي فطر الناس عليها وتكون
بمعنى الاسلام والاستقامة اي ما اخترته هو الموافق للخلقة الانسانية التي
خلق الله الناس عليها وللطبايع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ وطعام نافع
موافق الانسان سريع النما ولذا كان غذا للاطفال دون غيره وفي حديث اخرجه
وهديت امتك ولو اخترت الخمر لغويت وغوت امتك وفي طريق اخر هدى الله بك
او اصاب بك وروى ان الانية كانت ثلاثا وانا فيه ما وفي رواية اربع هي وانا فيه
عسل والاصح ما رواه المصنف وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين كخصال
الكفارة او مباحين كمجالس الحسن وابن سيرين وما بين واجب وممنوع او مباح
وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء اريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا او اريد
الاذن في احدهما لا بعينه مشكل فما معنى تخييره حتى اختار احدهما وقول جبريل
له اصبت الفطرة باختيارك اللبن اي بنيت الخلقة عليه وبه نبت اللحم ونشو العظم
او اخترته لانه الحلال الدايم في دين الاسلام واما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه
الامر والذي يرفع الاشكال ان يكون المراد تفويض الامر في التحريم والتحليل الى
اجتهاده الذي وافق فيه الصواب بنا على جواز الاجتهاد له فيما لم يوح اليه شي
وانه صلى الله عليه وسلم معصوم في اجتهاده بخلاف غيره انتهى واجاب غيره بان الخمر
لم يحرم اذ ذاك او انه كان في السما وليست دار تكليف وهي من جملة خمور الجنة
وليست محرمة ويجوز ان يترتب عليها غي امته كما تترتب القبايح على بعض المباحات
قال ابن المنير واللبن في الرويا يعبر بالعلم فقيه اشارة الى انه لما ملى قلبه ايمانا
وحكمة ردف ذلك بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن سببا لترادف العلوم عليه
وشحن قلبه وقالبه بالانوار والاسرار وان كان يقظة الا انه ربما وقع في اليقظة
اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنام ولذا كان صلى الله عليه وسلم يحب
الفال الحسن وجا في الحديث انه قدم له الاناان قبل العروج وجا في حديث اخر انه
بعد ويجمع بينهما بان تقديمها له صلى الله عليه وسلم وقع مرتين وكرر جبريل

تصويب

تصويب فعله تاكيدا للتحذير مما سواه ثم عرج بنا الى السما بفتح العين والرا اي عرج جبريل
وصعد وضمير بنا له صلى الله عليه وسلم والبراق وهو له وجبريل وفي نسخة بي وفاعل
عرج البراق والبا للتعدية او المصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الرا والسما
هي السما الدنيا هنا ولم يبينه لظهوره فاستفتح اي طلب فتحها من الملايكة الموكلين بها
فقال الموكل بها من انت ايها المستفتح وهو انما يقرع لها او بصوت قيل والظاهر الاول
لانهم يعرفون صوته فقال المستفتح انا جبريل فهو خبر مبتدا مقدر هو انا والمستفتح
وفيه اشارة الى ان من دق الباب ينبغي له ان يسمي نفسه ولا يقتصر على قوله انا وان السما لها
ابواب تفتح خلافا للحكما المانعين للخرق والالتيام عليها قيل ومن معك قال محمد عطف
على مقدر اي جبريل ومن معك قيل انما استفتح لان معه النبي صلى الله عليه وسلم
ولو كان وحده لم يحتج لاستفتاح وانما قيل استفتح تكريما وتانيسا له وقال ابن المنير
استفتاحه لان ابوابها مغلقة ولم يفتح الا لاجله صلى الله عليه وسلم تنويها بقدره
ولو صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك قيل وقد بعث اليه اراد الاستفهام فحذف الهمزة
للعلم بها واصله وقد بعثه اليه والبصريون يمنعون حذفها ويحمل كلامهم على انه اذا لم يكن
قرينة على الحذف والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير في المقتفي ولم يرد بالبعث بعث
النبوة والرسالة فانه كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للعراج وقول ابن حجر انه
يجوز ان يكون استفهاما عن اصل بعثته بالنبوة والصواب لم يطلع عليها لاشتغاله
بشانه لا وجه له لان المراد بسواله بيان سبب موجب لفتح السما له ومجرد نبوته ليست
تصلح للسببية الا انه يحتمل كونه تعجبا له مما انعم الله به واستبشارا بعروجه وهذا مع
ما فيه احسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكر دلالة على ان من اذن له في شي يقتضي رفع الموانع
عما اذن له فيه فمن اذن له في قبض الثمن والوكيل اذا اذن له في شي اذن له في لوازمه
فلذا لم يطلب البواب الاذن له في الفتح ولذا قال جبريل قد بعث اليه ففتح لنا بالبنا للفاعل
والمفعول وفي بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به ولنعم المجي جاء قال ابن المنير وفيه
دليل على ان حاشية الملك اذا فهموا منه اكرام وافد ان يبشروه وان لم يوذن لهم فيه
وليس هذا من افشا السر لانه تفرس الرضا به لان استدعاه انما هو لاكرامه فيجل له
بالبشرى ثم افاد فايدة هنا جليلة منقسمة الى متعبدية لا يقوم غيرها مقامها وان ادى
معناه كالاحرام بلفظ التكبير والتلبية والتشهد الى ما لا انحصر في لفظه فيقوم مقام
كل ما ادى مواداه كدعا الجنازة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا انما
يعلم من جملة الشريعة اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدي من القبيل
الاول او من الثاني فيقوم مقامه ما يودي معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان
بعض المتورعين لا يرد سلام من لم يلفظ به ويقول ليس هذا بسلام يستحق الرد
واكثر السلف والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل لهم فان الملك حياه بمرحبا

ونم المجيء وكذا من لقيه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولذا قال صلى الله عليه وسلم
فاذا انا بادم عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير اي قال له مرحبا بك اي
جعل الله تعالى مكانك رحبا واسعا وهو كناية عن اكرام نزله وبره واذا هي المفاجاة
وبدا بادم عليه الصلوة والسلام لانه اسبقهم وجودا قال ابن المنير في المقتفي اختلف
طرق المتكلمين على حديث الاسرا في ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وترتيبهم
في السموات فمنهم من لم ير التكلم في سره اصلا ومنهم من تكلم فيه من مشايخ الصوفية
وفيه كلام طويل افردناه برسالة لا يسع المقام تفصيله ثم اختلف هولا فمنهم من قال
انما اختص من اختص من الانبيا بلقائه صلى الله عليه وسلم على عرف الناس اذا تلقوا
الغايب مبتدرين للقايه فالغالب ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم
من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال في شرح البخاري وذهب بعض شيوخ الاندلس
الى ان ذلك تنبيه على الخاصة بهولا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمثيل لما سيتفق
له صلى الله عليه وسلم كما اتفق لهم مما قصه الله تعالى في كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن
التعبير فمن راى في منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فادم عليه الصلاة والسلام
تنبيه على الهجرة لخروجه من الجنة بعداوة ابليس وحيلته كخروجه صلى الله عليه وسلم
من مكة باذية قومه له وللمسلمين وعيسى ويحيى عليهما الصلوة والسلام دليل على ما سيلقا
الرسول صلى الله عليه وسلم من اذى اليهود لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى فرفعه الله
اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ادادوا حول قتله وسموه
في ذراع شاة كانت سببا للشهادة في قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به قومه
مما كان سببا لرفعته وظفره عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه العباس
وابن عمه عقيل اذ فداهما وقال يوم فتح مكة اذ عفى عن قريش واطلق الطلقا اقول كما قال
اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الخ ففعل كما فعل يوسف عليه الصلاة والسلام
وهرون دليل على عداوة قومه وان تنقلب بعضهم مودة كما كان هارون عليه الصلاة
والسلام محببا عند بني اسرايل حتى ثروه على موسى عليه الصلاة والسلام وادريس
دليل على كتبه صلى الله عليه وسلم الى الافاق لانه اول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه
وموسى دليل لفتحه عليه الصلوة والسلام مكة وقهر المستهزئين كما فعل موسى بالجبابرة
وابراهيم في اسناد ظهره للبيت المعمور لحاله في حجه اخر عمره ولذا لقيه في اخر السموات انتهى
وفيه اشارة الى حكمة الترتيب في منازلهم ولقياهم وهنا مما ينبغي تامله فانه مما تفرد
وللمشايخ في ذلك كلام كما مر اشار اليه الشيخ في فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها احوال
كالمنام من الفال ونحوه تعبر كما تعبر الرويا ولعمر رضي الله عنه في ذلك امور كثيرة كقوله
اذ سال رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن قال من الحرقة اسم قبيلة
فقال اين مسكنك قال بالحرة فقال اين انت منها قال من ذات لظى فقال ادرك قومك فقد احترقوا

فذهب

فذهب فاذا النار مشتعلة في بيوتهم وفي هذا الحديث انه راى رجلا في سما الدنيا عن يمينه
اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر لشماله بكى يعني ذريته 370
وقد استشكل بانه يعارض قوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب
السماء والحديث الصحيح ان ارواح الكفرة في سجين واسفل سافلين واجيب بان المراد به
ارواح العصاة ومما في الاية والحديث المراد به ارواح الكفار الجاحدين وهولا يرحمهم
وقد نهي ابراهيم عليه الصلوة والسلام عن استغفاره لابيه وللموعدة التي وعده
جعل في صورة ضبع يذبح حين لقايه في النار حين يحزن عليه واجيب ايضا بانه يجوز
ان تمثل ارواح الاشقيا والسعدا ويراهم النبي صلى الله عليه وسلم اذ مثلوا له
وان لم يكونوا هناك كما كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلف ظهره وهذا هو الجواب
عن الاشكال الاخر وهو كيف يرى ارواح السعدا والاشقيا وكثير منهم لم يموتوا
واما كون المراد بالاسودة العصاة فغير مستقيمة لان المسلمين كلهم من اصحاب
اليمين وعلم مما مر ان ادم عليه الصلوة والسلام انما كان في اول السموات لانه
اول الانبيا وجودا وليكون اقرب لاولاده فينظر لاسودتهم ثم عرج بنا الى السماء
الثانية فيه ما مر اولا فاستفتح جبريل عليه الصلوة والسلام فقيل من انت قال
جبريل ومن معك قال محمد عليه الصلوة والسلام قد قيل وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن ذكريا عليهما الصلوة والسلام فرحبا بي ودعوا لي
بخير بالف التثنية وفي بعض الروايات او قد ارسل اليه وهما بمعنى وقوله ابني الخالة لان
مريم ابنت عمران اختها اشياع ام يحيى على ما قاله السهيلي وهو الموافق للحديث وارتضى
غيره ان مريم بنت حنة بنت فاقود وام يحيى ام ابيه ذكريا فاقود ايضا فاتحدا في الجدة
فيكونا بنا خاله لان الخالة اخت ام والجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقول ذكريا
لما اراد كفالة مريم عندي خالتها وارتضى هذا السعد في شرح الكشاف فعلى هذا
في كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الازهري يقال لهما ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال
ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الاخر ابن عمه ايضا ومن كان
ابن خالة انسان كان الاخر ابن خالته ايضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كان في الثانية
لانه رفع الى السما وسينزل منها فجعل في مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لانه ولدته وبينهما
من القرابة والمحبة ما لا يوصف ولذا جعلا في سما واحدة ولم يكن في سما اثنان من الانبيا
غيرهما وقال ابن المنير لما كان عيسى عليه الصلوة والسلام سينزل كانما معنى ليحيى وحده
ثم عرج بنا الى السما الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه الصلوة
والسلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن تقدم معناه وان الشطر النصف فرحب بي ودعا لي
بخير لم يذكر الدعا والقول بانه قوله مرحبا لا وجه له فانه لا يسمى دعا ولما كان لقاؤه له
صلى الله عليه وسلم دليل على مفارقة اهله ووطنه على وجه يول الغرة ونصرة

وهو بعد البعثة والدعوة فهو الثالث من اطوار راه في الثالثة وقد تقدم بسط ثم
عرج بنا الى السما الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه الصلوة والسلام فرحب بي
ودعالي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ولما ترادف الوحي عليه صلى الله عليه
وسلم بعد الهجرة واظهر المؤمنون شعاير الاسلام وهو طور رابع راى ادريس
في الرابعة لشهرة علمه وكتابته ونبه عز الاسلام وكمال رفعته وفي تلاوة الاية ايماء
لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد ابي نوح وهو المثلث
بالحكمة لانه اول من نظر في النجوم وخط ودرس وقال له صلى الله عليه وسلم
في الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي اخرى شاذة بالابن الصالح
وهو الظاهر وقد استشكل كونه اخا مع انه جد على حتى قال بعضهم ان ادريس الذي لقيه
غير ادريس هذا وهو الياس وروي هذا عن ابن مسعود وعلى هذا لا اشكال وقيل المراد
اخوة النبوة والاسلام واختلف في رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته كما يرفع
ساير الانبيا او في حياته كعيسى ففي قصص الانبيا ان الملايكة عليهم الصلوة والسلام
احبته لكثرة عبادته فسال ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه فاذاقه
ثم احيي ثم ساله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فسال له ان يدخله
الجنة ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له اخرج قال يا رب اني ذقت الموت ووردت
النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج ابدا منها فاوحى الله لخازنها
دعه فباذني فعل ما فعل فبقي في الجنة في السما الرابعة نقله ابن المنير ونبه على وجه كونه
في الرابعة على الاصح وقيل انه في الثانية وقيل في السادسة ثم عرج بنا الى السما الخامسة
فذكر مثله فاذا انا بهارون عليه الصلوة والسلام فرحب بي ودعالي بخير جعل
في الخامسة لانه كان رديفا لموسى عليه الصلوة والسلام لا يفارقه فلذا كان في جواره
ثم عرج بنا الى السما السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه الصلوة والسلام
فرحب بي ودعالي بخير لما كان اجل الانبيا بعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام ولانه
اعظم الكتب قبل القران وجاهد في سبيل الله وظفر بما لم يظفر به غيره رفعت
مرتبته على غيره وتوفي في حظاير القدس تحت منزلة الخليل فكان في السادسة ثم
عرج بنا الى السما السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم عليه الصلوة والسلام
لما كان ابراهيم افضل الانبيا قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وهو خليل الرحمن كان
ارفعهم منزلة وما ذكرنا في وجه التخصيص والترتيب هو ما بالنظر للظاهر نظر المناسبة
الحال بنبينا صلى الله عليه وسلم وما استدل به عليه ولعل هنالك مناسبة اخرى
بين اهل كل سما وما فيها من الرسل وهذا مما لا نعرفه مسندا ظهره الى البيت المعمور
وهو بيت تطوف به الملايكة ويحج له للعبادة وهو محاذ الكعبة ويسمى الضراح
بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمي معمورا لكثرة الملايكة فيه قال التلمساني

قيل فيه دلالة على ان الافضل على غير الصلوة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها
فعلى هذا لعله اسند ظهره ليتوجه للنبي صلى الله عليه وسلم ويخاطبه بما امر وانما اسند
ظهره للبيت لانه الذي اول من بنى الكعبة من الناس ولا واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه لان حجه مرة كفرض الحج علينا او لاشتغال غيرهم وكونه
في السابعة حذا العرش هو الاصح وقيل انه في الرابعة ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى لم يقل
عرج لانها في السماء السابعة وتقدم معنى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة بكسر
الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل وانما شبهه بها وان لم يكن بارض الحجاز لانها كثيرة
في بلاد الحبش وهم كثيرا ما ياتونها للتجارة واليها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها
والاولى التشبيه بما لا يعرف الغار غير مقبولة وثمرها كالقلال جمع قلة وهي الجرة
وهي شبهتها بها لمدخلها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رايحته وان كان شجر
الجنة انما يحكي امور الدنيا صورة والفرق بعيد فلما غشيها اي طرا عليها وغطاها
من امر الله الظاهر ان المراد بامر الله وحيه او تجليه لرسوله صلى الله عليه وسلم
فانها بذلك اشرق عليها نور الهي فزهت به وحسنت حسنا لا ينعت ونورا لا يمكن
ان تقابله الابصار لقوله بعده ما غشي اي امر عظيم غشي فان الابهام بمثله يفيده
كقوله الحاقة ما الحاقة وامثاله تغيرت اي عن حالها التي كانت عليه فما احد
من خلق الله يستطيع ويقدر ان ينعتها من اجل حسنها الذي طرا عليها لكونها من اشجار
الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اشجار الارض احترقت
كما صار الجبل دكا ويدل على ما قلناه فاوحى الله الى ما اوحى وفي هذا الابهام
تعظيم وتكثير لطرق الكناية الابها منه حتى كانه مما لا يمكن ان يدرك فينعت وفي هذا
الموصول وتعريفه اشكال اجبنا عنه في حواشي التسهيل لان ما موصولة تتعرف
بالعهد الذي في الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معروفة وقيل
المراد بها الملايكة التي تغشيها فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش من ذهب
وجواهر نزل عليها او جراد من ذلك وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل صور خضر
وانما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قطع السدر لذلك وفسر ما اوحى بقوله
ففرض علي وعلى امتي خمسين صلاة تكون في كل يوم وليلة وقيل ما اوحاه اليه
بهم لا يعلمه احد وقيل سورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبياء عليهم
الصلوة والسلام حتى يدخلها هو وعلى الامم حتى تدخلها امته وقال السيوطي
في الخصايص فرضت الصلوة خمسين والغسل من الجنابة وغسل نجاسة الثوب
سبعا سبعا والوضو لكل صلاة فنزلت الى موسى عليه الصلوة انما قال نزلت
لانه كان في السما السادسة والوحي في السابعة وتخطى ابراهيم ونزل ليشاوره
لانه يعلم ما في شريعته من الاحكام والصلوات ومارس من ذلك اكثر من ابراهيم

لانه لم يفرض على امته ما فرض على امته موسى عليه الصلوة والسلام فقال لما فرض
عليك وعلى امتك قال او لا فرض علي وقال هنا على امتك لان ما فرض على النبي صلى الله
عليه وسلم فرض على امته ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين
يحذف من كل منهما ما ذكر في الاخر فحذف من الاول وعلى امتي ومن الثاني علي ووقع فرض الصلاة
في السماء لانها اعظم العبادات ففرضت في اجل المواضع وبين الله فرضها بنفسه من غير
واسطة ملك اعتناء بشانها ولذا قيل يكفر تاركها وذهب الشافعي الى انه يقتل كما سياتي
قلت فرض خمسين صلاة منصوب لانه تمييز فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف منها
برفع بعضها وانما اشار عليه بذلك لمحبته له وجعله له ما يليق بنفسه وقيل ذلك
لانه سال الله تعالى ان يكون من امته لما راى في التورية مما لامته صلى الله عليه وسلم
من الكمال فقال يا رب من هولاء قال امة احمد فقال اجعلني منهم فخشي ان يفرض عليهم
تكاليف شاقة وهو منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقيني انما قصد موسى تكرار
روية محمد عقب رويته لله بعينه كما قيل لعلي اراهم او ارى من راهم وموسى عليه الصلوة
والسلام وان كان يرى الله في الاخرة لكن رويته روحانية وهي ليست جسدية عينية
ولا تتيسر في كل حين قال ابن حجر يحتاج ما قاله البلقيني الى ثبوت تجدد رويته في كل مرة
يعني روية محمد صلى الله عليه وسلم لربه وقال مصلح الدين اللاري ما قاله البلقيني
لا يتوقف على تجدد الروية وتكفي حصول اصلها فان امتك لا يطيقون ذلك خص الامة
اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله تعالى من قوته على عبادته
ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه انه يشق عليهم فيقصرون
فيه لا انه محال حتى يقال انه مبني على تكليف المحال وهو محال وفائدته الاخذ في مقدماته
حتى يعلم امتثال ويطيقون بضم اوله مضارع اطاقه فاني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم
عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره يخبره كقتله يقتله
وفيه مقدر اي خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول اعمارهم فلم اجد لهم صبرا على ذلك
فكيف حال امتك وفي نسخة قبلك فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف على امتي
مفعوله محذوف للعلم به اي ما فرضته عليهم من الصلاة ولم يقل وعني لما مر او حياء
منه بسواله لنفسه فحط عني خمسا منها واصل الحط معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل
تشبيها مكنيا كما قال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فرجعت الى موسى فقلت له عني خمسا
منها فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف وفي نسخة
وفي نسخة فاساله قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى اي بين موضع مناجاته
تعالى وملاقاتي لموسى عليه الصلاة والسلام حتى قال الله تعالى لما انتهى التخفيف الى
خمس يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة واستدل به الشافعية على عدم وجوب
الوتر وجوابه مسطور في كتب الفروع للحنفية لكل صلاة عشر فتلك خمسون في الثواب

والاعتبار

والاعتبار لان الحسنة بعشر امثالها كما سياتي تحقيقه ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة واحدة لنيته عملها فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة لم يعملها
لم تكتب شيا فان عملها كتبت له سيئة ولحته الهم القصد من غير تصميم فان صمم
فهو عزم ومذهب الباقلاني انه يأثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول
وانكار بعضهم المواخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم والكاتب فتكتب حتى ما في القلب
كما قاله الطحاوي وفي حديث مسلم القدوسي كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات
الى سبعمائة الى اضعاف كثيرة وهو صريح فان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على
سبعمائة وقول القرطبي انها لا تجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه
كما في الاحيا ان اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له صورة امراة وراء ظهره
بحيث لو التفت لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة وميل الطبع
المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل بان
ينظر اليها وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات وجزمه النية
ويسمى هذا بالفعل وهذه قد يكون لها مبدا ضعيف فاذا اصغى الى الخاطر حتى طالت
محاولته للنفس حتى تنجزم النية واذا انجزمت فقد يندم ويترك وقد يفعل فلا يعمل
وربما يعوقه عايق عنه فهي اربعة احوال وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد
ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به لانه غير اختياري وكذا هيجان الشهوة والميل المراد به
بقوله عليه الصلاة والسلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس
خاطر يجس في النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب وهو اما
اضطراري لا يؤاخذ به او اختياري يؤاخذ به والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به
وتركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه
منه حسنة لمجاهدة نفسه وان عاقه عنه عايق غير خوف الله تعالى كتبت سيئة
لان همه فعل اختياري له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت
الى موسى اي انتهى سيري الى فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هنا وقاله هنا اشارة
الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده فاخبرته بما قال الله تعالى له فقال ارجع الى ربك
فاساله التخفيف من الخمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قصه من حديث
الاسراء فقلت لموسى عليه الصلوة والسلام قد رجعت الى ربي مرارا وراجعته
في سؤال التخفيف حتى استحييت منه ان ارجعه في السؤال بعد ذلك واعلم انهم
اختلفوا في جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب اهل
السنة الى جوازه وهو مبني على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما
فيما نحن فيه وبقصة الذبيح اذ امر بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفدا ومنعه

المعتزلة فمنهم من قال لم يامره لانه منام ورد بان رؤيا هم وحي يجب العمل به ولذا باشره
ومنهم من قال انما امر بمقدماته من الشد والتل ونحوه ورد بان قوله انى اذبحك يرده
والفدا يا باه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين او غلب عنقه جديدا وقيل ذبح
والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ مناقض والجواب بانه المامور وقد بلغه
ضعيف لانه عام له صلى الله عليه وسلم ولامته لان الفرض عليه فرض عليهم ولذا
قال له موسى عليه الصلوة والسلام ان امتك لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان
لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو جايز واعلم انهم يريدون بالمنسوخ خبر التكليف
لا نفس الامر لانه قديم ووقع في بعض طرق هذا الحديث ان موسى عليه الصلوة والكلام
قال اساله التخفيف فاني اعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر ما قاسى
لما قال انا اعلم الناس منك وكيف يقوله للرسول صلى الله عليه وسلم والجواب انه اراد
علم التجربة والروية لما راه ومثله لا يضر وما قيل من انه خبر لا يدخله النسخ مردود بقوله
وقيل ان قوله خمسون او لا باعتبار ما في اللوح المحفوظ والمراد انهما بحسب الثواب كذلك
فلو نسخ منه والنبي صلى الله عليه وسلم فهمه على ظاهره فراجع ربه في غاية البعد
قال القاضي هو شيخه القاضي الشهيد المذكور في اول السند السابق ولذا لم يسمه
استغنا باعادة المعرفة وتعريفه عهدي جود بفتح الجيم وتشديد الواو اي حسن الجود
ضد الرداة والحسن ضده القبيح ثابت البناني الراوي هذا الحديث عن انس رضي الله
عنه ما شاء اي احسن في روايته واتقنها اتقانا محكما لا ما نكرة موصولة اي بتجويد
اشاه اي بذل جهده وفعل كل ما دخل تحت ارادته والمراد ان روايته جيدة خالية
عن الاعتراض ولذا اختارها من الروايات وقيل ما شاكناية عن كثرة تجويده اي اتى
بها مجودة تجويدا كثيرا وقد خلط فيه غيره خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث
والخلط ادخال شيء في شيء والمراد انهم ادخلوا في حديث الاسراء ما ليس منه
كشق الصدر كما سنبينه لا سيما اي لا مثل روايته وفسرها الرضي رحمه الله بمعنى
خصوصا وقال الدماميني رحمه الله انه لا سند له فيه وشيء منصوب وما
يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثنا وفيه كلام
طويل بيناه في غير هذا الكتاب ونحن في غنية عنه من رواية شريك بن ابي نمر
بفتح النون وميم مكسورة تليها را مهملة التابعي الصدوق الثقة القاضي
المدني وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله لما وقع له في حديث الاسراء من الاوهام
الاربعة التي اشار اليها المص رحمه الله وقيل انها ثمانية وتوفي سنة اربعين
ومائة وله ترجمة في الميزان فقد ذكر في اوله اي ذكر شريك رحمه الله في اول
حديث انس رضي الله عنه مجيء الملك له اللام للتقوية لانه جا متعد بنفسه وشق
صدره عليه الصلاة والسلام وغسله بماء زمزم وقد تقدم انه بالثلج

وفي رواية بماء الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه
تزيد على العشرة منها ما في سنده فان قتادة رحمه الله رواه عن انس رضي الله
عنه عن مالك بن صعصعة والزهري رحمه الله عن انس رضي الله عنه عن ابي
ذر رضي الله عنه وشريك جعله عن انس رضي الله عنه من غير واسطة وخالف
سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتاخير وقد نبه على ذلك مسلم
رحمه الله في صحيحه وما ذكره المص انتصر له في جزء مستقل الفه فيه قال تعليل حديثه
بتفرده به ودعوى ابن حزم ان الافة من شريك اذا لم يسبق اليه لا تقبل فان ايمة
الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه وقالوا لا باس به وحدث عنه مالك
رحمه الله وغيره من الثقاة وحديثه اذا رواه عنه ثقة لا ضعيف لا باس به وقد
روى عنه سليمان بن هلال رحمه الله وهو ثقة وتفرده بقوله الاتي وذلك قبل
ان يوحى اليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع لا يقتضي رد جميع ما روى
ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله اراد ان يقول بعد ان اوحي اليه فقال قبله
انتهى وقد سبق ابن حزم الى هذا الخطابي رحمه الله وقال النسايي رحمه الله انه
ليس بالقوي وكان بعضهم لا يحدث عنه وقال محمد بن سعد وابو داود انه ثقة
والحاصل انه اختلف فيه فيعد ما انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره في مواضع
من هذا الحديث منها امكنة الانبيا عليهم الصلوة والسلام وكون المعراج
قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انها فيها او في السادسة
وفي نهري النيل والفرات وكون اصلها في سماء الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون
شق الصدر عند الاسراء وكون الكوثر في السماء الدنيا وهو في الجنة ونسبة
الدنو والتدلي الى الله وهو لجبريل عليه الصلوة والسلام وكون مراجعته صلى الله
عليه وسلم في سؤال التخفيف عند الخامسة وفي قوله فعلا به الى الجبار وكونه
صلى الله عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفة في السند والمتن الذي
قال المص رحمه الله انه خلط فيها وقد اجيب عن بعضها وهذا اي المذكور من الشق
والغسل انما كان وهو صلى الله عليه وسلم صبي عند مرضعته حليمة رضي الله عنها
وقبل الوحي واتى بانما ورد القول شريك رحمه الله انه كان ليلة الاسراء واجيب عنه
بان الشق وقع مرارا مرة وهو عليه الصلوة والسلام طفل صغير يلعب مع الصبيان
لازالة حظ الشيطان معه كما مرو مرة وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين
لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة ليتثبت قلبه بالوحي وليلة الاسراء ليقوى
عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري وصحح هو والبرهان الحلبي
رحمه الله الاربعة الاول وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى
اليه اي شق صدره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وذكر قصة الاسراء فقال

سمعت انس بن مالك رضي الله عنه يقول ليلة الاسرا وجاءه ثلثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد ثم لم يرهم صلى الله عليه وسلم حتى اتوه ليلة اخرى الى اخره وقد اجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لا بليالي فلا خطا فيه ولا خلاف فانها اي ليلة الاسراء كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا هذا اشارة الى الخلاف في سنة الاسراء وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا ان يقال هذا الاسراء كان مناما غير هذا كالذي روي عن عايشة رضي الله عنها انه كان بالمدينة فانه مناما ايضا قال ابن المنير رحمه الله في الاقتصار رجح القاضي عياض رحمه الله انه كان قبل الهجرة بخمس سنين والابرح عليه ان خديجة رضي الله عنها كانت تصلي معه وقد اختلف في مدة وفاتها قبل الهجرة على اقوال اقلها انها بثلاث سنين والصلوة لم تفرض الا في الاسراء لان هذه الصلوة غير المفروضة كالتي صلاها في بيت المقدس وصحح ابن المنير رحمه الله عنه الاول لان قول غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربي رحمه الله لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة معينة واذا تعارض خبران احدهما احاط بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان راويه احفظ واوعى قلبا كقول الفقها ان الشهادة المورخة تقدم وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قال ابن المنير رحمه الله وكان مقدمه صلى الله عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثاني عشر قبل الضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثاني عشر الاثنين كان اوله الخميس واول شهر الاسراء السبت والاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنين متواليتين اما ثلثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم الوقفة التي قبلها او رابعه او سادسه واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على اقل الاحتمالات اول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين واول الاخر منه الاربعا بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله عليه وسلم ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة لادم عليه الصلوة والسلام فانه فيه خلق ونزل الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسراء قبل الهجرة سنة وقبل بسنة ونصف وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين واختلف في شهره فقيل انه شهر

ربيع

ربيع الاول وقيل الاخر وقيل رجب وقبل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة
374 وقيل بعد ليلة سبع وعشرين او سبع عشر او اثنى عشر ليلة الاثنين او الجمعة وفي الهدي النبوي ان ابن تيمية رحمه الله سيل هل ليلة الاسراء افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القائل ان ليلة الاسراء افضل ان اراد انها ونظايرها من كل عام افضل فلا وجه له وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له صلى الله عليه وسلم فيها ما لم يحصل له في غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ان ما انعم الله به عليه صلى الله عليه وسلم افضل من انزال القران وهو يحتاج الى علم بحقايق تلك الامور انتهى وقد روى ثابت عن انس رضي الله عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا اي كما روى عنه قصة الاسراء مجي جبريل بالنصب مفعول روى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظيره بكسر الظا المثالة وسكون الهمزة والراء المهملة والها وهي المرضعة التي ليست بام وهي حليمة السعدية وشقه مصدر منصوب معطوف على مجي قلبه مفعول الشق تلك القصة بدل من مجي بدل اشتمال وفي نسخة بتلك اي معها منفردة من حديث الاسراء وفي نسخة منفردة وهو منصوب على الحال كما رواه الناس غير شريك وهم اكثر الحفاظ المحدثين فجود ضبطه اي هذا الراوي ما لمميزين القصتين كما اشار اليه بقوله في القصتين اي قصة الاسراء وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احداهما بالاخرى وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة لا قصتان كما في رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله عليه وسلم الى السما معراجا اخر وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك اي صعد به الى السما من البيت المقدس لانه ارفع مكانا في الارض فازاح بزاي معجمة والف وحا مهملة اي ازال واذهب كل اشكال اي مشكل ووهم اي اوقعه في ذهن الناس ووهم غيره اي غير ثابت كشريك الذي وقع في روايته الوهم والتخليط السابق بيانه وقد روى يونس بن يزيد الايلي العرسي وفي يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته وهو يروي عن الزهري ونافع وتوفي بمصر سنة تسع وخمسين ومائة عن ابن شهاب محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زيد بن مرة الزهري التابعي رحمه الله لقي عشرة من الصحابة توفي ليلة الثلاثا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب واوصى ان يدفن على قارعة الطريق ليدعو له المار وكان احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا للمتون الاحاديث فقيها فاضلا كاملا عن انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته قال كان ابو ذر الصحابي الغفاري يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي بضم الفاء وكسر الراء اي شق ورفع جانب منه حتى صار مكشوفا لينزل منه الملك المرسل اليه ولم ياته من الباب وقد قال تعالى واتوا

البيوت من ابوابها قال ابن المنير تنبيها على المبالغة في المفاجاة وان استدعاه للكرامة
كان بداء من غير ميعاد وقيل انه ليتيقن كونهم ملائكة او هو تمهيد لشق صدره صلى الله
عليه وسلم والتامه من غير تالم لسبق الشق كما تقدم قيل وكان خلفا بني العباس ان
انصبوا خليفة نقبوا احدا له واخرجوه منه تنويها بامره وانه لم يكن يطلب منه والبيت
لام هاني واضافة اليه لادني ملابسته وروي انه كان بالحطيم وروي ببطحا مكة
فان كان مرارا فظاهر والا يحتاج للجمع فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ففرج صدري
بفتح الفا والراء وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال فيه
ثم غسله اي صدري من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب تقدم بيانه وما فيه
ممتلي حكمة وايمانا تقدم تفسيره وانه بناء على التجوز اي ملي نورا ينشوء عنه
ما ذكرا وانه تعالى قادر على تجسيم المعاني والاعراض كما قيل في وزن الاعمال
وذكر الطست وان كانت مؤنثة لتاويلها بالانا فان كان قوله فافرغها
ضميره للطست رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغت الانا وفرغته
تفريغا اذا اصببت ما فيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها اولانه
عطف تفسير ثم اطبقه اي الصدر اي اعاده محله اشارة الى ان شقه والتيامه
بغير الة وقيل شق بمنقار الملك وخيط بمخيط لما ورد كنت ادي اثر المخيط
في صدري فائدة قال ابن الجوزي في كتاب الوفا بعد ما ذكر حديث ولدت مختونا
ولم ير احد سوأتي فان قيل فلم لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى شق
صدره واخرج قلبه قلت قال ابن عقيل لان الله سبحانه اخفى ادون التطهير من
التي جرت العادة ان تفعله القابلة والطبيب واظهر اشرفهما وهو القلب واظهر
اثار التجلي والعناية بالعصمة في طرقات الوحي ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السما
فذكر القصة بتمامها واخذه بيده يحتمل انه على حقيقة وان تكون كناية عن جعله
شارعا في العروج وروى قتادة بن دعامة ابو الخطاب السدوسي الضرير
اعلم الناس بالفقه والقران والحديث توفي سنة سبع عشرة ومائة وعمره
ست وخمسون بواسط ونسب للتدليس وليس كذلك الحديث مفعول روى
بمثله اي بمثل الرواية المذكورة عن انس عن مالك بن صعصعة الخزرجي
المازني روى له البخاري واصحاب السنن حديث الاسراء وله وروى خمسة احاديث
وفيها اي في رواية قتادة المفهومة من قوله روى تقديم وتاخير وزيادة ونقص
عن غيرها من الروايات وخلاف في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت
على متن اتقن واجود اي اكثر اتقانا وجودة منها في الروايات ولذا اختاره
المص خلافا للنووي اذ رجح رواية قتادة كما عرفت وقد وقعت في حديث
الاسراء زيادات من الرواة في بعض طرقه نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا

من اليف

من اليف هذا الكتاب وايراد حديث الاسراء النكت بضم النون وفتح الكاف والتا
المثناة جمع نكتة وهي ما ينكت من الارض وما يكون في الكون مما يخالفه كالنقطة 375
فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر اما لمخالفته لغيره او لكون الفكر يحيط في الارض
وشاع حتى صار حقيقة عرفية في ذلك وقد يجمع على نكات ايضا منها اي من النكت
المفيدة في حديث ابن شهاب الزهري الذي تقدم انفا ومنها خبر مقدم وفي حديث الخ
صفة مبتدا مقدر وجاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور بمن
قبله لان المعنى من النكت الخ ومثله جائز قياسا مطردا وفيه اي في حديث ابن شهاب
ولو حذف قوله وفيه كما وقع في بعض النسخ كان احسن والضمير في فيه راجع لحديث
الاسرا قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم فقالا له
والابن الصالح فانه ليس كل نبي من اجداده وفي عمود نسبه لكنه جار منهم على سبيل
الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره يا ولدي وفي غير
هذه الرواية منهم من قال الابن الصالح ومنهم من قال الاخ الصالح وقد تقدم
انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له صلى الله عليه وسلم وفي وصفه
بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبي العظيم
مثلا الا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات لانه بمعنى الجدير لكل خير
كما قاله السبكي فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف
النبي به بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا وان كان في العرف لا يمدح الكامل
لان الصلاحية لشيء لا يقتضي الاتصاف به بالفعل ولذا قال ابن المنير رحمه الله
ان الله اطلق على كثير من الانبيا صالحا ولا يصح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح
لانه يوهم التسوية بينهم وبين احاد الامم كما انه لا يجوز ان يقال لنبينا صلى الله
عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظيم والتجبر وان كان كذلك
في نفس الامر انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة
لا الموصوف كما في شرح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا في مقام
ومن قائل وذما في غيره كصالح ومبارك وفيه من طريق البخاري لسنده عن ابن
عباس رضي الله عنه ثم عرج بي حتى ظهرت اي علوت وصعدت كما في قوله والشمس
في حجرتها لم تظهر اي لم تعل وبعدت كقوله وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
وفي نسخة ثم انطلق بي حتى ظهرت بمستوى بضم الميم وفتح الواو والبا بمعنى في او على
وهو اسم مكان عال او وسط او واسع منبسط اسمع فيه اي المستوى صريف
الاقلام الصريف بصاد وراء مهملتين وفا كالصرير وهو صوت حركة الاقلام
والمراد صوت القلم على الورق اي انتهى صلى الله عليه وسلم الى محل سمع فيه
صريرا قلام الملائكة الكتبة وهي تكتب ما تنقله من اللوح او ما يؤمر

بكتابته من الوحي وغيره فالاقدام على ظاهرها قيل ويحتمل ان الجمع للتعظيم وهو
صريح في ان للوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تاوله ونحن نؤمنه بانه على ظاهره
وحقيقته ويجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب لان مثله لا يسمع
من بعيد وروى لمنتهى بدل لمستوى قال التوربشتي بمعنى انه بلغ من الرفعة لمقام اطلع
فيه على التكوين وما يراد ويؤمر به من تدبير الله عز وجل وهذا منتهى لا يرام ولا تصل اليه
الافهام ولا ينطق فيه غير صرير الاقلام وعن انس فيما رواه عنه الشيخان ثم انطلق
بي بالبنا للفاعل والضمير فيه لجبريل عليه الصلوة والسلام او بالبنا للمجهول حتى
اتيت سدرة المنتهى تقدم معناه فغشيها الوان لا ادري ما هي لكونها ليست مما تشبه
الوان غيرها في الحسن ولان شدة نورها يمنع تحقيقها قال صلى الله عليه وسلم
ثم ادخلت الجنة وهذا يدل على انها موجودة الان وانها في السماء وهو الذي نعتقده
بلا شبهة وفي حديث مالك بن صعصعه فلما جاوزته اي فارقته وقد تم لي
ما تم وفسر ضمير المفعول بقوله يعني موسى عليه الصلوة والسلام بكا لحزنه اذ لم
ينل هو وامته ما ناله صلى الله عليه وسلم لا منافسة وحسدا لتنزههم عن مثله
فنودي اي ناداه الله او الملك وقال له ما يبكيك قال رب هذا يدل على الاول
بحسب الظاهر هذا غلام اطلاقه هنا عليه وهو اذ ذاك كهل وشيخ لانه في نحو
الخمسين اما لانه الاسن منه او لانه في الزمن الاول يعد مثله غلاما وقال ابن قرقول
معناه القوي وهو غير قوي بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل
من امتي لما علم عموم دعوته صلى الله عليه وسلم وتابيد رسالته علم كثرة امته
وقد ورد انه يراهم في عرض المحشر اضعاف الامم وقد جوز كون بكائه غبطة وهي
غير مذمومة كالحسد بل هو ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من كثرة
امته في الجنة فضيلته على غيره لانه لازم بين واما كونه على قلة امته فليس بشيء
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه في الاسرا الذي رواه البيهقي وغيره وقد رايتني
بضم التا ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من الاسرا يقظة
الا انهم قالوا لا يتعدى عامل الضمير والفاعل ضمير مثله الا في افعال القلب وما حمل
عليها كفقد واجيب بانها لمشابهتها لراى العلمية لفظا ومعنى لانها جهة ادراك اجازوا
فيها ذلك وقد سمع كقول عايشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان الما والتمر وقول الحماسي ولقد اراني للرماح
دريئة من عن شمالي تارة وامامي في جماعة من الانبيا اي بينهم او معهم فحانت
الصلوة بالحا المهملة اي دخل وقتها وجا حينها لا بمعنى دنت وقربت كما قيل الا انه
مجاز قامت القرينة على خلافه وهذه الصلاة قيل انها العشا لان الاسرا يكون
في اول الليل كما هو الظاهر لانها كانت مفروضة على بعض الانبيا كما رواه المحدثون

واختار

واختار النووي قالوا وهذا كان بارواحهم ممثلة او باجسادهم لانهم احياء ثم هذا ان كان
376 بعد الاسرا فهي الصلوة المفروضة لان المعراج تعدد كما سياتي تفصيله والا فهي نفل
وليس المراد بالصلاة الدعا كما قيل لان قوله فاممتهم اي صليت معهم جماعة وانا امام
لهم يا باه ظاهرا فقال قائل قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام يا محمد هذا مالك
خازن النار اي الموكل بها وباهلها فسلم مالك عليه اي على القايل وسلم جبريل
على مالك وهو الظاهر ويحتمل ان جبريل امره عليه الصلوة والسلام على مالك
فالتفت اي مالك فبداني بالسلام عليه والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره
ولو بعنقه وانما بداه بالسلام لانه قادم وليعظمه ويعلمه بامنه منه لتامين الله
له لان السلام امان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملائكة العذاب وهم
مهولة جدا وفي الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه احد من الملائكة
الا ضاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ما ورد انه
صلى الله عليه وسلم يتبسم في صلاته فسئل عن ذلك فقال رايت مالكا راجعا من طلب
القوم وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت واجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ
خلقت النار الا هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل
ان يكون بصورته الاصلية وبغيرها وفي فتاوى النووي هذه الصلاة يحتمل ان يكون
بعد صعوده صلى الله عليه وسلم للسما ويحتمل ان يكون بعدها والظاهر الاول
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار اي جبريل عليه الصلوة والسلام حتى اتى الى
بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لا لان
الفرس يطلق على مقابل الماشي سوا كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا وقد ورد تسميته
البراق فرسا في حديث المعراج في رواية اخرى انه اتى بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون
جبريل ركب فرسا معه كما جاء في قصة مقاتلة الملائكة معه بعيد والمراد بالصخرة
صخرة بيت المقدس التي كانت قبله قال البرقي في غريب الموطا انها من غرايب الدنيا فان جميع
المياه تخرج من تحتها وهي صخرة صما في وسط المسجد الاقصى كجبل بين السما والارض معلقة
لا يمسكها الا الله وفي اعلاها موضع قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
ركب البراق ليلة الاسراء فمالت من تلك الجهة من هيبته وفي الجهة الاخرى اثر اصابع
الملائكة التي امسكتها اذ مالت ولذا كانت بعضها ابعد من الارض من بعض وتحتها غار
عليه باب يفتح لمن يدخله للصلوة والدعا وعدى ربط بالى لتضمينه معنى ضم او الى
بمعنى الباء او عند كقوله انتهى الى من الرحيق السلسل فصلى اي جبريل عليه الصلوة
والسلام وقيل النبي صلى الله عليه وسلم مع الملائكة لما وجدهم يصلون ثم فلما
قضيت الصلوة اي تمت وفرغوا منها وقضي مبني للمجهول نائب فاعل الصلوة وتاء ساكنة
للتانيث وضبط في الشرح الجديد بالبنا للفاعل وضم تاؤه على انه التفات وهو خلاف

الظاهر فان استدلوا لرواية فيها ونعمت قالوا يا جبريل من هذا معك خبر بعد خبرا وحالقاد
هنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والرسل لان نفي الاعم يستلزم نفي
الاخص وخاتم بكسر التا وفتحها بمعنى اخرهم كما مر وقوله في الحديث لا نبوة بعدي الا
ماشاء الله المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه الرواية كما مر ولا يرد عيسى عليه الصلوة
والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله عليه وسلم ولم يبنا بعده كما مر قالوا وقد ارسل
اليه قال نعم تقدم شرحه قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة هي
تحية ودعا بالبقا والسلامة فانه حيي واي بعض ومن زايدة او مبينة للضمير وجعله
الملائكة اخالهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله في ارضه استخلفه فيها لعمارة
الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى بل
لقصور الخلق عن التلقي بغير واسطة وتاؤه للمبالغة قال التلمساني لا يقال للسلطان
خليفة الله لان الله حي لا يغيب وانما الخليفة لمن يغيب او يعجز وانما يقال له خليفة فقط
انا تبع الشرع والسنة والا يقال له امير ثم لقوا ارواح الانبيا ببيت المقدس بعد انقضا
الصلوة او بعد العروج في مراتبهم في السما اي لقي الملائكة ارواح الانبياء وفي هذا دلالة
على تشكل الارواح وتمثلها في الملاء الاعلى على ما كانوا عليه في الدنيا من الرتبة وما تقدم
لم يضا يحتمل هنا فاثنوا على ربهم اي اثنى الملائكة على ربهم ان لاقوا ارواح الانبيا كما تقول
اذا رايت احدا من الصالحين الحمد لله الذي من علينا بلقايك الا ان اخر الحديث يدل على انهم
الانبيا عليهم الصلوة والسلام بدليل قوله الاتي كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي وقوله
وذكر كلام كل واحد منهم اي من الانبيا وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم
ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال
كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي فاقول الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين فيه مخالفة
لما ذكر في اول الحديث من الانبياء وهو من باب الابدال لا الزيادة الا ان يكون اقتصر هنا
على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحديث بنعم الله لا مدح والعالمين شامل للمسلمين
ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم والكافرين بامنهم من المسخ
والخسف والاستيصال وكافة للناس بيان لعموم رسالته فهو كما مر اما صفة مصدر
اي ارسالة كافة اي عامة كفهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني واسم فاعل
حال من اليا اي حال كوني كافا للناس فالتا للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على
صاحبها المجرور قول ضعيف بشيرا ونذيرا اي مبشرا بالخير لمن امن واتقى محذرا من كفر وعصى
وهو حال مترادفة او متداخلة جملا ولا على ما انعم به عليه ثم ثنى بما له من المنافع والفوائد
وانزل على القران فيه تبيان كل شيء سمى الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب
اللغة عام خصه العرف بالقلبة وهو مصدر صار بمعنى الفارق والمفرق اياته وانزاله
والتبيان بكسر التا كتلقان شان قياسه الفتح وهو جائز في غير القران وكونه مبينا لكل شيء

قال ما فرطنا في الكتاب من شيء يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا في بعض
واجمالا في بعض واحالة على الرسول عليه الصلوة والسلام اذ امر باتباعه وعلى الاجماع
بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين واتباع ايمة الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما في
الكشاف وغيره من التفاسير وجعل امتي خير امة كما قال كنتم خير امة اخرجت للناس
وفسره بقوله تامرون بالمعروف الاية وجعل امتي امة وسطا اي عدولا اخيارا جامعين
بين العلم والعمل وساير الصفات التي بين التفريط والافراط استعير من المكان المستوي
الجوانب لما ذكر وجعل امتي هي الاولون وهم الاخرون هم ضمير مبتداء ويفيد الحصر وليس
ضمير فصل لانه لو كان كذلك قال الاولين ومعنى اوليتهم سبقهم الناس في القيام من القبور
وفي الدخول الجنة وفصل القضا وتاخرهم باعتبار الوجود الخارجي وقد فسره بهذا في
حديث البخاري وهو قوله نحن الاولون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب قبلنا
وليس تفسيره لسبق السعادة في الازل كما قيل بواضح وشرح لي صدري اي وسعه بالعلم
والايمان والحكمة واليقين بحيث لا احزن على امر من امور الدنيا او شقه وملاه بانواع
كما مر ووضع عني وزري اي طهر قلبي من خط الشيطان وعصمني فلا ارتكب ما لا يرضي الله
ولذا قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فسوى بين ما تقدم وما تاخر
لعدم وقوعهما وخفف اعبا النبوة والتبليغ بافاضة ايا ديه علي فالجملتان في غاية
التناسب ورفع ذكري اي جعلني مذكورا في الملاء الاعلى وجعل اسمي طراز الجنان ومقرونا
مع اسمه على كل لسان وعلى المنار في كل اقامة واذان كما قال حسان رضي الله عنه وضم
الاله اسم النبي الى اسمه اذا قال في الخمس المؤذن اشهد وجعلني فاتحا للنبوة اذ خلق
روحي قبل الارواح ونباها قبل كل نبي فقال ابراهيم عليه الصلوة والسلام بهذا
اي بمجموع ما ذكر وبكل واحد منها لا بالاول فقط كما قيل فضلكم محمد اي زاد فضله
صلى الله عليه وسلم عليكم وقدم المعمول للحصر وقال هذا ابراهيم عليه الصلوة
والسلام خطابا للانبيا لما سمع مقالته صلى الله عليه وسلم ثم ذكر انه اي النبي
صلى الله عليه وسلم او جبريل فقوله عرج به مبني للفاعل او المفعول من السما الدنيا
ومن سما الى سماء كما تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه ابن عرفة
في جزيه وابو نعيم في الدلايل انتهى بجبريل عليه الصلوة والسلام اي وصل نهاية عروجه
او هو مبني للمفعول الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة وتقدم ان الاكثر على انها
في السابعة والجمع بينهما بان اصلها في السادسة وفروعها في السابعة الا انه قيل ان خروج
النيل والفرات من اصلها يقتضي انها في الارض وورد في حديث اخر ان الانهار اربعة هذان
وسيحان وجيحان وورد انها في الجنة قال ابن المنير رحمه الله فان قلت كيف انصبابها للارض
قلت يمكن ان يكون كالمطر فيفترق ثم يجتمع ويساق كل لمستقره ومجراه ويحتمل ان انصبابها
في نواحي الارض غايبة عنا شا بيب غزيرة متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها ما لم نقف

على مباديه الى الان قلت يشهد له قصة النيل وبهذا يجتمع بين كونها في السما والجنة في الارض
وقوله اليها ينتهى ما يعرج به من الارض بالبنا للمفعول اى ما تعرج به الملائكة عليهم الصلوة
والسلام من امور الارض للعرض على الله من امور عبده فيقبض منها بالبنا للمجهول والقاف
والضاد المعجمة قبلها باء موحدة مفتوحة كذا صححوه اى تقبضه الكتبة وتكتبه ومن للابتدا
والضمير للسدرة والمراد انه عندها يرفع اليهم واليها ينتهى ما يهبط من فوقها من العرش
بواسطة الملائكة المقربين فيقبض منها اى يوحى اليهم علمه ولو قيل ضمير منها للملائكة
للعلم بهم من السياق كان اظهر قال تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى اى امر عظيم لا يعلم كنهه
وظاهر السياق ان المراد بهذا امر الله ووحيه فكان عليه ان يبينه وقال ابن مسعود
رضى الله عنه فراش من ذهب اى على صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدرا اى غشيها
فراش والفراش معلوم وفى رواية ابى هريرة من طريق الربيع بن انس البكرى البصرى نزيل
خراسان التابعى الثقة يروى عن انس رضى الله عنه والرواية عنه مشهورة توفى سنة
تسع وثلاثين ومائة فقيل لى هذه سدرة المنتهى التى سمعت بها والظاهر ان القايل
جبريل عليه الصلوة والسلام ووقع فى بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما
دون اضافة كالاتى اى السدرة التى هى المنتهى منها ينتهى ويصل اليها كل احد من امتك
خلى بفتح المعجمة واللام المخففة اى مضى كقوله لك امة قد خلت وفى نسخة بضم الخا
وتشديد اللام المكسورة على سبيلك اى على طريقه ونسكك اى من مات من امتك مؤمنا
بك عرج بروحه مع الملائكة اليها فيقال هذا عبدك فلان بن فلان فيوتى له بصك
الامان وبهذا فسر قوله تعالى ان كتاب الابرار لفى عليين الاية وهى السدرة المنتهى يخرج
من اصلها اى عروقها الداخلة فى الارض انهار من ماء غير اسن اى لا يتغير طعمه ولونه
ورايحته اصلا وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفى التغير فى الحال لان كثيرا
من انهار الدنيا كذلك وهذا مع عذوبته فان المياه العذبة هى القابلة للتغير ولذا كان
البحر المحيط بالدنيا مالحا على ما قرره ارباب الطبايع فى علم الحكمة وانهار من لبن لم يتغير
طعمه اى لم يحمض كغيره اذا مكث وانهار من خمر لذة للشاربين اى لذة سايغة ليس كخمر
الدنيا المرة المستكره شربها حتى على من ابتلى بشربها حتى قالوا اثقل من القدح الاول وانهار
من عسل مصفى من القذا والشمع وان لم تمسه نار لانه ليس رجيع النحل وفى الذباب
وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة للخلق بضم الميم
وكسر الظا المشالة وتشديد اللام المكسورة اسم فاعل من اظل مضاف للخلق والمراد
الجمع الكثير لا ساير الخلق لانه لا يصح هنا وهذا عبارة عن سعة ظلها فان قلت قد تقدم
انها كاذان الفيلة قلت اجيب بانه فى التشكل ومن قال التشبيه فى الكيل فيه ما فيه
فغشيها نور من الانوار الالهية وغشيتها الملائكة وهم نور مصور قابل للصور قال
فهو تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى اى فى تفسير هذه الاية على قول كما مر فقال الله تبارك

وتعالى

وتعالى ولا يخفى مناسبة هذه التمجيد هنا لان تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفايض
378 منه ولذا لا تسند هذه الصيغة لغيره والتعاطى العظمة والرفعة فى عظمة
الربوبية لا المحسوس فانه منزه عنه له اى لمحمد صلى الله عليه وسلم سل اصله
اسال فخفف وحذف المفعول للعموم اى سل كما تريد فقال انك اتخذت ابراهيم
خليلا اى اصطفيته وخصصته بالخلة وسيأتى تحقيقها والفرق بينها وبين
المحبة واعطيته ملكا عظيما قال ابن المنير الملك العظيم الذى ورثه ابراهيم
يحتمل انه ما اوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيرهم من ملوك بنى اسرائيل
من ذريته كما قال تعالى فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما
وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا او المراد قهره صلى الله عليه وسلم
لاعظم الملوك فى عصره كنمرود اذ الظاهر اعظم من المقهور وجا فى التفسير
ان الملك النبوة فان قلت كيف هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للاعرابى
خفف عليك فلست بملك وقال ابو سفيان للعباس رضى الله عنهما اذا وقفه
على كتايب الفتح فلم يرضها حتى مرت الكتيبة الخضرا التى فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانوا يسمونها الخضرا لكثرة الحديد فيها وهو عند العرب الخضر ولذا
قال ابن هانى وجنيتم ثمر الوقايع يانعا بالنصر من ورق الحديد الاخضر
وربما سموا الصيف بذلك بقوله فقال لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقال
لا تقل ملكا انما هو النبوة فلم يرض لتسميته صلى الله عليه وسلم ملكا قلت المنفى
الملك العرفى المذكور فى قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون عاما
ثم تعود ملكا واما الملك الحقيقى الدينى فليس بمنفى ومع هذا لا يجوز ان يطلق
على نبينا وابراهيم عليهما الصلوة والسلام انهما ملكان لان مقام النبوة اشرف
وعدمه فيه صلى الله عليه وسلم وفى ابائه من دلائل النبوة ولذا سال هرقل
هل كان فى ابائه من ملك وخرجت الخلافة عن اهل بيته لئلا يتوهم انه ملك
متوارث انتهى وبهذا يندفع ما بنى على الفقها فى تفسيلهم حكامه الحنفيا وقضا
سلطنة وكلمت موسى تكليما اى خصصته بكلامك له من غير واسطة حقيقة
كما يشير اليه التاكيد خلافا لمن انكره من المعتزلة كما بين فى الاصول واعطيت
داود ملكا عظيما اى ملكا شرعيا لا عرفيا وهو الخلافة العظمى حتى سخرت له
الطير والجبال والنت له الحديد بحيث كان فى يده كالعجين يتخذ منه الدرع
وسخرت له الجبال فكانت تسبح معه اذا سبح واعطيت سليمان ملكا عظيما
اذ ملكته الدنيا باسرها وسخرت له الجن والانس فكانت الجن تخدمه عليه
الصلوة والسلام فى بنايه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا
حتى خربه بخت نصر ونقل منه لمملكته بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه

لا يعصونه في شيء والشياطين وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدرر والجواهر ويعملون له ما يريد والرياح فكانت تجري بامره كما يشا وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده كان سال له من الله وهو ملك الانس والجن والرياح فملك ما فوق الارض وما تحتها وقد عرض هنا على نبيه صلى الله عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبدا لله وعلمت عيسى وهو صغير التوراة والانجيل الذي نزل عليه وحفظ التوراة وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانما هو حكم وحقايق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتورة وفي نسخ وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل وجعلته يبري الاكمه الذي ولد اعمى بدعائه صلى الله عليه وسلم ما سمك وقال التلمساني هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخاري عن قتادة ولا يعلم هنا في لغة والمعروف ما تقدم والذاهب البصر بعد الابصار اعمى والاكمه الذي سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر والذي اعترته ظلمة فغيبت بصره انتهى وفي كلامه تناقض فان المعنى الاخير هو عين ما انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو ثقة ليس منهما بالمجازفة في تفسير القران لا سيما وقد تابعه البخاري ومتابعته نعتمد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف اللغة والابرص وهو علة مزمنة لا يتيسر علاجها للحكما بها تبيض لون البدن ويصير قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجذام ولذا جوز الشافعي فسخ به النكاح واعذته اي حفظته واجرته وامه مريم من الشيطان الرجيم الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قال اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وسياتي في حديث مسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وامه وكذا نبينا عليه الصلوة والسلام لان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه صلى الله عليه وسلم ولد مشيرا الى السما ناظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذي مع كل احد حتى الانبيا عليهم الصلوة والسلام وفي هذا كلام في الكشاف وشروحه سياتي بيانه مع الكلام على الحديث فلم يكن له عليهما سبيل اذ حماهما وعصمهما منه فقال له ربه اي لمحمد صلى الله عليه وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق لها السابقون في الرسل عليهم الصلوة والسلام وقد اتخذتك حبيبا هذا في مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سياتي ولم يذكر ما يقابل ما بعده لانه معلوم اذ هو لم يرض الملك وقد خبا دعوته صلى الله عليه وسلم لما هو اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقران اعظم من التوراة والانجيل وابراء الاكمه ونحوه وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما ياتي وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وهذا من كلام الراوي كالشاهد لصحة الزيادة

المذكور

المذكورة وفي السبعيات للهمداني قال ثبت في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج ان اخلع نعلي فسمعت الندا من قبل الله تعالى يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يا رب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا ابا القاسم ادن مني لست عندي كموسى فان موسى كليمي وانت حبيبي انتهى وقد سيل الامام رضي القزويني عن وطء النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعاله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بان ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما الذي صح في الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما وراءها فلم يصح وانما ورد ذلك في اخبار ضعيفة او منكرة لا يعرج عليها انتهى وتابعوه على ذلك وقوله وارسلتك الى الناس كافة قد تقدم شرحه وكذا قوله وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون لسبقهم في دخول الجنة وتاخرهم وجودا والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم في القبور وعدم نسخ شريعتهم وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة هي كلام يقال على رؤس الاشهاد للاعلام بامر منهم وكان عادة العرب اذا اجتمعوا في ناد قام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا وتصالحوا وارادوا وعظا وليس في سوق عكاظ خطب مشهورة فجا الشرع على نهجهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع امر قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقي ذلك مشروعا في الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقا لوعظ الناس ونحوه حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي اي لا يعتد بخطبهم الا اذا اتوا فيها بكلمتي الشهادة لما ورد في الحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذما اي هي ناقصة لا بركة فيها وهذا يقتضي ان التشهد فيها ركن او شرط قيل وهذا لم يقل به احد من الفقها وايمتهم فان قيل المراد انه لا يصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة اي لا تصح الا خطبة المسلم المصدق بك والا فانه امة الدعوة فهو بعيد واجيب بان الشافعي وغيره اشترط في الخطبة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك ولا يخفى ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على مقدار تهليله وتسبيحه وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله لا بد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثني بها على الله ويصلي على نبيه عليه الصلوة والسلام ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة وما دون ذلك لا يسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعي والحديث شاهد له وجعلتك اول النبيين خلقا لانه خلق روحه قبل الارواح ثم خلق الارواح وبناه فهو اولهم خلقا ونبوة واخرهم بعثا وارسالا كما تقدم بيانه واعطيتك سبعا من المثاني اي الفاتحة لانها سبع ايات وهي تثنى وتكرر في كل ركعة او السبع الطوال البقرة وال عمران والنسا والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها او مع الانفال بناء على انهما سورة واحدة لعدم

البسملة بينهما التكرير المواعظ والعبر فيها ولم اعطها نبيا قبلك كما تقدم بيانه واعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي الكنز المال المدفون فشبه به ما في اللوح المحفوظ
مما لم يطلع عليه خلقه بجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قراها بماء
عظيم اخرج من ذلك الكنز الذي هو اللوح وفي الحديث من قراها كفتاه اي عن قيام الليل
او من الشيطان ويؤيده ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال
انزل الله علي ايتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق
بالفي عام من قراهما بعد العشاء مرتين كفتاه من شر الشيطان ولا يكون له عليه سلطان
قال التوربشتي المعنى انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الخ ونصره ولما قراهن صلى الله
عليه قيل له قد فعلت واوثر الاعطا لمناسبته الكنز لم اعطها نبيا قبلك اي لم يعط مثل
ثوابها احد قبله عليه الصلوة والسلام وجعلتك فاتحا وخاتما اي فاتحا لكل خير
وشريعة فهو اعم من قوله جعلتك النبيين خلقا واخرهم بعثا فمن شيء فقد قصر وفي الرواية
الاخرى التي رواها مسلم قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا من الفضائل
المخصوصة به صلى الله عليه وسلم اعطي الصلوات الخمس التي لم تجتمع لغيره وافرادا
ولا لنبي قبله فان الانبيا قبله كانت لهم صلوة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان صلى الله
عليه وسلم يصلي قبل الاسراء ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطي رحمه الله
في اخر الخصائص انه لم يكن فيها ركوع ولذا نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
وقد مر ذلك واعطي خواتيم سورة البقرة كما تقدم وغفر لمن لم يشرك بالله تعالى شيئا من امته
المقحمات بضم الميم وقاف وحا مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل من الاقحام وهو الالقا
والمراد الكبائر التي تلقي صاحبها في النار او المهلكات وهذا كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اي بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور
وقال اي ابن مسعود رضي الله عنه في الحديث الذي رواه ما كذب الفواد ما راى الايتين
هذا لفظ القران والقول عن راوية من الزيادة انما هو تفسير بقوله راى جبريل في صورته
الاصلية التي خلق عليها له ستمائة جناح لا في صورة تمثل بها فان الله اعطى الملائكة
قوة التشكل باي صورة اراد واو نقل الشمني عن السهيلي في قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله ابدل لجعفر رضي الله عنه بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شا ليس هنا كما
يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الادمية اشرف وانما هي عبارة عن قوة
روحانية ملكية اعطيها جعفر رضي الله عنه كما اعطي الملائكة فان اجنحتهم صفات
ملكية لا تدرك الا بالمعاينة لان قوله تعالى فيهم اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يدل
على ذلك اذ لا طاير باكثر من جناحين فكيف بستمائة كما في صفة جبريل عليه الصلوة
والسلام فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا اشبه
بكلام الفلاسفة والحشوية فاي مانع من ابقائه على ظاهره ويكون طيور الجنة ليس لها غير

جناحين

جناحين غيرها وردت الاحاديث صريحة في انها اجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة
كاجنحة الطواويس ولا ينكر هنا الا من ينكر الملائكة وكون جناحي جعفر رضي الله عنه
حقيقيين يؤيده كون ارواح الشهدا في جوف طيور خضر في الجنة فاي حاجة للتاويل
ومثله لا يليق بمثل الامام السهيلي وفي حديث شريك المتقدم مع ما فيه انه صلى الله
عليه وسلم راى موسى عليه وسلم في السابعة وهو مخالف لما مر انه في السادسة
ثم صعد الى السابعة فراه بعد رجوعه فيها قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او الراوي
على انه من كلام شريك فهو مدرج فيه بتفضيل كلام الله اي علو رتبته عليه الصلوة
والسلام وصعوده للسابعة لفضله على غيره بكونه كليم الله فالبا سببية وهو مضاف
للفاعل قال شريك في الحديث ثم علا به اي برسول الله عليه الصلوة والسلام
من السابعة فوق ذلك الاشارة للسما السابعة بما لا يعلمه الا الله اي مقدارا لا يعلم
محله وحقيقته وقيل نهايته وهو بدل من فوق والبا للاستعلا كما في قوله تامنه
بقنطار او بمعنى الى كما في قوله تعالى وقد احسن بي فكان مقامه صلى الله عليه وسلم
ارفع من مقام موسى عليه الصلوة والسلام ولذا عقبه بقوله فقال موسى اذ راى
رفعته صلى الله عليه وسلم لم اظن ان يرفع علي احد ومنشا ظنه تفرده بتكليم الله
وقد شاركه في ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على ساير الانبيا واعترض على هذا
بانه كيف يقول موسى عليه الصلوة والسلام هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور
في التوراة واللايق بالانبيا عليهم الصلوة والسلام التواضع وهذا مما يطعن به
في رواية شريك وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
صلى بالانبيا بيت المقدس اماما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسراء الذي فرضت
فيه الصلوة وان كان محتملا ايضا كما مر عن انس رضي الله عنه كما رواه البزار والبيهقي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل
عليه الصلوة والسلام اصله بين فاشبعت فتحته الفا وهو ظرف مضاف
للجملة مضمن معنى الشرط والعامل فيه اذ معنى المفاجاة اي وقعودي يوما فاجاني
فيه دخول جبريل او وقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق
الزمان وذات وزاد تزاد كثيرا كقوله دجل من ذي يمن فوكز اي ضرب مني باخفيفا كما
يفعله من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على ايقاظه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف
بين الكتفين وفي رواية بينا انا نايم وجمع بينهما بانه صلى الله عليه وسلم يجوز ان ينام
وهو قاعد ولذا وكزه ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفي بعض الشروح انه كان
ببيت المقدس فقمت معه من محل قعودي الى شجرة فيها مثل وكري الطاير مثنى وكر وهو
للطير كالبيت للانسان والجحر للحشرات والكناس للظبي كما بينه اهل اللغة اي بيتين
شبيهين بالعش وضعا وهيئة لا مقدارا لانه لا يسع الادمي ولو كان كبيرا في الطير

كالنسر والعقاب فقعدا جبريل عليه الصلوة والسلام في واحد وقعدت في الاخرى
قيل انه لانه كالعش يذكر ويونث والغالب على السنة اهل مكة تانيثه او هو لتا ويله
بالزاوية والطاقة ونحوهما وما قيل لانه ماوى اناث الطيور غالبا لا وجه له بالنسبة
والضمير للشجرة اي زادت وارتفعت حتى سدت الخافقين هما المشرق والمغرب
لخفوق الشمس والنجم فيهما اي غيابهما او حركتهما واصل معنى الخفوق الاضطراب
والحركة ولذا احسن قوله اما والله لولا خوف سخطك لهان على ما القى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا وليس هما سوى قلبي وقرطك وروى سمت بالسين
من السمو كالعلو لفظا ومعنى ولو شئت لعلوها وقربها لمست السماء بكسر
السين وفتحها ويروى لمسيت بسين واحدة من المسا وهو مخففة ونقد حركته
وانا اقلب طرفي تقليب طرفه بمعنى نظره في جوانبها لشامته صلى الله عليه وسلم
وعدم دهشته وتاملة في ايات الله في الافاق ونظرت جبريل اذ قلبت طرفي فوقع
عليه بجنابي كانه حلس بكسر الحا المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كسا رقيق
يوضع تحت القتب والبرذعة ويبسط في البيت لاطي اي لاصق بالارض والمراد انه
لما قرب من السما غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالارض من الغشي الذي هو فيه
والنبي صلى الله عليه وسلم متثبت لم يمسه روع كما غشي جبريل عليه الصلوة
والسلام ويقال فلان حلس بيته لمن لا يخرج منه قال ابو بكر رضي الله عنه كن حلس
بيتك حتى تاتيك يد خاطية او منية قاضية ولاطي بلام وطا مهملة مهموز بمعنى
لاصق كما في الصحاح وفي بعض النسخ حلس لاطيا بفتحتين ونصب لاطي وصح رواية
ولم يفسر وجملة كانه حال جبريل فعرفت فضل علمه بالله علي اي عرفت بما اعترى
جبريل عليه الصلوة والسلام من الخشية انه اعرف بالله مني لانه مقدار العلم
يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم لانه افضل منه
ورد بانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل والملائكة المقربون قد يعرفون
من احوال الملكوت ما لا يعرفه غيرهم وان كان افضل والقول بانه صلى الله عليه
وسلم قاله قبل العلم بتفضيله عليه لا ينا سب هنا وفتح لي باب السما ورايت
النور قيل هو نور العرش او الله تعالى لانه يسمى نورا كما قال الله تعالى الله نور السموات
والارض والحكما والمتكلمون جوزوه من غير تاويل قال الاشعري نور ليس كالانوار وقال
العراقي النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد
هنا كلام لا يصرح به ولط دون الحجاب وفي نسخة واذا دوني الحجاب ولط بضم
اللام وتشديد الطا المهملة مبني للمجهول يقال لططت الباب اذا اغلقته وكذا
اذا سترته يعني انه صلى الله عليه وسلم بعد ما شاهد النور ارخي بينه وبينه
حجاب ستره عنه وسياتي الحجاب وتاويله عن قريب وفرجه بضم الفا وفتح الرا

المهملة والجيم مضافا لضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وهي ما بين الشيئين من خلا
او بين اجزا شي مفتوحة اي فرج الحجاب المرخي وطاقة الذي يخرج منها نور الدر والياقوت
وهما نوعان من الجواهر معلومان ثم اوحى الله الي ما شا ان يوحي بالبنا للفاعل والمفعول
وحديث انس هنا سقط من بعض النسخ وذكر البزاز بفتح الموحدة وتشديد الزاي المعجمة
والفعل مهملة نسب لعمل البزر وهو بزر الكتان الذي يستخرج منه السليط وبالذال
المعجمة كل بزر يبذر للزراعة وهذا هو احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند
الكبير المعلل توفي بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين وترجمته مشهورة وهو ثقة
حافظ واعلم ان البزار كذا هو في اكثر النسخ قال البرهان الحلبي وفي نسخة بخط الحافظ
مغلطاي البزاز بزاي معجمة اخره وفي صحتها نظر والمعروف انه براي مهملة اخره عن علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم اي يعرفه
الاذان الذي شرع له للاعلام بدخول وقت الصلوة جاه جبريل بدابة يقال لها البراق
وظاهر سياقه ان هذا معراج اخر غير الذي كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا بعد فان الاذان
كان بالمدينة وسياقه ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسياتي ما فيه
فذهب يركبها اي شرع في الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب
بمعنى المضي فقوله ذهب يقول كذا اي شرع في مقاله وقوله فاستصعبت تلك الدابة
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه
وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج
ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا الملك
قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ
خلقت قبل ساعتي هذه تقدم شرحه فلا نكرره وتانيث البراق لغة او ماول
بدابة وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلي رضي الله عنه وفي سنده زياد بن
المنذر وقد قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف ومال التميمي لصحته وذكر
الحجاب وسياتي بيانه فقال الملك الذي خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل
عليه الصلوة والسلام الله اكبر الله اكبر الى اخر الاذان واجابة المؤذن
بما يليق برب العزة فلذا شرع لنا ذلك بما اينا سبحا لنا على ما عرف في كتب الفقه
والسنة فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك
اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله انا الله
لا اله الا انا وذكر الراوي مثل هذا الذي ذكر قولا وجوابا للمؤذن مثل هنا في بقية
الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح لانه لا يتصور
في حقه معناه ولان جوابه لا حول ولا قوة الا بالله اي لا يقدرنا على الصلوة
والسعي لها وادا حقوقها الا من هو له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ما قبله

وقال اي الراوي ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه على من كان بحضرته من الانبيا عليهم الصلوة والسلام فام اي صار اماما يومهم اهل السما حالة كونهم فيهم ادم ونوح عليهما الصلوة والسلام خصهما بالذكر لانهما ابوا الانبيا الجسماني كما انه ابوهم الروحاني المتقدم عليهم تقدما حقيقيا ومعنى حي قبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضي منذر بن سعيد والعرب تريد بها جئ سريعا حثيثا لا كما يقول الفقها مطيعا وفي حي لغات مذكورة في كتب العربية واللغة واصلها حي هلا ثم قد تفرد حي وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال فلح الرجل اذا اصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقا والمعنى اقبلوا على البقا في الجنة قال ابو جعفر محمد بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو ابو جعفر الامام المشهور في ال الرسول واهل بيته راويه اي راوي هذا الحديث الذي رواه عن ابيه عن جده اكمل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الشرف والعلو على اهل السموات واهل الارض اما على اهل الارض فلانه صلى الله عليه وسلم اشرف الرسل وامته اشرف الامم واما على السما فلانه صلى الله عليه وسلم اشرف من ساير الملايكة بدليل انه امهم وتقدم عليهم كما تدل عليه الاحاديث المذكورة بقيها هنا ان ما ذكر يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسراء قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلوة الى ان هاجر الى المدينة وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما الصحيح المذكور في الصحيحين قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلوة ليس ينادي لها فتكلموا في ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا مثل بوق اليهود فقال عمر رضي الله عنه اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فنادي بالصلاة وفي حديث ابي اسحاق زيادة على ما ذكر فبينما هم على ذلك اذ سمع عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي الندا فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد طاف بي الليلة طايف مر بي رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع هذا الناقوس فقال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلوة قال ولا ادلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله اكبر الله اكبر الى اخره فلما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها رويا حق فقم لبلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك فلما اذن بلال رضي الله عنه عمر رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رايت مثل الذي راى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله وفي وسيط الغزالي انه راى هذه الرويا بضعة عشر رجلا وانكره النووي كابن الصلاح وقال لم يثبت الا رويا زيد وعمر رضي الله عنهما فهذا يدل على ان الاذان انما روي بالمدينة وما ذكرهنا يدل على انه بمكة في الاسراء وهما متعارضان الا ان الثاني صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله قول القرطبي انه لا يلزم من رويته

في الاسراء مشروعيته في حقه فيه انه يا باه قوله في الحديث اراد ان يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وقول الطبري يحمل الاذان في الاسراء على معناه اللغوي يا باه ذكره بالفاظه بعينها وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم راه في الاسراء ولم يؤمر بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين واخره الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لما راوا ذلك اظهره ليكون مدحه على لسان غيره في غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حتى قدم المدينة اقول هنا كله كلام مضطرب والذي ظهر لي في التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه ان المذكور في رواية البزار اسراء غير المعروف وانه بروحه او في رؤياه لان الاسراء تعدد فيكون راى في منامه ذلك ورؤيا الانبيا وحي وعقب ذلك قص عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم روياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح من غيره وليسروا بموافقتهم رايهم وكون ذلك ما يؤثر عنهم والا فهو فرض كفاية مشروع ومباح لا يثبت برؤيا غيره فيحتاج الى انه اجتهد بما يوافق الرؤيا وهو خلاف وهذا ان شا الله من بركاته ولمعات مشكاته ثم ان المصنف رحمه الله استشعر اعتراضا من الحديث الذي ذكر فيه الحجاب وهو في حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز فاراد دفعه بقوله قال القاضي ابو الفضل عياض مولفه هذا الكتاب رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق اي لا في حق الخالق زاد الفا في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جايز وكذا ما ورد في الحديث حجابه النور اذ الحجاب بمعنى المنع والحجاب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب فيقتضي تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطا الله رحمه الله كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي اظهر كل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو اظهر من كل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الواحد الذي ليس معه شي فهم اي الخلق المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه لما سياتي ولذا علا علي كرم الله وجهه بالدرة من قال لا والذي احتجب بسبعة اطباق وقال ويحك يا لكع ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك في حقه فقال اذ الحجب بضمتين جمع حجاب وبفتح فسكون مصدر انما تحيط بمقدر محسوس اي بذي مقدار له طول وعرض وعمق في جهة تحس بتوجه الناظر فتقتضي الجهة وهو منزه عن ذلك ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصايرهم جمع بصيرة وهي القوة المدركة لغير المحسوس من العقل ونحوه فلا تحيط به ابصارهم اي لا تدرك ادراك احاطة بذاته لاقتضائه التحديد والتناهي ونحوه مما هو منزه عنه كما فسر به قوله لا تدركه الابصار كما ذكره البيضاوي ردا على من انكر الروية واستدل بهذه الاية ويأتي الكلام عليها ولا تدركه بصايرهم والمراد بالادراك العلم اي لا تعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما يقينيا وحجبه عن ادراكاتهم اي انواع العلم والادراك مغطاة عن ادراك ذاته فلا روية ولا تصور ولا اكتناه في غير اوانه بما شا وكيف شا ومتى شا

متعلق بحجب اى منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته ليس بحجاب كحجاب البشر بل
بسبب ارادة وكيفية لا يدركها في اى زمان اراده وفيه ايماء الى ان رؤية الله في الدنيا
ممكنة وفي الاخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح بل واقعة للانبياء
عليهم الصلوة والسلام ومن امسك ذ بل حقيقتهم كقوله اى كقول الله في الكفار كلا انهم
عن ربهم اى ان الكفار يومئذ اى يوم القيمة منه وفي الاخرة اذ تنعم المؤمنون برؤيته
ورضوانه لمحجوبون وقال كقوله بالكاف لان المدعى عام وهذا خاص بالكفار ولكن
فيه اثبات لمدعاه اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله فان قلت الحجب امر بشيء لا بد من تعلقه
بالطرفين فليلزمك ما فررت منه قلت نعم هو بشيء ولكن بين حاجب ومحجوب والحاجب
سبحات الانوار وستاير العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز
ان يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره ومثاله خفرة عميقة فيها
نمل على راسها انسان حديد البصر فالنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لا يروى من فوقها
وهو يشاهده ويشاهد حركاته والحجاب للمشهود لا للشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب
ونحوه عليه لوروده لهذا المعنى مطلقا او مقيدا اى ايهام ما سمع من الشارع لا يلتفت
اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير في القران والحديث فقوله في هذا
الحديث الحجاب بالجر على حكاية الحجاب او الرفع وقوله اذ خرج ملك من الحجاب اراد
ملك الاذان الذي سال عنه رسول الله عليه الصلوة والسلام جبريل يجيبه بقوله
في تفسير معناه انه حجاب يحجب به الله تعالى من وراه من ملائكته عن الاطلاع بكسر
الطا المشددة اى رؤيتهم متعلق بحجب على ما دونه اى ما خلفه ووراه من جانب
للغيب وباطنه فهو الباطن والظاهر من سلطانه الظاهر انه اراد به ما بقبضة
قدرته عند تصرفه مما لا يطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم الا باذنه نادرا وعظمته
وعجايب ملكوته ومما لا يدرك من ذلك والمراد بالملكوت عالم الغيب اى ما غيب
عن الملائكة وجبروته وهو يطلق على القهر وعلى عظايم الملكوت وغرايبه مما
احتجب عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همز قال الحلبي وهو مهموز في بعض النسخ
وهو لحن ويدل عليه اى يدل على ان الحجاب لغيره لا لذاته من الحديث قوله جبريل له
صلى الله عليه وسلم عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رايته منذ
خلقت قبل ساعتي هذه فانه صريح في ان الحجاب انما حجب الخلق قال جبريل قد حجبه الله
عما في سرادق جلاله وخلف حيطة عظيمة فدل على ان هذا الحجاب المذكور في الحديث
لم يختص بالذات اى لم تختص محجوبيته بذاته تعالى اذ حجب بعض الملائكة ايضا كملك
الاذان وبما فسرناه به علمت انه لا يتوهم ان المصرحه ان يقول يختص بغير الذات
لان نفي الاختصاص يقتضي المشاركة كما لا يخفى ويدل عليه اى عدم اختصاص الحجاب
بالذات كما مر قول كعب الاحبار في تفسير سدرة المنتهى اى في بيان سبب تسميتها به

قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم فهذا وجه

تسميتها به ومنه يعلم ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له وان المحجوب عنهم
ذاته وامره وملائكته المقربون وقوله يجيئون معناه يقيمون ويعلمونه واما قوله
في الحديث الذي يلي الرحمن لما كان ظاهره انه حايل بينه وبين غيره اشار الى تاويله
بقوله فيحمل اى يفسر بانه على حذف المضاف الذي يلي عرش الرحمن فالمضاف المقدر
لفظ امر او امرا ما زيادة ما للعموم او التعظيم اى يلي امر الرحمن من عظيم اياته من بيانيه
لايضاح ما ابهم اولا وهو او قع في النفوس لحصوله بعد التشوق اليه من مبادى
حقايق معارفه اى امر يكون مبدا لما يتحقق به معرفة الله مما هو اى الله تعالى اعلم به
من رسله وملائكته عليهم الصلوة والسلام كما قال تعالى واسال القرية التي كنا
فيها اى اهلها اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير بليغ لان القرية
لا تسال وانما يسال اهلها وقوله تعالى في حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله
اكبر من كل كبير فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي اى الملك القايل انا اكبر فظاهره
انه صلى الله عليه وسلم سمع في هذا الموطن اى المكان الذي كان قادا به كما يقر الانسان
في وطنه كلام الله من غير واسطة كما سمعه موسى صلى الله عليه وسلم ولكن من وراء
حجاب يحجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له وان كان النبي صلى الله
عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة فهو لا يراه ثم استدل على ذلك بقوله
كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اى وهو اى النبي
صلى الله عليه وسلم لا يراه اى لا يرى الله معاينة اذ حجب بصره اى بصر النبي صلى الله
عليه وسلم عن رؤيته اى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه في هذه الدنيا ولما
كان هنا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال لكن ان صح الحديث والقول بان محمدا صلى الله
عليه وسلم راى ربه عيانا حين اسري به فيحتمل انه في غير هذا الموطن الذي سمع
فيه الاذان بعد هذا الموطن والمقام او قبله رفع الحجاب عن بصره حين راه عيانا
في مقام اخر والله اعلم فصل في تحقيق الاسراء اعلم انهم اختلفوا في المعراج
والاسراء هل كانا في ليلة واحدة او ليلتين وهل كانا جميعا يقظة او مناما او بعضه
يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسراء كان مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه
وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسراء في اليقظة ايضا بل قيل انه اربع مرات
وبعضها كان بالمدينة ووفق ابو شامة رحمه الله بين الروايات بالتعدد وانه
وقع من مكة لبيت المقدس فقط على البراق ومرة من مكة الى السموات الى اخر ما فصله
وقال انه لبيت المقدس ثابت بنص القران والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسراء والمعراج
وان اولهما سيره للبيت المقدس والثاني صعوده منه للملا الاعلى وان كلا منهما يطلق
على الجميع واما حمل البدني على انه بطريق الانسان الذي ذهب اليه الصوفية فاخلج

للحديث عن ظاهره لمعنى لا ينبغي التعويل عليه وانما ذكرناه لننبهك عليه لئلا تغتر بكلام
بعض جهلة المتصوفة والحكماء ثم اختلف السلف والعلما من عطف العام على الخاص
والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلما من بعدهم هل كان اسراء بروحه او جسده
اسراء بالنصب خبر كان اى هل كان الاسراء اسرا الى اخره على ثلاث مقالات اى اختلافهم
وقع على ثلاثة اقوال للسلف والخلف ثم فسره وفصله بقوله فذهبت طائفة اى جماعة
ممن سيصرح به الى انه اى الاسرا اسرا بالروح وانه رويا منام عطف تفسير لا بدل كما
توهمه الدلجي وفي تفسير القاضي اختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده
وقوله بروحه او بجسده لف ونشر اى بروحه في المنام او بجسده مع روحه في اليقظة
وليس متعلقا بقوله في اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثاني كما سيأتي قال البرهان وبقي
قولان احدهما انه تعدد فمرة بجسده ومرة او مرات بروحه والثاني انا نقول بالاسرا ولا نعين
كونه يقظة او مناما كما في الهدي النبوي وهو غريب مع انهما قسم سلفا وخلفا على ان رويا
الانبيا حق ووحي لانهم عليهم الصلوة والسلام تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ولان الشيطان
لم يسلط عليهم فيتمثل لهم والوحي على انواع منها المنام الا انه على قسمين منه ما يقع بعينه
وهو الاكثر ولذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومنها ما يعبر
ويأول والى هذا ذهب معاوية ابن ابي سفيان بن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جرير وابن
اسحق وهو رضي الله تعالى عنه صحابي ابن صحابي توفي بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره
ثمان وسبعون او ست وثمانون وكان عنده ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورداوه وشيء من شعره وظفره فكفن برداه وحشي شعره وظفره بعينه ومنخره بوصية منه
رضي الله عنه وحكي عن الحسن البصري رحمه الله وحكي مبني للمفعول والمشهور عنه
اى عن الحسن خلافه اى له قولان اشهرهما انه كان يقظة واليه اى الى ما ذكر عن الحسن
اولا اشار محمد بن اسحق بن يسار صاحب المغازي وهو ثقة وان طعن فيه بعضهم وحجتهم
اى دليل القايلين بانه رويا منام قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا
فتنة للناس لانكار كثير منهم له وارتداد بعض ممن اسلم حين بلغهم ذلك لضعف
عقولهم وايمانهم ولا حجة في ذلك لان لها تفاسير اخر وفي بعض النسخ هنا وقيل
راها عام الحديبية اسم بئر مشهورة وياؤها مخففة وروئيت مشددة ايضا
كما سيأتي بيانه لانه صلى الله عليه وسلم راى انه هو واصحابه دخلوا مكة كما
قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق الخ فلما صدوا عن الدخول فتن
بعضهم فقيل لم يقل في هذا العام وقيل الاية في قصة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله
في منامك قليلا وقيل المراد بها رويا بني امية بنزو على منبره صلى الله عليه وسلم
ومما احتجوا به ما حكي عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي نسخة ما فقد بالبنا للمفعول وفي رواية لم تفقد جسد

ايضا

ايضا قال التلمساني وهي الاشبه بالصواب فهو لخبار منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ
زوجته بل يوجد انتهى وسيأتي الاشارة اليه في كلام المص مع انه صلى الله عليه
وسلم زوجات اخر فلا يلزم من عدم فقدها لذلك فقد غيرها وقيل ولا حجة
فيه ايضا لاحتمال انه تعالى اراد ان يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفي تقدم
على الاثبات ولا يخفى ما فيه من التكلف وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية بينا
انا نايم قال ابن المنير في المقتفى جنح هولاء الى القضا باظنوها بتخيل الاسرا يقظة من حيث
العقل وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادي ظنوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد
في بعض الروايات من التصريح بانه صلى الله عليه وسلم كان نائما فايقظه الملك
وقوله بين النائم واليقظان ليس بصريح بان النوم استمر بل كان مجي الملك اليه
صلى الله عليه وسلم وهو وسن وبا قدمنا ذلك يسقط النايم المستغرق
لا سيما الوسن واحتجوا على انه استمر بان المنام مصرح به فيما ورد في بعض الطرق
اى الاتية فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ورد عليهم بان المراد الافاقة البشرية
من الحيرة الملكية اى كما سيأتي بيانه وبالجملة فان صح النقل في الطرق وتعارضت
وتعذر التاويل حمل على التعدد وتنزيله على اسراات بعضها يقظة وبعضها مناما لا يقال
لو كان كذلك لما تكرر فرض الصلاة فانها انما فرضت دفعة قلنا فرضت في اليقظة
وجاء المنام بعد ذلك كالذكرى وتجديد العهد او تقدم المنام كالتقدمة والتعريض
بالفرض وبما سيكون ثم فرضت يقظة وكثيرا ما يرى النايم انه فعل فعلا كان فعله
قبل ويقع له ان الفعل المتقدم بعينه فيكون ذلك المعنى انتهى وقول انس رضي الله
عنه وهو نايم في المسجد الحرام وذكر القصة الواردة في حديث الاسراء الذي رواه
البخاري وهو يدل على انه كان مناما ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام
اى انتبهت من منامي فوجدتني به بهذه الحالة فانتفى كونه حجة كذلك وقد علمت ما فيه
وذهب معظم السلف والمسلمين عطف للعام على الخاص وفيه اشارة الى ان خلافه
لا ينبغي لمسلم اعتقاده الى انه اسراء بالجسد مع الروح وفي اليقظة المقابلة للنوم
وهي بفتح اليا والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة شعر كقول التهامي فالعيش نوم والمنية
يقظة والمرء بينهما خيال سار وبالتسكين علم كاليقظان وهذا هو الحق الذي
يقتضيه الاسلام اذ لا حاجة لصرف النصوص عن ظاهرها بغير داع ولو كان كذلك
لم ينكره احد من العقلاء وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة رضي الله
تعالى عنهم وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من اقوال في اسمه مشهور كما تقدم ومالك
ابن صعصعة الصحابي المدني كما تقدم وابي حبة البدري بفتح الحا المهملة بلا وفي ثم با موحدة
مشددة على الاصح وقيل انه بنون مشددة وقيل بمثناة تحتية مشددة ثم ها واسمه
عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت بن النعمان كما في الاستيعاب واختلف في ابي حبة

الانصارى وابى حيته البدرى هل هما واحد او اثنان على اختلاف فهم فى ضبطهم المتقدم وقوله
البدرى اى شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة رضى الله عنهم وقيل اسمه كنيته وابن
مسعود والضحاك وهو مزاحم البلخى المفسر المكنى بابى القاسم او ابى محمد يروى عن ابن عباس
وابى هريرة وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفى سنة خمس ومائة وقيل سنة ست واخرج له
اصحاب السنن الاربعة دون الشيخين وسعد بن جبير المشهور الوالبى ابو محمد اخرج له اصحاب
الكتب الستة وقتادة المتقدم ترجمته وسعيد بن المسيب بفتح اليا وكسرها كما تقدم
فى ترجمته وابن شهاب ابو بكر محمد بن عبيد الله بن شهاب الزهرى كما تقدم وابو زيد عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم وترجمته فى الميزان والحسن بن ابى الحسين البصرى كما تقدم وابراهيم
النخعى المتقدم ذكره ومسروق ابن الاجدع ابو عايشة الهمدانى احد الاعلام الذى
لم تخرج من همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان اعلم بالفتيا من شريح توفى سنة
ثلاث او اثنين وستين واخرج له اصحاب الكتب الستة والقب بمسروق لانه سرق
وهو صغير ثم وجد ومجاهد بن جبر المتقدم ترجمته وعكرمة بن عبد الله الامام المفسر
مولى ابن عباس رضى الله عنهما احد اوعية العلم الثقة وهو اباضى وسياتى بيان الاباضية
اخر الكتاب روى له الشيخان توفى سنة خمس او ست او سبع ومائة وترجمته مفصلة
فى الميزان وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته وهو دليل قول عايشة
رضى الله عنها فيقال كيف يكون الاسرا يقظة دليل قول عايشة ما فقدت جسده الشريف
الدال على انه مناما لا يقظة وهذا عجيب اذ ذكره فى المذهبين وجعل ما يبطله دليلا
عليه كما سياتى فهذا سهو منه بلا ريبة اقول لا شك انه وارد وان كلامه لا يخلو
من اشكال الا ان يقال انه سقط منه شىء واصله دليل على عدم صحة قول عايشة وانه
يثبت نقله عنها وقد يقال مراده انه دليل على قول عايشة قولا موافقا لما عليه اكثر الصحابة
وانها قايلة بانه يقظة كالجمهور كما سياتى فى كلامه فالمراد ابطال ما نقلوه عنها وهذا
وان كان مخالفا للظاهر لكنه اسهل من تغليط المصنف وهو الانسب بقوله وهو قول
محمد بن جرير الطبرى المتقدم ترجمته واحمد بن حنبل وجماعة عظمة اى كثيرة والعظيمة تطلق
بمعنى الكثرة كثيرا وان كان المعروف خلافه او المراد انهم ايمة مقدارهم جليل من المسلمين
وهذا قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين فعلى كثرة نقله ونسبته
الاخبار الصحيحة به لا يناسب مخالفة ام المومنين عنها فيه وقالت طائفة هنا هو
القول الثالث كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس فقط
ومنه الى السماء بالروح يعنى مناما ولا يخفى بعده اذ لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم نام
ثمة وهذه الحالة لا تناسب النوم ثمة وقوله واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى بيت المقدس وفى نسخة الى المسجد الاقصى وهى الموافقة للنظم الشريف
وهى صح عندى واعلم انهم فسروا العروج الروحانى بالمنام وليس بمتعين لانها قد تفارق

البدن بدونه وهذا مما اتفق عليه الحكما واهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه فجعل الى
المسجد الاقصى غاية الاسرا تفسير وتفصيل للاحتجاج لانه لما جعله غاية اقتضى انه لم يتجاوزه
الى السما ببدنه الشريف ولا حجة فيه لان كونه غاية لمسيره فى الارض لا ينافى صعوده لما يحاذيه
فى جهة العلو وما قيل من انه انما يتم اذا كان الاسرا مرة واحدة وعلى تقدير يكون غايته
ركوبه البراق ثم عرج منه الى السماء والحكمة فى عدم ذكره لها بيانه للسنة دون
الكتاب وهو ابلغ فى المدح انتهى ليس بشىء ولو قيل انه هو الذى انكروه وانه اكتفا باقل
ما تثبت به معجزته واقتصارا على ما تفهمه عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول ابن المنير
فى المقتفى ورد الاحتجاج بان الحكمة فى تخصيص المسجد الاقصى ان يسال قريش على سبيل الامتحان
عن الاعلام التى عرفوها والصفات التى شاهدوها فى بيت المقدس وقد علموا ان الرسول
صلى الله عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فيقوم الحجة
عليهم ولذلك وقع ولذا لم يسالوه صلى الله عليه وسلم عما راى فى السما اذ لا علم لهم
بذلك انتهى واقصى بمعنى ابعد لانه ابعد مسجد فى الارض واخر محل عبد الله فيه بحق
وقوله الذى وقع التعجب فيه ضمير فيه للاسراء اى وقع التعجب فى شانه لقطع مسافة
طويلة فى بعض ليلة والتعجب يفيده قوله سبحان لانه مصدر منصوب على المصدرية
ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بعظمته ثم شاع استعماله فى التعجب ووجهه مذكور
فى الكشاف وشروحه والتعجب من المعجزات لكونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب
منه وقد ورد استعماله فى حق الله وورد فى الحديث كقوله صلى الله عليه وسلم عجب
ربنا من كذا وهو من البشر لاستحالتها تعجبوا منه واستبعاده واشار الى المراد من تعجب الله
فقال تعظيم القدرة منصوب لانه مفعول له اى لتعظيم قدرة الله الباهرة المؤثرة
على وفق الارادة وفى نسخة تعظيم بالبا الجارة والتمدح بتشريفا النبى محمد صلى الله عليه
وسلم به اى بالاسراء والجار متعلق بتشريف ويجوز رفعهما بوقع اى وقع فيه تعظيم
القدرة والتمدح وكذا قوله واظهار الكرامة له صلى الله عليه وسلم بالاسرا اليه
اى الى المسجد الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع الضمير اعتنا به لانه من اجل كراماته
واعظم معجزاته قال هولا الذاهبون الى ان الاسراء بجسده صلى الله عليه وسلم
الى المسجد الاقصى وهم ارباب المذهب الثالث ولو كان الاسراء بجسده الى مكان ارفع
زايد على المسجد الاقصى لذكره الله تعالى فى القران نحو قصة الاسرا فيكون ذكره فيه ابلغ
فى المدح من عدم ذكره ثم اختلفت هذه الفرقتان الثانية والثالثة فى انه صلى الله عليه
وسلم هل صلى بيت المقدس حين اسرى به ام لا فقيل صلى به وام معادلة لهل وهو من
نوادر العربية سمع ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هل تزوجت
بكرا ام ثيبا وانكره بعض النحاة ففى حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته صلى الله
عليه وسلم بالانبياء فيه اى فى بيت المقدس وسياتى رواية اخرى انه صلى الله

عليه وسلم صلى بهم في السما وفي رواية انه لم يصل بهم فيه كما اشار اليها بقوله وانكر ذلك
اي صلوته بالانبيا عليهم الصلوة والسلام فيه حذيفة ابن اليمان وقال كما رواه
احمد بن حنبل رحمه الله تعالى والله ما زالا اي جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم وزال
هنا تامة اي لم ينفصلا وتبر لا عن ظهر البراق حتى رجعا الى الارض فكان جبريل عليه الصلوة
والسلام راكبا معه صلى الله عليه وسلم ويروى انه كان ماشيا قال القاضي ابو الفضل
عياض المؤلف رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح رواية ان شاء الله قيده بالمشية مع انه
امر واقع وانقطع تبركا وتادبا وللاشارة الى احتمال التعدد فكل رواية لا تنافي الاخرى
فلا ثنيا في قوله ان شاء الله كونه حقا صحيحا كما قد بيناه وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم
وانا ان شاء الله بكم لاحقون انه اسراء بالجسد والروح لا بالروح فقط مناما او يقظة
في القصة كلها اي في قصة الاسراء الى المسجد الاقصى والسموات وعليه تدل اي مما تدل
عليه نقلا نص وهو الاية الدالة على شطرها صريحا وصحيح الاخبار والمشهورة المستفيضة
الدالة على عروجه صلى الله عليه وسلم الى السماء والاحاديث الاحاد الدالة على دخوله
الجنة ووصوله الى العرش وطرف العالم كما سياتي وكل ذلك بجسده يقظة والاعتبار
بالرفع معطوف على ما قبله كما صححه البرهان والمراد به التتبع لاقوال السلف ودقيق
الفكر والتامل في الاحاديث المروية والقصة يعني انه يدل على ذلك العقل والنقل ولا يعدل
بالبنا للمجهول من العدول اي لا يخالف احد ويرجع ويميل عن الظاهر الذي يقتضيه العقل
والنقل والحقيقة المتبادرة من لفظ الحديث الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل الى التاويل
متعلق بيعدل اي لا يصرف عن ظاهره ويؤول النصوص الواردة فيه الا عند الاستحالة
اي الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على حقيقته وليس ما نحن
فيه كذلك وليس في الاسرا بجسده حال يقظة استحالة تقتضي العدول عن الظاهر والتاويل
وما قيل من ان ما ذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التاويل قيام المعارض للظاهر
من الروايات التي اوردها المخالف الذاهب الى انه منام لا يقظة مردود بان هذه الرواية
عنده اصح واقوى لتعدد من رواها وذهب اليها من كبار الصحابة وكثرتهم جدا كما قيل
به فان قيل بالتعدد كما تقدم لم يكن معارضة ايضا فتدبر تنبيه الاستحالة المذكورة
اي عدا الاسراء محالا صدر من كفار قريش ومن بعض ارباب ضعفاء المسلمين اذ توهموا
ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محال لانها بعيدة بحيث تقطع
في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل
الخرق والالتيام وكلاهما خطا عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش بلقيس في مسافة ابعد
من هذه في طرفة العين وغير ذلك مما هو متواتر مشهور وقد نطقت النصوص بان السماء
ابواب تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي تبعا للامام الرازي
الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة

الارض

الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية
والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق
مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما حمله والتعجب من لوازم
المعجزات انتهى وقد اورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها في حواشينا عليه واعلم
ان كلامه مبني على ان الحقيقة تقدم مطلقا وعند الشافعي يقدم المجاز الغالب عليها
ثم ان التعجب والعجب اذا اسند الى الله فهو مأول وكذا صيغة التعجب وفي حديث عجب ربكم
من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك في كتاب الكشف وقد ورد مثله في احاديث كثيرة
والعجب والتعجب اصله ان يفاجأ امر لم يعلمه من فاجاه فيستعظمه وهذا لا يليق بالله
عز وجل فالمراد لازمه يعني انه خلقه عظيما بحيث يتعجب منه خلقه او المراد الرضا
والقبول لان من اعجبه شيء رضيه وقبله فلا يتعجب مما يكرهه غالبا فاذا اراد تعظيم
شيء اخبر عنه بما يقتضي تعظيمه الى اخر ما فصله وسبحان كثر استعماله في ذلك وقوله
اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده تعليل لصحة كونه يقظة ولعدم الاستحالة
وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده
الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به ووقعوا في فتنة اي بلية
عظيمة توقعهم في العذاب لردتهم وتكذيبهم له وانكارهم لما اخبر به صلى الله عليه
وسلم بما هو خارق للعادة وقد اخبر به لانه معجزة تحداهم بها اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر تعليل لعدم الاستبعاد والتكذيب فان قلت هذا يقتضي ان رؤية الله
في المنام جائزة بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها قلت قال الامام الغزالي ان الخلاف
فيها غير معتد به ولان المرئي مثاله وفرق بين المثال والمثل وقد افرده برسالة فان اردت
تحقيقه فراجعها بل لم يكن منهم ذلك المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد
والافتتان الا وقد علموا ان خبره انما كان عن اسرائه بجسمه وحال يقظته اخذا مما
قاله لهم واما كون رؤيا الانبيا وحي وحق فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق بخبره
فما قيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذا قال تعالى لابراهيم عليه الصلوة والسلام
قد صدقت الرؤيا واذا كانت رؤياهم كذلك استقام كونها معجزة له ويتعلق
الانكار ان رؤياهم حق كلام في غاية السقوط الى ما ذكر في الحديث المتقدم وذكر
مبني للمجهول ويصح بناؤه للفاعل ايضا والى بمعنى مع كقوله ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم وللغاية بتقدير من البيت المقدس الى المذكور في الحديث بقرينة المقام
وقوله من ذكر صلاته ببيت المقدس بيان لما وبيت المقدس هو مسجد ايليا ومعنى
ايليا بالسريانية وهي لغة ادم عليه الصلوة والسلام بيت الله في رواية انس
او في السماء على ما روى غيره كما تقدم بيانه وذكر مجي جبريل له صلى الله عليه
وسلم بالبراق وخبر المعراج بكسر الميم اسم الة للعروج وهو الصعود

فجهته العلو كالسلم وقد تقدم بيانه واستفتاح السماء اى طلب فتحها له صلى الله
عليه وسلم من جبريل فيقال من انت اى تقول ملائكة السما لجبريل من انت فيقول جبريل
فيقال له ومن معك فيقول محمد ولقائه الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم الانبيا فيها
اى السما وخبرهم معه فيما وقع له معهم من المكالمة وترحيبهم به اى قولهم له صلى الله
عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح او الابن الصالح كما مر وهو تفعيل من الرحب بضم الرا
المهملة وفتحها ومعناه السعة اى صادفت مكانا رحبا ذا سعة وهو كناية عن وجود
فيه ما يسر وبكرمه وشانه في فرض الصلوة خمسين عليه وعلى امته ثم تخفيفها وهو
مجرور معطوف على مجى والشان الامر العظيم الذى جرى له في ذلك ومراجعته مع موسى
اى رجوعه في المشاورة في ذلك كما مر وفى بعض هذه الاخبار والحديث الذى رواه الشيخان
عن انس رضى الله تعالى عنه فاخذ يعنى جبريل بيدى اى مسك يده ليصعد معه
فعرج بى الى السماء اى صعد وانا معه الى قوله ثم عرج بى بالبنا للفاعل او المفعول وعرج
كقعد عرجا ومعرجا ارتقى قال في القاموس اذا كان خلقة فعرج كفرح او تثلث عين الخلقة
وهو اعرج بين العرج انتهى ولبعض الادبا في اعرج من رسالة قامت العصا بيده مقام رجله
وقلت اعواد الاغصان من اجله فعرج الى الارض لا الى السما وعرس العود بكفه
ولكن ما اورق ولا نما وحمل العصا هو العذاب الاليم وما افلح من لازمها بعد
موسى الكليم انتهى حتى ظهرت اى صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو على
مكان عال ان يظهر ويشاهد من هو به بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام المستوى بضم
الميم اوله مقصور اسم مكان وقد تقدم الكلام عليه وان الصريف والصرير بمعنى
وهو الصوت الذى يسمع من الاجرام الجامدة اذا حركت وان المراد بالاقلام اقلام الملائكة
عليهم الصلوة والسلام التى تكتب ما قدره الله وهناك وقع فرض الصلوة او هو قلم
واحد لله جمع تعظيما ولكثرة مكتوبه وهو العلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل وانه
وصل الى سدرة المنتهى وراى ما غشيها من الالوان وغيره كما تقدم وانه دخل الجنة وراى
فيها ما ذكره من جنابذ اللؤلؤ وترابها المسك الى اخر ما ذكره قال ابن عباس رضى الله عنه
فيما صح عنه من رواية البخارى هى رويا عين راها النبى صلى الله عليه وسلم لا رويا منام
ولا يعارضه ما روى عن عايشة وغيرها كما قيل لصحة هذا وكثرة طرقه وشهادة ظاهر
النصوص له كما مر ولا وجه لما قيل ايضا ان صوابه رويا نايم كما لا يخفى وروى ابن اسحاق
وابن جرير مرسلا عن الحسن البصرى فيه بينا انا نايم وفى نسخ جالس في الحجر بكسر الحا المهملة
وسكون الجيم ونقل التلمسانى عن بعضهم انه يقال بفتح الحا المهملة وفى القاموس انه لا وجه
معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال وديا دعود والانثى من الخيل وبالضما
لحن اقول ما قاله وان سبقه اليه غيره ليس بصواب فانه ورد في الحديث وصححه بعض اهل اللغة
كالقزوينى في مثلثاته واليه ذهب شيخنا المقدسى في حواشيه والحجر معروف بجنب البيت

الشريف

الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير وهو من البيت وقيل الذى منه مقدار ستة اذرع
او سبعة كما افاده البرهان جانى جبريل فهمزنى بعقبه همزه كضربه وما وقع في بعض النسخ
فهزنى من تحريف النساخ اى مسنى بشدة لينبهنى والهمز والضغط بمعنى وفى العين همزة غمزة
والهمزة في الحروف لانها تهمز فتنهمز عن مخرجها انتهى وهو يدل على انها صحيحة لغة فلا وجه لما
في بعض شروح الكشاف من انها لم تسمع وانما اسمها الف وعقبه بفتح العين المهملة وكسر
القاف ثم الموحدة مؤخر الرجل وهذا يدل على انه تمثل له صلى الله عليه وسلم بصورة
رجل حين همزه والضمير لجبريل عليه الصلوة والسلام وليس فيه سوء ادب ممن لم يقصد
التنقيص كما قيل فقمت اى تنبهت من منامى بدليل قوله فجلست والقيام بهذا المعنى كثير
فلم ار شيئا فعدت لمضجعى اى رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم فالمضجع مصدر ميمى
او اسم مكان ذكر ذلك ثلاثا واعاد ذكره ثلاثا لانه وقع الهمز ثلاث مرات فقال في المرة
الثالثة فاخذ بعضدى بالاضافة الى ياء المتكلم المخففة والعضد ما فوق المرفق فجرنى
الى باب المسجد اى اخرجه اليه تادبا منه اذ لم يدخل ما هو على صورة دابة لفناء بيت الله
وقيل الله اعلم بصحة هذا للنزاهة جبريل عن ان يفعل به صلى الله عليه وسلم ذلك وفيه
نظر فاذا بدابة وذكر خبر البراق المتقدم في شكله وسرعته وهذا رواه ابن اسحاق وابن
جرير والطبرانى وعن ام هانى بهمزة في اخره وبتدل يا واختلف في اسمها فقيل فاختة وقيل
عاتكة وقيل جمانة وقيل فاطمة وقيل رملة وهى بنت ابى طالب صحابية عظيمة المقدار
اخرج لها اصحاب الكتب الستة وكانت اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة المخزومى
فمات بنجران كافرا وخطبها النبى صلى الله عليه وسلم فاعتذرت بانها مصبية اى ذات
اولاد ما اسرى برسول الله عليه الصلوة والسلام الا وهو في بيتى وهو مخالف لما مر انه
كان بالحجر او غيره فان قيل يبعد الاسرا فلا اشكال تلك الليلة التى اسرى به فيها من بيتها
صلى العشا الاخرة والعشا الاولى المغرب ونام بيننا اى بين اهل بيتها واولادها وفى رواية
فنام شيا بشين معجمة اى نام قليلا من الليل فلما كان قبيل الفجر بتصغير قبل تصغير تقريب
وتقليل اهبنا بالهمز اوله وتشديد الموحدة اى ايقظنا يقال هب اذا استيقظ واهبه
ايقظه من منامه ونبهه منه فلما صلى الصبح اى صلاة الصبح وصلينا معه قال يا ام هانى
لقد صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بكسر التا اى كما شاهدت صلاتى لها بهذا الوادى
اى بمكة وهى واد لاحاطة الجبال بها وانخفاضها بينها قالوا وهذا مشكل من وجوه لانها انما
اسلمت عام الفتح كما مر فكيف يكون صلت معه العشا وايضا لان الصلاة انما فرضت
في الاسراء واول صلاة صلاها بعد الفريضة الظهر فما معنى صلوة العشا والصبح ولذا
اشار المص لتضعيف هذا في الفصل الذى يليه وايضا المغرب لا تسمى عشا لغة وشرعا
وقولهم العشاان للمغرب والعشا تغليب وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى
قبل طلوع الشمس وغروبها وان المراد بقولها صلينا هيانا له ما يحتاج اليه في صلاته كلام

لا يجدي لانه في غاية الخفا او هو مدرج من كلام غيرها نعم كون المغرب لا تسمى عشا اولى غير مجدٍ
لانه ورد في الحديث تسميتها عشا اولى والمراد ما لعشا اول الليل وكون ما ورد تغليبا غير مسلم
فان الاصل هو الحقيقة اقول الذي يظهر لي في التوفيق بين الروايات والجواب عما ذكر ان لم نقل بتكرر
الاسرا ومرارا دعليه الا ان الظاهر انه صلى الله عليه وسلم كان ببيت ام هانئ ثم خرج الى الحرم
للصلاة فغشيه نوم ثم استيقظ وعرج به واما قول ام هانئ وصلينا فيندفع اشكاله
المذكور بانها بنت ابي طالب وابو طالب وآله كانوا محبين له صلى الله عليه وسلم معتقدين
صدقه ولم يظهروا ذلك لغيرة جاهلية وحكمة خفية ولذا اسلم علي كرم الله وجهه في صباه
وكان معه صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك ابو طالب في شعره المشهور في السير فلما خرج
صلى الله عليه وسلم من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه علي فان ثبت انه كان يصلي
قبل الاسرا بالغداة والعشي صلاة غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا
قتيلا والقاتل واحد منهم لان الفعل المرضي لجماعة اذا وقع من احدهم ينسب للجميع وهو مجاز
بليغ مشهور اي صلى معه بعض النا وهو علي رضي الله عنه او يقال انها كانت مسلمة سرا
كما نقل مثله عن العباس رضي الله عنه فاندفع الايراد الذي ظنوه غير مندفع ظاهر فلا حاجة
لما قيل الصلوة هنا لغوية بمعنى الدعا ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الان كما ترون وتشاهدون والغداة والغدو بمعنى وهو اول النهار وهو بتقدير مضاف
اي صلاة الغداة وهي صلاة الصبح وهذا المذكور برهان ودليل تبيّن بتشديد اليا المكسورة
اي ظاهر واضح في انه اي الاسرا بجسمه وروحه لا بروحه فقط كما قيل وقيل انما البين فيه قوله
ثم نام وفيه نظر وعن شداد بن اوس بن ثابت بن المنذر بن حرام ابو يعلى الانصاري الصحابي
نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد اخرج له الايمة الستة واحمد في مسنده وهذا
الحديث ليس فيها وانما رواه البيهقي وابن مردويه توفي سنة ثمان وخمسين بفلسطين وهو ابن
اخي حسان بن ثابت كما مر في ترجمته عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه افضل الصحابة وفي نسخة
الفتح عن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بك
في هذا ما لا يخفى اذ لا يصح مع قوله طلبتك البارحة وهي الليلة الماضية قبل ليلتك ومنه
المثل ما اشبه الليلة بالبارحة فهو بتقدير ليلة اسري به ومعنى طلبتك اي تفقدت
جسدك في مضجعك فلم اجدك فيه او فيه تقديم والتفات اي طلبتك البارحة ليلة
اسري بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه فاجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله وان جبريل حملني وفي نسخة حمله الى المسجد الاقصى وان بكسر الهمزة او مفتوحة
والتقدير بان الخ وقيل هذا يحتمل انه كان بيت عايشة رضي الله عنها بدليل السياق لكنه
معارض بقول عايشة المتقدم وقوله حملني جبريل يخالف لكونه على البراق الا ان يقال
لكونه سببا له اسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده ايضا
وعن عمر رضي الله عنه كما رواه ابن مردويه من طرق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

صليت ليلة اخرى بي في مقدم المسجد الاقصى ثم دخلت الصخرة اي دخلت المسجد الذي تحت
الصخرة المعروف الان بمسجد داود عليه الصلوة والسلام ففيه مضاف مقدر اي تحت
فاذا بملك قائم لم يسموه معه انية ثلث وذكر الحديث اي ساقه الى اخره واذا هنا
فجائية اي فاجاني بغتة لقاو الانية بالمد جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى واواني جمع الجمع
وليس مفردا كما توهم العلامة كما مر ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة او بدل منه وقيل
خبر هي مقدرة وكان الظاهر ان يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكانه اوله بكاس ونحوه
يعني انا من خمر وانا من لبن وانا من ماء وانه خيرني فيه فاخترت اللبن وقيل له اخترت الفطرة
ولو اخترت الخمر غوت امتك وهنا تمام الحديث وقد تقدم واعترض عليه بانه
محتمل لكونه مناما ولا مانع في هذه الرواية الصلاة فقوله وهذه التصريحات ظاهرة
في انه كان يقظة غير مستحيلة شرعا وعقلا حتى تقتضي استحالتها التاويل فتحمل على ظاهرها
ولا يعدل الى التاويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك وعن ابي ذر الصحابي الغفاري
في حديث رواه الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم انه قال فرج مبني للمجهول مخفف الراء نايب
فاعله سقف بيتي وفي نسخة عن سقف بيتي والمعنى كشف من السقف جانب حتى انفتحت
منه فرجة ولم يبق حايل بينه وبين السما وانا مقيم بمكة قبل الهجرة وهذا مع قوله سابقا
بينا او الحطيم وقول ام هانئ السابق ما اسري به صلى الله عليه وسلم الا
وهو في بيتي بينهما من المعارضة ما لا يخفى فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات
ولا يكفي هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هانئ لكونه ملكها وقد تقدم
اقول ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيانه من بابه انه مبالغة في المفاجاة وتنبيه
على ان دعوته صلى الله عليه وسلم وكرامته كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة
الخلفا العباسيين قلت وليدل على ان هذا امر الهي وكرامة سرا لا تضر ولو اتى من الباب
لتوهم انه احد من اعدائه الذي هو بين اظهرهم فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام
فشرح صدري وفي رواية ففرج صدري اي شقه وهي انسب بفرج البيت ثم غسله بماء
زمزم الى اخر القصة لانه افضل المياه حتى الكوثر في قول ولانه صلى الله عليه وسلم
الفه صغرا وكبرا وشرح الصدر لا ينافي شق القلب لانه مقدم عليه ولا حاجة الى القول
بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره صلى الله
عليه وسلم وهو صغير عند ظئره حليمة رضي الله عنها فهذه مرة ثانية فالاولى ليطهره
من الكدورات البشرية ويرشحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة
عجايب الملكوت فهو وقع مكررا في مرة غسل بماء زمزم وفي اخرى بماء ثلج ليثلج صدره ويصبره
فلا تعارض بين الروايات قال ابن المنير ولما لم يقع هذا للكليم عليه الصلوة والسلام
لم يطلق في الدنيا الرؤيا ولم يذكر هنا انه كان معه ملكان بطشت وماء كما مر وانه وضع
عليه خاتم النبوة وسيذكر ثم اخذ بيدي فعرج بي بالبنا للفاعل والمفعول كما مر وشرح

صدره جبريل عليه الصلوة والسلام اليه والتعقيب بالفاء في تنبيء فلاينا في قوله
وعن انس اتيت بابنا للجهول لا للفاعل كما توهم فانطلق بي مجهول ايضا وفي نسخة
فانطلقوا بي بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكا معهما طشتا لذهب كما رولا منافاة
بين الروايات كما يتوهمه من لا بصيرة له الى زمزم فشرح عن صدري اي شق صدره وقلبه
ووضع فيه نور النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجايبه وروى مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقد رايتني
جواب قسم مقدر للتاكيد بالمثناة الفوقية المضمومة ورأى علمية او بصرية في الحجر تقدم
ضبطه وما يتعلق به وقريش تسالني عن مسراي جملة حالية والمسرى مصدر ميمي واسم
مكان اي سأله كفار قريش عن علامة بعد ما كذبوه تحقيقا لما زعموا فسالتني قريش
وتانيثه باعتبار القبيلة عن اشيا من بيت المقدس وامارانة لم اثبتها اي لم اكن اثبت
صورتها في ذهني وفكري لاشتغاله بما هو اهم منها من معاينة ما وقع له ثمه من صلاة
مع الانبيا وتهيوه للعروج فسقط ما قيل من ان هذا يدل على انه كان مناما لان النائم
اقل ضبطا لما يراه في منامه من المستيقظ ورؤياه صلى الله عليه وسلم حق وان نامت
عيناه لا ينام قلبه فكربت كربا ما كربت مثله قط بضم الكاف من الماضي المجهول والكرب
الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب اصله من كرب الارض وهو قلبها
بالحفر والحرث فالغم مثير النفس كاثارة ذلك وفي المثل الكراب على المبقر وليس ذلك من قولهم
الكلاب على البقر في شيء فرفعه الله لي انظر اليه اي رفع الله له صلى الله عليه وسلم
بيت المقدس حتى ينظر اليه ويثبت ما فيه ويخبرهم به على حقيقته بجملة انظر اليه حالية
او مستانفة ونحوه عن جابر رضي الله عنه وقد روى عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم رجعت عن مسراي الى خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها وما تحولت اي
والحال ان خديجة تحولت وتحركت عن جانبها التي كانت عليه حين فارقها النبي
صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضي انه كان في بيت خديجة وقد تقدم انه كان في بيت
ام هاني وان في رواية انه كان في الحجر وفي اخرى في الحطيم وهو الحجر الذي يلي الميزاب الذي
هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروى عن مالك وعن ابن
جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم قيل والصحيح انه ما بين الركن الاسود الى الباب
فصل في ابطال حجج من قال انها نوم لا يقظة وان الاسراء تكرر مرارا اربعة كما اقتضاه
ابو شامة رحمه الله وتانيث ضميرها انها لان الرؤيا مؤنث سماعي لا باعتبار انها رؤيا منام
كما قيل احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة فسماها رؤيا وهذا
مبني على ان رأى مشترك فيكون بمعنى ابصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما ومصدرها
رؤيا ورأي بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الرأي وهذا هو المشهور وقد رده السهيلي

في الروض

في الروض الانف قال الرؤيا مشتركة ايضا بين البصرية والحلمية واورد له شواهد
من كلام العرب وقد رجح جميع ذلك وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا
قلنا جوابا عما احتجوا به قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم
اسرى اذ الاسراء كما مر هو السير ليلا ونهارا انما يكون يقظة لا سيما وقد ذكر في الحديث
ما يستلزمه لزوما بينا من صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبيا عليهم الصلوة والسلام
واستصعاب البراق عليه وغير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه راى
في منامه انه اسري به بعيد جدا ولذا جعله ابطالا لما قالوه لانه في قوة الخطا فما
قيل ان الاولى ان يقول يحدث ما ذكر ليس بشيء يعول عليه وقوله فتنة للناس
اي بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه صلى الله عليه وسلم ورده بعضهم بريد
انها رؤيا عين باصرة يقظة واسرا بشخص اي سيره بجسده حقيقة يقظة لا خيالا
نوما كما قيل اذ ليس في الحلم بضمتين وضم فسكون وهو ما يراه النائم واصل
معناه العقل يقال حلم في نومه حلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرفع قاله الراغب
فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منام من الكون في ساعة
واحدة في اقطار متباينة اقطار جمع قطر وهو الجانب والمتباين البعيد ومن بيان
لذلك او لمثل اي يرى في مدة قليلة انه وصل الاماكن بعيدة ولا ينكره عليه احد
من العقلاء ثم اشار الى رد دليلهم بوجه اخر فقال على ان المفسرين قد اختلفوا
في هذه الاية التي استدلوا بها وعلى بمعنى مع هنا والعلاوة ضم امر لاخر كقوله
على ان قرب الدار خير من البعد والمراد بالاية وما جعلنا الرؤيا الاية فذهب
بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية القضية بالضاد المعجمة ولعله القضاء
على الاصح لما سياتي وروى قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال
مهملتين وبا تحتية ساكنة وباء موحدة مكسورة ويا مخففة وها تانيث
وتشدد ياؤه ايضا وعليه اكثر المحدثين وبعض اهل اللغة فهي شيئان رواية
ودراية فله وجه لمنعه وسميت بها شجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضوان
ثم صار اسما لبئرها وقرية على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة وهل هي من الحل
او من الحرم او بعضها من الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل منها بعض العلما
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بالمدينة منصرفه عن غزوة
بني المصطلق في شوال وخرج في ذي القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين
نحو الف وخمسمائة وساق الهدي معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب
فلما بلغ قريشا ذلك خرج منهم جمع صادين له صلى الله عليه وسلم عن دخوله
مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن الوليد الى كراع الغميم
فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال

فقال حبسها حابس الفيل والله لا تدعونا قريش لخطة فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها
ولم يكن ثمة ما فقرز سهما له فى بئر فغار ما وها حتى كفى الجيش ثم جاءت السفرا بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم والكفار وتنازعوا حتى جاءه سهيل بن عمرو العامرى
وقاضاه على ان ينصرف ويأتى فى العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة اعوام
يأمن بعضهم بعضا على من اتاه مسلما منهم رده اليهم ومن اتاهم لم يردوه فعظم
ذلك على المسلمين ووقع ما وقع ولذا سمى عام القضية قال ابن عبد السلام
فى قواعده فان قيل لم التزم عليه الصلوة والسلام الصلح وما شرطوه مع
ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية فى الدين قلنا وقع ذلك دفعا
لمفاسد عظيمة وهى قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خاملين بمكة لا يعرفهم
اهل الحديبية وفى قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع
الصلح على ما ارادوه وهو اهون من قتل اولئك مع انه علم ان فى تأخيره تفال
مصلحة عظيمة وهى اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تعالى ليدخل الله فى رحمته
من يشاء اى فى ملة الاسلام وقالوا تزيلوا الاية والى هذا اشار بقوله وما وقع
فى نفوس الناس من ذلك اى من صلح الحديبية حتى راجعه صلى الله عليه وسلم
فى ذلك عمر رضى الله عنه مرارا وقال ما قالوا شمازت خواطرهم وقال ابن المنير
لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله
ورسوله وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة
ما ليس عندهم فلما تبين لهم ذلك عادوا الى الرضا والوفاق وقيل فى تفسير الاية
وسبب نزولها غير هذا الذى تقدم من ان هذه الرؤية لم تكن عام الحديبية وانما
كانت قبيل بدر وهى التى فى قوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الاية واما
قوله فانه قد سماها فى الحديث مناما وفى حديث اخر بين النائم واليقظان
كالنعسان جالسا وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام
فلا حجة فيه للقول بانها رؤيا منام كما مر اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه وهو
نائم بدليل قوله فى الحديث فهمزنى بعقبه السابق مع ما يضاهيه او اول حمله
على البراق والاسراء به وهو نائم ولا يخفى بعده مع كونه صلى الله عليه وسلم
تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل ايضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام
وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت
وانا فى المسجد الحرام فانه يقتضى انه صلى الله عليه وسلم لم يستيقظ قبل وصوله
اليه وعوده وكون استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظت من نوم اخر تكلف
لا حاجة اليه وتأيد بانه لم يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة مسيره
ومشقته نام بعده للاستراحة ابعد منه فلنا جرعنه بقوله فلعل قوله استيقظت

بمعنى

بمعنى اصبحت اى دخلت فى وقت الصباح لان صيغة الترجى تقتضى ضعفه على عادة
المصنفين فى التعبير بها او استيقظت من نوم اخر غيرها كان قبله فى الحجر او فى بيت ام هانى
او غيره بعد وصوله بيته اى البيت الذى كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة فلا ينافى فى
ما قلناه ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول الليلة وانما كان فى بعضه بدليل قوله تعالى
ليلا فى الاية كما ذكره المفسرون وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام وعبر بقد
اشارة لضعفه ايضا لما بكسر اللام وتخفيف الميم احترازا من ما المصدرية كان يغمره
اى لاجل الذى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره من عجايب ما طالعه اى
شاهد ورأى من ملكوت السموات والارض الذى لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار
لتلك المشاهدة الغمرة وهى ما يغمر من الماء ويقطر منه ففيه استعارة تصريحية تبعية
او مكنية وتخييلية او هو تشبيه بليغ كقوله الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة
قدمها واتبعها بقوله وخامر باطنه بالخاء المعجمة والف وميم وراء مهملة بمعنى ما خامره
وخالطه لا بمعنى ستره ومنه الخمر السريانها فى بدن شاربها وان قيل انها سميت بها لسترها
العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية من مشاهدة الملأ الاعلى وتعبيره
بالمشاهدة يقتضى ما فسرنا به المخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما فى قوله سلمان
الفارسى لابى الدرداء رضى الله عنهما حين دعاه الى الارض المقدسة يا اخى ان بعدت الدار
من الدار فان الروح قريب وطير السماء على ارفه خمر الارض يقع على اى حسب يستر وجه الارض
يعنى ان وطنه ارفق وارفق به فلا يفارقه والمراد بالملأ الاعلى السموات وما فيها او الملائكة
لان الملائكة الجماعة الاشراف وما رأى من ايات ربه الكبرى العظيمة التى تدهش
عظمتها من رأها وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم اثبت الرسل
قلبا فلا يعتريه لذلك دهشة ليس بشئ لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وانكار
قوله فلم يستفق يقال افاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه ورجع الى الحالة
البشرية الا وهو بالمسجد الحرام بوهمه اذ المراد به حالة اعترته انسته عالم الدنيا
وكسته حلة ملكية على انه لو لم كان مؤيدا للمصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له
صلى الله عليه وسلم النوم فى رجوعه كما توهم فانه ينافى فى قوله ووجه ثالث وهو ان
يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى ظاهر لفظه ومنامه مقتضى بجوديتها
الفتح والكسر والمراد بلفظه قوله استيقظت وانا بالمسجد الحرام ولكنه سرى
بجسده وعيناه نائمتان وقلبه حاضر وان غض بصره كالنائم منا فهو مساو لليقظان
ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد قيل عليه
ان كون عينه صلى الله عليه وسلم نائمة مع الاسراء بجسده مع انه خلاف المعتاد
لا فائدة فيه وما ذكره المصنف من الحكمة الاتية من انه ليلا تشغله المحسوسات عن الله

لا يدفع ما ذكر لان الحكم حينئذ للروح فلا معنى لرفع الجسد وهو حاصل بدونه وقوله
تعالى لنريه من آياتنا يأباه وقد استدرك عليه المص بقوله الآتي ولا يصح ان يكون
هنا في وقت صلاته الخ والجواب بانه ليشاهد الملائكة وتفيض عليهم بركاته لا يجدي
نفعا وقد مال بعض اصحاب الاشارات يعني بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارات
ما يأخذونه من الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها وهم لا يقصدون بتفسيرهم انه
صريح النص كما ذكره العز بن عبد السلام ومن لا يعرف ذلك يعترض عليهم بما لا وجه له
الى نحو من هذا اي الى قريب مما قاله صاحب الوجه حيث قال تغميض عينيه لئلا يشغله
شيء من المحسوسات عن الله قال الزمخشري في شرح الفصيح قولهم جسم حساس لحن كما
لحنوا في قولهم محسوسات لان فعالا لا يبنى من افعل والحق ثبوته وثبوت حسن كما قاله
الدماميني في شرح التسهيل والنووي في شرح مسلم فعلى هذا لا لحن في هذه العبارة ولا
يصح ان يكون هذا المذكور من ان الاسراء بجسده صلى الله عليه وسلم وهو نائم
ليوفق بين الروايتين ان لم نقل بالتعدد في وقت صلاته بالانبياء عليهم الصلوة والسلام
لان النائم لا يصلي ولا تصح صلاته وظاهره انه فيما عداه من امور الاسراء صحيح بلا تردد
وانما يأباه لفظ الحديث ولا يخفى ان مناجاة ربه ومراجعة موسى عليه الصلوة والسلام
لذلك فكان ينبغي ان يقول والامور الواقعة في حديث الاسراء لا يصح في بعضها ان يكون
مناما فان قيل يجوز ان يكون راى ذلك في المنام قلنا وكذا يجوز ان يكون راى في منامه
انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ايضا الا ان يفرق بينهما ولعله كان له صلى الله عليه
وسلم في هذا الاسراء حالات فكان في بعضها النائم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات
وقيل ان الحديث الذي وقع فيه هذا ملفق من احاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين
ولو تركه المص كان احسن كما مر ووجه رابع لتاييد كونه يقظة وتاويل ما يخالفه وهو
ان يعبر بالنوم هنا في هذه الرواية عن هيئة النائم من الاضطجاع بيان للهيئة والاضطجاع
الصاق بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولا قائم فهو استعارة او مجاز مرسل للزومه غالبا
فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك وفي بعض النسخ اذ كثيرا ما يعبر بالنوم
عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفي بعض الشروح هنا تكرار لا حاجة
اليه ولذا قال لانه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم ويقويه اي يقوي هذا التاويل
قوله في رواية عبد بن حميد الامام الحافظ المتقدم ترجمته وعبد غير مضاف هنا
وهو ابو نصر عبد الرحمن بن الكتي ويقال الكجي بشين وجيم عن همام بفتح الهاء وتشديد
الميم الاولى ابن يحيى العوذي بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب
للعوذ بطن من الازد امام ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث وستين ومائة بينا
انا نائم وربما قال اي النبي صلى الله عليه وسلم مضطجع فقد بين بهذا ان هذه الاخرى
يشهد لانهما بمعنى وفي رواية هدبة بضم الهاء وسكون الدال المهملة والموحدة وتاء تانيث

ابن خالد

ابن خالد القيسي البصري الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفي سنة خمس
وثلاثين ومائتين وفي بعض النسخ بدل هدبة معاوية عنه اي عن همام بينا انا في الحطيم
وربما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحجر تقدم الكلام فيه والتوفيق
او القابل فيكون شكا من الراوي وبه يجزم بعضهم وقوله في الرواية الاخرى بين النائم
واليقظان يؤيد كون المراد بالنائم المضطجع فيكون سمى هيئته اي هيئة النبي صلى الله
عليه وسلم او هيئة النوم بالنوم لما كانت تلك الهيئة هيئة النائم حقيقة
غالبا اي في الغالب وبما ذكرنا سابقا من ان هذا في اول وصول الملك له سقط
ما قيل من ان هذا ينبو عنه السمع لان ركوبه صلى الله عليه وسلم البراق وربطه
بالحلقة وصلاته بالانبيا عليهم الصلوة والسلام يأباه واما قوله فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام فمأول ايضا بما مر فلا وجه في هذا فتامله وذهب بعضهم الى ان هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب اي قربه من النبي عليه الصلوة
والسلام الواقعة في رواية هذا الحديث اي حديث الاسراء انما هي من رواية
شريك عن انس رضي الله عنه وهي منكرة من روايته لا مطلقا الانكار المراد به
معناه اللغوي او مصطلح المحدثين وهو رواية المتغير بسوء حفظه المخالف للثقات
وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس بثبت اذ شق البطن اي بطنه وصدره
عليه الصلوة والسلام في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره صلى الله عليه وسلم
وهو عند مرضعته حليمة كما مر وقبل النبوة اي قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه
الانكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلي وغيره ان الشق وقع مرتين مرة
لتثبيته للنبوة ومرة اخرى بعد بعثته ليقوى على المعراج ومشاهدة عجائب الملكوت
فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية تقتضي انها منكرة وقيل انه وقع اربع مرات عند
حليمة وبحراء وليلة الاسرا ومرة اخرى في النوم الا ان ابن حجر قال ان هذه لم تثبت كما
تقدم ولانه اي شريك قال في هذا الحديث الذي رواه عن انس رضي الله عنه قبل
ان يبعث والاسراء بالاجماع من المحدثين كان بعد المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث
وقد تقدم الكلام فيه فهذا كله يوهن بتشديد الهاء اي يضعف او تحقيقها لانه
يقال وهنه واوهنه فوهن اي ضعف ما في رواية انس هذه التي رواها شريك
عنه مع ان انسا قد بين من غير طريق اي من طرق متعددة لا من طريق واحدة انه انما
رواه عن غيره من الصحابة كمالك بن صعصعة وابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
فهو مرسل الصحابي وفيه ان مرسل الصحابي اذا روي من طرق مقبول فهذا لا يضعفه
وان لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم بيان لانه سمعه من غيره فقال مرة عن مالك بن
صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة عن السند من مسلم فلعل
مستبعات من الترمذي بجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج

عن انس رضي الله عنه وقد سمع بعضه من مالك بن صعصعة وبعضه من ابي ذر
وبعضه من ابي هريرة وقال انس مرة كان ابو ذر يحدث اي ينقل حديث الاسراء السابق
عنه صلى الله عليه وسلم واما قول عايشه رضي الله عنها ما فقد صلى الله عليه
وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابنا اسحاق وجرير وتقدم ان فيه رواية
ما فقدت بالاسناد لضميرها والاسناد للفاعل وهو في هذه الرواية مبني للمجهول
فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة قال صلى الله عليه وسلم لانه كان بمكة
قبل تزوجها او قبل ولادتها كما اشار اليه بقوله لانها لم تكن حينئذ اي في وقت
الاسرا وزمانه زوجة له صلى الله عليه وسلم ولا في سن من يضبط بالتحتية
والفوقية اي لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تمييزها
فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم او التمييز فالرواية
عنها ليست مسلمة او هي حدث به عن غيرها فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر وعلى رواية
ما فقدت فيه تقدير اي قال فلان وفلانة ما فقدت الى وهو في غاية البعد كما قيل
ولعلها لم تكن ولدت بالبنا للمجهول بعد مبني على الضم اي بعد هذه القصة ووقوعها
وهي ضد قبل واستعمالهن في التقدم والتاخر المتصل والمنفصل والمراد هنا
الاول والمراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شايع وحينئذ لا ينبغي
ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سياتي وكونها حدثت به عن غيرها يا باه
سياقه على الخلاف في زمن الاسراء بني كان فان الاسرا كان في اول الاسلام بمكة
قبل الهجرة على قول محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام
ونصف وكانت عايشة في وقت الهجرة بنت ثمانية اعوام فعلى هذا لم يكن ولدت
في زمان الاسراء وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة هذه اللام توقيتية اي وقت
هو سنة خمس كما فصله النحاة في باب العدد وفصل التاريخ وقيل قبل الهجرة بعام
والاشبه اي القول الاصح الاولى والاحسن انه لخمس لان مثله يكون كثيرا الشبه
بخلاف النادر الغريب الذي لا نظر له والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا اي ليس
مقصودنا في هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفا بما صح منا وصافه عليه
الصلوة والسلام او المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتفصيله
كما في المقتضى لابن المنير قال الاقوال فيه كثيرة اصحها عندي قول ابراهيم الحربي انه
قال ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد المبعث بخمس
سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحق اسري به صلى الله عليه وسلم
وقد فشا الاسلام وفي مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه والاصح هنا
بوجه الا على القول بانه منام كما وقع لعايشة انه كان بالمدينة ورجح القاضي
عياض القول بانه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحق انه قبل الهجرة بسنة وضعف

هذا بان خديجة صلت معه ع م وهي ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما فيها ثلاث سنين
والصلوة لم تفرض الا بالاسرا وهو غير وارد لانه ع م كان يصلي قبل الاسراء صلوة غير
الخمس على خلاف فيها والحجة لنا في ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد
لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربي عين فيه ليلته بعينها من شهر
بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة واذا
تعارضا خبران احدهما احاط راويه بتفصيل في القصة زايد فالمفصل احضر
ذهنا واوعى قلبا ممن اجمل وعليه الفقها في كتاب الشهادة اذا ارخت احدى
البينتين واليوم الذي اسفرت عنه ليلة الاسراء يوم الاثنين ثاني عشر ربيع
الاول واذا كان الثاني عشر من الشهر يوم الاثنين كان اوله الخميس قطعا فاول
ربيع اما السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين
متواليتين اما ثلثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوفقة من كل سنة خامس
يوم من الوفقة التي قبلها او رابعه او سادسه واعدل الاحتمالات الخامس
والجمعة يعقبها الثلثة والاثنين تعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون
السادس وذلك بحسب التمام والنقص الى ما اخر ما ذكره وقدمناه فاذا لم
تشاهد ذلك المذكور من زمن الاسراء عايشه رضي الله عنها دل عدم مشاهدتها على
انها حدثت بذلك عن غيرها من الصحابة فحديثها من مرسلات الصحابة فهو صحيح ايضا
كما عليه المحدثون الا انه لم يوفق بينه وبين غيره فلم يرجح خبرها على خبر غيرها الظاهر
ان يقول فيرجح خبر غيرها على خبرها الرواتها عن مجهول بل العدم ثبوته عنها كما سياتي وغيرها
يقول خلافه مما وقع نصا اي صريحا فان النص له معان منها هنا في حديث ام هاني
وفي نسخة من حديث ام هاني بيانها وغيره كحديث ابي ذر ومالك بن صعصعة وابي
هريرة وقد قيل عليه ان حديث ام هاني المذكور في الفصل الذي قبل هذا غير صحيح فيما
ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له وايضا منصوب
على المصدرية عند المحدثين لما في متنه من العلة القادحة وفي سنده محمد بن اسحاق
وقد ضعفه مالك وغيره والاحاديث الاخر الواردة في الاسراء عن غيرها اثبت اكثر
ثبوتا واصح من حديثها لسنا نعني اي لا اريد انا وغيري من المحدثين بقولنا انها اثبت حديث
ام هاني وقولها ما اسري به صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي وما اي وحديث
عن غيرها كحديث عمر رضي الله عنه الذي ذكرت فيه خديجة رضي الله عنها لانهما لم يردا
في الصحيح بل احاديث اخر تعارضها غير هذين وايضا فقد روي في حديث عايشة
ما فقدت باسناد الفعل المعلوم لضميرها كما روي ما فقد بالبنا للمجهول المسند
لغيرها كما مر ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة والاسراء كان بمكة
وهي صغيرة ليست عنده او لم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحته وتاويله

ما علمت من هذا او بكونه حكاية لكلام غيرها فى غاية البعد وكل هذا اى ذلك المذكور
سابقا ولاحقا مما سبق وما تاخر يوهنه بالتشديد والتخفيف اى يضعفه بل الذى
يدل عليه اى الذى يدل على ما ذكر من عدم صحته عنها صحيح قولها اى ما صح عنها رضى الله
عنها من رواية اخرى انه اى الاسراء بجسده الشريف لانكارها رؤياه لربه رؤيا عين
فانه هنا يدل على انه اسرى بجسده صلى الله عليه وسلم الا انه لم يره عيانا ولو كانت
الرؤيا فى الاسراء عندها ليلة الاسراء مناما لم تنكره لان الرؤيا المنام جائزة وانما الكلام
فى رؤيا العيان والخلاف فيها فنزاعها فى ذلك الاتى يدل على ما ذكر وهذا يدل على ان لها
قولا اخر ورواية عنها مخالف لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فتذكره وليس
وصف قولها بانه صحيح مناقض لما مر من الطعن فى حديثها لان هذا رواية اخرى لهذا
وما قيل من انه مؤيد لكونه مناما عندها ناش من عدم التدبر فان قيل فيرد كونه
يقظة قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فجعل ما راه للقلب اى اثبت الرؤية للقلب
دون البصر وعقلها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معان اخر وما مصدرية
والجار والمجرور متعلق بجعل وبعقد اى مسند للقلب وهذا الجعل والمذكور يدل
على انه رؤيا نوم ووحى بالجر عطفا على نوم ولا مشاهدة عين وحس بصرى
والعطف تفسيرى قلنا فى الجواب عنه يقابله اى يعارضه فيسقطه عن رتبة الاحتجاج
وستاتى الاشارة الى انه لا يعارضه ايضا ما زاغ البصر وما طغى زاغ بمعنى مال وطغى
تجاوز عن الرؤية المحققة بل اثبتها فاضاف الامر اى امر الرؤية للبصر ويقابله ايضا
ما قد قال اهل التفسير فى تاويله اى معناه حتى لا يعارضه وينافيه فى تفسير قوله
ما كذب الفؤاد ما راى معناه لم يوهم القلب العين فهو مقول القول والقلب مرفوع
فاعل يوهم والعين منصوب بمفعوله وقوله غير الحقيقة مفعول ثانى له لانه ينصب مفعولين
وغير بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة ونقل عن بعض الشراح انه يجوز فى كل من العين
والقلب الرفع والنصب للمرفوع فاعل تقدم او تاخر وتوقف فى فهمه التلمسانى وليس
محل توقف لان المراد ان البصر والبصيرة متفقان لم يخالف احدهما الاخر لوقوفهما على
الحقيقة لان العين قد ترى امرا ثم يتبين خلافه وانه غير متحقق وقد يتصور القلب
شيئا فيشاهد خلافه والحاصل ان ما راه ليس تخيلا وكاذبا بل امرا محققا تواطا
عليه العين والقلب وما قيل من ان الامور القدسية يدركها اولا ثم يوردها
على البصر ليس بمسلم بل صدق قد رؤيتها وقيل فى التوفيق بينهما ودفع التنافى ما انكر
قلبه صلى الله عليه وسلم ما راته عينه وهذا قريب مما قبله ولتعارضهما ظاهرا
لم يدرجه فى حجج ابطال كونه مناما وبعطفه عليه واورده سوالا وجوابا ولما كان
محصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤيتين سقط ما قيل انه مشترك الالزام
والاعتراض بانه لا فرق بين الجوابين لان المراد انه لم يطرا عليه وسوسة نفس

وزغة شيطان تشكله فيما راه وتوهمه خلاف ما شاهدت عيناه فصل
واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل بعينه يقظة فى اسرائه بجسده
والرؤية تختص بالبصرية فلذا عبر بها هنا وان اطلقت على غيرها تكون على خلاف
المشهور عكس الرويا كما تقدم فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة رضى الله عنها وذكر
ضمير الرؤية لان تانيث المصدر غير معتبر او باعتبار الوقوع كما قيل وفى بعض النسخ
فانكرتها وهى ظاهرة وانكارها لها وقع فى مسلم وغيره كما اشار اليه المص بقوله
حدثنا ابو الحسين سراج بكسر السين وفتح الرا المهملة المخففة واخره جيم ابن
عبد الملك المراد بالملك الله فى الاعلام لكراهة التسمية بعبد فلان حتى بعبد النبى
وهو امام حافظ يشيخ المصنف وجده وزير لغوى جليل القدر الحافظ بقرائى عليه
تقدم الكلام فيه قال حدثنى ابى وابو عبد الله بن عتاب الفقيه تقدمت ترجمته
قالا حدثنا القاضى يونس بن مغيث بضم الميم وكسر الغين المعجمة والمثناة التحتية الساكنة
وبالمثلثة يونس مثلث النون كما مر وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله
الانصارى المعروف بابن الصفار ولد فى رجب سنة سبع واربعين واربعمائة
وتوفى بقرطبة سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة لثمان من جمادى الاولى قال حدثنا
ابو الفضل الصقلى بفتح الصاد المهملة والقاف وتشديد اللام المكسورة نسبة
لصقلية بدل بالاندلس قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده ثابت بن
حزم العوفى السرقسطى وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت مؤلفه كتابه الدلائل فى غريب
الحديث يروى عن ابيه وجده وعم جده حتى قرا عليه وكان ثابت وقاسم يشتركان
فى التاليف والشيوخ والرحلة وولد ابوه سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بسر
قسطة سنة اثنين وثلاثمائة قالا حدثنا عبد الله بن على قال حدثنا محمود بن ادم هو
المروذى توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين قال حدثنا وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى
الحافظ الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومائة وتوفى سنة ست او سبع وسبعين
ومائة عن ابى خالد هو اسمعيل بن سعيد البجلى الكوفى توفى سنة خمس او ست
واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة عن عامر بن مسروق انه قال لعايشة
رضى الله عنها يا ام المؤمنين هل راى محمد ربه عز وجل ليلة الاسراء بتقرينة السؤال
لانها لا تنكر رؤية الاخرة ولا رؤية المنام فقالت مجيبة له لقد قف شعرى القفيف
فى الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوى
بما قلت اى خفت من كلامه ان يهلك الله من قاله واستمعه لانه امر منكر لا يرضاه الله
ولم يثبت عندها وقال التلمسانى قف بمعنى قشعر واصله ان الجلد ينقبض عند البرد
والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ما قاله واستعظامه وما فى قولها مما
قلت مصدرية او موصولة ثلث من حدثكم بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله عليه

وسلم راى ربه فقد كذب ثم قرأت مستدلة لما قالت لا تدركه الابصار الاية
بناء على ان الادراك شامل للروية وانه حكم كلي فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة
اى لا يحيط به الابصار ولا تعرف كنهه ورفع الايجاب الكلي سلب جزئي لم يكن
فى الاية دليل على ما ذكر وياتى بيانه عن قريب وقد استدل بهذه الاية المعتزلة
على نفي الروية مطلقا ورده اهل السنة كما فصل فى كتب الاصول وروى فى بعض
النسخ من حديث بلا كاف على ان فى الثلاث الاولى هذه والثانية قولها من زعم
انه صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك الخ والثالثة من زعم انه صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد اعظم
الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الاية واعلم ان هذا الحديث فى البخاري
ومسلم والترمذي والنسائي وهو فى البخاري عن يحيى عن وكيع بسند المصنف
فهو بدل او موافقة كما فصله البرهان وذكر مسروق الحديث بتمامه كما سمعته
انفا من ذكر الثلاث قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت يا ام المؤمنين انظريني
ولا تعجليني الم يقل الله تعالى ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى
فقالت انا اول هذه الامة سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين كما رواه
مسلم وقال جماعة من المحدثين والعلماء المتكلمين لان خلافهم ليس فى رواية
الاسراء بقول عايشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله
اى مثل قول ابن مسعود وعايشة روي عن ابي هريرة رضي الله عنه فى تفسير
قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى انه اى ابا هريرة قال بفتح الهمزة انما راى جبريل
لا ربه عز وجل كما قيل فاتى بصيغة انما للرد على من فسر الاية بما ذكر واختلف
بالبناء للمفعول فى النقل عنه اى عن ابي هريرة فروي عنه انه قال راه بعينه كغيره
وفي رواية اخرى انكره وقال بانكار هذا القول المجوز لرويته ووقوعه وامتناع
رويته تعالى فى الدنيا وجوازه فى الاخرة جماعة من المحدثين انكروا صحة نقله عنه
صلى الله عليه وسلم والفقهاء ذكروه فى مباحث الردة والكفر وان احدا او قال
رايت الله بعيني فى الدنيا هل يكفر ام لا والمتكلمين من علماء اصول الدين والخلاف بين
اهل السنة والمعتزلة فى هذه المسئلة وادلتها مشهورة فى كتبهم حتى افردوا بالتاليف
عن ابن عباس انه راه بعينه وروى عطا عنه اى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
راه بقلبه وعطا هو ابن ابي رباح الفقيه المكي وعن ابي العالية وهو رفيع بن مهران
الرياحي وقيل زياد بن فيروز وقيل اسمه فيروز عنه اى عن ابن عباس انه راه بفؤاده
مرتين وذكر ابن اسحاق صاحب المغازي عن عبد الله بن ابي سلمة ان ابن عمر رضي الله
عنهما ارسل الى ابن عباس يساله هل راى محمد ربه فقال نعم راه يقظة بعينه فقوله

مطلب والاشهر اى ربه بعينه

والاشهر عنه اى عن ابن عباس انه راى ربه بعينه وفي نسخة بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير
للرواية التي قبله وان كانت ظاهرة انه غيره لتخالفهما فى العبارة وروى ذلك عنه من طرق
اى باسانيد مختلفة لفظا لا معنى يقوي بعضها بعضا وهو لا ينافي ما روي عنه انه راه
بفؤاده فهو كقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى وما زاغ البصر وما طغى كما مر وقال
اى ابن عباس فيما رواه عنه الحاكم والنسائي والطبراني وهو فى معنى ما قبله فى ان الروية
فيهما بصرية ان الله اختص موسى بالكلام بغير واسطة لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما
وابراهيم بالخلة بضم الخاء المعجمة لقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومحمدا صلى الله
عليه وسلم بالروية البصرية لا القلبية لعدم اختصاصها به صلى الله عليه
وسلم قيل عليه ان الخلة والكلام ثبتا لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا فتفريق
هذه الخصايص غير ظاهر واجيب عنه بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان
نبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الله فى الاسراء فى مقام اعلى والخلة تثبت له مع زيادة
المحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلوة
والسلام فى حديث الشفاعة حيث قال انما كنت خليلا من وراء وراء وهذا الجواب
لا يجدي نفعا فالاولى ان المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة فى الارض
وبالخلة معاملة مخصوصة له مع ان الله تعالى فى هذه الدار ايضا وسياتي بيانه
وحجته اى دليله على الروية قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اى ما اعتقد قلبه
خلاف ما راى بصره فى مشاهدة ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما فى ان كلا منهما
خلاف الواقع اى ما راه صلى الله عليه وسلم ببصره ليلة الاسراء والثبوت ذلك
بالاحاديث الصحيحة واما انكار عايشة رضي الله عنها لذلك فقد تقدم ما فيه
واستدلالها بقوله تعالى لا تدركه الابصار اجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك
بالبصر ليس روية مطلقة بل روية على وجه الاحاطة بجوانب المرئي لان حقيقة الادراك
اللحوق والوصول فى المكان كقول اصحاب موسى انا لمدركون والزمان كما يقال درك
فلان النبي صلى الله عليه وسلم او الصفة كما يقال درك الغلام اذا بلغ وادركت
الثمرة اذا نضجت ثم نقل للابصار الشيء المتناهي المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه
كان البصر قطع المسافة التي بينه وبين حتى بلغه ووصل اليه فابصار ما ليس فى جهة
لا يتحقق فيه معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو روية مخصوصة
نفي المطلقة وهذا تحقيق ما فى التفسير وكتب الكلام افتمارونه على ما يرى اى تجادلونه
فى رويته لما راه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للمجادلة كان كلا من المتجادلين
يمتري ما عند صاحبه لطلبه له ولقد راه نزلة اخرى اى مرة قال ابن عباس رضي الله عنهما
كانت له فى تلك الليلة مرات من العروج وكل مرة نزلة لسماء اخرى لما راجع فى حط الصلوات
وهذا مراده هنا قال الماوردي الامام الجليل ابو الحسن علي بن محمد الشافعي صاحب

التاليف الجليلة كالتفسير الكبير والحاوي وغيرهما وقد تقدمت ترجمتهما وهذا نقله عنه
ابن سيد الناس في سيرته قيل ان الله قسم اى جعل كلامه ورؤيته مقسومين بين موسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم فراه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين حيث كان قاب قوسين او ادنى
وعند سدرة المنتهى وكلمه موسى عليه الصلوة والسلام مرتين مرة وقت رسالته لفرعون
ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور والحق انه كلمه في الدنيا مرارا عديدة في مناجاته ولذا خص
عليه الصلوة والسلام بالتكليم لانه لا يكلمه في الدنيا بغير واسطة غيره ولا يلزم من هذا
شرفه على نبينا صلى الله عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه في حظاير قدسه لكن
لكون تكليم موسى مما يعرفه الناس خص بكونه تكليما فاندفع ما مر وحكى ابو الفتح الرازي
ليس هو الفخر الرازي كما توهم وابو الليث السمرقندي الحنفي وقد قدمنا ترجمته والمحكي ما مر
عن الماوردي كما اشار اليه بقوله الحكاية الذي ذكرها الماوردي عن كعب وليست
ضعيفة وصيغة قيل في كلامه ليست للتمريض فانما يقصد بها مجرد النقل فان قلت
كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما تكون في امر واحد يوزع بين اثنين فاكثر
ولذا قيل ان هذا العبارة مما لا ينبغي قلت هذا وهم من قائله فان المراد قسم تقسيمهما وتعظيمهما
قسمين وجعل قسم لهذا كقوله قسم الادلة الامر بين عباده فالصب ينشد والخلي يسبح
وروى عبد الله بن الحارث كما ذكره الترمذي وهو عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد
المطلب البصري سكنا الوالي بها مات بعمان بعد انقضاء فتنة ابن الاشعث لما خرج اليها
هاربا من الحجاج وولد في زمنه صلى الله عليه وسلم ومات سنة اربع وثمانين ومن الرواة
ايضا عبد الله بن الحارث ابو الوليد البصري حدث عن ابن عباس وهو زوج اخت محمد بن
سيرين وجزم الشمني رحمه الله بانه هو المذكور هنا وهو الراجح لان عبد الله الاول
وان وافقه في الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهنا راوي ابن عباس كما مر قال اجتمع ابن
عباس رضي الله عنهما وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه
مرتين خص بني هاشم لانهم لقربه اليه واعرف بحاله لا سيما قبل الهجرة وكان اجتماعهما
بعرفة كما ذكره الترمذي وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما في النسخ ولو نصب على الاختصاص
جاز وليس المراد بني هاشم ما سوى العباس وظاهره انه راي واجتهاد منهم وهذا لا ينافي
ما مر عن ابن عباس لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض على المصنف فكبر كعب الاحبار
لسرور بمقالته الموافقة لما عنده حتى جاوبته الجبال اي رفع صوته بالتكبير حتى سمع
صداه من الجبال وجعله جوابا يجوز ان يكون تكبيره تعجبا مما قاله واستعظاما له
لقوله وقال اي كعب الاحبار ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه
محمد بقلبه فيكون منكرا الرؤية بعين رأسه او نقول هو موافق لان الرؤية القلبية لا تنافي
البصرية وعليه السراج وانفراد موسى عليه الصلوة والسلام بكونه كليما لما مر من المراد
كلامه مرارا في الارض فلا ينافي كون نبينا صلى الله عليه وسلم كلمه ايضا بغير واسطة

كما روى شريك تقدم الكلام عليه وعلى روايته عن ابي ذر في تفسير الاية المذكورة
 ما كذب الفؤاد ما راى الاية وفيه نظر قال راى محمد وفي نسخة بدله النبي صلى الله عليه
وسلم ربه كلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه راه بقلبه بشهادة اول الاية وفيه نظر
وحكى السمرقندي الحنفي المتقدم عن محمد بن كعب القرظي بضم القاف وفتح الراء المهملة وكسر
الظا المعجمة نسبة لبني قريظة وهو تابعي واسمه محمد كما تقدم وربيع بن انس التابعي الذي
تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة ان النبي
عليه الصلوة والسلام سئل هل رايت ربك فقال رايته بفؤادي ولم اره بعيني
وهنا يحتمل ان يكون في المرة الاولى فانه روي عن ابن عباس وغيره راه مرتين فلا ينافي
ما مر وما قيل من ان المراد نفي مجرد الرؤية او نفي رؤيته كساير الاشيا المرئية تعسف
ذكره هنا وروى عن مالك ابن يخامر بضم المثناة التحتية وخاء معجمة بينهما الف
وميم مكسورة ثم راء مهملة علم منقول بمنوع من الصوف وهو سكسكي حمصي يقال
ان له صحبة والاصح انه تابعي روى عن معاذ بن جبل كما ذكره المص وعبد الرحمن بن
عوف وغيرهما ومات سنة سبعين او اثنين وسبعين وروى عنه جماعة عن معاذ
عن النبي عليه الصلوة والسلام قال رايت ربي في حديث رواه احمد بن حنبل وغيره
وهو حديث صحيح اوله قال معاذ رضي الله عنه صلى صلى الله عليه صلى صلى الله عليه
وسلم الغداة ثم اقبل علينا فقال اني ساحدثكم اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي
ونعست وفي رواية فوضعت جنبي فاذا انا بربي في احسن صورة فقال يا محمد فيم
يختصم الملا الاعلى قلت انت اعلم اي ربي فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي فوجدت
بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والارض ثم تلى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض الى اخره ثم قال فيم يختصم الملا الاعلى يا محمد قلت في الكفارات
قال وما هن قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات
وابلاغ الوضوء اماكنه في المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون
من خطيئته كيوم ولدته امه وروي يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام
الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم اني اسالك
الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا
اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وهذا الحديث اخرجه ايضا الترمذي والبغوي
في المصابيح وهو تمثيل لتجلي الله له بلطفه وحسن معاملته وما افاضه عليه
من المعارف الكاشفة لغيبه مع ثلج صدره ببرد اليقين وتحقيقه في شرح
المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوي وادراج بعض الشراح له هنا
في المتن كعادته غير متجه وذكر كلمة اشارة كما مر وهو اسم جمع لكلمة مضاف الضمير الله
او الحديث لا دنى ملابسة فقال الله فيم يختصم الملا الاعلى اي فيم يتسائل الملائكة

بعضهم بعضا عن المراتب المقربة الى الله الكفرة للخطايا ما ولدا امره صلى الله عليه وسلم
بالدعا بنيل كمال هذه المراتب الحديث بالنصب اى اقرا او اذكر وحكى عبد الرزاق همام
بن دافع الصنعانى صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الائمة الستة وتوفى سنة احدى
عشرة ومايتين وترجمته مشهورة ان الحسن البصرى السابق ذكره وترجمته كان يحلف بالله
لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعين بصره وحكاه ابو عمر الطلمنكى بفتح الفوقية
بالطا المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليها ياء النسبة
كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ احمد بن عبد الله بن يحيى المغافرى الاندلسى
عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلثمائة وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة
وروى عنه ابن حزم وابن عبد البر وغيرهما من الاعلام عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب وهو رؤية الله بعينه عن ابن مسعود
رضى الله عنه وحكى ابن اسحاق محمد بن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازى
وقد تقدمت ترجمته ان مروان بن الحكم بن ابى العاصى بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
القرشى الاموى ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولا رواية وانما له رواية عن عثمان رضى الله
عنه وبسرة وغيرهما وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفى سنة خمس وستين
فى رمضان ثم تولى ابنه عبد الملك وترجمته مفصلة فى التواريخ سال ابا هريرة رضى الله
عنه هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعينه فقال وحكى النقاش محمد بن الحسن
بن زياد وقد تقدم ترجمته عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راى ربه
بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله رافعا بصره راه راه حتى انقطع نفسه بفتحتين
اى عجز عن التكلم واعنى فترك الكلام يعنى نفس احمد بن حنبل وانما فسره بذلك لئلا
يتوهم عوده لابن عباس وقال ابو عمر السابق ذكره قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن
عن القول بفتح الجيم وضم البا وحكى الجوهرى فتحها وهو ضعيف فى القلب يقتضى عدم الاقدام
يريد انه لم يتجرا تادبا عن ان يقول اى عن القول برؤيته فى الدنيا بالابصار بكسر الهمزة
وفتحها جمع بصر وتسميه بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق وقال
سعيد بن جبير الصحابى المشهور رضى الله عنه لا اقول راه ولا لم يره اى توقف فى ذلك
ولم يمل لاحد القولين وقال اختلف فى تاويل الاية يعنى قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى فى النقل عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس
وعكرمة راه بقلبه رواه مسلم فى صحيحه فى تفسير هذه الاية فالضمير فى راه لله
والرؤية قلبية وعن الحسن وابن مسعود راى جبرايل فالضمير فيها لجبريل عليه الصلوة
والسلام كما فى مسلم عن ابن مسعود وابى هريرة فراه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح
ينتثر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوى وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه وهو
كابيه امام فى السنة والعفة اخذ عنه الاعلام وتوفى سنة تسعين ومايتين فى

سن ابيه

سن ابيه انه قال راه اى بعينه لانه المتبادر وقد روى عنه التصريح به ولاينا فى ذلك
ما مر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يخفيه فى بعض المجالس المقتضى لذلك وعن ابن
عطا فى تفسير قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى
للكلام اى قوى قلبه واذهب رعبه حتى سمع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع
كلامه وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى بن ابى بشير بن اسحاق بن اسمعيل
بن عبد الله بن موسى ابن بلال بن ابى بردة بن موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله
والمعروف ان با الحسن هذا شافعى المذهب وقال التلمسانى انه مالكى المذهب ونسبة
الى اشعر وهو ثابت بن ادد ويحب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبا وكان عمرا عظيما
وهو امام اهل السنة صاحب التصانيف المشهورة وله ست وسبعين ومايتين
ومات سنة اربع وعشرين وماتين وقيل اربع وثلاثين فى ذى الحجة وجماعة
من اصحابه انه صلى الله عليه وسلم راى الله ببصره وعينى راسه تاييد لكون الرؤيا
بصرية واضافة العينين للراس احترازا عن عين قلبه وظهره فانها وردت فى الحديث
فان لم تكن عينا حقيقة وقال الاشعرى رحمه الله كل اية ومعجزة اوتيها نبى اى اعطاها
الله لنبى من الانبيا فقد اوتى مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد فصله ابن المنير
فى المقتفى والكلام فيه طويل لا يسعه كتابنا هذا ولاينافى هذا تخصيص موسى
عليه الصلوة والسلام بالكلام كما قيل الحقيقة المحمدية صورة الاسم
الاعظم الجامع للاسماء فله التصرف فى العوالم ومنه تستفيض وتستمد
ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة واى معجزة
كانت لنبى فهى له اولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره والى هذا اشار فى البردة
بقوله وكل اى اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم اقول الحق
ان نقول ان الله خلق روحه صلى الله عليه وسلم قبل الارواح وخلع عليها
خلعة النبوة ثم خلق ارواح البشر وامر ارواح الانبيا بان يؤمنوا به واخذ عليهم
الميثاق باتباعه ان ادركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما اجابوه اشرق عليهم
نوره الروحانى الربانى وصارت فى ارواحهم قوى مستعدة لاظهار المعجزات
كالاوليا امته اذا اظهروا الكرامات لما اشرق عليهم نوره وهذا هو الذى
قصده الابوصيرى رحمه الله فاعرفه وخص من بينهم اى اختص صلى الله
عليه وسلم عن سائر الانبيا بتفضيل الرؤية اى بتفضيله برؤيته ربه عيانا
فى الدنيا فلم يؤتها غيره منها ووقف بعض مشايخنا فى هذا اى توقف فيه فلم يعتقد
ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة او شيخ على خلاف القياس وفيه كلام
فى شرح ادب الكاتب وقال ليس عليه اى على ثبوتيته دليل واضح اى صحيح ظاهر
ولكنه جائز بحسب العقل ان يكون اى ان يصح ويوجد فى الدنيا قال القاضى

ابو الفضل عياض المص رحمه الله والحق الذى لا امترا فيه اى القول الحق الذى لا شك
فيه ولا شبهه لان المرية هى الشبهه ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا لانه موجود
حقيقة فى كل موجود وكل موجود يجوز رؤيته عيانا وليس فى العقل ما يحيلها اى
ما يقتضى انها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا يؤيد العقل فقال والدليل على جوازها فى الدنيا
سؤال موسى عليه الصلوة والسلام لها بقوله رب ارنى انظر اليك وموسى من اولى
العزم لا يسال من الله ما لا يجوز فلولم يعتقد صحه ذلك ما ساله والا كان جهلا منه
باحوال الربوبيه وهو مبرا منه وكلامه فى تحقيق الروية لا فى وقوعها فقط وما قيل
من انه ليس الكلام فى جوازها بل فى وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقايلون بامتناعها
لهم ادلة على مقالهم وان كانت مردودة والقايلون بالجواز العقلى ذاهبون للمنع الشرعى
ولذا قال النسفى رؤية الله فى الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمص بصدد اثبات
الوقوع له صلى الله عليه وسلم وهو امر نقلى لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج
عن المطلوب الا ان يقال انه استطرادى انتهى ليس بشئ لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت
الوقوع والوقوع امر نقلى قد بينه اولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا وما نقله
عن النسفى مخالف لما ارتضاه المص واذا كان هنا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عقليا
فما ذكره كلام مموه تركه خير منه وما ذكره المص هو دليل اهل السنة على جواز رؤيته
تعالى والمعتزلة يقولون لم يسال الجواز عنده بل لتبكيت القائلين له ارنا الله جهرة
ومحال ان يجهل نبى ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بتنوين نبى للتنكير والتعميم اى
نبى كان فكيف بالكليم عليه الصلوة والسلام وقيل انه للتعظيم اى نبى عظيم من اولى
العزم كبارا لرسل والاستحالة عادة مقررة وعقلا لانه بعث لتعليم امته الشريعة
والعقايد الحقة وهى معرفة ما يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان الله ارسله بما لا يعلمه
وهو محال لانه اما جهل وعبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هنا لو كان سؤاله حقيقيا
اما لو كان لالزام غيره او تبكيته لمن سالها من قومه فلا وهنا مردود لان السياق يا باه
وتفصيله فى علم الكلام بل لم يسال موسى من الله الا جايزا غير مستحيل لان سؤال المحال من مثله
محال وكونه سالها مع علمه باستحالتها ليتاكد الدليل العقلى بالسمع وليطمئن قلبه كما قال
ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى ثم قال ليطمئن قلبى فان العلم تيفاوت قوة وضعفا مردود
بان تفاوته غير مسلم والخليل لم يسال الا ذلك وانما كان علم ان الله متخذ خليلا يحيى الموتى
بدعائه فساله ذلك ليعلم اهو هو ام لا ولو لم فلا يلزم طلب ما لا يجوز وينافى الادب
عنده بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين لى علم ذلك جوازا او استحالة ولكن وقوعه
ومشاهدته من الغيب اى جوازه مقدر ثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدته به امر مغيب
عن كل احد كسائر المغيبات الجائزة كالحشر وغيرها فالغيب بمعنى المغيب عن البشر الذى لا يعلمه
الا من علمه الله به فقال له الله لن ترانى اى الرويا جائزة ولكنك لا تصل اليها فى الدنيا اى لن تطيق

اى

397

اى مقدر ولا تحتمل رؤيتى اى لا تقوى عليها فى هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز ثم ضرب له
مثالا اى اتى له بمثال من المخلوقات فانه لا تطيق تجلى الله عيانا ليكشف له امرها ويعلم
حاله من حال غيره مما هو وفى بعض النسخ بما مغلقا بضرب فقواى من بنية موسى واثبات اى
اشد قوة واكثر ثباتا وبنية بكسر البا الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب وهو الجبل
فى قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما لم يثبت الا قوى علم عدم ثباته
بالطريق الاولى ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق عليه ممكنا ايضا فعلم منه جواز
الروية والى ذلك اشار بقوله وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا اى يقتضى استحالته
فيها بل فيه ما يقتضى جوازها على الجملة كما سمعته انفا من سؤاله له وتعليقه بالممكن
يقتضى امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة
النص والمعروف فى كلامهم فى الجملة والمعنى واحد لان المراد جواز اقتضاه على طريق الاجمال
وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا دليل قاطع على امتناعها وان لم تكن مستحيلة
فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او فى الدنيا اذ كل موجود فى الخارج جوهرا كان
او عرضا لا فى العلم والذهن كما قيل لتصور الممتنعات وهو تعليل للجواز لان اذ تاتى
للتعليل كما حققه النحاة واهل المعانى والتعليق بالمشتق يقتضى عليه مبديته فالعلة
الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين البارى تعالى وسائر الموجودات فكما يجوز رؤيتها
تجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضى صحه رؤية علو الاصوات والروايح والطعوم
وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل منقول
عن الاشعرى وهو التزم جواز رؤيتها والكلام فى الجواز لا الوقوع فرؤيته جائزة غير
مستحيلة تفسير الجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب ولا حجة مسلمة عند الخصم
لمن استدل على منعها اى الروية بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات
فى هذه الاية كما حققناه لك فلا افادة واذ ليس معطوف على قوله اذ كل موجود او على
قوله لاختلاف لان معناه ليس يقتضى قول من قال بمنعها فى الدنيا الاستحالة مطلقا بل
تخصيص الدنيا يقتضى وقوعه فى الاخرة فيدل على الجواز فى الدنيا وهذا على المعتزلة
فان هذه الاية اعظم ادلتهم على نفى الروية فى الدنيا والاخرة ثم بالغ فى الرد عليهم
بان استدلوا به عليهم لا لهم وقد استدل بعضهم بهذه الاية ان قوله لا تدركه الخ
نفسها على جواز الروية وعدم استحالتها على الجملة كما يعلم من ذكره اختلاف التاويل
وانما استدل بها لان نفى الشئ عند البلغا يقتضى جوازه والا كان عبثا فلا يقال
للحايط انه لا علم له والله تعالى قد ساق نفى ادراك الابصار فى سياق المدح وانما
يمتدح بامر ثبوتى كمالى لا بالعدم الصرف فكل نفى مدح به تضمن امرا وجوديا كنفى
السنة والنوم المتضمن لكمال القيومية ونفى الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان
نفى الابصار معناه انه لا يرى اصلا كسائر المعدومات لم يكن فيه مدح بل المراد

لايحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم ولذا فسر ابن
عباس رضي الله عنهما بلا يحيط به الابصار كما ذكره المصنف وكذا ذكره غيره فنفي
الاحاطة تنفي الروية بدونها والمراد العموم اي لاتراه جميع الابصار فان منها ما حجبه
فهي سالبة في قوة موجبة جزئية كما مر واليه اشار بقوله وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار
وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا
للايجاب الكلي بان يلاحظ الايجاب الكلي ولا ثم يرد عليه النفي وحينئذ لا احتجاج لهم
علينا فانا قايلون بان الكفار لا يرونه او المنفي ادراك بتقليب الحدقة نحو المرئي فانه
المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار
استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهي في قوة السالبة الجزئية كما تقرر بمعنى
لا تدركه بعض الابصار وتخصيص النفي بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات
للبعض فالاية لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص لا نسلم عمومها للاوقات لانها
سالبة مطلقة وهي اعم من السالبة الدائمة وما ذكر من ان تدركه الابصار موجبة
مطلقة فنقيضها سالبة دائمة ممنوع لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه
اقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر لان القضية
المهملة والدالة على رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب الجزئي والتعرض
للنفي عن البعض بل السلب الجزئي لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلي والجزئي
مع الايجاب للبعض فمجرد كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئي لا يدل بمفهومه على
مفهوم السلب الجزئي فلا حجة لنا فيه وانما يكون حجة لنا لو كان صريح مفهوم القضية
وقد قيل في بعض التاويلات لا تدركه الابصار نفسها وانما يدركه المبصرون يعني
ان الادراك نوع من العلم وهو صفة الناظر حقيقة لا نفس النظر فانه واسطة دالة
ولا يخفى ركاكة هذا التاويل وان كانت عهدته على قائله وكل هذه التاويلات السالفة
لا تقتضي منع الروية ولا استحالتها بل جوازها كما مر فلا حجة فيها وكذلك لا حجة لهم بقوله
تعالى لن تراني الاية التي استدل بها بعض المعتزلة وقال لن للنفي المويد والموكد فاذا
نفي عن موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يعلم بالطريق الاولى وقد رد بانها للنفي
في المستقبل فقط وكلام الله وغيره دال عليه كما اثبته النحاة بما هو مشهور
في كتبهم ونفي الروية عنه لا يدل على نفيها عن غيره لانه نفي مخصوص فلا دليل لهم فيه
وقوله تبت اليك من سؤال الروية المقتضي لانه محال وطلب ما لا يليق فهو ذنب
وسياتي جوابه لما قدمناه من ادلة الجواز الصريحة المقتضية لتاويل هذه الاية
ولانها اي هذه الاية ليست على العموم بل مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام
في المستقبل والنفي الخاص لا يدل على عموم ولا استحالة ولان من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تاويل فلا دليل فيه على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القائل

بين

بين معنى الاية ولم يذكر انه تفسير ماثور ولا انه برهان على المنع العقلي والعموم فلا حجة
398 فيه وايضا فليس فيه نص الامتناع اي صريح عموم امتناع الروية لكل احد وانما جاءت
في حق موسى عليه الصلوة والسلام اي انه اية لن تراني مخصوصة بموسى فكيف يستدل بها
على امتناع الروية مطلقا في الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب اليه المعتزلة
ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز الذي نحن بصدد اثباته وحيث تطرق التاويلات
اي اذا امكن تاويل ما استدلوا به وتسلط الاحتمالات اي توجد احتمالات في
الدليل فليس للقطع به سبيل فلا يصح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا ظهر
الاحتمال سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على امتناع الروية امور كثيرة ذكرها
المفسرون والمتكلمون كما قدمه المصنف واصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه
التاويلات لصاحب مطلب وجد الطريق اليه على سبيل الاستعارة والتبعية
او المكنية والتخييلية وكذا في التسلط لانه من السلاطة وهي القهر والغلبة
قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ومنه السلطان كما قاله الراغب
وغيره من اهل اللغة وقيل يتطرق من الطرق وهو الخلط او من التطارق وهو
التتابع والازدحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط وقوله تعالى
تبت اليك الذي استدلوا به على انه دال على امتناعه عقلا لعدم سؤال الروية
دنيا لاستحالتها لا دلالة على مدعاهم لان له تفسيرا اخر اي من سؤالي ما لم يقدر لي
في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية لما غشيه من انوار عظمته حتى صعق كما يقول
من فعل امرا جايزا اعتراه منه مشقة عظيمة تبت عن مثل هذا كما قال ابن نباتة السعدي
امل ما مولا لغير صدودها فراحلتي اني الى المجد تايب وتقدن بضم المثناة
وتشديد الدال وتخفيفها وقد قال ابو بكر الهذلي الامام العلامة تلميذ ابن القوطية
صاحب الافعال كان من الادباء الظرفاء وله شعر بديع في تفسير قوله تعالى لن تراني
اي ليس لبشر ان يطيق اي يقدر ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر فيها مات وقيل هذا
ماخوذ من قوله وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لا تطيق النظر
في الدنيا بسبحات جلاله الا من قدره الله تعالى واذا لم يطق ذلك مثل موسى عليه
الصلوة والسلام فغيره يموت فجاة لخوفه او لاحراق سبحات النور له وفي هذا
دليل على جوازه ووقوعه في الدنيا لكنه من وقع له فيها لا يعيش كما قيل ان من راى الملك
في الدنيا يعمى كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه وان قيل انه لم يصح والمراد غير الانبياء هنا
وقد رايت لبعض السلف من المتقدمين ولبعض المتاخرين ما معناه ان رويته تعالى
في الدنيا ممتنعة لمانع منها لا لذاتها من حيث هي لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض
لضعف تركيب اهل الدنيا اي لضعف ابدانهم المركبة كما قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا
وقواهم جمع قوة وهي امر اودعه الله تعالى في البدن بها الادراك او المراد به المعنى

اللقوى وكونهما اى التراكيب والقوى وهو راجع للقوى فقط متغيرة بالازدياد فى اول
امرها ثم التنازل والنقص بعده وذلك يدل على ضعفها عرضا للافات هو حال او خبر
بعد خبر لكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك
مخصوص بالجمل كما حقق فى مباحث الفصل والوصل والغرض بالغين والضاد المعجمتين
اصله الهدف الذى ينصب لرمى السهام فشبه الجسد بهدف واقات الدهر ومصايبه
كسهام لا تزال يرمى بها حتى يفنى كما قال ابو العتاهية ان الفتى لغرض الالام يرميه
نبل الدهر والايام   يصيبه رام ويخطئ رام   ويجوز ان يكون بالعين المهملة
اى معرضا لها ولكن الاصح الاول اصح رواية ودراية وقال التلمسانى روى معترضة بدل
قوله متغيرة اى ذات اعراض وهى الافات والامراض او من العرضة اى متعرضة للافات
وقيل بعضهم عرضا بفتح العين المهملة اى منصوبا للافات سقا بلا لها كالهدف والاذية
والعاهة كل معنا ما يعرض لشئ فيفسده والفنا بفتح الفا والمد وهو الزوال والعدم
فلم يكن لهم قوة على الرؤية لضعف ابدانهم وقواهم فى الدنيا واذا كان فى الاخرة اى اذا ادخلهم
الله تعالى او ادخلهم دار البقاء وركبوا تركيبا اخر غير تركيبهم الاول ورزقوا قوى ثانية بمثلثة
ونون ومثناة تحتية اى قوى غير القوى الاول الدنيوية وفى بعض النسخ ثابتة بموحدة
ومثناة فوقية فقوله باقية تفسير له اى مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها واتم
انوار ابصارهم وقلوبهم اى جعلها تامة كاملة متعدة للبقا السرمدى قووا بها
على الرؤية جواب اذا والضمير راجع للمذكورات من التركيب والقوى والانوار التى
منحها الله تعالى لهم فى الاخرة فهذا يدل على وقوع الرؤية فى الاخرة وجوازها فى الدنيا
لانه لو رزقهم ذلك فى الدنيا صح ذلك منهم ايضا ولذا شق صدر النبى صلى الله عليه
وسلم   واودع فيه ما قوى به على ذلك كما تقدم وهذا مما اوحى لايوب عليه الصلوة
والسلام قال عطا اوحى الله لايوب انك لتنظر الى عينا فقال يا رب فهما تين العينين
فقال اجعل لك عينين باقيتين فينظر الى الباقى بالباقى وروى وفى نسخ وقد رايت نحو
هذا لمالك بن انس رحمه الله تعالى قال لم ير بضم التحتية ونايب الفاعل عايد على الله
لانه باق ولا يرى الباقى بالفانى فاذا كان النظر او الناظر فى الاخرة ورزقوا ابصارا
باقية روى الباقى بالباقى ظاهره ان البقا الابدى علة لصحة الرؤية والفنا مانع
ولا مدخل للبقا فى الرؤية كما ان الفنا والحدوث لا مدخل له فى المنع لان الرؤية بخلق الله
وليست مشروطة بشئ عند اهل السنة فكانه اراد ان البقا يلزمه قوة التركيب
والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ما قبله ولذا قيل ان مراده ان الرائى والمرئى
لا بد ان يكون بينهما مناسبة وابصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكساها الله صفة
دوام البقا تحملت رؤية الحى القيوم للمناسبة فى الجملة وان كان بقاؤه قديما ذاتيا
وبقاؤها طارئ عرضى وهو كلام افناعى وهذا كلام حسن مليح عنده على ما فيه وليس فيه

دليل على الاستحالة والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ لا مانع منه الا من حيث
ضعف القدرة البشرية فى الدنيا فاذا قوى الله من شاء من عباده بان رزقه قوة تطيق
ذلك واقدره على حمل اعباء الرؤية اى جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء
جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل الثقيل وهو فى المحسوسات
حقيقة فاستعيرت للمعانى لم تمنع الرؤية فى حقه لتمكنه منها بما منحه من القوة وقد تقدم
ما ذكر فى قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونعوذ ادراكها بذال معجمة اى
خروجه وبلوغه بقوة الهيبة منحاها بضم اوله مبنى للمجهول اى اعطياها لادراك ما ادركاه
ورؤية ما رايا ه والله اعلم بحقيقة ذلك وقد ذكر القاضى ابو بكر محمد بن الطيب امام
اهل السنة الباقلانى بالنون نسبة الى الباقلا على خلاف القياس كالصنعانى توفى
سنة ثلاث واربعمائة وقيل ثلاث وسبعين وثلاثمائة قالوا وليس هو الامام ابو بكر بن
محمد بن العربى شيخ المص فى اثنا اجوبته عن الايتين اى فى خلال كلامه فى الجواب عما استدل
المانعون من الايتين لا تدركه الابصار ولن ترانى ما معناه ما موصولة او موصوفة
مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة ان موسى عليه الصلوة
والسلام راى الله فلذلك خر صعقا مغشيا عليه مع صحته لان وقوع مثل هذا بمجرد رؤية
الجبل دكا بعيد وان جاز ان يكون لتجليه وظهور انواره لكن هذا مناف لظاهر قوله لن ترانى
وقوله انظر الى الجبل ولما نقله المص قولا من ان الله قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد
عليهما الصلوة والسلام وان الجبل ايضا راى ربه اى خلق فيه ادراكا وحياة فصار دكا
اى انهد حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك بارراك خلقه الله له كما نقله الماتريدى
عن الاشعرى رحمهما الله وهذا مما يدل على جواز الرؤية لان الذى قدر الجماد على ذلك كيف
لا يقدر كل البشر واستنبط اى استخرج ذلك واصل الاستنباط اخراج الماء من البئر
فاطلق على مطلق الاستخراج او استعارة له وذلك اشارة لرؤية موسى صلى الله عليه
وسلم   ورؤية الجبل والله اعلم فيه اشارة الى انه لم يصرح به من قوله تعالى ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا اى مدكوكا
والدك والدق متقاربان وفسر دكا بانه صار رمالا او ترابا وقيل غبارا وقيل استوى
بالارض وقيل انفرق فرقا قال الواحدى هذا الجبل يسمى زبير وليس هو الطور وخر موسى
صعقا اى سقط صايحا مغشيا عليه من هول ما راه من هذا الجبل وتجليه للجبل ظهوره له
حتى راه اى شاهد المتجلى ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلو لم يخلق له حياة وادراكا
ورؤيته لم يخف خوف هذه وفتنه على هذا القول اى قول ابى بكر الباقلانى السابق بان
موسى والجبل راياه معا وهذا بناء على مذهب اهل السنة فى انه يجوز خلق العلم والنظر
فى اى جرم اراد وليس من شرطه البنية والمزاج كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله
ابن عرفة قيل هذا غير ظاهر لانا لتجلى لموسى لا للجبل وكون موسى خر صعقا انما هو لدكه

الجبل وشدته وتوعد لامن يجلى الله له ورؤيته ويناسبه قوله وقال جعفر الصادق بن محمد
المتقدم ترجمته شغله الله تعالى بالجبل واصوات دكه حين امره بالنظر اليه حتى تجلى اى
ظهر ظهورا تاما لموسى عليه الصلوة والسلام مراده ولولا ذلك اى اشتغاله بالجبل
بان ظهر له نور التجلى ابتداء مات صعقا بسكون العين وكسرها وعلى الاول هو تمييز وعلى
الثانى حال بلا افاقة من صعقة وغشيه وقوله هنا اى قول جعفر يدل على ان موسى عليه الصلوة
والسلام راه كالجبل لانه معنى التجلى لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده فما قيل من انه
فى غاية البعد لان التجلى الواقع فى الاية انما هو الجبل لا لموسى عليه الصلوة والسلام غير
متجه لان المص انما بنى كلامه على ما قاله هولاء وفهموه والناقل لا عهدة عليه فان حاصله
ان موسى لما سال الرؤية فى مناجاته لربه امره بالنظر للجبل ليلهيه به حتى اذا تجلى له ابتداء
لم يهلك وتحرقه الانوار ويموت وهذا بنا على انه حين صعق لم يمت وذهب كثير من المفسرين
الى انه مات ثم احياه الله وما قاله هؤلا مخالف لكلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انه
انما امر موسى عليه الصلوة والسلام بالنظر للجبل ودكه ليعلم ان لا طاقة له على رؤيته
تعالى فان ما لا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان وقد وقع لبعض المفسرين
انه قال فى الجبل انه راه بحياة وادراك خلقه الله تعالى فيه فراه وشاهده وقد نقله
الماتريدى عن الاشعرى وهو الظاهر من التجلى وان حملوه على معنى اخر قال فى الكشاف فى تفسير
فان ظهر اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اى مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة
تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز اخر حيث اسند التجلى للاقتدار وليس
بشئ وبرؤية الجبل لله عزوجل استدل لمن قال برؤية نبينا صلى الله عليه وسلم له فقيل
الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا
على الرؤية ومستلزما لها هنا ولو كان كذلك قال فان راى واستقر فما ذكر ليعلم موسى
عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفى الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه الا ان يقال
معنى قوله اذ جعله دليلا على الجواز انه جعل تعليق الرؤية بامر ممكن فى نفسه دليلا على
جوازها فاذا كانت امرا جائزا لا حاجة لتاويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله عليه
وسلم راى ربه ولا مرية بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد فى الجواز اى جواز
الرؤية اذ ليس فى الايات التى استدل بها على عدمها كاية لا تدركه الابصار ولن ترانى
ونحوها نص فى المنع للرؤية صريح فيه اذ هى ماوله بل شيوع الجواز كما مر واما وجوبه
لنبينا صلى الله عليه وسلم اى وجوب وقوع رؤيته لربه فى الاسراء بعين راسه واعترض
عليه بانه لم يقل احد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصايصه
التى يجب اعتقادها تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لا يجب عليه
شئ وكل ذلك محض تفضل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع
فى الخارج انقلب واجبا بالغير وان كان فى حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى

ولا يخفى

400

ولا يخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذى لا يساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب
واجبا للغير ولا معنى له فالظاهر ان هنا بمعناه الاصطلاحى لانه لو ورد مصححا به فى نص
قطعى من القرآن والحديث المتواتر والمشهور وجب علينا اعتقاده ولا يسع احد
من اهل الملة ان يخالف فيه واليه اشار فى اخر المفصل بقوله وجب المصير اليه الا ترى
انه لما صح انه صلى الله عليه وسلم خبر بالاسرى وورد فى القرآن انه اسرى به من الحرم
للبيت المقدس لا يجوز انكاره سواء كان منا ما او يقظة او بمعناه اللغوى وهو
الوقوع فانه اصل معناه واطلاقه الواجب على اللازم عقلا او شرعا معنى عرفى منقول
منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به ايمة اللغة والمص منهم قال الامام
الراغب يقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت جنوبها وقول الفقها الواجب
اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجرى مجرى قولك الانسان
اذا مشى مشى برجلين انتهى والى هذا اشار فقها ثانيا فى الفرق بين الفرض والواجب فقوله
والقول بانه راه بعينه يشير اليه من طرف خفى فلا اشكال فى كلامه وهنا يقع فى مقابلة
الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع كما صرح به الراغب ايضا فلا يرد على ما قلناه انه وقعه
فى مقابلة الجائز فى كلامه يأباه فان هذا كله انما جا من توهم انه اريد بهما ما قاله الفقها
وقوله بعينه متعلق براه او تاكيد للضمير ففيه صنعة من البديع وهى حسنة اذا جات
احيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله رايت من اهواه
لما ان رمى فقلت هذا قاتلى بعينه فليس فيه قاطع اى دليل قطعى ايضا اى كما ان المنع
لم يقم لمدعيه دليل قطعى ولا نص اى دليل صريح فيه من الكتاب والسنة اذ المعول عليه
اى المعتمد فى استدلالهم على وقوعه لنبينا صلى الله عليه وسلم على ايتى اى على ايتين فى سورة
النجم ما كذب الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى الاية والتنازع فيهما ماثور اى النزاع
فى المراد منهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بالضمير لجبريل والرؤية له
بصورته الاصلية والاحتمال لهما ممكن لعدم صراحتهما وقطعيتهما فى المدعى ولا اثر اى
حديث قاطع متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اى بكونه صلى الله عليه وسلم
راه بعين راسه وحديث ابن عباس رضى الله عنه الموقوف عليه المتقدم الذى ذكر فيه
انه راه بعينه خبر عن اعتقاده اى اخبر به عما كان يعتقده بحسب ما ادى اليه علمه
الجازم ولم يسنده الى النبى صلى الله عليه وسلم اى لم ينقله عنه ويقول انه صرح له
بذلك حتى يعتبر فيجب العمل اى القول به والجزم باعتقاد مضمنه بضم الميم الاولى وفتح
الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة اى ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته عليه
الصلوة والسلام لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر ان العمل فيما يكون
من الجوارح الظاهرة يعنى ان الرؤية العينية ليس فيها نص قرآنى ولا حديث قطعى حتى يجب
اعتقاده ويكفر منكره لمخالفة كثير من الصحابة والعلماء فى وقوعها وان كان الراجح عندهم

بثبوتها وبه صرح الغزالي والنووي واليه ذهب المص وان قيل انه مال بخلافه في شرح
مسلم ومثله اي مثل قول ابن عباس في اثبات الرؤية حديث ابي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي
رواه مسلم قال سالته صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال رايت نورا الخ في تفسير
الاية يعني اية سورة النجم وحديث معاذ بن جبل محتمل للتاويل بما مر وهو مضطرب الاسناد
اي الطريق في روايته والمتن هو نفس الحديث وكلام الرسول الذي رواه لانه المراد منه
والمتن اصله الظهر الذي به قوام البدن فشبه به ما يقصد به من الكلام كلفظ الحديث
واللفظ المنقول ليشرح واضطرابه اختلافه واختلافه افتعال من الضرب قيل
اضطرب سنده لانه رواه ثابت عن ابن عباس الحضرمي مرسلا لانه ليس بصحابي وتابع
عن معاذ بن جبل واضطراب متنه لانه قال فيه رايت ربي في احسن صورة فقال فيم
يختصم الملاء الاعلا الحديث الذي تقدم وفيه كما صلى صلى الله عليه وسلم الغداة قال
صليت الليلة ما قضي لي ثم وضعت جنبي فاتاني ربي في اخرى عنه قمت من الليل فصليت
ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فاذا انا بربي واختلافه والسند والحديث يوجب
الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذي وقال انه حسن غريب وقال
انه صحيح الاسناد وهو احسن ما يتمسك به في الرؤية وكذا قال المنذري الترغيب فما ذكره
المص من اضطرابه ان اراد معناه اللغوي لاختلاف الفاظه فهو غير قادح لان الحديث
الواحد قد تختلف الفاظه ولا يختلف معناه وان اراد معناه الاصطلاحي وهو ما اختلف
فيه روايتان فاكثر فهو بوجوه مختلفة لم يترجح احدها فليس فيه شيء منه ولو كان كذلك
اوجب ضعفه وايمة الحديث صححوه كما سمعته انفا وفيه نظر وحديث ابي ذر الاخر يختلف
الفاظه المروية وشله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوي محتمل للرؤية
القلبية وغيرها مشكل من احديث المعنى لحمله ذاته تعالى نورا فروي بالبنا للمجهول نور
منون مرفوع ويروى منصوبا ايضا اني بفتح الهمزة وتشديد النون والف بعدها مقصود
بمعنى كيف اراه اي منعني وحجبني او ظهر لي نورا ورايت نورا غشيني فكيف ارى ذات الله وقد حال
بيني وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية في جاري العادة وروى نوراني بالنسبة للنور
على خلاف القياس كصنعاني وقيل انه تصحيف والصواب الاول وفي المنفي للبرهان يحتمل
هذه الرواية ما سبق بان يكون منفلاه للخالق للنور المانع للرؤية فهو من صفات الافعال
وقال المص لم ار هذه الرواية من المستحيل ان يكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه
باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها او هادي اهلها او منور قلوبهم او ذو بهجته
وجمال وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا ما رايت لهذا الحديث منكرا وقال ابن تيمية في
القلب من صحة اسناده شيء وزاد احمد في حديث ابي ذر رجال اسناده رجال الصحيح الذي
وقيل هذا الحديث لا يشعر برؤيته ولا بعدمها والمتفق على روايته هو الاول ويحتمل انه قاله
لان عنده من حدث سلامه ممن لا يفهم مراده لانه روى رايت نورا وما ذكره البرهان تكلف

فان النور من اسمائه تعالى قول كل هذا كلام بديع والذي ارتضاه الغزالي ان النور يطلق
على الله حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهو وان كان منزعا حكيما صوفيا
فقد وقع في كلام الاشعري ما يوافقه فانه قال الله نور ليس كالانوار كاسيأتي وعلى هذا
فالروايتان بمعنى فانه نور النور الخفي بفرط الظهور فان فهمت فهو نور على نور وقوله انه
جسم غير مسلم وحكى اي نقل بعض مشايخنا انه اي هذا الحديث وهذا اللفظ نوراني اراه
روي قد عرفت معناه وسمعت ما قاله المص في شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت
وفي حديثه اي حديث ابي ذر الاخر اي المروي من طريق اخر سالته اي النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت له هل رايت ربك فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما
على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا هذا محتمل لان يكون اطلق عليه النور حقيقة
كما مر او باعتبار لازمه كسائر اسمائه التي لا تليق حقيقتها به او ان المراد انه لم يره لان حجابه
النور والى هذا اشار المص بقوله فهو اي النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لم ير الله تعالى
وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى بنا على ما فهمه ولم يرتضه بعض الشراح
والى هذا المعنى وانه لم يره يرجع قوله نوراني اراه فانه تعجب وانكار لرؤيته اي كيف اراه هنا
كقوله تعالى كيف تكفرون بالله فكيف للانكار والتعجب اي كيف تتمكن من رؤيته مع حجاب
النور المغشي للبصر اي الساتر والمانع له عن الرؤية كالغشاوة وهذا مثل ما في الحديث
الاخر حجابه النور وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسي والبخاري عن ابي موسى الاشعري
وهو ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل
قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه احرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه
بصره من خلقه وهو حديث صحيح وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلى
قوله تعالى ثم دنى فتدلى اي نزل ليقرب من عنده وهذا بنا على ان الضمير فيهما لله تعالى لا لجبريل
صلى الله عليه وسلم وتدليه من المتشابه كقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا والكلام فيه
مشهور ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر
في القلب بان يدرك بقلبه ما يدرك ببصره حتى يكون مشاهدا لمحسوساته واقفا على ذاته
لان في القلب نورا هو مبدا الابصار فيقوى الله حتى يرى الله بلا واسطة العين او كيف شاء
اي بكيفية اخرى غيره بخلق الادراك في قلبه اراد ها لمن اراد ان يتجلى له بان يجعل له علما
ضروريا يدركه على وجه لا يعلمه الا هو لا اله غيره فان ورد حديث نص صريح بين في الباب
في ثبوت الرؤية له بحيث لا يحتمل التاويل اعتقد بالبنا للمجهول اي اعتقده كل من وقف عليه
وثبت عنده ووجب المصير اليه اي وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا نعدل
عنه اذ لا استحالة فيه اي فيما ذكره من صحة الرؤية ووقوعها وهذا معنى الوجوب الذي
قاله اولا كما وعدناك به ولا مانع قطعي يرده فيمنع من اعتقاده ويوجب تاويله والتوقف
فيه كسائر المتشابهات والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب لمن رزق التوفيق الخالق

للتوفيق المنعم به على عباده وفي الختم بهذا الطف لما فيه من الاشارة الى ان تعارض احاديث الروية
محتاج للتوفيق لمن رزق التوفيق ولاشبهته فيما قاله وهو لاينافي ان الاصح الراجح انه صلى الله
عليه وسلم راى ربه بعيني راسه حين اسرى به كما ذهب اليه اكثر الصحابة الا انه لما ورد
ونقل خلافه ايضا ذهب الى انه امر غير قطعي فالاعتراض عليه بانه ان اراد بالقطعي
كلام الله او حديث متواتر فمسلم لكنه ليس بلازم فكم من امر علمناه وجزمنا به وهو ليس
في القران وفي الحديث المتواتر وان اراد انه ليس فيه حديث صحيح صريح يعل به فهو غير مسلم
ساقط واه تركه خير منه فصل واما ما ورد في هذه القصة اي قصة الاسراء من مناجاته
اي مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجات تكون بمعنى المحادثة وبمعنى
المسادة بما يرضاه واصل معناها ان يخلو بمن خاطبه على نجوة اي مكان مرتفع من الارض
وقيل هو من النجاة لانه سر نجا من ان يطلع عليه غيره ثم شاع في مطلق المخاطبة فلذا
عطف عليه قوله وكلامه معه ليبين المراد به والضمير الاول للرسول كضمير مناجاته
او لله كضمير معه اي كلامه معه الثابت بقوله فاوحى الى عبده اي القرب اليه والى
سرادقات عظمته وهو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم او جبريل وقدم انه قال
العبودية اشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه ما اوحى اي
اي ما يوحي امرا عظيما لا يحيط به العبارة ففي الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه
محرم لاسرار المعارف لا يطلع على ما اطلعه الله عليه غيره ففي الابهام ولفظ
العبد هنا موقع لا يليق بغيره الى ما تضمنته الاحاديث الاتية والى بمعنى مع او غاية
لابتدا مقدر اي ننتهي من الكلام الى ما تضمنه الاحاديث فاكثر المفسرين
جواب اما قيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بالشاذ والنادر منهم فحق
العبارة جمهور المفسرين والامر فيه سهل على ان الموحي اسم فاعل اوحى اي الفاعل للايحاء
قوله فاوحى في هذه الاية الله الى جبريل عليه الصلوة والسلام وجبريل الى محمد صلى الله
عليه وسلم الا شذوذا منهم اي الا جماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه
فشذوذا اما جمع شاذ كقعود جمع قاعد او مصدر اطلق على الفاعل مبالغة في انفرادهم
حتى كانهم عينه فذكر مبني للمفعول عن جعفر بن محمد الصادق صفة جعفر وقد تقدمت
ترجمته انه قال اوحى اليه بلا واسطة اي كلم الله محمدا صلى الله عليه وسلم بلا واسطة
ملك او غيره والمراد بالوحي هنا الكلام وان كان اعم منه فمعنى هنا ضمير اوحى الله والمراد
بعبده محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بيان للمذهب الشاذ ونحوه اي ومثل ما قاله
جعفر والواسطي ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء بفتح همزة ان وهو وما بعده
بدل من هذا وحكى ننا المجهول عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله
عنهم وانكره اي انكر تكليم الله له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة قوم اخرون
وليس المنكر النقل فقط كما توهم لان السياق يأباه وذكر النقاش التابعي كونه في نفسه

المشهور

المشهور نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم
في تفسير قوله فدنى فتدلى قال صلى الله عليه وسلم فارقني جبريل اي تخلف عنه في المعراج
لان له مقاما لا يتعداه فانقطعت الاصوات عني بعد ما فارقته وبعدت عنه فسمعت كلام
ربي وهو يقول الجملة حالية اي قائلا لي ليهدا روعك يا محمد بلام الامر ويهدا بفتح اليا المثناة
التحتية وسكون الها ودال مهملة خفيفة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم
بلام الامر فاذا ابدل الفا جاز حذفها كالمعتل الاخر والروع بفتح الرا الخوف والهدء معناه
السكون والمعنى ليسكن فزعك اي ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الرا المهملة والروع
بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف ويجوز ان يراد بالمفتوح ايضا القلب
لانه محله فالروايتان بمعنى ادن ادن امر من الدنو وهو القرب اي تقدم وادخل الى حظاير القدس
وانما قال له تشريفا له صلى الله عليه وسلم واعلاما لمنزلته وتانيسا لاستيحاشه لما انقطعت
عنه الاصوات ولذا امره بالطمينان قلبه اولا وكرر امره تاكيدا او بيانا لزيادة قربه من الله
تعالى وان كان قربا اليه في كل حال التنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاخبار عنه
بقوله دنا اشارة الى امتثاله الامر وفي حديث انس رضي الله عنه في الاسراء السابق ذكر نحوه
اي ما يفيد مثله فالحاصل في قوله فاوحى الاية ان الضمير الاول في اوحى لجبريل وفي عبده لله والمراد
محمد صلى الله عليه وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه معلوم وضمير اوحى الثاني يجوز ان يكون
لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحي او لله اي اوحى جبريل لعبد الله محمد ما اوحى الله اليه ويجوز
ان يكون الضمير في اوحى الاول لله وعبده محمد اي اوحى الله الى محمد ويجوز ان يكون المراد بعبده
جبريل اي اوحى الله الى جبريل والضمير في اوحى الثاني لله اي اوحى الله الى عبده محمد ما اوحاه الله
اليه ففيه تفخيم للوحي ايضا ويجوز ان يكون لجبريل اي اوحى الله لعبده محمد ما اوحى جبريل اليه
فانجاه اليه بواسطة وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثاني لله والمعنى اوحى الله لعبده
جبريل ما اوحى الله اليه ففيه تفخيم وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثاني له اي اوحى الله
لعبده جبريل ما اوحى جبريل لمحمد لو لكل رسول لانه امين وحيه وما مصدرية او موصولة والذي
اوحاه احكامه او امر الصلوة او اوحى اليه لا يدخل نبي ولا امة الجنة قبلك ومثل امتك او سر
في سر كما قيل بين المحبين سر ليس يعرفه قول ولا قلم للخلق يحكيه وسيأتي تفسير بقية الاية
وتحقيقه وقد احتجوا في هذا اي استدلوا على انه تعالى كلمه بلا واسطة بقوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ووجه الاحتجاج
بينه بقوله فقالوا هي اي اقسام الكلام المثبتة في هذه الاية على وجه يفيد نفي ما عداها لان
معنى ما كان لا يصح ولا يقع ثلاثة اقسام منحصرة فيها الاول منها الكلام من وراء حجاب يحجب
من خاطبه وكلمه عن رؤية ذاته لا يحجب الله فانه يراه ولا يحجبه شي كما مر تفصيله فهو يسمع
كلامه من غير واسطة وهو لا يراه والحجاب سبحات النور وما يعلمه الا الله كتكليم موسى اي كتكليمه
تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام في الدنيا وموسى لا يراه فالتشبيه فيما ذكر فانه سمع من الشجرة

كلام الله تعالى بغير واسطة ملك وهو لا يرى ذاته تعالى والقسم الثاني من الوحي يكون بارسال
الملائكة الى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذي اوحاه اليهم وهذه الحالة في الوحي
كحال جميع الانبيا عليهم الصلوة والسلام واكثر حال نبينا صلى الله عليه وسلم وموسى ايضا
في غير ما ندر من كلامهما بغير واسطة في الدنيا مثل سوار والملك او لم يره فان الوحي على اقسام كما
كان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان يراه وفيه نظر فان هنا داخل في قوله وحيا وفي قوله بارسال
الملائكة لشانه الى انه غير مختص بجبريل لما روي ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام وكل به
صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين في اول الامر وقد قسموا الوحي الى نحو اربعين قسما وكلها
لا تخرج عن هذه الاقسام الثالث من اقسام الوحي وكلام الله لرسله عليهم الصلوة والسلام
قوله وحيا اي القا في قلبه بالهام ونحوه قال الراغب في مفرداته اصل الوحي الاشارة السريعة
ولتضمنه السرعة قيل امر وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت
مجرد عن التركيب وباشارة بعض الجوارح وبالكتابة ويقال لما يلقى لانبيائه وحي وهو اضرب
حسبما دل عليه قوله وما كان لبشر الخ فذلك اما برسول شاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ
جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة معينة واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع
موسى كلام الله واما بالقا في الروع كما ذكر ان روح القدس نفث في روعي واما بالهام او منام
انتهى فالاخير هو المراد بالوحي هنا وسيشير اليه المص ولم يبق من تقسيم صور التكلم الا المشافهة
اي الكلام من غير واسطة وهو في الاصل ماخوذ من الشفة فيتجوز به عن هذه المخاطبة والمكالمة
مع المشاهدة اي معاينة المخاطب لمن كالمه من غير واسطة ولا حجاب مانع معه الرؤية فيخص الله بها
من شاء من خلص عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم وقد استدل بهذه الاية على نفي الرؤية
لحصر تكليم البشر في الثلاثة فاذا لم يره من يكلمه ووقت الكلام لم يره غيره اجماعا واذا لم يره هو
اصلا لم يره غيره ايضا اذ لا قائل بالفصل والجواب انه يحتمل ان يكون المراد حصر التكليم في الدنيا
في هذه الثلاثة او نقول بجواز ان تقع الرؤية حال التكليم وحيا اذ الوحي كلام بسرعة كما تقرر
وهو لا ينافي الرؤية فلا دليل على ما ذكر اصلا كما حققه ابن الخطيب في رسالته المشهورة
يعني ان اعلام احد احدا بامر اما بغير مشافهة وكلام معروف او بمشافهته بواسطة او بدونها
والثاني اما مع مشاهدة او بدونها فانحصر في هذه الصور الاربعة والاية استوفت الا
قسام الا ما كان مع مشاهدة الذي خص الله من اراد وقد علمت ان ما ذكر غير متعين ولذا
قال بعضهم ان قوله لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الا ان سند منعه غير صحيح
ولم يعرج احد منهم على تحرير كلامه هنا وقد قيل القايل هو الراغب وغيره كما سمعته انفا الوحي
هنا في هذه ما يلقيه في قلب النبي اي في قلب اي نبي كان من الانبيا عليهم الصلوة والسلام
الهاما ونحوه دون واسطة اي بغير واسطة ملك يبلغه ما اوحاه الله اليه والهام كما قاله
الزركشي ما حرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذي
عليه الجمهور انه خيال لا يجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحي

لقوله

403

لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقويها ونحوه وقال السمعاني انكار اصله لا يجوز انتهى ولا يخفى
ان الخلاف في غير الهام الانبيا ومن كان في حكمهم فانه وحي وعلى هذا ينبغي تقييد ما في شرح جمع
الجوامع وقال الواحدي في تفسيره نقلا عن الواقدي في تفسير قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية ان الرسول الذي ارسل الى الخلق باخبار جبريل عيانا وشفاها
والنبي الذي يكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقال النووي
في تهذيبه ما ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك بذلك وليس كذلك وكلام الغزالي
الذي يستشهد به يرد عليه انتهى وقد ذكر ابو بكر البزار بموحدة وزاي معجمة والف وراء نسبة
لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهي لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذي تقدمت ترجمته
عن علي كرم الله وجهه في حديث الاسراء الذي رواه المص بتمامه في اول الباب ما هو اوضح
في سماع النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله من الاية يعني قوله تعالى فاوحى الى عبده
ما اوحى لان الاية فيها احتمالات وفي حديث علي رضي الله عنه فيه التصريح بسماعه صلى الله
عليه وسلم كلام الله من ورا الحجاب وقوله صدق عبدي فلا يا باه كون ضمير عبده لجبريل
في قول وان خلافه شاذ وكذا كون الوحي في الاية مبهم وثمة معين ولا ينافيه اختصاص نبينا
صلى الله عليه وسلم بالمشافهة مع الرؤية واختصاص موسى عليه الصلوة والسلام
بالتكليم كما توهم فذكر اي البزار وعلي رضي الله عنه فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر
فقيل له من ورا الحجاب اي قال الله تعالى للملك الاذان صدق عبدي انا اكبر انا اكبر
وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك الا قوله حي على الصلوة حي على الفلاح كما مر
ولكونه معلوما لم ينبه عليه ووجهه ان المشروع لسامع الاذان ان يقول ما يقوله
المؤذن كلمة بكلمة تصديقا له بما قاله الا قوله حي على الصلاة الخ فانه يقول فيه
لا حول ولا قوة الا بالله وهذا لا يليق به تعالى فلذا لم يجبه تنبيه هنا امران الاول
اختلف العلماء في صفة الاذان على اربع كيفيات مشهورة احدها تثنية التكبير
وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب اهل المدينة ومالك وغيره واختار
جماعة من اصحاب مالك الترجيع وهو ان يثني الشهادتين او لا خفيا ثم تثنيهما مرة
ثانية برفع الصوت والصفة الثانية اذان المكيين وبه قال الشافعي رحمه الله
وهو تربيع الاول والشهادتين وتثنية باقي الاذان والصفة الثالثة اذان الكوفيين
وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقي الاذان وبه قال ابو ح رحمه الله والصفة الرابعة
اذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وحي على الصلوة وحي
على الفلاح يبدأ باشهد ان لا اله الا الله حتى يصل حي على الفلاح ثم يعيده كذلك
مرة ثانية اعني الاربع كلمات نسقا ثم يعيده ثالثة وبه قال الحسن البصري وابن سيرين
كذا قال ابن رشد في كفاية المقتصد الثاني ان حديث علي رضي الله عنه يقتضي ان الاذان
شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرة لما راه بعض الصحابة

في منامه كما مر ولا يخفى ما بين الحديثين من التعارض ولم يتعرض احد للتوفيق بينهما وان اعترض
ذلك بانه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبي صلى الله عليه وسلم واجيب بانه ثبت بوحي
لكنه صادق ذلك المنام فاظهره لصحابه تطمينا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم والظاهر ايضا
انه ثبت بحديث الاسراء الا انه لم يبين له زمانه ولم يمكن اعلامه به قبل الهجرة فاخر ذلك
حتى يستقر ظهور الدين وبهذا يتم التوفيق بينهما ويجي الكلام في بيان مشكل هذين الحديثين
في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وسنذكر ما فيه ثمة وكلام الله
عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اخصه من انبيائه اختص ورد لازما ومتعديا
كما هنا بمعنى خصه جائز غير ممتنع عقلا اي ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا
كما مر فلا يضر نزاع المعتزلة فيه كما توهم ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه كما لم يرد دليل
قطعي بثبوته ايضا فان صح في ذلك اي في الكلام بلا واسطة لغير موسى عليه الصلوة
والسلام خبر اعتمد عليه في الجزم بوقوعه وروي احتمل وكلاهما مبني للمجهول كما قاله
البرهان وكلامه تعالى لموسى وروي ومكالمته لموسى عليه الصلوة والسلام كائن
حق مقطوع نص ذلك بالبنا للمجهول على الحذف والايصال كنزلك اي نص عليه في الكتاب
العزيز والقران واكده الله تعالى بالمصدر دلالة على الحقيقة اي دلالة على ان الكلام
فيه بمعناه الحقيقي وان اختلف اهل السنة في معناه الحقيقي القديم بل هو الكلام
اللفظي او النفسي كما ذهب اليه الاشعري وتحقيقه في كتب الاصول وهو مبحث طويل
الذيل لا يسعه هذا المقام وهذا رد على المعتزلة القائلين بان الله لم يكلمه وانما خلق
الكلام في جسم اخر كالشجرة فسمعه عليه الصلوة والسلام منها لانهم نفوا الكلام
النفسي وقالوا اللفظي حادث لا يقوم بذاته ودعوى قدمه لا تعقل عندهم فمعنى
متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره فان قالوا انه حقيقة لانه الخالق له
والفاعل فباطل لان الفاعل الحقيقي في اللغة من قام به الفعل لا من اوجده فهذا ناش
الفرق بين الفاعل الحقيقي اللغوي والحقيقي في الحقيقة ونفس الامر كما حققه الابهري
في حواشي العضد فيلزمهم اثبات المشتق بدون ثبوت ماخذه له فان قالوا هو مجاز
فالتاكيد بالمصدر في قوله وكلم الله موسى تكليما يرده لان التاكيد اللفظي والمعنوي
يمنع التجوز كما ذكره اهل المعاني وهذا من قبيل الاول كما اشار اليه المص هكذا قرره الا
صوليون ورده ابن عبد السلام بان التاكيد بالمصدر لمنع التجوز في الظرف ودفع الشك
في الحديث لا المحدث عنه والاسناد اذ التاكيد انما هو للفصل في الكلام ومع حقيقته
ولكن ممن صدر والتاكيد لتحقيق وقوعه فقط واجاب ابن عرفة بان تاكيد المصدر
وان كان لازالة الشك في الحديث فلا بد من ملاحظة من صدر عنه فهو لازالة
الشك عن حديث فلان ولذا قال البيانيون في قول هند زوجة روح ابن زنباع الجذامي
بكى الخز من روح وانكر جلده وعجت عجيجا من جذام المطارف انه ترشيح للمجاز اقول

هنا كلام

هنا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تاكيد المصدر يرفع التجوز عن الاسناد فيقتضي
ان التكليم مسند لفاعله الحقيقي والمعترض يمنعه ويقول انما يمنع التجوز في الظرف وهو
الكلام لا موكده لفعله كما صرح به واهل المعاني لم يتعرضوا لهذا والبيت وارد عليهم لان
الصحيح مجاز وقد اكد فلا يمنع مجازا اصلا وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا عرفت ما يرد
على المص ورفع مكانه اي مكان موسى الكليم على ما ورد في الحديث الصحيح الذي فيه
مقامات الانبيا عليهم الصلوة والسلام الذين لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم
في السموات حين اسري به انه في السما السابعة هذا بنا على بعض الروايات والذي صححه
الحاكم وغيره انه عليه الصلوة والسلام في السما السادسة وجزم به ابن المنير وغيره
وما ذكره المص موافق لما ذكره البخاري في التوحيد وعدل عن المشهور لانه انسب بمراده
فالقول بانه غلط وان للذي في السماء السابعة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وهم
من قائله وقوله بسبب كلامه متعلق برفع اي بسبب رفعته عليه الصلوة والسلام
على غيره كونه شرفه بكلامه في الدنيا ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم حين اسري به
فوق هذا كله اي فوق هذه المقامات كلها في حياته صلى الله عليه وسلم بهيكله البشري حتى
بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام تقدم شرحه فكيف يستحيل ويمنع عقلا في حق هذا او يبعد
بعد جوازه وثبوت ما يدل عليه سماع الكلام من الله تعالى بغير واسطة فسبحان نزيه
وتعظيم له حمدا على ما انعم به لا تعجب فانه غير مناسب هنا من اختص من شاء من رسله
وخلص عباده مما شاء من جبريل نعم وكرمه وجعل بعضهم يرجح لمن باعتبار معناه فوق
بعض درجات كنبينا صلى الله عليه وسلم اذ فضله على جميع الانبيا وخصه بنعم لم يصل
اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم
من كلم الله ورفع بعضهم درجات فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله عليه وسلم وابهمه
تفخيما لشانه واشارة الى تعينه كما قيل واقول بعض الناس عني كناية خوف الوشاة وانت
كل الناس وان اختلف المفسرون في المراد به في الاية ولا يخفى ما في ختم الفصل بهذه الاية
من حسن المناسبة وبراعة المقطع لما فيهما من ذكر الكلام ورفع الدرجات لهذا المقام
فصل واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب عطف تفسيري
وهو بيان لما وظاهرها بالرفع والجر من قوله ثم دنى فتدلى الدنو القرب ولذا عطفه عليه عطفا
تفسيريا وهو حسي ومعنوي والتدلي الامتداد من علو الى سفل كما يلقي الدلو في البير هذا
اصله ثم استعمل في القرب من العلو حسا او معنى فهو اخص مما قبله فلا تقديم ولا تاخير
فيه والاصل فتدلى فدنا وليسا بمعنى لان العطف بالفاء يأباه والتاسيس خير من التاكيد
وقيل دنا بمعنى قصد القرب منه صلى الله عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الادلاء
كمطى اصله تمطط والضمير فيهما لجبريل عند الجمهور اي دنا جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم
بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما راه بصورته الاصلية هاله

فرده الله تعالى لصورته التى كان يراه عليها وقرب منه وقيل الضمير لله اى دنا من نبيه صلى الله
عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة دعائه واعطائه ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة
اسرار الغيب لانه منزه عن المكان كما سيأتى بيانه فكان قاب قوسين وادنى القاب ما بين
مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر
من القوس وقيل معناه قدر القوس معروف وقيل هى هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى قدر ذراعين
وروى عن ابن عباس وعلى الاول فعبر فيه قلبا اى قابى قوس اى بينهما مسافة مقدار قاب قوسين
اى بين النبى وجبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبى صلى الله عليه
وسلم ورجح هذا الوجه على رواية شريك انه الله وفيها كلام كثير وقال الرازى هنا على عادتهم
اذا تعاقدتا تكثيرا ان او تصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما تضع
كفه بكفه واو للتحقيق وقدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقيل
للشك بالنسبة للراوى وقيل بمعنى بل والواو وادنى افعل تفضيل اى اقرب من قاب فاكثر
المفسرين جوابا اما ان الدنو والتدلى متقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلوة والسلام اى
كل منهما ثبت لكل منهما لا لله اى دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للاخر والمراد
ان الدنو لمحمد والتدلى لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا لما راه بصورته
الاصلية او مختص باحدهما من الاخر ومختص بمحمد صلى الله عليه وسلم او جبريل والمعنى دنى
وتدلى محمد من جبريل او دنى وتدلى جبريل من محمد او من السدرة المنتهى اى يختص الدنو والتدلى
من السدرة من الاخر قاله الرازى فخر الدين المشهور وقال ابن عباس كما رواه ابن ابى حاتم عنه
هو اى الذى دنى وتدلى فى الاية محمد دنا فتدلى من ربه ودنوه من كناية عن قربه منزلة ومشاهدة
من قدسه ما لم يتيسر لغيره وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد فى القرب فهو ترق فى تقربه منه قربا معنويا
لا حسيا وقيل هما اى دنا وتدلى بمعنى واحد اى قرب قربا معنويا بنيله انعامه ولا يخفى ان العطف
بالفاء غير وارد فى مثله ولذا ضعفه واخره والقول بانه للتاكيد وافادة انه قرب بليغ لا تساعده
العبارة وحكى مكى والماوردى وابن عباس رضى الله عنهما فى رواية ابن جرير عنه هو اى من اسند
اليه الدنو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم ليس المراد الدنو المكانى لتنزه الله عنه ولانه
لانه لا يختص به حتى يذكر فى مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلاء مقامه واطلاعه
على عجائب ملكوته فتدلى اليه اى نزل الرب لمحمد صلى الله عليه وسلم فهو على حد قوله ينزل
ربنا الى السماء الدنيا فى الثلث الاخير اى يتجلى له وينظر اليه بلطفه وكرمه وشرفه بخطابه
كما سيأتى بيانه فقوله الى امره وحكمه لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله ايضا
وهو استعارة او كناية عما ذكروا اليه اشار القاضى رحمه الله بقوله المقصود من الاية
تمثيل تحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفى البعد عنه وحكى النقاش فى تفسيره عن الحسن البصرى
انه قال دنى الله من عبده محمد صلى الله عليه وسلم دنو مرتبة وقرب معنوى فتدلى اى قربه
بعنايته ولخصاصه والاولى قرارد قربه اليه كما مر فاراه ما شاء ان يريه من اثار عظمته وقدرته

فارى

405

فارى ببصيرته تعدت لمفعولين او علية مفعولها الثالث مقدر اى اراه عظمته وقدرته مشاهدة
معاينة والاول اظهر واقرب قاله النقاش والحسن وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
فاصله فتدلى فدنا اى فتدلى الرفرف لمحمد عليه الصلوة والسلام ليلة المعراج وهو البساط
مطلقا او البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفى الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ
منه المجالس وكسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منه واحده رفرفة فهو من البسط والفرش
وفسر بالزرابى والمرافق وقيل الثوب العريض وحواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة
الطائر بجناحيه ويطلق على الستارة وطرف الخيمة وفى الحديث ذكرنا النبى صلى الله
عليه وسلم فرفع لنا الرفرف فراينا وجهه ومنه رفرف الاولياء فى الجنة وهو بساط اذا
استقروا عليه طار بهم لاى جهة ارادوها بقدرة الله تعالى وورد فى المعراج انه صلى الله
عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه الصلوة والسلام فتناوله
فطار به الى العرش يرفعه ويخفضه وجبريل رافعا صوته بالتمجيد فهو مركب له صلى الله عليه
وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض هذه الوجوه وبانه رياض
الجنة والى هذا اشار اليه بقوله فجلس عليه ثم رفع اى رفعه الله بقدرته وهو مبنى للمجهول
ودنا الرفرف والنبى صلى الله عليه وسلم من ربه بالمعنى السابق وقال صلى الله عليه وسلم
بيانا لما هو عليه بعد ان علا الرفرف فارقنى جبريل وانقطعت عنى الاصوات اى اصوات
الملائكة عليهم الصلوة والسلام فسمعت كلام ربى عز وجل من غير واسطة وليس كلاما
ما خلقه الله تعالى فى بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة كما مر وفيه اثبات الكلام اللفظى لله
تعالى كما ذهب اليه السلف وتبعهم الشهرستانى فى عقائد بلته المشهورة ومن ينكره يقول
الكلام النفسى سمعه الله تعالى بقدرته والبحث بطوله مقرر فى علم الكلام وعن انس
فى الصحيح اى مروى فى صحيح البخارى عرج جبريل صاعدا الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب
العزة عطف بيان او بدل والجبار هنا بمعنى العلى الاعلى من قولهم نخلة جبارة اى طويلة
مرتفعة هذا هو المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما اراده
من امر ونهى وان فسر به ايضا والعزة من عز يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من
حديث شريك السابق وقد استغربه الذهبى وفيه نظر فتدلى تقدم تفسيره حتى كان رب العزة
منه صلى الله عليه وسلم قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين
صلوة كما مر وذكر حديث الاسراء بتمامه كما تقدم وعن محمد بن كعب القرظى السابق بيانه
هو اى الموصوف بانه دنى كما سيأتى بيانه محمد صلى الله عليه وسلم اى دنا محمد من ربه
فكان قاب قوسين اى مقدار قاب قوسين فى القرب منه او ادنى قال اى محمد بن كعب وقال
جعفر بن محمد وهو الاتى بعده ايضا ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن
محمد المذكور والدنو من الله لا حدله اى الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز
كالاجسام بل دنو معنوى ومن العباد بالحدود المكانية الحاصرة لهم لا الحد المنطقى

المبين للماهية وقال جعفر ايضا كما له السابق انقطعت الكيفية عن الدنو من جانب الله
اى دنوه من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه امر معنوى غير محسوس
والكيفيات احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسئل عنها بكيف وهذا لفظة
مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا تنسب اليها ثم وضح ذلك بقوله
الا ترى الخطاب عام لكل من وقف عليه كقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار
والرؤية نظرية ادعائية او علمية والا بفتح الهمزة وتخفيف اللام وما في بعض
النسخ الا بصورة الاستفهام وانه سمع منه بعيد كيف حجب بالبنا للفاعل ای منع
جبريل بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ودفعه عن دنوه الى ربه ودنا محمد
صلى الله عليه وسلم الى ما موصولة او موصوفة وفي نسخة ودنوه مصدر
منصوب على كيف اى الا ترى كيف الخ وتلى دنوه او ودع قلبه صلة ما او صفة
له واودع مبنى للمجهول وقلبه نايب فاعله وفي بعض النسخ بالبنا للفاعل ونصب
قلبه مفعوله كما قاله البرهان من المعرفة الالهية والمواهب الربانية والايمان
مما لا طريق له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب
ولا الايمان بما يقتضيه العقل كوجود البارى ووحدانيته ومعنى قوله فتدلى اى نزل
عما كان عليه بتلهفه بسكون قلبه الى ما ادناه الى ربه لما اطمان قلبه وزال عن قلبه
الشك والارتياب في انه هل يصل الى حضرة القرب وينال انا منه بالاكرام والانعام
ويترقى الى اعلى مقام فانجح الله تعالى منيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته
فانه صلى الله عليه وسلم اقوى الناس معرفة وايمانا واثبتهم جاشا وايمانا واشدهم
طمانينة وسكونا وبهذا سقط ما قيل انه لم يكن عنده شك لا تسلط فيه بالمعرفة والايمان
وتطهيره من درن الشك ووسوسة الشيطان وقيل انه لما فارقه جبريل حين اخذه
الرفرف خشى ان يكون ذلك الاخذ مؤديا الى الهلاك وخاف من مكر الله وشك
فيما يؤول اليه امره فلما خاطبه الله وقال له ليهدى روعك علم ان الله انما اراد تقريبه
والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول
مراتب التمكين والاطمئنان لا يليق بمقامه قال القاضى ابو الفضل عياض المولف
رحمه الله اعلم انما وقع بفتح الهمزة وتقدم معناه علم من اضافة الدنو والقرب هنا
اى من اسناده الى الله ومن الله ووصفه به فالاضافة بالمعنى لا الاصطلاحى وقوله هنا
اى في هذه الاية فليس بدنو مكان هو خبر ان المفتوحة وزيد فيه الفا لان اسمها موصول
اى ليس فيه قربا محسوسا بل معنوى ولا قرب مدا بزنة فتى قربا الغاية والنهاية والقامر ان
معناه المكان الممتد كما يقال مدى البصر ومده ولا عبرة بما قيل ان الثانى خطا فانه
ورد في الحديث كما ذكره النووى في شرح مسلم بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق
ليس بدنو حد وانما دنو النبى صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلة

الانابة

406

الانابة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدا وتقدم معنى المنزلة
والرتبة وانها العلو المعنوى وشريف رتبته بالجر ويجوز رفعه واشراق انوار معرفته
اى اظهار اثار معرفة الله عليه ففيه استعارة مكنية او تشبيه ان كان من قبيل لجين الما
ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته اى وقوفه على ما في عالم الملكوت لما هو مغيب عن خلقه الا
من خصه الله تعالى باطلاعه عليه ومن الله تعالى له اى اعادنو الله لنبيه صلى الله عليه
وسلم ونحوه بعد العلم بتنزيهه عن الحيز والقرب الحسى معناه مبرة مفعلة بالفتح
بمعنى البر وله معان منها القبول والاحسان وتانيس اى لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت
عنه الاصوات وغاب اليفه وهو جبريل عليه الصلوة والسلام وبسط اصل معناه
التوسعة قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده ومنه البساط ويطلق على المسرة ايضا
وليس بمعنى مولد لانه ورد في الحديث فاطمة بضعة منى يبسطنى ما يبسطها كما مر وذكره
ابن قرقول في مطالعه وهو المراد اى تانيسه بما يسره من مخاطبته بما ليس واكرام بتجليه
وتعظيمه ويتاول فيه اى يأول الدنو الوارد في الحديث ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى السما
الدنيا يعنى ان الدنو الواقع في الاية كما ورد مثله في بعض الاحاديث ان اوليا الله قريبون
من الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد يأول بعلم الله ببواطنهم
وظواهرهم وقدرته على التصرف فيهم وعليه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
كما اول النزول المسند الى الله تعالى في حديث ابى هريرة رضى الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله
عليه وسلم قال ينزل ربنا الى السما الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعونى
فاستجيب له من يسالنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له بالاقبال عليهم بانعامه واجابة
دعائهم ومغفرة ذنوبهم الصغاير وافاضة مواهبه عليهم وتأويله بنزول ملائكته بعيد
هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتاول فيهما مبنى للمجهول على احد الوجوه في تاويله من ان نزوله
تعالى انما هو نزول افضاله بتفضيله وانعامه واجماله اى فعل جميل بهم على عباده وقبول
لتوبتهم واستغفارهم واحسان بالجود والكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير مضاف
من مجاز النقص اى ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة اجابته وانجاح طلبته ولزيادة
لطفه واعتنائه به بمنزلة كبير له مقام عال حتى انه قد يترك اليه اذا سمع نداه فهو
استعارة تمثيلية او تبعية تصريحية وقال الواسطى المتقدم ترجمته من توهم انه تعالى
وله المثل الاعلى بنفسه دنا دنوا حقيقيا محسوسا بذاته لا دنو لطف واكرام معنوى
مجازى فقد جعل ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم ويقال لغة بتا ايضا كما يكون بها مرسومة
خطا ثابتة لطفا في الوقف ومعناه هناك واصل وضعها للاشارة الى المكان بعيدا وقربا
على اختلاف فيها وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه بتشبيهه بالمكان على انه استعارة فيه كما
هنا فانه اشارة للاية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله مسافة باعتبار مدلوله
فان جعلت الاشارة اليه على تقدير انه على حقيقته فلا والمسافة المفازة من السوف وهو شم

الترابي والنول ومته قيل للمغانة مسافة لان الدليل نعم ترابهما كما حققه الراغب ولا مسافة
لاستحالتها عليه تعالى بل كلما دنا احد من المخلوقات بزعمه بنفسه من الحق انا الله تعالى
تدلى نزل من علو الى اسفل بعدا اى لبعده عما قصده فهو مفعول له او تمييز من نسبته تدلى يعنى
الواسطى بقوله هنا تدلى بعدا اى كلما حاول القرب نزل لساحته البعد عن درك حقيقته
متعلق بمقدر يعنى بعدا او بعدا عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبى فى حاشيته
درك بفتح الدال والرا المهملتين وضبطه بعضهم باسكان الرا والاشهر هنا الفتح ومعنا
الادراك واما الدرك ضد الدرج فبالفتح لا غير وحكى فيه الوجهان وفيه نظر اذ لا دنو
للحق ولا بعد بالمعنى المكانى لاستحالتهما عليه تعالى وما ورد مما يوهمه ماول كما عرفته واما
على حقيقته بكنهما ففيه خلاف ليس هنا محله ولا وجه للتعرض له هنا وقوله قاب قوسين
او ادنى بالمعنى الذى مر بيانه وهذا جواب سؤال ودفع لما يتوهم من انه يقتضى قربا حقيقيا
ومسافة كما اشار اليه بقوله فى جعل الضمير المقدر فى قوله ثم دنا فتدلى عايد الى الله
لا الى جبريل على هذا التاويل السابق فان كان الدنو المذكور عبارة عن نهاية القرب اى
معبرا به عن غاية القرب المعنوى من عباده ولطف المحل اللطف عبارة عن الامور الخفية
وما لا يدرك بالبصر كما فى قوله وهو اللطيف الخبير اى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة
معنوية لا تحس بالابصار وايضاح المعرفة الالهية التى وهبها من العلم اللدنى فى حظاير
قدسه لمن خصه بو فعة المنزلة من خلص عباده الذين جعلهم محل اسراره واتضاح
بالمثناة الفوقية افتعال من الوضوح وفى بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدرا وضحه
ايضاحا والاشراف على الحقيقة اى الاطلاع عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف
وهو المكان العالى ثم اريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية او مجازا من محمد صلى الله عليه
وسلم اى كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى الله عليه وسلم وكان الدنو المعنوى عبارة
عن اجابة الرغبة اى اجابته لما موله الذى هو غاية مطلوبه ومرغوبه وقضا المطلوب
اى اعطاه مطلبه الذى طلبه منه ووعده به وفى القضا اشارة الى انه كالدين لان عدة
الكريم دين واظهار التحفى بحا مهملة وفا ومثناة تحتية وهو المبالغة فى البر وانافة المنزلة
بالنون والفا بمعنى اعلايها ورفعها والمرتبة عطف تفسير من الله متعلق بما قبله اشارة
الى ان كله فضل وموهبة منه تعالى ويتاول فيه بالبنا للمجهول اى يتاول القرب والدنو ايضا
مثل ما يتاول فى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق
التمثيل والاستعارة فى قوله تعالى من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى اى
من اطاعنى وسعى فى اداء امتثال اوامرى والمراد انه يمشى مشيا غير بطى بالهوينا المقابلة بقوله
اتيته هرولة وهى المشى والجرى بسرعة والمراد انى اعجل له جزاءه واوصل اليه احسانى سريعا وتضعيفه
بسيفته بجزاء غير صحيح هنا اى والتاويل الذى اول به من يقرب الخ وما بعده هو قرب بالاجابة
لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدا محذوف والقبول لمزيته واتيان بالاحسان وتعجيل بالمامول

اشارة لمعنى الهرولة وهذا بعض حديث قدسى صحيح رواه ابو هريرة رضى الله عنه اوله
قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ومن تقرب
منى شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب منى ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرنى فى نفسه
ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملا خير منه واطيب ومن جاءنى يمشى اتيته هرولة
ومن جاءنى يهرول جئته سعيا قالوا معناه سرعة الاجابة والثواب لمن دعاه واطاعه
فالتقرب تمثيل للتحبب الى الله بالطاعة والعبادة وتفويض اموره وانه يضاعف ثوابه
ويزيده بما هو خارج عن القياس وليس فى قوله فى ملا خير منه دليل على فضلية الملائكة
كما سياتى ان شاء الله وهذا تاييد لما سبق وتوضيح له فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير
فائدة فصل فى ذكر ما يدل على تفضيله صلى الله عليه وسلم فى القيمة بخصوصه
الكرامة اى بما خصه يوم القيمة وفضله به على سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم
الصلوة والسلام وذكر ما يدل على ما عقد له بحديث اسنده المص من طريق الترمذى
فقال حدثنا القاضى ابو على الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا
ابو الفضل بن خيرون السابق ترجمته ايضا وابو الحسين بالتصغير وهو المبارك بن
عبد الجبار هكذا هو فى اكثر النسخ الصحيحة وفى بعضها ابو الحسن مكبرا والصواب
الاول كما ذكره الحافظ البرهان فالحسن ليس بالحسن هنا وهذا الحديث تقدم اول
الكتاب مسندا الى الترمذى بهذا السند قالا حدثنا ابو يعلى بفتح اوله وهو احمد ابن
عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم فى ترجمته قال ثنا
السنجى ابو على الحسن بن محمد ثنا احمد بن سعيته السابق ذكره وضبطه قال ثنا ابن محبوب
ابو العباس المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه قال ثنا الترمذى قال ثنا الحسين بن
يزيد الكوفى المعروف بابن الطحان اخرج له ابو داود والترمذى وقال ابو حاتم انه لين
توفى سنة اربع واربعين ومائتين وترجمته فى الميزان قال ثنا عبد السلام بن حرب
الهندى روى عنه اصحاب الكتب الستة وترجمته فى الميزان عن ليث بن ابى سليم
بالتصغير القرشى الكوفى العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظ توفى سنة
ثمان وثلاثين ومائة عن الربيع بن انس عن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا اى خرجوا من قبورهم الى المحشر
لانه صلى الله عليه وسلم راسهم وقايدهم فيبعث مثل موسى وسائر الرسل كما سياتى
وهذا الحديث انفرد به الترمذى وقال انه حسن غريب وانا خطيبهم اذا وفدوا اى قدموا
على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجاء وعنده
قضاء امورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله عليه وسلم هو الشفيع فى المحشر الماذون له
فى التكلم وفصل القضا كان ثمة كالخطيب فى الجمع على عادتهم اذ كان المتكلم والخطيب
غالبا وهذا انسب هنا من قوله امامهم لا لانه لا تكليف ثمة كما توهم وفيه دليل على

افضليته صلى الله عليه وسلم وانه لم يدهش لهول المحشر وانا مبشرهم بالخلاص من المحشر
وطول موقفه اذا ايسوا من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذا ازفت الازفة
وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروى ايسوا
بتقديم اليا على الهمزة وهما لغتان وروايتان لوا الحمد بيدي يوم القيمة ليعرفه صلى الله
عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف واللوا معروف وهو لوا حقيقي سمي لوا الحمد لانه حمد الله
بمحامد لم يحمد بها غيره او لحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله اذا
ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين مهواشا ة لتقدمه صلى الله عليه وسلم
وعظمته وكثرة حمده وامته الحامدون وهو احمد ومحمد وتقدم الكلام عليه واللوا والعلم
والراية والبند متقاربة معنى لكن اللوا اكبرها وروى الطبري ان لوا الحمد يحمله علي كرم الله وجهه
بين يديه صلى الله عليه وسلم ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا مخالفة بينهما
وانا اكرم ولد ادم على ربي اي اشرفهم ذاتا وصفة واقربهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير
وان اختصت عرفا بالسخا وهذا تحدث بنعم الله تعالى واظهار لما يجب اعتقاده وفي نسخة
على ربه والضمير لاكرم او ادم والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود
يطلق على الواحد وغيره ولا فخر جملة حالية موكدة اي انا لا اذكره للفخر بل للتحدث بنعم الله
او لا افتخر بهذا اذ لي عند الله ما هو اعظم واشرف من هذا مع اني لم انله بسعيي ولجتهادي ومعنى
وخبر لا محذوف اي فيه او عندي ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالاحوال ان يذكره لينظر علوه
على غيره وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث وزحر بفتح الزا المعجمة وسكون
الحا ثم را مهملتين وهو عبد الله بن زحر الافريقي العابد واصل معنى الزحر الصوت والانين ومنه
الزحير للمرض المعروف في الامعا والعامة تغلط فيه وتقول زحير بل الزحام وروى عنه اصحاب
السنن وله ترجمة في الميزان واخرج له البخاري في الادب وفي روايته زيادة ومغايرة في اللفظ
على الرواية السابقة وهي ظاهرة وفي الاصل بخطه وفي رواية ابن زحر والربيع بن انس وفي رواية
العرفي عنه عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين المروي عنه انس بن مالك رضي الله عنه كما
قاله التلمساني انا اول الناس خروجا اذا بعثوا كما تقدم وانا قايدهم اذا وفدوا القايد في الاصل
الذي يقود الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة في الرئيس الذي تتبعه الناس ويرتضونه وفي
الجيوش وجمعه قادة وتقدم معنى الوفد وان المراد به القادمون للمحشر فالمراد انه صلى الله
عليه وسلم مقدمهم حسا ومعنى وانا خطيبهم اذا انصتوا اي انا المتكلم بين يدي ربي في
امرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا انطقا لحيرتهم والانصات والسكوت بمعنى وانا
شفيعهم اذا حبسوا في الموقف واضطربوا وفزعوا للانبيا عليهم الصلوة والسلام فقال
كل منهم نفسي نفسي فيشفع لهم صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى في فصل القضا وانا
مبشرهم بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه اذا ايسوا انقطعت حجتهم وتحيروا وسكن
اليائسهم من النجاة وقيل الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس لوا الكرم بيدي قريب مما مر

لفظا

لفظا ومعنى وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف على الف خادم في الجنة من الحور العين
كانهم لؤلؤ مكنون رواه الترمذي وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم يمسه الايدي فهو
كناية عن كونها ابكارا ذات بها بحيث لم ير مثلها وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث رواه
الترمذي وصححه واكسى حلة من حلل الجنة اصل معنى الحلة ثوبان من برود اليمن واحدا فوق
واحد ثم اطلق على كل لباس فاخر يعطى رعاية للابسه ففيه دلالة على قربة صلى الله عليه
وسلم وكرامته اذ كسي وجميع الناس عراة وحفاة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري ذلك في محل نصب على الظرفية وفي مقامه صلى الله
عليه وسلم في جانب اليمين في مقام لم يقم فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب من الكريم الدال
على غاية القرب وسماع كلامه وقبول رجائه بما يليق بمقامه الشريف والخلايق جمع
خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعات من المخلوقين وعن ابي سعيد الخدري في حديث رواه
ابن ماجه والترمذي وحسنه انا سيد ولد ادم يوم القيمة ظرف متعلق بسيد
وتقييده به ليس للتخصيص كما سياتي بل لانها سيادة مسلمة له صلى الله عليه وسلم
وهي اشرف من سيادته سيادة الدنيا وغيرها والصحيح ان السيد يجوز اطلاقه على الله
وعلى غيره والخلاف فيه مشهور على ثلاثة اقوال مشهورة وبيدي لوا الحمد ولا فخر تقدم معناه
وما من نبي ادم فمن سواه بدل من نبي اي جميع الانبيا الا تحت لوائي اي تابع لي في القيمة
وليس المراد انه تحته تحقيقه وعطف ثم بالفا لانهم بعده من غير فاصلة والمراد الترتيب
الرتبي والحقيقي وانا اول من تنشق عنه الارض يوم تبعث القبور وتنشق بقدرة الله تعالى
وفيه اكرام له صلى الله عليه وسلم ولا فخر تقدم معناه وعن ابي هريرة رضي الله عنه
في حديث صحيح رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة اي
انا اشرفهم واقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري كما مر واول من تنشق عنه القبر اي قبره
الشريف واول شافع يشفع للناس في الموقف واول مشفع بفتح الفا المشددة اي اول
من يؤذن له في الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله ما في حديث البخاري يحبس المومنون
يوم القيمة فيقولون له صلى الله عليه وسلم استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا
فاستاذن على ربي فيوذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء ان يدعني فيقول
ارفع راسك محمد وقل يسمع واشفع تشفع وعن ابن عباس رضي الله عنه في حديث رواه
الترمذي والدارمي انا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر كما مر وانا اول شافع في ازالة
هول الموقف واول مشفع تسمع شفاعته وتقبل ولا فخر لي فخر تكبر وتبجح فيما خصني الله به
وانا اول من يحرك حلق باب الجنة ليفتح لي ولمن يدخلها بعدي وحلق بفتح الحا المهملة
واللام ويجوز كسر الحا فيكون بزنة ندر جمع حلقه بسكون اللام وقد تفتح وتكسر
وفي القاموس ليس في الكلام حلقه محركة الا جمع حالق او هي لغة ضعيفة والمراد بباب
الجنة باب مخصوص به صلى الله عليه وسلم يسمى باب محمد وباب الرحمة ولها ابواب غيره

وقيل المراد جميع ابوابها وانما الظاهر والظاهر خلافه فيفتح لى بابها فادخلها وفى رواية
وادخلها بالواو ويدخلها مع فقرا المؤمنين ولا فخر ونفتح بالتحتية وبالبنا للمجهول
والفاتح خزنتها او الفوقية والضمير للجنة والفا للتعقيب من غير مهلة فى المفتح والاتى
والمراد بالفقرا الفقرا الصابرون وهو شامل للمساكين والفرق بينهما مشهور والخلاف
معروف وفى هذا دليل على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر وقيل الغنى الشاكر
افضل والاول اصح ولذا اختار الفقر كثير من الانبيا والاوليا وانفق ابو بكر رضى الله عنه
ماله فى سبيل الله ليدخل فى سلكهم والمحمود منه ما كان مع غنا القلب والنفس فان الغنى
ليس بكثرة العرض وانما هو غنى النفس وهو كما قيل غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة
فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبى
صلى الله عليه وسلم منه وكونه صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة لا ينافى
ورد فى حديث الترمذى من انه صلى الله عليه وسلم دعا بلالا رضى الله عنه وقال يا بلال
لم سبقتنى الى الجنة فما دخلتها الا سمعت خشخشتك وفى رواية سمعت دق نعليك
بين يدى فى الجنة فانه كان فى رؤياه لا فى هذا الدخول وهو كما قال ابن القيم كان دخوله
الخادم والحاجب الذى يتقدم سيده والمطرق فى طريق سيده وهو بيان لفضيلة
الاذان وايناسا له صلى الله عليه وسلم وان كان اعلم به تطمينا لنفسه والمراد
بقوله معى ليس المساواة بل التبعية فلا يقال لا حاجة لقوله معى فى الجملة وهى حالية
تقتضى المقارنة وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر المراد انه صلى الله عليه وسلم اشرف
من جميع الخلق وانا اكثر الناس اى الانبيا عليهم الصلوة والسلام وكذا روى ايضا
تبعا جمع تابع كخدم جمع خادم يعنى ان امته عليه الصلوة والسلام اكثر من سائر الامم
ومقتضى هذا الكثرة اجره عليهم وتاتى التصريح به وافضليته على كل واحد منهم وعلى
جميعهم ايضا كما قررناه فى محله وعن انس رضى الله عنه كما رواه الشيخان انا سيد الناس
واجلهم واعظمهم يوم القيمة خصه مع انه عليه الصلوة والسلام سيدهم فى الدنيا
والاخرة لظهور ثمة واختصاصه به ظاهرا من غير منازع ومنكر كما وقع فى الدنيا من المشركين
وسياتى تفصيله فى كلام المص وتدرون لم ذلك فيه استفهام مقدر اى اتدرون ما سبب
هذه السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرحوا به يجمع الله الاولين والاخرين
فى المحشر وذكر حديث الشفاعة اى ذكر انس رضى الله عنه هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة
بتمامه ولم يذكره هنا لانه سياتى فى الشفاعة وانه اذا كان يوم القيمة ماج الناس
بعضهم فى بعض فيأتون ادم عليه الصلوة والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى
ان قال فاقول انا لها الخ وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع
اى ارجو من الله تعالى طمعا ورجا حققه له كقوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالطمع ضما لنفسه ان اكون اعظم الانبيا اجرا يوم القيمة

لان امته

لان امته صلى الله عليه وسلم اكثر الامم واجر اعمالهم له مثله لان من سن سنة حسنة له
اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة واعمالهم مضاعفة وله صلى الله عليه وسلم مثلها
ومثل اضعافها وهو اعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عنا وعاند من الكفرة مع
تحمله وصبره حتى قيل له صلى الله عليه وسلم لعلك باخع نفسك وفى حديث اخر اما ترضون
معاشر المسلمين ان يكون ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وعيسى صلى الله عليه وسلم
كلمة الله فيكم اى محسوبا من جملتكم ومحشورا معكم يوم القيمة فيعد ان من امتى وخصهما
بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اشرف الانبيا بعده صلى الله عليه وسلم وهو
ابو الانبيا واسمعيل الذى كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى عليه الصلوة والسلام
يبعث اخر الزمان على دينه صلى الله عليه وسلم ويغير احكام النصرانية واما اداة
استفتاح كالا او مركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد ثم قال صلى الله
عليه وسلم انهما فى امتى يوم القيامة اى يعدون منهم اما ابراهيم فيقول له صلى الله
عليه وسلم انت دعوتى وذريتى ما دعوته فقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
يتلوا عليهم اياته الى اخره فجعل عين الدعوة مبالغة اى انت ممن جعله الله منهم
باجابة دعوتى والذرية النسل والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة فى انه صلى الله
عليه وسلم من نسل ولده اسمعيل عليه الصلوة والسلام ولم يبعث فيهم نبى سواه
فهو المجاب دعوته واما عيسى اى كونه تابعا له صلى الله عليه وسلم وفى جملة امته
يوم القيامة فالانبيا كلهم اخوة اى كالاخوة فى اتحاد امورهم مع الله تعالى ومع
الخلق والاخوة اما لاب وام وتقال لهم بنو الاعيان او لاب فقط وهم بنو العلات
او لام وهم بنو الاخياف فلذا قال بنو علات والمراد بالعلات الزوجات الضرائر وهو
من العلل وهو الشربة والشرب الاول يسمى نهلا فكانت الزوجات موارد للزوج
او كان الاولاد مشاربهم مختلفة فى الرضاع وهنا اقرب والى هذا اشار بقوله
امهاتهم شتى والامهات جمع ام واصلها امهة ولذا جمع على امهات وصغر على اميهة
وقيل انه فى الاصل مضاعف لقولهم امات واميمة وقيل اكثر ما يقال الامات
فى البهائم ونحوها والامهات فى الانسان وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة
وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض اى مختلفة فى الذوات
والنسب فشبه الدين والعقيدة الحقة التى تسبب لبقائهم بالاب الواحد لاتحاد
اعتقادهم ومعرفته ربهم على طريقة الاستعارة واثبت لهم الاخوة تخييلا وكونهم
بنو علات ترشيح وليست الاستعارة تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرائع
والاحكام بالامهات فى حفظهم وتعيشهم فهو استعارة مستقلة تحقيقية او ترشيح
بنا على جواز التجوز فيه والحاصل انهم صلى الله عليه وسلم بعثوا متفقين فى اصول
التوحيد مختلفين فى فروع الشرائع وقيل اراد انهم فى ازمان متباينة والاول اولى

وان عيسى اخي بكسر همزة ان واقيم الظاهر فيه مقام الضمير او الاخوة بمعنى المشابهة
في الرسالة والصفات الحميدة ليس بيني وبينه نبي لانه لم يبعث في الفترة التي كانت بينهما احد
من الانبيا ولما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان اولى الناس به وهو افعل تفضيل
من الولا والتوالي وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب فيقال ولي بمعنى
لتي واقرب من حيث المكان او الزمان او النسب او الدين كما ذكره الراغب وهو المراد هنا وهذا
من حديث رواه البخاري ومسلم وهو انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والاخرة
الانبيا بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي وهو حديث صحيح روي من طرق
فعلم ان ما ذكره الراغب والزمخشري وابن عربي في فصوصه من انه كان بينهما نبي اسمه خالد بن
سنان كان هو وقومه معد فخرجت نار عظيمة من مغارة فاهلكت الزرع والضرع فالتجاوا
اليه فاخذها لديضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التي خرجت منها فقال
لقومه انا ادخل خلفها المغارة حتى اطفيها وامرهم ان يدعوه ثلاثة ايام تامة فانهم ان نادوه
قبلها يخرج ويموت وان صبروا اخرج سالما فلم يصبروا ونادوه في اليوم الثاني فخرج وقال لهم
اضعتموني واضعتم امري وامرهم ان يدفنوه اربعين يوما يبصرون فيها فاذا تمت اتاهم قطيع
غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ
وما عاينه يقينا فلما تم الميعاد كما قال لهم مؤمنوا قومه ان ينبشوا قبره فابى اولاده خوف
العار وان يقال لهم اولاد المنبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي اضاعه قومه غير صحيح وما قيل
من ان المراد نفي نبي مشروع مبلغ للاحكام ياباه لفظ الحديث فان النبي اعم ولو كان كما قال
انه رسول واحسن منه ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يرزق ذلك وكل ما نقل من انه
كان بينه وبينه غيره كلقمان وسفيان فان مثله لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ
ابن حجر والبرهما واعلم انه صلى الله عليه وسلم انما خص هذين بالذكر لان ابراهيم
عليه الصلوة والسلام ابو الانبيا عليهم الصلوة والسلام واسمعيل كان على شريعته
والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى عليه الصلوة والسلام قريب العهد وسيصير من امته
حقيقة وهذا لا ينافي قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما توهم لان
المامور به اتباعه في التوحيد والعقايد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل المراد
انه موافق له فتامل وقوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث السابقة انا سيد الناس
يوم القيامة جواب عن سوال تقدير فهو لم خص سيادته صلى الله عليه وسلم بذلك اليوم
وهي غير مخصوصة به وهو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة بل سيد جميع المخلوقات والجملة
حالية ولكن اشار صلى الله عليه وسلم بقوله هذا كما تقدم لا نفراده عن غيره فيه
بالسودد والشفاعة العظمى الدال على عظمة قدره عند الله دون غيره من الرسل والملائكة
المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاول وقد تضم وتهمز الواو لضم ما قبلها وهو

لغة طي

لغة طي بمعنى السيادة وسيد وزنه فيعل او فعيل ودالة الثانية للالحاق فيلجا الناس اليه
اي يلجاوا واستندوا والتوسل به صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت وذلك الامر وهو
تعليل لما قبله فلم يجدوا سواه صلى الله عليه وسلم يشفع لهم ويخلصهم مما هم فيه من الكرب
الذي لا يصلح غيره دفعه والسيد معناه لغة هو الذي يلجا الناس اليه في حوايجهم اي
يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذ المعنا انا من يقضي
حوايج الناس جميعا في الموقف ومن هنا ظهر وجه التخصيص اخرا الا ان هذا تفسير له
بلازم معناه من يتبعه جماعة قومه وسواده والحوايج جمع حاجة على خلاف القياس
او مفرده حايجة مقدرا ونادر وقد ورد في الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه
لمن انكره كالحريري وقد شنع عليه ابن بري وانشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى الله عليه
وسلم يحب قضا الحاجة وهو دابه في الدنيا والاخرة ولله در الصرصري في قوله الا
يا رسول الله الا له الذي هدانا به الله في كل تيه سمعت حديثا من المسندات
يسرنا او النيل لنبيه وانك قد قلت فيه اطلبوا الحوايج عند احسان الوجوه
ولم ار احسن من وجهك الكريم فجد لي بما ارتجيه فكان صلى الله عليه وسلم
حينئذ اي في وقت التجايهم اليه سيدا منفردا من ساير البشر اي منفردا عن جميع الناس
حتى الانبيا عليهم الصلوة والسلام بهذه السيادة لم نراحمه احد في ذلك اي لم يشاركه
احد في كونه ملجا للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة ولا ادعاه لانكشاف الامر يوم
القيمة حتى لا يمكن احدا ان يدعي ما ليس فيه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم يعني انه تعالى
يقول يوم القيمة لمن الملك في هذا اليوم او ينادي به مناد على ثبوت لما شيها فلا يجيبه
احد فيجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار اي الملك مخصوص به اي يقول اهل الموقف
يعني ان قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم اليوم كقوله تعالى لمن الملك اليوم
ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله صلى الله عليه وسلم سيادته
به والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن انما خصصه بملك هذا لانه في الاخرة
انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا متعلق بالمدعين ان ملوك الدنيا لما تصرفوا
فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقة فلما
قهرهم بالموت وكشفا لغطا ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شي فانقطعت
الدعاوى وكذلك اي مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوى
تفرده صلى الله عليه وسلم حتى لجا الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة
العظمى المعهودة فكان سيدهم في الاخرى الاخرة لانه يقال لها اخرى واخرة وفي نسخة
في الاخرة دون دعوى من احد من اهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع وعن
انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه مسلم اتي
بعد الهمزة باب الجنة يوم القيامة فاستفتح لي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اى طلب الفتح بتحريك الحلقة فيقول الخازن اى ابواب الجنة الموكل بها والمراد به رضوان
ويشير خزنتها لانه ورد التصريح بان لها خزنة من انت فاقول انا محمد فيقول بك امرت اى بسببك
امرت بالفتح اذا فتح الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاولك لفتح كما اشار اليه
بقوله ان لا افتح لاحد قبلك والجملة مستانفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل مما قبله اى امرت
بلا افتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق روحه صلى الله عليه وسلم للنبوة وسبق
ذريته فى الاجابة على ساير الذرات وفيه اشارة الى انه عليه الصلوة والسلام اكثر الناس
عملا واعتقادا او افضلهم لقوله تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون وعن
عبد الله بن عمرو ابن العاص فى حديث رواه الشيخان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حوضى مسيرة شهر اى مسافة كل جانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف
وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله عليه وسلم كما صرح به القرطبى فى شرح مسلم
وورد فى حديث مرفوع رواه الترمذى ان لكل نبى حوضا ترده امته وروى انه صلى الله
عليه وسلم له حوضان احدهما فى ارض الموقف والاخر بعد الصراط له ميزابان من الكوثر
وقوله وزواياه سواء يدل على انه مربع وماءه ابيض من الورق بفتح الواو وفتح الرا المهملة
وكسرها وسكونها الفضة مطلقا او ما ضرب منها وان نسخة من اللبن وابيض افعل
تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد فى الحديث الا ان صاحب القاموس
قال انه شاذ وعلى الاول فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبنى افعل من الالوان ومن العيوب
وانما يقال اشد بياضا وابلغ ونحوه وريحه اطيب من المسك الريح كالرايحة ما يشم ويطلق
على الهوا وهو الاشهر ويجوز ارادته ايضا لان الهوا اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا ايضا
كيزانه كنجوم السماء كثرة واشراقا وكونها اكثر من النجوم حقيقة لا مانع منه لقوله عليه
الصلوة والسلام فى الحديث والذى نفسى بيده لانيته اكثر من عدد النجوم السماء التاكيد
بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو انا صغير يتناول به الماء للشرب والا
انا ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كون وجمعه اكواب كما تقدم فمن كان فيه
شراب فهو كاس من شرب منه لم يظما ابدا اى لم يعطش بعده ابدا وروى لن يظما ولا يظما
ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفى الماضى والمراد هنا نفى الظما
فى المستقبل بدليل قوله ابدا المفيدة لاستغراق المستقبل واجيب بان المراد نفى الماضى
كانه لم يذق ظما فى الماضى لشدة اللذة التى انسته ما قبلها واما ابدا فانها تكون للماضى
ايضا كما فى التسهيل اقول هذا تعسف فالحق انها لنفى المستقبل بقرينة قوله ابدا وهى ترد
كذلك فاقرنت بالشرط نحو ان لم تحسن لى غدا كان كذا وهو كثير فى كلامهم ومن هنا شرطيه
او فى معناها فهذا سهو من قايله ويظما مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها الفا وقيل
ان لذة المشروب انما يكون بالاشتها وهو انما يكون لمن عطش واهل الجنة منعمون فى الماكل
والمشرب واجيب بان المراد انه لا يشتد عطشه وليس شوعه لانه قد يشرب بدون عطش

للذة

للذة كما يشاهد فى خمور الدنيا وروى من يشرب بالرفع على ان من موصولة وبجزمها على انها
شرطية كما تقرر وعن ابى ذر رضى الله عنه جندب بن جنادة بحرم اى روى عنه ما هو بمعناه
او قريب منه وان لم يكن مثله وقال زيادة على ما مر فى روايته طوله ما بين عمان الى ايلة
اى طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدتين وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح
العين وتشديد الميم وهو المروى فى الحديث الحوض قرية بالشام وحكى فيه التخفيف
ايضا وهو المراد والتى باليمن بالضم والتخفيف لا غير وقيل انها المرادة هنا لرواية
ما بين بصرى وصنعا والمراد زيادة الطول فلا تعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة
وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق وقيل
غير ذلك وهى سميت بايلان بن لوط لانه سكنها وقيل بايلان بن مدين من ولد ابراهيم عليه
الصلوة والسلام يشخب فيه ميزابان من الجنة بفتح اليا المثناة التحتية وسكون
الشين وضم الخا المعجمتين وفتحها ومعناه انه ينصب مع صوت وروى يغت
بغين معجمة مضمومة ومثناة فوقية ومعناه يتوالى صبه وروى ابن ماجه ينثعب
بمثلثة وعين مهملة وموحدة ومعناه تنفجر ماؤه واصل الشخب ما يخرج من الضرع
عند الحلب والميزاب بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل يا مسيل الماء وعن ثوبان مثله اى
مثل حديث ابى ذر وقال اى ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما اى احد
الميزابين من ذهب والاخر من ورق اى فضة وفى رواية حارثة بن وهب الخزاعى الصحابى
المعروف رضى الله عنه واخرج له اصحاب الكتب الستة كما بين المدينة وصنعا وقال انس
ايلة وصنعا هى بصاد وعين مهملتين مدينة باليمن والنسبة اليها صنعانى على خلاف القياس
وبينها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية
تسمى صنعا ايضا وقال ابن عمر رضى الله عنهما فى حديث رواه الشيخان كما بين الكوفة
مدينة العراق المشهورة والحجر الاسود والروايات متحدة كما عرفته فانها تقريبية
لا تحديدية فخاطب صلى الله عليه وسلم كلا بما يعرفه ولا حاجة الى ان يقال انه وقع
الخطاب به عند الحجر الاسود كما قيل واصل معنى الكوفة رمل مستدير وحجارة بيض
سمى بها ثم شرع المص فى بيان ان هذا الحديث روى من طرق كثيرة دالة على صحته وانه
على ظاهره ولذا ذهب المص الى انه متواتر فقال وروى حديث الحوض ايضا كالروايات
المتقدمة انس بن مالك الانصارى الصحابى خادم النبى صلى الله عليه وسلم رواه
عنه مسلم من غير الطريق المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته وايضا يقتضى مغايرة
ما تقدم وجابر بن سمرة بفتح فضم ابن جنادة الصحابى السوائى وفى بعض النسخ هنا
فى اول الشفا جابر بن سمرة قال البرهان صوابه جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب
فى النسخ مكتوب عليه صح فان صحت الرواية الاولى فالحديث رواه جابر بن عبد الله
وسمرة الا ان رواية جابر بن عبد الله فى مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها فالتنا

رواية ابن سمرة كما في مسلم وغيره وابن عمر وعقبة هو عبد الله وابن عمر بن الخطاب الصحابي
احد العبادلة وعقبة وهو ابن عامر الصحابي المشهور الجهني وحارثة بن وهب الخزاعي
الصحابي المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة والمستورد بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهري
نزيل مكة ثم مصر الصحابي وابو برزة الاسلمي فضلة بن عبيد الصحابي الامام الجليل وبرزة
بفتح البا الموحدة وسكون الرا المهملة وزاي معجمة تليها ها توفي في سنة ستين واربع
وستين وحديثه في الصحيح والترمذي واسلم قبيلة معروفة وحذيفة ابن اليماني العبسي
الاشهلي الصحابي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثه رواه مسلم وابن
ماجه وابو امامة بن صدي بن عجلان الباهلي الصحابي وحديثه اخرجه الطبراني وامامة
بضم الهمزة وزيد بن ارقم الخزرجي الصحابي المشهور وحديثه اخرجه ابن حنبل والحاكم وصححه
وابن مسعود الصحابي المشهور وحديثه اخرجه الشيخان وعبد الله بن زيد الصحابي الذي ارى
الاذان في منامه وكما مر حديثه اخرجه الشيخان ايضا وسهل بن سعد الصحابي الساعدي
منسوب لساعدة وبنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التي كانت فيها
بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وسويد بن جبلة بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزاري
قيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابي ولم يرو عنه الا حديث واحد وقيل لعله
سويد بن عقلة وهم سويد بن عامر وهذا الحديث عنه في سنن البيهقي والاولى تاخيره
للاختلاف في صحبته وابو سعيد الخدري الصحابي المشهور وقد تقدم وعبد الله
الصنابحي بضم الصاد المهملة وفتح النون والف يليها با موحدة مكسورة وحا مهملة
ويا نسبة صحابي وقيل نسب لجده صنابح واسمه عبد الله وقيل ابو عمرو وقيل انه منسوب
لصنابح اسم بطن من العرب وفي الشرح الجديد لم اقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة
سوى عسال الصنابحي واخو اسمه صنابح بن الاعر فلعله نسب لجده وفي التابعين عبد
الرحمن بن عيلة الصنابحي فلعله التبس على القاضي وقيل صوابه الصنابح وابو هريرة
وحديثه في الصحيحين والبرا ابن عازب وحديثه في الصحيحين ايضا وجندب عبد الله بن
سنان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة وضمها وفي الصحابة
من يسمى جندب غيره ولكنه متى اطلق فالمراد هذا وعايشة ام المؤمنين رضي الله عنها واسما
بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ وابو بكر وعمر بن
الخطاب وابن بريدة مصغر بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها وهما
تابعيان فلا ينبغي ذكرهما هنا مع الصحابة وفي مسند احمد رواية حديث الحوض عن عبد الله
ابن بريدة وقال حدثني به اخي قال البرهان لعل القاضي اراد بابن بريدة هنا وقال بن بريدة
فزيد عليه ابن ولم ار لبريدة بن الحصيب حديثا في الحوض في الكتب الستة ومسند احمد
وله ذكر في مسند البزار وابو بكرة وهو نفيع بن الحارث كناه النبي صلى الله عليه وسلم
لانه تدلى ببكرة من حصن الطايف لما منع من الخروج وخولة بنت قيس بن فهد بن قيس

الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهدا حمزة بن عبد المطلب وحديثها في مسند
احمد والطبراني وغيرهم من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصارا فلذا تركنا هم اقتدوا به
وقد تقدم ان المصنف لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتر معنوي لقول
ابن الصلاح انه توجد شروطه فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره
من الانبيا بصفتي المحبة والخلة كما سياتي تحقيقه اي بكونه حبيب الله وخليله جاءت
بذلك الاثار الصحيحة معنى ورواية وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر
يطلق على الحديث مرفوعا كان او موقوفا او غيرهما واما تخصيص الفقها الاثر بالموقوف
فاصطلاح لهم وما رواه الخطيب في جامعه مرفوعا ما جاء عن الله فهو فريضة وما جا
عني فهو حديث وما جا عن صحابي فهو سنة وما جا عن اتباعهم فهو اثر وما جا عمن دونهم فهو
بدعة فموضوع كما رض عليه ابن حجر والسخاوي والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده كما قال
تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لا اختلاف فيه الا ان المحبة ميل القلب لما تلتذ به حواسه
الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصلوة الحسنة كمحبة الصلحا والعلما وغيرهم
من ارباب الكمال فهي في حقه تعالى وليست بميل قلب ونحوه بل هي ارتضاؤه له لاتصافه
بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وحبه له من طريق الفضل لا من طريق الانس والراحة وهو الذي
كمله وحببه ولذا قيل انه عبر عن اللطف بالمحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله
ومعاملته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والخلة صفة
للخليل وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله
معناه من اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاقه لان الخليل من يخالك اي يوافقك
في خلالك ويسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خلتك ومعنى كون الله
خليل عبده انه مجيل له قايم باموره بحيث لا يحوجه لغيره اصلا واختص صلى الله عليه
وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اي جرى على الالسنة تخصيصه صلى الله عليه وسلم
بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم عليه الصلوة والسلام ان كان غيره من الانبيا
محبوبا لله ايضا ثم استدل على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالخلة بحديث رواه
مسندا عن البخاري فقال اخبرنا ابو القاسم ابن ابراهيم الخطيب وغيره هو الامام المقري
خلف بن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخا المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين
واربعمائة ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة يوم الثلاثا سادس عشر صفر
والتكنية بابي القاسم جايزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح كما ياتي عن كريمة
بنت احمد بن محمد وفي نسخة بنت محمد صححها رواية بعض الشراح وفي الاكمال انها كريمة
بنت احمد بن محمد ابن حاتم المروزية سمعت صحيح البخاري من الكشميهني وروت الحديث
وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة الى ان ماتت قالت حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وقد تقدم
ضبطه وترجمته وحدثنا حسين بن محمد بن سكرة الحافظ السابق ذكره سماعا عليه فهو

احد شيوخه وهذا سند وطريق اخر للمص في رواية هذا الحديث وفي نسخة حينئذ وحدثنا
وحينئذ تكتب عند الانتقال من سند لاخر اشارة الى التحول كما فصلوه في مصطلح الحديث
قال حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي الذي بيناه سابقا حدثنا عبد بن احمد عبد بغير اضافة
ابو ذر الهروي السابق ذكره قال حدثنا ابو الهيثم الكشميهني السابق في الطريق الاول قال حدثنا
ابو عبد الله محمد بن يوسف الفربري الامام الحافظ رواه البخاري المشهور كما تقدم قال حدثنا
محمد بن اسمعيل هو الامام البخاري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا محمد بن عبد الله المعروف
بالمسندي والبخاري يروي عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا هذا كما ذكره
الكلاباذي وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان توفي يوم الخميس لست بقين
من ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين قال حدثنا ابو عامر عبد الملك بن عمرو بن قيس
العقدي بفتح العين والقاف ودال مهملتين وهو محدث بصري مشهور اخرج له الائمة الستة
توفي سنة خمس ومائتين قال حدثنا فليح بفتح القاف وفتح اللام ومثناة تحتية وحاء مهملة بن
سليمان العدوي المدني اخرج له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس بالقوي توفي سنة
ثمان وستين ومائة وترجمته في الميزان قال حدثنا ابو النضر بالضاد المعجمة الساكنة سالم بن
ابي امية المدني الثقة راوي انس توفي سنة تسع وعشرين ومائة عن بسر بن سعيد بضم الباء
الموحدة وسكون السين وراء مهملتين المدني الزاهد الثقة توفي سنة مائة عن ابي سعيد
سعد بن مالك بن سنان الخدري السابق ترجمته رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا هذا حديث صحيح رواه البخاري
وغيره من طرق متعددة ومفعوله الثاني محذوف تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع
ما يليه وهو الشرط فان لم يكن للجزا سبب غيره لزم من امتناعه والا فلا يلزم فامتنع
اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ ابي بكر خليلا فالمعنى لا اصل في محبته احد
من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربي فلو فرض جعلها لاحد كان ابو بكر اليق بها
من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه واهله في طاعته وهذا صريح في تفضيله
على غيره وتقدمه عنده فاذا كان من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخلل
باطن القلب فالمعنى ان محبته مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهي الحاجة
فالمعنى اني ابرأ من الاعتماد والافتقار الى غير ربي وفي الحديث دلالة على ما عقد له الفصل
وهو تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون
من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغي للمص ان يذكر حديثا صريحا في اتخاذ الله
خليلا وتقدم ما ذكره في اخر الفصل غني عن الرد وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله
يعني نفسه صلى الله عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيدان المخالة من الجانبين
اذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله تعالى غني عن العالمين ومن طريق
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه التي رواها البخاري وغيره وقد اتخذ الله صاحبكم

خليلا

خليلا كما اتخذ ابراهيم عليه الصلوة والسلام ولا يصح ان يراد بصاحبكم ابا بكر
كما توهم وفي هذا دلالة على انه من جانب الله فتم دلالته على انه من الجانبين بخلاف ما قبله
ولا ينافيه كون ابراهيم عليه الصلوة والسلام خليلا كما سياتي تحقيقه وعن ابن
عباس رضي الله عنهما في رواية الدارمي والترمذي قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ينتظرونه اي ينتظرون خروجه من بيته لمجلس اصحابه والجملة حال من ناس
لوصفه بالجار والمجرور قال ابن عباس فخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا دنى قرب
منهم سمعهم يتذاكرون اي يذكر بعضهم لبعض فيتحادثون او يذكر بالتشديد كل منهم
من عنده ما نسيه فسمع النبي صلى الله عليه وسلم حديثهم وفسر هذا الحديث بقوله فقال
بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا اي من دون خلقه او اختاره للخلة من بينهم
اي تعجب عجبا من هذا والعجب يكون من امر فيه غرابة ولا اغرب عند من عرف عظمة الله وغناه
عن مخلوقاته وان كل شيء من فضله واحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عنده وهو ابراهيم
صلى الله عليه وسلم غير ان نبينا كان خليلا انه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه
يرد اختصاص ابراهيم بكونه خليلا على ما مر وقال اخر ماذا اي ليس اتخاذ الله ابراهيم خليلا
باعجب من كلام موسى حين ناجاه في الدنيا وكلمه الله تكليما مع انه تعالى في الدنيا لم يتكلم انبياءه
الا بواسطة ملك الوحي وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه هذه الفا فصيحة في جواب
شرط مقدر اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من ذلك فاذكروا عيسى عليه الصلوة
والسلام وكونه كلمة الله وروحه وسمي عيسى كلمة الله لانه خلقه من دون اب بمجرد قوله
كن اولا هتدا الناس كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوي في نفحاته لكل شيء في
عرصة العلم الالهي الازلي مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق بنوره الذاتي وذلك بحركة
معقولة معنوية بفيضها شان من الشئون الالهية المعبر عنها بالكتابة سمي تلك الصورة
كلمة فالموجودات كلماته تعالى كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب اي الارواح
الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة تولد فالاضافة للتشريف
وقال اخر من كان ثمة وادم اصطفاه الله اي اختاره وجعله صفيه وهذا كله مما تعجب منه
من لاحظ عظمة الربوبية وانه غني عن العالمين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم عليهم
فسلم لما ذكر قوله فخرج اولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تاكيدا فقيل كرره
ليربط به غير ما ربط به اولا ويحتمل ان يكون الخروج الاول من مكان والثاني من اخر قلت هذا
لتوهم ان العطف ينافي التاكيد وليس كذلك فان النحاة ذكروا كما في التسهيل ان التاكيد
قد يقترن بالعاطف فالاكثر انه كقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقد يكون
بالفا وصرح المفسرون بانه قديعاد اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وها هنا بحث
نفيس وهو ان ما قاله النحاة ينافي ما اتفق عليه اهل المعاني من ان التاكيد لا يصح
عطفه لما بينهما من شدة الاتصال ولان العطف يقتضي المغايرة والتاكيد عين المؤكد

والعجب منهم انهم لم يتعرضوا لما قاله النحاة والمسئلة من مسايل الكتاب فان لم تتفقوا عليه فهو
عجيب وان وتفقوا عليه واعتقد واخلافه فهو اعجب كما قيل فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة
وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم وقال صلى الله عليه وسلم قد سمعت كلامكم وعجبكم
اى تعجبكم وقولكم عجبا كما مر فى اول الحديث وقد قيل ان سمعت مضمن معنى ادركت او فيه مقدر
عامل فى الثانى اى وعرفت عجبكم على حد قوله قلدته سيفا ورمحا اى واعطيته ولا حاجة لما
ذكر لما قدمناه لك ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقد صحح فى النسخ المقروة بفتح همزة ان فهو
بدل وفى الشرح الجديد يجوز ان يكون جملة مستانفة كان سايلا سال ما كلامهم وما تعجبوا
منه فاجابهم بقوله ان الله اه وان يكون مقول قول محذوف وهو يقتضى ان تكون مكسورة الهمزة
وهو كذلك اى اتخذه خليلا وموسى نجى الله اى كليمه والمناجاة المكالمة واصل معناها
ان يخلو بنجوة من الارض لسيا رغيره ثم شاع فيما ذكر وقيل اصلها من النجاة فمعناه ان يكلمه
بما فيه خلاصه وهو كذلك اى هو نجى الله وكليمه فما ذكره واقع وعيسى روح الله وهو
كذلك اى روح الله كما قلتم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف وهو بمعنى رحمة الله وادم
اصطفاه الله وهو كذلك كما قلتم فان الله اصطفاه واختاره للنبوة والخصايص الروحانية
وكونه ابا البشر الا وانا حبيب الله الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام
المستانف فيحقق ما بعده نحو الا ان اولياء الله لا خوف عليهم وتدخل على الجملتين ونحو لهما
على العاطف لتحقيق اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة الى ان هذه الصفة اعلى درجة
مما قبلها اى من عجب مما وصف به الانبيا قبلى فانا موصوف بما هو اعجب واعلى وهو كونى
حبيب الله اى محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول وما قيل من انه من القول بالموجب البديعى كقوله
تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله فانه مسلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذى
ارادوه فانهم ارادوا بالاعز غير المؤمنين وبالاذل المؤمنين فعكسه عليهم وهو على ضربين
كما تقرر فى علم المعانى غير صحيح لانهم لم يقصدوا تفضيلهم على نبينا صلى الله عليه وسلم
ولم يقصدوا الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار نفى لازمه ولذا قال التلمسانى
انه قريب من القول بالموجب لانه قررها ولا ما ذكروه من فضايلهم بقوله هو كذلك ثم نبه
على انه افضل منهم كلهم وقوله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع
واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى تقدم شرحه فى حديث اخر وبدخلنيها
بضم المثناة التحتية والضمير الثانى للجنة ويجوز فيه الفصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل
عنده كقوله انا الله ملككم اياهم ومعى فقرا المؤمنين اكراما لهم وفيه اشارة الى ان الفقير
الصابر افضل من الغنى الشاكر كما مر والجملة حالية ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وفى حديث ابى هريرة الذى رواه البيهقى وصححه من قول الله تعالى وفى نسخة من قول الله
والاصح روايته بلفظ من لنبيه صلى الله عليه وسلم انى اتخذتك خليلا كما تقدم فهو مكتوب
فى التوراة انت حبيب الرحمن قال الشمنى انه وقع هكذا فى النسخ المعتمدة من الشفا بهمزة

مفتوحة

414 مفتوحة وسين مهملة ساكنة وبا موحدة وقال الدلجى ان بعد السين تاء مثناة فوقية وفتح
باء عز الشمنى بقوله بعد السين حرف اى مثناة خطيته فلم يعينها لشكه فيها وهى هكذا وفى
نسخة المصر المصححة المروية عنه وصحفها بعضهم فكتبا انت وهى نقطة غير انية بمعنى
انت قيل حاصله انه ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم وصف المحبة من غير مشاركة فيها
والخلة التى شاركه فيها ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقد اثبتها صلى الله عليه وسلم
لنفسه فى اخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة ايام فقال بعد حمد الله تعالى والثنا
عليه عز اسمه انه قد كان لى فيكم اخوة واصدقا وانى ابرؤ الى الله ان اتخذ احدا منكم
خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا واوتيت البارحة مفاتيح خزائن الارض والسما وهو تعريف منه صلى الله
عليه وسلم باعلى مقامه واكملها لانه وبين خلته وخلة ابراهيم عليه الصلوة والسلام
فرق لان خلته حقيقية اصلية وخلة ابراهيم مستعارة من خلته الذاتية ولذا قال
ابراهيم فى حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء والخليل غيره وهو محمد صلى الله
عليه وسلم انتهى فهو صلى الله عليه وسلم مختص بالمحبة وبالخلة الحقيقيتين
والا فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه ولكل صفة مراتب فهو صلى الله عليه وسلم مختص
باعلاها وسياتى تحقيقه قريبا قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه هو عياض المصنف
اختلف بالبنا للمجهول اى اختلف العلما فى تفسير الخلة وبيان معناها واصل اشتقاقها
بيان المحل الخلاق ومنشاه وفى قواعد الطوفى الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه
فى حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة
المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا فى بعضها خفيا فى البعض فيحتاج
فى رده الى ذلك المعنى الى تلطف فى معرفة المناسبات انتهى وتفصيل اقسام الاشتقاق
وتحقيقه مذكور فى كتب ابن جنى كالخصايص وغيرها فقيل الخليل المذكور هنا المنقطع
الى الله اى الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال
اى خلل ونقص يحتاج لجبر وتكميل لخلوصه فيه ويعينه الذى لا يختل اصلا وتحقيقه
ما قاله الامام الراغب انه يقال خل الثوب بالخلال والرمية بالسهم ادخله فيه والخلة
بالضم الطريق فى الرمل وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها او لحاجتها اليه ولذا
فسرت الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تتخلل النفس اى تتوسطها او تؤثر فيها
تاثير السهم فى الرمية او لفرط الحاجة وابراهيم عليه الصلوة والسلام خليل
لافتقاره الى الله وقيل من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال ابو القاسم البلخى هو
من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطا لانه تعالى لا يجوز ان يحب
عبده كان محبته الينا منه ولا يجوز ان يخاله وهذا منه تشبيه فان الخلة من تخلل الود
نفسه ومخالطته ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال احببته

اذا اصيبت حبة قلبه فاذا استعملت في الله اريد مجرد الاحسان وكذا الخلة فيتجوز في احدهما كما يتجوز في الاخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب وبالخلة جبرا لخلل فحاشا الله عنه انتهى وفي كلام المصنف دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة ومن تفسيره للخليل يعلم معنى الخلة التي هي مأخذه فلا يرد ان اول كلامه في الخلة وما ذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل من انه انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل يستوي فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر في الاصل وان الكلام في معناه اللغوي الوضعي الثبوتي فتفسيره بالسلبي غير مناسب لانه حاصل معناه وقيل الخليل معناه المختص بمن خالل مطلقا فهو الصديق الذي صار من خلص احبابه واصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة الله واختيار ما كلفه من فعل وترك اقتصار فيه قصور واختار هذا القول غير واحد من الائمة المحققين ورجحه الشراح وقال بعضهم اصل الخلة بالضم الاستصفا اي كون محبته ومودته صافية اي خالصة من الكدورات وقيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه الموالاة المحبة وفي معنى اللام كقوله والذين جاهدوا فينا اي لاجلنا اي لاجلنا اي لا يحب الا من احبه الله من المؤمنين اهل الطاعة ولا يبغض الا اهل المعصية والضلال كقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولذا قالوا اذا صافى صديقك من تعادي فقد عاداك وانفصل الكلام وخلة الله له اي لابراهيم عليه الصلوة والسلام نصره على عدوه كنمرود وهذا جواب سؤال مقدر اي قد علم معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله خليلا له وجعله اماما لمن بعده لقوله تعالى وجاعلك للناس اماما اي مقتدى متبعا لجميع من بعده لان الانبيا بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لو لم ينتصر خالقه من بعده ولذا ذكره معه تاييدا وتاكيدا وقيل الخليل اصله اي اصل معناه الذي وضع له لغة الفقير المحتاج صفة كاشفة مفسرة المنقطع اي المنفرد عن الناس لعدم اعوانه واخوانه ماخوذ من الخلة بفتح الخا وهي الحاجة لاحتياج صاحبها لغيره لعجزه عما يقوم باموره فسمي بها اي لقب بما اشتق منها وهو الخليل ابراهيم فالضم للحاجة او للفظة الخلة والاظهر انه بتقدير مضاف اي بمشتقها ونحوه لانه قصر بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص حاجته على ربه اي لم يكن له حاجة الا الى ربه فلا يرجو نفعا من غيره ولا يقبله وانقطع اليه بهمه الهم هنا ما يهتم به المرء ويعتني به ويعزم عليه يعني كانه قصر حاجته على الله قصر امله وعزمه على الله وعلى ما يرضيه ولم يجعله قبل غيره قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى القابل الذي يدرك ويرى فالمراد انه عنده وتحجا بنوانه لم يجعل امره ورجاه في غير الله اي لم يطلب شيئا من غيره ولم يومله اذ جاءه اي جاء ابراهيم عليه الصلوة والسلام جبريل صلى الله عليه وسلم وهو في المنجنيق ليرمى اي وقد وضع فيه ليرمى به في النار التي اوقدت لاحراقه وكان لهبها اشتد حتى لم يمكن احد

ان يدنو منها حتى يرمي شيئا فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمي الدور وبحجارة كثيرة بان يشد سوارية مرتفعة جدا من الخشب ويوضع عليها ما يراد رميه ثم تضرب بسارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قبل وضع النصارى للبارود والمدافع وهو فارسي معرب وفي وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل لهم واصله من جي نيك اي ما اجودني وهو مؤنثة كما قال لقد تركتني منجنيق ابن جحدل اجيد عن العصفور حين اجيد وميمه زائدة ونونه منفصل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور فقال له جبرائيل صلى الله عليه وسلم الك حاجة عندي من سؤال ما يجيبك ونحوه قال اما اليك فلا حاجة لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم وقال ابو بكر ابن فورك بضم الفا وفتح الرا المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان انه صحح في النسخ بالتنوين والصرف فيظن انه علم مرتجل وقيل انه عربي معناه الفار ولا يعرف في اللغة وانما المذكور فيها انه بمعنى نوع من الظبا ونحوه لمعناه الفار لعله اراد انه من عجمة الاندلسيين وتحريف عامتهم قلت رايت في كتب التواريخ انه ملك الهند ارسل الا للاسكندرية رسولا اسمه فورك وسالت عنه فقيل معناه غلام حقير وهو تفيضى انه اعجمي معرب غير مصروف وعندي انه يجوز فيه الوجهان وقد مر فيه كلام لنا وما قلناه هنا تبعناه الخلة صفا المودة وهي المحبة مع التودد وهي المؤانسة والمساعدة وصفاؤها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال العربي والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفا ويخفيها مع الكدر التي توجب الاختصاص اي يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بان يلازم صحبته واسعافه بتخلل الاسرار جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها في باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها فلا يخفى عليه شيء من احواله والباسبية وقيل الاسرار تنحا وبفرحات القلوب وهو مجاز ومعناه رسوخ المودة في القلب واعلم انه تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سواء كان حسن صورة او كمال كمحبة العلما والصلحا وانتفاء وانعام لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من يحبه والتودد اليه فاذا زادت المودة وخلصت كانت خلة فان قلت فحينئذ الخلة اخص من المحبة فيكون افضل فلم قيل ان المحبة افضل قلت المحبة اعم فقد يكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى يصل الى الهيام وذهاب العقل وتذهل الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا والعشق لا يجوز في الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره وان وقع من بعض الحكما والصوفية فان كان مع هذه المرتبة خلة وتقرب فليس كهذا المحب محب ولا كحبيبه حبيب وهذه المحبة هي التي اختص بها نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الاسراء لما راى الله وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبة لم يصل لها

رسول ولا ملك مقرب وتمت له خلة مقربة لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولا سال سواه وعرض
عليه مفاتيح خزائن السموات والارض واعانه الله ونصره نصرا عزيزا وغفر له ما تقدم
وما تأخر مع انه لم يصدر عنه زلة واطلعه على اسرار وخطاير قدسه واى خلة كهذه فلذا
كان صلى الله عليه وسلم مخصوصا بانه خليل الله ايضا وقال الخليل عليه الصلوة
والسلام انا خليل من وراء وراء وكرر وراء اشارة الى زيادة قرب نبينا في الارض
والسما فلا منافاة بين اختصاصه ووصف ابراهيم وان اشتهر بذلك لانه اجل صفاته
واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى اجل من الخليل وهذه من جانب العبد واما من الله فمحبته
له بمعنى تقريبه وانعامه وتعليمه ما لم يعلمه غيره وتفضيله على ما سواه وخلته له
اسعافه بجليل هذه النعم وتوفيقه لجعله نصب بصره وبصيرته حتى كانه معه في كل حين
فاعرفه وقال بعضهم اصل الخلة المحبة يحتمل ان اصل معناها الوضعي المحبة لانها
من تخلله في قلبه وروحه ويحتمل ان المراد ان المحبة اساس الخلة ومنشؤها لانها تكون بعد
تحققها ومعناها اى معنى الخلة الوضعي بناء على الثاني وهو الارجح وقيل ضميرها راجع للمحبة
المرادفة للخلة الاسعاف اى الاعانة والنصرة والامداد لكل ما اراد والالطاف بفتح
الهمزة اى الانعام والاحسان قال الزمخشري في شرح مقامات الالطاف الهدايا واحدها
لطف بفتحتين قال كم له عندنا التكرم والتلطف انتهى ويحتمل انه جمع لطف كقفل وهو التوفيق
لفعل كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف والترفيع بالعلى رتبة بالكمالات الظاهرة
والباطنة والتشفيع باذنه له في الشفاعة وقبولها وله صلى الله عليه وسلم شفاعات
كام فيشفع في فصل القضا ولرفع درجات قوم في الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذي
ولبعض المومنين في التجاوز عن سيئاتهم ولبعض من كان من اهل النار بعد دخولها واخراجه منها
ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كابي طالب لجعله في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه كما رواه البخاري
وهو لا ينافي قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب كما قيل وقد بيناه في حواشي القاضي ولقبول شفاعة
بعض الانبيا والصلحا وقيل التشفيع بمعنى التأبيد والعقوبة من التشفع وقد بين ذلك تعا
اى كون المحبة والخلة تقتضي الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم في كتابه بقوله
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم الاية يعذبكم
مضارع بمعنى الماضي اى عذبكم في الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان اى لو كنتم
ابناءه واحباءه ما عذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك او هو على اصله اى لم يعذبكم في الاخرة
نعلم منه ان من كان محبوبا لله لا يعذبه ولا يسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والعجب انه هذا مع
ظهوره قيل عليه انه لا دليل في الاية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الا عدم مؤاخذة
المحبوب بذنبه على انه ممنوع في احباء الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب ونخيته بالمنافاة
والابتلاء ولا دليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو مما يقضي منه العجب وقولهم ابناء الله اى
منا ابناؤه وهو المسيح وعزير او نحن اتباع نبيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم راوا في التورية

مطلب شفاعته

يا ابنا احبائي فبدلوها بيا ابنا ابكاري فاوجب للمحبوب اى بطريق اشارة النص فيهم ان كل محبوب
وخليل يجب ان لا يواخذ بذنوبه اى لا يعاقب بها ويجازى عليها قال ذلك البعض هذا اسم
الاشارة يتخلص به من كلام لاخر فيكون خبر مبتدأ مقدرا اى الامر هذا او مبتدأ خبره مقدر
وقد يذكر كما في قوله هذا ذكرا ومفعول لفعل مقدر اى خذ هذا وقد يقال هذا اسم فعل بمعنى خذ وذا
مفعوله لكن الرسم يخالفه والخلة اقوى من البنوة بموحدة ونون مصدر بمعنى كون ابنا متولدا
منه ثم بين ذلك بقوله لان البنوة قد يكون فيها العداوة اى معها او فيمن اتصف بها وهو
من ظرفية الصفة للموصوف كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم اى منهم من يظهر
العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة
لان المحبة معناها او داخلة فيه او لازمة له وهي ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف البنوة
فانها وان كانت الفطرة تقتضي المحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفي هنا فلا وجه للاعتراض
باصل فيها المحبة والعارض لا يعتد به كما توهم ومن العجب انه ايده بقوله زيدا بوك عطوفا
وكم له مثلها تجاوز الله عنه فاذن تفريع على ما قبله تسميته ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة
والسلام بالخلة اى بما اخذ من الخلة وهو الخليل او المراد بالتسمية الوصف تجوزا وقدم
عليه الصلوة والسلام لتقدمه رتبة وشهرة وهو باضافة تسميته وفي نسخة اضافة
بالضمير اما بانقطاعهما الى الله تعالى هنا ناظر الى ان الخلة الحاجة اى لاعتمادهما عليه ولما
لمنع للخلو فقط ووقف حوايجهما عليه اى جعلها موقوفة على انعامه لاكتفائهم بفضله
والانقطاع عمن دونه اى الانقطاع اليه تعالى وترك غيره والاضراب عن الوسائط والاسباب
الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا امسك عنه وتركه او لزيادة الاختصاص
منه تعالى لهما معطوف على ما بعد اما اى بان الله اختصهما زيادة اختصاص به فاغناهما عما سوا
كما يغني الخليل خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم او خفي الطاعة عندهما خفا بالخا
المعجمة لان لطفه يكون من حيث لا يدري او بالحا المهملة او زيادة مبالغة في اكرامه لهما
يقال الخفي به وخفي اذا بالغ في اكرامه وهو مجرور معطوف على زيادة او ما اضيف اليه
والطلفا بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وفيه ما مر او لما تخللاى
تخلل ودخل مواطنهما من اسرار الالهية اشارة الى انه من التخلل كما تقدم وفي نسخة من اسرار
الهيته تمشاة تخلية فوحته ومكنون غيوبه جمع غيب وهو ما لا يدرك بالحواس الظاهرة
او ما سيكون قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات ولا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول
والمكنون بمعنى المستور ومعرفته اى معرفة افاضها عليهما من علمه اللدني ومعرفة ذاته وصفاته
مما لا يطلع عليه كل احد او لاستصفائه لهما اى لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له
حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر مضاف لفاعله وقوله واستصفا
قلوبهما مضاف لمفعوله واسم العضو المضاف للمعنى يجوز افراده وجمعه وتثنيته اى جعل
مراتبهما صافية خالصة له صالحة لاسراره ومعرفته عمن سواه بحيث لا يكون فيهما

غير معرفة وحيه حتى لم يتخللهما اى يدخل فى خللهما جا بغيره هو نتيجه الاستصفا وما له
فارتضاهما وصفى قلبيهما من كدر حبا لسوى الناشى عن الطبع البشرى ولهذا اى لكون معنى
الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية قال بعضهم الخليل من لا يتسع
قلبه سواه لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لا يبقى فى قلبه سواه وسوى مراقبته
كما قيل تملك بعض حبك كل قلبى فان ترد الزيادة هات قلبا وهو اى ما ذكر من معنى
الخليل ونعته عندهم معنى قوله عليه الصلوة والسلام فى حديث البخارى ان من امن الناس
على فى صحبته وماله ابا بكر ولو كنت متخذا خليلا من الناس غير ربى رجع اليه فى امورى واعتمد
عليه فيما يهمنى لاتخذت ابا بكر خليلا لانه اعز اصحابى واقدم اصدقائى فلو تعلق قلبى
باحد لم يكن يتعلق بغيره لما اعرفه من ايثاره لى على نفسه واهله ولكن اخوة الاسلام وقديم
الصحبة الذى هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل صحبة يوم نسب قريب وذمة
يعرفها اللبيب وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة فاثبت الاخوة الموذنة
بالمساواة تفضلة منه فالخلة اعظم من البنوة والاخوة واخوة بهمزة مضمومة وروى فى الكما
انه خوة بدون الف وهى لغة قليلة واختلف العلما وارباب القلوب اى اصحاب القلوب
الكاملة الصافية فجعل غيرهم كانه قلب له والمراد بهم الاوليا وذوى النفوس القدسية
وقيل المراد بهم الباحثين عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك
لنظرهم فى العلوم الباطنة دون ظواهر الالفاظ ايهما اى المحبة والخلة ارفع اى ايهما افضل
فى نفس الامر وعند الله درجة الخلة او درجة المحبة وكنى برفع الدرجة عن رفع ما فيها وافضلية
والتقدير اهو درجة الخ فجعلهما بعضهم سواء اى الدرجتين والمحبة والخلة متساويين
فى الفضيلة لا تفاوت بينهما فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لا يخفى الا انه
انما يقتضى تلازمهما لا مساواتهما رتبة ودرجة ثم اشار الجواب بسؤال مقدر وهو انهما
انهما اذا استويا وتلازما فلم خص كل منهما بموصوف فقال لكنه اى الله او الامر والشان
خص مبنى للفاعل والمفعول ابراهيم بالخلة ومحمدا بالرفع والنصب بالمحبة بان سمى الاول
خليلا والثانى حبيبا وهو امر اتفاقى لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه وبعضهم قال درجة
الخلة ارفع منزلة وافضل واعلا درجة ويشهد له ان المحبة ماخوذة من معنى الخلة واخص
منها لكنه قيل انه يرد عليه ما تقدم من قوله فى مناجاته حيث قال له الله سل تعط فقال يا رب
اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال تعالى له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك
حبيبا او فى معناه مما يقتضى ان درجة المحبة ارفع الا ان قوله لو كنت متخذ الحديث يخالفه
فالمقام لا يخلو من الاشكال والجواب ان القائل بما فضله بمجموع ما ذكر فى الحديث واحتج هذا
القائل لمدعاه بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البخارى لو كنت متخذا خليلا غير ربى
فلم يتخذ اى غير الله خليلا وقد اطلق المحبة اى وصفه بمحبته غير ربه والجملة حالية لفاطمة
الزهرا ابنته صلى الله عليه وسلم وهو متعلق باطلق وابنيها الحسن والحسين واسامة

بن

417

بن زيد بن حارثة فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم كابى بكر
وعمر وعايشة رضى الله عنهم وقد ورد هذا كله مصرحا به فى احاديث صحيحة وقد
قدمنا لك ان محبة الله تعالى لعبده بمعنى غير محبة العبد لله ولغيره وان محبة النبى
صلى الله عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس فى قلبه وذكره غيره وانها ماخوذة من حبة
القلب كما قلت قد تملكت حبة القلب منى ولذا سمى الحبيب حبيبا فلا ينافى كونه
يحب فلانا لانها لمطلق الميل وبهذا سقط الاحتجاج بما ذكر وسياتى ما يؤيده واكثرهم
اى اكثر العلما وارباب القلوب جعل المحبة ارفع درجة وافضل من الخلة لان درجة الحبيب
نبينا صلى الله عليه وسلم بدل من الحبيب ارفع من درجة الخليل ابراهيم فيقتضى ان صفته
وهى المحبة افضل من صفته وهى الخلة وفيه انه لا يقتضى ذلك لان تفضيل الذات على الذات
قد يكون لمعنى اخر غير تلك الصفة لا سيما اذا قلنا ان الخلة هى المحبة او غايتها واصل المحبة
الوضعى الحقيقى الميل لما يوافق المحب بضم الميم وفتح الحا بمعنى المحبوب يقال احبه واحبه بمعنى الا
انهم اخذوا اسم الفاعل فاكثر استعمالهم من المزيد فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثى فقالوا
محبوب وحبيب وقالوا فى غير الاكثر جاءت ومحب بالفتح كقول عنترة فى معلقته منى بمنزلة المحب
المكرم فراعوا كلا منهما والمراد بما يوافقه ما يرتضيه ويميل اليه فيحب كل ما يحبه ويتبعه ويتركه
لاجله مراداته والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال ولكن هذا المعنى يكون فى حق من يصح الميل القلبى
منه اى المحب لا المحبوب والعكس جائز وجزم به بعضهم والانتفاع بالوفق بفتح الواو وسكون الفا
قبل القاف اى الموافق فهو اسم الفاعل بالمصدر او هو على اصله بمعنى الموافقة بين الشيئين وهذا
الاخير خبر وهو درجة المخلوق وهو راجع الى المحبة بمعنى الميل القلبى ممن يصح منه اوانث
باعتبار الخبر فيرجع للمثل والدرجة مجاز عن الصفة واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض
بعين معجمة وراء مهملة وضاد معجمة على ما تقدم فالميل بمعنى ترجح بشيء وتقديمه على غيره لفائدة
غرض وعلة للفعل لا يجوز على الله ولذا ذهب اكثر الاصوليين الى ان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض
لانه يقتضى استكماله تعالى بغيره وهو منزه عنه اما بمعنى الثمرات والفوايد المترتبة على الفعل
فلا يضر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل على خلافه والاستكمال عنده غير مسلم
وقد بسطنا الكلام عليه فى غير هذا الكتاب وفى نسخة الاعراض بعين مهملة وليس جمع عرض
بمعنى مرض وبرنته كما قيل بل بمعنى الكيفيات النفسانية النفسانية الحادثة والميل منها
وفى نسخة الاعتراض ولا مناسبة لها هنا الا بتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى
لا تليق برب العزة فمحبته اى الله لعبده تمكينه من سعادته اى اقداره على ما يفيده سعادة
الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته وعصمته من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على
تمكين وسعادته والعصمة هنا معناها الحفظ وتوفيقه فى امور يجعلها على وفق رضاه
ويجوز رفعه وجره ايضا وتهيئة اسباب القرب تهيئة بزنة تكرمة بيا مثناة تحتية بعد
الها وهمزة وها تانيث مصدر هياته اذا جعلته حاضرا سهل التناول اى يسر له الله كل

سبب يقربه الى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها وافاضة رحمته عليه اى ايصال الخيرات
الدنيوية والاخروية اتصالا كثيرا متواليا فشبه الرحمة بالماء واثبت الاضافة بمعنى الصب
بكثرة على طريقة المكنية والتخييلية وقصواها بضم القاف وسكون الصاد المهملة فعلى
من اقصاه اذا ابعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بتمكينه وما بعده وذكر الغاية
لان صفات تعالى التى لا تليق به تؤخذ باعتبار غاياتها وغاية المحبة كشف الحجب بضمتين
جمع حجاب اى ازالة الموانع عن قلبه كالشواغل الدنيوية حتى يراه بقلبه اى يعلمه علما يقينيا
كالمشاهدة المحسوسة وينظر اليه ببصيرته وهى قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه اليه
فيكون كما قال اى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم الناقل له في الحديث الذى رواه
البخارى واذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ويده
الذى يبطش بها ورجله الذى يمشى بها وهو حديث قدسى طويل ومعناه اذا اصفى قلبه وشغل
نفسه بالله احبه الله ومحبة الله تقدم انها عنايته ولطفه به وافاضته نعمه على ظاهره
وباطنه فتكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولما فيه رضاه
من غير تصنع ومشقة فيفعل به على ذلك حتى يكون كان افعالها صادرة عن الله والى هذا اشار
المص بقوله ولا ينبغى ان يفهم بالبنا للمجهول اى لا يفهم احد من هذا الحديث والكلام سوى
التجرد الى الله اى تجريد افعاله واحساسه عما يشغله عن الله والانقطاع الى الله بترك غيره ولذوبه
عن فكره ونظره والاعراض عن غير الله حتى يصير اقباله فى جميع احواله وصفا القلب لله
بحيث لا يكون فى فكره غيره فيصفو من كدر الاوهام ودنس الخلق واخلاص الحركات لله
بان لا يحرك عضوا من اعضائه الا لعبادته او لما يعين عليها كما قالت عايشة رضى الله عنها كما
تقدم كان خلقه القران اى اخلاقه صلى الله عليه وسلم كلها على وفق ما امر به فى القران
فجعلت القران عين خلقه مبالغة والى هذا يشير قولها يرضاه يرضى اى يرضى ويحب ما ذكر
فى القران انه فعل مرضى لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به ما يصيره قربة ويسخط
بفتحتين وضم فسكون يسخط اى يكره ما ذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام اباه والحاصل
علم بما ذكر ان اخلاقه صلى الله عليه وسلم الطبيعية اضمحلت وذهبت لما شق
قلبه الشريف فلم يبق له ارادة لغير ما يريده الله ولا رضا لغير ما يرضاه ولا يخفى ارتباط
هذا بما قبله من قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه ومن هذا اشارة الى ما سبق في اول
كلامه من معنى الخلة قبل ذكر الخلاف فيها وما خذ اشتقاقها عبر بعضهم عن الخلة بقوله
قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمى الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثى
واذا ما سكت كنت الغليلا وفى رواية كنت الدخيلا يعنى ان الشاعر عبر عن معنى الخلة
بناء على انها من التخلل كانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح المجسمة السارية فى البدن
سريان ماء الورد فى الورد بناء على احد الاقوال فيها لا على انها مجردة خارجة عنه
ومتصلة او بناء على انها لطيفة نورانية فى احد طاقى القلب لها الحياة والاحساس ومسلك

منصوب

منصوب على الظرفية بتخللت المضمن معنى دخلت واسند التخلل اليه مبالغة والمراد
تخلل محبته ومودته فى مسالك روحه او فى قلبه الذى هو مقرها بحيث لا يكون فيه 418
سواه كما مر ثم فرع على انه ليس فى روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه
وخليله واذا سكت لم يكن فى فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل فالمعنى المعجمة ما كان
داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين البنات اى جرى تحته مستترا وكذا المراد
بالدخيل ما هو داخل القلب والبدن الا الاجنبى كما فى قول السكاكى ليس الدخيل كالناشى
هذا ما قصده الشاعر واشار اليه المص وان كان ظاهر الشعر على تفضيل الخلة على المحبة
فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة ابراهيم كما قيل فانه لا يصح هنا وليس المراد بالغليل
حرارة العطش اى كنت لعدم ذكرى لك مضرما حوايج قلبى عطشا لعدم ذكرك فان ازالته
انعم واراحة النفس بذكرا لاحبة وما زائدة فى الشعر والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجيب
قوله فى شرح الجديد ان المعنى اذا سكت كتمت حبك فى قلبه كما يكتم الحقد والضغاين فالمراد
بالغليل الحقد والضغاين ولا يستقيم الا على الاستعارة فانه تعسف لا ينبغى ذكره فاذن
تفريع لجواب سوال متفرع على ما سبق من مزية للخلة اى فضيلة الخلة وفى شرح العلامة منه انه
لم يبين له فضل وتقدم انه يرده قوله فى الاساس تميزت عليه اذا زدت فى الفضل عليه وخصوصيته
المحبة بفتح الخاء وضمها بمعنى اختصاصها وعبر فى الاول بالمزية اشارة الى ان الخلة وان يشارك فيها
النبى صلى الله عليه وسلم والخليل عليه الصلوة والسلام فهى مختصة بنبينا باعتبار معنى
زايد فيها لاشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا وان لم يطلق على الخليل حبيب الله كما مر
وان كانت محبته شاملة لهما بل لغيرهما كما قال تعالى فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه
الا ان هذه غير المحبة المختصة كما مر تحقيقه وكما ان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه
يقال حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله
للحديث المتقدم ولو كنت متخذا خليلا غير ربى وهذا تبين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية
حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم وفى نسخة خالصة اى مختصة وكان الظاهر
ان يقول حاصلتان لكنه افرد لجعلهما كالشىء الواحد بما دلت عليه الاثار الصحيحة الباء
للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز ان يكون سببية والمراد بالاثار الاحاديث الذى تقدمت
كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربى الخ وقوله الا وانا حبيب الله وقوله المنتشرة اى السابعة
المشهورة المتلقاة بالقبول من الامة ذكر شهرتها والقبول لها مؤيد الاختصاصه صلى الله
عليه وسلم وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك بنص القران فقال وكفى بقوله قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الاية الباء زائدة فى فاعل كفى او للتعدية وكفى بمعنى كتف كما هو
مشهور ووجه الدلالة فى هذه الاية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله
محبة ليس فوقها محبة ومقربا تقربا لا يدانيه احد فيه فعلم منه خلته وحبه ولذا قال
المص وكفى الخ ومن لم يفهم مراده قال هذا لا يدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما

جابه من الشرايع وتصديقه وذلك محبوب لله وانما يدل لو على محبته على محبتهم للرسول
صلى الله عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون الله فاتبعوا الرسول حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت
قال الكفار انما يريد محمد بقوله لنا اتبعوني يحببكم الله ان نتخذه حنانا بفتحتين مخفف النون
معناه الرحمة والاشفاق ماخوذ من الحنين وهو يكون مع صوت والمراد ان نعطف عليه
ونجعله موضع الحنان والرحمة اي نتبرك ونتضرع به وقد تقدم الكلام فيه كما اتخذت النصارى
عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام حنانا ومعبودا يتقربون بعبادته الى الله تعالى فانزل الله
تعالى غيظا لهم مفعول له اي انزل الله ليغيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم فان الغيظ الغضب
على الفاجر ورغما على مقالتهم وتثليث الرا المهملة وسكون الغين المعجمة والميم وهو الذل والخزي لا
بما يكره واصله كل موذ يصيب الانف ولذا يقال ولذا يقال رغم انفه وعلى رغم انفه وضمنه معنى
التبكيت والتقريع فعداه بعلى والمال الى انه اذ لم بتوبيخهم ورد مقالهم هذه وقوله هذه الاية
مفعول لانزل قل اطيعوا الله والرسول ثم بعد مما بين سبب النزول من انكارهم جعل اتباعه سبب
محبة الله لهم وتقربهم الى الله تعالى وذكرنا الله وانها ابلغ من الاولى واشد لان الاولى لا تقتضي
لزوم اتباعه فانه تعالى يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر بطاعته يقتضي واقترانها
بطاعته يدل على تاكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قول فزاده شرفا بامره هم بطاعته
وايجابها عليهم وقرنها بطاعته اي الرسول صلى الله عليه وسلم زيادة في تشريفه والاتباع
وان كان عين الطاعة او لازمها فليس هو امرا وايجاب ومن غفل عنه قال هما سواء الا ان هنا
فيه التصريح بالطاعة ثم توعدهم على التولي عنه بالاعراض عن طاعته وهو عدمها بقوله
فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين كان الظاهر ان يقال فان الله لا يحبهم فوضع الظ
موضع المضمر وعلقه بالمشتق الذي هو علة للحكم فكانه قال لا يحبهم لانهم كفروا بالله
سواء كان تعريفه للاستغراق او للعهد فهذه الاية اصرح وادل على وجوب طاعته وعلو
مرتبته صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا كعيسى عليهم الصلوة والسلام ونقل
الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يقول هذه
الجملة صفة قول كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استانف فقال الجملة اشارة انه
ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه اي من كلامه ابن فورك طرفا بفتحتين
اي بعضا قليلا يهدي اي يدل على ما بعده اي باقيه فالتعدية بغير ارادة لانه مجاز فمن ذلك
قولهم اي قول المتكلمين الذي نقله ابن فورك عنهم الخليل يصل الى من خالله بالواسطة اي بتوسط
اخرنيه وبين خليله كما بينه قوله يصل به الاتي ثم بين ان هذا المعنى ماخوذ من قوله عز وجل
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فوصل لمعرفة الله
بواسطة ما راه من ايات ملكوته التي اوصلته لمعرفته والحبيب يصل لحبيبه به اي
هو له على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا ماخوذ من قوله فكان قاب قوسين
او ادنى فراه عين اليقين كما تقدم وهذا وان كان المصنف ناقله والعهدة فيما نقله على قائله

الا

الا ان هذا غير ظاهر لانه ان اراد بالوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالاية
لا مناسبة لها بما ذكر وان اراد بالوصول الى معرفة الله ومشاهدته فكذلك ثم انه لا يتم
الفرق لانه اراد بين المفهوم المحبة والخلة فما ذكر لا يدل عليه بل ليس بصحيح وان اراد
بين ذاتي من قاما به ولا يفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبني على القول بان ابراهيم عليه الصلوة
والسلام لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبيا مطلقا او قبل البلوغ
مع ان المحققين على انه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب وبالجملة
فهذا كلام غير منقح وقيل الخليل الذي يكون مغفرته اي مغفرة الله له ما قد يصدر عنه
محتاجا لعفوه عنه في حد الطمع اي واقعة في حال يطمع صاحبها في التجاوز عنها لان الخليل
لا يزاحم خليلا بزلة واصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار
فاستعير للحال المميزة له والمقتضية لتحققه من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين اي قول ابراهيم عليه الصلوة والسلام في قصته مع قومه هضما لنفسه
وتعليما لامته والا فهو معصوم والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين اي متيقنة
وهذا ماخوذ من قوله اي قول الله لمحمد حبيب الله صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي كل ما صدر عنك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك
قد يقتضي نقصا وفي الاية اشارة الى انه عليه الصلوة والسلام لم يصدر منه اذ سوى
المتقدم بالتاخر في عدم الوقوع ولذا فسرح صلى الله عليه وسلم بها لما نزلت مرجعه
من الحديبية وقال نزلت علي اية احب الي مما على وجه الارض والكلام على الاية مبسوط
في التفسير وقد تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا اخر قريبا من هذا فقال والخليل قال
ولا تخزني يوم يبعثون اي لا تفضحني ولا تعذبني في يوم القيامة وقد قيل انه ورد
في الحديث ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اذا راى اباه في المحشر يقول يا رب وعدتني
ان لا تخزني فيمسخ الله ازر ذيخا بذال معجمة ومثناة تحتية وخا معجمة وهو ضبع مبين
فيقال له انظر لما تحت قدميك فيراه فينكسر وما يلقى في النار فحول الله صورته حتى لا يعرفه
الناس حين يلقى في النار فيفتضح بين امته قيل ومنه يعلم ان ابوي النبي صلى الله عليه
وسلم ليسا في النار وفيه ما سياتي والحبيب اي نبينا صلى الله عليه وسلم قيل له يوم
لا يخزي الله النبي فابتدي بالبشارة بنفي الخزي عنه برؤيته ما يكره قبل السؤال لذلك كما
ساله غيره منهم والخزي ليس هو العذاب كما في قوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته وانما هو الفضاحة بكل مولم له او لا شدة العقاب فلا يقال ان الله امنه من
غضبه وعذابه فما فائدة البشارة بعد هذا ثم ذكر فرقا اخر فقال والخليل قال في المحنة
محن الامتحان يعني الابتلاء والمراد بذلك قصته مع نمرود حين القاه في النار فكانت
عليه بردا وسلاما وقال له حسبي الله اي هو كاف لي في جميع اموري والحبيب وهو نبينا
صلى الله عليه وسلم قيل له يا ايها النبي حسبك الله يعني انا النبي صلى الله عليه وسلم

قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا ما له الله له فيكون كفاية محققة مقررة بخلاف الاول
كما سمعته قريبا والخليل قال واجعل لي لسان صدق اي ذكرا جميلا وصدقا وخيرا باسم الله
عما يصدر منها مجازا في الاخرين اي في الامم الاتين من بعدي الى يوم القيامة فهو طلب
ودعا واجابه الله فما من امة الا وهي تثني عليه وتحبه والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك
اي جعلناه عاليا سريعا لما تضمنه من الثنا مقرونا باسم الله في الصلوة والخطبة والاذان
وغيرها اعطى الحبيب بدون سوال منه وهذا بيان لمزية الحبيب كما نبهنا لك عليه
اولا والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اجنبني جنبني بمعنى بعدني بعدا
حسيا ومعنويا بان لا يصدر منهم ذلك وقد اجاب الله تعالى دعاه لان المراد بنو صلبه
وفيهم انبيا عصمهم الله تعالى واتقيا حفظهم والحبيب قيل له اي قال الله تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس هو كل مستقذر حسا او طبعا او عقلا او شرعا اي الله كرمكم
بان حفظكم من الذنوب وسايدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه
احضر اشارة الى انه قضى لهم بذلك في الازل وفي عالم الارواح والذ اهل البيت منصوب
على المدح او الندا والمراد اهل بيت النبوة فيشمل اولاده صلى الله عليه وسلم وزوجاته
واتباعه واقاربه ولا يختص ذلك بعلي وفاطمه والحسين كما زعمته الشيعة وهذا
ابلغ مما في حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه بنفي عبادة الاصنام وهذا عام في كل ذنب
ونقص وذاك خاص بنبيه وهذا شامل لكل من شمله بيته كما سمعته انفا ومبالغته
في تطهيرهم بقوله ويطهركم تطهيرا ولا يخفى ان كل ما نقله ابن فورك انما يدل على شرف
النبي صلى الله عليه وسلم وزيادة على رتبته على غيره ولا علاقة له بنفس المحبة والخلة
لا سيما الايات لم يذكر فيها بعنوان لفظ الحبيب وفيما ذكرناه من تفسير المحبة والخلة
واشتقاقهما والخلاف في ايهما ارفع درجة تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال
مقصد الميمي بمعنى القصد او هو بمعنى المقصود لان نقل ياتي مفعول كمركب وان كان نادرا
او هو مجاز من المصدر او من اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة اصلية
من تفصيل المقامات والاحوال بيان للمقصد والمقامات بفتح الميم جمع مقام وهو
محل القيام وبضمها محل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لاطراده فيما لا يعقل كحمامات
وسجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه العارف بالله تعالى من الانبيا والاوليا
يرتفع به من حضيض البشرية في درجات العبودية حتى يرقى الى المقام الاعلى وما يطرق
عليه هو المراد بالاحوال وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقامات الصفات الثابتة
والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب مما قلناه والظاهر ان المراد بقوله السابق
ما ذكرناه ما لخصه من كلام ابن فورك وهو جواب عما تقدم من ان هذا لا يدل على بيان
الخلة والمحبة الذي هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل
فالمقصود بيان تفاوت وصفهما فيرجع ما قاله الى بيانهما فانه منهم من يسلك مسلك

التصريح

التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح وكل يعمل على شاكلته اي كل احد طريقته
يختارها وللشاكلة في الاية التي اقتبس منها المعنى هي قل كل يعمل على شاكلته بمعنى سجيته وجبلته
وهي كما قال الراغب ماخوذة من الشكال وهو قيد تقيد به الدابة لانها قيدته وذلك لان سلطان
السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته واشار بقوله
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي الله يعلم من طريقته اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشادا
للهداية يشير الى ان الخلاف السابق في تفضيل الخلة والمحبة مبني على امور نظر اليها كل من الفريقين
فكانه لم يجزم باحدهما لان الخلاف كاللفظي وقد قيل ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل
نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم في حد ذاته من غير نظر لما
جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية
وقد علمت ما فيه وقدمنا لك ما يغني عنه فصل تفضيله صلى الله عليه وسلم
برفعه مقامه على غيره بالشفاعة ان كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة العظمى في المحشر
التي يخلص الله بها اهله من هوله وكربه فقوله والمقام المحمود عطف تفسير والاظهر
انه عطف الخاص على العام والمقام المحمود كل مقام يتضمن كرامة يحمد ولكنه خص هنا
بفرد معين من افراده اختلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبي على ستة اقوال فقيل
هي الشفاعة العامة السالفة وقيل اعطاؤه لواء الحمد وهو لا ينافي ما قبله وقيل
هو ان يجلس صلى الله عليه وسلم مع الله على الكرسي وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا
فيه وياتي ما فيه ومنهم من اوله وقيل هو شفاعته صلى الله عليه وسلم لاخراج بعض
اهل النار منها وقيل هو شفاعته رابع اربعة اذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلوة
والسلام فيشفع ولا يشفع احد بعده في اكثر مما يشفع فيه فنزلت الاية وقيل هو مقام يكون
اقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له صلى الله عليه وسلم بالاجماع الا انها عند اهل السنة
لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وعند المعتزلة لزيادة الثواب لا لدرك
العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمودا على ظاهره او اسناد مجازي
اي صاحبه محمود قال الله تبارك وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا استشهد
بالاية على ما قاله وقد علمت ما فسر به المقام المحمود ومقاما منصوب على الظرفية بتقدير في
اي يقيمك مقاما او يتضمن يبعث معناه او هو حال بتقدير ذا مقام واما الوجه
الثالث وهو جلوسه صلى الله عليه وسلم مع الله على العرش او الكرسي فقال الواحدي
رحمه الله انه قول فاسد مبني على التجسيم وبين فساده بوجوه منها ان البعث هو الاثارة
والاقامة والجلوس ضده فكيف يفسر به وايضا هو يقتضي التحديد والتناهي المستلزم
للحدوث وايضا انه قال مقاما ولو كان كذلك لقال مقعدا ومثله لا يدل عليه البعث
ورد هذا بانه رواه احمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله الرحمن على العرش استوى
وقد صححه الدارقطني وقال رد الله على منكره واجاد في ذلك رحمه الله حديث شفاعة عن احمد

الى احمد المصطفى نسنده   وجاء الحديث باقعاده   على العرش ايضا ولانجحده   امروا
الحديث على وجهه   ولاتدخلوا فيه ما يفسده   ولاتنكروا انه قاعد ولاتنكروا انه يقعده
لجلوسه صلى الله عليه وسلم لامانع منه واما نسبة ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد
ظاهره بل هو وامثاله مأوّلة وهي كثيرة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو ومعناها
الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر ومن الله
قالوا انه ايجاب اي جزم بوقوعه اذ الله لا يجب عليه شيء كما تقرر في الكلام حدثنا وفي نسخة
اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني شيخ المصنف وغسان اسم ماء في الاصل سمي به قبيلة
من اليمن نزلت عليه وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد الياء المثناة التحتية بوزن شداد
بلدة بالاندلس منها ابن مالك وابو حيان رحمهما الله فيما كتب على بخطه اشارة الى ان هذا
الاخبار ليس بالمشافهة اي اخبارا كائنا في ضمن امور اخر واحاديث كتبها له والكتابة
نوع من التحمل والاجازة لها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين واهل الاصول كالسمعاني
وصاحب المحصول ووقع ذلك في الصحيحين سواء كاتبه حاضرا او غائبا بشرط ان يعرف
خطه قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي لسابق ذكره وترجمته قال حدثنا ابو محمد
الاصيلي الذي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال حدثنا ابو زيد المروزي وقد تقدمت
ترجمته وابو احمد محمد بن محمد بن يوسف بن مكي الجرجاني قالا حدثنا محمد بن يوسف الفربري
السابق ترجمته قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو امام السنة صاحب الصحيح البخاري وقد تقدم
قال حدثنا اسمعيل بن ابان ابو اسحق الوراق الازدي الكوفي وابان بفتح الهمزة وتخفيف الباء
علم منقول تردد في صرفه وعدم صرفه بعضهم واجاز بعضهم فيه الصرف وعدمه
وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال فيتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضي
ابان يبين وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح وقال القرافي المحدثون والنحاة على منع
صرفه ونقله ابن نفيل عن الجمهور بناء على ان وزنه افعل ممنوعا ومنع فاعل على خلاف
القياس واتى على اصله فانه يحتمل قول الدماميني لو كان كذلك وجب تصحيحه لان افعل
الاجوف الوصفي لا يعل وفي شرح مسلم انه جوز فيه الصرف وعدمه والصحيح صرفه كما في جامع
اللغة وبه جزم ابن السيد اقول عدم صرفه تعسف وقد تتبعت كلام العرب فوجدته
مصروفا فمنه كقول ابي عطا الحماسي   اتعرف مسجدا لبني تميم   فويق الميل دون بني ابان
وقول مهلهل   لهف نفسي على عدي ولم   اعرف عديا اذ امكنتني اليدان   ظل من ظل
في الحروب   ولم اعرف قتيلا اباه من ابان   الى غير ذلك مما لا يحصى فلا وجه للتردد فيه
ولذا قال بعض ائمة اللغة من لم يصرف ابان فهو اتان وامام ثقة توفي سنة ست عشرة
ومأتين وترجمته في الميزان قال حدثنا ابو الاحوص بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد
اللام ابن سليم بالتصغير الامام الثقة الرواية توفي سنة مائة وتسعين واخرج له اصحاب
الكتب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن نضلة والصحيح الاول عن آدم بن علي العجلي

الثقة

الثقة التابعي يروي عن ابن عمر وغيره قال سمعت ابن عمر الصحابي المشهور رضي الله عنهما يقول
حالا او مفعول كما بينه النحاة وقد تقدم بيانه ان الناس يصيرون يوم القيمة جثى هذا
هذا الحديث رواه البخاري في التفسير موقوفا عن ابن عمر ومثله مما لا مجال للراوي فيه
له حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من اهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه
من صحابي اخر لا يضر لان مرسل الصحابي مقبول اقول هذا مما قاله اهل الاصول وقبله
الائمة مصطلح الحديث وفيه بحث لانه يجوز ان يكون الصحابي ممن قرا الكتب القديمة
او يكون استنبط من كتاب وسنة فينبغي تقييده بما ذكر وجثى بضم الجيم مقصور منون
ويجوز كسر جيمه ايضا جمع جثوة مثلث الاول واصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه
فاستعير لمعنى الجماعة اي يجتمعون جماعات كل امة جماعة تابعة لنبيها كما ذكره وروى
البرهان عن الحافظ العراقي جثا بضم الجيم والمد وانه كذا صحح في نسخ البخاري
وصححه الهروي وابن الاثير وروي جثي بضم الجيم وكسر المثلثة وتشديد الياء جمع جاث وهو
البارك على ركبتيه وقيده بعضهم بان يجلس كذلك للخصومة وانشدوا اخاصمهم مرة
قائما   واجثو اذا ما جثوا للركب   ولا شاهد فيه وهذا على خلاف القياس ان صحت
الرواية فلا يرد عليه انه فاعل لا يجمع على فعل كما ينبغي كل امة تتبع نبيها يقولون حال من فاعل
يقول اي تكون معه تابعة له بانضمامها اليه يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا اي
ينادي كل امة نبيها باسمه سائلين ان يشفع لهم عند ربهم في الخلاص من هول الموقف كما مر
فيجيبهم بانه لا يقدر على الشفاعة كما تقدم فيذهبون لغيره من الرسل فيجيبهم مثله حتى تنتهي
الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم   اي حتى تنتهي الامم وسؤالهم لواحد بعد واحد يكون
غايته ان ينتهوا له صلى الله عليه وسلم فيجيبهم ويشفع لهم فتقبل شفاعته ففي الحديث طي
لجمل من السياق ومن احاديث اخر صرح فيها بذلك ومعنى تنتهي تبلغ تصل كما يقال بلغ الامير قصتي
وهذه هي الشفاعة العظمى وقد تقدم ان له صلى الله عليه وسلم شفاعات اخر فذلك اي
ما ذكر من الشفاعة وما معها يوم يبعثه الله المقام المحمود اي كائن في ذلك اليوم منصب
يوم على الظرفية فان رفع يجعل القصة المختصة به كانها عينه مبالغة ويجوز اجازوه عن
ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها اي عن الاية المذكورة كما اشار اليه بقوله يعني قوله عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا وضمير يعني راجع لابي هريرة وهذا الحديث رواه احمد والبيهقي
فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابا عن السؤال هي الشفاعة العظمى الواقعة
لفصل القضا وقيل لاخراج المذنبين من النار والمشهور الاول وضمير هي راجع للشفاعة
كقولك هي الحياة او للمقام وانث رعاية للخبر او للاية بالتجوز على ان المراد المعنى المقصود
منها وقيل المراد انها هي الشفاعة في اليوم المسمى بالمقام المحمود وهو تكلف جدا وروى كعب
بن ملك الانصاري الصحابي احد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القران وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل مسندا عنه

صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس يوم القيمة بعد الخروج من القبر اى يجمعون للحساب
فاكون انا وامتى على تل التل بالتاء فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب او رمل ونحوه عالية
مرتفعة وجمعه تلال واتلال نادر وفى القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان
عال كالجبل بيان للمقصود او تسامح وفيه اشارة الى اعلاء مقامه صلى الله عليه وسلم
ومقام امته واللطف بهم فى تخليصهم من زحام الوقوف ومشقته ويكسونى ربى حلة خضرا وفيه
استيناس لما يلبسه الاشراف الان من العمامة الخضرا وان كان ذلك مما حدث فى زمن السلطان
الاشرف تمييزا لهم عن غيرهم وان لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فعل ذلك كما فصلناه فى محله
والحلة بضم فتشديد من برود اليمن ولا تسمى حلة الا اذا كان ثوبين احدهما فوق الاخر او ثوب
واحد له بطانة وسمى بذلك لان كل منهما يحل على الاخر او لكونهما جديدين كما حل طيهما ثم شاع
فى مطلق الكسوة النفيسة وكسوته صلى الله عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل عليه الصلوة
والسلام فى الزمن كما سيأتى التصريح به فى الحديث وليس فيه تفضيل له عليه لان حلة نبينا صلى الله
عليه وسلم اعلى واحسن وانما قدم جزاء لما تجلد له نمرود حين عراه ليلقيه فى النار ورعاية له
بما يسر النبى صلى الله عليه وسلم لانه جده وزمنه سبق وسنه ازيد ثم يؤذن لى بالبنا للمجهول
من الاذن اى يأذن الله لى فى التكلم بين يديه والشفاعة لاهل المحشر اجمعين فيقال له قل واشفع
تشفع كما مر واقول ماشاء الله ان اقول من حمد الله بمحامد لائقة والشفاعة العظمى فذلك المقام
المحمود وهذا الانيا فى تفسيره بالشفاعة العظمى كما قال المحب الطبرى وذلك اشارة الى جميع
ما تقدم من اول الحديث اه وعن ابن عمر رضى الله عنه فى حديث ساقه وذكر حديث الشفاعة
معطوف على مقدر وقوله قال فيمشى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بدل من قوله ذكر حتى
يأخذ بحلقة باب الجنة وفى رواية قال فامشى حتى اخذ والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز
فتحها وانكره بعض اهل اللغة كما تقدم وللحديث تقدم بتمامه فيومئذ اى يوم اذ مشى صلى الله
عليه وسلم واخذ بالحلقة واليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الوقت يبعثه الله المقام المحمود
الذى وعده به فى القرآن فى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وهو مقام شفع فيه سائر
الخلائق الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون والاخرون فلذا سمى بذلك ووعد مبنى للمجهول
ومفعوله الاول عايد على النبى صلى الله عليه وسلم مستتر والبارز عايد على المقام ويجوز بناؤه
للفاعل ايضا وقيل المقام المحمود هنا وقومه ثمه واخذه بحلقة باب الجنة وهو مغلق النسخة
فيدخلها من هو معه والحامدون له على هذا المسلمون واهل الجنة لانهم من عذاب الحق فى النار
هذا تفسير لحرفنا مثله وعن ابن مسعود رضى الله عنه عليه الصلوة والسلام انه اى المقام
المحمود الموعود به قيامه عن يمين العرش مقاما محمودا لا يقومه غيره ظاهره ان المقام هو القيام
نفسه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو
المحل الذى قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد قيامه وتمكنه فى ذلك المكان فلا ينافى ما مر
من انه صلى الله عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش يغبطه فيه الاولون والاخرون اى جميع

الامم

422

الامم والناس والغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطاء المهملة هى تمنى المرء ان ينال مثل ما له
عند غيره من النعم وكل امر محمود من غير ان يحب زوالها فان احب زوالها فهو الحسد المذموم
وقيل الحسد تمنى الامر المحمود مطلقا فهو اعم من الغبطة ومنه ما يذم ويحمد والمشهور
الاول ويغبط بزنة يضرب وفى نسخة به والباء ظرفية او سببية والغبطة لا حزن فيها
وقد تكون حميدة وفى الحديث هل يضر الغبطة قال لا الا كما يضر الخبط انتهى وفى النهاية
الاثيرية ان الغبط لا يضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير واثم ينقص ثوابه
كما يلحق العصاة بخبط ورقها والذى يظهر لى انه صلى الله عليه وسلم انما اراد انه ضرر
فيه على الغابط فى امر محمود تمناه من غير تمنى زواله بل ربما ناله منه نفع بجده فى تحصيل
مثله او لنيله شيئا من صاحبه فهو على حد قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب ونحوه اى مثله بعينه روى عن كعب هو كعب الاحبار والحسن
البصرى وفى رواية هو اى المقام المحمود الذى اشفع لامتى فيه فكون هذه الشفاعة غير
الشفاعة العظمى لساير الناس وهو احد الاقوال فى تفسيره كما مر وما فى الشرح الجديد
من عود الضمير لقيامه على يمين العرش وان المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى فى فصل
القضاء وهى وان لم تكن خاصة بامته فهم المقصودون بالذات منها تعسف لا حاجة اليه
وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى حديث رواه احمد فى مسنده انى لقائم المقام المحمود بكسر همزة ان
لوقوعها فى ابتداء كلام مستأنف وقيل انه جواب قسم مقدر اى والله انى لقائم وفيه بيان لانه
يجوز القسم فى الامر العظيم وكذا اكدها بان واللام الاسمية وفيه نظر والمقام منصوب على الظرفية
او المصدرية قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى عن كرسيه وفى نسخة على
كرسيه الحديث اى اذكره او انظر تمامه وهو كما رواه احمد رحمه الله قيل ما المقام المحمود
قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط الرجل الحديد من تضايقه به وهو سعة
ما بين السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم عليه الصلوة
والسلام فيقول الله عز وجل اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضا وين من رياط الجنة ثم اكسى
على اثره ثم اقوم عن يمين الله مقاما يغبطنى فيه الاولون والاخرون وقد علمت ان هذا الحديث
من المتشابه لانه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المص
رحمه الله وهو تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل القضا
واجراء حكم عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر فى امورهم ويقربهم من شانهم
والكرسى غير العرش كما مر والحديث فى المصابيح والكلام مفصل فى شروحه وعن ابى موسى
عبد الله بن قيس الاشعرى الصحابى المشهور وهذا الحديث رواه ابن ماجه فى سننه رواية
عنه صلى الله عليه وسلم خيرت اى خيرنى الله بين احد امرين بين ان يدخل بالبنا للفاعل
والمفعول نصف امتى الجنة اى امته الاجابة لا الدعوة وبين الشفاعة لبعض المذنبين
منهم الذين استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء

فاخترت الشفاعة على دخول نصف امتي الجنة ثم بين وجه اختياره بقوله لانها اي الشفاعة اعم
اي اشمل واكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها
وهذه الشفاعة ثابتة باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا يعتد بمن انكرها من الخوارج
والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع لان المراد بالظالمين
الكفرة فان الشرك ظلم عظيم اترونها بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية وفتح الرا المهملة
والضمير للشفاعة اي اتظنون الشفاعة خاصة للمتقين جمع متق بكسر القاف اسم فاعل
من التقوى وفي نسخة للمؤمنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخي ورد واعلى
من رواه المنقين بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة
جمع منقى اسم مفعول وهو النظيف وكذا في اصلنا لسنن ابن ماجه وهو اصل صحيح وكتب
على هامشه ن ق وعليها تصحيح مرتين انتهى ففيه ثلاث روايات والمنقين من النقا قال
المزي وحسن هذه الرواية انه روى ولكنها للمتقين الخطائين المتلوثين فمقابلة للمتلوثين
تحسنه وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة في اوله ومثلثة في اخره والتلوث التلطخ بالاقذار
لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو الكثير الخطا وروى الترمذي شفاعتي لاهل
الكبائر من امتي وقيل المنقي بالنون عام لانه يجوز ان يكون مذنبا نقي بالتوبة والنقي المحض
وفيه نظر وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي قلت يا رسول الله
ماذا رد عليك في الشفاعة بضم الرا المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبني لما لم يسم فاعله
كذا رواه البرهان واقتصر عليه وروى ورد من الورود مبني للفاعل كما ذكره التلمساني
وتبعه غيره من الشراح وما اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذي ويجوز ان يكون اسم
اسم اشارة والود الجواب ورد بمعنى جاء اي ما اجابك به الله لما سالته الشفاعة
في امتك فقال شفاعتي هو فاعل مرفوع تقديرا اي جاءني او ورد على ان اشفع لمن شهد ان لا اله
الا الله اي لمن اقر بوحدانية الله تعالى ولم يقل واني رسول الله اكتفاء باحد جزئي كلمة الشهادة
للعلم بانه لا بد من الاتيان بهما في صحة الاسلام مخلصا حال من الموصول اي غير مشوبة
شهادته بشك او شرك بصدق لسانه بالنصب على المفعولية وقوله قلبه مرفوع فاعله
ويجوز عكسه اي يطابق اعتقاده لما نطق به وعن ام حبيبة رضي الله عنها في حديث
رواه الحاكم والبيهقي وهي ام المؤمنين بنت ابي سفيان بن حرب اخت معاوية واسمها
على الصحيح وقيل هند وهي من السابقات الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت سنة
اربع واربعين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت بضم الهمزة والبنا للمجهول اي
اعلمني الله واخبرني بواسطة الملك ما تلقى امتي من بعدي اي رايت ما اطلق به على ما ينوبها
فرايت عليه وقيل انه من باب الكشف عما سيكون بتوفيقه من الله تعالى له صلى الله عليه
وسلم كرامة وليس من الرؤية البصرية وسفك بعضهم دماء بعض منصوب معطوف
على ما تلقى وسفك الدم اراقته وصبه وهو مصدر مضاف لفاعله قيل رآه ذلك وحيا

اومشافهة

او مشافهة مني وليها ما لما يقع بينهم من الحروب والفتن التي يقع فيها القتل واراقة الدما وسبق لهم
من الله ما سبق للامم قبلهم ماض معطوف على ما تلقى صلة الموصول فاديت واعلمت مما سبق
لامتي مما قدره الله تعالى عليهم واراده لهم فوقع على وفق ارادته في الازل وعلمه القديم فسالته
تعالى ان يؤتيني فيهم شفاعة يوم القيمة ففعل اي اعطاه الله تعالى ما ساله فشفعه في المذنبين
منهم وقال حذيفة بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حديث موقوف عليه رواه البيهقي والنسائي يجمع الله الناس في صعيد واحد
اي في مكان يجمعون فيه غير متفرقين واصله معنى الصعيد التراب فاريد به هنا ارض المحشر
وقيل هو تربة ليس فيها رمل ولا شجر يوم تبدل الارض غير الارض والمراد بالناس الثقلان
من الجن والانس والمراد الانس واقتصر على الاشرف فلا يرد ان الجن والبهايم تحشر معهم ايضا
حيث يسمعهم الداعي صوته ونداه كما قال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم
تخرجون ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبني على الضم وينفذهم البصر
بفتح الياء المثناة التحتية وروى بضمها وكسر الفا وعلى الاول هي مضمومة والمراد بصر
بضمها الرائي اي يراهم دفعة وليس المراد بصر الله كما قاله ابو عبيدة وقيل المراد يبلغهم ويتجاوزهم
لانهم في ارض مستوية لا عوج ولا شجر فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يرونه بالذال
المعجمة وهو صحيح ايضا لانه لاحاطته بهم وتجاوزه كانه يخرقهم فلا وجه للرد مع صحة
الرواية حفاة عراة منصوبان على الحالية وحفاة جمع حاف وهو الذي لا نعل له ولا خف
وقيل جمع حفي وهو الذي رق جلد قدميه وعراة جمع عاري وقيل جمع عريان وهو قليل
في الاستعمال وهو الذي لا ثوب له ولا لباس يستره ويعارضه ما روى في الحديث الصحيح
ان ابا سعيد الخدري رضي الله عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعن معاذ بن جبل ايضا
رضي الله عنه احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهدا
وثيابهم التي قتلوا فيها والحديث وارد فيهم وابو سعيد حمله على العموم وقيل ان بعضهم يحشر
عاريا وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تبلى عليهم في المحشر وقيل المراد بثيابهم
اعمالهم كقوله ولباس التقوى ذلك خير ولا يخفى ما في هذا من الضعف فليحرر كما خلقوا حال
اي كائنين على حال خلقتهم الاول من غير نقص شيء من اجزائهم كما ورد غرلا فشبه حال اعادتهم
بحال اخراجهم من العدم كما قال كما بدأكم تعودون او ما كافة او مصدرية سكوتا جمع ساكت
حال من الناس او من ضمير خلقوا الا تتكلم اصله تتكلم فحذف نفس الا باذنه فلا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وهنا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر
والثاني مخصوص بدعوى الاعذار الباطلة فلا تعارض بينهما ويدعى ايجاب نفسها فينادى
بالبنا للمجهول محمد بالتنوين نايب الفاعل وهو غير منون مبني على الضم والنداء بمعناه الظاهر
اي يقال له يا محمد فحذف حرف النداء وعلى الاول ينادى بمعنى يدعو ويطلب وكلا الوجهين

حق وفى نسخة فينادى يا محمد فيقول لبيك وسعديك منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر
فى الاستعمال من التلبية وهى اجابة المنادى من الب بالمكان اذا اقام ولا يستعمل الا بصيغة
التلبية والمراد بها مجرد التكرير ولو مرارا عديدة اى اجبتك اجابة بعد اجابة واساعدك بطاعتى
لك وانا مقيم على ذلك لا انصرف عنه والخير فى يديك والشر ليس اليك اى مقضيك بالعرض
وصادر عنك بالتبع لان بعض ما يتضمن الخير الكثير يستلزم شرا قليلا فكان ترك الخيرات
الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شرا لا يصدر عنه وهو المنزه عن الفحشاء ولا يجرى فى ملكه الا
ما شاء والى هذا اشار القاضى فى تفسيره والمعتزلة قدروا مثله والشر ليس منسوبا اليك فى
مثله واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدروه والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب الى بعض
ظلمة الملوك ببعض القبايح قاله القرافى فى قواعده او المعنى لا يضاف اليك تأدبا وقيل المعنى
لا يصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله
يدى بالسكون لقولهم فى جمعه ايدى وقيل يدى بالفتح لقولهم فى تثنية يديان واستعير للنعمة وللملك
والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا اضيف الى الله تعالى يراد به المعنى المجازى للتنزه
عن الجارحة ومن هنا وفى قوله تعالى لما خلقت بيدى اشارة الى زيادة تصرفه فيه واختصاصه
وجعل الخير مستقرا فيهما ترشيحا للاستعارة والاحسن انه يقال اشارة لما ان وجه تصرفه فى الموجودات
بالخير والشر خير كله فتدبر والمهتدى من هديت اى الموفق للهداية من خلقته مهتديا ووفقته
لطاعتك وتعريف الطرفين يفيد الحصر اى لا يهتدى الا من هديته وعبدك بين يديك اراد به نفسه
الشريفة اى انه صلى الله عليه وسلم حاضر لديه واقف فى مقام المذلة والفقر وقيل انه تنبيه
لقربه من ربه ومزيد اختصاصه من بين الجهتين الساميتين ليدى الانسان واستعير لذلك وللدليل
اى امره كله لك فانه عبدك وامره موكول اليك لا ملجأ بالهمزة والقصر للازدواج اى لا ملتجأ
ولا يستند لاحد سواك ولا منجا بلا همزة او به للازدواج اى لا منجيه ولا يخلصه لاحد منك اى من
عبدك ومصيره اليك الا اليك وليس باتباع ولا لف ونشر كما قيل تباركت وتعاليت اى كثر خيرك
وزاد عن كل شئ وعلا قدرك فى ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل
فى التفسير سبحانك اى تنزهت رب البيت بالرفع خبر مبتدا او مقدر والنصب على النداء يا رب
البيت والمراد به الكعبة او البيت المعمور فى السماء ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه
عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون رب العالمين اظهارا لشرفه وشرف ظح اليه المتنا
جمع الخلايق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة قال اى النبى صلى الله عليه وسلم لانه معلوم من السياق
او حذيفة راويه وهو فى حكم المرفوع فذلك اى المقام الذى جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة هو المقام
المحمود الذى ذكره الله تعالى فى القران فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال ابن عباس
رضى الله عنهما اذا دخل اهل النار النار قدمه تنزيها وترغيبا فى تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة
بعد النقمة اوقع فى النفس واهل الجنة الجنة بجر الاول ونصب الثانى اى ودخل اهل الجنة الجنة
والمراد غالب اهل النار بدليل قوله فيبقى اخر زمرة من الجنة اى من اهل الجنة واخر زمرة من النار

اى

424

اى من اهل النار والزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة اى قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة
او من الزمر وهو الصوت لانها لا تخلو عنه فيقول زمرة النار اى الزمرة الباقية من اهل النار لزمرة
الجنة اى الزمرة الباقية من اهل الجنة الذين لم يؤذن لهم فى دخولها ما نفعكم ايمانكم ما استفهامية
انكارية او نافية تجزيئية اى لم ينفعكم ايمانكم ولم يغن عنكم شيئا لانهم يجهلون باحوالهم ظنوا انهم
لا يدخلون الجنة وانهم منعوا من دخولها فيدعون ربهم الضمير للزمرة المختلفة من اهل الجنة
ويضجون اى يصيحون ويرفعون اصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير اهل النار لهم واصل الضجيج
بضاد معجمة وجيم الصياح من الفزع للحرب والمكروه والضجة ارتفاع الاصوات المختلفة
مطلقا فيسمعهم اهل الجنة اى يسمعون صياحهم واستغاثتهم بربهم ليأذن لهم فى دخول
الجنة فيسألون ادم ان يشفع لهم فى دخول الجنة وغيره بعده اى يسألون بعد ادم عليه
الصلوة والسلام غيره من الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى فى الشفاعة لهم فكل يعتذر لهم
بانه لا يقدر على الشفاعة ولم يؤذن له كما مر تفصيله حتى يأتى محمدا صلى الله عليه وسلم بعد
ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل فيشفع لهم فذلك المقام المحمود الذى يحمد فيه الناس
ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو حكم المرفوع ونحوه اى
فى معناه حديث روى عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن الحسين بن على بن ابى طالب
وهو زين العابدين كما تقدم عن النبى صلى الله عليه وسلم اى مرفوعا وما قبله موقوفا وقال
جابر بن عبد الله رضى الله عنه الصحابى وقد تقدمت ترجمته ليزيد الفقير هو ابن صهيب ولقبه
بالفقير لانه اصيب فى فقار ظهره فكان يشكوها وفقار الظهر خرزات العظم التى من عجم الذنب الى
نقرة القفا وهى اثنان وثلثون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة رضى الله عنها فى حق
عثمان رضى الله عنه او تكبوا منه الفقر الاربع استعارة اى انتهكوا له حرمات اربع الصحبة
والضيم والخلافة والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه
ابو حنيفة واصحاب الكتب الستة سمعت بفتح تاء الخطاب واصله اسمعت فحذف
همزة الاستفهام او هل اى اسمعت او هل سمعت بتمام محمدا صلى الله عليه وسلم اى هل
رويت فيه شيئا يفسره يعنى الذى يبعثه الله فيه اى فجابوا ارادوا السؤال عن حقيقة
المقام المذكور فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفى قوله اشارة الى انه
منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقته قال يزيد نعم اى سمعت اجماع ما ورد فيه
قال اى جابر بن عبد الله الصحابى المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال فانه مقام محمد المحمود
الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار ضمير به للنبى صلى الله عليه وسلم او للمقام اى يخرج
الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه فالمراد به مقام اخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظيمة
لاهل المحشر واليه اشار بقوله وذكر اى جابر رضى الله عنه حديث الشفاعة فى اخراج الجهميين
اى المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين دخلوا النار بمعاصيهم وهذا حديث بعض رواه مسلم
فقصر منه المص على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله كان قد شغفنى

رأى من رأى الخوارج فخرجت فى عصابة ذوى عدد يريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضى الله
عنه جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر
الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذى يقولون تحدثون والله يقول انك من تدخل النار
فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذى تقول فقال اتقرأ القران قلت نعم
فقال هل سمعت بمقام محمد يعنى الذى يبعثه فيه قلت نعم فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج
قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذاك وقال غير انه قد زعم ان قوما
يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها كانهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة احفظ فيغتسلون
فيه فيخرجون كانهم القراطيس الى اخر الحديث الذى رواه مسلم والكلام عليه مبسوط فى شروحه
فالمعنى ان يزيد مال الى راى الخوارج فى خلود عصاة المسلمين فى النار فلما سمع من جابر ما رواه
عن النبى صلى الله عليه وسلم له علم بطلان رايهم ورجع عنه وعن انس فى حديث رواه احمد
فى مسنده نحوه اى ما هو فى معنى هذا الحديث وقال انس بعد ما ذكر ما تقدم فهذا المقام المحمود
الذى وعده بالبنا للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والضمير البارز للمقام
وفى رواية انس وابى هريرة وغيرهما فى حديث رواه الشيخان دخل حديث بعضهم فى حديث بعض اى
وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين
والاحزاب يوم القيمة فى ارض المحشر للحساب وفصل القضا فيهتمون افتعال من الهم بمعنى الحزن والعزم
والتصميم يقال اهتم اذا اغتم وحزن واهتم بكذا اذا جعله من همه وليس من الهم بهمه وهى الصوت
الخفى او قال فيلهمون بالبنا للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوى فى لفظ الحديث اى يلهمهم الله
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا اى لو طلبنا من يشفع لنا عند الله فى ان يخلصنا من هول هذا الموقف
وشدته ولو للتمنى هنا وقد ذكره النحاة مفصلا فى بابه فنزلوا الشفاعة عند خوفهم منزلة الممتنع الذى
لا يمكن وفى طريق اخر عنده صلى الله عليه وسلم اى فى رواية اخرى ماج الناس بعضهم فى بعض اى دخل
بعضهم فى بعض واختلطوا لاضطرابهم وعن ابى هريرة فى حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان
وتدنو الشمس اى تقرب من رؤس اهل الموقف فيبلغ الناس من الغم اى من الكرب وشدة الحر
ما لا يطيقون اى ما لا يقدرون على تحملهم له ولا يحتملون عطف تفسير اى لا يقدرون ولا يستطيعون
ويقولون الا تنظرون من يشفع لكم ان يقول بعضهم لبعض هذا الكلام فيأتون ادم صلى الله
عليه وسلم بدوا به لانه اول الانبياء وابوهم المتفق عليهم كما قال زاد بعضهم فيقولون انت ادم
ابو البشر فينبغى لك ان تشفع لهم وترحمهم خلقك الله بيده اى اوجدك من العدم بقدرته من غير
واسطة ام واب ونفخ فيك من روحه اضافة الروح له تعالى للتعظيم والاختصاص ونفخ
الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله واسكنك جنته بعد نفخ الروح فيه وايجاده
والمراد الجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بها بستان فى الارض والخلاف فيه مشهور فى كتب
التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة فى محلها واسجد لك ملائكته اى امرهم بالسجود لك
سجود تحية وتعظيم له واداء لحقه لا سجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا شرعا

ثم

ثم نفخ وعلمك اسماء كل شئ كما ذكره الله تعالى فى القران وهذا كله مما يدل على شرفه صلى الله عليه
وسلم وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضى القبول شفاعته صلى الله عليه وسلم بقوله
اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا وهو المحشر ويريحنا بمعنى يحصل لنا راحة الا ترى
ما نحن فيه من الكرب والهول الذى لا يطاق فيقول لهم ادم ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله اى اظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع
العذاب الذى فى الاخرة وحالهم النار وهذا لم يكن قبل يوم القيمة ولا بعده فلذا خاف ادم عليه
السلام وقال ونهانى عن الشجرة اى عن الاكل منها والمراد بها العنب الذى فى الكرم او الحنطة
وسماها شجرة مجاز الان الشجر ما له ساق فعصيت اى خالفت امره تعالى بالاكل منها وفى كون هذا
معصية كلام سياتى فى عصمة الانبياء عليهم السلام نفسى نفسى اعتذارا عن ترك الشفاعة لهم
لخوفه على نفسه وكررها تاكيدا وبيانا لانه لا يقدر على مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر
الانبيا تدريجا الاول والاقدم فلا وقدم على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله عليه وسلم اذهبوا
الى غيرى من الرسل يشفع لكم ثم بين من يذهبون له فقال اذهبوا الى نوح فانه الاب الثانى لكم بعدى
ولم يقل الى محمد صلى الله عليه وسلم ليعلم فضله بانه صاحب الشفاعة وانها مختصة فيه فيأتون
نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه وهذا
الاتيان لاختصاص عموم الرسالة بنبينا صلى الله عليه وسلم لان عمومها لا يختص بعصره وقال ابن
حجر رحمه الله لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن
فى اصل بعثته وانما اتفق بعده فالحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك
ساير الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه
صلى الله عليه وسلم بذلك واما كونه اول رسول كما صح فى حديث الشفاعة فالمراد به انه اول رسول
ارسل الى جميع اهل الارض فى حياته فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات اوليته ارساله
ولو سلم فهو مخصوص بعدة ايات على ان بعثة نوح عليه السلام كانت الى قومه ولم يذكر انه
ارسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من فى الارض فاهلكوا غير اهل السفينة
ولولاه ما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب
بجواز ان يرسل غيره فى زمنه وعلمه بانهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجئ رسول فى زمنه
غيره وخصوصيته بنبينا صلى الله عليه وسلم ببقاء شريعته الى يوم القيمة او دعوته بتوحيد بلغ
الناس عنه فتمادوا واستحقوا العذاب واليه ذهب ابن عطية فى سورة هود ويبعد عدم بلوغ
نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان تكون الدعوة للتوحيد
عامة فى بعض الانبيا وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه
لم يكن فى عهده غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورته اقول هذا ما قاله ابن حجر فى شرح البخارى
ولم يتبين كون نوح اول الرسل مع من تقدمه من الانبيا وتحقيقه ان ادم عليه السلام كان نبيا
رسولا ولكنه ارسل لبنيه ولم يظهر الكفر فى حياته قوة واثار وكان كالمعلم الضابط لاهله

وخدمه فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم السلام وادريس نبيا في زمنه وشيث كان وصيه الى ان
بعث الله تعالى نوحا فاظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو اول رسول بعث
لدعوة الناس ومجادلتهم ومعاقبتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى وسماه الله عبدا شكورا في الكتب
القديمة لانه كان كلما اكل او شرب شكر ربه فاشتهر بذلك في الامم السابقة والصحف الموحى بها كما نقل
في تفسير قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا على الاصح من ان الضمير راجع له لا لموسى كما قيل
فانه قول غير مرضي الا ترى ما نحن فيه من شدة الوقف وهو له الا ترى بلغنا بسكون الغين المعجمة وفتحها
اي او قفنا فيه من الكرب وما وصل الينا منه وقال النووي الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روي
الا ترون ما بلغكم ولو كان بالاسكان قال ما بلغتم والوجه ما تقدم الا تشفع لنا الى ربك في الخلاص
مما نحن فيه فيقول مثله اي ما تقدم بعينه وفي نسخة التصريح به ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وقد تقدم شرحه قال في رواية انس ولم يذكر خطيئته
التي اصاب صفة خطيئة والعايد محذوف اي الذي اصابها اي التي عملها والانبيا معصومون كلهم
ولكنهم لشدة تعظيمهم لله وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا او سهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد
بخطيئته ما فسره بقوله سواله ربه بغير علم فهو منصوب بدل او عطف بيان من قوله خطيئته مفعول
يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف او حال اي سوالا كاينا بغير علم منه بان ما سال له لا يليق ان يساله
وهو قوله رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني ووعدك الحق ان تنجي اهلي من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له انه
ليس من اهلك الذين امنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسئلني ما ليس لك به علم وابنه
هذا هو كنعان وليس ربيبه وابن زوجته كما زعمه اهل الكتاب فقيل انما عاقه هنا عن الشفاعة زجره
وجعل جهلا لانه ممن سبق عليه القول من اهله ودلت الحال على ما يمنعه من السؤال ولكن حب الولد
شغله حتى اشتبه عليه امره وهذا قول قريب من قول من قال انه ظنه مؤمنا بدليل قوله اركب معنا ولا تكن
مع الكافرين فلا وجه لتخطيته قائله وفي رواية ابي هريرة في حق نوح وكانت لي دعوة دعوت بها على قومي
اشارة الى ما ورد في الحديث ان لكل نبي دعوة والمراد ان الله وعد كل نبي بان يجيب له دعوة يدعو بها على
جميع امته فيستجاب او يدعو بها لهم فلا ينافي كونه دعا الانبيا عليهم الصلوة والسلام مستجابا وهذا
اعتذار منه صلى الله عليه وسلم في ترك الشفاعة ولذا عقبه بقوله اذهبوا الى ابراهيم فانه
خليل الله وابو الانبيا ومقتداهم فانه احق بالشفاعة واقدر عليها مني فيأتون الى ابراهيم فيقولون
انت نبي الله وخليل الله من اهل الارض اي انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه اهل
للشفاعة اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله اي
مثل ما تقدم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن هي قوله اني سقيم لما دعي الى الاصنام وقوله لزوجته لما طلبها
الملك منه انها اختي وقوله في حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع وللاعتقاد
الا ان ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلوة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله بضرب
من التاويل بقصده فليس بكذب فان المعاريض مندوحة منه وانما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه
للمخاطب وخاف ان يؤاخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان سماه يقتضي ان لا يدال

مخلوقا

مخلوقا او يخافه والا فهو صلى الله عليه وسلم كساير الانبيا معصوم من الكذب وغيره وعدها في مسلم ثلثة
قوله من الكواكب هذا ربي والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق الالزام والجدل ويلزمه زيادة على الثلث
وقد صرح بالحصر فيها في بعض الروايات وقيل في قوله اني سقيم انه كانت به حمى حقيقة لا تقدستها
وفيه نظر وسياتي تفصيله في محله ان شاء الله تعالى وهذا اعتذار منه في عدم الشفاعة نفسي
نفسي اي انا مشغول بنفسي وتخليصها لست لها اي لست اهلا لها للشفاعة لغيري ولكن عليكم
بموسى استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة املهم وياسهم من الشفاعة وعليكم اسم
فعل والبا زائدة اي الزموه فانه اقدر مني واقربها الى الله وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم
ثم بين مزيته بقوله فانه كليم الله اي انه كلم الله في الارض شفاها من غير واسطة فهو اقوى على الشفاعة
مني وفي رواية اخرى فانه عبد اتاه الله التورية التي هي اعظم الكتب الالهية قبل القران وكلمه
بيان لكونه كليما او المراد اوحى الله اليه كلامه وقربه نجيا اي جعله قريبا منه حال كونه نجيا
اي مناجيا ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا قال فياتون موسى صلى الله عليه وسلم
فيقول لست لها اي لست اهلا للشفاعة لكم ويذكر موسى خطيئته التي اصاب اي التي وقعت منه
وعاتبه الله عليها بقوله ما اعجلك عن قومك يا موسى كما هو مبين في التفسير وقتله النفس
وهو القبطي الذي استغاثه الاسرائلي عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن عامدا لقتله وانما هو
لدفع الصايل ومثله جايز لكنه عليه السلام حتى المؤاخذة به ولذا استغفر منه وعده من فعل
الشيطان فلا ينافي هذا عصمته صلى الله عليه وسلم نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله
وكلمته تقدم بيانه تفصيلا فياتون عيسى صلى الله عليه وسلم فيقول لست لها اهلا ولكن عليكم
بمحمد عبد بدل لمجرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفي نسخة فانه عبد غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه وان لم يكن معصية
لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه فاوتى بالبنا للمفعول اي
فياتيني اهل الموقف سؤال الشفاعة لهم فاقول لهم انا لها الفا فصيحة اي فيسالون ان اشفع لهم
فاقول لهم انا اهل الشفاعة مدخرلها فاستاذن على ربي اي اطلب منه ان ياذن لي في القرب منه
والشفاعة للناس فيؤذن لي بالبنا للمجهول اي ياذن الله لي في الدخول الى مكان لا يقف فيه
داع الا اجيب وموقف ليس بينه وبين الله فيه حجاب وانما نقل من موقف العرض والحساب الى
موقف اخر لان الموقف الاول محل سياسة وخوف والثاني موقف كرامة ولطف ورحمة فهو
ادل على قبول الشفاعة واطمينان قلب الشفيع فاذا رايته وقعت ساجدا اي اذا رايت صلى الله
عليه وسلم ربه عيانا سجد تعظيما لله وشكرا له على تقريبه له وفيه دليل على وقوع رؤية الله
في الاخرة وفي رواية فاتي تحت العرش اي ان امكان تحت العرش قريب منه فاخر ساجدا اي اقع
واسقط في ذلك المكان ساجدا لله سجدتين وقال الراغب خر بمعنى سقط يسمع معه
صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو وقوله تعالى خروا سجدا تنبيه
على اجتماع امرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله وسبحوا بحمد ربهم تنبيه

على ان ذلك المحز كان تسبيحا بحمد الله لا بشئ لخزانتي وقال التلمساني هنا المكان الذي يأتي له صلى الله
عليه وسلم يسمى قصبة العرش وهي في دار عظمته وجنة هي اوسع الجنان واكثرها بيا بين يجتمع
فيها اهل الجنة لرؤية ربهم في كل يوم جمعة ولم تعد الا لرؤيته تعالى واكرم الله برضوانه ومشاهدة
عظمته سكونه مع تنزهه عن الحلول والمكان وفي المشارق بدل قوله فاوى فيأتون وفي شرحه
للكازروني انه سمع بتشديد النون وبه ضبط قال البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا
كما في مسند احمد وقيل مقدارها سبع سنين فانظره وفي رواية فاقوم بين يديه اي بين يدي الله
تعالى وهو تمثيل شدة القرب منه وتصويرله وقيل الضمير للعرش وهو بعيد ركيك فاحمده
بمحامد لا اقدر عليها الان اي لا احسنها ولا اعرف في الدنيا كيفيتها الا الان يلهمنيها الله اي الان
يوفقها الله في قلبي بالهام منه والهام الانبياء عليهم الصلوة والسلام نوع من الوحي وهو
في غيرهم ليس بحجة لانه لا ينبني على دليل وفي رواية فيفتح الله علي من محامد هو قريب معنى من قوله
يلهمني لان الفتح ازالة الاغلاق الحسي كفتح الباب والفضل ثم شاع في حصول الشيء ابتداء
من غير عسر وحسن الثناء عليه هو عطف تفسير لما قبله شيئا لم يفتحه على احد قبلي مطلقا والمراد
انه لم يتيسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده ففيه اكتفاء فيقال لي وانا ساجد قال في رواية
ابي هريرة يا محمد ارفع رأسك من السجود وسل ما شئت من الشفاعة وغيرها تعطه واشفع تشفع
والفعلان مجزومان في جواب الامر فارفع رأسي فاقول امتي يا رب امتي اي ارحم او انج امتي وفي رواية
ثالث امتي بدون قوله يا رب وهو في معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء اي
يا امتي ونادهم ليأتوه ويكونوا معه لينجوا مما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هي الشفاعة
العظمى الشاملة لساير الامم اعتناء بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحث
الفاعل الضيق القيام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولذا كرره فيقول الله له بعد رفع
راسه ادخل من امتك اي ايذن له في دخول الجنة من لا حساب عليه اي خواص امتك المتقين
الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه من الباب الايمن من ابواب الجنة الذي هو اشرف ابوابها وهو الباب
الثامن وهو مخصوص بالقيا هذه الامة وهم اي بقية امتك الذين لا حساب عليهم شركاء الناس فيما
سوى ذلك وفي سمية من الابواب وهي باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد
وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين وباب الراضين وباب الصلوة كما بينه المص
في شرح مسلم ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل الذي في رواية ابي هريرة من قوله فيقال يا محمد
ارفع راسك الى هنا ثم قال لمكانه وفي نسخة وقال لمكانه اي اتى به بدلا منه فاخر وفي رواية ثم اخر
ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وقل تعطه الضمير لما سال الراوي
ها سكت للوقف فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق امر اي اذهب من مقام الشفاعة المقرب به
فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير المثقال بكسر الميم وسكون الثلاثة معناه موازن
وموازنة يقابله ليعرف مقدار ثقله فقربه عن مطلق المقدار ومن بر الخ بيان للحبة وهي حبة
البر المعروف وقوله من ايمان بيان للمثقال اي من كان في قلبه اقل قليل من الايمان والموزون صحف الاعمال

اي

427 اي هي نفسهما بناء على جواز تجسيم الاعراض وامور الاخرة لا انفاس بامور الدنيا فاخرجه بقطع الهمزة
امر من الاخراج معطوف على الامر قبله فانطلق فافعل ما امرني به الله من اخراج من في قلبه اقل قليل
من الايمان وهذه الشفاعة اذ كانت هي الشفاعة العظمى فالمراد باخراجهم تخليصهم من هول
الموقف وكربه وان كان المراد ما بعدها فالمراد اخراجهم من النار وانطلاقه صلى الله عليه وسلم
كان من مقام القرب الذي وقع فيه الشفاعة كما تقدم وكذا قال ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك
المحامد التي الهمتها كما تقدم وذكر مثل الاول اي مثل الكلام الاول في قوله فاخر ساجدا الخ
وقال فيه اي في الحديث الذي رواه مسلم مثقال حبة من خردل وهو حب معروف في غاية الصغر
والمعنى واحد في كونه كناية عن غاية قلة الايمان قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال
كما رواه مسلم من كان في قلبه ادنى ادنى وهو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه القرب في المكان
او الزمان او المنزلة كقوله تعالى قنوان دانية ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر وعن الاصغر
ويقابل بالاكبر وعن الارذل ويقابل بالخير كما قال تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وافعل هنا مضاف
لما بعدها للمبالغة اي اقل من الاقل وفي صحيح مسلم من رواية انس تكرير لفظ ادنى ثلاثا وهو كذلك
في بعض نسخ الشفا وفي بعضها كرر مرتين ووقع كذلك في صحيح البخاري من رواية الكشميهني وقوله
من مثقال حبة من خردل بيان لادنى وقوله كما فعل اي اخرج من في قلبه اقل قليل من الايمان وذكر
في المرة الرابعة من رجوعه الى ربه ومراجعته له في الشفاعة فانه وقع صريحا في رواية البخاري وفيما
ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال الطاعة مطلقا او الفرض فهو ظاهر وان قلنا
انه مجرد التصديق القلبي فاختلف فيه فقيل لا يقبله فانه لا يقبله الا باحتمال النقيض وهو كفر
وذهب العضد وغيره من المحققين الى انه يقبله ايضا فان اعتقادنا وتصديقنا ليس كتصديق
الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتفاوته باعتبار قبوله التشكيك وعدمه وتحقيقه في الكتب
الكلامية فيقال الخ ارفع راسك وقل تسمع اي تجب وتقبل رجاؤك واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يا رب ائذن لي في الشفاعة ولنخرج من قال لا اله الا الله اي من نطق بكلمة التوحيد والظاهر
مع اعتقاده لذلك اعتقادا اما من غير مناقشة له وتفتيش عن حاله فما قيل من انه ان اعتبر
تصديق القلب الثاني فهو كمال الايمان فما وجه الترقي من الادنى المؤكد وان لم يعتبر دخل فيه
المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر قال الله تعالى ليس ذلك اليك اي ليس ذلك مفوضا اليك
بل الي ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي قسم دال على تحقيق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر
والكبريا بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهي متقاربة وجبريائي بالجيم
مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وجوز فتحها وباؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومد لمشاكلة
الكبريا وورد بانه سمع كذلك من غير ازدواج وهو الجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤه
للمبالغة كالملكوت لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله من غير شفاعة احد واستدل بهذا
الكرامية على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف في صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من
قال بخلود اصحاب الكبائر من المعتزلة وما خص النبي صلى الله عليه وسلم باخراجه من اثبات ايمانه

مزيد اليقين وعمل بها وما اخرجه رب العزة من تجر ايمانه عن كل شئ عداه ويدل له قوله في حديث التخيير
الذي فيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعني غير قولهم
لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد في رواية اخرى وقوله من قلبه للتاكيد كنظرت بعيني وسمعت
باذني ومن رواية قتادة عنه اي عن انس رضي الله عنه قال لي انس لا النبي صلى الله عليه وسلم
كما توهم لان الشك في قوله فلا ادري في الثالثة والرابعة انما هو من الراوي والمراد بالثالثة والرابعة
مرات مراجعته وانطلاقه لاخراج المشفوع لهم قيل في هذا الحديث اشكال لان اوله يدل على ان
هؤلاء اهل الموقف والمحشر واخره يدل على ان هؤلاء اهل الموقف والمحشر واخره يدل على انهم دخلوا النار
فاخرجوا منها بشفاعته واجيب بانهم صاروا فرقتين فرقة في المحشر شفع لهم فلم يعذبوا وفرقة
دخلوها ثم اخرجوا منها بشفاعته ففي الكلام اختصار وطي فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه
القران اي وجب عليه الخلود اي لم يبق بعد هؤلاء الخارجين الا من حكم الله في القران بخلوده في العذاب
ولم يؤذن في الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار ولن تجد لهم نصيرا اي شفيعا وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ونحوه من الايات كقوله
ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا وعن ابي بكر الصديق وعقبة بن عامر وابي سعيد
الخدري الصحابي المشهور وحذيفة بن اليمان مثله اي مثل الحديث السابق قال ان لكل واحد منهم
اي النبي صلى الله عليه وسلم الآن قوله صلى الله عليه وسلم فياتون محمدا يأباه ظاهر ان الظاهر
ان يقول فياتوني فياتونه صلى الله عليه وسلم مراجعة الانبياء وذكرهم العذر في عدم الشفاعة لهم
والاتون هم اشرف اهل المحشر من اتباع الرسل وقال الغزالي في الكشف انهم العلماء العاملون الهمهم الله
تعالى طلب ذلك من الانبياء قال وبين اتيانهم لكل نبي واحد بعد الف عام لكن قال الحافظ ابن حجر
هذا التعيين للزمن لم اقف له على اصل وقد اكثر في كتبه من مثله فلا تغتر به انتهى فيؤذن له اي
ياذن الله تعالى له لنبينا صلى الله عليه وسلم في الشفاعة وتاتي الامانة والرحم فيقومان عن جنبتي
الصراط اي ناحيته يمنة ويسرة واحده جنبة بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم
والقرابة واصلها مقر الحمل يعني انهما يمثلان ويجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الخائن وقاطع الرحم
وخلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر الناس عليها والرحم هي المذكورة في قوله تعالى
واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وهذا لتعظيم امر الله وشفقته على خلقه وفي هذا ونحوه
مما بلغ حد التواتر المعنوي رد على المعتزلة المنكرين للصراط كما بين في الكتب الكلامية ورأى يحيى بن
اليمان رجلا نائما وهو اسود الرأس واللحية شاب فاستيقظ وهو ابيض شعر الرأس واللحية فاخبر
انه رأى في منامه كأن الناس قد حشروا واذا بنهر من نار وجسر يمر عليه الناس فدعي فدخل الجسر فاذا
هو كحد السيف يموج بهم يمينا وشمالا فشاب من ذلك وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا
صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم في الخلاص من الموقف وهو له ثم قال الله السلامة فيضرب الصراط
اي يوضع كما ورد في رواية اخرى وعبر بما يأتي من ضرب الخيمة اذا نصبها وعبر بالضرب لدق اوتاده

واطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد فقال ان ضربه ليشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه
فان كان المراد مرور من عليه فضرب لاستعجالهم وتخويفهم وهذا مما تقضي منه العجب وهو جسر ممدود اي
منصوب عليها لمرور المسلمين عليه الى الجنة وعن الفضيل بن عياض قال بلغنا ان الصراط مسيرة خمس
عشر الف سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوى لا يجوز عليه الا ضامر
مهزول من خشيته عز وجل وهذا معضل لا يثبت فتأمل بنفسك اذا جزت على الصراط ووقع بصرك
جهنم من تحته ثم فزع سمعك شهيق النار وزفيرها وسوادها وسعيرها وكيف بك اذا وضعت
احدى رجليك عليه فاحسست بحده ثم اضطررت الى ان ترفع القدم والخلائق بين يديك يزلون
ويعثرون والزبانية تلتقطهم بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر الى ذلك فيا له من منظر ما افظعه
ومن مصعد ما اصعبه ومجاز ما اضيقه نسأل الله السلامة والاعانة والعافية انتهى وهو على
متن جهنم ادق من الشعرة واحد من السيف او الموسى وعند ابن المبارك وابن ابي الدنيا عن سعيد
بن ابي هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع
وهو مرسل ومعضل انتهى كما وردا في الحديث وما قيل انه من شعرة عين مالك لا اصل له وانما هو
من اكاذيب الوعاظ واصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاي المهملة كما بين
في اللغة وكتب التفسير وعلم القران فيمرون اي يمر الناس عليه فمنهم من يقع في النار ومنهم من ينجو وهم
فرق اولهم كالبرق في السرعة من غير مهلة ومشقة ثم كالريح والطير في السرعة مع الزمان الممتد اكثر
من الاول وشد الرجال بالجيم جمع رجل ضد المراة كما صحح في النسخ والشروح وصحح العرفي تلميذ وابنه
عنه كما نقله التلمساني انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهي رواية ابن ماهان والمراد به هنا البعير
فقد ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير ويعبر به تارة عن البعير انتهى فما قيل ان روايته بالحاء
المهملة خطا خطا وان كان لا يخلو من التكلف وفي بعض الشروح هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا
بايراده والشد السعي الجري وقال الراغب انه مستعار من قولهم اشد الريح وقوله صلى الله عليه وسلم
ونبيكم صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يعني به نفسه على طريق التجريد المعروف في علم البديع
على الصراط يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه صلى الله عليه وسلم وقف عنده لكنه لقربه منه
كالواقف عليه يقول اللهم سلم جملة حالية يدل على اعتنائه صلى الله عليه وسلم بهم والدعاء لهم
بالسلامة من الوقوع في جهنم حتى يجتاز الناس يجتاز افتعال من الجواز وهو المرور وهو غاية
لقوله اي لا يزال يقوله حتى يمروا او علة له اي قوله حتى يسلموا فيمروا والناس اعم من امته وذكر
اخرهم جوازا الحديث اي ذكره اي سمي اخر من عبر على الصراط فقيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد
واحدهما اسم والاخر لقب والذي رايناه ان جهينة اخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين
كما ذكر في كتب الحديث وفي شرح التلمساني قيل اخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه في الصحيح وروي
ان الحسن قال يا ليتني كنت هنادا فقيل انما تمنى هذا لانه علم انه قطع له بخاتمة الايمان في الحديث وقيل
لان بدخوله الجنة كملت النعمة على اهلها الا انهم كالجسد الواحد انتهى وفي رواية ابي هريرة فاكون اول
من يجيز يومئذ هنا مما رواه الشيخان فهو اول من يجيز امته من الرسل وهو يقتضي ان المراد بالناس

السابق امته وانهم اول الامم جوازا على الصراط فله صلى الله عليه وسلم قصب السبق في كل امر فهو
من نبي في عالم الارواح والذر واول من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول من يدخلها واول من يجيز
امته على الصراط ويجيز مضارع وليس بمعنى جاز كما قيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال ليوضع للانبياء عليهم الصلوة والسلام في ارض المحشر منابر من نور جمع منبر
اي كرسي مرتفع يجلسون عليها والناس وقوف على اقدامهم اكراما لهم وتمييزا لهم عمن عداهم برفعة
مقامهم ليس المؤمنين بهم ويخزى من كفر ويبقى منبري خاليا اعني لا اجلس عليه حال من المضاف وقوله
قائما حال من فاعل اجلس فهي متداخلة لا حال بعد حال بين يدي ربي منتصبا اي قريبا منه تعالى
قربا معنويا لتنزهه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه صلى الله عليه وسلم مع
جلوس غيره من الانبياء فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى انه من المقربين في حظاير القدس
الناظرين في امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله فيقول الله ما تريد ان اصنع بامتك لما فيه
من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه بما هو في صورة الاستشارة له فاقول يا رب عجل حسابهم
اي قدم النظر في امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف ويدخل الجنة من هو اهلها منهم
ويعلم من عذب منهم عدم خلوده في النار فلا منافاة بين هذا وحديث من نوقش الحساب عذب
ولذا قالت عائشة رضي الله عنها لا يحاسب احد يوم القيمة الا دخل الجنة فيدعى بهم اي بامة
محمد صلى الله عليه وسلم وهو مبني للمجهول كقوله فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته تعالى
من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيئاته ولطف الله تعالى به ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي له
وذلك رحمة ايضا ولا ازال اشفع في العصاة حتى اعطى صكاكا عناية او علامة لاستمرار شفاعته
وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف مكررة جمع صك كصكوك واصك وهو الورقة
التي تكتب للمصالح والعرف خصها بحجة القاضي وهو معرب جك بالجيم المعجمة برجال امرهم الى النار
فهي متعلقة بهم مكانها ترسل خلفهم بعد ذهاب الملائكة العذاب بهم وامر مبني للمجهول اي امر الله
باخذهم ليدخلوها او باخراجهم بعد ما دخلوها حتى ان خازن النار الملك الموكل بها وهو مالك
او المراد خزنتها فيشمل مالكا واتباعه ليقول لما راه من كثرة انفاذه لمن امر به يا محمد ما تركت لغضب
ربك في امتك من نقمة الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله العذاب اي لم يدع احدا ممن
استحق العذاب يعذب وحتى هنا ابتدائية ومن طريق زياد بن عبد الله البصري النميري بالتصغير
نسبة اي نمير قبيلة سميت بكلم ابيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لا يحتج به وهذا
الحديث رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال ولمن تنفلق الارض
اي تنشق والفلق شق الشيء وابانة بعضه من بعض قال تعالى فالق الاصباح عن جمجمته بضم الجيم
الاولى والثانية وهي الراس وقحفه الراس وعظمه الذي فيه الدماغ وخصها لانها اول ما يظهر
منه ولا فخر اي لا اقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما انعم الله به علي وتحدثا بنعمته ولا
ينافيه ما ورد في الحديث لا تفضلوني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى
اخذ بساق العرش لانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل علمه بانه سبق عليه في البعث وانه لا يلزم

منه

429 منه افضلية موسى عليه الصلوة والسلام فتأمل وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر المراد
انه صلى الله عليه وسلم سيدهم واشرفهم في الدنيا والاخرة وخص الثاني بالذكر لعدم
اعتداده بغيره او لانه يعلم منه بالطريق الاولى او لانه مسلم لا ينكر كما مر ومعي لواء الحمد يوم
القيمة اي معي لواء موضوع عندي وهو بيدي صلى الله عليه وسلم على عادة العرب في اخذ
الرئيس اللواء والمراد لواء الرياسة العظمى الذي يحمده ويغبط به سائر الخلق لتفرده صلى الله
عليه وسلم به وهو على حقيقته او كناية عن تقدمه على غيره وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر
اي يفتح له بابها وفي نسخة ابواب الجنة فاتى فاخذ بحلقة باب الجنة بسكون اللام كما مر الى مسكها
واحركها حتى يسمع خذنتها فيقال من هذا الذي دق الباب فاقول انا محمد فيفتح لي لعلمهم بانه
اذن له صلى الله عليه وسلم بذلك فيستقبلني الجبار تعالى اي فارى الله عيانا بعد الفتح وعبر
بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء وانتقام كما مر ان الله غضب في ذلك اليوم غضبا لم يغضب
قبله ولا بعده فاخر له ساجدا لما شاهده صلى الله عليه وسلم من عظمة الله تعالى وانعامه
عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه قال السنوسي فهذا تمثيل لحاله كمن قدم على ملك عظيم
في سلطانه وكرسي مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا له واظهارا لعظمة
مقامه عنده وتطمينا له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته واستغنائه عن خلقه
فلا يتوهم ان المقام مناسب ان يقال استقبلني الرحمن لا الجبار وذكر نحو ما تقدم من حمده
بمحامد لم يكن حمده بها قبل ومن رواية انيس بالتصغير وفي بعض النسخ انس مكبرا والصحيح الاول
وهو صحابي انصاري شهيلي ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وروى عنه شهر بن حوشب ولم
ينسبه وذكر حديثه هذا الطبراني في الاوسط وقال لوا اسناده ليس بقوى وقول بعضهم تؤيد
ضعفه تعلق الشفاعة بما لا يعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله عليه وسلم
لاشفعن لاكثر مما في الارض من حجر وشجر انه ليشفع الناس اكثر عدد الشجر والحجر لا ما توهمه والعجب
ممن اعتذر له بانه لا يبعد ان يستغيث به صلى الله عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم وزمهريرها فقد تجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار اي اذا سمعت ما تقدم من الاحاديث
مرفوعة واختلاف الفاظها في شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذي وعده
الله تعالى به تبين لك من مجموعها ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقام المحمود بالنصب
عطفا على اسم ان وخبرها قوله الاتي من حين الى اخره فلا يتوهم انه لا خبر لها مذكور وانه مقدر
وقوله من اول الشفاعات الى اخرها بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعاته
صلى الله عليه وسلم وقد قال القرطبي انها اربعة وفي الحديث زيادة عليها وهي شفاعته العظمى
في الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل الجنة الجنة وللمذنبين في العفو
عن ذنوبهم ولمن امر بهم الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات
اهل الجنة كما مر جميع ذلك من حين يجتمع الناس للحشر هنا خبر ان ومن ابتدائية وتضيق بهم
الحناجر هنا كناية عن شدة الهول والكرب والحشر جمع الناس في المحشر والنشر الخروج من القبور

بعد الاحياء والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم او طبقلك منه مما يلي الغلصمة او رأسه او المراد انها
تضيق عن اخراج النفس وشدته لذاكم انهم والهم حتى يبلغها كما قال تعالى اذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين ويبلغ منهم العرق بفتحتين وهو معروف والشمس والوقوف مبلغه اى نهايته التى يمكن
بلوغها والوصول اليها وفي الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه الى كعبيه ومنهم
من يكون الى ركبتيه ومنهم من يزيد حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا في الما
في مكان مستو يكون تغطيته الماء لهم على السوا ومبلغ الشمس قد رميل وهذا ايضا خارق للعادة
فان الشمس ليست في سماء الدنيا كما انهم عراة ولا يرى احدهم عورة غيره وذلك قبل الحساب الاشارة
الى اجتماعهم للحشر فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف اى حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك
مبلغه ثم يوضع الصراط السابق ذكره وترانه ليس شعره من جفن مالك كما قيل ويحاسب الناس كما جا
في الحديث الذى تقدم ذكره عن ابى هريرة رضي الله عنه وحذيفة وهذا الحديث انفرا ى اكثر اتقانا
من غيره فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من اتقيا امته وليشفع معلوم او مجهول لكونه معلوما
الى الجنة متعلق بتعجيل كما تقدم من دخولهم من الباب الايمن ثم يشفع شفاعة ثانية فيمن وجب عليه
العذاب اى تحقق فالوجوب ليس على ظاهره ودخل النار منهم كما تقدم حسب بسكون ثانية وفتحه
ونصبه على الصدرية والظرفية اى على وفق ومثل ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة السالفة
ثم يشفع فيمن قال لا اله الا الله خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم فان قلت هنا نا في ما تقدم
من قوله فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت اجيب عنه بانه
ليس فيه الا ان اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه صلى الله عليه وسلم وهو لا ينا في اخراجهم
بشفاعته وفيه خفاء وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من اثم توحيده زيادة
طمانينة له والسابق المفوض لله تعالى من تجرد توحيده عما عداه وليس هنا اى الشفاعة فيمن
قال لا اله الا الله لسواه من الشفعا وفي الحديث النفس اى الشايع ولا يلزم منه صحته فلذا
قال الصحيح الذى رواه الشيخان لكل نبي دعوة يدعو بها تقدم ان المراد بها دعوة لجميع امته لا تخصه
او ببعض امته والا فللانبيا عليهم السلام دعوات كثيرة مستجابة بل لبعض اممهم بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة واشار المص الى جواب اخر بقوله
وقال اهل العلم معناه اى معنى هذا الحديث المقصود منه دعوة اعلم بضم الهمزة وكسر اللام
مبني للمجهول اى اعلمه الله وروى علموا بالبنا للمجهول اى الانبيا وعلى الاول النائب للفاعل نحو سنة
وقوله انها تستجاب لهم مفعول ثان له اى تيقنون اجابتها ويبلغ فيها مرغوبهم بالبنا للمجهول مرغوبهم
اى مطلوبهم الذى في حصوله واجبوه نائب الفاعل والا اى وان لم نقل ان معناه ما ذكر بان يبقى
على ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع فكم لكل نبي من دعوة مستجابة اى اجابها الله
تعالى دعاه بها في الدنيا ولنبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا منها ما لا يعد من الدعوات المشاهد
استجابتها ولكن ما لهم عند الدعا بها قبل تحقيق اجابتها بين الرجا لاجابتها والخوف من عدم قبولها
وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة اى ضمن الله لهم قبولها يقينا وهذه هي

الدعوة المذكورة في هذا الحديث والجار والمجرور حال اى متيقنا اجابتها ثم اشار الى جواب اخر بقوله
وقد قال محمد بن زياد الجمحي البصري الثقة الذى اخرج له اصحاب الكتب الستة وابو صالح ذكوان السمان
الثقة عن ابى هريرة في تاويل هذا الحديث وتفسير لكل نبي دعوة دعى بها في حق امته وشانهم سواكانت
لهم ام عليهم فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة بالنصب اى لاجل الشفاعة لامتي يوم
القيمة وفي رواية ابى صالح السابق ذكره وهذا ما رواه الشيخان عنه لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل
كل دعوته فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام مقام بشارة يطلب فيه البسط ونحوه في رواية
ابى زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الامام الثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة واختلف
في اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل هرم وقيل هذا وهم وانما هو هارم
وقيل عمرو عن ابى هريرة رضي الله عنه وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابى هريرة اى موافقة لها
معنى واشار بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب وانه غير الجواب السابق
بقوله فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا اى ان لم يفسر الحديث
بما ذكر لزم الخلف فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا
منع بعضها واعطى بعضها فتبين انها ليست الدعوة الموعود بها وهذا اشارة لما في الصحيح من انه
صلى الله عليه وسلم قال سالت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة
منها سالته ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسالته ان لا يلبسنا شيعا وفي رواية
يذيق بعضنا باس بعض فمنعها وسالته ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وهو المذكور
في سورة الانعام في اية قل هو القادر على ان يبعث الى اخره ومن قرا الدعوة التى ادخرها بهذا فقد
اخطأ وغفل عن قوله وادخرهم هذه الدعوة بالدال المهملة المشددة اى جعلها ذخيرة مؤخرة
ليوم الفاقة وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيمة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله
تعالى وشفاعة نبيه حيث لا ينفع غيره وخاتمة المحن جمع محنة بكسر الميم وهي البلية المحيرة
يعني هول الموقف اى لا بلية بعده الا النار وعظيم السؤال والرغبة بالجر معطوف على يوم الفاقة
او على الفاقة او جعل اليوم نفسه محنة والرغبة عطف تفسيري لما قبله او هو اخص منه ولما
ذكر ما تفضل به النبي صلى الله عليه وسلم على امته الداخل فيهم دخولا اوليا ختم الفصل بدعاء
له بقوله جزاه الله تبارك وتعالى ما جزى نبيا عن امته اى بما جزاه او مثله وفي نسخة احسن
وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته تركناه
خوف السامة مما لا فائدة فيه والله تعالى اعلم فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم
على غيره في الجنة بالوسيلة اصل الوسيلة امر يكون موصلا لامر يستفيه كالهدية والتودد
ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشيء برغبة وهي اخص من الفضيلة ولتضمنها معنى
الرغبة عديت بالى قال تعالى وابتغوا اليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة
سبيلها بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة انتهى والمراد بها منزلة عالية
الجنة كما سياتي فهي مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله تعالى

فقد تابع في العبادة قال الزبيدي يقال وسل الى تقرب لانها المقربة والدرجة الرفيعة اى المرتفعة
العالية والدرجة هنا المنزلة واصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله وقال
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم ترد هذه اللفظة في الدعا الذي يدعو به عقيب الاذان كما يفعله
من لا خبرة له بالسنة فذكرها في الدعا لا اصل له والكوثر تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به
نهر في الجنة والفضيلة فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المص شواهد لتفضيله في الجنة على
غيره منها حديث رواه مسلم وابوداود والترمذي واقتصر في الرواية على ما في ابي داود دون
الترمذي ومسلم لقرب سنده الى الاول دونهما فقال حدثنا القاضي ابوعبد الله محمد بن عيسى التميمي
نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت ترجمته والفقيه ابوالوليد هشام بن احمد تقدم ايضا بقراءتي
عليهما لا بسماعي من لفظهما وهذه اعلى من السماع من شيخه كما علمت قال حدثنا ابوعلي الغساني
الجياني السابق ذكره حدثنا النمري بفتح النون والميم وهو الامام بن عبد البر المتقدم قال حدثنا
ابن عبد المؤمن قال حدثنا ابوبكر التمار بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم
ان الاول عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي وابوبكر التمار تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا ابو
داود الحافظ صاحب السنن وقد تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن سلمة بفتح السين واللام وما
بعض النسخ من انه مسلمة بميم في اوله سهو من الناسخ وهو ابوالحارث محمد بن سلمة المرادي
المصري اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائتين وثمان واربعين قال حدثنا ابن وهب
هو عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته عن ابن ابي لهيعة بفتح اوله وكسر ثانيه وهو عبد الله الحضرمي
ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي اذ ضعفه روى عنه مالك واصحاب السنن
وتوفي سنة مائة واربعة وسبعين وحيوة بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وواو ثم
وتاء ساقطة بالادغام الا انه لم يغير فرقا بينها لعلم وغيره وهو ابن شريح الحمصي ثم البصري توفي
سنة مائتين واربعة وعشرين وروى عنه اصحاب السنن وسعيد بن ابي ايوب ابويحيى بن مقلاص
الخزاعي المصري الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة احدى وستين ومائة عن كعب بن علقمة بن
عمرو بن زيد بن حزم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة اربع وثلاثين وسنه سبعون
سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول عن عبد الرحمن بن جبير القرشي
مولى نافع الثقة توفي سنة سبع وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة عن عبد الله بن
عمرو بن العاص السابق ذكره انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول حال عبر بالمضارع للحكاية
حتى كانه شاهد حاضر اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول من كلمات الاذان غير الحيعلتين
فانه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قوله
عند الشافعية انه واجب واذا تكرر سماعه يكفي الاول وفي فتاوى ابن عبد السلام انه يندب لجابة
الكل والاول اصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قد قامت الصلوة اقامها الله
وادامها وعند قوله الصلوة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه
ثم صلوا على اى قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب ايضا فانه من صلى على

اى اتى بصيغة من صيغ الصلوة مرة بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم اى عشر امرة بها اى بصلوتنا
وضيرانه للشان لتضاعف الحسنات ثم سلوا الله لي الوسيلة اى ادعوا الله لي بان يؤتينيها فقولوا
اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله فانها منزلة في الجنة اى مقام عال فيها اعلاه عن
لا ينبغي اى لا يليق اعطاوها الا لعبد عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم من عباد الله
الاشراف الاقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هي اقرب
منازل الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب فان
قلت ما وجه تخصيص الدعا بها بعد الاذان قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلوة وهي
مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله به علينا بارشاده وهدايته ناسب
ان يجازى ذلك بالدعا بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزا من جنس العمل وارجو ان اكون
انا هو ضمير الغيبة للعبد وانا مبتداء وهو خبر والجملة خبر اكون واكون انا تاكيد للضمير
المستتر وهو خبرا استعير ضمير الرفع للمنصوب ووضع موضع الظاهر والاصل اكون انا اياه
وذلك خلاف الظاهر وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالرجا مع تحقق اختصاصه بارفع
المنازل عند ربه تادبا وتشريفا للامة بالدعا له وفيه دليل على جواز دعا المفضول للفاضل ليفوز
بالثواب كما اشار اليه بقوله فمن سال الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة بالحاء المهملة
وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او عيشته ونزلت عليه من حل يحل كقعد
يقعد وروى وجبت وروى له بدل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى
وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق واليقين ولا يستشكل بان الشفاعة للمذنبين
وقائلها ليس بمذنب بل عابد لله تعالى لان الشفاعة انواع كما مر كالشفاعة في دخول الجنة من غير
حساب وفي رفع الدرجات وزيادة العطيات ولا يخص هذا بمن قاله مخلصا مستحضر الاجلال
صلى الله عليه وسلم بل يكفي فيه مجرد قصد الثواب الا انه ينبغي ان لا يكون غافلا لاهيا
واستحباب هذا لغير المصلي فرضا او نفلا فان قاله فيها لا تبطل صلوته لانه ذكر الا في قوله صدقت
فانه من كلام الناس فتامل وفي حديث آخر رواه الترمذي ايضا عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة
في الجنة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهي اقربها الى العرش من ساير المنازل وليس هذا معلوما
من الحديث السابق لانه المراد منه وعن انس في حديث رواه البخاري قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا اسير في الجنة تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان هذا سيره هنا كان مناما
ويحتمل انه يقظة في الاسراء اذ عرض لي نهر اى جانى عرضه اى ظهوره بمروري عليه حافتاه اى
جانباه وشطاه وهو بتخفيف الفا المفتوحة وهو مبتداء خبره فيهما اللؤلؤ مثل القباب
وفي نسخة حافتاه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعروفة وهي بيت صغير تضرب به العرب لتنزل فيه
والجملة صفة نهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤ حقيقي او مثله في الحسن والنضارة قلت لجبرائيل
ما هذا النهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله اى وهبه لك
في قوله انا اعطيناك الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه وآنيته ولذا فسره

ابن عباس رضي الله عنه بالخير الكثير كما ياتي بما فيه وهو اصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر وخلقه
عليه السلام نلخ الاصل ووصل الضمير بالمنصوب على اللغة الفصحى ولو فصل وقال اعطاك اياه جاز
وورد في صفته انه ابيض من اللبن واحلى من العسل كما سياتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
ضرب جبريل صلى الله عليه وسلم بيده الى طينته بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه
بمنزلته وعلى صورته وضرب يده مجاز عن ادخالها فيه فاستخرج مسكا اى اخرج من قعره وارضه ليعرفه
بفضله وان طينته مسك فليس كانهار الدنيا وروى عن عايشة وعبد الله بن عمرو بن العاص مثله
اى مثل حديث انس المذكور قال اى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ومجراه بفتح الميم
مصدر ميمي اى جرى هذا النهر اى مجرى مائه على الدر والياقوت الذى فوق طينته الذى هو مسك
كما ان الانهار تجري على طين وحصى فهذا طينه مسك وحصاه جواهر فلا منافاة بين كون مجراه على
الجوهر وكون طينته مسكا كما مر وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج بفتح الثلثة وسكون اللام
قبل الجيم وبفتحها مصدر ثلج صدرى بكذا اى برد ليتقنه وابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع
من العرب على خلاف القياس فلا ينافي قول النحاة ان افعل التفصيل لا يصاغ من الالوان كما مر
ويجوز ان يكون صفة كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفي الحديث ان الله اعطاني نهرا يقال له
الكوثر لا يكاد احد من امتي يسمع خريره الا سمعه فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال ادخل اصابعك
في اذنيك وسدها فالذى تسمعه خريره نقله السهيلي وفي رواية ابيض من اللبن وكونه احلى من العسل
لاينافي ان من انهار الجنة نهر من العسل وفي رواية عنه فاذا هو اى الكوثر يجري جريا معتدلا ولا يشق
شقا جملة حالية من ضمير يجري اى لا يشق الارض بشدة جريه وكذا ساير انهار الجنة يجري من غير
ان تخد اخدودا كما قاله التلمساني ويشق مبنيا للفاعل وقيل انه روى مبنيا للمجهول وقيل المراد انه يجري
معترضا لا مستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا وهو بعيد لما ورد في الحديث انه صلى الله
عليه وسلم قال لا تظنون ان انهار الجنة اخدود الا والله انها لسايحة على وجه الارض وقد رجح
ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا عليه اى على الكوثر حوض والظاهر انه بجانب قريب منه كما يقال مررت
على زيد اى على مكان قريب منه والحوض معروف وقد قيل المراد بكونه عليه انه ممتد منه لان عليه ميزا
بين يشخبان فيه من الكوثر الا انه بجانبه اذ هو في الجنة والحوض خارجها للحديث الاتي ليردن علي
اقوام اعرفهم ولا يعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم امتي فيقال لا تعلم ما احدثوا بعدك فاقول
سحقا سحقا لمن غير بعدي فتامل ترد عليه امتي اى ياتونه للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة
من النار وذكر حديث الحوض الاتي وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جا في بعض الاحاديث ان الكوثر
هو الحوض ولهذا انه جزم على قول من قال غيره ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد ونحوه عن ابن عباس
رضي الله عنهما اى روى عن ابن عباس ما يوافقه وعن ابن عباس ايضا اى في رواية اخرى ذكرها البخاري
قال في تفسيره الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه تشريفا له صلى الله عليه وسلم وتكريما
وهذا بنا على انه فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص بالكثير من الخير وبالنهر الذى في الجنة فاراد
ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة او بيان معنى عام خص في الحديث والاية فلا كلام فيه واراد

تفسير ما في الاية فالاحاديث الصحيحة وردت بخلافه وفي الاية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق
ذكره وقيل النبوة والكتاب وقيل القران وقيل الاسلام وقيل تحقيقات الشريعة وقيل كثرة
الامة وقيل رفعة الذكر وقيل نور النبوة المحمدية وقيل الدعوات المجابة له صلى الله عليه وسلم
وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الخمس صلوات التي
اختصت بها امته صلى الله عليه وسلم وقيل الحوض والاصح انه نهر في الجنة مخصوص وقال
سعيد بن جبير والنهر الذى في الجنة من الخير الذى اعطاه اياه يعني انه على عمومه وهذا داخل فيه
او هو المراد منه ويؤيده ما روى عن حذيفة بن اليمان فيما ذكره صلى الله عليه وسلم عن ربه حيث
بينه له في حديث قال فيه واعطاني الكوثر وهو نهر من الجنة يسيل في حوضي الذى في الموقف وبعد
الصراط يستقي منه امته وفيه اشارة الى تفسيره بالحوض لان ماءه منه وعن ابن عباس في حديث
صحيح رواه ابن جرير بسنده وابن حبان في تفسيره قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى اى يعطيك
الى ان ترضى بما اعطاه لك وتقر عينك قال من جملة ما اعطاه الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك
اى هي من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور الذى دل عليها قوله الف قصر وفيه اى في كل
قصر فاعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لان كل مفرد مذكر ما يصلحهن الضمير عايد عليه ايضا
رعاية لمعناه وقيل ضمير فيه عايد عليه نظرا للفظ قصرا ولتاويله بما ذكرنا قيل ان صوابه فيهن
لا وجه له والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والالات كالاواني كما اشار
اليه بقوله وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له اى في كل قصر ما يناسبه ويليق به من الازواج والخدم
بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد في الفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج جمع
زوج او زوجة وذكرهما لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف موقوفا على ابن عباس
انه كان قائل قال ابن عباس لا النبي صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر ورواه الاوزاعي مرفوعا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال حدثنا اسمعيل بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه عنه
صلى الله عليه وسلم انه راى ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه والضحى
والليل اذا سجى الى قوله فترضى فاعطاه الله عز وجل الف قصر الخ وقيل في الاية انه اعطاه ما هو شامل
لكل خير اعطاه ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم
اذن والله لا ارضى وواحد من امتي في النار وقد تقدم الكلام عليه

فصل

في بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم افضل الرسل واعظمهم عنده وجرده
من نفسه سائلا خاطبه بقوله فان قلت فاتى بالفا الاستينافية اشارة الى نشاته مما قبله وترتبه عليه
فد تقرر من دليل القران وفي نسخة اذا تقرر اى تحقق وثبت واضافة دليل للقران بيانية او تخصيصه
لاميته وصحيح الاثر اى الحديث وهو معطوف على القران او على دليل واجماع الامة المحمدية كونه
صلى الله عليه وسلم اكرم البشر اى اشرف بني ادم وافضل الانبياء والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم
الخلق لان قوله اجماع الامة ياباه لما فيه من خلاف المعتزلة في خواص الملائكة وان كان الصحيح
خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم

عن التفضيل بين الانبياء او الناهية بتفضيله عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان ورواه المص من طريق مسلم فيما حدثناه متعلق بقوله او حال منه الاسدى نسبته الى اسد
قبيلة قال حدثنا السمرقندى تقدمت ترجمته قال حدثنا الفارسى عبد الغافر السابق ترجمته قال
حدثنا الجلودى تقدم عليه وبيان نسبته قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق
ترجمته قال حدثنا مسلم الامام صاحب الصحيح المقدم قال حدثنا ابن المثنى محمد ابو موسى البصرى توفى
سنة اثنتين وخمسين ومائتين كما تقدم قال حدثنا محمد بن جعفر ابو عبد الله الهذلى البصرى الملقب
بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفى في ذى
القعدة سنة ثلاث او اربع وستين ومائة قال حدثنا شعبة بن الحجاج بن بسطام كما تقدم
عن قتادة تقدم بيانه قال سمعت ابا العالية التابعى السابق ترجمته يقول حدثنى ابن عم نبيكم
صلى الله عليه وسلم يعنى ابن عباس رضى الله عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو احد
العبادلة وغالب روايته عن الصحابة رضى الله عنهم لصغر سنه في زمانه صلى الله عليه وسلم
واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل اربعة احاديث وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون
حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم ما ينبغى اى ما يصح ولا يجوز من عباد الله نبيا كان او غيره
ان يقول انا خير من يونس بن متى بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية والف مقصورة وهو اسم
امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة والطول اشهر كما مر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب
صلى الله عليه وسلم وكان بعد سليمان عليه الصلوة والسلام وقيل كان بينهما ايوب
عليه الصلوة والسلام وكان قبل النبوة من عباد بنى اسرائيل فهرب ونزل بشاطئ دجلة فبعثه الله
الى اهل نينوى من ارض الموصل وهو ابن اربعين سنة فمضى فدعا بالرسالة فشكى ذلك للملك
واعلمهم انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واجل لهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل فقالوا
ان رأينا امارات ذلك امنا بك وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة وثلثون يوما غامت
السماء بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهلهم وفرقوا بين النساء
واولادهن وضجوا الى ربهم فرحمهم وقيل تاب عليهم وساح يونس صلى الله عليه وسلم في ارض ورتع
سقاه لبنا فقال له اقرأ على قومى السلام فقال له يا نبى الله لا استطيع فان من كذب منا قتل فقال له
ان كذبوك فشاتك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقالته فشهد له الشاة والعصاة
فصدقوه وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلثة ايام فانتظر يونس فخاف لانه من كذب
ولم يقم بينة قتل في شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير فسألوه
عن سبب ذلك فقال ان عبدا ابق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه في البحر فقالوا اما انت يا نبى الله
فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله عليه وسلم
فالقوه فابتلعه حوت وغاص به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصا فنادى في الظلمات
ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فنبذناه بالعراء
وهو سقيم كطير ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة يقطين استظل بها واصابته

فيبست فبكى فاوحى الله اليه اتبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة الف او زيادة هلكوا فنادى
سبحانك لا اله الا انت انى كنت من الظالمين واختلف في مكثه في بطن الحوت فقيل بعض يوم
وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما وقيل ثلاثة وانما خص يونس بالذكر لما يعلم
مما يأتى وهو خشية ممن سمع قصته ان يقع في نفسه شئ لقلة صبره وعدم ثباته في الشدايد
وثانى ان النهى تفضيل يؤدى الى تنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال انا خير من بعض الانبيا
يخشى عليه الكفر ان لم يكن نبيا فان كان فلا ينبغى ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن لذلك
وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله وفى غير هذه الطريق
المذكورة انفا عن ابى هريرة قال يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغى لعبد الحديث
اى اذكره الى اخره كما مر وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه الذى رواه الشيخان في رجل
من الانصار تنازع مع يهودى بالمدينة وبينه المص بقوله في اليهودى اى في رجل من اليهود
لم يذكروا اسمه الذى قال والذى اصطفى موسى على البشر اى اختاره وفضله على ساير
بنى ادم من الانبيا وغيرهم فلطمه رجل من الانصار لم يذكروا من هو وفى سيرة ابن اسحاق ان اسم
اليهودى فنحاص وقال اى الرجل الانصارى تقول ذلك اى تفضيل موسى على البشر ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا جملة حالية اى مع وجود النبى صلى الله عليه وسلم الذى
هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع ظهر مقحمة اى بيننا فبلغ ذلك الذى قاله اليهودى
والرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبيا بالضاد المعجمة اى لا تقدموا
على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتى وجوز بعضهم ان يكون
بالصاد المهملة لا تفرقوا وتميزوا بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتى وجود
بعضهم من بعض وفى رواية لا تخيرونى على موسى وهذه الرواية في الصحيحين وسنن ابى داود
والنهى والنهى عن تفضيل يقع من غيره مؤدى الى نقص او على سبيل العصبية والتفاخر فلا ينافى
في قوله انا سيد ولد ادم ولا فخر وسيأتى تفضيله فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل
من يونس بن متى وفى هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء الرسل اولى العزم فالتفضيل
عليه اقوى فيما نحن بصدده فلا وجه لما قيل من انه كان ينبغى تقديم هذا الحديث على الذى قبله
والحديث المذكور اوله استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما والذى
اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودى والذى اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم
فذهب اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما فقال لا تخيرونى على
موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادرى
احوسب بصعقة الطور او بعث قبلى ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت
القصة في عرض طلقه وقال البرهان لا اعرف اسم اليهودى والمسلم اللاطم له وقال غيره
اليهودى اسمه فنحاص كما تقدم واللاطم ابو بكر رضى الله عنه الا ان قوله في الحديث رجل
من الانصار يأباه الا ان يقال الانصار هنا بمعناه اللغوى وهو خلاف الظاهر وهذه الصفة

هي المذكورة في قوله ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وهذا
هو الاستثناء المذكور في الحديث فالصعق الاحيا او الاخراج من القبور مجاز لان حقيقتها
الصراخ مع غشي يحجر منه وقيل المراد بها حقيقتها وانها في عرصات القيمة بعد الحشر يوم الفزع
الاكبر وقال ابن قيم الجوزي في كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبي ان هذه الرواية دخل فيها حديث
في حديث ولذا اشكل عليهم والذي يرفع الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل ترحال وانتقال من حال
الى حال والانبياء والشهداء احياء لكنهم غيبوا عنا مراقدهم فاذا نفخ في الصور فمن مات حتى
ومن كان حيا من الانبيا ونحوهم كالغشي عليه صعق ثم افاق ولذا ورد في حديث مسلم فاكون
اول من يفيق فلذا تردد النبي صلى الله عليه وسلم في انه اول من تنشق عنه الارض وافاق موسى
صلى الله عليه وسلم سبقه لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغشى عليه ويصعق وهذه
فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان لم يلزم كونه افضل منه من ساير
الوجوه فلذا لخصه بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن نفي الجهة ودليلها فقال
دليلها قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى لانه خاطب الله في قعر البحر
والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله عليه وسلم في مقام قرب قاب
قوسين على الرفوف فلم يكن ثمه اقرب من يونس وعن ابي هريرة في حديث رواه البخاري ومن قال انا
خير من يونس بن متى فقد كذب ذكروا فيه احتمالين ان يكون انا عبارة عن النبي صلى الله عليه
وسلم اي من فضلني على يونس صلى الله عليه وسلم فقد كذب وان يكون انا عبارة عن القائل
غيره اي احد من الناس قال انا خير من خير من يونس لتوهمه انه فضله بعلمه وعبادته وغير
ذلك من الفضائل لان احدا لا يبلغ درجة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قالوا
انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول وبيان باقي الثاني في كلام المصنف وعن ابن مسعود
لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر اي حديث ابن مسعود الذي رواه
مسلم وابو داود والترمذي بجاه صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية اي يا افضل
الخلق كلهم والبرية بتشديد اليا من برا يبرا مهموزا بمعنى خلق من البرا بمعنى التراب الا انه التزم
فيه ابدال الهمزة ياء كما في النهاية فقال ذاك وفي نسخة ذلك والاشارة لخير البرية ابراهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم وهو في الحقيقة افضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله عليه
وسلم وقال السيوطي انه متفق عليه فا علم جواب الشرط في قوله فان قلت وهو شروع
في تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه ان للعلما في هذه الاحاديث
النهاية عن التفضيل وما يخالفها تاويلات تقدم بعض منها وسياتي تحقيقها احدها ان نهيه
صلى الله عليه وسلم في التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم بالبنا للفاعل والمفعول
اي يعلمه الله وهذا دليل على ان قوله انا ان لو عبارة عنه صلى الله عليه وسلم فنهى عن التفضيل
اذ يحتاج الى توقيفه اي اعلام به واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل في الحديث
خاصا بموسى ويونس عليهما الصلوة والسلام فيه دلالة عليه في الجملة فلا يرد ما قيل انه

لا

لا يقتضي المنع مطلقا فتأمل وان من فضل بلا علم فقد كذب لانه لا يطابق ما في نفس الامر عنده
اذ لم يعلم وهذا شديد في النهي والا فاخباره على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا وكذلك
قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو لانه نفي لقوله وهو لا يدل على انتفائه
في نفس الامر وما كل ما يعلم يقال وضمير تفضيله هو للنبي صلى الله عليه وسلم اي تفضيله
على يونس او ليونس صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وانما هو في الظاهر كفا اي امتناع
او منع لغيره عن التفضيل بينهم وقد يكون لامر اخر الوجه الثاني انه قال صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب بضم فسكون اي عجبه وخيلائه بنفسه ومدحه لها
فانه لذلك في الغالب والتكبر اظهار عظمته والعجب استحسانه لنفسه وسيئاته والتواضع
لين الجانب وخفض جناحه لغيره وهذا الجواب لا يسلم من الاعتراض الوارد عليه لانه
يعد الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا قيل ولان نفي التكبر والعجب يقتضي
ثبوتهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم في غيره من صلحاء امته ولا يخفى انه
اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى الله عليه وسلم كما تقدم
الوجه الثالث ان مقصوده صلى الله عليه وسلم بنهيه ان لا يفضل بينهم تفضيلا
يؤدي بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اي يجر ويوصل الى تنقيص بعضهم تنقل
من النقص اي يقتضي وصفهم بما فيه نقص لهم وذم او البغض منه بفتح الغين والضاد المعجمتين
المشددة المكسورة كالغضاضة وهي النقص والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو
خفضه فاستعير لما ذكر وضميره منه للبعض وفي نسخة منهم ويفهم من هنا جوازه ان لم يؤد
لما ذكر لا سيما اي خصوصا في جهة يونس عليه الصلوة والسلام اي في حقه ووصفه
لان الجهة تطلق على المصنف ومنه موجهات القضايا ولا يسمع عند النحاة من ادوات
الاستثنا وليس هنا محل الكلام عليه اذ اخبر الله بما اخبر في قوله ولا تكن كصاحب الحوت
الخ لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه اي لا يعلم من يونس وما قص من قصته بذلك اي بسبب
ذلك المذكور وهو متعلق بقوله غضاضة اي بغض وحقارة بتوهمهما من لا علم عنده
وعطف عليه قوله عطف تفسير قوله وانحطاط من رتبته الرفيعة استعارة بتنزيل
شرفه منزلة امر عال تنزل من علو لسفل اذ قال الله تعالى حاكيا عنه اذ ابق الى الفلك المشحون
اي خرج الى سفينة مملوة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه
عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال تعالى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم فظن
ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا لا او تمثيلا لحاله بحال
من ظن انا لا نقدر عليه في مراغمة قومه لعدم انتظاره لامرنا وروي انه معاوية قال لابن عباس
اينظن نبي ان لا يقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن بري اي من الاراده
فظن ان تريد عقوبته فربما يخيل بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله حطيطه وقوله لمن لا علم
عنده بمعاني القران وما قيل فيها وقيل هذه الاية متعلق به خطيطته اي نقصه بذلك ونزول

مقامه عن مقامه غيره من الرسل لنظره لظاهر الآية وقد نقل المفسرون فيه اقوالا افضل معنى ذهب مغاضبا
انه غضب من قومه لامر ربه وهذا خلاف الاولى اى كان يحقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم في احد وغيرها فلم يذهب بغير امر ولذا قال الله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت واما قوله
فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم تاويله وقيل احسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول
البيضاوى انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لا يليق ان يقال لعصمة
الانبياء عليهم الصلوة والسلام عن مثله الوجه الرابع منع التفضيل بين الانبياء والرسل
الذى افاده النهى الوارد في الحديث انما هو في حق النبوة والرسالة نفسهما لا الانبياء والرسل
قال السنوسى في شرح عقايده بعد ما ذكر ما قال المص ومما يدل على عدم التفاضل بين الانبياء
في نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال نبوة لفلان النبى النصيب الاقل من النبوة ولفلان النصيب
الاوفر ونحو من العبارات التى تقتضى ان النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه
العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة
من المتواطى المستوى افراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفى ذكره ذلك
في النبوة دون الرسالة انما الفرق بينهما في ذلك فتامله وقريب منه قوله فان الانبياء فيها اى
في النبوة من حيث هى على حد واحد فرتبتها وقدرها متحد فيهم اذ هى شئ واحد اى متحد في جميعهم
لا التفاضل اى لا تزيد بعضه على بعض وانما التفاضل والتفاوت في زيادة الاحوال اى العوارض
العارضة عليها والخصوص اى ما خص به بعضهم دون بعض والكرامات التى اكرم الله بها بعضهم
والرتب الدنيوية والاخروية والالطاف اى العطايا التى اعطاها الله لبعضهم جمع لطف بفتحتين
وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور
اخر زائدة عليها طارية ليست من نفس حقيقتها كما بيناه ولذلك اى لما ذكر من ان التفاضل لامر زائد
كان منهم رسل عزم اولو عزم واولو عزم من الرسل منهم والعزم القوة والشدة والتصميم على تنفيذ
ما يراه اولى به وبغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله بشريعة المامور بالتبليغ
فهو اخص من النبى على المشهور من الرسل بالكسر وهو تتابع الدر ومنه على رسلك اى تمهل وتثبت
وقد اختلف في ذوى العزم والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم اصحاب
الشرايع وقيل اربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان
وعيسى ومحمد وقيل هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق في الاعراف
والشعراء وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحاق لصبره
على النار واسحاق لصبره على الذبح في قول ويعقوب لصبره على فقد ولده ويوسف لصبره
على السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المامورون بالجهاد وقيل نجباء الرسل المذكورون
في الانعام واختاره الحسن لقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الخ وهذا مبنى على
تفسير العزم ثم بين بعضها وقع في التفاضل فقال ومنهم من رفع اى رفعه الله مكانا عليا
وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما اخنوخ رفع الى السماء او الجنة كما قاله

المفسرون وكذا عيسى ومنهم من اوتى الحكم صبيا وهو يحيى اذ احكم الله عقله وتنباه واتاه الحكمة
وفهم التورية وكان الانبياء تنبى بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا في عيسى ايضا واوتى بعضهم
الزبور وهو داود وفى نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فيشمل موسى وعيسى وادريس
وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا كما في الحجة لابى على واوتى بعضهم البينات اى المعجزات
الظاهرة الباهرة التى لم يؤتها احد قبله من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحوه مما
فضله الله تعالى به وهو عيسى عليه السلام ومنهم من كلم الله من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه
بالطور ولما راى نارا ورفع بعضهم درجات عالية فضله بها على غيره وهنا اجمال الفضائل
لم تذكر والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم اذ فضله على من سواه لوجوه متعددة ومراتب
متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم
القيمة ومن اجلها القران وغيره مما يفوت الحصر قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض الاية وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية هذا بيان لما قبله
او ناظر لجميعه كما اشارنا اليه وقوله تلك انثه باعتبار الجماعة قال بعض اهل العلم بالكتاب والسنة
والتفضيل المراد لهم هنا عطف على مقدر او على ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله في الدنيا
متعلق بالتفضيل وذلك بثلاثة احوال وفى نسخة اوجه ان تكون اياته ومعجزاته ابهر اى اقوى
واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها او اظهر واشهر عطف تفسير له كانشقاق القمر والقران
وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية او تكون بالنصب امته ازكى واكثر اى انقى واكثر من غيرهم
كنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس وقد ارسل للناس كافة
او يكون بالنصب في ذاته افضل بزيادة علمه وخصاله المحمودة واظهر بالمعجمة اى اشهر وبالمهملة
انقى وانقى وفضله في ذاته ونفسه راجع الى ما خصه الله به اى ما له ومعناه من كراماته اى كرامة
له بما اتى ومناقب عظيمة وجهها له واختصاصه بالجر معطوف على مدخول الى وقوله من كلام
بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به بغير واسطة كموسى ونبينا عليهما الصلوة والسلام
او خلة تقدمت انها لابراهيم اوله ولنبينا صلى الله عليه وسلم او رؤية عيانا قبل
دخول الجنة كما في المعراج او ما شاء الله وارادة لهم غير ما ذكر من الطاف بفتح الهمزة اى عطايا
كما تقدم وفى نسخة الطافه بالاضافة وتحفة لايته اى تحفة ولاهالهم واختصاص مما الجنة
من قرة اعين لا يعلمها الا هو وقد روى بالبنا للمجهول وهذا رواه ابن ابى حاتم والحاكم في مستدركه
عن وهب بن منبه وهذا رجوع الى قصة يونس عليه الصلوة والسلام عما ذكره من الاوهام
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا اى لحملا ثقيلة قال تعالى وتحمل اثقالكم
جمع ثقل والثقل كخفيف ويسكن مقابل الخفة قال الراغب واصله في الاجسام ثم يقال في المعانى
كاثقله الغرم والوزر وهو في الانسان ذم في اكثر التعارف وقد يكون مدحا كقوله تخف
الارض ما بنت عنها ويبقى ما بقيت بها ثقيلا حللت بمستقر الارض منها فتمنع جانبيها
ان تميلا والمراد هنا المشاق التى تكون في تبليغ الرسالة وان يونس تفسخ منها الضمير للاثقال

والاجمال وتفسخ بالفا والسين المهملة المشددة والخا المعجمة تفعل من الفسخ اى تقطعت لحفا
وتفككت لعدم طاقته صلى الله عليه وسلم بحملها يقال تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ
ثيابه اذا ازالها ومنه فسخ عند الفقها تفسخ الربع تعقل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء
المهملة وفتح الباء الموحدة والعين المهملة وهو الفصيل اى ولد الناقة الصغير الذى يولد
فى الربيع وبعده الهبع الذى يولد فى الصيف وتفسخ منصوب بالمصدرية لتفسخ اى تفسخ كتفسخه
اى لم يطق حملها ولم يصبر عليها وفى تشبيهه بالربع اشارة الى انه كان فى مبدا امره وفى قوله
اشغالا استعارة تصريحية وفى تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولا ينافى التشبيه ويجوز
ان يكون استعارة تمثيلية وهو احسن ثم بين مراده فقال تحفظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بنهيه عن التفضيل موضع الفتنة اى ما يقع الناس بسببه فى فتنة واجحذور
من تنقيص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فجعله كانه موضع لها تقرفيه من الاوهام التى
يتوهمها من لا علم له وهو متعلق بتحفظ اى صانه مما يتوهم او هو بيان لموضع من يسبق
اليه بسببها اى المواضع او الاوهام وقيل المراد بسبب ثقالها من سام وضجر وقيل بسبب
قصة يونس عليه الصلوة والسلام جرح فى نبوته بفتح الجيم اى ذكر ما لا يليق بمقام النبوة
مما يقتضى عدم العصمة او قدح فى اصطفائه اى ذم وتنقيص لكونه صفوة ومختارا
عند ربه مفضلا على غيره والقدح ذكر المعايب والنقايص وحط رتبته اى تنزيل له من علو
مقامه او وهن فى عصمته اى عد عصمته فيها ضعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة فلذا
نهاهم صلى الله عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه لتساويهم فى حقيقة
النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفاتهم كما سمعته مفصلا شفقة منه صلى الله عليه وسلم
بالنصب مفعول له او علة لحفظ على امته اى يقع منهم ما لا يليق بمقام النبوة فيكون لهم
وزر ليستحقون به سوء العاقبة بسخط الله تعالى وعقابه وقد يتوجه اى يحصل توجيه اخر
فى الجواب عما مر او يتأتى ويبنى على هذا الترتيب اى على ما رتبناه على النبوة من الاختصاص بامور
اكرمها الله تعالى بها وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا فى الاحاديث السابقة راجعا الى القائل
نفسه المذكور فى قوله لا ينبغى لاحد ان يقول فليس المراد تضمين المتكلم النبى صلى الله عليه وسلم
كما فى الوجوه المتقدمة اى لا يظن احد من الناس غير الانبياء وان بلغ من الذكا اى انه بلغ من الذكا
بالزاى المعجمة اى الصلاح وزيادة الخير قال التلمسانى انه بخط المص هكذا او رواه القرطبى بالمد
المص بالذال المعجمة وهو الفطنة والعصمة اى الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ما خص به
الانبياء وهى المذكورة فى قوله اسالك العصمة فى الخطرات والسكنات ولذا جوز بعضهم الدعا بها
ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر فى فتاويه والطهارة اى البراءة من الاوزار ما بلغ اى مبلغا عظيما
فما مصدرية او موصولة انه خير من يونس بن متى وهذا معمول يظن المنفى لاجل ما حكى الله عنه
تعليل للظن اى ما قصه فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم فى غيهم
وعدم اجابتهم دعوته صلى الله عليه وسلم للايمان وسوق كلامه موذن بان القائل من غير

الانبياء كما يشهد له قوله فان درجة النبوة ورتبتها العالية افضل واعلى عند الله من درجة
غيرهم من الاتقيا وهذا امر فرضى ومبنى على عدم العلم بالنهى عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون
تقيا وقد صدر منه تنقيص الانبياء الذى قيل انه كفر وايضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبى
فان تلك الاقدار جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة اى ما قدره الله عليهم لحكمة باهرة وليس بحجة
وان جاز تأويله بانه ما بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غيرمناسب لفظا ومعنى لم تحطه عنها
اى لم ينزل يونس عليه الصلوة والسلام عن درجته مقدار حبة خردلة التى هى اصغر الحب
والاخس حبته خردل بدون هاء ولا ادنى اى اقل واصغر من خردلة اى لم ينقصه اصلا وسنزيد
فى القسم الثالث فى باب هنا بيانا بايضاحه وتفصيله ان شاء الله ذلك فقد بان ذلك الغرض
المقصود الذى قصدناه فى هذا الكتاب وسقط بما حررناه اى بما قررناه او لخصناه او كتبناه
والتحرير التخليص واظهار الزبدة لان اصله جعل الشيء حرا اى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم
موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذى صار عاما واصله كناية
العتاقة كما فى الكشف شبهة المعترض الذى اعترض على ما تقدم ولو قال من اعترض كان سجعا
لكن المص لم يقصده ولما كان ما تقدم فى ذكر فضائله واسمائه صلى الله عليه وسلم
دالة على ذلك عقبه بذلك كما اشار اليه بقوله فصل فى اسمائه صلى الله عليه
وسلم وما تضمنته من فضيلته اى ما هو بعض مدلوله او لازم لمقتضاه حتى كانه ضمنه والاسما
جمع اسم والكلام على كونه من السمة او السمو اغنانا ما شهرته عن ذكره واما البحث عن كونه عين المسمى
او غيره فبحث لا طائل تحته فلا وجه لذكره هنا وقد افردناه بالتاليف والاسم له معان
فيطلق على مقابلة الفعل والحرف وعلى ما قابل الكنية واللقب وعلى ما قابل الصفة المشتقة
ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ما شاع اطلاقه عليه الصلوة والسلام سواء
كان علما او صفة او غيرهما وسواء اختص به ومنعا ام لا فهو العلم وما يشبهه وكثرة الاسماء تدل
على شرف المسمى ولو ادعا فلا يرد كثرة اسماء الخمر وهو الترمذى وهو الظاهر وفى شرح الترمذى
ان للنبى صلى الله عليه وسلم الف اسم كما ان الله تعالى الف اسم ونقل مغلطاى انها تبلغ ثلاثمائة
وقيل تسعة وتسعون كاسماء الله ومنها ما هو بلفظ الفعل والمصدر واكثرها صفات مادحة كما
اشار اليه المص بقوله تضمنه من فضيلة ولابن دحية تاليف مستقل فى اسمائه صلى الله عليه
وسلم ثم ان المص ذكر هنا حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن ابيه بسند متصل الى
المصنف رواه عنه مرسلا لعلو سنده فيه بدرجتين فقال حدثنا ابو عمران موسى بن ابى تليد
الفقيه تليد بفتح المثناة الفوقية واخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه فناوه بدل
من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو عمر الحافظ ابو عبد البر وقد
تقدم ايضا قال حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا قاسم بن اصبغ بهمزة
مفتوحة وصاد مهملة وموحدة تحتية وغين معجمة وهو قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف بن واضح
عطا الامام الحافظ محدث الاندلس ابو محمد الاموى مولاهم القرطبى كان صدرا عاليا الاسناد ثقة

ولذا قطع الرواية في اخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع واربعين ومائتين وتوفي بقرطبة في جمادى
الاولى سنة اربعين وثلاثمائة قال حدثنا محمد بن وضاح بن بزيغ متولى ملك الاندلس عبد الرحمن
بن معاوية الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبي مولده سنة تسع وسبعين ومائة او سنة
مائتين بقرطبة وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين قال الذهبي انه صدوق روى عنه كثير
من اهل الاندلس قال حدثنا يحيى بن يحيى الليثي عالم الاندلس وراوي الموطا وليس له رواية في الكتب الستة
الا ان وقد تقدمت الكلام عليه عن مالك عن ابن شهاب بن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه
ومحمد هو ابو علي وقد روى عنه الزهري وهو روى عن ابيه جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وهو صحابي
اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد ونافع وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا وقورا
توفي سنة تسع وخمسين واخرج له الائمة الستة واحمد في مسنده وهذا الحديث اخرجه مالك
في الموطا والترمذي في الشمائل والبخاري وهو حديث صحيح مسند اه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في خمسة اسماء قدم الجار والمجرور للتقرير والتاكيد وللتخصيص باعتبار انه
لم يسم بها احد قبله او لاشتهارها في الامم الماضية فالتخصيص المستفاد من التقديم امنا
في لا حقيقي لزيادتها على ذلك وقال السيوطي في كتاب الرياض الانيقة في اسماء خير الخليقة انه
قيل انه يطلعه الله تعالى على بقية اسمائه وقال المص فيما ياتي وقيل انها موجودة في الكتب القديمة
وعند الامم السالفة ورد بان فيها اكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال
ابن عساكر في كتاب المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم او التخصيص
لان المراد خمسة اسماء فاضلة او معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف للظاهر وقال
ابن فارس ان اسمائه صلى الله عليه وسلم الفان وعشرون وقيل المراد خمسة سماني بها ربي
وباقيها اوصاف واسمائه صلى الله عليه وسلم توقيفية فلا يجوز ان يسمى عالم بسم به الله او
يسمى هو به نفسه او ابوه وجده انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر اي يزيله حقيقة
من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما ياتي في الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله صلى الله عليه وسلم بي كان الظاهر ان يقول
لكنه راعى فيه المعنى كقوله انا الذي سمتني امي حيدره والكلام عليه مفصل في كتب العربية
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي بتشديد اليا مفتوحة وتخفيفها ساكنة اي يحشرون
على اثري وبعد نبوتي اذ ليس بعده صلى الله عليه وسلم نبي كما ياتي تفسيره وقد روي ان الحاشر الذي
يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره وانا العاقب لاني عقب الانبياء عليهم الصلوة
والسلام فلا شيء بعده وعيسى عليه الصلوة والسلام تقديمه انه ياتي على شرعه وقال ابن
الاعرابي العاقب من يعقب غيره في الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسياتي تفصيل معنى الحديث
وقد سماه الله تعالى في كتابه وهو القران محمدا واحمد في قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله
ياتي من بعدي اسمه احمد وكونه حكيا عن عيسى عليه الصلوة والسلام لا ينافي كون المسمي له الله
ولذا قيل ان عيسى عليه الصلوة والسلام انما اطلعه الله عليه باعلام الله واذنه له فالمسمي

حقيقه

حقيقه هو الله من خصايصه تعالى له اي الكائنة له ان قلنا بجواز حذف الموصول مع بعض
الصلة فهو صفة له او هو متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه مفعول له واللام مزيدة للتقوية
والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدي وضده ان ضمن اسماه فاعل ضمن ضميرا لله والضمير المضاف
اليه للنبي صلى الله عليه وسلم ثناؤه مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل او للمفعول باعتبار
ان الضمير لله او للرسول ان شاء الله تعالى وطوى اثناء ذكره بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمدجمع
ثني كقفل وهو ما انعطف من الوادي ويقال في اثنائه ومثانيه اي داخله ونصبه على الظرفية
وطوى من قولهم طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن كتمه والاخفا للمعنى الخفي
داخل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اي في اسمائه التي سماه بها عظيم شكره اي شكره العظيم
والضمير لله او للنبي فان كان ضمير شكره للنبي صلى الله عليه وسلم فاضافته له من اضافة الفاعل
او المفعول اي كونه شاكرا او مشكورا شاكرا عظيما الا ان اكثرها اوصاف غلبت عليه او اختصت
اختصاص الرحمن بالله مع بقاء الوصفية او اعلام منقولة ملموح اصلها فيفيد المدح والاعلام
وصفت لتعيين الذات لكن المنقولة من الصفات تشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول
ال عليها ومعظم اعلامه كذلك فاما اسمه احمد فوزنه افعل مبالغة في صفة الحمد مبالغة مرفوعة
خبر بعد خبر او منصوب مفعول له والجار والمجرور صفته والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف
المفضل عليه قصدا للتعميم نحو الله اكبر اي من كل شيء ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه
علم فكيف يفيد ما ذكر وما قيل من انه للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم
واطال من غير طائل على عادته وقال السخاوي في سفر السعادة احمد اسم النبي صلى الله عليه وسلم
ليس بمنقول من المضارع ولا من افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كل من تكاملت
مناقبه وبلغ النهاية في الحمد قال الاعشى اليك ابيت اللعن كان كلالها اي المجد الفرع الجواد
المحمد انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المص لانه اسمه صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة
وقد سماه به وعيسى عليهما الصلوة والسلام كما نطق به القران وسماه الله به لانه حمده في مقام
لا يحمده فيه سواه بمثل محامده كما تقدم وسياتي تتمته ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو
في الاصل اسم مفعول من التفعيل فينبي عن الكثرة ففيه مبالغة ايضا ولهذه الصيغة
معان اخر مذكورة في كتب التصريف في شرح الهادي انه مرتجل قال ابن معطي وهو غلط وتوجيه
بانه لم يستعمل في غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور وروي عن ابن عباس بسند متصل كما رواه
البيهقي في دلائل النبوة انه لما ولد صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه
محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم ابائه فقال اردت ان يحمده
اهل السما ويحمده الناس في الارض واخرج عنه ابن اسحاق مسندا ان امه امنة بنت وهب
حدثت انها اتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه
الامة فان وقع في الارض فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد وكل بر عاهد وكل
عبد زائد يرود غير رائد وروي فانه عند الحميد الماجد حتى اراه قد اتى المشاهد فاذا

وضع فسميه محمدا فانه اسمه في التورية احمد يحمده اهل السماء والارض واسمه في الفرقان محمد
هنيئة بذلك وقال ابو الربيع بن سالم في سيرته روي ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرويا راها كان
سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف
في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها
فعبرت بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويتبعه اهل السما والارض فلذا سماه
محمدا مع ما حدثته به امنه انتهى فهو صلى الله عليه وسلم احق من حمد بفتح الحا وكسر الميم والبناء
للفاعل اي اجل الحامدين وافضل من حمد بالبنا للمجهول وقيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم
احمد والثاني لمحمد والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكونه الله لم يسم به غيره فكانه افضل
من حمد والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وان تعين في محمد الثاني وجوز ابن القيم في احمد ان يكون
بمعنى المفعول اي اكثر محمودية والفرق بينه وبين محمد اما لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا
ابلغ من مدحه صلى الله عليه وسلم ولو اريد الفاعل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه بانه
تخصيص من غير مخصص وبنا اسم التفضيل من المفعول شاذ كالشغل من ذات النحيين وكون
حماد ابلغ من احمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له اقول هو لم يعين ما قاله وانما ادعى جوازه وانه
اولى لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف الاصل وترجيحه حماد على احمد ليس لابلغيته
بل لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذ فلم ولكنه سمع من العرب في قولهم
العود احمد واثبته العلامة الزمخشري واول من قال العود احمد خداش بن حابس التميمي وقول المص
واكثر الناس حمدا اي محمدية بدليل قوله فهو احمد المحمودين والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم
ساقط لما سمعته انفا واحمد الحامدين هو ما بعده بيان لوجه التسمية بهما ويصح ارجاعه
لكل منهما من غير لف ونشر قيل اسمه احمد قبل محمد في النشاتين فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق
حمده بمحامد الهمه اياه لم يحمده بها غيره فكان احمد من خلق تحت كلمة كن في عالم الخلق والامر ولما ظهر
للثقلين حمده على السنتهم استحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيمة كان احمد الخلق فسمي احمد
فلما عمت الشفاعة العظمى حمده الخلق فسمي محمدا وفيه من التكلف ما لا يخفى ويأتي في كلامه
للسهيلي ومعه لواء الحمد يوم القيمة يشمد معه ان اللواء علم الجيش وهو اكبر من الراية اي انه تحت
امره وفي قبضته وهذا الحديث محمول على حقيقته ليعلم انه صلى الله عليه وسلم نال هذه
المرتبة بتفوقه على كل مخلوق في كونه حامدا ومحمودا ومعنى لواء الحمد انه لواء يتبعه كل حامد
ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بنداء الملائكة معا وباعلان الحمد خلفه ونحوه واصحاب
الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكلمة الانبياء ويحتمل انه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم في اهل
الموقف وعدم التاويل اسلم ليتم له كمال الحمد مبني للمفعول والفاعل واختار البرهان الاول
واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل احد له من غير تردد كما كان في الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه
بقوله ويشهر وفي نسخة ويشتهر في تلك العرصات بسكون الراء ويجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها
وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بنا وجمعها عراص وعرصات وفي التهذيب سميت ساحة الدار

عرصته

عرصته لان الصبيان يعرصون فيها اي يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والمحشر بصفته
الحمد هو الثنا على الجميل الاختياري على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية
باللسان او بغيره وفيه كلام في شرح الزوراء للجلال الدواني ويبعثه ربه هناك اي في العرصات
مقاما محمودا كما وعده بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ونصب مقاما على المفعولية
بتضمين يبعث معنى يعطي وعلى الظرفية لمشابهته للمبهم او هو حال على ما فصل في الكشاف
وشروحه ثم بين محموديته بقوله يحمده فيه الاولون والاخرون اي جميع الخلق لانهم تحت لوائه
صلى الله عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل انه انتفع
تشفع بشفاعته صلى الله عليه وسلم لهم في فصل القضا كما تقدم ويفتح عليه فيه اي في ذلك
المقام من المحامد جمع محمدة بمعنى حمد اي يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمه واصل الفتح ضد
الغلق فاستعير للاعطا والالهام وتيسير الامور كما استعيرا الغلق للصعب ومن بابه لقد اراى
امر ونحوه او لما بعده ان قلنا بجوازه كما مر وقوله كما قال صلى الله عليه وسلم اشارة الى وروده
في الحديث كما تقدم ما لم يعط غيره من الانبياء ويعطي مبني للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل
وسمي الله تعالى لحمله من السياق او هو مجهول وهو الاولى امته في كتب انبيائه كالتورية والانجيل
كما ورد في الاحاديث بالحامدين اي البالغين في الحمد وروى الدارمي عن كعب انه قال نجد مكتوبا
في التورية محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحامدون الى
اخره فحقيق ان يسمى محمدا واحمدا اي بان يسمى لانه يتعدى بالبا وقد يتعدى بعلى كما في حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما في الحجة لابي علي وتفريعه على ما قبله لانه اذا حمد بما لم
يحمد غيره وحمده الاولون والاخرون وكثر حمد امته كان جديرا بذلك ثم في هذين الاسمين محمد
واحمد اي في تسمية الله له بهما قبل وجوده من عجايب خصايصه اي من العجايب التي خصه الله تعالى
بها ولم يسبق لاحد لمثلها وبدايع اياته اي غريب علاماته التي اخترعت وتغيير البديع بالحسن فيه
مسامحة فن اخر اي نوع اخر غير ما تقدم وهو ان الله جل اسمه اي عظم في ذاته وفيه مناسبة
وايماء لعظمة اسم نبيه صلى الله عليه وسلم اذ قرنه باسمه وخصه به كما اختص باسمائه
الحسنى حمى اي منع وصان من ان يسمى بها احد قبل زمانه مع ذكره كما في الكتب القديمة والامم
السالفة كما هو شان نبي اسمه احمد وانما صان اسمه ليعلم اذا سمي بهما انه النبي الموعود به وعد
من الخصايص لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية مع انها اعلام منقولة فلا يرد ان كثيرا
من الاعلام المرتجلة للانبياء وغيرهم لم يسبق تسمية غيرهم بها كادم وشيث ونوح ويحيى
قال تعالى لم نجعل له من قبل سميا اما اسمه احمد الذي اتى في الكتب الالهية السالفة وبشرت
الانبيا كعيسى وموسى كما قال تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وقال تبع الاول كما
نقل في السير ويملك بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام يسمى احمد يا ليت اني عمرت بعد مخرجه
بعام فمنع الله بحكمته اي بسبب حكمته او منع ملتبسا بعلمه وحكمته اتى ستاتونها واظهرها
بعض خلص عباده ان يسمى بها احد غيره ولا يدعى مبني للمجهول بوزن يرمى ان يسمى به مدعو قبله

يسمى قبله قال اكثر العلما ان هذا هو الصواب وما نقل عن بعضهم ان الخضر عليه السلام اسمه احمد
قول مردود واه كما قاله ابن دحية واما احمد بن عجيان بضم العين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية
بزنة سفيان او بفتح الجيم وتشديد البا فلا اصل له وقيل تسمى في الجاهلية قبل الاسلام بزمان
طويل احمد بن ثمامة الطائي واحمد بن دومان البكيلي واحمد بن زيد بن خراش السكسكي ومن القبائل بنو احمد
في همدان وبنو احمد في بكيل وبنو احمد في طي ولم يكن قريبا من عهده ومن تسمى به على انه المبشر به في الكتب
السالفة والامم الملقية فادعى الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه ولم ينازع فيهما بفتح
الزاي المعجمة والبنا للمجهول اي لم ينازعه احد في التسميتين واما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر بيان لمعناه المراد ولذا اتى بقوله بعده فغير في الحديث بالفاء
التفسيرية وفسر مبني للمجهول اي فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة قوله في الحديث وهو صفة له
وقيل علم منقول منها وال للمح الوصفية ولما ترى هنا سوال الا ان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته
كما قيل فان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود في كثير من الناس والبلدان اشار الى دفعها
بقوله ويكون محو الكفر اما من مكة بعد الفتح اذ اظهره الله عليهم ولم يبق بها منه عين ولا اثر وبلاد
العرب الظاهر انه وجه اخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق منه الا ما لا شي
واضمحل حتى صار كالعدم وقد كانت مملوة بالشرك فاستاصله الله على يد خيرته من خلقه وكذلك
قوله وما زوي له من الارض اشارة لما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم زويت لي
الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واصل الزوي بالزاي المعجمة الجمع ومنه
انزوى الجلد بالنار اي انه تعالى جمع له جميع الارض بيد قدرته وطواها في قبضة قدرته حتى نظرها
كلها وبشره بان امته تملكها حقيقة بعد نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم او قبله ان قلنا
ان ما ملكوه منها اعظمها واشرفها وهو الذي ارتضاه المص لقربه ووعد اي الله او النبي صلى الله
عليه وسلم لما ورد في الحديث انه مبلغه اي يصل اليه ويحوزه ملك امته بضم الميم ويجوز كسرها
اي تملكها وسلطانها على الوجه السالف وقد ورد انه زوي له جانبا من الارض واخبره بانه يبلغه
ملك امته ويمحو ما فيه من الكفر لا مضمحلا له حتى يصير ما بقي منه كالعدم وما كان محو الكفر بامره
وشرعه وبركته نسب المحو له صلى الله عليه وسلم فكانه الماحي حقيقة وقد قيل انه كله جواب
واحد وقوله او يكون المحو عاما شاملا لجميع الارض وليس المراد بها ارضا مخصوصة بمعنى الظهور
والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص عام فالمراد بالمحو علو
الدين وغلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غيروه وبدلوه منها وعلو اهله على جميع من عاداهم
لتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله عز وجل هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ويوضحه ان المحو لغة اذهاب الاثر وهو قد يكون
مع بقاء العين وان ما لا اثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون المزيل وما قيل من ان هذا جعله المص
وجها واحدا وحمل المحو على ازالة ايديهم عن تلك الاراضي وجعل بعض اهل الارض كالعبيد بعضهم الجزية
عليهم وجعلهم بازالة نصرهم كالموتى وجعل محو اثار غيرهم كمحو ذواتهم ونسخ اديانهم وكتبهم التي

هي

هي بمنزلة ارواحهم وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة ذواتهم ونحوها من صحايف الوجود ففيه
مجاز باعتبار وجوه مختلفة وقد ورد تفسيره اي الماحي بغير ما مر في الحديث والتفسير المذكور
انه الذي محيت به سيئات من اتبعه بما انعم الله تعالى به على امته من المكفرات وبما قبله
من شفاعته لهم في الدنيا والاخرة والعفو كالمغفرة موافق للمحو لغة ومعنى وهنا مروي
عن المص رحمه الله وقد سقط من بعض النسخ فاسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم
مجاز اذ هو سببه والمعافي والغافر حقيقة هو الله تعالى وهذا من خصايص امته وقد
فسر قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر سيغفر لامتك كما مر وقد روى
هذا التفسير الذي ذكره المص للماحي الحاكم في مستدركه وابو نعيم والبيهقي قال ابن دحية انه
حديث مرسل صحيح الاسناد وقال السيوطي انه متصل ولفظه وانا ماحي فان الله محا بي
سيئات من اتبعه وقال ابن حجر في شرح الشمائل بل معناه ان من امن به صلى الله عليه وسلم
يمحى عنه كفره وما عمله فيه قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفي الحديث
الاسلام يجب ما قبله او يهدم ما قبله وخص بهذا نبينا صلى الله عليه وسلم لانه لم يمح
احد الكفر كما محاه اذ جاء على فترة وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ ما بلغ النيرين والمراد بكونه من
خصايصه ان الله تعالى لطف بامته بلا من المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو مطلق مخصوص لوقوع
خلافه في الايات والاثار كقول نوح عليه الصلوة والسلام لامته استغفروا ربكم انه كان
غفارا وقوله في الحديث وانا الحاشر فسره صلى الله عليه وسلم بقوله بعده الذي يحشر
الناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم في شفاعته العظمى لتخليصهم من هول الموقف
والمحشر وتعجيل الحساب لانه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين على قدمي بالتخفيف والتشديد
كما مر في رواية على عقبي ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للمحشر وليس بمراد فسره بقوله اي
على زماني وعهدي وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفا في عصرهم ثم قال اي ليس بعدي
نبي كما قال وخاتم النبيين فهو اما تقدير مضاف اي على اثر قدمي من غير فاصل والمقدم سواء
كان مفردا او مثنى ما يتبعه الناس فيه وهو الشي بعينه وقال الكرماني معناه على اثري كما جاء
على عقبي وعلى زماني ووقت قيامي على القدم بظهور علامات الحشر فيه اذ لا نبي بعده ويحتمل
ان يريد اول المحشور لانه صلى الله عليه وسلم اول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم
معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويتجوز بها عن معان اخر كما في الاساس فيقال جعله
تحت قدمه اذا عفا عنه وله قدم في كذا اي تقدم فتسب له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب
فيه ثم انهم يحبسون في المحشر حتى يشفع لهم فهو حاشر في هذا المحشر الثاني الى مقرهم من جنة او نار
فيتبعه صلى الله عليه وسلم جميع الخلائق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد في رواية
من روى قدمي بالتشديد مثنى وقول الكرماني ويحتمل الخ سبقه اليه الخطابي وان كان ظاهره
انه من بنات افكاره وارتضاه ابن دحية وما ذكره المص وان سبق اليه فيه حقا الا ان يريد
ان القدم مجاز عن الاكثر كناية او مجازا الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطي وصف نفسه

بالحشر في قوله ويوم نحشرهم فيكون هذا من اسمائه التي سمي بها فان سلم ما قاله كان ما قبله كذلك
وحشر الناسخ وقت نبوته لبقاء ملته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع لخفلا يرد عليه ان الساعة
تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وتقدم انه كونه خاتم النبيين اي اخرهم او من ختموا به
على قراة الفتح لا ينافيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه ينزل تابعا له صلى الله عليه
وسلم عاملا بشرعه ولذا يدفن عنده لانه اخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله عليه وسلم
اخر من بني وعيسى نبي قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول وقيل سمي حاشرا لانه حشر بني
النضير من حصونهم وخرب ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبيا
عليهم الصلوة والسلام اي خلفهم في الخير ومنه عقبا لرجل لولده وفسر بانه لا نبي بعده فان
العاقب الاخر وقد فسر في حديث مروي عن ابن جبير فهو اصح واحسن وفي الصحيح وانا العاقب الذي
ليس بعده نبي وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد القوم فمعناه خليفة الله لانه احق
بخلافته من جميع الرسل ومن الغريب ما قيل انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله تعالى
يلبسهم اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف وقيل معنى على قدمي انه يحشر
بمشاهدتي اي بقربه ومعنى بعواقبي من يسبق للناس في القيام من القبر كما قال تعالى لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة
والجمهور على ان الشهادة بالحقيقة كما ورد في الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو
صلى الله عليه وسلم يشهد لامته بالصدق وهو معنى جعلهم امة وسطا اي عدولا اخيارا
كما جر بيانه وقيل على بمعنى قدمي على متابعي قال الله تعالى لهم قدم صدق عند ربهم وقيل معنى على قدمي
اي قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيامة وقيل معنى قدمي سنتي واخر المصر هذا وهو متعلق بما
قبله من معنى الحاشر اشارة الى انهما بمعنى ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم في خمسة اسماء جواب
عن سؤال مقدر تقديره ان له صلى الله عليه وسلم اسماء كثيرة فجعلها خمسة او عشرة ان قلنا
بمفهوم العدد مخالف للواقع والاقتصار زيادة بغير فائدة قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
المنزلة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالتورية والانجيل وعند اولي العلم من الامم
السالفة اي السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة ورد منه لما سياتي من انه صلى الله
عليه وسلم له اسماء اخر في الكتب القديمة ايضا وكون العدد لا مفهوم له لا يدفع السؤال
كما توهم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يقف على هذه الزيادة حتى ذكره بعيد والله اعلم بوجه
التخصيص فيما ذكر وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو نعيم في الدلائل وابن
مردويه في تفسيره من طريق يحيى التيمي وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي
الطفيل لي عشرة اسماء وقد تقدم انه لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث وذكر منها طه
ويس كما حكاه مكي تقدمت ترجمته وقد تقدمت هذا وانما اعاده ليتبعه بتفسيره الذي
ذكره وقال ابو بكر بن العربي في احكام القران اختلف الناس في معناه على اربعة اقوال الاول
انه اسم من اسماء الله تعالى قاله الامام مالك وروى عنه اشهب قال سالته هل ينبغي لاحد

ان يسمي

440

ان يسمي بيسين قال ما اراه ينبغي لقوله تعالى يس والقران الحكيم اي هذا اسمي بيسين الثاني قال ابن
عباس رضي الله عنهما يس يا انسان بالحبشة ويا طه ويا رجل وروي عنه انه اسم الله كما قاله
مالك الثالث انه كني به النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له يس اي يا سيد كما ياتي الرابع انه
من فواتح السور وروي عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سماني الله
تعالى في القران سبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وهذا حديث
لم يصح وروى اشهب عن مالك كما لا يسمى احد بيسين لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك
ان العبد يجوز له ان يسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك
من التسمية لانه من الاسماء التي لا يدرى ما معناها فربما كان ذلك معنى ينفرد به الرب فلا ينبغي
ان يقدم عليه من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال تعالى
سلام على ال يس قلنا ذلك مكتوب بهجائه فتجوز التسمية به وهذا ليس بمتهجى وهو الذي
تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس الا ان فيه بحثا لان تجويزه
للتسمية به من وجه ومنعه من اخر وانه عند التلفظ لا يعرف منه الهجاء وعدمه الا لهم
الا ان يقال مراده النع في غيرها ورد في القران فتدبر سلكه قوله تعالى سلام على ال يس فيها
قراتان القراة الاولى الياسين بوزن اسماعيل وفيها وجهان احدهما انه اسم النبي الياس
والياس والياسين كميكال وميكائيل والثاني انه جمع الياس واصله الياسيين فخفف بحذف
احدى اليائين كالعجمين ونقل عن سيبويه والقراة الثانية ال يسين وفيها وجوه احدها ان ياسين
اسم والثاني ان ال يسين ياسين نفسه والثالث انه على حذف يا النسب وال من على دينه من اشياعه
والرابع ان ياسين القران والخامس انه محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل في بعض تفاسيره
طه انه يا طاهر يا هادي على انه اسم النبي صلى الله عليه وسلم رواه السيوطي عن ابي الطفيل
وتقدم انه قيل من اسماء الله وما ذكره السيوطي مروي عن الواسطي واراد به ان كلا يعرف منه ويروى
بعض من اسم فالطا من طاهر كل عيب وذنب والها من هادي كل خير فهو اسم مركب من حرفين
كما في الم وفي البخاري عن سعيد بن جبير معناه يا رجل بلغة عك وقيل هو معناه اطمئن وقيل
معناه طا الارض والها ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية فعرب وقيل هو بالقبطية وهي
لغة اهل سواد العراق وقيل معناه بلغه وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طا الارض والها
ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية فعرف وقيل هو بالنبطية وهي لغة اهل سواد العراق
وقيل معناه بلغة عك يا حبيبي وقيل طوبى لمن هدى وقيل في بعض تفاسيره يس انه يا سيد
حكاه السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن كما تقدم في ترجمته من الواسطي نسبة
الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته وجعفر بن محمد هو جعفر الصادق الامام المشهور
كما تقدم وهذا مروي في سمائه عن ابي الطفيل ورواه البيهقي في دلائله مسندا وقال السهيلي
لو كان من اسمائه لقيل يا يسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روي عن الكلبي انه
قراه بالضم ايضا وقيل معناه ايا انسان بلغة طي واصله يا انيسين فاقتصر على بعض منه

وقد بسطنا الكلام عليه في حواشي البيضاوي وكذا فيما مر اوايل الكتاب وقيل معناه يا رجل
يا سيد البشر وذكر غيره اي غير الواسطي انه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عشرة
اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول الذي سمعته انفا وزاد عليها وقال وانا رسول الرحمة
لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الا نقاذهم من العذاب في الدنيا والاخرة فمن
اتبعه نجا في الدنيا من القتل ومن ذلة الكفر والجزية وفي الاخرة من العذاب المخلد والخزي الابد
واراحهم من التعب فيها فلذا سمي بذلك كما قال ورسول الراحة لانه صلى الله عليه وسلم راحة
للمؤمنين في الدنيا بما كان في الامم السالفة من الاصر والشاق بما في شريعته من الرخص والتخفيفات
وفي الاخرة راحتهم العظمى لامنهم وتعبهم ازالة ورفع التكليف عنهم وراحة للكافرين بتركه قتلهم
وسبي ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا في حرم الايمان امنين وامنت امته من عموم الخسف والمسخ
وسترت عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى الله اصبح وقد كتب على باب داره فلان فعل الليلة
كذا وكذا وسميته صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة رواه ابن ماجه والحاكم مسندا عن ابي هريرة
وصححوه وورد في بعض طرقه نبي الراحة وما سبق انسب بالاية ورسول الملاحم جمع ملحمة وهي
الحرب والقتال سميت بذلك لالتحام الابطال فيها اي ازدحامهم فيها لانه صلى الله عليه وسلم
ارسل بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع لنبي ولا امته من الجهاد والقتال ما وقع له صلى الله عليه
وسلم ولامته ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى بن مريم عليه السلام
وهذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه رحمة حقيقة اذ في قتاله غنيمة المسلمين
وهدايته بعض الكافرين الى الاسلام وامن دار الاسلام وغير ذلك مما لا يحصى والجواب بانه
صلى الله عليه وسلم رحمة لاوليائه حرب لاعدائه مع ما فيه لا ينافي كونه رحمة للعالمين وانا المقفي
فقفيت النبيين كلاهما بتشديد الفاء كما قال تعالى ثم قفينا على اثارهم وهو اما بمعنى التابع الذي
جاء على اثرهم لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه صلى الله عليه وسلم وقف
على احوالهم وشرايعهم فاختار له الله من كل شيء احسنه وكان في قصصهم له ولامته عبر
وفوائد او المراد انه خاتمهم واخرهم ووقع في بعض النسخ المقتفي بزيادة التاء الفوقية واقتصر
عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبي ثم قال ان المقفي ذكره غير الطيبي ولم يرد به نص صريح وفيه
نظر وانا قيم بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد وفسره المص بقوله وايقم الجامع الكامل اي الجامع
لمكارم الاخلاق النفيسة الكامل فيها او الجامع لشمل الناس بتاليفه بينهم وجمع شتاتهم لان
القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر الدين كما قاله ابن الاثير لما ولد النبي صلى الله
عليه وسلم كما رواه الامدي بدلت دنيا بعد دين قد ندم وكنت في الدين كاني في ظلم باقيم الدين
اقمنا نستقم كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني ملك فقال انت قيم وخلقك
قيم اي مستقيم حسن وفي النهاية القيم القايم بامور الخلق ومدبر العالم في جميع اموره
وهو مرادف للقيوم الذي هو من اسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء
من اسماء الله تعالى بمعنى يليق كالقيم اذا كان بمعنى القيوم كما يسمى بغير ذلك من اسمائه والقيم ايضا

من اسماء الله

من اسماء الله تعالى كما ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم انت قيم السموات والارض
ومن فيهن وقال ابن دحية هو بمعنى القايم كما نقله السيوطي في الرياض الانيقة كذا وجدته اي
تسميته صلى الله عليه وسلم بالقيم في كتب الحديث ولم اروه بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين
الاني وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستانس به
وهذا رواه الديلمي في مسند الفردوس وفي النهاية الاثيرية ايضا كما مر واري ان صوابه بحسب الرواية
قثم بالثاء المثلثة المفتوحة المخففة وضم القاف فراي انه مصحف عليهم وهو معدول عن قايم
ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحاق في حديث عن ابي جعفر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاني ملك فقال انت قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة قال ابن دحية
في اشتقاقه معنيان احدهما من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطا ان اعطاه فسمي صلى الله
عليه وسلم بذلك لوجوده وعطائه والثاني من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير والمناقب
وقد علمت ما فيه كما ذكرناه بعد بالبناء على الضم اي فيما سياتي عن الحربي قال البرهان لعلهم ابو اسحاق
الحربي واسحاق بن الحسين الحربي ثقة حجة سمع من هوذة وحسين بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطني
وصحح عليه في الميزان وذكر الذهبي انه مبهم وهو اشبه بالتفسير يعني انه اقرب شبها بتفسيره المأثور
بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجتمع ايضا كما تقدم انفا وقد كان عبد الله ابو النبي
صلى الله عليه وسلم يكنى بابي محمد وابي قثم وقالوا انه الجامع للخير ولشمل امته وثاني
ان هذا الاسم معروف في جماعة من اهل البيت منهم قثم شقيق الحارث عم النبي صلى الله
عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة قثم ايضا وقثم بن
عبد الله بن العباس ثم عاد المصنف لذكر القيم بالتحتية واشار الى ما يصححه فقال ووقع
ايضا في كتب الانبياء المنزلة من السماء كصحف ابراهيم وداود قال داود صلى الله عليه وسلم
اللهم اي يا الله ولحقها الميم في اخر هذا الاسم ايذانا بجميع اسمائه وصفاته فالسائل اذا قال
اللهم فكانه قال ادعو باسمائه وصفاته فاتى بالميم المؤذنة بالجمع في اخره ايذانا بسؤاله باسمائه
كلها ولذا قال العطاردي اللهم فيها تسعة وتسعون اسما وقال النضر بن قال اللهم فقد عاذ الله
بجميع اسمائه ووجه هنا بان اللهم بمنزلة واو الجمع فانها من مخرجها فكان الداعي بها يقول يا الذي
اجتمعت له الاسماء الحسنى والصفات العلى وشددت لتكون عوضا عن الواو والنون
في نحو مسلمون ابعث لنا محمدا يقيم السنة اي الطريقة الشرعية والدين بعد الفترة اي انقطاع
الوحي والرسل وضميرلنا للناس فقد تكون القيم بمعناه اي بمعنى المقيم للسنة الماخوذ مما ذكر
لدلالته بمادته عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى وقد
قالوا انه اسمه في الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفي التورية كما نقله السيوطي ولن يقبضه الله
حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل هي الشريعة والتوحيد
والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد خلص ما بين عيسى ونبينا صلى الله
عليه وسلم واصل معناها الضعف وتسميته ترك العبادة فترة منه فليس معنا

اصلياكما توهم فان كان ضميرلنا له ولقومه فجمله ابعث الدعائية لتمني ان يبعث في زمنه و قيل ضمير
بمعناه لقثم بالمثلثة وفي كتاب فضل الصلوة على النبي لابن القيم ان اللهم لا تستعمل الا في الطلب
نحو اللهم اغفر لي قلت وهذا ينافي قوله بعد هذا انه يسوغ استعماله في موضع لا يكون بعده
دعا نحو اللهم لك الحمد واليك المشتكى فتأمله وروى النقاش تقدمت ترجمته عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال في القران سبعة اسماء تقدم المراد بالاسماء وانها تشمل الصفات
عن الاعلام ثم ذكرها فقال محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله تقدم الكلام
على بعضها وسيأتي تتمته وكلها من القران معلومة في اوايل السور وغيرها كقوله وانه لما قام
عبد الله يدعوه واقتصر على هذه لشهرتها والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبي والخاتم
والروف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه
او المراد ما يختص به كما يشعر به تقديم الخبر والجواب بان روف ورحيم صفتان لا اسماء في النظم
الجاري كما في قوله بالمؤمنين روف رحيم ثم استفيد كونهما اسمين بعد القران عن مسلم لما
وقوله في القران يشير الى ان له اسما اخر ليس فيه وفي الصحيحين في فترة الوحي بينا انا امشي
اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا على كرسي بين السماء والارض
فرعبت منه ورجعت فقلت زملوني وفي رواية ودثروني فانزل الله تعالى يا ايها المدثر
قم فانذر فالمدثر والمزمل اسمان من الحالة التي كان عليها حين النزول والمدثر المتلفف في الدثار
وهو الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلبت وادغم كما هو معلوم من علم الصرف
وقال ابن الورد انما انزل يا ايها المدثر عقيب زملوني لان هذا التزمل اريد به الدثار من برد
يعتري المروع كما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي عليه فخاطبه بما طلب من تزمله
اي يا ايها المتزمل المتدثر دع الدثار وجد في الانذار تأنيسا له من الروع ولتنشيطا له على فعل
ما امر به كما تقول لمن ارسلته لامر فتخوف وتثبط عنه يا ايها المتخوف امض لامرك وقال السهيلي
في ملاطفة لانه ورد انا النذير العريان فوصفه بالانذار مع الدثار تلميح بالطباق وهو نوع
بديع وكان تدثره صلى الله عليه وسلم تعطيفه في بيت خديجة وذكر عايشة بدل خديجة
خطاء لانه كان بمكة وعايشة انما كانت معه بالمدينة وقيل معناه المتدثر بالقران وقيل
معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة من المزاملة فهو استعارة تصريحية وقال السهيلي ليس المزمل
من اسمائه صلى الله عليه وسلم وانما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب
تفعله ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام على الارض
قم يا ابا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة رضي الله عنها من المغاضبة وما روى عن عايشة
رضي الله عنها انه كان بمرطها مرطا طوله اربعة عشر ذراعا نصفه عليها وهي نائمة لا اصل له فان
نزول يا ايها المزمل بمكة ودخوله صلى الله عليه وسلم على عايشة انما كانت بالمدينة وقد
علمت ان عبد الله سماه الله تعالى به في ايات والعبودية اشرف صفاته صلى الله عليه وسلم
واصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان فيقال لا وقال المشائخ العبودية

القيام

القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه بمعنى المقصير وفي بعض النسخ وفي
حديث ابن جبير بن مطعم مما اي اسماؤه صلى الله عليه وسلم ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب
وقد علمت معانيها وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يسمي لنا
نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي وفي رواية كما تقدم المقفي والحاشر ونبي التوبة هذا الحديث
اسنده السيوطي في الرياض الانيقة وقدم تفسير هذه الاسماء غير الاخير ومعناه ان توبة امته
مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها او يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل
توبته اصلا ومنهم من يقبل توبته بشرط امور شاقة كما لم تقبل توبة بني اسرائيل من عبادة العجل
الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر قوله تعالى
ان الله يحب التوابين بشرط الندم والعزم على عدم العود ورد الحقوق للعباد او استحلالهم ونحوه
كما فصلوه في محله فهو لا ينافي قبول توبة هذه الامة في الجملة ونبي الملحمة تقدم تفسيره ونبي المرحمة
والرحمة وكل صحيح ان شاء الله رواية ودراية كما تقدم ايضا ومعنى المقفي هو معنى العاقب كما مر
مفصلا والاولى تفسير كلا منهما بمعنى هربا من التكرار فمعنى المقفي التابع لهدى النبيين وسننهم
والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة واليه اشار بقوله وقيل معنى المقفي المتبع لهدى النبيين
وانما نبي الرحمة والتوبة تاتي جواب اما وقيل معنى نبي التوبة انه كثير التوبة والاستغفار لنفسه لقوله
صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة والمرحمة والراحة لان
من رحمه الله تعالى فقد اراحه من القعاب واذا اعلمه بذلك اراحه من المتلق والضجر فقد قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه نبي الملحمة
والسيف اي القتال بما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور
المعجزات يعذب بالاستيصال فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد بسيفه ليرتدعوا
عن الكفر ولا السيف فيه بقية لهم ويؤيده نزول ملك الجبال عليه صلى الله عليه وسلم ليطبقها
عليهم وتجاوزه ذلك رجا ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر واثابهم الكثير على العمل
القليل مع قصر اعمارهم وقد اثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة اعمالهم باقل من ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء وفي جعله صلى الله عليه وسلم عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة ظاهرة
كما وصفه اي مثل وصفه الذي وصفه به في هذه الاية ووصفه له في غيرها بانه يزكيهم اي يطهرهم
من الاخلاق الذميمة والاثام المدنسة لهم بقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين وقيل للامته
ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي العلوم النافعة والعقايد الحقة ومعاني القران
وفسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القران ايضا والحكمة من الله
تعالى معرفة حقايق الانبيا وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل
الخيرات وهو الذي وصف به لقمان ويصح ارادته هنا ايضا ويهديهم الى صراط مستقيم اي يدلهم
على طريق لا عوج فيه بالوحي والشريعة يوصلهم الى سعادة الدارين وبالمؤمنين روف رحيم
قدم متعلقه للتخصيص وللاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القران

قصد اللاقتباس عن مشكاته وتقديم الرؤف كما مر لان الشفقة والتلطف بالنعم عليه وهو مقدم
على ما مر وقيل من انه قدم للفاصلة وخفة التأخير بناء على انه اشد الرحمة تقدم رده وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم او الله في غير القران اذ لم يقع فيه بهذا اللفظ في صفة امته انها امته
مرحومة في الدنيا والاخرة في الحياة والممات والامة امة الدعوة او الاجابة وقد قال تعالى فيهم
اى فيحقهم وشانهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة معطوف على جملة المصلة في قوله تعا
الذين امنوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وبالرحمة على خلق الله
فبعثه الله وفي نسخة فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه رحمة لامته متفرع على ما قبله باعتبار
العلم والظهور وهو في الحقيقة سببه ورحمته المختصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له او حال
من الله او من ضمير النبي مفيدا حالهم ورحمة للعالمين ورحيما بهم اى جعله عين الرحمة لارشاده
لهم ولطفه بهم وحمله على ذلك فلا تكرار فيه مع ما قبله ومترحما ومستغفرا لهم اى داعيا لهم بالرحمة
والمغفرة لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم ففيه حسن ترتيب وايهام للتاكيد وجعل
امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة لاجابة دعائه وتحقيق رجائه لهم ويجوز ان يكون بيانا
لما لاعتنائه به وتفصيله وامرها اى الامة صلى الله عليه وسلم بالتراحم واثنى عليه
اى امر امته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب من عباده
الرحماء وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن وهذا خبر لفظا امر معناه الا
فلذا اردفه بصريحه بقوله ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء بالرفع والجزم وحديث
ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل ويؤخذ من كونه صلى الله عليه وسلم رحمة انه
لا ينبغي ان يدعى له بالرحمة فيقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقي بان كونه رحمة للعالمين
من جملة الرحمة فهو دليل لهم لا عليهم وما ورد في الحديث يتبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم
وروده في غيره وسيأتي تفصيل في بحث الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم واما روايته
الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهي صحيحة متنا وسندا كما ذكره المحدثون
وظاهره معنى لانه صلى الله عليه وسلم فرض عليه القتال واحلت له الغنائم ونصر بالرعب
ووقع له من الحرب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقي ذلك في امته الى يوم
القيمة وما احسن ما قيل جمع الشجاعة والخشوع لربه ما احسن المحراب في المحراب فلاختصاصه
بذلك اضيف له وروى حذيفة وفي نسخة عن حذيفة وهذا رواه احمد والترمذي في الشمائل
مثل حديث ابي موسى الاشعري السابق اى بمعناه ولفظه وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي
الملاحم بالجمع للكثرة اشارة الى انه اختص بكثرتها وروى الحربي تقدم ذكره وانه متعدد ولم
يعينه المصنف رواه ابو نعيم في الدلائل عن ابي لبس بن ميسرة في حديثها انه صلى الله عليه وسلم
بيان لانه مرفوع قال اتاني ملك فقال انت قثم بالثاء المثلثة كما مر اى مجتمع اى مجموع فيك
كل كمال وخير مكنى عن ذلك بكونه مجتمع في ذاته ولذا اعقبه بقوله قال والقثوم الجامع للخير
كله في ذاته ولغيره وهذا اسم له صلى الله عليه وسلم هو في اهل بيته معلوم منهى.

غيره

غيره كما تقدم هو وتفسيره وقد جاءت من القابه وهي اسمائه المنقولة واللقب ما اشعر بمدح
واما قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب لمخصوص بما فيه ذم مؤذ كما ذكره المفسرون وسماته
بمعنى صفاته او هو عطف تفسيري والسمة في الاصل الوسم والكي ثم عم لكل علامة واشتهر
بمعنى الصفة والمراد الصفات الواردة في القران لان اكثر ما فيه صفات منزلة منزلة
الاعلام عدة كثيرة سوى ما ذكرنا مما تقدم ذكره ومنها ما هو حقيقة ومنها ما هو استعارة
كالنور والسراج المنير كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وقال وسراجا منيرا وفسر بالنبي
صلى الله عليه وسلم فانه نور لا ينطفي ويابى الله الا ان يتم نوره وهذا بناء على ما اختاره
ومنهم من فسره بالقران ولكل وجهة والذي حققه المشايخ نور الله تعالى مراقدهم كما في
مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم
مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التي يفيض بعضها على بعض
قال والنور الحقيقي هو الله فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعري انه نور
ليس كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار وبها
سرح في هيكل النور ولذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم نورا ولاقتباسه من الانوار الالهية
سمي سراجا لما فاض عليه من الانوار العلوية فليس لو صف به نفوا ولا موكدا فان فهمت
فنور على نور فهو في الاصل استعارة ثم ان كان سمي به صار حقيقة عرفية والمنذر والنذير
وهما مشتقان بمعنى واصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالى انما انت منذر ولكل
قوم هاد وقال اني انا النذير المبين وفي البخاري انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل
اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاة فاطاعه طائفة
من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب
ما جئت به من الحق والنذير للمبالغة في صدقه وجده في انذاره ووصفه بالعريان لانه
ابلغ في انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح بها اذا صباح تاكيد الانذاره والمبشر
والبشير قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ونحوه من الايات وهما من البشارة
بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخير سار وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم وسميت بها لتغير
بشرة الوجه اى ظاهره وقيده بعضهم بالخبر الصادق وبنوا عليه ما لو علق عليه
طلاقا او عتاقا كما بين في كتب الفقه والاصول وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقد
ذلك كله وقال السيوطي انه من اسماء الله ايضا لقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وفيه نظر والشاهد والشهيد قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم
شهيدا ونحوه والشهادة كما في الصحاح الخبر القاطع واصل معنى الشهادة المعاينة
وسمي به شهادته على الامم تبليغ انبيائهم لهم وتشهد على امته بالايمان كما ورد في الحديث
قالوا الشاهد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم او الشاهد على عباده يوم القيمة

ثم سمي به صلى الله عليه وسلم والحق المبين قال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال لقد جاءكم
الحق من ربكم ونحوه وفسرا به صلى الله عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام
بان الصدق نسبة الشيء الى الواقع والحق نسبة ما في الواقع الى الشيء من حق اذا ثبت وسمي به صلى الله
عليه وسلم لحقية نبوته ورسالته وما جاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من ابان ويكون
متعديا ولازما بمعنى تبين فمعناه الظاهر في نفسه والمظهر لغيره قال تعالى لتبين للناس ما نزل
اليهم والمبين من اسمائه تعالى لتبيين الوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده امر معادهم ومعاشهم
وشرايعهم وخاتم النبيين بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم الة كطابع كانه ختمهم بنفسه فهو
استعارة في الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين من ختمت الامر
اذا تممته وبلغت اخره وفي الصحيحين مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا واحسنه واكمله الا
موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فانا
تلك اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة ولئلا يطول مكث امته
تحت الارض ولئلا تطلع الامم على احوال امته ولئلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه السلام
على شريعته كما تقدم والرؤف الرحيم تقدم معناهما مفصلا والامين فعيل بمعنى مفعول مبالغة
ويكون بمعنى فاعل كقوله وهذا البلد الامين وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع في القران
في قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين في قول بعض المفسرين
المراد به النبي صلى الله عليه وسلم كما مر وان كان المشهور خلافه وانه جبريل وقال المص انه قول
اكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انا لم نعلم في القران في غير هذه والواحدي خلافه الا
انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هود ونحوه كقوله في موسى اني لكم رسول امين
وفيه تكلف وقد سمي به وبالمامون في الجاهلية قال كعب بن زهير سقاك بها المامون كاسا روية
فانهلك المامون منها وعلكا وروي انه لما تشاجرت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا اول من يدخل
من هذا الباب يضعه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا قد جاء الامين لانه
كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودايع والامانات وقدم الصدق كما عده كثير
من اسمائه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن زيد بن اسلم في قوله تعالى وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم قال هو محمد صلى الله عليه وسلم ومر الكلام عليه مفصلا
اول الكتاب وعن علي كرم الله وجهه كما اخرجه ابن جرير وغيره انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه
اشارة الى وجه التسمية من انه تبشير بان يشفع لهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له
فعلى هذا انه سماه الله تعالى به وكذا روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان معناه شفيع
مصدق ومر عنه في كلام المص شفيع صدق عند ربهم ومر فيه عن سهل ان معناه سابقة
رحمة اودعها الله تعالى اي عهد له بها ازلا انه رحمة لهم ولذا عقبه المص بقوله ورحمة للعالمين
فهو كالتفسير له والقدم ولحد الاقدام ويطلق على التقدم لانه يكون بها ويقال لفلان
قدم اي مقدم كما قال ذو الرمة لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر ركوة

رحمة لجميع العالمين كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقدم الكلام عليه
ونعمة الله فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى بدلوا نعمة الله كفرا
قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم فسمي نعمة كما سمي رحمة وذلك حقيقة
لمن اتبعه ولذا قالوا والعروة الوثقى قال ابن دحية وابو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى هو محمد صلى الله عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى
الوثيقة المتينة ففيه استعارة تمثيلية تصريحية لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما
ان من مسك حبلا متينا صعد من حضيض المهالك ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم الصراط
المستقيم ذكره ابن دحية وقال ابو العالية في قوله اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله تعالى موصل له وتقدم
ان الصراط بالصاد والسين والزاي المشمة الطريق المستوي او الواضح والمستقيم الذي
لا عوج فيه فاستعير له صلى الله عليه وسلم لان التابع له واصل لعادة الدارين ناج والمنحرف
عنه ضال غير مهتد فلذا عقبه بقوله والنجم الثاقب اشارة لقوله وبالنجم هم يهتدون وروي
عن السلف في قوله تعالى والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قلبه وقيل يعبد
وقدم هذا وما قبله في كلام المص عن جعفر الصادق في تفسير والنجم اذا هوى وان الثاني يعني
المعنى المتوهج قال اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه وهو تشبيه
بليغ او استعارة من مطلق النجم او من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به صلى الله عليه وسلم
كما يهتدى بالنجم او لانه استنارت به ظلمة الجهل فان رخص برجل فوجه الشبه الاضاءة مع
الرفعة كما قيل والكريم المتفضل او العفو او الكثير الخير او العلي كما ياتي وكله صحيح في حقه صلى الله
عليه وسلم وسمي به في قوله تعالى انه لقول رسول كريم بناء على انه المراد وقيل المراد جبريل كما ياتي
والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته بهذه الاية لاتصافه صلى الله عليه وسلم
بمعناه في الاحاديث الصحيحة والنبي الامي قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو
من لا يقرا ولا يكتب وقيل هو الذي يقرا ولا يكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه اقوال
احدها وثانيها هذان وقيل كان يقرا ويكتب وقيل كان لا يقرا ولا يكتب في اول امره لما زالت
الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء العرب ومن تبعهم وسياتي
تفصيله مع انه تقدم مرارا والامي منسوب الى الام كانه على الحالة التي ولدته امه عليها او الى
ام القرى وهي مكة او اي انه قوي العرب وكني به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة
فيهم وقيل منسوبة الى الامة لانه امة بنفسه وامية معجزة له صلى الله عليه وسلم وان عدت
منقصة لغيره لانه مع ما ظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته بالاخبار السالفة
للامم وشرايعهم وهو لا يقرا ولا يكتب ولم يدارس ولم يتلق من قراء وكتب امر عجيب والمقصود
من القراءة والكتابة ذلك لانها الة وواسطة له غير مقصودة في نفسها فاذا حصلت له الثمرة
المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع ما في ذلك من الرتبة والاستغناء بكتابته عن ملاقاة

كما قال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروى انه صلى الله
عليه وسلم قال اريد الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله رواه الترمذي ولم يسنده مجازاه
الله على ذلك ان يرفع ظله من الارض ولا يرلها وان لا ترفع الاصوات على صوته وسيأتي ان
من وصفه صلى الله عليه وسلم بالامية على وجه يشعرها بالتنقيص له حكم الساب وداعى الله
اى داعى الناس الى توحيد الله تعالى وطاعته كما قال وداعيا الى الله باذنه واجيبوا داعى الله ونحوه
وفي الحديث الصحيح ان ربكم فتح دارا وصنع مادبة ثم اجاب الداعى رضى عنه السيد ودخل الدار
واكل من المأدبة قال سيد هو الله والداعى محمد والدار الاسلام وقال البخاري الجنة وكذا المأدبة
قال السيوطي وقد وصف الله تعالى نفسه بانه داع في قوله والله يدعو الى دار السلام فهو
من جملة اسماء الله تعالى التي سماه بها وقال على لسان الجن اجيبوا داعى الله ففيه دليل على انه صلى الله
عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبي قبله وفسر قوله بعثت الى الاسود
والاحمر والانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه الصلوة والسلام وقد يوفق بينهما
بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله لا يرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبي
صلى الله عليه وسلم مامور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشريعته ولم يؤمر باستخدامهم في اوصاف
كثيرة وسمات جليلة عظيمة مجملة اى ورد ماذكر في القران والاثار مع صفات اخر كثيرة اطلقت
عليه كالاطلاق الاسم على مسماه فجعل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوى على مظروف وقد
وسمات جمع سمة وهي العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالمرسل للانف وشاع حتى صار
كالحقيقة او بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للمتقين في العبادة وجرى بها
وكتب الله المتقدمة مثلها اى وقع منها في كتب الله المتقدمة على القران كالتورية والانجيل وغيرها
وجرى حقيقة اسرع من المشي وفي المايعات بمعنى سال كجرى النهر ثم شاع عرفا بمعنى وجد ثم فيقال
جرى الماء على كذا ولذا تلطف الشاعر في قوله ومحدث الماء الزلال مع الصفا فجرى النسيم عليه
ليسمع ماجرى وكتب انبيائه قيل المراد بها كلمات منقولة فان لهم عليهم الصلوة والسلام احاديث
دونها احبارهم في زمانهم قبل نسخ احكامهم ونقلها المسلمون عنهم ودونها كالاسرائيليات وهذا
يعلم من مقابلتها لما قبله ولاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الواقع منها وصفه او تسميته
لنفسه او قالها اصحابه بنقل عنه وبدونه وهذه كلها تسمى احاديث ايضا واطلاق الامة غير
الصحابة او المراد الاعم اى تسميتهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى
استعماله سواء كان حقيقة ام لا مشهور متعارف وهو في الاصل من الاطلاق بمعنى فك
الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكروا اسماؤه صلى الله عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم
كاسماء الله فما اشتهر فيها وتلقى بالقبول في حكم المنقول فان الامة لا تجتمع على الضلالة وقد وقع
هكذا في كثير من اسمائه وصفاته جملة شافية فاعل جرى من شفا المريض اى شافية من الجهل
او من شفا الغليل وهو حر العطش لانه يروى الظما ويثلج الصدر كتسميته بالمصطفى والمجتبى
هذا مما اطلقه عليه الامة ولم يرد في كتاب ولا سنة وهما بمعنى وفي الصحاح اجتباه بمعنى اصطفاه

والختار

والختار واصله كما قال الراغب من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته لجمعه صلى الله عليه وسلم
المكارم والصفات الحميدة بفيض الهى من غير سعى كما قال الله تعالى يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه
من ينيب قال السيوطي المصطفى من اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم ومثله المختار وفي مسند
الدارمي ان في التورية محمد رسول الله عبدى المختار الخ وابى القاسم وهذا اشهر كنية له صلى الله
عليه وسلم كما يأتي وابو المؤمنين وابو الارامل كما ذكره السيوطي وهذا ورد في الحديث الصحيح
ففي مسلم عن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي
فاني ابو القاسم اقسم بينكم ويأتي الكلام عليه في اوائل القسم الرابع ومثله ما في كتاب الذخاير
والاعلاق في ادب النفوس ومكارم الاخلاق انه كنى به لانه يقسم الجنة بين اهلها يوم القيمة
والذي جزم به اهل السير انه كنى بابنه القاسم وهو اول اولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة
ولادة ووفاة وظاهر النهي عنه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعي
وقيل انه جائز بعد موته صلى الله عليه وسلم والنهي مخصوص بحياته ورجحه النووي ووجهه
ان النهي عن ذلك لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره فيجد المنافقون فرجة لاذاه وهو يزول
بوفاته صلى الله عليه وسلم ولذا لم ينه عن اسمه مع ملع الله من ندائه به وفي قول يحرم لمن اسمه
محمد دون غيره لما روى عن جابر مرفوعا من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي ويأتي بسط ذلك في القسم
المذكور قال السبكي وحيث حرمنه فالمحرم التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو
قبول المسمى لذلك واما الاطلاق فامر ثالث الا ان يكون ذلك الشخص لا يعرف الا به فيكون
عذرا واختلفوا في عمر ابنه القاسم فقيل سنتان وقيل غير ذلك والحبيب وحبيب الله وهذا
ثبت بالحديث الصحيح الذي رواه البيهقي في الشعب عن ابي هريرة رضى الله عنه واتخذ الله ابراهيم
خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا وقال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي وقد مر
الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على انهما افضل وهذا الحديث صريح في تفضيل
المحبة لان لها معنيين احدهما مطلق وهو في الخلق مطلق الميل وفي الله ايثاره وتفضيله على غيره
وخاص وهو في الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله نصب عينه بحيث لا يفتر عن ذكره وتمكنه
لقلبه بحيث لا يكون فيه محل سواه والخلة المودة والمعاونة مع ميلها ولا شك انها بهذا
المعنى افضل واعلى فقول ابن القيم في كتاب الداء والدواء ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة
اكمل من الخلة فمن جهله فان المحبة عامة فالخلة خاصة فانها نهاية المحبة فانه صلى الله عليه
وسلم اخبر بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبته عايشة وغيرها
لم يصادف محزه ورسول رب العالمين لم ينظم هذا في سلك ما وقع في القران لانه وان
ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهري الرسول المبلغ لاخبار
من تبعثه من قولهم جاءت الابل رسلا اى متتابعة والفرق بينه وبين النبي مشهور والشفيع
المشفع اى المقبول شفاعته وسمى شافعا ايضا وقد تقدم ان له صلى الله عليه وسلم
شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله والمتقى والتقى والاتقى لحديث مسلم انا اتقاكم لله

والتقوى لما مراتب مفصلة فى تفسير البيضاوى والمصلح للخلق بارشاده وهدايته قال المص
رحمه الله وجد على بعض الحجارة القديمة محمد تقى مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال
ما بينهم من الضغاين كما كان بين العرب والعجم وقبايل العرب كما قال تعالى واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم والطاهر بالمهملة لطهارته صلى الله عليه وسلم من القاذر
والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية اى طهارة فضلاته كغائطه وبوله ودمه
ورجحه السبكى والبلقينى وافتوا به كما مر وقد شربت بوله ام ايمن وشرب جماعة من دمه ولم ينكره
صلى الله عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم والمهيمن وياتى انه هنا سماه
عمه العباس رضى الله عنه فى شعره المشهور الذى مدحه صلى الله عليه وسلم وقد تقدم رواية
له وفيه حتى احتوى بيتك المهيمن من خندق عليا تحتها النطق وميمه الاولى مضمومة والثانية
مكسورة وروى فتحها ايضا وهو كما انه اسم له صلى الله عليه وسلم صح انه من اسما الله تعالى
ومن اسماء القرآن قال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا
عليه وفسر فى الاية بمحمد صلى الله عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقرآن
على انه حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المص فى اسمائه صلى الله عليه وسلم الواردة فى القران
وقال ابن قتيبة انه فى اسماء الله تعالى معناه المشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القايم
على خلقه وقيل الامين اى رتبه المص فى بعض ذلك كما ياتى بيانه واصله مؤتمن قلبت همزته
هاء وقيل المهيمن وهو فى اسماء النبى صلى الله عليه وسلم بالمعنى الاول والرابع والخامس انتهى
وهو عنده اى المص مصغر مؤمن على ما سياتى وتصغيره للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه
بان اسماء الله واسماء النبى صلى الله عليه وسلم والقران بل كل معظم لا يجوز فيها التصغير كما ياتى
ولم يرد مثله ولذا ارتضى ابو على فى الحجة انه اسم مكبر ورد بهذه الزنة كالبيقر والسيطر وفتح
ميمه يدل على ما قاله واذا وصف به القرآن فمعناه رئيس الكتب العالى عليها لحفظه من التغيير
والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه المصدق ويبعده تعديته بعلى الا ان يقال
انه لما فيه من معنى العلو وعلى انه من الامين ظاهر لانه امنهم من الخوف والصادق المصدق وسمى
بالصدوق ايضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما ذكره ابو بكر ابن عربى وفى صحيح البخارى
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق قاله ابن مسعود وقد ورد
هذا فى عدة احاديث رواها السيوطى لانه صدق الانبياء والكتب التى قبله والمصدوق اسم مفعول
من صدق المتعدى كما ورد صدق وعده والصادق من اسماء الله ايضا ورد فى حديث الاسماء
كما قاله السيوطى رحمه الله والهادى عده جماعة من اسمائه اخذا من قوله وانك لتهدى الى صراط
مستقيم وهو من اسماء الله تعالى ايضا وياتى ان الهداية تطلق على خلق الاهتداء ويوصف
بها الله تعالى خاصة وهو المنفى فى قوله انك لا تهدى من احببت على قول وعلى البيان والدلالة
بلطف وهذه يوصف بها الله تعالى والنبى صلى الله عليه وسلم وتطلق على الداعى ومنه
ولكل قوم هاد ولا تستعمل الا فى الخير وقوله واهدوهم الى صراط الجحيم تهكم وهدايته

صلى الله

صلى الله عليه وسلم لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد اشبعنا الكلام عليه
فى حواشى القاضى وسيد ولد ادم وقد ورد اطلاقه عليه فى احاديث كثيرة صحيحة كما فى حديث
الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد ادم وفى حديث الصحيحين انا سيد الناس يوم القيمة هو من اسماء
الله تعالى ايضا كما اثبته البيهقى فى كتاب الصفات فيجوز اطلاقه على الله تعالى وعلى غيره مطلقا
ولا يجوز اطلاقه وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بالله مطلقا وقيل يختص به معرفا وقيل
يختص بغيره ولا يجوز اطلاقه عليه واستدل الاول بانه لما قال له صلى الله عليه وسلم وفد بنى
عامر انت سيدنا قال السيد هو الله وهو حديث صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق ومعناه
العظيم المحتاج اليه غيره وهذا مما يوصف به الله واما تخصيصه بغير الله كما روى عن مالك
فلانه لم يثبت عنده اطلاقه على الله تعالى ولان معناه رئيس القوم الذى يفخر ويعتز باتباعه
وسيد القوم منهم وهذا لا يليق بالله تعالى ولذا فرق اذا اطلق على الله بما مر واختصاصه بالله
فلان معناه الملك المتصرف فى امور غيره وهذا فى الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه معرفا
المعهود بالعظمة وكونه ملجا لكل احد وهذا مختص به تعالى وهذا اضعفها فان قلت اذا صح
الاول فما تصنع بالحصر فى حديث السيد هو الله قلت اذا ثبت وصف بشىء وحده او مع غيره
واريد رده فللعرب فيه طرق اظهرها ان يؤتى بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله قلبا او يعرف
الطرفان كالمعبود الله وهو كالذى قبله معنى الا انه قد يختار ايماء لفطنة مخاطبه فهو ابلغ فى مقامه
او يجعل كما اثبته الزاعم له الصفة عين من هى له فى نفس الامر كما يقال للدهرى هو الله اى لا دهر
ولا متصرف سوى الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهانى كقوله ان كان للرحمن
ولد الخ وهذا نوع ادق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه باب الاستثناء فقول
السيد هو الله يحتمل اجراؤه على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من اسماء الله
تعالى عن نفى اختصاصه فاعرفه فانه من نفايس الذخاير المكنوزة فى دفاين الخواطر وقد سناه ذلك
اول الكتاب والباب الاول وانما اعدناه لطوله العهد به والمراد بولد ادم النوع الانسانى وكذا
كل جماعة سموا باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم له ولاولاده
وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله
القرافى فى كتاب العقد المنظوم وعده من الفاظ العموم فمن قال الولد للواحد والجمع فان كان
مفردا ينبغى ان يكون الاضافة للاستغراق بقرينة المقام اى انا سيد كل ولد ادم وان كان للجمع
فالامر ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد ادم سيادته على ادم فيهم من هو افضل من ادم كابراهيم
وموسى عليهما الصلوة والسلام فقد تكلف ما لا حاجة اليه لعدم وقوعه على ما ذكر ومن فى الحديث
انا سيد ولد ادم يوم القيمة وانه خص يوم القيمة لانه يظهر فيه سيادته على ساير الرسل من غير
منازع فيه وان كان سيدا فى الدارين كما مر وسيد المرسلين كما ورد فى احاديث صحيحة واذا كان
صلى الله عليه وسلم افضل من ساير المرسلين فهو افضل من ساير النبيين لان الرسول افضل
من النبى وان اختلف فى تفضيل الرسالة والنبوة وامام المتقين وقائد الغر المحجلين

جمعهما المص لورودهما كذلك في حديث رواه البزار انه صلى الله عليه وسلم قال ليلة اسرى بي انتهيت الى قصر من لؤلؤ يتلالوء نورا واعطيت ثلاثا قيل لي انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم وامام المتقين وامام الناس وامام الخير كما في الرياض الانيقة والاول ذكره ابن سيد الناس في سيرته وعن قتادة في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم ان الامام المراد به النبي صلى الله عليه وسلم والامام في اللغة المقتدى به ويطلق على الواحد كقوله اني جاعلك للناس اماما وعلى الجمع كقوله وجعلنا للمتقين اماما قاله ابن الانباري وسمي صلى الله عليه وسلم امام النبيين لانه اسبقهم في النبوة الروحانية ولانه امهم في الاسراء كما مر واخرج احمد والترمذي اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم وفي رواية لاحمد كنت امام الناس ومنها اخذ تسميته صلى الله عليه وسلم به وامام المتقين ان اريد به امته صلى الله عليه وسلم فظاهر وان اريد الاعم موافقة لرواية امام الناس فلاقتداء الانبيا به وفي بعض الشروح ان كل مقتد سواء كان من امته او من الامم السالفة مقتد به لانهم في السير الباطني اشرفوا على المقام المحمدي وامنوا به واهتدوا بهديه وامام الخير ورد في حديث رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون وقائد اسم فاعل من القود وهو تقدمه على من يتبعه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفي القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض في جبهة الفرس فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض في القوايم وفي الصحيحين ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء وورد بمعناه من طرق كثيرة وفيه زين لهم وقيل جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الامم يوم القيمة والتعبير به وبالقود مما هو معروف من صفات الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وترشيح كقولهم الناس يلوذون كخيل الطراد والسابق السابق منها الجواد وبهذا استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص بهم الغرة والتحجيل بحديث هذا وضوئي ووضوء الانبيا من قبلي واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبياء عليهم الصلوة والسلام اختصوا به دون اممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضوء لانها في كونه من اثر السجود وادعا انه غيره فيه نظر وحبيب الله تقدم بيانه مفصلا وخليل الرحمن تقدم تحقيقه وصاحب الحوض المورود رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض مروي عن اكثر من خمسين صحابيا اي وتقدم سرد بعضهم في كلام المص منهم ابو برزة الاسلمي وحديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي حوضا ما بين ايله الى صنعا عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما

من ورق اي فضة والاخر من ذهب ماؤه احلى من العسل وابرد من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظما حتى يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السماء وقال القرطبي ذهب جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني بعده في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح انه قبله والمعنى تقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم في السعي الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط وورد ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بصاحب الكوثر وسمي به لاختصاصه به وفي بعض الكتب لكل نبي حوض وتسميته صلى الله عليه وسلم لعظم حوضه وزيادته ومثله يحتاج لنقل والمورود لهم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه عادة فلذا عبر به وهو وان كان اسم مفعول لا يدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به والشفاعة اي من اسمائه صلى الله عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه وصاحب المقام المحمود وهو مقام الشفاعة العظمى كما مر وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمي به لانه سبب لكل خير وفسر في الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد في حديث مسلم السابق سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو واصل الوسيلة كما قال السيوطي القرب من الله والمنزلة عنده وكونه صلى الله عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى في الدنيا والاخرة غني عن البيان وصاحب التاج قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المص رحمه الله والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكنى به عن انه من صميم العرب واشرفهم حسبا ونسبا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه لم يلبس العمامة غيره من الانبيا وفي مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل في السير ولنا فيه رسالة مستقلة وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب تحتها قلنسوة ودخل مكة في الفتح وعلى راسه عمامة سودا وهو لا ينافي رواية انس رضي الله عنه انه كان على راسه مغفر ولبس صلى الله عليه وسلم عمامة حمرا ايضا ولم يلبس خضرا اصلا وصاحب المعراج وهو السلم فهو اسم الة وقال السيوطي هو عروجه وصعوده صلى الله عليه وسلم للسماء والاسراء سيره من مكة الى القدس فهو مصدر ميمي فبينهما فرق وان اطلق كل منهما على الاخر كما مر وهو الذي تصعد عليه الارواح والملائكة ولم يصعد عليه في الدنيا بجسده احد غيره صلى الله عليه وسلم فلذا خص بالتسمية به وسمي ايضا صاحب اللواء قال السيوطي المراد به لواء الحمد الذي تقدم وقد يحمل على اللواء الذي كان يعقد صلى الله عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو مما يحمل في الحرب ليعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمل غيره ويقرب منه الراية وفرق بينهما وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت رايته صلى الله عليه وسلم سودا ولواؤه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واول ما حدثت الرايات

فى الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون مثل ذلك الا الالوية والقضيب اى من اسمائه صلى الله عليه
وسلم صاحب القضيب وهو السيف كما قاله المصر وتبعه السيوطى وياتى انه وقع مفسرا به فى
الانجيل حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به وانه يحتمل ان يراد به القضيب الممشوق الذى يمسكه
الخلفا وفى كتاب البيان للجاحظ انه كانت له صلى الله عليه وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل
ما بين يديه وهكذا كانت عادة عظما العرب وخطبائهم فاذا اريد الاول فهو كناية عن جهاده
وكثرة اقباله وان كان الثانى فعبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم وما قيل من ان المراد به القضيب
الذى اعطاه صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف فى معجزاته تكلف
ناشى من ضيق العطن وراكب البراق والناقة والنجيب البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية
روى ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوايمه كالثور وذنبه كالغزال وليس بذكر ولا انثى
وسمى به لسرعته او لبياضه وصفائه او لما فيه من قليل سواد من قولهم شاة برقا وركبه صلى الله
عليه وسلم لما اسرى به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبياء ام لا وهل ركبه معه جبرائيل
ام لا كما تقدم ذلك كله فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهر وان قلنا انه ركبه غيره فوجهه
ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده به الى السماء مخصوص به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده
والنجيب الجمل وقد سمى براكب الجمل ايضا فى الكتب القديمة كما سمى عيسى عليه السلام براكب الحمار
ولذا قال النجاشى لما جاءه كتابه صلى الله عليه وسلم وامن به اشهد ان بشارة موسى براكب الحمار
كبشارة عيسى براكب الجمل وسمى به مع ركوبه صلى الله عليه الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه
او لهجرته عليه وكونه من صميم العرب وكان له صلى الله عليه وسلم جمال ونوق مذكورة فى السير وقيل
المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب اسم فرس له صلى الله عليه وسلم اشتراه من اعرابى وهو الذى
شهد له به خزيمة وهو غريب وصاحب الحجة وهو الدليل الذى يحج به الخصم وهو المراد او المراد
المعجزة وهى بلغت الفا واعظمها القران والسلطان بضم السين وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر
ويؤنث وله معان منها البرهان والملك والنبوة والغلبة ويصح ارادة كل منها هنا وسمى صلى الله
عليه وسلم بهذا فى كتاب شفيا وبعض الكتب القديمة والخاتم اى صاحب الخاتم بالكسر والفتح
وهو خاتم النبوة الذى كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه
كان فيه كتابة الله وحده لا شريك له او محمد رسول الله او توجه حيث شئت فانك منصور
وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به فى كتابة شفيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه
لم يعرف فى العرب ولا فى الانبيا من ختم الكتب سواه وفيه نظر والعلامة اى علامة النبوة
وهى الخاتم ايضا وقد ورد نعته به فى الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
الدال على ان الانبيا ختموا به كما ورد فى حديثه ويجوز ان يراد مطلق العلامات التى كان اهل الكتاب
يعرفونه بها كما يعرفون ابناءهم وصاحب الهراوة بكسر الهاء ثم راء مهملة والف وواو وتاء تانيث
وهى العصاة قال فى النهاية لانه صلى الله عليه وسلم كان يمسك بيده القضيب ويمشى بالعصاة
بين يديه وتغرز له ليصلى اليها وقال الجوهرى هى العصاة الضخمة وجمعها هراوى كمطايا وقال المص

كما يأتى

كما يأتى انها العصاة الواردة فى حديث الحوض انه يذود بها الناس عنه وقال النووى انه ضعيف
او باطل لان المراد وصفه صلى الله عليه وسلم بما يعرفه الناس ويعلم اهل الكتاب انه المبشر فى كتبهم
فلا وجه لتفسيره بامر يكون فى الاخرة فالصواب ما تقدم ومن سنن الانبياء حمل العصاة والنعلين
والنعلين اى صاحب النعلين وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم بهذا فى الانجيل وفى
كيفية نعليه كلام سنفصل وقد افرده بعض اهل العصر بالتاليف وكان له صلى الله عليه وسلم
نعلان سبتيتان بكسر السين اى لا شعر عليهما او سد بوغت وما قيل من انه سمى به لما فيه من مخالفة
لاهل الجاهلية من نعلهم فى رجل واحدة وقد ورد النهى عنه فى الحديث الاولى تركه ومن اسمائه
صلى الله عليه وسلم فى الكتب الالهية المنزلة على من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
المتوكل هو اسمه فى التورية ونصها انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل وهو الذى
يكل امره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع
من الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم ارسخ الانبيا قدما فيه
وتوكل العوام مباشرة الاسباب مع الاعتماد على مسببها واليه الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما ترزق الطير تغدوا بطانا وتروح خماصا
وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب بالكلية والمختار اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفا
لانه خيار وفى التورية عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ويقيم السنة سمى به فى التورية والزبور
فى قوله اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة لم يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا
والمراد سنة من قبله من الانبيا عليهم الصلوة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد ودعوة
الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب فيها
او معتدلها ومستويها والمقدس بالتشديد اسم مفعول وفى الرياض الانيقة معناه المفضل
على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر النقى من دنس الذنوب والنقايص من التقديس وهو
التطهير ومن اسماء الله تعالى القدوس اى المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقديس
الصلوة صلى الله عليه وسلم وروح القدس بضمتين وضم وسكون وهذا سقط من بعض
نسخ الشفا اى الروح المقدسة من النقايص وروح القدس فى القران فسر بجبريل عليه الصلوة
والسلام والقدس الطهارة او الله واضافة الروح له تشريفية كروح الله كعيسى وروح
الحق هو الله وقال ابن عربى فى الفصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى الله عليه وسلم
مظهره وهو اى روح القدس وروح الحق معنى البارقليط فى الانجيل فانه فيه سمى النبى صلى الله
عليه وسلم الفارقليط وفسر بما ذكر ورواية مفسرا به فى شرح الانجيل للمسيحى الطبيب الا انه
حرفه وقال المراد بروح الحق احد الاقانيم الثلثة عندهم قاتلهم الله وقال ثعلب وهو احمد بن
يحيى الشيبانى البغدادى امام اهل اللغة والعربية المشهور ومولده فى حدود المائتين
ووفاته فى جمادى الاخرة سنة احدى وتسعين فى تفسيره له البارقليط الذى يفرق بين
الحق والباطل قال ابن دحية وهو اسمه صلى الله عليه وسلم فى الكتب المنزلة القديمة

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا وروي بالفا النصيحة وبالباء عين صافية وفي المقتفى
للحلبي الذي احفظه انه بموحدة في اوله والقو را مكسورة وقاف ساكنة ثم لام تليها يا مثناة
تحتية ساكنة وطا مهملة وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روى بفتح الواو وقد تسكن وقاف تفتح
مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمود وفي الرياض الانيقة معناه الحامد والحماد والذي
عليه اصحاب الانجيل ان معناه المخلص وعبارة الانجيل اني ذاهب الى ابي وابيكم ليبعث
اليكم الفارقليط وفي شرح هياكل النور للدواني هو بالفا ثم بالفو را مكسورة وقاف ساكنة
ولام مكسورة ثم طا مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبراني معناه الفارق بين الحق والباطل
والمراد مظهر الولاية التي هي باطن النبوة والمراد بابي وابيكم ربي وربكم والاوايل يسمون البارى
بالاب انتهى فالحاصل انه بياء مشوبة بفا واخره الف ثم عرب بيا وفا وحذفت الالف من اخره
ففيه ثلاثة اوجه وقالوا حقيقته المخلص كما علمت وتفسيره بالفارق الى اخره بيان الحاصل
المعنى ومن كذب جملة النصارى ان الفارقليط نار تنزل على التلاميذ من السما بها يفعلون
العجايب في ترجمة الانجيل اذا حببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب ليعطيكم فارقليط لم يكن
معكم الدهر كله قال بعض اهل العلم بالكتب السالفة هذا صريح في ان الله يبعث اليهم من يقوم
مقامه في تبليغ رسالته وتكون شريعته مويده وليس الا هو محمد صلى الله عليه وسلم وهم
يختلفون في معنى الفارقليط والذي صح عنهم انه الحكيم الذي يعرف السر وفي الانجيل ما يدل
على ان الرسول فانه قال هذا الكلام الذي يسمعونه ليس هو لي بل للاب الذي ارسلني كلمكم
بهذا وانا معكم واما البارقليط فروح القدس الذي يرسل اتي باسمي فهو يعلمكم كل شي ويذكر جميع
ما اقول لكم وهم يزعمون ان روح القدس تفسير للبارقليط كما رايته في شرح الانجيل واما الاب
فكلمة تعظيم للعلم وهو يسمون العلما اثار وجانب وقوله يرسل باسمي اي يشهد مصدقا رسالتي
وبهذا اتضح لك لفظه ومعناه وهذا مما انحنيه من كتب عديدة فاحفظه ومن اسمايه صلى الله
عليه وسلم في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وروى موذ موذ وميد ميد
والاول هو الذي صح روايته عند المصنف والثاني ذكره القرافي وقال انه اسم صلى الله عليه
وسلم في صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه صلى الله عليه وسلم في صحف ابراهيم
وذكر الرابع وقال انه اسمه في التورية وهو بميم مفتوحة والف غير مهموزة وذال معجمة ساكنة
كما في المقتفى وقال انه ينبغي ضم داله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره انه ماذ
ماذ اي ياماذ ونقل الشهاب الحجازي الاديب شيخ السيوطي نقلا عن السهيلي ان ميمه مضمومة
والف مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرر للتاكيد
او المراد انه طيب في نفسه او في دنياه وطيب في صفاته واخرته وكونه اسما واحدا مثل مرار
كب خلاف الاصل وقيل ان داله مهملة وفي شرح رسالة الكندي المنسوب للغزالي انه سمع من
اسلم من احبار اليهود انه في التورية اشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله لابراهيم
اني قد استجبت لك في اسماعيل وانا اباركه واعظمه بماذ ماذ وهو يحتمل من طرق العدد لان

فيه

449

فيه ميمين في مقابلة وبا موحدة والفين ودالين باثني عشر وهو عدد الحا والدال من محمد وهذا يقتضي
ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره احد من ارباب الحواشي والشروح ومما قاله التلمساني من انه يحتمل
ان يكون ماخوذا من الماذي وهو العسل الابيض لحلاوته في ذاته وصفاته او الماذي بمعنى الدرع
اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشي لانه يقتضي انه عربي ولم يقله احد وقط
وحمطايا هنا وما قبله رواه ابو نعيم في الدلايل عن ابن عباس رضي الله عنهما وضبطه الشمني
في حاشيته بفتح الحا المهملة وفتح الميم المشددة وطا مهملة مخففة والفين بينهما مثناة تحتية
وفي الفن بينا انه بكسر الحا وميم ساكنة تليها يا مثناة تحتية والف ثم طا والف هكذا حمياطا
وفي المواهب انه بفتح الحا وسكون الميم ومثناة تحتية والف وطا مهملة والف بعدها وقال
انه بكسر وياء او نون واما معناه فقال ابو عمرو عن بعض الاحبار ان معناه يمنع من الحرام ويحمي
الحرام اي يمنع ما كان في الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين وبضم ثم
فتح وفي الرياض الانيقة معناه حامي الحرم او نبي الحرم والخاتم والخاتم حكاه كعب الاحبار
تقدمت ترجمته واختلف الشراح في ضبطه وروايته فقيل هما بالخا المعجمة الا ان الاول بفتح
التاء والثاني بكسرها او بالعكس وهو بعيد لانه تقدم فلا وجه لاعادته وقيل الاول معجم والثاني
مهمل وفسر بانه احسن الانبيا خلقا وخلقا وكما ذكره الظاهر من الختم وهو الاحكام لاحكام
القضا والاحكام ويجمع على ختوم كما قال امية بن ابي الصلت عبادك يخطيون وانت
رب بكفيك المنايا والختوم والخاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه جمال الانبياء
كالخاتم الذي يتزين به فهذا ان كان تفسير للخاتم بالمعجمة فهو في قوله وقال ثعلب فالخاتم الذي يختم الانبيا
والخاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا يكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط به التكرار وسكت
عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في بعض الشروح والحواشي
وهو مروي عن المصنف فيه مع التكرار ان تفسير الخاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة واما
معناه ما انفذ مرحما الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الحا الصر وقد قالوا فيه انه مقلوب من الحث
ولك ان تقول انه من الحتامة وهي بقية الطعام كانه اخر ما بقي من نعم الله تعالى وقرن بالخاتم
وان تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره وتسمى بالسريانية
وهي لغة ادم عليه الصلوة والسلام واول اللغات ومنها تشعبت ساير اللغات ثم صار
اصول اللغات ثلثة السريانية والعبرانية والعربية وفي بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة اليه هنا وهي
بضم السين وراء ساكنة او مكسورة وما قيل انه من السر لان الله علمها لادم سرا بعيد وقال
السيوطي رحمه الله ان سؤال القبر بالسريانية مشفح بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفا مفتوحة
او مكسورة مشددة فيهما وروى بالقاف وحاؤه مهملة وسمي به صلى الله عليه وسلم في كتاب
شعيا وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك ان معناه
محمد لانهم يقولون شفح لاها اي يحمل الله وتبع فيه التلمساني والمنحنا قال البرهان هو بضم
الميم ونون ساكنة ثم حا مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة والف مقصورة

وقال التلمساني في الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو قال بالسريانية محمد وبالرومية البر
قليطس ونحوه في تذكرة الصدر في ضبطه بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية
وابن سيد الناس في السيرة معناه محمد وهو محمد لانه اسم له ولكونه بمعناه واسمه في التورية
احيد قال الشمني هو بضم الهمزة وسكون الحا المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال
مهملة وقيل انه بفتح الحا المهملة وسكون اليا التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح
التحتية وهو غير عربي وفي الكامل رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
قال اسمي في القران محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية احيد وانما سميت احيد لاني احيد امتي عن نار
جهنم وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ويؤيده انه ضبط بكسر الجامع فتح الهمزة وضمها
وهو عربي من حاد يحيد اذا عدل وهال اذ لم يكن من توافق اللغات وذكره الماوردي في تفسيره
وضبطه بمد الالف وكسر الحا كما في الرياض الانيقة وفي الشرح الجديد ان الذي في النسخ بضم
الهمزة وحا مكسورة مهملة ومثناة تحتية ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح
اليا وفي نسخة بفتحها وكسر الحا وسكون اليا وما قيل انه من الواحد لانفراده في ذاته وصفاته
فيه ما لا يخفى وروى ذلك ابن سيرين الامام الحجة الثقة الزاهد الورع المتابع صيته
في الافاق ابو بكر محمد بن سيرين الانصاري وروى عنه الائمة الستة وتوفي بعد مائة وعشر
وهو من اعلم التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء السابقة
فقال ومعنى صاحب القضيب اي السيف كما تقدم ومعنى مبتداء خبره وقع ذلك تفسيرا
في الانجيل قال اي الله في الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوز التكلف وفي القاموس
القضيب السيف القاطع كالقاضب سمي به من القضيب لانه اقتطع من الحديد معه
قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك اي قد يفسر به وهو مجاز من الحمل على الظاهر فيجعل
التاويل به بجعله عليه استعارة صارت حقيقة شايعة فيه وقد للتحقيق وقد تجعل
للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو
في السيف بمعنى انه بالغ في القطع اي حدم يصل اليه سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة
جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنايمه فان كان بمعنى العصى فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع
من الشجر وقد مر انه كان له صلى الله عليه وسلم عصا على عادة العرب في اتخاذ عظمايهم وخصبايهم
عصا يسيرون بها كما قال الشاعر في كفه خيزران ريحه عبق في كف اروع في عرنينه شمم كما في كتاب
العصا للجاحظ وفي القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب الشيء ليطول
وكان له صلى الله عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم به الركن وقال ابن الجوزي
كان له صلى الله عليه وسلم قضيب وهو الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو
الان عند الخلفاء يمسكونه تبركا به فكان لهم واحدا بعد واحد واما الهراوة التي وصفها وصفا
لغويا في تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان صلى الله عليه وسلم يحملها ويتركا
عليها وهو من سنن الانبياء وهي في اللغة العصا واراها والله اعلم بضم الهمزة وفتحها بمعنى اظنها

واعتقدها

450 واعتقدها وان المراد بها هنا في التسمية العصا المذكورة في حديث الحوض الذي قال فيه
صلى الله عليه وسلم اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن اذود بمعنى اطرد وامنع وهذا
بذال معجمة في اوله ومهملة في اخره وهذا الحديث رواه مسلم في المناقب هكذا الاهل اليمن اي
لاجلهم فانهم على بعد شقتهم اجابوا دعوته صلى الله عليه وسلم من غير تردد وقتال فاوردهم
الحوض قبل غيرهم ليريحهم كما اراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروى لاهل اليمن
كما ذكر ومع صحته معنى قالوا انه من طغيان القلم ورد عن النووي ان هذا التوجيه ضعيف
او باطل لان المراد بتعريفه صلى الله عليه وسلم بصفة يعرفها الناس ويستدل بها عليه
وانه المبشر به في كتب السالفة التي ميز فيها العنوان فلا وجه لتفسير بما في الاخرة مما لم يتيقنوه
ولكن في ذلك ذكره ما وقع في الكتب الالهية التي لم يقراها او يقول من فسره بهذا انما اراد
تفسيره بما يختص به ويصير علما له وتقدم انه قيل الاحسن حمله على العصا التي اعطاها
صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما قال المصرعي في مدحه
صلى الله عليه وسلم وعصاه لما مسها بيمينه فضلت عصا صارت الى ثعبان يعني انها
صارت معجزة اقوى من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام بعصاه واما التاج فالمراد به
العمامة كما تقدم ولم تكن حينئذ اي في عهد مبعثه وحياته صلى الله عليه وسلم الا للعرب
والعمايم تيجان العرب اي قايمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج ما يوضع على الراس
من الذهب المرصع بالجواهر والعمايم جمع عمامة وسياتي الكلام على ما عمامته صلى الله عليه
وسلم ولما لم يقنع في وصف الحبيب المنعم بما مر قال واوصافه اي الاوصاف التي اطلقت عليه
والقابه وسماته جمع سمة وهي العلامة كما تقدم في الكتب كثيرة اراد بها كتب الحديث والسير
والكتب الالهية وفيما ذكرناه مقنع ان شاء الله اي في القدر الذي ذكره ما يحصل به القناعة
عن غيره لما في الكتب وفي الصباح مقلع كجعفر ما يقنع به يعني انه اسم مكان بتجوز به عما يقنع به
وقيل انه مصدر ميمي من قنع بمعنى رضي والاول اولى وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق
المصنف وهي وكانت كنيته المشهورة والكنية ما صدر باب او ام ونحوه ابا القاسم اشتهر به
صلى الله عليه وسلم لانه اول اولاده صلى الله عليه وسلم كما تقدم وروى عن انس
رضي الله عنه رواه احمد في مسنده والبيهقي لما ولد له اي للنبي صلى الله عليه وسلم ولده
ابراهيم من مارية القبطية جاريته المشهورة جاءه جبرائيل عليه الصلوة والسلام
فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم فكناه به كما كناه بالقاسم ومما كني به صلى الله عليه وسلم
ابو الارامل وابو المؤمنين فقد ورد في الشواذ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقيل
ان هذا وامثاله مما لم يضف للابنا الحقيقية لغيرها كنية كابي تراب فصل
في تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم اي وتعظيمه وتفضيله بما سماه به من اسمائه عز
وجل والبا سببية او للتعدية الحسنى اي الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال
الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى الحسن يقال في الاعيان والاحداث وكذلك

الحسنة اذا كانت وصفا لا اسماء اذا كانت اسماء فهي متعارفة في الاحداث والحسنى تكون
في الاحداث دون الاعيان انتهى ووصف به من صفاته العلى بالضم جمع عليا وكبرى وفي بعض النسخ
العليا وفي المصباح العليا كل مكان مشرف والاوجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب
العلى جمع لتانيث اعلا بمعنى افضل واشرف والصفتان كالشفتان قال القاضي ابو الفضل
هو عياض المص رضي الله عنه وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره او وراده
تلاميذه كقوله في بعض النسخ وفقه الله والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهي جملة دعائية
معترضة ما احرى بفتح الهمزة وحا ساكنة مهملة وراء مقصورة بمعنى احق واولى وهي صيغة
تعجب من زيادة لياقته هذا الفصل قال البرهان الفصل ضبط في الاصل بالرفع والظاهر
نصبه لانها تعجبية كما تقول ما اكرم زيدا كما هو معروف في النحو بفصول الباب الاول المعقود
لثناء الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التتمة دالة على ذلك كما اشار اليه بقوله لانخراطه
في سلك مضمونه اي لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التي خرست عندها السنة الاقلام
وفي السلك استعارة تخييلية ومكنية غير انهم فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت
اللغة وكلام العرب فلم اجد الانخراط بهذا المعنى بل هو مطاوع فان انخراط السيف اخراجه
من غمده واخترط ورتما الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا انهم استعملوها
كثيرا في كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشري والسكاكي ولم يزل هذا يختلج في صدري ولم اجد
ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال في جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة وهي الكيس
فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا في استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله في جمع الجواهر
فحمدت الله على ذلك وامتزاجه اي اختلاطه بحيث لا يتميز احدهما عن الاخر ومنه المزاج بعذب
معينها وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجاري مطلقا او على وجه الارض واصله معيون
فاعل كبيع فهو من عين الما وميمه زائدة وقيل ان وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من امعن
في سيره والعذب الحلو الذي يتغذى به وفي تفسيره بالعزيز مسامحة ووجه الاستعارة
فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره في الباب الاول فقال لكن الله لم يشرح
الصدر للهداية الى استنباطه اي لم يفتح الله عليه به اولا باخراجه في محله واصل الاستنباط
اخراج الماء ففيه مع ما قبله مناسبة لطيفة وفي ذكر الحوض الاتي بعده لطف يزيدك وجهه
حسنا اذا ما زدته نظرا ولا اثار اي دله لا له وابحثه الفكر بكسر الفا وسكون الكاف
او فتحها جمع فكرة لاستخراج جوهره والتقاطه اي استخراجه من بحاره واخذ لفظه
وهذا ناظر للانخراط في سلكه ففيه استعارة ولف ونشر مرتب ففيه درة ودرة الا عند
الخوض في الفصل الذي قبله اي لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع فيما قبله واصل
الخوض الشروع في المورد في الما فاستعير لمطلق الشروع الا انه كما قال الراغب اكثر ما ورد
في القران فيما يذم الشروع فيه فرابنا ان نضيفه اليه اي الى الفصل الذي قبله بان نذكره عقبه
لمناسبته له ومراده ان يجعله كالضيف الذي انزل عنده فلذا قال ونجمع به شمله اي نفعه

اليه

451

اليه والشمل بمعنى المتفرق اي يجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد فاعلم خطاب
كل من يصح توجيه الخطاب له كما قرانا الله كثيرا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام بكرامة اي
باكرامه وشرفه به خلعها عليهم الصلوة والسلام اي اعطاها خص والبسها اياهم والخلعة
في الخلعة انما ثوب يلقيه الملك على من يكرمه ويوليه ولاية وشاع في عرف الكتاب تسمية
الخلعة تشريفا واليه اشار المص بقوله في قوله هنا الفصل في تشريف الله له باسماه من اسمائه
ففيه لطف لم ينتبهوا له وفي نسخة عليه بالافراد وفي نسخة جعلها بدل خلعها والصحيح الاول
لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة لما فيهما من الشهرة واظهار التكريم
كتسمية اسحاق واسمعيل بعليم وحليم في قوله تعالى وبشروه بغلام عليم يعني اسحاق وقوله
فبشرناه بغلام حليم يعني اسمعيل وهذا بناء على المبشر به اسحاق وقيل هو اسمعيل قيل ولهذا
جمع المص هنا بين اسحاق واسمعيل وابراهيم بحليم في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ونوح
بشكور اي كثير الشكر في قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا في الاسراء بناء على
ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلوة والسلام كما تقدم ويحيى وعيسى ببر في قوله وبرا بوالديه
وبرا بوالدتي وهو صفة مشبهة من البر والبر خلاف البحر لما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا
منه اي التوسع في فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال
بر العبد ربه اي توسع في طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب في الاعتقاد
وضرب في الاعمال وقد استعمل منه قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم الاية وبر الوالدين التوسع
في الاحسان اليهما ويستعمل البر في الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه قاله الراغب وموسى بكريم
وقوي في قوله تعالى وقد جاءهم رسول كريم وقوله ان خير من استاجرت القوي الامين وفي بعض
النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته ويوسف
بحفيظ عليم اي حافظ كثير العلم وهذا في قوله اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وايوب
بصبور في قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد واسمعيل بصادق الوعد في قوله واذكر في الكتاب
اسمعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفائه بما وعد به من صبره على الذبح ووفائه به ولا يرد عليه
ان بعض ما ذكر ما هو من كلام الملائكة والانبياء لانه تعالى حكاه واقره فكان في الحقيقة وصفا
من الله تعالى بما ذكر واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما الصلوة والسلام لا اخر قيل فانه قول غير
مشهور وما قيل من ان هذه الصفات يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم او حلم يقال له
عليم وحليم مثلا فلا اختصاص لهذه الاسماء بمن ذكر والجواب بالفرق بين ثناء الله وثناء
غيره فالاختصاص من حيث ان الله وصفهم بها وفي غاية الاختصاص وثناء الله على كثير من المؤمنين
بالصبر والصدق وايضا الاثنا فيه لان الثنا بهذه الصفات على هؤلاء من حيث ان الله جبلهم
عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلوة والسلام هو الذي وصف نفسه بما ذكر
الا انه لما كان في حال الطفولية والله هو الذي انطقه على خرق العادة فالواصف
هو الله في الحقيقة كلها متكلفات نحن في غنية عنها فان المص لم يذكر الاختصاص

وانما قال ان من اسما الله تعالى ما سمى به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولا شك ان هذه
الصفات اذا اجريت على الله فلها معان لا تليق بغيره ولما كان سمى ببعض منها بعض رسله دل على
انها بمعنى لا تليق بغيرهم ايضا وقد قال ابن القيم فى كتاب الفوائد ان الاسما التى تطلق على الله وعلى
غيره اختلف فيها فقيل انها حقيقة فى الله مجاز فى غيره وقيل على العكس وقيل انها مشتركة بينهما
وان كان هنا محتاجا للبسط والبيان كما نطق بذلك الكتاب العزيز اى كما دل عليه القران نصا
وتصريحا فالنطق مجاز عما ذكر كما فى قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب
باعجازه واستيعابه لما ليس فى غيره من الكتب من مواضع ذكرهم اى مستفادا من مواضع ذكرهم
فيه وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم وفضل محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فى القران
على غيره ممن ذكر بان حلاه منها فى كتابه العزيز المناسبة متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحا المهملة
وتشديد اللام من الحلية وهى الصفة الظاهرة او الحلى التى تزين بها اى بان وصفه اوزينه
وكرمه بما وصفه وسماه به فى القران وعلى السنة انبيائه من الكتب المنزلة عليهم او فيما نقل
لنا عليهم بعدة كثيرة بكسر العين وتشديد الدال اى بعدة اسماء وصفات كثيرة ممن بكثرتها
لان كثرة الاسما تدل على شرف المسمى اجتمع لنا منها جملة اى انجمع منها اسماء متعددة بعد اعمال
الفكر مصدر اعمله اى جعله عاملا لما يريده فكانه استخدم افكاره فى النظر فيما يوخذ منه
ويدل عليها واحضار الذكر اى استحضارها وتذكرها وذاله معجمة مكسورة وجوز ضمها وتقييد
الذكر بالقران هنا لا وجه له والحاصل انه اجتهد فى جمعها وبذل فيها جهده وطاقته اذ لم
نجد من جمع منها فوق اسمين قيل هما رؤف رحيم فى سورة براة ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين
الفراغ خلاف الشغل الحسى والمعنوى يقال تفرغ لعمله اذا شغل به وترك غيره واذ تعليل لما
قبله وجدنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما نحو هنا بمعنى قريبا اى يقرب من هذا العدد
فلا يضر زيادة او نقص قليل منها كما ان فوق فيما سبق بمعنى زيد والتحرير بمعنى الكتابة او التهذيب
والتحقيق كما مر ولعل الله تعالى اى ارجو من الله عز وجل الذى الهمنا ان يتم ما الهمنا والمراد
الدعا كما الهم ما علم منها ضمن الهم معنى ارشد وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم
بتشديد اللام اى علمنى من هذه الاسماء وحققه اى بين حقيقته وجعله محققا متيقنا والمراد
عليه يتم هذه النعمة وهى التعليم والتحقيق بابانته اى اظهار ما لم يظهر لنا حتى نقف عليه والكاف
للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما به او هى للمبادرة كما فى قولهم كما يدخل صلى الله
عليه وسلم الان مبنى على الفتح والالف واللام لازمة لا زائدة اى لم يظهر الى حين تحرير
هذا الفصل ويفتح غلقه بفتح الغين المعجمة وفتح اللام والقاف وهو ما يغلق به كما فى المغنى
وفى بعض الشروح انه بضمتين وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز
ان يكون بفتحة ثم بجسرة بزنة كشف من قولهم كلام غلق ففى الاستعارة تبعية فى قوله يفتح
فمن اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود فهو بمعنى فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد لانه حمد نفسه
وحمده عباده بنباء الفعل للفاعل فيهما وذكر الاول توطئة للثانى وبيانا لانه المحمود الحقيقى

وجد

452 وحمد غيره له انما هو باقداره عليه وخلقه لقوة النطق فيه فكانه فى الحالين حمد نفسه وبهذا
فسر قوله الحمد لوليه اى لموليه ومعطيه فليس لاحد مستحق الحمد سواه ويكون ايضا اى الحميد
فى اسمائه كما يكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل كما قال بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات
والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى انه يجوز ان يطلق
على النبى صلى الله عليه وسلم الحميد لانه من حمدت جميع اخلاقه وعقايده واعماله الا انه
لما لم ينقل لم يذكره المص فاشار الى انه ورد اطلاق ما هو بمعناه عليه فقال وسمى النبى صلى الله
عليه وسلم محمدا واحمد وهما بمعنى حميد على الوجهين لمحمد بمعنى محمود لان كلا منهما اسم مفعول دال
على مبالغة فى كونه محمودا وكذا وقع اسمه صلى الله عليه وسلم اى تسميته بمحمود فى زبور داود
وفى نسخة زبر بكسر الزاى وضمها وضم البا وسكونها وهو مصدر او جمع بجعل كل جزء منه زبورا
بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا لا دليل فيه على تسميته باسم الله فلا يناسب ما هو بصدده
ثم اشار اليه الى المعنى الثانى بقوله واحمد بمعنى اكبر من حمد بالوحدة وحمد مبنى للفاعل واجل
من حمد بالبنا للمفعول ففيه لف ونشر والى نحو هذا اى كون اسمه بمعنى ما ذكر اشار حسان بن
ثابت الانصارى المشهور بقوله فى شعره من قصيدة مدح بها صلى الله عليه وسلم وشق له
من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد والشعر هكذا بتمامه الم تر ان الله ارسل عبده
ببرهانه والله اعلى وامجد وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد نبى اتانا بعد
ياس وفترة من الدين والاوثان فى الارض تعبد فارسله ضوءا منيرا وهاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهند وشق مبنى للفاعل من شق الشئ اذا جعله قطعتين اى اشتق له
صلى الله عليه وسلم من اسمه اسما اجله وعظمه وهمزة اسم سقطوعة للضرورة وانما قال المص
نحو لم يقل الى هذا لان ما فى الشعر انه مأخوذ من محمود والمصنف بصدد اخذه من حميد وزيد
فى هذا العزعليه للنبوة خاتم من الله من نور يلوح ويشهد وضم الاله اسم النبى الى اسمه
اذا قال فى الذكر الموذن اشهد وشق الخ والبيت المذكور رواه البخارى فى تاريخه وعزاه لابى
طالب وهو منقول عن على بن زيد فحسان رضى الله عنه تواردهما او ضمنه واستعان به ومن اسمائه
تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب لان الرأفة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه وقد
سماه الله فى كتابه اى القران بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره اى المتصف بالوجود الازلى الابدى من ذاته لذاته لانه واجب
الوجود والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده بثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شانه وما يجب
ثبوته من صفاته وافعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر وكذلك المبين
اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا اى المبين الظاهر امره والاهيته بان
وابان بمعنى واحد فيكون متعديا ولازما وابان يكون بمعنى قطع وفصل ايضا وبنيه على اللزوم
وعلى التعدى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم فى الدنيا ومعادهم فى الاخرة وسمى النبى
صلى الله عليه وسلم بذلك اى الحق المبين فى كتابه فقال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول

مبين بنا على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر لعظيم اياته ومعجزاته
فلا وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف الرسالة وقال تعالى وقل انى انا
النذير المبين اى المحذر لكم من الله والمبين لكم امور دينكم وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم
على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد به القران وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
من الله فقيل هو محمد اى المراد به في هذه الاية وتكذيبه صلى الله عليه وسلم بتكذيب رسالته
وما جاء به وقيل المراد به القران بدليل التكذيب ومعناه اى الحق هنا ضد الباطل من حق بمعنى
ثبت والمتحقق صدقه وامره هو تفسير لما قبله او معنى اخر وتفسير البيضاوى الحق ثابت الذى
لا يسوغ انكاره فيعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت
ومنه ثوب محقق محكم النسج وهو بالمعنى الاول ضمير هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وامره والمراد
بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله عليه وسلم والمبين على هذا التفسير البين الظاهر
الذى لا يخفى امره ورسالته وهذا على كونه من باب اللازم او هو المبين بتشديد الياء التحتية
المكسورة عن الله ما بعثه به للخلق كافة وعداه لتضمنه معنى البلغ او هو حال بتقدير ما قال كما قال
تعالى ليبين للناس ما نزل اليهم من شرايعهم او احكامه وهذا على انه من باب المتعدى ومن اسمائه تعالى
النور وقد مر ما قاله الغزالى انه حقيقة فى ذات الله تعالى لان معناه الظاهر بنفسه المظهر
لغيره واليه ذهب الحكماء ويشير اليه قول الاشعرى رحمه الله انه نور ليس كالانوار وما قال السهيلى
فى الفرق بينه وبين الضيا بانه ذات المنير والضوء والضيا اشعته المنتشرة عنه ولذا قال
جعل الشمس ضياء والقمر نورا لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولا حاجة
لتاويله اذا اطلق على الله فان اردت فطالع مشكاة الغزالى والمشهور فيه التاويل كما اشار اليه
المصنف بقوله ومعناه ذو النور وخالقه عطف وهذا تاويله بتقدير مضاف فيه لما دل
ومنور السموات والارض فعلى الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم
على اهلها بالانوار الفايضة عليها بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقى
او منور قلوب المؤمنين بالهداية تفسيره بالهادى وهذا على استعارة النور للهداية لما فيها
من الدلالة ثم استعماله بمعنى المنور اى الهادى ففيه مجاز على مجاز لاشتهار الاول حتى صار كالحقيقة
وسماه اى سمى الله نبيه صلى الله عليه وسلم نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل
المراد بالنور فى هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم لظهور اياته وقيل القران لانه ازال ظلمة
الكفر والجهل ولا يشهد على الاول افراد الضمير بعده فى قوله يهدى به الله من اتبع رضوانه مع
تغايرهما وعطفهما بالواو دون او كما قيل لان الضمير راجع اليهما معا باعتبار المذكور او لانهما كالشئ
الواحد وهداية احدهما عين هداية الاخر وقد صرح الفراء فى تفسيره بجواز مثله جوازا مطردا وبه
ورد القران فى ايات كثيرة كما بيناه فى السوانح واشد عليه شاهدا رمانى بامر كنت منه ووالدى
بريا ومن جول الطوى رمانى وقال فيه اى فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم وشانه وسراجا
منيرا فسماه سراجا كما سماه نورا على نهج الاستعارة او التشبيه البليغ ثم بينه بقوله سماه

بذلك

بذلك اى بالنور والسراج وفى نسخة سمى بذلك لوضوح امره كالنور الذى لا يخفى وبيان نبوته اى
كونها بينة ظاهرة وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين به وبما جاء به وهذا ناظر لقوله ومنور
قلوب المؤمنين بالهداية وفيه تبيين لاطلاقه على القران ضمنا ومن اسمائه تعالى التى شرف بها
نبيه صلى الله عليه وسلم الشهيد من الشهادة وهى المعاينة والاخبار بما عاينه او من الشهود
وهو الحضور ومعناه العالم لان من شاهد شيئا علمه علما تاما قال تعالى لم تكفرون
بايات الله وانتم تشهدون اى تعلمون وفى شرح المواقف الشهيد القائم بالغايب والحاضر
ويوافقه اطلاق المص فلا يرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالى اذا اعتبر العلم
مطلقا فهو العليم وان اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الشهيد فتدبر وقيل الشاهد
على عباده يوم القيمة اذ يبين لهم ما صدر منهم فى حياتهم الدنيا اذ لا يخفى عليه خافية
وسماه اى سمى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك
شاهدا مقبولا شهادتك على امتك ولهم وهو حال مقدرة وقال تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اى اشارة الى
ما رواه مسلم من ان الله يسأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم
فتنكر اممهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وامته فتشهد امة محمد ويشهد عليه الصلوة
والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى الاية وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكن ضمن شهيدا
معنى رقيبا وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم
فان الانبياء يحاسبون يوم القيمة وهو لا يحاسب وفضيلة لامته اذ لم ينكروا تبليغه
وقد تقدم الكلام على هذه الاية وهو اى الشهيد الذى اطلق عليه صلى الله عليه وسلم
بمعنى الاول اى شاهدا وبمعنى الشهيد الاول الذى اطلق على الله تعالى الاولية على الوجهين
المطلق المتقدم وقيل وصفا سماه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا لذكر اسمه قبل اية
اسمه الشهيد ومن اسمائه تعالى اى من اسماء الله التى سمى بها نبيه الكريم ومعناه الكثير الخير
وهذا اصل معناه لغة وان اختص فى عرف اللغة والعرف العام بالسخى الكثير العطا واليه
اشار المص بقوله وقيل المفضل بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمعطى عفو ابغير وسيلة
وسؤال وقيل العفو فعول من العفو وهو التجاوز عن سيات من اساء قيل وهو ابلغ من الغفور
من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو محوها وهو فى الاصل القصد لتناول الشئ فاستعير
لقصد ازالة المحو وقيل العلى وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلى فى ذاته وصفاته
وفسره الغزالى بانه الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالى كم
اعطا ولا لمن اعطا وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفا عاتب وما استقصا ولا يضيع
من لاذ به والتجا فيغنيه عن الوسائل والشفعا فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم
المطلق وذلك هو الله وحده لا ينال غيره الا بالاكتساب ويتحلى ومع ذلك لا يستوفى جميع انواعه
ولذا جاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبى صلى الله عليه وسلم وفى الحديث المروى الذى رواه

ابن ماجه في سننه في اسمائه تعالى اي في اسماء الله وهو متعلق بالمروي وبتقدير اي عد في اسمائه الاكرم
اي الزايد على غيره في صفة الكرم وهذا يقتضي مشاركته لغيره في هذه الصفة ان ضربت بمعنى يوجد
فيه وفي غيره فان فسرت بما تقدم عن الغزالي وهو مختص بالله فالتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم
او على اصله على طريق التشبيه كما في قوله احسن الخالقين وقال ابن عبد السلام في اماليه
هنا ونحو ارحم الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك
لان خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة
صح لان المعنى اعظم ارادة من ساير المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه
معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده فان اريد ايجاد الرحمة فهو مشكل اذ لا موجد
غير الله واجاب الآمدي بان معناه اعظم من يسمى بهذا الاسم واستشكل على مذهب المعتزلة
لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المص ان اثبات تسميته الله بالاكرم بالحديث غفلة
عن تسميته بذلك في القران في قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم ولك ان تقول ان الذي في الاية على
سبيل التوصيف والذي ذكره انه عد في الحديث في سلك الاسماء الحسنى وهو ادل على مراده
وسماه الله تعالى كريما اي سمى الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله انه لقول رسول كريم
قيل اي قال بعض المفسرين هو في هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو جبريل عليه
السلام وهو قول اكثر المفسرين كما قاله الظاهر من السياق وقال صلى الله عليه وسلم
انا اكرم ولد ادم اي اشرف من ساير الخلق الانبياء وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه
ثم اشار بقوله ومعاني الاسم اي الكريم والاكرام صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم
لاتصافه بغاية الكرم الى انه لا اتصافه بمعناه والمراد بالاسم ما يطلق عليه سواء كان
اسما او صفة فسقط ما قيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسماء
الاعلام وقوله اكرم ولد ادم المراد به تفضيله صلى الله عليه وسلم عليهم لا التسمية
بهذا الاسم بل ينبغي ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو غفلة عما قررناه بل هو ناش
عن عدم فهم كلام المص وفي ذلك اشارة الى تشريفه بكونه كريما واكرم ومن اسمائه
تعالى العظيم وهو الذي عظم جسما او قدرا او رتبة والمراد الثاني لانه عز وجل هو العظيم
على الاطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة لا يحيط بتصورها الافهام ولا تتخيلها الاوهام
لتنزهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته فلذا قال ومعناه الجليل الشان بهمزة
او الف عبدلة منها الذي كل شيء دونه اي قاصر عن بلوغ رتبته اذ لا كمال بدونه كما له في ذاته
وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا انه قيل ان الكبير هو الكامل
في ذاته والجليل هو الكامل في صفاته والعظيم هو الكامل فيهما وقال تعالى في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق
ما لا يتصور في احد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به فكان من اسمائه فلا
يرد عليه انه وصف خلقه صلى الله عليه وسلم لانه فيلتبس ولا ان العظمة مختصة

بالله

بالله او نقول انه توطية لقوله ووقع في اول سفر من التورات بكسر السين وسكون الفاء وراء مهملة
وهو كتاب عن اسمعيل نبي الله بن خليل الله عليهما الصلوة والسلام وكان الظاهر ان يقول في
حق اسمعيل فكانه صفة سفر اي سفر فيه ما يصدر عن اسمعيل عليه السلام وسيلد عظيما
لامة عظيمة وفيه مبالغة في وصفه بالعظمة اذ جعل اتباعه عظما فما بالك به واذا سخر
الا له سعيدا لانا سقانهم سعداء ومن اسمائه تعالى الجبار وهو صيغة مبالغة على
خلاف القياس اذ لم يجئ جبر بل تجبر فهو متجبر وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم
وجبر جبورا وجبرا الفقير وتصف به من الناس الشديد العداوة وله معان في كلام العرب القهاد
والمسلط قال تعالى وما انت عليهم بجبار كما ياتي والقوي العظيم الجسم والتكبر والقتال
والنخلة الطويلة وتجبر النبت طال وجبره على كذا اكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح الباء
وسكونها وقال ابو عبيد انه مولد والمجبر الذي يجبر العظام المكسورة اي يصلحها يقال جبرت
وجبرت وهو اكثر قال قد جبر الدين الاله فجبر ويقال جبرتها ايضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقي
لغة اختلفوا في تفسيره حيث وقع صفة كما قال المص ومعناه المصلح للعالم وللامور عبادة
تفضلا به من جبرت العظم والفقير فهو من صفات الافعال وقيل القاهر فيرجع الى صفة القدرة
الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور في قبضة تصرفه يفعل به ما يريد وقيل العلي العظيم الشان
من قولهم نخلة جبارة وبنت جبار اي طويل فاستعير من العلو الحسي للمعنوي ولذا فسروه بالعالي
فوق خلقه فهو صفة ذاتية وقيل المتكبر المتعظم الذي يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته من قولهم
فيه جبرية وجبروت اي تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده وركوعه سبحان
ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بالبناء للمجهول
اي سماه الله تعالى في كتاب داود اي الصحف الالهية المنزلة عليه صلى الله عليه وسلم بجبار
فقال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود لتحققه في علمه الحضوري
عنده تقلد ايها الجبار سيفك يقال تقلد السيف اذ جعل حمايله على عاتقه وحمله كالقلادة
وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال فان ناموسك اي الوحي النازل عليك او عظمتك في قلوب
الناس وهذا المعنى شايع بين الناس واصل معناه كما في القاموس صاحب السر المطلع على باطن
امرك اصاحب بني الخير وصاحب من الشر جاسوس وقترة الصايد وهي شي يختفي فيه الصايد
لياخذ المصيد وفي البيان للجاحظ قال الزبيدي الناموس وبيته تلسع الاشان تنشق
من غسل الكلام اخطاه وسمى جبريل صلى الله عليه وسلم بالناموس الاكبر لانه يخفي الكلام
حتى يلقيه الى الرسل عليهم الصلوة والسلام انتهى وشرايعك تحتمل انه عطف تفسير ولذا
وحد الخبر في قوله مقدرونة بهيبة يمينك اي بالخوف من سيفك فكنى بما ذكر عنه او تجوز باليمين
عما فيه ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم او معنى الجبار الذي هو من اسماء الله اذا اطلق
في وصف النبي صلى الله عليه وسلم يقال كذا ودد في كذا اي امره وشانه المتحقق فيه ولو فسر
الجبار في كتاب داود بالمجاهد القتال الذي هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولى من قوله

اما الاصلاحه لامته بالهداية والتعليم اى ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم
امور دينهم فعلى هذا سمى صلى الله عليه وسلم باسمه الجبار بمعنى المصلح او لقهره اعداءه وفى نسخة
لقهره اعداءه وهذا اشارة الى انه سمى بالمعنى الثانى الذى مر بيانه او لعلو منزلته على البشر فهو
سمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلى ولو قال على الخلق كان احسن وقيل انه يفهم من تفضيله
على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق الاولى وفيه نظر وعظم خطره هذا اشارة الى انه
اما مستعارة من العلو الحسى فينزل الرتبى منزلته ويتخيل فيه انه ارتفع فى مكان عال او علو القدر
وهو العظمة وهذا على هذا الوجه وعلى الاول هو كقوله ابى تمام وقد ذكر علو ممدوحه وبعد
حتى يظن الجهول بان له حاجة فى السماء واصل الخطر ما يعطى فى البرهان للمسابقة ثم استعير
للشرف فيقال له خطر ورجل خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالى رحمه الله
فى قوله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث
يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به وعلى متابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد
ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع لا يشاهده احد الا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى
فى الهمة غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد فى استدراجه واستتباعه وانما حظى لهذا الوصف سيد
البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال لو كان موسى صلى الله عليه وسلم حيا ما وسعه
الا اتباعى وانا سيد ولد ادم ولا فخر وفى كلامه لف ونشر وايجاز انا اصل معناه فى حقه صلى الله عليه
وسلم كمعناه فى حق الله وان لم يكن مساويه او يقاربه ويدانيه ولما كان المعنى الاخير وهو المتكبر
لا يصح فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بوجه من الوجوه قال ونفى عنه فى القران جبرية التكبر بفتح
البا الجبرية وجبروت وجبورة كفروجة الكبر كما قاله القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى واضافها الى التكبر
احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبى الجبرية بفتح البا خلاف القدرية
عن الجوهرى وحكى عن الزجاج الجبرية بالاسكان وهو اصوب وعن ابى عبيدانه مولد التى لا تليق
صلى الله عليه وسلم لما تقدم من تواضعه صلى الله عليه وسلم ولان الكبريا والتكبر من صفات الله
التى لا تليق بغيره ومعنى لا يليق بنا سبه ويصح فقال وما انت عليهم بجبار تفسير لقوله نفى عنه وقعد
انه فسر بمسلط والتكبر هو التعظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق وبما ذكرناه
علم ما فى قول القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار
ولا يتعاطاه وانما خطره الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه يأباه اطلاقه عليه صلى الله عليه
وسلم فينبغى تقييده ببعض معانيه وقيل تفسيره بالمسلط اولى لانه نزل فى حق اهل مكة وانكارهم
لبعثته فامره بان ينذرهم ولا يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا والاية منسوخة باية
السيف لانها من سورة قاف وهى مكية وانما امر صلى الله عليه وسلم بالقتال بالمدينة
وعلى ما ذكره المصر يكون غير منسوخة ومن اسمائه تعالى الخبير وقد ورد فى القران معرف ومنكر
وقال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر بالضم وحقيقته استكشاف باطن المخبور
حتى يستوى عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل للحادث خابر ويكون بمعنى المخبر والمخبر والله تعالى

مخبر لعباده قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فهو من صفات الافعال وقد يكون بمعنى العليم من صفات
الذات واذا كان بمعنى الخبير يرجع الى صفة الكلام فقوله ومعناه اذا اطلق على الله المطلع
على كنه الشىء اى الواقف على حقائق الاشياء وكنه الشىء بضم فسكون له معان منها الحقيقة
كما فى التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله فى شرح الفتاح انه مولد لا وجه له وتعدم بعلى
لانه بمعنى العالم بحقيقته واصله المجرب والمراد به فى حق استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره
فيلزمه الجنة او يعلم سلوكه المحجة وهو اعلم بهم وفى بعض النسخ الخبير اى المخبر انبياءه ورسله
بكلامه المنزل عليهم والمخبر عباده يوم القيمة باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه شىء ثم شرع
فى بيان تسميته الرسول صلى الله عليه وسلم به فقال قال الله تعالى وهو الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا اى عنه والبا تجريدية
والضمير لخلق السموات والارض والاستواء على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم قال المؤلف
رحمه الله قال القاضى بكر بن العلا بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر بن محمد بن العلا بن زياد
القشيرى من ولد عمران بن الحصين رضى الله عنه توفى ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الاول سنة
اربع واربعين وثلاثمائة المامور بالسوال فى الاية غير النبى صلى الله عليه وسلم فى كل من يأتى منه
السؤال الا النبى لانه المخاطب والمسؤل الخبير هو النبى صلى الله عليه وسلم لانه العالم بحقيقة ما ذكره
غيره ففيه دليل على تسميته خبيرا وقال غيره اى غير القاضى بكر بل السائل النبى صلى الله عليه وسلم لانه
المخاطب به والمسؤل الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين اى على التفسيرين فالبا بمعنى على
او ظرفية اما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لو لم يكن خبيرا لم يؤمر بسواله واما على الثانى فلان
اذنه له فى السؤال دال على علامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره
بالمخبر وقيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته اى سمى خبيرا
لما اعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التى اطلعه عليها بوجه وما جبله عليه من المعرفة
العظيمة مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد
قيل ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله لانه سمى خبيرا
باعتبار ما اجاب بعد سؤاله والقيل باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر ومن اسمائه تعالى
الفتاح قال الراغب اصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك
بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع والثانى ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح
القضية اذا فصل الحكم فيها ومنه الفاتح والفتاح للقاضى وفتح الممالك الظفر بها ومنه
وفتح الله برزقه اذا جاءه من حيث لا يحتسب ومعناه فى حق الله تعالى الحاكم بين عباده فى فصل
القضا او ما اضاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال او فاتح ابواب الرزق والرحمة لهم
بتيسير ارزاقهم لهم وتهيئته اسبابها وفتح اقفال موانعها والرحمة الانعام اى النعم عليهم
الرازق لهم قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو استعارة فى الاصل
صار حقيقة عرفية والمغلق من امورهم عليهم بالجر عطف على ابواب اى فاتح المغلق بمعنى

ميسر كل صعب ومسهله عليهم متعلق بفاتح او بالمغلق او بفتح قلوبهم وبصايرهم لمعرفة
الحق الذي هو الله او خلق فالباطل ويزيل اقفال قلوبهم المانعة لهم وغشاوة ابصارهم وبصايرهم
حتى يعرفوه ويهتدوا بهدايته ويفتح مضارع معطوف على فاتح فان المفعل يعطف على الاسم الصفة
لانها بمعنى وفي بعض النسخ بفتح البا الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف على مقدر اي التعلق
بتيسير او بفتح الخ ويكون الفتاح ايضا كما كان بمعنى الحاكم بمعنى الناصر المعين لان من شان الحاكم
نصرة المظلوم والخفاة استشهد له بقوله كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي لانه
فسر هكذا ان تستنصروا فقد جاءكم النصر من عند الله بخذلان اعداء دينه ونصرته للحق وقيل
معناه مبتدي الفتح والنصر لان الفتح جاء بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبتديه
ومعنى مبتدي النصر انه موجده وميسره وما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب
من الله لاهل مكة ابي جهل واضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفريقين واكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى وتهكم بهم
ان قد نصرتم وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل
الذي تقدم ذكره من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة والفاتح بمعنى الفتاح
والمبالغة التي فيه لا تنافي مشاركته له في اصل معناه كما توهم وكذا ما قيل من انه ليس بخاص
ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغي ذكره وفيه اي في حديث الاسراء من قول الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم فيما خاطبه به اذ عرج به وجعلتك فاتحا وخاتما اي اول الانبياء ولاخرهم
لما مر من انه صلى الله عليه وسلم نبي قبل خلقهم وقد تقدم بيانه او المراد به ما قاله في شرح قوله
وفيه اي في حديث الاسراء من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه اذ حمده بمحامد له
يلهما قبل وتعديد من الله اي مقاماته بين يدي ربه ورفع لي ذكري بجعله قريبا لذكره كما تقدم وجعلني
فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم وانما خصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبل شريعته
كشريعته او الفاتح لابواب الرحمة على امته اذ هداهم الى ما ارشدهم الى سعادة الدارين
او الفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله لدعوتهم الى معرفته تعالى وتوحيده او الناصر
للحق والدين القويم بجهاده في سبيله تعالى او المبتدي بهداية الامة لتقديمه ذلك على كل مهم
او المبدا المقدم في الانبياء كما بيناه اولا والمبدا بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزه كما
قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان كانت به رواية فيها والا فيجوز فتح الميم وسكون البا
الموحدة المفتوحة اولا وتخفيف الدال بمعنى الاول والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبيا في الخلق
لخلق نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق في اتباع من ادركه منهم واخرهم في البعث باعتبار
الزمان وبما قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لاختصاص لما ذكر غير الاخير به الا ان يقال انه وقع
على اتم وجه بحيث لا يشاركه فيه غيره ثم ان المصنف يقول انه لابد في اسمائه من اختصاص معانيها
فتدبر ومن اسمائه اي من اسماء الله التي سمى بها نبيه صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي
رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه في تعداد الاسماء الحسنى الشكور وفي القرآن

ان

ان ربنا لغفور شكور والشكر معنيان لغوي وعرفي مشهوران واما في حقه تعالى فمعناه المثيب
اي المعطي الثواب الجزيل على العمل القليل فهو من صفات الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثناء
المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لا يختص باللسان
فهو استعارة او من اطلاق السبب على المسبب كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وهذا اقرب
مما قيل انه الذي يجازي على قليل من عمل الطاعة في ايام قليلة ما لا نهاية له من النعيم المخلد كما قال
تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية اي في الحياة الدنيا لان المغايرة بينهما
سهلة خلافا لمن توهم ذلك وقيل المثني على المطيعين وهذا انسب بمعنى الشكر الحقيقي واقرب
وقد اثنى الله على عباده الصالحين كثيرا في القرآن وكتبه المنزلة وهو الذي خلق فيهم القدرة على الطاعة
ووفقهم لها كما قال ابن عطاء الله في حكمه من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك يثني باحسانه
عليك فهو انما اثنى في الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان اسما الله التي سمى بها رسوله صلى الله
عليه وسلم لا يلزم اختصاصه بها فقد يشركه فيها غيره كما مر فقال ووصف اي الله عز وجل نبيه
نوحا بذلك فقال انه كان عبدا شكورا قيل ويعلم من وصفه به وصف من هو افضل منه وهو محمد
صلى الله عليه وسلم فلا دينا في ما هو بصدده من ذكر تسميته نبينا صلى الله عليه وسلم باسمائه
ولا حاجة اليه مع قوله وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال في حديث
مشهور تقدم ذكره افلا اكون عبدا شكورا فان الاستفهام الانكاري يدل على انه وصف
مقرر له وما ذكره في حق نوح صلى الله عليه وسلم مبني على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى
عليه السلام كما ذهب اليه بعض المفسرين اي معترفا بنعم ربه مقرا بها عارفا بقدر ذلك
مؤديا لحقه مثنيا عليه بلساني واركاني جهدا بزنة منعم اي باذلا جهدي وطاقتي ومتعبا
نفسي في الزيادة من ذلك اي من الاعتراف والثناء عملا بقوله لئن شكرتم لازيدنكم من النعم
التي شكرتموها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبني اسرائيل واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم
ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة اي احاط علمه بكل شيء مما غاب وخفي
وما حضر وظهر ودق وجل وعلمه تعالى لا يشبه علم غيره وتحقيقه في علم الكلام ووصف
نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه جزئية كيفية بمعنى فضيلة وقال العلامة
في شرح المفتاح لا يبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفي الاساس تعريفه عليه ومن التنبيه
على ذلك وفسر المزية بقوله فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما بما خصك
من العلم والمعارف الالهية والامور الدينية وفيه اشارة الى انه ازله صلى الله عليه وسلم
مزية في ذلك لم ينلها غيره ولا ينافيه قوله وقال كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم
اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون مما لا طريق له سوى
الوحي غير المتلو ولذا اعاد الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم وما علمهم بعض ما علمه الله
لم يشاركوه في هذه المزية وانما ذكر هذه الاية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها
تدل على زيادة علمه صلى الله عليه وسلم انه معلم لغيره متعلم منه ومن اسمائه تعالى الاول

والاخر وقد سمي به في القران والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق
وكونه فاءه واوا وهمزة معلوم في العربية ووزنه افعل ويكون اول اسم تفضيل وظرفا وليس هنا
محل الكلام فيه وانما الكلام في معناه في اسما الله تعالى فقال ابن الغزالي العلماء فيه عبارة
فقيل الاول الموجود قبل الخلق والمكان ولا شيء قبله ولا معه قال ابن عباس رضي الله عنهما
وقيل انه الذي لا ابتداء له وقيل انه الذي له كل شيء وبه كل شيء ومنه كل شيء كما يقال فلان
اول هذا الامر واخره وقيل الاول بصفاته وقيل بمحبته لاوليائه ومقابله الاخر فقيل
هو الموجود بعد الخلق فلا شيء بعده وقيل هو الذي لا انتها له وقيل هو الذي يرجع اليه
كل شيء وقال الضحاك وهو الذي اخر الاول واخر اي الذي جعل لكل شيء اخرا وقيل الاخر بقضائه
وقدره وقال الغزالي رحمه الله الاول والاخر متناقضان فالشيء الواحد لا يكون اولا واخرا
من وجه واحد فانك اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها اول
لانها استفادت منه الوجود واما هو فموجود بمعنى انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت
الى ترتيب السلوك ومنازل السايرين فيه اليه فهو اخر ما يرتقي اليه درجة العارفين ولما كان
الاول والاخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسره بما فيه دقة والى هذا اشار
المص بقوله ومعناه السابق للاشياء اي جميع الموجودات قبل وجودها لانه الذي اوجدها
وابدعها والباقي بعد فنائها ثم صرح بالمقصود من دفع الابهام فقال وتحقيقه انه ليس له اول
والاخر ولا ابتدا ولا انتها فلا سابق عليه ولا باقي بعده فهو واجب الوجود وجوده عين ذاته
لا يتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبي انه الاول بوجوده في الازل وقيل
الابتدا والاخر بوجوده في الابد وبعد الانتها وعلى هذا يكون من اسماء الذات ويجوز ان يكون
من اسما الافعال على معنى اول الاول واخر الاخر في الوجود ثم اشار الى اطلاقه صلى الله عليه
وسلم بقوله وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق يعني انه في عالم الذر والارواح
خلقت روحه ونبي قبلهم ولذا عبر بالانبيا دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان
نورا في وجه ادم اذ لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم واخرهم في البعث فهو خاتمهم وبنوته
صلى الله عليه وسلم ورسالته لا تنقطع بموته وفسر هذا اي تقدم خلقه وتاخر بعثته
قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الميثاق هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه
فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم في الذكر لتقدمه في الخلق بل والبعث وهذا التفسير رواه
قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله
عز وجل واذ اخذنا الاية فقال كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث واما ما روي عن مجاهد
في انه هذا في ظهر ادم صلى الله عليه وسلم فتفسير اخر لا وجه لذكره هنا وقد اشار الى نحو هذا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله كما تقدم لما بكى على النبي صلى الله عليه وسلم انه توفي باني انت
وامي يا رسول الله لقد بلغ فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبيا وذكرك اولهم فقال واذ
اخذنا من النبيين الاية وانما قال اشار ونحو لانه ليس فيه تصريح بتقديم خلقه صلى الله عليه وسلم

اذ التقدم الذكري ليس صريحا فيه لجواز كونه شرف تبليه عنده ومنه اي من قبيل ذكر كونه اولا واخرا
قوله نحن الاخرون اي هو صلى الله عليه وسلم اخر الانبيا بعثة وامته اخر الامم السابقون
اي اول من يقضى لهم يوم القيمة قبل الخلايق كما صرح به في حديث مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم
كما تقدم انا اول من تنشق عنه الارض في الخروج من القبور للحشر واول من يدخل الجنة هو وامته
كما مر واول شافع واول مشفع اي ماذون له في الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول
عليه وقوله وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم لبيان اطلاق الاخر عليه
ايضا فعلم منه كله انه يقال له صلى الله عليه وسلم الاول والاخر كما يقال على الله وان كان
اطلاقهما على الله بمعنى مختص به كما مر واطلاقهما عليه وسلم بمعنى اخر مقيد بقيود اخر تدل
على تغايرهما مكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته في لفظ فسقط ما قيل ليس هنا المعنى بالمعنى
الاول قطعا ولا نسبة بينهما فهو غفلة منه وزلة قدم اذ مثله لا يخفى عليه مثله واعلم انه وقع
هنا في بعض الحواشي انه سماه بالاول والاخر والظاهر والباطن بالمحجوب عن عباده في الدنيا والذي
لا يحاط به او الذي لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم وروي فيه حديثا هو
ان جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم وقال السلام عليك يا اول السلام
عليك ويا اخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن السلام عليك فقال لجبريل
كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة للخالق لا تليق الا به فقال ان الله تعالى امرني
ان اسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبياء والمرسلين وشق لك اسما من اسمه وصفة
من صفته وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك اخرا لانك خاتم النبيين وسماك
بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق اباك
ادم بالفي عام الى ما لا غاية له ولا نهاية وامرني بالصلوة والسلام عليك فصليت عليك
الف عام حتى بعثك اليه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر
لانه اظهرك في عصرك واظهر دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات والارض فما منهم
احد الا وقد صلى عليه وسلم عليك صلى الله عليك وسلم فربك محمود وانت محمد وربك
الاول والاخر والظاهر والباطن وانت الاول والاخر والظاهر والباطن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين في اسمي وصفتي انتهى وهذا مما لم
نره لغيره ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين اي الشديد المحكم قوته فالمتين اخص
من القوي ولذا وصف بهما والقوي ذو القوة وورد اطلاقهما عليه في القران واصله
قوي فاعل بالقلب والقوة خلاف الضعف وهي ما يجد به القادر نفسه مستطيعا
لتقدير المراد وان لم يفعله فهي والقدرة متقاربان وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب
المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقال
الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على شيء قدر عليه ويكون معناها التام القوة
الذي لا يستولي عليه العجز بحال من الاحوال فيما لا يتناهى وهي مخصوصة بالله ولذا قال

تعالى لان القوة لله جميعا فلا قوة لعبده الا اذا قواه الله تعالى ولذا تعبدنا بقول لا حول ولا قوة
الا بالله كما قيل بك اسطر اذا سطرت ولولاك لما استمسكت قوى اوصالى ومعناه القادر
وان كان بين القوة والقدرة فرقا كما اشرنا اليه ولكنهما متلازمان ولذا فسره به الخطابى وابا
القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى الا انه لا خلاف بينهما وقد وصفه الله تعالى اى وصف الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين
اى ذى مكانة ورتبة عليه عند الله قيل المراد بذى القوة محمد وقيل جبريل عليهما الصلوة والسلام
وعليه اكثر المفسرين وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما سياتى ومن اسمائه
تعالى الذى سمى بهما رسوله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق كما رواه ابن ماجه المصدوق
بمعنى المصدق فيما جاء به وقد وردا فى اسماء الله الحسنى فى الحديث الماثور المروى بسند صحيح وورد
فى الحديث ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق وتقدم لفظه والكلام
عليه فى الفصل السابق ومن اسمائه تعالى الولى كما قال الله ولى الذين امنوا اى الذى يتولى امرهم
ويقوم بنصرتهم ومن اسمائه ايضا الوالى وهو بمعناه والمولى كما قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين
امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ومعناهما اى الولى والمولى الناصر اى الذى ينصرهم على اعدائهم
وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا اى ناصركم ولم يقل اولياؤكم لان نصرتهم
واحدة او لان الناصر انما هو الله وغيره تبعيته واعانته كما قال تعالى وما النصر الا من عند الله
وقد قال صلى الله عليه وسلم انا ولى كل مؤمن كما رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه
ورواه احمد وابوداود انا اولى بكل مؤمن من نفسه وفى البخارى ايضا انا اولى بالمؤمنين
من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وكان صلى الله
عليه وسلم فى اول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسال هل عليه دين وهل له وفاء فان قالوا
عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم ولا يصلى عليه فلما فتح بالفتوح والغنائم قال
صلى الله عليه وسلم من مات وعليه دين فعلى قضاؤه فقيل انه كان واجبا عليه واقتضى امام
الحرمين والماوردى انه لم يكن واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما وهل كان صلى الله عليه
وسلم يقضيه من الغنائم او من خالص ماله احتمالان وقد قال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم
اى احق بهم من انفسهم فانه يتولى صلاحهم وينصرهم ويقضى ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون
فى الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى وحسنه من كنت مولاه
فعلى مولاه والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قال الشافعى وهذا الحديث ورد فى قصة عن زيد
وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضى الله عنه قال لعلى كرم الله وجهه لست مولاى انما مولاى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كنت
الى اخره ولا دليل للشيعة فيه على انه رضى الله عنه وكرم وجهه احق بالخلافة لا سيما والمولى
من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره فلا حجة لهم ومن اسمائه العفو مبالغة فى العفو
عن السيئات وهو محوها وازالتها ولذا قيل انه ابلغ من الغفور لانه من الغفر وهو الستر

واما الصفح فمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك ايضا فلذا قال ومعناه الصفوح
فلا يرد عليه انه لا ينبغى تفسيره به وقد وصفه الله تعالى بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم فى القران
اذا امره فيه اذ قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره صلى الله عليه وسلم
بالتخلق بذلك فكان ممتثلا له متخلقا به فيقتضى الاتصاف به على ابلغ وجه واتمه اذ كان جبلة
له صلى الله عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه فى القران وانما امره ولو سلم اتصافه
به لانه لا يعصى له امرا لا يقتضى كونه على وجه المبالغة التى دل عليها صيغة فعول والامر لا يقتضى
التكرار على الاصح وفى التورية وفى نسخة والانجيل وامره بالعفو فقال بيان لما فى القران خذ العفو
وقال فاعف عنهم واصفح هذا مبنى على ان العفو فى هذه الاية الصفح ويدل عليه ما روى انها لما نزلت
قال صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا فقال لا ادرى حتى اسال ربى فساله ثم رجع فقال ان ربك
ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وهذا رواه
العفوى والقرطبى ونقل بصيغة التمريض وعليه اعتمد المص بقوله وقال له جبريل وقد ساله
صلى الله عليه وسلم عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك فاختصره والذى عليه الاكثر
ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما فى قوله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخ
باية الزكاة فلا شاهد فيها على ما اخر بصدده وقال هذا بيان لما فى التورية وفى بعض النسخ
التصريح بقوله فى التورية والانجيل فى الحديث المشهور الذى تقدم عن ابن عبد الله بن عمرو بن العاص
صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح وقد تقدم شرحه وان قول الناس
لعمر رضى الله عنه فى قصة الحجاب لانت افظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس التفضيل
فيه على اصله او انه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة ومن اسمائه تعالى الهادى وهو الصحيح الهداية
التى فى ضمن الهادى وذكره لانه تانيث الصدر غير مقبول او لانه بمعنى ان يهدى كما فى الكشاف بمعنى
توفيق الله لمن اراد من عباده اللام زائدة لتقوية لتعدى التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية
كما قاله الراغب الدلالة بلطف لما يوصل والموصلة على الخلاف المشهور وهو على انواع الاول
ما يعم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثانى دعاؤه اياهم على السنة رسله والثالث
التوفيق الذى يختص به من اهتدى والرابع الهداية فى الاخرة التى فى قوله الحمد لله الذى هدانا
لهذا والانسان لا يقدر يهدى احدا الا بالدعاء ولذا نفيت تارة واثبتت اخرى انتهى والى احد نوعيها
اشار بما ذكر واشار الى الاخر بقوله وبمعنى الدلالة والدعاء اى الدعوة قال الله تعالى والله
يدعوا الى دار السلام اى الجنة ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم اى يرشدهم الى طريق
مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم
ان التوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق
فقد ضل عن الطريق وكذا ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبنى على مذهب المعتزلة
فى خلق العباد لافعالهم وان ما ذكره المص لا ينافى الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشى
عن عدم معرفته بقدر المص واصل الجميع من معانى الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة

اصلها لغة من الميل فمعنى هداه امكاس فه اليه وامال له عن غيره لانه من التهادى وهو التمايل وفى
الحديث خرج صلى الله عليه وسلم يتهادى بين اثنين اى يتمايل وقيل انها ماخوذة لغة من التقديم
ومنه هوادى الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو الذى ارتضاه الراغب ثم شرع فى بيان
اطلاقه على النبى صلى الله عليه وسلم فقال وقيل فى تفسيرطه انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى
والاكتفا بحرفين من الاسمين يدل ان على الباقى كما فى قوله قلت لها قفى فقالت قاف اى وقفت يعنى
النبى صلى الله عليه وسلم اى يريد الله بهذين الاسمين نبيه صلى الله عليه وسلم لطهارته
من كل دنس وهدايته لخلقه وقال له الله تعالى خطابا لرسوله صلى الله عليه وسلم
وانك لتهدى الى صراط مستقيم اى تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصله الى السعادة
الدارين وهذا على قراءة بنيتا للفاعل وهى المشهورة وعلى المجهولة هو الله وقال فيه اى فى حقه
وشانه صلى الله عليه وسلم وداعيا الى الله باذنه اى بتيسيره وارادته والاذن يستعمل
مجازا مشهورا فى ذلك واصل الاذن معروف الاجازة وعبر فى الاول بقوله لكونه بصيغة الخطاب
يقال قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن فى الثانية خطابا قال فيه لانه فى حقه ووصفه
فلا وجه لما قيل انه لا وجه لتغاير المتعلقين ثم اشار الى ان معانى الهداية منها ما يختص بالله
ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره فقال والهداية بالمعنى الاول وهو التوفيق بخلق الاهتداء المختص
بالله فانه لا يقدر عليه سواه ولذا نفى عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال تعالى انك
لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء ويريد توفيقه وبمعنى الدلالة بكسر الدال المهملة
وفتحها وهى اراءة الطريق فتطلق على غيره تعالى كالنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين العلماء
لوقوع الدلالة منهم وقوله انك لا تهدى من احببت نزلت فى ابى طالب عمه لا فى العباس عمه
رضى الله عنه كما قيل وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى دخل عليه فى مرض
موته وقال له يا عماه قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وعنده ابوجهل وصناديد
قريش فقالوا له اترغب عن ملة عبد المطلب وكان اخر ما قال انه على ملة عبد المطلب فنزلت
هذه الاية والشيعة يقولون انه قالها خفية وشهد بذلك فات مسلما وقد رده الحفاظ
وقالوا انه لم يثبت ومن اسمائه تعالى التى سماه صلى الله عليه وسلم بها المؤمن المهيمن
قيل هما فى اسما الله تعالى بمعنى واحد ولفظهما من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل
مبدلة من همزة بمعنى المؤمن على هذا القول فى حقه تعالى المصدق وعده اى ما وعد به عباده
فى الدنيا من الثواب ونعيم الاخرة والنصر العزيز فى الدنيا الى غير ذلك من وعد من لا يخلف الميعاد
والمصدق قوله الحق اى الذى صدق ما قاله من الحق كما قال فورب السما والارض انه لحق
والمصدق لعباده المؤمنين ورسله اى يصدق ما قالوه او جا عليهم صادقين فى قولهم
وللمؤمنين المصدق فى اقوالهم وعهودهم كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فعلى الاول اللام غير زائدة وعلى الثانى مزيدة للتقوى وتحقيقه ان هذا الاسم سمى به نفسه
فى القران والاحاديث الصحيحة واجمعت عليه الامة وهو من امن يؤمن ايمانا فهو مؤمن

اى

اى مصدق فانه كذلك فى لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه مصدق مومن
عباده او الذى لا يخاف ظلما وقيل معناه الذى تامن اولياؤه عذابه كما قال الشاعر
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند وقال الحاكم انه اذا
وعد صدق وعده وقال الخطابى بعد ما مر انه بالصدق انه يحتمل وجوها احدها انه
يصدق عباده وعده ويفى بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الاخرة والاخر انه يصدق
ظنون عباده المؤمنين ولا يخيب امالهم كقوله انا عند ظن عبدى بى وقيل الموحد نفسه
بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله اننى انا الله لا اله الا انا فصدق ما نطقت به
الكائنات وحكمة البراهين من توحيده فى الوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق
وقوله وقيل المؤمن عباده كلهم مؤمنهم وكافرهم فى الدنيا من ظلمه لتنزهه عنه وما ربك
بظلام للعبيد والمؤمنين فى الاخرة من عذابه معطوف على قوله عباده مفعول مؤمن بوزن
متصف بمعنى معطى الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول
صفة ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد ما بين معنى المؤمن شرع فى بيان معنى المهيمن على انه بمعناه
فقال وقيل المهيمن بمعنى الامين فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه هاء واصله ما يمن ويميمه
الاولى مضمومة زائدة ومعناه الامين كما ذكر وفى بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان
القلم الا ان يراد معنى مادته الماخوذ منها وهو من اسمائه الواردة فى القران والحديث
واجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سياتى فى بيت العباس واطلق على
ابى بكر ايضا رضى الله عنه فى قوله الشاعر الا ان خير الناس بعد نبيه مهيمنه التاليه فى العرف
والنكر ولم ينكر وقال ابن الحصار لا نعلم احدا سمى به الا انه ليس فى الشرع ما يمنعه
وقوله مصغر منه اى مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب
عنه لان اسماء الله تعالى لا يجوز تصغيرها لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم فى قوله
دويهية تصفر منها الانامل لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره فصغروه تلطفا منهم كما
قال وتقدم ما قلت جبى من التحقير بل يعذب اسم الشخص بالتصغير واما اسماؤه
تعالى واسماء انبيائه عليهم الصلوة والسلام فلا يجوز ذلك فيها قطعا وانما هو اسم
فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه كما صيغم وحيدر وليست للتصغير وقد جاء فى الكلام
الفاظ على وزنه كبيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار ويقال له بيطر ايضا والمدبر
بالموحدة من الادبار ومجيمر اسم جبل وهذا البناء من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل
فلا يقال الهيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابى عن بعض اهل اللغة المهيمنة بمعنى القيام
على الشىء والرعاية له وذكر ابن الانبارى فى الزاهر ولغرابته اختلفوا فى معناه على اقوال
عشرة الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المص فقلبت الهمزة هاء لانها اخف كما قالوا فى اراق
هراق وفى اياك هياك وقول المص انه مصغر منه اى من مادته ونوعه والا فهو من الامن
مصغر مومن ويجوز ان يعود ضميره منه الى المؤمن فليس مراده انه تصغير امين كما توهم عبارته

الا انه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ما قيل انه سهو منه لان تصغير امين امين بضم
اوله وتشديد يائه وجعله شاذا لا داعي اليه واسما الله لا تصغر فياؤه زائدة للتكثير ثم
ذكر اسما اخر من هذه المادة فقال وقد قيل ان قولهم في الدعا امين بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه
وصه قال الحسن معناه استجب او افعل ولا ولا تخيب وامنا ذا ماثل امين وقايله مجاهد انه اسم
من اسما الله تعالى بدل من قوله ان قولهم قيل اصله على هذا امين بالقصر مبني على الفتح وادخل
عليه همزة الندا او ابدلت الثانية الفا ورده ابن عمر وقول بانه ليس في اسماء الله اسم مبني وقال
الراغب عن ابي علي ان القائل بذلك اراد انه فيه ضمير الله لان معناه استجب وقيل انه عبراني وقيل
سرياني وقيل لا يعلم اصله ومعناه معنى المؤمن اذا كان اسما لله ولذا قيل ينبغي تقديمه على هذا والكلام
عليه مفصل في التفاسير والقول الثاني في المهيمن ما اشار اليه بقوله وقيل المهيمن بمعنى الشاهد
اي الحاكم او الذي يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو الشهيد والرابع الحافظ
للموجودات عن العدم حتى يريد غيره او المحصي لاقوالهم وافعالهم والخامس انه بمعنى العلي المتعال
والسادس الشريف وهو قريب مما قبله والسابع المصدق والثامن الرالي قاله عكرمة والتاسع
القاضي قاله ابن الزبير والعاشر الرقيب وفيه كلام في شرح اسما الحسنى للقرطبي ثم شرع في ذكر تسميته
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن اي يسمى بهذه
الاسماء الثلثة التي يسمى الله بها وان لم تتحد معانيها من كل الوجوه بشهادة حديث اني لامين في الارض
وامين في السماء وكانت قريش تسميه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة محمد الامين كما مر واشار
اليه بعد وسياتي ذكر المهيمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين ان لم نقل المراد به
جبريل صلى الله عليه وسلم كما تقدم اي مطاع امره وامين على وحيه واسراره وكان يعرف بالامين
وشهر به قبل النبوة وبعدها بين اهل مكة وطوائف العرب والفضل ما شهدت به الاعداء وهذا
مؤيد لما قبله لان شهرته بذلك بتقدير الله تعالى واظهاره فلا يرد عليه انه بصدد تسميته الله
تعالى له صلى الله عليه وسلم لا الناس حتى يقال انه لما اقره ورضي به دل على انه باذن الله تعالى
وسمي بالمامون ايضا كما مر في قول اخي كعب سقاك بها المامون كاسا روية فانهلك المامون
منها وعلكا فلما سمعها صلى الله عليه وسلم قال مامون ان شاء الله ان لم نقل المراد به
ابو بكر رضي الله عنه ثم بين تسميته صلى الله عليه وسلم بالمهيمن بقوله وسماه العباس
رضي الله عنه بن عبد المطلب عمه في شعره مهيمنا في قوله في الشعر الذي قدمناه مع شرحه ثم احتوى
بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق وتقدم شرحه فانظره وقيل المراد بها المهيمن
ولولا هذا لم يكن اسما ومرضه المصنف بتبريه منه بعزوه لقائله بقوله قال القتيبي عبد الله بن مسلم بن
قتيبة الدينوري البغدادي الامام المشهور نسبته لقتيبة جده توفي سنة ست وسبعين
ومائتين وتاليفه كثيرة والامام ابو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير
قبيلة وانما مرضه لانه تكلف ضعيف لان المعروف ان لا ينادي وتقديرانها مع تقدير حرف النداء
لا يرتضيه نحوي وانقل من هذا ما قيل ان البيت هنا بمعنى العز والشرف كما في قوله ان الذي

سمك

سمك السما بنا لنا بيتا دعايمه اعز واطول واذا عزم وشرف بالمهيمن كان صفة له على
ابلغ وجه لان صفته الصفة صفة ومثل هذه الدقة لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل
الفرك وقال تعالى في وصفه صلى الله عليه وسلم بانه مؤمن اي مصدق يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين اي يصدق لعلمه بخلوصهم واللام لتضمينه معنى يذعن ويسلم او مزيدة والاية نزلت
في حقه صلى الله عليه وسلم لما قالوا في حقه امرا منكرا وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف ونحدد
فانه اذن اي يصدق بكل ما يسمعه فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يؤمن بالله الخ وقال صلى الله
عليه وسلم انا امنة لاصحابي هذا طرف من حديث النجوم امنة في السماء فاذا ذهبت الى السماء
ما توعدون وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت الى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا
ذهبت اصحابي الى امتي ما يوعدون يعني ان النجوم اذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها ولذا كثر
سقوطها عند بعثته صلى الله عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله عليه وسلم
امان لاصحابه رضي الله عنهم من وقوع باسهم بينهم ووقوع الفتن فاذا توفاه الله ابتدا وقوع
ذلك كقصة عثمان وعلي والحسين واصحابه صلى الله عليه وسلم امان للناس من ظهور الفساد
في البر والبحر فاذا ذهبوا ابدا ظهر ذلك وامنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او بنية
المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد وغيره قال الراغب يقال رجل امنة وامنة يثق بكل احد
وامين ويؤمن به انتهى ونحوه في الاساس وكونه جمع امين وهو لحافظ خلاف الظاهر للاخبار
عن الواحد وانما ذكره المصنف تاييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله
عليه وسلم باسما الله تعالى اذ ليس من هذا القبيل ومن اسمائه تعالى التي طلقت عليه صلى الله
القدوس مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف
في الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة فيه وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كسفود
وسمور الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين للسطل والعامة تقول له قادوس
وظاهر كلام القبطي في شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر عن سمات الحدوث اي علاماته واثاره فلا يتصف بشيء منها وسمي بيت المقدس به اي
من هذه المادة بالمعنى المذكور بيت المقدس مخفف بزنة مرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس
وهو الطهر وجا فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التطهير وجا
بكسر الدال المشددة اسم فاعل ويقال له البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة
قاله الكرماني وقد تقدم لانه يتطهر فيه من الذنوب بزيارته والعبادة فيه وروى النسائي
باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام
لما بنى بيت المقدس سال الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وان لا ياتي بيت المقدس احد لا ينهزه الا الصلاة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه
فاعطي جميع ذلك انتهى ولذا تشد المطي كما تشد الى الكعبة ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم
ومنه الوادي المقدس المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى عليه السلام

سمي به لان الله تعالى قدسه وشرفه بظهور كلامه فيه وهو من الارض المقدسة ايضا فهو مطهر
مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا ومنه روح القدس بضمتين وضم فسكون كما مر وهو جبريل
عليه السلام قال تعالى قل نزله روح القدس لنزوله بما يطهر النفوس من القران والحكمة والفيض
الالهي وهذا هو الاصح وفيه وجوه اخر ووقع فيه من بعض كتب الانبيا المنزلة من عند الله علم
في اسمائه صلى الله عليه وسلم المقدس هذا هو الصحيح وما في بعض النسخ من انه القدوس من غلط
الناسخ قاله فانه لا يجوز ان يقال في حقه مخلوق القدوس مطلقا اي المطهر من الذنوب لعصمة الله
تعالى له صلى الله عليه وسلم من التدنس بها ومغفرتها لو فرض ووقع شيء منها تسمى ذنبا بالنسبة
له صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل المراد
ما تقدم من ذنوب امتك وما تاخر منها كما سياتي بيانه وخوطب لانه سبب المغفرة او الذي
يتطهر من الذنوب ويتنزه ببناء المجهول فيهما والتنزه البعد ولذا اخره لاشعار التطهير
بالوقوع وقوله باتباعه عنا متعلق بيتنزه والباء سببية لان من اتبعه صلى الله عليه وسلم
واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكب غفرت ببركته صلى الله عليه وسلم كما قال الله
تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم يطهرهم من الشرك وخبائث
الجاهلية ويعلمهم ما يكفيهم عن الاثام وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر والمعاصي
الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته صلى الله عليه وسلم ففيه
استعارة تصريحية او يكون مقدسا الموصوف به النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى مطهرا من الاخلاق
الذميمة بالمعجمة اي المذمومة والاخلاق الدنية الحقيرة التي لا يليق تجنبا به صلى الله عليه
وسلم وفي الشرح الجديد هنا ما تركه خير منه ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الذي
لا ينال ولا يدرك والعرب تقول لحصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلي في العقاب حتى
انتهيت الى فراش عزيزة سوداء روثة انفها كالمخصف كذا قاله القرطبي نقلا في شرح الاسما
الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله الغالب القاهر من صفات الافعال فكان ينبغي له ان يقول
او الغالب لانه معنى اخر كما صرحوا به في شرح اسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقي
ونعت تنزيهي كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبي لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق
الغالب على الله تعالى لم يات في عدد الاسما وورد في قوله والله غالب على امره اي الفعال
من مخلوقاته ما يريده احبوا او كرهوا وفي التنزيل كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال الحاكم
الغالب والمطالب جرت عادتهم باستعمالهما في اليمين اي الممتنع اي المهلك فانه يمهل وهو على الابهام
بالغرامة انما يملي لهم ليزدادوا اثما او الذي لا نظير له هذا معنى اخر قال الخطابي العزة تكون
بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله
شيء وانه لا مثل له انتهى ومما سمعته من تفسير العزيز ظهر ان ما قيل انما انحصر في فرد كالشمس
والقمر داخل فيه فيحتاج لزيادة قيود اخر ليس شيء اد المعز لغيره فهو فعيل بمعنى مفعول وهو
عزيز في العربية ولذا اخره المص يعني بانه لا عزيز الا من عزه والعزله وبيده لا بيد غيره وبهذا يتبح

الا

الاستشهاد له بقوله وقال تعالى ولله العزة ولرسوله صلى الله عليه وسلم والاية نزلت
في حق المنافق ابي بن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرده
الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلا يتوهم ان انحصار العزة
في الله لا يقتضي انه معز بل معز بالفتح وقد يجوز في الاسم الشريف ان يكون المعز المعظم وقد يقال
يكفي في كونه معزا اثباته العزة للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وانه محل الاستشهاد اي
الامتناع وجلالة القدر معطوف على ما قبله لانه بمعنى العزة عدم النظير او تقديره وبزيادة
المصنف لما ذكر اندفع ما تقدم ايضا وقال الغزالي العزيز من العباد من يحتاج اليه في اهم وهو
الحيوة الاخروية وهو مما يعز وجوده وهو مرتبة الانبيا والخلفاء ودونهم من العلماء المرشدين
وذوي العدالة من الحكام ثم ذكر اسما للرسول وصفه بها الله لا على طريق الاسمية فقال وقد وصف الله
تعالى نفسه بالبشارة والنذارة الاول بكسر اوله والثاني بفتحه والبشارة الخبر السار سمي به لانه يوثر
في بشرة الوجه ولذا لو قال لغيره من بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه على الترتيب عتق الاول
ولو قال من اخبرني عتق الجميع كما مر والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب
اليم تهكم كما مر فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى بن مريم ومن يكتفي بوجود المادة يجوز ان يسمى الله مبشرا ومنذرا ومثله يكفي في كونه توقيفا
والاشعري رحمه الله يقول لا بد من وروده بعينه وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا اي مبشرا
لاهل طاعته بما يسرهم في الدنيا والاخرة ونذيرا لاهل معصيته بما يسوءهم من العقاب ونحوه
ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلا حاجة لاعادته تنبيه في فتاوى السبكي رحمه الله
تعالى في قوله في سورة الاسرا انه هو السميع البصير ان الضمير في قوله انه يعود على الله تعالى وقد ورد
في اربعة مواضع من القران وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبي صلى الله عليه وسلم فيكون
هذان الاسمان من اسمائه صلى الله عليه وسلم ومعنى وصفه بهما انه الكامل في السمع والبصر الذين
بهما الايات التي يريه اياها وهو نذير والانذار بالعقل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر
فعلى هذا وصفه صلى الله عليه وسلم بذلك لانه لا احد اكمل منه في الانذار والاستدلال انتهى اقول
يعني ان وصفه صلى الله عليه وسلم بهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين
وسيق للمدح وهو امر عام فسره بما يخصصه به ويصير مدحا له ولا حاجة لهذا مع بعده فانه
قد تبين توجيه اظهر منه وهو السميع لكلام الله تعالى من غير واسطة والناظر الى نور جماله
بعين بصره وهذا مما لا اختص به صلى الله عليه وسلم فصل قال القاضي ابو الفضل عياض
المؤلف رحمه الله وها هنا نكت وفي نسخة وهنا انا اذكر نكتة وها حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم
الاشارة خبرا عن المبتداء الواقع بعدها نحو ها انا ذا اقول وقد لا يؤتى به كما صرحوا به فمن ظنه
لازما واعترض على المص لم يصب والنكتة بضم اولها وفتح التاء الفوقية هي الامر الدقيق
المحتاج الى فكر وتامل سميت بها لان صاحبها كثيرا ما يبحث في الارض بقضيب ونحوه وهو

معنى النكت لغة ازيل بها هذا الفصل اى اختمه بها واطوله فيكون كذيل الثوب الذى يطول به وفى حديث
مصعب بن عمير رضى الله عنه انه كان فى الجاهلية مترفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة اليمن
اى يطيل ذيلها واليمنة برد من برود اليمن ففيه استعارة تصريحية تبعية واليه اشار اليه
بقوله ولختم به هذا القسم الذى فيه ذكر الاسماء وازيح الاشكال بها فيما تقدم اى ازيل
ما يشكل على سامعه عن كل ضعيف الوهم قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة
المعارضة للعقل فان ضعفها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله يقيم الفهم
كالتفسير له وسقمه بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره فى الاول بالضعف وفى هنا بالسقم
تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها تخلصه من مهاوى التشبيه بكسر الواو وجمع مهواه
وهى كالمهاوية الحفرة العميقة التى يقع فيها من يصعب طلوعه وهو من اضافة المشبه به للمشبه
كلجين الماء وهى تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيرها لان اطلاق
بعض الاسماء على الله وعلى غيره يقتضى ذلك وتزخرفه اى تزيله اى وتبعيته قال تعالى
فمن زحزح عن النار عن شبه التمويه اى الشبه بزنة غرر جمع شبهة وهو ما يلبس واصله ما لا يتميز
عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من الماء والمراد به زخرفة الكلام الذى لا حقيقة له
وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو استعارة قال فى الاساس سرج مموه مطلى بالذهب
او الفضة وحديث مموه من زخرف وما احسن موهة وجهه بهاؤه ورونقه انتهى وانما سمى تمويها
لانه يذاب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر اخبره بخلاف ما ساله عنه وهو عائد على ما يفهم
مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال ويزيح الاوهام والنجح من اعاده على ضعيف الوهم وسقيم الفهم
ان نعتقد ان الله جل اسمه اى عظم وتنزه عن الالحاد فى اسمائه بالتاويلات الباطلة ولقد اصاب
قوله هنا جل اسمه نحوه وطبق مفصله فى عظمته وكبريائه الكبريا الترفع عن الانقياد والعظمة
جلالة ذاته فى نفسها ولظهور الاولى ورد فى الحديث الكبريا ردائى والعظمة ازارى من نازعنى
فى شىء منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفصيل ليس هنا محله والجار والمجرور متعلق بما سياتى
من قوله لا يشبه الخ وقيل انه حال لازمة من ضمير اسمه اى متصفا بهما وبما بعدهما وكنى بالظرفية
عن تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه استعارة تبعية او هو ظرف مستقر كائنا لتمكنه
وانفراده باعلى مراتبهما فيهما انتهى وفيه تكلف وملكوته اى عظم وعز سلطانه وهى كلمة صيغة
مبالغة من الملك كالجبروت وقد يقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة
وكلا المعنيين صحيح هنا وحسنى اسمائه اى اسماؤه الحسنى وصفت بالحسنى لدلالتها على احسن
المعانى وامدحها فهى صفة كاشفة لا مخصصة ومنها ما يختص به كالخالق وما يطلق عليه
وعلى غيره ولها انفا باسم اخر وعلى صفاته بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا وهى الشريفة
الرفيعة وروى على بفتح العين وكسر اللام وتشديد اليا وهما بمعنى لا تشبه شيئا من مخلوقاته
بالتا الفوقية اى المذكورات من لفظ العظمة وما بعده وهو خبر ان وما بعده متعلق به او حال
مما قبله وليس معترضا كما قيل ولا تشبه به مبنى للمجهول بضم الفوقية مشدد البا الموحدة

ويجوز

ويجوز ضبطهما بالتحتية اى معانى اسمائه وصفاته لا تشابه غيرها بوجه من الوجوه لتقدمها وكونها
على اعظم رتبة لا يصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال ونشات مما تقدم تقديره ان بعض اسمائه
تعالى تطلق على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فيلزم مشاركة عبيده له فيها كما قال وان ما جاء
من اسمائه تعالى مما اطلقه الشرع فى القران والاحاديث والكتب الالهية على الخالق وعلى المخلوق
كشكور وحفيظ وغيره مما تقدم واعاد الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما فلا تشابه
بينهما فى المعنى الحقيقى الذى هو ماخذ الاشتقاق من الشكر والحفظ قال العلامة ابن القيم فى كتابه
بديع الفوائد اسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هى حقيقة فيه مجاز فى غيره او
مجاز فيه حقيقة فى غيره او حقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسماء الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف
منها لا ينافى العلمية بخلاف المعتاد فانها مشتركة انتهى وهو كلام مشكل فان منها ما هو حقيقة
قطعا كالاله والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه اطلق
باعتبار غايته الا ان يقال انه حقيقة شرعية فان نقدرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث
لا يستلزم اشتراكهما بل كونها معقولة بالتشكيك فقوله ان صفات القديم بخلاف صفات
صفات المخلوق لا يتم دليلا على مدعاه فكما ان ذاته لا تشبه الذوات اى حقيقته ونفسه ومن
ذهب الى ان الذات لم ترد بهذا المعنى ينكر دخول ال عليه الا ان الظاهر صحته ويشهد له قولهم
الدوين للملوك اليمن وقوله تعالى ذواتا افنان فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين
وكون ذاته لا تشبه شيئا من الذوات هو الحق الذى ذهب اليه الاشعرى وغيره من المتكلمين خلافا
لمن ذهب الى انها تشبه غيرها فى الحقيقة وانما امتازت بالوجوب والالوهية وغيرهما وتفصيله
فى الكتب الكلامية واعلم ان فى اطلاق لفظ الذات على الله شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح
لانه مونث ذو ودخول ال عليه غير صحيح لغة وقال السهيلى ذهب كثير الى اطلاقها عليه وجواز
تعريفها لانها بمعنى النفس والتانيث غير مراد فيقولون ذات البارى بمعنى حقيقته ويحتجون بما
ورد فى الحديث الصحيح ثلاث كذبات فى ذات الله وقول خبيب رضى الله عنه وذلك فى ذات الله
وان يشاء يبارك على اوصال شلو ممزع وقد اثبت ذلك البخارى واحمد فى مسنده وقال ابن القيم
وابن قدامة ليست هذه اللفظة كما زعموا فى اللغة والشرع بالاستقراء ولم يرد الا مجرورا بفى الظرفية
غير صحيحة فهى صفة لمؤنث مقدر ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال النابغة مجلتهم ذات الاله
ودينهم ومن فسره بغير ذلك فقد وهم فتدبر اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاعراض الاول بعين
مهملة والثانى بغين معجمة او بالعكس فراء مهملة وضاد معجمة فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو
ما يقابل الجوهر اى لا يقوم بذاته او بمعنى كالمرض ويكون بمعناه ايضا لان ما يعرض للبدن ان
استمر فهو مرض عند الاطبا والا فعرض ويطلق كل منهما على الاخر والثانى هو الامر الباعث على وجود
الفعل وايجاده وهذا تعليل لكون ذات الله تعالى وما تعلق بها لا يشبه شيئا من المخلوقات
فان الخلق وصفاتهم لا تنفك اى لا تفارق الاعراض والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة
والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للحدوث المنافى لوجوب الوجود الذاتى

خلاف للحكماء والكرامية وافعاله تعالى لا تعلل بالاغراض وان كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة وهي تسمى
غرضا ايضا ولكنه ليس محل خلاف وذهب النسفي وبعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظي فان
الغرض ان كان ما تستكمل به الفاعل ويحتاج اليه فهو منفي عنه والا فيجوز اثباته له خلافا للحكما
وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفي كلامه تجنيس وهو تعالى منزه عن ذلك فلا يحل به غرض
ولا يفعل لغرض بل لم يزل موجودا ازلا وابدا بصفاته واسمائه الدالة على ذاته وصفاته فهي قديمة
اما صفاته الذاتية فلا كلام في قدمها ومنها ما هو عينه ومنها ما هو غيره او لا عينه ولا غيره
عند الاشعري واما صفات الافعال كالاحيا والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة
والحادث تعلقها عند الماتريدية والمصنف معهم هنا وقيل انها حادثة اذ هي اضافات تعرض له
ولا محذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة ايضا واسماؤه على ما ذكره قديمة
ايضا لانه تعالى سمى نفسه بها في كلامه وهذا بنا على قدم الكلام اللفظي وهو مذهب السلف
وبعض الخلف كالشهرستاني وكفى بهذا الدليل اثبات كون ذاته وصفاته واسمائه لا يشبهه شي
فيها قوله تعالى ليس كمثله شي فانه صريح فيه سواه قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك
لا يبخل والكاف غير زائدة او قلنا انها زائدة وقيل الفرق بين مثله وكمثله ان الاول يدل على المشابهة
من ساير الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما ولله در من قال من العلما العارفين المحققين
الدر بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين اصل معناه اللبن الحليب ويتجوز به عن الخير والعمل
الصالح واللام في لله للتعجب وكذا يستعملوه فيقال لله دره للثنا عليه والتعجب من محاسنه ولم
يقولوا لله هو لانه ابلغ بمراتب لتعجبهم من لبن ارتضعه كما يقال لله ابوه وبلده واضافوه لله اشارة
الى انه لا يقدر عليه سواه واراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما سجلته عنهم فان العارف
مختص في العرف باوليا الله التوحيد اثبات ذات وهي ذات الله غير مشبهة للذوات جميعا
بوجه من الوجوه ولا معطلة من الصفات اصل معنى العطل فقد الزينة والشغل والمراد به النفي هنا
اي غير منفي عنها الصفات كما يقوله المعتزلة هربا من تعدد القدما والمحذور تعدد ذوات قدما
ذوات قدما لا ذات وصفات وفيه تشبيه للصفات بالزينة وزاد هذه النكتة وهي معنى
التوحيد الذي قاله المشايخ الواسطي تقدمت ترجمته بيانا وهي اي الزيادة التي زادها فهو عايد
على ما فهم مما قبله مقصورا لدلالتها على ما عقد له هذا الفصل فقال ليس لذاته ذاتا اي ليس
لحقيقته حقيقة فلا يشاركه بوجه من الوجوه اذ لو شاركه لزم احرازه امر يميز ذاته عن ذات غيره
والا لاتحدا وهذا يستلزم التركيب والحدوث ولا كاسمه اسم اي لا يشبه مدلول اسمه مدلول اسم
اخر كما مر ولا كفعله فعل لانه في غاية الكمال والاتقان وليس لغرض ولا عرض كما مر ولا كصفته صفة
لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ في بعضها كسميع
وبصير وحي فمثل ذلك في حقه ليس مثله في غيره وان كانا للفظ متحد المناسبة ما تم ومنه
فقال وجلت الذات القديمة اي عظمت وتعالت وتنزهت عن ان يكون لها صفة حديثة اي يحدث
بعد العدم لانها ان كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها بعد وجودها وهو نقص لا يليق بكماله

والا استحال اتصافه بها وهذا مبني على قدم صفات الافعال كما تقدم كما استحال ان يكون للذات المحدثة
صفة قديمة لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
الماتريدية فالجماعة اذا اطلق فالمراد به هولاء دون غيرهم من الفرق الضالة المضلة وقد فسر
الامام ابو القاسم القشيري تقدمت ترجمته قوله هذا اي قول الواسطي السابق ليزيده بيانا
وايضاحا على ايضاح فقال هذه الحكاية اي المحكي المنقول على الواسطي يشتمل وفي نسخة لتشتمل
على جوامع اي امور جامعة مستوفية من مسايل التوحيد وهي اعتقاد ان الله واحد في ذاته
وصفاته لا مثل له ولا ضد ولا ند ولا شريك له في الوهيته واستحقاقه للعبادة وكيف تشبه
ذاته ذات المحدثات بفتح الدال المهملة اي الامور الحادثة وهي بوجودها متعينة مستقلة
غير محتاجة ومستندة لغيرها لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة وكيف يشبه
فعله فعل الخلق في حقيقته ولوازمه وكماله وهو اي فعله لغير جلب بفتح الجيم وسكون اللام وفيها
وباء موحدة وهو التحصيل واصل معناه السوق وهو انس اي استيناس ودفع وحشة لاستغنا
عن الانيس والجليس او دفع نقص حصل اي ليس شي من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده
فانه الغني المطلق ولا بخواطر واغراض والباء سببية وفي نسخة لخواطر باللام التعليلية
واغراض بغين معجمة اي ليس شي من افعاله تعالى لخاطر يطرق عليه وباعث يدعوه لفعله كما
تقدم وفي نسخة ولا بجواهر واعراض بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من الناسخ
وان احتمل رجوع الجواهر لذاته والاعراض لافعاله على ما فيه وقوله وجد ماض للمجهول كما قاله البرهان
وقع في مقابلة قوله حصل اي ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وعرض موجود وفي بعض الشروح
بكسر الجيم وتشديد الدال اي ليس فعله باجتهاد وجد منه والذي غره قوله ولا بمباشرة ومعالجة
الان قوله ظهر يأباه فان الافعال الثلاثة فيها ضمير عايد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع
نقص حصل له او لخاطر وعرض وجد في نفسه ولا نكد ظهر وقت فعله وقد وقع كل من الافعال
الثلاثة في محله فوصف النقص بحصل لانه طار عليه ووصف الخاطر بانه وجد بغتة في نفسه
كما هو شانه كما ان شان الباشرة كونها محسوسة فهذا ناش من عدم تامل كلامه والمباشرة
فعل الشي بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل ضربان بمباشرة وتولد كانه يمس بشرته وظاهر
بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة يقال تعالجوا اذا اقتتلوا اي ليس فعله كفعل غيره بعلاج
واعمال وانما هو بارادته من غير شي من ذلك انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفعل
الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واغراض ومباشرة ومعالجة
وقد قال الخرمي مشايخنا جمع شيخ والشيخ من كبر سنه وفي العرف من تصدر للافادة لانه انما يحصل
باتفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل اللغة انه لا اصل ولا يسمع في كلام
العرب ورد بانه سمع كما في شرح الفصيح ما توهموه باوهامكم اي كل شي واقع في اوهام الناس
انه حقيقة الباري ليس كما توهموا او ادركتموه بعقولكم اي تصورتموه وعلمتموه بعقولكم فهو
محدث لكم لان الاوهام والعقول مالوفة بادراك ما تشاهده فتظن ان الله جل وعلى

مثله وتقيس الغايب على الشاهد والله اجل من ان يحيط به الادراك المدرك للامور المحدودة
المتناهية وهو تعالى منزه عما لا يليق به مما الفته النفس من المدركات وليس المراد انه لا تدرك
ذاته وصفاته بوجه ما فانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لا يدرك
كنه ذاته وصفاته وسما اسمائه بكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته
ووحدانيته وانه لا رب ومعبود سواه وقال الامام ابو المعالي الجويني امام الحرمين عبد الملك
بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ابو المعالي امام الائمة عربا وعجما فريد دهره نتيجة
الفلك ونكتة عطارد صاحب الفضائل والتاليف الجليلة ولد ثاني عشر المحرم سنة تسع
وعشرة واربعمائة في خامس عشرين من ربيع الثاني وجوين بضم الجيم من نواحي نيسابور وهو شيخ
الغزالي ومفخره من اطمان بطا مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن بعد
انزعاج اي نفر وتيقن عنده بعد الشك والتنبه الى موجود انتهى اليه فكره اي تقوله
موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه انه الله فهو مشبه اي معتقد لتشبيه الله بغيره مما في
خزانة فكره وهو خطا لانه ليس كمثله شيء وفكره انما هو مدرك فاقه المشاهدة فيا تيه التشبيه
منها واحترز بقوله اطمان عن الوسوسة فانها ليست بتشبيه لعدم ركون النفس لها ومن اطمان
الى النفي المحض اي الخالص بان نفى ذات الباري حقيقته او حكما كالفلاسفة القائلين لا يصدر
عن الواحد بالذات الا واحد فهو معطل ناف للصانع وهم الدهرية القائلون بالطبايع الى غير ذلك
مما لا يصدر عن عاقل وان قطع اي جزم بموجود اله واجب الوجود واعترف بالعجز عن درك حقيقته
بسكون الرا وقد تفتح اصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى العلم كالادراك لوصول العقل اليه اي
عجز عن علم كنهه فهو موحد لانه عرف الله ووحده واعترف بانه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد
الصرف قال الراغب وروى عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال يا من غاية معرفته القصور عن معرفته
اذ كان غاية معرفته ان يعرف الاشيا فيعلم انه ليس شيء ولا بمثله بل هو موجد كل ما ادركته انتهى
وما احسن قول ذي النون المصري الزاهد العارف بالله تعالى ابو الفيض ويقال ابو الفياض
واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمي كان ابوه نوبيا توفي رحمه الله سنة خمسين واربعين ومائتين وكان
عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحدث انه قرا من خط قديم تدبر بالنجوم ولست تدري
ورب النجوم يفعل ما يشاء وله ترجمة في الميزان حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا
اي في ايجادها وابداعها بلا علاج اي بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة وتعلم ان صنعه لها
بلا امتزاج المزاج لغة كالمزج الخلط وما ركب عليه البدن من الطبايع وعند الاطبا كيفية له
من العناصر المتماسة بحيث يكسر سورة كل منهما سورة الاخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان
ايجاده لها لا بامتزاج المادة ومعاونة مركبة منها بل قدرته تعالى العلية او جدته ابتدا من العدم
بعد ان لم يكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شيء من العلل الاربع كما اشار اليه بقوله وعلة
كل شيء صنعه بمجرده ومجرد قدرته ولا علة لصنعه تعينه في ايجاده اذ افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض
وما تصوره فالله بخلافه فان ذاته لا تشبه الذوات وافعاله لا تشبه افعال غيره فهو منزه

عن

عن ان تصوره الاوهام وهذا كلام عجيب نفيس محقق من نفاسته وهي الشرف وعلو القدر والفضل
الاخير من كلام ذي النون وهي الفقرة الثالثة اعني قوله وما تصوره وهمك فالله بخلافه
تفسير لقوله عز وجل اي بمعنى قوله ليس كمثله شيء فان ما لا مثل له لا يرتسم في الوهم والثاني اي الفصل
الثاني وهو قوله وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه تفسير وبيان لمعنى قوله لا يسال عما يفعل
وهم يسالون فانه لا علة لفعله حتى لا يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين
والثالث في العدد وهو الاول اعني قوله حقيقة التوحيد ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج
وصنعه لها بلا امتزاج تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ففي كلامه
لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير ثبتنا الله واياك على التوحيد اي على العقيدة
الحقة في اعتقاد وحدانيته تعالى في ذاته وانفراده بجميع شؤنه والاثبات اي اثبات ما يليق
بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافي للتعطيل فانه معلوم من
التوحيد الا ان يريد مجرد التوكيد والتنزيه لذاته وصفاته عما لا يليق بها وجنبنا اي بعدنا طرفي الضلالة
والغواية من طرفي التعطيل والتشبيه من بيانية واراد بالضلالة التعطيل وبالغواية ادعا
التشبيه والتجسيم وجعل الاعتقاد الحق طرفي افراط وتفريط والوسط والصراط المستقيم
والدين القويم وهذا كله استدلال على ان ما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما في حقيقة
المدلول والمسمى كما مر بيانه مبسوطا ولما كانت هذه التسمية تشريفا وتمييزا لهم عما عداهم اردفه
بما يتم به التمييز وهو المعجزات فقال الباب الرابع من العلم الاول فيما اظهره الله على يديه
ما على اليد هو ما وضع فوقها فكني به عما كان منشاها من المعجزات وهي الامور الخارقة
للعادة التي يظهرها الله تعالى على يد انبيائه عليهم الصلوة والسلام لالزام من كذبهم اذ اعجزوا
عن الاتيان بالمثل وهنا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبي والكرامة
للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبي ايضا كما اشار اليه المص لقوله وشرف به من الخصايص
والكرامات اي ما خصه الله تعالى به واكرمه مما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر ليس
ادعا النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل انما امر لهي ليس بزوالة العزايم ونحوها من تسخير
الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهي دالة على صدقه في دعوى النبوة وما كان قبل
البعثة فهو ارهاص اي تاسيس للنبوة وادخلها بعضهم في المعجزة قال الزركشي في البحر
اختلف في دلالتها فذهب القشيري الى انها وضعية ومادل وضعا يجوز ان يتبدل واختار
الامام في الارشاد وابو اسحاق انها عقلية وقال الامدي في ابكار الافكار الذي ذهب اليه
المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول
فلان ما يدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا
مع عدم دلالته على تصديق مدعي النبوة فانه لا ارسال ولا رسول اذ ذاك واما الثاني فلان
الدلالة السمعية تتوقف على صدقه فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بد لانها
على صدقه غير خارج عن الدلالة الوضعية النازلة منزلة قول الله صدق عبدي انتهى وفيه

بحث قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله حسب المتامل بسكون التاء اى بكيفيته او كفايته
والتامل هو الفكر الناظر نظرا صحيحا ان كتابنا هذا لم يجمعه اى لم نؤلف لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم ممن لغيره ولا الطاعن فى معجزاته اى معترض ومعارض معاند فى ثبوت بعضها وان كان مظهرا
للاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق باللسان ونحوه فاستعير لتعييب الناس وذمهم
يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح قال ابن برى الاكثر فى طعن السلاح ضم عين المضارع وفى القول
فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الائمة فتامله فيحتاج بالرفع على الاستيناف والنصب فى جواب
النفى بناء على اى من جوزه مستند الا بقوله لم الق بعدهم حيا فاخبرهم الا يزيده حبا اليهم
وقد منعه بعض نحاة المغرب وهم نحاة المغرب الى نصب البراهين عليها اى اثباتها بالادلة
القاطعة الملتزمة لمن انكرها او طعن فيها ونصبها اقامتها وايضاحها من قولهم نصبه ايا اذا
اشار اليه لا يعدل عنه كما فى الاساس وتحصين حوزتها بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح
الزاى المعجمة وهى الناحية والجانب وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كان عليها حصنا يحميها
وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل المنكر كالعدو القاصد لخراب المملكة وقيل الخمس
حوزة وبيضة بلده اذا حفظ جواره وما يلزمه حفظ حتى لا يتوصل الطاعن اليها جمع مطعن
وهو الطعن والرد بالاباطيل الفاسدة التى تصدر عن اهل الالحاد وضمير اليها للحوزة او للمعجزة
والاول اولى وابلغ لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها ويذكر شروطا
للمعجزة والتحدى بفتح المثناة الفوقية المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة المشددة
وياء تحتية وهو طلب المعارضة واصله مقابل للحادين فى حدا الابل وحده معطوف على
يحتاج الدال فى حيز النفى وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع
ورده اى لا يذكر فساده ورده معطوف على فساد او ماض معطوف على ابطل اى لم يجمعه لاجل
شىء من ذلك حتى يحتاج الى ذكر ما يدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما هو داب المتكلمين وتعدد
قبل مباحث اثبات النبوة او ذكر المعجزات مبحث ابطال قول المنكرين للنسخ لعدم فرقهم
بينه وبين البداء وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك فى ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وبنوة عيسى عليه الصلوة والسلام لنقلهم عن التوراة ما يدل على تابيد شريعة
موسى عليه السلام مع وقوع النسخ فيها كما فصل فى كتب الاصلين بل الشاه لاهل ملته اى
انما الفناه لاهل ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به الملبين لدعوته بالبا
الموحدة المشددة اى القائلين له اذ دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين
الحق لبيك وهو عبارة عن طاعته وتصديقه ولذا قال المصدقين لنبوته لاقرارهم
واعترافهم بكل ما جاء به ولا يقال ان جميع التاليف الاسلامية كذلك فانه ليس بشىء ثم بين
الداعى لتاليفه فقال ليكون تاكيدا فى محبتهم له صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى ان يقال
ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك فاجاب بانه مؤكد لمحبتهم له صلى الله
عليه وسلم منماة لاعمالهم بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدرا واسم محل اى يزيدهم رغبة

فى اعمالهم الصالحة او يبلغهم الاعمال او يبلغ اعمالهم الى الله تعالى من غيث الحديث اذا بلغته
وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم بذلك فانه يزيده او يثبته فى قلوبهم وفى تقديمه زيادة الاعمال
على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول فى قبول الايمان الزيادة
مقرر فى محله ونيتنا بالنون والمثناة التحتية المشددة والثناة الفوقية والنون مثل الالف
اى قصدنا وما عزمنا عليه فى هذا الباب ان نثبت فى هذا الباب ان نفرد ونكتب وهو بكسر الموحدة
مخففة ومشددة رواية من الافعال والتفعيل امهات معجزاته اى كبارها وعظامها جمع
ام ومشاهير اياته غاير بينهما تفننا فان الايات بمعنى المعجزات ايضا او المراد ما اشتهر من كراماته
صلى الله عليه وسلم من غير تحدى غيره ليدل ما اثبتناه على عظم قدره عند ربه لما اجراه على
يديه من عظيم الايات واتينا منها اى ذكرنا من تلك المعجزات بالمحقق اى بما اشتهر وشاع
حتى لم يبق فيه شبهة والصحيح اسناده اى ما صح سنده وتقدم ان الاسناد الاتيان بالسند
وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث منقول من سند الجبل وهو ما ارتفع من سفل الجبل
وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة فى كتاب ابن الصلاح
وغيره واكثره اى اكثر ما اتيناه مما بلغ القطع اى وصل الى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكيك
كالقران او كاد اى قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان ظنيا لكنه اقوى حتى صار
متيقنا بما حققه من القرائن وحذف معمول كاد شايع فى كلام العرب لا سيما فى الشعر كما هو فيما نحن
فيه واضفنا اليها اى ضممنا الى المعجزات المحققة والمقاربة لها بعض ما وقع فى مشاهير كتب
الائمة يعنى ائمة الحديث الذين تلقى الامة كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقى والشيخين وبقية
الكتب واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه اى من نظر بعين الرضا والانصاف فى صفاته
صلى الله عليه وسلم التى قدمها المصنف قبل هذا الباب وهذا تاكيد لما قبله من ان ذكر المعجزات
ليس لاثبات نبوته صلى الله عليه وسلم لان من تامل صفاته علم انه غير محتاج فى اثبات نبوته
صلى الله عليه وسلم الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتاكيد ذلك كما قال المتنبى
صفاته لم تزده معرفة لكنما لذة ذكرناها من جميل اثره بفتحتين وهو بقية الشىء وما يبقى
بعده من اثار فعله كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم فى صحايف
الايام وقيل جمع اثرة من اثره يوثره ايثارا اذا اعطاه ومآثر العرب مكارمها ومفاخرها التى
تروى وتذكر وحميد سيره جمع سيرة كسدرة وسدر وهى الطريقة والسنة المحمودة وبراعة
علمه اى علمه الفائق به على غيره يقال برع براعة وبروعا اذا فاق فى علم او غيره ورجاحة عقله اى
عقله الزائد بحيث لو وزن بغيره رجح عليه وحلمه الراجح ايضا وجملة كماله اى جميع كمالاته التى
لم تجتمع لغيره وجميع خصاله جمع خصلة وهى الصفة الحسنة وهى مجاز من الخصل وهى ما يعطى
فى الرهان فاستعير كما ذكره فى الاساس وشاهد حاله اى حال ما حكى عما كان يشاهد من حاله
وفى تعبيره بالشاهد لطف لان فيه ايهام انه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر وصواب مقاله
اى ما يحكى من كلامه صلى الله عليه وسلم الذى هو صواب كله وحكم والكل بالجر عطف

على جملة وقوله لم يعتمر جوابا فا اى لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد فى صحة نبوته التى ادعاها واظهرها وصدق دعوته صلى الله عليه وسلم فى مدعاه او فيما دعا الخلق اليه من دينه وتوحيده وقد كفى هذا غير واحد هذا اما على كفى وهو اشارة لما ذكر من الجهل وما بعده وغيره معقول له فى اسلامه والايمان به اى كفاه ما راه من احواله صلى الله عليه وسلم عن طلب برهان واية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وامن به وتبعه من غير تلعثم كابى بكر رضى الله عنه فان كلما راه صلى الله عليه وسلم قال لما خلوتهنا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال لهذا الذى كنت ارجو منك فروينا عن الترمذى الامام المشهور صاحب السنن وقدمنا ترجمته وابن قانع بقاف ونون مكسورة وعين مهملة بعد الالف وصحفه بعضهم بنافع بنون وفا وهو غلط وهو عبد الباقى بن قانع الامام الحافظ كما تقدم وغيرهما باسانيدهم جمع اسناد وجمع وان كان مصدرا لنقله الى الاسمية الى عبد الله بن سلام الصحابى المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره يشددا اللام واختلف فى بعضها ايضا قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى هجرته هو وابو بكر رضى الله عنه جئته لانظر اليه جواب لما يعنى انه سمع بقدومه صلى الله عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه ليعرف امره وهو من علماء اهل الكتاب صاحب فراسة وذكاء فلما استبنت وجهه استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور والتبين لمبالغة عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب اى لاح له من سيماه ونور النبوة فى محياه صلى الله عليه وسلم ان مثله لا يكذب فيما ادعاه فخلق فيه علما ضروريا فصدقه صلى الله عليه وسلم مع ما كان علمه من صفته فى التورية والكتب السالفة وقال لليهود يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تجدونه عندكم مكتوبا فى التوراة باسمه وصفته وانى اومن به واصدقه ثم شرع فى ذكر سنده لما رواه عن الترمذى وله يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ما استشهد له به فقال حدثنا به اى بحديث بن السلام القاضى الشهيد ابو على رحمه الله الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم قال حدثنا ابو الحسين الصيرفى بالتصغير ومن قال ابو الحسن مكبرا فهو مخطئ وابو الفضل بن جرون تقدمت ترجمته عن ابى يعلى البغدادى بفتح التحتية وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم عن ابى على السنجى تقدم مع ضبطه وبيان نسبته عن ابن محبوب المعروف بالمحبوبى راوى السنن عن الترمذى كما تقدم قال حدثنا محمد بن بشار بفتح الوحدة وتشديد المعجمة كما قال تقدم حدثنا عبد الوهاب الثقفى بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن ابى العاص الثقفى الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط فى اخر عمره توفى سنة اربع وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وترجمته فى الميزان ومحمد بن جعفر هو غندر كما تقدم وابن ابى عدى محمد بن ابراهيم بن عدى البصرى الثقفى توفى سنة اربع وتسعين ومائة وروى له اصحاب الكتب الستة ويحيى بن سعيد بن فروخ ابو سعيد القطان البصرى التيمى الحافظ احد الائمة الاعلام توفى فى سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته فى الميزان عن عوف

بن ابى جميلة بفتح الجيم وكسر الميم الاعرابى سمى به لسكناه بدرب الاعراب قال له ابن حيان العبد وهو ثقة ثبت توفى فى سنة سبع واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة كما فى الميزان عن زرارة بن ابى اوفى وفى نسخة ابن اوفى وهو من خط الناسخ وزرارة بضم الزاى المعجمة والراءين المهملتين وهو مكنى بابى صاحب قاضى البصرة ثقة عالم تقى ام فى داره فقرا فاذا نقر فى الناقور فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له اصحاب الكتب الستة عن عبد الله بن سلام الحديث كما تقدم وعن ابى رمثة التيمى بكسر الراء المهملة وسكون الميم ومثلثة فتاء علم منقول من رمثه نوع من الثياب واختلف فى اسمه فقيل رفاعة وقيل عمارة وقيل غير ذلك التيمى اختلف فى نسبته لتيم او يتيم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلوى ايضا اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لى حكاية لحاله التى جاء بها والا فلا دخل له فى القضية فارنيته اى رايته وعرفنى غيرى باشارة ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه يريه لانه لم يكن راه قبل ذلك فلما رايته قلت هذا نبى الله اى بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته صلى الله عليه وسلم لما شاهده من عظمته ونور نبوته فاوقع الله فى قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم وروى مسلم وغيره ان ضمادا بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة والف ودال مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدى نسبته لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ما قالوه تابعه واسلم فى اول الاسلام وكان عاقلا يتطبب ويرقى ذكره ابن عبد البر فى الصحابة وفى الصحابة شخص اخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثالث لهما لما وفد عليه اى لما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فى ابتداء الاسلام وتقدم ان الوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد قصدا وكان وافدا فى الناس فى الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد انى راق فهل بك من شئ فارقيك فاجابه صلى الله عليه وسلم دفعا لما قاله مما نسبه اليه كما بينه بقوله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله جوزوا فى ان كسر الهمزة وتشديد النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشائية او خبرية مشهور وحسن تاكيده سؤاله له وطلبه ان يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه بنبوته ففيه رد لما زعموه على ابلغ وجه ثم قال نحمده ونستعينه فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومختص له بالاستحقاق بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردفها بجملة اخرى لانشاء حمده بنفسه لما انعم الله عليه من جلائل النعم التى اجلها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرة ولذا قطعها عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددى واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب منه المعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده او على جميع امورنا التى من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما ارشدنا اليه من ان الطلب

للشيء يقدم عليه حمدا او تعظيما كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله من يهده الله اشارة الى انه
طلب منه الهداية الى الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها قوله
فلا مضل له اي لا يقدر احد على اضلاله ومن يضلل الله فلا هادي له وفيه تعريض بمن تعرض له
صلى الله عليه وسلم بانتساب له ما لا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال واشهد اي
اعلم واذعن واعتقد ان لا اله الا الله اي لا معبود بحق سوى الله واجب الوجود والمستحق لجميع
المحامد وحده لا شريك له في الوهيته وجميع شؤونه وهو مؤكد لما قبله لتضمنه للحصر للمقدم
عليه وان محمدا عبده ورسوله ارسله لهداية خلقه وارشادهم لتوحيده وفيه دعوة
بانه عبده وجواب لما قوله قال له ضماد المذكور لما سمع ما قاله صلى الله عليه وسلم اعد علي
كلماتك هؤلاء المذكورة من قوله الحمد لله الخ وانما طلب اعادتها ليتاملها ويفهم ما اراده
وهؤلاء واولئك اشارة الى جميع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال الشاعر ذم
المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام فالمشار اليه هنا الكلمات فلقد
بلغنا قاموس البحر اي اشتهرت مقالاتك هذه في جميع اقطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر
وسطه ولجته او قعره كما في كتب اللغة من قمسه اذا غمسه ووزنه فاعول وهذه اشهر الروايات
واصحها وفيه روايات اخر فروي ناعوس بمثناة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة
وروي فاعوس بفا بدل القاف ورواه ابو داود قاموس او قابوس على الشك في الميم
والبا الموحدة وروي ناعوس بالنون ايضا وقيل ان الكل تصحيف ما عدا قاموس وقاعوس
كما قاله ابن قرقول يقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر اي معه كل ذي روح حتى دواب البحر وهو
مبالغة في شيوعه وروي قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه تعجب ممن لم
يسمعها او لم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ هات بكسر التاء اسم فعل معناه
اعطني يدك ابايعك بالجزم في جواب الامر ووجه استشهاد المصنف به انه بمجرد رؤيته وسماع
كلامه صلى الله عليه وسلم امن به من غير تردد وليس في كلامه ما يدل على صدق مدعاه
ولكنه لما راى نور وجهه الشريف وحسن بهجته امن به وقال جامع بن شداد في حديث
رواه عنه البيهقي وهو ابو ضمرة الاسدي الكوفي المحدث روى عن صفوان وغيره واخرج
له ابو داود والنسائي وتوفي سنة ثمان او سبع عشرة او عشرين ومائة كان رجل منا يقال
له طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي كما اشار اليه بقوله فاخبرنا انه راى رسول الله صلى الله
بالمدينة كما قال ابن شداد وغيره وله رواية عنه وقال ابن حبان انما راه بمكة بذي المجاز
وهو سوق بينه وبين عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المصنف فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم ولمن لقيه معه هل معكم شيء تبيعونه انما سالهم لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم
للبيع والشراء قلنا هذا البعير فقال بكم تبيعونه قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر بكسر الواو وفتحها
وهو ستون صاعا مما يكال فاخذ بخطامه بخاء معجمة وطاء مهملة وميم وهو كالزمام وزنا ومعنى
اي حبله الذي يقاد به والباء زائدة اي اخذه ليجره ويذهب به وسار اي ذهب من عندنا بالبعير

فقلنا اي قال بعضنا لبعض بعنا بعيرنا من رجل لا ندري من هو حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم
في الحديث كان ستون صاعا كما ورد التصريح به في رواية اخرى وقوله من هو مفعول ندري والمعنى
لا ندري جواب هذا السؤال وعدى البيع بمن وهو متعد بنفسه اما بناء على مذهب الاخفش
من جواز زيادة من في الاثبات وقال النووي انه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج
فانه يقال انكحه وزوجه وانكح وزوج منه وقد وقع هذا في كثير من الاحاديث فلا عبرة
بقول من عده من لحن الفقهاء وفي مسلم لو بعت شاحيك وفي البخاري نبيعه من الصواعين
الى غير ذلك مما لا يحصى تنبيه قوله وسقا منصوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم
الاشارة ثم كني به عن العدد وغيره وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب البصريون
الى ان تمييزها لا يكون الا مفردا منصوبا وذهب الكوفيون الى انها بحسب ما يكنى بها عنه
فكذا عبدا كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبدا كناية عن مائة فما عدا وكذا كذا عبدا
كناية عن احد عشر واخواته وكذا وكذا عبدا كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا
كذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله في شروح التسهيل وقد افرده بالتصنيف ابن
هشام وغيره ومعنا ظعينة جملة حالية والمراد بالظعينة المراة من الظعن وهو الارتحال
ولذا قيل ان حقيقته امراة في هودج على جمل ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امراة وللجمل نفسه
وهو بظاء معجمة وعين مهملة وسميت المراة ظعينة لظعنها مع زوجها فقالت اي المراة لما سمعت
كلامهم انا ضامنة لثمن البعير اي اعطيه لكم من عندي ان لم يجئ لكم منه وانما ارادت انها
واثقة بانه لا بد ان يجيء به لما وقع في قلبها من مثله صلى الله عليه وسلم لا يغدر ولا يخلف
بفراسة منها حين شاهدته ولذا قالت رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر وهذا استئناف
بيان لوجه ضمانها لمن لم تعرفه بانها رات في وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسن سمة تدل
على انه ليس ممن يصدر منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم
في تشبيه الوجه الحسن به والا فاين البدر من مثل نوره وحسنه ولقد اجاد بعض الظرفاء في قوله
بلا عتبة للبدر وجهك اجمل وما انا فيما قلته متجمل لكنما الشيء بالشيء يذكر كما قيل طبيعيا اذا
ما بدا محياه اقول لي وربك الله وقد هجا ابن الرومي البدر فقال الوراد الاديب
ان يهجو البدر رماه بالخطة السعباء قال يا بدر انت تغدر بالساري وتغري بزورة
الحسنا كلف في شحوب وجهك يحكي عبثا فوق وجنته برصا يعتريك المحاق في كل شهر
فترى كالقلامة الجحناء ويليك النقصان في اخر الشهر فيمحوك من اديم السماء
لا يخيس بكم اي حسن صورته صلى الله عليه وسلم يدل على حسن سيرته فمثله لا يصدر عنه
ما ظننتموه يقال خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده واخلف وعده وهو بخاء
معجمة وسين مهملة فاصبحنا اي مضى بعد اخذه صلى الله عليه وسلم البعير يوم وليلة ثم
دخلنا في صبيحة يوم بعده فجاء رجل منا تابع صلى الله عليه وسلم وهنا الرجل لا يعرف اسمه
بتمر فقال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم ثم استانف جواب سؤال مقدر او مطوي كانهم

قالوا ما فعل او ما يقول فقال لنا امركم ان تاكلوا من هذا التمر الذى جا به وتكتالوا اى تكيلوا منه ثمن
العير حتى تستوفوا اى تاخذوا الثمن من التمر الذى جا به وافيا كاملا غير ما اكلتموه فانه هبة منه لكم
وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى وفى الحديث خيارا وكم احسنكم قضاء وورد فى حديث
رواه ابن اسحاق فى خبر الجلندى وقصته وهو اى الجلندى ملك عمان وسلطانها فى عهد
النبى صلى الله عليه وسلم وفى القاموس جلندا بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة
ممدودا وبضم ثانيه فيقصر ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى وجلندا فى عمان
مقيما ثم قيسا فى حضرموت المنيف ولا حجة له فيما ذكر لاحتمال انه ضرورة كما قاله
تلميذه البرهان الحلبى وفى شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام ومعناه
القوى المتحمل من الجلادة كما قاله المعرى فى رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد
الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفى الشروح نقلا عن الذهبى
ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذى نقله النويرى فى تاريخه الجزم
وانه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص فى سنة ثمان من الهجرة الى جيفر وعبد ابنى الجلندى
وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان احلمهما واحسنهما
فقال انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخى مقدم على فى السن
وهو الملك وانا اوصلك اليه فمكثت ببابه اياما ثم دعانى فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب
ففض ختمه وقراه ثم دفعه الى اخيه فقراه فقال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا فلما رجعت اليه
قال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى يدى فقلت انى خارج
فلما ايقن بخروجى ارسل الى واجاب الى الاسلام هو واخوه وصدقا بالنبى صلى الله عليه وسلم
وخليا بينى وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل مقيما بينهم حتى بلغنى وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم انتهى وهذا يدل على ان ملك عمان بن الجلندى لا هو الا ان يقال كل من ملك عمان يعطى
جلندى واما ما فى بعض الشروح من ان فى بعض النسخ ملك غسان بتشديد الشين كشداد
اسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندى ملكها فمما لا يعول عليه
لمخالفته الرواية والمنخ الصحيح هو الذى صححه السهيلى والشراح كلهم لما بلغه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام كما سمعته مفصلا قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا
النبى الامى الذى لا يقرا ولا يكتب ووصفه به لشهرته صلى الله عليه وسلم به فى الكتب القديمة
ولانه مدح له كما تقدم انه لا يأمر بخير الا كان اول اخذ اى اول عامل بما امر به صلى الله عليه
وسلم ولا ينهى عن شىء الا كان اول تارك له كما قال صلى الله عليه وسلم انى لاتقاكم الله
واخشاكم له وهو كما قيل لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقوله انه
الخ اسم تاويلا وهو فاعل دل وانه يغلب اعداه وينتصر عليهم وهو مبنى للفاعل فلا يبطر اى لا يطغى
ويعتريه بطر المفرح وهو خفة مذمومة وبطر من باب علم ويغلب بالبنا للمفعول اى يغلب
احيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله تعالى فى ايامه فلا يضجر او يقلق ويجزع بل يصبر

ويتحمل

ويتحمل ما اصابه فى سبيل الله احتسابا للاجر ورضاه بما قدره الله تعالى كما هو عادة الانبياء عليهم
 الصلوة والسلام ويفى بالعهد فاذا عاهد صلى الله عليه وسلم احدا لا ينكث عهده كما قال تعالى
واوفوا بالعهد وينجز الموعود اى يعجل ما وعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول ويجوز ان يكون مصدرا
فانه جا على مفعول الا انه نادر واشهد انه نبى لما تحققه من اخلاقه وكمال صفاته صلى الله عليه وسلم
وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تأمل صفاته صلى الله عليه وسلم صدق بنبوته وان لم يشاهد
معجزاته وقال نفطويه ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن عرفة بن سليمان الازدى الواسطى النحوى
المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون يائه وان المحدثين
يضمون ما قبل الواو ويسكنونها لما مر فى قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فى زجاجة الزجاجة المصباح
كانها كوكب درى توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه
نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم هذا بناء على الوقف على قوله الله نور السموات
والارض وان معنى قوله مثل نوره وان الضمير فى قوله مثل نوره لمحمد صلى الله عليه وسلم وان المشكاة
هو اوصدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعنى ان نبوته تظهر وان لم يبد
معجزة فيها ناعليها وقد تقدم ذكر المص لهذه الاية وان هنا احد تفاسيرها وانه بعيد وانما
اعادها هنا لما فيها على هذا من الدلالة على المقصود من ان المتأمل ليتبين ويصدق نبوته وان لم يقم
برهانا عليها فلا تكرار فى كلامه كما توهم وهو على هذا تشبيه تمثيلى وهو ظاهر بقول الله تعالى يكاد
منظره اى ما يتعلق به النظر من ذاته صلى الله عليه وسلم وصفاته يدل على نبوته وان لم يتل قرانا
اى وان لم يظهر صلى الله عليه وسلم معجزة وخص القران لانه اعظم معجزاته وتلاوة القران معلومة
وروى وان لم يقل قرانا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال كما قال ابن رواحة رضى الله عنه وهو عبد الله
بن رواحة بن ثعلبة الانصارى الصحابى احد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد معه
المشاهد الا الفتح فانه مات شهيدا بموته سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة بها وهم
زيد بن حارثة وجعفر بن ابى طالب ومما روى من مدحه صلى الله عليه وسلم قوله لو لم يكن فيك ايات
مبينة لكان منظره ينبيك بالخير ومبينة بكسر الباء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول
ومنظره مراه وظاهره وفى رواية كانت بداهته وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله
لم يعصه اى مما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه وهو على فقد الشرط اولى ويجوز ان يبقى
على حاله لانه عند ظهور الايات لا يحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه اصلا واصله
ينبيك ينبوك بالهمزة فابدلت ياء وسكنت على حد قراءة باريكم وفى جعل النظر مخبرا من المبالغة ما لا يخفى
وقد ان نأخذ اى نشرع فى ذكر النبوة والوحى والرسالة يقال اخذ فى القراءة اى شرع فيها واصل الاخذ
التناول باليد ثم تجوز به عن معان منها هنا وان بمعنى قرب اوانه وبعده اى بعد ذكرها نشرع فى معجزة
القران وما فيه من برهان ودلالة اى دليل قاطع على نبوته وهى بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل
بمعنى الدليل فصل اعلم ارها العلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه
او من سالة ما ليفه كما تقدم ان الله جل اسمه اى عظم وتعظمت اسماؤه وجلالة اسمه تدل على جلاله

ما بالطريق الاولى قادر على خلق المعرفة وهي العلم بالجزئيات ويكون بمعنى مطلق العلم ايضا والعلم به انه
علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة واسمائه وصفاته الذاتية وغيرها وجميع تكليفاته التي
الزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات ابتداء منه بقوله دون واسطة يتوسط بينه وبينهم
في اعلامهم وتعليمهم ما ذكر لونسا كما حكي عن سنة اي عادته تعالى وطريقته في بعض الانبياء عليهم
الصلوة والسلام اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان اوقع ذلك في قلوبهم وكشفه
لهم او الهمهم او اراهم ذلك في منامهم الصادقة وهذا مما شاع وذاع وملأ الاسماع وكون
كل علم منقسم الى نظري وضروري المراد به غير علوم الانبياء كما صرح به وفي الكشاف جرت العادة
بان كل علم نظري كسبي ثم في قدرة الله تعالى احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر
قال بعضهم كعلوم الانبياء التي ليست ضرورية ولا نظرية فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر لئلا يكونوا
زمان النظر شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه اجر مع كونه
مقدورا الينا لولا الاجر وعدم تقدم النظر لينفي الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون فيما نقل عن
بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبياء جميعها ضرورية غير مسلم وذكره بعض اهل التفسير
في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا بناء على ان الوحي يشمل الالهام ونحوه وليس المراد به ما كان
بواسطة الملك فقط وجايز ان يوصل الله تعالى معطوف على قوله او لا قادر اليهم جميع ذلك المذكور
من العلوم السالفة بواسطة يبلغهم صفة واسطة بالفوقية او التحتية اي يوصله بكلام يدل
عليه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام
سواء راوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم او لم يروهم كما كان يأتيه صلى الله عليه وسلم الوحي احيانا كصلصلة الجرس وليس رؤية
الملك مخصوص بالانبياء عليهم الصلوة والسلام بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كريم او من
جنسهم كالانبياء مع الامم الذي يبلغونهم عن الله ما امرهم بتبليغه ولا مانع لهذا المذكور بقسميه
من دليل العقل اي من دليل هو العقل فالاضافة بيانية او هي حقيقية بمعنى انه غير مستحيل خلافا
للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لا لذاته فمنعوا ارسال الرسل كفرا وضلالا عما نطقت به الكتب
الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية كما اشار اليه بقوله واذا جاز
هذا ولم يستحل اي لم يعد محالا عقلا وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم الظاهرة المحققة
وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به عن الله وبلغوه لاممهم لان المعجز مع التحدي من النبي اي اظهار النبي
معجزة له وطلبه ممن انكر نبوته الاتيان بما يماثلها لان معنى التحدي هو الطلب المذكور لانه ماخوذ
من حدي الابل اذا تغنى لها لينشطها ومن دابهم فيه ان يتقابل شخصان بينا وسان فهو من النبي
قائم مقام قول الله الذي اقدره على ذلك وامره به صدق عبدي ورسولي فيما ادعاه لما معه من البرهان
الذي لا يقدر عليه احد من جنسه فاطيعوه واتبعوه في كل ما يأمركم به لانه من عند الله وشاهد
على صدقه في كل ما قاله وهو معطوف على قوله قائم خبر ان وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها
سمعية او وضعية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر وهذا الكلام كاف فيما قصدناه والتطويل

فيه

فيه خارج عن الغرض الذي صنف الكتاب لاجله فمن اراد تتبعه اي الوقوف عليه وجده مستوفى بجبر
من واجوابها اي بقف عليه بتمامه وتفصيله في مصنفات ائمتنا وعلمائنا وفي نسخة في كتب ائمتنا
والنبوة في اللغة من همز اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز هو الاصل كما ذهب اليه
كثير من اللغويين والنحاة وان ترك الهمز هو الاكثر ولذا قيل انه لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانه انكر على من قال له يا نبيء الله بالهمز ويأتي الكلام عليه مأخوذ من النبأ وهو الخبر لانبائه
واخباره عن الله تعالى وقال الراغب النبأ الخبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن
فلا يقال له نبأ حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة ويكون صادقا فالخبر اعم منه وقد لا تهم بالتاء
الفوقية والنبأ للمجهول اي النبوة ويجوز قراءته بالتاء التحتية باعتبار اللفظ على هذا التأويل
اي تفسيره بالنبأ تسهيلا اي تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس الحركة
التي قبلها وهي الضمة والتسهيل عند القراء بمعنى جعل الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها
وليس مرادا هنا والمعنى اي معنى النبي المفهوم من الكلام على هذا القول ان الله اطلعه على
غيبه اي علمه واخبره بمغيباته واعلمه انه نبيه الوحي عليه فيكون نبيا منبأ بصيغة المفعول
مشدد الباء الموحدة ويجوز تخفيفها اي يكون من اطلعه واعلمه نبيا بمعنى منبأ فهو فعيل بمعنى
مفعول او يكون معناه مخبرا بكسر الباء اسم فاعل عما بعثه الله به ومنبئا اسم فاعل بتشديد
الباء وتخفيفها عما اطلعه الله عليه من علمه ومغيباته فهو فعيل بمعنى فاعل على هذا ويكون
عند من لم يهمز اي يقول بان اصله الهمز من النبأ مأخوذ من النبوة مصدر بزنة سلوة في الاصل
نقل وشاع بمعنى ارتفع وهو ذكره باعتبار اللفظ اي نظرا للخبر اي ما ارتفع من الارض فهو كالربوة
لفظا ومعنى ثم بين المراد منه بقوله معناه ان له عند الله وفي الواقع رتبة شريفة ومكانة نبيهة
اي عالية مشهورة والنبيه سعده من بومة الخمول والمكانة كالرتبة تختص بالمنازل المعنوية
فجعل علوه معنى بظهوره كعلوه حسا عند مولاه وربه الذي تولى امره منيفة عالية لا يصعدها
سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى مفعول لانه صلى الله عليه وسلم مرفوع على غيره او بمعنى
المرتفع لما له من رفيع الدرجات فالوصفان اي وصفه بالنبي بمعنى المخبر او بمعنى المخبر او بمعنى
المرتفع موتلفان اي متوافقان بحسب المعنى لان من بعثه الله واطلعه على ما لم يطلع على غيره له منزلة
عالية ومنزله مقام عال يطلع على ذلك او المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل ومفعول والذي
ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرء والبرية التزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة وبهما قرئ في السبع
كما يأتي وقرا نافع بالهمز في جميع القران الا في موضعين ان وهبت نفسها للنبي لا تدخلوا بيت النبي
والخلاف فيما هو في ايهما اصل ولذا قدم المصنف المهموز واما الرسول فهو المرسل اسم مفعول
من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة ولم يأت فعول بفتح اوله اسم مفعول من الافعال بمعنى مفعل
بضم الميم وفتح العين المهملة في اللغة اي لغة العرب وكلماتهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها
الا نادرا اي في الالفاظ قليلة قال السمين في الدر المصون مفعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب
وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المص يقتضي ان النادر فعول

بمعنى مفعل من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فان الغالب فيه معنى الفاعل كصبور
وشكور الا انه ان قيل ان الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة
كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه وقد ورد في قول كثير بهذا المعنى وهو قوله لقد كذب الواشون ما بحت
عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي برسالة فان قيل ان فيه شيئا ليس بشيء وارساله امر الله له
بالابلاغ الى من ارسل اليه اي تبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة واشتقاقه من الارسال
بمعنى التبليغ اي التوالي والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة ومنه قولهم جاء الناس ارسالا
بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اي فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضا كما بينه بقوله اذا تبع بعضهم
بعضا كما ورد في الحديث انهم صلوا عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين
وجه اشتقاقه بقوله فكانه صلى الله عليه وسلم الزم تكرير التبليغ مرة بعد اخرى الى امته
والزمت الامة اتباعه فرقة بعد فرقة وامة بعد امة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما
في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه باو كما في نسخة كان حسنا فما قيل من ان في كلامه
بحثا لانه مأخوذ من جهة المعنى لا الاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس ارسالا ليس مصدر
رسله لاختلاف المعنى كلام ناش من عدم فهم كلام المص وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة
واختلف العلماء في جواب قولهم هل النبي والرسول بمعنى واحد فهما مترادفان او بمعنيين فهما متغايران غير
مترادفين وفي نسخة ام بمعنيين ولذا قيل ان ام احسن هنا وفيه كلام في المغني وشروحه ليس هنا
كله فقيل هما سواء اي متساويان او مترادفان فان الاول التساوي في المصدق دون المفهوم كالانسان
والناطق والثاني التساوي فيهما فعبارته شاملة لهما الا ان ما بعده اقرب الى الاول فمعناهما كل من اوحي
اليه بشرع واصله من الانباء وهو الاعلام والارسال فيه اعلام ايضا لانه انما ارسل لذلك
فهما متساويان وان اختلف مفهومهما وترك بيانه للعلم به مما قبله ولا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه
قد يعلمهم بما لم يرسل به من نبوته وكذا قولنا ان الاية لا تدل على ما ذكر فانه من تلقي الركبان واستدلوا
على تساويهما بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي لانه علق فعل الارسال بهما فاذا
ارسل النبي لزم ان يكون الرسول نبيا والنبي رسولا واليه اشار بقوله فقد اثبت لهما معا الارسال
قال المستدل ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل عليه ان الاية انما تدل على ان النبي
اعم من الرسول فانها ترق من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الاتي الناطق بزيادة عدد الانبياء
على عدد الرسل يأباه واعادة النفي تقتضي المغايرة فما ذكر ممنوع وقيل هما مفترقان من وجه
فبينهما عموم وخصوص وجهي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول فماله الى موجبة كلية وسالبة
جزئية كما سيأتي بيانه والمشهور انه على هذا من اوحي اليه من امر الحق امر بتبليغه ام لا والرسول من اوحي
اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه من كان له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من انزل عليه كتاب والى
هذا اشار المص بقوله اذ قد اجتمعا اي النبوة والرسالة في النبوة التي هي الاطلاع بتشديد الطاء
وتخفيفها اي سكونها على الغيب اراد به ما لم يعلمه من امر الله تعالى وشريعته له ما يختص به او به
وبغيره والاعلام من الله تعالى بخواص النبوة اي ما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة

والوحي

470

والوحي بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى عليه الصلوة والسلام اذ كلمه الله قبل رسالته
او الرفعة بمعرفة ذلك المذكور من الاطلاع والاعلام وفي نسخة لمعرفة باللام بدل الباء السببية
وحوز درجتها اي درجة النبوة العلية والحوز بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاي معجمة وهي
حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة الى انها من النبأ المهموز وما بعده الى انه
من النبوة الواوي وهي الرفعة كما تقدم ولا تكلف في شيء من كلامه كما توهم افترقا اي النبوة والرسالة
في الزيادة الرسالة اي الامر بالتبليغ المعتبر في الرسول دون النبي وهو اي الرسالة وذكره رعاية
للخبر وهو الامر بالانذار والاعلام بما امر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذي به الافتراق
فيما صدق عليه للنبي فلا مخالفة بينه وبين ما قاله المنطقيون كما قيل لانهم اعتبروا ذلك فيما صدق
عليه لا في المفهوم وهذا كلام ناش من قلة التدبر كما قلنا اشارة الى ما قدره اولا وحجتهم اي
دليل القائلين بان بينهما العموم والخصوص من وجه وليسا مترادفين مأخوذة من الاية نفسها
التي استدل بها من ذهب الى القول الاول فهي عليهم لا لهم التفريق بين الاسمين يعني النبي والرسول
فان العطف واعادة النبي يدل على تغايرهما ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ
وليس المقام مقام اطناب ولا تأكيد اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله كلا سوف تعلمون ثم
كلا سوف تعلمون قالوا والمعنى اي معنى الاية على هذا وما ارسلنا قبلك اي اوحينا واعلمنا
من رسول الى امته امر بتبليغهم ما ارسل به وفي بعض النسخ من نبي والاولى اوفق بالنظم واظهر
او نبي لم يرسل الى احد فافترقا على هذا التفسير افتراقا ظاهرا وفي كلامه نوع خفاء اراد بعضهم
ان يصلحه فافسده وفي الاية ترق لان ترقي في النفي بذكر العام بعد الخاص وفي الاثبات ترقي
على العكس كما تقول ما في الدار انسان ولا حيوان ولو عكسه كان ذكر الانسان بعده لغوا فان
قلنا الذي استدل به اولا تعلق ارسلنا بها فان يقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم مرسل
ايضا وما ذكره المص لا يدفعه قلت وجه دفعه بما ذكر انه لما اقتضى هذا العطف
التغاير لزم تأويل ارسلنا بمعنى فيشملهما اي ما ارسلنا ما مكنا بوحينا لاحد من نبي
او رسول لان ارسل يتعدى بنفسه او هو من قبيل وزججن الحواجب والعيون ومن زائدة بعد
النفي اي ما ارسلنا ولا نبأنا نبيا فتأمل وقد ذهب بعضهم مجازا من الذهاب وهو الخروج
من مكان الى اخر وقال في الاساس ذهب فلان الى قول ابي حنيفة اذا اخذ به مذهبا الى ان الرسول
من جاء بشرع مبتدأ ولم يكن مقررا لشرع غيره فشرعه لم يسبق اليه ومبتدأ بفتح الدال صفة
لشرع ويجوز كسرها على انه حال من ضمير جاء والاول اولى ومن لم يأت به اي شرع مبتدأ لم يسبق
اليه نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار فبينهما عموم من وجه اخر والصحيح والذي عليه
الجم الغفير بمد الجماء وفي نسخة الجم والمعنى واحد اي الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد
الميم والغفير بغين معجمة وفاء وفي الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال جاءوا جماء غفيرا يمد
ويقصر والجماء الغفير بالمد والجم الغفير اي جميعا واللام زائدة والغفير صفة لازمة
للجماء لا يفرد بدونها من الغفر وهو الستر كانهم ستروا وجه الارض ومعناه جاءوا جميعهم بجملتهم تشريفهم

وصيهم وهو اسم ينصب كالمصدر بحا واجميعا وقاطبته والجم الكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع
المصدر وقيل انه مصدر ولا يلزم نصبه عند الكسائي وعليه يتمشى كلام المص لا على من لزمه
النصب وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى يستكمل ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم كالعدم ان كل رسول
نبي وليس كل نبي رسولا وهو صادق القولين الاخيرين فبينهما عموم وخصوص وجهي لانه يشترط
في الرسول دون النبي ان يؤمر بالتبليغ او يكون له شرع جديدا وانزل عليه كتاب والاول هو المشهور
ولذا قال المحدثون اذا ورد في الحديث ذكر احدهما او قال قال رسوله او نبيه لا يجوز له ان يبدله
من يرويه وقيل انه لا يلزم ولكنه اولى وهذا غير الاذكار فانها توقيفية ولذا ورد في حديث ان بعضهم
قال في بعض الادعية امنت بكتابك الذي انزلت ورسولك الذي ارسلت فقال له صلى الله
عليه وسلم قل ونبيك الذي ارسلت كما في شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم يشمل
رسل الملائكة كجبريل صلى الله عليه وسلم لكن الكلام انما هو في رسل البشر وقال صاحب
القاموس في كتاب الصلوة والبشر ان النبي من اوحي اليه بامر يختص به في نفسه حتى لا يجوز لغيره
ان يتبعه فان امر بتبليغ ما امر لامة مخصوصة او جميع الناس فهو رسول فان لم يكن له حكم مختص
فهو رسول لا نبي وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا صلى الله عليه وسلم فهو نبي ورسول فعلى
هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبي وقال انه الحق الذي لا شك فيه وهو مخالف
لكلام المص واعلم ان النبي ان كان من النبا فهو مهموز وان كان من النبوة فغير مهموز كما تقدم وكلاهما
جائز وبهما قرئ في السبعة واما قوله صلى الله عليه وسلم لاعرابي قال له يا نبي الله اي بالهمز لست
بنبيء الله ولكنني نبي الله لانه في لغة نبا بمعنى خرج من ارضه وطرد فلا يهما مع ذلك منعه وورد ايضا
لا تنبروا باسمي وانما انا نبي الله ومعنى لا تنبروا لا تهمزوا وليس في هذا ما يقتضي منعه على الاطلاق
كما قاله ابن سيده واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينافي هذا ما في البخاري
في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه الصلوة والسلام انت اول الرسل الى اهل الارض لانهم
لم يقولوا انه اول الرسل مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض في عصره ولذا قال في الدعا لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا وادم عليه الصلوة والسلام انما ارسل الى بنيه وهم مؤمنون به وادريس وشيث
عليهما الصلوة والسلام لم تعم رسالتهما وهذا لا ينافي اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم
الرسالة الى اخر الزمان فلم تختص بعصر ولا بقوم وعمت رسالته الانس والجن والملك كما تقدم وفي حديث
ابي ذر الذي رواه احمد في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه وسيأتي بطوله عنه صلى الله عليه
وسلم قال ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا نبي وقد قال الحاكم في مستدركه انه طعن
في بعض رواته وقيل انه منكر وقال القرطبي انه اصح حديث ورد في عدد الانبياء والرسل عليهم الصلوة
والسلام وقيل ان اصحابه كانوا بهذه العدة ايضا عند وفاته صلى الله عليه وسلم وعن كعب
الاحبار انهم الفا الف وماتا الف وعن مقاتل انهم الف الف واربعمائة الف واربعة وعشرون الفا
وقد عرفت ان الاول اصح ما في الباب وذكر ان الرسل منهم اي من الانبيا عليهم الصلوة والسلام
ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم عليه الصلوة والسلام وقيل اربعة عشر كعدد اصحاب طالوت

ويوافقه

471

ويوافقه ان احرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلاثمائة واربعة عشر اذ فيه ثلاث ميمات لان حرف المشدد
بحرفين ولفظ ميم ثلاثة احرف فجملتها مائتان وسبعون ولفظ دال بخمسة وثلاثين ولفظ حاء بتسعة
ففي اسمه الكريم اشارة الى ان جميع الكمالات الموجودة في المرسلين موجودة فيه صلى الله عليه
وسلم وزيادة واحد على القول الاول والحديث اورده الحاكم في مستدركه كما مر ونقل البرهان منافي بعض
رواية من الكلام وطويناه لانه لا تمرة له هنا فقد بان لك معنى النبوة والرسالة على الاقوال الثلاثة
من الترادف والعموم والخصوص من وجه او مطلقا كما فصلناه وليستا اي الرسالة والنبوة ذاتا للنبي
عند المحققين اي ليستا امرا ذاتيا في الرسول جبله طبعه الله تعالى عليها كالعقل وغيره من الغرائز وليست
النبوة مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكما وانما هي امر طارئ عليه بارادة الله
تعالى وفضله والله تعالى اعلم حيث يجعل رسالاته ولا صفة ذات اي ليست صفة قائمة بذاته
موجودة فيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي اليه خلافا للكرامية ضولاء قالوا انهما امران غير
الوحي وامر الله له بتبليغ شريعته فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح اليه اقول ان اراد هؤلاء ان الله
خلق له صلى الله عليه وسلم نفسا قدسية واودع فيها قوى يستعد بها لتلقي الوحي والعلم بربه وان
سمي النبوة هذا وان اطلقوها على ما يترتب عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد فيه اياه ونقل في اصلابهم
وذلك من نعم الله ايضا كما يجاري انا ابتدا فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول والكرامية بتشديد
الراء وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال في المغرب اخبرني صديقي الثقة ابن خولة
ان عبد العزيز العرجي ذكر في تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذي نسب اليه الكرامية فقال كرام
بوزن حذام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة اهل سجستان وهي
بلده كما قال فيه البستي رحمه الله تعالى ان الذين لجهلهم لم يقتدوا بمحمد بن كرام غير كرام الفقه فقه
ابي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قاله السمعاني
وقال لان والده كان يحفظ كرما او يعمل فيه وكذا صححه في الميزان وقال ابن الصلاح انه لا معدل عنه
وكذا صححه ابن ماكولا والذهبي وانكره ابن الهيصم وهو من اهل مذهبه ادعى انه ادرى به كما مر عن البستي
وانما هو مخفف الراء مع فتح الكاف بمعنى كريم او اكرمة وبكسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب
في العقائد وغيرها وله رواية في الحديث وكان يجوز الكذب على النبي في الترغيب والترهيب لانه له لا عليه
فغلب ما عليه ومات في القدس في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين في تطويلهم في بيان مقالتهم وتأييدها
وتهويل اي تخويف وتفزيع لمن عدل عن مذهبهم في هذا ليس عليه تاويل اي هو مع ذلك ساقط ضعيف
لا يعتمد عليه ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته ففي القاموس التهويل
الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا اقرب لتسميته المص واما الوحي فاصله اي معناه الحقيقي
الذي وضع له اولا الاسراع وفي الحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا
فتوجه اي اسرع فيه والها للسكت وقال الاعشى مثل ريح المسك زال ريحها صبها الساقي اذ قيل توح
ويقال الوحي بمعنى اوما او تكلم بكلام خفي فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل
سمي اي ما ياتيه من ربه وحيا اي متلقى بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة في كل ما يوحى

اليه وسميت الانواع الالهاميات وحيا كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل تشبيها بالوحى الى النبي في سرعة
وقوعها في القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القا امر في الروع باعث على الفعل والترك وسمي الخط
وحيا على الاستعارة التحقيقية ايضا والمجاز المرسل لسرعة حركة يد كاتبه هو وجه الشبه بينهما
ووحى الحاجب واللحظ هو في الاصل مؤخر العين ثم اطلق على النظر فيقال لحظ بعينه وهو هنا مستعار
لسرعة اشارتهما اى حركتهما بسرعة للاشارة بهما ومنه اى من اطلاق الوحى على الاشارة قوله تعالى فاوحى
اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اوما بهمزة في اخره وقد استعمل منقوضا ايضا بالالف كاوحى لفظا ومعنى
ورمز بتخفيف الميم اى اشار بالعين او بالشفة وقيل معناه هنا كتب لان الوحى يكون بمعنى الكتابة كما تقدم
ومنه قولهم اى قول العرب الوحا الوحا بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب
ايضا كما في الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغرا اى السرعة والعجلة وقيل اصل الوحى لغة
السر والاخفا ومنه اى من كونه بمعنى الاخفا سمي الالهام وحيا لخفائه وهو اظهر مما تقدم من ان
معناه السرعة ومنه اى من هذا القبيل قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى من يوالونهم
ويصادقونهم من المشركين اى يوسوسون في صدورهم اى يلقون في قلوبهم والمراد بالشياطين
مردة الجن والمراد باوليائهم كفرة قريش ومردة الانس من مجوس هجر وفارس والوسوسة كالالهام
الالقا في القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا اتبعه بقوله ومنه قوله تعالى واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه اى القى بناء المجهول في قلبها مناما او الهاما وقيل انه وحى حقيقي كالوحى
للانبياء وقد قيل ذلك التفسير السابق في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى
ما يلقيه في قلبه دون واسطة والذى رجحه في هذه الاية ان المراد بالوحى فيها المشافهة بكلام الله
تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى صلى الله عليه وسلم وحديث ابي
ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فجلست
اليه فقلت بابي انت وامي امرتني بالصلوة فاى الصلوة قال الصلوة خير موضوع استكثر منه
او اقل قال فقلت فاى الاعمال افضل قال ايمان بالله وجهاد في سبيل الله فقلت اى المؤمنين اكمل
ايمانا قال احسنهم خلقا فقلت اى المسلمين اسلم المسلمون من يده ولسانه فقلت اى الهجرة افضل
فقال هجر السيات فقلت اى الصلوة افضل قال فهو خير عند الله وعند الله اضعاف كثيرة
فقلت اى الصدقة افضل قال جهد من مقل يسير الى فقير قلت فاى الرقاب افضل قال اعلاها ثمنا
وانفسها عند اهلها قلت فاى الجهاد افضل قال من هريق دمه وعقر جواده قلت فاى شئ اعظم مما
انزل الله قال اية الكرسى يا ابا ذر ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسى الا كحلقة ملقاة
في فلاة من الارض وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابي انت وامي فكم الانبيا
قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير
قلت فمن كان اولهم قال ادم قلت نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه فقال
يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث واخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح
واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيكم يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم وابراهيم وسايرهم

من بني اسرائيل فاول الانبياء ادم واخرهم انا واول انبيا بنى اسرائيل موسى واخرهم عيسى قلت فكم كتاب
انزله الله تعالى قال مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث ابن ادم خمسين صحيفة وانزل على اخنوخ
ثلثين صحيفة وانزل على ابراهيم اربعة صحايف وانزل على موسى قبل التورية عشر صحايف وانزل التورية
والانجيل والزبور والفرقان قلت فما كان في صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها منها ايها المغرور المسلط
انى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها وفيها على العاقل
ما لم يكن مغلوبا على عقل ان لا يكون ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد وحرفة لمعاش ولذة في غير محرم
فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبيا عليهم الصلوة والسلام معجزة هو ان الخلق
عجزوا عن الاتيان بمثلها المعجز عند العرب ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها
ويقال ايضا بكسر الجيم في الماضى وفتحها في المضارع كما حكاه الاصمعى وغيره ويقال عجزه كذا اذا
فاته وقيل المعجز في الحقيقة هو الله خالق العجز في من يتحدى فلم يقدر على المثل فان من خرجت عن مقدورهم
لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم وما لهم عليه قدرة لا يتصور عجزهم عنه ايضا فان العجز يقارن
المعجوز عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم ولم توجد فالمعنى مجازا امتناع المعارضة وانتفاء
القدرة وحقيقته ان الاعجاز اثبات عجز المرسل اليهم فاستعير لاظهار العجز واسند لسببه
الذى هو اظهار الخوارق وجعل اسما له فالتا للنقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كالعلامة
وفيه بحث لا يخفى وهى اى المعجزة على ضربين اى هى اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور ضرب هو
من نوع قدرة البشر اى مقدور هم الذى يمكنهم الاتيان بما يماثله من نوعه فعجزوا عنه القافصيحة
اى فطلب منهم فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه اى جعلهم عاجزين والمصدر مضاف لمفعوله اى تعجيز الله
اياهم فعل الله دل على صدق نبيه اى خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة عليه فهو في قوة قول الله
تعالى صدق عبدى فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعده علم ضرورى بصدقه كصرفهم عن تمنى الموت
اى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا نحن ابنا الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى فكذبهم الله تعالى والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اى قل لهم يا محمد ان كنتم احباب الله والجنة مختصة بكم
فاطلبوا الموت فان من احب الله لقاه ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها فلم يتمنه احد منهم
ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد لو تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودى وسياتى بيان
هذا مطولا في محله وهذا اعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا
وان كان تركا وعدما متضمن لمعنى وجودى وهو السكون والخوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة
فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راى بعضهم القائل بان
اعجازه بالصرفة اى بصرف العرب الفصحا عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك على رؤس
الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف الى مجادلة السيوف كما هو المشهور معروف وهذا مذهب النظام
وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن لحمله دواعى وبواعث لذلك وقيل سلبهم
المعارف المذكورة في طباعهم من معرفة فنون البلاغة واساليبها على القولين المشهورين في الصرفة

والذى عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاساليب
وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع ومطابقة المقامات وبدايع الفواتح والقاطع وروايع
الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر وبلغ اى ذروة لا يصل اليها خطى الافكار مع حلاوة
وطلاوة تفتن السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من الغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال
معروفة مقررة فى الاصول والمعانى وغيرها من كتب السلف ونحوه مما نوعه مقدور لهم وصوب
من المعجزة هو خارج عن قدرتهم اذ تحداهم به فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى اى الذى
وقع لابراهيم ولعيسى عليهما الصلوة والسلام مما قيل ان ما كان يدعا عيسى عليه الصلوة
والسلام معجزة له انما كان من الله لا منه بشهادة واحى الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذنى
لا وجه له وهذا ايضا مما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح وقلب
العصا حية معجزة لموسى عليه السلام وسيأتى انه ما من معجزة لنبى من الانبياء الا لنبينا
صلى الله عليه وسلم مثلها وزيادة واخراج ناقة من صخرة بلا واسطة واسباب معتادة
معجزة لصالح عليه السلام لما اقترح عليه جندع بن عمر سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها
كاثبة ناقة عشرا فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض الشيوخ بولدها فانصدعت عن ناقة
عشراء وهم ينظرون ثم نتجت مثلها فى العظم فامن جندع فى جمع من قومه وتمادى غيرهم فى الكفر
حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة وكلام الشجرة وفى نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله
عليه وسلم ومثله حنين الجذع المشهور ونبع الماء من الاصابع اى من بين اصابع النبى صلى الله
عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم
ايضا كما سيأتى ولله در الابوصيرى فى قصيدته عارض بها بانت سعاد حيث قال ومنبع
الماء عذب من اصابعه وذاك صنع به فيما جرى النيل وانشقاق القمر معجزة له صلى الله
عليه وسلم حتى صار فلقتين تشاهده الناس وقد ثبت هذا فى الاحاديث الصحيحة وروى
من طرق متعددة خرجها السيوطى وبه فسر قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل السوة
يقتضى لتفضيله وهذا النوع كله وامثاله مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله عز وجل فيكون
اجراء ذلك الذى لا يفعله الا الله على يد النبى اى وقوعه من نبى من انبيائه بحسب الظاهر فعله
وهو فى الحقيقة من فعل الله تعالى الذى اظهره على يده بقدرته وتحديه بتشديد الدال المصدر
مضاف للفاعل وهو ضمير النبى صلى الله عليه وسلم ويجوز عوده على الله تعالى لامره وهو طلب
المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدأ وقوله من يكذبه مفعوله وقوله ان يأتى بمثله
بتقدير الجار اى لان يأتى بمثله او بدل من تحديه او خبر وقوله تعجيزه له خبر بعد خبر اى نظيره
عجزه عن ذلك واعلم ان المعجزات جمع معجزة وقيل جمع معجز لانه لما لا يعقل التى ظهرت على يد نبينا
صلى الله عليه وسلم وصدرت منه ودلائل نبوته وبراهين صدقه معا خبران اى بعضها
مقدور وبعضها غير مقدور كالقران ونحوه وهو اى نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر
الانبيا معجزة منصوب على التمييز اى معجزاته اكثر من معجزات سائر الانبياء عليه وعليهم الصلوة

والسلام

والسلام وابهرهم اية تمييز والاية المعجزة لانها علامة للنبوة وابهر افعل تفضيل من بهر بمعنى
ظهر او غلب يقال بهر القمر فهو باهر اذا ملاء الارض ومن ذلك قول عمر بن ابى ربيعة ثم قالوا 473
تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب وفيه وجوه ذكرها الادباء فالمعنى ان معجزاته
صلى الله عليه وسلم اكثر واظهر واقوى واظهرهم برهانا هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل
القاطع اعم من المعجزة ويجوز ان يريد المعجزة ايضا كما سنبينه فى اخر هذا الباب وفى قوله اكثر
واظهر ما يدل على ان ساير الانبيا اثبت بدلائل معجزات وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
وبراهينه اقوى واظهر وانما تسمى بذلك كما تسمى به ايات نبينا وقد اطلق عليها فى القران معجزة
قيل ولا فى السنة والمعجزة مخصوصة بالانبيا عليهم الصلوة والسلام وخوارق الاوليا
تسمى كرامة وقد يطلق عليها واطلق عليها المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل واباه غيره وهى
اى معجزاته صلى الله عليه وسلم فى كثرتها لا يحيط بها ضبط اى لا يحيط بها حصر وعدا وحفظ
لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد او الحفظ بمعنى الصيانة واما
اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين ووجه التجوز فيه لحاطته
بافراده ففى كلامه استعارة مكنية وتخييلية ولم يتعرض له فى الاساس ثم بين ذلك بقوله
فان واحدا منها اى معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو القران فانه بجملته
معجزة وكذا اياته وسوره قال الامام مجد الدين فى نهاية العقول التحدى وقع مرة بالقران كقوله
على ان يأتوا بمثل هذا القران ومرة بعشر سور كقوله بعشر سور ومرة بسورة كقوله فأتوا بسورة
من مثله ومرة باية كقوله فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدى وهو كقول الرجل لمن يفاخره
هات قوما كقومى هات كنفسى هات كربعهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا اشار المص بقوله
لا يحصى اى لا يعد ويضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل فى مطلق العدد ولذا قال الاعشى
ولست بالاكثر منهم حصى وانما العدة للكاثر عدد معجزاته اى معجزات القران بالف ولا لغيرها فى كل
اية من الاعجاز ولا اكثر من ذلك لما فى الفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة
والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لا يحصى لان النبى صلى الله عليه وسلم
قد تحدى بسورة منه اى طلب مثلها من بلغاء قريش فعجزوا عنها فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله او هو
مبنى للمجهول وهذا اولى قال اهل العلم بالقران وبلاغته واقصر سورة من القران وهو منون او هو
جمع مضاف لضميره انا اعطيناك الكوثر سميت بجزئها هنا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلث
ايات وسورة قل هو الله احد كذلك وسورة النصرة الا انه حروف هذه اقل هذا فكل اية طويلة من القران
بعدد حروفها ومقدارها او ايات منه اى القران بعددها اى بعدد الكوثر ايات وحروفا وكلمات
وقدرها معجزة للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان اقل مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم
كثرته ثم فيها نفسها اى فى سورة الكوثر معجزات كثيرة على ما سنفصله بنينه تفصيلا فيما انطوت اى
اشتمل القران عليه من المعجزات التى لا تحصى ولا تحصر ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين اى علم
واستقر انقسامها انقسام الكلى الى جزئياته فشبه استقرارها باعتلاء الراكب على مركوبه لانها

اما ان نعلم علما يقينيا قطعيا او لا فالاول قسم منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقران فلا مرية
بكسر الميم وضمها وسكون الرا المهملة ومثناة تحتية وهي الشك والتردد كما تقدم بيانه ولا خلاف في
بمجي النبي صلى الله عليه وسلم به الباء الاولى بمعنى في والثانية صلة المجي ولا خلاف ولا مرية في ظهوره
من قبله بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سيأتي في قوله من قبل الله على ما فيه
واستدلاله اي استدلال النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه ونبوته بحجته الاضافة بيانية اي
بحجة هي القران وان انكر هذا المذكور الذي لا مرية فيه معاند جاهد اي منكر له عنادا مع علمه به فهو كانكار
وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التي لا تسمع ولا تصدر
من عاقل واما اعتراض الجاحدين اشارة الى ان انكارهم لما علموا خلافه في الحجة فيه اي الاحتجاج به
وانه كلام الله كقوله المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين وما انزل الله على بشر من شيء الى
غير ذلك فهو اي القران في نفسه اي في كلامه المفرد وجميع ما تضمنه واشتمل عليه من معجز اي من كل
امر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات معلوم ضرورة علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا
قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة واسفله مغدق واعلاه مثمر وما هو
من كلام البشر كما ياتي بيانه والفضل ما شهدت به الاعدا فوجه اعجازه معلوم ضرورة عند اهل
اللسان لا عند كل احد لما فيه من فنون البلاغة ونظرا اي استدلالا لا عند غيرهم او لا فنفا لبعض
وجوهه اليه كما سنشرحه ونبينه قريبا قال لبعض ائمتنا اي علما الحديث والتفسير لا المالكية اذ لا
اختصاص لما ذكر بمذهب ويجري هنا المجرى بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي اي يقارب ما تقدم
ويشبهه لان ما جرى في مجاري شيء ساواه على الجملة اي اجمالا من غير تفصيل الوجه المشابهة وفاعل يجري
انه فجرى على يديه اي صدر منه صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق عادات عطف تفسيري
او من عطف الخاص على العام والاول ولو ان لم يبلغ اي يصل واحد منها معينا اسم مفعول حال من النكرة
لوصفها ولو رفع كان اولى القطع والجزم مفعول يبلغ فيبلغه جميعها اي مجموعها وهذا يسمى التواتر المعنوي
كشجاعة علي وزهد الحسن البصري فان كل حال من احوال هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها لجملة الا بلغ ذلك
بحيث لم يتوقف فيه كنذ ليله الجبابرة مما شاهدوه من خوارق عاداته وانقيادا لملوك له وغيره
ذلك فلا مرية في مجي ان معانيها على يديه مشهورة ناطقة بتصديقه شاهدة برسالته ولا يختلف
مؤمن ولا كافر من الامم السالفة انه اي نبيهم قد جرت على يديه عجايب اي امور خارقة للعادة جرت
ابصارهم والبابهم حتى تعجب منها وانما وقع خلاف المعاند في كونها اي تلك العجايب صادرة من قبل الله
بكسر القاف وفتح الباء اي من المبدا الفياض المبدع البدايع وقد قدمنا ولا كونها اي بيان كون
العجايب من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله اي الله عز وجل لرسوله صدقت في نبوتك وما ادعيته
ومعنى مثابته منزلته وفي حكمه مفعلة من اثابه كذا اذا عوضه ومنه الثواب بالتاء المثلثة بجزاء
الطاعة والجاحد العنيد يزعم تارة انه سحر وكهانة وان سمع من كلام الشجر والحجار كلام حسن سحرها
الى غير ذلك من الخوارق التي صار واليها سحرة اذا عرفت هذا فقد علم وقوع مثل هذا الذي وقع
للانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم السالفة مما علمه كل فرد بر وفاجر ايضا كما وقع

لاوليان

لاوليان من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة اي علما ضروريا متواترا تواترا معنويا لاتفاق معانيها
اي لتوافقها كلها في معنى واحد كما يعلم ضرورة جود حاتم الطائي وشهرته تغني عن ذكره فاخباره
في الجود مشهورة ايضا وكان في الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله عليه وسلم وادرك ابنه
عدي الاسلام وكان من كبار الصحابة رضي الله عنهم وشجاعة عنترة بالها ويقال له عنتر ايضا
وهو عنترة بن معاوية بن شداد القيسي وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب ونونه اختلف
في زيادتها وهو من فرسان العرب وفصحائها المشهورين وحلم الاحنف بن قيس التميمي ادرك الاسلام
واسلم لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من كبار التابعين والاحنف بفتح الهمزة وسكون الحا
المهملة معناه مائل الرجل وله كلمات من الحكم مشهورة في كتبه وعنه في الحلم حكايات عجيبة وكان
من المعمرين ثم ضح ذلك على طريق اللف والنشر المرتب فقال لان معاني الاخبار الواردة اي المروية عن كل
واحد منهم ثم ابدل من قوله عن كل واحد قوله على كرم هذا يعني حاتما وشجاعة هذا يعني عنترة وحلم
هذا يعني احنف واشار بهذا القريب ذكرهم وحضورهم في الذهن وان كان كل خبر من اخبار هؤلاء الثلاثة
بنفسه اي وحده لا يوجب العلم القطعي ولا يقطع بصحته لعدم تواتره بانفراده وانما التواتر
ما يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والعلم والحاصل ان ما جرى على يديه صلى الله عليه وسلم
تواترا معنويا لا لفظيا حقيقيا والمعنوي هو حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار
واردة مستفيضة كما اذا اخبر واحد بان حاتما اعطاه دينارا واخر بانه اعطاه بعيرا واخر بانه
وهبه غنما واخر بانه كساه واخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا كلهم على مطلق الاعطا
والتواتر الحقيقي ان يخبر جماعة عن جماعة الى اخره يؤمن تواطئهم على الكذب في خبر واحد متفق
اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر واستدلال بشروط
مقررة في الاصول خلافا للامام الحرمين والرازي فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه على مقدمات
اخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص ولا اسلام والقسم الثاني من المعجزات ما لم يبلغ مبلغ الضرورة
والقطع عطف تفسيري اي لم يصل الى مرتبته وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر اي له شهرة وشيوع
بين الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا رواه العدد الكثير وشاع للخبرية عند المحدثين
الحفاظ الذين دونوه وهو لا يبلغ رتبة التواتر المفيد للعلم الضروري ولا النظري وذهب بعض
الاصوليين الى انه يفيد العلم القطعي وقيل انه يفيد العلم النظري والمشهور انه يفيد الظن ولا بد
ان تكون شهرته عن اصل ورواية كان اشتهر لا عن اصل وهو المسمى بالمشهور على الالسنة لم يعتد به
المحدثون ما لم يعلم اصله فان علم ذلك يقوى بشهرته في الجملة والرواة ونقله السير جمع ناقل
بفتحتين ككاتب وكتبه والسير جمع سيرة كما مر وهي اخبار المغازي والاخبار عطف تفسيري
كنبع الماء من بين الاصابع اي اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام الذي رواه
انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذي رواه الشيخان وغيرهما ونوع منه
لم يشتهر ولم ينتشر اي اختص به رواية الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير اي القليل ولم
يشتهر اشتهار غيره كالقسم الاول والنوع الاول من القسم الثاني ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم

الا بقرينة كما في جمع الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال احمد انه يفيد العلم مع عدالة رواته لوجوب
العمل به ولو لم يفده لم يجب العمل به وله ادلة مذكورة مع الجواب عنها في الاصول لكنه اذا جمع الى مثله
من احاديث المعجزات اتفقا في المعنى من اصل الاعجاز وثبوته كما اشار اليه بقوله واجتمعا على الاتيان اى
اى اتيان النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجز كما قدمنا من جريانها على يديه وانضمام بعضها الى بعض
المقوى له قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله وانا اقول صدعا بالحق تقديم المسند
لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لانفراده بعبارته المخصوصة ومجموع ما قاله وقوله صدعا
اى صادعا صدعا فهو حال او مفعول لاجله او مطلق لمقدر او لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع
بما تؤمر مستعار من صدع الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع
قلبه او يصدع شبهته ويبطلها او من انصداع الفجر لظهوره ويقال للمجز مديع لهذا ان كثيرا
من هذه الايات والمعجزات المأثورة عنه اى المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم معلوم بالقطع
لتواترها حقيقة او معنى اما انشقاق القمر اى اما معجزته صلى الله عليه وسلم بانشقاق القمر
بمكة حين سأله كفار قريش اية عنها جابه اولا فاراهم ذلك فهي ظاهرة باهرة فانه القرآن نص بوقوعه
اى صرح به في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقد انشق اى قرب وقد حصل
من ايات اقترابها ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء او لانه متعد بعلى فقد تواتر ذلك لفظا على القراءة
المشهورة ومجيئه بقد يابى تاويله بان معناه انه سينشق اذا قامت القيمة والتعبير عنه بالماضي
لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه ليس معه
قرينة تصححه كما توهم الا انه لا يدفع كونه خلاف الظاهر واخبر عن بوجوده من هذه الاية
وقراءة انشق تؤيد التاويل فقد تعارضا ويرجح الاول انه الاصل والمتبادر منه ولا يعدل
عن ظاهرها بالتنوين اى عن ظاهر القرآن الا بدليل قوى يقتضي العدول عنه وتاويله بما تقدم
وقولهم انه لو وقع شاهده الناس كلهم بهذه انه اية ليلية قد يخفى على بعض الناس وجاء برفع
احتماله صحيح الاخبار اى احتمال الظاهر ورد في الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتي
من طرق كثيرة تؤيد حمل الاية على ظاهرها لا سيما وقد روى في الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ
ابن حجر ان ما روى في الصحيحين يفيد علما نظريا وان لم يتواتر وقد صرح بهذا قبله ابو اسحاق
الاسفرايني والحميدي وابو الفضل بن طاهر فان احتف به قواين وورد من طرق اخر ازداد قوة وبلغ
العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطع ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف في مثل هذه
المطالب فقال فلا يوهن بالتخفيف والتشديد اى يضعف عزمنا اى ما عزمنا عليه وقصدناه
جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تاويل خلاف اخرق
بالاضافة اى مخالفة احمق واصله الذي لا يحسن العمل بيده كانه يخرق ما يريد زينه وقال
الثعالبي في فقه اللغة في انواع الحمق ولها احمق ثم ابله فان كان معه اعدم الرفق فهو اخرق
فالحاصل ان المخالف فيه مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف ذلك المخالف
بقوله منحل عرى الدين فهو بالجر صفة لاخرق اى هو مع جهلة قليل الدين ضعيفة لعدوله عن

ظاهر النصوص وتشبيهه بانزيال المشبه وعرى بضم العين وفتح الراء المهملة والف مقصورة
جمع عروة وهي ما يعقد في الحبل ليتمسك به وقال الراغب العرى مقصورا الناحية ومنه المعروة وهي
ما يتمسك به قال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى وهو على طريق التمثيل تشبيه فان شبه الدين
بالعروة فهو من اضافة المشبه به كلجين الماء وان شبه بالحبل المتوصل به لما يعلو كما في الحديث كتاب الله
حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار في كلام العرب كقوله اني بحبلك واصل حبلي
فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع الالتفات
الانحراف بالنظر الى شيء ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى
ولا ينظر اليهم يوم القيمة والسخاوة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال
هو سخيف العقل من عقله وفكره غير قوى والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع
وقوله يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين اشارة الى ما هو من شان اهل البدع من القائهم
الشبه والمشككات على الضعفاء العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا يقبل مثل
هذه الاراء الواهية واما ضعيف العقل فقد يأخذ باقوالهم فيتبعهم ويفتتن بل يرغم بهذا انفه
انه اى برد ما قاله ويظهر جهله وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى لان اصله ان يلصق انفه بالرغام
وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتسخير وكنى به هنا عما فسرناه به وهذا اشارة الى ما ذكر
من النقول الصحيحة التي لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل وينبذ بالعراء سخفه النبذ بنون
وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه اذا طرحه والقاه والعراء بالمد المكان
الخالي الذي لا شيء فيه وبالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده وسخفه قلة عقله ودينه
ونبذ سخفه بالعراء اى القاه في مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا
ابلغ من عدم الالتفات الذي هو معنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشيء فهذا ترق لان الاول
الاول يكون مع استماعه وخضوعه عنده وهذا ابعاد له لرميه بالفلاة ولا تكرار في كلامه
وتعبيره بما له مهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق القمر في الاية على ظاهره لوروده في الاحاديث
الصحيحة من طرق متعددة ومن حمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيمة يوم تنشق السماء
بانه يشيع وانه ارتضاه جمع لانه لو وقع وذاع ومال الاسماع لانه اية عظيمة وقيل معناه ظهر الامر
لان العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح قال الشنفرى في لامية العرب فقد جب الحاجات والليل
مقمر وشدت لطيات مطايا وارحل وقيل معناه انشقاق الظلم عنه بطلوعه كما يقال انفلق
الصبح وانشق كما قال النابغة فلما ادبروا ولهم دوى دعانا عند شق الصبح داعي والداعي لهم
على هذا عدم الوقوف على ما ورد في السنة والفهم لاقوال الحكماء الذاهبين الى امتناع الخرق والالتئام
في الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية وكذلك قصة نبع الماء من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام القليل ببركته ووضع يده الشريفة فيه رواها اى القصة
الثقات من حفاظ المحدثين والعدد الكثير من الجم الغفير تقدم معناه مفصلا ويأتي ايضا
مع زيادة عن العدد الكثير من الصحابة كالشيخين عن انس رضي الله عنه والبخاري عن ابن

مسعود رضي الله عنه يقبل ستعمل الجمع الغفير مجرورا بالحرف والذي في كتب العربية انه لازم النصب
وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره ايضا اذ لا مانع
منه ومنها اي دراية قصة تكثير الما والطعام ما رواه الكافة عن الكافة اي ما رواه جماعة
عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع في كلام كثير من العلما والفصحا
وقد خطاهم فيه الحريري في درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم
تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال في القاموس لا يقال جاءت الكافة لانه لا يدخلها
ال ولا تضاف ووهم الجوهري وقد بسطنا الكلام عليه في شرح الدرة وبينا انه من وورود رواية
ودراية فانه سمع في كلام العرب فان اردت معرفة ذلك فانظره متصلة عن من حدث بها اي
بتلك القصة من جملة الصحابة واخبارهم بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله ما رواه
ان ذلك بفتح الهمزة اي بان الخ ويجوز كسرها كان في معاص بمعنى محل فاصله محل التوطن اجتماع الكثرة
منهم في يوم الخندق بالمدينة وهو بفتح الخا المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو
فارسي معرب كندة بمعنى الحفر والمراد غزوة الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع احزاب المشركين
واليهود بها حول المدينة فامر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة اشار عليه به
سلمان الفارسي رضي الله عنه ولم يكن ذلك معروفا عند العرب وانما هو من مكايد الفرس
وكان ذلك في شوال وقيل في ذي القعدة سنة اربع او خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها
في السير وفي غزوة بواط بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة
اربعة برد بقرب رضوى وهو جبل ايضا وهي التي ظفر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بعير
قريش سنة اثنين ولم يكن بها حرب ايضا وبواط قيل فيه المطرف وعدمه والظاهر الاول واشار
بالاول الى قصة جابر رضي الله عنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنا قد نجها مع
صاع من شعير خبزه فاتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فاكلوا
وشبعوا وفضله ذلك الطعام وكانوا نحو الف وبالثاني اي قصة بواط وهي انه وضع يده
صلى الله عليه وسلم في ماء قليل للوضوء فقال لجابر نادي الناس فلما اتوا وضع يده الشريفة
في الما فنبع الما من بين اصابعه حتى توضئوا كلهم كما سياتي وعمرة الحديبية بالجر عطف على
المجرور في قبله والحديبية مصغر كدويهية اسم مكان او بئر فيه قريبة من مكة سميت بشجرة
حدبا فيها وهي التي وقع تحتها بيعة الرضوان وهي بتخفيف اليا الثانية على الصحيح وشددها
بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة والاية التي كانت فيها انه صلى الله عليه
وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بين يديه
ركوة فتوضا منها وماء البئر قليل جدا نزعه الناس وشكوا العطش لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزع سهما من كنانته واعطاه لناجية بن عمير فغرزه في البئر فجاش ما وها وجاءت
جارية من الانصار ومعها دلو فاقبلت به على ناجيته وهو في القليب وقالت تمثيلا
المايح دلوي دونكا اني رايت الناس يحمدونكا يثنون خيرا ويمجدونكا ارجوك للخير

كما يروكما

كما يروكما الى الجزما فصل في السير وسياتي بتمامه وغزوة تبوك في السنة التاسعة من هجرته
صلى الله عليه وسلم او السابعة وهي اسم موضع بين الشام والمدينة غير منصرف وسميت
بعين ماء بها امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق رجلان فيهما
حعلا همافيها ليكثروا ماءها فزجرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما زلتما
تبوكانها اي تحفرانها ليخرج ماؤها ولتشار المصنف الى اية فيها رواها ابو هريرة رضي الله عنه وهي
ان الناس اصابتهم مجاعة فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعى
بنطع وبسط ودعى بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف من ذرة والاخر بكف من تمر
والاخر بكف شعير فجمع ذلك وبرك عليه ثم قال خذوا فاخذوا في اوعيتهم حتى ما بقي
في العسكر وعا الا ملوه والملوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المصنف رحمه الله لكل اية
فصلا كما سياتي وامثالها من محافل المسلمين مجرور معطوف على الضمير للغزوات المذكورة
والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والماتم مجمع
النساء والنادي مجمع الناس في الشتاء ودار الندوة والمهبطة مجمع العزبا وقيل محل اجتماعهم
لامورهم والمجلس مقر الناس في بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت محل البيع والشرا
وقد يخص بمحل بيع الخمر ومجتمع العساكر اي اجتماعهم وهي المعركة والعساكر جمع عسكر وهو
الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب ولم يوثر بالبناء للمجهول اي لم
ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث عن احد من الصحابة مخالفة
للراوي نائب الفاعل فيما حكاه الراوي من الامور والايات المذكورة ولا فقل عن احد انكار على
ما ذكر عنهم وذكر مبني للمجهول نائب فاعله انهم رأوه كما اي لم ينقل انكارا انهم رأوا من النبي
صلى الله عليه وسلم كما راه عنهم الاخر بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة انه شاهد بعض
اياته صلى الله عليه وسلم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق لانه في محله اقرار اذ هم
المنزهون من السكوت على باطل يسمعه من غيره ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت كالنطق
ليس على اطلاقه كما ذكره الفقها واهل الاصول ولذا قالوا السكوت في محل الحاجة بيان
والمنزهون عن المداهنة في كذب فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون في الله لومة لائم والمداهنة
الملاينة والمطاوعة الا ان الفرق بينها وبين المداراة في الحق والمداهنة في غيره ولذا جعلت
من الغش قال تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون وهي استعارة من الدهن للين كلام صاحبها
وجانبه وهي مذمومة لانها نفاق وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم اما الصحابة رضي الله
عنهم ليسوا ممن يطمع ويرغب في دنيا غيره ولا يخاف من احد عدل عن الحق لصلابة دينهم
فلا يداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم ما يمنعهم من الانكار
على من كذب ولو كان الاحسن ان يقول فلو بالفا للترتيب على ما قبله ما سمعوه منكرا عندهم
اي في اعتقادهم وغير معروف لديهم اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله لانكروه
على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل وما يخالف الظاهر واما احتمال ان غيرهم سمع ما لم

يسمعه وحمل قائله على الصلاح فغير مناسب هنا لان الصحابة رضي الله عنهم في العصر الاول كان عندهم
حرص على معرفة احواله صلى الله عليه وسلم واقواله لتوفر دواعيهم على نقلها والعمل بها والمعجزات
للتحدي بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله نعم بعد عصورهم يجوز هذا لان خبر الاحاد مقبول
فتدبر كما انكر بعضهم اي بعض الصحابة على بعض منهم اشيا راوها من السنن اي لسنن النبي صلى الله
عليه وسلم جمع سنة بمعنى طريقة والمراد الاحاديث النبوية والسير جمع سيرة وهي احوال القراة
وحروف القران اي قراته المتعددة فان كل وجه من القراة يطلق عليه حروف وبه فسر حديث انزل القران
على سبعة احرف اي لغات ووجوه منقوله على المعنى المشهور من معانيه وفي السنن الستة ان عمر
رضي الله عنه انكر على هشام بن حكيم قراءة قراءتها سورة الفرقان ثم كيفها فجابه الى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال سمعت هذا يقراء بغير ما اقرانيها فقال صلى الله عليه وسلم اقرا يا هشام
فقراء فقال هكذا انزلت ثم قال اقرا يا عمر فقراء فقال له هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة
احرف فاقروا ما تيسر منه وفيه بان الحكمة وكما وقع بين عمر وابن عباس رضي الله عنهم في انكاره
عليه ما قاله في نكاح المتعة وامثاله كثيرة في كتب الحديث وخطا بعضهم بعضا ووهمه في ذلك
يعني ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطا والوهم اذا ذكر امرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق
بسنن النبي صلى الله عليه وسلم وسيره او بالقرات وغير ذلك مما يتوقف على النقل ولا يقال
بالراي فانهم لا مداهنة عندهم ولا مداراة في الحق الا ترى ان عمر رضي الله عنه مع جلالته لما قبل
الحجر الاسود وقال اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك
فقبلتك ضمعه علي كرم الله وجهه فقال له لا تقل كذا فان الله تعالى لما اخذ العهد على ذراري
بني ادم اودع كتاب العهد فيه وقال من قبله فقد وفى بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيمة
فدعا له عمر وقال لا ابقاني الله بعدك يا ابا الحسن والوهم والخطا هنا بمعنى وروي ووهمه بالنون من الوهن
وهو الضعف في الراي كما معلوم بيان لذلك فهذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الاحاد
شيئا اشتهر او ما يقرب من التواتر يلحق بفتح اوله وضمه بالقطعي اي يعد من قبيل المقطوع به من معجزاته
لما بيناه من نقل بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيرهم عليه ممن بلغه فهو كالاجماع السكوتي
وايضا الناوجه يؤيد كونها كالقطعي فان امثال هذه الاخبار المتعلقة بالمعجزات الثابتة في عصر
الصحابة لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار التي لا اصل لها رواية وثبت بنيت على باطل بان كانت
كذبا محضا تبطل وتضمحل اذ لا بد مع مرور الازمان عليها في نقلها في عصر بعد عصر وتداول الناس
اي تلقي الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه واخذه
بعضهم من بعض قال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس واهل البحث اي التفتيش عنها والمراد
علماء الحديث الذين يسالون عن رواة الحديث صحة وسقما من انكشاف ضعفها اي ظهوره وخمول
ذكرها بان تنسى ولا يشتهر لها ذكر لكونها لا اصل لها كما نشاهد بالمشاهدة التحتية او الفوقية
ويجوز قراته بالنون اي نعرفه وتحقق في كثير من الاخبار الكاذبة التي ظهرت في بعض الازمنة ثم
تبين كذبها وصارت كان لم تكن شيئا مذكورا كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه والاراجيف

477

الطارية اي الاكاذيب التي حدثت في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجافة بكسر الهمزة وفتحها
وقيل انه جمع رجفة من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية ولذا سمي البحر رجافا لاضطراب
امواجه وقال بعض الشعراء فيمن اصابته رعشة في يده ما كان من رجاف كفك منكر فالبحر من اسمائه
الرجاف وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارية
بالهمزة والياء التحتية من طرا اذا احدثت وتجدد واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم بفتح الهمزة
جمع علم بمعنى علامة او راية كبيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة هذه الواردة اي المروية
من طريق الاحاد بالمدائن التي رويت احادا ولم تتواتر لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا
ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفا وضعفا ومع تداول الفرق اي تكلم الناس بها فرقة بعد
فرقة وهو بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرقة وكثرة طعن العدو من اعداء الدين الكفرة والطعن القدح
والدخل بالمعارضة وحرصه على توهينها اي تضعيفها وفي نسخة بدل حرصه بضاد معجمة
اي حثه وتحريضه وتضعيف اصلها بالانكار والعناد والدعا انها سحر وافتراء واجتهاد
الملحد اي بذل طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقة والالحاد الميل عن الاستقامة
والحد ولحد في الدين حاد عنه وعدل وعن ابن عباس في قوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا هو
تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه وفي نسخة باجتهاد بدون تاء من اجتهد دائبا به نفسه
وكدها محافظة على اطفاء نورها اي ابطالها فشبه المعجزات بسراج منير ونار على علم في الظهور
والتحقيق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفا اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد
بعلى مشاكلة لما قبله اي ضمنه بمعنى الملازمة والانجذاب عنهم كما قال الله تعالى يريدون ان يطفئوا
نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ومن حكم اهل الهند ان الرجل ذو المروة والعقل الميلون
حامل المنزلة غامض الامر فما يخرج به مروته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التي يصيرها
صاحبها وتابى الا ارتفاعها ومنه اخذ ابن الرومي من قوله كالذي طاطا الشهاب ليخفى وهو ادنى له
الى التضريم ومنه اخذ الارجاني قوله ما لشانك يلتظي من عرونه وله اخر قيت قمعه كلما
رام منه للراس رفعا زاد خفضا كانه نار سمعته ولحسن هذا كله قوى في بعض الحساد
رام بالذل ان ينكس قدري حاسد زادني سناء وسنا قلت ان الشهاب شعلة نار كلما نكسوا
رادا ضياء قوله الا قوة وقبولا معطوف على قوله الا ظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف
على قوله مع مرور الازمان وفي نسخة الزمان وقوته بظهور حقيقته وتيقنه وهو مقابل لما في منه
من التضعيف والقبول باذعان العقول السليمة له وهو مقابل المطعن الطاعنين وانكارهم
وللطاعن اي النقص الذي يعيبها ويسعى في ابطالها والجار والمجرور حال من المتبين بعده بعد
ما كان صفة وعداه بعلى في قوله عليها لانه ضمنه معنى المتعدي عليها لانه متعد بفي وقوله الا حسرة
وهي التاسف والتندم على منهم فاته وايس منه وغليلا بالغين المعجمة واصله حرارة وتلهف
في الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازا الحقد المضمر والحسد معطوف عليه وان لم يشاركه
في متعلقه الابتداء وبل فتدبر وكذلك اي كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد لاخباره بكسر

المهموزة مصدر الخبر عن الغيوب جمع غيب وهو ما خفي علمه في الناس كالدجال والمهدي ودابة الارض
وغير ذلك مما اخبر به بعض الصحابة رضي الله عنهم وابناوه برزن اخباره ومعناه بما يكون
في المستقبل من اشراط الساعة ومما يقع بين امته صلى الله عليه وسلم من الفتن وغيرها وما كان
في الماضي كاحوال الانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم السالفة ونحوه مما لا يعلم الا بوحي
او حفظ الكتب الالهية التي لم يقرءها ولم ير من عرفها معلوم ما انه من اياته ومعجزاته الخارقة للعادة
اما الاول فظاهر واما الثاني فلانه صلى الله عليه وسلم امي ولم يخالط من علم ذلك كفاك بالعلم
في الامي معجزة ما في الجاهلية والتاديب واليتم على الجملة بالضرورة اي معلوم بعلم ضروري بمجموعه
وبجملته وان لم يكن كل فرد فرد كذلك وهذا حق اي امر محقق متيقن لا غطاء عليه ظاهر منكشف
من غير لبس وشبهة فيه وقد قال به اي اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا نطق به وقال به اذا
ذهب اليه واختاره من ائمتنا المقتدى بهم من الاشعرية او المالكية القاضي ابو بكر الباقلاني
الاصولي المالكي لانه المراد به اذا اطلق وبه صرح صاحب المقتفي هنا قال والمراد بقوله الاستاذ ابو
بكر بن فورك كما تقدم من كلام المص وقيل المراد بالاول ابو بكر بن العربي شارح الترمذي وبالثاني
ابو بكر الباقلاني والعكس والاول مالكي والثاني عده المص من المالكية وعده السبكي في طبقاته
من الشافعية وقال التلمساني ان المراد بالثاني ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي والاستاذ بضم
الهمزة واخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسية بالدال المهملة والولدون يريدون به
الطرطوشي وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل وغيرهما
من الائمة اي ذهب هؤلاء كلهم الى انها معلومة بعلم ضروري قطعي فهي متواترة بحسب المعنى وان لم تتواتر
مفرداتها وما عندي اوجب قول القائل وفي نسخة تاخيرها عن عندي وهي نافية ومعنى عندي في اعتقادي
وحكمي وهو متعلق باوجب ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد اي من قبيل خبر الاحاد التي
لا توجب العمل والجيب يعني اقتضى واستلزم والجاه اي لم يلجيه لذلك الا قلة مطالعته للاخبار
النبوية ومطالعتها الاطلاع عليها وروايتها وشغله بضم اوله اي اشتغاله بغير ذلك من المعارف
غير الاحاديث من الحربية والامور والعلوم العقلية وفيه تادب مع العلماء وعدم المجاهدة
بالقدح فيهم والا اي لو لم نقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم بما ذكر فمن اعتنى اي كان له عناية
واشتغال بطرق النقل اي الامور النقلية السمعية وطالع الاحاديث والسير النبوية بان درسها
وقراها لم يرتب اي لم يحصل عنده ريبة وشك في صحة هذه القصص المشهورة عند المحدثين والحفاظ
على الوجه الذي ذكرناه من جمع طرقها وضم بعضها لبعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى قيل وقوله
لم ترتب قاض برد اعتراضه على من قال انها احاد اذ لم يرد به مجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم
اشار الى دفع شبهة هي انه لو كانت الاحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالنقول ومطالعة الاحاديث
كانت متواترة معنى عند غيره فقال ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر الحقيقي عند واحد ولا يحصل
عند اخر فبالطريق الاولى التواتر المعنوي وقد يمثل هذا في البسملة وجمع به بين الخلاف وبين الائمة
فان اثباتها في اوائل السور واسقاطها قراءتان متواتران من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وان خفي

على

على كثير فان اكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر كون بغداد موجودة وهي المدينة المشهورة بدار السلام
اما السلامة اهلها من فساد وتغير المزاج او لان نهرها يسمى السلام وهي فارسية معربة ومعناها
محل البساتين لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية اي عطية الصنم
ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك وفيه ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول
واعجام الثاني وعكسه وبغدان بالنون مع الاهمال وزاد يعقوب ابدال الباء ميما مع الدال والنون
والاهمال والاعجام والاهمال اصح وقالوا بغدين ايضا وانها مدينة عظيمة ودار الامامة
والخلافة بكسر اولهما وهما بمعنى والخلافة هي الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهي السلطنة ونحوه وسميت امامة لان الامامة والخطبة في عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم والخلفاء الراشدين لازمة له لا يقوم بها غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضا
والحكومة ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعمودارها مقرها ومحلها واول من بنى بغداد
هذه ابو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس واحاد بالمدجع واحد لا يعلمون
اسمها لعدم سماعه فضلا عن وصفها من كونها دار الخلافة متنزهة عظيمة البناء وفضلا منصوب
بالمصدرية يفيد اولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوطة في العربية مشهورة ثم ذكر مثالا اخر
في الشرعيات فقال وهكذا اي مثل امر بغداد يعلم الفقهاء من اصحاب مالك المقلدين لمذهبه فيجوز
بالصحة عما ذكر تجوزا مشهورا بالضرورة اي بالعلم الضروري اي البديهي لا الاضطراري لتواتره
عندهم نقوله وتواتر النقل عنه كالمنقول له ان مذهبه ايجاب ام القران اي الفاتحة ووجه التسمية
مشهور في الصلوة للمنفرد والامام دون الماموم فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق
بين الصلاة الجهرية وغيرها وكذا مذهب ابي حنيفة رحمه الله كما فصل في كتب الفقه واجزاء النية
اي نية صوم رمضان كله في اول ليلة من رمضان عما سواه الضمير راجع للاول فلا يحتاج في بقية
الشهر الى نية اخرى اكتفاء بتلك النية والاجزاء بمعنى الكفاية والاغناء وقيل معناه سقوط القضاء
ورده الاصفهاني في شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة مفصل في كتب اصول الفقه وان
الشافعي رحمه الله يرى من الراي يعني المذهب تجديد النية كل ليلة قبيل الفجر فمذهبه ان النية واجبة
في كل ليلة لا مندوبة وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان
صوم كل يوم عبادة مستقلة فيفتقر الى نية جديدة لحديث انما الاعمال بالنيات والمراد
الاعمال الشرعية اي تمام صحتها وغيرها يقدر انما لها كما في بني في محله والاقتصار على مسح بعض
الراس اي ويعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الراس يجزي عند الشافعي لتواتر نقل
ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الراس كله احتياطا وان مذهبهما اي مالك والشافعي
القصاص اي وجوبه في القتل بالمحدد اسم مفعول مشددا لدال وهو حديد له حد جارح كالسيف
ونحوه وغيره مما لا حد له كالعصا والحجر والشجر وايجاب النية في الوضوء فهي واجبة عندهما لانه
عبادة فلا بد من النية فيه ليكون قربة وتتميز العبادة عن العادة بالخلوص العمل بالنية واشتراط
الولي وهو من يكون له ولاية شرعية على المنكحة كالاب والجد في النكاح اي في صحته وانعقاد

كما فصل في كتب الفقه وان ابا حنيفة النعمان بن ثابت الامام المشهور شهرته تغني عن ذكره ترجمته
يخالفهما في هذه المسائل فلا يوجب القصاص في غير المحدد بل الدية ولا يوجب النية في الوضوء وخالف
فيه بعض الحنفية كما في الاسرار للدبوسي ولا يشترط في النكاح الولي كما فصلوه يعني ان مذهبه
يخالف مذهبهما في هذه المسائل فانه لم يرهما حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا
في كتبهم فيقولون خالف فلان في كذا فلانا وان تقدم عصره عليه وغيرهم اي غير الفقهاء واصحاب
المذاهب ممن لم يشتغل بمذاهبهم اي مذاهب الفقهاء ومن ذكر من الائمة ولا دري اقوالهم ممن قلدهم
واشتغل بكتبهم لا يعرف هنا الامر الذي وقع فيه الخلاف منهم من مذاهبهم واقوالهم فضلا عما سواه
اي سوى هذا من دقايق المذاهب ومسائلها الغريبة وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نريد الكلام
فيها بيانا بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد ان شاء الله تعالى ذلك

فصل

في اعجاز القرآن اي في بيان اعجازه والقرآن بالهمز وقد تسهل وتبدل دون نه فعلان على الصحيح وتقدم
بيان الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن معارضة والاتيان بمثله اعلم وفقنا الله واياك اي رزقنا
التوفيق والجملة دعائية وتصديره باعلم تنبيها له على ما بعده اهمهم يلزم علمه ان كتاب الله
العزيز بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد مسد مفعولي علم وتقدم ان العزيز بمعنى القوي بمعنى القوى
الغالب وبمعنى الذي لا نظير له ويجوز فيه الجر والنصب على انه صفة الله او الكتاب ولك ان
ترفعه قطعا والكتاب المراد به القرآن لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسي وما بين الدفتين
وكلاهما قديم عند بعض المحققين كالشهرستاني والكلام فيه مشهور والمراد هنا الثاني لانه
هو المتصف بالاعجاز منطو اي مشتمل ومحتو افتعال من الطي وهو معروف على وجوه من الاعجاز كثيرة
اي انواع يعرف بها اعجازه وكونها لا يقدر عليه البشر وتحصيلها اي محصلها بجمال الافهام المراد بالمصدر
اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه والتميز للوجوه من جهة ضبط انواعها اي حصرها
وجعلها منصورة محفوظة في اربعة اوجه خبر تحصيل ومتعلق بقوله ضبطا ولها حسن تاليفه
اي نظم كلماته مؤتلفة متوافقة والتيام كلمة عطف تفسير اي كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب
مقتضى مقاماتها والكلام اسم جنس جمعي لكلمة كتمر وتمرة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وفصاحته
قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور في كتب المعاني ووجوه اعجازه اي قلة لفظه
وكثرة معانيه ووجوهه معروفة في المعاني وبلاغته الخارقة عادة العرب عادة بالنصب
مفعول خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم كما يقال لخرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك
فقال وذلك اي ما ذكر من عادتهم لانهم اي العرب كانوا ارباب هذا الشان هو الامر العظيم والمراد
البلاغة وجعلهم اربابها اي اصحابها المالكون لها الذين بيدهم ازمتها وهو مبالغة في اتصافهم
بالفصاحة والبلاغة وفرسان الكلام جمع فارس وجمع فرس الذي هو جمعه والفرس يكون
ايضا جمع فارسي بمعنى عجمي كما في شرح شواهد الايضاح ومنه قولهم لغة الفرس فشبه الكلام
الذين تمكنوا من التصرف فيه بجوار علوه وسابقوا به في ميادين البلاغة والرهان وفازوا
بقصب السبق فيه قد خصوا من البلاغة والحكم اي خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة

كلامهم

كلامهم المخصوصة بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم اي من المعاني المحكمة المتقنة وما يحث على مكارم
الاخلاق ومحاسن الصفات وفيه كلام تقدم بما لم يخص به غيرهم قيل كان الظاهر ان يقول بما لم
يوجد في غيرهم لكنه عبر به ليشاكل ما قبله ولان نفي الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم
فلا يقال انه لا يلزم من نفي الاختصاص نفي الوجود وهو المقصود وفيه بحث من الامم اي من جميع
الامم السابقة واللاحقة واوتوا بالبناء للمجهول اي اعطاهم الله من ذرابة اللسان المراد الجارحة
المعروفة والكلام نفسه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وباء موحدة اصل معناها حدة السيف
والسنان ونحوه وقيل هي ان يشفي السم والذراب السم فاستعير لطلاقة اللسان من الخلق
عن اللكنة قال ارحني واسترح مني فاني ثقيل محملي ذرب لساني وهذا امر محمود وقد يكون
بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال تعالى سلقوكم بالسنة حداد ما لم يؤت انسان
اي لم يؤته غيرهم من الامم لكنه اتى بما ذكر لقصد السجع والخطابة كقوله ومن فصل الخطاب
اي الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذي لا لبس فيه ولا خفا كما تقدم ما يقيد الالباب
جمع لب وهو العقل وقيدها بمعنى يحبسها اذا سمعته حتى كانها قيدت ومنعت من الحركة
لدهشتها من حسنه وبراعته جعل الله لهم ذلك المذكور الذي خصوا به طبعا وخلقة مركوز
في طبايعهم لا بتكلف وتعلم وتقليد لغيرهم وفيهم غريزة اي جبلة وسجية مركوزة فيهم وقوة
المراد بالقوة مقابل الفعل وليس بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من الطبيعة
ايضا وتكرار الالفاظ المتغايرة لا باس به هنا لانه مقام خطابة والمراد بالقوة القدرة
اي هنا امر طبعهم الله تعالى عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا عقبه بقوله ياتون منه
على البديهة بالعجب اصل معنى البديهة الفجاءة ولذا لكل كلام من غير اتعاب بفكر ونظر
بديهة فيقال اجاب على البديهة وله بدايع بداية وهذا معلوم في بداية العقول ويحققه
في بداية جزمه والعجب بمعنى الامر الذي يعد عجيبا لحسنه وجزالة معناه فكانه لم يعهد فما قيل
انه غير صحيح هنا لا وجه له ويدلون به بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة وبا للام
من ادلى دلوه في البئر اذا انزله لاخذ الماء ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضي الله عنه لما استسقى
بالعباس رضي الله عنه وقد دلونا اليك مستشفعين اي توسلنا الى كل سبب اي طريق ووسيلة
الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤسا
فاذا ذكروا هذه المسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين وتنفذ بجنان
البيان سواد القلوب والخواطر وفي قوله سبب هنا تورية لانه في الاصل بمعنى الحبل فذكره
بعد الادلا فيه وقيل المراد قبلنا وسقنا من الدلو وهو التسوق والزفو وقيل المراد بالسبب
الطلب العالي التشبيه باسباب السموات اي نواحيها كانه شبه ذلك الطلب في علوه بليه
بنواحي السما والعرب كانوا يصلون الى هاتيك المطالب بما اتوه من القرايح الزكية ولعل
المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله فيخطبون الخ انتهى ولا يخفى انه
لا يلايم ما نحن فيه بديها اي ينشئون الخطب بمقتضى طبايعهم بديهة من غير تكلف في المقامات

اى محافل الناس ومجامعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تصنيع جمع مقام او مقامة يقال قام بين
يدى الامير مقاما ومقامة اذا تكلم بعظة ونحوها وكانوا يخطبون قياما فلذا سميت مقامة ثم
اطلقت على نفس الكلام القول فيها كمقامات البديع والحريرى وغيرهما وتسديد الخطب اى الامر
العظيم الشان الذى من شانه ان يقع فيه المخاطبات والمنازعات فكان لكل قوم خطيب
يقوم بينهم ويحثهم على مهماتهم وقيل ان الخطب الشان عظم او صغر وسبب الامر ولا يناسب المقام
والتكلم بكلام بليغ ارتجالا يدل على سجيته وعزيزة قوية ويرتجزون به اى ينشدون رجزا فى تلك
المقامات بديهة يعدونه كالخطب ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس شعرا بين الطعن والضرب كما
ينشدون فى انديتهم وهذا كقول على رضى الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر انا الذى سمتنى امى
حيدره كليث غابات كريه المنظره اكيلكم بالسيف كيل السندره وامثاله مما لا يحصى
ويمدحون من يستحق المدح فى مقاماتهم بديهة بابلغ الاشعار ويقدحون اى يذمون ويهجون
يقال قدح فى عرضه اذا عابه ومن فسوه بقوله اى يقدحون افكارهم فيستخرجون مخ الكلام
فى حسن نظام لم يصب مخ الكلام ويتوسلون بما ذكر من بليغ الكلام نظما ونثرا ويتوصلون
عطف تفسير اى بالمذكور الى مطالبهم العالية ويدفعون من مدحوه بمدائحهم حتى يرتقى مرتبة
لم يكن له بشهرة مدحه فيصير نابه الذكر بعد ان كان خاملا لما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى
ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب احد فى تزوجهن فمدحه بقصيدة قافية
مشهورة فلم يمض من حتى خطبوا بناته ورغبوا فيهن ويضعون مقدار ما رموه بقدحهم
حتى يصير سبة بينهم ففيه لف ونشر فياتون من ذلك المذكور كله ما يسحر الحلول السحر فى
الاصل الفطنة وقوله وكل ما دق ثم انه يشبه به الكلام البليغ الذى تلذ به النفوس وتنجذب له
القلوب ومنه ان من البيان لسحرا فهو لتشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقى معروف وهو نسج محرم
فوصفه بالحلول بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر واقع وهو بامر يعرفها
اهلها سياتى الكلام عليها عند قوله وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر ويطوقون بالتشديد
من الطوق وهو ما يجعل فى العنق من ذهب ونحوه مزاوصافهم البديعة البليغة وفيه
استعارة مكنية وتخييلية اى من وصفهم لغيرهم بمدحهم اجمل من سمط اللآل اجمل بمعنى ازين
واحسن وسمط بكسر فيكون المراد به جنسه لعمومه بالاضافة فمن قال حسوا به سموطا لم يصب
وهو السلك ما دام فيه الخرز والا فهو خيط وقال البوهان السمط الخيط ما دام فيه
الخرز والا فهو سلك وتبعه الانطاكى ونسبه للجوهرى وقال ان غيره قال السمط الجوهرى
السلك للخرز والنظام للدر وفيه نظر وفضله عقد المدائح على اللآلى لانه لا يفنى ولا يقاومه
ثمن لعزته واصل اللآل اللآلى بهمزة فى اخرها فابدلها ياء لسكونها وقفا ثم عامله معاملة المعتل
فى الوقف فاسقطها كالعاص فيخدعون الالباب الخداع هو المكر واظهار امر على خلافه لمن تريد
امرا مكروها والالباب جمع لب وهو العقل كما مر والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه
استعارة مكنية وتخييلية وتقدير ذوى العقول يذهبون برونق الكلام ويذللون الصعاب
اى

اى يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر والذال المعجمة من الارض الذلول
وهى التى يسهل المشى فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما
انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهى الناقة
التى لا تنقاد ويذهبون الاحن بكسر الهمزة وفتح الحاء المهملة جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد
ويمحون الدمن بضم اوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية المشددة ويجوز كسرها مع سكون الياء
اى يحركونها ويظهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهى فى الاصل ما فى مبارك
الابل من بعرها التلبد بما عليه من ابوابها استعير للحقد المضمر المجتمع فى الباطن وهى استعارة
بليغة شايعة فى كلامهم قال ارعى الامانة لا اخون ولا ادى برا دمن عرضة الاخوان وكون
المراد به اثار السكان فى الديار والمعنى انهم ينديون الاطلال وسكانها فيهجون الاشواق بذكرها
وان سلم من التكرار بعيد هنا فلا ينتر بما قيل ويجرون الجبان بالتشديد والهمزة من الجراة وهى
الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع اى يجعلونه شجاعا بعد جبنه ويبسطون يد
الجعد البنان بالاضافة للجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها بدها واذهاب
جمودتها وهى انقباضها والجعد اذا اضيف الى اليد او البنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم
فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهى الانبساط والمعنى انهم بفصاحتهم
يصيرون البخيل كريما قال ابو عبيد الجعد فى صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما فمعنى المدح
معناه شديد الخلق مدبر للامور وان شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر فى العجم وفى الذم
معناه القصير والبخيل ويصيرون الناقص كاملا بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير
التطبع طبعا وان كانت الطباع يعسر تغيرها وتبدلها ويتركون النبيه الشريف المشهور خاملا
اى خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم وتنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال منهم اى
من العرب البدوى وهم سكان البادية النازلون فى الاخبية والدار بدو هو بالياء الموحدة والدال
المهملة المفتوحتين الذين لا يسكنون القرى والامصار ويسمى ساكنها حضرا وحاضرة لحضور
بعضهم لبعض فيها والنسبة للبادية او للبدو بالسكون على خلاف القياس ويقال بداوى بفتح
اوله وكسره او هو نسبة للبدا كالبقى بمعنى البادية ايضا ذو اللفظ الجزل اى صاحب اللفظ
المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير ايضا ومنه الثواب الجزيل والقول الفصل
بالصاد المهملة اى الفاصل بين الحق والباطل قال تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل واصل
معنى الفصل الحجز ومنه فصول الكتب والكلام الفخم اى المفخم المعظم المشتمل وعدم مداراتهم
والممثل المعانى الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال ومهابة او هو من التفخيم ضد التدقيق
لاعتيادهم باخراج الحروف من مخارجها والجهر بها لقوله والطبع الجوهرى اى طبعوا على جهر
الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال فى القاموس جهر ككرم فخم والصوت ارتفع وكلام
جهر ومجهورى عالى وفى الحديث نادى بصوت جهورى وفى نسخة جوهرى نسبة للجوهر وهو الخالص
النقى او القدم الحدى فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهنا استعارة

للنفيس وفي القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به ومن الشيء ما وضعت عليه جبلته
والجري القدم انتهى والواو زائدة وقيل انه بمعناه المعروف وجهير العرب تمدح بالجهر بالكلام
وتعيب عن ابهما والخنن كما قال الاعرابي جهير الرواء جهير الكلام جهير العطاس جهير النغم
وهذا اشبه بطريقة المصنف وفصاحته والمنزع القوي مفعل من النزع وهو الجذب والاخذ
ونزع الماء من البئر اخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمي او اسم مكان والاول اظهر اي
ياتون بنوع من الكلام ويستخرجونه من بين انواع الكلام بطبايعهم السليمة بحيث اذا سمعه
السامع شغفه مليله ومنهم الحضري نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة ايضا
والحضارة سكنى الحضر وهو الامصار والقرى والبلاغة البارعة اي الفائقة من برع اقرانه اذا فاقهم
برقة طبعه وتهذيب كلامه والالفاظ الناصعة اي الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة
السالمة من الركاكة والكلمات الجامعة للمعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة الوجيزة والطبع
السهل اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه وانسجام كلامه الذي هو ارق من النسيم يكاد
من عذوبة الالفاظ تشربه مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن والتصرف في القول القليل
المكلفة فيخرج من نوع لنوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او للقول
فلا يورد في كلامه ما يعرفه على المسامع لغرابته او تعقيده الكثير الرونق اي الحسن واللطافة
من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحتري وبديع كانه الزهر الضاحك في رونق
الربيع الجديد مشرق في جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستعيد الرقيق الحاشية اصل
الحاشية طرف البرد والثوب ودقة حاشيته عبارة عن دقته وحسن نسجه والكلام
شبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي الاساس من المجاز عيش وقيق الحواشي
وكلام دقيق الحواشي وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان يكون لفظه رشيقا عذبا
وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا وكلا البابين اي كلا القسمين من كلام
البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله قلبهما في البلاغة الحجة البالغة قيل
ان في الكلام تقديرا واصله واما كلام البابين الخ فالفاء واقعة في جواب اما المقدرة ولا
يخفى انه ركيك ولو حذفها كان اولى ولو قيل كلا مبتداء خبره مقدر تقديره وكلاهما مما
اختص بوابه او مما له شان عظيم وما بعده مبني عليه كان احسن لان ما اخذ فيها من غير عديل
ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا خصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة
والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القائل في قوله
كلاهما حين جد الجري بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابي والقوة الدامغة اي الطالبة لغيرها
من ساير اللغات واصل الدفع الضرب على الدماغ فاريد به ما ذكر من الغلبة والقهر يقال
دفع الحق الباطل اي ابطله ودمغت فلانا قهرته والقدح الفالج بكسر القاف وسكون الدال
والحاء المهملتين واحده قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر كانوا يتقامرون بها
في الجاهلية ولها اسماء مشهورة ومنها ما له نصيب زايد ومنها ما لا نصيب له والفالج بالفا

واللام

واللام والجيم بمعنى الفائز يقال فلج امره اي فاز وسعد اي لهذه اللغة شرف وفوز عند مسامعها وقيل
المراد ما تنتجه الافكار واصابة الاراء وجودة الانظار وهو امر لا تعلق له بنفس الكلام والكلام
فيه والمهيع الناهج بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية وهو الطريق الواسع والناهج بمعنى
البين الواضح المسلوك واصله السالك فيتجوز به عن المسلوك كماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية
واداد به تبعه لغتهم وظهورها لانها لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم قيل كان الاحسن الظاهر
ان يقول لا يشك بنباء المجهول ليكون ابلغ وهنا من عدم معرفته بمقاصده فان هنا هو المناسب لما
هو بصدده فانه البليغ الفائق اذا كان هنا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله
دره ما ادق نظره والمراد انهم يعلمون ما جبلوا عليه من البلاغة والقدرة على ايراد كل كلام بليغ
في مقامه على ما يقتضيه حاله وسبكه في قوالبه ونظره لاساليبه المطاوعة ومعرفته بذلك
والبلاغة ملك قيادهم بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابة اي والبلاغة مملوكة لهم منقادة واصله
ملكهم وفي قيادهم فعدل عنه لما ذكره لانه ابلغ ففيه استعارة في الملك والقياد وهي اضافية على
حد قوله مكر الليل يعني انهم متصرفون في افانينها من غير تكلف قد حووا فنونها اي جمعوا وحازوا انواع
البلاغة واقسامها والفنون جمع فن واستنبطوا عيونها اي استخرجوا خيارها ومحاسنها واصل معنى
الاستنباط استخراج الماء من الابار والعيون النابعة فعيون هنا في موقعها وفيها تورية لايهامه
لعيون الماء والمراد خيارها لان عين كل شيء خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم ودخلوا
من كل باب من ابوابها اي سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باتي عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز
والكناية وبسط الكلام في مقام وايجازه في مقام اخر والتصريح والاخفاء وفيه استعارة مكنية
وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها ابواب متعددة ولذا اعقبه بقوله وعلوا صرحها وهو البيت
العالي المزخرف بناؤه والبيت المنفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها لبلوغ اسبابها
جمع سبب وهو كل ما يتوصل به شيء اخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو اي علوا قصر البلاغة ليصلوا
الى ما فيه من الاسباب الموصلة لحاجاتهم ومطالبهم النفيسة كمن يدخل قصرا ليقابل الملك فينال
عند لقائه انعامه واحسانه وفيه ايماء لقوله تعالى يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب
الاية فما قيل ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها ترك احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة
فوصلوا بها لكل ما ارادوه فعبروا بعباراتهم لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة
مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة الاعجاز التي عجزوا عنها سيما لم يصلوا اليها فقالوا اي تكلموا بكلامهم
البليغ في الخطر اي في الامر العظيم الذي له خطر اي شرف ومزية على غيره والمهين بفتح الميم اي الحقير
من المهانة وهي الحقارة وتفننوا اي اتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين في الغث بفتح الغين
المعجمة وتشديد الثلثة واصله اللحم المهزول الذي يكره سمنا وله فاستعير للامر القبيح والفاسد
وضده السمين وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث وفي المثل غثك خير من سمين غيرك وقد علمت
انه قالوا في اكثر النسخ بالقاف من القول وفي بعضها قالوا بالغين المعجمة وفتح اللام اي زادوا والاول
رواية الانطاكي وفسره التلمساني بانشاد المديح والهجا والمدح والذم او الجدل والهزل وله وجه

وتفاولوا نفا علمن القول اى اداروا الكلام بينهم فى القل والكثر بضم اولها ولجار البرهان كسرهما اى
القليل والكثير مدحا وذما وهو لا قيل ومنه نفل ولو قال فى الكثير والنزر كان احسن واخف وانسب
بقوله وتساجلوا فى النظم والنثر والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وسجلت الماء صببته
ثم لما كانوا تيناوبون فى سقى الماء استعار والمساجلة للعطا وللمفاخرة كما قال من يساجلنى ما جدا
يملا الدلو الى عقد الكرب وقيل الحرب سجال اى تارة تغلب وتارة يغلب كما قيل فيوما علينا ويوما لنا
ويوما نساء ويوما نسر   فالمراد انهم تناوبوا وتفاخروا وتعارضوا فى عمل الماثر كما هو متعارف عندهم
وليس المراد به المبارزة بان يدعو احدهما الاخر للقتال لخير زمن القصف كما قيل فانه لا وجه له هنا
وهى جائزة لفعل الصحابة رضى الله عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة والنظم والنثر
غنى عن البيان فما راعهم اى بينما هم كذلك فجاهم امر اجنبة لم يكن لهم علم به ولم يطرق مسامعهم مثله
وفى الاساس ما راعنى الا مجيئك اى ما شعرت الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع الا رسول كريم
بعث بين اظهرهم صلى الله عليه وسلم   بكتاب عزيز لا نظير له شريف وضيح بحماية الله تعالى وهو استثناء
مفرغ من عام مقدر اى لم يفجاهم ويفزعهم شئ سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم   جاهم من الله انا هم
بخلاف هواهم وعكس مناهم اذ كانوا يتوهمون ان دينهم فى البلاغة لا يفوقها كلام فاتاهم بكتاب اخرس
شقاشقهم واصم اسماعهم وابنا للصاحبة اى مؤيد بكلام معجز لا ياتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل
وشرع او ما يبطله كالنسخ والطعن القبول من بين يديه اى قدامه وفى مقابلته ولا من خلفه اى وراء
ظهره والمراد من جميع من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع فيه من المطاعن اضمحل وامحق
حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى لا ريب فيه وقال تعالى جاء الحق وزهق الباطل تنزيل من حكيم محكم
مصنوعاته وتدبير لجميع مخلوقاته حميد محمود يحمده جميع الكائنات بلسان القال والحال احكمت اياته اى
نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله تعالى وحفظها من التبديل والتحريف الذى وقع فى غيره
من الكتب فهو من احكمت الدابة اذا وضعت فى فمها حكمة تمنعها الجماع او جعلت حكيمة لاشتمالها امهات
الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم اذا صار حكيما وايات القرآن جمع اية وهى جملة كلمات من القرآن لها
ابتداء ومقطع وفصلت كلماته اى فصل وبين ما فيها من الفوائد الجليلة كالعقايد الحقة والاحكام
الشرعية والواعظ والاخبار الصادقة او جعلت سورا وانزلت نجما نجما وفرقت بين الحق والباطل وجمعت
الوعد والوعيد وبهرت اى غلبت وادهشت بلاغته العقول جميعها لغرابة اسلوبها وحسن بديعها
الذى اعجز البلغاء وظهرت فصاحته اى اتضحت كالشمس وسط النهار وعلت وارتفعت مرتبة اعجازها
على كل مقول اى كل كلام نظما ونثرا وتظافر بالظا المشالة كما فى اكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو الفوز
ونيل الاماني ايجازه اى قلة الفاظه الوافية باداء المعانى من غير خلل واعجازه اى كونه فى اعلى مراتب البلاغة
المعجزة للبشر والمعنى ان الايجاز اخذ من الاعجاز ما يليق به والاعجاز استوفى من الايجاز ما يحق له
ففيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال انه لم يجد فى كتب اللغة ما يفسره به فقد
قصر وفى بعض النسخ بالضاد المعجمة اخا الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته
والاتيان بمثله من ضفر الجبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال تظافر

القوم

القوم اذا تجمعوا وتعاونوا وقيل انه بالظا المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اى وثب كل منهما والمراد انهما
482 بلغا الغاية فى بابهما والاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه لتصويب بعضها وتبعيض وتظاهرت
حقيقته مجازه اى عضد كل منهما الاخر وقواه لما صار له ظهيرا ومستندا لما بينهما من العلاقة وتسابقا
فى الظهور لوضوح معانيها وظهور قرائنه كما لا يكون فى بعض المجازات من الخفا والتعقيد وتبارت
فى الحسن مطالعه ومقاطعه اى تشابهت وتساوت اوايله واواخره من قولهم فلان يبارى
فلانا اذا فعل مثله والتبارى يكون فى معنى التسابق فى الجرى فالمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه
ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور والايات وخواتمها يجارى كل منهما الاخر ويسابقه
ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى وهو عبارة عن تشابههما وحوت كل البيان اى ما ينبغى
بيانه واظهاره جوامعه اى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى الفاظ قليلة وبدايعه اى
ما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله فى كتاب وكلام الله مما لا يقبل تحريفا ولا يخشى تصحيفا وكفى بالذهن
مليا وبالذوق متمليا واعتدل اى استقام من غير افراط ولا تفريط مع ايجازه وعدم تطويل
لفظه حسن نظمه اى تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك وهذا من ادلة اعجازه
وليس هنا مكرر امع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدايعه كما توهم وانطبق اى وافق على كثرة فوائده
اى معانيها التى تفيدها مختار لفظه اى لفظه المهذب الذى كانه انتخب ونقى وهذا من وجوه الاعجاز
ايضا لان اللفظ الكلى يفيد معانى كثيرة من الفصحا يحتاج غالبا الى ترك الفاظ غير منقحة وهم
اى فصحا العرب من كل باد وحاضر افسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا اى اوسع يقال فسحت فتفسح فيه
ومنه فسحت له ان يفعل كذا اى وسعت له فهو فى نسخة مرة وكانوا بمعنى كونهم فما مصدرية واضافة
افعل للمصدر على التجوز وكاخطب ما يكون الامير قائما والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة
حالية من ضمير داعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله
بابا للوصول به الى مقاصدهم اى جاءهم صلى الله عليه وسلم   بالكتاب المجيد ومجالهم فى غاية الاتساع
وتفسير المجال بالاتساع وان كان ينبئ عنه فيه تكلف واشهر اى اعظم شهرة وفى نسخة واشهرهم
بالاضافة لضم الناس فى الخطابة بفتح الخا اى انشاء الكلام فى المحافل وقوله رجالا تمييز كالذى قبله
واشهر معطوف على خبرهم اى ورجالهم من غيرهم فى هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف
كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس هذا منافيا لقوله حضوا من البلاغة والحكم بما لم يخص
احد من الامم لان اسم التفضيل يقتضى مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر
على ظاهره والتفضيل مجازى بان يكون على طريق الفرض كما فى حديث ما رايت ناقصات عقل ودين
اذهب للب الرجل منكن اذ الخطاب بجنس النسا او نقول انه على حد قوله الخل احلى من العسل اى انه
فى حموضته اقوى من العسل فى حلاوته والاسم التفضيل استعمالات اخر ذكروها فى المطولات واكثر
فى السجع وهو الكلام المنثور الذى له فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة
واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القرآن والشعر وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد رجالا

اى تكلم به من غير فكر وروية وهو فى الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق على التكلم قائما لانه كان
عادة لهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفى كتاب بدايع البداية انه فى الاصل الانشاد
بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البئر وهو ان ينزلها برجليه من غير حبل كالبديهة وهو
من بدهه بمعنى بداه كما قالوا مدحه وبدهه الا ان الارتجال اسرع من البديهة وبعده التروية انتهى
وفى نسخة واكثر فى الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا المجاورة واصل معناه الدلو
كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة واوسع فى الغريب المراد به ما يستغرب من الكنايات والمجازات
البديعة لتصرفهم فى الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى تنقير وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة
الينا فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم قلت قال ابن هلال فى كتب الصناعتين
انه ليس مخلا بها لمن كانت لغته من الاعراب والقح من العرب العربا فاطلاق اهل المعانى غير صحيح لم
ار من نبه عليه واللغة مقالا اللغة معناها الكلام ولكل قوم لغة وتكون اسما لعلم مدون
يبين فيه معناها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمى بمعنى القول يعنى ان لغة العرب اكثر من ساير
اللغات الفاظا فقلما يكون معنى لا وله اسما مترادفة حتى انه يوجد فى كلامهم ما له مائة اسم فاكثر
وقد افردوه بالتاليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا اعجزهم القران فغيرهم
يعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص بلغتهم التى بها يتحاورون
الجار والمجرور صفة كتابا او حال منه والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سوالا وجوابا من الحور
وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش لان القران نزل بلغتهم فان كان ما قبله كذلك فلا اشكال فى كلامه
ومنازعهم بفتح الميم والنون وزاى معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من المنزع
وهو كما مر الجذب الاخذ والمنزع مصدر بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم الذى يرمى به يقال
رماه بمنزع اى سهم بعيد المرمى قال الشاعر كالمنزع المريش من الشو حط الت به يمين المغالى قاله فى الاساس
قيل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله التى عليها يتناضلون بالضاد المعجمة اى يترامون بالسهام
يقال ناضلة وخرجوا ينتاضلون وينتضلون ونضلت من الكناية سهما اخترته ومن المجاز ناضل
عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة فشبه الكلام الدائر بينهم فى المخاصمة والمفاخرة
بالسهام واثبت له المناضلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتغالبون فى كلامهم نظما
ونثرا فى حال المنازعة وهى المجاذبة فى الاعيان والمعانى وهو بعيد وابعد منه ما قيل ان المنزع ما يرجع
اليه الرجل من رايه وطريقته اى اتاهم الكتاب بما هو ديدنهم الذى لا يتركونه فاكبوا على مدافعته
صارخا بهم فى كل حين حال من الكتاب او الرسول من الصراخ وهو الصياح والنداء بصوت شديد
يسمع من بعيد اى مصرخا يدعونه فى كل وقت يتلو القران عليهم ويبكتهم ويدعوهم احادا ومقرعا
بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المهملة وبعين مهملة اى معيرا وموبخا لهم من القرع وهو الضرب
ومنه المقرعة لهم بضعا وعشرين سنة وهو بكسر البا الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة
وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد ويقال البضعة ايضا فى لغة قليلة وفيه اقوال اخر فى القاموس
هنا اصحها ويستعمل مع العشرة وما فوقها الى التسعين ولا يختص ببعض العقود منها وهذه

المدة مدة دعوته صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على راس الاربعين
وحياته بعده قيل عشرة وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال
بضعا من غير تعيين عاما ولذا اختاره لانه لا حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والقحط
واعلم ان البضع ليس كصريح العدد فانه مذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر وما نقله فى القاموس
عن مبرمان يرده ما فى الحديث الايمان بضعة وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول
بضعة وعشرون كما قيل ولا حاجة للتاويل على رؤس الملاء اجمعين الرؤس جمع راس وهو العضو
المعروف والشريف السيد والملاء الجماعة وقد يخص بالاشراف ويقال كلمه على رؤس الناس وعلى رؤس
الاشهاد اذا صرح بما يريده واشاعه لان من يريد ذلك يقوم فى المحافل مستعليا على رؤسهم اى انه
صلى الله عليه وسلم لم يزل مظهرا لدعوته مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم بين اظهرهم والجار
متعلق بقوله مقرعا او تنازعه مقرعا وصارخا ام يقولون افتراه هذا حال ايضا اى قائلا وتاليا لهم
ام يقولون الخ ولم يعطفه رعاية لنظم القران فيكون اقتباسا من حكاية انواع والافتراء كلام
لاختلاق الكذب والاستفهام انكارى توبيخى قل ان كان الامر كما زعمتم فاتوا بسورة مثله
فى النظم والبلاغة فانه نزل بلغتكم وانتم فصحاء وادعوا من استطعتم اى كل من قدرتم على دعوته
ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه من دون الله اى غير الله فانه القادر على كل شئ ان كنتم صادقين
فى قولكم انه افتراء وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن اقل ايته وليس مقابلا للسجعة الاولى
كما قيل ثم انه اتى باية اخرى فى معناها فقال وان كنتم فى ريب فى شك وشبهة مما نزلنا على عبدنا
اى نزل منجما بحسب الوقايع فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا وقوله من مثله صفة
سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش
اى بسورة مماثلة للقران فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة
ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد
وهذه الاية ابلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم فى المستقبل بقوله ولن تفعلوا والكلام على الايات
مما كفانا المفسرون مؤنته وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران نظما وبلاغة
لا ياتون بمثله الاية وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله
لا ينافى اعجازه فتامل وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات اى محض كذب واختلاق منكم وخص
الكذب بالذكر كقوله وذلك اى طلب الاتيان بالمفتري تهكما وتقريعا ان المفترى اسم مفعول
استعمل تلطيفا ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب تنا ولا واروح تيمما ومع ذلك لم يقدروا
عليه واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب لانه يلاحظ فيه ما فى الواقع ونفس الامر ثم
يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لا يخرج عنه والمختلق بفتح اللام اسم مفعول بمعنى
الكذب المفترى كما قال تعالى وتخلقون افكا وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه امر يقدر فى النفس
من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالى لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب يزداد بلى
على الاختيار اقرب المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار فان الصادق مضطر الى اتباع

لحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد براً واسعاً كما قال تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون وقبلها هنا بحث وهو ان التحدي بقوله فأتوا بسورة الخ ان كان الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعاً وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لفظاً فلا يخرج عن كونه مفترى وح يستوي الامران والذي دار في خلدي ان ذكر مفتريات للمشاكلة لقوله افتراه تهكماً وتقريعاً لا لما قاله المص انتهى وليس بشيء لانا نختار الثاني وبقولهم انهم لعجزهم لا يستويان وهو في غاية الظهور فتدبر وضمن اقرب معنى اهون ولذا عداه بعلى كقوله وهو اهون عليه ولولا ذلك عداه بالى والامام ولذا اي لكون المختلق اسهل واقرب من الحق الصحيح عبارة قيل اي قال الادبا ومن لهم دربة في صناعة الصياغة للكلام فلان اي المنشي لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحا يكتب كما يقال له اكتب في شان امر واقع ورسالته فيفتق اكمام الكلام عن زهر المعاني الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها في نادي البراعة وفلان ممن ينشي المقامات يكتب كما يريد من كل ما يطرد على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكي عن بديع الزمان انه رتب له راتب بين كتبة الديوان فلم يقيد على كتابة الرسائل فلما اخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكي مثله عن الحريري ايضاً وللاول الذي يكتب كما يقال له على الثاني وهو الذي يكتب كما يريد والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب فضل اي زيادة تشرف ورتبة وبينهما شاو اي مسافة ومدا بعيد والشاو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل الفا والواو بمعنى السبق والغاية والامد فيتجوز به عن المسافة ثم كني به عن التفاوت الزائد فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم اي يعيرهم ويعيبهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقرآن اشد التقريع لانذارهم بالهلاك والعذاب الاليم ويوبخهم غاية التوبيخ هو بمعنى ما قبله لكن المقام مقام الغضب وخطاب يحسن فيه مثله ويسفه احلامهم اي يصفهم بالسفه وهو قلة وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل ويحط اعلامهم بحا مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهي الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا اي ينكس راياتهم ويهد جبالهم ويذل ساداتهم ويزري باسمائهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم واظهار ضلالهم وسوء حالهم ويشتت نظامهم اي يفرق جمعهم ويبطل امرهم بجباله وجدوده والنظام ما ينتظم به الدرر ونحوها والتشتيت التفريق كما مر فاستعير لما ذكر ويذم الهتهم اي اصنامهم التي عبدوها في الجاهلية واباءهم الذين اقتدوا بهم في الكفر وقالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون والاباء بالمد جمع اب ويستبيح ارضهم وديارهم اي يجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها واجلائهم عنها واموالهم ما ملكوه من الاثاث والمواشي وغيرها وهم في كل هذا المذكور من التوبيخ والتسفيه وما بعده الى استباحة الاموال والديار ناكصون بها لنكص على عقبيه اذا احجم وتأخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما فعله وما اتى به للقرآن عن معارضته والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها يحجمون عن مماثلته اي عن الاتيان بشيء مماثل اقصر سورة منه لما تحداهم واحجم كنكص

بمعنى تأخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال احجمته فحجم وهو من النوادر كمثل كببته فاكب يخادعون انفسهم اي يمنون انفسهم اماني كاذبة ويأملون امالاً فارغة ويمكرون مكراً يعود عليهم بالوبال فكانهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله وما يخادعون الا انفسهم وتحقيقه في الكشاف وشروحه بالشغب وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها والتكذيب اي بادعائهم كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق الذي لا مرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له اما لا تحته على اتباع الباطل وهو تعسف لا وجه له والذي عزم قوله والاغراء بالافتراء هكذا في النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة ومدة وفي بعض الاغتراء افتعال منه وقال التلمساني صوابه الاغراء بغير تاء وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة اي الزمناها اقول قال بعضهم اصله من الغراء الذي يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما في القاموس من انه يقال اغتراه اذا الصقه والمصلح مما ان يوهم في اللغة فانه قد وقع فيها ولا حاجة الى انه للمشاكلة الافتراء والافتراء الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال لتفيد مبالغة ليست في المجرد كما قدروه في قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقولهم بالجر معطوف على التكذيب ان هذا الا سحر يؤثر اي ينقل ويروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه الاية ان الوليد لما سمع منه صلى الله عليه وسلم حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما ما ليس بكلام الانس ولا الجن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام احماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رايتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رايتموه يتكهن وانه شاعر هل رايتموه قال شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين المرء واهله وولده فاهتز النادي فرحا وتاتي ذلك كله مبسوطا واعلم ان السحر كما نقله الاكفاني في ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة اكبرها غاية الحكيم للمجريطي وهو حقيقي وغير حقيقي يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله سحروا اعين الناس وقوله واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ولما خفيت اسبابه اختلف طرقه فطريقة الهند تصفية النفس وتجريدها لانهم رواه افعالا تصدر عن النفس وطريق النبط عمل اشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة في وقت مناسب وتلك الاشياء تماثيل ونقوش وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن وتعلق في الهواء وتحرق والعزايم تصنع للكواكب المؤثرة عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون اجرامها في وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على اسماء وعزايم مجهولة كانهم يخاطبون بها حاضرا لاعتقادهم انها تصدر عن الجن بتسخير الملائكة وانواعه ثلاثة الاستخدام والاستنزال والاستحضار وتكون يقظة بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل ينطق بلسانه كصبي وامرأة حال غيبته عن الحس ويختص باسم الاستحضار فان كان نوما اختص باسم الحلبان انتهى ملخصا وسحر مستمر اي دائم باق لما دواه من نتايج الوحي غضا طريا ومحكم متقن واصله من مرر الحبل وهو فتله ايره وهي طاقاته او ذاهب غير قادر من المرور ومتبع ومر المذاق وافك افتراه اي كذب اخترعه واختلقه والافك اسوأ الكذب واساطير الاولين اي شيء اخذه مما سطره الاولون

وزخرفوه وهو جمع سطر او ضعف من الكتابة على خلاف القياس وقال المبرد انه جمع اسطورة كارجوحه وارا جيح على القياس او له مفرد مقدر كالسلطان واستيصراه و قايل هذا هو النضر ابن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الاية وقتل يوم بدر والمباهتة بالجر عطفا على التكذيب وهي بمعنى البهتان وهي الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله والرضا بالدنية بالمعجمة وتبدل فندغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التي لا يرضى بها من له عقل ومروة وفسرها بقوله كقولهم قلوبنا غلف لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو امر مذموم لا يرتضيه العقل وهو جمع اغلف اي في غلاف يقال سيف اغلف فهي بمعنى في اكنة جمع كنان بزنة كتاب غطا ومعناها مغطاه وغلام اغلف بمعنى اقلف والغلفة القلفة وقيل انه جمع غلاف واصله غلف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون اي هي اوعية للعلم مملوه فلا يحتاج للتعلم منك وعلى الاول معناه لا نفهم ما تقول ولا يصل الينا وهذا هو الملايم لكلام المص وقوله وفي اكنة مما تدعونا اليه وهو القران والايمان وفي اذاننا وقر اي صمم واصل معناه الثقل والحمل ومن بيننا وبينك حجاب اي مانع عن وصول ما يقوله لنا وفي اشارة الى انه مبتداه وانه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يتوفر غير وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن ادركها ما دعاه له ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والاول اصح وهو المقرو به والمراد هنا رفع الاصوات باي كلام كان حتى ليشوش على قارئه فيقطع قراءته او يمنع من استماعه ولغو الكلام ما لا يعتد به وهو من اللغا وهي اصوات الطيور يقال لغي لغوا ولغا وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا اي قبيحا كما قاله الراغب وانما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضة لعلكم تغلبون قارئه يقطع قراته فغلبتهم انما هي بالجهل والسفه كما هو شان العاجز المعاند ومثله دنية لا ترضى والادعا عطف على مجرور كالذي قبله مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرتهم ولو استطاعوا ما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم من ان يغلبوا خصوصا في الفصاحة وقائل هذا هو النضر بن الحارث ايضا لكنه اسنده الى الجميع كاسناد فعل الرئيس الى المرؤسين او على حد قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم وقد قال لهم الله تعالى مكذبا لهم ولن تفعلوا فنفى قدرتهم في المستقبل فلو قدروا لكذبتهم فعلوا ولم يقل فلن تأتوا بسورة من مثله لما فيه من الكناية والايجاز فما فعلوا ولا قدروا ونفي الفعل ظاهر والقدرة في الانسان قوة غير محسوسة فنفيها يعلم من انهم عجزوا عنها فلم ينطقوا ببيت شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار حميتهم ومن تعاطى ذلك اي فعله وتكلم بما توهمه معارضة واصل معناه المناولة من سخفائهم ممن له طيش وقلة عقل كمسيلمة تصغير مسلمة فلامه مكسورة وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهو خطا منهم والضمير للعرب وهو كذاب يضرب به المثل فيقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمني من بني حنيفة قبيلة وهذا لقبه واسمه هارون ويقال له ابو ثمامة وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقيل قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان له تحيل ونيرنجات يوهم انها معجزات وارسل للنبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله

سلام

سلام عليك اما بعد فاني قد اشركت معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا فاجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب اليه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هذيانه الذي زعم انه وحي نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنقين لا الما تكدرين ولا الترا ب تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع فكشف عواره وفي نسخة بدون فاء وابان تماما اي اظهر بما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه وحماقته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الافصح واخره را مهملة وبفتح العين ايضا وقيل انها الافصح لجميعهم اي العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لتزييد وجه القبح والعوار ماخوذ من عور العين وفيه اشارة الى ما نقل من انه مسح عين من استشفى بمسحه فانبخست عينه وسلبهم الله اي اخذ منهم والضمير لمن وجمع نظرا للمعنى ما الفوه اي اعتادوه وطبعوا عليه من فصيح كلامهم بيان لما اي لما ارادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا ليس له صرفة وهذه الجملة معطوفة على جملة ما فعلوا وليست الواو للحيلة ولا حالية كما قيل والا اي وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المالوفة لم يخف على اهل الميز بفتح الميم وسكون التحتية والزاي المعجمة اي التمييز والعقل وزاد الفا في الجواب لانه ماض لفظا ومعنى وتقدير المبتدا اي فهم لم يخف الخ ووجهه دفع توهم كون الا استثنائية فاندفع ما قيل ان الصواب اسقاطها المصحح مباشرته للشرط فيقال ما زه بمنزه اذا ميزه اي لم ينظر لذلك الجهل وما زها ظهر انه كلام ما ذاق وما زهي انه ليس من نمط فصاحتهم بفتحتين ونون وميم وطا مهملة اي من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التي اعتادوها فانه معجز خارق عن طوق البشر ومغيرات للغيران يقال عندي متاع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس فصيحا لانه نفي عنه كونه من جنسه ولا جنس بلاغتهم لركاكته وقباحته بل ولوا عنه مدبرين اضرابا عن مثله ومدبرين اي معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا واعرضوا واتوا مذعنين بذال معجمة وعين مهملة اي منقادين مسلمين والادعان الانقيا واما اطلاقه على العلم في قولهم اذعنا النسبة تصديق فمولد ليس من كلامهم من بين مهتد اي مصدق بحقيقته واعجازه لهداية الله تعالى له وبين مفتون متحير في امره منكر لاعجازه وفيه لف ونشر مشوش ولهذا اي لكونه ليس من نمط كلامهم لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية لما ساله ان يقراء عليه شيئا من القران لينظر في امره وقرا هذه الاية عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من اقاربه وفيها عظة له وتنبيه وهو من اولياء عقلائهم فرجا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال السيوطي وهذا الحديث رواه البيهقي عن عكرمة مرسلا وفي المغني في الاحياء في اداب تلاوة القران حديث ان خالد بن عقبة جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال عد فاعاد فقال ان له لحلاوة الى اخر ما ذكره المص هنا وكذا ذكر

ابن عبد البر في الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد
الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المص وكذا ذكر ابن اسحاق في سيرته
فان صح فهما قضيتان والوليد والد خالد بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن عبد الله
المخزومي وباقي نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة قال لما سمع ما تلاه عليه النبي صلى الله عليه
وسلم والله ان له اي لما تلاه حلاوة اي عذوبة فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه
اسمع وان عليه لطلاوة بضم الطا ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر ايضا فهو مثلث ومعناها
الحسن والقبول والرونق وجا بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذي قبله واكده بالقسم وان
والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لا يشبهه غيره من الكلام وان اسفله لمغدق بلام
التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة كما في النسخ كلها من الغدق بفتحتين
وهو كثرة الماء ورواه ابن اسحاق وان اصله لعذق وان فرعه لجناه والعذق فيه بفتح العين
المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة التي اصلها ثابت ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر
المهملة من الغدق بفتحتين قال السهيلي ورواية ابن اسحاق افصح لانها استعارة تامة فيها اجزاء
الكلام بسند اوله والجناه بفتح الجيم والنون الثمرة وان اعلاه لمثمر اي له ثمر طيب كثير والجملة الثانية
تتمتها استعارة تمثيلية والمراد انه كلام اصله قوي ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة
مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء واستعارة ان تمثيليتان واراد باسفله ما تضمنه من المعاني كما
يقال تحت هذا الكلام معان غزيرة واراد باعلاه ما ينتجه من الفوائد الفوائد التي تظهر من فهم معانيه
وتيقنها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة ثبتت عروقها ما دعيرها فاهتزت وربت وانبت
ثمرها وكثرت وعذبت ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يدل على تعدد
القضية ثم بنى على هذا قوله ما هذا بقول بشر لانه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفي نسخة
ما يقول هذا بشر بصيغة المضارع اي ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة
معانيه وفراسة مباينة يعني انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا
فهو معجز للجن ايضا مع ان في هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر فما فيكم رجل اعلم
بالشعر مني ولا اعلم برجزه ولا بقصيدة مني ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا
وانه ليعلو ولا يعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقي في الدلائل ثم انه روى عن الزهري ان القاري
على الوليد عثمان بن مظعون لا النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه المص فان عثمان رضي الله عنه
قال لما اسلمت ابتداء الاحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت ان الله يامر الاية
وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على الوليد بن المغيرة فقال ابن اخي اعد الي الحديث
وهذا يؤيد ما سبق من تعدد القضية وحكى ابو عبيد القاسم بن السلام بتشديد اللام
الامام في الفقه والحديث واللغة البغدادي الجر الهمام الجليل اخذ عن الشافعي وغيره
وكان عبدا روميا لرجل من هراة واحواله وترجمته معروفة توفي سنة اربع او ثلاث وعشرين

وماتين

486

وماتينا ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين اي اجهر بما تؤمر بتبليغه ولا تبال
بما يقولوه وما موصولة او مصدرية واصل معنى الصدع التفرقة والتمييز واستعير لما ذكر لتفرقته
بين الحق والباطل وما قيل من انه لا يجوز ان تكون مصدرية لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبني للمفعول
والصحيح عدم جوازه وما موصولة لانه يحتاج لتقدير العائد وتقديره ولا يجوز الا اذا جر
بما جر به الموصول واتحدا متعلقا والاول متعلق باصدع والثاني بتؤمر من سهو من قاله وان
سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف في المصدر الصريح لا في ان والفعل كما في هذه الاية
ولانه انما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه فسجد الاعرابي لما ادهشه من بلاغته
وقال سجدت لفصاحته اذ ليست اية سجدة وانما هذه التعجب لفصاحته حتى خر له ووضع
وجهه في التراب وكان هذا معروفا في مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدات وليس المعنى سجدت
لله لاجل فصاحته كما توهم ومن فصاحته للكلام المقترن بالقارئة كما توهم لانه لا يناسب
المقام وسمع اعرابي اخر رجلا يقرأ قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اي لما يئسوا
من يوسف عليه الصلوة والسلام وزيدت السين والتاء للمبالغة في الياس وخلصوا
بمعنى اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين في تدبيرهم وهو يطلق على الواحد المذكور وغيره
فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر
فانك اذا وزنت قولك لما لم يعطهم يوسف صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا
واخذوا يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم بهذا النظم عرفت بالذوق انه لا مناسبة
بينهما ولولا خوف السامة فصلنا وجوه البلاغة فيها وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه كان نائما بالمسجد اي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان المراد
بقوله نائما مضطجعا لا النائم فانه يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله وعلى راسه قائم اي في جانب
راسه رجل منتصب القامة وليس المراد انه واطئ لراسه وهو حقيقة عرفية في مثله
والجملة حالية والضمير لعمر رضي الله عنه وفي نسخ فاذا هو بقائم على راسه فاذا فجائية والبا
للملابسة يتشهد شهادة الحق اي يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاستخبره
اي طلب عمر رضي الله عنه الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله فاعلمه ذلك الرجل المتشهد انه
من بطارقة الروم بطارقة جمع بطريق بكسر الراء معرب بترك ومعناه الرئيس وقائد
الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال الجواليقي في كتاب المعرب البطريق بلغة الروم
وهو القايد للجيش وجمعه بطارقة وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بان البطارقة اهل
رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال ابو ذويب هم رجعوا بالعرج والقوم
شهد هوازن تحذفها حماة بطارق انتهى وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وهو المعروف
وقال ابن خالويه في كتاب ليس البطرك معرب بطريق عربي العرب قديما قال ابو العلوا الطوام
فهو في الثلاثة كبطرك قد مشي في غيط كان وهذا مما يتعجب منه وحزره والروم
جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم ابن عيصو بن اسحق وكان اصفر فلذا قيل لهم

بنوالاصفر والواحد رومي وقوله الجوهري اي غلط منه ممن يحسن كلام العرب وغيرها من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال لهذا توطية لانه يفهم القران والانجيل ويقدر على النظر في معانيهما ولذا قال وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين بضم الهمزة وفتحها جمع اسير واصله من الاسر وهو الشد بالقيد ثم عم لكل من اسر وصار في يد عدوه يقرا اية من كتابكم اي المسلمون يعني القران فتاملتها اي نظرت بفكري في معناها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم في الانجيل من احوال الدنيا والاخرة بيان لما اي من الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سبب للفوز والنجاح في الاخرة وهي اي الاية التي سمعها قوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله في امره مما فرض وسن ونهيه عن غيره ويخشى الله ويتقه اي يخافه ويتجنب ما يستوجب عقوبته فاولئك هم الفائزون بسعادة الدارين وقوله جمع بالبنا للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرؤ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه رومي يقرون بضمير الجمع للاسارى وهو محتاج للتكلف وحكي الاصمعي بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير بن اصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها سنة عشر ومائتين انه سمع جارية اي امراة متشابة من العرب تتكلم بكلام فصيح فقال لها قاتلك الله ما افصحك تعجب من فصاحة لسانها وبالغ في تعجبه فانها تقال لمن اتى بامر بديع غريب وهي في الاصل جملة دعائية يراد بها شدة الاحسان كانه ممن يستحق ان يحسد ويدعى عليه فقالت او تعد بفتح الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تاخير وداخلة على مقدر معطوف عليه وتعد بالياء التحتية مجهولا والفوقية معلوما هذا الكلام فصاحة اي فصيحا بعد قول الله اي مع فصاحة القران لا يقال الكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم كالمتاع النفيس اذا نشر بحضرة ما هو اعظم منه نفاسة منه كانه يعد غير نفيس كما قيل ولا قبح فيها غير ان جمالها يصير كل الغانيات قباحا واوحينا الى ام موسى اي الهمناها وارينا ها منا ما ان ارضعيه الاية اي القيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في اية واحدة بين امرين ارضعيه والقيه ونهيين لا تخافي ولا تحزني وخبرين اوحينا وخفت عليه وبشارتين رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر فهذا اي الجمع بينهما ذكر في اية واحدة نوع من اعجازه اي القران منفرد بذاته اي مستقل بنفسه غير محتاج لغيره غير مضاف لغيره اي غير تابع لنوع غيره من البلاغة على التحقيق لما في الواقع عند من عرفه والصحيح من القولين بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القران هل هو مجموع بلاغته واسلوبه ونظمه او هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده بدون اضافة احدهما الى الاخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو المتبادر من سياقه وقيل المراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التي لا يرتقي احد الى مرتبتها والقول بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالغيبات ولا شك في ان من يقول باعجازه لبلاغته

واسلوبه يقول ايضا انه بالنظر لمعناه ايضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشي في برهانه اذ قال اكثر المحققين على ان الاعجاز من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطة بتفصيلها فان اجناس الكلام مختلفة ومراتب البيان متفاوتة فمنها البليغ والرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز المطلق الرسيل فهذه اقسامها المحمودة والاول اعلاها والثاني اوسطها والثالث ادناها وقد حازت بلاغة القران من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة يعالجان الوعورة فكان اجتماعهما فضيلة خصها القران ليكون اية منبئة وانما تعذرت على البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وافهامها لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها فيتخيروا احسنها حتى ياتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ حامل ومعنى عليه قائم ورباط له ناظم فاذا تاملت القران وجدته استوفى ذلك كله وتولى على دوجانه وهذا لا يتيسر لغير العليم القدير فانما صار معجز الاجاء باحسن الالفاظ وابدع النظم والتاليف واصح المعاني من الدعا للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والارشاد والى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واضعا كل شيء في موضعه بحيث لا يرى شيء اولى من محل موضعها فيه منطويا على اخبار القرون الماضية منبيا بالحوادث المستقبلة ارجانها جامعا للحجج والمحتج له المؤكدة للزوم ما دعي له ولا شك ان استيفاء هذه الامور متسقا احسن نسق لا يمكن لغيره عز وجل وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم بكسر القاف وفتح الباء الموحدة واللام اي من عنده قال تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة اي المجازات فيقال لا قبل لي بكذا ومنه قوله بجنود لا قبل لهم بها والمراد كونه بلغه فقوله وانه اتي به عطف تفسير فليس المراد انه كلامه صلى الله عليه وسلم معلوم ضرورة للتواتر وتوفر الدواعي على نقله وكذا عجز العرب عن الاتيان به اي بمثله معلوم ضرورة لمشاهدتهم له وكذا كونه صلى الله عليه وسلم متحديا اي طالبا منهم الاتيان بمثله معلوم ضرورة لسماعهم له وكذا كونه في فصاحته في سببه مستعارة استعارة تبعية بتشبيه السبب بالظرف المتمكن فيه خارق للعادة اي مخالف لعادة فصحاء العرب في كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف اذا تجاوزه وتعداه معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة اي انواعها ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا لا تحصى وهم احرص الناس على ذلك وسبيل من ليس من اهلها اي طريق من ليس من اهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم علم ذلك اي الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام الضمير بعجز المتنكرين من اهلها لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذ تحدوا عن معارضته والاتيان بمثله وعن معقلوا الاتيان بمثله وعن معقلق بعجز واعتراف هو في الاصل افتعال من المعرفة صار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله المقربين بانه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر مقام الضمير باعجاز بلاغته لهم ولغيرهم عن ان يرفوا بنت سفه الا من غلب عليه السفه وتعلق هنا بما نحن بصدده اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقوله سبيله مبتداء وعلم بزنة مسك خبره مصدر علم يعلم والمبتداء معرفة باضافته لمن الموصولة والخبر باضافته لاسم الاشارة

ولا ارباب الحواشي هنا خبط يتعجب منه فمنهم من قال انه علم مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله
ويعجز الخ خبره اى سبيل علم من ليس اهلا لذلك اى كونه خارقا للعادة وهو يعجز الخ واعجب منه قولهم ان علم
بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت شفته اذا انشقت فهو اعلم ويعجز متعلق بمقدر وقيل
علم فعل ماض مبنى للمجهول او للمعلوم وهو تخليط لا داعى له ثم ذكر ايات استوضح بها ما قدمه فقال وانت
اذا تاملت اى امعنت النظر ودققه كمن ينظر لما له فيه امل وانت فاعل فعل مقدر يفسره ما بعده على
حد قوله اذا السماء انشقت ان منعنا دخولها على الجمل الاسمية قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة
وما اودع فيه من البدايع لطايف الايجاز وانوار الاعجاز الساطعة من مشكاة ورسوخ عروقه
في الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته في الذوق وما اشتمل عليه من بديع البديع كالاغراب بجعل
القتل الذي هو ضد الحياة ظرفا لها لان من علم انه اذا قتل اقتص منه فكان سببا لحياة من يهم بقتله
وهو اوجز مما عدوه من افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع ما فيه من التكرار والقتل مطلقا
لا ينفيه نفي القصاص تصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوائد كثيرة في شروح
الكشاف والمفتاح والثمرة تدل على الشجرة ولا اقول البعرة تدل على البعير لما فيه من نجاسته سوء
الادب وقوله ولو ترى اذ فزعوا من حلول الاجل او من بعثهم من القبور او في يوم بدر فلا فوت واخذوا
من مكان قريب اى من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها ففي هذه الاية من الايجاز
والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يعرفه من لم يصم وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن اى ادفع سيئة من اساء
اليك بالحسنة التي هي احسن من كل شيء حسن او باحسن ما يمكن دفعه ولا حاجة الى القول بان احسن بمعنى
حسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما في هذه الاية من الايجاز بحذف مفعول احسن وهو السيئة لانه
لا يدفع الحسن ولعط المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم احسن الى
من اساء كفى المسيء فعله وما في طي ذكر السيئة نكتة سنبينه واما دعوى المناسبة للمقام بما فيها
من دفع المصائل وتكلف المناسبة بينها وبين قوله وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي بعيدة بمراحل وتكلف من غير طائل ففي هذه الاية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه نادا هما كما ينادى
العقلاء وامرهما بما يؤمرون به تمثيل لباهر قدرته وعظمته لانقيادهما لما اراد كالمامور المطيع المبادر
للامتثال حذرا من سطوة امره والبلع استعارة للجفاف والاقلاع الامساك وفيها لطايف اخر
مفصلة في شرح المفتاح الاية وتمامها وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا
للقوم الظالمين وقوله تعالى فكلا ممن ذكر قبله من المكذبين اخذنا بذنبه اى عاقبناه به فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا اى ريحا عاصفة فيها حصباء وهي الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط عليه
السلام الاية وتمامها ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا والاول
قوم ثمود ومدين والثاني قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفي الاية من وجوه البلاغة الاجمال
والتفصيل وحسن السبك والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق
واشباههما اى ما يضاهيهما ذكر في البلاغة ووجوه الاعجاز من الاى اسم جنس جمعي ككلم وكلمة
او اسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تاملت ثم اضرب بيانا لانه لا ينحصر في ايات مخصوصة

مثيرا

488

مثيرا الى وجوه من الاعجاز فيها فقال بل اكثر القرآن وجواب اذا قوله حققت ما بينته لك انفا من ايجاز
الفاظها وكثرة معانيها مع لطائف ودقائق ولطائف ديباجة عبارتها قيل معنى الديباج نوع من الحرير
وبر يقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديبا زيد فيه الجيم كما يقال في
قالون وهو من الامعاء قولنج ثم استعير فقالوا ديج المطر الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان
يصون ديباجتاه اى خداه في صدره يبتذلهما ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله والحواميم
ديباج القرآن اى رياضه التي يرتع فيها القارئ فالمراد حسن عبارته ففيه استعارة مكنية وتخييلية
بتشبيه العبارة بحمى واثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عما مر وحسن تاليفها ونظمها
حيث كانت سالمة من التنافر والثقل وحسن تلاؤم كلماتها بالهمزة وقد تبدل ياء فيقال التلايم ومرجئه
اى مناسبته وموافقته واما ابدالها واوا فهو خطأ من رسم الهمزة بالواو لان الملاءمة مفاعلة من اللوم
فقراءة بعض المحدثين له بالواو لحن يعني ليس فيه تعقيد ولا ضعف تاليف وتنافر كلمات وان تحت كل
كل لفظة منها جملا كثيرة اى فيها معان كثيرة وفوائد غزيرة وجعل ما يدل عليه تحته تجوزا وفصولا جمة
اى انواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جعل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وغاية بينهما ثقتنا
كقوله وعلوما زواخر بزواجا مبحبحين ثم داء مهملة اى علوما كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر
اذا كثر ماؤه وارتفعت امواجه ففيه مكنية وتخييلية ويجوز ان يكون تشبيها بليغا واستعارة
مصرحة وزواخر ممنوع من الصرف وما في بعض النسخ من تنوينه للتناسب لا وجه له ملئت الدواوين
اى امتلئت كتب التفسير وغيره من الفنون من بعض ما استفيد بالبناء للمجهول اى اخذه كل باحث
عنه بحسب فهمه واذا املاوها بعضه فكله لا يمكن حصره ولا يعزيه كتاب كما قال تعالى قل لو
كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي والدواوين جمع ديوان وهو الكتاب
وقد تقدم الكلام عليه وكثرة المقالات اى الكلام الائمة والمصنفين في المستنبطات عنها
اى في المعاني والاحكام المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الالتزامية وهو من قولهم استنبط
الماء من البئر اذا استخرجه فما استفيد هو ما دل عليه صريحا وما استنبط غيره ثم هو اى القرآن
وعطفه بثم لتراخي رتبته عما قبله في سرد القصص الطوال الى ذكرها في اثنائه مستعار من سرد الدروع
لنسجها واخبار القرون السوالف معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم
المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان تختلف فيها والمراد اهله
التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام صفة للقصص والاخبار اى انها لطولها اذا اريد
ذكرها بتمامها يصعب على الفصيح حكايتها ويضعف نطقها عن ادائها واجماعها لمن لا يعلمها لا تفيده
فائدة يقصدها وليس المراد انه واقع في الخارج يعجز الفصيح عن مطابقة حكايته له ويذهب ماء
البيان اى رونقه وحسنه لانه لطوله قد لا تتناسب كلماته ويتسق نظامه ويحكم ارتباطه والبيان
ايضاح المعاني وهو معطوف على يضعف الصلة ففيه عائد مقدر كالذي قبله اية لمتامله اى
علامة بينة لمن تامل نظمه وسرده القصص والاخبار واية خبر لمبتدا الذي هو ثم هو
او مبتدا مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو لا لرابط الالف واللام القائمة

مقام الضمير الذى هو فى سرد قصصه اية لمن تامله حتى لمتامل وقوله من ربط الكلام صفة لاية
ومن بيانية ومتعلق بعقد اى يظهر كونه اية دالة على ايجازه من ارتباط الكلام بعضه ببعض
بالجر بدل من الكلام اى من كونه اجزائه الى غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها والتيام
سرده بالهمزة واليا اى مناسبة كلمات المسرودة اى التتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها فى بعض
مع فصاحتها وحسن تاليفها وتناصف وجوهه المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارات
والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف يقال اعضاوه متناصفة حسنا اى لا ينقص
حسن بعضها عن بعض وهو من بليغ الكلام الذى لا يعرفه الا من ذاق حلاوة العربية كما اشار اليه
المبرد رحمه الله فى الكامل قال الشاعر لما عرضت الى تناصف وجهها عرض المجاز الى الحبيب الاول
واصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كانك تعطيه نصفا وتاخذ نصفا ومن ظن عدم تغاير
هذه المعانى فقد وهم كقصة يوسف صلى الله عليه وسلم على طولها قصها الله تعالى على اعجب
ترتيب وابدع تهذيب بحيث لم ينصب ما بيانها ولم يخل عقد نظامها مرتبطة الهوادى بالاعجاز على ابهج
وجه واوضح نهج ثم اذا ترددت اى اذا كررت قصته المذكورة فى القران من قولهم فلان يتردد على فلان
اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم اذا كنت لم اكثر زيادة حبكم فحبتى لكم بغير تردد اى ما كرر
من قصص القران ليس تكرارا مخلا اذ قد اختلفت العبارات عنها فذكرت من كل مكان لمعنى ضربت
امثلة غير المكان الاخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا على كثرة
ترددها وتكرارها والجار والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قائلها وحكى عن ابن
عباد رحمه الله انه مات له ولد فاشتد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته فى محفل عظيم قام
الناس لتعزيته فلم يعد عبارة للمعزين له مع كثرتهم وكونه فى حالة حزن واله حتى تعجب الحاضرون
من بلاغته حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسى فى البيان صاحبتها يعنى ان سامعها
كانه انما سمعها الان ولم يسبق له ما ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى والسياق ومناسبة
المقام تفيه فوائد اخر وتجدد لمن سمعها حظا غيطها العبارة المغايرة لما تقدمها وتناصف
فى الحسن وجه مقابلتها لتفاوتها باعتبار المقامات المحكية فيها كقصة ادم وحوى وموسى
عليهم السلام مع بنى اسرائيل ولا نفور للنفوس من ترديدها وتكريرها وهذا اشارة
الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين فى القران بان فيه مكررات كثيرة وهو مما ينفر الطبع السليم
ولا معارات لمعادها اى لا يعادى الطباع المكرر المعاد فى القران من قصصه كما قال
الشاعر طبع النفوس معادات المعادات وفيه تمليح لما ذكر وتجنيس لطيف الوجه الثانى
من وجوه اعجاز القران من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب اشار بالاسلوب
والصورة الى رشاقة عبارته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقه الوارد فيها
فانه مع الرغبة لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرها مما كان عادتهم ومجاورتهم قرع الاسماع
بموارد عوايده وبهذا اضمحل ما قيل انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن تاليف والتيام كلمه
راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله المخالف لاساليب كلام العرب مغن عنه قلت لا لان

قوله

قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع اسلوب وهو الفن والنوع وفى كلامه اشارة الى
489 ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر توخى المعانى
على حسب الاغراض التى صيغ لها الكلام لا توالى الفاظها فى النطق وضم بعضها لبعض كيف ما اتفق
ومناهج نظمها ونثرها مجرور معطوف على اساليب اى مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق اى
لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها الذى جاء عليه صفة نظم
الذى جاء عليه من عند الله واردا على اسلوبا العجيب الذى لا يشبه كلام البشر ووقفت مقاطع اية
جمع اية مضاف لضمير القران وفى نسخه اياته والمقاطع جمع مقطوع وهو اخر الكلام الذى يقف عليه
القارى وقفا تاما او كافيا واسناد الوقف لها مجازى والواقف انما هو القارى وهو بمعنى انتهت
ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على الصلة وانتهت فواصل كلماته اليه وفى بعض النسخ
ووقفت مطابع اليه عليه والفواصل جمع فاصلة وهى الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها
والضمير للموصول بتقدير مضاف الخ قالوا الايقال فى القران انه سجع وانما يقال فواصل لقوله فصلت
اياته ولم يوجد اى لم يسمع كلام بليغ قبله ولا بعده نظير له يماثله فى بلاغته وعلو رتبته وغرابة
اسلوبه ولا استطاع وقدر احد مماثلة شئ منه بان ياتى بكلام ما يشبهه فى الجزالة والبلاغة
بل حارت فيه عقولهم فوقعوا فى الحيرة فالعناد يمنعهم من الاعتراف وظهوره اعجازه يكذبهم
فى قولهم انه مفترى وسحر او نحوه مما لا يقبله الطبع وتدلهت به دونه احلامهم بفتح الدال المهملة
واللام المشددة اى دهشت وتحيرت فى شانه فهو مما قبله وفى نسخة تولهت براو بدل الدال
من الوله وهو الحيرة ايضا والاحسن ان يفسر التدله بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقى من حيرته الى
ذهابه ودونه بمعنى ما لم يبلغ منزلته كما فى قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم والاحلام جمع
حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر يعنى ان عقولهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما هو اقل منه فكيف به
ولم يهتدوا الى مثله اى لم يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بشئ مما ثله او تقرب منه
فى حسن كلامهم الذى يقدرون عليه ونفى به قواهم البشرية من نثر كالخطب والوسائل ونظم
من القصائد والنثر او سجع وهو الكلام المقفى غير المنظوم وهو يطلق على مجموع هنا وعلى الكلمات
الاخيرة من النثر ويطلق على الاتيان به ونفس التواقع فيه او رجز وهو نوع من الشعر معروف وافرده
بالذكر مع دخوله فى النظم لانه خالفه فى عدم التزامهم رويا واحدا فعد نوعا مستقلا من الكلام
افرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمى قائله راجزا لا شاعرا او شعر لو لم يذكره
كان احسن لانه مكرر مع النظم ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة تقدم
ضبطه وانه ابو خالد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام
كما مر واسم ولده خالد رضى الله عنه سيف الله وقرا عليه القران اى سمع الوليد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعض القران رجا اسلامه رق قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام
واصل الرقة ضد الغلظة فيجوز به عن الملاينة والميل كما قال ابن سعيد المغربى قد طال
شوقى الى تعود ملاوى من الشوق والوحشى عنها الحذق الذى تراه تعذب من شعرها الرقيق

فجاء ابو جهل لعنه الله لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصده عنه وكان
ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام منكرا عليه بميله له واستحسانه لما قراه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو حال من فاعل جا فقال اى الوليد ردا لانكار ابى جهل عليه والله ما منكم يا معشر
قريش احد اعلم بالاشعار منى انكارا لقولهم انه شاعر والله ما يشبه الذى يقوله محمد صلى الله عليه
وسلم من القران شيا من هذا الشعر الذى ينشد واشار اليه بالقرب شهرته وحضوره فى الذهن
كالشاهد المحسوس وفى خبره الاخرى فى خبر اخر عن الوليد رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله
عنهما حين جمع الوليد قريشا يعنى اشرافهم ورؤساؤهم عند حضور الموسم مفعل من الوسم وهو
العلامة والمراد موسم الحجاج وهو زمان اجتماعهم لانها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وخص
بمجى زمانه او مجى اهله ولما كان يجتمع به جميع قبائل العرب من كل فج خشى ان يسمعوا باثر النبى صلى الله
عليه وسلم فيتبعوه فجمعهم وحدهم ليتشاوروا ويروا رايا فيما يصد الناس عنه صلى الله عليه
وسلم كما اشار الى بيان ذلك بقوله وقال ان وفود العرب جمع وفد وهم كالجماعة الذين يقدمون
من بلادهم الى مكة من غير اهلها واصل معنى الوفد الاشراف ترد اى يقدمون من غير البلاد واصل
الورود الذهاب للماء فاجمعوا فيه اى فى النبى صلى الله عليه وسلم وامره اى دبروا وتداركوا رايا
اى امرا يفيدون له فائدة ونتيجه واجمعوا بقطع الهمزة من الاجتماع يقال له جمعت كذا وكذا
واجمعت عليه واكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالفكر نحو فاجمعوا امركم وشركاءكم ويقال
اجمع المسلمون على كذا اذا اجتمعت اراؤهم عليه ويجوز ان تكون همزته همزة وصل ايضا لانه يقال
جمع له رايا ايضا وبه كسر قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم اى جمعوا اراؤهم وتدبيرهم كما قال
الراغب ولا عبرة بانكار الحريرى فى الدرة لصحته كما بيناه فى شرحها لا يكذب بعضكم بعضا
اى اتفقوا على امر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق كلمة ولا اختلاف فى شانه فقالوا نقول
هو كاهن وهو الذى يخبر عن المغيبات ويدعى معرفة الاسرار وكانوا فى العرب كثيرا كشق وسطيح
وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم من له جنى يخبره ويلقى اليه الاخبار ومنهم من يدعى معرفة ذلك
باسباب وامور ياخذها من كلام السائل وفعله وحاله ويقال له عراف واكثرها امور ظنية
تخطى وتصيب احيانا فقال الوليد لهم والله ما هو بكاهن اى حاله لا يشبه حال الكهان
وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذى كانوا يلفقونه ويتمقتونه وفيه اكاذيب باطلة فليس هذا
رايا مقبولا يروج عند العقلاء ما هو بزمزمته ولا سجعه الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم والباء
للملابسة اى ليس معروفا بزمزمة اول كلامه المفهوم من السياق اى وما كلامه مشبها بزمزمة والزمزمة
صوت خفى لا يكاد يفهم وكان للكهان زمزمة يرقى يخصصون بها الجن وزمزمة المجوس قرائتهم وكلام الكهان
كان مسجعا ولذا كره النبى صلى الله عليه وسلم قول القائل فى الجنين كيف يدى من لا اكل ولا شرب
ولا استهل ومثل ذلك يطل وقال انما هذا من اخوان الكهان وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا فانه
فى كلامه صلى الله عليه وسلم به احيانا فلما لم يرض الوليد هذا الراى فيه صلى الله عليه وسلم
قالوا نقول هو مجنون اى رجل اختلط عقله فاختل كلامه وفعله وذلك باصابة الجن له

وهو

وهو المعروف عند الاطبا واصله من جنه واجنه اذا ستره لاستتار عقله ومنه الجان والجنين
490
قال الوليد ردا لزعمهم هذا ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته اى لا يشبه حاله حال المجانين
والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاختناق والجنون يقال له خنق بكسر النون
وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شى يلقى فى القلب وفى السمع بصوت خفى وقد يحدث
المرء به نفسه ولذا يسمى حديث النفس قالوا فنقول شاعر قال اى الوليد ما هو بشاعر اى ليس كلامه
شعرا لا وزنا ولا معنى اذ الشعر مدح وهجو وتشبيب وليس فيما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم
بشى من ذلك قد عرفنا الشعر كله بانواعه واوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقوله رجزه هو نوع
من الشعر معروف يسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه ارجوزة وجمعها اراجيز ويسمى رجزا لاضطرابه
فى وزنه واختلاف اوزانه واختلاف قوافيه وهزجه بفتحتين ومعجمتين وهو اسم بحر من بحور
الشعر معروف وبه فسر هنا ولكن الذى قالوا ان اسماء البحور منقولات اصطلاحية نقلها
الخليل بن احمد فهى منقولة من الهزج لنوع مضطرب من الاغانى ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر
كانت العرب تتغنى به كان اقرب وانسب بقوله وقريضه لانه ليس اسم بحر من بحور العروض
لانه فى اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر يقتطع
نوعا مخصوصا من الكلام لفرضه فالظاهر ان المراد به ما يقابل القصائد وهو المقطوعات
وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفى العرفة محاسن الشعر وقبيحه ومبسوطه اى مطولاته
قصائده مطلقا للمقابلة لما قبله فيتناول له جميع انواعه من الطويل والبسيط وغيره فمن
فسره ببحر البسيط وقال زيادة الميم فيه لمشاكلة قوله ومقبوضه فقد تكلف ما لا دليل عليه
وكان المراد بمقبوضه مختصر اوزانه المسمى فى العروض بالمجزو والمنهوك وليس المراد مصطلح
العروضيين وهو المحذوف ثانى اسبابه الخفيف الذى هو خامس مفاعيلن الذى حذفت ياؤه
فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح احدثه المولدون لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه
وما عطف عليه منصوب بدلا من الشعر لا من كله لانه توكيد لا يصح البدل منه لا لانه
لا يقع مفعولا كما توهم قالوا فنقول هو ساحر قال اى الوليد ما هو بساحر انكره لما يعلمه من
ان الساحر هو الذى يستعين على ما ياتى من خارق العادة بامر علوى او بعزايم يسخر بها الجن
او بطلمات يمزج بها الفلكى بالعلوى والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس
كذلك ولذا قال ولا نفثه ولا عقده بفتح العين المهملة وسكون القاف وبضم ففتح جمع
عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقدة عقد حبال او شعر مضفر ونحوه مما يفعله السحرة
مما يؤثر امورا خارقة للعادة فى الخارج عنه وكنى به عن انه ليس عمل مما يعمله السحرة فقد
تربى صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولم ير احد منه ذلك فلذا اخطاهم الوليد فى وصفهم
له صلى الله عليه وسلم وبين لهم ان تدبيرهم الباطل لا يروج على عاقل كما قيل يا سطوة
الله على عقد ما ربطوا وشتت شمل قوم بنا اختلطوا الله اكبر سيف الله قاطعهم وكلما قد
علوا فى ذمهم هبطوا قالوا فما نقول بالنون او بالتاء الفوقية اى نخبر وانت يا وليد

وما رايك قال لهم انتم بقائلين من هذا اى من مثل هذه الاراء شيئا فى حقه الا وانا اعرف انه باطل
ليس بمقبول عندى ولا عند العقلاء الذى يعرفونه وتقديم الضمير لتقوية الحكم لانه يقدم لتقوية الكلام
او للحصر لتعسفه اعتقاد بعض جهلهم فيه والجملة حالية مستثناة يجوز اقترانها بالواو وعدمه
وان اقرب القول فى حقه وان كان الكل مفترى انه ساحر بفتح الهمزة وكسرها كما فى كل ما وقع بعد افعل
تفضيل مضاف للقول على ان المصدر خبر ان والجملة المحكية ولا يحتاج لرابط لانها على المبتدا هنا
وهنا رجل عاقل ختم الله تعالى على قلبه وسمعه ونسجت عناكب الضلالة على بصره ثم بنى وجه
اقربيته بحسب النظرة للحمقى بقوله فانه سحر السحر ووجه المشابهة انه يفرق بين المرء وابنه بالبا
الموحدة والنون او اليا المثناة التحتية ومعناهما ظاهر والمرء واخيه وفى نسخة بين المرء وابيه
واخيه والمرء وزوجته اى امراته وفيه لغتان هذه وزوجه بالتا التانيث والمرء وعشيرته اى اقاربه
الادنون المعاشرين له وقد قال ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ماعداه لاجله صلى الله
عليه وسلم كما كان شاهدا فى الصحابة رضى الله عنهم ومنهم من ترك مملكه كيوزين النجاشى كما فى سيرة
ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ماحكاه الزمخشرى عن الوليد هذا من انه قال لهم ما هو الا سحر
اما رايتموه يفرق بين المرء الخ وما حكاه عنه من قوله ان هذا الا سحر يؤثر كما تقدم انه اراد ما هنا
من انه كالساحر فى ما ذكر لكنه ساقه فى معرض الجزم وليروح عندهم او انه قال حرة ثم راجع عقله
فرجع عنه وهو الاوفق بما فى الاية ومناسبته ما ذكر لما هو بصدده فى غاية الظهور فالقول
بان الانسب ان يذكر ما حكى عنه من انه قال لبنى مخزوم والله قد سمعت محمدا يقول كلاما ما هو تقول
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما تقدم ولا وجه له
فتفرقوا من المجلس الذى جمعهم للمشاورة فيه وجلسوا على اسبل بضمتين جمع سبيل وهو الطريق لمجيء
الوافدين بما قالوا حتى لا يتبعوه صلى الله عليه وسلم ويحذرون الناس عنه حتى لا يصدقوه
فيقولون لكل من راوه محمد شانه كذا وكذا فاحذروه لا يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة
او حالية بتقدير قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا وهما حالان متداخلتان فقال الواذلك لكل من قدم
الحج ففشا امره صلى الله عليه وسلم فى قبائل العرب وخشى ابو طالب من ذلك ومن ذلك يغيب
النبى صلى الله عليه وسلم لا لهم وسبها ان من يقع منهم ما يحرضهم على ضرره فقال قصيدته اللا
مية الطويلة المشهورة بمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر حسن وما هو عليه صلى الله عليه
وسلم فيها قوله لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد واخوته دابا لمحب المواصل الخ ولولا حذف
الاطالة لاوردتها لما فيها من مدحه صلى الله عليه وسلم وبيان حقيقته وتقييده بحمية
فانزل الله فى الوليد وقصته المذكورة التى هى سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير
للتسجيل عليه بذم الله تعالى له ذرنى ومن خلقت وحيدا الايات اى دعنى معه فانا اكفيه
من كيد اعبائه وان كان وحيدا مفردا عن اهله وعزته ليزكيهم له ولا نظير له وتمام النظم
وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا
سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر

فقال

فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر والكلام على هذه الايات مفصل فى التفسير والمقام
لا يسعه وقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والد هند ام معاوية رضى الله عنهما وهذا
قتله عبيدة بن الحارث فى غزوة بدر كافرا حين سمع القران يا قوم لقد علمتم انى لم اترك شيئا الا وقد علمته
وقراته وقلته هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب المنزلة لقرائته بعضها وانه قرا القصص السالفة
وقال الشاعر وله سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره بمراد اذ لا يمكن لمثل هذا دعاه والله لقد سمعت قولا
يعنى به القران العظيم الذى سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ما سمعت مثله قط هو للاستغراق
فى الماضى ما هو بالشعر الباء زائدة اى ليس بشعر ولا شبيهه كما مه ولا بالسحر ولا بالكهانة اى ليس يشبه
كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن فى قائله شيء من اعمال السحرة المعهودة والكهانة مصدر
كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة والقيامة كما قاله الشريشى فى شرح المقامات وقال النضر بفتح
النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن ابن الحارث بن علقمة
بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذى قتله النبى صلى الله عليه وسلم بالصفا صبرا وقصته
مذكورة فى السير نحوه اى مثل ما قاله عتبة والوليد فى اعترافه بالقران وانه لا يشبه كلام البشر
وفى حديث اسلام ابى ذر الغفارى الصحابى رضى الله عنه وهو جندب بن جنادة كما مر وغفار قبيلة
من العرب مشهورة وغفار قبيلة من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن
خزيمة وصيته رواه مسلم وغيره ووصفه البيهقى فى دلائل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت
وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة فلذا كان يقول كنت ربع الاسلام وقوله ووصف
اخاه انيسا بالتصغير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد فقال تفسير لوصفه المذكور والله
ما سمعت باشعر من اخى انيس لقد ناقض بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم
البنا وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى لا يمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم
وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاحى المنطقيين وعند العرب نقايض الشعر فى الجاهلية انه اذا قال احدهم
شعرا ذكر فيه افتخارا باباته وشرفهم على قوم غيره او ذكر فيه هجا غيره ومثالبه ونقيضه حسبه واله
فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله فيتم ذلك مناقضة ويقال للقصايد نقايض ومنه
نقايض جرير والفرزدق ولقصايد من المصرفين جمعت وشرحت وفى الاساس يقال فى كلامه تناقض
وهذا مناقضة ونقيضه وتناقض القولان والشاعران وناقض احدهما الاخر بقول قصيدة
فينقض صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقايض ومنه نقايض
جرير والفرزدق انتهى وفسره فى الشرح الجديد بما فى النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض
البنا وهو هدمه اى ينقض قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمرادة انتهى
وهو تفسير لا يفى بالمقصود لما عرفته اخى اثنا عشر شاعرا فى الجاهلية اى عارضهم فى قصايدهم
فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشائه وزمان الجاهلية
كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيدا لما سياتى من انكاره عليهم فى قولهم ان النبى
صلى الله عليه وسلم شاعر اما احدهم ذكره اعترافا بقوة شاعريته وانه اى اخاه انيسا

انطلق الى مكة اى ذهبا اليها بعدما كان فى غنم لهما ترعى فقال لاخيه ان لى صاحبا بمكة فاكفنى امر الغنم
حتى اتيك فانطلق حتى اتى مكة فابطا على ابى ذر ثم اتاه فقال له ما حبسك قال رايت رجلا يزعم ان الله
على دينك الى اخر القصة التى ذكرها البيهقى واشار الى بعض منها المص بقوله وجا بخبر النبى صلى الله
عليه وسلم الى اخيه ابى ذر وكان اسلم بمكة قبل اخيه واسلم اخوه بعده فنهما صحبا بيان فلما نا له
بعدما اخبرنى بما يقول الناس فيه صلى الله عليه وسلم قال يقولون شاعر كاهن ساحر اى
بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم اشار الى بطلان ما قالوه بقوله لقد سمعت قول الكهنة
جمع كاهن مثل كاتب وكتبة ما هو اى النبى صلى الله عليه وسلم او كلامه ملتبس بقولهم ولقد
وضعته بالضاد المعجمة المفتوحة والعين المهملة الساكنة اى وضعت قوله صلى الله عليه وسلم
على اقرا الشعر يعنى انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه ما يشبهه وهو مجاز
من قولهم وضع النعل على النعل اى طابقه به لينظر هل هو مساوله والاقراء بفتح الهمزة والمد جمع
قلة او بليه الكثرة هنا قال فى القاموس من اقراء الشعر انواعه وانحاؤه اى اشباله فهو جمع قرء بالضم
وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرفه وانواعه وبحوره وقال الزمخشرى انه قوافيه التى يختم بها كاقراء
الطهر التى ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما فهو مقاطع اياته وحدودها فلم
يلتئم بالهمز من الملاءمة اى لم اره مناسبا ولا موافقا لفظا ومعنى واين الثريا من الثرا ولذا قال الفقها
رحمهم الله لا نكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا فى مدح النبى صلى الله
عليه وسلم ونحوه من التوحيد ومنظومات العلوم واما الهجا فينبغى ان لا يختلف فى عدم كتابتها
فيه كما قاله التلمسانى وما يلتئم اى يتيسر وينفق على لسان احد بعدى انه شعر بفتح همزة انه اى لا يتم لاحد
غيرى ان يقول انه شعر لانه ليس احد باعلم بالشعر واقدر عليه منى فلو امكن لاحد ان ينزله على الشعر ونعتا
به كنت فعلت فحيث لم يتيسر لى لا يتيسر لغيرى والمراد ابطال كونه سحرا وكهانة فلذا عقبه بقوله وانه اى
النبى صلى الله عليه وسلم لصادق فى قوله انه كلام معجز من عند الله وانهم اى الكفرة لكاذبون فى جميع
ما قالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لانيس هل انت كافى حتى انطلق فانظر قال نعم
وكن على حذر من اهل مكة فانطلقت حتى اتيت مكة فقلت لرجل ابن هذا الذى تدعونه الصابى
فاشار الى فمال على اهل الوادى يرجمونى حتى خررت مغشيا على ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت
الدم ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت نحو ثلثين ليلة ومالى طعام الا ماء زمزم فسمنت وما وجدت
جوعا فبينما انا فى ليلة واذا امراتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما راياني ولوا وانطلقا فاستقبلهما
ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم هابطان من الجبل فقال الا ما لكما قالتا صابى بين الكعبة
واستارها فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صلينا فاتيته
وحييته بتحية الاسلام وكنت اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ممن
انت قلت من غفار فرفع راسه ثم قال متى كنت ها هنا قلت منذ ثلثين ليلة ويوم قال وما كان طعامك
قلت ما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى فقال انها مباركة انها طعام طعم
وشفاء سقم فقال ابو بكر يا رسول الله ايذن لى فى طعامه الليلة فانطلقت معهما حتى فتح ابو بكر

بابه

بابه وجعل يفيض لى من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلت بمكة ثم اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال انى وجهت الى ارض ذات نخل ما احسبها الا يثرب فهل انت مبلغ عنى قومك
لعل الله ينفعهم بك ويواجرك فانطلقت حتى اتيت اخى انيسا فقال لى ما صنعت قلت اسلمت
فقال ما لى رغبة عن دينك فانى اسلمت وصدقت ثم اتيت امى فقالت مثله ثم احتملت واتيت قومى
فاسلم نصفهم قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان يومنا خفاف
وهو سيد قومنا فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم بقية قومى وجاءت اسلم
فقالوا يا رسول الله نسلم على الذى اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار
غفر الله لها واسلم سالمها الله وهذا حين اسلامه باختصار والاخبار فى هذا الذى ذكر من اعتراف
البلغا باعجازه وانقياد من هداه الله تعالى منهم للايمان به صحيحة كثيرة مع اختلاف انواعها ورواتها
والاعجاز لجميع الخلق بتعجيزهم عن الاتيان بمثله بكل واحد من النوعين اللذين ذكرهما والنوع الاول
منهما الايجاز والبلاغة بذاتها اشارة الى قوله فى اول هذا الفصل ولها حسن تاليفه والتيام
كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارق عادة العرب وحاصله ان اعجازه من نفس
جوهر كلامه بكونه فى اعلا طبقات البلاغة والفصاحة بحيث يسلم عن ضعف التاليف
وتنافر الحروف والكلمات وايجازه ورعاية معان ووجوه يقتضيها المقام وتضمن نكات يعجز
عنها طاقة البشر منها والنوع الثانى مما اشار اليه بقوله او الاسلوب الغريب بذاته يعنى كونه
على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس شعرا ولا سجعا ولا خطبا فان
وقع فيه من غير تكلف صحيح احيانا ونظم حتى ذهب الخطيب فى تكملة العهد ان النظم الواقع
فيه مقصود كالابيات واشعارها التى تقع فى اثناء الانشاء نادرا ولا يسمى بها الكلام شعر
الا انه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات بمعنى فقط ومغايرا النوعين ظاهر وان
لم يفترق بينهما بعض الشراح وقال ان فى النوعين تداخلا اذ لم يتصور كونه اسلوبا غريبا دون
البلاغة الى ما اخر ذكره مما لا طائل تحته اذ كل واحد منها بضمير الواحد المؤنث الراجع للبلاغة
وفى نسخة منهما منهنى والضمير للنوعين وقيل الاولى اولى وبكل مبتدا خبره نوع اعجاز على التحقيق
غير محتاج الى الاخر فى بيان اعجازه بقوله لم يقدر العرب على الاتيان بواحد منها وفى نسخة منهما كما
تقدم خارج عن قدرتها لانه مباين اى مخالف لفصاحتها وكلامها لما فيه من وجوه البلاغة
التى لا تحيط بها قدرهم ولم تالف طباعهم مع انسجامها وعذوبة الفاظه والى هذا القول الدال
على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف فى اثباته ذهب غير واحد اى جماعة كثيرة من ائمة
المحققين العارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعنى ان منهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب
ونظمه العجيب الذى لا يشبه كلام البشر ولا يطيقه القوى والقدر مع انه بلغتهم وكلماته التى
يعرفونها كما قيل فى بعض الحروف فيها وائل السور نحو الم والمر يعنى انه كلام مركب من هذه الحروف التى تركب
من هذه الحروف التى تركب منها كلامكم فلم ياتوا بمثله وذهب بعض المقتدى بهم اسم مفعول بوزن
مصطفى الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب لا بكل واحد منهما وحده واتى على ذلك

القول الذي اختاره وضمن التي معنى استدل فعداه بعلى نقول مجه بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى
ترميه ولا تقيد به الاسماع بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى خارجه السمع يقال مج الماء
من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية بتشبيه الاذن بالفم والكلام بالماء في الرقة
والعذوبة وتبريد الحرارة كما قال بعض اهل العصر يكاد من عذوبة الالفاظ تشربه مسامع الحفاظ
وقال الفري وتغير المعتاد يجتنى بعضه للورد خد بالوف يقبل وتنفر عنه القلوب من النفار وهو الذهاب
سرعة فكان القلوب تهرب منه لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قول ضعيف مردود ولذا قال
في الاول انه قول الائمة المحققين واشار بالمقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول
بالصرفة والصحيح ما قدمناه من ان كل واحد منهما وجه في الاعجاز كاف فيه والعلم بهذا كله اى
العلم بايجازه وبلاغته واساليبه العجيبة على ان القولين ضرورة قطعا بنصبهما الى سمعه اى
من سمعه قطع بما عنده من العلم الضروري في انه اعلى طبقات الكلام او هو مما يدرك بالذوق
ولا يدرك بالوصف كالملاحة والطريق له تتبع كلام البلغا وخدمة علم البلاغة الذي يورثه
علما ضروريا ولذا قال ومن تفنن في علوم البلاغة اى عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة
يعرف بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها في طرقها المختلفة في الوضوح وانواع محاسنها البديعية
وهو من علمي المعاني والبيان وتوابعهما وارهف اى سن وحدد ودقق من قولهم ارهف السيف فهو مرهف
اذا سنه ودققه وحده خاطره ولسانه اى فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل
الخاطر المعنى الذي يخطر على قلبه الذي هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم والعقل فارهافه
ممارسته حتى يتمكن من عمله واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف المسنون
في سرعة نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله ادب هذه الصناعة اى صناعة البلاغة وعلم
المعاني والبيان والادب بوزن طلب يكون بمعنى الظرف والحذق والعلم يقال ادبه فاحسن تاديبه اى
علمه واصله من المادبة وهو الطعام الذي يدعى له كما قيل الادب مادبة ما لاحد فيها مادبة ويصح
ارادة كل واحد هنا واقربها الاخير فاما اطلاق الادب على علمي النظم والنثر فمولد وانه تعريب معناه
الاصلي واصل الصناعة معرفة ما يزال بالجوارح كالخياطة ثم شاع في معنى العلم لم يخف عليه ما قلنا
اى جميع ما تقدم وان كلا منهما نوع مستقل وقد اختلف اهل السنة في وجه عجزهم عنه اى في سببه
ومنشاه الذي بوجبه عجز الفصحا عن معارضته فاكثرهم يقول اى قال وعبر به لحكاية الحال الماضية
حتى كانها حاضرة انه وجه اعجازه ما اشتمل عليه في قوة جزالته الجزالة الفلظة والصلابة والقوة
يقال حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاء جزيل فاستعير هنا لاحكام نظمه وعدم ركاكته
واضاف اليه القوة اشارة الى انه في على مراتب الاحكام حتى لا يتطرق اليه خلل اصلا ولا يختلف
نظمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا حاجة لتفسيره بالقوة ويقال للقوة
قوة ويصح اضافتها اليها ونصاعة الفاظه بفتح النون والصاد المهملتين اى فصوحها ومنه
ومنه ابيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضاء الجزل اى القاطع للشك ونصاعة بيانه
وهو تكلف لا داعي اليه وكونه اشارة الى المحسنات البديعية لا وجه له وحسن نظمه وايجازه

لسلاسته وانسجامه وبديع تاليفه وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية واسلوب طريق بلاغته
اى لا يسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تاخير متعلق بقوله لا يصح ان يكون في مقدور البشر
مقدور اسم مفعول او مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة اى لا يمكنهم القدرة على مثله لما جمعه
مما لا تطيقه قدرتهم وانه من الخوارق اى من جنسها ونوعها يقال هذا من باب هذا وبابته اى من جنسه
الممتنعة عن اقدار الخلق عليها اى التي لا يقدرون عليها كانها امتنعت منهم وابت مطاوعتهم وهو
من بليغ الكلام كاحيا الموتى بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى عليه الصلوة والسلام
وابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وقلب العصا حية كما وقع لموسى عليه الصلوة والسلام
وسيفا حديدا كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم واطلقه المص ثم لم يمثلهما فيكون فيه ذكر
لمعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم هو المناسب لقوله وتسبيح الحصا في كفه صلى الله عليه
وسلم كما ثبت في معجزاته ثم ذكر مذهبا اخر فقال لذا هب الشيخ ابو الحسن الاشعري امام اهل
السنة وقد تقدم بعض من ترجمته الى انه اى القران المعجز مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر اى انه فرد من افراد الكلام البليغ داخل فيه مسند بح في جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته
الانسان والفرس وهو تجوز معروف ويقدرهم الله عليه عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق
الافعال ولكنه لم يكن هذا فيما مضى ولا يكون في الحال والمستقبل فمنعهم الله عن هذا اى عن معارضته
والاتيان بمثله وهنا هو القول بالصرفة فيه اختلافا ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على التكلم
بمثله وعندهم بوجوه البلاغة واساليبها حالة التحدي لكن الله حرفهم واعماهم عن ذلك مع توافر
اساليبها من التقريع والتبكيت وتكرار الطلب وهو قول النظام والاستاذ من اهل السنة وقيل
بل سلبهم الله عند التحدي القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه
وتسميته التحدي صرفه بحسب ظاهر حالهم وما علم من قدرتهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى
من الشيعة ونقل عن الاشعري الا انه لم يشتهر عنه وكلام المص محتمل للوجهين فان قلنا هنا اشارة
الى ان الاتيان بمثله فهو المذهب الاول وان قلنا الاقدار فهو الثاني وحمله بعضهم على الثاني وقال
يحتمل ان يكون المراد بابي الحسن رجل اخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف وعلى الطريقين بل الطرق
من اعجازه ببلاغته واسلوبه والصرفة فعجز العرب عنه ثابت محقق مع كمال بلاغتهم وفطنتهم
لكنهم وفضح عنادهم لا طفا نوره ومازادهم الا اشتعالا واضاءة واقامه الحجة عليهم بتكليفهم
باقل قليل منه بما يصح ان يمكن وينبغي فانه ورد بهذا المعنى في اللغة ان يكون في مقدورهم على مذهب
الاشعري وتحديهم مصدر مضاف لمفعوله اى طلب النبي صلى الله عليه وسلم من العرب الفصحا
ان ياتوا بمثله اى مثل القران في البلاغة وعجز العرب مبتداء جزء ثابت واقامه مبتداء خبره
قاطع بعجزهم عما لا ريب فيه وهو اى ما ذكر او التحدي بما هو مقدورهم ابلغ في التعجيز بغيره
مما لا يقدرون كاحياء الموتى واحرى افعل تفضيل بحا وراء مهملتين بمعنى احق واولى بالتقريع وهو
التوبيخ والتعيير من القرع بالعصي وهو الضرب والاحتجاج بمجيئ بشر مثلهم من جنسهم واهل
لغتهم بشئ ليس من قدرة البشر لانه على القول الاول من اعجازه بمادته وصورته وهو اى المذكور

من عدم قدرتهم ايمراية اى اظهرها واغلبها لسائر الايات الباهرة لارتفاع شانه وعلوه في رتبة
من لا يدانوا منها كلام بليغ كما تفصيله واقمع دلالة بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة
بكسر الدال المصدر او بمعنى الدليل واقمع من قمعه اذا قهره وردعه واذ لم يعجزهم عن معارضته وعلى كل
حال من الاحوال السالفة اى سواء قلنا بانه معجز ببلاغته وبالصرفة عن معارضته فقد عجزوا
فما توافى ذلك بمقال اى لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع بل
صبروا على الجلاء بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والمال والقتل لفرط عنادهم وعدم انقيادهم
وتجرعوا اى شربوا جرعة بعد جرعة كاسات جمع كاس وهى ما يشرب به الخمر ونفس الخمر الصغار والذل
بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيرى وفيه استعارة تصريحية او مكنية اى صبروا
على التحقير والاهانة وتجرعوا غصصها وكانوا من شموخ الانف بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع
انف كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ
اذا وقع وهو كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد وابات الضيم بكسر الهمزة والموحدة
والمد مصدرها ابى اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير بحيث لا يوثرون بالمثلثة اى
لا يرضون ذلك اى الذل والضيم اختيارا اى باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم ولا يرضونه الا
اضطرارا اى قهرا وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز او المفعول المطلق والا مركب
من ان الشرطية ولا النافية اى وان لم يكن الامر كما ذكرنا المعارضة للقران بالاتيان بما يماثله
لو كانت من قدرهم بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة اى لو كانت المعارضة مقدورة لهم
والشغل بها اهون عليهم جملة حالية اى اشتغالهم بمعارضة اسهل عليهم من الصبر على ما ذكر واسرع
بالنجح بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم
وقطع العذر اى قطع ما اعتذروا به من عدم المعارضة من الاعذار الفاسدة وافحام الخصم
اى اسكاته عما قرعهم به لديهم اى عندهم وهو متعلق بجميع ما قبله من اسرع واهون وقطع وافحام
وهم من هم قدرة تمييز والجملة حالية وليس قدرة حالا بمعنى مقتدرين كما قيل لتكلفه وهم مبتدأ
اول ومن استفهامية وهم الثانية خبر اول او بالعكس على المذهبين والجملة خبرهم اى وهم اى شئ هم
اى امر عظيم لا يقدرون قدره ولا يعلم كنهه وهو من ابلغ المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تعالى الحاقة
ما الحاقة وهو مشهور كما في كلام العرب والعجم وقد يقال هم هم بدون من اى هم القوم المعروفون
بالبلاغة وشهادة النفس واباءة الضيم الذين لا يعادلهم فيه احد فناهيك بما اوقعهم
في حضيض الذل ومذقهم الصبا والدبور ايدى سبا على الكلام متعلق بقدرة وقدوة اى مقتدى
وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة في المعرفة به اى بمعرفة الكلام وصياغة لسلامة
فطرتهم وصفا قريحتهم لجميع الانام متعلق بقدوة واتى به للقافية اى هم في كل ذلك ائمة مقتدى بهم
لا اتباعا لغيرهم فكيف عجزوا ورضوا بما رضوا انهم لما ذكر شم انفهم وتكبرهم وبما توهم متوهم ان
تركهم للمعارضة لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله ومنهم احد الا من جهده ما ضربونه ضرب
فالاستثناء مفرغ عن عدم مقدر جهده بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح

المشقة

494

المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان نفسه اى يجهد فيه ويتعب نفسه كقوله
تعالى لا يجدون الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ما عندهم في الطلب فلم يقدروا على شئ منه واستفيد
ما عنده بالدال المهملة اى استفرغ ما في طاقته وقوته في اخفا ظهوره اى القران او النبى صلى الله
عليه وسلم واطفا نوره ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون فجلوا اى اظهروا من جلا
العروس على المنصة نوبتها الذكر البنات جمعه في ذلك اى من اجتهدوا فيه وحاولوه خبية بفتح الخاء
المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية والهمزة والها فعيلة بمعنى مفعولة اى مخباة
في ضمائرهم ومستور خلف ستار سرائرهم من بنات شفاههم اى كلمة يتلفظون بها شبهت بالبنت
والشفة بالام لظهورها منها وهو استعارة مشهورة مكنية او مصرحة ولا اتوا بنطفة
بضم النون وسكون الطاء المهملة والفاء وهي الماء الصافي من نطف بمعنى صب والناطف السائل
والمراد القطرة القليلة وفي بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطاء وتسمى اللولوة نطفة
ايضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الماء وكثيره كما جاء في الحديث يخرج رجل بنطفة
في داوة وهو المراد هنا من معين مياههم لعين الماء الجارى ظاهر والميم زائدة من العين وقيل انها
اصلية من معن بمعنى سار في الارض ومياه جمع ماء واصله موه اى لم يقدروا على شئ مما طلب
منهم وهو استعارة مصرحة مرشحة او مكنية اى مع ما لهم من موارد فصاحتهم وجارى كلامهم
لم يجدوا قطرة من عذب قطراته مع طول الامد اى اتساع زمن التحدى وكثرة العدد من فصحائهم
وتظاهرهم اى تعاونهم ومساعدتهم الوالد وما ولد اى الكبير والصغير وهذا دفع للشبه وازالة
الاعتذار اذ لو ضاق الزمان وقل الاخوان كان لهم معذرة ما بل ابلسوا بالبنا للفاعل وفتح الهمزة
يقال ابلس اذا ايس قيل ومنه ابليس لاياسه من رحمة الله وكان اسمه عزازيل ويكون بمعنى
الانكسار والحزن والمراد الاول فما نبسوا بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد
بتشديدها كما في قوله ان كنت غير صائد فنبس ومعناه نطقوا قيل هو مختص بالنفي وورد
البيت المذكور وقد يقال المخصوص بالنفي المخفف فتدبر ومنعوا بالبنا للمجهول فانقطعوا
عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى القولين فابلسوا يشير الى العجز فمنهم عن بلاغته
ومنعوا اى منعهم الله ايماء للصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين فان قيل ان العرب لم تترك
المعارضة للعجز بل لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لا يخطر ببال عاقل وقد كانوا
اذا قال شاعر شعرا في حقهم هاموا بمعارضته فكيف وقد وبخوا اشد توبيخ وحقرت اصنامهم
وسفهت احلامهم وقتلوا حتى نكست اعلامهم وقد قدمنا ما نبهناك عليه من شان الصرفة اجوبة
والاضراب لتوكيد نفي المعارضة كما يقال ما تكلم زيد بل سكت عجزا فهذان نوعان من اعجازه
الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه وخواص تراكيبه وبصورة نظمه واسلوبه ولم يلتفت
للصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم فانهم افسدوه بان قوله قل لئن اجتمعت الخ دليل
ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع
الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هنا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القران

وحي يلزمه اضافته الى الله تعالى والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القران وهي
يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجتماع الامة ان معجزة الرسول العظمى باقية
ولا معجزة له ما فيه اظهر من القران ويلزم الصرفة ايضا انه لا فضيلة للقران على غيره فان
قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت يعني قدرتهم ان
هممهم توجبه الى المحاكاة نظرا الى القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا المعارضة
اصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليه البتة فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز
عنها في نفس الامر لا تسمى قدرة قلت ممنوع بل تسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات
ولا شك انه اهل في البلاغة وينقطعون بسبب القدرة عن المحاكاة ابدا بل بعد الاختبار للعلم
سقوط ما قبله كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع لعجزهم عنه ونظر ذلك خطاب الله تعالى
من علم منه عدم الايمان بالايمان كابي جهل وابي لهب نظرا القدرتهما عليه باعتبار الظاهر
واعراضا عن النظر للغايات الوجه الثالث من وجوه الاعجاز اي اعجاز القران الكريم بوجه
اخر غير الوجهين السالفين وغير الوجوه الثلاثة ما انطوى عليه اي اشتمل عليه ووقع في
ضمنه من الاخبار بكسر الهمزة مصدر بالمغيبات بفتح الياء المثناة التحتية المشددة جمع مغيب
او مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره وما سيقع بعد ذلك
مما لا يعلمه الا الله والمراد هنا الثاني لان الاول يمكن الموقوف عليه فلذا عطف عليه فلذا عطف
عليه قوله وما لم يكن ولم يقع في عصره مما كان ووقع من القرون الماضية بناء على ان الاصل في العطف
التغاير فقد خالف كلامه الاتي من جميع ما مثل به وان كان صحيحا في نفسه لاندراجه فيها فوجد
بعد ذلك مطابقا لخبره ومصدقا له وعبر عنه بالماضي وان كان مستقبلا بالنسبة لما قبله
على الوجه الذي اخبر به في هذه الاية كقوله تعالى في سورة الفتح لتدخلن المسجد الحرام اللام داخلة
على جواب قسم مقدر للتاكيد والتحقيق ان شاء الله علق بالمشيئة مع تحققه تعليما للعباد او تلويحا
بعدم دخول بعضهم لموته او غيبته او حكاية لما قال له ملك الرؤيا او النبي صلى الله عليه وسلم
امنين حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض لانه صلى الله عليه وسلم راى وهو بالمدينة
قبل عام الحديبية انه دخله مع اصحابه واخبرهم بذلك فظنوه انه في ذلك العام فلما صدهم المشركون
عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان كما اخبر وقوله تعالى وهم
من بعد غلبهم سيغلبون فاخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس بعد مدة اقل من عشر سنة
وكان كما اخبر الله به في كتابه وذلك ان اهل الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين
فكان المشركون كلما تحارب تحارب المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس
ويفرحون بذلك تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات
وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه
الاية واخبر ابو بكر رضي الله عنه المشركون بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا
وقد اخبر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له امية بن خلف كذبت فقال بل

انك

انك كذبت يا عدو الله فقال اجعل بيني وبينك اجلا على عشر قلائص ياخذها الصادق منا ولهما
على ذلك لثلاث سنين واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد
في الرهان فان الله قال في بضع سنين وهي من الثلاث الى التسع فجعل القلائص مائة الى تسع سنين
ففعل فوقع ذلك بعد سنين فاخذ القلائص ابو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه
وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما امره بالتصدق بها لانه قد علم خبثها
لانها ستحرم او شكرا لله على تصديق مقالتهم وقوله تعالى ليظهره على الدين كله هذا وعد من الله
بان دين رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر ويغلب ساير الاديان وتقهر امته جميع
الامم فان العزة لله ولرسوله وكان كما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تاييد الله بجنده
ونصرهم مع ما الكفرة من الكثرة في المال والجند وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم الاية اي ليجعلنهم خلفا في ارضه مالكين لها منصورين على اعدائهم
وهذه الاية وان كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لاهل الردة في خلافة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وقوله اذا جاء نصر الله الى اخرها اي الى اخر السورة وهذه الاية وان كانت شاملة
لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى العباس رضي الله عنه فقال له ما يبكيك يا عم فقال
نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول وعبر بالمجيء ايماء الى ان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها
المعينة لها مترقبة القدوم وفيه من البلاغة ما لا يخفى ثم اشار الى تفسير ما ذكر بقوله فكان
جميع هذا كما قال الله تعالى مطابقا لما اخبر به والاشارة الى ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان ينبغي
تحققه ووقع بعد الاخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله فغلبت الروم وهي جيل من الناس
معلومون فارس وهم الفرس اي قوم العجم ويطلق على بلادهم ايضا وهو لفظ معرب فان اريد
الثاني فقد وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث في بضع سنين اي سبع سنين
كما روي في راس سبع سنين واخرها والراس يطلق على ذلك مع الزمان ويكون بمعنى الاول ايضا
ودخل الناس في الاسلام افواجا اي جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة وفوجا بعد فوج لما اعز الله
الدين ونشر اعلامه في الخافقين وهذا اشارة لما في سورة النصر السالفة فما مات صلى الله عليه
وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض اي جعلهم
خلفا لرسوله صلى الله عليه وسلم بعده ولعل هذه الاية عند ذكر سورة النصر لان الاستخلاف
وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت فيما ذكر قبله وهذا مبني على عموم الذين امنوا في قوله وعد الله
الذين امنوا الاية لجميع الامة وعدم اختصاصها بابي بكر الصديق رضي الله عنه كما تقدم ومكن
فيها اي في الارض دينهم وهو دين الاسلام اي جعله متمكنا فاذا لا يزال الى يوم القيمة يقال مكنه
ومكن له فتمكن وهو في الاصل من المكان ومكنهم اياها اي الارض لانه شرف العمود منها في ايديهم
وباقيها في انقياد لهم فهم بالقوة كالمالكين لها او انه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى نبينا
الى الارض على دينه معدودا من امته صلى الله عليه وسلم ولذا قال من اقصى المشارق الى اقصى

المغارب اى ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعد من جانب الغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة
اوشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضى المقدسه وقد وقع للادبا مفاخرة بينهما فقال محى الدين بن سحنون
من اين للغرب فضل الا من يتعالى والشمس تفقد فيه والبدر يلقى هلالا لا لان النقص فيه فليف
يحوى الكمالا وقال فلا يتحسن الشرق حقا وخذ من الوصف فيه على ما اتفق مهب الصبا ومفيد الضيا
ووجه الزمان ثغر الفلق وعارضه الوداعى رحمه الله تعالى فقال الغرب خير وعند ساكنه امانة
اوجبت تقدمه والشرق من يثر به عندهم يودع ديناره ودرهمه ثم انصف من قال حوى كل
من الافقين فضلا يقر به الجلى مع النبيه فهذا مطلع الانوار منه وهذا منبع الاداب فيه وهذا
لمحة ادبية ونفحة مكية اخمضنا بها كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه مسلم عن
ثوبان رضى الله عنه زويت لى الارض بزاى معجمة وواو وياء مبنى للمجهول اى جمعت وطويت فاريت
مبنى للمجهول من المزيل رانى الله تعالى مشارقها ومغاربها اى جميع اماكنها وبلدانها وسيبلغ ملك
بضم الميم امتى ما زوى لى منها وجمع بمراى عينى وما زوى منها هو المشارق والمغارب السالفة
وتوهم بعضهم انه غيره وان اول الحديث مخالف لاخره ثم جمع بينهما بان المراد بما زوى المعمور منها
ومن شانه ان يملك فكانه قال جميعا وفيه ما لا يخفى وقدم المصنف خبرالله على الحديث رعاية
للادب بتقديم الاصل الاشرف وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فاخبر بانه تعالى حفظ
القران من التبديل والتغيير في ساير الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة فكان كذلك في المستقبل كما
اخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف ساير الكتب فانه تعالى وكل حفظها للامم المنزلة عليهم فقال
لما استحفظوا من كتاب الله اى طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا تولى
عما نقل منها والمراد بالذكر القران لا يكاد يبعد بالبنا للمجهول اى لم يعد لكثرة من سعى اى اجتهد في تغيير
وتبديل محكمه ويكاد بمعنى يقرب ونفى القرب عن العدد ابلغ من نفى العدة وقال تبديل محكمه دون
تبديله ارشادا للمانع من تبديله وقوله من الملحدة بيان لمن اى من الطائفة الملحدة من الالحاد
وهو الميل كانهم سموا بذلك لعدولهم عن ظاهر الشريعة وتاويلها بامور سخيفة ويسمون بالمينة
وهم الاسماعلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان رضى الله عنه نقص منه بعض القران كما ذكره
القرطبى في اول تفسيره والمعطلة الذين نفوا الصانع وتستروا بزى الاسلام خوفا من القتل
وسعوا في بعض الدين وتزيين ما يروج على بعض العقول القاصرة لا سيما القرامطة هم طائفة من الملحدين
ايضا قال السمعانى في الانساب القرمطى بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم والطا المهملة
نسبة لطائفة خبيثة وهم من اهل هجر والحسا واصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط
وقيل حمدان قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد بهرام جور ذكروا اباهم وجدودهم
وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة الاسلام في ايام ابى مسلم الخراسانى ونقله
الخلافة المروانية وهو من الموالى وهم من اولاد الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام وقالوا ينبغى
ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع رجل منهم واحد
ذهب الى الكوفة فاول من اجابه حمدان قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة

لان

لان النبى صلى الله عليه وسلم راى عامريشى وهو من اهل المدينة فقال انه ليقرمط في مشيه
انثمى اى يقارب بخطاه ومنه الخط القرمط وعلى هذا فهو عربى وقيل انه معرب فان جدهم
كان يسمى كرمد فغيروه وعربوه وكان رجلا احمر العينين من سواد الكوفة فالكاف عجمية في الاصل
من الكرمته وهى الحرارة وكان ظهوره في سنة ثمان وسبعين وثمانين فلم يزد يظهر الصلاح حتى اجتمع
عليه الخلق فزعم ان النبى صلى الله عليه وسلم بشر به وانه امام المنتظر فابتدع مقالات
وزعم انه انتقل اليه كلمة المسيح وجعل الصلوة ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم
يومين بالنيروز والمهرجان فكانت له وقايع وحروب ورعاة وخلفا مذكورة في التواريخ
حتى تظهر منهم سليمان بن الحسن الجبائى فعاث في البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها في يوم
التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع
باب الكعبة واخذ كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقى عندهم سنين ثم ردوه مكسورا فنصب
في محله وقد كان بذل لهم فيه خمسون الف دينار فابوا ولم يزالوا كذلك حتى اخذوا الشام وغيرها
حتى قاتلهم جوهر القايد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكان مدة خروجهم ستا وثمانين سنة
وكانوا يحرفون القران ويتاولونه بتاويلات فاسدة لم تقبلها العقول وما بعد يتما يجوز فيه
وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه فاجمعوا كيدهم بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر
في تحريف القران وحولهم وقوتهم اى اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم في ان يحرفوا القران اليوم
منصوب على الظرفية قيل بتقدير اعد اليوم او بنزع الخافض اى الى هذا اليوم والمراد مطلق
الزمان والوقت الحاضر نحو من المؤلف رحمه الله نيفا بكسر الياء المشددة وسكونها بعد نون مفتوحة
ومعناه الزيادة اى مدة تزيد على خمسمائة عام وهى مدة سعى هؤلاء فيما ذكر فما قدروا في هذه
المدة الطويلة على اطفاء شئ من نوره تمثيل لحالهم في سعيهم في تحريف القران بمن اراد اطفاء نور
عظيم منتشر في الافاق ولا على تغيير كلمة تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه فضلا عن كلمة من كلامه فهو ترق والحمد لله على هذه المنة العظيمة وهى حفظ
الله لكلامه وبقاء رونق نظمه وخيبة من سعى في اطفائه وافتضاح جملة اعدائه ومنه اى
مما اخبر به من المغيبات المعجزة قوله عز وجل سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت بمكة فلم يدر
الصحابة رضى الله عنهم ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله عليه
وسلم درعه وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر رضى الله عنهما فعلمت المراد منها اى
سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم اى يجعلون المسلمين متولين على ادبارهم بالطعن
والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا ومعنى وقوله قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الاية اى ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيها
من الاخبار عن الغيب ان ناسا من اليمن وبنى خزاعة اسلموا وبقوا بمكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين
اذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبروا وابشروا بفرج قريب
فنزلت هذه الاية فكان بعدها ما اوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين التى شفيت بها

صدورهم وخرابهم بالسبي والجلاء وسلب نعمهم وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية فيها
اخبار عن الغيب من ظهور دينه على ساير الاديان على رغم انفهم وقد تقدم الكلام على هذه الاية
وقوله لن يضروكم الا اذى اي لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالطعن فيهم وتهديدهم وان
يقاتلوكم الاية اي يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فاخبرانهم كلما قاتلونا غلبوا وكانت عاقبة النصر لنا
عليهم والامور بخواتيمها والحرب سجال فكان كل ذلك اي وقع كلما اخبر الله به قبل على طبق خبره
من هزيمة جموعهم وتعذيبهم بما يشفي صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من قاتل منهم
ومما في القران من الغيبيات ما فيه اي القران من كشف اسرار المنافقين اي اظهار ما اخفاه المنافقون
في قلوبهم مما لا يعلمه الا الله مما انزله في حقهم في سورة المنافقين وكشف اسرار اليهود ومقالتهم اي
اظهار ما قالوه فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم وكذبهم في حلفهم اي كذب المنافقين وقسمهم
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالتهم انها صادقة والله يعلم انهم لكاذبون كما ذكر في سورة
المنافقين ومثله كثير في القران وتقريعهم بذلك اي توبيخ الله تعالى لهم بسبب ما قالوه وحلفهم بايمان
فاجرة ثم مثل لما ذكر فقال كقوله عز وجل ويقولون في انفسهم اي قول اليهود فيما بينهم وفي خلوة تنجيهم
لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا عذبنا الله بقولنا في حق محمد لو كان نبينا دعى علينا حتى نعذب وكانوا
يقولون هم والمنافقون فيما بينهم في حق النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فاخبر الله بذلك وفضح
سرايرهم وزاد بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك الاية يعني انهم يسرون في ضمايرهم غير ما يظهرونه لك اذا اتوك وهذا بيان لحال المنافقين
ومكرهم والذي اخفوه قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس ولم يكن لهم هم غير تخليص انفسهم
من القتل وقال بعضهم لبعض في خلوة من المؤمنين لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا الاية فاعلم الله
رسوله بذلك فاخبرهم بما قالوا وهو من جملة المغيبات وقوله عز وجل ومن الذين هادوا سماعون
للكذب الاية اي سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقوله من الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين دعى عليهم بالصمم او بالموت ولا نسمع ما دعينا اليه فاخبره الله تعالى بتحريفهم كتابهم
ومقالتهم وعدم اطاعتهم وهو من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القران وهذا في حق اليهود وفي الاية
كلام مفصل في التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله في هذه
الاية وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين اي بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فهذا اخبار
بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويبرزون سبه في صورة التوقير فيقولون راعنا
وصفا له صلى الله عليه وسلم بالرعونة موهمين التماس نظره ورعايته لهم مكرا منهم وليا
بالسنتهم وكلامهم وقد قال الله تعالى حال كونه مبينا بالبيان اي مظهرا ما قدره الله وقضى به
واعتقده المومنون من الظفر باحدى الطائفتين العير والنفير يوم بدر اي في وقعتها لان اليوم
يطلق على ذلك في قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من المغيبات التي اخبرهم بها بقوله واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم بدل مما قبله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الشوكة مستعار

من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكي وشاك السلاح للرجل
المستعد للحرب بالالة وهذا اخبار للمؤمنين بامر وقع في انفسهم ودوه واحبوه وهو مغيب عن النبي
صلى الله عليه وسلم اعلمه به جبريل عليه الصلوة والسلام فلما تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القران
وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين بما لهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك
فخرج ابو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبي صلى الله عليه وسلم لذلك
اخذ بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابي جهل ارجع بالناس فابى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير او قتل النفير وكانت الصحابة رضي الله
عنهم يودون في انفسهم اخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله
تعالى انهم يلقون العدو وليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وايد الله المؤمنين واعز الدين
ومنه اي ومن اخباره بالغيب في كلامه المعجز قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم خمسة من الكفار
او سبعة كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به فاخبر الله تعالى بهلاكهم
سريعا وكفايته امرهم قبل وقوعه فكان كما قال وهذا من جملة الغيبيات التي اخبر بها رسوله صلى الله
كالذي قبله ولذا جعلهما في قرن كما اشار اليه بقوله في سبب نزول هذه الاية كما رواه الطبراني
في الاوسط ولما نزلت هذه الاية عليه صلى الله عليه وسلم بشر بذلك اصحابه اي بهلاكهم لما كان
عندهم من الالم من شدتهم فاخبرهم بان الله كفاه اياهم باهلاكهم وكان المستهزئون نفرا بمكة
من اهلها ينفرون الناس عنه صلى الله عليه وسلم بطعنهم واستهزائهم ويؤذونه فهلكوا وهم
الاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وعدي بن قيس
السهمي وقيل منهم الحارث بن عيطلة وفكيهة بن عامر العنبري والحارث بن الطلاطلة ذكرها الما
وردي في اعلام النبوة وروي ان جبريل اخبره صلى الله عليه وسلم بهلاكهم وكيفيته وقدم واحدا
واحدا وكيفية هلاكهم مفصل في السير وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم هلكوا في ليلة واحدة
والذي ذكره غيره انهم هلكوا في ايام متقاربة بعد ما دعى عليهم بفناء البيت فاجاب الله تعالى
دعوته صلى الله عليه وسلم وانزل عليه الاية كما قال في الهمزية وكفاه المستهزئين وكم ساء
نبيا من قومه استهزاء ورماهم بدعوة من فناء البيت فيها للظالمين فناء خمسة كلهم اصيبوا بداء
والردى من جنوده الادواء ومن الاخبار بالغيب والله قوله والله يعصمك من الناس اي يحفظك
من جميع الناس الذين يريدون بك سوءا وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم في اسفاره
فلما نزلت منعهم من الحراسة ومر ان هذا لا ينافي ما اصابه صلى الله عليه وسلم باحد لان الاية نزلت
بعدها او المراد حفظه من القتل كما فصله الخيضري في خصايصه فكان كذلك اي محفوظا معصوما
كما اخبره الله تعالى وكان هنا تامة وكذلك اي وقع ووجد كما اخبر به اونا قصة ولذلك خبرها وقوله
على كثرة من رام اي قصد واضمر مفعوله وفسره لقوله وقصد قتله اشارة الى ما تقدم عن الخيضري
من ان العصمة انما هي عن القتل لا عن غيره من انواع الاذى كما مر والاخبار بذلك معروفة صحيحة كما
في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاة فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس
في الوادي يستظلون بالشجر فاتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ
وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال
الله فشام السيف قال وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك
قومه فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا اكون في قوم هم حرب لك ومثله كثير **فصل**
الوجه الرابع من وجوه الاعجاز القرآنية ما انبأ به اي ما اخبر الله به من اخبار القرون السالفة
هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون سنة
وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق الزمان اي اخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد البعيدة
مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ او ساح في اقطار الارض وقد عمر عمرا طويلا وكلا الامرين
منتف في حقه صلى الله عليه وسلم والامم البائدة اي الهالكة الذين افناهم الموت وطحنتهم رحى
الدهر حتى اندرست آثارهم والشرائع الداثرة بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يتبق له
اثر والدثور ورد بمعنى النسيان فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التي نسيت ونسخت احكامها
من دثر ثوبها به اذا تلفف بها وفي تعبيره نوع من البلاغة تسمى التفنين لان السالفة والبائدة
والداثرة متغايرة اللفظ متفادية المعاني مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة بيان لما كقوله
من اخبار على حد قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا على ما حقق في شروح الكشاف لا الفذ الفذ
هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بذال معجمة وفي الحديث لا تدع شاذة ولا فاذة من احبار اهل
الكتاب احبار جمع حبر بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ
الواسع علمه والعرف يخصه بعلماء اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار للتابعي المشهور ويقال له كعب
الحبر ووجه الملاقة انه من الحبر وهو المداد الذي يكتب به واليه نسب كعب المذكور اولانه يحبر
الكلام ويزينه وفي المصباح الحبر بالكسر المداد الذي يكتب به واليه نسب كعب فقيل كعب فقيل
كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهري وعن الفراء الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال
ويقال الاحبار ايضا اي عالم العلماء وكذا في تهذيب الاسماء للنووي وحينئذ فلا عبرة
بقوله في القاموس كعب الحبر بالفتح ويكسر ولا تقل كعب الاحبار الذي قطع عمره في تعلم ذلك
اي تعلم اخبار من سلف وشرائعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قرأه ودرسه طول عمره واما من كان
اميا في امة امية لم يقارن من له علم بذلك فعلمه به واخباره مفصلا امر خارق للعادة في حقه
محال الا لذاته بل لمانع فيورده متفرع على قوله انباء اي اذا اخبره النبي في الوحي اي النبي صلى الله
عليه وسلم المتلو المنزل عليه يورده اي يذكره النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه حال
من الفاعل او صفة مصدر مقدر اي ايرادا كائنا على وجهه اي على اتم حال يليق به وينبغي
له كما يقال دبر الامر على وجهه كما في الاساس ويأتي به على نصه اي في غاية مرتبة من كماله
ورفعته يقال بلغ الشيء نصه اي نهايته كما في الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وفيه
تورية لان عبارة القرآن تسمى نصا فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه اي من يعلم تلك

الاخبار

الاخبار والشرائع اذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله او ان مثله
اي مثل النبي صلى الله عليه وسلم او مثل هذا الكلام لم ينله اي لم يصل اليه النبي صلى الله عليه 498
وسلم بتعليم اي من البشر بل بوحي من الله وقد علموا اي علم الناس من المسلمين والمشركين انه
صلى الله عليه وسلم امي اي لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقوله لا يقرو ولا يكتب صفة له
مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان
هذا لا يكفي لاحتمال ان يسمعه ممن قرأ وكتب قال ولا يشتغل بمدارسته اي بحفظ وتلقن من الافواه
ولا مثافنة بضم الميم وتليها مثلثة ثم الف وفاء ونون اي مدارسته طلب ومجالسة تحتك فيه
الركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع اهل العلم بالاخبار والشرائع
للتعلم منهم وهو مجاز عن ثفنة البعير اذا برك والثفنة ركبته التي يبرك عليها حتى يغلظ من حك
الارض كثفنة على كذا اذا اعانه وكان يقال لابن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه في طلب العلم
او لكثرة سجوده حتى يصير في جبهته اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق لاداب
المص في بلاغته وما قيل من انه بمثلثة وقاف وموحدة من ثقب رأيه اذا انفذه وذهب ثاقب
وان الاول بمعنى التعب من ثفنت يد الرجل بكسر الفاء اذا غلظت من كثرة العمل فهو من تحريف
الكتبة الذي لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض الشراح وقد تقدم ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرو الخط ولا يكتب وانه من معجزاته ورد ما قيل انه
مخصوص باول امره وانه كتب بيده الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة له اخرى وقد شنع
على قائله علماء الاندلس ونسبوه للزندقة كما هو مبسوطة غير مادة ولم يغب عنهم اي لم يغب
صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم به ولا جهل حاله احد منهم
من ولادته صلى الله عليه وسلم الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب وقد كان اهل
الكتاب اي احبار اليهود والنصارى كثيرا ما يسئلونه اي في كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية
وما مزيدة لتاكيد معنى الكثرة او هو صفة مصدر مقدر اي سؤالا كثيرا صلى الله عليه وسلم
سؤالا كثيرا عن هذا اي عن خبر من تقدم من الامم السالفة فينزل عليه عقب سؤالهم جوابا لهم من القرآن
ما يتلو عليهم منه ذكرا المراد بالذكر القرآن المذكر لهم كقصص مصدر بالفتح او جمع قصة بالكسر
اي سير الانبياء مع قومهم فيذكره صلى الله عليه وسلم مفصلا بابلغ عبارة والطف اشارة
وخبر موسى والخضر بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين ويجوز سكون ثانيه مع فتح اوله وكسره
وهو ما قصه الله تعالى في سورة الكهف وموسى هو ابن عمران الكليم على الاصح لا اخر كما يزعمه
اهل الكتاب والخضر هو ابن بليا بن ملكان على اقوال في الاختلاف في اسمه وقد اختلف ايضا في نبوته
ورسالته وانه هل هو حي الى الآن ومات قبل المائة الاولى او قبل زمانه صلى الله عليه وسلم
واكثر علماء الصوفية على انه حي الى الآن الا ان الله تعالى اخفاه عنا وقد اطبق اكثر الصالحين
على ذلك وانهم يلاقونه ويتحدثون معه وانه يحج في كل سنة وليس في ذلك دليل قاطع ولكن
حسن الظن بصدق ما قالوه والاكثر انه ولي لا نبي ومن الغريب ما قيل انه ملك وقيل انه لا يموت

الا فى اخر الزمان حين يرتفع القران وفى صحيح مسلم فى حديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه
قال ابراهيم بن سفيان راوى كتاب مسلم يقال انه الخضر وكذلك قال معمر فى مسنده وسمى خضرا لانه
اذا جلس على ارض اخضرت له اولانه اذا صلى اخضر ما حوله وفى جامع الاصول عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى بذلك لانه جلس على فروة
بيضا فاخضرت تحته وفى صحيح البخارى من حديث همام بن منبه عن ابى هريرة مرفوعا انما سمى الخضر
لانه جلس على فروة فاذا هى تهتز من خلفه خضرا والفروة الارض اليابسة او الحشيش اليابس
قال ابن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابى الفروة وجه الارض انبتت واخضرت
بعد ان كانت جردا ويوسف واخوته والخلاف فى كونهم انبيا ام لا سيأتى مفصلا وقد كان اليهود
سالوه صلى الله عليه وسلم عنها فانزل الله عليه السورة واصحاب الكهف ومعناه المغارة
لانهم وجدوا بها واختلف فى مكانها ولهم اسماء يونانية اختلف فى ضبطها وكانوا فروا من ملك
يسمى دقيانوس وقصتهم مفصلة فى التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا النضر بن
الحارث وعقبة بن ابى معيط الى احبار اليهود ليسالوهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة قبل الهجرة وسالوهم عن ذلك فقال
لهم الاحبار سالوه عن ثلاث فان اخبركم عنها فهو نبى مرسل والا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا
فى الدهر الاول ما كان امرهم العجيب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نباؤه وسلوه
عن الروح ما هى فان لم يبينها فهو نبى مرسل على ما ياتى فسالوه عن ذلك فقال اخبركم غدا ولم يقل
ان شا الله فانقطع عنه الوحى اياما اختلف فى عددها فارجف بذلك كفار مكة وحزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انزل الله عليه ما قصه فى سورة الكهف وذى القرنين اختلف
فيه وفى اسمه وسبب تسميته فقيل يونانى اسمه هرديس وقيل حميرى اسمه الصعب بن ذى مراثد
وفى خطبة لقس بن ساعدة ابن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر الفين
ثم كان كلحظة عين وهو الاسكندرى وسمى ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة قرنين وقيل لانه ضربه
على قرنى راسه وقيل لذوابتين له والقرن الشعر وقيل غير ذلك ولقمان وابنه وهو لقمان بن
عنقا بن مروان وكان وليا صالحا وقيل انه نبى والاصح خلافه وقيل انه نوبى من اهل ايليا واسم ابنه
فاران عند ابن قتيبة واشباه ذلك من الانبا والقصص والاخبار المذكورة فى القران عن مطوى
من الامم السالفة وبدء الخلق اى ابتداء خلق الله للدنيا وما جرى فى ذلك مما لا يطلع عليه الا من
قرا الكتب ودرسها وخلقه للسموات والارض وما فى التورية والانجيل من احكام شرايع والتوحيد
والزبور وصحف ابراهيم وموسى من المواعظ والاذكار وذكره لبدء الخلق لما تضمنه من الاخبار
عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ما قيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله تعالى وهو جدير
بالحاقه بالاخبار بالغيب مما صدقه فيه العلما بها اى الاحبار من اهل الكتاب حين ذكره لهم ولم يقدروا
على تكذيبه ما ذكرها لكونها مطابقة للواقع ولما عندهم مما لم يكن امكانه بل اذعنوا لذلك فاقروا به
واعترفوا منقادين له فمن موفق اسلم كعبد الله بن سلام ومن مخذول ... [illegible] اى الذين سمعه اما قصه صلى الله عليه وسلم

عليهم وعرفوا حقيته منهم من وفقه الله تعالى لهداه وآمن بالمد فعل ماض مفتوح الاخر بما سبق له
من غير اى سبب ما سبق له فى علم الله تعالى الازلى وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسينين مهملة
وبا موحدة وقاف والخير هو الحسنى اى احسان الله وانعامه عليه بهدايته ويجوز كسر سينه قبل ياء مثناة
تحتية ماض مجهول ساقه اى بما ساقه الله تعالى له واوصله اليه من الخير ومن شقى معاند حاسد
اى اشقاه الله تعالى حين حمله العناد والحسد على عدم الانقياد لما علم حقيته كما حمل الحسد
ابليس لعنه الله تعالى على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن ومع هذا
العناد والحسد الذى اظهروه فلم يحك بالبنا للمجهول ونائب فاعله انه انكر الواقع بعد سطور
وهو بالفاء التفريعية تفصيل وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ما ذكرها والمقام مقام اطناب
وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا موقع له بعد ما تقدم اى لم يذكر عن واحد من النصارى
واليهود على شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم اى هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى بغى
مع كقوله وانه لحب الخير لشديد واحرصهم على تكذيبه اى على شئ من كلامه يقدرون على نسبته
الى التكذيب فيه وطول احتجاجه صلى الله عليه وسلم عليهم اى اقامة الحجة عليهم بما
فى كتبهم المنزلة على انبائهم عليهم الصلوة والسلام وتقريعهم اى توبيخهم وتفضيحهم
بما انطوت عليه مصاحفهم جمع مصحف بتثليث الميم كما نقل عن ثعلب والفتح غريب
من اصحف اذا جمع على الصحف فهو بمعنى الصحف هنا وكثرة سوالهم له صلى الله عليه
وسلم عما لا يعلمه الا من له تبحر فى العلم منهم وتعنيتهم اياه تفعيل من العنت وهو المشقة
والتعب فى تكليفهم بما هو شاق عن اخبار انبيائهم متعلق بسوالهم واسرار علومهم اى الامور
الحقية الدقيقة من علومهم ومستودعات سيرهم اى سرائرهم عما اودع فى مصاحفهم
من سير انبيائهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم وفى نسخة بمكنون بدل مكتوم اى اخباره
صلى الله عليه وسلم لمن ساله منهم عن امور مكتومة مخفية عندهم ستروها عن غيرهم
ومضمنات كتبهم اى ما تضمنتها كتبهم من الاحكام وغيرها مثل سوالهم عن الروح فى الحديث
الصحيح الذى رواه الشيخان كما تقدم بيانه وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى لما قال
علما اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت واجاب عن الجميع فليس بنبى وان اجاب عن الاولين
وسكت عن الروح ووكل علمها الى الله فانه كذلك فى التورية فهو نبى مرسل وحكم الرجم اى سوالهم
له صلى الله عليه وسلم عن حكم الرجم للزانى المحصن الذى انكروه فبينه لهم صلى الله عليه
وسلم كما فى التورية وما حرم اسرايل على نفسه اسرايل هو يعقوب عليه الصلوة والسلام
ومعناه صفوة الله وكان اليهود سالوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل والبانها
او العرق وما فيه عرق عضد فهو لانه كان سكن البدو فخرج من اخيه العيص ثم نذر انه ان دخل
بيت المقدس سليما من الامراض والافات ان يذبح اخر اولاده واعزهم عليه فلما سار وقرب منه
بعث الله ملكا وكز فخذه فمرض بعرق النسا حتى كان من وجعه ما كان وذلك ليلا يلزمه
ذبح ولده فحرم على نفسه ما حرم لانه يضر عرق النسا وكان ذلك بلحمها دسمه والانبياء يجوز لهم

الاجتهاد على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلوة والسلام فدفنه
عند ابيه بوصيته منه وسالوه ايضا عن ما حرم عليهم اى على بنى اسرائيل من الانعام ومن طيبات
من الماكل كانت احلت لهم اى جعلها الله حلالا لهم فحرمت عليهم ببغيهم اى حرمت عليهم عقوبة
بسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية فحرم الله تعالى عليهم ما لم يكن
مشقوق الاصابع البهايم والطيور كالابل والانعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من الطيور
وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما
بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله ببغيهم اى اثمهم واخذهم اموال
الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيئا فنزلت هذه الاية بتكذيبهم حتى افتضحوا وعن ورود
ومثل قوله تعالى ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل الاية الاشارة الى قوله تعالى سيماهم فى
وجوههم من اثر السجود كزرع اخرج شطاه الى اخر ما ذكره فى سورة الفتح فاخبرهم الله تعالى على
لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما فى كتابهم وغير ذلك من امورهم التى نزل بها القران مما لا يعلم
مثله الا بوحى فاجابهم عما سالوه وعرفهم بما كتموه بما اوحى اليه من ذلك السابق ذكره كله انه انكر ذلك
او كذبه وتعالت مجرور بفتح همزة ان والمصدر المسبوك منها ومما دخلت عليه نائب فاعل يحك
وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقى فقال بل اكثرهم صرح اى تكلم بكلام
صريح ناطق بصحة نبوته اى فى ان صلى الله عليه وسلم صادق فى دعوى النبوة وان له نبوة
صحيحة وصدق مقالته اى صدق كل ما قاله صلى الله عليه وسلم مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم
وصدق مصدر مضاف للفاعل وفعل ماض مشدد الدال وتعالت منصوب مفعول واعترف
بعناده وحسده اياه فاقر بانه جحده لما قاله صلى الله عليه وسلم محض عنادا وحسدا وافراد
ضمير حسده رعاية لافراد لفظ اكثر وروى بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعل مضاف
لقوله اياه فانه اياه كاهل نجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قبل الف ونون وهم قوم
من نصارى نجران العرب بلد بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة سموا نجران بنجران بن
زيد بن سبا وسياتى الكلام عليهم وابن صوريا بضم الصاد وراء مهملتين وواو ساكنة قبل
الراء ومثناة تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو عبد الله بن صوريا وهو حبر من احبار
اليهود والذين كانوا بالمدينة وهو الذى وضع يده على اية الرجم وهو لفظ عربى عبرانى واختلف
فى اسلامه فقيل انه اسلم وقيل مات على كفره وابنى اخطب تثنية ابن واخطب بزنة افعل التفضيل
بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة علم لابيهما وهما حيى بضم الحاء المهملة وفتح الياء
المثناة التحتية يليها ياء مشددة وابو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة معروفان ماتا على
كفرهما وحيى هذا ابو صفية ام المؤمنين رضى الله عنها قالت كان عمى ابو ياسر اخى ابى
كان يقول الست تجده فى كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما فى نفسك منه فيقول عداوته
وغيرهم من احبار اليهود والنصارى ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة اى لم يقر بحقيقة
ما جاء به صلى الله عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه تعالى الله بهته وباهته اذ كذبه

ولسبه

ونسبه للبهتان وهو منكر طيب المسك كذبا لشذا وقوله بعض المباهتة اى فى بعض امور التى يمكن
المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره صلى الله عليه وسلم ما لا يمكن انكاره من احد
من العقلاء وقد علمت انه يقال بهته بكذا وباهته كما فى الاساس ومن انكره فقد اتى ببهتان
من عنده وادعى ان فيما عندهم من كتبهم من ذلك لما حكاه متعلق بقوله مخالفة بالنصب اسم
ان ومن الموصولة فى قوله ومن باهت مبتدا خبره دعى بالبنا للمجهول اى دعاه الرسول صلى الله
عليه وسلم باذن ربه الى اقامة حجته اى دليل بالاتيان بنص من كتبهم يخالف ما اخبرهم به
وكشف دعوته اى بيان ما ادعاه فقيل له اى قال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم قل لهم فاتوا
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون يعنى قوله فمن افترى على الله الكذب من بعد
ذلك فاولئك هم الظالمون وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم
انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحم الابل ولبنها وذلك محرم فى شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم
انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا باحضار التورية حتى تتلى
ما فيها من تحريم ذلك فيها فجحدوها وافتضحوا وقيل انهم اتوا برجل وامراة زنيا فقال لهم النبى صلى الله
عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نحممهما ونفيهما فقال لهم ان الذى فى التورية رجمهما فانكروه فقال لهم
كذبتم ائتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فاتوا بها واقروا حكم الزانى فيها فوضع القارى يده على اية
الرجم وقرا ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد فيها الرجم فرجما ففزع ووبخ اى فزعهم وغيرهم
بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحا وتلويحا وجعلهم ظالمين ودعى الى احضار ممكن غير ممتنع وهو امرهم
بالاتيان بالتورية وهى حاضرة بين ايديهم فصار واقسمين فمن معترف بما جحده وانكره من احكام التورية
ومن متواقح بضم الميم وقاف وحاء مهملتين متكلف للوقاحة وهى قلة الحيا وصلابة الوجه حتى لا يبالى
بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذى وضع يده على اية الرجم فقال له ابن سلام ارفع يدك يا اعور كما
اشار اليه بقوله يلقى على فضيحته اى ما يجعله سخرة بين الناس من كتابه اى من الكتاب الذى معه
يده اى يضعها عليه وعلى الاية التى فيها ما يخالف دعواه ويكذبه ولم يؤثر بالبنا للمجهول بمعنى ينقل
معطوف على قوله فلم يحك المتقدم ونايب فاعله ان واحدا منهم اى من اهل الكتاب من اظهر خلاف
قوله صلى الله عليه وسلم من كتبه اى من الكتب التى عندهم مما انزل على انبيائهم ولا ابدا اى اظهر نقلا
صحيحا ولا سقيما اى محرفا لفظا او ما ولا معناه من صحفه جمع صحيفة وهى الكتاب قال الله تعالى
بيانا لما كانوا عليه فى هذه الامر يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب ببعثته صلى الله عليه
وسلم وشانه ويعفو عن كثير لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله الاية وهما وقد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه
ويهديهم الى صراط مستقيم فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة فى غاية
الظهور لا نزاع فيها اى لا ينازع احد من العقلاء فى كونها ثابتة معجزة ولا مرية بكسر الميم وضمها
كما مر يعنى شبهة وشك فى ذلك وهى عامة فى جميع الايات وفى جميع الاخبار الواقعة فيها كما قال

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه
الوجوه الاربعة اي جمع اية او اسم جنس جمعي كتمر وتمرة وليس كل ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم
جنس جمعي كما فصله البدر بن مالك في باب الجمع من شرح الالفية والاية جملة من القران لها مبداء
ومقطع كما مر وردت بتعجيز قوم اي جاء فيها اظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس في قضايا جمع
قضية وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاه الله تعالى وقدره واعلامهم انهم لا يفعلونها الاعلام
بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على تعجيز والضمير للقضايا فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
المذكور من تلك القضايا ونفي القدرة ابلغ من نفي العلم كقوله عز وجل لليهود لما ادعوا دعاوى
باطلة لقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم والزمهم الحجة فقال خطابا
له صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الاخرة وهي الجنة عند الله خالصة اي خالصة بكم
وهو حال من الدار الاخرة والخطاب لاهل الكتاب من دون الناس اي باقيهم من المؤمنين غيرهم
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في قولكم انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم من تيقن دخول
الجنة اشتاق لها او يحب التخلص من هذه الدار واكدارها ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه ولن يتمنوه
ابدا بما قدمت ايديهم فنفى عنهم تمني الموت في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا وما قدمت
ايديهم الكفر بالله وتحريفهم التوراة فما في هذه الاية من المعجزات لانه اخبار بالغيب وهو كما اخبر
اذ لو تمناه احد منهم مع توفر الدواعي على نقله اشتهر والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية كما يأتي
فالمنطق به وقولهم تمنينا مما لا يخفى ولو تمنوه ها تواتم حرصهم على الحياة وخوفهم ان تمنوه وقد صده
فنهم الله تعالى عن ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم وقد استشكل ما قاله المص هنا بان
ما ذكره هنا داخل في الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل قوله فأتوا بسورة من مثله
الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاعلامهم بانهم لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل
في النوع المتقدم لانه اخبار عما استاثر الله بعلمه في المستقبل فجعله ادنى منه غير مسلم وقد سوى
بينهما في الكشاف والجواب عنه بان ما تقدم امر معجز في نفسه في سائر الازمنة بخلاف ما نحن فيه فان قول احدهم
ليتني اموت ونحوه امر ممكن لهم ولغيرهم واعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لما
قبله وادنى منه بمراتب قال ابو اسحاق الزجاج في تفسيره المسمى بمعاني القران وهو تفسير جليل يعتمد
عليه الزمخشري في كشافه وهو ما حاز كما مر وهو العلامة في فنون العربية التي تلقاها عن المبرد
واسمه ابراهيم بن السري بن سهل بن الزجاج نسبة لصنعته توفي سنة احدى عشرة وثلاثمائة يوم
الجمعة تاسع عشر جمادى الاخرة كما تقدم في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة
اي رسالة محمد نبينا صلى الله عليه وسلم لانه قال فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه
احد منهم وفي نسخة احد منهم وفي الكشاف فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو لا يطلع عليه احد
فمن اين علمت انهم لن يتمنوه قلت ليس التمني من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لي
كذا وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه
بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفي حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمني ليس من افعال القلوب

لان التحدي انما يكون بامر ظاهر وفيه ان التحدي انما يكون باظهار المعجز لالزام من لم يقبل الدعوى والتمني
ليس بمعجز فهو كقول الخصم اخلف لي ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدي هنا بطلب دفع المعجزة فان اخباره
بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لا يكون الا بامر ظاهر وكلام حسن منعم قول
من لم يصل الى العنقود وعن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من طريق الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما بهذا اللفظ الاتي ولاحمد في مسنده عن ابن عباس
مرفوعا بسند جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذي نفسي بيده اقسم بالله قسما
مناسبا للمقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فيحيى وان شاء امسكها
فيموت وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقسم به لا يقولها اي كلمة التمني المفهومة
من السياق رجل منهم اي ان احدا من بني اسرائيل والرجل على ظاهره والمراد ما يعم المرأة الا غص
بريقه غص بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة او بفتحها وفاعله ضمير الرجل وعليه
اقتصر بعضهم ولا ثنيا في الاول لسكونه لا زما كما توهم والغصة ما يقف في الحلق فيمنع النفس
حتى تهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالشراب وشجي بالعظم وجرض بالريق وقد يستعمل كل منها
مكان الاخر والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم
كما في النهاية واليه اشار بقوله يعني يموت مكانه اي في مكانه الذي غص فيه فلا يمهل لانتقاله
لفراشه فصرفهم الله عن تمنيه مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت وجزعهم بفتح الجيم وتشديد
الزاي المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفي نسخة في جزعهم وكون جزعهم بالمهملة غلط ليظهر
صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحي اليه ثم بينه بقوله اذ لم يتمنه احد منهم
بخوف الموت لتيقن صدق خبره وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا على تكذيبه بان تمنوا ولا يموتوا
والجملة حالية بتقدير قد ولكن الله بالتخفيف والتشديد يفعل ما يريد من تمنيهم وعدمه فظهر
بذلك اي بصرفهم عما هو احرص عليه معجزته وبانت حجته بصدق خبره عن الغيب قال ابو محمد الا
صيلي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته من اعجب امرهم الى اليهود انه انهم لم يوجد منهم جماعة
ولا واحد من يوم اي من حين امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله قل لهم فتمنوا الموت يقدم عليه
اي على تمني الموت ولا يجيب اليه الى قوله تمنوا او لم يقل احد تمنيت الموت لشدة خوفهم ولما علمه الله
عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم احرص الناس على حياة وهذا المذكور من امتناعهم
عن التمني موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم اي كل من اراد ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر ما في طباعهم
والامتحان هو التجربة وانما ذكره دفعا لما يقال التمني امر خفي فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه
وكذلك اية المباهلة اي مثل قصة النبي صلى الله عليه وسلم في بني اسرائيل قصة المباهلة في نصارى
نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لو قالوه هلكوا وقد اخبر الله تعالى به قبل وقوعه فكان كما اخبر
ولم يجبه احد منهم الى ما دعاهم اليه كما لم يتمن اليهود الموت فهو من هذا المعنى يعني انهما متقاربان
كما قررناه انفا فاصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال كارسال البعير
وتحل صرار الناقة يقال ابتهلت فلانا اذا خليته وارادته ومنه الابتهال وهو تضرع الدعا

قال ومن عشوه باللعن فلما فيه من الاسترسال خيه قال الشاعر نظر الدهر اليهم فابتهل اى استرسل اليهم
فافنا هم انتهى وفيه رد على بعض اهل اللغة حيث وقد عليه الوفد هو القادم من عند اهل الديار كما
مر وحيث هنا للزمان اى لما قدموا عليه من ديارهم اساقفة نجران جمع اسقف بضم الهمزة والقاف
وبينهما سين مهملة واخره فاء مشددة وهو رئيس النصارى فى دينهم قاضيهم وامامهم قيل سمى
لانخنائه وخضوعه ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهى بين مكة واليمن على سبع
مراحل من مكة قدموا فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا منهم اربعة عشر
رجلا روساهم ومنهم ثلاثة نفر يعيدهم كل امرهم واميرهم اسمه العاقب وذو رايهم كالوزير اسمه الايهم
وثمالهم السيد وصاحب رحلهم الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وايل اسقفهم وامامهم وقصتهم
مشهورة فى الاسلام وابوا الاسلام اى متنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه فانزل الله
تعالى عليه صلى الله عليه وسلم فى خصمهم اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم الاية وتمامها فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل
فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى وانفسنا وانفسكم اى ليدع بعضنا بعضا فان الانسان
لا يدع نفسه وكيفيتها كما قصه الله تعالى ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه كل منهما الى الله
تعالى ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذبين منا فان
عذاب الله يحل بمن كذب من بطن وهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام اسند اليه
بعض اهله شيئا لم يقله فقال اباهله الى الله ففعل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع
الاهل تخويفا لهم بحلول العذاب بهم اجمعين ومن قال هنا بمعنى البهلة بالضم والفتح اللغة
لم يصب كما مر عن الراغب وهذا مما نحن فيه من وجه ومن قال الاسقف مشتق كما قال ابن السكيت
والها للعجمة ففى كلامه تناقض فامتنعوا منها اى من المباهلة خائفا لما شاهدوه من هلاك على
انفسهم بدعائه ورضوا باداء الجزية وهو الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يعين على الاراضى
فاختاروها مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله عليه وسلم مالك تشتم نبينا فنقول
عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت
انسانا من غير اب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله الى اخره ثم دعاهم للمباهلة وذلك ان العاقب
عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم اى هلكوا جميعهم لاجابة
دعائه عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروى ان القائل
لهذا منهم هو السيد الذى كان يسمى سرجيل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا يكن لكم
وعليكم ما للمسلمين وعليهم فابوا فقال انا تلكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على ان لا
تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نودى اليك كل عام الفى حلة الفا فى صفر والفا فى رجب
فصالحهم صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا مسخوا قردة وخنازير واضطرم
عليهم الوادى نارا وفيه دليل على شرعية الملاعنة قال فى المواهب وقد جربته وانه لا يمضى
على الكاذب سنة كما سمعته وقد علمت ان هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود من تمنى الموت

ولذا

ولذا اورده المصنف هنا ومثله قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا اى مثل قوله فمن حاجك فيه فاخبرهم الله تعالى فى هذه الاية انهم لا يفعلون فى المستقبل
ابدا وهو ما دل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهى قوله ولن تفعلوا كما كان فى الماضى
الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القران امر محقق وقع وانما اتى بان الشرطية
وكان مقتضى المقام اذا باعتبار ما عندهم من الشك فى قدرتهم تهكما بهم وهذه الاية اى قوله
تعالى وان كنتم فى ريب الخ ادخل فى باب الاخبار بالغيب اى اندراجها فيه اظهر واوضح لتحقق
النفى فى المستقبل بالنفى فى الماضى الذى علم من التحدى بخلاف اية تمنى الموت واية المباهلة لعدم
شىء من نوعها وقيل لان نبينا تصريحا بنفى فعلهم فى المستقبل بخلاف اية المباهلة فان فيها اشعارا
بالعجز عن المباهلة فى الحال والاشعار بالنفى فى المستقبل الذى هو من الاخبار بالغيب من لوازمها
لا من صريحها وفيه بحث ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها اى فى اية سورة البقرة التى فيها تعجيزهم
عن الاتيان بمثل سورة مما من مثله تعجيز كتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر فانهم لم يعجزوا عن المباهلة
وانما خافوا من عاقبتها فاجتنبوها ولو ارادوها لم يكن عندهم مانع منها فتدبر ومنها
اى من وجوه اعجاز القران وجه غير الوجوه الاربعة التى تقدمت الروعة بفتح الراء والعين المهملتين
المرة من الروع وهو الفزع والخوف الذى يطرق عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع سيدنا
عمر رضى الله عنه كما سمع اول سورة طه فاسلم من غير كد لما وقع فى قلبه عند سماعها التى يلحق
قلوب سامعيه اصله تلحق قلوبا لسامعين له فحذفت نونه للاضافة لضمير القران واسماعهم
بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسمح لان الفزع لا يلحق
السمع وانما يلحق القلب بواسطته وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى اذا ضلت
كما حقق فى الكشاف وشروحه وانما عطف عليه ليفيد ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه
مؤمنا كان او كافرا انما قيل ان فى عد هذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظر لانه معنى زايد على
النظم مشروط بتدبره وهو فى المؤمن واضح واما فى الكافر فليقربه ليس بسديد لمن القى السمع
وهو شهيد وقوله عند سماعه اياه والضمير للقران والهيبة بالرفع معطوف على الروعة ومعناه
الخوف والتحقيق انهما ليسا بمعنى واحد كما فى عروس الافراح قال ربما يتوهم ان الروع والمهابة واحد وليس
كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال هابك اجلالا وما بك قدرة على ولكن ملء عين
حبيبها وقال الشريف فى قوله السكاكى دخال الروعة وتربية المهابة يراد بهما عرفا الحالة التى تكون
فى قلوب الناظرين الى الملوك وتربيتهما تقويتهما والروعة الخوف الذى يحرر بمخاطبتهم انتهى التى تعتريهم
اى تطرق عليهم وتغشاهم عند تلاوته وقراءته والاول ناظر للسامع والثانى للقارى نفسه اوهما
بمعنى لقوة حاله اى لما فيه من الحالة الفوقية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار وهذا ناظر
للروعة عند من فهمه وانافة خطره اى علو رتبته على غيره من الكلام الذى يهابه معه فهو ناظر للهيبة
وهى على كل منهما وهى اى الروعة والهيبة وافراد الضمير لانهما شىء واحد وكالواحد على المكذبين به
اعظم منها على المؤمنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن خائف والمؤمن وان هابه فهو متلذذ به

مطمئن قلبه يشاوره حتى كانوا اى المكذبون يستثقلون سماعه لصعوبته ما فيه عليهم ويزيدهم سماعه
نفورا عن الحق والاصغا اليه كما قال تعالى واذا ذكرت ربك فى القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا
اى ولوا معرضين عنه لعدم ذكر الهتهم فيه ويودون اى يحبون انقطاعه اى قطع تلاوته عندهم لكراهتهم
له لخبث طبايعهم كما تضر رياح الورد بالجعل ولهذا المذكور من محبته انقطاعه وكراهتهم له قال صلى الله
عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الديلمى وغيره عن الحكم بن عمير وسياتى بتمامه ان القران صعب فى نفسه
بمعنى انه لا يقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال تعالى انا سنلقى عليك قولا
ثقيلا مستصعب بفتح العين وكسرها اى يعسر فهمه وتغييره بالراى ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر على من كرهه من الكفار
والمنافقين وهو اى القران الحكم بفتحتين اى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام
والبر والفاجر بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيقته ولذا قيل له فرقان وهذا فى حق غير
المؤمن واما المؤمن معادلة لاما مقدرة معلومة مما قبله اى اما غير المؤمن فلا يزال صعبا عليه
لكراهته له واما المؤمن فلا تزال روعته به بفتح الراء اى فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه
وهيبته منزله الحاصلة بسببه وهيبته اياه الضمير الاول للمؤمن والثانى للقران او بالعكس
مع تلاوته اى قراءته من تلاه اذا تبعه او هو بمعناه اللغوى اى اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة
فى العرف تختص بالقران وقيل لا تختص به توليه اى تعطيه من اولاده معروفا اذا اعطاه فهو
بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة انجذابا بنون وجيم وذال معجمة
وموحدة من جذبه اذا اماله بجهته بشدة اى يستميل قلبه وسمعه لمحبته له وشبه المنجذب
منجذب اليه وتكسبه بضم التاء الفوقية وسكون الكاف هشاشة بفتح الهاء والشين المعجمة
اى سرورا وخفة ولينا لما فيه من البشاير المسارة والمعانى اللذيذة التى تجعله فى نشاط لميل قلبه
اليه وتصديقه به فهو دايما يرتع فكره منه فى روضات انيقة فاذا عرف من نياحى وانجليلى الرحمن
سرور نشاط ثم استشهد لهذا بقوله قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله اى يعرض لجلودهم ابدانهم قشعريرة اى قيام من الخوف من هيبته فاذا تامله وتدبره
لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى بعض الصالحين اذا تلى القران تواجدوا وصاحوا وقد
يتعدى ذلك الى الغشى وشق الثياب ونحوه مثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف ولا ياتى هذا انه
لم يقع من الصحابة رضى الله عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط هذا فى الاحيا فان اردته فارجع
اليه وعدى تلين بالى لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود فى الاول وضم اليها القلوب فى الثانى لان
الحال الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر ذلك وقر فى قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه وقال
تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية يعنى لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التى تهد الجبال فما بالك بالرجال والاية
مبنية فى التفاسير فلا حاجة للتطويل بذكرها فيما ويدل على ان هذا اى ما يحدث للقلوب الاسماع
من الروعة والمهابة شىء خص به القران دون غيره من الكلام انه امر يعتريه اى يطرقه ويحدث لمن لا يفهمه

معاينته ولا يعلم تفاسيره مما لا يمارس كتبه ويقروها حتى يقف على دقايقه ولطائفه فعلم من هذا
ان تاثر سامع به ليس فيه وامر ربانى ولذا كان شاب قارى وسامعه وان لم يفهم يجد وغيره
كما روى عن نصرانى ليس من شانه فهم القران لا الوقوف على تفسيره ففيه ايضاح لما فيه انه مر بقارى
يتلو القران نجها فوقف يسمع وهو يبكى فقيل له مم بكيت وانما سئل عن تسبب بكائه لانه لا يصدق
ولا يفهمه فقال للشجا والنظم الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجاه يشجيه شجا
وهو شجى اذا حزن او طرب وغضب والثانى انسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رونق
انتظامه وحسن انسجامه فاثر ذلك فى نفسه وهو لا يفهمه حتى ابكاه وسمع بعض العرب بخراسان
مغنية الصوت تغنى بالفارسية فشوقه ذلك وابكاه وقال ومسمعه يحار السمع فيها
ولا يفهمه لا يصم صداها ولم نعم معانيها ولكن ورت كبدى فلم افهم شجاها فلنت كانى
اعمى معنى يحب الغانيات ولا يراها ولم يذكر المص رحمه الله ان ذلك القارى قرا بصوت
حسن حتى يكون تاثره وطربه لنغماته وهو ابلغ وادل على ما قصده وهذه الروعة الحاصلة
عند سماع القران لمن لم يتدبره قد اعترت جماعة وحصلت لهم قبل الاسلام اى قبل اسلامهم
وبعده ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه تسمح فى العبارة لان القبيلة تقتضى
عروض الاسلام فلا ينافى قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لا تخلو من المسامحة
وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من اسلم ومنهم من بقى على كفره بقوله فمنهم من اسلم
لها اى لهذه الروعة لاول وهلة بفتح الواو وسكون الهاء وهى المرة من الوهلة وهو الفزع
يقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة لاول ما يقرع السمع ويقع فى الوهم والفكر
وهو المراد كما اشار اليه فى الاساس واسلم بمعنى اقر واعترف وامن به اى صدق بقلبه ومنهم
من كفر اى دام على كفره لاصراره على عناده لحماقته وجاهليته فحكى الحديث الصحيح الذى رواه
الشيخان مسندا عن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف الصحابى رضى الله عنه
وقد تقدمت ترجمته وانه اسلم فى فتح خيبر او فتح مكة انه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفى نسخة النبى يقرا فى صلوة المغرب وذلك قبل اسلامه بالطور اى بسورة
الطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شىء اى من غير خالق لهم كما يقول الدهرية ام هم الخالقون
لانفسهم بشهادة قوله بعده ام خلقوا السموات والارض وقرا الى قوله ام هم المسيطرون
اى المدبرون للاشياء كما يريدون وبينهما بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك يقال المسيطر
ومسيطر للسيد المالك كاد قلبى ان يطير اى حدث عندى فزع وخوف شديد ظننت ان قلبى
ذاب وفنى حتى لم يبق معى وطيران القلب يراد به نادر شدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب
متحرك وابها الحرارة فاذا زالت الحرارة الغريزية لخوف او شدة شوق وحب زاد خفقانه
فشبه بطاير يخفق جناحه كما قال القائل كان قطاط علقت بين اضلعى لان فؤادى دايم
الخفقان وقمت بجا القلبى طاير فزعا وعليه ناحل ضلعى قفص وعليه قول العرب افرخ
روعه كما فى كتب اللغة وفى رواية اخرى غير رواية الشيخين وذلك اول ما وقر الايمان فى قلبى

خفقي

وقربالقاف بزنة ضرب يعني سكن وثبت وذلك انه كان مشركا في اسارى بدر واوفدا اسا راها فلما سمع الاية
وفهها علم مافيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لاخالق يستحق العبادة الا الله
فسكن قلبه بعد اضطرابه حتى كاد يطير وهذه رواية البخاري ايضا في المغازي وفي رواية فصدع قلبي
وفيه دليل على صحة رواية المسلم ما يحمل حال كفره وفيه بيان لروعة القران لمن سمعه وان تلك الروعة
سبب لاسلامه وعن عتبة بن ربيعة هو ابو الوليد بن عبد شمس بن مناف المشهور وهو ممن قتل
كافرا ببدر فلا يتوهم اسلامه بقول المص عن عتبة هنا وهذا الحديث رواه ابن اسحاق في سيرة
والبغوي في تفسيره انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه يشير الى في السير
من ان ابا جهل لعنه الله تعالى قال لقريش قد التبس علينا امر محمد فلو اتاه سامن كلمه فذهب الى عتبة
وكان ذا راى وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هشام انت خير ام عبد المطلب فلم تشتم الهتنا
وسفه احلامنا وتضللنا وانت منا بسطة قومنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللوا
وكنت رئيسا وان كان بك الباة زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت تريد المال جمعنا لك
من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كان لك رئي لا تستطيع رده طلبنا لك المطب وفيه اموالنا
او كما قال والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه ثم فرغ فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم
قال اسمع مني ما اقول فتلا عليه اي على الوليد ومن معه او من علم انه سيبلغه ما تلاه عليه
من سورة حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي الصاعقة التي اهلكت قوم هود وقوم صالح
فامسك عتبة على فيه اي وضع يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقطع كلامه وما تلاه
عليه من هذه السورة لخوفه من وقوع ما انذرهم به وفي نسخة فامسك عتبة بيده على في النبي
صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف اي ساله مقسما عليه بالرحم وهي القرابة القريبة
المقتضية للرحم والتعطف عليهم من حلول ما ذكره من العقاب بهم يقال ناشدته ونشدته
اذا اقسمت عليه قسم استعطاف وفي رواية اخرى لابن اسحاق في سيرته عن كعب القرظي
رحمه الله فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقراء قال الراغب جعل لفظ عام في الافعال كلها
اعم من فعل وصنع واخواتها وتاتي على اوجه فيجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى تقول جعل زيد
تقول كذا الخ فالمعنى انطلق في قراءة السورة وقوله لا يتعدى اي هي من افعال الشروع والفعل
خبرها لانه مولها والشروع لا ينافي الاستمرار كما توهم وعتبة مصغ اسم فاعل معتل بوزن منذ
اي يستمع لقراءته منصت لها ملق بيديه خلف ظهره لاعتماده عليهما فقوله معتمد عليهما فالتفسير له
حتى انتهى اي وصل الى اية السجدة فسجد صلى الله عليه وسلم وقام عتبة من عنده
لا يدري بم يراجعه اي يكلمه بعد تلاوته لروعته التي ادهشته بما سمعه منه صلى الله عليه
وسلم ورجع الى اهله اي دخل عتبة منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر خبره ولم يخرج
من بيته الى قومه واستمر في بيته حتى اتوه ليسالوه عن انقطاعه عنهم ما سببه فاعتذر لهم
عن عدم خروجه لهم واخباره بما جرى له معه صلى الله عليه وسلم وقال فيما اعتذر لهم به

والله

والله لقد كلمني النبي صلى الله عليه وسلم بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط اي بمماثل له
في حسنه وحسن الله وتاثيره في القلوب فما دريت ما اقول له فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم
الظالمين وفيه دليل لما يحدث منه من الروعة والهيبة لمن بقي على كفره ممن اضله الله على علم وفي
رواية لما رواه قالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا
ما وراك يا ابا الوليد قال وراي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه
واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبا عظيم فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان
يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا ابا
الوليد قال هذا رائي فيه فاصنعوا ما بدا لكم ولقد حكي بالبناء للمجهول من غير واحد اي عن كثير
وغير الواحد شامل للقليل والكثير ولكنه خص عرفا بهذا الامر ممن رام معارضته اي قصد
ان ياتي بكلام يماثله في البلاغة انه اعترته اي حدثت له واصابته روعة وهيبة حتى تلاه
وسمعه كف بها اي منعته الروعة والفزع عن ذلك اي المذكور من المعارضة ذكر بعض ما سخف
عقله ممن هم بذلك فقال فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه اي قصد معارضة القران والكلام
بما يماثله وفي المقتفي للبرهان الحلبي المقفع بضم الميم وفتح القاف المشددة قبل العين المهملة
ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة الفاء وهي مضبوطة في النسخ بالكسر الذي حفظه الفتح
وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له مروان بن المقفع فليحرر هل هو هذا ام لا انتهى وهو غريب
من هذا الحافظ فانه بالفتح من غير شبهة قال في القاموس مقفع اليدين كمعظم بفتحها ومروان
بن المقفع تابعي وابو عبد الله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه روزبه او داذبه بن داذويه مجوسي
قبل اسلامه وكنيته ابو عمرو ولقب ابوه بالمقفع لتقفعت يداه اي تشنجتا وهذا مما يعرفه
الخاصة والعامة الا ان التلمساني قال في حواشيه المقفع اليابس اليدين والرجلين من برد
وقال ابن مكي في تثقيف اللسان ان الصواب فيه المقفع بكسر الفاء لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة
وهي شيء يشبه الزنبيل بلا عروة من خوص وليس بالكبير وقيل انه كان المنصور وهو اول من هذب
المنطق وقتله سفيان المهلبي لما ولي البصرة وحضره اهلها وفيهم ابن المقفع فذكر عنده
الوطيس فلم يعرفه وسال عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فامر ابن المقفع
بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم وامر بان يسجر وامر بطرحه فيه فاحترق كما
في مشكاة انوار الخلفا وكان ابن المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن
عن القران وصياغة هذيان يعارضونه بها كما اشار اليه المص بقوله وشرع فيه
اي في المعارضة وذكره لان تانيث المصادر غير حقيقي لتاويله بان والفعل فمر بصبي يقرء
وقيل يا ارض ابلعي ماءك وقد تقدم بيان بلاغتها وما فيها من الاعجاز على ما في المصباح
وشروحه فمحى جميع ما عمله يعني غسله وابطل ما في صحفه لما راها لا مناسبة بينها وبين
شيء من الكتاب العزيز وقال اشهد اي اقر معترفا واعلم كل احد ان هذا لا يعارض ولا يقدر

احد على الاتيان بمثله وما هو من كلام البشر لظهور اعجازه وكان افصح اهل وقته فلبس ممن
قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصياغة والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه وكان
يحيى بن الحكم بفتح الحاء المهملة وكاف مفتوحة بعدها وقيل انما هو الحكيم لوزن الطيب كما ذكره
الذهبي وقال انه من شعراء المائة الثانية توفى بعد مائتين وخمسين ولست على ثقة منه وذكر ابن خلكان
فى تاريخه وقال انه من شعراء الاندلس وذكره فى الذخيرة ايضا الغزال بمعجمتين وزنه مشددة
وقيل انها مخففة عند الذهبي ايضا فى كتاب المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل
وعلى الثانى هو علم منقول من اسم الحيوان وهو بكرى قرطبى لدار كان فى زمن هشام بن الحكم اول
الذى ذكره ابن حيان فى المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيى بن الحكم البكرى الجيانى لقبه بالغزال فى صغره
لحسنه وكان فى المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر فى غاية الحسن وارتحل لمصر ثم
عاد للاندلس وعمر اى بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها
فنادمه وسالته امراة عن سنه فقال عشرين سنة فقالت له فما هذا الشيب فقال اما رايت
مهرا ولدا شيمت فضحكت والى هذا يشير بقوله فى قصيدته قالت ادى فوديه قد نورا دعابته
توجب ان ادعيا قلت لها ما باله انه قد ينتج المهر كذا اشهبا قال وحكى انه اراد ان يعارض سورة
الاخلاص فعرضت له حالة اوجبت توبته وهو ما ذكره المص الاتى بليغ الاندلس فى زمنه
اى معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر فى عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها
وضم الدال اللبس الاولى وهى معربة لم تتكلم بها العرب قديما وانما عرفتها فى الاسلام قال ياقوت فى معجمه
اشتهر على الالسنة انها تلزمها ال وقد وردت بدونها فى قول بعض العرب سالت القوم عن انس
فقالوا باندلس واندلس بعيد وهى بلغتها انها لا نظير لها سوا قلنا فعلل او فيعلل والظاهر ان الهمزة زائدة
لان بعدها اربعة احرف ولو كانت عربية جاز ان يقال وزنها انفعل فان قلت قال سيبويه اتحل
الشيخ المسن لا يعرف ما فى اوله زيادتان لما ليس جاريا على الفعل قلت هو فى العزل المحت
وهى تجاه تونس ارض تحتوى على بلاد ولييت جزيرة الا ان البحر يحيط من ثلاث جهات هى اكثرها
فلذا سماها بعضهم جزيرة حكى بالبناء للمجهول انه رام شيا من هذا اى معارضة القران ونسخ
كلام على منواله فى الفصاحة فنظر فى سورة الاخلاص التى هى اقصد سورة اى تدبر فى نظمها ليأتى
من عنده بمثلها وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد
لذات الله وصفاته ليحذو على مثالها مر حذوه بحاء مهملة وذال معجمة اذا قطع نعلا اى مقابلته
وحذا النعل بالنعل اذا قطعها بمقدارها وقابلها فالمعنى ليقول مثلها وفى الحديث لتركبن سنن من قبلكم
حذو النعل بالنعل اى تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة ونقص وهو استعارة تمثيلية وينسج بزعمه
بزاى معجمة مثلثة وهو الظن واكثر ما يستعمل فى الكذب فان زعم مطية الكذب على منوالها
هو بمعنى ما قبله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية ومكنية
تشبيه المتكلم والكلام ببرود تنسج واثبت لها ما له من النسج والنوال وهى تمثيلية او تبعية
وهو امر سهل قال اى ابن الحكم فاعترتنى اى عرضت لى فى حال النظر خشية اى خوف وتعظيم له ورقة

اى دقة قلب بخوع او ضعف ولين حملته النقات اذ الظاهر حملتنى والحمل الالجا والقسر على
التوبة على ما كنت هممت به والندامة على ما عزم عليه والانابة اى الرجوع عنه وفى نسخة
والاوبة وتركه لذلك لعلمه بانه امر لا يقدر عليه البشر ومن وجوه اعجازه المعدودة
اى الذى عده العلماء منها اثباته الى انه مسبوق بذكر كونه اية ومعجزة باقية فسره بقوله
لا تعدم ما بقيت الدنيا اى مدة بقائها الى قيام الساعة وما ورد فى حديث حذيفة من انه
تاتى ليلة يرفع فيها القران لا يبقى فى الارض منه اية هو بعد نزول عيسى بن مريم عليه الصلوة
والسلام وظهور ياجوج وهو فى حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سواء
وبقاؤه ببقاء تلاوته محفوظا من النسخ والتبديل والتغيير وهذا فضل تميز به من ساير الكتب
الالهية فضلا من غيرها وما قيل من ان عد هذا من وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق
بالنظم المعجز اصلا فقط فان بقاءه كما ذكر من لوازم اعجازه بعد مشابهته لكلام البشر حتى يؤتى
بامثاله او يدخل فيه ما ليس منه او نقول انه من جملة ما اخبر الله به عنه فهو من غيبه وهو
انسب بقوله مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والمراد
بالذكر القران وضميره له لدلالة صلى الله عليه وسلم فلما تولى حفظه بعظمته وجلال
ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا فيه من كتاب الله لما تقدم تابد وتايد
حفظه لبقاء حافظه ورفعة نعمة حفظه وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
الاية فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات ما يبطله ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه
او ينسخه وساير معجزات الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام اى بقيتها غيره انقضت
اى مضت وذهبت بانقضاء اوقاتها اى بعد عصرهم وزمن وجودهم الحدث فلم يبق الا خبرها اى
الاخبار المأثورة عنها دون ذاتها ونفسها كعصا موسى وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو
مذكور فى السير كما قيل وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى والقران العزيز
اى المنيع المحمى بحماية من قاله الباهرة اياته اى الغالبة لغيرها والظاهرة واياته بمعنى انواع
معجزاته السالفة او كل اية متلوة منه ففوقه الظاهر معجزاته على الاول توضيح وتوكيد وعلى
الثانى بيان وتاسيس باقية على ما كان عليه اليوم اى الى يومنا هذا فتعريف اليوم
للتعريف الحضورى كهذا الان والجار والمجرور خبر المبتدا وهو القران والمراد باليوم
عصر المؤلف كما اشار اليه بقوله مدة خمسماية عام وخمس وثلاثين سنة وروى سبع
بدل خمس والصواب الاول لانه روى ان تاليفه للشفاء كان فى ايام قضائه فى سنة
خمس وثلاثين وخمسماية قال التلمسانى هكذا نقله الثقاة عن ابى عبد الله بن مرزوق
ولم اسمعه منه انتهى لاول نزوله الى وقتنا هذا اى من ابتداء الوحى ونزول القران على نبينا
صلى الله عليه وسلم الى وقت تاليف المص لهذا الكتاب فاللازم بمعنى من سمعته
صحيحا اى منه كما ذكره النحاة ويدل عليه مقابلته بالى حجته قاهرة المراد بالحجة نفس القران
اى هو حجة غالبة لمن كفر به او المراد ما فيه من الحجج والادلة ومعارضته ممتنعة اى الاتيان

بمثله لا يمكن ولم يقع والاعصار كلها الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لا ضم وسكون لان جمع الجمع
غير قياسي وطلحة بطا وحا مهملتين بينهما الف وفا من طفح اذا فاض ونذ فوق باهل البيان متعلق
بطلحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتليه فظاهر وان كان استعارة تخييلية على ان البيان مشبه
بالما على طريق الكناية والمعنى بالبيان اهل الكتابة والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة
على حسب مقتضياتها وحملة اللسان حملة جمع حامل اى كاتب وكتبه وهو الحافظ اللسان
بمعنى اللغة العربية وايمة البلاغة اى العلما بعلم البلاغة من المعاني والبيان وقرض الشعر
وغيره من العلوم الادبية وفرسان الكلام الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم
بكلام بليغ نظما ونثرا وفيه استعارة مكنية تخييلية اذ شبه الكلام بجواد قاده والمتكلم
برجل عارف برياضته والسبق به واثبت له وجهابذة البراعة البراعة اى اساتذة الفصاحة
الفائقة فى بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والبا وبينهما ها ساكنة وآخره ذال معجمة يقال الرجل
جهبذ اى عالم نحرير وهو لفظ معرب وأصل معنى الجهبذ النقاد البصير والمسمار للخبير
فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذى عندى فى هذه التراكيب الخمسة ان المراد بها اهل اللسان
العارفون به بجملة نقادة وطبيعة ورقة والعلما بعلوم العربية واللغة فالمراد باهل
البيان الفصحا وبالجملة علماء اللغة وبلاغة البلغا الخطاب من العرب العربا وبالفرسان
الشعراء واهل الانشا المحدثين وبالجهابذة العلما بقرض الشعر وانشاء النثر فلا تكرار
فى كلامه وان كان مقام خطابة يحمد فيه البسط والاسهاب ولذا كان هؤلاء فرقتان
منهم لا يكد طبعه فى العناد وضده والملحد منهم كثير الملحد اسم فاعل من الحد عن الحق اذا مال
ومنصلح لبقوة الالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب
والاول ينافى الايمان ويبطله والثانى يوهن عراه ويحل عقدته والمعادى للشرع عنيد اى
مهيا حاضر باذل جهده فى عداوته واعتدوا عد معتقدا بان لفظا ومعنى ومع كثرة من يريد
المعارضة مما منهم من انى بشئ من الكلام يؤثر اى يحفظ وينقل فى معارضته والاتيان
بما يماثله ولا الف كلمتين فى مناقضته المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقايض
جرير كما تقدم وهى المراجعة والمحاورة ولا قدر فيه على مطعن صحيح اى لم يعبه ولم يعترض
عليه باعتراض يسمع منه وقد فعل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار سخرة كما بين فى
مطاعن القران التى ذكرها السلف ولا قدح القدح ذكر المعايب يقال قدح فى نسبه
وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد فه ضربه لاجل النار والمراد الاول ولكن فيه تورية بالثانى
لقوله المتكلف من ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح والمتكلف هو الذى يفعل ما لا يحسنه
بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح والطعن والشحيح البخيل استعير
للزند الذى لا يخرج منه شرر منيرة اى لم يفده قدحه شيئا غير الخيبة يقال زند شحيح اذا
كان لا يورى ولله در المص ما الطف صنعه ومن لم يذق حلاوة كلامه قال لو قال ولا ضرب
المتكلف بسيف ذهنه الا ارتد وهو جريح وحسن استعارته تكون الذهن يوصف بالتوقد

والاشتعال

والاشتعال كما قيل ويكاد يحرقه توقد ذهنه لولا مياه الجود فيه والنداء لكن لا يقدد
الجناذ اما فما ابلغ السكوت فى محله بل المأثور والمنقول عن كل من رام ذلك او قصد الطعن
فيه نذكر ما يودى زكاة جمعه القاوه فى المجرهبدية الالقا بالقاف بمعنى الرمى ومفعوله
محذوف اى القاوه نفسه ورميها فى مهالك المجرومها وية فشبه المجرهبية ونحوها فما يهلك
الواقع فيه ويدية متعلق به اى هوا الرامى والطارح لنفسه وقيل معناه التى نفسه بهما فى المجز
وللزومه له جعله ظرفا له وهو معنى ركيك وقول التلمسانى انه القا بالغين المعجمة من لغو الكلام
الذى يحسن السكوت عنده لا عليه والنكوص على عقبيه اى المأثور الرجوع عما قاله بالاعتراف
بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما مؤخر الرجل اذا رجع القهقرى وقال الراغب النكوص الاحجام
عن الشئ وفى القاموس نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير فخصه بالرجوع عن الخير
ووهم الجوهرى فى اطلاقه وقيل عليه ان قلت معارضة القران شر فكيف يكون الرجوع
عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبنى على زعمه او هو تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان
يوم بدر عن اعانة قريش على النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما ترات الفئتان
نكص على عقبيه على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا اقول هذا استعارة
من رجوع القهقرى لانه معنى الرجوع على العقبين حقيقة فتجوز به عن العود الى حاله
الاول مطلقا شرا كان او خيرا فالحق ما قاله الجوهرى وقد عد جماعة من الائمة
ومقلدى الامة ضبطه بفتح لام مقلد ليناسب ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول
المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الى ضعف قوالهم فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قاريه
لا يمل اى لا يسام طبعه من كثرة قراته ولو اعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة
المعادات وسامعه لا يمجه اى لا يكره تكراره على سامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه
من فيه فالمج حقيقة طرح المايع من الفم فان كان غير مايع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام
الفم واللفظ مقام الماء لرقته ولطفه وهى استعارة لطيفة كما قال الغزى فيما تقدم ونفى
المعتاد يحسن بعضه للمورد حذا بالانزف فقيل فاستعير لتركه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية
فكانه كالنفس الذى يكرر لا يمل عنه لانه مادة الحياة كما قال الغزى ادى حديثك ما امللت
مستمعا ومن يمل من الانفاس ترديدا ومجه يمجه بضم الميم المضارع كقتله يقتله فهو من باب
قتل بل الاكباب على تلاوته اى ملازمته قراته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على الوجه
كما قال افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى وفى اختياره على الوقوع اشارة الى توجهه اليه قال
لبيد ينوح الها مكبى على يديه مكبا يجتلى نقب النصال يزيده حلاوة اى تزداد قراته تزيده
حلاوة ففيه ترق من عدم الملل الى زيادة حلاوته واصاب به المحز لانه ما يمج يكون مرا
او ملحا يكرهه الطبع وهو كقول الشاطبى رحمه الله وخير حديث لا يمل حديثه وتزداده
يزداد فيه تجملا وترديده اى اعادته وتكريره يوجب له محبته لذيادة حلاوته وحسنه
لا يزال كلما كدر غضا اى جديدا وهو مجاز من غض الصوت والمطرف قال حارثة شبت

شبابا غضا طريا اى مرطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته قال الشاطبي رحمه الله واخلق
اذ ليس يخلق جده جديدا مواليه على الجر مقبلا فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره
من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه اى لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته
في البلاغة يمل بالبنا للمجهول اى يمله قاريه وسامعه مع الترديد اى مع التكرر مرارا ويعادى اذا يعد
اى يكره ويثقل وتنفر منه النفس كما تنفر ممن يعاديها وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لا يوجد
مثله ولا ما يقرب منه وابن الثريا عن يد المتناول وكتابنا معاشر الامة المحمدية والنازل الينا بواسطة
نبينا صلى الله عليه وسلم وهو القران مستلذ به في الخلوات اى يجد قاريه لذة اذا اختلى بقراءته
وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمينان القلوب بذكر الله فهو فيها اعظم لذة وان كان
له لذة ايضا بقراءته بين الناس ايضا ويونس بالبنا للمجهول اى يجد به انسا يدفع وحشته في الازمات
جمع ازمة وهي الشدة كما في حديث اشتدى ازمة تنفرجى ولا مخلوة وزاى ازمات ساكنتان
في المفرد والجمع لانه اذا جمع على فعلات يسكن في الاسماء ويحرك في الصفات كما بين في التصريف
والضمير في كتابنا لجماعة المؤمنين لا للتعظيم لانه لا يناسب المقام قيل ولو قال كتابنا يستانس
في الخلوات ويستعان به على الازمات كان احسن وما قصده المص اعلا مما قال لان الخلوة انسب
باللذة وقرينتها لان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه ولذة الاجتماع مكشوفة يسعى بها كل عدو رقيب
والشدايد لا تجرحها رقيقا يعين عليها ويدفع كربها والمعالى قليلة الرفقا ولكل وجهة وسوى
من الكتب سوى اذا ضم اوله او كسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه نعت
فعد في الاول بغيره في هذا سوى والظاهر ان المراد بالكتب المنزلة قبله كالزبور لا يوجد فيها
ذلك اى اللذة والانس المذكورين حتى احدث اصحابها اى اخترعوا والمراد باصحابها
من يقروها لها لحونا اى للكتب التي يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاغاني والنغمات
التي تزين بها الاصوات وتوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم
يقال لحن في قراءته اذا طرب وللحن معان منها هذا والايما والرمز وان اشتهر في خطا الاعراب والمراد
هنا تجبع الاصوات للتطريب والغنا تحسينا للقراءة والشعر وفي الحديث اقرؤا القران
بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين يعني اليهود والنصارى يقرون
كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل اهل مصر بقراءتهم في مجامع الناس المعروفة باللحون وهي مما
حرمه الفقها وشددوا النكير على فاعله وهو لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا
من لم يتغن بالقران على احد المعنيين فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغيير
كما فصل في ادب القارى وطربا جمع طرب وهي ما يجرى على قانون الموسيقى وضروبها الموزونة
يستجلبون اى يطلبون وجودها او يجلبونها لهم ولمن يسمعهم بتلك اللحون والنغمات تنشيطهم
اى وجود نشاطهم وطربهم على قراءتها اى على تطويل قراءتها وزيادتها او على ان يقرؤها غيرهم كقراتهم
ان اريد باللحون تغنى القارى نفسه ويحتمل ان يريد بما احدثوه ما يكون مع القارى من الات
الطرب كالمزامير وما يسمى ارغنون من اوتار كثيرة تضرب مع القراءة ويأتلف بعضها ببعض

حتى

حتى كان القارى على نغماته على قرين الاية يملى على عود له انغامه وتراه يحرك اذنه ان قصر ولهذا اى
ما اختص به القران من عدم ملل قاريه وما بعده وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
القران في حديث رواه الترمذي عن على كرم الله وجهه بدون قوله الاتى هو الذى لم تنته الجن
الخ بانه لا يخلق بفتح اليا وضم اللام الحجى يبلى وتتغير حاله بمرور الزمان ويجوز فتحها وضم اوله
وكسر ثالثه من اخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما فلا مه مثلثة بمعنى واحد على كثرة الرد
بمعنى مع والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار في قراءته ورده بمعنى كرره وكثرة التكرار في العادة
تؤثر وتعنى ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل اما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد اثرا
وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببرد وقيق يلبس ليتجمل به والمراد بما اما الملل منه
فهو بمعنى ما تقدم من ان قاريه لا يمله وكل مكرر يمل وتغير بجريان نسخ ولا ينسى وقد ورد
ان بعضهم كرر اية واحدة طول ليلة ولا تنقضى عبره بكسر العين المهملة وفتح البا الموحدة
جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجايبه او مواعظه التي يعمل بها ويعتبر وهو عبارة عن كثرتها
وبقائها والثاني اولى لئلا يتكرر مع قوله ولا تفنى عجايبه اى لكثرتها لا تنفد وتنتهى جمع
عجيبة وهى ما يتعجب منه فكلما اعدت النظر فيها ظهر لك ما هو اغرب واعجب مما عرفته
اولا هو الفصل اى الجد الفاصل بين الحق والباطل يقال لكلام فصل اى حق مبين محكم
او المفصول المتميز من غيره فهو فعل بمعنى فاعل او مفعول ليس بالهزل كما قال وما هو بالهزل
اى ليس فيه لعب لا كلام سخيف وهو في الاصل من الهزال ضد السمن فهو كله سمين لا غث
فيه لما فيه من الاوامر والنواهى التي يعمل بها سامعها لا تشبع منه العلماء اى لا تستغنى
عنه ولا تستنبط منه معانى وفوائد في كل حين وفي الحديث منهومان لا يشبعان طالب العلم
وطالب دنيا فشبهه بما كول به قوام حياته الا ان كل ما كول يشبع اكله اذا امتلا منه جوفه
وهذا مخالف لذلك ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية فزايد فوايد ممدوده
والوان لذائذه غير مقطوعة ولا ممنوعة ولا تزيغ به الاهواء بفتح المثناة الفوقية وزاى
وغين معجمتين بينهما تحتية ساكنة من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهواء بالمد جمع
هوى وهو ما تهواه وتشتهيه الانفس من الضلال اى لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه
الامارة ولا تلتبس به الالسنة جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع في الكلام
وفي اللغات فالمعنى انه لا يشبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به والحاق فيه لانا سلوب
ونظمه لا يشبه غيره فالمراد انه لا يمكن ان يدس غيره بسببه وقيل المعنى انه لا يعسر قراءته على
المؤمنين وهو بعيد لانه افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله هو الذى لم تنته الجن
حين سمعت ان قالوا اصل معنى انتهى بلغ النهاية وهو اخر الشيء وغايته ويكون بمعنى كف وترك
وهذا هو المراد هنا اى لم يكف الجن عن هذه المقالة ومن لم يترك شيئا بادر اليه واقبل عليه
ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن وما قبله
في معنى العلة اى لم ينتهوا من القول من اجل قولهم لقومهم اذ رحلط وخبط انا سمعنا قرانا

عجبًا اى عجبا فى بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته يهدى الى الرشد اى يدل على الصواب من الايمان
والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ مكثوا سنين مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهولا الجن
بمجرد سماعهم من غير توقف امنوا به وقال البرهان كانوا سبعة ساصر وماصه ومنشى وما شى
والاحقب وهولاء الخمسة ذكرهم ابن دريد فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشى
بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها فاذا قايل يقول يا سرق اشهد بالله
لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل صالح
فقال عمر رضى الله عنه من انت رحمك الله قال رجل من الجن الذى سمعوا القران من رسول الله
لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد مات وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان فى نفر
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا
حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امراتان
تسالان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى من عمرو فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان
فسقة الجن اقتتلوا مع مومنيهم فقتل عمرو وهو الحية التى رايتموها وهو ممن استمع القران من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الذهبى الذى دفنه بالعرج صفوان بن المعطل وهو من الصحابة
وسماه عمرو بن طارق ومن بقى من رسل الله صلى الله عليه وسلم مؤمن منهم عد من الصحابة والاعتراض
بانه ينبغى ان يعد منهم الملائكة ايضا لجبريل وميكائيل رده الذهبى بانه ارسل اليهم ولم يرسل
الى الملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملى على مقتضى كلام الذهبى
تبعا لوالده والمعتمد خلافه وارساله صلى الله عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الجن وهولا من جن
نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام على الجن مبسوط فى كتاب لقط المرجان فى احكام
الجان وسياتى بيانه فى الكلام على نطق الشجر ومنها اى من وجوه اعجازه التى ذكرها بعضهم
جمعه لعلوم ومعارف اى علوم كلية كانت فى الامم السالفة كعلم النجوم ودقايقه وعلم
الطب كما فى قوله لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر وقوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف
الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلوة والسلام وتفصيلها ممن لا يعرفه الا من
شاهدها ومن ذلك ما قيل ان قوله تعالى الى ظل ذى ثلاث شعب انه اشارة الى شكل المثلث وبعض
احكامه المذكورة فى الهندسة وفيه اشارة الى انه لا يفهم تفسيره الا من تضلع من جميع العلوم
لم تعهد العرب بالبنا للمفعول اى لم تعرف فى عهدها وزمانها عامة اى جميع العرب وعامة منصوب
على الحال لافادته العموم مثل كافة وطرا ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته ونزول الوحى
عليه خاصة اى لم يعرفه صلى الله عليه وسلم بخصوصه علمها قبل البعثة اما بعدها
فقد اطلعه الله تعالى على علوم الاولين والاخرين بعرفنا متعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف
ولا القيام بها ومدار ومتنه عليها ولا يحيط بها احد من علماء الامم اى لم يحيط علم احد من علماء
السلف كالحكماء والاخبار من اهل الكتاب بشئ منها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم او لم يدون
قبله حتى يقال انه اخذ علمه منها وفسرها ذكره بقوله فجمع فيه من بيان علم الشرايع جمع بنى

للجهول

للجهول اى جمع الله تعالى فى كلامه فاذكروا الشرايع جمع شريعة وهى والملة والدين بمعنى متحد الما
صدق متغاير المفهوم وهى وضع الهى سايق الى ما فيه الخير فى الدارين ومنقولة من الشريعة وهى
موردة الما اذا الطريق الواسع كالشارع والتنبيه على طرق الحجج العقليات اى تنبيه الناس
وارشادهم الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما فى قصة ابراهيم عليه
الصلوة والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود الصانع وكما فى قوله لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى كما ياتى بيانه والرد على فرق الامم الضالة ممن
عبد الكواكب وغيرهم ببراهين قوية محكمة الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل وادب
البحث بينة ظاهرة سهلة الالفاظ يفهمها كل من يسمعها تكاد من عذوبة الالفاظ تشربها
مسامع الحفاظ كامر موجزة المقاصد قليلة الفاظها الدالة على معانيها المهمة الكثيرة فليس
فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة رام المتحذلقون بعد بالبنا على الضم اى بعد الوقوف
عليها والمتحذلقون بزنة اسم الفاعل بحا مهملة وذال معجمة ولام وقاف وهو مدعى الحذق
وهو سرعة الفهم اى قصد مدعى الذكا فى العلم واقامة البراهين فيال لحذلق اذا اظهر الحذق
وادعى اكثر مما عنده كتحذلق فهو ماخوذ من الحذق ولامه زايدة ان ينصبوا ادلة مثلها نصب
الدليل واقامته ذكره فى مقام المخاصمة فلم يقدروا عليها اى لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل
ادلته وبراهينه كقوله اوليس الذى خلق السموات والارض رد على منكرى الحشر والمعاد الجسمانى
اى من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم بقادر على ان يخلق مثلهم اى مثل هذه
الاجسام الحقيرة الصغيرة ويعيدها وهو اهون عليه كما قال تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة وقوله قل يحييها الذى انشاها اول مرة اى من اوجدها
من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى وفى هذا حجة انصا باهرة ومنها قوله
لو كان فيهما اى فى السماء والارض الهة الا الله لفسدتا فلو تعددت الالهة فسد نظام العالم
وبطل وفيها برهان قوى قطعى وليس اقناعيا كما فى شرح العقايد ويسمى برهان التمانع وفى بيانه
واعراضه كلام مفصل لا يسعه هنا المقام وقد افردوه بالتاليف خاتمة المحققين مصلح
الدين اللارى فحسبك من القلادة ما احاط بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا الى ما حواه
اى مضمون ما ذكر من البراهين الى ما اعقل القران عليه من علوم السير جمع سيرة وهى الطريقة
والاخلاق الحميدة ويخص فى العرف بالغزوات واخبار الجهاد ولكل وجهة هنا وانباء
الامم اى اخبار من مضى منهم والمواعظ والحكم اى امور الترغيب والترهيب وجوامع
الكلم المحكمة المرشدة تكميل النفوس بالملكات الفاضلة واخبار الدار الاخرة من الجنة
والنار والحشر واحوال الموقف وغير ذلك ومحاسن الاداب جمع ادب وهو الاوصاف المحمودة
التى ليس فصاحبها والشيم بشين معجمة ومثناة تحتية وميم ايضا بوزنة عنب جمع شيمة
وهى الطبيعة واهل مصر يستعملها بمعنى دارات الما كقول القيراطى رحمه الله لك
يا نيل مصر تكرما انجل الديم انت فينا حقيقة ظاهر الوصف والشيم وهى لغة عامية

لا اصل لها قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء اي لم نترك شيئا يحتاج اليه الانبيا
في القرآن بنا على ان المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط الترك المخل ضد
الافراط وهو يتعدى بفي من غير تضمين معنى غفلنا كما توهم والمعنى انه شتمل على جميع ما يحتاج
اليه اجمالا او صريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفي في المفعول الذي تعدى اليه
بتضمين تركه ونحوه ثم اردفه باية تؤيد ان المراد بالكتاب القرآن فقال ونزلنا عليك يا محمد الكتاب
تبيانا لكل شيء اي مبينا لكل شيء يحتاج اليه وهو بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى
مبين ولا ثاني له غير تلقا على كلام فيه بعد ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ضرب
المثل معلوم اي اتينا لكل امر مهم بمثال يوضحه لما في ضرب المثل من الفوائد المهمة وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الترمذي عن علي كرم الله وجهه تقدم بعض منه واورد بقيته هنا
مع زيادة فيه ان الله انزل القرآن من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل
كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما او قامت قرينة اريد بالانزال الدفعي وبالتنزيل التدريجي كما
فصلوه امرا بالمدح حال من الفاعل او المفعول على الاسناد المجازي وزاجرا اي مانعا وكافا
وناهيا والزجر الطرد بصوت ثم يستعمل تارة في الطرد واخرى في الصوت كما قاله الراغب
وسنة خالية اي طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلا بمعنى ذهب ومضى
ويكون بمعنى تفرغ ومثلا مضروبا جعل عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب
الالهية وهي مقررة لما مثل له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوي ولامر ما اكثر الله
والانبيا والحكما في كلامهم من الامثال وقوله فيه نباكم بالرفع كالمعطوف عليه ان كان
نائبا عن فاعل مصدر با ظهر بتقدير مضاف اي مثل نباكم وان كان مبتدا وفيه خبر مقدم والجملة
حالية وتغيير الاسلوب يحتاج لنكتة ولعلها الاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقرآن
كالتي قبلها والنبا الخبر عن امر عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة رضوان الله تعالى
عليهم وخبر ما كان قبلكم عبر بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل
تغليبا للاكثر او لصفات من يعقل كقوله او ما ملكت ايمانكم ونبا ما بعدكم اي ما بعد النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم او لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة
وغير ذلك الى يوم القيمة وحكم ما بينكم اي بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر
هذه الامة المحمدية وهو بضم الحا المهملة وسكون الكاف لا يخلقه طول الرد تقدم معناه
وانه بضم اوله وفتحه من الثلاثي والمزيد اي لا يبليه ويغنيه تكرار تلاوته ولا تنقضي
عجايبه هو الحق ليس بالهزل تقدم تفسيره من قال به صدق اي من اخبر بما فيه وحكم به
فقد اتى بامر صادق لا ريب فيه وفي القاموس قال به غلب ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به
وهذا لا يناسب قوله صدق ومن حكم به عدل اي قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل لانه
حكم الله وما ربك بظلام للعبيد ومن خاصم به اي خاصم بحججه وادلته ماخوذة منه فلج اي
غلب وفاز بالنصر على من خاصم وهو بفتح الفا واللام بزنة يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة

ومن

ومن قسم به قسط بفتح القاف والسين المخففة اي من تولى قسم امر نفسها بما في كتاب الله كقسمة
المواريث والغنايم وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط بالهمزة اذا عدل فهو مقسط فالهمزة
للسلب كما في شكيته اذا ازلت شكايته وهو ماخوذ من القسط وهو الميزان كالقسطاس
وفي الحديث ان الله يخفض القسط ويرفعه وهو تمثيل ويقال قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد
ومن عمل به اجر ما لبناء للمفعول اي جازاه الاجر والثواب الجزيل ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم
هو كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا تنزيل المعقول
منزلة المحسوس لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذي لا عوج
فيه ولا ضلالة ومن طلب الهدى من غيره كعقله واقوال غيره اضله الله اي جعله شقيا ضالا
لعدوله عن الطريق الحق ومن حكم بحكم غيره قصمه الله اي قتله واهلكه هلاكا شديدا واصل
معنى القصم القطع بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز في هذه الجملة ان تكون خبرية
ودعائية انشائية هو الذكر الحكيم الذكر بمعنى القرآن والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او سمي
باسم قائله انه الحكيم قائله فعيل بمعنى فاعل الذي يحكم الاشياء ويتقنها او الحاكم لهم وعليهم
او المحكم الذي لا خلل فيه والنور المبين الواضح البين الذي تهتدي بانواره العقول الى الخروج
من ظلمة الجهل والضلالة والصراط المستقيم اي الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس
منه الى القصد الاسنى كما يصل من الطريق الى ما يريد من الدار ومنازلها وحبل الله المتين اي عهده
وامارته الذي يؤمن العذاب وكل ما يكره ويشق على النفس ويتوصل به الى ما ينجيه ويوصله
لمطالبه والمتين بمعنى القوي المحكم يقال متن اذا صلب والشفا النافع اما ان يريد بالشفا ظاهره
لانه يسترقى به فيشفي من بعض الامراض او يراد مطلق النفع على طريق المجاز كالمنفي او على طريق الاستعارة
بان يشبه الجهل بالداء ويجعل ما يزيله كالدوا والعلاج النافع الذي لا سقم بعده لنفعه في الدنيا
والاخرة عصمة لمن تمسك به بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك
والاعتصام التمسك ويجوز ضم عينه ايضا والاكثر الافصح الكسر وتجي العصمة بمعنى
السؤال ومنه العصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة
والزلل ونجاة لمن اتبعه اي منج له ومخلص مما يخشاه لا يعوج بفتح اوله وتشديد جيمه ورفعه
اي ليس فيه خلل لفظا ولا معنى كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا قيما بفتحتين الميل والانعطاف المدرك
بالبصر وبكسر اوله ما يدرك بالبصيرة فيقوم بالنصب في جواب النفي اي لا يحتاج الى تقويم
يزيل عوجه فليس كساير الكلام المحتاج للاصلاح ولا يزيغ بمعجمتين بوزن يضير اي لا يميل
عن الحق والصواب فيستعتب بالنصب اي لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة
والعتب مخاطبة لادلال وموجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفي رواية الترمذي ولا تزيغ به
الاهواء اي تميله ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد تقدم بيانه ونحوه اي نحو هذا الحديث
المروي عن علي كرم الله وجهه ما رواه الحاكم عن ابن مسعود قال اي ابن مسعود رضي الله عنه فيه
ولا يختلف اي لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضا مع طوله وبعد عهده ولو كان من عند غير الله

لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يتشان بفتح اليا التحتية والتا الفوقية والشين المعجمين والف بعدها
نون مشددة وتفاعد عن الشي وهي القربة البالية فهو مستعار للبلا والفنا بمعنى قوله في الرواية
الاخرى لا يخلق على كثرة الركثرة الرد وفي رواية لا يتفه ولا يتشان والتفه الحقارة وشي
تفه حقير كما هو في اكثر الروايات ومخرج وفي نسخة ولا ينشانا ه بيا تحتية مفتوحة
او مضمومة وتا فوقية مفتوحة وشين معجمة والف بعدها نون وهمزة من الشان وهو البغض والعداوة
فاستعاره لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينهما عداوة او التخالف معانيه فهو كقوله ولا يختلف
معنى وهو معنى ظاهر مكشوق مما قيل ان الصواب هو الاول ان بحسب الدراية فلا وجه له فيه بناء
الاولين والاخرين تقدم بيانه بما يغني عن اعادته وفي الحديث الذي رواه ابن الضريس في فضائل القران
عن كعب الاخبار انه قال في التورية انزلت على محمد فذكره واخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن مغيث
بن سمي مرسلا انزلت على توراة الخ قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة
اي كتابا سماويا شبيها بالتورية لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد
والامثال والحكم والعقايد اليقينية فاطلاق التورية عليه استعارة تصريحية او مجازا
مرسلا او حقيقة ان قلنا انه عبراني معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه اجل كتاب
نزل قبل القران ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين هم اقرب اليه وهو حديث قدسي نزل
صلى الله عليه وسلم قبل الوحي او في ابتداء امره حدثنه اي قريبة عهد بالنزول وهو كقوله
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث فلا دليل فيه لمن يقول بحدوث القران ولما كان كلام الله
يسمى نورا وشفاء قال تفتح بها اعينا عميا اي ترشد بها من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه للحق
واذانا صما اي وتسمع بها اذانا لا تسمع الحق فتقبله وقلوبا غلفا ولا يصل اليها ما يهديها الى النعمة
كانها في غلاف وغشا مانع عن وصول الحق اليها وعن الفهم وقد تقدم بيانه فمعنى ازالة المانع مطلقا
فتحا وهو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا فيها اي في التورية يعني القران ينابيع العلم جمع ينبوع
وهي العين التي ينبع منها الما الجاري فشبه العلم النافع بالما الذي يحيى به النفوس على طريق
الاستعارة المكنية واثبت له الينبوع على طريق التخييل وفهم الحكمة اي ما يفهم الحكم وهي
المواعظ كلام محكم نافع جعل الفهم كانه فيدا مبالغة لكونها ينبوعه ومعدنه وربيع القلوب
الربيع يكون بمعنى الخصب والطراوة فيها ما يحيي القلوب وتنمو وتخصب وتمرح وتسرح وتنزه
وتوح ففيه استعارة لطيفة وعن كعب بن ماتع المعروف بكعب الاخبار كما تقدم عليكم بالقران
اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا يقال عليك كذا وكذا فالمراد ملازمته تلاوته وتدبر معانيه فانه
فهم العقول اي مفهم للعقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول
كنسج بمعنى منسوج فانه ذكيك كما يرشد اليه قوله بعده هذا بيان للناس ونور الحكمة اي منورها
او هو كلجين الما اي فيه حكم يشرق بعودها وتلالا وضوحا ويهدى بها وقال تعالى ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون يعني انه بين فيه لاهل الكتاب ما اشتبه عليهم
واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القران لجمع للاحكام من غيره من الكتب

المنزلة قبله واوضح وقال تعالى هذا بيان للناس الاية اي لجميع الناس من اهل الكتاب وغيرهم
وموعظة للمتقين والايتان بما بعد ما قاله كعب تروضح ما قاله وفسر بقوله يجمع فيه
اي في القران مع وجازة الفاظه اي اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه وجوامع كلمه
جوامع الكلم وانها الكلام الجامع للمعاني الجمة في الفاظ قليلة واضحة تطلق على القران كما
في حديث اوتيت جوامع الكلم اضعاف ما في الكتب قبله مفعول لجمع اي جميع ما يزيد على ساير الكتب
مثله او مثليه التي الفاظها على الضعف منه مرات اي مع زيادة الفاظها عليه بامثاله جمع من الضعف
ما يزيد على امثاله معانيه وضعف الشيء يكون بمعنى مثليه وامثاله معانيه والتضعيف الزيادة
مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله ومنها اي من وجوه الاعجاز التي ذكروها جمعه فيه
اي جمع الله في القران بين الدليل والمدلول الدليل هو الدال المرشد اي ما يمكن الى التوصل بالنظر فيه
الى مطلوب خبري والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى اعم مطلقا ثم بين معنى
الجمع المذكور بقوله وذلك اي الجمع بينهما انه احتج بالبنا للمجهول فهو بضم اوله وثالثه اي ان الله
اقام فيه الحجة على ما اراده واثباته والالزام به لمن قامت عليه الحجة بنظم القران اي بنظامه البديع
المعجز وحسن وصفه لراو صاد مهملتين وفا لا براو كما في بعض النسخ وهو من رصف البنا وهو ضم بعضه
الى بعض فالمراد حسن نظم وتاليفه كما يؤلف البناء شيئا بعد شيء حتى يتم ويكمل في غاية الاحكام
وضميرانه لله او القران وايجازه وبلاغته وفي نسخة اعجازه اي كونه في اعلى طبقات البلاغة
المعجزة لكل بليغ واثنا هذه البلاغة بالنصب على الظرفية خبر مقدم او في خلالها واثنا بالمد
على وزن افعال جمع ثنا بالضم والقصر وهو ما انثني ودخل بعضه في بعض كما اشار اليه ابن هشام
اللخمي في شرح ووعد الدريدية كما مر وهذا هو الدليل السابق ذكره ثم ذكر المدلول فقال امره ونهيه
معا ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة التي ارادها الله تعالى فالتالي له اي القارئ يفهم
وتدبر لمعانيه يفهم موضع الحجة والتكليف معا بالجر والنصب من كلام واحد منفردة عن غيرها
مما هو حجة او يحتج عليه يعني ان كل مقدار معجز عنه دال على مقصد من مقاصده يكون دالا
على مطلوب ومدعى وعبارته الدالة عليه برهان مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه
الجمع المذكور كما في قوله في سورة الواقعة لما حكى كلام منكري المعاد وهو الذا متنا الخ عقبه بما قطع
عرق شبهتهم بقوله افرايتم ما تمنون الخ وقيل انه كقوله فلا تقل لهما اف فانه حجة لتحريم التافيف
ومكلف بالحجة به وقوله فصل لربك وانحر حجة بوجوب الصلوة والاضحية وانه مكلف بهما
وهذا كلام لا محصل له ومحل يحتاج للتحرير ومنها اي من وجوه اعجازه ان جعله في حيزه يقال
تحيز وتحوز تفعيل وهذه المادة معناها في كلام العرب تتضمن العدول من جهة اخرى من الخير
وهو فنا الدار ومرافقها ثم قيل لكل ناحية فالمستقر في موضعه كالجبل لا يقال له متحيز ويراد
بالمتحيز عند غير العرب ما يحيطه خير موجود وهو اعم من هذا والمتكلمون يريدون به اعم من هذا
وهو كل ما اشير اليه سواء كان له حيز ولا فالعالم كله متحيز كما قاله ابن تيمية المنظوم الذي
لم يعهد اي المولف الواقع على طريق لا يشابه شيئا من كلامهم المنظوم شعرا ولا خطبه ولا رسالة

مع كونه واضح الدلالة بلسانهم وهذا انما يعرفه له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه
في كتاب الابانة ثم قال فان قلت وهذه المباينة العظيمة التي بين القران وبين سائر كلام العرب وجميع
المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا قلت هي ما في القران من البلاغة التي لا يقدر اشد اهل
البلاغة والاسن مقدما في البيان ان ياتي بمثلها او ما يقاربها ولم يكن في حيز المنثور اي لم يشبه
اقسام منثورهم من السجع الملتزم حروف كحرف روي الشعر ولا الخطابة لمقاطع فصول
الخطب ومواضع استراحاتها لاشتماله على الفواصل كما توهم لان المنظوم اسهل على
النفوس اي الكلام المشتق نظمه وتاليفه على نهج واحد والفضل عليه المنثور بالمعنى
السابق واوعى للقلوب جمع قلب اي ادخل في وعائه وهي القوة الحافظة له وفي الحديث
بعد ذكر الانبياء الذين رآهم في السماء اوعيت منهم اي ادخله في وعاء قلبي فهو اسم تفضيل
من المبنى للفاعل على القياس واللام داخلة على الفاعل كما يقال هو اوعى لي ولا قلب فيه المطلوب
والقلوب وعاء له كما توهم واسمح في الاذان بسين وحا مهملتين اي اسهل مستمعا من السماحة
وليس من سمح المزيد كما قيل وليس ايضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ اي منفذ الاذان كما توهم
واحلى على الافهام اي يستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة وحلاوة فالناس اليه اميل اي اكثر
ميلا ومحبة كما قال الشنفري فاني الى قوم سواكم لاميل والاهواء اليه اسرع جمع هوى وهو
ميل النفس وانجذابها اي ميل القلوب نحوه اشد من ميلها لغيره ومنها اي من وجوه اعجازه
تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه اي من يريد تعلمه وتقريبه على متحفظيه اي تسهيل حفظه لمن يريده
قال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر في الكشاف معنى الاية سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه
بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ واعنا من اراد
حفظه ويجوز ان يكون معنى يسرناه هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها وفرسه للغزو اذا
اسرجه والجمه كما قال وقمت اليها باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع وعلى الوجه
الثاني بنى المص استشهاده بالاية وسائر الامم التي قبل هذه الامة من اهل الكتابين وغيرهم
لا يحفظ كتبها الواحد منهم اي لا يوجد فيها واحد يحفظ كتابهم المنزل على انبيائهم الا نادرا وروي
عن ابن جبير ان بني اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التورية فكانوا لا يقرؤنها الا نظرا في مصحفها غير
موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير فقيل انها رفعها الله تعالى وقيل انها حرفت فجاء عزير وتلاها
عليهم كما انزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد من الله تعالى على هذه الامة بان يسر
عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى الى الان فكيف الجماء منهم اي فاذا لم يتيسر ذلك
لواحد منهم الا نادرا كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الجيم المشددة والمد بعد جيم مفتوحة من الجموم
وهو الاجتماع والكثرة التي لا تعد وفي بعض النسخ فكيف الجم بدون مد وكلاهما صحيح رواية
ودراية وفي الاساس عددهم واجلب جما جما ولجما غفيرا والجماء الغفير اشتق من جمة الشعر
وما قيل من ان الصواب الجم لانه لا يتلفظ بالجماء الا موصوفا نحو جاء والجماء الغفير لا اصل له وذلك
انما هو اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العربية على مرور السنين عليهم اي مع طول اعمارهم وامتداد

ازمنتهم

ازمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم والقران ميسر حفظه للغلمان اي لغلمان هذه الامة واطفالهم
 في مكتبهم في اقرب مدة اي في زمن قليل كسنة ونحوها كما شاهدناه وغلمان بكسر الغين المعجمة وهو
من حين يولد الى ان يشب ومنها اي من وجوه الاعجاز عند بعضهم مشاكلة بعض اجزائه بعضا اي
مشابهة بعضه بعضا قال الراغب المشاكلة في الهيئة والصورة والند في الجنسية والشبه في
الكيف والشكل الدال وهو في الحقيقة الانس الذي بين المتماثلين في الطريقة ومن هذا
قيل الناس اشكال والاف واصل المشاكلة من الشكل اي تقييد الدابة بالشكال ومنه
شكل الكتاب وحسن ائتلاف انواعها اي مناسبة انواع تلك الاجزاء فتكون كلماته
متناسبة وجمله المركبة ايضا بينها الفة وحسن مناسبة تامة والتئام اقسامها بهمزة
ويجوز ابدالها ياء ايضا اي توافقها وانضمام كل قسم الى مشاكله وحسن التخلص من قصة
الى اخرى وهو ان يوافق مطلع السابقة مبدأ اللاحقة حتى يصيرا كالقصة الواحدة
والخروج من باب الى غيره اي الانتقال من نوع من الكلام الى نوع اخر وفي ذكر الخروج مع التخلص
ظاهر على اختلاف معانيه الضمير للقران وعلى بمعنى مع اي نزل مع اختلاف مقاصده لا يخرج عن المناسبة
التامة في جمله وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتبا اجلها مناسبات
البقاعي وجنس التخلص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله يقول في قومس صحبي وقد اخذت منا
السرى وخطى المهرية القود امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود
والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا وانقسام بيانه واقسام السورة الواحدة على امر
ونهي وخبر واستخبار اي استفهام وهو احد اقسام الانشاء القابل للخبر وعدى الانقسام
بعلى والمعروف تعديته بالى اقسامه وانما يعدى بعلى لمن يعطى تلك الاقسام فتقول النقد
ينقسم الى دراهم ودنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين فلو استعمل احدهما
في مكان الاخر اراد الكلام كان لتجوز النكتة وهي هنا جعل الكلي كانه امر خارج قسم على
افراده او انواعه فنال كل حصة منه لوجوده في ضمنه فلا يحسن ذلك في كل محل ولا من كل
قائل ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد كقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اذ قضينا
الى موسى الامر وقوله انما الله اله واحد وتفريد لبعض ما شرع اولا وترغيب وترهيب بوعد
من اتقى بالنعيم المخلد وان من كفر في سواء الجحيم منغمسا ما ذكر الى غير ذلك من فوائده كضرب
الامثال وذكر القصص للعبرة بها دون خلل اي امر يخل به وينقصه يتخلل فصوله اي يكون
في اثناء فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهي الكلمة
مما يضاهي السجع والكلام الفصيح من كلام البشر اذا اعتوره اي ورد عليه وطرأ وتداوله
مثل هذا اي تضمن انواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة وتخلل التي ينشئها المتكلم الفصيح
ضعفت قوته لانه يكل خاطر قائله بتعدد انواع المقاصد فينزل عن مرتبة التي ساقها في اوله
ولانت جزالته اي صلابته وشدته تنقلب لضدها وقل رونقه اي صفاؤه ونضارته
وتقلقلت الفاظه اي اضطربت والقلقلة في الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل في البلاد

اذا طال سفره فاستعير لثنا فر الكلام الطويل فتاملا اى تدبروا طل النظر والفكر اول سوره
ص والقران ذى الذكر الخ وما جمع فيها بالبناء للفاعل او المفعول وانث ضميرا ول لانه
بمعنى الفاتحة او لاكتابه التانيث مما اضيف اليه من اسم السوره من اخبار الكفار اى كفار
قريش من تعجبهم بان جاهم نذير منهم و قولهم انه ساحر كذاب وغيره وتشاقهم اى عداوتهم لله
ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق وتقريعهم وتوبيخهم
باهلاك القرون من قبلهم بقوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن وما ذكرها من تكذيبهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم فى قولهم ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق وتعجبهم
مما اتى به فى قولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا الخ والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر الخبر هنا بمعنى
الاخبار والملا جماعة الاشراف والروسا وذلك انه لما اسلم عمر رضى الله عنه شق
عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابى طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد رايت ما فعل
هؤلاء السفها فاقض بيننا وبين ابن اخيك فجاءه صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد
هؤلاء قومك يسئلونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ما تسالونى قالوا
دعنا والهتنا وندعك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم اتطيعونى فى كلمة واحدة
تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا امشوا واصبروا
على الهتكم ان هذا لشئ عجاب يراد وما ظهر من الحسد فى كلامهم اى ما ظهر فى كلامهم مما يدل
على حسدهم له صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله فى قولهم اانزل عليه الذكر من بيننا
مما دل على اعترافهم وتيقنهم بصدقه صلى الله عليه وسلم الا ان الحسد اخرس السنتهم
واعمى قلوبهم وتعجيزهم حيث قال ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم
ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب فانهم لما انكروا اختصاصه
صلى الله عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشاء ممن اصطفاه
من عباده فلا مانع لما اراد فانهم لا يملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يصنعوا النبوة فى ضمنا
فان انكروا ذلك فليصالوا الى السماء وينزلوا الوحى لمن ارادوه وفى هذا غاية التهكم
بهم واظهار عجزهم وقصورهم وتوهينهم اى اظهار ضعفهم ووهن كيدهم
وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هولا الذين كذبوك وتحزبوا
عليك جند ذو احقارة لا قدرة لهم على التصرف فى الامور الربانية فلا تكترث بهم
ووعيدهم بخزى الدنيا بهزيمتهم والاخرة بذوقهم العذاب فيها وتكذيبهم الامم
قبلهم اى وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم واهلاك الله لهم بقوله كذبت قوم
نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب ووعيد هؤلاء يعنى كفار قريش الذين كذبوه
كما كذبت الامم السالفة رسلهم فيحل بهم ما حل بهم مثل مصابهم منصوب بقوله
وعيدهم وتصبير النبى صلى الله عليه وسلم على اذاهم اى امره بالصبر بقوله اصبر
على ما يقولون الخ وتسليته بكل ما تقدم ذكره من بيان ما ال اليه امرهم وان له صلى الله

عليه

عليه وسلم ممن تقدمه من الرسل اسوة ثم اخذ اى شرع بعد تصبيره وتسليته فى ذكر
داود عليه الصلوة والسلام بقوله واذكر عبدنا داود الخ يتلوها فى قصته من تقطيع
المعصية بذكر ما صدر منه من خلاف الاولى الذى صدر منه فعوتب عليه فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب فما بالك بغيره فهذا وجه ذكره فتدبر وقصص الانبيا بفتح القاف
وكسرها سليمان وايوب وابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم الصلوة والسلام
بقوله ولقد فتنا سليمان الخ فذكرهم الله تعالى شيئا عليهم كل هذا المذكور فى اول سورة
ص مذكور فى اوجز كلام واحسن نظام على اتم ارتباط من غير خلل زيادة ونقص ويقال ما افصا
حته وسنه اى من اعجاز القران وفى بعض النسخ وسنها ويحتمل ان يريد مما ذكره فى اول سورة
ص الجمل الكثيرة من المعانى لقوله التى انطوت عليها واشتملت الكلمات القليلة
بالنسبة لمعانيها وفى القلة والكثرة طباق البديع وقيل عليه ان يحصل هذا انه ايجاز
وقد تقدم ذكره فلا حاجة لاعادته وعده وجها مستقلا ولذا استدرك بقوله وهذا
كله اى ما ذكر هنا وكثيرا مما ذكرنا فى هذا الفصل من اوله الى هنا انه ذكر فى اعجاز القران
مضافا الى وجوه كثيرة ذكرها لم يذكرها اكثرها داخل فى بلاغته اشار بقوله اكثرها
الى ان منها ما لا يدخل فى البلاغة كتسهيل حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والائمة بعده
الائمة من وجوه الاعجاز فلا يجب ان يعد فنا منفردا فى اعجازه بل يجعل من توابعه او تتماته
الا فى باب تفصيل فنون البلاغة فيعد فنا منها كمشاكلة اجزائه وحسن التخلص فانه
فن منفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه اذ من المعجز ما لا يكون فيه ذلك
كسورة الاخلاص مثلا وكذلك اى من قبل المذكور كثير مما قدمناه عنهم اى عن الائمة
بعد فى خواصه وفضائله لا اعجازه لانه لا مدخل له فيه وحقيقة الاعجاز عند من لم
يقل بالصرفة انما هى الوجوه الاربعة التى قدمها المصنف اولا كما قال التى ذكرنا فليعتمد عليها
فى تحقيق الاعجاز ويستند اليها من اراد تحقيقه وما بعدها مما ذكر فى هذا الكتاب فانما
هو من خواص القران التى لا توجد فى كلام غيره وعجايبه التى لا تنقضى اى لا تعد ولا تتناهى
وبالله التوفيق اى منه التوفيق والهداية للوقوف على عجايبه التى لا تتناهى الا من الله
وعنايته وفى بعض النسخ والله الموفق وفى حديث قدسى من شغله القران عن دعاى
ومسئلتى اعطيته افضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبى
وشفاء همى وغمى ثم عقب معجزة القران التى هى اعظم
معجزاته صلى الله عليه وسلم لمعجزة
اخرى عظيمة متناسبة له فى انها سماوية
ومعجزة عليه تم الجزء الاول من شرح
الشفاء ويتلوه الجزء الثانى من فصل
انشقاق القمر بحمد الله وعونه

والصلوة على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم